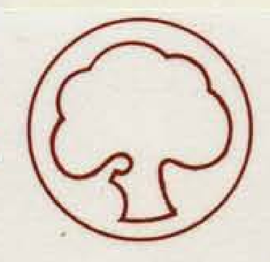
جامعة ابن طفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القنيطرة



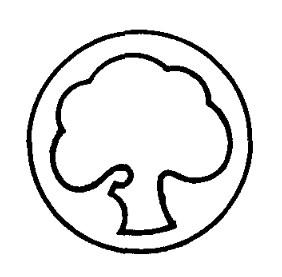
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة
سلسلة: نصوص ووثائق
رقم 2

رسائل موحدية

مجموعة جديدة

تحقيق ودراسة:
أحمد عزاوي

الجزء الأول



جامعة ابن طفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القنيطرة

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة
سلسلة: نصوص ووثائق
رقم 2

رسائل موحدية

مجموعة جديدة

(القسم الأول)

تحقيق ودراسة:
أحمد عزاوي

الطبعة الأولى 1416 ــ 1995

تصدير

بصدور كتاب **الرسائل الموحدية** الذي اعتنى بجمع مادته وتحقيقها والتعليق عليها الأستاذ أحمد عزاوي تكون كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة قد نشرت مصدرا ثانيا لتاريخ المغرب بعد كتاب **رحلة الوافد** ضمن سلسلتها نصوص ووثائق، مساهمة بذلك في التعريف بالتراث المغربي، وتسهيل مهمة الباحثين في تاريخه.

وقد سبق للأستاذ ليفي بروفنسال E.Levi-Provençal أن قام بنشر مجموع أول للرسائل الموحدية مبتور الأول والآخر سنة 1941، ولكن ظهور مجاميع جديدة بعد هذا التاريخ تحتوي على رسائل موحدية جعل من الضروري القيام بعمل يحيط بكل ما جد في هذا الموضوع. ويرجع الفضل للأستاذ أحمد عزاوي في القيام بهذا العمل وذلك بجمع عدد مهم من هذه الرسائل الديوانية الموحدية الجديدة وتصنيفها ودراستها ووضع فهارس دقيقة لمحتوياتها، ممهدا بذلك الطريق للباحثين في تاريخ المغرب والأندلس الوسيطيين وخاصة ما يتعلق فيه بسير أجهزة الدولة والنظام السياسي والإجتماعي.

إن نشر النصوص والوثائق التاريخية قد شكل منذ تأسيس الجامعة المغربية الحديثة أحد اسبقياتها في ميدان التراث. فوفر الأداة لنمو البحث العلمي في العلوم الإنسانية ببلادنا، ومهد ولا يزال للتعرف الدقيق على خصوصيات مجتمعنا. ومع ظهور نصوص تاريخية جديدة وجيل جديد من المؤرخين اعتمد تحقيق النصوص والوثائق في أبحاثه العلمية وقع تراكم حميد في هذا الميدان. إلا أن الكثير من هذه النصوص والوثائق التراثية بامكانياتها المتواضعة ناتج عن هذه الوضعية الخاصة التي تقف حاجزا أمام انتشار المعرفة، وايماننا الراسخ بأن مستقبلنا رهين بعملنا واجتهادنا ومعرفتنا الجيدة بماضينا ومقومات حضارتنا.

الأستاذ العربي مزين
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بالقنيطرة

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة

لم تعد كتابة التاريخ تعتمد على التآليف المعروفة بالحوليات التاريخية فحسب، ولكنها أصبحت ترجع إلى أنواع من المراجع المتعددة، والمصادر المختلفة، وإذا كانت «الحوليات» تعتبر هي المصادر الأولى أو الاساسية التي يعول عليها في التاريخ العام فإن ثمة مصادر أخرى تدعى بالمصادر المساعدة وهي وان كانت مصادر ثانوية إلا أن المؤرخ بصفة عامة والمؤرخ للمغرب بصفة خاصة لا يستغني عنها، وذلك لأن عددا مهما من «الحوليات» المغربية يعتبر الآن مفقودا ومن هنا تصبح المصادر المساعدة هي العوض عنها أو البديل منها كما أن «الحوليات» تهتم بالتاريخ السياسي في المقام الأول أما التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي فلا توجد مواده غالبا إلا في المصادر المساعدة ككتب النوازل والوثائق والحوالات والرحلات وكتب التراجم والبرامج والمناقب وغير ذلك مما هو مفصل في المظان القديمة والحديثة.

ومن أهم الرسائل التي يستعين بها المؤرخ في كتابة التاريخ ويلجأ إليها في كثير من الأحيان الرسائل الديوانية، ويندرج في دائرتها الظهائر والبيعات والعهود والتقاديم وغيرها من الوثائق الرسمية، وقد عني الناس منذ زمن بعيد بجمع هذا النوع من الوثائق في مجاميع عامة وخاصة، وقد سمّيت، بعضها في تصدير دراستي لرسائل ابن مغاور الشاطبي وفي مدخل كتابي : ابن عبد ربه الحفيد.

كما أن عددا من الدول الاسلامية في المشرق والمغرب — على سبيل المثال — كان لها ديوان أو دواوين لحفظ السجلات والوثائق وكان لها رسوم في الكتابة الديوانية وقوانين لصنعة الانشاء ضاع معظمها ووصل إلينا بعضها.

ومن الدول التي بلغت فيها الكتابة الديوانية مبلغا عظيما دولة الموحدين، فقد كان لهذه الدولة اهتمام كبير بالإعلام وعناية بالغة بوسائله وأدواته، ويرجع هذا إلى أسباب متعددة منها سعة رقعة الدولة وكثرة الخراج وتعدد الولايات وتتابع «الحركات» والتنقلات التي كان يقوم بها الخلفاء الموحدون.

ولعل هذا هو الذي يفسر لنا كثرة الكتّاب ووفرة الرسائل في عهد دولتهم فقد زاد عدد الكتاب على المائة، وجمعت رسائلهم في أكثر من مجموع، ومن هذه المجاميع «مجموع رسائل موحدية» وهو مجموع مبتور الأول والآخر نشره ودرس رسائله الأستاذ بروفنصال عام 1941 ثم ظهر مجموع رسائل ابن عميرة الذي حققته واعتمدت عليه في الدراسة التي نشرتها عام 1966 وظهر بعده القسم الأخير من مجموع «العطاء الجزيل» لاحمد البلوي ومجموع يحيى الخدوج ومجموع رسائل عبيد الله بن خطاب وغيرها ومازال هذه المجاميع مخطوطة، وهي تشتمل على رسائل ديوانية وإخوانية.

وقد قام الأستاذ احمد عزاري بانتقاء مجموعة طيّبة من الرسائل الديوانية الموحدية أخذها من المجاميع المذكورة وغيرها ورتبها ترتيبا زمنيا وحققها تحقيقا جيدا وحللها تحليلا تاريخيا، ومهد لها قبل ذاك تمهيدا عاما تحدث فيه عن بعض المشكلات التي واجهها الموحدون في فترة التأسيس بالمغرب الأقصى ومن امتداد نفوذهم الى المغرب الأوسط والمغرب الأدنى والأندلس خلال فترة الازدهار والاستقرار كما تحدث عن فترة التراجع والانحسار والانقسام في آخر الدولة وختم هذا التمهيد بالاشارة إلى بعض المعطيات الحضارية المستفادة من الرسائل.

هذا وإن أصل هذا العمل هو رسالة جامعية كان حصل بها الباحث السيد أحمد عزاوي على درجة دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط.

وهاهي كلية الآداب بالقنيطرة تقوم بإخراج القسم الأول من هذه الرسالة المفيدة وهو الخاص بنصوص الرسائل الموحدية المختارة وتشتمل على 135 رسالة و77 تقديما مع مقدمة في مصادر الرسائل المذكورة وتراجم كتابها وملاحظها حول فن كتابة الرسائل، وقد ذيل هذا القسم بجدول للرسائل وفهارس للاعلام البشرية والجغرافية والمصطلحات الفنية وغيرها.

أما القسم الثاني وهو الدراسة فيتألف من خمسة فصول تشتمل على ما ذكرته آنفا، وسيقدم إلى المطبعة قريبا إن شاء الله.

إن هذه المجموعة الكبيرة من الرسائل الديوانية الموحدية التي انجزها السيد احمد عزاوي واجيز عليها تقدم خدمة جليلة للمؤرخ بما تشتمل عليه من المواد التاريخية المتعددة والمواد الاخبارية المتنوعة، وهي بحق إضافة جديدة ستغني المكتبة التاريخية المغربية.

كما أنها عمل من أعمال متعددة أنجزت وأجيزت بالجامعات المغربية في مجال البحث في تاريخ المغرب وإنا لنرجو أن ترى النور جميعا كي ينتفع بها الدارسون والقراء وما ذلك على الله بعزيز.

الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة

«وقل رب زدني علما»

صدق الله العظيم

الإهـداء

إلـــى

زوجتـــي

توضيح بعض الرموز المستعملة :

(م ر م) : «مجموع رسائل موحدية» نشر : ليفي بروفنصال

(م ج) : «المجموعة الجديدة» وهي مجموعة الرسائل التي أقوم بنشرها ودراستها في هذا المؤلّف.

(خ ح) : مخطوط او مخطوطات الخزانة الحسنية (الملكية سابقا) بالرباط

(خ ع) : مخطوط الخزانة العامّة بالرباط

(م م) : مصوّر المخطوط (كما هو الحال في حاشية رسائل «المنّ» مع رقم الصفحة في المخطوط)

(ع) : «العطاء الجزيل...» (مع رقم الصفحة في المخطوط)

(ع ز) : رسائل الزوائد الملحقة ب «العطاء»

(م خ) : رسائل المخطوط الخاص، (وهو مخطوط الأستاذ محمد المنوني)

(ط) : طبعة

(ن) : نشرة

(ي) : مخطوط لرسائل موحدية بالخزانة الحسنية يسمّى جامعها باسم «يحيى»

(ص) : الصفحة أو الصفحات في المصادر والمراجع، وأحيانا يقع الاستغناء عن هذا الرمز والاكتفاء بكتابة أرقام الصفحات في حالة المصادر التي هي من غير صنف التراجم، ويرمز حرف (ع) خلال الحديث عن المصدر في الهوامش السفلية الى رقم الترجمة الواردة به

(أ م) : بمعنى الأصل المعتمد، كما هو الحال في هوامش الرسائل الواردة في كتاب Amari تحت عنوان : Diplomi Arabi.. وفي اصول اخرى.

(T.C) : Tables de Concordancence... (كان الاعتماد عليه في استعمال الموافقة بين التاريخين الهجري والميلادي).

مقدمة البحث

أ ــ ظروف وأهمية البحث[1] :

من المعلوم ان هناك مجموعة من المصادر والدراسات التي تمكّن من القاء أضواء على العهد الموحدي خاصة وانه يمثل فترة لامعة في التاريخ المغربي، إلا أن الاعتماد على رسائل رسمية ــ ولو انها غير اصلية اي مسجلة في كتب الآداب كنماذج لفن الكتابة ــ من شأنه ان يدعّم أو يصحّح ما ورد في المصادر. وقد كان هدفي في البداية هو الاقتصار على الرسائل الواردة في المخطوطات دون غيرها، ثم تبيّن ــ وباقتراح من الاستاذ المشرف ــ أنه من مصلحة البحث في هذه الفترة ان توضع جميع الرسائل ــ التي لم يتوصل الى معرفتها او نشرها الاستاذ ليفي بروفنصال ــ ضمن «مجموعة جديدة» تتسلسل فيها هذه الرسائل حسب ترتيبها الزمني بدون مراعاة اختلاف مواضيعها، وحاولت أن أتصل مباشرة بالمصادر الاصلية لرسائل المطبوعات ما أمكنني ذلك، وهذا مثلا حال رسائل المنّ بالامامة والبيان المغرب.

ويمكن اعطاء صورة مختصرة عن أهمية رسائل «المجموعة الجديدة» مخطوطة ومطبوعة كما يلي[2] : هناك بعض الرسائل التي تهم فترة الدعوة الموحدية وتأسيس الدولة وبعض جوانب السياسة الداخلية، مما اتاح وضع فصل خاص هو **الفصل الأول** في الدراسة العامة. ثم رسائل تهم الوجود الموحدي في المغرب الاوسط وافريقية مكّنت من تخصيص **الفصل الثاني** لهذا الموضوع، ولمّا كان لهذا الوجود الموحدي بافريقية دور مهم في العلاقات مع الايوبيين وحكومة بيزا الايطالية فقد جُعل موضوع العلاقات مع هذين الطرفين في آخر هذا الفصل، ولا نجد غير مقطع من رسالة وحيدة حول العلاقات مع مملكة غانة ممّا لا يتيح الحديث حول هذا الموضوع، وأما بالنسبة للعلاقات مع الممالك الاسبانية فانها لاتكاد تخلو من أية رسالة من الرسائل الموجهة إلى الاندلس او القادمة منها الى مركز الخلافة، وهي علاقات الحرب أو السلم (على عكس مضامين الرسائل المتبادلة مع بيزا). ولما كان عدد الرسائل التي تهم الاندلس كثيرا وتمتد على فترة اطول فقد وضعت دراستها في إطار فصلين : **هما الفصل الثالث** ويبدأ من مرحلة التدخل في الاندلس الى اواسط عهد الناصر أي فترة قوة الدولة الموحدية ثم **الفصل الرابع** ويمتد من فترة الاستعدادات لمعركة العقاب الى عهد الاضطراب في العشرينات من القرن السابع وخروج الاندلس عن النفوذ الموحدي، ويشمل هذا الفصل ايضا عواقب هزيمة العقاب على صعيد المغرب وما آل اليه من الانقسام السياسي.

---

(1) قدم هذا البحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ بكلية الآداب بالرباط ونوقش بتاريخ 18 ــ 12 ــ 1985

(2) يمكن الاطّلاع على فصول الدراسة العامة للرسائل ضمن القسم الثاني القريب نشره

وجُعِل **الفصل الخامس** خاصا بالجوانب الحضارية حيث يمكن لرسائل «المجموعة الجديدة» وخاصة رسائل مخطوط المسمى يحيى أن تفيدنا في المجالات الآتية : في الجانب المذهبي، تؤكد على عصمة المهدي وشرعية الدولة وتكفير الثائرين عليها، وفي المجال الاداري تشير أحيانا الى مكانة بعض المقدّمين، وتعطي أصنافا لعدد من الوظائف وتحدد مهامّ أصحابها بشكل عام أو تقريبي، وفي المجال العسكري والأمني تؤكد وجود بعض الثورات الخطيرة أحيانا حتى في عهد قوة الدولة ــ كاهو الحال بجزولة ــ واضطراب الأمن في عهد ضعف السلطة المركزية، وتذكر بشكل غير مباشر عناصر الجيش الموحدي المتنوعة وبعض انواع الاسلحة المستعملة، وفي الميدان الاقتصادي : تربط الرسائل بين مهام المسؤول عن الأمن ومسؤوليته في الجبايات غالبا، وتحدد أحيانا بعض أنواع هذه الجبايات. وفي الميدان الاجتماعي : تلمّح الى التمييز بين فئات الأشياخ والموحدين والطلبة والأعيان والكافة، كما يتضح ذلك في بدايات عدد من الرسائل. وفي الميدان القضائي : يتضح الاتجاه السّني للدولة في الأمور الشرعية. وبالنسبة للسياسة الخارجية هناك اتجاهان : نحو العالم الاسلامي، الادّعاء بأحقية الموحدين للاشراف عليه دون غيرهم، ونحو الممالك الاسبانية يبدو ان الاتجاه العام هو البحث عن الهدنة إلا اذا اعتدى النصارى على الأراضي الاسلامية.

غير ان هذه الملاحظات المختصرة لا تغني عن الاطّلاع على فصول البحث.

وقبل اعطاء نظرة عن مصادر الرسائل أُسَجِّل **بعض المشاكل** التي طرحتها هذه الرسائل :

ــ كثير منها غير مؤرخة، مما دفع الى محاولة وضع تأريخ تقريبي لعدد منها.

ــ كثير منها مبتورة البداية (الصدر) فلا تُعرف الجهة التي صدرت عنها، ومبتورة النهاية فلا يعرف تاريخها ان كانت مؤرخة اصلا.

ــ هناك عدد كبير من الرسائل حذفت منها أسماء الأعلام واستبدلت برموز كفلان أو أبي فلان أو فلانة كناية عن اسم البلد الموجهة اليه أو الموجهة منه، مما يزيد في تعقيد المضمون، وهذا بالخصوص هو حال رسائل التقاديم الواردة بمخطوط «يحيى».

ــ ان الرسائل متعددة المصادر مخطوطة ومطبوعة، مما يجعل الايفاء بتعريف شامل لهذه المصادر عملا طويلا على عكس الاعتاد على مصدر معيّن للتحقيق.

ــ هناك تعدد لكتّاب الرسائل (حوالي 30 كاتب) وهذا ما يستهلك كثيراً من الوقت للبحث في كتب التراجم للتعريف بهؤلاء الكتّاب وخاصة غير المعروفين بأسمائهم الشخصية، ويكون التعريف بالكاتب أساسيا عندما تكون رسالته أو رسائله غير مؤرخة، فمعرفة فترة اشتغاله بالكتابة لدى السلطة المحلية او المركزية قد تساعد على وضع تأريخ تقريبي لهذه الرسائل ولكن النتيجة كانت سلبية في بعض الحالات.

ــ إن تغطية هذه الرسائل ــ بشكل متقطّع ــ للعهد الموحدي من بدايته الى قرب نهايته يجعل من الصعب على باحث واحد أن يستخرج من هذه الرسائل كل ما يمكن استخراجه والوصول الى درجة التنظير، ومع ذلك أمكن ابداء بعض الملاحظات او طرح تساؤلات في بعض الأحيان أو الخروج باستنتاجات تكون أحيانا مؤقتة وغير أكيدة.

لقد كان لاستاذي الجليل محمد زنيبر الفضل في اختيار موضوع هذا البحث عندما نبهني الى وجود رسائل موحدية مخطوطة يمكن ان تكون موضوع دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا وزاد

اهتمامي بالموضوع عندما دلّني الأستاذ محمد المنوني على مخطوطات تضم معظم هذه الرسائل، وأمكن الاطلاع على رسائل متناثرة في بعض المخطوطات زيادة على ما في بعض المطبوعات. ولا أعتبر نفسي اول من خاض في هذا الموضوع فقد كان أول من نشر مجموعة من الرسائل الموحدية ــ ضمن رسائل اخرى ــ الباحث الايطالي أماري ميشل في القرن الماضي حيث قام بجمع ودراسة لعدد من الرسائل المتبادلة بين مدينة بيزا (بيشة) وبعض الحكومات الاسلامية ومنها الموحدية، كما قام الباحث الفرنسي ليفي بروفنصال سنة 1928 بنشر مجموعة من الرسائل الموحدية مع مذكرات البيذق والمقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب تحت عنوان «كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين» «Documents inédits d'histoire Almohade»، ورسائل هذا المنشور صادرة عن المهدي وخليفته عبد المومن، ثم نشر نفس الباحث سنة 1941 «مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المومنية» «Trentes Sept lettres Almohades» وهي أهم مجموعة عرفت قبل الآن، ومعظم رسائلها تغطي عهد عبد المومن بل وصادرة عنه وعددها 21 رسالة[3]، وخمس رسائل صادرة عن الخليفة يوسف، وتسعة عن الخليفة المنصور، واثنتان عن الناصر. وقد استفدت في بحثي من هذه الرسائل وصححت نسبة بعضها دون ان أعيد نشرها من جديد، بحيث يمكن أن تتكامل مع «مجموعتي الجديدة». وظهرت أخيرا مجموعة من رسائل الكاتب خلف القبتوري عن العزفيين بسبتة بتحقيق الأستاذ محمد الحبيب الهيلة تحت عنوان «رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي» اثنتان منها موجهتان إلى الخليفة المرتضى ووزيره واثنتان تحملان شعار التبعية لهذا الخليفة، وقد استفدت من بعض هذه الرسائل أيضا دون أن ألجأ إلى دمجها ضمن مجموعتي.

ب ــ مصادر رسائل البحث :

هذه «المجموعة الجديدة» التقطت رسائلها من عدة **مصادر مخطوطة ومطبوعة**، وهي تمتاز بتعدد كتابها ومواضيعها والجهات الصادرة عنها فمنها ما هي صادرة عن الخلفاء، ومنها ما هي موجهة اليهم من الحكومات الجهوية، ومنها ما هي موجهة من الحكومة الموحدية المركزية او الجهوية الى خارج حدود الدولة، كما ان هناك بعض الرسائل المحدودة (أربعة) وصلت الى الموحدين من خارج حدود دولتهم أُدمجت ضمن المجموعة بصفة استثنائية. وتهم رسائل «المجموعة الجديدة» العهد الموحدي من أيام المهدي الى عهد المرتضى، غير ان اكثرها ــ وخاصة المخطوطة ــ هي التي تغطي عهد الناصر ومن بعده على عكس رسائل بروفنصال.

ويمكن اعطاء احصاءً لهذه الرسائل بما فيها المقتبسة من المطبوعات[4] :

عهد المهدي : رسالتان

عهد عبد المومن : تسعة على الأرجح[5]

---

(3) قمت بتصحيح نسبة بعضها ومقارنتها كما هو مشار اليه في قسم الرسائل.

(4) هذا من غير «التقاديم» التي وضعت في ذيل الرسائل المرتبة زمنيا.

(5) لأن هناك رسائل غير مؤرخة ومن الصعب تحديد تاريخها.

عهد يوسف : ثلاثة وعشرون على الأرجح[6] (معظمها من كتاب المن بالامامة)
عهد المنصور : عشر رسائل
عهد الناصر : أربعة وعشرون.
عهد المستنصر : تسعة وثلاثون رسالة (معظمها من المخطوط الخاص)
عهد المخلوع : رسالة واحدة (هي رقم 108).
عهد العادل : خمس رسائل[7].
عهد المأمون : ثمانية على الأرجح[8] (ضمنها رسالة صادرة عن منافسه يحيى المعتصم).
عهد الرشيد : أربع رسائل (معظمها من انشاء ابن عميرة).
عهد السعيد : رسالة واحدة.
عهد المرتضى والواثق : خمسة، معظمها من البيان المغرب[9] (ضمنها نسخة رسالة المرتضى الى البابا إينوصان).

فيكون مجموع رسائل ما قبل عهد الناصر 57 رسالة، ومنذ عهده 87 رسالة تضاف إليها 73 رسالة تقديمية للولاة و... والقضاة[10] والتي يتراوح تاريخها ما بين عهدي العادل والمرتضى.

ونعود الآن الى ذكر **مصادر رسائل «المجموعة الجديدة»** فمنها المخطوطة[11] والمطبوعة :

ـــ «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» لأبي القاسم البلوي، وقد جمع رسائله فيما بين سنتي 610 ـــ 613 حسب ما ذكره بنفسه في الصفحتين (171 ـــ 172 من المخطوط)، ومعظم الرسائل التي تهمنا هي التي أوردها في ملحق كتابه باسم «الزوائد»، وعدد مجموع الرسائل في الكتاب وزوائده 24 رسالة من تأليفه وتأليف غيره[12].

يوجد ما بقي من هذا المخطوط نسخة وحيدة بالخزانة الحسنية (تحت رقم 6148) بحيث يبدأ من الباب الخامس عشر إلى الباب العشرين لكتّاب من العصر الاسلامي الأول إلى المؤلف نفسه في كل باب من الأبواب الفنية، وتتخلل هذه الأبواب بعض الرسائل التي تهم موضوعنا سيشار اليها في حينها. والمخطوط كثير الأرضة، وقد مست الرطوبة الجزء العلوي لكثير من أوراقه، ولذا وقع ترميمها بالورق الشفاف. ويتميز بضبط كلماته بالحركات ووضوحها النسبي في حالة سلامتها من الرطوبة والأرضة. والمخطوط من الحجم الكبير، عدد اسطر صفحاته 31 سطرا في الحالات

---

(6) زيادة على الملاحظة في الهامش 5 هناك رسالة كتبت بعيد وفاة الخليفة يوسف ويظهر منها كأن هذا الخليفة لازال حيا، انظر خصائص هذه الرسالة رقم 34 في الفصل الثالث.

(7) باعتبار الرسالة رقم 112 التي تذكر اسم الخليفة العادل رغم كتابتها بعيد وفاته بايام.

(8) ادمجت هنا رسالة موجهة الى شيخ بني امغار رقمها 114 انظر خصائصها في الفصل الرابع.

(9) هذا دون اعتبار رسالة شكاية من قاضي مراكش الى الواثق وجواب هذا عليها (نسخ خ ح).

(10) هذا دون اعتبار اربع رسائل تحمل الدعاء للعباسيين اي انها عن ابن هود في الغالب.

(11) توجد نماذج من نسخ مصورة لبعض رسائل المخطوطات وأجزاء منها في آخر هذا القسم.

(12) دون اعتبار رسائل ابن مبشر حول الشكايات (الى السلطة المركزية او الى بعض القضاة)، وانظر ترجمة البلوي رقم 24 ضمن تراجم الكتّاب (فيما بعد).

العادية، يتراوح عدد كلمات الأسطر في الغالب ما بين 14 و 16 حسب اختلاف حجم الكلمات وعدد صفحات المخطوط 205 منها 33 صفحة من الزوائد[13]. ويبدو ان هذه النسخة عتيقة وليس من المستبعد ان تكون بخط البلوي او على الأقل كتبت في عهد قريب من عهده فهي عموما خالية من الأخطاء التي تحدث بسبب تعدد النسخ. والخط أندلسي عتيق[14].

وتتعلق رسائل المخطوط بمواضيع تهم اوضاع المغرب العربي والاندلس والسياسة الموحدية نحو الممالك الاسبانية الى أوائل عهد المستنصر.

ــ هناك مخطوط يسمّى جامع رسائله باسم **يحيى** في مثل هذه العبارة : «قال يحيى وفقه الله» وهو خاص بتقاديم الولاة والعمال والقادة ونُظّار الجباية... وتقاديم القضاة. كما انه مبتور البداية ومبتور النهاية على الخصوص حيث تنقصه الظهائر حسب بعض إشاراته[15]. والمخطوط نسخة وحيدة بالخزانة الحسنية (تحت رقم 4752) نالت الأرضة من أطراف أوراقه وملتقاها دون أن تؤثر كثيرا على وضوح الخط، كما أنه قليل الأخطاء. والكتاب في 94 صفحة من الحجم المتوسط، عدد أسطر كل صفحة 23 سطرا اذا لم تتخللها عناوين، وكلمات كل سطر ما بين 12 و14 في الغالب حسب حجم الكلمات[16]. ومن حيث الأحداث التاريخية تلمح هذه التقاديم الى الفوضى السائدة في البلاد وقطع الطرق... خلال فترة ضعف السلطة المركزية للدولة الموحدية.

ــ **رسائل مخطوط خاص**[17] : توجد رسائله في القسم الأخير من مخطوط مجموع، وهو مبتور الآخر بسبب ضياع عدد من الأوراق، ومعظم الرسائل من انشاء الكاتب «الشاعر» المسمى أبي العباس ابن جعفر[18]، ورسائل المخطوط عن عهد المنصور والناصر قليلة العدد، بينما يتناول معظمها أوائل عهد المستنصر، وهي مهمة[19]. ويبلغ عدد ما بقي منها ــ ما بين كاملة ومبتورة ــ 33 رسالة تمتد على صفحات المجموع من 303 الى 362 اي 31 ورقة، عدد أسطر صفحاتها 24 سطر، وعدد كلمات كل سطر ما بين 10 و 13 كلمة على الأغلب حسب عدد احرف الكلمات، ويتخللها بعض الشكل، وكتبت الفواصل بلون احمر، كما كتبت العناوين بالاحمر أيضا وبخط بارز. والكتاب بخط واضح لم تؤثر الارضة على كتابته مما يرجح ان نسخه ليس قديما كقدم المخطوطين السابقين.

---

(13) انظر الفهرس المفصّل لمعرفة عدد الرسائل التي كتبها البلوي نفسه.

(14) محمدالمنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ج 1/ عدد 123.

(15) انظر خصوصيات هذه التقاديم في الفصل الرابع.

(16) المقصود حسب عدد حروف الكلمات، انظر المنوني في المصدر السابق عدد 127.

(17) مكّنني من الاطّلاع عليه واستنساخ رسائله أستاذي الجليل السيد محمد المنوني جازاه الله خيرا، ورمزت الى هذه الرسائل بحرفي (م خ). انظر خصوصيات رسائل هذا المخطوط في الفصل الرابع من الدراسة العامة (القسم الثاني).

(18) انظر الترجمة رقم 26 ضمن تراجم الكتّاب.

(19) انظر خصوصياتها في الفصل الرابع.

تصف رسائل هذا المخطوط الحالة الداخلية بالأندلس وحالات الممالك الاسبانية في أوائل عهد المستنصر، وتلمح الى بعض الأحداث المغربية انذاك.

ـ **رسائل ابن عميرة** : كان اعتمادي على ثلاث نسخ من هذه الرسائل تمثل قطعا من السفرين الأول والثاني، ولعلها هي التي جمعها الأديب ابو عبد الله محمد بن علي بن هانىء اللخمي السبتي (المتوفى سنة 733) تحت عنوان «بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام امام الكتابة ابن عميرة ابي المطرف»[20]، فالقطعة من السفر الأول هي من ضمن مصورات جائزة الحسن الثاني بالخزانة العامة سنة 1981 تحت رقم : 4502، وتنتمي اليها الرسالتان رقم 108 (م ج) حول بيعة الخليفة عبد الواحد المخلوع ورقم 116 (م ج) عن السيد أبي زيد صاحب بلنسية الى الخليفة المامون، والرسالتان يتخللهما الشكل للكلمات مع بعض الاخطاء. أما قطعتا السفر الثاني فهما تحملان بالخزانة العامة رقم ك 232 و ك 233، وقد اهتم الاستاذ بن شريفة بدراسة أبي المطرف ورسائله (بالنسبة لهاتين القطعتين)، ولا يهمنا من هذه الرسائل في موضوع البحث غير أرقام 107[21] و115 و 123[22] و 124 (م ج)، اما الرسالة رقم 122 التي اوردها ابن المرابط المرادي في زواهر الفكر[23] منسوبة الى ابن عميرة فانها ضمن القسم المبتور من هذه الرسائل[24].

ـ هناك رسالتان في مخطوط «أعز مايطلب» بالخزانة العامة (ق 1214) احداهما عن المهدي (رقم 2 م ج) والثانية عن عبد المومن (رقم 4 م ج) وقد نشرهما الأستاذ عمار الطالبي ضمن «منشورات الجامعة التونسية، السلسلة التاريخية رقم 1، أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته «سنة 1979، وكان اعتمادي أساسا على المخطوط المذكور.

ـ **مخطوط فقهاء «مالقة وأدباؤها»** : وهو مصور بالخزانة الحسنية تحت رقم 11055 وعنوانه الاصلي هو «الاكمال والاعلام بمحاسن الاعلام من اهل مالقة الكرام[25]»، بدأ انشاءه عبد الله بن علي بن عسكر الغساني وأتمه ابن اخته ابو بكر محمد بن خميس، وهو يترجم لمشاهير مدينة مالقة والطارئين عليها، فوردت به ترجمة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي بمناسبة فتحه لمالقة سنة 547، وأورد ضمن الترجمة رسالة الشيخ الى أهل مالقة يجيبهم الى طلبهم لدخول المدينة وتأمينهم بعد ثورتهم على القائم بها ابن حسون، وهي الرسالة رقم 7 (م ج).

---

(20) الاحاطة 173/1 وما بعدها، و ج 144/3 ـ 145.

(21) هي نفس الرسالة التي نقلها القلقشندي في صبح الاعشى 434/6.

(22) هذه الرسالة اوردها أيضا ابن المرابط المرادي في «زواهر الفكر» وهو ضمن مجموع مخطوط بالاسكوريال (520 ديرانبورغ)، ولهذا الجزء من زواهر الفكر شريط بالخزانة العامة رقمه 1114، الورقتان (115 ب ـ 116 ب).

(23) مخطوط الاسكوريال المذكور، الورقة 16.

(24) انظر ترجمة ابن عميرة (رقم 27) ضمن تراجم الكتّاب.

(25) يجعل ابن الخطيب عنوانه هكذا : «الإكمال والإتمام في صلة الاعلام بمجالس الأعلام من اهل مالقة الكرام» وله اسم آخر وهو «مطلع الانوار ونزهة الابصار فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والاعلام والاخبار وتقيد من المناقب والآثار» الاحاطة 172/2 ـ 174.

ـــ هناك صنف ثاني من مصادر الرسائل وهي المطبوعات، وأغزر هذه الرسائل نسبيا هي التي نجدها في **المن بالامامة** والبيان المغرب. وكان الهدف هو جمع رسائل هذه المصادر بدل تركها مبعثرة وتوضيح ما يمكن توضيحه من غوامضها، وهكذا اقتبست من مصور مخطوط **المن بالامامة**[26] خمسة عشر رسالة، احداها (وهي رقم 9) عن الخليفة عبد المومن والباقي في عهد الخليفة يوسف وهي من رقم 12 إلى 24 (م ج) ثم الرسالة رقم 26.

ـــ ويتوفر **البيان المغرب** لابن عذاري المتعلق بالموحدين على عدة رسائل[27]،ونظرا لتعدد نسخ الخزانة الحسنية زيادة على طبعة تطوان أمكن ايجاد مقارنة بين نصوص هذه الرسائل، وهي تتناول بالخصوص الفترة الممتدة من أواخر عهد الناصر الى نهاية الدولة الموحدية. ورسائل البيان هي ارقام : 9 (مقطع منها)ثم 67 و68 و85 و106 و109 و110 و113 و117 و119 و120 و 121 و127 و128 و 129 و 130[28].

وتتناثر في مصادر اخرى بعض الرسائل : مثل **الحلل الموشية** بالنسبة للرسالتين رقم 1[29] ورقم 119، **وصبح الاعشى** (الجزء السادس) بالنسبة للرسائل 38، 39، 83، 107 و111، وكتاب **الاعتاب** لابن الأبار حيث الرسائل رقم 5[30] و59 و61، وفي **نظم الجمان** لابن القطان الرسالتان رقم 4 (حول فتح تارودانت) ورقم 6 (الجامعة لأوامر عن الخليفة عبد المومن)، وفي **نفح الطيب** (ج 3) الرسالتان 45 ورقم 5 المذكورة سابقا، وفي كتاب **الروضتين** لأبي شامة الدمشقي : الرسالة رقم 39، وفي الذيل س 6 لابن عبد الملك المراكشي : الرسالة رقم 43، وفي **الاحاطة** الجزء الأول الرسالتان 113 و118 (زيادة على الرسالة رقم 5 المذكورة في الاعتاب)، وفي **«الكرّاسات التونسية»** الصادرة عن كلية الآداب بتونس الظهير رقم 105 (مكرر)، وفي **الروض المعطار** ترد مقاطع من الرسالتين رقم 5 ثم رقم 67 (المذكورة ضمن رسائل البيان).

وأهم مجموعة حول العلاقات الخارجية هي التي نجدها عند ميشيل أماري في مجموعته الوثائقية التي أصدرها سنة 1862 تحت عنوان Diplomi Arabi Déll Archivio Fiorentino في جزأين منفصلين، ويشمل الجزء الأول ضمن رسائله مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الموحدين وحكومة بيزا (بيشة)[31] : فهناك رسالتان من هذه الحكومة الى الخليفة الثاني يوسف في موضوع شكاية حول

---

(26) اصله باكسفورد قام بتحقيقه الاستاذ عبد الهادي التازي، طبعة دار الاندلس بيروت والمصوّر في خ ع تحت رقم 2649.د.

(27) انظر خصوصيات رسائل البيان في الفصل الرابع.

(28) ثم رسالة شكاية من قاضي مراكش الى الخليفة الواثق وجواب الخليفة عليها، وقد وردا في نسخ الخزانة الحسنية ونشرهما الاستاذ الكتاني ضمن ما بقي من البيان في مجلة تطوان (ع 10 سنة 1965) تحت عنوان «الورقات الاخيرة من البيان المغرب».

(29) توجد ايضا ضمن مخطوط مجموع (خ ع) جائزة 1978 رقم 58 ب (البيضاء).

(30) أوردها ايضا اصحاب الروض المعطار ونفح الطيب والاحاطة والاستقصا، انظر مقدمة هذه الرسالة فيما بعد.

(31) هذا بغض النظر عن الرسالة الأولى في مجموعة اماري الموجهة من ابن خراسان صاحب تونس الى بيشة سنة 552 اي قبل خضوعها للموحدين، وكذلك الرسالة الرابعة في مجموعته الموجهة من اسحاق بن غانية =

تصرف عاملي طرابلس و بجاية، وهما تحت رقمي 32 و33 في المجموعة الجديدة (رقم 2 و3 في مجموعة اماري) وباقي الرسائل صادرة عن الجهة الموحدية الى حكومة بيشة مثل الرسالتين 35 و 36 (م ج) حول شروط التعامل التجاري مع البيشانيين وتحريضهم على التردد على البلاد، ثم الرسائل من 46 الى 52 (م ج) حول حادثة الاعتداء من طرف سفن بيشانية على بعض سفن المسلمين في خليج تونس سنة 596، ثم الرسالة 53 (م ج) حول التحذير من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم، والرسالة 62 (م ج) من والي افريقية الشيخ عبد الواحد الحفصي حول عقد أو تجديد اتفاق تجاري سنة 607، وأخيرا الرسالة 112 (28 عند أماري) حول تصفية مشكل تجاري شخصي.

واما العلاقة مع البابا فلا توجد حولها غير رسالة واحدة صادرة عن المرتضى الى البابا اينوصان الرابع نشرت بمجلة هسبريس سنة 1926، وقد وضعتها تحت رقم 126.

ج ــ **كتّاب الرسائل** : ان قسما من الرسائل مُنشئوها غير معروفين بوضوح[32]، كما أن عددا آخر منها مجهولة المؤلفين تماما، ويمتاز النوع الأول بتعدد الكُتّاب ومنهم من أمكن التعرف على ترجمته وبعضهم استحال ــ لِحَد الآن ــ التعرف عليهم بوضوح رغم البحث في عدد من كتب التراجم لأن هؤلاء الكُتّاب ذكروا بكنية من الكنى كابن مبشّر وأبي الحسن بن الفضل وأبي العباس بن جعفر... فالقسم الأول من الاسم كنية لاتساعد على البحث عنها في كتب التراجم الا نادرا، كما ان القسم الثاني (ابن فلان) لا يعني بالضرورة اسم الاب فقد يكون اسما لأحد الأجداد، ومع ذلك وقع البحث في عدد من الاسماء المشكوك فيها دون الوصول الى نتيجة حاسمة.

وسنتبع الآن في التعاريف بالكتّاب التسلسل الزمني لرسائلهم كما هو في قسم الرسائل ونبدأ بأبي جعفر بن عطية :

1 ــ أبو جعفر ابن عطية :

هو احمد بن ابي جعفر بن محمد بن عطية من اهل مراكش، اصله القديم من طرطوشة شرقي الاندلس، كان أبوه من اهل الحفظ للحديث، كتب لعلي بن يوسف المرابطي، ثم كتب ابنه احمد عن آخر امراء المرابطين [33]، وبعد فتح مراكش اختفي احمد ضمن الجند الموحدي[34]، وشارك

= في صفر سنة 580 (ربما من ميورقة) والرسائل من رقم 14 الى 20 (في مجموعته) من تجار تونسيين الى تجار بيشانيين وكذلك الرسالة 24 (في مجموعته) الموجهة من ابن الغازي عامل ابن غانية بالمهدية سنة 600 الى حكومة بيشة والرسالة 25 من ترجمان ببجاية يسعى لقبوله كدلاّل للتجار البيشانيين بهذه المدينة، ورسائل اخرى تهم الايوبيين. اما القسم الثاني من «ديبلومي» فيهمُّ ما بعد العهد الموحدي.

(32) من ذلك مثلا ابو علي بن نارار، وابن عبد الحميد، وابن مبشر، وابن مصادق...

(33) الحلة السيراء 238/2 (ح مؤنس)، جذوة الاقتباس 108، الاحاطة 263/1، 271 العبر م 480/6 ــ 483، انظر ايضا ترجمته في المصادر المذكورة بعدُ بالهامش 40.

(34) يرى ابن خلدون انه كان ممن شملهم عفو عبد المومن (ص 483)، واذا صح هذا فلا مجال لتستره•انظر مجلة الباحث ص 8م 1/ سنة 1972 وزارة الثقافة (مقال محمد الفاسي حول ابن عطية)، انظر ايضا محمد المنوني في «العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين» ص 165 الرباط 1977.

في حملة الشيخ ابي حفص على الثائر الماسي حيث كان ضمن الرماة، فكتب رسالة النصر عن الشيخ الى الخليفة عبد المومن، فكانت هذه الرسالة طريقه الى الكتابة لدى عبد المومن ثم الكتابة والوزارة معا الى ان تعرض للنكبة مع اخيه ابي عقيل فقتلا في اخر صفر سنة 553[35]. وكان يساعده في عمله ــ وخاصة عندما كثرت عليه مشاغل الوزارة، ــ عدد من الكتّاب منهم أبو القاسم القالمي (بعد فتح بجاية) حيث تفرّغ ابن عطية لمهام الوزارة في معظم أوقاته[36]، ومن مساعديه أيضا اخوه أبو عقيل عطية، وأبو بكر محمد بن عامر الأوسي[37].

يذكر صاحب البيان ان عبد المومن ندم على قتله اذ لم يبلغ احد بعده مبلغه فصاحة ونصحا وسلوكا واجتنابا للمحارم، وتلطّفا للوفود[38]... ووصفه ابن سعيد بكونه امام الكتاب وعنوان طبقته في صدر دولة عبد المومن[39]، وشهرته جعلت الكثيرين من المهتمين بالتراجم لا يغفلون ذكره، وأحيانا يقدمون نماذج من نثره، وتعتبر الرسالة الخامسة في «المجموعة الجديدة» نموذجا لكتابته النثرية اوردها جماعة من المترجمين بعد التعريف به[40].

2 ــ أبو القاسم القالمي :

أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من قالمة وهي من قطر بونة[41]، ولما فتح عبد المومن بجاية استكتب القالمي بينما استمر ابن عطية في الوزارة الى سنة 553[42]، وكتب لعبد المومن مع القالمي ابو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش من اهل قرطبة[43]، وساعد القالمي في الكتابة أيضا ــ زمن الخليفة يوسف ــ ابو الفضل بن محشرة الذي ظل يخدم ابا القاسم القالمي الى ان مات فكتب مكانه[44].

ومن الرسائل التي كتبها القالمي الرسالة رقم 21 في «مجموع رسائل موحدية» بتاريخ ربيع الآخر سنة 555، ونسبت اليه في هذا المجموع ايضا الرسالة رقم (22 منه) حول معركة «فحص هلال» سنة 568، وهي الرسالة التي ينسبها ابو القاسم البلوي في «العطاء الجزيل» للكاتب ابي الحسن بن

---

(35) البيان المغرب (26 ــ 27) و (34 ــ 37).

(36) المعجب (198 ــ 200)، وهذا لا يعني تخليه عن الكتابة، انظر رسائله من رقم 1 الى 15 في (مجموع رسائل موحدية) اما رقم 19 و23 في هذا المجموع المذكور فهما منسوبتان الى ابن عطية خطأ.

(37) المغرب 156/2.

(38) البيان 35.

(39) عنوان المرقصات ص 12.

(40) ابن الابار في «اعتاب الكتاب» (227 ــ 229)، نفح الطيب 187/5 ــ 188، الاحاطة 269/1 ــ 270 وايضا الروض المعطار ص 522 (ماست) انظر نماذج اخرى في مجموع رسائل موحدية لبروفنصال.

(41) رايات المبرزين لابن سعيد ص 108 والمعجب 200.

(42) وهذا لا يعني استغناءه عن الكتابة، انظر الهامش 36 في الترجمة السابقة.

(43) المعجب 200.

(44) المعجب 200 و 244، عنوان الدراية 53 (يجعل وفاة ابن محشرة سنة 598)، انظر ايضا الترجمة الثالثة.

زيد الاشبيلي[45]، كما توجد بهذا المصدر رسالة اخرى كتبها القالمي عن الخليفة يوسف الى «الطلبة الغزاة» بافريقية مؤرخة برجب 564[46]

3 ــ أبو الحسن بن عياش[47] :

هو ابو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي القرطبي، من أهل يابرة، سكن ابوه قرطبة ونشأ هو بها. كتب ابو الحسن لبني حمدين ايام قضائهم، وخلال ثورتهم بقرطبة لجأ الى اشبيلية، ثم كتب بها على كره لعاملها الموحدي ابي اسحاق برّاز بن محمد المسوفي، ثم للسيد ابي حفص بن عبد المومن، ومما كتب عنه رسالته من ظاهر مرسية بعد هزيمة ابن مردنيش في معركة الجلاب[48]، وعندما انتقل هذا السيد الى ولاية تلمسان سار معه اليها[49]، ثم استدعاه عبد المومن لكتابته بعد مقتل الكاتب ابي جعفر بن عطية[50]، فكتب له مع ابي القاسم القالمي، ثم كتب عن السيد ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن وهو وال لاشبيلية[51]، واستمر كاتبا له ايام خلافته الى وفاته سنة 568[52]. ومما كتبه عنه في هذه الفترة الرسائل 13 و14 و24 في «المجموعة الجديدة» وهي مؤرخة ما بين أواخر 560 وأواسط سنة 564[53].

ويصفه صاحب «الذيل والتكملة» بانه اديب شاعر مجيد بارع الخط، جميل الوراقة، بل يصفه ابن الأبار بأنه كان من أبرع الناس خطا[54]

4 ــ ابن عبد الحميد :

ينسب صاحب العطاء الجزيل لهذا الكاتب انشاء رسالة عتاب وجهها الى ثائر من هسكورة هو ابو بكر ابن توندوت[55]، ولم نتوصل الى معرفة ترجمة هذا الكاتب من خلال كتب التراجم التي امكن فحصها الا لهذه الاشارة الواردة عند صاحب الذيل «قال ابو العباس بن هارون... قال

---

(45) هي الرسالة رقم 27 (م ج).

(46) هي الرسالة رقم 25 (م ج).

(47) ممن ترجموا له : صاحب الذيل س 5 ع 64، التكملة ع 1721 (كوديرا)، الاعلام للمراكشي 8/ (357 ــ 360)، البيان 140.

(48) هي الرسالة رقم 12 (م ج).

(49) القرطاس 194، الحلل 151 (ويسميه ابا الاصبغ بن عياش).

(50) انظر ترجمة بن عطية. ان اولى رسائل ابن عياش عن عبد المومن حسب مجموع بروفنصال هي رقم 18 المؤرخة برجب 553.

(51) التكملة (نفس الترجمة) البيان 140، المعجب 200 و244، الذيل س 5 (نفس الترجمة).

(52) ذكر ابن صاحب الصلاة وفاته باشبيلية ليلة الاربعاء غرة جمادى الآخرة سنة 568، وان جنازته كانت مشهودة وصلى عليه امير المؤمنين يوسف (الهامش 2 ص 30 من الذيل س 5).

(53) آخر رسالة له في مجموع بروفنصال تاريخها اول رمضان 564 ورقمها 25 في نفس المجموع.

(54) التكملة عدد 1721 (كديرا).

(55) راجع الفقرة الثالثة من الفصل الأول.

لي الشيخ المسنّ ابو العباس احمد بن علي... اللخمي المعروف بابن الحائك : أربعة من أهل فاس متعاصرون لا ترضى احوالهم الحاج بن مومن، وأبو حفص بن البيراقي وأبو محمد بن الياسمين، **وابو عبد الله بن عبد الحميد كاتب بن توندوت**، لكن ابن عبد الحميد صلحت حاله بآخرة»[56].

5 ــ أبو موسى «قاضي الخلافة» :

توجد ضمن الرسائل التي تهم البحث رسالة من انشاء المسمى «قاضي الخلافة أبي موسى» حول الانتصار الموحدي في معركة بحرية قرب مدينة تنس، ومن المرجح ان ابا موسى هذا هو عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي المكناسي الزناتي[57] من حوز رباط تازة (تسول)، ومن سلالة موسى بن ابي العافية (حسب ابن دحية). ولد في شعبان سنة 512 بتلمسان (أوتلمسين حسب الذيل)، ونشأ وتفقّه بها، وروى عن بعض علمائها، كما تفقه بفاس ودخل اغمات سنة 530 وسمع بها عن قاضيها أبي محمد بن عبد البر اللخمي، كما سمع بمراكش عن قاضيها ابي يوسف حجاج بن يوسف (الذيل). دخل الأندلس طالبا العلم فاخذ بالمرية عن ابي القاسم بن ورد[58] واختص به وأكثر عنه.

تكاد تتفق المصادر المترجمة له في الاوصاف التي كان يتحلى بها : فهو اخلاقيا : سخي كريم ورع صالح[59]... وعلميا : حافظ متصرف في العلوم جامع لها، قائم على الفقه فروعه وأصوله، خطيب بليغ، مستبحر في الآداب، ذو حظ من قرض الشعر[60]، اشتهر في القضاء بالعدل والنزاهة[61]، ووصفه صاحب «العطاء الجزيل» ب «بحر الآداب الطامي، وطود الحسب السامي، وغرة الاكارم، المشهور المحامد والمكارم، المبرّز في حلبة الافاضل، قاضي الخلافة المكرّم الفاضل...».

إن أول اشارة لوجوده بمراكش في عهد الموحدين هي ماذكره ابن عذاري من حضوره مع وفد اشبيلية لتهنئة عبد المومن بفتح المغرب الأوسط سنة 547 (ولعل الأصح 548)[62]، وربما كان آنذاك قاضيا لاشبيلية. كما يذكر ابن عذاري وجوده مع عبد المومن في حملته لفتح المهدية[63]، حيث

---

(56) الذيل س 5 ص 264 ضمن الترجمة رقم 525، وفي التكملة ع 1476 (القاهرة) يوجد من اسمه ابو بكر محمد بن محمد بن عبد الحميد إبن حارث اليعمري من اهل ابذة، أديب شاعر توفي سنة 589.

(57) توجد ترجمته في بغية الملتمس للضبي (ع 1155)، المعجب (245 ــ 246)، ابن دحية في المطرب (43 ــ 44) ابن الابار في التكملة خ ح (1411) ص 353، البلوي في «العطاء» عند التقديم للرسالة عن معركة تنس (18 ــ 19 زوائد)، صلة الصلة/ 94 (بروفنصال)، الذيل س 8 ع 44 ط 1984، القرطاس 268، بغية الرواد (ليحيى ابن خلدون) 25/2 ــ 26، جذوة المقتبس للحميدي ص 283.

(58) توفي بالمرية في 12 رمضان سنة 540، الاحاطة 169/1 ــ 171.

(59) القرطاس 268.

(60) في ترجمته بالذيل قصيدة من 40 بيتا، عبارة عن وصية لابنائه عند وفاته.

(61) انظر ترجمته في المصادر المذكورة بالهامش 57.

(62) البيان خ ح رقم 3/336 ص 35 ــ 36 (هذه الاشارة هي ضمن قسم مبتور بطبعة تطوان).

(63) جعله الاستاذ بنمنصور صهر عبد المومن وهو ابو عمران التنملي (قبائل المغرب 397)، غير أن المترجم هو أبو موسى بن عمران وليس أبا عمران موسى بن سليمان الضرير، أنظر أيضا الهامش في المتن ص 244 (التازي).

امره بانشاء قصيدة شعرية لاستجلاب عرب سليم بالمنطقة الى الطاعة[64]. وبعد هذا، ولمدة تفوق عشر سنوات لا يرد ذكر للقاضي ابي موسى، ولعله بقي بتلمسان منذ عودة عبد المومن من فتح المهدية، وخلال هذه المدة كتب رسالته حول معركة تنس البحرية[65]. ويتجدد ذكره منذ سنة 566 عند حركة الخليفة يوسف الى الاندلس حيث يوصف خلالها «بقاضي المحلة والجماعة»[66] ولعله في هذه الفترة كان يسمى ايضا بقاضي الخليفة[67]، ولكن صفة قاضي الجماعة لا تعني كونه آنذاك قاضي الجماعة بمراكش، فخلال «الحركة» كان قاضيها هو حجاج بن يوسف[68]، فأبو موسى لم يتول قضاء الجماعة فيما يبدو بمراكش الا بعد وفاة قاضيها ابي الحسن بن ابي قنون سنة 577[69] حيث توفي ابو موسى وهو يتولى القضاء بها في شعبان 578.

6 ــ ابن مبشر :

هناك من اسمه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مبشر بن عبد الله بن يونس بن عمران القيسي من مكناسة الزيتون «كان كاتبا مجيدا، شاعرا محسنا، بارع الخط، حيا بعد سنة 620»[70]، ولكن هذا يبدو بعيدا عن موضوع الرسائل التي كتبها ابن مبشر المشار اليه في «العطاء الجزيل» والذي يسميه الاستاذ بن شريفة ابا العباس أحمد بن مبشر[71]، وهذه الرسائل في موضوع الشكاوي وموجهة الى الخليفة يوسف في فترة امارته (558 ــ 563) ثم فترة خلافته[72]، كما نسب اليه صاحب العطاء أيضا رسالة عن موظف موحدي سامي يؤنب فيها فرقة عسكرية انهزمت امام العدو[73]، وهذه الرسالة لا تحمل الترضية عن المهدي، ونحن نعلم ان الخليفة المأمون (624 ــ 629) تنكّر للمهدوية ، ولكن هذا لا يجعلنا نضع هذه الرسالة في عصره او ننسب كتابتها لابن مبشر القيسي المذكور أعلاه مع افتراض استمراره حيّا الى عهد المأمون، بل يتضح

---

(64) البيان 39 ط تطوان.

(65) انظر خصوصيات هذه الرسالة في بداية الفصل الثاني من البحث.

(66) المنّ 441 (التازي)، هل هناك ارتباط بين قضاء المحلة وقضاء الجماعة ؟ انظر الجانب القضائي في الفصل الخامس.

(67) المنّ 504 يسميه «قاضيه» نسبة الى الخليفة يوسف، ويذكر صاحب المعجب انه تولى القضاء له بعد عزل ابي محمد عبد الله المالقي، ثم تولاه بعد ابي موسى حجاج بن ابراهيم التجيبي ثم ابو جعفر ابن مضاء، ويسمي الجميع بانهم قضاة الخليفة يوسف (ص 245 ــ 247).

(68) البيان 99 والعبر 501/6.

(69) الذيل، س 8، ع 44.

(70) الذيل، س 8، ع 107.

(71) يقول إنه «أبو العباس أحمد بن مبشّر من شيوخ أبي عبد الله ابن حمّاد الصنهاجي»، (الذيل، س 8، ص 286، الهامش رقم 399).
انظر الغبريني في «عنوان الدراية...» ص 129 ط. الجزائر 1910.

(72) في الصفحات من 135 الى 138 من العطاء، هذا زيادة على رسائل اخرى تحمل شكاوى الى بعض القضاة (انظر النوع الأول في الملحق الثاني للمجموعة الجديدة).

(73) هي الرسالة رقم 11 في المجموعة الجديدة.

ان ابن مبشر صاحب رسائل الشكاوى الى الخليفة يوسف هو نفسه صاحب رسالة العتاب الاخيرة، والدليل على هذا ان البلوي صاحب العطاء ألف كتابه بين 610 و 613[74] أي قبل عهد المأمون، كما ان البلوي يذكر هذا الكاتب في الحالتين معا بنفس الاسم أي «ابن مبشر» فقط، فلو كانا شخصين لميز بينهما، ويضعه ايضا في نفس الترتيب الزمني تقريبا سواء ضمن نماذج رسائل العتاب أو رسائل الشكايات، وهو الترتيب الذي يجعل البلوي يضع نفسه في آخر كتّاب كل فن من فنون الكتابة.

7 ــ السيد أبو حفص بن عبد المومن :

عندما وزّع عبد المومن أبناءه على الولايات جعل ابا حفص عمر على ولاية تلمسان[75]، ثم استوزره أبوه بعد مقتل الوزير الكومي سنة 555، وأصبح له دور مهم في بداية خلافة اخيه يوسف وربما كان وصيا عليه في السنوات الأولى من حكمه.

ينسب إليه صاحب المن انشاء الرسالة رقم 15 (م ج) حول مقتل زعيم غمارة وهي الرسالة التي وجهها مع رسالة أخيه الخليفة يوسف (رقم 14 م ج) الى حكومة غرناطة وتحملان نفس التاريخ وهو 14 شوال 562 وصدرتا من نفس المكان بجبل الكواكب بغمارة[76].

وهذا لا يعني أنه لم يكن له كتّاب خصوصيون فقد اختص به الكاتب ابو الحسن بن عياش وهو بالاندلس ثم في ولايته بتلمسان وما بعدها[77]، كما كتب عنه ابو القاسم محمد بن ابراهيم بن المواعيني فنال بذلك جاها عريضا وثروة واسعة الى ان توفي هذ الكاتب سنة 564 بمراكش[78].

8 ــ أحمد بن محمد :

يذكر صاحب المن كون هذا الكاتب هو منشيء الرسالة رقم 17 (م ج) الموجهة الى الخليفة يوسف بتجديد البيعة له عند اتخاذه لقب الخلافة سنة 563، ولم يتكرر اسم هذا الكاتب بهذه الصورة في المن، ويرجح الاستاذ التازي انه ابو العباس احمد بن محمد بن أحمد بن مقدام الرعيني الاشبيلي[79]، وقد كان ضمن الوفد المبايع لعبد المومن بمراكش سنة 542، وكانت وفاته في اواخر سنة 564[80].

9 ــ ابن مصادق :

كتب عن والي قرطبة السيد ابي اسحاق بن عبد المومن الى والي غرناطة الشيخ ابي عبد الله رسالة مؤرخة برمضان سنة 564 يخبره فيها بدخول ابن همشك في الطاعة للدولة الموحدية وهي

---

(74) يشير المؤلف الى ذلك في ص 171 من العطاء.

(75) المنّ 174، البيان 30، البيذق 70، القرطاس 194، الحلل 151، والعبر 491/6.

(76) انظر خصوصيات الرسالتين معا في الفصل الأول.

(77) أنظر ترجمة ابن عياش السابقة.

(78) الذيل س 6، عدد 51.

(79) انظر ترجمته في الذيل س 6 ع 51، وجذوة الاقتباس 72.

(80) المنّ في هامش الصفحة 340.

الرسالة رقم 26 (م ج)، غير ان صاحب المن لم يذكر هذا الكاتب غير مرة واحدة وبهذه الكنية فقط[81]، ولم نتوصل الى تعريف أكثر بهذا الكاتب.

10 ــ أبو الحسن بن زيد (الاشبيلي) :

هو أبو الحسن على بن زيد النجار الكاتب من اهل اشبيلية[82]، كتب للخليفة يوسف بعد وفاة الكاتب ابي الحسن عبد الملك بن عياش سنة 568، ولا نعرف له من الرسائل التي كتبها عنه غير اثنتين الأولى من اشبيلية حول انتصار فرقة موحدية على جماعة فرسان آبلة في «فحص هلال» (قرب قلعة رباح) وهي مؤرخة ب 24 شعبان سنة 568، والثانية كتبها عنه ايضا باشبيلية حول عقد هدنة مع بعض الممالك الاسبانية ولعلها في مطلع سنة 569، وهما معا في زوائد «العطاء الجزيل» (ص 19 ــ 21) ورقمها 27 (م ج)، وص (21 و10 ــ 11) ورقمها 29 (م ج).

يصفه الرعيني في برنامج شيوخه بالنبل والبراعة في الأدب[83]،ويصفه صاحب المن بالخطيب في المحافل وبملازمته للخليفة يوسف[84]. غير ان حياته لم تطل، اذ مات سنة 571 حسب ابن عذاري أو في صفر سنة 572 حسب ابن الأبار (في المقتضب) بسبب الطاعون في مراكش، ولعل ترجمته هي التي أوردها صاحب الذيل (س 5 ص 214) حيث يسميه أبا الحسن علي بن زيد الانصاري الأشبيلي، من الذين أجاز لهم ابو الطاهر السلفي، واقتصر صاحب البيان على ذكر تاريخ وفاته[85]. اما الترجمة الأوضح نسبيا فهي التي وردت في «المقتضب من تحفة القادم[86]».

11 ــ أبو الحكم بن عبد العزيز (ابن المرخي)[87] :

هو علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز... اللخمي القرطبي من أهل اشبيلية، ولد سنة 519، وتعرف عائلته ببني عبد العزيز وبني المرخي واشتهرت بالآداب والكتابة الرسمية، فقد كان ابوه أبو بكر محمد نظيراً لأبي بكر ابن أبي الخصال في البلاغة والكتابة، وكلاهما كتب عن الأمير

---

(81) المنّ ص 390 ــ 392.

(82) ورد اسمه في نسخ البيان خ ح «أبو الحسن على ابن زيد الاشبيلي»، وتنقص كلمة (ابو) في ط تطوان (ص 110) اما في العطاء الجزيل فيذكر باسم «ابو الحسن بن زيد» فقط (زوائد العطاء ص 19)، والراجح انه هو المذكور بالبيان خ ح، نسبت اليه الرسالتان 28، 29 (م ج).

(83) ص 97 من البرنامج.

(84) المنّ ص 285 (ضمن احداث سنة 566).

(85) البيان ص 110.

(86) المقتضب ص 55، ونجد الترجمة ايضا في (مجلة المشرق) لسنة 1941 ج 383/3 وهو الجزء الذي نشر فيه المقتضب قبل نشره منفصلا.

(87) وردت ترجمته او بعض انتاجه في : العطاء الجزيل (زوائد) 1 ــ 3 و 4 ــ 7، ابن دحية في المطرب (208 ــ 209) الذيل س 5 ص 312 ع 615 و س 6/ ص 487، صلة الصلة ع/216، الوافي بالوفيات 157/4، التكملة ع 1872 (كديرة) برنامج شيوخ الرعيني (ص 96 ــ 97) ضمن ترجمة ابنه ابي بكر، وقد ضبط تلميذه ابن دحية الاسم بفتح الخاء (ابن المرخى).

المرابطي علي بن يوسف[88]، أما أبو الحكم الموصوف باحد الكتبة المجيدين فقد تقلد أعمالا غير الكتابة مثل تكليفه بمهمة محاسبة صاحب أشغال المخزن باشبيلية والاندلس سنة 566[89]، ولا ندري تاريخ تقلده مهمة الكتابة للخليفة يوسف، وما نعلمه هو كتابته عن رسالة حول معركة «فحص هلال» سنة 568[90]، ثم رسالة اخرى حول اعادة فتح قفصة سنة 576[91]، ويذكر ابن عبد الملك المراكشي ابعاد ابي الحكم عن الكتابة بقوله : «... كتب عن ابي يعقوب بن عبد المومن زمانا، ثم ان ابا يعقوب خيم بظاهر اشبيلية في (احدى)[92] غزواته، ونهى اهل محلته كلهم عن الدخول الى اشبيلية، فدخل اليها ابو الحكم هذا فهجره ابو يعقوب ثم اقصاه ولم يعد الى الكتابة وذلك سنة[93]...» ونحن نعلم ان يوسف كانت له اثناء خلافته حركتان الى الأندلس الأولى بين 566 و 571 والثانية خلال سنتي 579 — 580، وبما ان ابن المرخي كان لايزال كاتبا عن الخليفة سنة فتح قفصة 576 فان الغزوة التي هجره فيها الخليفة قد تكون غزوة شنترين، ففي هذه الغزوة كان الخليفة باشبيلية خلال النصف الثاني من صفر 580 قبل التحرك الى شنترين[94]. وتوفي ابو الحكم بمراكش سنة 584.

12 — أبو علي بن نارار :

هذا الكاتب نسب اليه إنشاء رسالة عن الخليفة يوسف كتبها من داخل قفصة بعد اعادة فتحها من طرفه مؤرخة بآخر رجب 576، وردت في زوائد العطاء الجزيل على الصفحات (7 — 9) و (14 — 16)[95] وهي تحمل في المجموعة الجديدة رقم 31. وهي نفس الرسالة رقم 20 في «مجموع رسائل موحدية» منسوبة الى ابي الحكم بن المرخي[96]، غير ان ترجمة هذا الكاتب بهذا الاسم — وهو واضح بالمخطوط — لم اعثر عليها في كتب التراجم التي تمكنت من فحصها[97].

---

(88) الوافي بالوفيات 157/4، السلفي (اخبار وتراجم...) 87 — 88، الذيل س 6 ص 404، وقد توفي ابو بكر سنة 536.

(89) المنّ 453.

(90) الرسالة 28 (م ج).

(91) الرسالة رقم 30 (م ج) و 20 (م ر ج) لبروفنصال، وكتب معه ابنه ابو بكر محمد عن الخليفة يوسف وظل مقربا من المنصور والناصر، وكانت وفاته سنة 615 وممن ترجموا لهذا الابن صاحب التكملة ع 1588 (القاهرة)، المقتضب ص 125، المغرب 307/1، الوافي بالوفيات 157/4، بغية الوعاة 177/1، العطاء ص 45، الذيل س 487/6.

(92) كلمة ساقطة في الذيل.

(93) مكان السنة مبتور في الذيل س 5/ع 615.

(94) البيان 132 — 133.

(95) الأوراق التي كتبت عليها الرسالة سيئة الترتيب في المخطوط.

(96) انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الثاني من البحث.

(97) ليس هو ابو الحسن المعروف بابن الاشيري فهذا توفي سنة 569 التكملة ع 718 (القاهرة) او 66 (كوديرا)، بنمنصور في هامش القرطاس ص 185 وهامش اخبار المهدي ص 58.

13 ــ أبو الحسن القلنّي :

علي بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن سهل الانصاري، تلمسيني قلني الأصل[98]، سكن اشبيلية ومراكش وغيرهما من بلاد العدوتين. روى عن أبي الحسن بن ابي قنون[99] وغيره، وكان فقيها اديبا حسن الخط في الطريقتين الشرقية والغربية (المغربية الاندلسية)، درّس بجامع قرطبة زمانا[100]، ويصفه صاحب «العطاء» باحد شيوخ الكتابة الفقيه الحسيب، النسيب[101]،

كتب بمرسية عن السيد ابي محمد بن الخليفة يوسف واليها[102]، ومن ذلك الرسالة التي كتبها عنه من ظاهر يابرة اثناء عودة الحملة الموحدية من حصار شنترين سنة 580[103]، ولعل انتقال هذا السيد في مطلع خلافة اخيه يعقوب الى منصب الوزارة له[104] كان من الدواعي التي دعت الى انتقال الكاتب القلني الى مراكش حيث نجده يكتب عن «طلبتها» (ربما سنة 591) جوابا على رسالة المنصور المبشرة بالنصر في الأرك[105]، ولا نجد للقلني غير هاتين الرسالتين سواء في هذا المخطوط أو في غيره من المصادر التي اقتبسنا منها الرسائل الديوانية، كما لاندري تاريخ وفاته، غير انه كان لا يزال حيا عند تأليف البلوي للعطاء فيما بين 610 و613 حسبما يتضح من عبارته : «أدام الله كرامته».

14 ــ أبو الفضل بن طاهر بن محشرة :

هو أبو الفضل (وأبو العلى) جعفر (أو الفضل)[106] بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم البجائي الاشيري ولد سنة 540 أوقبلها بيسير، استدعاه الخليفة يوسف الى مراكش فوصله كارها (الغبريني)، وخدم ابا القاسم القالمي الى ان مات. كما كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف، ويحتفظ «مجموع رسائل موحدية» برسائل عنهما من انشائه يتراوح تاريخها بين شوال 576 وجمادى الثانية سنة 586 (من رقم 26 الى 34م ر م)، بحيث يبدو انه كان الكاتب الرئيسي لهما في هذه الفترة مما يرجح أن رسالة المنصور الى حكومة بيشة (رقم 35 م ج) المؤرخة برمضان 582 قد تكون من إنشائه

---

(98) قلنة ــ حسب ابن سعيد ــ حصن من الحصون البطليوسية (المغرب 360/1 و373)، وحسب ابن الابار «قلنة من بلاد الثغر الشرقي «التكملة ع 2059 (ابن شنب) الجزائر سنة 1920.

(99) ترجمته في الذيل س 8 ع 44 ط 1984.

(100) الترجمة مقتبسة من الذيل س 8 ص 47 من المخطوط

(101) الزوائد ص 12.

(102) كان واليا لمرسية منذ 579 الى ان استوزره اخوه يعقوب.

(103) هي الرسالة 34 (م ج).

(104) البيان 141، الحلل 159.

(105) هي الرسالة 42 (م ج).

(106) كناه الغبريني : «ابو الفضل» و«أبو العلى ابن محمد» (عنوان الدراية 53) وسماه صاحب المعجب : ابو الفضل جعفر بن احمد ابن محشوة (244)، وترجم له ايضا صاحب الذيل س 8 ص 138 (المخطوط) وصاحب البيان (140) ويسميه ابا العباس طاهر المعروف بابن محشرة، أما صاحب الاحاطة فيسميه أبا العباس بن طاهر بن محشرة (4/ص 355).

أيضا. غير ان اسم ابن محشرة أخذ يختفي منذ سنة 586 وهي السنة التي اكتشف فيها المنصور أهمية الكاتب الشهير أبي عبد الله بن عياش (المترجم فيما بعد)، فأصبح هذا رئيس الكتّاب، ولم يظهر لابن محشرة اثر — حسب علمنا — الا فيما ذكره صاحب الذيل من كونه كتب عن الناصر بعد ابيه وتوفي سنة 598[107].

15 — أبو بحر صفوان بن ادريس :

هو صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي المرسي، كنيته أبو بحر، ولد بمرسية سنة 560 أو 561 ونشأ بها، وتتلمذ على أمثال ابي الوليد بن رشد والقاضي ابي جعفر بن مضاء، وأبي القاسم بن بشكوال صاحب الصلة، ثكله أبوه أبو يحيى وهو في سن السابعة والثلاثين، وذلك في 16 شوال سنة 598 ودفن بمرسية[108].

يوصف بأنه اديب تساوى حظه في الشعر والنثر، وأنه من فحول شعراء الاندلس وأدبائها، ومن الرسائل الأدبية الشهيرة التي كتبها رسالته المسماة « شرك العقول... » كتبها في سن مبكّرة وذلك سنة 582 عندما انتقل مع أبيه الى شاطبة قاضيا بها، فكتبها صفوان الى بعض «اخوانه» بمرسية. ولعل هذه الرسالة جعلت والي مرسية السيد **عبد الرحمن بن الخليفة يوسف يستكتبه**، فكتب عنه رسالة الى ملك قشتالة مؤرخة بمنتصف ذي القعدة سنة 584[109]. ويبدو انه لم يطل في مهمة الكتابة اذ نجده في صفر سنة 586 يغادر مراكش في اتجاه مرسية فيكتب رسالته المسماة «عنوان التصريح» [110]... وقد جمع رسائله وقصائده وما خاطب به وراجع عنه في كتابه «عجالة المتحفز وبداهة المستوفز»، وله ايضا «زاد المسافر»، وذكر صاحب الذيل كتابا له سماه «الرحلة».

قال ابن سعيد : «ساد عند منصور بني عبد المومن واشتهر انه قصد حضرة مراكش ومدح اعيانها فلم يحصل منهم على طائل فاقسم ان لا يعود لمدح احد منهم وقصر امداحه على آل البيت عليهم السلام»، فعرف المنصور حالته فأغناه عن الخلق[111].

16 — أبو عبد الله بن عياش[112] :

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله (أو عبد الله حسب التكملة) بن عياش التجيبي،

(107) الذيل س 8 ص 138 (المخطوط). ذكر صاحب المعجب أن ابن عياش كتب عن المنصور بعد وفاة ابن محشوة، وهذا يبدو انه سهو منه، فهذا مات سنة 598 بينما كتب ابن عياش عن المنصور منذ سنة 586 (انظر ترجمة ابن عياش فيما بعد اي رقم 16).

(108) ترجم له او اورد بعض انتاجه : صاحب العطاء (33 — 44) و (113 — 119) و (142 — 167)، التكملة ع 1895 (القاهرة) ابن الابار في المقتضب ص 82، ابن سعيد في المغرب 2/ع 533 وروايات المبرزين ص 79 فقهاء مالقة وادباؤها ص 102 صلة الصلة (قطعة خاصة من نسخة دار الكتب المصرية) الذيل س 4 (140 — 143) الاحاطة 3 (349 — 359) نفح الطيب 365/6، فوات الوفيات للكتبي 2/ع 198.

(109) هي الرسالة 37 م ج.

(110) العطاء (144 — 158).

(111) المغرب 260/2.

(112) المترجمون له كثيرون منهم : صاحب المعجب 263. ابن سعيد في المغرب 399/2 وعنوان المرقصات 12. =

أصل سلفه من سرقسطة، ولد سنة 550[113] ببرشانة (من عمل المرية) ونشأ بها، وصفه صاحب التكملة بانه رئيس في صناعة الكتابة خطيب مصقع، لا يفهم كلامه الا حفّاظ اللغة من أهل العلم. ويعتبر شيخا لعدد من الكتّاب، ومنهم ابو القاسم البلوي (صاحب العطاء الجزيل) الذي يصفه ايضا بانه نفّاع بماله وجاهه، ويلقّبه احيانا بصاحب القلم الاعلى او كاتب الخلافة المعظم[114]، توفي في 25 جمادى الثانية سنة 618 (وقيل في رجب).

يترجم له بعض الكتّاب ويستغنون عن ذكر رسائله بمثل هذه العبارة : «رسائله مشهورة تناقلها الناس كثيرا». وبالنسبة للكتابة الرسمية ابتدأها أولا خادما للسيد ابي حفص عمر الرشيد بن الخليفة يوسف اثناء ولايته لمرسية، فلما قتله المنصور سنة 584[115] اختفى ابو عبد الله بن عياش ثم عفا عنه المنصور واستكتبه سنة 586 واصبح صديقا شخصيا له، كما كتب بعده عن الناصر ثم المستنصر[116]، وهكذا ظل يحتفظ بمكانة مرموقة لدى الخلفاء الموحدين أزيد من ثلاثين سنة، وهذه لائحة الرسائل الرسمية التي امكن التعرّف عليها ومن انشائه :

— في «مجموع رسائل موحدية» : أرقام 35، 36، 37
— في «المجموعة الجديدة» :
رقم 43 حول نكبة ابن رشد، و 57 حول اعادة فتح المهدية
رقم 67 عن فتح شلبطرة، و68 عن هزيمة العقاب.
رقم 96 حول استدعاء جند كومية من الاندلس، ورقم 97 حول مقتل ثائر جزولة
رقم 105 بشأن تعيين وال جديد لاشبيلية،

وربما أيضا الرسالتان 105 مكرر (ظهير عن المستنصر الى رهبان بوبلات) و106 (عن المستنصر حول أمره باقامة الدين والنهي عن المنكر)[117].
وذكر صاحب العطاء (ص 16) رسالتين له سماهما : «رسالة استنزال جشم» و «رسالة تأنيس اهل ميورقة»، وقد طلب البلوي من ابن عياش اطلاعه عليهما.

= فقهاء مالقة ص 64، التكملة ع 1596 (القاهرة) والاعتاب (ص 100 — 109) الاحاطة 482/2 — 487، الذيل س 6/ع 1034.

(113) ورد عند صاحب الذيل وصاحب فقهاء مالقة : سنة 505، والظاهر انها خطأ.

(114) العطاء ص 7 و 16 و108.

(115) انظر الفصل الثالث الفقرة 5.

(116) استعمل ابناؤه في الكتابة معه ومن بعده، وممن كتب عن المستنصر ابنه ابو جعفر احمد ولعله هو منشيء الرسالة رقم 85 (م ج) المؤرخة برمضان سنة 618 حيث كان ابوه مات منذ حوالي شهرين، و لم يوضح ابن عذاري (246) اسم كاتبها مقتصرا على اسم ابن عياش، واستمر ابو جعفر في الكتابة للخلفاء بعد المستنصر (التكملة ع 300، القاهرة)، (انظر البيان ص 258 — 259). وقد يكون منشيء الرسالة 85 هو ابو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك اي حفيد ابي الحسن كاتب عبد المومن وقد كتب عن المنصور والناصر والمستنصر مع ابي عبد الله محمد بن عياش، وقد توفي في اواخر عهد المستنصر (المعجب 311 و 325).

(117) انظر الهامش السابق.

17 ــ أبو الحسن بن وضّاح :

يصفه جامع رسائل المخطوط الخاص بالفقيه، وينسب اليه انشاء رسالة عن «طلبة» اشبيلية الى الخليفة المنصور[118]، وهي غير مؤرخة، ويمكن وضع تاريخها بين 588 و 595[119]، وهذا الاسم غير محدد : فأوله كنية وثانيه ليس خاصاً بشخص معيّن، وانما هناك كثيرون ممن يعرفون بابن وضّاح، ومن ذلك ما ذكره صاحب الصلة من ذكر ابي الحسن وضّاح بن وضاح من أهل شرق الاندلس[120]، ويؤكد صاحب بغية الملتمس ان ابن وضّاح من اهل مرسية[121].

18 ــ أبو الربيع سليمان الموحدي :

هو سليمان بن عبد الله بن عبد المومن، كان يلي سجلماسة وأعمالها عند وفاة المنصور[122]وقد لقيه ابن حمويه السرخسي بمراكش عند تقديم البيعة للناصر وأورد عنه رسالة من انشائه كتبها الى ملك غانة ينكر عليه اعاقة عمل التجار المغاربة ببلاده، وهي الرسالة رقم 45 (م ج)[123].

هناك من ينتقد عليه انتحاله لبعض انتاج كاتبه ابي عبد الله محمد بن عبد ربه[124]. ذكرت وفاته سنة 604[125].

19 ــ أبو بكر بن عيسى :

ينسب اليه صاحب العطاء (ضمن الزوائد ص 25) انشاء رسالة مبتورة من «طلبة» اشبيلية الى الخليفة جوابا على كتاب منه ببشرى ! (وهي الرسالة رقم 54 م ج)، ويصفه البلوي قبل تقديم نص رسالته ب «الفقيه الأديب الكاتب الحسيب الحميد الأوصاف، المشكور التحقيق والانصاف، السابق في حلبة العُقلاء، المقدّم في علية الاخوان الفضلاء، أبي بكر بن عيسى أدام الله كرامته»، وهذا يعني أنه لازال حيّا سنة 613 التي أنهى فيها المؤلف كتابه «العطاء».

غير أن ترجمة هذا الكاتب لم نتأكد من حقيقتها بعد : فهناك اشارة في «التكملة» ضمن احدى التراجم بالصفحة 244 (نسخة خ ح رقم 1411) الى أن صاحب الترجمة[126] روى عن ابي

---

(118) وهي الرسالة رقم 44 (م ج).

(119) انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الأول.

(120) صلة الصلة ع 334 (بروفنصال).

(121) بغية الملتمس ع 440 ص 191 وما بعدها (لمؤلفه الضبي).

(122) سبق له ان تولى على بجاية (التي سبق لابيه ولايتها)، غير ان بني غانية اخذوها منه قبل ان يسترجعها جيش المنصور، فهجره المنصور (البيان 146، رايات المبرزين ص 98).

(123) نفح الطيب 105/3 وقد اهتم بهذا الاديب الموحدي بعض الدارسين مثل الاستاذ عبد الله كنون فخصص له بحثا ضمن سلسلته «مشاهير رجال المغرب» وكذلك الاستاذ عباس الجراري في كتابه «الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي» والاستاذ «المنوني : العلوم و... على عهد الموحدين» (161 ــ 162).

(124) المعجب 297 ــ 300.

(125) ابن سعيد في «الغصون اليانعة» ص 132، العبر 520/6 وممن كتب عنه ايضا ابو بكر بن مغاور الشاطبي (المغرب 2/ع 589)، وللشاطبي رسائل بالعطاء (9 ــ 10) و 11 و12 و 12 ــ 13.

(126) يذكر ابن الابار انه لقي صاحب هذه الترجمة باشبيلية سنة 618.

بكر بن عيسى، ولا ندري ما اذا كان هو نفسه المترجم في الذيل تحت اسم «محمد بن احمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن اسماعيل بن عيسى،،، بن حجاج اللخمي، اشبيلي : أبو بكر،،، استقضاه المعتضد ــ بعد أبي اسحاق المكادي ــ ثم المرتضى ــ بعد ابي عبد الله محمد بن يحيى الخطيب ــ وعرف في الكرّتين بالعدل والصرامة والانصاف، وخطب بالجامع الأعظم مدة قضائه الأخيرة الى ان توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان سنة 654[127]، بحيث لا نجد في هذه الترجمة اية اشارة الى استعماله في الكتابة وان كان هذا غير مستبعد في حالة استكتابه لفترة قصيرة، فلا يوجد من رسائله الرسمية المعروفة غير الرسالة المذكورة أعلاه.

20 ــ أبو محمد بن حامد[128] :

هو أبو محمد عبد الله (ابن حامد)[129]بن يحيى بن سليمان بن ابي حامد المعافري من أهل مرسية، كان معاصرا لأبي بحر صفوان ومن اصحابه، وتبادلا الأشعار فيما بينهما[130]. كان كاتبا بليغا، مشاركاً قرض الشعر، يصفه صاحب التكملة بأنه من رجالات الاندلس وجاهة وجلالة مع التحقق بالكتابة، واليه كانت رئاسة بلده (في ميدان الأدب). توفي بعد انصرافه من اشبيلية في اخر سنة 621 ولعله كان دخلها مع الخليفة العادل فاتحا لها (حسب صاحب المغرب)، مما يرجّح انه كان يكتب عنه عندما كان قبل ذلك واليا لمرسية. يصفه صاحب العطاء ب «الكاتب الاديب الماجد الحسيب»، وينسب اليه انشاء رسالة جوابية على رسالة الخليفة الناصر حول النظر في «اشغال العرب»... واستنفار اشياخ جشم ومزاورتهم لِتعقّب المفسدين، ونقل الجشميين من تامسنا لاعادة توطينهم بتادلى[131].

21 ــ أبو الحسن بن الفضل[132] :

أبو الحسن على بن احمد بن الفضل المعافري، أصله من أريولة، نشأ بمالقة وسكن بها وطالت اقامته بها. كان كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا، معدودا في حلبة الأدباء، ومحسوبا في علية الشعراء، قال فيه ابو بحر صفوان[133] إنه من آية الدهر وعجائبه كان من جملة من مدح المأمون بعد انتصاره

---

(127) الذيل س 6 (ص 18 ــ 19)، وتتجدد الاشارة اليه ضمن ترجمة ابيه أبي الوليد في السفر الأول ص (355 ــ356) ويحيل المحقق على ترجمة أبيه أيضا في «اختصار القدح» (140) و «بغية الوعاة» (153)، ويذكر لابي بكر مخطوطا بخزانة القرويين بعنوان «الدرر البهية في معجزات خير البرية».

(128) ترجم له صاحب التكملة خ ح 1411 ص 260 او ط القاهرة (ص 891 ــ 892) او ط مدريد ع 1443 وصاحب الذيل س 4 ع 356 ونفح الطيب 5/ 73 وزاد المسافر ص 40، والمغرب 2/ع 525.

(129) في التكملة : «ابو محمد عبد الله بن حامد بن يحيى»

(130) في رسالة من صفوان الى ابي محمد بن حامد يكنّيه فيها بالوزير (العطاء 115).

(131) زوائد العطاء ص 26 ــ 27 و 22 ــ 24 (الاوراق سيئة الترتيب في المخطوط)، وهي الرسالة 55 (م ج).

(132) المترجمون له : نفح 59/4، البيان 259، فقهاء مالقة الورقة 85 المغرب 2 ع 546، الذيل س 5/ع 651 (واحال محققه على ترجمة ابن الفضل ايضا في اختصار القدح 108 وازهار الرياض 212/2 وزاد المسافر رقم 31).

(133) انظر ترجمته سابقا (رقم 15).

على ابن هود سنة 625، ومدحه أيضا عندما بويع باشبيلية بالخلافة بقصيدة لم يرض المأمون عن مطلعها وهو «خدمتك السيوف والاقلام»، توفي في ربيع الأول عام 627 وسنّه اربع وستون سنة، يصفه صاحب العطاء ب «الفقيه ابي الحسن بن الفضل اعزه الله»، وينسب اليه انشاء رسالة يدعو فيها الناس الى سماعهم «كتاب» الخليفة المبشّر بالنصر على «شقي ميورقة». ويتخلل الرسالة بتر متكرر وخاصة في أواخرها، وهي تحمل رقم 56 في المجموعة الجديدة[134].

22 ــ أبو القاسم عبد الرحمن بن عذرة[135] :

هو عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن (بن عمر)[136] بن عبد العزيز بن عذرة الانصاري من اهل الجزيرة الخضراء، يعتبر ابوه أبو حفص عمر من مشايخه، فهذا كان فقيها وأديبا شاعرا... استقضي ببلده وبغيره،[137] كذلك تولّى ابنه ابو القاسم (المترجم) القضاء ببلده، وكان رجل صدق، فصيحا خطيبا صاحب نظم ونثر، توفي في 15 جمادى الثانية سنة 606، كما كان أخوه ابو الحكم عبد الرحيم صاحب نظم ونثر أيضا[138].

لا تذكر المصادر اشتغاله بالكتابة الرسمية وانما اشتغاله بالقضاء في الجزيرة الخضراء، وقد وصفه جامع رسائل المخطوط الخاص ب «الشيخ الفقيه القاضي ابي القاسم بن عذرة رحمه الله»، وأورد له رسالة من انشائه عنه وعن «طلبة» الجزيرة الخضراء الى السيد ابي عمران بن ابي موسى بن الخليفة عبد المومن مؤرخة بتاسع رمضان 602 دون ان يتحدد بأية صفة كتبت هذه الرسالة، ورقمها في المجموعة الجديدة هو 58[139].

23 ــ أبو عبد الله بن نخيل[140] :

هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن نخيل، كان مسؤولا عن «ديوان الأعمال» ونقله الأمير الشيخ ابو محمد عبد الواحد ــ بعد توليته على افريقية ــ إلى منصب الكتابة فبلغت مكانته لدى هذا الأمير درجة شبّهها ابن الأبار بمكانة جعفر البرمكي عند هارون الرشيد في تفويض الأمور له[141]، وشهد

---

(134) وهي ايضا في زوائد العطاء ص 24.

(135) ترجمته في التكملة خ ح 1411 ص 263، او كديرا 1631، المقتضب ص 100، العطاء 73 ــ 74، صلة الصلة (قطعة عن نسخة القاهرة).

(136) ناقصة في صلة الصلة (القاهرة).

(137) ترجمة الوالد في الذيل س 5 (ص 448) و التكملة 1826 (ابن ابي شنب) صلة الصلة ع 572 (بروفنصال).

(138) ترجمته في التكملة (كديرا) ع 1668، العطاء (73 ــ 74).

(139) راجع خصوصياتها في الفصل 4.

(140) انظر ترجمته او الاشارات اليه في : تاريخ الدولتين للزركشي 18، والعبر 584/6 و (588 ــ 589)، واعتاب الكتاب ص 237 و (245 ــ 247) حيث وضع له ابن الابار ترجمة ومعها رسالتين من انشائه حول هزيمة ابن غانية في شَبْرُو سنة 604 ثم في وادي ابي موسى سنة 606، ونقل عنه " ناني ايضا بعض الاخبار في رحلته.

(141) الاعتاب 245.

له الزركشي بأنه «المشهود له بالجودة وحسن الوساطة وحسن التدبير». وهذه المكانة ساعدته على ان يمتلك ثروة مهمة بلغت عند موت الشيخ ابي محمد سنة 618 ستمائة ألف دينار من النقد «سوى ما ظهر من حليّ وآنية وأثاث وكراع وعقار»، ولعل تأثيره على انحراف الشيخ ابي محمد عن البيعة للمستنصر في بداية خلافته كان عاملا أساسيا في نكبته بامر المستنصر على يد الوالي الجديد السيد ابي العلى ادريس بن الخليفة يوسف عند وصوله الى افريقية في ذي القعدة سنة 618 حيث قبض عليه وعلى أخويه واستصفى اموالهم وعقارهم وضياعهم ثم قتلهم[142].

احتفظ لنا ابن الأبار بنموذجين من رسائله السلطانية وهما رقم 59 و 61 (م ج) مع بتره للمقدمة واقتصاره على فصول منها[143].

24 ـــ أبو القاسم البلوي[144] :

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن،،، القضاعي ثم البلوي، اشبيلي، قرطبي السلف، والبلويون من القحطانيين الذين سكنوا الحجاز قبل الاسلام، وكان سلف ابي القاسم هذا يعرفون في قرطبة ببني علي وقد ولد أبو القاسم لأربعة عشر ليلة بقين من جمادى الآخرة سنة 575. اشتغل في القضاء، وذكر بنفسه وجوده على قضاء مربلّة واسطبونة سنة 606[145]، وكتب في شبيبته عن عدد من الولاة باشبيلية وغيرها كأبي زيد وأبي موسى عيسى ولدي الخليفة عبد المومن، وعن أبي عمران ابن ابي موسى المذكور وعن **أبي اسحاق بن الخليفة يوسف** وأبي اسحاق بن الخليفة المنصور، وعن أبي الربيع بن ابي حفص بن عبد المومن، ثم ترك ذلك الى ميدان القضاء. دخل مراكش ايام الناصر أو قبله وانقطع الى ابي عبد الله بن عبد العزيز بن عياش، وعاد إليها أيضا مع وفد اشبيلية في أول عهد المعتضد (السعيد) سنة 640، وتوفي في رمضان سنة 657 وعمره 82 سنة.

اشتهر في ميدان الادب بتصنيفه الخاص بالرسائل المسمى ب «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل»[146]، وصفه صاحب الذيل بأن موضوعه من أحفل الموضوعات في فنّه، صنّفه حسب فنون الترسيل، وفي خاتمة كل فنّ يقدّم مساهمته فيه، ويصرّح بأنه جمع رسائل كتابه فيما بين 610 و613 وخاصة أثناء كتابته عن ابي اسحاق بن الخليفة يوسف باشبيلية الى وفاته سنة 612 وهذا السيد هو الذي أطلعه على الرسائل التي جعلها «زوائد» ألحقها بكتابه الأصلي[147]، وتوجد ضمن المجموعة الجديدة عدة رسائل اقتبست من هذا المصدر.

---

(142) العبر 588/6 ـــ 589.

(143) انظر خصوصيات الرسالتين في الفصل الثاني.

(144) توجد ترجمته في الذيل س 1/ ع 674 (مع احالتين للمحقق في القدح 120 ـــ 122 ونفح 300/4) والسفر 6/ص 155 و (206 ـــ 207) و ص (358 ـــ 359) والسفر 8 (ص 252 من المخطوط) والاحاطة 483/2، والعطاء ص 171 ـــ 172.

(145) العطاء 73 ـــ 74.

(146) كان اسمه الأول «تشبيب الابريز، والمزيد الاحق التبريز، على ما جاء من الترسيل في كتاب ابن غمر المسمى بالوجيز» العطاء 172.

(147) انظر ايضا المقدمة حول مصادر الرسائل.

25 ــ أبو الميمون !:

يسميه صاحب «صبح الأعشى» بهذه الكنية فقط وينسب اليه ثلاث رسائل : الأولى كتبها عن احد الولاة الى الخليفة الناصر (رقم 69 م ج)[148]، والثانية كتبها عن المستنصر الى احد الولاة بالاندلس تحذيراً له من إمكانية نقض الهدنة مع النصارى (83 م ج)[149]، والثالثة كتبها عن «بعض اهل الدولة» جوابا حول تفحص احوال ثغر شقورة[150] ربما إلى الخليفة العاد (111 م ج)، وبهذه الكنية لم نتمكّن من التوصل إلى معرفة الاسم الحقيقي لهذا الكاتب[*].

26 ــ أبو العباس بن جعفر!

يوجد بالقسم الأخير من المجموع المخطوط «الخاص» مجموعة رسائل رسمية موحدية نسب حوالي ثلاثين منها (مع بتر في آخر هذا المخطوط) الى المسمى ابي العباس بن جعفر الذي يصفه جامع رسائله بهذه العبارة : «ومن انشاء شاعر هذا الزمان وكاتبه المستولي من الادب النفيس على ابعد آماده وارفع مراتبه، الآتي به الزمان نادرة من نوادره واعجوبة من عجائبه، الحامل اوقار الاشعار على عتاق خاطره الحافظ وكتائبه، وأحد الشعراء وامامهم المقدّم، وسابقهم الذي لو أدركه عنترة لم يقل قبل رؤيته : هل غادر الشعراء من متردّم، شيخ البر المكمّل والبشر المتمّم، والفضيلة التي عوّدت لسانه كل ممدّح ونزّهته عن كل مذمّم، الشيخ الفقيه الزكي المرحوم أبي العباس بن جعفر وصل الله بره واكرامه، ويسّر في كل منتحى مراميه»[151]. ومع هذا الوصف لأبي العباس لم نتمكّن من التعرف على حقيقة ترجمته على الرغم من تفحص عدد من كتب التراجم حول من يكنّى بأبي العباس، أما جعفر فلا يتضح ما إذا كان اسم أبيه أو أحد أجداده، فلجأت إلى بعض الافتراضات : الافتراض الأول هو أن يكون هو نفسه أبا القاسم البلوي صاحب الترجمة رقم 24 استنادا الى تشابه في مطلع رسالتين لهما، وهما رقم 79 (لابن جعفر) ورقم 90 (للبلوي)، خاصة وانهما كتبا معا عن والي اشبيلية السيد ابي اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف حوالي سنة 612، غير ان البلوي لم اعرف له جدا اسمه جعفر، كما انه لا يوصف في تراجمه بالشاعر حتى ولو قال شعراً[152]، ويسميه تلميذه صاحب الذيل بالشيخ الأديب[153] (س 1 ص 460). والافتراض الثاني هو كونه ابو العباس بن جعفر الرعيني، ولكنّ ترجمة هذا غير كافية وأقل وضوحا (حسب المصادر التي امكن الاطلاع عليها)،

---

(148) موضوعها استعطافي، وهي في الجزء 532/6 ــ 533.

(149) صبح 446/6 ــ 447.

(150) صبح 531/6 ــ 532.

(151)المخطوط الخاص ص 308، ثم اتبعها برسالة اخوانية على الصفحات 308 ــ 310، واعقبها بعنوان «وله فصل» واتى بعده بالرسائل الرسمية الى اخر ما بقي من المخطوط وفي مطلع كل رسالة عنوان مثل «وكتبت» أو «وكتبت ايضا» أو «وكتبت ايضا من اخرى» وفي ص 348 «وكتبت من كتب وزراء الخلافة المعظمين المكرمين الابرار ادام الله سعود ايامهم»، انظر ايضا في المقدمة مصادر الرسائل.

(152)مثلا في الذيل س 1 (ص 457 ــ 458) وفي العطاء ص 81 ــ 88.

(153)هذا بالاضافة الى انه في الوقت الذي كان ابو العباس يكتب عن السيد ابي اسحاق ابراهيم في ولايته ما قبل الاخيرة (605 ــ 607) كان البلوي قاضيا مسددا بمربلة واسطبونة (العطاء 73 ــ 74).

(*) قارن مع ترجمة ابن خبازة في الذيل س 8/ 388 ــ 404.

وهو ليس صاحب البرنامج. وهناك ايضا كاتب للخليفة المأمون باشبيلية اسمه ابو العباس بن عمران (البيان ص 255). على كل، من الصعب ان نستمر في مثل هذه الافتراضات، ونترك صاحبنا الكاتب «الشاعر» الى ان يكشف عنه الزمان[154].

27 ـ أبو المطرّف بن عميرة[155] :

هو احمد بن عبد الله بن الحسين بن عميرة المخزومي، اصله من جزيرة شقر بشرق الاندلس ولد بها سنة 580. بدأ عمله الاداري في بلنسية منذ 607 بصفته كاتبا للسيد ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المومن ثم انتقل الى اشبيلية لخدمة بعض السادة بها الى حوالي 617 ثم عاد الى بلنسية فكتب عن واليها السيد ابي زيد، ومن ذلك : الرسائل 107 و 108 و 115 و 116 (م خ)، ثم تردد بين الكتابة والقضاء لدى الثائرين بشرق الاندلس مثل ابن مردنيش وابن هود. ولما سقطت بلنسية بيد الأرغونيين انتقل الى المغرب، فاستكتبه الخليفة الرشيد مدة قصيرة، ومما كتب عنه : الرسالتان 122 و 123 (م ج)، ثم تنقّل بين قضاء هيلانة ورباط سلا ومكناسة. واثناء قضائه بسلا كتب عن اهلها رسالة جوابية على رسالة الخليفة الرشيد حول توصله ببيعة مدينة تلمسان (الرسالة رقم 124 م ج)، وخلال قضائه بمكناسة كتب بيعة ـ ادعى انها عن اهلها ـ الى الامير الحفصي سنة 643 ثم قصد افريقية عبر سبتة، وتولى للحفصيين مهام في القضاء والكتابة الى وفاته سنة 658[156].

وصفه ابن سعيد المغربي معاصره بانه «عظيم الاندلس في الكتابة وفي فنون من العلوم»، ووصفه صاحب الذيل بانه «شديد التطارح على خدمة الرؤساء، كثير الحرص والرغبة في ضم حطام الدنيا»، ومع ذلك فهو «جميل السعي للناس في اغراضهم». ولعل صاحب الذيل يقصد اهل شرق الاندلس الذين كانوا يبحثون عن ملجأ لهم بعد توسع الارغونيين في أرضهم. ونظرا لشهرة هذا الاديب فقد ترجم له الكثيرون واقتبسوا نماذج من انتاجه الأدبي[157].

28 ـ أبو العلاء ادريس المامون بن الخليفة المنصور :

وجب اثبات اسمه هنا لما نسب اليه من انشاء بعض الرسائل، ومما وصفه به صاحب الحلل الموشية أنه «كانت له نفس كبيرة، وكان عالما كاتبا اديبا فصيحا بليغا ذا نجدة ورأي وحزم»[158] وترجم

---

(154) انظر خصوصيات رسائله في الفصل الرابع.

(155) المترجمون له كثيرون منهم : ابن الابار في المقتضب من تحفة القادم ص 145، الذيل س 1/ ص 176 وما بعدها، عنوان الدراية (178 ـ 180)، المغرب 2/ ص 363، الوافي بالوفيات 7/ ص 13، الاحاطة 173/1 ـ 183، نفح 1/ ص 284 وما بعدها، وعنان 702/2، بن شريفة في «ابو المطرف بن عميرة»، وترجم له جامع رسائله في السفر الأول الورقة المصورة رقم 3، الخزانة العامة : 502 4 د (مع الخطأ في تاريخ ميلاده).

(156) انظر مصادر الرسائل في المقدمة.

(157) انظر الهامش 155 في هذه الترجمة.

(158) الحلل 163 ط 1979.

له صاحب الاحاطة[159] وأورد رسالة من انشائه في عتاب اهل اندوجر وهي الرسالة رقم 113 (م ج) التي يوردها أيضا ابن عذاري[160]، كما ينسب إليه ابن الخطيب رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يورد بعض فصولها[161]، وهي الرسالة رقم 118 (م ج)، وينسب اليه ايضا رسالة من انشائه في قطع رسوم المهدي دون ان يذكر نصها[162]، وهي الرسالة رقم 119 (م ج)[163]، هذا بغض النظر عما أنشأه عنه كتابه، ومن هؤلاء ابو عبد الله محمد الانصاري الغرناطي كاتبه اثناء ولايته[164]، وكتب عنه ايضا منذ ولايته بمالقة ايام المستنصر الى خلافته الكاتب ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يخلفتن الفازازي بل هو كاتبه الاكبر الى سنة 626 (قبيل وفاته 627)[165].

29 ــ أبو الحسن السرقسطي :

لم نتوصل الى معرفة ترجمته، وما يمكن القول عنه ايضا انه كان يكتب عن ابي زكرياء يحيى المعتصم بن الناصر، كتب عنه رسالة (الى الامة) يدافع فيها عن شرعيته ويستجلب الناس اليه ليتفرقوا عن المامون صاحب الاندلس، وهذه الرسالة هي ذات الرقم 117 (م ج)[166].

30 ــ ابن عبدون المكناسي[167] :

هو محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي من أهل مكناسة يصفه صاحب الذخيرة السنية بكونه اديب وقته وشاعر زمانه، ويصفه ابن القاضي في الجذوة بانه شاعر اهل العدوة، ويقول عنه ابن غازي انه حائز قصب السبق في الشعر والكتابة، توفي في 10 ذي القعدة سنة 659[168].

كتب عن اهل مكناسة رسالة استنجاد الى الخليفة المأمون عندما اصبحت مدينتهم محاصرة من طرف قبائل فازاز وغيرها سنة 629، وقد اورد ابن عذاري مقطعا منها وهي الرسالة رقم 120 (م ج) كما اورد له رسالة عن اهل مكناسة هي بيعة مجددة للخليفة السعيد بعدما كان ابن عميرة ارسل بيعة عنهم الى امير تونس الحفصي، ورسالة تجديد البيعة للسعيد هي رقم 125 (م ج).

(159) المجلد 1 (ص 410 وما بعدها).

(160) الاحاطة 1 (414 ــ 415) والبيان (266 ــ 267).

(161) الاحاطة 1 (413 ــ 414).

(162) الاحاطة 1 (411 ــ 412).

(163) وردت في البيان (267 ــ 268) والحلل (164 ــ 165).

(164) الذيل س 6 ص 584.

(165) الذيل س 1 (46 ــ 58)، فقهاء مالقة ص 133، مفاخر البربر ص 95 (المجموع خ ع)، المقتضب ص 133، المغرب 118/1، التكملة ع 1641 (كوديرا)، برنامج شيوخ الرعيني ص (101 ــ 105)، نفح 468/4، وانظر الترجمة الاخيرة رقم 31.

(166) انظر البيان (262 ــ 264):

(167) المترجمون له : ابن القاضي في جذوة الاقتباس 1/ع 293، الذخيرة السنية ص 96، ابن غازي في الروض الهتون ص 55، نفح الطيب 213/6، الاتحاف لابن زيدان 578/3.

(168) في الجذوة : سنة 658.

31 ـــ يحيى (جامع رسائل «التقاديم») :

تمتد هذه التقاديم الموجودة في مخطوط الخزانة الحسنية (رقم 4752) من عهد المأمون الى عهد المرتضى، ويسمى جامعها باسم يحيى، وكنا نظن انه قد يكون ابا زكرياء يحيى الفازازي نقيب الطلبة وصاحب القلم الأعلى في عهدي الرشيد والمعتضد[169]، وهو أخو الكاتب الشهير ابي زيد يحيى الفازازي كاتب المأمون[170]، إلى ان تبين ان ابا زكرياء هذا توفي في أول حركة المعتضد نحو تلمسان في أيام عيد الأضحى وهو في محلة هذا الخليفة بتنسيفت قبل حركتها يوم 15 ذي الحجة 645[171]، بينما تمتد التقاديم الى زمن المرتضى كما رأينا، وبهذا يظل كاتب التقاديم وجامعها مجهولين، وان كان هذا الأخير لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا منشىء التقاديم الذي قد تساعدنا ترجمته المجهولة تماما على وضع تأريخ تقريبي لها مادام اكثرها غير مؤرخ، فلندع هذا للمستقبل[172].

د ـــ ملاحظات حول فن كتابة الرسائل الموحدية :

ان موضوعا كهذا ليس من اختصاص الباحث في التاريخ، ولكن التعامل مع عدد من الرسائل أوحى ببعض الملاحظات.

1 ـــ فيما يتعلق ببدايات الرسائل : نجد في رسائل المجموعة الجديدة بدايات مختلفة :

ـــ رسائل تبدأ بصيغة : **من فلان الى فلان** مثل «من أمير المؤمنين... الى فلان»[173] (بصيغة الإفراد او الجمع)، وعددها 19 رسالة معظمها صادرة عن الخلفاء واثنتان منها عن امير اشبيلية الى الوزير ابن جامع...

ـــ رسائل تبدأ **بألقاب الخلفاء او باسلوب التعظيم أو الدعاء** : وهي موجهة الى الخلفاء من أتباعهم، وصيغتها الاساسية : «الحضرة الامامية» وأحيانا «حضرة سيدنا»... وعدد هذه الرسائل خمسة عشرة تضاف اليها واحدة تبدأ ب «المقام الأعلى[174]» وأخرى ب «أطال الله بقاء أمير المؤمنين»...[175].

ـــ رسائل تبدأ **بالتحميد المتبوع بما يناسب الموضوع** : مثل «الحمد لله» أو «ان الحمد لله»،،، فمنها

---

(169) الذيل س 8 ص 231 (المخطوط)، وكتب ايضا عن المأمون (المصدر والصفحة).

(170) راجع ترجمته السابقة رقم 28.

(171) البيان 371 و 386.

(172) انظر ايضا المقدمة حول مصادر الرسائل، وانظر خصوصيات هذه التقاديم في الفصل الرابع.

(173) هذا النوع هو الغالب في مجموع بروفنصال، انظر ايضا القلقشندي في صبح 443/6، وهو يذكر من اساليب الكتابة الموحدية صنفا من الرسائل يبدأ بالبعدية (اما بعد حمد الله... والصلاة...) واورد مثالا على ذلك في ج 446/6 ـــ 447 وهي الرسالة 83 (م ج). غير ان هذا لا يبدو انه اسلوب ثابت، فقد يكون القلقشندي بنى رأيه على رسائل تنقصها البدايات مثل رسائل الصنفين الأول والثاني اذا حذفنا منها عبارة (من فلان الى فلان... سلام) او (الحضرة الامامية... من فلان... سلام)، انظر مثلا الرسائل 12 و 14 و 15 و 16 و 19 و 54 و 55...

(174) الرسالة رقم 69، وبالنسبة للرسالة 113 يصرّح صاحب البيان بأن ما ينقله هو مابعد «الخطبة والصدر» (ص 266).

(175) الرسالة رقم 111.

ما يتعلق بالبيعة بولاية العهد او البيعة بالخلافة (مثل الرسائل 17 و18 و 40 و 121) أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (مثل الرسالة 118).
— **رسائل العتاب** تبدأ في اصلها او فيما بقي منها بصيغة : «الى فلان،،،» أو «الى القوم...» أو «الى أمة...» أو «الى الجماعة من اهل كذا...» وأحيانا تكون خالية من السلام والتحميد والترضية عن المهدي...[176].
— **الظهائر** تبدأ بصيغة مثل : هذا ظهير كريم (122 و 123) ويدخل هنا «كتاب أمان» لتجار بيشة يبدأ هكذا : «كتاب أمان،،، امر بكتبه فلان...»[177].
— **صنف من الرسائل مبتورة البداية**، لها بدايات مختلفة لما تبقى منها وهي تتجاوز الأربعين رسالة دون اعتبار رسائل مخطوط يحيى، أما رسائل هذا المخطوط فمعظمها مبتورة الصدر بحيث يبدأ ما بقي منها في الغالب بعبارة مثل : «كتب الله لكم» أو «انا كتبناه، كتب الله لكم...[178]» وعدد هذه الرسائل يتجاوز الأربعين من بين اثنتين وسبعين رسالة التي يتكون منها المخطوط، ونجد حوالي عشرين رسالة من رسائله يبدأ ما بقي منها بمثل : «أدام الله كرامتكم» وتبدأ خمسة بعبارة : «وأن تعلموا...»

— بعض رسائل «التقاديم» بمخطوط يحيى تبدأ بمثل صيغة : «إلى أهل فلانة [179]».
— **بالنسبة للرسائل الصادرة عن الموحدين الى ممالك النصارى** : هي متنوعة البدايات حسب موضوعها وحسب رتبة المكتوب عنه، وغالبا ما تكون البداية بصيغة (فلان الى فلان) او (الى فلان من فلان) في حالتي الافراد والجمع بالنسبة للمكتوب اليهم.
— **بالنسبة للرسائل الواردة على الموحدين من خارج دولتهم** : أورد القلقشندي نموذجا لرسالة عن صلاح الدين الأيوبي الى المنصور مطلعها : «فتح الله بحضرة سيدنا...»[180] وتبدأ رسالة صلاح الدين الى المنصور الواردة في كتاب الروضتين بعد البسملة بصيغة : «من فلان... أما بعد...» ثم التحميد والتصلية،،،
— وهناك رسالتان واردتان من بيش على الموحدين تبدآن بالبسملة و التحميد ثم «الى أمير المومنين... معظمون مقامه...[181]».

2 — بالنسبة لمضمن الرسائل

— اذا كانت الرسائل غير مبتورة فانها تبتدىء **بالصدر** الذي يحدد المكتوب عنه والمكتوب اليه[182]، ويتضمن الصدر ايضا : السلام والحمدلة والتصلية على الرسول والرّضى عن

---

(176) انظر الرسائل 1 و 8 و 11 (وبالنسبة للرسالة 83 تبدأ بصيغة «اما بعد حمد الله».
(177) وهي الرسالة رقم 36 (م ج).
(178) يرى القلقشندي ان الدعاء بمثل هذه العبارة ينفرد به اهل بلاد الغرب عن بلاد الشرق ومصر (30/7).
(179) وكذلك بعض الرسائل عن ابن هود (فيما يبدو) بالمخطوط.
(180) الرسالة رقم 38 (م ج).
(181) الرسالتان 32 و 33 (م ج).
(182) اذا كانت الرسالة عن الخليفة الى عواصم الولايات يكون المكتوب اليهم عادة «الطلبة والموحدون والاشياخ».

المهدي[183] ثم خلفائه[184]، كما يتضمن التوصية بتقوى الله اذا كانت الرسالة صادرة عن الخليفة. ويكون الصدر مطولا اذا كانت الرسالة موجهة الى الخليفة حيث تمطط العناصر المذكورة سابقا. وعادة ما يلمح الصدر الى محتوى الرسالة خاصة رسائل الفتوح والانتصارات، كما يشير الى ولي العهد احيانا حيث يدعى له بعد ابيه الخليفة ان كانت الرسالة صادرة عن غيره[185]

— واذا كانت الرسالة جوابية من الحكومات الجهوية الى مركز الخلافة فانه يذكر **بعد الصدر** وصول «كتاب» الخليفة وملخص ما تضمنه من اوامر او اخبار، وهذه الرسائل لها اهميتها عندما تكون الرسائل الخليفية المجاوب عنها مفقودة[186]، ثم يذكر بعد ذلك المقصود مثل تنفيذ او البدء في تنفيذ الأوامر، أو اشاعة ما ورد في رسالة الخليفة من أخبار إن كان الأمر صدر بالاشاعة.

— وتعتبر الرسائل الموحدية عموما **طويلة** خاصة اذا كانت في موضوع الفتوح او التهاني وربما كانت هذه سمة العصر، فالحلبي يوصي الكتّاب بقوله : «اذا كانت كتب التهاني بالفتوح فليس الا بسط الكلام والاطناب في شكر الله على الفتح... ثم وصف الاقدام والصبر... عن الملك وجيشه... ونسبة النصر الى الله،، ولا بأس بتهويل امر العدو ووصف جمعه وإقدامه، فان في تصغير امره تحقيرا للظفر به»[187]. وفي العادة تكون الرسائل **قصيرة** نسبيا اذا كانت في موضوع العتاب[188]، وان كانت الرسائل عموما اخذت تميل الى القصر خلال العصر الموحدي الثاني (الأخير)[189].

— ومما تتضمنه الرسائل الموحدية ايضا **الاقتباسات** الكثيرة من القرآن الكريم، وأحيانا من الحديث والشعر والامثال العربية...

— وإذا كانت الرسالة في موضوع تولية فانها تمدح المولّى ولا تتضمن القدح في المعزول ربما «لما يظهر منه من ضعف الآراء عند اختياره، ولما فيه من ايغار الصدور» على حد قول الحلبي[190].

3 — بعض مميزات الرسائل الصادرة عن الخلفاء الى الولايات

تسمى الواحدة منها عادة «كتابا»[191]ويعبر عن المكتوب عنه بنون الجمع والمكتوب اليه بميم الجمع، ويبدو ان هذه «الكتب» كانت في الأصل تحمل العلامة الخليفية وهي «والحمد لله وحده»

---

(183) هناك حالة خاصة لم يذكر فيها المهدي بهذه الصفة ولا بصفة العصمة وهي الرسالة الموجهة من المرتضى الى العزفي (يحيى 11 — 17)، مما يبين نوعا خاصا من العلاقة بين الطرفين.

(184) قارن مع صبح الاعشى 443/6.

(185) انظر الرسائل رقم 10 و 40 و 41 و 42 و 44 (م ج).

(186) انظر مثلا اغلبية رسائل المخطوط الخاص.

(187) شهاب الدين محمود الحلبي في (حسن التوسل الى صناعة الترسّل) ص 335 وما بعدها.

(188) قارن رسالتي فتح قفصة : 30 و 31 مع رسالة ابن مبشر رقم (11) او رسالة ابن عبد الحميد رقم 8 (م ج).

(189) قارن بين رسائل العهدين الأول و الاخير مثلا رسائل العطاء الجزيل مع رسائل البيان المغرب في (م ج).

(190) نفس المصدر السابق.

(191) يبدو ان الرسالة التي تحمل اوامر خليفية خاصة برجال السلطة الجهوية تحمل عادة اسم كتاب، والرسالة الموجهة لقرائتها على الجمهور تسمى عادة خطابا (لاحظ بعض عناوين تقاديم مخطوط يحيى).

بعد البسملة والتصلية في اعلى «الكتاب»[192]، كما يبدو ان العلامة كانت بلون مغاير لنص الرسالة حيث يلاحظ ابن عذاري ان «التواقيع» كانت تكتب «بالمداد الأحمر المعروف للخلفاء» (ص 320)، غير أن النساخ كثيرا ما استغنوا عن هذه العلامة مثلما استغنوا احيانا عن صدر الرسالة كله أو بعضه كما هو الحال بالخصوص في رسائل التقاديم (بمخطوط يحيى)[193]، وكما استغنوا ايضا عن تاريخ الرسائل وعن الاسماء وتعويضها بفلان او بفلانة كناية عن القبيلة او الموقع، ولاتحمل الرسائل في هذه الحالات دعاءا للخليفة المكتوب عنه ولا لولي عهده ان كان له ولي للعهد.

4 ــ بعض مميزات الرسائل الموجهة الى الخلفاء عن الولاة

ــ يذكر فيها المكتوب عنه او عنهم باسم «العبد» أو «العبيد» في حالة ضمير الغائب مفردا او جمعا، ويخاطب الخليفة بصفاته وبضمير الغائب دائما سواء في حالة التذكير او التأنيث حسب نوع الصفة : «المقام الاعلى» أو «الحضرة الامامية»...[194] اي اعتبار مكانة الخليفة فوق مستوى المخاطبة بالكاف التي هي لعامة المخاطبين[195]. واذا ذكر اسم المكتوب عنه فانه يذكر مجردا من اية زيادة مثل «ابراهيم» كأنه نكرة تأدبا مع الخليفة المذكور ــ على العكس من ذلك ــ بصفاته المتعددة[196].
ــ يلاحظ ان صفات المدح والتقدير للخليفة تحتل احيانا اكثر من نصف الرسالة.
ــ كثيرٌ من الرسائل الصادرة عن الولاة غير مؤرخة وخاصة رسائل المخطوط الخاص[197]، بينما نجد كثيراً من رسائل الخلفاء مؤرخة ويبدو ان سبب غياب التأريخ هو البتر من طرف النّسّاخ.

5 ــ ومن المميزات العامّة للرسائل.

ــ أن بعضها يحمل اشارة لصفة الخليفة المكتوب عنه، ففي احدى رسائل المعتضد نجد الدعاء «وبالله تعالى نعتضد» ، «وهو المانّ بعضده»[198].

---

(192) انظر رسالة المنصور الى بيشة حول تنظيم التجارة بين الطرفين (35 م ج)، وانظر ايضا صورة رسالة المرتضى الى البابا في هسبيريس 1926 ونقلها عنان في تاريخه عن المرابطين والموحدين (ج 2).

(193) ومن الادلة على ذلك ان الرسائل المبتورة ليست لها بدايات متشابهة وتبدأ احيانا بواو العطف، وكذلك بالنسبة لعدد من رسائل المخطوط الخاص.

(194) انظر مثلا الرسالة رقم 19 يخاطب الخليفة يوسف في أولها بكاف الخطاب وبعدها يذكر صاحب الرسالة الاجماع على بيعته بامرة المومنين ويتحول في ــ نفس الرسالة ــ إلى مخاطبته بضمير الغائب انظر أيضا بقية الرسائل الموجهة إلى يوسف قبل الاتفاق على بيعته النهائية بالخلافة (مثلا رقم 12 و14 و15 و16).. ويخاطب الخليفة بجمع الغائبين «أمير المومنين ادام الله تأييدهم».

(195) مخاطبة الخلفاء بضمير الغائب استعملت بالاندلس في القرن الرابع الهجري (الحلل الموشية 32).

(196) انظر مثلا الرسائل رقم 70 و 73 و74 و 75 و 78 و80 و82 و88 و94 و96، واذا كانت الرسالة موجهة من امير وإلٍ الى غير الخليفة فان هذا الوالي يعرف بنسبه كما هو الحال في الرسائل 79 و90 وكذلك 37 و77.

(197) ما عدا رسائل المنّ 12 و 17 و18 و19 و 26 (م ج) وبعض رسائل العطاء والبيان ورسالة وحيدة في المخطوط الخاص هي رقم 70 (م ج) وكذلك الرسالة 58 الموجهة الى غير الخليفة فهي مؤرخة.

(198) التقديم رقم 42 (مخطوط يحيى ص 55).

ـــ كثيرا ما يقتصر اسم «الخايفة» على عبد المومن تشبيها له بابي بكر خليفة الرسول (ص) ويكتفي من جاءوا بعده باسم «أمير المومنين» أو «الإمام أمير المومنين» وينعت الخلفاء الموحدون باسم «الخلفاء الراشدين».

ـــ والملاحظ ان الرسائل الى عهد الناصر تحمل بعد الصلاة على الرسول (ص) ذكر «آله وصحبه»، أما بعد هذه الفترة فيقع غالبا الانتقال مباشرة من ذكر الرسول إلى ذكر المهدي ثم خلفائه «الراشدين» (الموحدين)[199].

ـــ في بعض الرسائل لا يقع اخضاع كنية الخليفة للقاعدة النحوية : فالكنية «ابو يعقوب» أو «أبو يوسف» في حالة الجر تحتفظ بهذه الصفة في الغالب بدلا من القول : «ابي يعقوب» أو ابي يوسف».

ـــ عندما تذكر المدن الموحدية تتبع بدعاء مناسب مثل «حرسها الله» أو «كلأها الله» أو «حاطها الله»... وعندما تذكر مدن نصرانية تتبع بالدعاء مثل «فتحها الله»، واذا كانت المدينة مما فقده المسلمون يكون الدعاء مثل «اعادها الله»، وهذا عندما تكون المراسلات في الحالات الثلاث بين السلطة المركزية والجهوية وليست مع الممالك المسيحية.

ـ ـــ في حالة المراسلة بين الموحدين وجهة خارجية يكون أسلوب المخاطبة على احد شكلين :

ـــ اذا كانت المراسلة من القمة الى القمة مثلا من المرتضى الى البابا، او من احد ولاة افريقية الى حاكم بيشة، أو من احد السادة ولاة بلاد الاندلس الى ملك قشتالة يذكر المكتوب عنه و المكتوب اليه كل باسمه إو صفته : مثلا «من عمر أمير المومنين، الى البَابَه إِينُهْ سَانِسْ أُشْ»[200] أو «من عبد الرحمن بن الخليفة... الى الأرسفسك وحكام بيشة» ، أو الارسفسك وقناصرة البر والبحر (رقم 47 و 52 م ج) أو «من عبد الرحمان بن الخليفة الى الشيخ الاجل.. جراردو (رقم 53 م ج) او الى القنصر كُذْفرِدَسكُونت... من عبد الواحد بن الشيخ الاجل»... (62 م ج)، وكذلك (37 م ج) عن والي مرسية الى ملك قشتالة والرسالة (77 م ج) عن والي اشبيلية الى الوصي على عرش قشتالة.

ـــ اما اذا كانت الرسالة الموحدية صادرة عما دون شخصية الوالي لا يذكر اسم المكتوب اليه بشخصه مثل حاكم بيشة فهما مختلفا المستوى، فيذكر المكتوب اليهم بصفتي الجمع والتعميم : مثلا الرسائل المكتوبة عن ناظر «ديوان تونس عبد الرحمن بن ابي الطاهر تسمي المكتوب اليهم في بيشة « الاشياخ والحكام... (46 و 50 م ج)، وكذلك الرسالة الصادرة عن عامل سبتة ناصح بن عبد السلام كتبها الى بيشة باسم «القناصلة»...(49 م ج).

---

(199) رسالة المرتضى الى البابا تذكر آل الرسول وصحبه (126 م ج) كما يُذكرون في رسالة تعزية عن الوالي «ادريس ابي العلاء (المأمون) زمن المستنصر، الرسالة بمخطوط الاسكوريال 488 غزيري (صفحة 70 أ و ب) (شريط خاص).

(200) هي الرسالة رقم 126.

أولا

الرسائل العامة

(مرتبة ترتيبا زمنيا)

الرسالة الأولى :

رسالة من المهدي ابن تومرت إلى المرابطين

تقديم :

منذ اعلان ثورة المهدي على المرابطين دارت بينه وبينهم معارك مسلحة، كما دارت بينهم حرب دعائية. واذا كانت بعض رسائل المهدي تتهمهم بالكفر وتعتبر دماء وأموال المرابطين حلالا على الموحدين، وان المهدي امره الله «بادحاض حجة الظالمين، ودعاء الناس الى اليقين»[1] فإن رسالة اخرى منه — لعلها هي اولى رسائله اليهم — لاتحمل مثل هذه الصيغة، وانما الدعوة الى تقوى الله واتباع السنة، بينما يعتبر هذه الرسالة المقدّمة هنا تحذيرا وانذاراً، وهذا نصها كما وردت في الحلل الموشية (ص 111 — 112) وفي مجموع مخطوط لجائزة الحسن الثاني لسنة 1978 (58 ب) لمؤلف مجهول (الخزانة العامة).

نص الرسالة :

الى القوم الذين استزلّهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية اللمتونية[2]. اما بعد، فقد امرناكم بما نأمر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وان الدنيا مخلوقة للفنا[3] والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا[4] عليكم حقوق بوجوب السنة[5]، فان اديتموها كنتم في عافية، والا فنستعين بالله على قتلكم حتى نمحو آثاركم، ونكدّر(ونهدم)[6] دياركم، (و)[7] حتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا[8] وكتابنا (هذا) إليكم إعذار وانذار[9]، وقد اعذر من انذر، والسلام عليكم سلام السنة لاسلام الرضى[10].

---

(1) ورد هذا التعبير في احدى الرسائل التي وجهها المهدي الى المرابطين وهي ضمن مجموعة رسائل موحدية نشرها ليفي بروفنصال مع مذكرات البيذق تحت عنوان : «اخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين» (ص 11)، ويظهر ان هذه الرسالة مسبوقة باخرى أو باخريات قبلها حسبما يفهم من عبارتها : «وقد بيّنا لكم وأوضحنا السبيل».

(2) تنقص هنا صيغة التجسيم المنسوب الى المرابطين.

(3) في الحلل الموشية للفناء.

(4) في المجموع : وقد أوجبت لنا.

(5) يهتم المهدي بالسنة باعتباره محييا لها، وسنجد في عدد من الرسائل المقبلة التوصية بالاهتمام بالقرآن والسنة.

(6) كلمة زائدة في الحلل.

(7) زيادة من الحلل.

(8) وهذا يعني ان ابن تومرت تطور من مرحلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى مرحلة استعمال السيف، انظر المعجب (192 — 193).

(9) ورد في المجموع هكذا : وكتابنا (اليكم هذا إعذار وانذار).

(10) اضاف صاحب المخطوط المجموع بعد هذا عبارة : «وهو اول كتاب كتبه اليهم».

الرسالة الثانية :

رسالة المهدي إلى جماعة «الموحدين»
(الرسالة المنظمة)[1]

تقديم :

وجه ابن تومرت رسائل الى جماعة «الموحدين» المؤمنين بمهدويته وعصمته وبتكفير غيرهم، منها الرسالتان اللتان اوردهما بروفنصال في «أخبار المهدي...» (1 — 8)و (8 — 10)[2]، ومنها ايضا الرسالة التي وردت بكتاب «اعز ما يطلب»[3] والتي يفضح فيها المهدي سياسة المرابطين ودور فقهائهم «وتلبيساتهم» على الناس لمنعهم من اتباع دعوته.

وردت هذه الرسالة ضمن رسالة اخرى لعبد المومن وجهها الى كزولة على سبيل تذكيرهم بأقوال المهدي في المرابطين ليتحول الكزوليون عنهم تماما الى الموحدين، وهذا نص رسالة المهدي[4].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، **الى جماعة اهل التوحيد**[5]**وفقهم الله لما يحبه**[6] ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، **فإنا** نحمد إليكم الله الذي لا إلاه الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيّه ورسوله، والذي نُوصيكم به تقوى/الله

---

(1) هكذا سماها البيذق في «اخبار المهدي» ص 95 طبعة دار المنصور بالرباط.

(2) وسماه ايضا : Documents inidits d'histoire Al Mohade.

(3) مخطوط خ ع : ق 1214 ص 122 وما بعدها، وقد نشر الرسالتين مع تعليق عليهما الأستاذ عمار الطالبي ضمن السلسلة التاريخية من منشورات الجامعة التونسية التي تحمل عنوان «اعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته «1979، ص 95 — 110، وسترد فيما بعد. انظر أيضا «أعز ما يطلب» ط الجزائر 1985 ص 257 — 264.

(4) وردت مباشرة بعد رسالة عبد المومن الى كزولة حيث وضعت في المخطوط قبل الفقرة الأخيرة التي تبدأ ب : فاذا وصلكم كتابنا هذا...

(5) اهل التوحيد او الموحدون : نواتهم الأولى من المصامدة بالخصوص، سماهم المهدي بذلك لاتباعهم في نظره عقيدة التوحيد الحقيقية، وصنفهم طبقات، وسيقوم عبدالمومن بتعديل لهذه الطبقات بحيث لن يعود لفظ الموحدين، خاصا بالمصامدة (الرسالة 12 من م ر م لبروفنصال) وسيصبح ايضا لكلمة التوحيد مدلول سياسي يعني الخضوع لدولة الموحدين (انظر الرسالة رقم 26 حول «توحيد» ابن همشك).

(6) الكلمات المكتوبة بخط سميك هي كذلك في المخطوط.

والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه[7].

كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا اخباركم، وقيامكم في نصرة الحق واجتهادكم على إحياء السنة، وتألُّفكم وتعاونكم على إظهار الحق، واجتماعكم على إخماد الباطل والضلال، وجهاد المجسّمين والمفسدين، فحمدنا الله تعالى على ذلك وشكرناه اذ منّ علينا بالاخوان على اظهار الدين واحياء[8] السنة، امتثالا لقول الله تعالى : «وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ»[9]، فنبه على ان كثرة الإخوان والانصار منّة منه عظيمة، لأن[10] بأنصار الحق يظهر نور الحق وجمال الدين، وبه يهدم الباطل والضلال حتى تمتحي[11] آثاره ورسومه، وتبقى بعده انوار الحق مشرقة واعلامه واضحة.

فلما كان الحق لا ينصر والدين لا يظهر الا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله امر المجاهدين وبيّن فضلهم، واخبر ان الجهاد بالاموال والانفس تجارة تنجي من عذاب اليم، فقال تعالى : « يايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم» الى قوله : «ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[12]، فسماه تجارة لما فيه من الأجر الدائم، والثواب الباقي استعارة وتقريبا للأفهام، ليفهموا ما فيه ويرغبوا فيما ذكر فيه من درجات المجاهدين وما اعد الله لهم، فسمَّى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء لأن المجاهد باع نفسه وماله من ربه، فاشترى منه ربُّه مالَه ونفسَه بالثمن الباقي الدائم الذي لا زوال له وهو الجنة ونعيمها، فأخبرنا بذلك ليَرغب فيه الراغبون، ويسعى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوه، وعلموه يقينا وحققوه، باعوا انفسهم من الله اذ لا شيء اعز عندهم منها، فلما عَلِمَ صِدْقهم وايمانهم اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي فيها مالا عَيْنٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل، قال الله تعالى : «إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، (الى قوله) ذَٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ الْعَظِيمِ»[13]. ولهذا عظّم الله الشهادة، وجعل القتل في سبيل الله حياة لئلا يظن الظّان انه ميت فقال تعالى في كتابه : « وَلاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، (إلى قوله) وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ»[14]، وقال تعالى : «وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ (عند ربهم) وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ»[15] فلما علم رسول الله ﷺ فضل الشهادة أمر بذلك اصحابه وتمني القتل في سبيل الله، فقال ﷺ : «ودِدْتُ أَنّي أُقاتِل في سبيل الله فأُقتَل ثم أُحيَى فأُقتَل ثم أُحيَى فأُقتَل» فكرر ذلك

---

(7) ستستمر هذه الصيغة في الحمدلة والتصلية والتوصية في الوجود ضمن الرسائل الصادرة عن الخلفاء الموحدين اقتداء برسائل المهدي.

(8) في الاصل : واحيا.

(9) من الآية 87 من سورة الاعراف.

(10) كذا بالاصل.

(11) كذا بالاصل، وهو صحيح لغة.

(12) من الآية 12 من سورة الصف.

(13) الآية 112 من سورة التوبة، وفي هذه الآية «وذلك هو الفوز العظيم».

(14) الآيتان 169 — 170 من سورة ال عمران.

(15) الآية 153 من سورة البقرة، وفي الآية : «بل احياء ولكن لا تشعرون».

تعظيما لأمر الشهادة، وفي فضل الشهادة كثير من الأخبار. فلما علم أصحابه فضل الشهادة سألوا الله عزّ وجل ان يرزقها لهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك» وغيره، لتصديقهم بالكتاب ويقينهم بالثواب[16]، فلما علموا أن وعد الله حق، جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، رجاءا لثواب الله ونصرة للدين، فجعلوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة، وبذلك وصفهم الله في كتابه فقال تعالى : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، (الى قوله) لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا[17]... «(الآية) فقاتلوا الأعداء على دين الله صابرين على البأساء والضراء محتسبين ما أصابهم في سبيل الله بالاموال والانفس في جنبة الله لعلمهم بأن ذلك كله في موازينهم، فصبروا على المكاره، وحملوا المشاق، حتى انجلت عنهم ظلمات الجهل والضلال «فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ[18]»، فكل هول وشدة غشيهم قابلوه بالقوة والتوكل على الله، وكل ضرر وأذى[19] مسهم قابلوه بالصبر والاحتساب حتى فتح الله لهم، فجا(ء)هم[20]الفتح والنصر.

والدين الذي جاهدوا عليه هو الدين، لا يحول ولا يزول، حتى ينفخ في الصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه، لاتتبدل[21] ولا تتغير، حتى يرث الله الارض ومن عليها. فاصبروا على هذا الدين كما صبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، واحتسبوا ما أصابكم في سبيل الله كما احتسبوا تنالوا عند الله من الاجر ما نالوا فإنهم إنما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد، والاستعداد بالاعمال الصالحة، ولزوم التقوى في السر والعلانية، فاقتفوا آثارهم واسلكوا سبيلهم، وتأسّوا باعمالهم، قد كانت لكم فيهم أسوة حسنة، فالجهاد على الدين والصبر على الأذى[22] نعمة عظيمة لا يؤدى شكرها، فعظّموا ما عظم الله، واعرفوا قدر هذه النعمة التي خصّ بها الله اهل التوحيد/ ومنّ بها عليهم حتى اخرجوا من ديارهم واوذوا على دينهم، ولاشك ولا ريب ان من تحمّل ذلك وصبر فأجره عظيم عند الله تعالى لا جزاء[23] له الا الجنة لقوله تعالى : «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا لأُكفِّرَنَّ عنهم سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ، واللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ»[24]، فاذكروا هذا واشكروا الله عليه كثيرا، واغتنموا الأجر والثواب في هذه الايام قبل فواتها، وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله حق جهاده، **فجهاد**

---

(16) في الأصل : بالتواب (بنقطتين على التاء).
(17) الآية 29 من سورة الفتح.
(18) من الآية 146 من سورة آل عمران.
(19) بالاصل : وأذاء.
(20) الهمزة ناقصة في الأصل.
(21) في الأصل : ولا تتبدل.
(22) في الأصل : على الاذاء.
(23) الهمزة ناقصة في الأصل.
(24) من الآية 195 من سورة آل عمران والصواب : «والذين هاجروا...».

الكفرة الملثمين قد تعيّن على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجة لهم عند الله، فانهم سعوا في هدم الدين واماتة السنة، واستعباد الخلق[25]، وتمادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في اخذ اموالهم، وخراب ديارهم وفساد بلادهم، وسفك دمائهم، واستباحوا اكل أموال اليتامى والأرامل، وتمالأوا[26] كلهم على ذلك وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت حتى اعتادوا الاسراف والتبذير في اللّذيذ من الطعام، والرقيق من الثياب، والخيل المسوَّمة وغير ذلك مما عُلم من اباطيلهم وجورهم وفسادهم في الأرض، قد علمه الخاص والعام، واشتهر في سائر البلدان، وقد ظهر[27] باطلهم للصغير والكبير لا يحتاج الى بيان، ومن اعظم أباطيلهم[28] أن من رأوه تاب الى الله وأناب الى الخير، واشتغل بتعليم فرائضه، ومايلزمه من توحيده وغير ذلك مما يصلح به صلاته، وترك الفواحش والمحارم، واشتغل بما ينفعه في آخرته ودنياه، فكل من رأوه على هذه الصفة رموه عن قوس العداوة بسهام الغل عدوانا وظلما، وقالوا له ضللت وخرجت من الدين، نسبوه الى البدعة ليسدّوا بذلك باب الثوبة[29] ويقطعوا طريق الآخرة ويصدّوا عن سبيل الله، وقد أهانوا كثيرا من الناس وعذّبوهم على أديانهم، ومنهم من قتلوه على دينه بعد التعذيب، ليعتبر به غيره حتى لا أحد يتوب الى الله ولا يرجع اليه، وقطعوا طريق الله وأبواب الخير والتوبة ليبقى/ لهم السحت، ويدوم لهم الحرام[30] يتقلّبون فيه ويتنعمون، فحملهم ذلك على عناد الحق وإنكاره بتعذيب الناس وقتلهم عليه ولم نسمع بهذه الافعال ولا نظن انها تكون بعد الجبابرة والفراعنة الذين يعذبون الناس على الحق بأنواع العذاب ويقتلونهم عليه، حتى جاء هؤلاء الكفرة، فاذا هم اشد طغيانا وعنادا ؛ فهذا فعلهم بكل من حفظ دينه وتوحيده، وايقن بلقاء ربه ووعده، وحسبوا ان ذلك كله هدى، وزّين لهم سوء اعمالهم، ورأوا أن جميع افعالهم سنة ودين، وكل من خالف افعالهم خارج عن الدين ، وضال عندهم، فاذا رأوا مجسّما سفيها مضيعا، على الفجور والخمور مصرّا، او قاطعا للطريق سفاكا، أو عاصيا فاجرا، أو متهاونا بالدين، مستخفا بالحق، قربوه ورفعوه وأكرموه، لفعله مثل افعالهم وسلوكه لسبيلهم، ونسبوه الى الهدى والسنة، واعطوه السحت والخبيث ليتقوى به على قطع طريق الآخرة وسفك دماء أهل التوحيد.

فهذه[31] صفة المؤمن عندهم الذي تمسك بسنة رسول الله ﷺ واعتصم بدين الله، وهذا اجتراء على الله، واستهزاء باياته، وتلاعب بدينه، حجبهم الله عن الحق، وحال بينهم وبين الاقرار به، عصمنا

---

(25) في الأصل : واستبعاد الخلق.

(26) كتبت في الأصل : وتمالوا.

(27) الكلمتان (وقد ظهر) كتبتا في الاصل بحروف غليظة.

(28) في الأصل : اباطلهم.

(29) كذا في الأصل بالثاء الثلاثية.

(30) في الأصل : مصححة من كلمة (الخير).

(31) الكلمة بخط غليظ في الأصل.

الله من بليتهم، وسلّمنا مما نزل بهم، وأعاذنا من فتنهم[32] ومصيبتهم، حرمهم الله الآخرة، ووسع عليهم في الدنيا حتى افتتن كثير من حزب الشياطين، وجنوده من أبناء الدنيا المذبذبين، **والبرابر المفسدين، والملبّسين من الطلبة المكّارين،** وغيرهم من أولياء الشياطين **وأعوان الكفرة الملثّمين.**

فهذه الطوائف الثلاثة الذين شمروا وتجرّدوا لهدم الدين واماتته، أعني أهل التجسيم الملثمين والبرابر المفسدين والمكارين الملبسين من الطلبة وهم شر الثلاثة تسمّوا باسم العلم، ونسبوا انفسهم الى السنة، وتزينوا بالفقه[33] والدين، وتعلقوا بالكفرة، وانحازوا الى جَنْبِهم، واستفرغوا مجهودهم في معونتهم وفي طلب مرضاتهم، لما رأوا الدنيا في جنبتهم، وتركوا دينهم وراء ظهورهم، واعانوهم على باطلهم، فصوّبوا لهم ضلالهم عن الطريق وحَيْدَهم عن السبيل، وقالوا لهم انهم على الحق المبين والطريق المستقيم، انتم انصار الحق واوتاد الدين، فزادوهم ضلالا على ضلالتهم وعنادا على عنادهم حتى/ ظنوا انهم في الطريق المستقيم، وعلى الطريق المبين كما قالوا، واذا هم في ضلال وخسران، غرّوهم ولبّسوا عليهم ليتحيّلوا بذلك على ما في ايديهم، وليصونوا بذلك دنياهم، فغرتهم الدنيا حتى جحدوا ما استيقنته أنفسهم من الحق لينالوا بذلك الحظ العاجل، ويجمعوا به الحرام، «وَلَبِيسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون»[34]. فلولا ان رسول الله ﷺ عيّن الدجاّل بصفته لقلنا : ان هذا هو الدجّال وهؤلاء أتباعه، لما ظهر منهم من الميل الى الدنيا وتبرئهم من الدين وانكارهم الحق واتباعهم الباطل، ويقطعون الناس عن الحق ويردّونهم الى الباطل، لينالوا مرضاة[35] الكفرة بسخط الله وطاعتهم بمقت الله، فلبسوا على الناس بالزور والغرور، وظنوا ان الأمر كما قالوا، وحسبوا أن ذلك هو الحق، وإذا هو تلبيس وحيلة يردونهم بها إلى الباطل، وطاعة أهل التجسيم والفساد والانحياز إلى جنبتهم لينالوا بذلك ويصلوا إلى بغيتهم، وقالوا لهم : طاعتهم لازمة، والانقياد اليهم واجب عليكم، مع علمهم بعناد الظلمة للحق وخروجهم عن السبيل، وقالوا لهم : عليكم السمع والطاعة في كل ما امروكم به، مع علمهم بانهم لا يأمرون الا بالباطل والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل، وقالوا لهم تلزمكم طاعتهم في ذلك كله، اتباعا لأهواء الكفرة وافترا(ءا)[36] على الله، فبغضوا اليهم اهل التوحيد، وحذروهم من الرجوع اليهم وسلوك سبيلهم، ولبّسوا عليهم بتبديل الكلام، وتحريف القول بالزور والبهتان، وتقوّلوا علينا ما لم نقل (تنحيا)[37] وتبغيضا للحق عند العوام حتى لايستمعوا اليه ولا يقبلونه[38] ، وعدوا لهم جملا من الأبواب، ونسبوا ذلك كله الينا ليقرروا به بغض الحق في قلوب الناس ودلسوا عليهم بهذه[39] الابواب ليكون ذلك تنفيرا لهم عن سماعها فضلا

---

(32) كذا في الأصل بالجمع.

(33) كلمة (الفقه) مطموسة جزئيا بمداد او بوسخ.

(34) من الآية 101 من سورة البقرة.

(35) في الأصل : مرضات.

(36) في الاصل : وافترا.

(37) كذا بالاصل، وصححها عمار الطالبي : تهجينا.

(38) كذا بالاصل والأصح : ولا يقبلوه.

(39) في الأصل : بهذا.

عن قبولها الناس، فمنها انهم قالوا : هذا رجل يكفر المسلمين، ويمتنع من الصلاة على أهل القبلة، ويقول : ان من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة[40] والصيام وغير ذلك من العبادات، ويرد المطلقة ثلاثا الى زوجها، والمناكر والفساد في الأرض[41]، والاعتداء على الناس في اديانهم وانفسهم واموالهم، والاعتداء[42] هو أدنى مراتب/ أباطيلهم، فجهادهم عليه فرض لقول رسول الله ﷺ : «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (الحديث)، ولا شك انهم بغوا على الناس في أديانهم وانفسهم وأموالهم، فمن قتِل من المجسمين والمفسدين فهو في النار ومن قتل من الموحدين المجاهدين فهو شهيد.

فحسّنوا نياتكم واخلصوها، وَقُوُّوا[43] انفسكم، واعلموا أن الله لا يخلف وعده، ولا بد ان ينصر الحق كما وعد، ويبطل الباطل كما وعد، فخذوا بحظكم من الجهاد على الحق ونصره، فحزب الله هم الغالبون، والعاقبة للمتقين، واصبروا على دينكم في البأساء والضراء، فانكم على الحق المبين عنه تدافعون، وعليه تقاتلون، فأيقنوا بثواب الله وصدّقوا بما ورد في الجهاد، واعتصموا بالله، هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير، جعلنا الله واياكم من عباده المخلصين، ومن حزبه المفلحين[44].

---

(40) في الاصل : قضا الصلاة.

(41) كلمة (الارض) تأثرت بالأرضة، ويبدو ان هذه الجملة تنقصها كلمة مثل : (وينشر) المناكر...

(42) الهمزة في الاصل ناقصة.

(43) في الاصل : (وقوا) وتم تصحيحها في الهامش بمداد وخط مغايرين.

(44) بعد نهاية رسالة المهدي تمّم عبد المومن رسالته إلى كزولة، وقد عبّر عن ذلك جامع كتاب «أعز ما يطلب» كما يلي : ومن كلام أمير المومنين رضي الله عنه فإذا وصلكم كتابنا (الفقرة الأخيرة من الرسالة الرابعة).

الرسالة الثالثة :

رسالة عبد المومن بفتح تارودانت

تقديم .

كانت وفاة المهدي سنة 524 على أغلب الروايات، وأعلنت البيعة العامة لخليفته عبد المومن سنة 527 أو سنة 529[1]وعززها ببعض العمليات العسكرية، فأوصل نفوذ الموحدين الى «هسكورة الجبل» «وصنهاجة الجبل»[2]، أي تمديده الى شرقي تنملل، كما كان يحاول مده الى غربها بحيث استطاع سنة 529 فتح مدينة تارودانت كبرى مدن السوس وهو الاقليم الذي كان يوجد به احدى اهم القبائل المدعمة للمرابطين وهي جزولة زيادة على اهمية الاقليم الاقتصادية[3]. ولا يتضح ما اذا كان فتح تارودانت 529 نهائيا ام انه مجرد عمليات للغنائم وللضغط على السكان للتخلي عن المرابطين وبالخصوص قبيلة كزولة[4]، وقد ورد ضمن احداث سنة 529 بنظم الجمان ذكر رسالة نسبها (ابن الراعي) الى عبد المومن فرأى ابن القطان اثباتها هنا ليتبين كيفية فتح السوس[5].

نص الرسالة :

وذلك ان فيها فتح السوس وان الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله الى آخره، من فوقه الى أسفله[6]، فقتل اهله، وانجلى من لم يقتل منهزمين الى كل افق مما حواليه من هنكيسة وجزولة، وبعضهم قد انحصر مع الملثمين بتيونوين[7]، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين، ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه، فانقبضوا

---

(1) التاريخ الأول ذكره البيذق في اخبار المهدي،، ص 95 والثاني ذكره ابن القطّان (209 — 210)، ومن الواضح هنا سهولة الخلط عند النساخ بين كتابة رقمي سبع وتسع .

(2) نظم الجمان 210.

(3) لعل هذا من اهم ما جعل المرابطين يكثفون جهودهم في هذه الفترة لابقاء السيطرة على السوس ومنع الموحدين من النزول اليها من الجبال، هذا بالاضافة الى امكانية تطويق الموحدين للمرابطين.

(4) انظر غزوة عبد المومن الأولى لجزولة مع تاشفين و «الشنيور» البيذق 45، وسيرد ذكر دخول الموحدين الى سوس سنة 534 أو 535 وغنم بعض بلادها، (البيان 98/4)، اما ارض كزولة فيجعلها ابن سعيد المغربي تمتد فيما بين سهل سوس ومشارف سجلماسة» (كتاب بسط الأرض 58)، وحاضرة كزولة هي الكست التي لا يسافر اليها الا اهلها (اي محدودة النشاط التجاري) المعجب 361، انظر ايضا عن كزولة في الفصل الأول خصائص الرسائل 2، 3، 4 والفقرة الثالثة من الدراسة العامة.

(5) لم يرد في الرسالة الحديث عن فتح ايغلي، وانما ذكره ابن القطان قبيل ايراده للرسالة في نظم الجمان ص 210.

(6) انظر عن بلاد السوس : الادريسي (39 — 40) ن بيريس، الاستبصار 211 وما بعدها، الروض المعطار (329 — 330). وردت كلمة سوس في النص تارة معرفة وتارة نكرة.

(7) تيوينوين : احدى مدن السوس الكبرى، الادريسي (39 — 40) ن بيريس.

بتيونوين في ذل وخزي ورعب، لا يستطيعون حيلة، ولا يقدرون على حركتهم والحمد لله الذي اظهر ضعفهم واخذهم بسوء فعلهم.

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا، فقام المخذول العلج الأعرج[8] من «أجرفرجان»، فاقتحم بنفسه في طريق إيغيران تطوف[9] في حالة غفلة من الموحدين أعزهم الله تعالى الذين عليها[10] حتى جاز عليهم، ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربين، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا الى بلاد السوس، ولاشك في ان الله تعالى قد علم في ذلك خيرا، اذ هو المدبر لهذه الامور ولم يكلها الينا والحمد لله رب العالمين.

ولم يصل العلج الا بنحو اربعمائة برذون، فلما وصل الى تيونوين تسامع به من فرَّ الى الاطراف من بقية اهل سوس، فكان هو معبودهم ومُتَّبَعَهم، فاتكلوا عليه ونسوا ربهم، وجهلوا امر الله تعالى، واغتروا بقدومه، فرجعوا الى أوطانهم، وحسبوا انه يمنعهم من بأس الله **مع انهم لم يجدوا في الدنيا مهربا ولا ملجأ**، فبادروا الى النزول في بلادهم[11]، فميزنا عسكرا مباركا من خيل ورجل، فخرجوا الى ناحية تارودانت[12]، وبعثنا تلك الليلة سرية الى أسفل السوس، فوجدوا بلاد المجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم، فقتلوهم وغنموا اموالهم بقرا وغنما ودوابًّا[13] وعبيدا وسبوا ذراريهم واهاليهم، ورجعوا سالمين غانمين ؛ ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية اعني أسفل السوس، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى، وغنموا اكثر مما غنم[14] أصحابهم.

وأما العسكر فقصدوا الى تارودانت حتى دخلوها، فوجدوا البقية/ التي رجعت اليها هاربين قد بعث اليهم الملثمون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين اعزهم الله تعالى قد اقبل اليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم، قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى، فهربوا الا بعض من كان في أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة[15]، فقتل الموحدون من وجدوا.

ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار في القصب[16]، اذ لا يقدر عليه من كثرته الا بالنار، ونحن ننظر[17] الى الدخان قد علا وارتفع

---

(8) العلج هنا قد يكون هو الربرتير رئيس فرقة النصارى المرتزقة، وهو الذي يسميه البيذق (الشنيور (ص 45).

(9) أو ايغارن يطوف وهو طرف جبل درن الكبير الداخل في البحر (كتاب بسط الأرض 57).

(10) في الأصل : الذين عليهم.

(11) لم يتضح هل ما سبق من نص الرسالة أم تصرّف فيه ابن الراعي أو ابن القطّان ؟.

(12) تارودانت مدينة صغيرة او قرية كبيرة هي حاضرة السوس، وهي اكثر البلاد قصب سكر، ومنها يجلب الى جميع بلاد المغرب والاندلس وافريقية (المعجب 361، والاستبصار 211 ــ 212).

(13) كذا في الأصل (المحقق).

(14) في الأصل : غنموا.

(15) تاجندويت ورقالة : موضعان لم نتمكن من التعرف عليهما.

(16) يبدو ان المقصود هنا قصب السكر الذي تشتهر به المنطقة، انظر الادريسي 39 (ن بيريس) الروض المعطار، مادة السوس، والهامش 12 سابقا.

(17) في الأصل : ننظروا.

في الهواء[18]، وتألف فصار كالسحاب المتراكم، والكفرة بتيونوين لا يقدرون على أكثر من النظر الى الدخان، والنيران تضرم في منازلهم وأوطانهم، وهم مع العلج لم يزدادوا بقدومه عليهم الاشدة هول وحصار وخوف وجوع ؛ ولما أيقن البربر وغيرهم بعجز العلج انكسرت قلوبهم، واستمرت الهزيمة عليهم، والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم[19]، وانتقم منهم بحربهم[20].

---

(18) الهمزة ناقصة في الأصل.

(19) يتضح من هذا ان الموحدين لم يستولوا على تيوينوين.

(20) للمزيد من الوضوح حول هذه الرسالة انظر خصائصها في الفصل الأول.

الرسالة الرابعة :

رسالة عبد المومن إلى كزولة
(وجه معها «الرسالة المنظمة»)

تقديم :

كانت كزولة احدى اهم القبائل المدعمة للدولة المرابطية وستظل ايام الموحدين موطنا للثوار عليها كما سنرى فيما بعد، وفي خلال تصاعد الحركة الموحدية تعرضت كزولة لضربات من اهمها تلك التي حدثت سنة 533 او 534 اثر هزيمة جيش الأمير تاشفين المرابطي(1)، فخضعت كزولة او قسم منها للموحدين، فرأى عبد المومن أن يوجه اليها رسالة يحثها فيها على التخلي عن المرابطين ومعها رسالة قديمة عن المهدي يظهر فيها «تلبيسات» هؤلاء لمنع الناس عن اتباع الدعوة الموحدية وقد وردت الرسالتان ضمن «اعز ما يطلب»(2)، ورسالة عبد المومن غير مؤرخة، غير ان الاستاذ عمار الطالبي يرجح لها تاريخ 537، وهذا نصها كما وردت في «أعز ما يطلب»(3).

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم (   )(4)/ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله(5)، والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه.

كتبنا اليكم هذا الكتاب نصيحة وتنبيها وتذكرة وتأكيدا في تبليغ الحجة، لحسن ظننا بكم، وقوة رجا(ئ)نا(6) فيكم ورغبتنا في الخير، ونيل الحظ الأوفر عاجلا وآجلا، وان العز في الدنيا والآخرة لا ينال الا بطاعة الله وتقواه، ولما اعتقدنا في ذلك من الاحتساب واغتنام الأجر في النصح، والدعاء الى الله والدار الآخرة، وأمضينا في ذلك عزيمة لا تنثني ولا تمل، ولا ينقطع بها رجاؤنا، وهو كان سبيل امامنا رضي الله عنه، وعليه يكون(7) الى يوم القيامة — باذن الله — تنبيه الغافل وتعليم(8)

(1) البيان ج 96/4، و ج 11/3 (طبعة تطوان).

(2) انظر تقديم رسالة المهدي (رقم 2).

(3) مخطوط الخزانة العامة بالرباط ق 1214.

(4) ورد في المخطوط بعد البسملة والتصلية : رسالة أمير المومنين أيده الله الى كزولة.

(5) هذه حالة شاذة في الرسائل الموحدية حيث لا توجد الترضية عن المهدي، الا اذا كان هذا سهوا من الناسخ.

(6) في الأصل : رجانا.

(7) في الأصل : نكون.

(8) في الأصل : وتعلم.

الجاهل، ولو يعلم الناس ما اردنا بهم من الخير لسارعوا، وهذا مرادنا لأهل الدنيا كافة، لما تعيّن من فرض اداء النصيحة وتبليغ الحجة، مع ما سمعنا عنكم وبلغنا عنكم — معشر كزولة — من القصد وحسن النية، وصحة المذهب وصفاء المودة والقيام بحسن الصحبة.

وقد تعجّبنا منكم كل العجب، والتبس علينا امركم، ولم ندر من أين أوتيتم ابغضاً منكم للحق ام جهلا بمنافع انفسكم، ام تعامٍ عن رشدكم، وليس هذا من حكم العقلاء ولا افعال الاحرار، ولو لم تكن الا الحمية والخروج إلى الحرية من عبودية الاشرار، اللُّثُم، الغُتم، الصم، البُكم، العراة، الحفاة، اهل الجهل والجفاء، الذين لا يرضى بصحبتهم من له أدنى عقل ومَيْز، فكيف بعبوديتهم، والكون تحت ايديهم وفي خدمتهم، واعانتهم على جورهم وجهادهم[9]وكفرهم وطغيانهم بالاموال والأولاد والانفس، ولو لم يكن الا ترجيح المنافع في الدنيا، واختيار منزلة الحرية عن منزلة العبودية فكيف اختيار خير الدنيا والآخرة، والعز الدائم في الدنيا عن الذل والهوان في الهوان، والعذاب الاليم في الآخرة «ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»[10]، فما عذر من سمع قيام المهدي في المتخلف عنه[11]، ولو كان ببلاد الصين والهند[12] حتى يلحق به ويلتجىء اليه وينجو[13] في سفينته من الغرق العام، فكيف بقوم بعثه الله / فيهم وقام بين أظهرهم، ودعـ(ـاهم)[14]الى طاعة ربهم، وقاتل على[15] من عاند وكفر بطائفته المؤيدة المنصورة الى أن لحق الله بعد ايضاح الحق وإقامة برهانه، ثم لم تزل بعده طائفته قائمة بامره، متمسكة بمذهبه الى ان اقام امره ثلاثا وعشرين سنة، فلم يزدد اهل الدنيا الا التعامي والتمادي الى ماهم عليه والعناد للحق والعتو والطغيان، ولكن حرموا التوفيق «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَا(ء)»[16] فإن من الانصاف اذا ذكر الحق ان يصل اليه كل من تشرع بشريعة الاسلام، وادعى أنه من امة محمد عليه السلام، فليسمع باذنه ويرى ببصره، ويميز بعقله الذي أعطاه الله للميز بين الحق والباطل، وبين منافعه ومضاره من منافع دنياه وآخرته، فإن الحق عليه نور لا يخفى على احد، فإن وجد الحق فلا عذر له في تركه، وان وجد خلافا فلا يضره وصوله اليه، وان لم يفعل هذا فلا حجة له عند الله.

ولما وصل بعض عسكرنا الى تلك الجهات، فهاجر اليه بعض اخوانكم، وعرفنا بما تحقق عنده من احوالكم في الخير وصحبة اهل التوحيد، والانحياز[17]الى جنبتهم، واثنى عليكم بكل خير، فازداد رجاؤنا فيكم، وتأكد حسن الظن بكم، فأوجب ذلك مخاطبتكم، وقد علمنا ما لبّس به

---

(9) كذا في الأصل، والظاهر ان الكلمة فيها خطأ.

(10) من الآية 14 من سورة الزمر.

(11) الصواب : التخلف عنه.

(12) كلمة (الهند) نالت الارضة من وسطها

(13) في الأصل : وينجوا (بالالف).

(14) لم ينج من فعل الأرضة غير حروف : ودع.

(15) يبدو هنا نقص كلمة مثل (الحق) او (التوحيد).

(16) الهمزة ناقصة في كلمة يشاء وهذه الآية هي رقم 55 من سورة القصص.

(17) في الأصل : والانحيار.

الملبسون على الناس وما صدّوهم به عن سبيل الله، فرأينا ان نبعث اليكم كتابا من كتب المهدي رضي الله عنه الى بعض اهل التوحيد في اول هذا الامر، بين فيه بعض تلبيساتهم وما صدوا به عن سبيل الله ربهم، لتقفوا عليه وتعرفوا به تلبيسهم، وكيف اضلوا الخلق عن طريق الاخرة، وبغّضوا إليهم هذا الامر ؛ فإذا وقفتم عليه وتأملتموه بيّن لكم ـــ ان شاء الله ـــ وجه تلبيسهم وإضلالهم الخلق بتحريف القول والافتراء على الله ورسوله[18].

فإذا وصلكم كتابنا هذا فتأملوه وتفهموه، فان كلام المهدي ـــ رضي الله عنه ـــ نور وضياء ورحمة وشفاء لما في الصدور، وهو كله حكمة وعلم وموعظة فاذا تأملتموه ينفعكم الله به، وتجدون بركته ان شاء الله عز وجل، فاشكروا الله عز وجل الذي خصّكم [19] به، واعرفوا نعمة الله عليكم فقد خصصناكم به لقوة رجائنا فيكم، وطمعنا لكم في الانتفاع به في الدنيا والآخرة، ولم نخص به احدا قبلكم، فتأملوه فان معانيه[20] عظيمة، وحكمه[21] بليغة، فأقبلوا عليه بأفهامكم، وتأملوا حكمته بعقولكم، فانكم لا تخيبون من بركته ان شاء الله بفضله ورحمته، ونرجو[22] لكم خير هذا الكتاب والانتفاع به ونحن نحب لكم ما نحب لأنفسنا من الخير، ولا نريد لكم الا الخير والعز الدائم في الدنيا والآخرة ان شاء الله فكونوا عند الظن بكم، وانظروا لانفسكم واعلموا ما يراد بكم، ولا تتركوا حظكم من الخير، وهذه تذكرة ونصيحة، فقد ذكّرناكم فتذكّروا ونهيناكم فانتهوا، ونصحناكم فاقبلوا، ودعوناكم فاجيبوا ؛ زوّدنا الله واياكم بالتقوى وختم لنا واياكم بالحسنى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير،[23]، (كملت الرسائل بحمد الله وعونه وصلى الله...).

---

(18) بعد هذا وردت رسالة المهدي رقم 2 ثم بعدها أكملت رسالة عبد المومن بالفقرة اللاحقة هنا. قارن ماسيأتي مع تعليق لعبد المومن على احدى رسائل المهدي في الصفحة 10 من «أخبار المهدي» بروفنصال.

(19) في الأصل خلصكم.

(20) في الأصل توجد نقطة على العين.

(21) في الأصل : وحكمة.

(22) في الأصل : ونرجوا (بالالف).

(23) بعد (النصير) توجد علامة نهاية الرسالة.

الرسالة الخامسة :

رسالة الشيخ أبي حفص الهنتاتي
عن مقتل الثائر الماسي

تقديم :

تمكّن الموحدون بعد حملتهم الطويلة ضد المرابطين من فتح عاصمتهم مراكش سنة 541، وخلال هذه الفترة او بعدها بقليل اندلعت الثورات ضد الموحدين، منها ما اتخذت طابعا مذهبيا وسياسيا كتلك التي تزعّمها محمد ابن هود المعروف بالماسي الذي ادعى الهداية[1]، فوجّه اليه الموحدون حملات متوالية الى ان تمكنّوا من القضاء عليه. وأهمّ هذه الحملات تلك التي تزعّمها الشيخ ابو حفص الهنتاتي[2] في اواخر سنة 542 على الأرجح، وبعد انتصاره اهتدى الى اكتشاف الكاتب المرابطي ابي جعفر ابن عطية[3] متسترا ضمن جنده، فكتب عنه رسالة النصر الى الخليفة عبد المومن وهي الرسالة التي اوصلته الى مرتبة الكتابة ثم الوزارة لدى الخليفة :

هذه الرسالة اوردها جماعة من المؤلفين الذين ترجموا للكاتب ابن عطية كنموذج لانتاجه في فن الرسائل، فهي عند :

المقّري	:	في «نفح الطيب» ج 5 (187 — 188)، دار صادر، بيروت.
ابن الخطيب	:	في «الاحاطة» ج 1 (269 — 270)، القاهرة 1973.
الحميري	:	في «الروض المعطار» (مادة : ماست)، تحقيق احسان عباس، ص 522.
ابن الأبار	:	في «اعتاب الكتّاب» (227 — 229)، دمشق (وهي أقل أخطاء ولهذا اعتمدت عليها مع الاشارة الى المصادر الأخرى للمقارنة).
الناصري	:	في «الاستقصا» ج 2 (111 — 112)، الدار البيضاء 1954.

رموز المصادر : (ن) : نفح الطيب، (ح) : الاحاطة، (ر) : الروض المعطار، (س) : الاستقصا.

العلامات : (( )) للاضافة — ( ) للحذف

---

(1) انظر الفصل الأول من الدراسة العامة.

(2) أبو حفص احد اعضاء الجماعة او العشرة انصار المهدي، انظر الفصل الثالث من الدراسة العامة.

(3) انظر ترجمته في اول الفصل الثالث من الدراسة العامة.

نـص الرسالـة :

كتابنا[4] هذا من وادي ماسة[5]، بعدما تجدّد من أمر الله الكريم، ونصره المعهود المعلوم[6]، «وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم»[7]، فَتْحٌ بَهَرَ الأَنْوَارَ إشراقا[8]، واحدق بنفوس المومنين احداقا، ونبّه من الأماني[9] النائمة جفونا واحداقا، واستغرق غايات[10] الشكر استغراقا، فلا تطيق الألسن لِكُنْهِهِ[11] وصفه ادراكا ولا لحاقا. جمع اشتات الطلب والارب[12]، وتقلب في النعم اكرم منقلب، وملأ دلاء الآمال[13] الى عقد الكرب.

«فتحٌ تفتّح أبـواب السمـاءِ لـه وتبرز الارض في أثوابها الـقُشُبِ»[14].

وقد تقدّمت[15] بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مُهْلَةً[16]،

كان أولائك الضالون المرتدّون ((من اهل ماست))[17] قد بطروا عدوانا وظلما، ((وارتكبوا إفكا وجرمًا))[18]، (اقتطعوا الكفر معنًى واسما، وأملى لهم الله[19] ليزدادوا إثما)[20] وكان مقدَّمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته، واستهوى القلوب بمهوّلاته، ونصب له الشيطانُ من حبالاته[21] فأتته المخاطبات من بُعْدٍ وكَثَب، ونَسلت[22] إليه الرسل من كل حدب، واعتقدته الخواطر

---

(4) في (ح) : كتبنا.

(5) كان في ماسة رباط مشهور هو مأوى للصالحين منذ ما قبل العهد الموحدي، انظر البكري ص 161 (ط 1965) الروض المعطار ص 522، اليعقوبي 110، ابن سعيد في «بسط الارض» ص 57.

(6) في (س) : كلمة (المعلوم) ناقصة، وفي (ح) : بعدما تزحزح امر الله الكريم ونصر الله المعلوم، وفي (ن)... ونصر الله تعالى المعلوم...

(7) الآية 126 من سورة آل عمران.

(8) في (ح) : فتح بمسرى الأنوار اشراقا.

(9) في (ن) و(ح) و (س) : ونبه للاماني.

(10) في (ن) و(ح) و(س) : غاية.

(11) في (ح) : كنه.

(12) في (ح) : والادب.

(13) في (ن) و(ح) و(س) : الامل.

(14) البيت من قصيدة لأبي تمام مطلعها : السيف اصدق انباء من الكتب.

(15) في (ن) و(ح) و(س) : وتقدمت.

(16) من هنا تبدأ الفصول التي وردت في الروض المعطار : كان أولئك.

(17) اضافة من (ر)، وفي (س) : الضالون قد بطروا،،،.

(18) اضافة من (ر).

(19) في (ن) : واملى لهم الله تعالى، وفي (س) : وأملى الله تعالى لهم.

(20) ما بين هلالين ناقص في (ر).

(21) في (ر) : ونصب به الشيطان ما شاء من حبالاته، وفي (س) : ونصب له الشيطان من حبلاته.

(22) في (ر) : ونسل، وفي (س) : وانسلت.

((الزائغة))[23]. أَعْجَبَ عَجَب.

(وكان الذي قادهم الى ذلك، وأوردهم تلك المهالك، وصول من كان بتلك[24] السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام[25]، آناء الليل وأطراف الايام[26]. لبسوا الناموسَ أثوابا، وتدرّعوا الرياءَ جلبابا[27]، فلم يفتح الله ((تعالى))[28] لهم للتوفيق[29] بابا)[30].

((كان للناس هناك موقف أخذت الحربُ فيه حقوقَها، ونَهَجت به طريقها، وعرفت به رجالها وفريقها، وكنا نحن بخاصتنا في الساقة فحملنا على من يلينا من الأعداء، وحملت كل قبيلة على من يليها على الولاء، فكانت هناك كرّات شهيرة، وحملات كثيرة، وظهر لأعداء الله تجلدٌ لم يُرَ قَطُّ لأمثالهم، ولا تُخيِّل من أفعالهم، وذلك انهم كانوا يعاينون غويّهم لا تنقله الحملات ولا تحرّكه، ولا تزيله المنية عنه ولا تتركه، فكانوا ينظرون اليه ويظهرون الجلد والاجتهاد لديه، فلما عاينه الموحدون واقفا بمكانه، مقبلا على بهتانه، قصدوا بعون الله لاطفاء ناره، وكفّ عنانه.[31] فصرع (بحمد الله)[32] لحينه، (وبادرت اليه بوادر منونه)[33] وأتته وافدات[34] الخطيات عن يساره ويمينه، ((وعاد لوقته طريحا، تقلب منه المنايا قلبًا قريحا))[35]. وقد كان يدّعي أنه بشرّ بأن المنية في هذه الاعوام لاتصيبه، والنوائب لا تنوبه[36]، ويقول في سواه قولا كثيرا، ويختلق على الله ((تعالى))[37] إفكا وزورا، فلمّا عاينوا هيأة اضطجاعه، ورأوا ما خطّته الأسنّة على أضلاعه[38]، ونفذ فيه من

---

(23) اضافة من (ر).

(24) في (ح) : من بتلك.

(25) في (ح)... على رغمه بالصيام والقيام.

(26) في (ح) : آناء الليل والأيام، وفي (ن) : آناء الليالي والأيام.

(27) في (ر) : لبسوا للناس أثوابا وتدرعوا للرياء جلبابا...

(28) اضافة من (ن) و(س).

(29) في (ح) :...الى التوفيق.

(30) ما بين قوسين احاديين ناقص في (ر)، ونجد في الاعتاب بعد هذا : «ومنها في ذكر الدعي : فصرع بحمد الله...وفي (ن) : ومنها في ذكر صاحبهم الماسي المدعي للهداية : فصرع بحمد الله تعالى»، وفي (ح) : ومنها في ذكر صاحبهم الماسي : فصرع والحمد لله لحينه»

(31) ما بين هلالين مزدوجين اضافة من (ر).

(32) ناقصة في (ر).

(33) ناقص في (ر).

(34) في (ر) : نوافذ وفي (س) : وافدات الخطايا.

(35) اضافة من (ر).

(36) في (ح) : هكذا : «وكان يدعي ان المنية في هذه الاعوام لا تصيبه ويزعم انه يبشر بذلك والنوائب لا تنوبه».

(37) اضافة من (ن) و(س).

(38) في (ن) و(س) : فلما رأوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة في أعضائه واضلاعه... وفي (ح) : ماخطته الاسنة في اعضائه.

أمر الله (تعالى)[39] ما لم يقدروا على استرجاعه، انهزم ما كان لهم من الأحزاب، وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب[40]، (وأعطوا عن بكرة أبيهم[41] صفحات الرقاب)[42]، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب، (فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم،[43]، وآذنت الآجال بانقراض آمادهم[44]، وأخذهم الله[45] بكفرهم وفسادهم، فلم يعاين منهم إلا من خر صريعا، وسقى الارض نجيعا، ولقي من الهنديات[46] أمرا فضيعا)[47]. ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي في الوادي، ((ودام الموحدون في الاصرار على قتلهم والتمادي))[48] فمن كان يؤمّل الفرار منهم ويرتجيه[49]، ويسبح[50] طامعا في الخروج الى ما ينجيه، اختطفته الاسنة ((هناك))[51]اختطافا، واذاقته موتا ذعافا، ومن لج في الترامي على لجحه، ورام البقاء في ثبجه[52] قضى نحبه شرقه، وألوى بذقنه غرقه[53] ((وكان دخولهم في أول مده الى حين ابتداء الوادي في جزره ونقصانه[54] وكفّه من حملاته وطغيانه))[55] ودخل الموحدون الى البقية الكائنة[56] فيه يتناولون قتلهم طعنا وضربا[57] ويلقّونهم (بأمر الله)[58] هؤلاً عظيما وكربا[59] حتى انبسطت[60] مراقات الدماء على صفحات

---

(39) ناقصة في (ح).

(40) في (ن) و(س) : هزم من كان له، وفي (ر) : انهزم من كان، وفي (ح) : هزم لهم من كان لهم كتساقط قط الذباب.

(41) في (س) : واعطوا بكرة...وفي (ح) : صفحة.

(42) ما بين هلالين ناقص في (ر).

(43) في (س) : باجسامهم... وهي غير مناسبة للسجع الذي بعدها.

(44) في (ح) : آمالهم.

(45) في (ن) و(س) : الله تعالى.

(46) في (ن) و(س) : ولقي من امر الهنديات فضيعا، وفي (ح) : ولقي من وقع الهنديات امرا فضيعا.

(47) مابين هلالين ناقص في (ر).

(48) اضافة من (ر).

(49) في (ن) و(س) : فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه... وفي (ر) : فمن كان منهم الفرار ويرتجيه...

(50) في (ر) : وسبح.

(51) اضافة من (ر).

(52) في (ر) : بتبجه، وفي (ح) : في ثجه.

(53) في (ر) : قضى لحينه شرقه ولوى بدينه غرقه... وفي (ن) و(س) : قضى عليه شرقه والوى بدقنه غرقه.

(54) قد يكون تأثر النهر بمد البحر وجزره دليلا على ان المعركة لم يكن ميدانها بعيدا عن البحر، انظر عن وصف النهر الحسن الوزّان ص 90 ط الرباط 1980.

(55) اضافة من (ر).

(56) في (ح) : البقية الباقية.

(57) في (ر) : ينالونهم طعنا وضربا، وفي (ن) : يتناولون قتالهم طعنا وضربا.

(58) ناقصة في (ر)... وفي (ن) و(س) : بامر الله تعالى...

الماء، وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء[61]، (وظهرت العبرة للمعتبر في جري الدماء مجاري[62] الأبحر)[63] ((فمن لم تدركه منيّته بسنان، أدركه الغرق بشرّ مكان))[64].

---

(59) في الاعتاب : هونا عظيما.

(60) في (ح) : بسطت.

(61) في (ر) : فحكت حمرتها على زرقه... في زرق السماء... وفي (ح) : وحكت حمرتها على زرقه حمرة الشفق على زرق السماء.

(62) في (س) : وجزت العبرة،، وفي (ن)... في جري ذلك الدم جري الابحر... وفي (ح) : في جري الدماء جري الابحر.

(63) ناقصة في (ر).

(64) اضافة من (ر).

تقديم :

بعدما فتح الموحدون مراكش لم يكن ذلك فتحا نهائيا للمغرب، وإنما كان عليهم أن يواجهوا الثورات خاصة ثورة قبائل الجنوب تحت قيادة الماسي، وبعد مقتله قام عبد المومن بحملة عبر المنطقة لتقدم او ــ تجدد ــ له القبائل الطاعة، وعندما وصل الى تينملل وجّه منها رسالة مؤرخة بسادس عشر ربيع الأول سنة 543 تحمل أوامر الى ولاته وعماله منها ما يهم تنظيم البريد والحرص على المخازن، ومنها ما يهم الرعية مباشرة كالحث على العدل بين الناس دون تمييز، ومنع تنفيذ أحكام الإعدام قبل استشارة الخليفة،،، وقد اورد صاحب نظم الجمان نسخة من هذه الرسالة[2] وجهت الى الاندلس، وهي من إنشاء ابي جعفر بن عطية[3]، وقد حذف منها البسملة والتصلية[4].

نص الرسالة :

56/ب من أمير المؤمنين[5] أيده الله تعالى بنصره، وأمده بمعونته، الى جميع الطلبة الذين بالاندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد، فالحمد لله وهو اللطيف الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي بعدله قامت السماوات والأرض وبه تقوم، وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم، ولأمته المخلصة

---

(1) حسب تعبير صاحب نظم الجمان (انظر الهامش 2 بعد).

(2) نظم الجمان لابن القطّان تحقيق الدكتور محمود مكّي (ص 150 ــ 167) وهي تمتد على صفحات المخطوط الذي اعتمده من 56 ب إلى 65أ، وقد اعتمدتُ في نص الرسالة على القطعة المحققة لعدم تمكّني من الاطلاع على الاصل. هذه الرسالة نشرها أيضا علام في «الدولة الموحدية بالمغرب...» ضمن ملاحق الكتاب، ونشرها ايضا عنان ضمن ملاحق تاريخه عن المرابطين والموحدين(ج 1).

(3) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب في مقدمة البحث.

(4) هل لم يستعمل عبد المومن «العلامة» في اول رسائله الا ابتداء من هذه ؟ مع انه يذكر وجودها هنا في هذه الرسالة دون ان يحدد ما اذا كانت في أولها او في آخرها.

(5) انظر حول مدلولي (أمير) و (المومنين) المعجب 188 و 196.

في علّيّين كتابها المرقوم، والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم،[6] الذي بعثه رحمة للمومنين يُنيلهم[7] به الروح والنعيم، ويريهم رحيقها المختوم.

وكتابنا هذا ــ كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة، وسوَّغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه ــ من الحضرة العلية بتنملل ــ حرسها الله تعالى ــ في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[8] ؛ وقد وصلنا ــ والحمد لله ــ وجناح الرحمة مخفوض،[9] وطرف المكاره / مغضوض[10]، وفيض العدل والبذل[11] منتشر مستفيض، وشأن الظلم ــ بإذن الله تعالى ــ مكفوف مقبوض، والحق أبلج لا كناية ولا تعريض[12]. 57/أ

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرّم المهدي رضي الله تعالى عنه لتجديد عهدٍ به تَقَادَم، وشفاءِ شوق إليه لَزِمَ ولازم، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته، ورجاءً في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته،[13] وحرصا علىٰ ان يتوافر به حظ التوفيق وقسمه، ويعلو في الملإ الأعلى ذكره ورسمه، ورغبته في بيت من أفضل البيوت التي امر الله عزّ وجلّ أن ترفع ويُذكَرَ فيها اسمُه، ولِتَنْعَمَ الجوارحُ بمشاهدة هذه المشاهد المنعَّمة والمواسم المعظمة، وتتزوّد بالتطوف على معاهدة ما عهدته العوارف المتممة، كل ذلك غرضها في ذات الله تعالى غرضه، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستنهضه[14].

وقد تمَّ ــ بحمد الله تعالى ــ هذا الوطر[15]، واقتضى الاياب الى النظر في المصالح والرأي الجميل النظر، وتَفَجَّرت ــ بحمد الله تعالى ــ منابع الخير وفاضت، وعادت روابط الأمر إلى اشرف حالاته وآضت، وانبعثت موارد البركات بعدما غارت في غير هذا الزمن المذكور وغاضت، ونسأل

(6) **العصمة** عند المهدي هي العصمة من الخطأ فيما يدعو إليه، وان يكون معصوما من الكذب والباطل والجور والجهل (أعز ما يطلب 246 ط الجزائر)، فهي ليست مغالية كما كانت عند مهدي الفاطميين (علاّم : الدعوة الموحدية 294).
والامامة عند المهدي هي اقرب الى القيادة فمعناها كما حدّدها بنفسه : «الاتّباع والاقتداء والسمع والطاعة والتسليم وامتثال الأوامر» (أعز مايطلب 254 ط، الجزائر)، (علام : الدعوة الموحدية 294).

(7) في الأصل بنيلهم (المحقق).

(8) في الرسائل الأولى التي كتبها ابو جعفر ابن عطية عن عبد المومن يتوسط التاريخ نص الرسالة، وابتداء من الرسالة الرابعة (من م ر م) لبروفنصال نجد تواريخ الرسائل توضع في نهاياتها، راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(9) في الأصل منفوض.

(10) في الأصل معضوض.

(11) في الأصل : والبدل.

(12) في الأصل : ولا تعويص.

(13) في الأصل : لبانه.

(14) في الأصل : وتستنهضه.

(15) في الأصل : الوطن.

58/ب الله تعالى عونا على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها،/ ووعت[16] الأفئدة نفائسها، وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائسها.

وإن الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه، فالسعيد من لقي ربّه مبرّءا من اتّباع الهوى سليما، والشقيّ من اتى مليما باكتساب الكبائر ملوما، «وَمَنْ يَكْسَبْ إثْماً فَإنَّما يَكْسِبُهُ على نَفْسِهِ، وكان الله عليماً حكيماً»[17]، والله سبحانه يَهَبُ الرحمة للمسترحمين، ويحب الرفق ويحل به كنفه الأصين، وفي الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين : «واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ من المؤمنين»[18]، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء، وبرأفته كشف عنهم الغمّاء، قال النبي ﷺ : إنَّمَا يَرْحَمُ الله من عباده الرُّحَمَاء.

وقد اتّصل بنا ــ وفقكم الله تعالى ــ أن من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاه، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما اذاعه[19] من المنكر وافشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار[20]، وينتشرون بالقتل بأعراض الناس اقبح الانتشار، يستحلون[21] حرمات المسلمين من غير حلها[22]،ويسارعون الى نقض عقد الشرع وحلها، ويصفون الشدة والغلظة بَطَرًا ورياء في غير محلها، ويبتدعون من وجوه المظالم/ ما تضعف شواهق الجبال عن حملها، ويستنبطون 58/أ من فواحش الآثام ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها ويتسبّبون الى قتل المسلمين فضلا عن استباحة اموالهم واعراضهم بتلبيسات ينشئونها، ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها، وينظرون الى اهتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل يعدّونها ظلما ويحسبونها، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة، ويعيثون[23]فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : «من قتل عصفورا بغير حق عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخٌ عند العرش يقول : يارب سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة». ولا يلتفتون الى عاقبة ولا ينظرون، ولا يمرّون باذانهم ما يفعل تعالى بأمثالهم ولا يحذرون، «يخادِعُون الله والذين آمنوا وما يُخَادِعون إلا انفسَهم وما يَشْعُرون[24]»، هيهات ! هيهات ! إنهم ساء ما كانوا يعملون، تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمدٍ ما يهدّهُم هَداً[25]، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهَلَكَة سَداً، ويستأصلهم[26]

(16) في الأصل : ونعت.

(17) الآية 110 من سورة النساء.

(18) الآية 215 من سورة الشعراء.

(19) في الأصل : أداعه.

(20) لعله يقصد أخوي المهدي وابن عمهما يصلاتن واعوانهم وربما أيضا الاشارة إلى بعض العمال المفسدين انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(21) في الأصل : يستحبون.

(22) في الاصل : حليها.

(23) في الأصل : ويعبثون.

(24) الآية 8 من سورة البقرة، وفي المطبوع،،، الى انفسهم،،،

(25) في الأصل : هدى.

بصواعق الانتقام، فقد جاءوا شيئا إداً[27].

58/ب أما / علموا ان الله تعالى يطّلع على نجواهم، ويوقعهم في مهوي بلواهم، ويلبسهم اردية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم ؟ اما علموا ان امر المهدي رضي الله تعالى عنه تساوى في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ؟ ألم يقل رسول الله[28] تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : «المسلمون تتكافأ[29] دماؤهم ويَسْعَى لذمَّتهم أدناهم، وهم يَدٌ على من سواهم»[30] ؟ لقد أمنوا مكر الله جرأة عليه وإقداما، وأعمت الشهوات بصائرهم اذهابا لنور الحق من نفوسهم وإعداما، وتالله لو تعيّن لنا فاعل ذلك وتَشَخَّص، لمَا خَرَج من حبالة مكره ولا تخلَّصَ، ولسارع اليه من اسرع عقابِنا ما يمحو رسمه محو الفنا، ويكتب يديه بما قدمتا من الخنى[31].

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم، المستغرقة لأنواع المآثم، الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم، أن أولئك الخائضين في غمرات أبحرها، المثيرين لأسباب منكرها، الصارمين لعلق الشريعة القاطعين لأبهرها، يَمُدُّون أيديهم الى ضرب الناس بالسياط إبلاغا في الانتهاء بكثرتها وإمحاشا[32]، 59/أ ويتسببون بذلك الى اخذ اموال الناس إيغاراً للصدور وإيحاشاً[33]، وذلك / امر معاذَ الله أن يرضى به مؤمن بالله، أو يتجه اليه حق بنوع من الاتجاه، ما أبعد العدل أصلحكم الله تعالى — عن هذه الامثال والاشباه، وقد علمتم ان عادتنا فيمن يستوجب الضرب اويستحقه، ممن يظلم الأمر الشرعي او يعقّه، حدود معلومة، دون افحاش ولا انتهاك، ومواقف مرسومة، تقابل كلا بمقتضى جرمه من اثم أو أفّاك.

ولقد ذكر لنا في امر المغارم والمكوس والقبالات[34]وتحجير المراسي[35] وغيرها ما رأينا انه أعظم الكبائر جرما وإفكا، وأدناها إلى من تولاّها دمارا وهَلْكاً، وأكثرها في نفس الديانة عيثا وفتكا، «فانا لله وإنا اليه راجعون»[36] ! هل قام هذا الامر العالي الا لقطع أسباب الظلم وعلقه، وتمهيد[37]

---

(26) في الأصل : ويتأصلهم.

(27) الإدّ : المنكر، اقتباس من الآية 90 من سورة مريم «لقد جئتم شيئا إدّاً».

(28) كذا بالاصل المعتمد، والاصوب : رسول الله صلى الله تعالى...».

(29) في الأصل : تتكفى، (المحقق).

(30) سنن النسائي 151/2 — 152، وسنن ابي دواد 249/2 مع اختلاف في ترتيب الالفاظ.

(31) *في الأصل : الغنى، (المحقق) والخنى : الفحش في الكلام، وعن دوافع توجيه عبد المومن للرسالة راجع* خصوصياتها في الفصل الأول.

(32) في الأصل : ايحاشا (المحقق). آمحش : أحرق وألهب.

(33) في الأصل : وايجاشاً (المحقق).

(34) القبالات : ماكان يؤدّيه التجار والصناع على سلعهم من ضريبة فالغاها عبد المومن، انظر خصوصيات الرسالة، والإدريسي ص 45 (هـ، بيريس).

(35) في الاصل ؛ المراصي (المحقق).

(36) من الآية 155 من سورة البقرة.

(37) في الأصل : وسد (المحقق).

سبيل الحق وطرقه، وإجراء العدل[38] إلى غاية شأوه وطلقه، اللهم انا نشهدك ان سبيلنا سبيلك، وإنا نستعيذك مما استعاذك منه محمد رسولك، روي عنه ﷺ انه قال : «اعوذ بالله من المَغْرَم والمأثم»[39] تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم ؛ ولئن نقل الينا — والله الشاهد — ان نوعا من هذه الانواع المحرمة، أو صنفا من تلك الاصناف المظلمة، يتولاّه احد هنالك من البشر، او يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر، لنعاقبنه بمحو اثره عقابا يبقى/ (عظة)[40] لمن اتّعظ، وعبرة لمن تنبّه لزاجر الحقّ واستيقظ. 59/ب

وإن من ذلك الرأي الذميم، والسعي المنقوم، ما ذكر لنا في امر المسافرين الذين يريدون الرجوع الى أوطانهم وعمارتها، والطوائف المارّة على البلاد لمعنى تجارتها يتسبب اليهم قوم من هؤلاء الظَّلَمة الدّخلاء الذي يضعون الغِشَّ طَيّ ما يوهِمون به من النصيحة، ويستبطنون[41] المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كَيتَ وكيتَ، وان للمخزن جميع ما به أتيتَ ! ويقرنون بهذا من الوعيد والاغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله، ويعتقد[42] السلامة من ذلك الظالم الغاصب اعظم مناله ؛ وإنها لداهية[43] عاقرة، قاصمةٌ للظهر فاقرة، ويا عجباً لكم — معشر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين — فإنكم بذلك مطلوبون، وما حُجَّتكم وما أنتم على حق كيف تتكيف هذه الكبائر وأنتم للأمور هناك رصد[44] ! كيف تجري هذه الظلمات[45] وقد قام للحق أَوَدٌ ! ام كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك، والحرمات تنتهك، ولا يمتعض لذلك منكم احد ! كلا لَيُعَاقَبَنَّ كلُّ من[46] جنى، وليظهرن ما قصد القاصد وما عَنَى، وإن وراء قولنا / لتتبُّعاً يبحث[47] عن ذلك ويُمَحِّص، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلّص ! 60/أ

ولا شك — والله اعلم — في أن أسباب تلك المنكرات، ودواعي تغيير تلك الاحوال المتغيرات، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس، ويقولون ما لا يفعلون ذهابا الى التدليس عليكم والإلباس، ويجعلون النفير بالظلم والعدوان بدلا من العدل والقول الجميل والايناس، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها، وبُعدكم عن مشاهدة الامور ومعاينتها، والتحجب عن مطالعة الامور داعية كبرى لفسادها واختلالها،

---

(38) في الأصل : وأجزاء الحق العدل الى غاية شهوة (المحقق).

(39) سنن النسائي 57/3. (المحقق).

(40) غير واضحة في للاصل (المحقق).

(41) في الأصل : ويستبطون (المحقق).

(42) في الأصل : ونعتقد (المحقق).

(43) في الاصل : لذاهية (المحقق). في هذه العبارة ما يوضح سوء سلوك العمال وأعوانهم في هذه الفترة من تأسيس الدولة الموحدية، انظر خصوصيات الرسالة في (الفصل الأول).

(44) الجملة مكررة في الأصل (المحقق).

(45) كذا في الأصل : ولعلها : الظلامات (المحقق).

(46) في الأصل : ما (المحقق).

(47) في الأصل : يحث (م).

وسبب[48] قوي في انتقاضها وانحلالها، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها في البواطل واسترسالها ؛ فلا تكلوا النظر فيها الى احد سواكم، ولا تبعدوا بغلظ الحجاب[49] عما قصدكم من الخير ونواكم، وباشروا الاحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المتنقد، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال، كثير الاضطراب في الباطل والانتقال، فقد نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال، وتثبّتوا[50] ـــ وفقكم الله ـــ في الاحكام التي لابد لكم من النظر فيها تثبت البحث عن حقائق الامور والاستقصاء، وتعهّدوا الناس بالتحذير من اللّدَد في الخصام وبالغوا في الايصاء، ولا تظنوا أن الاجتهاد في الامور يؤدي الى الهجوم عليها والاقتحام، ويخرج النظر عن التثبيت في القضايا والاحكام، فاذهبوا فيها / مذهبا وسطا، واقصدوا الاعتدال مقصدا مقسطا، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكما، وشاورونا فيما يخفى عنكم وجهه لنرسم لكم فيه رسما، فليس كل مجتهد مصيبا برأيه، ولا كلُّ هاجم على رأي منجّحا في سعيه، وبين طرفي الاحوال واسطةٌ جميلة فيها معقد السياسة ومناطها، وخير الامور ـــ كما قال عليه الصلاة والسلام ـــ اوساطها.

60/ب

وعليكم ان تبحثوا بغاية جدِّكم عن أولئك المسبّبين لتلك القبائح، الساعين في صدّ ما يرضاه الله تعالى من المصالح، وتُعَرِّفونا بهم بعد تثقيفهم لنُشرّد بهم من خَلْفَهُم، ونكفّ بعقابهم نوعهم الظالم وصِنفَهم، وقد استخرنا الله في سدّ تلك الذريعة، وصد تلك الافعال الشنيعة، فرأينا أنْ ترفعوا إلينا احكام المذنبين للكبائر، وتعلمونا بنبأ كل من ترون انه يستوجب القتل بفعله الخاسر، دون أن تقيموا الحدّ عليه، أو تبادروا بالعقاب إليه، ولا سبيل لكم الى قتل احد من كل من هو في بلاد الموحدين وانظارهم، ومَنْ هو معهم وداخلٌ في مضمارهم، وكلُّ من ترون انه يستوجب القتل، ممن يريد المكر في أمر الله والختل، فعرِّفونا بجليَّة امره[51] وتصحيحه، وخاطبونا بميز امره ومشروحه، لينفذ فيه مِن قِبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه، ونمضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه، فاياكم من مخالفة امرنا هذا في قتل احد ممن/ ذكرناه كائنا من كان، كبُرَ ذنبه عندكم أو هان، ولتبادروا إلى اعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه، ونجري الحق فيه مجراه[52].

61/أ

وإنه أُعلِمنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه، ولا يبالي احسن الفعل فَعَلَه أم قبيحه، يبتاع المرأة، يبيعها دون استبراء[53]، ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء، ولا يتحفّظ من مواقعة الزنا المحض، ومخالفة الواجب مع الفرض، وإن في ذلك من اطّراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع، وإفساد الاصل من السنة والفرع، ما لايحل سماعه[54]، ولا يستقر

(48) في الأصل : ونسب (م).

(49) في الاصل : بغلط الحجاب (م).

(50) في الأصل : وثبتوا (م)، وما أثبت يتناسب مع المفعول المطلق بعده.

(51) في الأصل : سجلية أمره (المحقق).

(52) راجع في الفصل الأول خصوصيات هذه الرسالة والفقرة الاخيرة من الفصل الأول م

(53) في الأصل : استتار (م).

(54) في الأصل : ما لا يحمل سماعه (م).

بنفس مؤمنة استطلاعه ؛ فلا سبيل لأحد ممن هنالك ان يبتاع شيئا منهن او يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع، ولتقدّموا للنظر في اسواقهن من ترضون دينه وامانته، وتتحققون ثقته وصيانته، فمن ابيح له البيع والابتياع احضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع، وتجري السنة مجراها ويمتثل الأمر المطاع ؛ وكذلك فليتوقفوا[55] عن بيع النساء في جميع من تغنمونه منهن في تلك الأرجاء، حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته، وتعلمونا من ذلك بجليته، لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم، ويجري إليه اقتصادكم[56].

والله الله في البحث على الخمور ! وتقديم النظر في امرها فهو من اهم الامور، فانها مفتاح الشرور، ورأس الكبائر والفجور، وهي رابطة اهل الجرم، وجامعة/ اشتات الظلم، قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : «الخمر جماع الإثم»[57]، فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشأنها، واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها، واعمدوا الى السبب الذي يؤدّي الى التمكن منها فارعوه والحظوه، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه، وقدّموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكالىء الرقيب، ولا يكن منهم الا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز، ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز، ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرُّب واعتصاره[58]، وخذوهم بتوقف جدّهم على ذلك واقتصاره، فما حلّ منه أباحوه، وما كان غير ذلك قطعوه أصلا وفرعا واراقوه، «الحلال بيّن والحرام بيّن»[59] ولقضايا الشرع نظام، قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه : «ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام»[60].

61/ب

وإن ممن[61] يسعى في نوع من انواع الفساد، ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الإصدار[62] والإيراد، هؤلاء الراقصين[63] الذين يردون بالكتب ويصدرون، ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون، فانه ذُكر لنا انهم يأخذون الناس بالنظر في كُلَفهم، ويُلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلَفِهم، وهذا فعلُ كل فرقة منهم في سيرها، وسوء رأيهم[64] بذلك / في المخازن وغيرها ؛ وان من جملة ما حكي عنهم انهم يتألفون في الطرق جموعاً، ويحلّون بأفنية الناس حلولا شنيعا، يكلفونهم

62/أ

---

(55) كذا في الاصل المعتمد، ولعل الأنسب فلتتوقفوا.

(56) ملاحظة هامة فيما يتعلق بمراقبة الدولة لبيع الاماء، ولعل هذا يدل على نشاط هذه التجارة النسبي آنذاك بالاندلس على الخصوص.

(57) هذا الحديث غير وارد بهذا اللفظ في سنن ابن ماجة 327/2، ولا وجود له في كتب الصحاح الاخرى (م).

(58) الرّب : شراب يتناوله سكان الجبال بالخصوص لمواجهة برودتها (الاستبصار 211)، ونظرا لعدم تقيّد بعض الناس بالتمييز بين ما هو منه حلال وما هو حرام سيتمّ منعه فيما بعد.

(59) صحيح البخاري 20/1 وغيره من الضحاح (أ. م).

(60) معنى الحديث يوجد في الصحاح مثل سنن ابن ماجة 332/2.

(61) في الاصل : من (م).

(62) في الأصل : الاصرار (م).

(63) الرقاص : حامل البريد الرسمي في المصطلح المغربي الاندلسي.

(64) في الاصل :وسواء رأيهم (م).

مؤْناتهم تكليف المجرم[65]، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم، حتى انهم لا يرضون في ضيافاتهم الا بأسمن الجزر ؛ وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ؛ فسارِعوا ــ وفقكم الله تعالى ــ الى حسم[66] هذه العلة من أصلها، وبادروا الى قطع تلك العادة الذميمة وفصلها[67]، وتخيروا لرسائلكم أرسالا، وانتقُوا من اهل المقدرة على ذلك والثقة[68] رجالا، وادفعوا اليهم زادا يقوم بهم في المجيء والانصراف، ويقطع شأنهم عن التكليف والالحاف، وارسموا لهم اياما معروفة العدد، معلومة الامد، لينتهوا بها الى مواقف رسائلهم، ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذِّروهم من تكليف احد من الناس ولو مثقال ذرة، وأوعدوا من تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرّة، والله تعالى المستعان على دفع أسباب الجَوْرِ، ونستعيذ به سبحانه من الحَوْرِ[69].

وكذلك ذكر لنا ــ وفقكم الله تعالى ــ من التحكم في الأموال، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال، ان اولئك الذين ذكرت خدَعهم، ووصفت غرضهم الذميم ومنزعهم، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره وشُرِحَ مكره، وتمتد ايديهم الى **المخازن** هنالك فيعيثون[70] فيها ويتحكمون، ويجرؤون في التعدي عليها ملء شأوهم/ وأنفسَهم يظلمون[71]، فاتقوا الله تعالى فيها، فإنها أمواله المخزونة في أرضه، وبادروا الى كف كل معتدٍ وقبضه، ولا سبيل لكم أن تنفذوا منها قليلا ولا كثيرا إلا بعد استئذاننا[72] وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك[73]، وهذا امر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ والموحدين كافة، أمْراً دائما لازماً، سنته بالاستمرار مستظلة، وصحته بفضل الله لا تدخلها تعلّة.

62/ب

وقد خاطبْنا بمثل ما خاطبْناكم[74] به جميع الطلبة والموحدين وكافة البلاد التي هي بالدعوة المهدية معمورة، وبكلمة الايمان مشرقة منيرة، فأمرنا بجميع فصول كتابنا هذا اليكم ولسواكم شامل، وفي كافة اقطار الموحدين نافذ عامل، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبيّن عنادُه، وساء في العاجل والآجل مآله[75] ومعاده، ومن لم يمتثله بواجب الامتثال، ويكفَّ يده عما رسمناه في

---

(65) في الأصل : المحترم (م).

(66) في الاصل : تحسيم (م).

(67) في الأصل : وفضلها (م).

(68) في الأصل : واثقة (م).

(69) في الأصل : الجور (م)، والحور يعنى النقصان، ويقال «هذا الحور بعد الكور» اي النقضان بعد الزيادة، وقد تعني هنا الفساد، فعبد المومن اعطى في هذه الرسالة الانطلاقة لتصحيح نظام البريد.

(70) في الاصل : فيعيشون.

(71) ان التفحص في «أشغال المخزن» باشبيلية سيؤدّي الى قتل اثنين من المسؤولين (انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الأول).

(72) في الأصل : استداننا (م).

(73) هذا تقليص آخر لسلطة عمال الولايات.

(74) ذلك أن نص هذه الرسالة موجّه الى الاندلس.

(75) في الأصل : فاله (م).

كافة الاحوال، فقد تعرّض لأشد العقاب وأوحاه[76]، واستقبل من ارتكاب النهي ما يصدّه الانتقام به عن سوء منحاه، فاستصحبوا حدّنا هذا استصحاباً مؤيداً. واتخذوه في كافة احوالكم مستَنَداً ومعتَمَداً، وعلى كل من الى نظركم من اهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد[77]، الآخذة بالمذهب الرشيد، عون الامير[78] ــ ايده الله تعالى ــ على بسط / العدل وإفاضته على الكلّ، ورفع لعبءِ ثُقْلَ وكَلَّ،[79] : ان يسلكوا في جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة، ويتجافوا عن مواقع الظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة، وينقادوا[80] للواجبات بِداراً إليها واسراعا، ويكونوا[81] في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألّفاً واجتماعاً.

63/أ

ولما كان هذا الأمر عندنا ــ وفقكم الله تعالى ــ اهمَّ امرٍ وأوجبه، واحق ما أدناه الحق وقرَّبه، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدّما، وأنفذه بأمر الله تعالى إنفاذاً ملتزما، رأينا ان نجعل في كتابنا هذا **علامةً بخط يدنا**[82]، وهاهي قد رفعت الاشكال رفعا بَيِّناً، وأرتكم فرط اهتبالنا حقا مبينا، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمسارعة، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة، وأحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من «الطلبة» و«العمال»، وكافة المقدّمين للأعمال، ولا تقدّموا امراً من الأمور على إنفاذ جميع ما تضمنه، والاعتمال بكل ماشرحه وبيّنه، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه، وبما امركم به على قواعده ومبانيه، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقّيه، واتباع ما ينهيه إليكم ويُلقيه، واقرأوه على الكافة أعالي المنابر، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر، واسمعوا به افصاحاً وإعلانا، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدانا، وأحسنوا ايصال أغراضه[83] إليهم فإن الله تعالى يجزي الإحسان إحساناً ؛ فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير/ وبلّغتم حجته بواجب التبليغ والتقرير، فاكتبوا منه نسخا الى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر، وكلّ كورة من تلك الكور[84]، واكدوا عليهم فيما اكدنا عليكم فيه، من تقديم العمل فيه على كل الوجوه وامتثال مُضمَّنه على ما يحبّه الله تعالى ويرتضيه، وحذّروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر

63/ب

---

(76) الأوحى : الاسرع، يقال «القتلُ بالسيف أوحى»

(77) البلاد الخاضعة آنذاك للموحدين بالاندلس هي اشبيلية بالخصوص وما جنوبها، اما الغرب فكان مضطربا (البيان، مخطوط خ الحسنية رقم 336/3 ص 22 وما بعدها).

(78) كان حكم اشبيلية آنذاك بيد اخوي المهدي والناظر على أشغال المخزن أبي إسحاق برّاز المسوّفي، (المصدر المذكور).

(79) في الأصل : ورفع العبد المثقل وكل (م).

(80) في الأصل : وينقاد (م).

(81) في الأصل : ويكون (م).

(82) راجع الهامش 4 في هذه الرسالة و«مستودع العلامة» لابن الاحمر ص 20، وانظر خصوصيات الرسالة في الفصل الأول.

(83) في الأصل : إعراضه (م).

(84) اي ان رسائل الخليفة لا توجّه الا الى عواصم الولايات، وهناك تنسخ منها نسخ توجّه الى النواحي.

لمن لا يقصده على الفور ويأتيه، ونحن بمرصد التطلع والتسمّع لما يكون منكم ومنهم، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم.

وقد علم الله تعالى ان غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان، وجانبنا لهم دَعَةٌ مستمرة وامان، ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجانبهم شأن لا يقاربه[85] من فضل الله تعالى شان، وقد علمتم ذلك منا وخبرتموه، وجربتموه على مر الزمان وصبرتموه ؛ فلتتلقّوا كل من استرعاكم الله امره بكل طلاقة ويسر، ولتنشروا[86]عليهم جناح الرحمة أكمل نشر، ولتعلموا — رعاكم الله — ان من شملته كلمة التوحيد، في العهد القريب او البعيد، في مضمار واحد من العدل محمولون، وأنكم عن كل من هنالك مسئولون، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعا، والحقُّ يسلك بينهم من التناصف مسلكا مشروعا، وقد ألّفت الكلمة بينهم، فبعضهم لبعض في الخِيَرَة أسوة[87]، وقد قال الله تعالى «إنما المؤمنون إخوةٌ»[88] ؛ فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصدا / الى مرضاة الله تعالى وإتيانا، وكونوا عباد الله إخوانا، وأحسنوا بهم — رعاكم الله — ظنا، وعوّدوهم الخير لفظا ومعنى، وتخلّقوا معهم بمحاسن الأخلاق وقولوا للناس حسنىً، واستألفوا الناس بالتي هي أحسن، وابذلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يُتَمَكَّن، وانهجوا لهم من المبرّات منهجا يبدو به مضمركم الجميل ويتبين، وسرّوا بصالح عملكم وبشّروا، ويسّروا — كما قال عليه الصلاة والسلام — ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفّروا[89].

64أ

واعلموا ان السعي في هذا الغرض الواجب، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب، لا يتأتى لكم جملة واحدة، حتى تكون نفوسكم متآلفةً عليه متساعدة، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاونا يجمع في الصلاح آراءكم، ويضمن النجح التام لكم ولمن وراءكم، فعليكم بالمظافرة والمناصرة والمؤازرة، فهي سواعد السعد، وقواعد الودّ، وشيم الكرام الحافظين للعهد، وبها يعمر محلّ الرضى ونَدِيُّه، وبه اوصى الله تعالى ورسوله ومهديُّه.

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدها، ونبهناكم تنبيها / بالغاً وللحال ما بعدها ؛ جعلنا الله تعالى وإياكم ممن امتثل امره المطاع بخالص نيته، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته، وحفظ ما استرعاه الله تعالى، فكلّ راع مسؤول عن رعيته.

64/ب

وكان مما بعثنا — وفقكم الله تعالى — على تنبيهكم وإذكاركم، وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم، ما ألفيناه بحضرة مراكش[90] — حرسها الله — من بعض تلك الانواع مما أحدثه فيها

(85) في الأصل : لا يفارقه (م).

(86) في الأصل : ولينشروا (م).

(87) يبدو ان المسألة هنا تهمّ وضعية الناس امام الشرع فقط، فالموحدون القدماء كانت لهم امتيازاتهم.

(88) الآية 10 من سورة الحجرات.

(89) الحديث : «يسّروا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفّروا «فيض القدير للمنّاوي 361/6 (م).

(90) انظر عن مراكش البيان المغرب 19/4 — 20 ط، بيروت، الادريسي 43 — 45 (بيريس)، وبسط الأرض 59 والاستبصار (208 — 210)، الروض المعطار 540.

بعض أهل الابتداع، كنوع القبالة[91]، وما يجري مجراها في وجوب الإزالة والإحالة، فإنا كنّا لا نبحث عن ذلك، لتخيُّلنا أنه لا يجرؤ أحد ان يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك، فلمّا كان الحث عما يجب، وزال[92] عن وجه المشاهدة ما كان يحتجب، اطّلعنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيرا، وأنزلنا بعون الله تعالى ما كان محذورا بالشرع محظورا، حتى تطهّر ثوب الأمن من دنسه، وتجلي الوجه الخالص عن ملتبسه، واقتبس نور الحق من مقتبسه، وجرت الامور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام، بحكم ما أحكمه الإمام المهدي، ــ رضي الله عنه في القضايا والأحكام، واذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب، فكيف الأمر فيمن هو في حكم / بُعْدٍ عنا واغتراب ! 65/أ

فانظروا هذا ــ وفقكم الله تعالى ــ نظر أولي الألباب، ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب، ولتذهبوا الى اظهار امر الله سبحانه على موجب الكتاب، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(91) راجع الهامش 34 في هذه الرسالة.

(92) في الاصل : وازال. (م).

الرسالة السابعة :

رسالة الشيخ أبي حفص
الهنتاتي إلى أهل مالقة

تقديم :

بعدما تمكن الموحدون من فتح مراكش والقضاء على الثورات الأولى في المغرب الأقصى اخذ اهتمام الخليفة عبد المومن يتزايد بالاندلس التي كانت تشهد حركات انفصالية منذ السنوات الاخيرة للحكم المرابطي بها، وخاصة تحت الزعامات الدينية : منها اسرة بني حسون القضائية بمالقة التي كان يتزعمها في هذه الفترة القاضي ابو الحكم الحسني الكلبي المعروف بابن حسون الذي جمع بين القضاء والإمارة، يساعده اخوه ابو الحسن علي. إلا ان بقايا المرابطين في الجنوب الاندلسي ظلوا يضايقونه بالغارات، فلجأ الى استعمال جيوش المرتزقة من النصارى مما اضطره الى ارهاق السكان بالضرائب لارضائها... فوقعت ثورة ضده شارك فيها بعض المقرّبين اليه وانتهت بمقتله، وذلك في 11 ربيع الأول سنة 548 بينما كان جيش الموحدين بقيادة الشيخ ابي حفص الهنتاتي غير بعيد من مالقة وذلك «بفج قامرة» شمالها، فاستدعاهم اهل المدينة، فوجه اليهم الشيخ ابو حفص الرسالة الاتية[1] يشكرهم على عملهم ويعطي الامان لجميعهم، ثم وصل الى مالقة وبقي بها اياما ثم غادرها فيما يبدو الى المغرب. وقد سبق للموحدين محاولتان فاشلتان لفتح مالقا : الاولى مذكورة في الرسالة الخامسة في «مجموع رسائل موحدية» لبروفنصال، والثانية قام بها الشيخ ابو حفص نفسه، وقد فك حصاره عنها بعد استنجاد ابي حسون بملك طليطلة[2].

مصدر الرسالة :

مخطوط مصور بالخزانة الحسنية رقم 11055 في الصفحتين 173 و 174، عنوانه «فقهاء مالقة

---

(1) لعل صاحب «فقهاء مالقا» عندما اورد هذه الرسالة ضمن ترجمة ابي حفص، كان يقصد انها من انشائه، على عادة النماذج الادبية التي توضع لبعض المترجمين، خاصة وان هذه الرسالة تمتاز باسلوب بسيط على عكس رسائل الادباء المشهورين.

(2) ورد في اول ترجمة الشيخ أبي حفص «... وجّهه أمير المومنين أبو يعقوب (كذا) إلى مالقا حين كان ابن حسون بها فاقام عليها اياما، ثم اقلع عنها بخطاب ابن حسون ملك طليطلة، فلما تم امر ابن حسون كتب اهل مالقا الى ابي حفص وكان بمحلته بفج قامرة ليصل اليهم فشكرهم على ذلك وكتب لهم كتابا نسخته : باسم الله الرحمن الرحيم...» وورد في اخر الرسالة : «ثم انه وصل اثر كتابه هذا الى مالقا واقام بها اياما ثم انتقل عنها، والحمد لله رب العالمين». انظر خصائص هذه الرسالة في الفصل الثالث (الفقرة الاولى منه).

وادباؤهم» (كذا) وهو مبتور. وردت الرسالة ضمن ترجمة ابي حفص الهنتاتي باعتباره احد الداخلين الى مالقة، وهذا نص الرسالة.

نص الرسالة :

173 بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

من عمر بن يحيى[3] الى الشيوخ والاعيان والكافة بمدينة مالقا[4]، أكرمهم الله واعادها[5]، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله الا هو، ونشكره على آلائه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله[6]، ونسترضيه للإمام المعصوم[7]، المهدي المعلوم، ونستديمه عادة النصر المكين، لسيدنا أمير المومنين[8].

كتابنا من مضرب المحلة بفج قامرة[9]، وقد كان كتابكم الاثير وصل صحبة جماعتكم الكريمة من أهل البلد والجند — حفظكم الله — فأدى الكتاب والجماعة ما سنّاه الله تعالى لكم ويسّره 174 بفضله/ عليكم من القيام على النصارى وخزيهم — اخزاهم الله — وكيف اخذتهم صيحة واحدة قطعت دابرهم، واعدمت صاغرهم وكابرهم، ولم ينج منهم الا من يحدث عن المَثُلاث[10]، ويندب نجماً تصلّل بالاثلاث، بركة من بركة[11] هذا الامر عمّتكم، وانقذتكم من ظلمات وضلال طالما[12] عمتكم، وصدقت موعدكم الحسنى ومَحفَلةٌ منّا قصدتْكُم، بمنونها الجميلة وأمّتكم، فاشكروا الله كثيراً على ما هداكم اليه، واعانكم بحسن معتقدكم لهذا الامر العزيز عليه، فهذا منٌ الله تعالى من استعصم به عُصِم، ومن ناوأه قُسم، ومَنْ أثَره جلّ، ومن كاثره قلّ وذلّ، وكانت عاقبته في الدنيا عاقبة الذين عذبهم الله بأيديكم، وشفَى صدوركم منهم، وكيف لا يدرك الله من

---

(3) انظر الهامش رقم (2) على تقديم الرسالة الخامسة.

(4) مالقا مدينة ساحلية تقع بين جبل طارق والمرية فكان فتح مالقا على يد الموحدين ضروريا قبل فتح المرية، انظر عنها وصف الجغرافيين مثل صاحب الروض المعطار (517 — 518) تحقيق احسان عباس، ومعجم البلدان 43/5، الادريسي 565 (النشرة الايطالية).

(5) صيغة (اعادها الله) تستعمل للجهات والمواقع التي سقطت من يد المسلمين فيرجى استعادتها.

(6) لاحظ اقتباس الحمدلة والتصلية والتوصية من رسائل المهدي، مثلا الرسالة الثانية.

(7) انظر الهامش 6 على الرسالة السادسة.

(8) هو عبد المومن كما يدل على ذلك تاريخ الرسالة وترتيب الدعاء له بعد المهدي.

(9) أشار ابن حيّان الى وجود (حصن قامرة) في منطقة مالقا (المقتبس 184 طبعة مدريد 1979)، ويوجد شمال مالقا منطقة جبلية تقع بها مدينة كولمنار في فج على الطريق بين مالقا وقرطبة قد يكون هو المقصود هنا.

(10) كذا بالاصل بالثاء المثلثة مرتين ولعل الأصح : المثلات جمع لمَثُلَة اي عقوبة وتنكيل.

(11) كذا بالمفرد، والاصح : بركات.

(12) في الأصل : وظلال طال ما.

بني حسون[13] وأمثالهم ثأر اسلام البلاد لأعدا(ء)[14] الاسلام، أو كيف تسرف[15] العقوبة من رضي بالتثليث من التوحيد بدلا، لَشدّ ما عميت ابصارهم، وصار إليه صائرهم.

ورأينا من كتابكم الاثير شدة الرغبة في ألا نستنيب في الوصول اليكم لتطهر بذلك قلوبكم وتستقرّ انفسكم، فتركنا لإسعافكم غير ما وجه من وجوه البرّ والله ينفعكم بما نويناه اليكم واتيتموه من ابواب الخير، ويجعلنا واياكم من الذين يتمسكون بالكتاب وعروة هذا الامر. **وانتم كافة مؤمنون وجندكم وغيرهم** بتأمين الله تعالى وبفعلكم المشكور والمرضي، والله يعينكم على طاعته ويوفقكم لمرضاته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب ظُهر السابع عشر من ربيع الاول سنة ثمانٍ واربعين وخمسمائة[16]، «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به»[17] وبصفقتكم الرابحة، « والله لا يضيع اجر من احسن عملا»[18] وكتب في التاريخ المذكور، وبالله التوفيق[19].

---

(13) المقصود هنا بالخصوص الامير ابو الحكم (القاضي سابقا) ومساعده اخوه ابو الحسن، ويظهر ان المقصود من (امثالهم) : ابن مردنيش المتعاون بدوره مع النصارى للحفاظ على امارته بالشرق الأندلسي.

(14) في الأصل : الاعدا (بدون همزة في آخره).

(15) سرف يسرف : أغفل.

(16) انظر حول هذا التاريخ خصائص هذه الرسالة ضمن الفصل الثالث والفقرة الأولى من الدراسة التاريخية.

(17) الآية 112 من سورة التوبة.

(18) اقتباس من الآية 30 من سورة الكهف.

(19) قد تكون هذه الجملة علامة خاصة بالشيخ ابي حفص، فقبل كلمة (وكتب) نجد في المخطوط علامة النهاية. ونجد في بعض الرسائل الموجهة عن الولاة علامات خاصة بهم (رقم 36 ــ 52 ــ 53 م ج).

الرسالة الثامنة :

رسالة عتاب من ابن عبد الحميد[2] إلى ابن توندوت حول تمرده

تقديـم :

استغرق الموحدون ربع قرن في الصراع مع المرابطين منذ ظهور الدعوة الموحدية الى فتح مراكش، وبعد هذا الفتح ثارت معظم القبائل المغربية وبعض المدن على حكمهم، ومن القبائل ما هي مصمودية عرقا او مجاورة مثل هسكورة. وبعد هدوء موقت تحركت قبائل الجنوب مستغلة النزاع بين عبد المومن ومعارضيه بشأن تحويل الخلافة الموحدية الى ملك في بنيه، ومن الذين ثاروا ضده قبيلة هسكورة او بعض بطونها، في وقت تجددت الحركة المرابطية في الجنوب يقودها يحيى الصحراوي الذي تلقى الدعم من قبائل صنهاجية ومن بعض قبائل المصامدة ومن هسكورة في ما يبدو، ولم تهدأ الاوضاع الا حوالي سنة 552 قبيل رحيل عبد المومن لفتح افريقية والمهدية، ومن الراجح ان ثورة هسكورة او بعض بطونها في هذه الفترة كان يقودها ابو بكر ابن توندوت : وبعد الحملات العسكرية التي تزعمها الشيخ ابو حفص الهنتاتي ثم الجولة التي قادها عبد المومن بنفسه بين قبائل الجبال الجنوبية الغربية سنة 552 تراجعت هسكورة عن موقفها مع تراجع القبائل الاخرى الثائرة. ويبدو ان الخليفة عبد المومن هو الذي اوعز الى الكاتب ابن عبد الحميد أن يوجه عتابا الى ابن توندوت يحثه فيه على التخلي عن دعم الحركة المرابطية والعودة الى الصف الموحدي وقد وردت رسالته ضمن الفصل الخاص برسائل العتاب في مخطوط «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» بالخزانة الحسنية في الصفحتين 46 و 47 وهذا نص الرسالة :

نـص الرسالـة :

ع/46 الى ابي بكر[2]، ايقظ الله بصيرته من نَوْمَةِ ضلاله، وفاء ب(ه)[3] الى كنف التوحيد وظلاله، من المبتهل الى الله في صلاح حاله وسلامة مآله : ابن عبد الحميد.

اما بعد، فياليتك لم تُخْلَق بشراً سويّا، فقد صرت للشيطان وليّاً، تركت ما كان عليه الشيخ

---

(1) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة وانظر الموضوع الثاني من الفصل الأول للدراسة التاريخية (ثورة هسكورة).

(2) راجع الفقرة الثالثة من الفصل الأول من الدراسة العامة.

(3) ما بين هلالين في الرسالة غير واضح في المخطوط بسبب الكشط او الأرضة.

المرحوم[4] من الاغتباط بهذا الامر العزيز[5] الذي لم يزل به حفيّاً، وقد مهد فيـ(ـه لـعـ)ـقبه صراطا سويّا، «فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا»[6]؛ نكثت بيعة ونقضت عهدا، وصرت بعد الإ(مـ)ـارة **لأهل اللثام** عـ(ـبـ)ـدا[7]، واستبدلت من علو القدر وسموّ المكان تحتاً، ومن الرشاد ضلالةً ومن المال حراما وسحتاً، فازددت عن الله بعداً ومقتاً، وما مَثَلُكَ الا «كمثل العنكبوت اتخذت بيتا»[8]، قد تبرأت منك **هسكورة**[9]، اعزز بها ع/47 شرفا كفيلا، يسألون عن أ(نـ)ـبائكم ولو(كا)نوا فيكم ما (قا)تلوا الا (.../...)[10]سوء عمله فرآه حسنا[11]، (.....)[12] من نعم الله سبحانه، ثم من نعم هذا الأمر العزيز خلده الله (.....)[13]عريقا وبوأكم التوفيق في مناصحة هذا الامر وخدْمته (.....)[14] وتلحظك بعين الا(غـ)ـتباط الابصا(ر)[15]، تحل لمكاتبتك (.....)[16] الشامخة والربا، تقطٌ الرقاب قطا[17]، والمهابة قد بسطت إليك (في) القلوب بسطاً، تجيش الجيوش للجهاد، وتخلفهم بخير في الأهلين والأولاد، وقد نظمتك عناية هذا الأمر — خلده الله — في مراتب العلية الجلة من **أولاد أهل الجماعة**[18]، ليوث البسالة والشجاعة، الوارثين عن آبائهم مناهج البر المستبينة، المتمسكين بعروة الحق المتينة، المقتفين سبل هذا الأمر وسننه، «الذي يستمعون القول فيتّبعون أحسنه»[19].

فخلعت من عنقك ربق الاسلام[20]، ولما دعاك الشيطان الى الضلالة أظهرت له الاستسلام،

---

(4) انظر الفقرة الثالثة المذكورة.

(5) اي الدعوة الموحدية والجهاز الحاكم وعلى رأسه الخليفة.

(6) الآية 59 من سورة مريم.

(7) انظر في الفصل الأول الفقرة الثالثة.

(8) من الآية 41 من سورة العنكبوت.

(9) هسكورة احدى القبائل الكبرى الفاصلة بين المجموعة المصمودية غربا والمجموعة الصنهاجية شرقا، وتمتد أراضيْها ما بين منطقتي تادلى ودرعة انظر الفقرة الثالثة المذكورة.

(10) الكلمة الاخيرة من الصفحة 46 غير واضحة وكذلك معظم كلمات السطر الأول من الصفحة 47 (حوالي 13 كلمة من هذا السطر).

(11) من الآية 8 من سورة فاطر «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا»...

(12) قدر كلمتين غير واضحتين.

(13) قدر كلمتين غير واضحتين.

(14) قدر ست كلمات يبدو انها على الشكل الآتي : (مذهبا،،، وطريقا تكفل عقبك الاحرار).

(15) في الأصل : الانصار.

(16) قدر ثلاث كلمات غير واضحة.

(17) تقط : بمعنى تقطع.

(18) «الجماعة» الموحدية يعرفون احيانا بالعشرة انصار المهدي الأوائل، انظر المقتبس 30 — 32، المعجب 188 نظم الجمان 77، الحلل الموشية 108، القرطاس 176.

(19) الآية 17 من سورة الزمر.

(20) في رأي الموحدين ان من كان على مذهبهم فهو المسلم الموحّد لله حقيقة، ومن كان على غير مذهبهم فهو مجسم ومشرك بالله، والمقصود هنا بالخصوص الخروج عن السلطة والثورة عليها.

ومَحَوْتَ بكبير سيئاتك ما كُتب في صحيفتك من اخلاص ونصيحة، وخدمةٍ مشكورة وآثار صحيحة، فعُوّض اسمك من ديوان التوحيد (بالشـ)ـقوة والعِناد، وآثرت الحياة الدنيا بما أظهرت من طغيان وفساد، ورفعت راية الغدر والارتداد، «ومَنْ يُضْلِلِ الله فَمَالَهُ من هَاد»[21]. فانت بأخبار رسول الله ﷺ مع الشيطان تركض، ولعرى الدين ومعالمه تنقض، كفرت ايادي سيدنا امير المومنين وآلاءهم[22] ، وبسطت يدك في المسلمين تقتلهم وتفرق أشلاءَهم[23] «أفَمَنْ كان على بيّنة من ربّه كَمَنْ زُيِّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم»[24]. وياعجباً كيف ركنتَ لأهل اللثام[25] وأهل البغي في الفجور، واستبدلت الفيافي عوضا من مشيَّدات الدور، واقترفت كبار الكبائر ورفضت ادِّخار الاجور ! «وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور»[26]، ولقد ركِبتَ بنفسك الغَرَرَ والخطر، واستولى عليك الأشَرُ والبَطَر، وآثرت العاجلة على الآجلة ففاتك الرأي الحميد والوطر[27]؛ «وكل صغيرٍ وكبيرٍ مستطَرٌ»[28].

فاصرفْ نفسك عن الفساد والظلم، ولا تَكُ ممن «اتخذ إلهه هواه وأضَلَّهُ الله على عِلْم»[29]، واعْلَمْ أن الله بالمرصاد، واقرأْ لقرآنه من سورة صاد، وبادر مبادرة مُنيب، وتُبْ من قريب، وسارعِ مسارعة مُخْلص بتوحيده ومَتابه، وأْتِ الامر من بابه، قبل ان تَلْمَعَ لك السيوفُ بَوارقَها، وتبعثَ اليك الحتوف رواشقَها، فقد نهض الموحدون ـــ أيّدهم الله ـــ ونفوسهم الزكية عليك وعلى أولئك الأشقياء حَنِقة، وقلوبهم التّقية النقية للمنايا معتنقة، فكأنْ قد ضاق بك البَراحُ، ونقض عزيمَتَك الكفاحُ، ورفضتك الروابي والبطاح، وتحكمت فيك المناصلِ والرماح ؛ فاتخذِ الرجوعَ الى الله سبيلا، واحذرْ ممن قال الله فيهم «إنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً»[30]،فعجِّل باسترضائك الحضرة الامامية قبل ان يَفجأَك الحِمام، فتكونَ مَيْتَتُكَ مَيْتَةً جاهليَّة، «فإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[31]، كيف أشْمَتَّ بنفسِكَ وإخْوَانكَ العِدا، وعرّضت للمحنة أهلاً وولدا، وركبت هوى نفسك فكنت «أضْعَفَ ناصِراً وأقَل عددا»[28].

---

(21) الآيات 22 و35 من سورة الزمر و 33 من سورة غافر.

(22) لعله الخليفة عبد المومن (541 ـــ 558).

(23) لاحظ بعض ضغوط الثوار مثل ايت يبغز (من هنتاتة) على تازاكورت وقتل عاملها قبل ان يعلنوا توبتهم مع الصحراوي الى عبد المومن (البيذق 85). فهل هناك علاقة مابين الثورتين ؟

(24) الآية 15 من سورة محمد.

(25) من الذين ثاروا مع الصحراوي : كزولة والكست وغيرهم، راجع الفقرة الثالثة من الفصل الأول.

(26) الآيات 19 و 20 و 21 من سورة فاطر.

(27) الاشر : البطر والمرح، البطر :عدم شكر النعمة، الوطر : الحاجة. استطر : المستطر هو المكتوب.

(28) الآية 53 من سورة القمر.

(29) من الآية 22 من سورة الجاثية «افرأيت من اتخذ الهه...»

(30) الآية 27 من سورة الانسان.

(31) من الآية 155 من سورة البقرة. (يصور الكاتب للثائر ان موته محقق ان لم يتب بسرعة).

(32) من الآية 24 من سورة المزمل : «حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف...»

فــــدَاوِ داءَك والاسبــــابُ ممكنـــــةٌ وإذ طَبيبُكَ قـد ألقى عليك يـــدا.

فان بادرتَ الإنابة، ألفيتَ عند سيدنا أمير المؤمنين جميلَ العفو وكريم الاستجابة، فقد تقدمت لك خدمة مشكورة، فشفّعْـ(ـهـ)ـا الان بتوبة مبرورة، لكنِ الهفوةُ بينهما بمشيئة الله مغفورة، فالسعيد من بادر بالمتاب واعترف، وترك الباطل رغبة عنه واقترف، ففي قول الله النعم السالفة والزُّ(لف)، «قُلْ للّذين كَفَروا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَر لَهُمْ ما قد(سـ)لف[33] ؛ بلَّغني الله في إنابتك الاملَ، وأصلحَ مني ومنك القول والعملَ، والسلام على من أخلص في حب هذا الامر العزيز واستقام، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

(33) من الآية 38 من سورة الانفال : «... ما قد سلف».

الرسالة التاسعة :

رسالة عن الخليفة عبد المومن من ظاهر قسنطينة إلى إشبيلية مخبرة بانتهاء حملته الافريقية وبأهم نتائجها

تقديم :

اتم الخليفة عبد المومن فتح مملكة بجاية سنة 548 ثم شغلته احوال المغرب الأقصى عن فتح ما شرقها، فلما استقرت له الأحوال تحرك لفتح افريقية التي كانت موزعة بين سيطرة النرماند في الساحل وعيث الاعراب في الداخل، وكانت حصانة المهدية فرضت عليه مداومة حصارها بينما تعمل بعوثه العسكرية على إخضاع الجهات الأخرى. ويبدو ان آخر هذه الجهات خضوعا هي قابس وقفصة، فوجه عبد المومن ــ وهو محاصر للمهدية ــ رسالة الى غرناطة في هذا الموضوع[1] أتبعها برسالة اخرى في 2 ذي الحجة 554[2]، وفي 10 محرم 555 تم فتح المهدية من يد النرمند الصقليين فوجه منها في نفس اليوم رسالة الى اشبيلية مبشرة بهذا الفتح وبهزيمة عرب افريقية المترددين بين الطاعة والعصيان اكتفى صاحب المن بالاحتفاظ بابيات شعرية وردت في آخرها[3]، فرد عليها امير اشبيلية، السيد ابو يعقوب يوسف برسالة استنجادية وبأبيات شعرية ايضا فاكتفى صاحب المن مرة اخرى بذكر الابيات الشعرية[4]. ولما وصل عبد المومن الى ظاهر قسنطينة قاصدا المغرب خاطب ولده ابا يعقوب برسالة ــ هي الآتي نصها ــ مشيراً الى قهره لعرب افريقية وتحركهم معه قصد الغزو بالاندلس، وقد اورد صاحب المن هذه الرسالة كاملة مع الابيات الشعرية التي تتخللها، بينما اكتفى ابن عذاري بنقل مقطع منها معتذرا عن الباقي، وهذا نص الرسالة كما وردت في المن (11 ــ 15) المخطوط[5] او (131 ــ 135) المطبوع، والمقطع في البيان (39 ــ 40 من طبعة تطوان)[6].

---

(1) مجموع رسائل موحدية (م ر م) لبروفنصال : الرسالة رقم 19 المؤرخة ب 20 ذي القعدة 554.

(2) الاشارة في «المن» (120 ــ 121 من المطبوع)

(3) المن (121 ــ 125)، وذكر هذه الابيات أيضا ابن عذاري (41) ط، تطوان.

(4) المن 128 ــ 129، ونقل نفس الابيات ابن عذاري 42.

(5) المخطوط الأصلي باكسفورد، وتوجد منه نسخة مصورة بالخزانة العامة بالرباط، وهي المشار اليها في هوامش رسائل المن بحرفي (م. م)، وهذا المخطوط هو المنشور بمطبعة دار الاندلس ببيروت، وهو محقق من طرف الاستاذ عبد الهادي التازي، ونظرا لازدواجية ترقيم صفحات المصور ونقص او خلط بعض اوراقه فقد اعتمدت على الترقيم الذي اورده الاستاذ التازي على اساس انه للمخطوط الأصلي، واعتمدت في نصوص الرسائل على المصور دون الاشارة إلى بعض الاخطاء المطبعية الواردة في طبعة بيروت المذكور.

(6) سيوجّه عبد المومن رسالة اخرى من احواز بجاية بتاريخ 24 ربيع الآخر سنة 555 (انظر م ر م عدد 21).

نـص الرسـالـة :

م م/11 (بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد[7] لله وحده)[8]، أعزكم الله، وجعلنا واياكم من الشاكرين لنعماه ؛ ان من الواجب الحتم، والمفترض الحزم[9]، على من لزمه شكر النعم لمسديها (بمهد الآلاء لمهديها)، ان يقدّر[10] اولاً النعمة بكاملها، ويَغْمُرَ خَاطِرَهُ[11] بتفصيل اجمالها، ويُحضر في ذهنه بهجة جمالها، (ويسرّح عين اعتباره في مناقل احوالها) حتى (يفيض) على باطنه[12] نور اشراقها، وتهمي ينابيع مقوله بهاطل[13] غيداقها، وتتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها[14]، وهو الفتح الذي برز في الاعجام والأعراب[15] وأضحى نسيجَ وحدِهِ في الاشباه والاتراب، (وعَقمَ عن مِثله الزمنُ السالف، وخلت عن وصف نظير له الكتبُ والصحائفُ)، يتأكد بمحله وجوب[16] الاعتبار، ولا يزال موقعه يعظم بزيادة الاستيضاح والاستبصار[17]. وقد ابرزت لكم صوره، وتليت عليكم آياته وسوره، ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لا تنتهي اليها الأوصاف، وغايات لا تحيط ببعضها الاكناف[18] ؛ فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الاعتبار في وزنه بميزانه، وقدره على حقيقة كنهه وكيانه، واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله تعالى لهبها، والجمهرة التي ابادها م م/12 الله وأذهبها، وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها[19]، هي شوكة الامة التي لم تزل/ للأمم صاليةً بنيرانها، والجن والانس مستعيذين من شيطانها، ومردة كل طائفة متحيرةً من تمردها وطغيانها

ملاحظة : سأقتصر على الاشارة في الهوامش الى نسخ الخزالة الحسنية من البيان المغرب كالتالي :

النسخة رقم 336 رمزها : خ ح 1 — النسخة رقم 777 رمزها : خ ح 2

النسخة رقم 6158 رمزها : خ ح 3 — النسخة رقم 334 رمزها : خ ح 4

النسخة رقم 2150 رمزها : خ ح 5 — النسخة رقم 5212 رمزها : خ ح 6

(7) انظر خصائص الرسالة رقم 6 حول «العلامة» الخليفية ضمن الفصل الأول من الدراسة العامة.

(8) ( ) ما بين هلالين ناقص في البيان.

(9) في البيان : المحتم والمفرض الحزم.

(10) في البيان : ان يقرر.

(11) في البيان المطبوع ونسخ الخزانة الحسنية : خاطرها.

(12) في البيان المطبوع ومعظم نسخ الخزانة الحسنية : على بطنه.

(13) في البيان المطبوع : ويهمي ببادع مقوله هاطل... وفي خ ح 1 و3 : بيانع... وفي 2 و4 بباقع...وفي خ ح 6 بياقع كاهل غيداقها

(14) في البيان : اشتياقها.

(15) في البيان : في الاعجاز والاغزاب. وما في «المن» أصحّ، فالمقصودون هم النورماند وعرب افريقية.

(16) في المن : تتأكد بمحله وجوب... وفي ط بيروت : بمحلة وجول...

(17) في البيان : والاختبار. وهنا توقف صاحب البيان معتذرا لطول الرسالة.

(18) ستأتي التفاصيل في رسالة اخرى (هي رقم 21 م ر م لبروفنصال).

(19) في الأصل : (وسنمها) او (وسنها)، وكلاهما غير مناسبة للسجع، ومن المحتمل انها : (وسلبها)، انظر المعاجم اللغوية.

قد دوخت الملوك والممالك، واستحقت المسارح والمسالك، واقتحمت ببأسها المتالف والمهالك[20]، ومرت عليها قرون لم يَهِض لها جناحٌ، ولا رِيعَ لها صباحٌ، ولا قارنها في مطالبها الغوية إسجاحٌ، حتى ظنت ان الحتوف تهابها، وامر الله لايطرقها ولا ينتابها، اغتراراً بعددها وعديدها، وثقة بان الأيام لا تنتقل فيهم عن معهودها ؛ وقد خبأ الله لأوليائه الموحدين من الفتح فيهم صنعا اختصهم به من بين الأنام، وأجراه عدّة لهم في مأثور كلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما حقت عليهم كلمة عذابه، وأراد الله انفاذ حكمه فيهم بما تقدم من أسبابه، ((طويل)).

تصدّى[21]لأهـل الحقّ نيـلُ مُرادهـــم ... وطـاب لهم فيمـا يرومونـه الـــوِردُ

ويُسّرت الأسبـابُ فاختـيرت المُنـــى ... وأحكِـمت الآمـال فانـتضِي الجِـــدُّ

ودُبّـــر رأيٌ فالتـــقت عزماتـــه ... على حكم ما قد احمكت ضربه الهندُ

فسار بامـــر الله جـــيشٌ عرمـــرمٌ ... يقـود بـه سعـدٌ ويحدو بـه سعـد

بكـل بسيـط الشأو منقـبضِ الـنسا ... يصول عليـه في الوغــى اسدٌ وِرْدُ

سروا، وريـــاح الـنصر تحرد بـينهم ... فـأضحت ريـاحٌ مـا لها منهم حَـرْدُ

م م/13 بضرب يزيـل الهامَ عـــن سكناتـــه ... وطعـنٍ شتيتـات القلـوب بـه سرد/

شفـى كل صدر نـوّر الله قلبـــه ... وأشقى صدورا ما لها بـالهدى عهـد

وطُهّـرت الآفـاق مـــن كل كافـــر ... فحصحص حقّ الله واستُحكـم العقـد

ولما طغتْ جهـلا ريـاحٌ وصرصرت ... دهتها بأمـــــر الله داهيـــــة إدّ

فلم تُغْنِ عنها اللات شيئا ولا حمى ... نفوسهـــــــم عنها سواعٌ ولا ودّ[22]

وقـد مُزّقـــوا في الأرض كل ممزّقٍ ... فمـن فاتـه قـدٌّ احاط بـه قِـدُّ

وهـذا هـو الفتـح الـذي بكمالـــه ... تكَامَـلَ امـر الله وانتُجـز الوعـدُ

بـه تُفتـح الدنيـا بـه يُبلَـغ المنـى ... به يُسجَح العاصي بـه يقرب البعد

لقد جلّ قـدرا أن يحيـط بوصفـه ... لسانٌ وأن يحصي معانيـــه عَـــدّ

ولله سرٌّ فيـــه لابـــدّ يُجتلَـــى ... بآثـــاره في كل مفتَتَـــح بُعْـــدُ

ستلقَـى بـلاد الـروم منـه حتوفَهـــا ... ويَغْشى أُولي الالحاد من ذكره جهدُ[23]

وما كان هذا الغزو إلا مـن أجلـه ... فلمـا تجلى صبحـه كمُـلَ الـمقصد

وقـد صُرفت نحو المغـارب عزمـــةٌ ... يَـبين لها في كل ناحيـــة[24] وَقـــد

معــــوّدة ألاتهـــــمَّ بمطـــــلب ... فيُلفَـى لها مـن دونـه ابـدا بُـــدُّ

وجـدٌ لاهـل الحق أوبٌ معجّـــلٌ ... فللـه ذاك الـرأي والمذهبُ الجِـــدُّ

---

(20) الحديث هنا عن عرب افريقية وسيطرتهم الحقيقية سابقا على اراضي مملكتي الزيريين والحماديين منذ اواسط القرن الخامس الهجري.

(21) في ط بيروت : تتسنى.

(22) اتهام بالكفر لكل من يقف في وجه الموحدين، وكلمة (عنها) الثانية هي في الاصل : (عنا).

(23) سينقل العرب فعلا الى الاندلس لمحاربة الاسبان وابن مردنيش.

(24) في الاصل : داحية.

وحاجاتهم بالشرق قد قضيت لهم ... فآمالهم نحو المغارب تمتدّ
إلى الأفق الغربي صُرنا صدورها ... خفافا كما طارت بجرعاتها الرُّبد
فيا معشر **الأشياخ** من كل **طالب** ... ومن **حافظ** للذكر الفاظه صَرْدُ
نبشركم انا اهتممنا بأمركم ... فلبّتكم منا المسومة الجرد
وَيصحبنا من خالصِ العُرب[25] معشرٌ ... انابوا فما ردّوا وتابوا فما ارتدّوا
رأوا في ذويهم عبرةً فتيقّظوا ... وكان لهم في غيّ غيرهم رشْد
ستغزو بلادَ الروم منهم عصائبٌ ... وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند[26]
فطوبى لأهل الغرب ماذا يرونه ... لقد جلّ قَدْراً ان يحيط به حدّ
جيوش بنصر الله تهمي عليهم ... يروق بها وهْدٌ ويزهَى بها نجد
ويشجَى بمرآها الاعادي كأنما ... عليهم بها صمُّ الشوامخ تنهدّ
ستَعلم ارضُ الروم ايّ فوارسٍ ... على ظهرها منهم اذا وَفَدَ الوفد
وأيّ رجالٍ للحروب اذا بدت ... أسودَ شرى يخشى ترائبَها الأسْد
وانا وإياهم لحتمٌ غِلابُنا ... لهم وكلام الوحي ليس له ردّ
وانا لنرجو الله في كل حالة ... فيوسعنا فضلا له الشكر والحمد[27].

وهذه الفتوح التي تفتحت لها ابواب السماء، وأشرقت بأنوارها دياجير الظلماء، إنما صُلي بنيران سيوفها، ودارت أرحية حتوفها على **الرّيّاحيين** ومن انضاف إليهم من الذين خلعوا عن أعناقهم ربقة الايمان، ونبذوا وراء ظهورهم اسباب الأمان، وآثروا ناعق الشيطان على داعي الرحمان، واما سائر الاعراب فالرجاء فيهم متمكنّ، وطريق احدى الخطتين لهم متبيّن، والقصد إليهم بحسب نفيرهم أو نفورهم متعيّن، لا محيص لهم عن احدى السبيلين، ولا بدّ لهم من ركوب احدى الطريقتين[28]، فأما من ظلم نفسه، واعتزل الحق وأهله، فسيذوق من العذاب الأدنى مرّا، «ثم يردّ إلى ربه فيعذّبه عذاباً/ نكراً، واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى، ونقول له من أمرنا يسراً»[29]، الموعد بفتحهم ومَلْكِهم سابق، وخبر الوحي لا محالة صادق، والنظر في امرهم متدارك متلاحق، والعمل على شاكلة الصواب بحسب ما يكون منهم متناسق ؛ فاستبشروا وفقكم الله لما تستقبلونه من المواهب الجسيمة والفتوح العميمة، فإنها لهذه التي بين اليد — وإن عظم خطرها، وجلّ في النفوس اثرها — بمنزلة الجملة للعنوان، أو الروح من الجثمان، والله تعالى يجعلنا وإياكم ممن شكر انعمه، وآثر العمل الصالح وقدّمه، بمنّه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

م م/15

---

(25) هم بنو رياح وبنو جشم وبنو عدي (المن 144) انظر ايضا الرسالة 21 (م ر م).

(26) هل المقصود استعمالهم ايضا لحماية النظام داخليا ؟

(27) يفهم من المن (124 — 125) و135 و البيان 23 ان القصيدة من انشاء عبد المومن.

(28) انظر ص 119 في (م ر م).

(29) الآيتان 87 و88 من سورة الكهف.

الرسالة العاشرة :

رسالة حول الانتصار في معركة بحرية قرب مدينة تَنس

تقديم :

تصف هذه الرسالة الموجهة من «الطلبة» الذين «بفلانة» ! الاصطدام في معركة بحرية بين قطعتين موحدتين من بجاية وبونة وقطعتين نصرانيتين من طرطوشة وبرشلونة قرب مدينة تَنَس بالمغرب الاوسط، حدث ذلك اثناء تحرك القطعتين الموحديتين في اتجاه تنس فتمكنتا من إحراز النصر على القطعتين النصرانيتين بعد قتال استمر من الفجر الى قرب الزوال من يوم الجمعة 7 رجب سنة 567 ! (حسب الرسالة)[1] وتم الاستيلاء على احدى هاتين القطعتين وفُكَّ اسرى المسلمين من أيدي النصارى، وبعد تسعة أيام من تاريخ المعركة اي في اليوم الذي وصَلت القطع الثلاث الى «فلانة» ! وهو يوم 16 رجب وجّه «الطلبة» الرسالة الآتية الى الأمير «السيد ابي فلان» مخبرين بالحادثة[2].

هذه الرسالة وردت في مخطوط «العطاء» ضمن زوائده على الصفحتين 18 و19 وهي من إنشاء القاضي أبي موسى[3]، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

ع ز/18• حضرة سيدنا المعظم الأسنى أبي فلان[4] بن سيدنا ومولانا امير المومنين ــ أيد الله أمرهم، وأعز نصرهم ــ من الملتزمين لأمرهم، المديين لحمدهم وشكرهم، الطلبة الذين بفلانة[5] سلام على السيد المعظم الأسنى ورحمة[6] لله تعالى وبركاته.

---

(1) هذا التاريخ مشكوك فيه وأرجّح ان يكون تاريخ الرسالة بين سنتي 555 و 558، وهذا ما دفعني الى تقديم ترتيب الرسالة-زمنيا، انظر ترجمة القاضي ابي موسى ضمن تراجم الكتّاب، وراجع ايضا خصائص هذه الرسالة ضمن الفصل الثاني من الدراسة العامة.

(2) انظر خصائص الرسالة ايضا.

(3) توجد ترجمته في المقدمة ضمن بقية التراجم.

ملاحظة : ما بين هلالين ( ) في الرسالة : كلمات أو أجزاؤها مكشوطة أو مأروضة، ويتمم احيانا اجتهادا.

(4) من المرجح أنه السيد ابو محمد عبد الله ابن الخليفة عبد المومن والي بجاية (557 ــ 560)، انظر تحليل هذه الرسالة في الفصل الثاني من الدراسة العامة،

(5) راجع التحليل المذكور.

(6) في الأصل : ورحمت.

أما بعد حمدِ الله الذي يَسَّر الفتح الجليل آية لأمره شاهدة، ونعمةً بأعلى منها واعدة، والصلاة على محمد نبيه ورسوله، وعلى صحابته[7] التي عكفت على إعلاء دعوته ونصر كلمته جاهدة مجاهدة، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي ردّ بالسيف والحجة القاطعين قلوباً نافرة وأفئدة شاردة، والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المومنين[8] بإمداد جيوشه بجيوش من الرعب تسير بين أيديها ناهدة، وتغادر فرق الكفر والضلال حيث كانت حصيدا خامدة، وللأمير الأجل الأفضل **أبي عبد الله، باسعاده ببركة سيدنا ومولانا الخليفة سعادة على مر الأيام مساعدة.**

فالكتاب ــ أعلى الله قدركم، وأدام تأييدكم ونصركم ــ وقد فتح الله ــ جلت قدرته وعظمت منته ــ ببركة سيدنا ومولانا أمير المومنين ــ أيدهم الله ــ في غزوة بحرية عظيمة الاثر، كريمة الخُبْرِ والخَبَرِ، قرّب الله فيها مرامات متبعّدة، وسهّل مسالك متوعّرة، وشفى صدور قوم مؤمنين كانت على الكافرين متغيّظة مستعرة، وصورتها الحسنى ان القطعتين المباركتين[9] اللتين تقدم الاعلام بتوجُّهِهما لانتهاز غزو إن اتفق، ولتشييع المركب الذي وُ (سـ)ـقَ فيه من ثياب المخزن[10] المعمور ما وُسَق، وكانت الجماعتان اللتان في القطعتين احداهما من أهل بجاية[11] والثانية من أهل بونة[12] ومقدماهما[13] حسن وأبو بكر ــ اكرمهم الله ــ نهضوا وشعارهم التوحيد واستنصارهم بيمن الخلافة التي لا ينجو هاربها ولا يحيد، فوافوا مرسى تنس[14] ــ حرسها الله ــ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع (من) رجب الفرد، وإذا فيه غرابان[15] اثنان احدهما من طرطوشة[16]

(7) سنلاحظ في رسائل الخلفاء الموحدين الأواخر اغفال الصلاة على صحابة الرسول والاكتفاء بالصلاة عليه وحده.

(8) المقصود هنا الخليفة عبد المومن على الأرجح، وأبو عبد الله هو ابنه محمد ولي عهده فيما بين حوالي 550 و 558، وهذه الولاية هي السبب في الدعاء له بعد ابيه في المراسلات الرسمية وخطب الجمعة. راجع الفقرة الاخيرة من الفصل الأول.

(9) القطعة : جمعها قطائع، وهي فيما يبدو السفينة الحربية عموما، انظر الجانب العسكري في الفصل الخامس.

(10) كلمة (المخزن) : لازال مدلولها هو بيت المال وهذا ماسيتضح أكثر في رسائل اخرى.

(11) بجاية : عاصمة بني حمّاد الصنهاجيين الى سنة 547، وهي تتميز بكثرة تردد التجار عليها : انظر الإدريسي ص 63 ــ 64 نشر هـ. بيريس، المعجب 352 الاستبصار 128، ابن سعيد في «كتاب بسط الأرض» 76 (يحدد المسافة بينها وبين طرطوشة بثلاث مجار بحرية)، عنوان الدراية ص 45، الحميري في مادة بجاية، صبح الاعشى 109/5.

(12) بونة : مدينة بينها وبين تونس ست مراحل، وتعتبر من افريقية، وهي بلد زراعة وتجارة، انظر المعجب 351 ــ 352، الروض المعطار 115، وصبح الاعشى 106/5.

(13) المقدم : في هذه الرسالة هو صاحب رتبة عسكرية بحرية.

(14) تنس : مدينة بالمغرب الأوسط ناحيتها كثيرة القمح ومنها يحمل الى افريقية و الاندلس بينها وبين البحر ميلان، الاستبصار 133، المعجب 353 بسط الأرض 76 الروض المعطار 138.

(15) الغراب : نوع من القطع الحربية. انظر الجانب العسكري في الفصل الأخير.

(16) طرطوشة : مدينة على الساحل الأرغوني تبعد عن حد بلاد المسلمين (زمن الموحدين) بمرحلتين او اكثر لها أهمية فلاحية وتجارية، المعجب 396، معجم البلدان (طرطوشة)، الروض المعطار أيضا، الادريسي 555 (النشرة الايطالية).

والثاني من برشلونة[17] ــ فتحهما الله ــ و لم يكن عند واحد من الفريقين علم بالثاني وإنما كانت مفاجأة لم يتقدم لها مقدمة إلا أ(....)[18] والإ (تكـ)ـال على فضل الله وبركات هذه الدعوة العلية، فلم يكن بين المعاينة وصدق المخالطة زمان، ولا شَغل قِرْناً عن منازلة قِرن شان، ووقفت كل قطعة بازاء صاحبتها فتناطح القوم هناك وتراموا بالسهام، وتداعسوا بالرّماح، وتماصعوا بالسيوف، وتصارعوا بالأيدي والأيد، وتعاملوا (...)[19] وتضامّوا حتى لو يلقى الماء بين اثنين لم يكد يتسرب، ودامت الحرب، واختلط الطعن والضرب، الى ان تحطّم كثير من المجاذف والعيدان، وتثلّمت اجزاء من المراكب لفرط التداني على سَعة الميدان، وامتد القتال من الوقت المذكور الى قرب الزوال، حتى كاد اليأس يحصل، وخضاب الرجاء ينصل، والناس ينظرن من البرّ لا يقدرون لإخوانهم الا على الابتهال في الدعاء، والضراعة الى رب الأرض والسماء، فعند ذلك أهبَّ الله ريح النصر لأوليائه، ومكنّهم من ظهور أعدائه، وحكّم فيهم سيوفا تتقبّض وتنبسط، وتُقـ(ـسـ)ـط ولا تَقسط[20]، وتغلبوا على إحدى القطعتين،/ وكان القتلى من أهلها شطرا والمأسورون شطراً، وجملة المأسورين نحو (ثمـ)انين فيهم من (.....)[21] وأفلتت القطعة الثانية بجريعة الذقن عند الاشتغال باختها بعد ان قتِل من (كفـ)ـارها نحو الأربعين، و (....)[22] الثانية في البحر، واستنقذ الله من كان عندهم من المسلمين في ربقة الاسر، فسُرِّيَ عن اهل السواحل، (فسـ)ـرّوا وفرحوا واستبشروا، وعاينوا آية عظيمة في مقابلة قطعتين لا عهد لهما مع الانفراد (...)[23] ذلك الجهاد والجلاد لقطعتين ليس فيهما الا (...)[24] **ـسرطة الكفار** الذين عُرفوا بالنجدة ووُصِفوا بالشدة، **واتخذوا هذا البحر جملا ذلولا يركبون جنابه، ويضربون عبابه، عرضا وطولا**[25] ؛ واعتقد الموحدون ان هذا الفتح فرع من فروع الفتح الاعلى بالمهدية ــ كلأها الله ــ [26] ــ فقد ابقى بحمد الله في الكفار سُنة قد استقرت، واطردت واستمرت، وهي ان يجعل الله مصارعهم بحيث يراها الجالس على الشط، ويعاينها من لم يعاينها قط.

ع ز/ 19

وفي تاريخه وصل الغزاة[27] المفتوح على ايديهم ــ بارك الله فيهم ــ بقطعهم الثلاث، مجموعا

---

(17) برشلونة عاصمة مملكة اركون فينسب احيانا ملوكها اليها كما في المصادر العربية، سفنها كثيرة الحركة للتجارة والغزو، بها عدد مهم من اليهود. المعجب 368، الروض المعطار 86 ــ 87.

(18) كشط قدر كلمة.

(19) كشط قدر كلمة او كلمتين.

(20) يُقسط إقساطا : اي يعدل عدلا، يَقسط قِسطا ؛ يجور جوراً.

(21) الماروض قدر كلمة.

(22) يرجح ان الكلمة الماروضة هي (نجت).

(23) الكلمة المناسبة هي (بمثل).

(24) ينقص هنا جزء من كلمة.

(25) راجع خصائص هذه الرسالة والملاحظات عن البحرية الاسلامية في الفصل الثاني للدراسة العامة.

(26) كان ذلك في مطلع سنة 555.

(27) انظر في الفصل الاخير ما يتعلق بالجانب العسكري مصطلح الغزاة.

لهم بين الأجر والمغنم، مسموعا منهم الاعتراف بأنها احدى (برکـ)ات هذا الامر الأعظم، ليس لهم فيها إلا حظ المستعمَل المسخَّر، وإنه لَلحظُّ الغبيط المقدم غير المؤخر، لم يمسَسْهم سوء، ولا فُقد منهم إلا شخص واحد[28] من عرض الناس، شَهِد له اصحابه من حسن البلاء وعظم الغَناء، ما ترجى له به الشهادة، وتنال بمثله السعادة، والحمد لله رب العالمين حمدا يكون كِفاءاً لِنعمه، وإزاءاً لِقسمه، ومدعاة لفيض جُودة وَكَرمِهِ، وإياه نسأل أن يورد (مع الساعات والأوقات على حضرة الخلافة النبوية المهدية فتوحاً تَترى، وتدن[29]) شانيها بُتْراً، ويملأ طيب أحاديثها برا وبحرا وبدوا وحضرا.

والرغبة في دعاء سيدنا المعظم وابن سيدنا ومولانا المنعَّم ـــ ايدهم الله ـــ تتأكد، وملازمته **للمجلس الأعلى** ومشاهدته للنير الأسمى مما تتزين به هذه الرغبة وتتزيد[30]، لا زلتم مستمدين من بركته، مجدودين بسعادته، والسلام الأبر الأزكى الأعطر الأذكى على السيد المعظم الأرفع الأسنى ورحمة الله وبركاته.

كتب في السادس عشر من رجب الفرد سنة سبع وستين وخمس مائة[31] .

---

(28) هذا غير مطابق لوصف المعركة ومع استعمال الاسلحة المختلفة زيادة على طول مدة القتال من طلوع الفجر الى وقت الزوال، ومثل هذا الادعاء مألوف عند الموحدين (مثلا انظر الرسائل 27 و 28 و 34).

(29) كلمة حرفها الأخير غير واضح ولعلها كما أتبتناه، والمعنى : يقصّر وينقص، ماضي الفعل هو : وَدَنَ.

(30) لعل المقصود بالمجلس الاعلى هو مجلس الخليفة، راجع المن 237 و 285 و 429.

(31) راجع خصائص هذه الرسالة في الفصل الثاني حول الشك في صحة هذا التاريخ وترجيح غيره.

الرسالة الحادية عشرة :

رسالة تقريع من انشاء ابن مبشر[1]

تقديم :

في احدى المعارك الغير المعروفة تعرضت إحدى فرق الجيش الموحدي للهزيمة فوجّه الوالي بالمنطقة فيما يبدو رسالة تقريع لهذا الجيش، ويبدوا أن ابن مبشر هذا هو نفسه صاحب رسائل الشكايات في عهد الخليفة يوسف[2]، فالبلوي يسميه في الحالتين بنفس الاسم اي ابن مبشر، فلو كان هذا غير ذاك لَمَيَّز بينهما ؛ ولا يمكن ان تكون الرسالة ـــ نظرا لعدم ذكر المهدي ـــ مكتوبة في عهد المأمون، فالبلوي صاحب العطاء جمع كتابه بين 610 و 613 وهكذا نظرا لصعوبة التأكد من تاريخ الرسالة فقد فضلت وضعها بين أواخر عهد عبد المومن وعهد ابنه وخلفه يوسف.

نص الرسالة :

ع/44 الى أُمَّةٍ نَجَهَت أفئدتُهم وقلوبُهم، وركَنت الى الخفَض ولَيان العيش جُنوبُهم، وظهر عُدولُهم عن سَنَن الرجال والأشدّاء ونُكوبُهم، الذين ارتسموا من الجُبْن والفشل بأقبح النعوت والأوصاف، وتشبّهوا بفزعهم وخَوَرهم بنبات الماء او حُمْرٍ لَصَاف[3]، صرفهم الله عن طريق رعبهم وفزعهم، وتاب عليهم من سوء منحاهم الذميم ومَنزعهم، سلام على من جاهد الله حق جهاده، ولم يَنكِس بعد الاسلام الى ارتداده[4].

أما بعد حمد الله الذي ميَّز بين الرجال والنساء، والصلاة على محمد المصطفى صلاة نرددها عليه في الصباح والمساء، مقوّي الشرع بالتثبيت له والإرساء، الذي فضّل سائر الملوك كفضل البحر الملتحّ على الحسا(ء)[5]، والدعاء لسيدنا أمير المومنين[6] في أن يغفر الله ببقائه ذنب الدهر المستقبح المستساء.

---

(1) راجع ترجمته في المقدمة ضمن تراجم الكتّاب.

(2) يوجد بعضها ضمن ملاحق قسم الرسائل.

(3) اللصاف : نوع من العشب تأكله الابل، وهو أيضا اسم موضع في منازل بني تميم، قال الشاعر أبو المهوس الاسدي :

«كـــنت أحسبهم أسود خفيـــقفـإذا لصافِ تبـيض فيـه الحمـر» (لسان العرب، لابن منظور).

(4) اشارة الى كون الجهاد فرض في عقيدة الموحدين، ومن تخلى عنه أو تراجع منهزما فقد ارتد عن الاسلام.

(5) الهمزة ناقصة في الأصل، والسجع ـ قبلُ وبعدُ ـ يفرض وجودها.

(6) يبدو هنا عدم وجود الدعاء للمهدي في اصل الرسالة، فالسجع المتتابع لا يشير الى وجود بتر في الرسالة الاصلية ربما لأن موضوعها وهو العتاب لم يكن داعيا لاتباع الأسلوب الرسمي التقليدي بحيث لا يجعلنا هذا نعتقد ان الرسالة كتبت زمن المأمون الذي تخلى عن «رسوم» المهدي.

فإنا كتبناه ــ كتب الله لكم بصائر لا تعمى عن مراشدها، وسرائر لا ينحل مُبرحُ معاقدها. ونقلكم من خجل الغواني والقيان الى مجال الضراب والطعان، واخرج قلوب الثعالب من أحناء ضلوعكم، وعصمكم من نكوصكم على الاعقاب ورجوعكم، وجنّبكم فراراً عن الزحف والكفاح، وجعل وخزَ الإبر عندكم اهونَ من طعن الرماح ــ عندما تبيّن لنا من اللؤم الذي أوفضتم الى نَصبه، والعارِ الذي اكثرتم من اقتنائه وكَسبه، والذِّكرِ الذي طَبّق الخافقيْن سوءُ حديثه، وأتَى سببُه الأقصى بسريع شره وخبيثه، وامتلأت المعمورة بقبيحه الذميم وخبيثه، يَعجز عن حمل اوزار الحرب انتهاضُكم، ويهزمكم وانتم الكثيرون أبعاضُكم، فلا ازدجارُكم يبعثه شرعُ الاسلام ولا اتّعاظُكم، ولا الحميّة يستثار بها ذِمارُكم وحِفَاظُكم، كأنَّ نِفارَكم عن أعدائكم ينسا[7] آجالكم، وكأنَّ الحربَ قد حرمكم منها سِجالُكم. فَلِمَ تمسحون لِحاكم، وقد سبّكم الوحي ولَحاكم، ولِمَ تحملون العمائم، وانتم اوهن من (...)[8] التعاوذ والتمائم.

فانزلوا ــ حطكم الله ــ من الفرس النهد الى صهوة المهد، وكونوا كبارا في الخِلقة صِغارا، والحَقُوا بالخوالف والقواعد، **واخظَبوا بالحِنّاء بطون الأكُفّ وظهورَ السواعد**، واتركوا الطعان للتجشّي عند التنائر والموائد، ولا تطمحوا الى ان تجتنُوا من سود (المصا)ئب بيض الــ(ــعــ)ــوائد فعليكم/ (....واجراء الخيول...)[9] بلقاءِ حين كَرهتم (...اللقاء... وتعزّيتم بفرار...)[9] ؛ ع/45 والشقاء، قد مدّ الله لكم الدوام والبقاء، واياكم (....فعالكم...)[9] بل والله تُنْزلكم (....)[10] منزلة المومسات (...)[10] بالموحشات (....)[10] على ثياب الرجولة لا الكُساةُ، إلا ان يَستيئس عَزْ(لـ)ـكم، ويُدَال بالقوة عجزُكم. فحينئذ يرتفع عنكم (...)[10] وذلك رَجزُكم، وما بيننا وبينكم الا ان تَحمى وطيس، وتتعاطى للمنية (الـ)ـكؤوس، وتحلَّ من الحرب وهي شِمطى[11] عروس، فإن فعلتم عندّ ذلك كما فعلتم أولاً، ورأينا لكم على الأجفان نبتاً ومُعَوّلاً، أخذتْكم سيوفُنا أخذةَ أسف، وعاقبناكم على ما حضر وعلى ما سلف، وسقناكم وقد هربتم من التّلف الى التّلف ؛ فاختاروا اي السيفين شئتم أسيف الإقبال ام سيف الإدبار، وأقدموا او انكصوا على الأدبار، وقد خيرناكم فانظروا (أحسن) العواقب في الخيار، وهذا وعيد وانذار، وامهال قليل وانظار، وستكشف الرغوة عن الصريح (...من ...)[12] التصريح، وبعد هذا «فإمْسَاك بِمَعْروفٍ أو تَسْرِيحٌ»[13]، والله تعالى يشُدُّ أزْرَكُمْ على خُلق الذكور، ويَرجِع بكم عن المذموم المنكور، ويجعل لكم حنينا الى خُلق الرجال كحنين الطير الى الوُكور، والسلام على من رَبط على قلبه، ولم يفرّ عن الزحف يوم حربه، ولا فَلّ الرُّعبُ حَدِيدَ غَرْبِهِ، مُعاداً مُرَدّداً...

---

(7) كذا في الأصل : ينسا (بدون همزة) ومعنى نسأ : أخّر.

(8) كلمة غير واضحة يمكن ان تقرأ : تخاذ، فعل (تخذ) : بمعنى اخذ،

(9) هنا يظهر تأثير الرطوبة في الاسطر الخمسة الأولى من الصفحة 45 بالمخطوط.

(10) غموض قدر كلمة بسبب امتداد الرطوبة.

(11) في الأصل : شمطا (بالالف الممدودة).

(12) اربع كلمات غير واضحة يمكن ان تقرأ هكذا : وأجمجم ! من ــ ـرح هذا).

(13) الآية : «فامساك بمعروف او تسريح باحسان» ضمن الآية 229 من سورة البقرة.

الرسالة الثانية عشرة :

رسالة عن السيد أبي حفص وأبي سعيد حول هزيمة ابن مردنيش في موقعة الجلاب وانحصاره داخل مرسية

تقديم :

عندما بدأت السيادة الموحدية تتسرب الى الاندلس كانت بلاد الشرق منها تحت سلطة محمد بن سعد ابن مردنيش وقد فشل عبد المومن في استمالته الى طاعته سنة 548[1]، بل استغل ابن مردنيش وصهره حليفه ابنُ همشك انشغال عبد المومن بفتح افريقية فاشتدت منهما الضغوط على قرطبة واشبيلية[2]، ومنذ نهاية فتح افريقية أخذت الامدادت تقوى الى الاندلس من الموحدين والعرب، فأخذت وضعية ابن مردنيش تسوء تدريجيا وخاصة منذ اصطدامه مع الجيوش الموحدية في ذي الحجة 560 بفحص «الجلاب» بين مرسية ولورقة وتراجعه الى مرسية حيث ابتدأ الموحدون حصاره بها، وعنذئذ وجّه المشرفان على هذه الحملة السيدان ابو حفص وابو سعيد ولدا الخليفة عبد المومن رسالة من ظاهر مرسية حول هذا الانتصار الى اشبيلية (والى الخليفة يوسف بمراكش) هذا نصها كما وردت في المن بالامامة (276 ــ 282 ط بيروت) وهي من انشاء ابي الحسن ابن عياش[3].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر وعثمان ابني امير المومنين الى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية أدام الله كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد، فالحمدُ لله القاهر الغالب، ناصر جنده ومنجز وعدِه في المشارق والمغارب، والصلاةُ على محمد المبتعث وسيطا في ذؤابة[4] لؤي بن غالب، وعلى آله وأصحابه الماشين على سَنَنه وسنته على أوضح المسلك الواجب، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، الناهض بأمر الله تعالى قياماً بالواجب للحادّ المحادّ والمجانب، والدعا(ء)[5] لمولانا وسيدنا أمير المومنين حامل لوائه/ والملة م م/129

---

(1) الرسالة العاشرة من (م ر م) لبروفنصال، وسيجدد الخليفة يوسف 564 دعوته اليه : الرسالة رقم 24 (م رم).

(2) المن (المطبوع) ص 115 وما بعدها.

(3) انظر ترجمته في المقدمة ضمن كتّاب الرسائل.

(4) غير واضح في الأصل، والتصحيح من طبعة بيروت.

(5) الهمزة ناقصة في الأصل.

على منهاج الحق الناسخ لمفترقات المذاهب، ممشي الدعوة الامامية والكلمة الموحدية في شعاع نوره المجلّي للغياهب، ثم لفرعه الأنمى ونجله الأزكى الأمير الأجل، الملك الأسعد الأعدل، أبو يعقوب[6] ذو الحسب المحلّى بالمناقب، المسامي للنجوم الثواقب، المختار مذخوزاً لأمر الله تعالى المخصوص بغرائب الرغائب.

فكتبناه — أكرمكم الله بتقواه، وأوزعنا وإياكم شكر نعماه — من مضرب محلات الموحدين — انجدهم الله — بظاهر مرسية يسرّها الله، وصنع الله الجميل، وفتحه الجزيل، قد وضح نهارا، وفهق أنهارا، وعلت كلمته العليا جهاراً، وبركة الإمام المهدي وسعادة سيدنا ويمن الأمير الأجل — أيدهم الله — قد سوغت طائفة الحق نصرا وإظهارا، واعتضاداً في ذات الله واستظهارا، والحمد لله رب العالمين.

وقد خاطبناكم قبلُ بما كان من صنع الله تعالى في فتح اندوجر وتوحيد الحصون التي تليها[7] — عمرها الله — وتجدد بعد ذلك من صنع الله وحده من مطّرد الفتح الموعود، المحفوف بالمناجع والسعود، ما جل عن نعت الناعت، وشذّ عن الشاذّ الفائت، وكبر عن وصف الواصف، ونثر الناثر ورصف الراصف، وأظهر من آيات الله تعالى ما فاق بيان ذوي المعارف من صنع لم يُر مثله في كثير من الحقب، ويوم كيوم ذي قار[8] انتصف فيه الموحدون والعرب من العجم[9]، ولمن/ سار لهم في الزي والكَلم، وتمسّك منهم بسبب. م م/130

(فتح الفتوح تعالى ان يحيط به نظمٌ من الشعر او نثر من الخطب)[10] وذلك ان عساكر الموحدين استقبلت هذه البلاد الشرقية[11] — فتحها الله — تتوغل في أرجائها، وتحول بحول الله بينها وبين رجائها، فكلما مر الموحدون بمدينة من مدائنه او حصن من حصونه انجحر الاشقياء الذين يضبطونها فيها انجحار الثعالب، وانزواء المغلوب بعزة الغالب، وأجال أولياء الله على الأرزاق الموجودة في نواحيها ينتسفون رغدها، ويلحقون بيومها غدَها، حتى كثرت نِعم الله بالمحلات المؤيدة من الأطعمة والأعناب وضروب الفواكه من الرطبة واليابسة[12]، وفي كل ذلك

---

(6) ظل يوسف مكتفيا بلقب الامير الى سنة 563، انظر الرسائل في هذه المجموعة تحت ارقام : 22 و23 و24 و25 (م ج).

(7) فتح الموحدون برئاسة السيدين ابي حفص عمر وأبي سعيد عثمان ولدي الخليفة عبد المومن حصن اندوجر عنوة في ذي القعدة سنة 560 في بدء الحركة الى مرسية. انظر تفاصيل الحملة في المن (269 — 276) وفي البيان (63 — 65) مختصرا عن المن.

(8) معركة ذي قار انتصر فيها العرب على الفرس في جنوب العراق في السنة الثالثة من البعثة النبوية قبل اسلام عرب المنطقة : العبر 2/ 366 و (558 — 559).

(9) اول اشارة في الرسائل المعروفة عن وجود العرب ضمن جيش الموحدين في الاندلس فيتاكد بهذا ما ذكرته بعض المصادر مثل اخبار المهدي للبيذق (88 — 89) والمن 273.

(10) بيت من قصيدة لأبي تمام قالها في فتح عمورية مطلعها : «السيف اصدق انباء من الكتب».

(11) انطلقت هذه الحملة من اشبيلية بقيادة السيد ابي حفص في فاتح قعدة 560، المن 271، البيذق 88.

(12) الاشارة الى الأهمية الفلاحية للمنطقة الجنوبية الشرقية والتسابق مع العدو لجمع المؤونة.

لا تعرض لبلدة بقتال احتقارا لها ولمن بها، وتصميما لغزو غيرها، ولأنها الناظم لنثرها، الى ان وصلت العساكر جهات بسطة[13]، فنزلوا منزلا يصاقبها يسمى وادي القشتالي[14]، واقتضى النظر اقامة بعض الأيام هناك لانتظار العسكر والحشد والرماة الواصلين من أغرناطة[15]، وفي خلال مقام تلك الايام بعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والمسيرة من تلك الأقطار والجهات، فاستاقوا من الغنائم من جهة غَلّيرة وقَرباقة، وبسطة وجبال شقوره[16] عددا جما وسوائم كثيرة من الدواب والبقر وعشرات آلاف من الغنم، / فملأت الوادي، واشتملت على كريمتها الأيادي، وتقلب الموحدون في نعم لا تحصى عدة تتناسق منها نِعَم فنِعم، والشكر لله على ما أولاه. مم/131

ولما وصل العسكر المنتظر من أغرناطة أخذنا في الحركة الى ان انتهينا الى حصن قلية[17]، فساعة الإطلال عليه نزل أهله من ذروته تائبين آيبين، موحدين مستجدين، نظرا لانفسهم وأخذاً لحظّهم، ثم حللنا بجهة بلس[18] — عمرها الله — من سَفْحٍ كثير القرى والعمائر، ونظر معدوم النظائر، وفي حصون وقلاع، سمت مبانيها باليفاع[19]، وتناسقت[20] الأعيان في الارتفاع. فعندما عاينوا من أمر الله وجنوده ما ضبر عيونهم، وملأ قلوبهم نزل قائدهم الشرقي[21] وأصحابه الرعية مستأمنين مذعنين، فأمنوا تأمينا، وأضحوا نذرا لعشائرهم يسارا ويمينا، وقُدّم في حصونهم من تقدم لضبطها، وتشمّر — بحول الله — في حوطها، وهنالك استوضح أن الشقي ابن مردنيش وأصحابه النصارى[22] — دمّرهم الله — قد خرج بجملته الذميمة من مرسية الى لورقة[23] خائفاً عليها، بعد ان استوثق خروج اهل مرسية وشيوخها، وأهل التعين فيها مع كثير من لفيفها، لما أوقع الله في قلبه من الرعب الذي تقدّم اليه جيشه، حتى خفّ به طيشه، فلم يزد أولياء الله الا عزما مجدّا في التصميم الى جهته، والتعويل على غزوه في عقره/ اذلالاً له ولفئته، وأقاربه وحوزته، الى مم/132

---

(13) انظر عن بسطة الادريسي ص 568 (ن الايطالية) والروض المعطار (مادة بسطة).

(14) كلمة غير واضحة في المصوّر ما عدا الحرف الأخير.

(15) أغرناطة، انظر الادريسي (569 نفس الطبعة)، المغرب 2/ 108، المن 270 (عن عسكر اغرناطة).

(16) غليرة : انظر المقتبس لابن حيان 362/5 (ط، مدريد)، قرباقة : انظر الروض المعطار (قرباكة)، شقورة : الادريسي 100 (نفس الطبعة).

(17) قلية : المعجب 370 و المغرب 2/ 87، ويذكر المراكشي الحُصون التي بين مرسية وأغرناطة مثل حصن لرقة وبلس وقلية ثم بسطة ثم وادي آش ثم غرناطة.

(18) بلس : راجع الهامش قبل هذا وكذلك الهامش 1 على الصفحة 279 من «المن بالامامة».

(19) اليفاع : كل ما رتفع من الأرض.

(20) في الأصل : وتناصقت.

(21) عبارة (القائد الشرقي) تكررت ايضا في الصفحة 403 من المن (المطبوع) للدلالة على احد قواد ابن مردنيش فيما يبدو.

(22) اشارة الى اهمية المرتزقة لدعم ابن مردنيش.

(23) لورقة : انظر التعريف بها عند الادريسي ص 561 النشرة الايطالية، والروض المعطار 512. حاول ابن مردنيش الدفاع عنها ومنع الموحدين من تجاوزها نحو الشرق، إلا أن هؤلاء غيروا مسلكهم (المن 272). وستظل بيد ابن مردنيش الى سنة 565 (المن 403 — 405).

ان قارب الموحدون جانب لورقة، وأمُّوا البسيط السهل المعروف بالفندون على مرأى من الأشقياء والكفرة، وإظهار آيات امر الله العزيز وأعدا(ء)(*) الله لا ينبس لهم نابس، ولا يظهر منهم راجل ولا فارس، وفي كل ذلك تخونهم آمالهم الخائبة وظنونهم الكاذبة، أن الطريق تناكب عنه تيامناً إلى الساحل وتعريجاً بالمراحِل والرواحل، إلى ان استوضحوا ان القصد مرسيَّتهم مرسى الوفود والورود، فسُقط في ايديهم حيرة وتبارا، ثم ابدوا قرب بلدهم تجلدا، فأقلع الخاسر عن لورقة آخر النهار، إقلاع الصَّغار، آخذاً بحزن الجبل، والموحدون بسهل البساط ؛ فساير الموحدين مرحلتين ملاحظا ما نفخ فؤاده، وحقّر اعداده واجناده، وفي كل يوم من مسايرته تنتشر مواكب الموحدين على ترتبهم وتأهبهم رجاء ان يغرّه العجب، والأشر المعطب، فينجز فيه وعدُ الله المرتقب.

فلما كان يوم السابع من ذي الحجة في حين الزوال، استخار اللَّهَ الموحدون على أن يأخذوا بينه وبين الثنايا التي تحول بينه وبين مرسية[25]، فتميزوا شعوبا وقبائل[26]، «وصدقوا ما عاهدوا الله عليه»[27] من اخلاص التوبة وامحاض النية، فرأى الأعداء ما هالهم وأهالهم، واحال حالهم، هذا على احتداد شوكتهم، وكثرة عدّتهم، وتردّدوا[28] / بسفح الجبل زهاء ثمانية آلاف فارس أكثرهم ارغون[29]، وقفوا يتشاورون ويتنازعون، و لم يجدوا مَحِيداً عن الطريق التي ضمّتهم، ولا منفذاً إلا في الساقات التي حفّت محيطة بهم وعمّتهم، وضربوا قليل أخبية في الجبل الذي به ابادهم، وهو فيما دبّروا مصادُهم ومَعَادُهم، وعوّلوا ان في مشارهم ان تكون ملجأ يأوي اليها الفلّ ، ويجدها منهم البعض ان لم يجدها الكُلّ، فأبدوها يعلوها القتام ويبدو عليها الذّل، وصافّهم جنود الله من ضحى النهار الى ان نودي للصلاة من يوم الجمعة في ايام يُقْبَلُ فيها التوب، ويُغْفَرُ فيها الذنب، ويخشع القلب، ويُعْبَدُ الرّبّ ؛ فلما كان وقت الصلاة اختار الله للموحدين ان ناشبوهم القتال، وقد كثر الذكر والإهلال، فزحفت العساكر اليهم حتى دنا السواد من السواد، وتشوّفه بالكَلم والطّراد، وحملت الروم حملتهم المعلومة المعهودة[30]، وصمدت جملتهم اذ صمدت قبيل رياح من العرب، فَأَفَر جوّالُهم والتفّت عليهم قبائل الموحدين واحتدمت الحرب، وحمي الوطيسُ، وثارت سماء النفع دون الجو كواكب الظُّبا والأسنة، وثبّت الله اقدام الموحدين، وزلزل (الله)[31] أقدام

م م/133

(*) الهمزة ناقصة في الأصل.

(25) مرسية : عاصمة ابن مردنيش في هذه الفترة، انظر عنها المغرب لابن سعيد 2/ (250 — 251).

(26) يذكر صاحب المن تفصيل هذه الشعوب والقبائل (ص 273).

(27) من الآية 23 من سورة الاحزاب.

(28) هنا بتر للرسالة في مصور المخطوط بسبب خلط في أوراقه، ولذا فإن ما بقي من نصّها اعتمدت في نقله على طبعة بيروت.

(29) أرغون : يذكر صاحب المعجب بعض مدن هذه المملكة وحدودها مع بلاد المسلمين في منطقة بلنسية ص 368 و369، الروض المعطار، بسط الأرض لابن سعيد 113.

(30) يوضح صاحب المن اندفاع النصارى آنذاك بهذه العبارة : «دفع ابن مردنيش... بأصحابه النصارى اولا ثلاث دفعات : دفعة اولى في العرب ودفعتين في الموحدين» ص (273 — 274).

(31) كذا، ويبدوا انها زائدة.

الملحدين[32] وثبّت الساقة التي فيها الأعلام، كأنها الجبال الراسيات والأعلام، وانبرى الموحدون
م م/134 الأول من اهل تينملّل وهنتاتة[33] فصبروا صبر امثالهم / ، وخولهم الله إقبالا في استقبالهم، وأجفل الكفرةُ منهزمين، وولّوا الأدبار مدبرين، والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع، وحزب الله يتقدم غالبا فيصرع ويصدع، وقتل رجال الشقي ومشاهيره، والروم اكثر القتلى فيهم فخرّوا «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَّة»[34]، وعجّل الله بأرواحهم الى ناره الحامية، وسقطوا من مهواهم الى الهاوية، ولاذ الشَّقِيُّ الفليل في العدد القليل إلى الأخبية التي أعدّها للفرار، لا للقرار[35]، وقد خبر منْ حد السيوف وأنبائها ما أغناه عن الأخبار، وشفى الله صدور المومنين من اعدائهم الكفار، وصاروا بين ايديهم جزرا، قد افترشوا فناءا في مقتلهم هذا وعقراً، ونفل الله من خيلهم ومطاياهم وأدراعهم وسائر اسلحتهم ما جلَّ قدره وعمّ كُثْرُه، والحمد لله رب العالمين، جاعل العاقبة للمتقين. وبعدما تبعهم الحسام الى الأصيل، وصرعهم بكل مُسيل، وقف الخاسر خائفا يترقب وقوف الذليل، وسُلب قتلاهم من ملابسهم بكل واد ومَسيل، بادر الموحدون في غدهم على مهلهم الى فناء مرسية، فضربت بساحتها المضارب والأبنية، بازاء حدائقها المعروشة، وبسائطها وبساتينها المشيدة المفروشة، فكان
م م/135 سباق الموحدين اياه الى ناحيتها من أشقّ ما أخزاه الله به[36] ؛ ونقرت الطبول تصُكّ/ أسماعهم، فمكنت الزلازلُ في جوانبه وركب الليل جملاً، واحتلّ البلد — ولم يكد — تسلُّلا، وانبسط تبّاع الموحدين على تلك الحدائق محصّلين لأنواع الفواكه، وعادت مباني تلك البساتين، وأعواد الأشجار والرياحين، محتطباً ومتاعا للمُقْوِين من الجنود، وصار سعد الأخبية سعد السعود، وأقام الموحدون للتعييد[37]، وقد جمع الله لهم الأعياد في عيد، والله تعالى يوزع شكر هذا الفتح العظيم، ويفضي لناديه بأكرم عواقب التتميم، إنه منعم كريم[38].

وأعلمناكم — وصل لله سرّاءكم — بهذه البشارة العظمى التي هي نادرة المسارّ النعمى، لتأخذوا بما وفر حظُّكم من شكر الله عليها، وتتسوّغوا آلاء الله السابغة باجتلاء ما لديها، فهو فتح الأندلس واذلال عدوّها المتمرّد المتصحب، مسلّط الروم عبدة الأوثان والصلبان، على اهل الإسلام والايمان، والله يشفع ذلك بأمثاله، ولا يخلي من ينصر الحق من عَضْدِهِ وإقباله ؛ وقد بُهتَ هذا العدو الخائن محصورا، ودُهش مذموما مدحورا، ونظر بعين الحسرة حسيرا، وهلك بعين الحسرة بالمعنى المحسوس إلا يسيرا ؛ عرّف الله للموحدين بركة مقاصدهم، وتولاهم بمعهود إظهارهم في مصادرهم
م م/136 ومواردهم، بعزته وقدرته وطَوله، لا رب سواه، والسلام عليكم ورحمة الله/ وبركاته ؛ كتب في العشر الوسط من ذي الحجة عام ستين وخمس مائة.

(32) تهمة معتادة عند الموحدين لكل من يعارضهم.

(33) بعض هذه القبائل استوطن بالمنطقة بعد الاستيلاء عليها مثل اهل تينملل في لورقة (البيذق 89).

(34) من الآية 7 من سورة الحاقة.

(35) انظر توضيحا عن ذلك في المن ص 274.

(36) انظر الهامش 12 في هذه الرسالة.

(37) يقصد بذلك عيد الاضحى لسنة 560 الذي كتبت الرسالة بعده.

(38) بعد هزيمة ابن مردنيش في ظاهر مرسية تمكنت سرايا الجيش الموحدي من التحرك شمالها الى اريولة والش، وستكون الهزيمة بداية لتراجع نفوذ ابن مردنيش (البيذق 88 — 89).

الرسالة الثالثة عشرة :

رسالة الخليفة يوسف إلى الولاة بعدم تنفيد أحكام القتل قبل استشارته

تقديـم :

سبق للخليفة عبد المومن ان حد من سلطة ولاته في موضوع احكام القتل فجعلها خاضعة لاستشارته[1]، وعندما خلفه الأمير يوسف في الحكم بعده لم يحصل الاجماع عليه وخاصة من بعض اخوته، فظل اخوه ابو حفص يتقاسم معه السلطة، بحيث ظل يوسف مكتفيا بلقب الأمير الى سنة 563. الا ان هذه المعارضة اخذت تتراجع بينما يتقوى سلطانه تدريجها، ومن مؤشرات هذا التطور وضعه بيده «العلامة» على رسائله[2]، وأولى هذه الرسائل تحمل اوامره الى الولاة في جميع البلاد بعدم تنفيذ احكام الإعدام الا بعد استشارته، وهذه اولى درجات تقوية السلطة المركزية على حساب الولايات في عهده، وقد وجهت نسخة من هذه الرسالة الى والي قرطبة اخيه السيد ابي سعيد، وكانت آنذاك لا تزال عاصمة الأندلس، وهي مؤرخة بيوم الجمعة 3 رمضان سنة 561، ورد نصها في «المن بالامامة» (155 — 161) من المخطوط (توافق في المطبوع الصفحات من 302 الى 307) من انشاء الأديب الكاتب ابي الحسن بن عياش[3].

نـص الرسالـة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده[4]، من أمير المومنين[5] يوسف بن أمير المومنين — ايدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته — الى الشيخ الأجل اخينا الأعز علينا الأكرم لدينا، ابي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقرطبة أعزهم الله، وأدام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم/ ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا إلاه الا هو، ونشكره م م/156

(1) الرسالة رقم 6 في هذه المجموعة ورسالتا (م ر م) رقم 18 ورقم 23.

(2) انظر الهامش رقم 4 فيما بعد.

(3) توجد ترجمته في المقدمة.

(4) «العلامة» عند الخلفاء الموحدين هي عبارة : (والحمد لله وحده) انظر خصائص الرسالة رقم 6 في الفصل الأول وانظر الرسالة رقم 9 في هذه المجموعة، والمغرب لابن سعيد 2/ 138 ضمن ترجمة حفصة الركونية...

(5) كذا في المخطوط والمطبوع، مع ان يوسف لم يتسم رسميا بأمير المومنين الا سنة 563 (الرسائل 22 و 23 و24 و 25 من هذه المجموعة) كما ان الرسالة التالية لهذه زمنيا (14) يتسمى فيها فقط بالأمير يوسف، فهل هو خطأ من النساخ ام محاولة لجس النبض بينت ضرورة التريث في اتخاذ لقب الخلافة ؟

على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، (ونرضى)[6] عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، نجله وسليله، ونوالي الدعاء لسيدنا امير المومنين القائم بأمر الله والداعي الى سبيله[7].

وانا كتبناه اليكم ـــ اكرمكم الله بتقواه، وكلأ جانبكم وحماه ـــ من حضرة مراكش[8] ـــ حرسها الله ـــ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وموالاة شكره على ما هدى اليه اولياء امره وانصار دعوته وحماة كلمته من صرف أعنّة المحبة والاهتمام، وإحكام مرائر الأحكام فيما وكله اليهم من امور الاسلام، إلى أن تجري على السداد، وتتّسق على سبيل الرشاد، وتستقيم على المهيع، وتمضي على المنهج، وتسير في الواضح، وتهدي على اللاحب، ويُسلَكَ بها في الجَددَ الذي من سلكه أحمِدت منه الآثار وأمِن عليه العِثار، وارتُضي له الايراد والاصدار، فيكون العمل فيها على اليقين الهادي الى الصراط المستبين، المأمون في سلوكه من المزلة والضلال، المرجوّ في الاهتداء به حسن العاقبة وصلاح الحال ؛ فنسأله ـــ تعالى جدّه ـــ عونا مِن قِبله على هذا الغرض العام الجدوى يصاحب، وتوفيقا من لدنه في هذا النظر الشامل المنفعة يجاوز[9] ويصاقب.

م م/157 وانه ـــ ادام الله/ كرامتكم ـــ لمّا كانت مباني هذا الأمر العزيز ـــ ادامه الله ـــ على التقوى مؤسسة، وأوامره ونواهيه على امر الله ورسوله جارية مترتبة، واليه في الأخذ والترك مستندة، وبمقتضياتها في جميع الاحكام آخذة عاملة، اذ هي نور الحق وسراجه، وعمود الصدق ومعراجه، وسبيل الفوز ومنهاجه، ورائد الثواب وبشيره، وقائد العقاب ونذيره، ممن ائتم بكتاب الله الذي هو الامام الهادي، والحق الواضح البادي، وسنة رسوله ﷺ التي جعل العمل بها كالعمل بكتابه، والوقوف عند حدّها كالوقوف عند حدّه[10]، أمن من الغوايل في العاجل والآجل، وبلغ من السلامة في الحالين الى اقصى امل الآمل، ولم يوجد للباطل اليه سبيلا، ولم يتمكن للشيطان ان يجد في تضليله واستهوائه صرفا ولا حويلا، فتوفرت الدواعي على الدعاء اليها، وحمل الكافة عليها، واخذ الجميع بما يقفهم لديها ؛ وقد امر الله تعالى من امر الناس بطاعته ان يحكموا بالعدل، ويضعوا للعباد موازين القسط، فلم يكن بدّ من امتثال أمره، والاستناد إلى حُكمه، وكانت الوجوه التي تُفضي إلى الحق في فصل قضايا العباد متنقبة، والطرق المؤدية الى معنى الصدق ومعناه ملتبسة م/158 ومتشعبة، فخرج فيها بنيات تخطيء الصراط المستقيم وتضل الضلال البعيد، فصار/ امضاؤها من غير استناد الى هذا الهدي المتبوع، والعلم المرفوع، خطرا على ممضيها، وإنفاذها على غير هذا السنّن

(6) في الأصل : (ورضي)، وهي غير مناسبة للسياق والمعنى.

(7) المقصود هنا الخليفة عبد المومن.

(8) انظر عن مراكش : الادريسي (235 ـــ 236) النشرة الايطالية، والاستبصار 208 ← والروض 540 وانظر الهامش 90 على الرسالة السادسة.

(9) كذا بالمخطوط والمطبوع (بحرف الزاي).

(10) راجع الفصل الأول.

غرراً على منفذها ؛ ولما كان الامر كذلك تعيَّن ووجب، وثبت وترتّب، أن نخاطب جميع عمال[11] بلاد الموحدين اعزهم الله شرقا وغربا، وبعدا وقربا، خطاباً يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى في العمل فيه كافتهم، بألاّ **يحكموا في الدماء حكماً من تلقائهم**، ولا يهزيقوها[12] بادٍ أو برأي من آرائهم، ولا يقْدموا على سفكها بما يظهر اليهم، ويتقرر فيما يرونه لديهم، **الا بعد ان ترفع الينا النازلة على وجهها**، وتؤدى على كنهها، وتُشرح حسب ما وقعت عليه، وتُنهَى بالتوثق والبيان إلى ما انتهت اليه، وتقيّد بالشهود العدول، المعروفين في مواضعهم بالعدل والرضى الموجبيْن للقبول، وتكتب اقوال المظلومين وحججهم واقرارهم واعترافهم، وحجج الطالبين في مقالاتهم، واستظهارهم في بيّناتهم، معطى كلّ جانب حقه، موفّى كل قائل قوله[13]، فتكون مخاطبتكم ــ أعزكم الله ــ مخاطبة من يتناوله هذا الكتاب، وتوجّه اليه هذا القصد، خطاب من تحمل الشهادة ويؤدي فيها الامانة، على ما يجب من البيان الذي لا يعتوره التباس ولا يطمس وجهه إشكال، ويتوثقون في المطلوبين بالدماء بسجنهم وتثقيفهم، ويتوكفون ماتصلكم به المخاطبة فتقفون/ عند مقتضاه، ولا تعدلون عن شيء من معناه، مراقباً كلٌّ منكم الاهه ومولاه، عالما بانه يعلم سره ونجواه، وانه يسمعه ويراه ؛ م 159/م

واعلموا ــ وفقكم الله واسعدكم ــ ان هذا الحكم عامٌّ في سائر النوازل التي اطلقت السنة فيها القتل وسنّته، وحكمت به وشرّعته، كمن قتل نفسا وأقر بالقتل، او شهد العدول عليه به، ومن بدّل دينا وارتدّ عنه، ومن اتى الفاحشة بعد الإحصان باعتراف او دليل أو شهادة مقبولة، وماخير الائمة فيه من قتل المحاربين والساعين في الأرض بالفساد، والمتأمّلين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سن ذلك كله او وقع فيه ضرب بشكله، فمجراه واحد في التوقف عن امضائه والتأخر عن تنفيذه الا بعد المطالعة، وتعرّف وجه العمل من المجاوبة ؛ وكذلكم ــ وفقكم الله ــ يكون التوقّف فيما عدا المذكور من النوازل التي تكون احكاما دون النفوس من قتل الخطأ ودّيات الشجاج، وعقول الاعضاء وأروش الجراحات، ووجه القصاص، والقطع في السرقات الى غير ذلك من القضايا المشكلة في الأموال واطلاقها واستحقاقها، وفي الرقاب وإعتاقها واسترقاقها، وملتبسات المناكحات والمعاملات، وما أشبهها من الأمور التى الإقدام على الحكم فيها تهجّم، والعمل فيها بغير استناد الى ما يجب تسوره، فتوقفوا ــ أعزكم الله ــ عن جميع ما فسر لكم ولواحقه توقف الساعي/ في نجاته، العامل لدنياه وآخرته، فقد ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام من الحظر الوكيد، والوعيد الشديد، في اراقة الدماء، واستباحة الأموال، واستحلال المحرمات، إلا بوجه صحيح لا يسلم الا من طريق العصمة، ولا تهتدي اليه الا انوار الحكمة، ما يزع العقلاء، ويكف الألبّاء، ويحذّرهم من سطو الله تعالى وعقابه، ويخوّفهم من اليم عذابه. م 160/م

فعوّلوا على ما رسم في هذا الكتاب من التعريف بما يطرأ وإنهاء كل ما ينزل ليصلكم من التوقيف، والبيان والتعريف، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء، وتشرق منه عليكم انوار الائتمام والاهتداء، ويتراءى لكم به الحق في صوره الصادقة ومثله المطابقة ومناظره الموثقة ومطالعه المشرقة بفضل الله ورحمته،

---

(11) يبدو ان مصطلح (العمال) هنا عامٌّ بحيث يعني الولاة ايضا.

(12) هَرَاق، يُهَرِيْقُ الماء : صبّه والمصدر هِراقة وكذلك أهراق يهريق إهراقة.

(13) في الأصل : وقوله.

وملاك ما يسدد مقاصدكم في جميع احوالكم، ويوجب لكم الرضى في كافة أقوالكم وافعالكم تقوى الله في السر والجهر، وخيفته في الباطن والظاهر، وقدع النفس عن هواها، وكبحها بلجام النهي عن الركض في ميدان رداها، وطاعة امره العظيم، والجري على سَنَنه المستقيم، فذلك عصمة من الزلل، وتوفيق في القول والعمل بفضل الله.

وقد وجب ــ اكرمكم الله ــ لهذا الكتاب بما انطوى عليه من الاغراض الشاملة المنفعة العامة المصلحة، ان يعطى حقه من الاشاعة والتشهير[14]، وينهض[15] مقتضاه / الى الصغير والكبير، م م/161 ويجمع الناس لقراءته وتلقّي مضمّنه، ويساوَى فيه بين الغائب والشاهد، والبادي والحاضر، بإسماع من حضر ومخاطبة من غاب ممن يتعلق بنظركم، ويدخل تحت عملكم، فتوجّهون بنسخ منه الى كل جهة من جهاتكم، وعملٍ من اعمالكم ليأخذ الجميع بقسطه من المسرة به وتعرّف بركته، واستشعار عائدته، وأنسه بما امر به هذا الأمر العزيز من افاضة العدل، وبسط الدعة والأمن، واقامة امر الله تعالى على وجهه المتعيّن، وسَنَنه الواضح البيّن ان شاء الله تعالى، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة احدى وستين وخمس مائة.

---

(14) هذه هي عادة بعض مهام حكام الولايات فيما يتعلق برسائل الخلفاء حيث يجب نشرها على رعايا ولاياتهم شفويا او كتابيا.

(15) لعل الصواب : وينْهى.

الرسالتان 14 و15 :

رسالتان عن الأمير يوسف واخيه ابي حفص إلى غرناطة حول انهاء ثورة غمارة

تـقـديـم :

بعد موت عبد المومن تحركت الثوزة من جديد بالمغرب الاقصى وهذه المرة بجبال الريف حيث ثارت قبائل صنهاجة وغمارة بقيادة مرزدغ الغماري[1]، وبعد مقتله انتقلت الزعامة إلى سبع بن منخفاد متحصنا بجبال غمارة، فوجه الأمير يوسف بعوثاً عسكرية لتطويقها، ثم تحرك بنفسه بالقوات الرئيسية نحو «جبل الكواكب» الذي يتحصن به زعيمها، واستغرق جيش الأمير في هذ الزحف وتصفية الثورة حوالي شهر ونصف على الاقل[2]. فوجه من جبل الكواكب رسالة النصر من انشاء ابي الحسن بن عياش[3] مؤرخة ب 14 شوال سنة 562 أورد صاحب «المن» نسخة منها الى غرناطة مصحوبة برسالة اخرى من السيد ابي حفص في نفس التاريخ ونفس الموضوع ومن انشائه الى والي غرناطة الشيخ ابي عبد الله[4].

وفيما يلي نص الرسالتين على التوالي كما وردتا في المن ص 164 — 179 (310 — 321 في المطبوع) وص 180 — 182 (322 — 323 في المطبوع)[5].

نص رسالة الامير يوسف : (الرسالة الرابعة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما والحمد لله وحده.

من الأمير[6] يوسف ابن امير المومنين ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته، الى الطلبة والموحدين

---

(1) انظر عنه البيذق في اخبار المهدي 86، والقرطاس (209 — 210).

(2) نفهم هذا من الفرق بين المعركة التي جرت في ثالث رمضان كما في الرسالة وبين تاريخ الرسالة وهو 14 شوال.

(3) توجد ترجمته في المقدمة.

(4) كان والده الشيخ ابو ابراهيم اسماعيل الهزرجي من «الجماعة» اصحاب المهدي، وهو الذي فدى عبد المومن حين دبرت المؤامرة ضده بالمغرب الأوسط، وان كان المراكشي ينفي ان يكون له غير ابنه يحيى (المقتبس 31، المعجب 233 و 338)، فاصبح ابنه ابو عبد الله محمد ينال تقدير الخلفاء انظر المن (293 — 295) و 297.

(5) حول الثنائية في هذه المراسلة الى الشيخ ابي عبد الله، انظر خصائص هاتين الرسالتين ضمن الفصل الأول.

(6) هذا قبل ان يتخذ سنة 563 لقب الخلافة وهو «امير المومنين».

والشيوخ والاعيان والكافة بمدينة غرناطة[7]، امدهم الله بتوفيقه، ووصل كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد الله الذي لااله الا هو اليكم[8]، ونشكره على آلائة ونعمه، ونمتري بالمحافظة على ذلك سنيَّ عطاياه وجزيل قِسمه، ونعترف له بعوارفه الجميلة في اظهار امره العزيز واعلاء قدمه، ونصر لوائه في كل مقام ورفع علمه، وإن له مع كل متعرض بالمحادّة والشقاق، منطوٍ على المداجاة والنفاق، من وشيك اخذه، وعاجل نقمه، ما يوطئه ممتطٌ انفه وممتدّ قممه، ويقف به مما جنى من ثمرة غرسه، وجنى بعمله الذميم على نفسه، مواقف حيرته وندمه، كما ان من صدق في الاعتلاق بحبله والتمسك بعصمه، وركن الى ذراه وآوى الى حرمه، فقد اخذ بالوثيق من عهود ذممه، وارتقى في مرتقى فوزه في سببه المتين وسلّمه ؛ ونصلي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعثه بباهر حكمه، ومعجز كلِمِه، فهدى الى نهج الحق وأَمَمه[9]، ودلّ على سمته ولُقَمه[9]، وأنار برسالته/ الجامعة ما غطّى من غياهب الضّلال وظُلَمه، وابلغها حنيفيةً سمحة الى عرب الانام وعجمه ؛ ونسأله الرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، شافي الدين من وَصَبِه[9] وأَلمه، ومبريه من عِدد دائه وسقمه، وهادي كل حائر وسادم من حيرته وسدمه، ونوالي الدّعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بمحكم ذلكم المبدأ الشريف ومُبرَمه، وضامّ شمله ومنتظمه، ومكمّله بما يجب ومتمّمه، ومنهي دعوته العالية الى نُجُد العالم وتِهمه، وواسع البرايا بعلمه وحِلمِهِ وكرمه، والحمد لله عَودا بعد بدء، مُوَلّي[10] اوليائه ما وعدهم من نصر وتأييد، ومولاهم على الظهور والاستيلاء في القريب والبعيد، ومؤويهم من مظاهرته الى الوزر المنيع والركن الشديد، حمدا ينال به من مواهبه كل خير عتيد، ويوفي على استمداد المستمد واستزادة المستزيد، وله الشكر على ان لم يزل يُنهض حماة امره العزيز متى حاولوا فصل قضية، أو نهضوا في سداد ثغر وسِداد رعية، بعزم لا يطرف طرفه بدء ولا يثني يده يد مشوبة تعريفا بما لأمره العزيز الذي هو ذخيرة الوجود، وسر البناء المقصود، ومعنى المقام المحمود، ومفهوم الخير المنتظر والوعد الموعود، والذي علم به التوحيد والايمان، وعرف منه العدل والأمان، وتعلم من تعليمه في اي جانب الربحُ، وفي اي جانب الخسران من الفلح،/ في كل مقام، والظفر بكل مرام، والتوفيق الى ما يعود بالانتظام والالتئام، وحفظ دينه من عيث المهج الطغام، وحماية سرحه من ضعفاء العقول وسفهاء الاحلام، (فمن)[11] دان بدينه، واستبصر بيقينه، وأسرى بضوءه، واستسقى بنوءه، فقد فاز قِدْحه، وأورى قَدَحه، واهتدى قائده ودليله، وانتفع صداه وابتل عليله، ومن ألْحَدَ في آياته، وكذّب ببراهينه وبيناته، فإلى التباب مآله، وفي الخيبة والخسار حاله، ومقاله وفعاله، أعانكم الله على القيام بما له من واجب الحق، ووهبكم الإقبال على قبول ما جاء به من الصدق، بمنه.

م م/165

م م/166

وانا كتبناه اليكم ـــ كتب الله لكم يسرا ونجحاً، واسمعكم مدى الأيام نصرا لأولياء امره العزيز

---

(7) كذا بالمخطوط المصور، والعادة ان تكتب بالهمزة : أغرناطة .

(8) كذا بمصور المخطوط (م م) والعادة ان تكتب هكذا : فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره...

(9) الأَمة ج أُمم : الطريقة. اللَّقم واللُّقم : واضح الطريق، الوَصَب : المرض أو الوجع الدائم.

(10) في مصور المخطوط هكذا : (في تولّي اوليائه).

(11) يمكن ان تقرأ في الأصل : (ممن).

وفتحا ــ من منزل الموحدين اعزهم الله بداخل جبل الكواكب[12] ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله، والعمل بطاعته، والاستعانة به، والتوكل عليه، وقد كنّا ــ وفقكم الله الى مايرضاه، وأسبغ عليكم نعماه ورحماه ــ بما لله علينا من عهد القيام بحقوق هذا الإمر العزيز والحياطة لأرجائه، والذّب عن جوانبه، وتجديد العناية لتصفية مشارعه من الاقذاء، وتحلية المحوّمين عليها من أهل الأهواء، والقصد لما يراد من تذكير الغافل، وتبصير الجاهل واقالة العاثر، وهداية الحائر ــ توجهنا بهذه الحركة

م م/167 المباركة بنية خلص لله عقدها، وصفا له ــ تعالى جدّه ــ قصدها، وارتبط/ للجهاد في سبيله ميثاقها المؤكد وعهدها، وانبنت على حسم الأدواء النازلة بهذا المغرب من هذه الفرق التي فارقت الجماعة، فتفرقت بها السبل والاهواء، ورمت بها في مساقط الفتن الأفئدة الهواء[13]، واستولى عليها بعمى البصائر والابصار التلدّدُ والالتواء، فظلت من عدم الفهم، كسائمة البهم تبشراً بدداً، لا تميز من غيّ رشداً، ولما صدقت[14] لها العزائم وشدت اليها الحيازيم، ووقع على قصدها التعويل والتصميم، قايسنا بين جهة المرتدين من صنهاجة وغمارة[15]، فرأينا شر عمارة، أوفى سَراية، وأبلغ نكاية، وأفصح عن استصحاب الجهالة والغواية، وانهم قد فشا ضرهم، وساء اثرهم، وتعدّى أذاهم، وسرت عدواهم، وانهم أولَى من تُقدّم اليه واعتزِم عليه، فنظرنا عند ذلكم في تجهيز عسكر مبارك سعيد من الموحدين ـ أعزهم الله ـ صحبة الشيخ ابي سعيد يخلف بن الحسين ــ أكرمه الله بتقواه[16] ــ يتوجه به الى بلاد صنهاجة من جهة القلعة[17] ــ حرسها الله ــ وكان الشيخ الأجل ابو حفص ــ ادام الله كرامته ــ [18] بمن معه من عساكر الموحدين ــ اعزهم الله ــ في جهة اخرى من بلادهم، ورسم لهم من العمل في تلك الجهات ما يندرج في طيّه بمشيئة الله تعالى من النصر والفتح، والفلح والنجح، واستخرنا الله تعالى على قصد بلاد غمارة لتوقّل جبالهم،

م م/168 ودوس/ منازلهم وحِلالهم، وجوس خلالِ ديارهم، فنزلنا بالموحدين ــ اعزهم الله ــ وسط بلادهم، فاجلى منه الذين يلونه لائذين بالأوعار، ومستعصمين بقُنن الأحجار، متوقّلين في الشعاب ؛ وكنا

---

(12) جبل الكواكب لعله هو نفسه جبل تيزران كما في القرطاس (210)، ويوصف جبل الكواكب بانه «منيف على كل مكان» (الرسالة 15) وقد سبقت هذه الثورة ثورة اخرى تزعمها مرزدغ الغماري : البيذق 86 المراكشي (251 ــ 252) صاحب القرطاس (209 ــ 210) الادريسي (ص 532) النشرة الايطالية، والمراكشي يجعل اسم الثائر سبع ابن حيان، انظر الفقرة الثانية من الدراسة التاريخية خلال الفصل الثالث.

(13) كذا بالأصل المصور وفي معاني الهواء (جمع ومفرد) : الجبان.

(14) في مصور المخطوط : (وصدق).

(15) غمارة : قبائل كثيرة بارضهم جبال لحقت عنان السماء وحصون كثيرة «تمتنع فيها غمارة وتنفق على الولاة ؛ بذلك عرفوا حتى كسر الأمر العزيز شوكتهم (الاستبصار 190)، وساحل غمارة يسمّى بالريف (بسط الأرض 74)، واخر بلادهم شرقا هي مدينة بادس (الادريسي 531 ــ 533) ن الايطالية، وقد اشترك في الفتنة مع غمارة جيرانهم صنهاجة (العبر 498/6)، راجع عن غمارة ايضا مقالا بمجلة البحث العلمي عدد 31 سنة 1980 والادريسي 532 ــ 533 (نفس الطبعة) والاستبصار 136.

(16) سبق لهذا الشيخ قيادة الجيش الموحدي في المعارك بنواحي غرناطة حوالي 560 (المن 270).

(17) لعله يقصد قلعة مهدي بفازاز (قارن مع ذكر القلعة عند البيذق في صفحات 50 و 51 و 71 و84)

(18) راجع خصوصيات رسالته الى اهل مالقة ضمن الفصل الثالث.

عند وصولنا إلى أوائل بلادهم، قدّمنا إليهم من المكاتبة ما رجونا به هدايتهم، وأمّلْنا فيه فَيْئتهم الى الحق وانابتهم، فلم يعرّجوا على نصيحة، ولا اذعنوا لدعوة، ولا أرعوا سمعا الى موعظة ؛ وحين قامت الحجة عليهم، وسقط العذر عنهم استخرنا الله تعالى على قصد الجبل المعروف بودكه[19] لاحتلال من كان احتله من غمارة، واثقين بانه عصمتهم المنجية، وذروتهم المؤوية، فتركنا الحمولة والاثقال في المنزل الذي كنا فيه وهو المعروف بالمنزان، وسرنا اليهم بالموحدين اعزهم الله متوكلين على الله تعالى، مستعينين به، مخلصين له، فأجرى الله اولياءه من النصر والتمكين، على ما عوّدهم، وعرّفهم من عونه وإنجاده ما لم يزل يعرفهم، فاقتحموا عليهم في منعاتهم، ودخلوا اليهم في موضع اعتصامهم، فلم يكن الاّ كلاّ ولا حتى خلصوا في الجبل اليهم، واقتحموه ــ بحمد الله تعالى ومشيئته ــ في جملة واحدة عليهم، فأُشرِب المرتدّون ارتياعا، وتفرّقوا في تلك الأوعار شَعاعاً، لم م م/169 تمنعهم حصونهم، ولم تنفعهم معاقلهم، الى ان استولى الموحدون أعزهم/ الله باعلى شواهقه واعظم منعاته، واعلنوا هنالك بالتوحيد، واظهروا بإعلاء كلمة الحق، واقبلوا على جمع الأنفال، وضمّ الغنائم والأموال، وتسنّى فيه من الفتح الميسّر، والنصر المؤزّر، وغزوِ من غلب عليه الشقاء واستولى عليه الحرمان، الى ما نفلهم الله فيه من الغنائم الكثيرة والارزاق الواسعة، ماعظُم مقداره، وجلّت مواقعه وآثاره، وبشر بأن الذي يتلوه مما في ضمن الوعد وكفالة السعد، أبهى مطلعا، وآنق مرأى ومسمعا ؛ واقام الموحدون اعزهم الله باعلى ذلك الجبل يومين يتقرّون بقاياهم ويتتبعون قلالهم، ويجمعون اسلابهم، وينكؤون فيهم متنسّمين من عوائد الله الجميلة نواسم تكميل الفتح، ومستروحين منها استرواح تعميم النصر، واثقين به ومستندين اليه، لارب غيره ؛ وكان ذلك كله في الثالث من شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين وستين وخمس مائة.

ولم نزل ــ بعدما فتح الله من هذا الفتح المذكور، الذي أظهر الله فيه آياته المؤذنة بالتأييد، القاضية باستمرار النصر الراهنِ العتيد، الموقظة للنائمين والمنبهة للغافلين ــ نستأني بالضالين من غمارة مواقيت اعتبارهم، ومحالّ تَثَبُّتِهم وادّكارهم، وأن يأخذوا لتحوّبِ[20] أمثالها، وترقبِ اختلالها، أهبة م م/170 حذرهم واستشعارهم، وان يكونوا ممن اتعظ بغيرهم، فكانوا بنجوة / من سبلهم في الهلكة، وآثارهم مع ما آثرناه من راحة الموحدين وإجماعهم، وتفرغهم لوظايف صيامهم وقيامهم، وان يكون غزوهم بعد الفطر على قوة ووفرة، ونشاط متمكنٍ، وتنتقل بهم مناقل تتخلل بهم تلك الأوعار بالرفق والهوينى، وتتدرج الى قطعها وتخليقها بالتؤدة والأناة، وتتقدم الى حيث القى الشيطان بَرَكه وحطّ رَحله ؛ وفي اثناء ذلك كانت قبائل منهم تُظهر المثاب، وتبدي الفيئة والاياب، وتلوذ بأكناف العفو، وتستمسك بأسباب الصفح، وتمدُّ يدَ الضراعة الى الاستقالة، فنقابلهم بعوائد هذا الامر العزيز من اقالة العثرة، وتجاوز الزلة والسقطة، وتقريب الأسباب المؤدية الى الاستيلاف، الآخذة بالايدي بالتلافي عن مقاحم التلاف، قد حل[21] منهم قبائل كثيرة في هذا الأمر العزيز، وتداركهم من رحمته ما أمَّن خوفهم، ومكّن أمنهم ؛ وكان بنو نال وبنو يال[22] من قبائل غمارة المختصون بملْكة الجبل

(19) انظر «قبيلة بني زروال «لمحمد البشير الفاسي الفهري ص 15 ــ 17.

(20) تحوّب : اجتنب.

(21) يمكن أن تقرأ بالمخطوط أيضا : فدخل (بنقطة أعلى الفاء).

(22) بنو نال وبنو يال : بنو نال ذكر البيذق وجودهم في جبل تيزران أو قربه أي من بطون غمارة 54، ورد =

المشهور بالمنعة المعروف بجبل الكواكب الذي هو اشهرها جبلا، واوعرها مرقى، قد استحكم فيهم الفساد، وتمكن منهم الارتداد، واستشرى ذلك فيهم بغويّ منهم يعرف بسبع بن منخفاد، اشرب وتمكن منه الارتداد قلبُه، وخالط ايثار السوْرة نفسه، ثقة بهذا الجبل الصعب الموالج، المبهمَ المناهج،
م م/171 المستغلق المداخل والمخارج، الذي زاحم بمنكبه/ وتطاول بأنفه، فلمنكبه العَمم الذي لا يُفرع، ولأنفه الشّمم الذي لا يُقرع ولا يُقدع، قد أغواه هو وإخوته، ولفّ قومُه من يليهم، واستهووا على مقاصدهم الغويّة مُماليهم ومُحالفيهم، وحسبوا ان ما اعتصموا به يعصمهم، وما امتنعوا به يمنعهم، وأنّ باب الحوادث عنهم نابٍ، وطرفَ الحوادث في مَحَالِّ التوصّل اليهم كابٍ، فلجّوا في طغيانهم واستمروا على غُلَوائهم، وقرعوا مع ذلك ابواب المماكرة، وسلكوا في سبل المخادعة ؛ ولما تحققوا دنوّنا اليهم ومزاحمتنا لهم، اقبلوا يخلطون بالكدر الصّفوَ، ويُسِرّون في الارتغاء الحسوَ[23]، ويتصرفون في اقوال يُمرّون بها حبل المطاولة، ويرفعون بها اسباب المراوغة، ليحوزوا بها مأمولهم من الاستبداد، وغرضهم من الافتراء باقوال لا محصول لها، ولا فائدة وراءها، مكشوف فيها سرّهم، متبيّن فيها مكرُهم، ويظنون ان ذلك يُقنِع منهم، ويَصرف عنان العزيمة عنهم ؛ وما علموا ان هذا الامر العزيز لا يجوز على نقده الزائف، ولا يستقر على تقويم عدله الجاير الحايف، وأنه على ثقة من الله تعالى بعقبِ الايام، وتيسّر المرام، وتوفيق النقض والإبرام، وان من اضطمر فيه على خبيئة ضغن، او انطوى فيه على كنينة
م م/172 غش، فالعصمة له من كل ذلك واقية، والعزة له دايمة باقية ؛ ومما اعملوه من حيل المخاتلة أن سَعى في الوصول الينا جملة من اشياخهم مع اخ لغويّهم، ومُوقد نارهم يعرف بعمران بن منخفاذ[24] فوصلوا على تأمين يُسّر لهم مُدرَكُه، وسُهّل عليهم مسلكُه، فلقُوا من التطمين والتسكين، والتأنيس والتأمين، وقبول التوبة، والاغضاء عما فرط من الحوْبة، ما يَعقِل العقول بعقل وفائها، ويوفّر على الغرائز ماء حيائها، وعرِّفوا بما لهذا الأمر العزيز من ارادة الخير التام، والبر الشامل العام، وان يكون نهج البرية قاصدا، وداعيهم الى النجاة والحياة واحدا، لا تتفرق بهم السبل، ولا تتطرق بهم الى بنياتها الطرق، وضمنوا عن من وراءهم من غويّهم الشقي واتباعه السلوك على مدارجهم، والجري على مناهجهم، وانهم يقتادونهم بزمام الارتجاع، الى الانقياد والانطباع ؛ فمضوا على ذلك، وقد حسن فيهم التأويل، والظن الجميل، وعزائمهم على النكث مبنية، وضلوعهم على الغدر مطوية محنية ؛ وكان انفصالهم على ان يحضروا هم وجميع من وراهم من تابع ومتبوع معنا عيد الفطر بالمحلات المنصورة، فكان وعدهم كذبا وبرقهم خُلّباً، وانكشف بعد ذلك في الغدر قناعهم، وأبدت ما تكنّه من العداوة جوانحهم وأضلاعهم، واتضح عندنا ما كانت تمتد اليه آمالهم، وتُسرع نحوه أطماعهم[25]، وعند

= ذكرهم ضمن فروع غمارة في العبر 436/6، انظر أيضا البحث العلمي العدد 31 ص (33 — 34). وفي مصور المخطوط كلمة (بنو بال) بنقطة واحدة سفلية

(23) من المثل العربي. «اسرّ حسوا في ارتغاء».

(24) لا تذكر المصادر التاريخية المعروفة اخا للثائر بهذا الاسم، وان كان صاحب المعجب يجعل الثائر مرزدغ الغماري أخا للثائر سبع بن حيان (250 — 251)، العبر 498/6. ويبدو أن مرزدغ ثار قبل سبع بل إن الأول ضرب السكة باسمة فهو رئيس وليس مرؤوسا، فهو اذن غير عمران المذكور في الرسالة (البيذق 86، القرطاس 209 — 210).

(25) هل كان هناك انقسام للغماريين بين تائبين ومسترسلين في الثورة ؟ أم هنا تخوف لدى زعماء غمارة من إمكانية الغدر بهم اذ حضروا بين يدي الخليفة رغم التأمين المقدم لهم ؟

م م/173 ذلك جَدَّ بنا في ذلك، في توجيه/ الموحدين الى جهاتهم الجدّ، ولم يك لنا من فضل هذه القضية فيهم بد ؛ فاستخرنا الله على ان وجّهنا لغزوهم أخوينا ابا حفص وابا سعيد ابني سيدنا امير المومنين[26]، ـــ ادام الله علاءهم ـــ مع الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ وسألناه جل وعلا ان ينجز لأوليائه ما وعدهم، ويجريهم من الظفر باعدائه ما عوّدهم، وتوافقنا معهم على الارتقاء اليهم لذلك الباذخ الشاهق، والشامخ السامق، والمرتدّون قد وثقوا به، وبرؤوا من حول الله وقوته اليه، واودعوا مع نفوسهم جملة أهليهم وأموالهم، وبنوا منه ـــ بما بدا من أحوالهم ـــ أنهم يجدّون في المحاولة ويصدُقون في المكافحة، ولا يبغون جهدا في المكاثرة والمكابرة، كاشفين قناع المباداة[27]، مبدين صفحة المعاداة، فأجمع الموحدون ـــ اعزهم الله ـــ امرهم، واخلصوا لله تعالى سرهم وجهرهم، لا يجعلون ملجأ سندٍ الى كثرة عَدَدٍ ولا عُدَدٍ، بل فوضوا امرهم الى الله تعالى الذي وعدهم الفتح، وعودهم النصر، فأنهدناهم اليهم يوم الاثنين الخامس من شوال يسلكون اليهم في مسالك حرجة، لا يسلكها السالك (الا)[28] بين غيضة وحرجة، قد التفّت بشعرائها، واحتف بشجْرائها، ذات حدب وآكام، لا ثبات فيها للحوافر ولا للاقدام، فاتصل مشيهم على ما اخذوا من اهبتهم، وأعدوه

م م/174 من عدتهم، وكتّبوه من كتائبهم، ورتبوه من رتبهم، في هذا السفح/ الموصوف، والمرتدون قد اخذوا عليهم أعاليَه، وارتكبوا دونهم قنّته، سادّين لأنقابه، معولين لمسالكه مخلّقين للانصباب[29] من ذراه، والانقضاض من علاهُ، واستمر بالموحدين ـــ اعلاهم الله ـــ اليسر، ونهضت بهم العزيمة، واستقلّ بهم التصميم والتوكل يقودهم، والثقة بالله تحدوهم، الى ان شارفوا حدّ التسنّم، وافضوا الى باب التوقل، وهناك تقف الاقدام عن الإقدام، وقد اضطروا الى اوعار لا تمكّن من ترقيها، ومقابلة اعداء لا يدرَى كيف تَوقّيها، ومشاهدة احوال على الجملة لا عهد بتلقيها، والاعداء يتربصون بهم وقوعهم في مثل هذه الحال، وحصولهم في مثل هذا المقام، ويرون انهم بما حازوه من علوّ مكانهم، واستحقوه من ذروة وعرهم، وأمّلوه من التصوّب على من مدّ اليهم يد محاولة، أورام منهم يسير مناولة، انهم رابحوا الصفقة، مرتفقوا الخطة، ولله تعالى من العناية بامره ما يسهل الصعب، ويذلل الوعر، ويلين الشديد، ويقرِّب البعيد ؛ ولما انتهى الامر الى هذا الموقف، ووصل الى هذا الموصول، ورأوا صدق العزيمة، ومضاء[29] الصريمة، وفي الصعود اليهم، والترقي نحوهم، غير مترقّب مكرُهم، ولا متخوِّف وعرهم، جَهِد الاعداء في اللقاء جهدهم، وبذلوا من المكافحة جميع ما عندهم، لم يبقوا نكاية الا

م م/175 ابدوها، ولا غاية الى استوفوها، من كل / فن وعلى كل وجه، فأفرغ الله على اوليائه الصبر، ومكن لهم العزم وثبت اقدامهم، وربط على قلوبهم، وحرّف الفشل والرعب عنهم، وأيدهم بروح منه، أوطأهم به مسالك بعيدٌ في العادة ان تثبت بها قَدم، أو تسعى فيها رجل. وكان من أغرب الآيات ان صارت الخيل فيها انفذ من الرجل بل من الطير، فأضحوا قلائد في أجيادها، وأطواقا في اجسادها، واهب الله لهم ريح النصر، ومنحهم اكتاف العدو، واخذهم الله هنالك اخذا تنّوع فيهم العذاب

---

(26) سبق للاخوين ان قادا حملات بالاندلس ضد ابن مردنيش بالخصوص (انظر الرسالة 12).

27) في مصور المخطوط : (المبادلة)

(28) في الأصل :الى.

(29) كلمة غير واضحة الا جزئيا.

وتيقن به فيهم الانتقام، فمن بين مُضرَج بدمه، ومتردٍّ في مزلّة قدمه، وفارّ الى حيث لا معتصم ولا ملجأ، الى حيث لاوزر؛ واستولى الموحدون ــ اعزهم الله ــ على الجبل كله[30]، واستحقوه على اهله، وضربت به خيامهم، ورفعت في أعلاه اعلامهم، واقتفوا آثار الفارّين في كل شِعب، يقتلونهم قتلا، ويشلونهم شلاًّ، لا ناصر لهم ولا مانع منهم، قد اسلمتهم ذنوبهم، واخلفتهم ظنونهم، وافضوا الى جميع ما أعدوه فيه معهم، وكان في العزة عليهم مثل انفسهم من حُرمهم وفنون اموالهم، الى ما كان آوى اليهم من حُرم غيرهم وأموالهم، ونفله الله اياهم مغنما كريما جليلا، وعطاء[31] جسيما جزيلا رحمة منه وفضلا، واحسانا منه وطوْلا ؛ وخلا هذا الجبل المذكور من اهله واضحى يبابا بلقعا كأن لم يغنَ بالامس عبرة للمعتبرين/ وذكرى للذاكرين ؛ وخاطبونا ــ اعزهم الله ــ بهذه البشرى لحين وقوعها، مبادرين الى ذلك لقرب المسافة التي كانت بيننا وبينهم، فإن مشيهم الى هذا الغزو الكريم وحركتهم له وتصرفهم فيه، كان منا بمرأى ومطلع، لم ينكتم عن عياننا، كيف كان ارتقاؤهم اليهم، وتسنُّمهم نحوهم، وعرفونا انهم في اليوم الثاني من هذا الفتح الكريم يوالون تفتيش زواياهم ؛ والتنقيب عن خباياهم، ففعلوا ذلك وحصلوا منه ما وجدوه، وأضافوه الى ما غنموه، ولم يسمع بعد هذا التعقيب في التنقيب، دعاء داعٍ هنالك ولا اجابة مجيب ؛ وهؤلاء القوم ومن انضاف اليهم ممن وقعت به هذه الواقعة ودارت عليه هذه الدائرة، هم مقدموا غمارة ومستتبَعوها، ومغووها ومضلّوها، وهم كانوا شوكتها الناكية، وثورتها النازية[32]، وكان قطب رحاهم، ومدير حربهم، وقائدهم في يومهم، والذي انتهى اليه عنوان امرهم، ذلك الغوي الشقي سبع بن منخفاد[33]، وهذا الجبل هو الذي كان أبلقهم الفرد، الممتنع على من رامه، المستصعب قديما على من كاده، فقد استفتح ممنوعه، وخلت من الظّالمين ربوعُه، وهدّت ــ بفضل الله عز وجل وبركة هذا الأمر العزيز اصوله وفروعه، كان فلّهم وقُلّهُم قد انحجزوا الى احجار لا تستقل بمنعتهم، ولا تفي بحمايتهم، وكان هذا الشقي/ المذكور فرَّ يوم الفتح برأسه ناجيا من ذلك المأزق بحشاشةْ نفسه وقد استبيح اهله وماله، فسلك سبيل الانجحار، وامعن في زوايا الاختفاء والاستتار.

م م/176

م م/77

ولما اتى امر الله تعالى على هذا الجبل واهله بما ذكرناه[34] تنقلنا بالموحدين ــ اعزهم الله ــ من المنزل الذي منه توجّههم إلى الفتح، ونزلنا بهم هذا المنزل الذي خاطبناكم منه، واتصل تتبعُ هذا الفلّ وأخذُ المراصد عليهم، وتمادى ذلك وكل الجهات المجاورة لهذا الجبل المذكور ممن كانت اعينهم ناظرة، وآذانهم الى ما يقع اليه مصغية، قد رغبوا في الاقالة واعلنوا في التوبة، وسعوا في احراز دمائهم واموالهم، وتسويغ بُرد العافية لهم، وكل من قرع هذا الباب فهو لهم مفتوح، ومن استمنحه فهو على عوائده مبذول ممنوح ؛ وفي خلال ذلك وافى من صنع الله الجميل الذي لم يزل يصاحب هذا

---

(30) يلاحظ كالعادة ذكر خسائر العدو دون ذكر خسائر الجانب الموحدي رغم صعوبة الجبل واشتداد القتال فيه.

(31) في المخطوط المصور بدون همزة.

(32) في الأصل : التازية.

(33) يسميه البيذق سبع بن منغ فاد بن حيان (86)، ويسميه ابن ابي زرع : سبع بن منغفاد وكذلك ابن خلدون (القرطاس 201 والعبر 498/2).

(34) في الأصل : (بما ذكرناه من تنقلنا) والسياق يقتضي ما أثبت هنا.

الأمر العزيز في كل مقام، ويتكفّل له في كل مبدأ من مبادىء ظهوره بافضل خاتمة واشرف تمام، ما جعله الله لهذا الفتح العظيم كالاً، واستوفى به مقاصده العلية استيفاءا، وذلك ان الشقي الغويّ لما لم يجد نفقاً يؤويه، ولا مدخلا يجنح اليه، آوى الى بعض تلك الجبال، واطمأن الى بطانة له من غمارة وثق بإيوائهم له واشتمالهم عليه، موليا عن امر الله تعالى، مكايداً له، مصمما على الاعراض عنه ومتربصا/ به من الدوائر ما أوقعه الله به، فلعناية الله بهذا الأمر العزيز وفق الله تلك البطانة، م م/178 واراهم رشدهم بالتقرب الى هذا الأمر العزيز به، والتفادي منه والتعدي عن شؤمه، والانتزاح عن شره، وما تحققوا من سوء عاقبته، فوثبوا عليه واستوثقوا منه ووصلوا به مقتاداً برمته، مشهراً بفضيحته، مقلداً بعاره، آية لمن ابصره، وعبرة لمن نظره ؛ ومكن الله الموحدين منه فغزي غزواً شفى صدور المومنين، وأقر عيون الموحدين، وبتّ في اعضاد المارقين، وأطفأ الله به نار الفتنة وأخمد به ضرمها، فانه كان الحاطب لها والمسعّر لوقودها، وكمل به هذا الفتح العظيم، والصنع الجسيم، ومقدار هذا الفتح المصنف والنصر المفنن اذا وَفَر عليه حقّه، وحقق له قسطه، وزن بميزانه ما لا تقوم به اقوال القائلين، ولا يبلغ حقيقته إطناب المطنبين، لأنه جاء من نفحات رحمة الله تعالى التي يصيب بها من يشاء من عباده، والحمد لله الذي جعل اولياءه ممنوحين من نفحاته، وعظيم عناياته، بما يعرّفهم اختصاصهم بفضله، وتميّزهم بتأييده ونصره، وله الحمد كثيرا[35]

وعرّفناكم بذلك مشروحا لتحمدوا الله تعالى عليه وتأخذوا بحظكم منه، وتعطوه حقه من الاشاعة، وتوفّوه واجبه من النشر والاذاعة، فقد انحسمت به ادواء كانت في حد الإعضال/، واخمدت نيران م م/179 كانت من الفتن في اضطرام واشتعال، وستكون آياتها منبّهة وعبرها مذكّرة، يصلح بها الفاسد، ويستقيم بها المائل، ونسأل الله تعالى ان يوزع شكر آلائه، وينهض بما حمّل من اثقال امره العزيز واعبائه، بفضله وكرمه ؛ والذي نفّل الله الموحدين اعزهم الله من ضروب المغانم والأنفال، وذلك من البقر اثنا عشر الفا، ومن الغنم سبعة وعشرون ألفا وثلاث مائة، ومن السبي ثلاثة آلاف وست مائة وسبعة واربعون، ومن الدوابّ ستمائة وسبعة عشرة، وهي الآن متصلة متتابعة[36]، فله الحمد على ما اولى اولياءه من الخير الواسع، والنصر الكريم المتتابع، لارب غيره، والسلام العميم الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب في الرابع عشر من شوال سنة ثنتين وستين وخمس مائة[37].

---

(35) لم تذكر الرسالة مصير عمران اخي الثائر والذي سبق له الاتصال بالخليفة، فهل هذا يؤكد انه كان ممن التزم بطاعته منذئذ فنجا من مصير كمصير أخيه ؟ انظر ايضا الهامش 7 في الرسالة اللاحقة.

(36) هذه الارقام تدل على اهمية المنطقة في ميدان تربية الماشية.

(37) لما كان تاريخ الرسالة هو 14 شوال من منزل الموحدين بجبل الكواكب، ولما كانت اولى المعارك المذكورة في الرسالة بهذه المنطقة يوم 3 رمضان، الا يدل طول المقام على صعوبة التغلب على هذه الثورة ؟.

الرسالة الخامسة عشرة :

نص رسالة السيد أبي حفص[1]

م م/180 بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر بن امير المومنين الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[2]، ادام الله كرامته بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد حمدِ الله والثناء عليه، والصلاةِ على محمد رسوله وعلى آله، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، والدعا(ء)[3] لسيدنا امير المومنين ولولي عهده الامير الأجل الملك الأسعد ابي يعقوب[4]بدوام التمكين، والفتح المبين ؛ فالكتاب اليكم، كتب الله لكم نعما ثرّة واعمالا بَرّة، من منزل الموحدين أعزهم الله بجيل الكواكب[5]، وفتوح الله لأوليائه متصلة النظام، مؤيدة الأعلام، آخذة بمجامع الكمال والتمام، فإنه تبارك وتعالى يسر للموحدين فتح هذه الجبال الصعبة، والمعاقل الاشبة، التي كان اهلها قد بطروا الحق واشروا النعمة، وشقّوا عصا الجماعة، واجابوا ناعق الفتنة، فوصل الموحدون اليهم واستأنوا بهم آخر الأجل في التبصرة والتذكرة والاستنابة، فكان منهم من راجع الحق وتلافاه الله واخذ بحجزته عن النار، فاولئك نجحوا ونجوا[6] واحرزوا اموالهم وعيالهم «ومن يهد الله فهو المهتدي»[7]واستمر سايرهم على اللجاج والعناد، وظنوا ان معاقلهم ما نِعتُهم م م/181 من أمر الله[8] «ومن يضلل الله فلن تجد له / سبيلا»[9]ومازال الموحدون يستنزلونهم من هضابهم، ويستخرجونهم من شعابهم، حتى أتوا عليهم قتلا وسبياً، وكان من آخر ذلك هذا الجيل العظيم الشأن، المنيف من هذه الأرض على كل مكان[10]، وكان فيه رأس غوايتهم، وعميد ضلالتهم سبع بن منغفاد[11] الشقي مدار قومه، ألحقَ الله به امثاله، وكان قد ضم إليه امة عظيمة من الأشقياء،

---

(1) يبدو ان هذه الرسالة من انشائه كما يفهم من صاحب المن «وكتب السيد الأعلى ابو حفص عن نفسه... (321 — 322) (من المطبوع) وهذا لا ينفي ان يكون له كاتب خاص (انظر الهامش 11 للرسالة رقم 23).

(2) كان على ولاية غرناطة فيما بينْ 562 و566 (المن 297 — 298).

(3) في الأصل الهمزة ناقصة.

(4) راجع الهامش رقم 6 على الرسالة السابقة.

(5) راجع الهامش 12 على الرسالة السابقة.

(6) في الأصل : (نجوا ونجوا)، فاما ان يكون هنا تكرار، أو يكون خطأً صوابه هو ما أثبته الاستاذ الغازي أي (نجحوا ونجوا).

(7) من الآية 178 من سورة الأعراف، وفي هذه العبارة اشارة الى انشقاق في صفوف الثوار بين تائب ومسترسل في الثورة، راجع الهامشين 25 و35 من الرسالة السابقة.

(8) اقتباس من الآية 2 من سورة الحشر.

(9) من الآية 28 من سورة النساء،

(10) في هذا تلميح الى تطويق الجبل وتأخير المعركة النهائية مع ثواره.

(11) كذا في الأصل بحرف الغين وذكر سابقا بحرف الخاء.

زاعمين انهم يعتصمون من الموحدين فيه، ولا عاصم من امر الله الا من رحم[12]، فاستعان الموحدون بالله، وصمدوا اليهم وقاتلوهم على مصعده قتالا شديداً اجهض الأشقياء عنه وردّاهم منه، وفر الشقي المذكور، وافلت من ذلك الهول، وآوى إلى بعض قبائل غمارة، فشرح الله صدورهم ببركة هذا الأمر العزيز وسعده، فاخذوا الشقي وجاءوا به اسيرا موثوقا فغزِي فيه ورفِع جذعه، وعفي اثره، وكمل امر الله في هذه الجهة، وانجلت عنها غيابة الكفر، وفاض عليها نور العدل، وانسكب فيها غمام الاحسان، والحمد لله رب العالمين، وهي نعمة عظمى وفتح أعظم يجب أن يعرف قدره، ويوفّى شكره ؛ فخذوا بحظكم من المسرة بما منح الله اخوانكم الموحدين وخوّلهم من الخيرات وأفا(ء)[13] عليهم من المغانم التي جل قدرها، وعظم خطرها، حسب ما جرت به عوائد الله لهذا الأمر وأهله ؛ جعلنا الله ممن شكر/ نعماه ونصر حزبه، بمنه وكرمه ؛ ووصل — اعزكم الله — كتابكم البرّ ووقفنا عليه، وشكرنا اهتبالكم، واستعنّا الله لكم، واستوهبناه لكم الكرامة والامداد بالتوفيق، فكذلك توالون المطالعة، وتستمرون على أعمال الخير والبر، والله وليّ عونكم، والسلام الجزيل عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب في الرابع عشر من شوال سنة ثنتين وستين وخمس مائة.

م/182

---

(12) اقتباس من الآية 43 من سورة هود.

(13) في الأصل الهمزة ناقصة.

الرسالة السادسة عشرة :

رسالة جوابية صادرة عن الأمير (الخليفة) يوسف حول ابعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة

تقديم :

يسمى هذا الحصن حصن لبسة يتوسط المسافة بين مدينتي وادي آش وغرناطة، كان محمد ابن مردنيش وضع فيه قوة عسكرية من المرتزقة النصارى لتنظيم الغارات على اطراف غرناطة. فقاد اليه الشيخ ابو عبد الله ابن ابي ابراهيم عسكرا من غرناطة فأجلى منه النصارى وهدمه، فوجه البشرى بهذا الى الأمير يوسف فردّ على الشيخ بالرسالة الآتية كما وردت في المن (183 — 184) أو (324 — 325 في المطبوع) وهي مؤرخة ب 9 ذي الحجة 562[1].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد رسوله وعلى آله[2]، من الامير يوسف بن امير المومنين ايدهم الله بنصره، وامدهم بمعونته، الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[3] والطلبة والموحدين بأغرناطة أكرمهم الله بتقواه ووفقهم لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد : فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله، ونسترضيه عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بامر الله تعالى والداعي الى سبيله، ونصل الدعاء لخليفته سيدنا امير المومنين المنتهض بتتميم امره تعالى وتكميله ؛ وكتبناه اليكم — أتمّ الله نعمته عليكم — من حضرة مراكش[4]، حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه ؛ وقد وصلت الينا مكاتباتكم ووقفنا منها على / ما ذكرتم من استبشاركم بما سنّى الله تعالى لأولياء امره من الفتح والنصر وبما سنّاه الله تعالى للموحدين

---

(1) كاتب الرسالة غير مذكور ومن المرجح ان يكون هو ابو الحسن عبد الملك بن عياش حيث كتب عن الأمير يوسف منذ ولايته باشبيلية الى سنة 568 وهي تاريخ وفاة ابن عياش، انظر ترجمته ضمن كتّاب الرسائل.

(2) يلاحظ هنا عدم وجود «العلامة» مع انها موجودة في رسالة مؤرخة قبل هذه (الرسالة 13).

(3) انظر الهامش 2 للرسالة 15.

(4) عن مراكش ؛ راجع الهامش 90 في الرسالة السادسة.

هناك من غزو المجسّمين[5] واستنقاذ ما كانوا غنموه، وانتظام اموركم كلها على الخير والصلاح، وتمكن اسباب الأمن والدعة، والحمد لله على ما منح من صنعه الكريم، وفضله العميم ؛ فجَدّدوا شكر الله تعالى على آلائه، وتوكلوا عليه، واستمدوا بالشكر المزيد من فضله، والمعتاد من رحمته، وهو الكفيل تعالى بإنجاد اوليائه وإعزاز حزبه وجنده.

والذي ذكرتموه من اختلال احوال المجسّمين الشرقيين وتبدّد شملهم، فتلكم عادة الله تعالى فيمن ناوى[6] امره واعرض عن جانبه، والله ينجز فيهم وعده، لا رب غيره، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله ؛ كتب في التاسع من ذي الحجة سنة ثنتين وستين وخمس مائة.

---

(5) تعبير أطلقه الموحدون في البداية على المرابطين ثم عمّموه على الثوار على الدولة ومن هؤلاء بنو مردنيش بشرق الأندلس «المجسّمين الشرقيّين».

(6) المعنى ناوأ.

الرسائل 17 و18 و19 و20 :

أربع رسائل بين اشبيلية وغرناطة من جهة والخليفة يوسف من جهة ثانية حول موضوع تجديد البيعة له باتخاده لقب أمير المومنين

تقديم :

ظل يوسف بن عبد المومن يحمل لقب «الأمير» منذ ان خلف اباه في الحكم نظرا لعدم حصول الاجماع عليه آنذاك، وبعد حوالي خمس سنوات استطاع ان يفرض نفسه ويتلقب بلقب الخلافة وهو «امير المومنين» فجددت له البيعة بمراكش في اوائل سنة 563[1]، فوجه رسائل الى عواصم الولايات يطلب تجديد البيعة له، وارسلت من الرسالة الواصلة الى اشبيلية نسخ الى الجهات الأخرى ومنها غرناطة. ومن رسائل تجديد البيعة الأندلسية رسالة بيعة اهل اشبيلية وجهاتها[2] يحملها وفدها الى الخليفة وهي من انشاء احمد بن محمد[3] كما وردت في «المن» على الصفحات 340 الى 342[4] كما عمل والي غرناطة الشيخ ابو عبد الله بن ابي ابراهيم على جمع البيعة من اهل ولايته وتوجيهها مكتوبة الى الخليفة مع رسالة شخصية من الشيخ الى الخليفة، وتحمل هاتان الرسالتان نفس تاريخ سابقتهما وهو منتصف جمادى الآخرة 563 وتقعان في كتاب المن على الصفحات (342 — 344) و (344 — 346)[5]، وبعدما أدى الوفد الغرناطي البيعة بمراكش انصرف إلى بلاده، وكتب الخليفة يوسف بذلك رسالة إلى الشيخ والي غرناطة مؤرخة ب 12 شوال 563، وردت في كتاب المن على الصفحتين 346 و 347[6] وهذه نصوص الرسائل الأربعة على التوالي :

---

(1) «المن» المطبوع (338 — 339).

(2) والى اشبيلية في هذا الوقت هو السيد ابو ابراهيم اسماعيل ابن الخليفة عبد المومن منذ شهر ذي الحجة 561 (المن 297)، ويبدو ان اشبيلية اصبحت عاصمة الاندلس كما يفهم من المن (339).

(3) هكذا سماه صاحب المن بدون توضيح اكثر فهل هو ابو العباس احمد بن محمد الرعيني الاشبيلي (الذيل س/1 الترجمة رقم 537) ؟

(4) تقابل في المخطوط المصور (198 — 200).

(5) تقابل في مصور المخطوط (201 — 203) و (204 — 206).

(6) تقابل في مصور المخطوط (207 — 208).

رسالة بيعة اهل اشبيلية : (الرسالة السابعة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم ؛ الحمد لله الذي جعل الامامة قواما للحق ونظاما للخلق، وتماما على الذي احسن برعاية العدل والرفق، واوجب الاعتصام بطاعتها والانتظام بجماعتها، والصلاة على محمد نبيه المبتعث بنور الحق الساطع الأضواء، المبلّغ/ عن الله سبحانه م م/199 بأكمل وجوه التبليغ والانهاء، وعلى آله وأصحابه الذين والَوه بالنصر والإيواء، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، المخصوص بأثرة الاصطفاء والاجتباء، والدعاء لسيدنا ومولانا امير المومنين الخليفة المرتضى متمّم انوار الهدى ومجلّي غياهب الظلْماء، وللإمام الأعدل الأهدى سيدنا ومولانا امير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين بدوام النصر والاستيلاء، واستصحاب الظهور والاعتداء.

اما بعد، فإنه لما اجتمعت طائفة التوحيد، وهم الذين تحضرهم من الله حاضرة التوفيق، وينظر اليهم نظر الاقتداء والاهتداء من وراءَهم من اهل الحق و التحقيق، على **تجديد البيعة المباركة** لسيدنا ومولانا امير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين — خلد الله امرهم وأعز نصرهم — بالاسم المبارك الكريم، الذي اول من دعي به الفاروق رضوان الله تعالى عليه[7]، فعرف الله من يُمنه ما فتح لملة الإسلام شرقا وغربا، واحال الدلو بيد ساقيهم فاستحالت غربا، حتى ضرب الدين بجرانه، والقى الناس بعطن[8] بين يُمْنه وامانه، فجددنا من بيعته على الاسمية المباركة فرضا اوجبه الشرع وجوب الالزام، واقتضى الوفاء بشروطه المؤكدة على الكمال والتمام، فبايعنا على السمع والطاعة بيعة ايمان وامانة، وعدل/ وعبادة، والتزمناها في اليسر والعسر، والمَنْشَط والمكْرَه، واعتقدناها عصمة ديننا وذخر م م/200 معادنا، وتمسكنا منها بالعروة الوثقى والعصمة التي من تعلق (بحبلها) وآوى الى ظلها فقد اعتصم بالجانب الأمنع الأوق، علما انها البيعة الرضوانية[9]، والدعوة التي تتكفل بنصرها وإعلاء امرها العناية الربانية ؛ علينا بذلك عهد الله الأوكد الألزم، وميثاقه الأغلظ الأعظم، وذمته التي لايقطع حبلها على مرور الزمان ولا يُصرَم، مستبصرين في هذه البيعة الكريمة بنور الاهتداء، سالكين في التزام الطاعة على المحجة البيضاء، عارفين ما أمر الله سبحانه من طاعة الخلفاء ؛ والله سبحانه يحفظ بها أكناف الاسلام، ويجعلها كلمة باقية على مرور الأيام، بفضل الله ويمنه.

وعلى مضمن ما نص فوق هذا التزام اهل اشبيلية كافة، وكتبوا على ذلك شهاداتهم، في النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وستين وخمس مائة.

---

(7) الاشارة الى عمر ابن الخطاب الذي اتخذ لقب امير المومنين وهو الخليفة الثاني للرسول (ص) فقلده يوسف وهو الخليفة الثاني للمهدي، انظر الرسالة، اللاحقة أو (م م/202).

(8) العطن : مبرك الابل ومربض الغنم حول الماء.

(9) الاشارة فيما يبدو الى بيعة المسلمين للرسول (ص) في الحديبية والتي سميت بيعة الرضوان، وقد شبّهت بها بيعة الموحدين للمهدي تحت شجرة خرّوب بتنملل (البيذق 34).

م م/201

رسالة بيعة اهل غرناطة[10] : (الرسالة الثامنة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم.

الحمد لله الذي جعل الأمامة عصمة للدين، ونعمة سابغة منه تعالى للمسلمين، ورحمة اراد الله[11] بها ـــ جل جلاله ـــ هدي المهتدين وقوام المومنين، نظم بها عِقد الأنام، وتمّم بارتباطها عقد الاسلام، وأظهر بالتزامها بركة تمامها وانتظامها، والصلاة على محمد نبيه ورسوله الذي ابتعثه برحمته، وايده بقدسه وقدرته، وأعانه على إعلاء امره وكلمته، وعلى آله وصحابته الذين آمنوا به ونصروه، وآزروه وعزّروه، إذ اصطفاه إمامهم، وقدّموه أمامهم، وأخلصوا لله تعالى في طاعته ومناصحته أفهامهم، وأعملوا في نصرته وحمايته إقدامهم وأقدامهم. والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، الذي أظهر الحق بعد دروسه، وأطلع للايمان ساطع اقماره وشموسه، والدعاء[12] لسيدنا ومولانا امير المومنين خليفته المرتضى الذي أشرقت به أنواره، وظهرت على يديه بركاته المكنونة وأسراره، وبمثله لسيدنا ومولانا الامام الأعدل، الخليفة الصالح الأتقى لله عز وجل، امير المومنين ابو يعقوب[13] بن امير المومنين / بنصر تستقبل منه بركاته المضمونة، وتتمهد بسعده الأسعد حوزته المصونة، وتنهض عزماته في الزلاء[14] فما دونه.

م م/202

أما بعد، فإنه لما اختص الله تبارك وتعالى طائفة التوحيد، بما هم عليه من العمل السديد، والسبيل الحميد، والسعي السعيد الرشيد، اجتمعت نفوسهم بعد توفيق من الله تعالى لهم، ومستقبل سعد يدّخرون فيه عملهم، **أن يجددوا البيعة المباركة** لسيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين ابي يعقوب بن الخليفة امير المومنين ـــ جدد الله لهم السعود، وامد لأمرهم العزيز التأييد الكريم والخلود ـــ بالاسم المبارك العظيم الذي اول من نُطق له فيه **عمر بن الخطاب، فأقر** ذلك لنفسه لقبا واسما، وسمةً لمعنى الخلافة ورسما، حين علم تحقيق ما به خوطب وبه كوتب، فحمد الله تعالى وشكره، واستحسن لمخاطبه بذلك ما سماه به وذكره[15]، جددنا الآن من بيعة سيدنا ومولانا امير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين ـــ ادام الله تأييدهم ـــ على الاسمية المباركة العظيمة الموسومة فرضا اوجبه الدين والاسلام، وحقا اقتضاه شرع محمد نبينا عليه السلام، واتباعا لما فعله اصحابه البررة الخيار الأعلام، الصحابة العشرة، فبايعنا سيدنا ومولانا على السمع والطاعة ومنهج الجماعة، بيعة إيمان (وامانة، وعدل وعبادة، تبركا بأمرهم)[16] / واستنجاداً بالله تعالى على ما يجب فيها من

م م/203

---

(10) كاتب الرسالة غير مذكور وان كان الآمر بها هو والي غرناطة.

(11) في الأصل : اراد من الله.

(12) الهمزة ناقصة في المصوّر.

(13) كذا بالاصل عوض (ابي يعقوب).

(14) كذا بالاصل.

(15) الاشارة هنا الى تخلي الخليفة عمر بن الخطاب عن لقب «خليفة خليفة رسول الله» إلى لقب «أمير المومنين» فاعتبر هذا التطور في اللقب مبرّرا ليتسمى به الخليفة يوسف ايضا.

(16) ما بين هلالين مكرر في الأصل.

طاعتهم ونصرهم، اقتداءا فيها ببيعة الشجرة[17]، وبأصحاب رسول الله المومنين البررة، التزمناها في كل الأحوال، وأخلصنا لها الضمائر في كافة الاعمال، واعتقدناها شرعة ودينا، وبادرنا اليها حقيقة ويقيناً، فهي ذخيرتنا في المعاد، وزادنا الى يوم التناد، وسعادتنا ونجاتنا يوم الوعيد والإيعاد، علينا بالوفاء بعهودها، وكمال شروطها وعقودها، عهد الله الأصح وعقده الأنصح، وذمته التي لا تضيع ودائعها، ولا تُبخس بضائعها، متمسكين فيها بحبل الله الوثيق، وامره الحقيق، سالكين في التزامها، وابرامها وتمامها، ما يجب من شروطها وصحة ربوطها، عارفين بما فيها من مبهمها ومبسوطها، والله تعالى يعيننا على أداء واجباتها ومفروضاتها بفضل الله تعالى[18]،

وعلى مضمن معناها، والتزام مبناها، التزم الطلبة والشيوخ والكافة من الموحدين بقصبة أغرناطة ومدينتها، وكتبوا على ذلك شهاداتهم وخطوط ايديهم على انفسهم، وذلك في النصف من جمادى الآخرة من عام ثلاثة وستين وخمس مائة[19].

م م/204 رسالة الشيخ ابي عبد الله والي غرناطة[20] : (الرسالة التاسعة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

الحضرة السامية الامامية حضرة سيدنا ومولانا الامام الأعدل، الخليفة الصالح المنصور بالله عز وجل، أمير المومنين بن امير المومنين ـــ ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته ـــ ملتزم اوامرهم العلية، المتبرّكُ بمعاليهم السنية ؛ الطائع[21] السامع فيما يجب عليه من حقهم في كل ثنية : محمد بن ابي ابراهيم، سلام على حضرة سيدنا ومولانا امير المومنين بن امير المومنين ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله على اعلاء هذا الامر العزيز المكين، واجراء سره القائم على افضل الأساليب والقوانين، وامضاء[22] آراء اهله الموحدين في صوب الاسعاد والتيمين، والصلاةِ على محمد رسوله ونبيه الصفي الأمين، المبلّغ الرسالة على اكمل حالات البيان والتبيين، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم لإقامة الحق في المفروض والمسنون، ولصاحبه وخليفته أمير المومنين المؤيد لإظهار أسراره وأنواره يأتمّ التأييد المضمون، وللإمام الأعدل، الخليفة الصالح المنصور بفضل الله عز وجل، سيدنا ومولانا امير المومنين ابو يعقوب[23] بن امير المومنين بنصر يختصه في كافة الأحوال والشؤون.

م م/205 فكتبه خديمكم من أغرناطة ـــ حرسها الله ـــ عن /التزام امركم الكريم، والاعتلاق بحبلكم الذي

(17) انظر الهامش 9 سابقا.

(18) الملاحظ هنا ذكر الشروط المفروضة على المبايعين دون المبايَع.

(19) قدم صاحب المن لهذه الرسالة بقوله : «...كتب اهل غرناطة بيعتهم، وفيها اشهادهم على انفسهم بخطوط ايديهم وبمحضر الشيخ الأجل الحافظ المرحوم ابي عبد الله بن الشيخ المرحوم ابي ابراهيم.

(20) كاتب الرسالة غير معروف.

(21) في الأصل : (الطالع).

(22) الهمزة ناقصة في الأصل.

(23) كذا في كثير من الرسائل لا يخضع اسم الخليفة للقاعدة النحوية.

هو حبل الله العظيم، شاكراً لله تعالى وحامدا على ما افضى به من امره الى سيدنا امير المومنين بخلافته، واختصه في ارضه بفضل امامته وحمل امانته، وحباه بكرامته حين علم فيه الاستبداد بكفايته، فلله قِبَل عبدكم في ذلك نِعَمٌ متظاهرة، وآلاء مترادفة متكاثرة، ارغب من الله تعالى ان يلهمني حمدها وشكرَها، وإعمالها ونشرها، بعزته،

وانه وصلني كتاب السيد الأسنى ابي ابراهيم بن امير المومنين الخليفة ـــ رضي الله عنه ـــ [24] ومعه نسخة الكتاب المبارك العزيز الكريم، المبدي من البشائر ما اربى على التكميل والتتميم، بما كان فيه من اجماع الرأي السعيد، والفعل السديد، الذي اجتمعت (عليه)[25] آراء الموحدين، وكانوا من الله تعالى في ذلك على توفيق وحق مبين، من **تجديد البيعة الكريمة** والاسمية المباركة الموسومة لسيدنا ومولانا امير المومنين، أدام الله لهم السعد والتمكين، والفتح المبين، الى ما اعلموا فيه مما اسبل الله أثرها على الموحدين وطائفة المومنين من توالي الفتوح، واتصال الخير الممنوح، وترادف الامطار، ورخص الاسعار[26]، مما يقل لذلك شكر الشاكر، ووصف الواصف وذكر الذاكر ؛ وعند وصول الكتاب الكريم الى الخديم الطالع عليه بعجائب الفتوح والسرور، بادرنا الى التيمّن/ بعقد البيعة الرضوانية التي هي كمال ديننا وذخر معادنا، فعقدناها على مايجب من مفروض البيعة لأمير المومنين، على الزم شروطها في الدين، وحمدنا الله تعالى على التزامها، ودعونا الله في التوفيق بالعمل على نظامها، انه القادر على ذلك لا إله سواه. م م/206

وفي حين ذلك وصلنا ايضا على الخصوص كتابهم الكريم الثاني[27] المتمّم لتلك المباني، مما كان من امرهم الحفيل، ونظرهم لهذه الجزيرة ـــ حماها الله ـــ على اتم الرأي الجميل، بوصول العساكر المنصورة والاجناد الموفورة اليها وحمايتها الى ما خصصوا به عبيدهم ـــ ادام الله امرهم واعز نصرهم ـــ من الامر المفصل بالبركة[28] التي مازالت بركاتهم ونعمهم علينا تترادف، وتتوالى قِبلنا وتتعارف، مع ما عرفوا به من الخير الذي يصلح بلادهم، ويخص اجنادهم ؛ والله تعالى نسأله ان يعين الكلَّ من عبيدهم على اداء شكرهم، والتزام امرهم بعزته وقدرته، والسلام الأجزل الأحفل، الأتم الأعمّ على الحضرة السامية الامامية العلية، ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في النصف من جمادى الاخيرة عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

---

(24) انظر (م ر م) لبروفنصال الرسالة رقم 24، والمن 296 (المنشور)، وكان السيد ابو ابراهيم اسماعيل بن الخليفة عبد المومن آنذاك واليا على اشبيلية منذ ذي الحجة 561 وتجددت ولايته لها سنة 565. المن 296 و339 و396 والبيان 83.

(25) الكلمة ناقصة في الأصل المصور.

(26) محاولة للربط بين تجديد البيعة وشمول الخيرات بالمغرب !

(27) يلاحظ هنا التغير المفاجىء في صيغة مخاطبة الخليفة من استعمال الكاف للمخاطبين الى ضمير الغائبين بسبب التحول من حالة الامارة الى حالة الخلافة.

(28) البركة : نوع من الرواتب المقدّمة لموظفي الدولة وخاصة العسكريين (انظر الفصل الخامس عن الجانب العسكري).

الرسالة العشرون :

رسالة الخليفة يوسف إلى والي غرناطة حول انصراف وفد البيعة(29)

م م/207

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده. من امير المومنين بن امير المومنين(30) ايده الله بنصره وامده بمعونته، الى الطلبة الذين بأغرناطة ــ اكرمهم الله بتقواه ــ سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضىء عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله والداعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام أمير المومنين ممشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

فانا كتبناه اليكم ــ اكرمكم الله تعالى بتقواه ــ من حضرة مراكش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه ؛ وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من أغرناطة ــ حرسها الله ــ والموحدين ــ وفق الله جميعهم ــ ووقفنا عليه، ورأينا ما تحمّلوه عن الموحدين بأغرناطة وجيرانهم من انعقاد اجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ اهل التوحيد واعيانهم من الأمر الذي اوجبوا على انفسهم المبايعة عليه، واعطاء صفقة اليد فيه(31)، وقد وفقهم الله لما وفق اليه اهل امره وذوي العصمة من طائفته ؛ والله تعالى يتقبل منهم/ عملهم، ويعرّفهم بركة ما التزموه، ويعينهم على القيام بواجبه والوفاء بحقه ؛ وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورون، بعد اقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتها، بما يجدون اثره في احوالهم وسريان الانتفاع به في أقوالهم واعمالهم ؛ فاعرفوا لهم حق وفادتهم، ومكان زيادتهم، واحملوهم وكافة جيرانهم على الرعاية المتصلة، والمبرّة الحافلة المشتملة ان شاء الله تعالى؛ والله ولي عونكم وصونكم لارب غيره، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الثاني عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

م م/208

---

(29) كاتبها غير مذكور، ولعله ابو الحسن بن عياش كاتب الخليفة يوسف آنذاك.

(30) يقول صاحب الحلل الموشية عن الخليفة يوسف انه «تلقب بأمير المومنين بن امير المومنين» (157).

(31) تلميح الى انّ تقديم البيعة يتمّ بالأيدي رفعا او مصافحة.

الرسالة الواحدة والعشرون :

رسالة عن الخليفة يوسف تبرز نيته في الجواز إلى الأندلس لمواجهة ابن مردنيش والنصارى

تقديم :

بعد تجديد البيعة للخليفة يوسف وجّه رسالة الى والي غرناطة الشيخ أبي عبد الله مؤرخة ب 22 جمادى الاخيرة سنة 563 يخبره فيها بتعيين اخيه السيد ابي اسحاق ابراهيم على ولاية قرطبة[1] صحبة جيش ضخم استعدادا لمواجهة الأعداء النصارى واتباع ابن مردنيش او «الروميين والمجسمين» حسب تعبير الرسالة ويأمره بالتنسيق مع بقية الولاة بالاندلس، «وهذه كلها مقدمات بين يدي ما ينوى من الغزو الاعم...» من طرف الخليفة، وتوجد في الرسالة ايضا الاشارة الى تنظيم «دفع الارزاق للعساكر»، وردت الرسالة في المن (215 ــ 218) أو (354 ــ 356 من المطبوع) بدون ذكر كاتبها[2].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده، من امير المومنين بن امير المومنين ايدهم/ الله بنصره، وأمدهم[3] بمعونته الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[4] م م/216 والموحدين الذين بأغرناطة ادام الله كرامتهم، ووصل توفيقهم، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بامر الله والداعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام امير المومنين مُمْشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

وإنا كتبناه اليكم ــ كتب الله لكم آمالا مبلغة، واماني في صلاح أحوالكم مهنأة مسوّغة، ــ من حضرة مراكش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به،

---

(1) ستجدد ولاية السيد ابي اسحاق بن عبد المومن على قرطبة سنة 565 (المن 396 والبيان 84).

(2) قد يكون الكاتب ابا الحسن بن عياش او ابا القاسم عبد الرحمان القالمي فكلاهما كتب عن الخليفة يوسف (انظر ترجمتيهما في مقدمة الدراسة العامة).

(3) في المصور : وأمده.

(4) انظر الهامش 1 لتقديم الرسالة 14، ونصوص الرسائل 15 و16 و19 و23 و26.

والتوكل عليه، والثقة بأنه تعالى ناصر هذا الامر العزيز ومؤيده، ومعينه ومنجده، ومتولّيه بما يظفر بكل جاحد لحقه، عمٍ عن نوره، عادل عن سبيله معرض عن داعيه تمضي سنة الله في انتشار دعوته، وامتداد شعته[5] وظهور كلمته، وانجاز ما وعده من الاستيلاء على الأدنى والأبعد، وضمن له من البقاء الدائم السرمد ؛ وإنّ أمْر تلكم الجزيرة — مهدها الله — لَمِن آكد ما توجّه اليه نظرنا، م م/217 وتوكّل به اعتناؤنا واشتغل به فكرنا، لمصاقبة الاعداء الروميين والمجسمين[6]/ لبلاد الموحدين بها والحاحهم على جنباتها، واسترسالهم في سبل الاغترار وطرق الانهمال عمّا يَدهمهم من امرْ الله تعالى الذي يأخذ فيهم لدينه بحق الانتصاف، ويكيل له من ادراك الثأر بالكيل الواف(ي) ؛ وقد اتفقنا في هذه الأيام على ان يتوجه اليها أخونا أبو اسحاق ابراهيم[7] بن سيدنا امير المومنين وفقه الله في عسكر مبارك من الموحدين والعرب — وفرهم الله — ليكون بقرطبة — مهدها الله — ورجونا من تعاونه مع اخوانه الذين باشبيلية[8] — حرسها الله — وتعاضدهم جميعا، وتوازرهم على الجهاد، وحماية البلاد، والنظر في المصالح ؛ وكافة ما وصيناهم به في هذه الاغراض، أن تظهر عليهم بركة سيدنا امير المومنين وآثاره، وما اخذنا عليهم من عهود التقبل لها والاقتداء بها، وان ينفع الله بهم، ويعرّف عن اجتماعهم، وأن يُسعدهم ويُسعد بهم، وعلى ذلك فالنظر مستتبّ، والغوث مطّرد، وهذه كلها مقدمات بين يدي ما ينوى من الغزو الأعم، والجهاد الأتم، الذي يمحق الله به الباطل، ويعفّي اثره ويعدم عينه، على ما وعد، إنه لا يخلف الميعاد.

فاشكروا الله على ذلك، واستبشروا وبشروا اخوانكم بجميع جهاتكم وانظاركم باقبال هذا الخير، وتوالي النظر، وأنّسوا به القلوب وسكّنوا به النفوس وثبّتوا به الأقدام، وأَجِدّوا في الجهاد بنيات م م/218 خالصة/ وعزمات صادقة، وكونوا على اتم التعاون وأوفى التعاضد، واستشعروا الاقبال، وصلاح الأحوال ان شاء الله ؛ وقد خاطبنا الطلبة الذين باشبيلية أن يدفعوا للموحدين الذين بأغرناطة من البركة مثل ما أخذه اهل قرطبة[9]، وكذلك خاطبناكم ان يستمر لكم النظر في الآلات والاسلحة التي تحتاجون للقصبة حماها الله، فاعلموا ذلك، والله تعالى وليّ عونكم بمنه، والسّلام العميم الكريم عليكمْ ورحمة الله ؛ كتب في الثاني والعشرين من جمادى الآخر عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

---

(5) كذا بالأصل المصور.

(6) المجسمون هنا هم بنوا مردنيش الممتنعون من الخضوع للموحدين.

(7) ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة عبد المومن سبق ان ولاه ابوه على افريقية بعد فتح المهدية (حسب الزركشي ص 8)، وعينه اخوه الخليفة يوسف كما في هذه الرسالة على قرطبة (انظر البيان 75 والعبر 497/6) وسيتعرض للنكبة من طرف المنصور بتلمسان سنة 584 (البيان 170 — 171، والعبر 6/ 510) والفقرة الخامسة من الفصل الثالث.

(8) والي اشبيلية آنذاك هو اخوه السيد ابو ابراهيم اسماعيل (انظر الهامش 24 على الرسالة 19).

(9) هذا دليل على كون اشبيلية اصبحت عاصمة الاندلس.

الرسالتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون :

رسالتان عن الخليفة يوسف
واخيه أبي حفص إلى والي غرناطة حول انتصاره
على قوات جراندة (جيرالدو)

تقديم :

منذ القضاء على ثورة غمارة تزايدت الامدادات الموحدية الى الاندلس، لمواجهة تهجمات ابن مردنيش ولاضعافه، وفي هذا الوقت ايضا كانت الجماعات النصرانية تحت قيادة القائد الجليقي «جراندة» (جيرالدو) تُغير على الاراضي الموحدية، فوصلت مرة الى وادي آش[1]، فاعترضتها عساكر من غرناطة وافتكت منها الغنائم، فكتب الشيخ ابو عبد الله والي غرناطة الى الخليفة — وربما ايضا الى اخيه وزيره السيد ابي حفص[2] — مخبرا بهذا «الانتصار»، فأجابه الخليفة مهنئا له برسالة وردت في المن (219 — 223 في المخطوط او 357 — 359 في المطبوع) مؤرخة ب 3 رمضان 563، وفي نفس الموضوع ونفس التاريخ كتب اليه السيد ابو حفص رسالة وردت في المن (222 — 223) في المخطوط او 359 — 360 في المطبوع)[3]، والرسالتان معا مجهولتا الكاتب، وهذان نصاهما على التوالي :

نص رسالة الخليفة يوسف[4] :(رقم 22)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده، من امير المومنين بن امير المومنين — أيدهم / الله بنصره، وامدهم بمعونته — الى الطلبة الذين بأغرناطة — اكرمهم الله بتقواه — سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، م 220/م

اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على الائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم القائم بأمر الله تعالى

(1) لا توجد في الرسالتين اية اشارة الى اعتبار هذه الجماعة من حلفاء ابن مردنيش، وكانت هذه الجماعة قد غنمت منطقة رندة قبل الوصول إلى جهة وادي آش (المن 357، البيان 76).

(2) استنادا الى كون جواب ابي حفص ورد فيه : «وصلنا كتابكم المبرور...».

(3) حول هذه الازدواجية في المراسلة انظر خصوصيات الرسالتين 14 و 15 في الفصل الأول.

(4) ربما يكون ابو الحسن ابن عياش او ابو القاسم القالمي هو منشئها (انظر ترجمتيهما).

والدّاعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام امير المومنين ممْشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

وانا كتبناه اليكم ـــ أكرمكم الله بتقواه ـــ من حضرة مراكش[5] حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه، وان تشكروه على ما يوالي به هذا الأمر العزيز وأهله من مواهب النصر وموانح التأييد التي يعلي بها كعبه، ويظهر بها حزبه، إمضا(ءً)[6] لسنّته وطردا لعادته، والحمد لله.

وقد وصلنا كتابكم من أغرناطة ـــ حماها الله ـــ بما سنّاه الله في الأعداء الكفرة الذين كانوا بوادي آش[7] ـــ فتحها الله ـــ من الفتح الذي عرّفهم به قدر اغترارهم ومكان جهلهم، وموضع الإملاء لهم بما كانوا اعتادوه من التّسحّب على اطراف تلكم الجهات بالاختلاس والاختطاف[8] على ما ذكرتم، فيسّر الله لكم من اسباب العون عليهم، ومكيفات الانجاد في الأخذ بالثأر منهم ما شرحتموه في كتابكم، وبينتموه/ بإعلامكم مما وقفنا منه على ما سر موقعه وحسن مطلعه، وجرى على معلوم هذا الأمر في نصرته وتأييده، والصنع الجميل له، واخزاء اعدائه وادحار معانديه ؛ والذي منح الله الموحدين في هذه الغزوة المباركة خير كثير، وأثر جميل، وله في تمهيد تلكم الجهات وتأنيس اهلها وبسط آمالهم وتسكين نفوسهم ومثابة[9] من فت اعضاد الكفرة وتوهين امرهم، وإشعارهم الإدبار في احوالهم، والارتكاس في حويلهم مواقع ظاهرة الآثار، بيّنة المنافع، مع ما جبر الله في تلك الحال من الغنائم التي اغتصبوها اهلها، واقتطعوها من أربابها، فأحق الله الحق وأبطل الباطل ولو كره المجرمون. م م/221

فاشكروا الله تعالى على توفيقه الذي يمّنَ قصدكم وانهض عزمكم وسدد رأيكم، وقابلوا ذلك بما يقتضي له المزيد من فضله والمضاعفَ من احسانه، وبشّروا الموحدين والغزاة[10] بنعمة الله عليهم في الظهور على أعدائهم والنصر لدعوتهم، وان لهم عند الله مع هذه العطية الثواب المدّخر، والاجر الأجزل الأوفر، وليستديموا ذلك بالاعمال الصالحة والقلوب الطاهرة والأحوال المستقيمة، والله وليّ العون على ما يُقرّب منه ويزلف عنده بمنّه، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس / مائة. م م/222

---

(5) انظر الهامش 90 في الرسالة السادسة.

(6) الهمزة ناقصة في الأصل المصور.

(7) وادي آش : مدينة متوسطة المقدار،، ورصيف يجتمع به طرق كثيرة وهي تقع شرقي غرناطة (انظر الادريسي 567 ـــ 568) ن الايطالية.

(8) في هذا اشارة الى ان هؤلاء النصارى كانوا تعوّدوا على مثل هذه الجولات في الأراضي الاسلامية.

(9) في الأصل : وبمثابة.

(10) الغزاة : راجع هذا المصطلح في الهامش 3 للرسالة 25 والفصل الأخير عن الجانب العسكري.

رسالة السيد ابي حفص[11] : (رقم 23)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر بن امير المومنين الى الشيخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[12]، أدام الله كرامته بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على محمد عبده ورسوله المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المرتضى، والدعاء لسيدنا امير المومنين خليفته الاكرم الأهدى، وبمثله لأمير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين بدوام النصر الأحفل الأحفى.

فكتبناه اليكم — ادام الله توفيقكم — من حضرة مراكش حرسها الله، ولا جديد الا نعم الله المتوالية، وآلاؤه الرائحة والغادية، وتَعَرّف بركة هذا الامر العزيز في كل ظعن[13] وإقامة على اتمّ الأحوال المستدامة، والحمد لله ؛ وقد وصلنا كتابكم المبرور مضمّنا من البشائر بجهادكم في الكفرة واجتهادكم ما أجرى الله به عادة هذا الامر في تيسّر اسبابها، وانفتاح ابوابها، والمامها على الدوام وانتيابها، واستوضحت من اعلامكم جلية، وأتت على وفق الارادة حميدةً مرضية ؛ فاشكروا الله على ما سناه لكم منها،/ ومنحكم من أجر التعريف بها، وامضوا على ما انتم بسبيله من الاجتهاد في اموركم، والعكوف على أشغالكم، ووالوا الإعلام بما يتجدد عندكم ان شاء الله، والله وليّ عونكم وصونكم، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس مائة،

م م/223

---

(11) كاتبها مجهول ولكن صاحب الذيل يذكر ان ابا القاسم محمد بن ابراهيم ابن المواعيني استكتبه ابو حفص بن عبد المومن فنال جاها عريضا وثروة واسعة وتوفي بمراكش سنة 564 (السفر الأول، الترجمة رقم 91) فهل يكون هو منشيء هذه الرسالة ؟

(12) انظر الهامش 4 للرسالة 21.

(13) في الأصل : ظغن.

الرسالة الرابعة والعشرون :

رسالة عن الخليفة يوسف إلى ولاة الأندلس بشأن توجيه طليعة عسكرية في انتظار جوازه

تـقـديـم :

سبق للخليفة ان وجه رسالة الى والي غرناطة يخبره بعزمه على الجواز الى الاندلس[1]، غير ان ظروفا طارئة استلزمت بقاءه مدة اخرى بالمغرب تتمثل في بعض الثورات كما جاء في رسالته المقدّم لها هنا، ويبدوا انه ايضا كان ينتظر الامدادات العربية من افريقية، غير ان استمرار هجمات النصارى بزعامة (جراندة)، وضغوط ابن مردنيش فرضت ارسال قوة عسكرية الى الاندلس بزعامة الشيخ ابي حفص الهنتاتي، تكون تقدمة لجواز جمهور الموحدين ومؤذنة بما عزم عليه الخليفة من الجواز بجمهور اهل التوحيد كما ورد في الرسالة، والهدف واضح منها وهو مقاتلة الأعداء «مجسمين وروم» ويُقصد بالمجسمين بنو مردنيش، وهذا نص الرسالة كما وردت في المن (237 ـــ 241) في المخطوط او (376 ـــ 380) في المطبوع، وهي مؤرخة ب 21 ربيع الآخر 564، ومن انشاء ابي الحسن بن عياش[2].

نـص الـرسـالـة : م م/237

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده، من امير المومنين بن امير المومنين ايده الله بنصره وامده بمعونته، الى الطلبة والموحدين الذين بجزيرة الاندلس، ادام الله توفيقهم وكرامتهم، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا الاه الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بامر الله تعالى والداعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام امير المومنين ممشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

وانا كتبناه اليكم ـــ وصل الله توفيقكم وكرامتكم بتقواه ـــ من حضرة مراكش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وهذا الامر العزيز بما وعده الله من النصر، وضمن له من التأييد وتكفّل له من التمكين، واراد من تبسطّه وامتداد غلوائه، واتصال مضماره، وخلوصه الى كافة الارجاء، وتغلغله في كل الانحاء، لإكمال دينه واتمام نوره وبث دعوته، وتصديق وعده، لا تزال موا(ده)[3] الحافظة لصوره، المبقية لأثره، المثبتة لأركانه،

(1) الرسالة رقم 21.

(2) ترجمته في المقدمة.

(3) حرفان مأروضان.

م م/238 الممكنة لقواعده، تشيع/ من الاسباب المقوية واللطائف المنهضة، والمعاني المعينة على سريانه، المزعجة لتسربه وجريانه، بما يوذن له بانجاز موعوداته وتتبع مضموناته، حتى يستولي على مداه الذي لا غاية بعده[4]، ويقف على منتهاه الذي لا مطلع وراءه، يقينا اطمأنت بمقدمات العلم به القلوب، وقرّت على ظهور براهينه النفوس، وعضدته الآيات البينة، ونطقت به الآثار المفصحة، وناقدت شواهد احواله لمن «القى السمع وهو شهيد»[5].

ومازلنا ــ وفقكم الله على اتمّ العناية بتلكم الجزيرة ــ مهدها الله ــ والحرص على غوثها والانتواء لنصرتها، والعمل على قصد ذلك بالمباشرة والمشاهدة، اشفاقا على ما استضام منها جيرتُها الأعداء وأبناؤها الأعقّاء مجسمين وروماً، وما كادوها به من التكلف والتحيف والتنقص وفغر الأفواه، وكبشر النيوب والارصاد لغيض ما فاض فيها من نور التوحيد، وخفض ما نصب من اعلام هذا الامر، والمناصبة للمنحاشين اليه، المتعلقين بأسبابه، المستذمين بذمته ممن صح ولاؤه، وصدقت طاعته، وخلص على السبك، ((ونصع على السبر، ونجعل لها من الفكر حظاً يستحق الصّدر[6]على ما سواه من الافكار))[7]، ويأخذ السبق على غيره من معنيات الأمور، ونراه من الاهم/ الأعنى، والأول م م/239 الأوْلى، قياما بحق الله في جهاد اعدائها ومكابري (مناويها)[8]، ومن لم تنفعه العبر على مرورها على بصره، وتواردها على مشاهدته واهابتها به، ولم يرع سمعا دعوة الحق التي ملأت الخافقيْن، وقرع صوتها مسامع الثقليْن، وتمكن اسباب التفرغ لذلك والتوسع فيه والنظر في احكامه، **فتعترض من اهل هذه المغارب شواغب** يثيرها الجهّال[9]ويبعثها النعقة الضُلاّل، **فلا** يسع اهمالها ولا يسوغ الإضراب عنها، قياما بحق الدين، وتوقياً من استشراء الشر، وتوفر اسباب الفتنة فينصرف اليها من الالتفات والقصد لحسم عللها وابراء ادوائها، ما يقشع غياباتها، ويطحر[10] اقذاءها ويفضي إلى المقصود الأول من التفرغ للجزيرة ــ مهدها الله ــ والتوطئة لأمرها، وما فتىء الاشتغال بهذا الغرب يلظ[10] بأرجائه، ويشتمل على جوانبه ويتخلل زواياه، وينتظم اوعاره وسهوله حتى صفّى الله مشاربه، وخلصّ من الشوْب مشارعه، ووقف باهل الانتزاء من اصناف مشغبيه على تائب اناب بقلبه[11]، وندم على ما فرط من ذنبه، وعلى شقي تمادى في غلوائه، ولجّ في تمرده، فولي كلٌّ ما استحق، وسِيمَ حطة ما رضي ووجد التائب بُرد الأمان، وتَبَوَّأ كنف الاحسان، وحقت على العاصي

---

(4) الفكر التوسعي عند الموحدين ولو نظريا لدعوى احقيتهم وحدهم بالخلافة في العالم الاسلامي.

(5) الآية 37 من سورة (ق).

(6) في الأصل : الصدق، والتصحيح من ط بيروت.

(7) ما بين هلالين مزدوجين مكرر في المصور مع اخطاء.

(8) بالكلمة كشط في الأصل في اولها.

(9) الاشارة الى ثورة غمارة بالخصوص، انظر الرسالتين 14 و15 والفقرة الثانية في الفصل الثالث.

(10) طحر الأقذاء : رمى بها.

(10) ولظّ بالشيء : لزمه.

(11) هل كان عرب افريقية ممن تلمّح اليهم الرسالة انتظارا للجواز بهم الى الاندلس ؟.

م م/240 كلمة العذاب، واخذه التباب، والصيرورة الى سوء المآل وشر المآب[12]، وما ربّك / بظلام للعبيد»[13].

ولما تولى الله هذه الجهات منة التمهيد، وبسط لها نعمة التسكين والتوطيد، انعطف النظر الى محل مثاره، وسال سيل الاعتناء الى قراره، وتوجّه حفل الاشتغال الى الجزيرة ــ مهدها الله ــ **وتوفرت دواعي الاستعداد لنصرتها** وجهاد عدوها، ورأينا في اثنا(ء) ما نحاوله من مَروم هذه الغزوة الميمَّنة المَبَاشرِ **ان نقدم بين ايدينا عسكرا مباركا من الموحدين** ــ اعانهم الله ــ **صحبة الشيخ الأجل ابي حفص** ــ أعزه الله ــ **يكون تقدمة لجواز جمهور الموحدين، وموذنا بما عزمنا عليه** والله المستعان ــ **من التحرك بجملة اهل التوحيد**، والقصد لهذا الغزو الميمون الذي جعلناه نصب العين وتجاه الخاطر، فتتعاونون مع اخوانكم الواصلين ــ على بركة الله ــ اليكم على جهاد اعدائكم، الى ان يوافيكم ــ ان شاء الله ــ هذا العزم، ويلمّ بكم هذا القصد، ويعتمدكم هذه الحركة المحكمة اسبابُها، المبرمة أمراسُها التي انعقدت بها النية، واحتدمت[14] لها في ذات الله الحمية، واستعانت بتوفيق الله في تأصيل اصولها الفكرة الموجهة والروية، وانا لنرجو[15] من المبلّغ لآمال القلوب، المتفضّل بادراك كل مطلوب، ان يهب فيها من العون ما يتمّم مبدأها، ويكمّل منشأها، وتشفى به صدورُ اوليائه بالنقمة في اعدائه، وإن فضله تعالى ليسمح ببلوغ هذه الامنية، والاطلال م م/241 منها/ على كل شرف[16] وثنية، فما ذلك على الله بعزيز[17].

واذا طالعتم ــ وفقكم الله ــ هذه الانباء، واستعملتم ما في ضمنها من البشائر وعنوانات الفتوح وآثار هذه القصود، وحملتم ذلك على الثقة بما وعد الله هذا الامر والتلفّت الى ما عوّده، رأيتموها نعمى تخوّلتكم، ورحمى انتحتكم واتتكم، وشرحتم لها صدوركم، وعمّرتم بها احنا(ء)كم[18]، وشغلتم بها مشاهدكم، وسررتم بها غائبكم وشاهدكم، واذعتموها اذاعة تثلج بها صدور الأولياء، وتحرج منها صدور الأعداء، ويكون للمومن منها مطلع امل، وللكافر مطلع هول ووجل ؛ عرّفكم الله شكر النعمة بها، وأعانكم على اداء واجبها، وبلّغكم الفائدة الجميلة منها، بمنّه ويمنه ؛ واذا وصلكم هذا الكتاب فأشيعوه قراءة على من حضركم من اصناف الناس ؛ وإرسالا بنسخه إلى من نأى عنكم[19] حتى يجد اثر الاستبشار به ويترقب بمودعه الغائب والشاهد، والحاضر والبادي ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة اربع وستين وخمس مائة.

---

(12) الاشارة واضحة للقضاء على زعيم ثورة غمارة بالخصوص (انظر الرسالتين 14 و 15)

(13) من الآية 46 من سورة فصّلت.

(14) في مصور خ ع : واحتذمت.

(15) في المصور المذكور : لنرجوا.

(16) الشرف : مصطلح تضاريسي اندلسي مغربي، ومنه شرف اشبيلية، انظر عنه الادريسي ص 541 (ن ايطالية).

(17) الآية 20 من سورة ابراهيم.

(18) الهمزة الثانية ناقصة في المصور.

(19) هناك صنف من الرسائل الموجّهة الى رجال السلطة بالولايات لا يطلب منهم اذاعتها على الجمهور مثلا الرسالة رقم 25 الموجهة الى «الطلبة الغزاة» بإفريقية.

الرسالة الخامسة والعشرون :

رسالة عن الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة(1) بإفريقية

تقديم :

انتهت عمليات الموحدين من اجل فتح افريقية سنة 555، وظل المسؤول الرئيسي عن شؤون المنطقة هو صاحب بجاية السيد ابو محمد عبد الله ابن عبد المومن الى وفاته سنة 560، وفي السنة التالية عين عليها الامير يوسف (قبل بيعته بامرة المومنين) اخاه السيد ابا زكرياء، وسيظل بولايته الى 566 حين قدم الى مراكش بالعرب الراغبين في «الجهاد»، وسيتحركون مع الخليفة الى الاندلس حركته الأولى في عهد خلافته، ومن جملة ما كان مكلفا به السيد ابو زكرياء واعوانه مواجهة اعمال النهب التي كان يقوم بها البدو من عرب افريقية، وحاول استمالتهم للمشاركة في العمليات العسكرية مع الخليفة وهي المحاولة التي بدأت منذ الانتصار عليهم في سطيف 548، بل انهم استنفروا خلال سنتي 557 ــ 558 لكنهم تفرقوا بسبب وفاة عبد المومن. وكان السيد ابو زكرياء يخبر الخليفة بنتائج اعماله، ويتوصل منه برسائل جوابية ومنها فيما يبدو هذه الرسالة التي تعتبر تذكيرا بما سبقها من رسائل، وهي من انشاء الكاتب ابي القاسم القالمي(2)، وقد وردت ضمن زوائد «العطاء» على الصفحات 16 و 17 و 18، وهذا نص الرسالة.

نص الرسالة :

من امير المومنين بن امير المومنين ايده الله بنصره وامده بمعونته الى الطلبة الغزاة(3) بافريقية ادام/ الله عزّهم وكرامتهم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ اما بعد ((الى آخر الصدر ع ز/16 ــ 17

(1) كذا في الأصل : «الغزاة» صفة «للطلبة».

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب.

هوامش الرسالة :

ملاحظة : ما بين هلالين منفردين غير واضح في المخطوط بسبب الأرضة او الكشط

(3) ذكر صاحب الحلل (109) طبقة «الغزاة» اثناء حديثه عن طبقات الموحدين كما وضعت ايام المهدي فجعلها الطبقة الاخيرة : «الغزاة وهم الرماة». انظر الرسالة العاشرة ايضا فهل كلمة «الغزاة» في الرسالة الحالية صفة «للطلبة ام نسي الناسخ اضافة واو العطف بين الكلمتين ؟ انظر ايضا هذا المصطلح في الفصل الأخير من الدراسة العامة.

المعهود))[4].

(فـ)إنا كتبنا(ه) إليكم ـــ ادام الله عزّكم وكرامتكم بتقواه ـــ من حضرة مراكش ـــ حرسها الله ـــ والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه والدؤوب على المساعي الحميدة المزلفة لديه، والجدّ في الاعمال الصالحة المقرّبة منه المدنية اليه، المقتضيةِ استصحاب (إفـ)ـضاله وامتنانه، المديمةِ ما ارتهن لديكم من جميل عوايده وجزيل احسانه، الموجبةِ لكم رضاه عاجلا وآجلا، المستدرّةِ عهاد كرمه وابلا فوابلا، المفضيةِ بكم إلى سَنن الهدى ونهجه، الحاملةِ لكم على كاهل السداد وثبجه، الصاعدة بكم في مراقي النجح ودَرَجه ؛ والله تعالى يُصحبكم توفيقا يهدي ويرشد، ويسنّي لكم اعتناءً منه يعين ويُنجـ(ـد)، بمنه وكرمه.

وقد وصلت مكاتبتكم الأثيرة، ومخاطبتكم المبرورة من منزل الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ بظاهر قسنطينة[5] ـــ حرسها الله ـــ متضمنة امتداد ظل السلامة عليكم، واتصال البشائر والمسرّات لديكم، ووصول المخاطبة اليكم بالفتوح الإلهية والتيسيرات الربانية التي تسنت في الاندلس[6] وغيرها من بلاد الموحدين[7] ـــ حماها الله ـــ على ماشرح لكم، وفصلت وجوهه واصنافه لديكم، وقراءتكم ما كُتب به اليكم على كافة مَن قِبلكم وبعث الكتب بها الى سائر (أنظاركم)[8]، وما كان عند ذلك من انبساط الامال وعموم الجذل والابتهاج الى اخر ما قررتموه من ذلك وبينتموه، واوضحتموه منه وشرحتموه، والحمد لله الواجب له على ما آتى من نُجح، وأتى من يُسرٍ ومنحَ من فتح، واسدى من فضل، وهو المسؤول اسباغ نعمه واكمال فواضله واجراء اولياء امره على ما عودهم من الإنجاد، وعرفهم من التوفيق والإسعاد، فيما يُظهر دينه ويعلي كلمته وينصر حزبه ويؤيد امره، فله الحمد الدائم والشكر المتصل، لاربّ غيره.

وذكرتم انباء تلك الجهات ـــ حاطها الله ـــ وما شمل اهلها من الامَنة والهدون، واسترسل عليهم من الدعة والسكون، وما غمرهم من وفور الخيرات، وظهور البركات، وإرسال الرحمة التي آذنت بالاقبال والخصب، وبانصرام المحل والجدب، واشتغالهم بمصالحهم، واقبالهم على مراشدهم، وبما يعود بصلاح عاجلهم وآجلهم[9]، فوالُوا حمد الله تعالى على (ما) والى من رحمته، وأوْلى من نعمته،

---

(4) كذا في الأصل، وللتعرف على الصدر الذي يستعمله القالمي لرسائله تقريبا يمكن الرجوع الى رسالتيه في (م ر م) لبروفنصال رقم 21 و22 وهذه الاخيرة هي نفسها رقم 28 في المجموعة الجديدة.

(5) قسنطينة : مدينة على حدود افريقية مما يلي المغرب، وهي تتمع بحصانة موقعها، انظر عنها : الاستبصار (165 ـــ 166) والمعجب (255 و357)، ومعجم البلدان 349/4، ابن سعيد في بسط الأرض 76 الروض المعطار (480 ـــ 481) صبح الأعشى 110/5.

(6) انظر خصائص هذه الرسالة ضمن الفصل الثاني.

(7) لعله يقصد الانتصارات الاخرى بالمغرب مثل ما يتعلق بثورة غمارة بالخصوص، وبعض الاضطرابات الأخرى، انظر الرسالتين 14 و 15 وكذلك الفقرة الثانية ضمن الفصل الثالث من الدراسة العامة وانظر خصائص هذه الرسالة في الفصل الثاني.

(8) في الأصل : (الانظاركم)

(9) انظر خصائص الرسالة في الفصل الثاني.

وافاض من منته، واشكروه شكر من يرغب في مزيده، ويحرص على دوام صنعه الجميل وتجديده.

وذكرتم ــ ادام الله عزتكم وكرامتكم ــ اعتمادَكم على ما رُسم لكم من توجه الموحدين الذين قِبلكم[10] ــ وفقكم الله ــ الى افريقية[11] ــ حماها الله ومبادرتكم الى ذلك، وعملكم في حملهم والرفق بهم على (ما) رسم لكم، وانهم انتقلوا بجملتهم إلا من حُدَّ لكم مُقامه بتلك (البلاد)[12]، وانهم قطعوا تلك الطرق على حال تيسير وتسهيل، وعون من الله تعالى وتوفيق، مستشعرين يمن (حركتهم)[12] وبركة تنقلهم، وهذا الذي ذكرتموه حسن مِن فِعلكم، وسَداد مِن قصدكم، ستعرفون بركته وتجتنون (ثمرته[12]) وتحمدون مغبّته، ومَن استند إلى أمر الله تعالى واستضاء بنوره، واستقام على طريقته، واهتدى في ايـ(ـرادهِ)[12] وإصداره بهديه، فتجارته رابحة، ومساعيه ناجحة، ودلائل الرشدَ عليه بينة واضحة ؛ فليكن جـ(ـدّكم[12]) ودأبكم وهمكم وطلبكم في اتباع اثره، والوقوف عند حده، والجري على سَننه، والله يتولى عونكم بمنه، (وقد[12]) تقدمت المكاتبة اليكم بما ترتبون به سكناهم، وتمكّنون به قرارهم[13] عند حلولهم بافريقية ان شا(ء الله)[12].

وذكرتم ــ اعزكم الله واكرمكم ــ ما فعلتموه في امر بني عدي وما تفعلونه مع بني رياح[14] اذا وصلتم (اليهم)[12]، وتنجيزكم كل ما أُمِر به من الاشغال، فذلك كله مشكور من قصدكم، ومضاف الى سديد نظركم ؛ والله تعـ(ـالى)[12] (يجزيكم و.......)[15] الدقيق والجليل من مقاصدكم ومناحيكم بعزته، والسلام الطيب المبارك (يخـ)ـصكم ورحمة الله وبركاته، وكتب غرة رجب الفرد من عام اربعة وستين وخمس مائة. ع ز/18

---

(10) انظر الهامش 5 على الرسالة الثانية.

(11) افريقية : اختلف في تحديد حدودها، ويبدو ان العامل السياسي كان مهما في تمديد او تقليص هذه الحدود انظرالبكري 21، الاستبصار (111 ــ 112)، المعجب(354 ــ 355)، معجم البلدان (مادة افريقية) صبح الاعشى 5/ 99 العبر 6/ 204 ويبدو من الرسالة ان المخاطب كان خارج افريقية، ولعله كان ببجاية عاصمة الولاية انذاك.

(12) كلمة مغطاة بورق اللصاق في اخر السطر بالمخطوط.

(13) هذا الاقرار يتعلق بحاميات من الجيش النظامي الذي يتقاضى رواتب محددة (قارن مع الرسالة الواحدة والعشرين حول دفع البركة)، اما رؤساء العرب بافريقية فقد تمتعوا بالاقطاعات (المعجب 224 ــ 225).

(14) كان عبد المومن عند عودته من فتح افريقية جلب معه اعداداً من عرب بني رياح وبني جشم وبني عدي (المن 114) ويذكر صاحب المعجب ان «العرب الذين كانوا ببلاد يحيى بن عبد العزيز (آخر ملوك بني حماد) هم قبائل هلال بن عامر «ص 224»وبنو رياح وبنو عدي من قبائل بني هلال. والرسالة هنا تشير الى اتصال الموحدين ببني عدي قبل الوصول الى بني رياح، وبما ان الرسالة المجاوب عليها كتبت من ظاهر قسنطينة فهل كان بنو عدي يستوطنون منطقتها ام كانوا هناك مؤقتا في اطار رحلاتهم الرعوية ؟ فصاحب مفاخر البربر (خ ع/ ك 1275 ص 94) يشير الى سكنى بني عدي بالحامة، وهي ببلاد الجريد الشرقية، اذن يصعب تحديد مواطن القبائل الرعوية.

(15) اربع كلمات مطموسة لم نهتد الى قراءتها وتبدوا كأنها (يجزيكم و... من فضله على) الدقيق...

الرسالة السادسة والعشرون :

رسالة من والي قرطبة إلى والي غرناطة
حول دخول ابن همشك في الطاعة للموحدين

تقديم :

كان ابن همشك صهرا لابن مردنيش وحليفا له في منطقة جيّان قبل ان يستولي عليها الموحدون، ونظم الغارات على المدن الموحدية بالاندلس، غير ان ارتباط ابن مردنيش بالنصارى وسوء علاقته وعلاقة هؤلاء بالمسلمين في امارته، وتزايد نفوذ الموحدين كانت من العوامل التي ادت الى تخلي انصاره عنه تدريجيا[1] ومنهم صهره ابن همشك الذي اتصل شخصيا بالشيخ ابي حفص بقرطبة وبواليها السيد ابي اسحاق مؤكدا التنازل عما بيده من اراضي لخدمة الدولة الموحدية، فكتب السيد الى حكام الجهات الأخرى معلما بذلك، وقد اورد صاحب المن نص الرسالة الموجهة من السيد الى الشيخ ابي عبد الله والي غرناطة بتاريخ شهر رمضان سنة 564 من انشاء ابن مصادق[2] على الصفحات (251 ــ 252) في المخطوط او (390 ــ 392) في المطبوع، وهذا نصها.

نص الرسالة : م م/251

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم ؛ الشيخ الاجل الحافظ الأعلى ولينا في الله تعالى ابو عبد الله محمد بن ابي ابراهيم، ادام الله عزه وكرامته بتقواه، وليكم في الله تعالى ابراهيم بن امير المومنين، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد حمد الله على ما اولى ومنح، والصلاةِ على محمد نبيه الذي تبين به دين القيّمة ووضح، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، معيد دِين الله بعدما عفّى رسمه ومصح[3]، والدعاء لسيدنا امير المومنين خليفته الذي طهر بعدله البلاد وفتح، ولسيدنا امير المومنين بن امير المومنين الذي اثمر سعيه وانجح، وكمّل بيمن خلافته الامور الدينية واصلح.

فكتبناه اليكم ــ ادام الله كرامتكم بتقواه ــ من قرطبة[4] حرسها الله ــ ، ولا جديد الا ما

(1) انظر سوء علاقته مع مساعديه الاقربين في المن 388 والمعجب 249

(2) لم نتوصل الى معرفة ترجمته.

(3) مصح : معناها ذهب وانقطع وفي الاصل المصور : (ونضح)، والتصحيح من ط، بيروت.

(4) كانت قرطبة عاصمة الاندلس قبل العهد الموحدي وتضررت كثيرا بالفتن منذ اواخر الدولة المرابطية انظر التعريف بها في نزهة الادريسي (574 ــ 579) ن الايطالية، والمغرب لابن سعيد 57/1، والروض المعطار (456 ــ 458).

عود الله بركة هذا الامر العزيز من فتح لا تزال تفتح ابوابه، وتتصل اسبابه وترفع قبابه، ويُتعرّف مع كل حين انهلال مائه وانسكابُه، والحمد لله على ذلكم حمدا كثيرا يصفو به سِربال احسانه وجلبابُه، وان من النعم التي ببركة هذا الامر العزيز (ما والى)[5] جديدَها، واقتضى بسعادته مزيدَها، وأتبع بطريفها[6] تليدَها، وانجز فيها لأولياء الامر العزيز الموعودَ، ووافقهم فيها الجد المصحب المسعدَ، وإن الشيخ أبا اسحاق ابراهيم بن همشك[7] وفقه الله ــ كشف له عن وجه هداه، وحُلّي عن موارد/ رداه، وتبيّن له ان هذا الامر العزيز هو المركب المنجي، السائق الى السعادة الباقية المُزْجي، الذي لا يؤخّر عثارَ من صدف عنه ولا يرجِّي ؛ فبادر إلى الدخول فيه بِدَارِ مَن خلُصت سرائره، وطويت على مودته ضمائرُه، ورأى ان ذلك تُمحى به خطاياه وتغفر جرائرُه[8]، واذاع الدعوة المهدية في جميع بلاده[9]، واعلن بها، وابدى الاعتلاق بعصمتها والتمسك بسببها، ولقي الموحدين ــ ايدهم الله بتقواه ــ ملاقاة اللائذ بظلهم، المتمسك بحبلهم، المستنيم المستسلم، المنطوي على الولاء الأخلص والود الأسلم، والحمد لله على ذلك حمدا تتوالى به فتوحُه، ويتصل به مبذول احسانه وممنوحُه[10] .

م م/252

وخاطبناكم بذلك ــ ادام الله كرامتكم ــ لتجددوا شكر الله تعالى على ما أسبغ من نعمة وأُولى ؛ وتسلكوا منه سبيلا يكون احرى بازديادها مَا مَنّ بها ووالى ؛ والله تعالى يوالي لديكم آلاه[11]، ويسبغ عليكم ظاهرة وباطنة نعماه، والسلام الأتم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في شهر رمضان المعظم عام اربعة وستين وخمس مائة،

---

(5) ناقص في الأصل، والسياق يفرض هذه الاضافة.

(6) في الأصل المصور : بطريقها.

(7) راجع الهامش رقم 8 بعده.

(8) كان ابن همشك حليفا لابن مردنيش لمنع الموحّدين من الاستقرار بالاندلس او توسعهم في شرقيها فاشتدت ضغوط ابن همشك على جهات قرطبة واشبيلية وغرناطة منذ عهد عبد المومن : المن (116 ــ 117) و (126 ــ 127) و 145 و186 وما بعدها، و192 فما بعدها، العبر 6/(495 ــ 496).

(9) كانت منطقة نفوذه تشمل بالخصوص جيّان مقر اقامته وبياسة وابذة، وربما كانت اندوجر قاعدة متقدمة له على الوادي الكبير : انظر المن ص 201 و 271، والعبر 499/6 وعنان (عصر المرابطين والموحدين) ج 1/ (346 ــ 347) و 387 و390 وج 2/ 39 ــ 40، الحلّة السيراء ص 230 (ضمن ترجمة وزيره ابي جعفر احمد بن عبد الرحمن الوقشي).

(10) قطع ابن همشك صلته نهائيا بابن مردنيش عندما كتب الأول الى الشيخ ابي حفص بالدخول في طاعة الموحدين ثم حضر بنفسه لديه ولدى والي قرطبة السيد ابي اسحاق في رمضان عام 564 كما كتب الى الخليفة عن نفسه في نفس الموضوع فقبل طاعته، المن 338 فما بعدها، الاحاطة ج 1/ 310 الحلة السيراء 230 فما بعدها.

(11) كذا في الأصل المصور، والاصح : آلاءه اي نعمه ومفردها الإلْي والإلَى والألَى.

الرسالتان 27 و28 :

رسالتان عن الخليفة يوسف من اشبيلية إلى أهل مراكش حول معركة بفحص هلال

تقديـم :

لم يتدخل الموحدون بشكل فعال في الأندلس الا ابتداء من عهد الخليفة يوسف، فقد مات عبد المومن وهو يستعد للجواز الى الاندلس ولما خلفه ابنه يوسف سرّح الحشود ريثما يستقر له الأمر، وفي سنة 566 وصلته الحشود بما فيها العرب بعد استدعائهم وجاز بهم الى الاندلس حيث بقي هناك الى سنة 571، وكانت الاندلس انذاك تعاني من الضغط على جبهتين : جبهة الغرب من طرف البرتغاليين، وجبهة الشرق من طرف ابن مردنيش الذي كان يهدد احيانا قرطبة واشبيلية غير ان نفوذه بدأ يتراجع منذ هزيمته في اخر سنة 560 خارج مرسية، ثم تخلي اعوانه عنه تدريجيا الى ان مات سنة 567 فانضم شرق الأندلس إلى الموحدي، وبعدما استراح الخليفة من مشكل ابن مردنيش قام بحملة لفتح مدينة وبذة أواخر سنة 567 انتهت بالفشل، ثم سرح الجيوش واستقر باشبيلية، وفي هذه الاثناء وصلت مجموعة من النصارى الى جنوب الوادي الكبير، واسرت عددا من الناس واختطفت الماشية وعادت في اتجاه قلعة رباح (بفحص هلال) جنوب طليطلة، فوجه الخليفة مجموعة من فرسان الموحدين والعرب ادركتهم بفحص هلال قرب قلعة رباح وهزمتهم وقتلت زعيمهم الذي حمل رأسه الى الخليفة، وبعد وصول خبر النصر وجه من اشبيلية رسائل اخبارية منها هاتين الرسالتين الاتي نصّاهما : الأولى من انشاء ابي الحكم ابن عبد العزيز (المرخي)[1] وردت ضمن الزوائد الملحقة بمخطوط العطاء الجزيل من ص 1 الى ص 3 والثانية من انشاء ابي الحسن ابن زيد[2] وهي ضمن الزوائد المذكورة من ص 19 الى ص 21 والرسالتان معا مؤرختان ب 24 شعبان سنة 568، وهذان نصّاهما :

---

(1) انظر التعريف به ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة.

(2) انظر نفس المقدمة والصفحة. ان الرسالة المنسوبة إلى ابن زيد في مخطوط العطاء الجزيل هي نفسها المنسوبة إلى ابي القاسم القالمي في (م ر م) لبروفنصال تحت رقم 22، وسنختصر الاشارة الى هذه الرسالة (لبروفنصال) بحرف (ب) في الهوامش.

ملاحظة :

مابين هلالين منفردين في النص ( ) كتابة غير واضحة كلا او بعضا بفعل الأرضةعبالخصوص او لتغطيته بورق اللصاق، ويملأ الفراغ احيانا اجتهادا، اعتمادا على فك قراءة بعض الحروف.

ع ز/1 الرسالة السابعة والعشرون : (وهي رسالة ابي الحكم ابن المرخي) :

من امير المومنين بن أمير المومنين[3] ــ ايده الله بنصره، وامده بمعونته ــ الى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان[4] والكافة بمراكش[5] ــ ادام الله كرامتهم بتقواه، وأوزعهم شكر نعماه ــ سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه[6]، والحمد لله الذي جعل لأولياء امره وحماة دينه عقبى الدار، وشرف الإيراد والإصدار، وايد بهم دينه (المظهر) على الدين كله برغم المشركين الكفار، وشفى صدورهم من عبدة الصُّلبان حَصَبِ النار[7]، وانجز لهم وعده فيمن ناوى امره واخذ لهم فيه بالثأر، والصلاة على محمد مصطفاه ونبيه المبتعث بالحِكم والانوار، المبشِّر بان مُلك امته يبلغ مشارق الأرض ومغاربها الفسيحة المضمار، وعلى آله وصحابته[8] المصطفيْن الأخيار الأبرار، الباذلين في الله انفسهم النفسية المقدار، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، وارث مقام النبوة والعصمة بالاستحقاق والاستيثار، المجرِّد في الذب عن دين الله سيف النصر له و(....)[9] الداعي الى سبيل ربه على بصيرة استمدَّت من مشكاة الأنوار، وعن صاحبه وخليفته وحواريّه (....)[10] امير المومنين منوّر البصائر والابصار، وممشي امره العزيز الى غايته من الاعلاء والاظهار.

فانا كتبناه اليكم ــ كتب الله لكم بشائر يعزّ بها جانب الايمان، ويشعر بانتجاز وعد الله الصدق في عبدة الصُّلبان، وتعرف من آيات هذا الامر العالي ما تقوم آثاره مقام العيان ــ من حضرة اشبيلية (....)[11] الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه،

---

(3) اي الخليفة يوسف بن عبد المومن.

(4) هذا تعبير عن الفئات الاجتماعية العليا والادارية بالحواضر الكبرى، والرسالة هنا موجهة بالاساس الى السيد ابي عمران بن عبد المومن النائب انذالك بمراكش «وهو من اولاد عبد المومن النجباء الطلبة الادباء» (البيان 99).

(5) عن مراكش انظر الهامش (90) في الرسالة رقم 6.

(6) انظر الفصل الثالث حول هذا التقديم.

(7) حصب النار : كل ما يرمى فيها كالحطب (لسان العرب)، وحمة النصارى : شوكتهم السامة (المصدر نفسه).

(8) نلاحظ في رسائل الموحدين الأوائل ذكر صحابة الرسول قبل ذكر المهدي، ومنذ عهد الناصر نلاحظ عموما الانتقال المباشر من ذكر الرسول إلى المهدي إلى الخلفاء «الراشدين» (الموحدين)، قارن بين رسائل ابن عياش زمن المنصور ورسائله زمن الناصر (مثلا 26 و27 في م ر م)، قارن ايضا رسائل المجموعة الجديدة الى عهد المنصور مع رسائل العهد الذي يليه.

(9) كلمة غير واضحة في نهاية السطر.

(10) كلمة غير واضحة في آخر السطر يحتمل ان تكون (الامام) بالمقارنة مع رسالة نفس الكاتب من قفصة الآتي نصها قريبا وهي رقم 30.

(11) كلمة مأروضة قد تكون : (حرسها).

وأن تعلموا ان (هذا)[12] الأمر العظيم هو أمر الله الذي اختصه بشرف الكمال، ووعده بالاستيلاء على اهل الكفر والضّلال، (....)[13] طائفتَه المنصورة بجنود منه تخدمهم في جميع الاحوال، قَرَ(نه) ع ز/2 بالنصر، وحفَّه بكرم الصنع وبسط (.....)[14]/ في الأرض وأرسل بين يديهم سوابق الرعب وقوادم السعد، وقضى أنّ لهم عاقبة الظفر والفلح، وإن ظهرت للكافرين مخيّلة انبساط وقرينة إمهال او إملاء، فلله سرٌّ طـ(ـوى)[15] لأمره العزيز الخيرة فيه، ولكل أجل كتاب يبلغه ويستوفيه، إنما يملي لهم سبحانه ﴿ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾[16].

وقد كان اهل آبلة[17] من الروم ــ دمرهم الله ــ الشوكة التي لا تُخْضَد، والشباة التي لا تُفَلّ، والشررة[18]التي لا تُطفأ، والحد الذي لا يُكسَر، عتوّاً على الله واستشراء[19]، واغترارا بامهال الله لهم وطغيانا ؛ وكانوا للاسلام واهله الجار المصاقب، والعدو المناصب، يميلون على جوانبهم بالغارات، فلا يجدون من يصرف تطاول اعتدائهم[19] ولا من يردع أعنة استشرائهم[19] قد (نامت)[20] عنهم الحوادث وأمهلتهم الأقدار، وأرْخت في طِيَلهم الايام، فظنوا أنْ لا مطمع في جلادهم، ولا مُقارِع لأعدادهم، إلى أن أذن الله تعالى في استئصال شأفتهم، وخضْدِ شوكتهم، ونحتِ أثلَتِهم، وانجعافِ أرزتهم[21]، فالتفوا على رجيم من شياطينهم كان قد عسا في الكفر عودُه[22]، وطال في الضلال انتزاؤه، وجمعوا ممن انضاف اليهم من اهل إلبَه[23] وطَلَبيرة[24] والإفْرِيْريّين[25] وغيرهم جمعا كثيفا من الفرسان والرجالة، كان جميعهم للسيوف نُهُباً، وللرماح أُهُباً، وقصدوا هذه الجهات ــ حماها الله ــ وهم يظنون ان الموحدين مفترقون في مواضع إسكانهم، ومقرّ استيطانهم[26]، وأنه لا يُشعر بهم إلاّ وقد تمت فتكتهم، وحقت اوبتهم.

---

(12) كلمة مغطاة.

(13) كلمة مغطاة ما بعدها مفعول به، ولعلها (ونصَر)

(14) كلمة مغطاة قد تكون : (لهم).

(15) كلمة ناقصة بفعل الأرضة قد تكون : (طوى).

(16) من الآية 178 من سورة آل عمران.

(17) آبلة AVILLA :مدينة في جنوب شرقي مملكة ليون، فهي ضمن هذه المملكة (حسب المن 380)، واهلها مشهورون في الغزوات (حسب ابن سعيد في بسط الأرض 113).

(18) كذا في الأصل.

(19) في الأصل بدون همزة.

(20) الميم في الكلمة مأروض، وما أثبته ارجح، بمعنى غفلت عنهم الحوادث.

(21) الاثلة : نوع من الشجر خشبه صلب. انجعفت الشجرة : انقلعت.

(22) عسا : غلظ وصلب، والمقصود هنا سانشوخمينو المسمى ابو برذعة، انظر الفصل الثالث.

(23) البه : كتبت في مصادر اخرى ألبة، انظر نفح الطيب 1/ 337 و 338. البيان 2/ 98 و 99.

(24) مدينة حصينة مشهورة في الغزوات (بسط الارض 112، الادريسي 551 ن الايطالية، (م ر م) ص 234.

(25) من مراكز الافريريين ايضا «القلعة المسمّاة ببطربونة» : (م ر م) ص 239، انظر عن الافريريين مجلة هسبريس 1941 ص 53 وعنان 528/1.

(26) لعله يقصد المستقرات التي ذكرها البيذق في اخباره (89).

وقد كنا ـــ بتوفيق الله ـــ عندما سمعنا باقترابهم من بلاد المسلمين، وتحقق قصدُهم لها، طيّرنا الى مَن خف وقرب من الموحدين والعرب[27]، ـــ أعانهم الله ـــ فبادروا مسرعين، ولبّوا مهطعين، وارصدنا لهذه الشرذمة الذميمة منتظرين عادة الله لأمره العزيز من الفتح الموعود والنصر الموجود ؛ وانتهى اعداء الله الى الوادي الكبير ما بين اشبيلية وقرطبة، فـ(ـألفـ)ـوا هناك ممن آسروه[28] مَن أعلمهم ان الموحدين ـــ أعانهم الله ـــ قد نَذِروا بقدومهم، وأعدّوا (ل)طروقهم و(قَدْ)ومهم، فانصرفوا عن مقصَدهم[29]، ونكّبوا عن وجهتهم، وخافوا وبال امرهم، وجدّ جِدُّهم الى جهات قرطبة ـــ حماها الله ـــ فاجازا الوادي الكبير هناك، ومروا على الحصون التي على الوادي من ضفة الكتبـ(انـ)ـية، واستمروا الى مابين استجة وقرطبة، فألْفوا هناك غنايم مجموعة وشاءاً كثيرا، فاكتسحوا جميعها[30]، ثم عكفوا على قِبلّي قرطبة في كنبانيتها[31] ليجعلوا ذلك طريقهم الى الجهات الشرقية منها مما يلي مُنتور، فكان ذلك، وغنموا ما وجدوا في طريقهم، واجازوا الوادي قرب مُنتور منصرفين، وقد طمعوا في الإفلات من يد الله المدركة، واسباب أخذهِ المهلكة[32].

وقد كنا عند وصول اخبارهم بإجازة الوادي والتوجه الى قرطبة قد أتْبَعْناهم من كان استنفر للغزو من الموحدين والعرب صحبة اخواننا واشياخ الموحدين والحفاظ[33] ـــ اكرمهـم الله ـــ وامرناهم بالجد في جهادهم، واتّباعهم ولو الى بلادهم، فجدّ اعداء (الله) يوم أجازوا الوادي الكبير قاصدين جهات قرطبة ومن (غـ..)[34] فقطعوا مسافة لا يطمع في مثلها بالسير (...ـلها)[34] إلا أجنحة الطير، وجدّ الموحدون الذين انفذناهم لاتّباعهم ـــ أعانهم الله ـــ جداً رأى الله فيه (...هم)[34]، وأيّد به امرهم، ووصلوا قرطبة على اثر مرور العدوّ ـــ دمّره الله ـــ في قبليّها مستبصرين فيما (ارد)ناه لهم من ان لا يتراخوا في اتّباعهم، ولا يفشلوا عن قِراعهم ومِصاعهم، حتى ينجز الله فيهم (وعده) المسئول، وأخْذَه المأمول، واتفقوا هناك مع الشيخ الأجل ابي حفص[35] ـــ اعزه الله ـــ على سلوك (طريق) غير طريق العدوّ تيسّر عليهم لَحاقه وتخرجهم أمامه،

---

(27) هم عرب جشم ورياح وبني عدي (المن 144).

(28) عدد الاسرى يفوق 150 أسير (المن 519)، ولكنه لم يبلغ المئات كما ذكر ميلتشور ونقل عنه بروفنصال (هسبريس 1941 ص 53).

(29) كان صاحب آبلة يقصد جهات اشبيلية «على ما عهد في زمانه وحالة طغيانه» (البيان 98)

(30) في المن (519) : 000 50 رأس من الغنم و200 رأس من البقر، وفي البيان المطبوع (ص 98) : 000 2 رأس من البقر، 000 50 من الغنم وهذا في نواحي استجة.

(31) في رحلة ابن جبير (231) وفي مقتبس ابن حيان (259/5) : قنبانية قرطبة، ويكتبها ميراندا La campina (التاريخ السياسي 1/ 268)، ويجعل الادريسي قرطبة واستجة ضمن اقليم «الكنبانية» (537 ن الايطالية).

(32) تقع منتور شرقي قرطبة فيما بينها وبين اندوجر، انظر هذه العمليات في المن (518 ـــ 519) ط بيروت، والبيان (98 ـــ 99)، والقرطاس 212.

(33) راجع الفقرة الثانية من الفصل الثالث.

(34) قدر كلمة مأروضة.

(35) اصبح مسؤولا عسكريا عن قرطبة منذ توجهه اليها على رأس قوة عسكرية سنة 564 (الرسالة 24 والمن 522).

ع ز/3 فكان ذلك، (ومشوا) جميعا والسعادة/ تخدمهم، والخِيَرة تتقدمهم، ونفذوا على جبل قرطبة يوم الاثنين السابع عشر من شعبان المكرم[36]، وواصلوا سيرهم يوم ذلك ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء، وطلائعُهم على العدوّ تساير ممشاهم[37]، وتعرف مغزاهم، وفي يوم الأربعاء المذكور تقارب الجمعان، وتراءت الفئتان، فاعتصم اعداء الله بجبل هناك في آخر فحص يعرف **بفحص هلال**[38]، مطلٍّ على جهات قلعة رباح، ليلوذوا بقُنّته ويتمنّعوا في اعاليه، ومعونة الله لأوليائه تهوّن عليهم الصعب وتيسّر لهم الوعر، فتسنّموا تلك القنن الى الاعداء، واثقين بمولاهم الذي لا تزال آثار نعمته عليهم قائمة، وصنائع رحمته لديهم راهنة، وصعدوا عليهم مستسهلين في ذات الله وعره، مستشعرين من الله سبحانه نصره ؛ وكانت للأعداء هناك شدّات وحملات كادت تَحطم الجبال، وتزلزل الأبطال[39]، لاكن وجدوا اولياء الله اصدقَ أسِنّة، وافسحَ في ضنك المجال اعنّة، وأمد الله اولياءه بما عودهم من عوائد صنعه وكريم جنده، فولى الاعداء الدُّبُر يتساقطون في الأوعار، ويموتون قِعْصاً تحت ظلال الأسنة والشفار، فحُطُّوا من ذلك المرتقى مصغَّرين، وانزِلوا منه مقتَّلين ومكسَّرين، وتمشَّى القتل فيهم كذلك من عصر يوم الاربعاء الى نصف ليلة الخميس، حتى قدر انه لم ينج منهم الا من ستره الليل او اخّره الحِمام[40]، وشفى الله منهم الصدور شفاءاً اذهب وَحَرَها[41]، وطيَّبَ لها ظفرها، وتمّم بذلك على المومنين النعمة فكمّلها ووفّرها، واطلق الله اسرى المسلمين المضطهدين من يد إسارهم، وقسرِ اقتهارهم، وقد عظّم منّة هذا الأمر عليهم، وأظهر آياته الكبر لهم، وكذلك جميع غنائمهم توفرت لهم، حتى رجعت عليهم محوطة بحياطة هذا الامر العظيم، مكلوّة بصنع الله الكريم[42].

واخذ الموحدون في الإياب، وقد وفّر الله أجورهم، وذخر لهم كريم مَقامهم في المِصاع[43]عن دينه والجهاد في سبيله، واظهر سبحانه باهر الآيات في سلامة جميعهم مع لقاء هذا الجمع الكبير، والجمّاء الغفير، والشّوكة الحديدة[44]، والفرقة الشّديدة، فلم يصب منهم احد[45] والحمد لله رب

---

(36) وصلوها ضحوة يوم الاحد 16 شعبان والنصارى قد جازوا بالامس الوادي الكبير عند القصير (المن 519).

(37) كانت الطليعة التي تساير العدو بقيادة الحافظ ابي عمران موسى بن حمو الصنهاجي صاحب يابرة الخبير بشؤون الثغور (المن 520).

(38) له اسم اخر هو فحص كركوي (المن 520).

(39) هل هذا اعتراف بشدة المعركة ام هو مجرد تهويل ؟ يقول الكاتب محمد الحلبي : «لا باس بتهويل امر العدو ووصف جمعه واقدامه، فان في تصغير امره تحقيرا للظفر به» (حسن التوسل الى صناعة الترسل ص 335).

(40) انظر نتائج المعركة في الفقرة الثانية من الفصل الثالث.

(41) الوحر : الغيض والحقد.

(42) افتك الاسرى المسلمون واعيدت الغنائم لأصحابها (المن 522).

(43) المصاع : القتال.

(44) الحديدة : المجاورة أو القاطعة.

(45) ادعاء يوجد مثيل له عادة في رسائل اخرى (مثل رقمي 10 و 68).

العالمين ؛ وطيّروا[46] بهذا الفتح الخطير قبل استيفاء جمع دوابّهم، وتحصيل اسلابهم[47]، وانفذوا الينا راياتهم المنكوسة، وصلبانهم الكاذبة تعجيلا للبشرى، وتعظيما لهذه المنة الكبرى.

وقد عَنون هذا الفتح الجسيم على ان وراءه للموحدين ـــ اعانهم الله تعالى ـــ فتوحا تطّرد[48]، واياما على الاعداء تنسرد، وبشائر من اخواتها تتّحد[49] ولا تنفرد، فهذه كانت رحى الأعداء، وجلّ الدّاء، واذ قد اذن الله بمحو اثرهم (وإطفاء) شررهم، فما بعدهم ـــ بحول الله ـــ ايسر، وجانب الأعداء على الموحدين اهون، ومرام الفتح فيهم بعدُ اسهل واقرب، والروم كلَّ يوم يُلقون الى هذا الامر العزيز بيد الاستسلام، ويضرعون في التمسك بحبل من اهل الاسلام[50]، وسيقبل ذلك ممن ظهرت مخايل الخير عليه، وتوجهت رحمة من الله اليه، ويُتفرغ الى غير(هم) فيُمال عليهم ميلة تَحطِم الرقاب، وتلِج عليهم الأنقاب[51]، حتى ينجز الله فيهم وعده الصادق، ويظهر دينه على الديّن كله ولو كره الكافرون[52].

والله سبحانه يُسمعكم مسرات تتجدد على الآذان مع الاحيان، ويُعْلقكم من طاعته بما يؤدي الى رضى الرحمان، بمنه ؛ ولْتَـ(ـذكروا) ـــ وفقكم الله ـــ هذه النعمة الخطيرة بواجبها من الحمد والشكر، والإذاعة والنشر، والله يجعلكم من الحامدين الشاكرين بمنه، لا ربّ غيره، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الرابع والعشرين من شعبان (المكرم) سنة ثمان وستين وخمس مائة.

---

(46) المسؤول عن حمل خبر النصر هو يحيى بن الوزير ابي العلاء بن ابي اسحاق ابن جامع (المن 522 ـــ 523، البيان 59).

(47) شملت الغنائم « الدروع والبيض والخيل والبغال والحمير» (المن 522، البيان 59).

(48) ستتوجه فعلا حملات نحو الغرب وطليطلة وسيضطر النصارى لطلب الصلح (المن 525 ـــ 527 والرسالة 29).

(49) في الأصل : لا تتحد ولا تنفرد.

(50) انظر الرسالة 29.

(51) في الأصل : الانفاب (بالفاء).

(52) اقتباس من الآية 33 من سورة التوبة «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

ع ز/19 الرسالة الثامنة والعشرون (من انشاء ابي الحسن بن زيد) :

((¹⁾من امير المومنين بن امير المومنين ـــ ايده الله بنصره وامده بمعونته ـــ الى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان والكافة بمراكش ـــ ادام الله كرامتهم بتقواه، واوزعهم شكر نعماه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على نبيه المصطفى محمد رسوله، و))[2] الحمد لله الذي قدم لأولياء امره[3] فيما يرومونه من كبت العدو[4] وقهره يوما على الكافرين عصيباً، وصنع لهم في ابراز الكفرة الى مضاجعهم وَسَوْقهم على قدم الاغترار ((إلى مصارعهم)) صنعاً عجيباً، ووعد القائمين بدعوته ((و)) الناصرين لملته فتوحا آزفة يفتحونها ومغانم كثيرة يا خذوها «فجعل[5] من دون (ذلك) فتحا قريبا»[6]، وصلى الله على نبيه المصطفى[7] الهادي الى سبل السلام ترغيبا وترهيبا وعلى آله وصحبه ومن لبّى دعوته الى ربه سامعا مجيبا، ساميا في مقام النصرة ومحل الأثرة اغرّ[8]، نجيبا، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجدد لدينه عندما عاد غريبا كما بدأ غريبا، وذهبت به الاهواء المتبعة والاضاليل المبتدعة تصعيدا وتصويبا، وعن صاحبه وخليفته الامام امير المومنين مؤازره (ومظاهره) توسيعا لأكناف الدعوة العلية وترحيبا، ع ز/20 ووارث مقامه الكريم واهلية القيام بامره العظيم منـ(صورا ومفتوحا/ له) ومصيبا.

وإنا كتبناه اليكم ـــ كتبكم الله ممن احسن تلقّي البشائر، ووفّى النعمة حقها من شكر الشاكر، وجعلكم من الذين اشرقت بهم[9] انوار الهداية فائضة على الابصار والبصائر ـــ من حضرة اشبيلية[10] ـــ حرسها الله ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وان تعلموا ان لله في هذا الأمر العالي وما ناط به من اظهار الدين ونصر الملة واعلاء الكلمة افعالا خافية وعالنة، وآثاراً ظاهرة وباطنة، واسراراً متجلية[11] ومحتجبة، ولطائف

---

(1) *ملاحظة : ما بين هلالين مزدوجين (( )) غير وارد في الرسالة رقم 22 من (مجموع رسائل موحدية) لبروفنصال وما بين هلالين منفردين ( ) غير واضح في العطاء كلا او بعضا.

(2) هذا البتر في اول رسالة (م ر م) جعل بروفنصال ينسبها الى عبد المومن، غير انه استدرك خطأه في تحليل الرسالة (هسبريس 1941 ص 53).

(3) في (ب) : لأوليائه.

(4) في (ب) : ...«من تدويخ العدو».

(5) في (ب) : فعجل.

(6) الآية 27 من سورة الفتح.

(7) في (ب) : المصطفى محمد الهادي.

(8) في (ب) : اعز.

(9) في (ب) :لهم.

(10) في (ب) : فلانة.

(11) في (ب) : محتلية.

مـ(ـشـ)ـهودة ومتغيبة، فمهما انسي لعداته في (امل)[12] الامهال ((وأرخي لهم في طِول الاملاء،)) فليساق لأولياء الله الفتح فيهم بالمساق العجيب، وليترتب لهم حال القطع لدابرهم والاستيصال لشافتهم في اجمل صور الترتيب، اشارة للعناية ودلالة على الاثرة وتنبيها على الارتقاء في الاسباب، وتبصرة ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[13].

وقد كان مُقامنا[14] بهذه الجزيرة ــ مهدها الله ــ لتتميم المقصود فيها من اظهار الدين ونصر الملة ومرابطة في مصاقبة العدو ــ قصمه الله ــ وفي مهلة النظر في حسم دائها، واجتياح[15] اعدائها، ((الى ان)) بلغنا ان جملا ذميمة من النصارى ــ لعنهم الله ــ اهل آبلة[16] وما أخذ إخذها، ومن انضاف اليهم من الفِرَّنْرِيّين[17] وغيرهم[18] ــ كبت الله جميعهم ــ قاصدون قصد هذه الجهات[19] كلأها الله ؛ وقد وقعت الاستفاضة وحصل العلم بان اهل آبلة حُمة النصارى وحماتهم، وبؤساهم[20] وكماتهم، وجمرتهم الملتهبة وجمهرتهم[21] المتغلبة، والشوكة التي لم يخضدها قبل خاضد، والشجرة الملعونة التي لم يعضُدها على النار عاضد[22]، وانهم بما خبأ الله ((من الفتح)) فيهم لأولي امره واولياء نصره سولت لهم انفسهم الحائنة الخروج للغارة[23] بهذه الجهات ــ كلأها الله ــ تخيلا منهم ان جيوش الموحدين[24] قد تفرقت ذاهبة، وسرِّحت قافلة[25]، ((و)) وانتهازا منهم ((في))[26] زعمهم للفرصة قبل احتفال الجنود، والاحتشاد لوقت الغزو ((المعهود)) ؛ فاستمروا مصممين، وتهوّروا مقْدمين؛ ومازالوا يتقدّمون الى حتفهم، وتُضرَب[27] أسداد الغي من

(12) يمكن ان تقرأ في المخطوط (امد)، وهي في (ب) : اجل.

(13) من الآية 54 من سورة غافر.

(14) كان جواز الخليفة الى الاندلس سنة 566 حيث دخل اشبيلية في شوال (المن 298)، انظر الفصل الثالث.

(15) في (ب) :استباحة.

(16) في (ب) : ان رجالا من ذميمي النصارى وقمهم الله من اهل آبلة «راجع الهامش 17 في الرسالة السابقة.

(17) في (ب) : الافريرين، راجع الهامش 25 على الرسالة السابقة.

(18) الرسالة السابقة تذكر بعض من انضموا الى اهل آبلة وطلبيرة وغيرهم : انظر الهامش 99 في ص 42 من «رسائل ديوانية» (تحقيق د. الهيلة) حول الافريريين.

(19) في (ب) : الجهة.

(20) في (ب) : ورؤساؤهم...

(21) في (ب) : وحوزتهم.

(22) في (ب) : والشوكة التي لم يحصدها قط حاصد، والشجرة الملعونة التي لم يقصدها على مرّ الدهر قاصد. انظر المن (518) عن حملات الاحدب صاحب ابلة على بلاد المسلمين والفقرة الثانية من الفصل الثالث.

(23) في (ب) :الحائنة الخروج الى الغارة.

(24) في (ب) : ان جنود الله الموحدين.

(25) كانت اكثرية العساكر قد سرحت في مطلع 568 بعد فشل حصار وبذة (البيان 97).

(26) في (ب) : منهم بزعمهم.

(27) في (ب) : وتنضرب.

بين أيديهم ومن خلفهم، مغالطين بالجرأة، متخمطين بالبسالة، خارقين لحجاب المهابة، ناكبين عن سمت الاصابة، الى ان بلغوا هذه البلاد ــ حماها الله ــ وأجازوا الوادي الكبير بين قرطبة واشبيلية، واكتسحوا جملا من الغنم[28] بجهة استجة[29]، ثم عطفوا على الموضع ((الذي يقال له)) الكنباتية من قبلي قرطبة[30]، وجعلوا ذلك طريقهم الى منتور[31].

ولما اتصل بنا نبؤهم[32] الذميم، وتوجه فيهم الصنع الكريم، استخير[33] الله تعالى على تمييز العساكر المنصورة، وتسريبها اليهم مع الطلبة وأشياخ الموحدين ــ اعانهم الله[34] ــ فاتبعوهم مجدّين ((مستعينين بالله (...)[35] مستنجدين))، واجتمعوا بالشيخ الأجل ابي حفص[36] ــ اعزه الله ــ ومن هنالكم[37] من الموحدين ــ اعانهم الله ــ وعرَّفوا بمتجدد[38] حالهم، وما انكشف لهم من صور الاحوال في حلهم وترحالهم[39]، واستمدوا الأوامر التي عادة الله تعالى اسعادُ مطيعها، وتوفيق المسندِ إليها، فأمِروا بصدق لقاء العدو ــ قصمهم الله ــ واخذهم[40] على بركة الله الذي سبقت كلمته ان ينصر من ينصر دينه ويبذل في مجاهدته اخلاصه ويقينه ؛ فاستمروا في جد الاتباع على وجههم الميمون، و ((الى)) نصرهم المضمون ؛ ودرجت ايامٌ قدرَ ما يوصَل الطالب الى المطلوب، ويتمخض بمكروه الكفرة[41] (فـ)ـهو عين المحبوب[42]، الى ان هتفت البشائر مالئة الأسماع، طالعة من احسن ثنايا الاطلاع، وورد الفتح الجليل، والصنع الجميل، ووصل من اعيان الموحدين[43] ــ اعانهم الله ــ من شهد ((ذلك)) اليوم الذي اخِذ فيه للإسلام منهم الثار، وعرّف الكافرين[44] لمن عقبى الدار، معهم اعلام الروم المنكوسة فيها تماثيلهم وصلبانهم، (وافتـ)ـراؤهم على

(28) في (ب) : الغنم كثيرة.

(29) انظر الهامش 30 على الرسالة السابقة.

(30) في (ب) : الموضع المعروف بالكنبانية، راجع الهامش 31 على الرسالة السابقة.

(31) راجع الهامش 32 على الرسالة السابقة.

(32) في (ب) : نباؤهم الذميم.

(33) في (ب) : استخرنا.

(34) في (ب) : مع اخواننا واشياخ الموحدين اعزهم الله.

(35) حرف ماروض وقد يكون : (و).

(36) راجع الفقرة الثانية من الفصل الثالث والهامش 35 على الرسالة السابقة.

(37) في (ب) : ومن هنالك.

(38) في (ب) : بمجرد متجدد حالهم.

(39) في (ب) : وارتحالهم.

(40) قصمه الله وأخذه.

(41) في (ب) : ويتمحص،،، الكافر.

(42) وهو غير المرغوب.

(43) راجع الهامش 46 على الرسالة السابقة.

(44) في (ب) : للاسلام بميلم النار، وعرف الكافر،،،.

ع ز/21 الله وطغيانهم، ورأس شيخهم الذميم، وشيطانهم الرجيم، (واتِر) اهل الايمان، واشدّ الكفرة/ عُتيًا على الرحمان[45] ؛ فذكر الواصلون ان الموحدين ـــ اعانهم الله ـــ اتبعوهم مغذّين[46]، وارهقوهم مشمّرين، في الركض مجدّين الى آخر فحص هلال[47]، وقد طمع الاعداء بالنجاة، (فتـ)ـهيأ هنالكم اللّحاق والادراك، وتراءى الايمان والاشراك، فرأى الكفرة من بأس الله الذي لا يُردّ، وجنده الذي لا يُصدّ، ما هالهم وراعهم، وأنساهم جلادهم ومِصاعهم، وعلى ذلك فطمعوا في الدفاع، وارتفعوا إلى اليَفاع، وحملوا حملات قاصرة، وكرّوا كرّات خاسرة، إلى أن حقت عليهم[48] الـ(ـكلمـ)ـة، وحاقت بهم النعمة[49]، وأخذتهم السيوف المستلحمة، وانصبّت عليهم الجيوش من كل جانب، وصيرتهم الحماة[50] كأمس الذاهب، وأولياء الحق وأنصار الله وأهل طاعة أمره[51] قد هبّت لهم ريح النصر[52]، وطلعت عليهم شراقات الفتح[53]، لم يُنَل منهم نَيْل، ولم يَقُمْ للكفرة في جانبهم مَيْل، الى ان ولّى اعداء الله الأدبار، وابتدروا الفرار، وخَلّوْا عن غنائم كانوا استاقوها، وأُسارَى من المسلمين غلّ الله عن قتلهم أيديَهم[54]، وكفاهم تعدّيَهم، وتمت على اعداء الله الهزيمة، والوقعة[55] العظيمة، والتقِطوا في بقية تلكم الأناء، وقُتِلوا قتل الفَناء[56]، حتى صَمّت حصاةٌ بدم، ولم يكد ((ان)) يبقى بين القتلى محطُّ قدم، ((و)) اقتُصُّوا كذلك تَلفِظُهم الشواهق، وتُرديهم المهاوي، ويَنمّ عليهم الليل وهو كاتم[57]، ويَكلَحُ[58] لهم الصبح وهو باسم، ولا تُذِمُّ عليهم غيضة ملتفة، ولا شجْراء محتفّة[59]، بل يقول الحجر : يا مؤمن، هذا الكافر خلفي فاقتلْه، وإلى سواء الجحِيم فاعتُلْه، أينما ثُقِفوا أُخذوا وقُتّلوا تقتيلا سنّة الله [التي خلت][60] من قبلُ ولن تجد لسنّة الله تبديلا[61] ((ولن

(45) في (ب) : عتوا على الرحمان.

(46) في (ب) : معدين.

(47) راجع الهامش 38 على الرسالة السابقة.

(48) في (ب) : ...زحفت عليهم...

(49) في (ب) : النقمة.

(50) في (ب) : ورأوا الحياة.

(51) في (ب) : وأولياء الله وانصار الحق اهل...

(52) في (ب) :رياح النصر.

(53) في (ب) : شارقات الظفر.

(54) في (ب) : أيديهم عن قتلهم.

(55) في (ب) : والواقعة.

(56) في (ب) : العناء.

(57) فالمعركة جرت أولا بالسهل ثم انتقلت إلى الجبل وامتدت من النصف ليوم الاربعاء 19 شعبان إلى الليل (لمن 521).

(58) في (ب) : ويلكم.

(59) في (ب) : غيطلة ملتفة ولا شجرة محتفة.

(60) في الآية : سنة الله في الذين خلوا من قبل...

(61) الآية 61 من سورة الأحزاب.

تجد لسنة الله تحويلا[62]))، فالحمد لله على هذا الفتح العظيم خطْره، الجليل قدْره، الذي له مابعده، وانسياق ما يُنجز الله فيه ((وعده)) حمداً يبلغ رضاه، ويوجب زلفاه، ويمتري المزيد من نعماه.

وهذا الفتح ـــ وفقكم الله واعانكم ـــ وان كان عظيما في نفسه، عاليا في جنسه، فانه للفتوح الآزفة مفتاح[63]، وبين يدي السعي فيها مصباح، فإنه[64] رائد الفتوح المنتظرة، وعنوان الخيرات الميسرة، ((ومثبت السعادة وان كانت ثابتة مقررة)) ونازل من الفتوح الآزفة[65] بمحل الباكر من الثمرة، لما أُشرِبَ فيه أولياء الله وأنصار الحق وجنود الأمر، وحماة الاسلام واحزاب الدّين من ريح الظفر، ووجدوا[66] من عز الغلب واستحْلَوا من مُذاقة[67] النصر، وتوطأ لهم من طريق الفتح المَروم[68]، وتذلل لهم من مركب الروم، اذ عرفوا ذوقهم، وساقوهم سَوقهم[69]، ولم يبق لهم في نفوسهم قدر مقاومة ولا محل مراقبة، ولما خامر الروم ـــ قصمهم الله ـــ من الرعة والروع وانفتح عليهم من ابواب الخطوب، وتوجه اليهم من جنود الرعب، وباءوا به من ذل الغلَب وسوء المنقلَب، وفقدوه من مُنكِب الدفاع، ورِدء الامتناع، وفرسان الجِلاد والمِصاع فانهم بعد اولئك الهلكى المطوَّحين[70] بمنزلة الرمح بعد السنان، والجسد بعد الجَنان ؛ فهذا الفتح العظيم قد عظمت به النعمى، ((والمنة العظمى)) وكثرت فيه العوائد، واستمرت منه في الحال والمآل الفوائد ؛ فوفُّوه حقه وأعطوه قِسَمه[71] (شكرا) ونشرا وإشاعة واذاعة يمتد مداها، ويبلِّغ أقصاها[72] ؛ والله تعالى يشفّعه بامثاله، ويُردفه بمُنهال الفتح ومُنثاله[73]، ويتولى توفيقكم لما يرضيه[74]، وعونكم على ما يزلف[75] لديه، بمنه ويمنه، ((وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولنا بكل خير كفيل، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الرابع والعشرين من شعبان المكرم سنة ثمان وستين وخمس مائة)).

---

(62) كذا في الأصل، وهو في غير سنورة الأحزاب.

(63) قد يدل هذا على وجود مخطط لتوجيه عمليات اخرى ضد العدو (انظر المن 525 ـــ 527). يذكر صاحب القرطاس غزو الخليفة إلى كركونة (212).

(64) في (ب) : وانه.

(65) في (ب) : الاتية.

(66) في (ب) : ... الفتح وجدوا..

(67) في (ب) : من مدامة.

(68) في (ب) : من طريق الظفر الروم.

(69) في (ب) : وساقوا.

(70) في (ب) : المطرحين.

(71) في (ب) : قسطه.

(72) في (ب) : ولا يبلغ اقصاها.

(73) في (ب) : بمنهل الفتح ومنثاله...

(74) في (ب) : لما يحب ويرضاه.

(75) في (ب) : وعونكم لما يزلف لديه في أخراه بمنه ويمنه. وهنا انتهت رسالة (م ر م) لبروفنصال.

الرسالة التاسعة والعشرون :

رسالة الخليفة يوسف من اشبيلية إلى مراكش
بشأن توقيع هدنة مع النصارى

تقديم :

في فترة استقرار الخليفة يوسف بالأندلس (566 ــ 571) كان الضغط الموحدي مستمرا على النصارى بالقضاء أولا على حليفهم ابن مردنيش، ثم محاولة فتح مدينة وبذة، ثم الانتصار في «فحص هلال» على «صاحب آبلة» المذكور في الرسالة السابقة، وتوجيه حملات تدعم مراكز الحاميات على الثغور مع البرتغال، وتضرب جنوب قشتالة التي كانت تعاني من عدم الاستقرار الداخلي ومن توتر العلاقات مع جارتيها نفارا وليون... وهكذا رغبت البرتغال في الهدنة مع الموحدين، كما رغبت فيها قشتالة فوجهتا إلى اشبيلية من يعقد «السلم» مع الخليفة، وكان هذا على الأرجح في مطلع سنة 569، واعتبر الخليفة ذلك «فتحا» لأنه في مصلحة تدعيم الثغور عمرانيا واقتصاديا وبالتالي عسكريا، وهو امر كان ضروريا بسبب الخراب الذي اصاب المنطقة بحملات البرتغاليين وجماعة فرسان القائد جيرالدو العامل لصالح الملك البرتغالي، فوجه الخليفة بعد توقيع هذه الهدنة رسائل إلى العُدوة منها هاته التي كتبها الكاتب أبو الحسن بن زيد الاشبيلي[1] إلى مراكش، وهذا نص الرسالة.

نص الرسالة :

ع ز/21 من أمير المومنين بن أمير المومنين ــ ايده الله بنصره وامده بمعونته ــ إلى الطلبة[2] والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش ــ ادام الله كرامتهم بتقواه ــ سلام عليكم ((إلى آخر الصدر))[3].

(و) الحمد لله الذي صنع لأولياء امره والقائمين بدعوته ما كنف به حماة الأمة وانصارها، ع ز/10 (وكف/[4] عنها) ايدي الكافرين بعد أن أظفرها عليهم واعز نصرها وإظهارها، والصلاةُ على نبينا

(1) انظر التعريف به ضمن تراجم الكتّاب.

(2) كان اولاد عبد المومن يعتبرون من الطلبة ومن هؤلاء السيد ابو عمران النائب بمراكش في غياب ابيه بالاندلس (البيان 99)، ويبدو ان الرسالة موجهة اليه بالاساس.

(3) ما بقي من صدر الرسالة حذفه الناسخ مكتفيا بهذه العبارة، ويمكن الاطّلاع على مثال من الصدر الذي يستعمله ابو الحسن بن زيد في الرسالة السابقة (28).

(4) يبدو هنا بوضوح صحة التعديل الذي قمت به في اعادة ترتيب بعض صفحات المخطوط، حيث وقع الاضطراب في جمع بعض اوراقه ربما بسبب تفككه أو تجليده بحيث تختلف الرسالة التي توجد بدايتها في =

المصطفى محمد الناهج في هذه المقامات العظيمة والمرامات الجسيمة سننا أوضح للمقتفين آثارها، ورفع لهم منارها، وعرّف منهم أولي الأيدي والأبصار متناولها ومُشارَها، ورضي الله عن إمامنا المعصوم المهدي المعلوم مُعيد الملة ومُفيد الصحيح من الأدلة حتى قرّت قرارَها، واستمرت على السُّنن القويم والامر الحكيم استمرارَها، وعن خليفته ووليه وصاحبه وحواريّه الامامِ أمير المومنين الممشّي لدعوته العالية العالنة والمتمم انوارَها، والممكّن لها في الأرض حتى عمّت نِجادها واغوارَها.

وإنا كتبناه اليكم ـــ كتبكم الله ممن عرف النِّعم حق عرفانها، وأقام النظر في عواقب الأمور الحميدة ومناقل الأحوال السعيدة مقام عِيانها، واستبشَر بما فتح الله للناس من رحمة وأفاض على الخليفة من نعمة في تمكين إيمانها وامانها ـــ من حضرة اشبيلية ـــ حرسها الله ـــ ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعملِ بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وان تشكروا الله تعالى بواجب شكره على عظيم نعمته بهذا الأمر العزيز وما القي إلى كفالته، وأسند إلى ايالته، من حفظ الملة وحماية الحوزة والحياطة للامة والاكتناف لأرجاء الدعوة والاحيا(ء)[5].لميْت البلاد، واجراء روح الأمن في العباد، والاستيصال للشأفة أهل الكفر والعناد، واعلاء كلمة الله الصالحة الباقية إلى يوم التناد والحمد لله رب العالمين.

وقد كان رباطنا[6] ـــ وفقكم الله ـــ بهذه الجزيرة ـــ كلأها الله ـــ بعد اجماعها من التوحيد على كلمة السواء، واستقامة الأمور بها بعد اعوجاجها وأمْتِهَا على سمت الاستواء، وما الَّف الله بِهذه الحركة السعيدة من القلوب وجَمَع من الأهواء[7] ؛ ودأبْنا في إعمال نظر واطالة تأمل وادارة مَحالةٍ فيما فيه حسم دائها، واجتياح اعدائها[8] ؛ وبمقتضى ذلكُم تُحفِّل في امتداد الجنود، واستُظهر على المَرام المقصود، وجُمع إلى وقت الغزو المعهود، والرعبُ اثناء ذلك يسير بين يدي أولياء الله يَصرع الاقتال[9]، ويكفي المومنين القتال، وجنود الله التي لا يعلمها إلا هو تفعل في عُداته الأفعال، وتعمل فيهم الأعمال، إلى أن تسابقت وتلاحقت وفود الروم لبأس الله راهبين، وفي أخذِ حبل من الله ومن أهل دينه راغبين، قد بَخَعوا بالضراعة وتدوّخوا بالذلة وتأيّسوا بالصَّغار[10]،

= اواخر الصفحة 21 من صفحات زوائد المخطوط عما في الصفحة التي تليها من حيث المضمون ومن حيث الجهة التي صدرت عنها والجهة المستقبلة لها، وكذلك من حيث اختلاف السجع، بل وحتى الاشكال الناتجة عن الأرضة على الصفحتين 21 و 22....

ملاحظة : ما بين هلالين منفردين ( ) غير واضح في المخطوط كلا او بعضا.

(5) الهمزة محذوفة في الأصل.

(6) الخليفة يعطي صبغة دينية جهادية لحملته الى الاندلس.

(7) لا شك انه يقصد هنا «الحركة» التي وضعت حدا نهائيا لانفصال شرق الاندلس بزعامة بني مردنيش، وهي «الحركة» التي امتدت فيما بين 566 و 571، وستكون له حركة اخرى، (579 ـــ 580).

(8) الى جانب ضم شرق الاندلس هناك الانتصار على فرسان آبلة بفحص هلال (568) والحملات الى نواحي طلبيرة وطليطلة في نفس السنة.

(9) الاقتال : (جمع قِتل) اي الاعداء.

(10) بخعوا : خضعوا، وتدوخوا : استذلوا.

وخلعوا حمية الجاهلية خلع الحذاء ونزعوا عن الزعم إلى الاستكانة والاستخذاء، وكان اولهم في ذلك ملك برتقال ونصارى الغرب[11] باذلين من انفسهم الطوع بردّ أسارَى[12] المسلمين، وشروط اعطوها مسلمين مستسلمين، وتمسَّك ابن السُّلَيْطين المسمي فرّانده[13] **بعهد منا كانت بُلّت به يداه، ورأى أنه استصرف به زَاده**[14]، ثم ردفت ضراعةُ ملك طليطلة وما والاها[15] والسواد الأعظم من روم الجزيرة **على ما بينهم من تأكد فُرقة وشتات**، واختلاف في ذات بينهم وانبتات[16]، فجاءوا متطارحين متضائلين مفصحين بأن الاضطرار أجاءهم، وأن التأميل في سَعة فضل هذا الأمر العظيم (بعث) رجاءهم، وذاكرين ان لهم في الخدمة المنابَ الحميد، والغَناء الشديد، وانهم **يتضمون حفض ما بين بَطَلْيوس إلى قاصية ثغور مرسيةَ من بلاد الاسلام**[17]، ويختدمون انفسهم في ذلك باجهد الاستخدام، آيةً لهذا الأمر ما كانت الأوهام تسوِّغها، والآمال تُبلِّغها ؛ فوقعت المذاكرة في ذلكم والمفاوضة مع شيوخ الموحدين[18] ــ أعانهم الله ــ ونُظِر بحسب (النّـ)ـصْبة[19] حال الجزيرة ــ كلأها الله ــ وضعف اطرافها، واستيلاء الضنك والأزْل على ثغورها[20]، وهي التي كانت هذه الحركة السعيدة في اغاثة مستصرخيها وجبر مضطهَديها ؛ فوضَح وبان أن تلكم الأطراف ــ مهّدها الله ــ يُحتاج (إلى) جبرها (وما) يُعمَر به خرابها ويُسْكَن خاليها، وانها وحـ(ـالتها) تلك لا تَحمِل وطء الجيوش الحافلة، ولا/ يُتمكَّن بمناوشة العدو صلاحُ احوالها الحائلة[21]، وانها بمهادنة العدو تصلح (.. .. ..)[22] لأمن مسالك تجارتها ومتصرفات عمارتها، والاتساع في اقواتها، والتوصل لما تخرج الأرض من ثمراتها، وانها بذلك يتمكّن بناء معاقلها، وَيترتب الدخول إلى بلاد العدو منها، وتتكثف اعداد حُماتها، ويعود اليها بالأمن روحُ حياتها ؛ وتقرر أن

ع ز/11

(11) ملك البرتغال في هذه الفترة هو الفونسو هنركيز مؤسس المملكة المتوفى سنة 1185/ 581 هـ (اشباح ص 283، عنان 1/ 528، 609/2، وراجع الفقرة الثالثة من الفصل الثالث).

(12) في الأصل بالياء.

(13) السليطن هو الفونسو ريموديس ملك قشتالة وليون المتوفّى سنة 1157 م/ 552 هـ وابنه فرّانده وهو فرناندو الثاني ملك ليون (552/1157 هـ ــ 583/1188 هـ) وتسميه الرواية العربية : البيبوج (البيان 103)، (عنان 1/ 502 ــ 514).

(14) راجع خصائص هذه الرسالة في الفصل الثالث.

(15) ملك طليطلة انذاك هو الفونسو الطفل الملقّب بالنبيل (1158/ 553 ــ 1214/ 611) وهو الذي سينهزم في الأرك وينتصر في العقاب.

(16) راجع الفقرة الثالثة من الفصل الثالث.

(17) ثغور هذه المناطق هي التي لها علاقة بممالك البرتغال وليون وقشتالة، فتمّت الهدنة مع هذه الممالك اما اركون فلم تحضر المفاوضات بل ظلت في حالة حرب مع الموحدين كما ستذكر الرسالة ذلك.

(18) مسألة الاستشارة في الرسالة يتناقض معها كلام اشباخ في وصف الخليفة يوسف بالاستبداد برأيه (ص 326).

(19) كلمة مأروضة البداية لعلها (النصبة) بمعنى العياء والعناء.

(20) الأزْل : الشدة.

(21) الحافلة : الكثيرة و الحائلة : المتغيرة.

(22) كلمة مأروضة الوسط.

ذلك هو الأنجع في علاجها والأوقع في مداواتها ؛ ونُظر في ان ذلك من الالتفات إلى المصالح مما سنه رسول الله ﷺ في صلحه للمشركين، على حينٍ أنكرَ المنكِرون وأكثر في ذلك المكْثرون، فسماه الله سبحانه فتحا مبينا، ومكّن لهم في الأرض تمكيناً، واظهر دينه الذي ارتضاه دينا، وانزل السكينة عليهم وزادهم هدىً ويقينا، وكفى بالله هاديا وبرسوله على الغيب أمينا[23].

ولما ظهرت ـــ وفقكم الله ـــ ظواهر المصلحة، وكثرت دواعي الاصابة، واضاء وجه الرأي وشَهِد شاهدُ الشرع، استخير الله تعالى على القبول لما ضرع فيه الروم من ذلكم وبخعوا به **وعُقد لكل جهة منهم العهدُ إلى مُدد مختلفة قدرَ ما ينجبِر فيها ما يليه من الثغور**، ويتسق فيه نظام الامور[24]، فاستثمرت بحمد الله من ذلكم العوائد، واستجزلت منه الفوائد، وانبثت في الأطراف حياة السكن والامن، وعظُم بذلك مقدار الانعام والمن، ولم يبق من روم الجزيرة الا شرذمة بازاء بلنسية الخطبُ فيها بحول الله يسير، والله عليها ظَهير، والفتح فيها قريب/، والرأي في قطع دابرها واجتياح غابرها مصيب، والحمد لله رب العالمين[25]. ع ز/12

طالعناكم ـــ وفقكم الله ـــ بهذا الفتح الكريم اثره، الحميد خُبْرُهُ وخَبَرُه، العائِد على اهل الاسلام بالخير العام التام مستفادُه ومستثمَرُه، لتنظروا الى اسراره وحميد آثاره بعيون قلوبكم، وتشكروا الله على صنعه فيه بالاخلاص من سرائركم وغيوبكم، فانه بتيسر اسبابه وانفراج بابه تنتعش الجزيرة ـــ مهّدها الله ـــ بعمارة اطرافها، وانفساح اكنافها، وارتفاع شدائدها، واتساع مرافقها ومرافدها، وامر العدو بعد ذلك احقر، وشأنه اصغر وأدحر، ووجه الاستعلاء عليه والاستيلاء على ماللديه اجلى واظهر، فاستبشِروا بما استقبلكم من هذه البشائر السارة، والنعم الدارّة، وتبينوا مواقعها الكريمة، وخيراتها العميمة ؛ والله سبحانه يجعلكم ممن قبل البشرى، ويُسِّر لليسرى، ويكتـ(ـبكم) في الذين لهم البشرى، في الأولى والاخرى، بفضله ورحمته لارب سواه، ولا نرجو الا إياه، والسلام.

---

(23) الاشارة هنا الى صلح الحديبية الذي نظر اليه عدد من المسلمين آنذاك على انه في غير صالحهم ثم كان العكس بعد ذلك، في هذه المقارنة تبرير لعقد الهدنة لضرورة اعادة تدعيم الثغور ماديا وبشريا.

(24) يذكر ميراندا ان البرتغال وقشتالة طلبتا هدنة لمدة خمس سنين (الموسوعة الاسلامية) 1/ 165 بالفرنسية، ويذكر صاحب المعجب ان الخليفة بعد فشل حصار وبذة هادن قشتالة لمدة سبع سنين (251)، وصاحب المن يعمّم بقوله عن المفاوضين : «وصُرفوا على حد مرسوم والى اجل معلوم» (527)، والرسالة هنا ايضا تعمّم ولكنها تخالف كلام ميراندا في شأن مدة الهدنة فهي «مدد مختلفة».

(25) الكلام هنا عن مملكة اركون التي بقيت في حالة حرب مع الموحدين.

الرسالة 30 و31 :

رسالتان عن الخليفة يوسف ابن عبد المومن
حول فتح مدينة قفصة

تقديم :

في سنة 571 عاد الخليفة يوسف من الاندلس الى المغرب بعد غياب دام منذ سنة 566، وكانت عودته هذه بعد توقيع هدنة مع قشتالة والبرتغال (انظر الرسالة السابقة). الا ان مراكش وربما مدنا اخرى عرفت خلال سنتي 571 و 572 اجتياح مرض الطاعون لها، وقد مرض منه الخليفة وفقد اربعة اخوة والشيخ ابا حفص الهنتاتي وغيرهم، هذه الظروف استغلها النصارى لنقض اتفاقات الهدنة، فاشتد ضغطهم على الثغور اولا (سقوط قوينقة 573) ثم اخذوا يهاجمون قلب الاندلس الجنوبية. وفي هذه الفترة كانت امور افريقية تزداد اضطرابا على يد جماعة قراقوش مملوك تقي الدين ابن اخي صلاح الدين الأيوبي مدعما بعرب سليم ورياح الخارجين عن طاعة الموحدين في اقليم طرابلس، فاحتل كثيرا من مدن افريقية، فكانت الفرصة مناسبة لواحد من عائلة بني الرند الحكام القدماء لقفصة للتمرد على الحكم الموحدي مؤيدا بعناصر من عائلته ببجاية، ومحاولا استمالة العرب والغزّ اليه، وقد ابتدأ التمرد سنة 572 حسب رأي ابن الاثير. وهكذا تحرك الخليفة يوسف نحو افريقية لاعادة سيطرته عليها وخصوصا قفصة، ولاستمالة العرب من اجل استنفارهم للغزو بالاندلس... وبعد مدة من حصار قفصة استسلمت له، فكتب الخليفة منها «كتبه» الى المغرب والاندلس ومنها الرسالتان اللتان وردتا في مخطوط العطاء الجزيل الى اشبيلية احداهما من انشاء ابي الحكم ابن عبد العزيز، والاخرى من انشاء ابي علي ابن نارار وهذه هي نفس الرسالة الواردة في (مجموع رسائل موحدية) رقم 20 والمنسوبة فيه لأبي الحكم ابن المرخي، وهذا نص الرسالتين :

الرسالة الاولى من انشاء ابي الحكم ابن عبد العزيز ابن المرخي[1] : (رقم 30)

ع ز/4 من امير المومنين ابن امير المومنين[2] — ايده الله بنصره وامده بمعونته — الى الطلبة[3]

---

(1) ترجمته ضمن كتّاب الرسائل.

(2) هذا لقب الخليفة يوسف (الحلل 157).

(3) على رأس «طلبة» اشبيلية السيد ابو اسحاق بن الخليفة يوسف والى اشبيلية في هذه الفترة ومنذ وفاة واليها السيد ابي علي الحسين سنة 574، وستتجدد له الولاية عليها سنة 579 (البيان 113 و 129)

والموحدين والاشياخ والكافة بمدينة اشبيلية اكرمهم الله بتقواه، وعرّفهم عوائد حسناه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا إله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه[4] والحمد لله مذلّل المستصعب، ومُسَهِّل دَرَك المطلب، فاتح باب المعقِل الاشب، ومانح ضروب الخير المحسِب، ومعرّف اوليائه من عوائد نصره ويسره ما يصل سببهم من الفتوح باكرم السبب، ويوذن ان مُناوىء هذا الامر العزيز مصروع لليدين وللفم ولو ابتغى نفقا في الأرض او سلما الى الشهب، والصلاةُ على محمد نبيه المصطفى من اكرم الحسب، المبتعث الى العجم والعرب، الآخذ بالحُجَز عن مهاوي الضلال المؤدية الى العطب، وعلى آله واصحابه الباذلين في نصرته وطاعته جد الصابر المحتسب، الفائزين من رضى الله تعالى بأشرف الرتب ؛ والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الصادع بنور ظلمات الجهل المسدَلة الطُنُب، القائم بامر الله مجاهدا اهل الكفر والزيْغ والرِّيَب، المالىء الأرضَ قسطا وعدلا وقد ملئت جورا الى عَقد الكَرَب، والدعَاءُ لسيدنا ومولانا الامام المنصور الناصر لدين الله امير المومنين[5] قسيمه — رضي الله عنه — في شرف النسب، الممشّي امر الله تعالى الى غايته البعيدة المَذهب، حتى يستولي بمعونة الله تعالى على ما زوي لنبينا — صلى الله عليه وسلم — مما بين المشرق والمغرب،

وانا كتبناه اليكم — عرّفكم الله من البشائر المتتابعة والمسرات الجامعة ما يملأ قلوبكم وأسماعكم، ويعم بالبشائر انديتكم واجتماعكم، ويعقد على طاعته المشرِّفة وخشيته المقرّبة إليه المزلفة إصفاقَكم واجماعَكم — من داخل قفصة حرسها الله[6] ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، واليقين بان هذا الامر العظيم هو امر الله الذي جعله الله الحرم الآمن لمن تمسك بسببه المتين، وآوى الى رُبوته ذات القرار والمَعين، وان من أعرض عنه فقد اهدف نحره لأسنة الحق المناضلة عن الدين، وتبرأت منه ذمم النجاة والعصمة والتأمين ؛ والله سبحانه يجعلكم ممن عرف هذا الامر العزيز معرفة الحق اليقين، ويمد عليكم ظله الوارف وفضلَه المتعارَف الى يوم الدين.

وقد كنا اعلمناكم — وفقكم الله — بما عرّف الله في هذه الحركة السعيدة من نجْح المطالب ويسر المذاهب، وخرق العوائد في تقريب البعيد من املِ الآمل ورغبة الراغب، وان الله هدى بنور هذا الامر العزيز من كان عنه نفرَ، وردّ اليه من كان عن رحمته الواسعة قد اعرض وادبر، فبصّر الجاهل وصرف الى الطاعة الشاردَ، وجمع على التقوى الغافل والجاحدَ، وعرّفناكم بوصول من وصل من **اشياخ العرب**[7] — وفقهم الله — ملقين الى هذا الامر العظيم بيد التفويض والتسليم، مادّين يد

---

(4) يلاحظ هنا غياب التصلية الأولى على غرار رسالة ابي الحكم السابقة (رقم 27).

(5) المقصود هنا الخليفة عبد المومن فهو دائما يدعى له بعد المهدي.

(6) هذه العبارة من بين العبارات التي تشير الى خضوع الموقع للسلطة الموحدية. اما التعريف بقفصة وواحتها فوارد بعضه ضمن الرسالة نفسها، وينظر ايضا في الاستبصار (150 — 151) والروض المعطار (477 — 479) ومعجم البلدان 4/ (382 — 383) وصبح الاعشى 5/ 107

(7) يذكر صاحب البيان ان الخليفة يوسف عندما اقترب من قفصة بادر اليه « جميع اشياخ العرب من قبيل=

الاستقالة الى عادة رافته وصفحه الكريم، وبعدَ ذلك صُرفوا الى منازل هذه البلاد أنزِلوا فيها لتجتمع كلمتهم، وتنتظم أُلفتهم، الى ان يستنفروا بعون الله الى الغزو الذي يعز الله به كلمة الايمان، وينشر لواء النصر على عبدة الاوثان وعُداة الرحمان، بحول الله تعالى لا رب غيره وهو المستعان؛ وكانت هذه القرية الظالمُ اهلُها طال ما صَمَّتَ عن داعي الله فعتت عن أمر ربها، وركِبت الجامحَ من مراكب غيّها، فلم تلتفت الى رشد مرشدٍ، ولم تَصرِف عنانا الى طاعة (مهتدٍ)، ولم تنته عن عمل باغٍ مفسد[8]، اغترارا بمنعة مكانها، وضخامة شأنها، وحصانة بنيانها، وانها قد اكتنفتها صحراء تُعطش الضبّ، وتُنشف الرّطب، فلا يجد مُنازلها مُعينا على المقام، ولا مرتفَقاً من مرافق الانام؛ وكان جُلُّ هذه الحركة المباركة بسببها (...)[9] اللّهُ هذه البلاد من ضرِّها وعُدِّها، فقد كان باضَ فيها **الشيطان** وفرَّخ؛ ودعاهم الى محاربة الله/ وامره فما منهم الا من أصرخَ، وتجمّع له فيها مع ذلك أشتات من اهل الفساد، وشُرّادٌ من ذوي العناد[10]، كلٌّ قد خلع ربقة الاسلام من عنقه، ورأى سبيل الغيّ فأتاها من أقرب طُرقه، فشاقّوا الله والايمان، وحالفوا البغي والعصيان، وصار من في قلبه مرض من منافقي العرب وغيرهم بهذه البلاد وما اتصل بها لا ينظر الا اليها، ولا يعتضد الا بمكانها، هي مأواهم ومولاهم، وبسبب فتنتهم الذي أضلّهم وأضواهم[11]؛ فعزمنا بعد استخارة الله تعالى أن نجعل اليها قصد الاعتنا(ء)، ونَجهد في استيصال ذلكم الداء، فقدّمنا اليها عساكر هذه البلاد مع طلبتهم[12] — أعان الله جميعهم وانجدهم — وأمرناهم أن يتقدموا اليهم بالنذير، ويُحذّروهم محادّة الله وأمره أشدّ التحذير، حتى تقوم عليهم الحجة، وتتضح لهم المحجة، وإذا بهم عن دواعي الرّشد معرضون، وفي الفتنة مستبصرون، قد لجّوا في طغيانهم، وتمالأوا على عصيانهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، متمسكين بالبغي بأديانهم، معتضدين بالشياطين أخدَانِهم؛ ووصل الينا كتاب الطلبة المذكورين — اعانهم الله — معلمين باحوالهم المنكرة، وباعراض قلوبهم العاتية المستكبرة، ونحن حينئذ قد انتهينا الى القيروان[13] في طريقنا الى هذه القرية، فتممنا على عزمتنا المباركة مستعينين بالله تعالى متوكلين عليه، مستنجدين في النصر والعون وعده وعادته؛ وعرف الموحدون ان الطرق الى المقصد الميمّم متعذرة المسالك على مثل هذه العساكر، لعدم الماء فيها في

ع ز/ 5

= رياح بالبدار والمسارعة الى الطاعة طالبين للامان في دورهم وانفسهم» ص 112، ويحدّد ابن سعيد مجالات رياح بين قسنطينة وبجاية (بسط الارض 79).

(8) يقصد هنا ابن الرند الثائر بقفصة، وتوضح الرسالة اللاحقة (31) من التفّوا حوله وهم «ذؤبان الاعراب واوباش الأكراد».

(9) كلمة مطموسة لعلها (وقى)

(10) توضح الرسالة اللاحقة اصناف هؤلاء.

(11) اضوى : امال اليه.

(12) توضح الرسالة اللاحقة (31) ان هذه الطليعة تمثل عساكر بجاية و «طلبتها» اي قادتها الملقبون ايضا بالحفّاظ، كما تبيّن نفس الرسالة ان الحركة الخليفية من بجاية الى قفصة كانت عبر القيروان بعد خروج الطليعة من بجاية مباشرة الى قفصة.

(13) عن القيروان انظر الاستبصار (113 — 117)، والروض المعطار (486)، وبسط الارض (78) ويذكر حولها مجالات عوف من العرب شمالها، وفي جبالها بربر نفزاوة وهوارة.

مثل الفصل الذي سُلكت فيه، وعدم المرافق من الأقوات والمراعي، لما ذكر من وضع هذا القُطر، ولما تقدم في هذه البلاد من احتباس القَطر ؛ وذلك مما أطغى أهل هذه القرية فسوّل لهم بذلك وأملَى، ودلاّهم من الغرور بما دلّى ؛ لكن الله سبحانه يسّر على اوليائه فمهّد لهم السبيل، وعرّفهم العون الجميل، وأولاهم في محاولتهم البركة والتسهيل، فوجدوا من الماء بما كان تقدم من المطر بين يدي حركتهم السعيدة ما قام على مراد الله في هذا الامر العزيز برهانا، ولاح للمستبصر عِياناً، غُدرانٌ تَفهَق، وصُنُعٌ كريم يتقدم بين ايديهم تارة وتارة يَلحق، وتَسرَّب اليهم من الأقوات من جميع الجهات ما رغّد الاسعار، ومهّد على هذه البلدة القرار.

ولما كان الوصول اليها على بركة الله تعالى اعيد على اهلها الانذار، وكرّر لهم الأعذار وأفصَحَ[14] لهم بالتأمين التام لو اصاخت منهم الأسماع او أنارت منهم الابصار ؛ فتمادى من جميعهم الإعراض والإنكار، ولج منهم العصيان والإدبار، وبرزوا اول يوم بجمع لهم ذميم، وجند منهم رجيم خارج بلدهم، لتظهر قوة بصائرهم في الكفر وجَلَدهم، فاشتغل جميع الموحدين — اعانهم الله — بشغل نزولهم، وترتيب حلولهم، وخف اليهم من العساكر من (....)[15] نازيَهم، وردَّ طاغيَهم، فلما كان في اليوم الثاني ترتب الموحدون — اعانهم الله — على جهاتهم، واخذوهم من جميع جنباتهم، ونهدوا اليهم (بعزم) كسر الله به من حدِّ الطغاة وَشَباتِهم، واوهن كيد عزماتهم، فانجحروا وراء اسوارهم، واشتملوا بخزيهم وعارهم، وتمكن الموحدون — اعانهم الله — من حصارهم، واستعانوا مولاهم ونصيرهم فكان وليّ إنجادهم وانتصارهم، وانتقلوا من منازلهم الى منازل بقرب الأسوار بقدر غَلوة السهم ليأخذوا بمخنّق محصورهم، ويُظهروا الجدّ والقوة في جميع امورهم، فتم ذلك ومعونة الله تَصحبهم، والتوفيق الى كل سعادة يقرّبُهم، واشتُغل مع ذلك بعمل آلات حربية يُستظهر بها على الحصون المَهيدة، وتكون مزيدا في الحرب والمكيدة، مثل **المجانيق والدبابات والابراج**[16]، فيسّر الله بذلك ما ضَمِن دَرَك المطلب، وسهَّل احوال الغلَب ؛ ولما كملتِ الآلات، وبُلغت من الحزم الغايات، وأشرف **البرج المبارك** على جدُراتهم[17]/ (وتمكنت) ع ز/6 المجانيق من هدْم بيوتهم، اخذ الموحدون (في قتا)لهم، وبلغوا الغاية في نِكالهم، فيسّر الله لهم هدم بعض الستائر التي امام الاسوار[18]، وقد كانت من الامتناع في حد لا تناله الظنون، ولا ترتقي اليه العيون، واتصل الشغل بردم الخندق بينهم وبين البرج المبارك حتى يتصل الموحدون بالاسوار

---

(14) كذا بالاصل، والصواب وكرّر لهم الإعذار، وافصح...

(15) كلمة مأروضة.

(16) قال صاحب الروض المعطار عن الخليفة يوسف : «نصب عليها آلة الحرب وعمل للعجل الحاملة للالات قلوعا ضربتها الريح فمشّتها فرعب اهل قفصة... (479).

(17) ان الوصف الذي اعطي لهذا البرج قد يجعله من صنف الابراج التي استعملها النصارى المحاصِرون لمدينة عكّا سنة 586 والتي تتكون من خمس طبقات مملوءة بالعتاد والمقاتلين (الكامل 9/ 205) خاصة وان العود المصنوع منه هذا البرج مستورد من جزر البحر بواسطة النصارى كما في الرسالة والراجح انها الجزر الايطالية.

(18) الستارة هي سور خارجي يحيط بسور المدينة ويكون الاول اقصر من الثاني (التجاني 240 في وصفه لطرابلس).

من أمَم، ولا يمتنع علي كفّ متناولٍ ولا (قدم) ؛ فلما رأى المحصورون ما اتاهم من امر الله من فوقهم ومن تحتهم وألِيمَ عقابه، وعاينوا الموت حتى كشّر لهم عن نابه، وقد تبرّأ حينئذ منهم الشيطان[19] وأسلمهم إلى حِمامهم اللجاجُ والعصيان، ندموا على ما أسلفوا، وعرفوا قدر ما وطّنوا في جنب الله واسرفوا، فهتف جميعهم بدعاء الاسلام، واعلنوا بالاستعطاف والاسترحام، ورددوا ارسالا يخبرون عنهم انهم قد القوا بأيديهم، ورجَوا رحمةً تنجيهم، وتوبة من الله تُرشدهم وتَهديهم، فرحين ان يتقبل الله متابهم، ويصلَ بالخيرات اسبابهم، واخذناهم بما ظهر اذ كان الله سبحانه يتولى حسابهم ؛ وبُذل لهم الامان في (رقابهم) واهليهم وذراريهم[20]، واستُنزلوا من صياصيهم، وأُخرج معهم نافِخ نار الفتنة، ومدير رحى المحنة : **ابن الرنك**[21] صاغرا ذليلا، «فَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُوم»[22]، وذاق وبال امره وعلم ان مرتع البغي وخيم، فان صحّ متابه، وكان الى طاعة الله مآبه، فقد ختم بالحسنى عمله، وادرك ما أمّله ؛[23] وجُمع سائر من كان بالموضع فعُلّموا ما لا يَحل جهله ولا يَسع، وأُسمع منهم من كان يَسمع، ثم صُرِف جميع الرعايا الى اوطانهم، وأخذوا بعمارة مياههم وجنانهم ؛ وحُدَّ للاجناد الانتقال الى بلاد التوحيد، والجريُ على غرض هذا الامر الرشيد.

وخلُصت للموحدين — اعانهم الله — هذه المدينة العتيقة، والقاعدة الوثيقة، التي جمعت من جمال الوضع، وحصانة الصنع، واتساع الخِطة، وشرف البقعة، واعتلاء الذروة، وامتناع الصهوة ما لا يوجد الا فيها، لأنها مع عتاقة البناء، وسَعة الفِناء، قد عُمِر خارجها من جميع الجهات بسواد يجمع النخيل والاعناب والزيتون والرمان، وفواكه ذات ألوان [24]، «صِنْوَانٌ وغيرُ صِنوان»[25]، تتفجر عليها عيون مستبحرة تخرج من داخل البلدة[26] فتسقي كل جنة بقسط مقسوم، وشِربٍ معلوم، وأُنبِط خلال سوادها مياهٌ تسقي ما ارتفع عن مجاري العيون، وتعمّ بالرِّيّ ما ارتفع من الظهور على البطون، وامتد ذلك اميالا يجري سوادها على هذا الوزن الموزون[27] ؛ ومع هذا الحسن الجامع،

---

(19) يذكر ابن الاثير اتصال ثائر قفصة مباشرة بالخليفة وسراً من اهلها وطلبه العفو منه (احداث 576)

(20) هل يفهم من هذا ان فتح المدينة كان صلحا وان هذا ما سبب عفو الخليفة عن اهلها ومنهم زعيم الثورة ؟ لكن لا أمان في الأموال وانما في الانفس.

(21) كذا في الاصل والصحيح انه ابن الرند واسمه : على ابن المعزّ المعروف بالطويل من اعقاب بني الرند ملوك قفصة (البيذق في اخبار المهدي 86، والمعجب 252، البيان 113، والاستبصار 150، والروض المعطار 479، والقرطاس 212، والعبر 6/ 339 و 502).

(22) من الآية 49 من سورة القلم.

(23) نقل بعدّ ذلك الى ولاية سلا الى ان توفي بها (المصادر المذكورة في الهامش 21، ما عدا صاحب القرطاس الذي يذكر مقتله بقفصة عند فتحها).

(24) تحدد الرسالة هنا بعض المنتوجات الهامة لواحة قفصة.

(25) اقتباس من الآية الرابعة من سورة الرعد.

(26) يتفق هذا مع وصف الجغرافيين الذين يؤكدون وجود عيون خارجية واخرى داخلية وهذا مما يساعدها على الصمود للحصار (انظر الهامش 6 في هذه الرسالة).

(27) يتضح هنا ان الري يتم بالمياه النابعة وبمياه الآبار، انظر عن نظام الري الاستبصار 151 والروض المعطار 477 وما بعدها...

والمرفق الواسع فان هذه البلدة بشرف وضعها قد عُدّت متوسطة بين بلاد افريقية وبلاد الجريد، جامعة بين تساوي النسبة الى القريب والبعيد، مطلة على عرب هذه الجهات وما اتصل بها الى طرابلس بالقهر الشديد[28]، آخذة بحَظ وافر من الصحراء والارياف، تَجمع الاشتات، وتَقمع المفتات ؛ واذ قد صرفها الله الى طاعة هذا الامر العزيز ومِلكه، فسيوجد عظيم منابها في هذه الاصقاع، وشرف غَنائها في هذه البقاع، (في) ضروب منافعها الجمة الانتفاع، وتنقطع بها خواطر المنافقين التي كانت قد سولت لهم وساوس من الاطماع، ويتفرغ بعد ذلك الموحدون ــ اعانهم الله ــ الى اصلاح امر العرب، وترتيب احوال الأبعد منهم والاقرب، وتتميم الغرض في هذا الغزو السعيد والمطلب، بحول الله تعالى وهو المستعان.

وعرَّفناكم ــ وفقكم الله ــ بهذه البشرى، والنعمة الكبرى، لتبثّوها في انديتكم واقطاركم، وتجعلوا حمد الله تعالى عليها دَأب علانيتكم وإسراركم، وَنَصْب هواجس خواطركم، واعتباركم، وتتلقّوا بالشكر لله تعالى وافِدَها الذي زاركم في دياركم، (وعاد) عليكُم بتوفير حظوظكم من الرعاية وايثاركم، بحول الله تعالى لا رب غيره، وهو حسبنا ونعم الوكيل،/ والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب يوم (الخمـ)ـيس عقب رجب الفرد سنة ست وسبعين (وخمس مائة)[29]. ع ز/7

---

(28) يبدو ان ذكر طرابلس هنا لدافع «استراتيجي» اي ان فتح قفصة من ورائه امل فتح طرابلس من يد قراقوش وحلفائه من عرب سليم على الخصوص الذين يراقبون معظم المجال بين بلاد الجريد وطرابلس وهذا ما يمكن ان يفهم من الكلام اللاحق.

(29) ما بين هلالين مأروض في معظمه، ويوم الخميس في نهاية رجب يتفق مع يوم 27 أو 28 من الشهر، ويطابق يوم 18 دجنبر 1180 : (T.C).

الرسالة الثانية من انشاء ابي علي بن نارار[1] : (رقم 31)

ع ز/7 من أمير المومنين ((بن امير المومنين)) أيده الله بنصره، وامده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان والكافة باشبيلية[2]، ادام الله كرامتهم بتقواه، وعرّفهم عوارف حسناه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على ((محمد)) نبيه المصطفى ورسوله ؛ والحمد لله الذي ايد هذه الدعوة العلية ونصرها، واعزها واظهرها، ورفع مقامها واعلى مظهرها، ووهب لطائفتها المنصورة وصحابتها المبرورة من إنجاده واسعاده ما سهّل مراماتهم ويسّرها، ((وابهج نفوسهم وبشّرها))، وساوى[3] في تحقق نَجاز[4] وعوده وتيقن اتصال نصره العزيز على احسن معهوده مُضمرَها ومُظهَرَها، وكتب في اعلاء دينه وتمهيد امره ((وتمكينه)) أمدَها الممتدَّ وأثرَها، وجعل كلمتها الظاهرة ومَلَكتها الغالبة القاهرة فأسماها[5] وأظفرها، وأرى[6] الفئة المعاندة والأشابةَ النافرة عن[7] الله الشاردةَ من عزَماتها المظفّرة ومحاولاتها[8] الميسرة ما راعها وبهرها، واذلها وقهرها، وادّاها بعد الاباء والعناد الى الاذعان والانقياد وصيّرها ؛ والصلاةُ على محمد ((عبده و)) رسوله المبتعث وقد اظهرت الجهالةُ مُنكَرها، وعبدت الجهلة طاغوتها وصُوَرها، واتبعت في خبط عشوائها[9] وسَحِب فضول اهوائها عَمايتها المضلة وسَدَرها، فأزهق[10] الله بحقه باطلها واخمد شررها، واخذ على[11] النار ومزالق العثار بحُجَزِها[12] وبشّرها وانذرها، وعلى آله وصحبه الذين بوأتهم القرابة محلها وخوّلتهم الصحبة أثرها ؛ والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المظهر لشريعة جده عليه السلام[13] بعدما اخفاها الضلال

ملاحظة : ما هو داخل العلامة (( )) غير موجود في الرسالة رقم 20 من (م ر م) لبروفنصال ونرمز لهذه الرسالة الاخيرة بحرف (ب)، وما هو داخل العلامة [ ] ناقص في زوائد العطاء واضافي من (ب) وما هو داخل العلامة ( ) غير واضح كلا او بعضا في المخطوط، وتصحيحه من (ب).

(1) لم نعثر له بعد على ترجمة بهذا الاسم، مع ان بروفنصال ينسب هذه الرسالة الى ابي الحكم ابن المرخي، انظر تحليله للرسالة في هيسبريس 1941 تحت رقم 25 مكرر.

(2) في (ب) : بقرطبة.

(3) في المخطوط : (وساوي).

(4) في (ب) : انجاز.

(5) في (ب) : واسماها.

(6) في (ب) : وارأى.

(7) في (ب) : على امر الله.

(8) في (ب) : ومحاولتها.

(9) في (ب) : عشواها.

(10) في (ب) : فارهق.

(11) في (ب) : عن.

(12) في (ب) : بحجرها.

(13) الادعاء هنا رسميا بشرف نسب المهدي.

واضمرها، وأشعرها الباطل[14] من تبديله وتغييره ما أشعرها، فقام بأمر الله يصدع بنور((ه)) داجيَها ويجلو معتكَرها[15]، ويوضح سبلها الطامسة فيحيي داثرها ويميت مُدثَرها[16] حتى اعادها[17] على جادتها اللاحبة البينة وقررها ؛ وعن مظاهره ومؤازره وخليفته وصاحبه وناصره الامام امير المومنين الذي بث كلمته الهادية ونشرها، ورقّاها[18] في مراقي النماء ومدارج الاكتمال والانتهاء[19] مبينا اغراضها ومظهرا غُررها، ووصلها الى غايتها من الارتقاء والاعتلاء[20] فأوضح معالمها واطلع نيِّرها.

فان كتابنا اليكم — عرفكم الله من بشائر هذا الامر (العزيز) المتواردة وفتوحه المتناصرة المتعاضدة ما يملأ اسماعكم، ويعمُر بوافد المسرات ووارد المبهجات المبشرات ارجاءكم واسقاعكم، ويجعل في شكر نعمه والتحدث بآلائه الجمة وقِسمه تلاقيَكم واجتماعكم — من داخل قفصة[21] — مهدها الله — وقد فرج النصر العزيز مُبهَمها، وانار الفتح المبين مُظلِمها، واعادها [الله] الى مَلكة هذا الامر العظيم[22] ونظمها، وألهم اهلها رشدهم وهُداهم، وصرفهم عن غيهم الذي استهواهم بعد ان امتد في الضلالة مداهم، واتخذوا جهلا وعناد الاهم[23] هواهم، فتلافاهم برحمته وآواهم الى حَرم هذا الامر العزيز وعصمته، ومد عليهم رواق منّه وظلّ امنته، وانتاشهم وقد أشفوا على جُرف العطب وهوته.

وقد علمتم — اعلمكم الله رشادكم — ما كان من **المنتزي**[24] فيها من الايضاع[25] في الفتنة، والمروق من الطاعة والولوج في غيابات الارتداد[26] والمعصية، وانه استدعى من **ذؤبان الأعراب**[27] **وأوباش الأكراد** أشباهه في الضلالة، ونظراءه[28] في الغي (والجهالة)، فشن الغارات

---

(14) في (ب) : بالباطل.

(15) في (ب) : بنور... معتركها.

(16) في (ب) : ويحيى اثرها ويميت مدبرها.

(17) في (ب) : حتى اعادها الله.

(18) في (ب) : وارقاها.

(19) في (ب) : الاكمال والانهاء...

(20) في (ب) : والاعلاء.

(21) في (ب) : انظر عن قفصة الهامش رقم 6 في الرسالة السابقة.

(22) في (ب) : الامرالعزيز ونظمها.

(23) في (ب) : واتخذواجبلا وعنادا لالههم.

(24) المقصود من ذلك : علي ابن الرند الثائر بها وقد سمي بالناصر لدين النبي (المعجب 252).

(25) في (ب) : الايضاح.

(26) في (ب) : الارتياد.

(27) ذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم.

(28) في (ب) : شباهه في الضلالة ونظائره.

بهم ؛ وقطع السبل معهم، وتوصل الى السعي في الأرض بالفساد بسببهم، وتراكضوا[29]جميعا في ميدان العيث واستنوا[30] في حلبة الاعتداء، وأجروا مِلاء أعنّتهم بالخلاء[31]، وغرّهم ممتد الامهال/ والاملاء[32]، فـ(ـازد)ادوا إثما، وانهملوا[33] في استحلال المحارم جرأة على الله وبغيا، فتعيّن[34] حسم دائهم، ووجب (توجـ)ـيه النظر الى إطفاء نارهم. ع ز/8

وكنا — وفقكم الله — عند احتلالنا بافريقية — حاطها الله[35] — عرّفناكم بموجب هذه الحركة المباركة، وأنها لم يتقدمها قصد ولا أُعمِل فيها فكر، ولا مُهِّد لها تعويل عليها ولا عزم، وأن محرّكها القدر المسعِد، والباعث عليها لفور الأخذ فيها صنع الله المؤازر وعونه المنجد ؛ وأعلمناكم ببعض ما انطوى فيها[36] من الخيرات المتصلة والبركات التامة والارادات المتيسرة[37]، وما كان فيها من وصول أشياخ العرب وأعيانهم[38] واهطاعهم الى داعي هذا الامر وبِدارِهم ؛ وكان من قصدنا فيها وارادتنا بها النظر في أمر هذه المدَرَة وإزاحة علتها، وتطهير هذه الاسقاع[39] من درنها، اذ كانت شجىً في صدور اهلها وقذىً في عيون قُطّانها، لكونها أضحت مركزاً للمفسدين ومأوىً للمتلصّصين[40] المتمردين ؛ وكنا نتحقق أن الدواء الأنجع في دائها، والأمر الانفع في محاولتها، وصول جميع الموحدين — أعزهم الله — اليها ونزول جملتهم عليها، وكان مما خدع الفساق الذين كانوا بها وغرهم، واستقادهم الى التمادي على الاصرار واستجرهم، حصانة بلدهم وشهوق اسوارهم، ووعورة موالجهم وحرجُ مداخلهم، واحاطةُ الصحراء من كل ناحية بهم، وعدمُ الاقوات في البلاد المجاورة لهم، وتعذرُ جلْبها من المواضع النائية عنهم، وان كل عسكر ينازلهم من جميع هذه الجهات يستقلون بمقاومته وينهضون بمدافعته، وان العساكر الكبيرة[41] والجملِ العديدة لا يتهيأ لها المُقام عليهم، ولا يمكنها مطاولة حصارهم، لكثرة ما يُحتاج[42] اليه من الأقوات ونزارة ما يعمها في طريقها اليهم من المرافق والمياه ؛ وهيهات ان تحصّن من هذا الامر العزيز الشواهقُ، او يعصم منه

(29) في (ب) : وتراكضوا.

(30) في (ب) : واستبقوا.

(31) في (ب) : ...الاعتداء ملء اعينهم...

(32) ربما في هذا تلميح الى انشغال الخليفة بامور الاندلس والمغرب، على الاقل منذ ظهور الطاعون سنة 571.

(33) في (ب) : وانهمكوا.

(34) في الاصل : فيعين.

(35) في (ب) : حرسها الله.

(36) في (ب) : فيه.

(37) في (ب) : الميسرة.

(38) انظر الهامش 7 في الرسالة السابقة.

(39) في (ب) : الاصقاع.

(40) في (ب) : مركز المفسدين، المتلصصين.

(41) في (ب) : الكثيرة.

(42) في (ب) : ما تحتاج.

السوامقُ، او تمنع[43] من استيلائه الأسوار والخنادق، او تحول دون مرامِه ((المهامهُ)) الفِيَح والسمالقُ، فهو امر الله العزيز جانبه، المكبوتُ مناوئه ومُجانبُه، المأخوذ بيد[44] القهر والقسر مقاومُه ومغالبه.

فقدمنا بين ايدينا طلبة بجاية ـــ وفقهم الله ـــ مع من كان معهم من عساكر اهل التوحيد التي ببجاية وافريقية[45] ـــ وفرها الله ـــ تقدمة للإعذار، وأخذاً بالحجة والاستظهار، لينتبهوا من سنات الاغترار، ويثوبوا الى الارعواء والاستبصار، ويقرعوا بالبخوع والطاعة[46]، والرجوع الى الانتظام في سلك الجماعة، باب المتاب[47] والاستغفار، فتقبل توبتهم وتقابَل بالصفح الجميل اوبتهم، ((وتقال عثارهم وتغفر زلتهم)) ؛ فأبى لهم شيطانهم، وغلبت عليهم شِقوتهم، وتمادوا على بغيهم، واستمروا على ضلالهم القديم وغيهم، وكنا بعد انفصال الطلبة ـــ اعزهم الله ـــ عنا نهضنا بجملة الموحدين ـــ اعزهم الله[48] ـــ نؤم القيروان ـــ كلأها الله[49] ـــ ليكون طريقنا عليها ؛ (و) قبل وصولنا اليها، وافتنا كتب الطلبة المذكورين معرفين بان الاخسرين [أعمالا] اوقدوا للعصيان ناره، واستشعروا (اشـ)ـعاره، ورفعوا للدفاع اعلامه، واتخذوا له اوزاره، فاستخرنا الله تعالى في النهود اليهم[50]، وامضينا العزائم المؤيدة على الحلول بساحتهم والاطلال عليهم، ونهضنا بالموحدين ـــ اعزهم الله ـــ ودلائل النجح بادية، (و) مَخايل الفتح لائحة، وعلامات الظفر متضحة ظاهرة، ومعونة الله تعالى بتسهيل المطلب وإدناء المرام (كفيـ)ـلة ضامنة، ولم يَعدم الموحدون ـــ اعزهم الله[51] ـــ في طريقهم مرفِقا ولا لقُوا ـــ والحمد لله ـــ من سفرهم نَصَبا، وأخذوا على طرق بعُد العهد بسلوكها، واستبهمت على عَمَرة هذه الأسقاع[52] مناهجها وسبُلها، وألفوا بها من المرافق الواسعة والمياه المَعينة ما لم يحتسبه أحد، ولا خطر على بال ولا دار في خَلِد، وتيقن (اولوا) الألباب، وتحقق اهل الاعتبار ان هذا الامر مصنوع له ومؤيد عزمه، ومكتنَف بعون الله مراده/ ورَوْمُه، وان العناية[53] الالهية والمعونة (الربـ)ـانية تنجدان عزائمه وتيسران[54] اغراضه ومطالبه. ع ز/9

---

(43) في (ب) : او تمنع منه السوابق او تعصم.

(44) في (ب) : بين.

(45) في (ب) : من عساكر الموحدين الذين ببجاية وافريقية.

(46) في (ب) : بالنجوع بالطاعة.

(47) في (ب) : في تلك الجماعة باب المناب.

(48) في (ب) : اعانهم الله.

(49) في (ب) : انظر الهامش 13. للرسالة السابقة حول القيروان

(50) في (ب) : النهوض اليهم.

(51) في (ب) : وفقهم الله.

(52) في (ب) : واشتبهت الاصقاع.

(53) في (ب) : وان الغاية.

(54) في المخطوط : وييسّران، والتصحيح من (ب).

واستمر سير الموحدين — *اعانهم الله — على هذه الحالة*[55] *الموصوفة والصورة المجلوة، الى ان* وصلوا اليها واناخوا بفنائها ؛ فلأول اشرافهم علينا[56] ارتبك الأشقياء في مهاوي المعاطب[57]، وأبدوا صفحة المُناصب المُطالب[58]، وكشفوا عن ساق المُجاهر[59] المُحارب، ظانين ان هذا الامر العظيم تَعْـ(ـز)ه سامقات المعاقل[60] وطامحات المرا(قب)، ولو أُحصنت البواذخ واكنّت[61]، ودَفعت الشوامخُ عن المسند اليها وأجـ(ـنّـ)ـت[62]، لَمنعهم هذا الحصن الذي تُصاقبُ النجمَ هَضَبَاتُه، وتُزلّ العُصْمَ قُذفاتُه، وتتلَفّع بنسج الغمام[63] بروجُه وشرفاتُه، لكنّ أمر الله لا تُصَدّ[64] عزماته، ولاَ تقاوَم[65] بطشاته القاهرة وسَطَواته، واشتغل الموحدون بترتيب نزولهم، وهيأة مُروسهم[66] واضطراب محلاتهم بافنيتهم، فلما اصبحوا زحفوا اليهم[67]، ونصرُ الله يؤازرهم، وصنعه الكريم يظاهرهم، فنازلوهم اشد نزال، وصالوا عليهم اعظم مَصال، واروهم من هول المِصاع وصدق القتال ما قصّرهم عن الاسترسال، وصيّرهم بعد التبسط والإقدام الى الانقباض والانخزال، فانكمشوا في احجارهم، ولاذوا بقُننهم المنيفة واسوارهم، واجرَوا طَلْقَ شَدِّهِمْ[68] في مضمار انخداعهم بمعقلهم واغترارهم.

وكانت حول البلد غروس وبناءات وعّرت المسالك وضيقت المنافذ، وأشَّبت المداخل اليهم والمخارج، فاخذ الموحدون — وفقهم الله — في هدمها ونظروا في ازالتها، وجدّوا في تعفية رسومها، ونقلوا مضاربهم بحيث يسمعون سِرارهم، ويتعرفون مع اللحظات احوالهم، وأحدقوا بهم أتم إحداق ؛ وأحاطوا بمدينتهم إحاطة الاطواق بالأعناق ؛ وشدّوا عليهم أُنشوطة الحصار والعِناق[69]، وسدّوا دونهم خَصاص الأنقاب والانفاق، ولم يوجدوهم[70] مَنفَساً لانسراب ولا مَذهباً لإرتفاق، وأشْفوا

---

(55) في (ب) : في الحال.

(56) في (ب) : فأول إشرافهم عليها.

(57) في (ب) : المعاصب ؛ والمعاطب هي مواضع العطب والهلاك.

(58) في (ب) : المناصب المصالب

(59) في (ب) : المجاهد.

(60) في (ب) : الامر العزيز تعزه سامكات.

(61) في (ب) : وأجنّت.

(62) في (ب) : وأكنت.

(63) في (ب) : وتتلفح بنسج الغمائم.

(64) في (ب) : لا ترد.

(65) في الاصل : (ولا تقام)، والتصحيح من (ب).

(66) في (ب) : وتهيئة.

(67) في (ب) : رجعوا اليهم.

(68) في (ب) : شرهم.

(69) في (ب) : والخنادق.

(70) في (ب) : ولم يؤخذوهم.

بهم من ضنْك النَّكال وضيق المجال على شفىٰ[71] الأرماق، ونصبوا عليهم مجانيق بلغت في نِكايتهم المبالغ، وأحلَّت بهم القواضم والدوامغ، ونهكت اسوارهم، وهدّمت ديارهم وعفّت آثارَهم، وأصْلتهم بباغت[72] الحِمام، ووحِيِّ الموت الزؤام أمّهم الهاوية ونارَهم ؛ وهم مع ذلك لا تسعى بهم الى منجاتهم قَدم، ولا يهديهم الى استنزال الامان[73] وتطلّبِ العفو والغفران، نزوعٌ [74] عن العصيان ولا ندم، ولا زادهم ما نزل بهم من أمر الله إلا لَجاجا في تهوّرهم، وتتابعا على عَمَمهم[75] وتحيّرِهم، واستيطاء[76] لمركب الاستنامة الى قريتهم المحصنة وجُدرهم ؛ فرأينا — والمستعان الله — أن مقاتَلَتهم بآلات تعلو عليهم[77]، ويَتعجل معها مَرام أخذهم أصلحُ للموحدين[78]— أعزهم الله — وأصوَن لهم، وأوْفق لما نوثره من الشحّ بهم والاحتياط عليهم[79]، مع ما في ذلك لهذا الامر من فخامة التناول وعزة القهر وظهور القوة وإرهاب العدوّ ؛ وإن كنا نتحقق أنّ وعد الله لأمره العزيز ناجز، ونصره لحزبه المفلح لا يحجبه حاجب ولا يحجزه حاجز ؛ فالنظر في الاسباب لا يناقض هذا العقد المتمكّن ولا ينافي الثقة باطّراد فتحه لأوليائه على سَننه الألحَبِ[80] ونهجه البيّن، فأُخِذ في عمل ما يصلح لذلك[81] من الآلات والأشكال، وصُرف الى التهمم بها والعكوف عليها وجه القصد والاشتغال فتيسَّرت — والمحمود الله — في أقرب ما يمكن من الآماد والآجال، واتَّفق بيمن[82] هذا الامر السعيد وبركاته وبراهينه الواضحة وآياته أن جلب النصارى العود الموافق لذلك، ولم تجرِ عادتهم بجلبه، ولا سبق لهم في غير هذا العام الخروج الى سواحل افريقية به، وما تهيَّأ من توصيله الى هذه الصحراء مع عِظم أجرامه وتفاوتِ خشبه ؛ وذلك معدود من خوارق العادات، ومضاف الى ما سلف لهذا الامر السعيد[83] من مظاهرة الاقدار ومساعدة السعادات، صنعٌ من الله كريم ومنّ جسيم، (وعون)[84] منه سبحانه لا يبرح ولا (يريم)[85] ؛/ وكان من قصدنا في هذه المحاولات ان ع ز/14

(71) في (ب) : على شفر.

(72) في (ب) : بناعب.

(73) في (ب) : الايمان.

(74) في (ب) : تروع من...

(75) في (ب) : غممهم.

(76) في الاصل : استوطاء، والتصحيح من (ب).

(77) لعلها من نفس نموذج الابراج التي صنعها الفرنج لحصار مدينة عكا سنة 586، وطول كل برج خمس طبقات مملوءة بالمقاتلة والاسلحة، وخشب هذه الابراج جلب من جزر البحر (المتوسط) : ابن الاثير 9/ 205، وايضا العود الذي صنعت منه آلات حصار قفصة حمله النصارى الى افريقية كما سيأتي في هذه الرسالة.

(78) في (ب) : بالموحدين.

(79) يمكن ان نستنتج من هذا تلميحا للخسائر البشرية التي لحقت بالموحدين قبل استعمال الـ«آلات» القتالية.

(80) في (ب) : على سنته الانجب، والالحب : الواضح.

(81) في (ب) : ما يصلح ذلك.

(82) في (ب) : بين.

(83) في (ب) : الامر العزيز.

(84) في (ب) : جسيم يرعون منه.

يزدجروا (ويدّكروا)، ويراجعوا عقولهم العازبة[86] ويستبصروا، ويكفوا عمّاهم[87] عليه من الغواية (ويقصُروا)، فرانت الجهالة[88] على قلوبهم، واعمت الضلالة ابصارهم، واصمّت العِماية[89] آذانهم، فلم يَطُوروا بجانب[90] التوبة، ولا يسرّوا للفَيئة الى امر الله والأوبَة ؛ والموحدون في خلال ذلك تتحرك حفائظهم لغزوهم، وتتلمظ شفارهم[91] لإبادتهم ومحوهم ؛ وعندما قرب كمال الآلات وتمامها[92]، ودنا اتساقها على الغرض المقصود منها وانتظامها، وكاد يُحرِق جوانحَ الغزاة — اعانهم الله — احتدامها لإبادتهم واضطرامها[93]، رأينا ان نكرر الإعذار اليهم، ونزيد تمكينا وتوكيدا قيامَ الحجة عليهم، فارسلنا اليهم اشياخا من الموحدين والطلبة والعرب — وفق الله جميعهم — فعرّفوهم انا نرفع عنهم[94] السيف ان تابوا، ونبذل لهم الامان[95] ان رجعوا الى الامر العزيز وانابوا، فعتوا واستكبروا واشِروا وبَطِروا، وجحدوا نعمة الله عليهم في هذه المنة العظمى وكفروا، وفُتحت لهم ابواب الرحمة فنكصوا عن دخولها وقهقروا ؛ فعرف الموحدون — وفقهم الله — بانهم[96] عمُوا عن النِّذارة وصمّوا، وتردّوا برداء جهالتهم واعتمّوا، واستمروا على عنادهم واتمّوا، فازدادت حفائظهم التظاءاً، ونياتهم خلوصا في جهادهم وصفاءً، وعزائمهم تصميما على غزوهم ومضاءًا، فأذنّا لهم في مناجزتهم وحضضناهم على الجد في نزالهم واغتنام الأجور العظيمة في قراعهم، فنصبوا لهم الحرب مستعينين بالله متوكلين عليه، راجين جسيم[97] ثوابه منتجزين كريم وعده في من حادّ امرَه[98] وعَنَد عن سبيله، واباح محارمه «واتخذ الهه هواه»[99]، فشاهدوا من جدهم وشدهم ما زلزل اقدامهم، واذهب جرأتهم وإقدامهم، وأظهر نكوصهم وإحجامهم، واكذب املهم في الاحتماء ومرامَهم.

---

(85) في (ب) : كلمة مأروضة في الاصل، والتصحيح من (ب)،، بعد هذا نجد خلطا في ترتيب اوراق المخطوط فتكون تكملة الرسالة على الصفحة 14 وما بعدها في زوائد المخطوط، وهذا ما تؤكده رسالة بروفنصال، انظر خصوصيات الرسالتين في الفصل الثاني.

(86) في (ب) : العارية.

(87) في (ب) : اعماءهم.

(88) في (ب) : ويقصروا ممن لقت الجهالة...

(89) في (ب) : الغواية.

(90) في (ب) : بجناب.

(91) في (ب) : وتتملط شفارهم.

(92) في (ب) : قرب كمل... وتوضح الرسالة السابقة هذه الآلات.

(93) في (ب) : احتداما... واضطراما.

(94) في (ب) : عليهم.

(95) في (ب) : الامن.

(96) في (ب) : اعزهم الله انهم.

(97) في (ب) : جزيل ثوابه.

(98) في (ب) : حاد عن امره.

(99) في (ب) : من الآية 22 من سورة الجاثية.

وتمادى الشغل في الآلات المباركة إلى أن تمت على المراد ((منها)) وتهيأت حسب القصد بها، ثم استخير الله تعالى[100] في ادنائها إليهم وتقريبها منهم، فقدِّمت ــ ونصرُ الله يَقدُمها، وتأييده يكنُفها، وعونه يمهّد ويطرِّق لها ــ فانتهت إلى حفيرهم، واستعلت على اسوارهم، وتضاءلت لها مُنيفات جُذُرهم، وصَبّت عليهم سوط عذاب، ورمتهم بالصيْلم الصمّاء والداهية [النآد]، ومناهم الله بما[101] لا قبل لهم به، ولا استطاعة على مقاومته ودفعه ؛ واستمرت الحال في التوطئة ((لها)) وردم الخندق ((امامها)) أياما[102]، والحرب تكلُمهم، والحيْن يُبرزهم إلى مصارعهم ويقدُمهم، وكانوا قد بالغوا في تأشيب الخندق وتحصينه، بمجاوزة الحدّ في توعيره[103](وتوسيعه)[104]، فاشتغل الموحدون اعزّهم الله ــ بتسويته وردمه[105]، وناوشتهم القتال طائفة منهم لم يتوفّر (106) استعدادها، ولا تكثرت بسبب اشتغال ((سائر الموحدين)) بالخندق أعدادها، فأهب الله ريح النصر لأنصار الحق وحُماته، واوليائه الذّابّين عن حُرماته، المجاهدين لإعزاز أمره وإعلاء كلماته، فاقتحموا الستارة (عليهم)، ودخلوها عنوة على صدورهم، وهدموا برجا من ابراجها ومسافة ممتدة منها، وقتلوا عندها جماعة من جلدانهم[107]، وجملة من نُخب[108] شجعانهم وأشدائهم، وعضّتهم الحروب[109] هناك بأنيابها، ومَدَّت الحتوف اليهم[110] بأسبابها، ودخلت المنايا عليهم من جميع أبوابها وأنقابها، فأدهشهم ما عاينوه[111] من ذلك وهالهم، وأوهن كيدهم واضعف محالهم، وأضاق عن المصابرة ذرعهم وتقصّر فيها مجالهم ؛ وتيقنوا أن لا وَزَر من امر الله ولا منجَى لهم[112]، وعلموا أنهم ان تأخروا فُواق ناقة أو استأنوا ارتداد لحظة دارت (بهم) الدائرة[113] ونزلت عليهم القاصمة الفاقرة ؛ ودخل الموحدون المدينة عليهم، واستباحوهم من (فورهم)، فألقوا يد الخضوع (والقياد)، وألظّوا بالاستغفار والمتاب، وبادروا بإرسال أشياخهم/ وأعيانهم وأهل الحل والعقد منهم باخعين[114] ع ز/15

---

(100) في (ب) : الله سبحانه في ...

(101) في (ب) : والداهية الناد، ورماهم الله منها بما...

(102) في (ب) : الخندق لها اياما.

(103) في (ب) : بالغوا في ترريس... ومجاوزة الحد...

(104) في (ب) : كلمة مأروضة في الاصل والتصحيح من (ب).

(105) في (ب) : الموحدون اعانهم الله في تسويته وردمه.

(106) في (ب) : لم يتوفوا.

(107) في (ب) : من جلدائهم.

(108) في (ب) : من نجب.

(109) في (ب) : الحرب.

(110) في (ب) : عليهم.

(111) في (ب) : عاينوا.

(112) في (ب) : لاوزر لهم من امر الله ولا منجأ لهم.

(113) في (ب) : ان تأخروا فراق... واستانوا... دارت بينهم الدائرة.

(114) في (ب) : منهم اجمعين بالطاعة.

بالطاعة، مستقيلين من العثرة، مستصفحين عن سالف الجريرة والزلة، راغبين في قَبول الانابة والتوبة، مادين لطلب الامان ايديَ الاستخذاء[115] والضراعة مستنزلين من فضل هذا الأمر ما لم يزل يعهد من العفو بعد الغلب ((والقدرة))، فقبل متابهم، ووُصلت بسبب التجاوز أسبابهم، وكان إلى حميد العاقبة وسعيد الخاتمة مآلهم ومآبهم، وبذل لهم من التأمين ما رجوه، وبلّغوا من الصفح الجميل ما امّلوه وبغَوه، وان كانت سوابق ذنوبهم وسوالف جُرْمهم وحَوبهم تقتضي رد رغباتهم، وأيباقهم بما اكتسبوا من سيئاتهم[116]، لكن رحمةُ الله وسعتهم، ومغفرته تغمدتهم، وسابقة الحسنى هدتهم إلى التوبة ويسّرتهم، والمنة المعلومة لهذا الأمر[117] عمتهم وشملتهم، فأضحوا[118] للنعمة مستشعرين، وبما وُهبوه من السلامة في الأنفس والأهْلين مستبشرين، ولله تعالى على ما تداركهم به من إعلاق أيمانهم[119] بحبل القبول وسببه حامدين وشاكرين[120] ؛ وخرج زعيمهم عن البلد صاغرا، وسارع إلى امتثال الأمر ضارعا داحرا[121]، جَذِلا بما مُنح من الإبقاء عليه في نفسه وأهله، معترفا بالنعمة في التجاوز عن سالف ذنبه وقبيح فعله[122]، واستولى الموحدون ــ أعزّهم الله «تعالى» على المدينة أتم استيلاء، واجراهم الله[123] في اظهار رايتهم وإحراز امرهم من النصر وغايتهم على متعارف الإسماء والإعلاء، سُنّةً منه سبحانه لا يُنسخ حكمُها[124]، ولا يتبدل رسمها، ولا يعدل عن سَمْته السديد[125] وأثره الحميد قصدُها وأَمُّها ؛ فله الحمد سبحانه على ما أولاه، والشكر على ما يسره من إعزاز امره وسنّاه.

وكان المنتزي فيها[126] قد استهوى جماعة من طَغام[127] الفتنة واستغوى حُثالة من اراذل[128] العامة قهر بهم سواهم، واستولى بهم على غيرهم، وتسبب الى استمالة نفوسهم، وتوسل الى استخلاص نياتهم بإباحة المحرمات لهم، ورفع الحدود فيها عنهم، يرتكبون من الكبائر ما شاؤوا، ويسترسلون

---

(115) الاستخذاء : الانقياد، وفي (ب) : الاستحذاء.

(116) في (ب) : وحربهم تقتضي... وايثامهم مما اكتسبوا،

(117) في (ب) : لهذا الامر العزيز.

(118) في (ب) : فاصبحوا.

(119) في (ب) : من اغلاق إيمانهم.

(120) في (ب) : حامدين شاكرين.

(121) في (ب) : داخرا.

(122) في هذا تأكيد على ان الامان لم يشمل الاموال، وهذا يتفق مع الرسالة السابقة، راجع الهامش 20 على الرسالة السابقة (رقم 30) عن الثائر.

(123) في (ب) : الله تعالى في اظهار...

(124) في (ب) : لا ينتسخ.

(125) في (ب) : الشديد.

(126) في (ب) : بها.

(127) في (ب) : عظام.

(128) في (ب) : من ارذال.

من الجرائم والمآثم فيما استهووا[129] واحبوا، ولا وازع يزعهم، ولا مانع يمنعهم، ولا قادع يَقدعهم ويزجُرهم[130]، فتسرب اليه لأجل ذلك دعّار اللصوص وأبّاق العبيد[131] واخابث اهل الحِرابة، والشرور، وجاؤوه[132] من كل اوب، واتوه من كل فج، ونسلوا اليه[133] من كل حدب، فاتخذهم جنده وصيرهم بطانته، ووافق شنٌّ[134] منهم طبقَهُ، فأمِر بهم أمرُه واشتدت شوكته، وثقُلت بسببهم على أهل البلد وطأتُه، وملأت نفوسَهم ذعرا وفَرَقا هيبتُه وسطوته ؛ فلم يتمكنوا من نظرٍ فيما ينجيهم، ولا توصّلوا إلى إراغة أمرٍ يقرّبهم من هذا الأمر ويُدنيهم، لإذكائه العيون عليهم (وأخذِه) الثنايا دونهم وبثه الأرصاد فيهم، وبحثه[135] عن أخبارهم وإصاخته لأنبائهم، فمن عُثر منه على ما يريبه أو سمع عنه ما ينكره أحلّ بهِ عقابه، وأنهَب أوباشَه مالَه، ونوّع عقوبته لهم بحسب أحوالهم وعلى[136] قدر مراتبهم : فقتيل أو طريد أو حبيس، وتجاوز ذلك إلى أخذ الولي بوليّه، وقتل الحميم بحميمه، وتعدّى[137] معاقبة الرجال، إلى التنكيل بربّات الحجال، فتحامى الناس شرّه وصدّهم عن كل محاولة خوفُه، واستر(ا)ب الابن بابيه، ولم يثق[138] الاخ إلى اخيه ؛ ولما تقرر ذلك عندنا وتُحقق لدينا أمّنّاهم امانا عمّهم فضله، وكنفَهم كهفُه، وغمرهم إحسانُه، وأواهم ركنُه[139]، فأحرزوا السلامة في أنفسهم وأهليهم، واستقرت الدعة والامنة في عِراصهم ومغانيهم.

وكان الموحدون ــ اعانهم الله ــ طول مُقامهم عليها ومدة[140] حصرهم لها تترادف الأرفاق عليهم، وتنساق[141] الأرزاق اليهم، وتعتمدهم الخيرات من كل جهة، وتجلب اليهم من كل ناحية، على **ما كان بافريقية في هذا العام من قلة إصابتها وخلو مخازنها**[142]، فوضع الله البركة فيما سيق ع ز/16 لهم وأُتي (به) اليهم[143] فعمّهم الخير، وشمِلهم/ الرفق واليسر، عونٌ من الله سبحانه بهم وإنجاد

(129) في (ب) : فيما اشتهوا واحبوا.

(130) كذا بالاصل وفي (ب) : (...يزجرهم ويقعدهم)، ولعل هذا اصوب حيث يتناسب مع السجع.

(131) في الاصل : (فتسرب اليهم) والتصويب من (ب)، وفي (ب) ايضا : فتسرب اليه من اجل ذلك ذعار...

(132) في الاصل : وجاءوا، والتصحيح من (ب).

(133) في (ب) : وتسلوا.

(134) في (ب) : نثير.

(135) في (ب) : على.

(136) في (ب) : احوالهم على قدر...

(137) في الاصل : وتعدي.

(138) في (ب) : واسترب...ولم يثن.

(139) في (ب) : وكنه.

(140) في (ب) : ومد.

(141) في (ب) : وتساق.

(142) كيف يمكن التوفيق بين هذا التناقض بين قلة الاصابة وفراغ المخازن من جهة، وتنعُّم الموحدين بالخيرات التي تصلهم وهم على حصار قفصة ؟ وهل لهذه الحالة علاقة بقضية المركب البيز[illegible] الذي استولى عليه حاكم طرابلس وكان حاملا للقمح من صقلية حسب الرسالة رقم 32 ؟

(143) في (ب) : اليهم واتي به نحوهم.

على تتميم مرادهم[144]، وحفظ لعوائده الكريمة عندهم.

وهذا القطر[145] — اكرمكم الله — قديم الاشتهار، معترف بشرفه على هذه البلاد والاقطار، معروف فضله وشفوفه على سالف الازمان والاعصار، وله من المزايا والمحاسن ما يُرْبي خُبْره على الإخبار، ينبعث من داخله الماء المَعين، وتحيط بخارجه الضِّياع المِغلة والبساتين، ويروق النواظر[146] مرآه المعجب، ولا يستغرق الوصف مفاخره ولا يستوعب، ووضعه من الانتهاء في الحصانة، والتجاوز في المَنعة والوَثاقة، بحيث لا يُصحِب مصعبُه، ولا يتمهد الا لهذا الامر العظيم[147] مركبُه، وهو روح هذا الاقليم ومعناه، وقطبه الذي تدور عليه رحاه[148]، وكان شذّاذ العرب وشُرّادهم يلوذون بذَراه[149]، ويسندون فيما يريغونه من عنادهم ويحاولونه من اضرارهم وافسادهم الى جنابه ويأرِزون (الى حماه)[150] وقد قمع الله بأخذه كل متطلع الى الفتنة وفلّ شباه، وكان الاشتغال به قد صَرف النظرَ اليه، ووقف المحاولة عليه ؛ وقد تفرغ بفضل الله النظر في مصالح هذه الارجاء، وخلا التقويم لإماطة ما ظهر فيها من نواشي الاعتداء، وانصرف التسديد لطحر الشوائب عن مشارب اهلها والأقذاء، وبالله نستعين في ما نحاوله من اقامة الحق وتمكين الدين، وافاضة المعدِلة ونشر الخير، وتسكين الدهماء واصلاح الخلل، وهو المنجد المعين، لارب غيره.

وكنا — وفقكم الله — اعلمناكم ان العرب — اصلحهم الله — يرجى لهم ان يتلافوا زللهم، ويستدركوا خطلهم، بغزو في جزيرة الاندلس — حاطها الله — يكفّر الله ((بها)) خطاياهم ويصلح عملهم ؛ والنظر في ذلك متوال، والاخذ فيه متصل[151]، وعون الله عليه مرتقَب، ووعده الكريم منتجَز، وهو — جلّت قدرته — متمّمٌ امرَه ومنجزٌ وعدَه، وهو المستعان، لارب سواه[152].

وظهر من نتائج هذه الحركة السعيدة وآثارها الحميدة، ان الله تدارك بها هذه الجهات بعد ان أشْفت على تلافها، وقَبضت عروقُ النفاق في اوساطها واطرافها، واومضت بوارق الفتنة من

(144) في (ب) : ..سبحانه لهم وايجاد على تتميم مرادهم.

(145) في (ب) : القصر.

(146) في (ب) : الناظر.

(147) في (ب) : الامر العزيز.

(148) في (ب) : راجع الهامش رقم 6 في الرسالة السابقة حول اهمية قفصة.

(149) في (ب) : وكان اباق... يلوذون بدراه.

(150) في (ب) : ويسندون فيما يزيغونه... وافسادهم الى منيع حماه، وقد قمع...

(151) يبدو ان هؤلاء العرب هم عرب رياح كما يتضح من الرسالة رقم 20 (م ر م) التي تتحدث عن اجتماع الخليفة برؤسائهم واستنفارهم للجهاد فتحركوا نحو الغرب على طريقي الساحل والداخل وان سليم بجهات طرابلس هي التي بقيت معها المحاولة للطاعة والاستنفار.

(152) تتحدث المصادر عن تزايد ضغط النصارى على الاندلس في اواسط السبعينات فكان هذا — الى جانب قضية قفصة — مما دفع الخليفة الى الحركة الى افريقية، فعاد منها بجيش عظيم من العرب وفيهم الشيخ ابو سرحان مسعود الرياحي على رأس قبيلته وقد كان خارجا عن سلطة الموحدين. انظر الرسالة رقم 26 (م ر م) والبيان 113 والقرطاس 212.

جميع[153] ارجائها وأكنافها، وكانت احوالها تنقل الينا ((على)) غير صورها، وتحكى على غير حقائقها، وتهوّن من امر هذه المدَرَة ما ليس بهيّن، وتضعِف من حال غويّها[154] ما ليس بضعيف، فكذّب الخُبْرُ الخبرَ، وشهدت المشاهَدةُ بتحريف النقل، وأبانت[155] الحقيقة ان هذه المدينة من الحصانة والامتناع، والسموق والارتفاع، بحيث لا تُنال في المُدد القصيرة[156]، ولا يُتسنى مَرامُها الا بالمحاولة الصعبة والمطاولة المديدة[157] وأن تيسرها[158] على الوجه المذكور، [والمعنى المروي المأثور]، في هذا الامد القريب لمن بركات هذا الامر (المعهودة)[159] وسعوده المطردة وعوائد الله ((له)) الجميلة ؛ فاشكروا الله تعالى على هذه النعم الجمة[160] والآلاء المتتابعة، وعَضّوا بالنواجذ [على] التمسك بغرره[161]، ((واستديموا)) الدعة بركوب سفينته، وتملأوا النعمة بالإيواء الى ركنه، وتيقنوا انه امره الذي تكفّل بعَضْده، وأبى الا إتمام نوره وإعلاء حزبه، وانشروا هذه الفتوح المبِينة[162] والبشائر المبهجة وبُثّوها في أملائكم، وتحدثوا بها في نواديكم، وخاطِبوا بشرحها جميع جهاتِكم، وأذيعوها في كافة أرجائكم،[163]، (...) يشترك جميعكم في المسرة ((بها))، ويتساهم كلكم في شكر الله عليها، ويتجدّد الاخلاص لكافتكم بهذا المسموع ((السارّ منها، وهو تعالى جدّه يتابع عليكم نعمه، ويوالي قِبلكم مِنحه ومِننه، بجوده وكرمه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب عقب رجب الفرد سنة ست وسبعين وخمس مائة)).

---

(153) في (ب) : في جميع.

(154) في (ب) : ويَهون من امر... ويضاعف من حال.

(155) في (ب) : واتانة.

(156) في (ب) · المدة القصيرة.

(157) في (ب) : ولا يتمشّى مرامها الا بمحاولة الصعبة.

(158) في (ب) : وان تيسيرها.

(159) في (ب) : هذا الامر العجيب.

(160) في (ب) : هذه العطايا الجمة.

(161) في (ب) : كلمة (على) غير واضحة في الاصل، والتصحيح من (ب)، وفي (ب) : التمسك بعروة.

(162) في (ب) : الفتوح البينة.

(163) في (ب) : واذيعوها في اكنافكم وارجائكم.

الرسالتان رقم 32 ورقم 33 :

رسالتان من حكومة بيشة (بيزا)
إلى أمير المومنين يوسف بن عبد المومن
للتذكير باحترام العهود بين الطرفين

تقديم :

ابتداءا من الان تأتي رسائل المستشرق الايطالي أماري ميشيل التي تهم موضوع البحث، مرتبة ترتيبا زمنيا مع بقية رسائل المصادر الاخرى[1]، وسيرد في هوامشها تعبير «الاصل المعتمد»[2] والمقصود به مجموعة رسائل اماري مادمنا لم نتمكن من الاطلاع على الاصول الأولى، ومن الرسائل التي تهمنا الآن من هذا المجموع الرسالتان رقم 2 ورقم 3.

فالاولى منهما (اي رقم 2 عند اماري) مؤرخة ب 23 ابريل 1181[3] وتحمل شكوى الى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المومن من اعتداء والي طرابلس على سفينة بيشانية محملة بالقمح الصقلي حيث انتهبت السفينة وسُجِن تجارها، والمطلوب هو احترام «العهد» الذي يؤمّن البيشانيين في الانفس والاموال ولا يفرض عليهم غير اداء العشر «المعتاد» أخذه منهم.

والرسالة الثانية منهما (رقم 3 عند أماري) مؤرخة بفاتح يوليوز 1182[4] وتحمل ايضا شكوى الى الخليفة يوسف من تجاوز المشرف المالي ببجاية حدود «العهد» المكتوب المجدد بين الطرفين، وتذكّر بما يتضمنه هذا العهد من التأمين للبيشانيين في الانفس والاموال برّا وبحرا، وبعدم مطالبتهم بغير العشر، وهذان نصا الرسالتين على التوالي :

---

(1) Amari Michel = Diplomi Arabi Dell Archivio Fiorntino 1863 T.1.

(2) يمكن ان نعوض احيانا عبارة «الاصل المعتمد» بالرمز (ام).

(3) حسبما في الترجمة الايطالية للرسالة، وهذا يقابل بالهجري تاريخ 6 من ذي الحجة 576 (T.C).

(4) هذا حسب ما في النص العربي وهو يقابل 26 صفر 578 هـ، غير ان الترجمة الايطالية تحمل تاريخ 1181م (Diplomi p 13).

ملاحظة : هاتان الرسالتان ادمجتا ضمن المجموعة بكيفية استثنائية حيث انهما غير صادرتين عن السلطة الموحدية، وكذلك الرسالتان 38 و 39 والهدف من هذا الادماج اضافة بعض التوضيحات للعلاقات مع بيشة والايوبيين.

ملاحظة : في جميع رسائل اماري كتبت الألف المقصورة منقوطة كالياء فكان لابدّ من تصحيح ذلك هنا.

الرسالة الثانية والثلاثون :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده[5].

الى امير المومنين ايد الله امره واعز نصره، معظمون مقامه، وملتزمون اعطايه(*) أبْلْدُه[6] أُركُ بشه(*)وصاحب كرسقة(*) وسردانية وقناسلتها(*) وقمامستها وشيوخها واهل الحل والعقد فيها، سلام كريم حفيل على الحضرة المعظمة ورحمة(*) الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فالحمد لله على العلم والايمان له انه الحكيم العليم، الأول القديم، الذي لا تدركـ(ـه)[7] الابصار، ولا تحيط به الاقدار، ولا تقف على كنه عظمته[8] الاخطار، الموجود بكل مكان، الخارج عن كل زمان، كان بلا ابتداء، الدائم بلا فناء، نحمده جل وتعالى، ونسأله بعزته وعظمة قدرته[9] ان يديم العزة الى امير المومنين موفور الجملة، متواصل النعمة، منصور الرايات[10]، منجح الطلبات، ملأ الله ايامه سعدا ونجحا، واوسع[11] جنده نصرا وفتحا بمنه وطوله، وحوله وقوته.

كتابنا اليكم[12] — ايدكم الله ونصركم — من مدينة بيشة[13] حرسها الله ؛ ان مركبا[14] من تجارنا، واهل قطرنا وانظارنا، اوسق[15] بالقمح من جزيرة سقلية[16]، واقلعوا يريدون[17] مدينة اطرابلس — [18] — حماها الله — فاسقطهم الريح في احوازها، وكان الماء قد عجزهم، فنزلوا الى البر ليستقوا، فلم يتركهم اهل الموضع الا حتى باعوا[19] منهم من القمح قليلا، فلما كان في أثر هذا وصل من مدينة اطرابلس غراب معمّر[20] من عند واليها ومقدمها، وقبض على القوم وأنهبهم،

---

(5) هذه العبارة (والحمد لله حق حمده) اتخذها ايضا غليام ملك صقيلية علامة في رسائله (ابن جبير 226).

(*) كذا في الأصل المعتمد (ا.م).

(6) يسمى في الرسالة اللاحقة : ابلده مطران بيشة.

(7) في الاصل المعتمد : (لا تدرك)، وفي الرسالة اللاحقة : (لاتدركه).

(8) في (ام) : (ولا تقيف على كنة عظامته) قارن نفس العبارة في الرسالةاللاحقة.

(9) في الاصل المعتمد : (ونسألوا بعزته وعظامة..) قارن مع نفس التعبير في الرسالة اللاحقة.

(10) في (ام) :الريات.

(11) في (ام) : وواسع. قارن مع نفس الكلمة في الرسالة اللاحقة.

(12) في (ام) : (كتابون اليكم).

(13) بيشة : انظر عنها ابن سعيد في «بسط الارض» ص 102.

(14) في (ام) : انا مركب.

(15) في (ام) : اوسقا.

(16) عن صقيلية : انظر ابن سعيد في بسط الأرض (101 — 102).

(17) في (ام) : يردون.

(18) كذا في الاصل المعتمد وعن طرابلس انظر الاستبصار (110 — 111) والروض المعطار ص 389.

(19) في (ام) : (بعوا) وصححها الماري : بيعوا (ص 397).

(20) في (ام) : غرابا معمرا.

وقبض على الذي وجد في المركب من التجار، ونجا بعض منهم في العشاري وقذّفوا حتى وصلوا الى اطرابلس وهم (...)[21] بصاحبها فقبض على جميعهم وأنهب[22] جميع ما وجد عندهم من قمح ومال، وهم في سجنه وتحت[22 م] أسره حتى الآن.

فرغبتنا جميعنا الى فضل سيدنا امير المومنين ـــ ايده الله ـــ لينفذ امره العلي بتسريحهم بجملتهم وجميع مالهم، ويسرّحوا[23] على التي هي احسن[24] الى اوطانهم، اذ هم وسواهم مِن مَن[25] شملهم هذا الامر الملتزم، والعهد النافذ المحكم، مؤمَّنين في انفسهم[26] واموالهم في جميع بلاد الموحدين لا نائبة تنوبهم، ولا ضريبة[27] تلزمهم سوى العشر المعتاد اخذه منهم، والله بعزته يجعلنا ممن وفّى[28] بعهده، وحافظ[29] على عقده، بمنه وفضله، والسلام الاعظم الاكرم على الحضرة العليا ورحمة(*) الله تعالى[30].

أمير المومنين ابو يعقوب يوسف
بن امير المومنين ايد الله امرهم واعز نصرهم

---

(21) في (ام) : منتسوين، ولعل الاصح مستأنسين.
(22) في (ام) : وانهـ...
(22 م) في (ام) : وتحتي.
(23) في (ام) : ويصرحوا.
(24) في (ام) : التي هيا.
(25) كذا في (ام).
(26) في (ام) : انفوسهم، والاشارة هنا واضحة الى اتفاق سابق مع الموحدين.
(27) في (ام) : لا نائبة تنوبهم، ولا ضريبة (بدون نقط على الكلمات الثلاثة).
(28) في الاصل م : يجعلنا ممن وفيا.
(29) في (ام) وحافض.
(30) اورد اماري في آخر الترجمة الايطالية للرسالة تاريخ 22 ابريل 1181، وهذا يوافق 6 من ذي الحجة 576 (T.C).

الرسالة الثالثة والثلاثون :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده[1]، الى امير المومنين امام الموحدين ابي يعقوب يوسف بن امير المومنين، ايد الله امرهم واعز نصرهم، معظمون مقامه وملتزمون اعطايه[2] أُبْلُذْ مطران بيشة[3] وكرسقة وسردانية وقناسلتها وقمامستها واهل العقد والحل فيها، سلام كريم حفيل على الحضرة المكرمة ورحمت[4] الله تعالى وبركاته،

وبعد حمد الله على العلم والايمان به انه الحكيم العليم، الاول القديم، الذي لا تدركه الابصار، ولا تحيط به الاقدار، ولاتقف على كنه عظمته[5] الاخطار، الموجود بكل مكان، الخارج عن كل زمان، كان بلا ابتداء، الدائم بلا فناء، نحمده جل وتعالى ونسأله بعزته وعظمة[6] قدرته ان يديم العزة الى امير المومنين موفور الجملة، متواصل النعمة، منصور الرايات[7] منجح الطلبات ؛ ملأ الله ايامه سعدا ونجحا، واوسع جنده نصرا وفتحا، بمنه وطَوله، وحوله وقوته،

كتابنا[8] الى الحضرة المؤيدة — ادام الله عزها واعز نصرها — من مدينة بيشة حرسها الله، ونحن واقفون على التزام رسوم العهد المكرم وحدوده[9]، والجري على مراسمه المتعارفة في إطلاقه وتقيده[10]، ومثل ذلك عهدنا عن الامر العزيز في هذه المدة السالفة عهد شديد الاحوال، بعيد فيما علمنا عن الوهن والاختلال، حافظ[11] عهدته لما يحفظه العهد المؤكد من النفوس والاموال، والآن وصلنا — ايد الله أمركم واعز نصركم — على ألسنة تجارنا الواردين[12] من بجاية — عمرها الله — ان ابا عمرو بن علي بن حسون متولي إشرافنا[13] فيها انهى اليهم، وانفذ امره اليهم ان لا يبيعوا ولا يشتروا[14] من امتعتهم وانواع سلعهم التي كانت عادتهم شراءه، والتصرف به الا ان

---

(1) انظر الهامش 5 على الرسالة السابقة.

(2) كذا في الأصل المعتمد (ام) قارن مع الرسالة السابقة.

(3) قارن مع الرسالة السابقة.

(4) كذا في (ام).

(5) في (ام) : لا تقيف على كنة عظمته.

(6) في (ام) : ونسالوه بعزته وعظامة.

(7) في (ام) : الريات.

(8) في (ام) : كتابون.

(9) اشارة واضحة للسلام والتجارة بين بيشة والموحدين.

(10) في (ام) : ويفيده. وصححها اماري هكذا : (وتنفيذه) ص 397، ولعل الاصح ما اثبتناه.

(11) كذا، والصواب : عهدا... بعيدا... حافظا.

(12) في (ام) : الوردين.

(13) عن مصطلح الإشراف انظر الفقرة الثالثة من الفصل الخامس.

(14) في (ام) : ان لا يبعون ولا يشترون. وصححها اماري في ص 397 : ان لا يبيعون..

يجلب كل واحد منهم ممن تبلغ بضاعته خمسمائة دينار درعا كبيرا[15] جيدا وهذا امر ليس يقتضيه[16] العهد المحكم، ولا الامر النافذ الملتزم الذي لا نقض لعهده ولا حل لعقده، فهو[17] عندنا وعندهم عهد ملتزم مؤكد، ورسم مكتوب مبرم مجدد بالامن والامان، لا نائبة تنوبهم ولا ضريبة تلتزمهم سوى العشر المعتاد اخذه منهم[18].

فرغبنا الى الحضرة المكرمة ـــ ايد الله نصرها ـــ ان ينفذ امرها العالي الى العمال[19] والمتصرفين في انظارها ان يحملوا تجارنا ومسافرينا على ماجرت[20] به عادتهم في ما تقدم من الاقبال والايراد، ولا يطلبون[21] منهم خلاف ما عاينوه من المألوف[22] منه والمعتاد، ولا يهوبهم[23] فزعا، ولا يندهونهم باذاية برّا وبحرا ؛ والله بعزته يبقي ما بيننا على ما يرضاه موصولا، ولا يجعل للغير عليه سبيلا، بمنه ويمنه وحوله وقوته، وسلام الله الاعم الأكرم على حضرة سيدنا الاعظم ورحمة الله تعالى وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وكتب في اول شهر يوليوه سنة الف و مائة واثني[24] وثمانين لالتحام المسيح السيد[25].

(أ)مير المومنين وامام الموحدين
(أ)يد الله امره واعز نصره.

---

(15) في (ام) : عادتهم شرايه والتصروف... يجلبون كل واحدا... تبلوغ.. ديناراً درعا كبرا جيدا.

(16) في (ام) : ليس يقتضه.

(17) في (ام) : فهوا.

(18) التاكيد هنا على تجديد اتفاق سابق مكتوب، راجع في الفصل الثاني العلاقات مع الايطاليين.

(19) عن هذا المصطلح راجع الفقرة الثالثة من الفصل الخامس.

(20) في (ام) : جرات.

(21) كذا في (ام) : ولعل الأصح : ولا يطلبوا.

(22) في (ام) : الملوف.

(23) كذا في (ام).

(24) كذا في (ام)، راجع الهامش 4 على التقديم للرسالة حول تاريخها.

(25) في (ام) : السايد.

الرسالة الرابعة والثلاثون :

رسالة السيد محمد بن الخليفة يوسف من ظاهر يابرة إلى أهل مرسية بشرق الأندلس[1]

تقديم :

عندما عاد الخليفة يوسف من الاندلس الى مراكش سنة 571 كان قد عقد هدنة مع كل من ملكي البرتغال وقشتالة[2]، الا ان انشغاله بامور المغرب وخاصة افريقية[3] شجعهما على نقض هذه الهدنة : فاحتل القشتاليون كونكة (572) واشتدت الهجمات البرتغالية على جنوب الاندلس (575 ــ 576)، ثم وصلت قوات قشتالة الى قرب اشبيلية والقوات البرتغالية ايضا الى غربها خصوصا سنة 578، وكان الخليفة آنذاك منشغلا ببعض احداث المغرب الأقصى[4] ثم استعد للحركة الى الاندلس فجعل على ولاياتها ابناءه ومنهم ابو عبد الله محمد على مرسية وامروا بالاستعداد للغزو[5]، ثم وصل الخليفة الى اشبيلية في صفر 580 ومنها تحرك نحو شنترين، وفي طريقه اليها التحقت به عساكر الاقاليم الاندلسية[6] ومنها عساكر شرق الاندلس، واشتركت في المعارك عند شنترين وما حولها. واثناء الارتحال عنها بشكل مضطرب تعرضت ساقة الجيش ــ التي يوجد بها الخليفة واهل الشرق مع غيرهم ــ لهجوم مفاجيء من فرسان شنترين حيث استطاعوا ان يطعنوا الخليفة ويقتلوا عددا من اعيان جند الشرق ومن معهم، وبعد الارتحال وضياع المؤونة تفرقت العساكر في المنطقة لجمع الاقوات[7] وصل بعضها شمالا الى حصن طُرّش، وذلك قبل موت الخليفة في 18 ربيع الثاني 580، وفي طريق عودة الحركة وقرب مدينة يابرة وجه والي الشرق السيد محمد الى اهل ولايته بمرسية رسالة مؤرخة ب 21 ربيع الاخر سنة 580 يخبر فيها بما قام به الموحدون

ملاحظة : (   ) ما بين هلالين غير واضح كلا او بعضا في المخطوط : مأروضا او ممحيا او مغطى بورق التصليح، فملأنا الفراغ احيانا اعتمادا على وضوح بعض اجزاء الكلمات مع المطابقة للمعنى.

(1) كاتب الرسالة هو ابو الحسن القلنّي، انظر ترجمته رقم 13 ضمن تراجم الكتاب في المقدمة.

(2) انظر الرسالة رقم 29.

(3) انظر الرسالتين 30 و 31 حول فتح قفصة.

(4) مثل توجيه حملة الى معدن زكندر، والانشغال بالثائر الجزيري، وتأديب عدد من العمال (البيان المغرب ص 120 و 128 وما بعدها).

(5) انظر البيان ص 129.

(6) البيان ص 133.

(7) البيان 137.

خلال هذه الحركة ولكن بشكل معمم، ولعله قصد بذلك التمويه لإخفاء فشل حصار شنترين واخفاء موت الخليفة الى حين عودة الحملة الى اشبيلية[8]، وهذا نص الرسالة كما وردت في زوائد العطاء الجزيل.

نص الرسالة :

ع ز/31 من محمد[9] بن سيدنا أمير المومنين بن سيدنا أمير المومنين — ادام الله تأييد امرهم — إلى الطلبة والشيوخ والاعيان والكافة من أهل مر(سـ)ـية[10] وجهاتها، اطلع الله عليهم كواكب الفتوح نيّرة الاشراق، واجناهم ثمر البشائر المعسولة حلو (المذاق)، وهز اعطافهم سرورا من اهتزاز السُّمر والبيض الرقاق، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعل امره عاليا، وضاعف النصر له متتابعا متواليا، وجعل الجنة تحت ظلال السيوف فيا بشرى من كان عن الاسلام ذابّا ولحوزته حاميا ؛ والصلاةِ على محمد المصطفى الذي اختاره الله لدينه الحنيفي داعيا، وجعله لهذه الأمة عند تكاثف الظلمة نورا هاديا، وبعثه إلى الأحمر والأسود (والأدنى) والأبعد بقوله الفصل وحكمه العدل آمراً وناهيا، وسماه لفضل كرامته عليه عاقبا وحاشرا (ومرحيا ؟) صلى الله عليه صلاة تفر[11] له من الكرامة (...)[12] حظا جسيما وافيا، وحياه تحية طيبة ترفع له في المقام المحمود على حكم انتجاز الوعود محلا (...)[12] ؛ والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي اعلن بتوحيد الله مناديا، واخذ بحُجر من كان في (حاجـ..ـ)[12] التجسيم متهافتا وفي هوته هاويا، وجاهد في الله تعالى حق جهاده ليعز كلمة الحق ويذل من كال (...)[12] قاليا وشانيا، رضي الله عنه رضًى يورده مَنهل الكرامة نَميرا صافيا، ويلبسه بُرد الامَنة سُبوغ (الأذ...)[12] ضافيا، ويلقيه (...ـير)[12] العصمة وبريدَ الرحمة مطالعا له موافيا ؛ وعن صاحبه الأكرم، وعاضده الألزم، (ومؤازره) الأقدم، وخليفته المقدّم، سيدنا أمير المومنين المستودع من براهين حِكمه وأنوار علومه ما لم يزل (....)[13] الجهلة صاقلا جاليا، والمعيدِ شرْع الاسلام إلى شرخه القشيب الجديد وقد كان (داثرا)[12]، والمصيِّر له بعد العَطل (مزدانا) بالعوْد الأحمد حاليا ؛ وموالاة الدعاء لسيدنا أمير المومنين بن (سيدنا أمير) المومنين[14] بعزّ نصرٍ (يدرّ صبيبه)[12] على أكناف البسيطة هامرا هاميا، وتوالي فتح ينظِم له آفاق (الأرض[12] منها قاصيا أو

(8) انظر خصوصيات هذه الرسالة مع الدراسة التاريخية في الفصل الثالث.

(9) تولى محمد ابن الخليفة يوسف، على مرسية سنة 579 خلفا لعمه ابي يوسف ابن عبد المومن في الوقت الذي تولى اخوانه ابو زيد الحرضاني على غرناطة وابو يحيى على قرطبة وابو اسحاق على اشبيلية (البيان 141 والحلل 159).

(10) انظر عن مرسية المغرب لابن سعيد 250/2 — 251.

(11) يمكن ان تقرأ في المخطوط ايضا : (تفد)، غير ان المعنى يفرض ما اثبتناه حيث ان : وفر، يفر تعني كثّر.

(12) قدر كلمة مطموسة بفعل الارضة او التصليح.

(13) كلمات غير واضحة يبدو انها هكذا : (أبدا لريـ...ثوب).

(14) يقصد هنا الخليفة يوسف بن عبد المومن، مع انه توفي قبل كتابة الرسالة، انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث.

دانيا ؛ فإنا كتبناه إليكم ــ كتب الله لكم بشائر تتناسق تناسق الجمان، (وتجمع)[12] نيل الاماني والامان، وتتكفل بعزة التوحيد وبكسر مضروب النواقيس ومعهود الصّلـ(ـبان[12]...)[15] الموحدين ــ اعزهم الله ــ بظاهرة يابرة ــ فتحها الله ــ [16] وكواكب النصر العزيز تشرق وتَزهر، وإياة (...)[*] تأتلِقُ وتَبهر، وسعود التأييد المقترن بالتأبيد تعتلي وتَظهر، ولله في سرّ هذا الأمر (العزيز من ؟)[*] المثلات، وصروف العبر والآيات، ما طار مثله السابق في الآفاق، وجرت لَطائفة لِطائفة الحق (على)[12] المراد وغاية الوفاق، وابدى (شمسه) ضاحية في غاية الانارة والاشراق، ع ز/32 وأطلع قمرَه التمام (يستحِـ...)[12]/ الإبدار و(الاتسـ)ـاق، لا (جـ)ـرم انه امره العالي الذي عزّت انصارُه واشياعه، وطبّق الخافقيْن نورُه الساطع وشعاعُه، وغمر القلوبَ الموقنة والانفس المومنة تصوُّرُه فيها وانطباعه ؛ والحمد لله على ذلك كثيرا حمدا يقتضي المزيد من آلائه والتحدث بباهر نَعمائه.

وإلى هذا ــ ادام الله توفيقكم، ونهج إلى ما يعود عليكم بالعارفة الحسنى في الدنيا والآخرة سَنَنكم وطريقَكم ــ فإنه لما فارقنا ذلكم الصقع[17] على ما كان الأمر العالي ــ ادام الله علاءه، وأنار بنجوم السعد سماءه ــ حدَّه لنا من التأهب للجهاد، والنظر في ضَمّ الأجناد[18] رحلنا عن تلكم الحِلّة بمن صحِبَنا من الكُماة، ومشاهير الحُماة، وذِكرُ الله تعالى شعارُ ألسنتنا، واستشعار خوفه جلّ جلاله منفّرُ سِنَتنا ؛ ولم نزل ننطي الرواحل، ونطوي المراحل، ونستعين الله تعالى ونسترفده، ونستهديه ونسترشده، ونسأله أن يعز كلمته العالية، وأن يجعل طائفته الغالبة الباقية، وأن يحل بالكافرين نقمتَه[19]، ويهبَ لطائفة التوحيد عصمتَه، حتى التحقنا بالموحدين ــ أعزهم الله[20] ــ وبالسواد الأعظم والجمّاء الغفير من جماهير العساكر[21] المؤيدة المنصورة على مقربة من وادي تاجُه[22] فانتظمنا بهم، ووصلْنا سببنا بالمتين سببِهم ؛ وارتحل الجميع والوعد الصادق يخبر عن وشيك

---

(15) يمكن ان تقرأ هكذا : الصلبان، من منزل الموحدين.

(16) يدل هذا التعبير على عدم خضوعها آنذاك لسلطة الموحدين، فقد كان ابن وانودين قام بحملة اليها في محرم 577 فغنم ما حولها ثم عاد الى اشبيلية (البيان 117 العبر 6/ 503) ومدينة يابرة تبعد غربا عن بطليوس بمرحلتين (الادريسي ص 544 ــ 545 ن الايطالية).

(*) قدر كلمتين مطموستين في آخر سطرين.

(17) كتابة (الصقع) بالصاد في هذا المخطوط من الامور الشاذة، فهو عادة بحرف السين، وللكلمة نفس المعنى في الحالتين.

(18) ان الاوامر الاولية من اجل الاستعداد «للجهاد» اعطاها الخليفة لابنائه عند تعيينهم على قواعد الاندلس في شعبان 579 (البيان 129) ولعل هذه الاوامر تجددت بعد جواز الخليفة من المغرب الى اشبيلية.

(19) يبدو ان المقصود هم البرتغاليون ما دامت الحركة موجهة اساسا نحوهم.

(20) يقصد هنا على ما يبدو جيش الخليفة.

(21) العساكر التي ضمتها حملة الخليفة يوسف آنذاك : قبائل العرب، زناتة، المصامدة، غمارة صنهاجة، اوربة، واصناف البربر وجيوش الموحدين والاغزاز والرماة (القرطاس 213) وعساكر اهل الاندلس زيادة على العبيد و الدائرة، وجعل الخليفة على العرب ابنه السيد ابا حفص (البيان 132).

(22) كان خروج الحملة الموحدية من بطليوس في اتجاه وادي تاجه يوم الخميس 10 ربيع الأول (البيان 133)، =

انتجازه، وينبىء أن على متقدّم صدوره متأخّرَ أعجازه، وسار الموحدون ــ أعزهم الله ــ بجد عازم، وسعد محالف ملازم، يقطعون السباسب (والمومي)[23] ويسددون إلى اعداء الله واعوانهم المرامي، ويدسّون لهم تحت التراب الدواهي، حتى احتلوا بحبوحةَ بلادهم، ووطِئوا على رغم الكفرة عاليَ شرفِهم[24] ومنخفِض وهادهم، مِن أرض طال ما باض الشيطان فيها وفرّخ، ومُذْ ألقى[25] كَلْكَلَه عليها ما أفرج عنها ولا أفرخ[26]، وحفائظ الموحدين ــ أعزهم (الله ــ تغور)[27]، ونفوسهم على اعداء الله تكاد تتميز وتفور، وعيونهم إلى اراقة دمائهم المطلولة تتطلع (وتمور) ؛ وكلما دنا الموحدون ــ اعزهم الله ــ من الكفرة ــ احانهم الله ــ تقدّم الرعب اليهم نذيرا، واوسعهم من مقاومة حزب الله تعالى تخويفا وتحذيرا، وأومأ النصر الى غلبة طائفة الحق معْلما ومشيرا، وأطلع عليهم من طوالع السعد ما كان دليلا على الفتح المبين وبشيرا[28]،ولم يزل اعداء الله تعالى (يأرزون) الى المعاقل والقُنن، ويوفضون الى الكهوف الموذنة منهم بضَعف (المُنن) ويتسربلون الخوف بدلا من واقي الجُنن، والموحدون ــ اعزهم الله تعالى ــ يصلون في بلادهم (....)[29] ويجمعون في السير الحثيث الى مظانهم (..ـسن)[30] الخبّ والتقريب، ومهما نزلوا بساحة احد (منهم) ساء صباحه، وبدا بحزازة قلبه وسَخنة (عينه) عليه (إمساؤه) وإصباحُه ؛ فلم يزالوا يوسِعون عامرهم وغامِرهم اقامة وتنقلاً، ويجوسون خلال ديارهم (....)[31] معقلا معقلا، يحيطون بهم احاطة الدائر بالمركز فيصرّوهم إلى حالة الأوهن الأعجز، (...)[31] وأسْرًا، فيتملّكون أقواتهم تغلبا عليها وقسرا، واذا سروا الى قرية من قراهم (....)[31]ـراهم، وفصموا للكفرة منها موثق عراهم ؛ ولم يرتحلوا عنها آلا وقد خسفوها خسفا، (...[31].الأ)عداء الكفرة (...)[12] الاغترار والاملاء هدما ونسفا، وأضرموا النيران في كل سُوَيْحة (... غادروها)[31] كحريق مستطير بالبُويرة، تنعق فيها ناعبات

= ويذكر صاحب البيان في نفس الصفحة : انه في حصن العرجة بين اشبيلية وبطليوس تكاملت «العساكر من كل أفق» بينما الرسالة هنا تؤكد ان قوات الشرق على الاقل لم تلتق ببقية العساكر الا في وادي تاجه اي بعد الاقلاع من بطليوس نحو شنترين (انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث، وكذلك الدراسة التاريخية الفقرة، الرابعة من نفس الفصل.

(23) الميم الأول في الكلمة غير واضح، ويبدو ان صحتها كما اثبتناه، فالمومي هي جمع لموماء وموماة بمعنى المفازة الواسعة او الفلاة التي لا ماء فيها.

(24) عن مصطلح الشرف انظر الادريسي (541) ن ايطالية.

(25) في الاصل : القي.

(26) لعله يقصد ارض شنترين واشبونة وما حولهما والتي كان استولى عليها البرتغاليون منذ سنة 542 واخذوا يتوسعون انطلاقا منها.

(27) حرف الغين مأروض، وقد يكون الاختيار مناسبا ما دام احد معاني كلمة (غار) : اشتد.

(28) لعله يقصد الضغط الأول على بشنترين بالحصار وهدْم ربضها وتزايد آمال الناس في فتحها (البيان 133 ــ 134)، انظر خصوصيات الرسالة والدراسة التاريخية الفقرة الرابعة من الفصل الثالث.

(29) كلمتان مطموستان جزئيا، ولعلهما تقرآن هكذا : الآساد بالمآويب.

(30) قدر كلمة مكونة من حرفين الى ثلاثة.

(31) قدر كلمتين الى ثلاث مغطاة في اوائل بعض اسطر الصفحة 32 من المخطوط.

الطير، وتوحش ايحاش (.... ـطعوا)[31] عامة ديار اعداء الله (ويسا...)[12] على غير تراضيهم، وخيموا بسيف الهجر (......ـيهم)[31] ؛ والغارات من خلال (....)[32] فيما افاء الله عليهم من (....)[33] والموحدون ــ اعزهم الله/ (....)[34]نفائس[35]، وعين الله تعالى ترعاهم وتلحظهم، وكلاءته الواقية تصونهم وتحفظهم، حتى احتلوا في قفولهم بالعدوة القصوى من وادي تاجه[36]. ع ز/33

وعندما ارتحل الموحدون ــ اعزهم الله تعالى ــ من مضرب معسكرهم المبارك به، ذَمِر الكفرة اعداء الله نفوسهم، واعتقلوا ذوابلهم واجتابوا لبوسَهم، واجتمعوا بالقضّ والقضيض، ونزلوا عن عرعرة معقلهم[37] الذي ابقى عليهم دماءهم الى الحضيض، وتألّبوا وتكتّبوا، وذهبوا الى مخاتلة اهل التوحيد وبيسما ذهبوا، وراموا ان ينتهزوا في الموحدين ــ اعزهم الله تعالى ــ من الفرصة ما يُذهب عنهم بعض مضض الغصة، وان يصيبوا من شِذاذهم ومفترِق افذاذهم ما يجدون به الى العزاء سبيلا، ويقيمونه عند رهبانهم الضَّعَفة الوُهُن على جلَدهم وأيدِهم دليلا ؛ وهيهات ! لا تُعارَض صولة الاسد بانتفاخ الهرّ، ولا يقاس خيط العنكبوت بالحبل (الممدود) المِرّ، فوَشكانَ ما نَذِر بهم من حزب الله تعالى ــ وهو المفلح ــ مِقْنَب فيه اخوانكم اهل الشرق وسرية من الغرب[38] كانوا في ساقة الموحدين ــ اعزهم الله ــ عطفوا عليهم، واشرَعوا قبل رماحهم اليهم ؛ وتراءى الجمعان، وسَقط العشْي باعداء الله تعالى على سرحان، فشدّوا عليهم شَدّة وجدوا ريح الموت من تلقائها، وقضت بذهاب نفوسهم الخبيثة لا ابقائها، واوردوهم حياض المنايا والحتوف، واتوا عليهم قَعصا[39] بالرماح وهبرا بالسيوف، فلاذت الشرذمة الذميمة والأشابة اللئيمة من فرسانهم بالفرار والاجحام[40]، ونجوا برأس طِمِرّة ولجام، بعد ان عُرِكوا عرك الرحى بثِفـ(ـالها)، وتُركوا اشردَ من النّعام في إجفالها ؛ وانصاع الى الحصن منهم من نجا، وما كان طمع في الحياة ولا (رجا) فكم من ابن هناك اسلمه ابوه، واخ لم يعطف عليه اخوه، وذي صاغية وحاشية فرّ عنه (ذووه) خرج في غير ضِمْنَ الكِلاءة، فَخَرّ ولم يوسَّد على الألاءة، وكان لهم[41] يوم كيوم جفر (...)[42] وفُقِدَ (في) ذلك المعترك من

(32) قدر كلمتين مطموستين.

(33) قدر كلمتين مطموستين في آخر السطر وقدر ثلاثة مغطاة في اول اللاحق به.

(34) اكثر من نصف السطر الاخير من الصفحة بالمخطوط كلماته مطموسة ومغطاة.

(35) كلمة مأروضة البداية.

(36) الملاحظ هنا تجنب الاشارة بوضوح الى شنترين لأن حصارها كان فاشلا، بينما العمليات الاخرى ضد المعاقل التي فيها حاميات محدودة ورد الحديث حولها في مثل : «واذا سروا الى قرية من قراهم...» ولو ان هذه العمليات لم تكن كلها ناجحة مثلا هزيمة جيوش شرق الاندلس في احدى هذه العمليات (البيان 135، والدراسة التاريخية في الفقرة المذكورة سابقا).

(37) يبدو ان المقصود هنا حصن شنترين الذي كانت مناعته من العوامل الاساسية لفشل الحصار.

(38) مقنب : جماعة من الخيل تجتمع للاغارة. واهل الشرق اي شرق الاندلس واهل الغرب ربما يقصد بهم اهل غرب الاندلس او المغاربة وهو الراجح.

(39) في الاصل قعضا، ويبدو ان الاصح هو ما اثبتناه.

(40) اجحم عن الشيء : كفّ عنه.

(41) في الاصل : (له) وهي غير مناسبة.

أعيانهم وذوي آرائهم وأسنانهم عصبة (....)[42]مائةٍ أو حدُّها، و(ربما) تجاوز القَدْر عدُّها، وأما ما لا يعرف من لفيفهم، ومن ضمَّه الى مصرعه خوفُ لومهم وتعنيفهم، فالعدد (الجم)[43]، والجمهور الأعم طوائف طالما ضلت واضلت، وأُذلت بعدها رقابُ المشركين فذَلّتْ ؛ فآب الموحدون ــ اعزهم الله تعالى ــ بعد هذه الوقعة أحسن إياب، وأحلّوا اعداءهم دار البوار، وآذنوهم على غابر الدّ(هر) بموبق (الإحشار،) ووسموهم يد المسند بمِيْهَم الذلة والصَّغار[44]، وأقروا عيونهم بإدراك (المقيم...)[45] ؛ فالحمد لله الذي قهر الشرك وأذله، وحمّله عبء هذا الأمر العزيز وكلّه، وشهر عليه (سيفه) وسلّه، وأراق به دم اهل التثليث فهدره وطلّه.

وخاطبناكم ــ وفقكم الله ــ بهذه الفتوح لتأخذوا (...)[46] من هذا الخير الممنوح، ولتعلموا أن هذا الصنع الجميل في خرق العوائد محسوب، وأن (...)[47] معزوٌّ ومنسوب، وان هذا الشرق المبارك قد امدّ لأهل الشرك والصليب ما (....)[47] مَن خالف هذا الامر العزيز وشقاقُه، وابتهج لسَماعه شامُ المعمور وعراقُه ؛ فخاطِ(ـبوا...)[47] وأصقاعِكم، واجعلوا على التحدث به مجتَمع تفرقكم ومفترَق اجتماعِكم ؛ والله عز وجل (...)[47] مثالَه، ويبوئكم فيءَ الامن وظلالَه، ويتحفكم بُرد الخفض والسّعة، ويسربلكم سربال (....)[47] لارب غيره، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام الطيب المبارك عليكم ورحمة الله تعالى و (....)[47] (الحادي)[48] والعشرين من شهر (...)[49] الآخـ(ـر) سنة ثمانين وخمس مائة[50].

---

(42) كلمة مطموسة.

(43) يذكر ابن ابي زرع مبالغا ان قتلى النصارى عند شنترين في المعركة قبيل انسحاب الموحدين بلغ 000 10، ومن المسلمين جماعة ! (ص 214).

(44) هل يقصد هنا الغارات على المعاقل بعد فك الحصار عن شنترين كالغارة على حصن طرش الى الشمال منها (البيان 137) ؟

(45) كلمتان غير واضحتين الأولى منهما يمكن ان تقرأ ايضا : المنيم...

(46) كلمة مأروضة قد تكون هكذا: (حظكم).

(47) كلمة او كلمتان مغطاتان في آخر السطر بالصفحة 33.

(48) كلمة شبه مطموسة.

(49) كلمة غير واضحة يبدو انها : (ربيع).

(50) حول هذا التاريخ راجع خصوصيات الرسالة في الفصل الثالث.

الرسالة الخامسة والثلاثون :

اتفاقية للسلام والتجارة بين المنصور وحكومة بيشة

تقديم :

في اوائل عهد المنصور وخلال حركته الى افريقية طلبت حكومة بيشة تمديد معاهدة السلام والتجارة بين الطرفين، فوافق المنصور على اتفاقية صالحة لمدة 25 سنة تحدّد شروط التعامل بين البلدين، وهي مؤرخة باوائل رمضان 582، وهذا نص الاتفاقية كما وردت عند اماري تحت رقم 5 :

نص الاتفاقية :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلّم تسليما، والحمد لله وحده[1].

الحمد لله المتعالي عن الانداد والقرناء، المتقدّس عن الصواحب والاحباء، [2] المحيط علمه سبحانه بما[3] يلتج في الارض وما يعرج في السماء،[4]، والصلاة على محمد رسوله المصطفى ونبيه الاكرم المجتبى[5]، خاتم الرسل والانبياء[4]، المبتعث بالحنيفية السمحة المجلّية لغياهب الكفر المتراكمة[6] الظلماء[4]، الناسخ برسالته الخاتمة وشريعته الدائمة كل ملة ونحلة الى يوم الدين والجزاء[4]، الموعود وعد الحق بلوغ ملك امّته ما زوي له من المشارق والمغارب والاكناف والارجاء[4]، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم محيي رسم الدّين بعد الدروس والعفاء[4]، ومعيده الى حالته الأولى من الوضوح والجلاء[4]، ومظهر معالم الشريعة بعدما تناولها الجهل بيد الاضمار والاخفاء[4]، وعن خليفته الاهدى وحواريّه الارضى سيدنا الامام امير المومنين ناشر علومه الباهرة الاضواء، وممشي دعوته العلية الى غايتها من الاظهار والاعلاء، ومرقيها من درجات الكمال ومراقي التّمام والاستقلال الى ارفع حالات السّموّ والنّماء، والدعاء[4] لسيدنا الامام امير المومنين[7] بن سيدنا الخليفة امير المومنين مقتفي اثرهما الصالح ببالغ الاقتفاء[4]، والمقتدي بهديهما والمهتدي بنهجهما اتمّ الاهتداء[4] واكرم الاقتداء[4]، بوفور الانصار وظهور اللّواء وعزّ الأولياء وكبت الاعداء[4]، وفتوح تتناسق، ووعود يتسابق نجازها ويتلاحق، على مرور الأوقات وتعاقب الاناء.

---

(1) العبارة (والحمد لله وحده) هي علامة الخليفة الموحدي.

(2) في (ام) : والاجنباء.

(3) في (ام) : سبحنه ما.

(4) الهمزة ناقصة في الاصل.

(5) في (ام) : المجتني.

(6) في (ام) : المتراكة.

(7) هو الخليفة يوسف.

هذا ما امضاه امير المومنين بن امير المومنين[8] ايدهم الله بنصره وامدّهم بمعونته ــ من الصلح للقناصلة والاشياخ والاعيان[9]، والكافة من اهل بيشة وجهاتها من بلد العتيق الى قاب قرب[10] والجزائر التي هي سردانية وقرصقة[11] وابلنيزة والبة وقبرارة ومونت اقرشت وجِلْيُه وقرقونة[12]، وكل من فيها ــ هداهم الله ــ بعدما ارسلوا من زعمائهم واعيانهم «اطروان بن تدسك»[13] ــ وفقه الله ــ، واصحبوه مخاطباتهم، واستنابوه في العقد لهم وعليهم، واحالوا عليه في انهاء رغباتهم والإعلام بما عندهم، فعرّف رسولهم المذكور برغبتهم في ادامة المدنة لهم[14]، وحرصهم على امرار ما عمّهم من نعمة الاعتلاق بذمة هذا الامر العزيز وشملهم، وقرر ما عندهم من الضراعة في حفظ عادته الجميلة عندهم، (ورب... الاحراق...)[15] لهم، وانهم ملتزمون لكل شرط يشرط عليهم، ومنهون إلى جميع ما يحلّ لهم، فأسعف ــ اعلى الله مقامه ونصر اعلامه ــ رغبتهم[16]، واجاب مسألتهم، وأمر لهم صلحهم على عادتهم وهدنتهم، وعقد لهم[17] السلم إلى مدة من خمسة وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب، على الأمنة التامة، والمعدلة الشاملة العامة؛ وأذِن لهم ــ أعلى الله إذنه، ووصل إنعامه ومنّه ــ في الوصول إلى بلاد الموحدين اعزهم الله للتجارة فيها والتجهز منها، وقصرهم على أربعة بلاد من جملتها وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس[18] ــ حماها الله ــ ولم يبح لهم النزول بغيرها ولا الاحتلال بسواها الا لضرورة من صعوبة البحر تُلجئهم إلى الإرساء[4] بساحل من السواحل دون أن يبيعوا فيه شيئا[4] أو يشتروه، أو يكلموا احدا من اهله في ذلك أو يخاطبوه، حاشا ألمريّة[19] ــ حرسها الله ــ فان لهم ان يتزودوا منها ويصلحوا

---

(8) الانسب هنا اضافة (ابن امير المومنين) للمرة الثالثة قارن مع صدور الرسائل 27 و 28 و 29 و 30 و 31 (م ر م).

(9) هل هذه اشارة الى الحكم الجماعي في بيشة ؟

(10) Capo corbo.

(11) في (ام) : قرصفة، وكتبت احيانا (كرسقة). «واهل كرسيكة اكثر الروم سفرا» الروض المعطار (554 ــ 555)، انظر بسط الأرض (101)، وعن سردينيا انظر نفس المصدر والصفحة وكذلك الروض (314 ــ 315).

(12) حسب الترجمة الايطالية :
Pianosa, Elba, Capraia, monte cristo, Giglio, Gorgona انظر أيضا Diplomi p 399.

(13) في النص اللاتيني : At...r... Wann Figlio di Tedesco.

(14) لاحظ الرسالتين السابقتين 32 و 33.

(15) جملة غير واضحة بسبب ما يتخلل كلماتها من بتر.

(16) سقط حرف الغين في (ام)

(17) في (ام) : وعقد له.

(18) عن هذه المدن انظر الادريسي (57/ ن بيريس) وايضا (63 ــ 64)، والاستبصار (137 ــ 138) و (133 ــ 134) و (128 ــ 131) و (120 ــ 121)، وصبح الاعشى (5/ 157 ــ 160 و 109 ــ 110 و 102 ــ 103).

(19) عن المرية انظر الادريسي 562 (ن ايطالية) : والروض المعطار (537 ــ 538)، والمغرب لابن سعيد (2/ 198).

ما اختل من مراكبهم فيها لا غير، متى احتاجوا إلى ذلك ؛ ومتى تعدى احد منهم هذا الحد المحدود، فدمه وماله مباحان لأهل هذا الأمر العزيز لا ذمة تمنعه، ولا عهد لتعدّيه يحجزه.

ومتى نجم من اهل بلادهم الذين هم في هذا التاريخ قاطنون بها وساكنون فيها ناجم لاغتيال او مجاهرة، او خرج منهم ممن يتعين عندهم خارجٌ كان خروجه من بلادهم او من غير بلادهم لقطع سبيل أو حرابة، أو تعرض منهم متعرض للمسلمين ــ عصمهم الله ــ بنوع من أنواع المضرّة والاذاية، فعليهم أخذه بجريرته، ومعاقبته بما يوجبون على من جنى عليهم مثل جنايته، دون مسامحة في ذلك ولا مساهلة، ولا مساعدة في شيء[4] منه ولا مداهنة، وعليهم الا يحملوا احدا من المسلمين معهم ولا يسافرونه[20] في مراكبهم ومن فعل ذلك منهم فقد نقض عهده، ووجب لهذا الامر العزيز ان يمضي فيه بما شاء حُكمَه، وكان له ان يتملك رقبته ويستبيح ماله ودمه،

وعليهم ان يؤدوا ما جرت العادة باخذه منهم من العشر على العادات المعروفة والشرائط المعلومة، دون زيادة عليهم، ولا إحداث أمر لم يكن يلزمهم الا في ما صرفوه من سلعهم، وفي ما تَبايعوه بينهم من مراكبهم، فان العشر ساقط عنهم في هذين الوجهين لا يُطلبون به في شيء[4] منهما[21] ؛ ومتى وصلوا الى بلد من البلاد المأذون لهم في الوصول اليها ولم يريدوا ان يفرغوا فيه مراكبهم ولا يبيعوا به سلعهم، فليُتركوا في ذلك لاختيارهم، ولا يُكرَهوا فيه على خلاف مُرادهم، ولهم أن يُحفَظوا في بلاد الموحدين ــ أعزهم الله ــ على عادتهم، ويُجروْا من العدل والحماية على رسمهم، ويُمنعوا من كل من يريد اذاهم او التسبب بمكروه اليهم ؛ واذا لقيتهم في البحر اساطيل الموحدين ــ نصرهم الله ــ فلا سبيل لهم الى تعرضهم، ولا الى اذايتهم في نفوسهم ولا اموالهم، ولا في شيء[4] من شؤونهم او احوالهم وفاءاً بذمتهم، وامضاءا لأحكام سلمهم وهدنتهم.

فعلى هذه الاصول المقررة والفصول المفسرة انتظمت هذه المهادنة، وانعقدت هذه المسالمة والمصالحة، وبالله التوفيق في كل حل وعقد، وعليه التكلان في كل حرب وعهد، لارب غيره، ولا خير يرجى الا خيره ؛ وجعل ــ ادام الله تأييده وظاهَرَ سعوده ــ هذا الكتاب خمس نسخ يمسكون منها واحدة في بلدهم، ويستظهرون بباقيها في البلاد المأذون لهم في الوصول اليها توسعة عليهم واكمالا للمنة لديهم ؛ وكتب في اوائل شهر رمضان المعظم عام اثنين وثمانين وخمس مائة[22].

---

(20) كذا في (ام).

(21) يعتبر هذا استمرارا لما كان بين بيزا وبني خراسان بتونس حسب رسالة اماري رقم 1 المؤرخة بجمادى الأولى 552 (ص 4 Diplomi).

(22) يوافق هذا التاريخ في الترجمة الايطالية 13 نوفمبر 1186 غير ان المقارنة في (T.C)تجعل اول رمضان يوافق يوم 15 نوفمبر وعلى هذا الاساس فان اوائل رمضان تطابق اوائل النصف الثاني من نوفمبر وليس اواخر النصف الأول منه كما ورد في النص المترجم، وبالنسبة لكاتب الخليفة في هذا الوقت نجد بالخصوص ابا الفضل ابن محشرة (راجع ترجمته في مقدمة البحث).

الرسالة السادسة والثلاثون :

رسالة عن السيد ابي زيد والي تونس إلى تجار بيشة مشجعا لهم للتردد على البلاد

تقديم :

تولى السيد ابو زيد عبد الرحمان بن ابي حفص بن عبد المومن شؤون افريقية من سنة 583[1] الى ما بين 588 و 590[2]، ويبدو ان تردد تجار بيشة على افريقية ضعف خلال هذه الفترة[3] رغم الالتزام المكتوب لهم بامر الخليفة المنصور[4]، فاضطر الوالي الى تقديم ضمان جديد مؤكدا لهؤلاء التجار على امانهم بافريقية «برها وبحرها»، وهذا نص الرسالة كما وردت عند اماري تحت رقم 7 :

نـص الرسالـة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

كتاب امان وتأكيد احسان، امر بكتبه عبد الرحمان بن سيدنا ابى حفص ابن سيدنا الخليفة الامام امير المومنين، الى جماعة تجار نصارى بيش — هداهم الله — امّن به سِربهم، واعذب شِربهم، وأنّس[5] وحشتهم، وسكّن نافرهم، وأحمد[6] مواردهم ومصادرهم، وأجراهم على ما تعوّدوه[7] من إحسان سيدنا الخليفة الامام أمير المومنين — أيدهم الله — ووثيقِ عهدهم، ومعهودِ رفقهم[8]،

---

(1) هذه السنة واردة في البيان.

(2) يشير التجاني الى وجوده واليا بافريقية سنة 586 حيث اتصل به قراقوش (ص 103) وورد في البيان (ص 188) والعبر (6/ 511) ذكر وصول السيد ابي زيد بن ابي حفص سنة 588 بهدية الى مراكش ومعه عرب افريقية، وعاد الوفد دون ذكر عودة ابي حفص معه، ويذكر صاحب البيان ايضا ان الشيخ ابا سعيد وردت مخاطباته من افريقية سنة 590 باستفحال امر العدو (ابن غانية) مع العرب (ص 191)، ومن هنا يتضح ان ولاية ابي زيد انتهت خلال المدة بين سنتي 588 و 590.

(3) لعل هذا من انعكاسات ظهورِ بني غانية بافريقية وتهديد طريق التجارة الصحراوية وبعض مدن الساحل.

(4) انظر الرسالة السابقة (رقم 35).

(5) في (ام) : وانسر، ثم صححها اماري (وانشر) ص 401 في Diplomi.

(6) في (ام) : احمد (بدون واو العطف).

(7) في (ام) : ما يعودوه.

(8) في (ام) : الكلمة بدون نقط، ثم صححها في ص 401.

ومعروف عدلهم، وجميل مذهبهم في مُعاهَديهم، اجراءا تاما حائزا[9] لفوائده، آخذا[10] بعوائده، مقتديا بمقاصده، بالغا فيه الى الغاية التي تؤكد لطالبه الثقة به، والاستنامة له والسكون اليه بحول الله.

فليصلوا الى بلاد افريقية ــ حاطها الله ــ محمولين على سَنَن الرعاية والعناية، مَحوطين بكانف الكفاية والحماية، ملحوظين بهذا المنزع الأوزع، والمقصد الارشد، والمذهب الأصوب ان شاء الله، وحيث حلّوا من معاقلها وسواحلها، وبرّها وبحرها، في مسالك تجاراتهم، وترددهم بها ومتصرّفاتهم، لا يعترضهم في شيء[11] منها معترض، ولا ينعضب[12] لهم هذا الحبل المتين ولا ينغرض[13] ان شاء الله تعالى.

فمن وقف عليه مِن قِبلهم من المسلمين ــ اعزهم الله ــ فليعاملهم بمقتضاه، ولا يعدل عن منحاه، ان شاء الله تعالى لارب غيره ولا معبود سواه.

وبالله التوفيق[14]

---

(9) في (ام) : حايرا، ثم صححها في ص 401.

(10) في (ام) : اخذا، ثم صححها في ص 401.

(11) في (ام) : بدون همزة.

(12) في (ام) : ولا ينغضب، ثم صححها : ولا ينعضب (401)، والمعنى، لا ينعضب اي لا ينقطع.

(13) لا ينغرض، اي لا ينكسر او لا ينثني.

(14) يبدو ان هذه العبارة هي علامة خاصة بالسيد ابي زيد والي افريقية.

الرسالة السابعة والثلاثون :

رسالة السيد عبد الرحمان والي مرسية إلى الفنسو ملك قشتالة

تقديم :

بعد موت الخليفة يوسف وتولية المنصور (580) حاول بنو غانية استغلال ظروف هذه التولية، فنقلوا ميدان الصراع مع الموحدين الى المغرب الأوسط وافريقية مما استلزم قيام المنصور بحملة الى المنطقة (583)، ولم يحصل جيشه على الانتصار الا بعد هزيمة منكرة، فشجعت احداث افريقية بعض القرابة من عائلة المنصور على التمرد في المغرب الأقصى وكذلك في مرسية حيث كان الوالي اخوه ابوحفص عمر الرشيد يهيء للثورة[1]، وربما كان ذلك بتدبير مشترك مع ملك قشتالة، فلما انكشف امر الرشيد وقتل، عين المنصور على مرسية اخاه السيد عبد الرحمان سنة 584 فحاول الفونسو ملك قشتالة — فيما يبدو — ان يتبع معه نفس سياسته مع الوالي السابق بتحريضه على التعامل معه والثورة على المنصور. غير ان السيد عبد الرحمن خيّب آمال الفونسو بهذه الرسالة التي وجهها اليه في منتصف ذي القعدة سنة 584 كما وردت في العطاء الجزيل ومن انشاء الكاتب ابي بحر صفوان بن ادريس[2].

نص الرسالة.

ع/33 من عبد الرحمن بن امير المومنين بن امير المومنين — ايد الله امرهم — الى اذ فونش[3] بن شنجة ملك قشتالة وطليطلة[4] وفقه الله وهداه وأراه وجه رشده،

انظر بعقلك إن العين كاذبةٌ ... واسمع بحسّك ان السمع خوّانُ

ولا تقل كلُّ ذي عين له نظرٌ ... ان الرعاة ترى ما لاترى الضّانُ

ملاحظة : ( ) ما بين هلالين في النص غير واضح كلا او بعضا، وما بين هلالين مزدوجين (( )) يمثل الأسطر الاولى من الصفحة 34 حيث طمست معظم الكلمات في هذه الاسطر بسبب الرطوبة والارضة، وقد تمكنا بعد عناء من قراءة بعض الكلمات المطموسة.

(1) راجع الفقرة الخامسة من الفصل الثالث.

(2) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(3) هو الفونسو الثامن الملقب بالنبيل (1166 — 1214م) ابن الملك سانشو الثالث ابن الفونسو ريمونديس (السليطن، في المصادر العربية)، انظر عنان ج 1/ (502 — 517).

(4) انظر عن طليطلة الادريسي (551 — 552) ن ايطالية وبسط الارض (112) والروض المعطار (393 وما بعدها).

كتبناه من مرسية[5] — حرسها الله — ونحن نحمد الله الذي حفّ الجنّة بالمكاره والنار بالشهوات، وامر بالتزام طاعة اولي الامر فيما انزل من آياته البيّنات، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله من جميع الحدود والجهات، فقال تعالى : «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم[6]» فطاعة الائمة المهتدين من آكد الواجبات ؛ ونصلي على محمد نبيه الكريم الصادع بنور الحقائق ظُلَم المشكلات، المسوّي بين الضعيف والقوي في مجالس الحكومات، المنتصف من نفسه لأُولي التشكّي والظُّلامات، كحكاية عكاشة عنه حين اشعِر بورود منهل الوفاة[7]، وعنه روينا : «من فارق الجماعة واستذل الامارة لقي الله ولا وجه له عنده في صحيح المسندات ؛ ونسأله الرضى عن الامام المعصوم من المَبنات والزلاّت، (المهدي المعلوم) بصحيح الدلالات وثبوت العلامات، وعن خليفتيه الذين تألقت بارشادهما انوار (الهدايات)[8]، وجريا على تلك السبيل النبوية الى منتهى الآماد/ والغايات، ونـ(ـوا)لي ((...[9] لسيدنا الاجل ابن الامامين المحيي ما درس من عظام ع/34 الرفات))[10]، المتّصف بتلك ((....))[11]، الجامع بواسطة عدله في المنهل بين الاسد والشاة، الذي لو جنت احدى يديه على الاخرى لانتصف منها كما ((ينتصف من الجُناة))، ويساوي في الحق بين الاخ الشقيق والاجنبي السحيق مساواة تحكم له بجميل ((....))[12].

وبعد فأول ما ينبغي ان نقدم في هذا الكتاب ما تنبني عليه اصوله، وترتبط به قوانينه (البرهانية) وفصوله، من ان المِلِك — ارشده الله — في نهاية الاحتياج الى تطبّب يصلح من دماغه ما فسد، وينفّق من مواد عقله ما تزيّف وكسد، حتى يَميز بين العقد والحلّ، ولا تصدُر عنه مخاطباته ضُحْكَةَ التَّرحال والحَل، ككتابه الذي صدر عنه الينا، وورد به رسوله الفَسْل علينا ؛ فمن مضمّنه أنّا أنزلنا غير منزلنا في أن سُووِي في مجلس الأحكام بيننا وبين خصمنا، واعتقد الملك — هداه الله — ان ذلك من تدنيسنا في الناس ووصمنا، وذلك منكَر من القول، وخلاف لأمر ذي القوة والحول، فإن إمامنا من الجري على السُّنن السَّويّ في رتبة يساوي بها بين الضعيف والقوي، ويقيم (....)[13] المحِقّ ويقطع دابر الغويّ، قد رفع الله عن الميل رتبته ومقداره، وقرن بالتوفيق التام والتسديد العام ايراده واصدارَه، وجعله كما كان الفاروق لا يبالي على من دار الحق فاداره، والله تعالى قد امر بذلك

---

(5) انظر عن مرسية الهامش (المغرب لابن سعيد 2/250 — 251).

(6) من الآية 59 من سورة النساء.

(7) هو عكاشة بن محصن احد الصحابة قتل في حروب الردة في السنة 12 للهجرة (الزركلي 4/ 244 بيروت 1980).

(8) الخليفتان هما عبد المومن ويوسف، اما المنصور فسيأتي الدعاء له بعد هذا.

(9) قد تكون الكلمات المناسبة هي (الدعاء في الآناء والاوقات).

(10) يلاحظ غياب صفة «المنصور» في هذه الرسالة، ولعله لم يتخذ هذه الصفة الا بعد انتصاره في الأرك، قارن مع الرسائل 40 و 41 و 42 ومعنى الرفات : الحطام وكل ما تكسر وبلى.

(11) لعل ما بين الهلالين هو (الحلى المهدية والصفات)

(12) قدر كلمتين قد تكون اولاهما (المثوبة و).

(13) كلمة مأروضة.

عباده المقرّبين فقال : «كونوا قوّامين لله شهداءَ بالقسط»، «ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين»[14]، فالمساواة بيننا وبين خصمنا في الحق تنويهٌ لنا وتشريفٌ، واستخدام في ما يرضي الله تعالى وتصريف، ومن مضمنات كتابك أنّا إن مشينا إليك وخلعنا الطاعة عليك، مكّنْتَنا من الرجال والبلاد وشاطرتَنا بزعمك في الطارف والتّلاد ؛ وهيهات ! انما روّيتَ ان تُذكِي بنا على المسلمين حَرّ الجِلاد، فامتننتَ كما ظننتَ، وأنعمت فيما زعمت، ولكنك تحيّلتَ في الذي خيّلتَ، ومكرتَ فيما ذكرتَ، ولنفسك يابن البغيّ بغيْتَ، وأسررتَ الحسوَ حين ارتغيت[15]، رويدك، لا تصرف علينا كيدك، وعلى رِسْلك فلا حاجة لنا الى امتراء رُسْلك، وحنانيْك، إن كنت ذا طِبٍّ فطُبَّ لعينيك، ديننا والحمد لله أمتن وأقوى، وسجيتنا أشد انقيادا للتقوى، ولبيسما ندبتَنا أن نبتدر إليه ونتغنّم، ويا قُبحَ ما دعوتنا ان نَركب من الغرور ونتسنّم، فنكونَ كمن أسّس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ فانهار به في نار جهنم، وهل تتساوى الاسنة والزّجاج، او تتماثل العقِب والحِجاج، أو عمر بن عبد العزيز والحجّاج، ومتى تطابقت اللصوص في الحَرَم والحُجّاج، «وما يستوي البحران هذا عذب فراتٌ سائغٌ شرابُه وهذا مِلحٌ أُجاج»[16] ؛ وهذا قول يليق بكم ـــ معشر النصارى من جهة انحلالكم، واستباحتكم لمحض الحرام واستحلالِكم، لأنكم ـــ معشر الاعلاج الاجلاف ـــ مستسهلون لما نستصعب من التقاطع والاختلاف ؛ ونحن اذا بايعنا رجلا واحدا لا نَزورُّ عنه ولا نَميل، ولا يَطمح بنا الى الخلاف عليه رجاءٌ ولا تأميل، وانما نحن بولاة الحق مقتدون وباثواب الاتفاق مشتملون ومرتدُون، وعن أسباب التقاطع منقلبون ومرتدّون، «إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مهتدون»[17] ؛ ومِن بين تخلّفِك وفسالتِك، ما شهد به عليك تناقضك أثناء رسالتك، حيث وصفتنا اولا بالعدل والدين، ونعتّنا بالسياسة للرعية والتهدين، ثم دعوتنا ان نخلع عن الطاعة يدا، وما نراك اعتقدتَ ذلك علينا الا نعمة ويدا.

أعِدْ نظـرا يـا عبـد قـيسٍ لعلّمـا أضاءت لك النـارُ الحمـار المقيّـدا

فيا لِلناس لِلعَجب العجاب ! هذه غاية (...)[18] الذي ليس بمنقشع ولا مُنجاب، اجل ، فإلْك في تلك الرسالة من الامتنان والإنعام كإلّ السَّقْبِ مِن رأل النَّعام[19]، (....)[20] إلا إفْكٌ جاء بزُوزه ومَيْنِه[21]، واراد ان يَصِمنا بدَرَنه/ وشيْنه، وهذا هو الصَّغار بعينه، «قد ضعف المطلوب ع/35

(14) هناك آيتان : الأولى ﴿كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم﴾، من الآية التاسعة من سورة المائدة، والثانية ـــ ولعلها هي المقصودة هنا مع بعض التحريف وهي «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين»، من الآية 134 من سورة النساء.

(15) من المثل العربي : اسر حسوا في ارتغاء.

(16) من الآية 12 من سورة فاطر، وايضا الآية 53 من سورة الفرقان.

(17) الآية 21 من سورة الزخرف.

(18) كلمة مأروضة.

(19) السقب : ولد الناقة، والرأل : ولد النعامة.

(20) قدر كلمتين مأروضتين.

(21) المين : الكذب.

والطالب، (...)[22] علينا الثعالب.

والى هذا ايها الفاجر المغرور، الذي جرى منه مجرى (الدهر) شيطانه الغَرور، ﴿فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[23]، هي سجن المومن وجنة الكافر، فانما يُخيِّل في فاسد (....ــــ)قلنا من[24] (....)[25] الى (....)[26] ومن جنتنا (...)[27] فنكونَ كما قال تعالى وهو اصدق القائلين : خسر الذين (....ألا) ذلك هو الخسران المبين»[28].

فقفْ في حالتي وِردك وصَدَرك وقفة العيْر، وغُضَّ الطرف إنك (من....ـن)[29] لك بباهلة بَلْهَ غُمَير، لسنا والحمد لله ممن يُقعقَع له بشِنان، ويقاد الى ميدان الباطل بـ(ـزمام من) الغُرور وعِنان ؛ ومن أوجب ما نصرِّح لك به الآن، أنّ هلاكَك قد أزِف وآن، لأننا إذا أخبرْنا سيدنا الامامَ بكتابك الذَّميم، وذكرنا لهم جُرمَك على فساد ذاتِ بيننا بالجِدّ الصميم، أمدّونا لغزوك بجيوش تُرجع عنه خاسيئةً عيونُ الناظرين، فاذا نزلنا بساحتكم «فساء صباح المنذَرين»[30]؛فتنبّهْ ونبِّهْ مَن وراءك وجمِّع مَحاشَك يايزيد[31]، ونادِ في قومك هل من مَزيد لِمَنْ نَفع المزيد، فكأنك بجيوش الله تُبادرك مبادرة (الشبل) الجَدور في التسرع والتصميم، «ما تذرُ من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» ؛[32] فاجعلْ هذا الكتاب حاجزا بيننا وبينك، واطوِ عنا زُورَك ومَيْنك، فلولا ان الرسل لا تُقتل لصلَبنا رسولك في جذوع النخل، ولأريناك فيه بطشة أبي الاشبال بالسُّخل[33]، ولكن إن عادت العقرب عُدنا لها ، ونالها من النعل ما يَحُلّ عقدها إذا قالها، وقد أعذر من انذر ؛ وكُتب في منتصف ذي قعدة عام أربعة وثمانين وخمس مائة[34].

---

(22) قدر ثلاث كلمات قد تكون آخرها (...جالت) علينا...

(23) اقتباس من الاية 185 من سورة آل عمران.

(24) قدر كلمتين كأنهما (ظنك ان نقلنا).

25) قدر كلمة غامضة.

(26) قدر كلمة لعلها (جَنّتك).

(27) قدر كلمتين لعلهما : (الى محقك).

(28) من الآية 14 من سورة الزمر وهي : «قل ان الخاسرين الذي خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة، الا ذلك هو الخسران المبين».

(29) قدر كلمتين مطموستين.

(30) من الآية 177 من سورة الصافات.

(31) اسم رمزي ليطابق السجع بعده.

(32) الآية 42 من سورة الذاريات.

(33) السخل، السخل من القوم : الرذيل.

(34) يوافق بالميلاد 5 يناير 1189 م (T.C).

الرسالتان 38 و39 :

رسالتان من صلاح الدين الأيوبي
إلى الخليفة المنصور مستنجدا ضد النصارى

تقديم :

تكاثر الضغط الايوبي على النصارى الصليبيين منذ هزيمتهم في معركة حطين وخاصة بعد اجلائهم عن بيت المقدس سنة 583، وتقوقع هؤلاء في بعض المدن الساحلية حيث كانت الامدادات تصلهم من اوزبا وخاصة من البحر، ونظرا لضعف البحرية الأيوبية على عكس البحرية الموحدية استنجد صلاح الدين الأيوبي[1] سلطان مصر والشام بالموحدين من أجل توجيه قطع من اسطولهم إلى سواحل الشام أو عرقلة تحرك أسطول صقلية الذي كان يلعب دورا مهما في الحرب الصليبية كما جاء في الرسالة التي اوردها القلقشندي في صبح الأعشى 6/(527 ـــ 530) من انشاء القاضي الفاضل[2]، وجعل تاريخها سنة 585.

ولعل صلاح الدين كرر طلبه[3] من أجل المساعدة بأي وسيلة من الوسائل، وذلك برسالة مؤرخة بشعبان سنة 586 حملها الأمير ابن منقذ، فاتصل بالمنصور في أواخر ذي الحجة وهو منشغل آنذاك بالغزو في الأندلس، وردت هذه الرسالة الأخيرة في كتاب الروضتين لأبي شامة الدمشقي[4] ج 2 (171 ـــ 173) طبعة القاهرة 1287 هـ، وهذان نصا الرسالتين :

ملاحظة : اعتمدت في أكثرية الهوامش على ابن الأثير، اذ كان حاضرا في بعض الاحداث ـــ ان لم يكن في معظمها ـــ فيعطي تفاصيل عنها نقلها عنه غيره كصاحب الروضتين، كما ان ابن الاثير يعلّق على بعض الاحداث مما يزيد في قيمة كتابته. انظر الملاحظة على هامش تقديم الرسالتين 32 و 33

(1) هو يوسف ابن ايوب الملقب بصلاح الدين، وضع حدا نهائيا للدولة الفاطمية بمصر واليمن وحول الدعوة الى الخلافة العباسية منذ سنة 567 هـ، واستمر سلطانا لمصر الى سنة 589، انظر ابن الاثير 9/ 111 ـــ 226.

(2) القاضي الفاضل هو عبد الرحيم البيساني صاحب ديوان انشاء آخر الخلفاء الفاطميين، وقد ساعد صلاح الدين على انهاء الدولة الفاطمية فظل وزيرا له ولمن بعده الى وفاته سنة 596... وفيات الاعيان 2/ 334 ـــ 337، وخطط المقريزي 2/ 366، انظر ايضا ترجمته عند حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام السياسي 4/ 508 ـــ 510 طبعة 1967 القاهرة.

(3) هذا ان صح ان هناك رسالتين، انظر خصوصيات هاتين الرسالتين في الفصل الثاني من الدراسة التاريخية.

(4) هذه الرسالة ايضا منسوبة للقاضي الفاضل اوردها ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المقدسي المتوفى سنة 665 في «كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية»، وهو جزآن في مجلد واحد، وله ذيل نشر تحت عنوان «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» (المصادر العربية لتاريخ المغرب ج 1/ عدد 113 و119، للاستاذ محمد المنوني).

رسالة صبح الأعشى (رقم 38)

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المومنين، وسيد العالمين، وقسيم الدنيا والدين، أبواب الميامن، وأسباب المحاسن، وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن، وأنجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن، وأصلح به كل رأي عليه الهوى رائن، ومكّن له في هذه البسيطة بسطة، وزاده بالعلم غبطة، حتى يكون للانبياء بالعلم وللارض بالعزم وارثا، وحتى يشيّد بحادث قديما من مجده الذي لا يزال بغضّ الحديث حادثا، كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية[5] مفاتحة دولة سيدنا، وأن نتيمّن بمكاتبتها ونتزين بمخاطبتها ؛ وتُنهضَ اليها أماثل الأصحاب، ونستسقيَ معرفتها استسقاء السحاب ؛ وننتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها، وأيديَ الرسلِ سُبُلَها، ونمسكَ طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفُه، ونمسحَ غرّة سبقٍ وارثُها ووارث نورها سلفُه ؛ ونتجاذبَ أعداء الله من الجانبين، لا سيما بعد أن نُبنا عنه نيابتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمنية من ضلالة أغضت عيون الأيام على قذاها، وأنامت عيون الأنام بائعة يقظتها بكَراها[6] ؛ ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس[7] ممن كان يعارض برجسه تقديسَه، ويزعج ببناء ضَلاَلِهِ تأسيسَه ؛ وما كان إلا جنة اسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنّة، وأعقبهم فيها إبليسُ الكفر وما أجارته مما اعقبه اللّعنة، وما كانت لنا بذلك قوة بل لله القوة، ولا لنا على الخلق مِنّة بل لله المنّة.

ولمّا حُطّت لدين الكفر تيجان، وحُطّمَت لذويه صِلبان ؛ وأخرس الناقوسَ الأذان، ونَسخ الانجيلَ القرآن، وفُكّت الصخرة من أسرها، وخفّ ما كان على قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها، وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها، فلله الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط، وطهّرها ماطِرٌ من دم الكفر وما كان ليطهّرها البحر المحيط، فهنالك غُلب الشركُ وانقلب صاغرا، واستجاش كافر من أهله كافرا، واستغضب أنفارَه النافرة، واستصرخ نصرانيته المتناصرة ؛ وتظاهروا علينا وان الله مولانا، وطاروا الينا زُرافات ووُحدانا ؛ فلم يَبق طاغية من طواغيهم، ولا أُثفيّةٌ من أثافيهم ؛ الا أُلجم وأُسْرِج ، وأجلب وأرهَج، وخَرج وأُخرج، وجاد بنفسه أو بولده، وبعدَده وبعُدده، وبذات صدره وبذات يده، وبكتائبه برا، وبمراكبه بحرا، وبالأقوات للخيل والرجال، والاسلحة والجُنَن لليمين والشمال، وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع، وائتلاف وصفيْهما في النفع، وأنهضَ أبطال الباطل، من فارس وراجل، ورامح ونابل، وحافٍ وناعل، ومُواقِف ومُقاتل، كلٌّ خرج متطوعاً، وأهطع مسرعا، وأتى متبرعا، ودعا نفسه قبل أن يُستدعَى، وسعى إلى حتفها قبل أن يُستسعى، حتى ظننّا أن في البحر طريقا يَبَسا، وحتى تيقّنّا ان ما وراء البحر قد خلا وعسا[8]، وقلنا كيف

---

(5) اي منذ استيلائه على السلطة من يد الفاطميين.

(6) يقصد ايضا انهاءه للدولة الفاطمية الشيعية من هذه الجهات، وقد كانت ظهرت بمصر في اواسط القرن الرابع الهجري.

(7) تم تحرير بيت المقدس من يد الصليبيين سنة 583 (الكامل 9/ 182 ــ 183) بعدما انهزم الصليبيون في معركة حطّين في نفس السنة (الكامل 9/ 177 ــ 197)، وفتحت بعدهما مواقع اخرى اهمها مدينة اللاذقية المصدر ص 191.

(8) انظر ابن الاثير في وصفه لهذه التحركات الصليبية بعد استرداد بيت المقدس من طرف المسلمين (9/ 207).

نُترَك، وقد علم أنه يُدرَك، وزادت هذه الحشود المتوافية، وتجافت عنها الهمم المتجافية، وكثرت إلى أن خرجت من سجن حَصْرها، ومستقرّ كفرها، وبقية ثغرها ـــ وهو صور ـــ، فنازلت ثغر عكّا في اسطول مَلكَ بحرَه، وجمعٍ سلَكَ برَّه[9] ؛ فنهضنا إليه، ونزلنا عليهم وعليه، فضَرب معنا مصافّ قتّلت فيها فرسانُه، وجدِّلت شجعانه، وخُذلت صلبانه، وساوى الضربُ بين حاسرِ القوم ودراعِهم، وبَرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم ؛ فهنالك لاذوا بالخنادق يحفرونها، وإلى الستائر يَنصبونها، وأخلدوا إلى الأرض متثاقلين، وحَملوا أنفسهم على الموت متحاملين، وظاهروا بين الخنادق، وراحوا بين المجانق، وكلما يُجنُّ القتل من عددهم مائة أوْصَلها البحر ممن يصل وراءه بألف، وكلّما قلّوا في اعيننا في زحف قد كَثُروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن دُربةَ عساكرنا في البحر كدُربتها في البرّ لعجّل الله منهم الانتصاف[10]، واستقل واحدُنا بالعشرة ومائتُنا بالألف.

وقد اشتهر خروج ملوك الكفار[11] في الجمع الجمّ والعدد الدهم، «كأنهم الى نَصب يوفضون»[12]، وعلى نار يُعرَضون ؛ ووصولهم على جهة القسطنطينية ـــ يسر الله فتحها ـــ على عزم الائتمام الى الشام في متسلخ الشتاء ومستهل الصيف، والعساكر الاسلامية لهم تستقبل، والى حربهم تنتقل، فلا يؤمَن على ثغور المسلمين ان يتطرق العدو اليهم واليها، ويَفرغَ لها ويتسلط عليها، «والله من ورائهم محيط»[13]، واذا قسمت القوة على تلقي القادم وتوقّي المقيم، فربما أُضر بالاسلام انقسامها، وثَلمَه والعياذ بالله انثلامها.

ولما مَخَض النظر زبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحرا من أساطيله المنصورة، فإن عددها وافٍ وشطرَها كاف، ويمكنه ـــ ادام الله تمكينه ـــ ان يمدّ الشام منه بعدٍّ كثيف، وحدّ رهيف، ويعهد الى واليه ان يقيم الى ان يرتبع ويصيف، ويمكنه ان **يكف شطرا لأسطول طاغية صقلّيّة** ليحصَّ جناح قلوعه ان تطير، ويعقل عباب بحره ان يغير، ويعتقله في جزيرته، ويجري اليه قبل جريرته[14] فيَذهبَ سيدنا وعقِبُه بشرف ذكرٍ لا تُردّ به المحامد على عقبها، ويقيم على الكفر

(9) احتل النصارى مدينة عكا في العقد الأول من القرن السادس، وهي مدينة تجارية هامة (ابن جبير 211) حررها صلاح الدين من يد الصليبيين سنة 583 (الكامل 9/ 179) فعاد النصارى لحصارها في صيف 585 (غشت 1189) : الكامل 9/ 179 وما بعدها، بروكلمان في «تاريخ الشعوب الإسلامية» ص 357.

(10) اعتراف بضعف القوات البحرية الايوبية امام البحرية الصليبية.

(11) الاشارة هنا إلى الحملة الصليبية الثانية، فالجموع المتحركة برّا في هذه الفترة هي جموع الالمان بقيادة ملكهم فريدريك الأول (باربا روسا) وكان عددهم ازيد من اربعين الف حسب ابن الاثير (9/ 207) أو 200 الف حسب صاحب الروضتين (2/ 177)، وسيصل الى الشام بحرا ملك فرنسا فليب اغسطس وملك انكلترا ارتشارد قلب الاسد، وستسقط عكا بيد الفرنسيين في 17 جمادى الثانية 587 : ويلز في «معالم تاريخ الانسانية» ج 3/ 879، طبعة القاهرة 1961، بروكلمان في «تاريخ الشعوب الاسلامية» 357، انظر ايضا الكامل 9/ 213 ـــ 215.

(12) من الآية 43 من سورة المعارج.

(13) من الآية 20 من سورة البروج.

(14) كان دور صقيلية مزدوجا في دعم الحرب الصليبية مباشرة من جهة، ومن جهة ثانية اخرى في الهجوم على =

قيامة يُطلع بها شمس النصر من مغربها ؛ فاذا نفذ طريقه وعلم الناس بموفده، اوردُوا واصدَروا في مورده، وشخَص المسلم والكافر : هذا ينتظر بشرى البدار، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى الدار، وخاف وطأة من يصل من رجال الماء مَن وصل من رجال النار ؛ ولو برقت عليه بازقة غربية لأغرقهم طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لنعقت فيهم بالشتات غِربانها[15].

وما رأينا اهلا لهذه العزمة الا حضرة سيدنا ادام الله صدق محبة الخير فيه، اذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الاجابة، ورغبة في الانابة، ولايةً لأمر المسلمين[16]، ورئاسة للدنيا والدين، وقياما لسلطان التوحيد القائم بالموحدين، وغضبا لله ولدينه، وبذْلا لمذخوره في الذب عنه دون ما عوَّده ؛ والآن فقد خلا الاسلام بملائكته لما خلا الكفر بشياطينه، وما أُجِّلت السوابق الا لإطلاقها، ولا أُثِّلتْ الذّخائر الا لإنفاقها ؛ وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جاراً من الاساطيل تغشى البحار، وليالي من المراكب تركب من البحر النهار ؛ واذا خفقت قلوعها خفقت للقلاع قلوب، واذا تجافت جنُوبُها عن الموج تجافت من الملاعين جُنوب، فهي بين ثغر كفرٍ تعتقله وتحصُره، وبين ثغرِ اسلامٍ تفرّج عنه وتنصره، يكون بها مصائب عند المسلمين[17]! وتُظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد[18]، ويمضي سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيُعلَم معه ان سيف الله خالد ؛ أعزّ الله الاسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها، فيما مدّ عليها من ظلها، وبما يسكنه من حرزها فيما يَبسط على الاعداء بها من بأسها، ويُنزل بهم من رجزها، وبما يجرّده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلّها وهزها

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا، وهو الداعي المُسمِع، والمبلّغ المقْنع، والمجْمِع المستجمِع، علمناه أمرا يسرا، وبوّأناه الصدر فكان وجهاً، وأودعناه السرّ فكان صدراً...

= الشواطىء المصرية مثلما حدث في آخر سنة 569 وأول 570 بتآمر مع بعض العناصر الشيعية انظر الكامل 9/ (123 — 124) والروضتين 1/ (234 — 235)

(15) الغربان، جمع غراب (انظر الهامش 18 بعد).

(16) نلاحظ في اول الرسالة ذكر «سيدنا امير المومنين» وهنا «ولاية أمر المسلمين» فهل العبارتان اصليتان في الرسالة ام تعرّضتا للتغيير فيما بعد ؟

(17) لعل هنا بتر بعد (المسلمين).

(18) الغربان والطرائد : نوعان من السفن الحربية (انظر الفصل الاخير حول الجوانب العسكرية).

رسالة كتاب الروضتين[1] : (رقم 39)

بسم الله الرحمن الرحيم، من الفقير الى رحمة ربه يوسف بن ايوب، .اما بعد، فالحمد لله الماضي المِشية، الممضي القضية، البرّ بالبرية، الحفيّ بالحنفية، الذي استعمل عليها من استعمر به الارض، واغنى من اهلها من سأله القرض، واجزل احر من اجرى على يده النافلة والفرض، وزان سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض ؛ وصلى الله على سيدنا محمد الذي انزل عليه كتابا فيه الشفاء والتبيان، وبنى الاسلام بامته التي شبهها صاحبها بالبنيان ؛ وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم وطهرهم، فنصروه وظاهروا رسوله ﷺ فنصرهم واظهرهم، ويسر بهم السبيل «ثم السبيل يسرهم»[2] وان الله بهم لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم (....)[3] «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم»[4] ؛ وهذه التحية الطيبة الكريمة الصّيبة الواجبة الرّدّ[5]، الموجبة للقصد، العذبة الوِرد، المتنفسة عن العنبر والوِرد، وقّادة على دار الملك ومَدار النّسك، وجلّ الجلالة، واصل الاصالة، ورأس الرئاسة ونفس النفاسة، وحُكم الحكم وعِلم العِلم وقائم الدين وقيّمه، ومقدِّم الاسلام ومقدّمه، ومقتضى دَيْن الدين، ومثبت المتقين على اليقين، ومعلي الموحدين على الملحدين، ادام الله له النصرة، وجهز به تيسير العُسرة، وردّ له الكرّة، وبسط له باع القدرة، وأوثق به حبل الالفة، ومهّد له درجات الغرفة، وعرّفه في كل ما يعتزمه صنعا جزيلا جميلا، ولطفا حفيا جليلا، ويسّر عليه في سبيله كل ما هو «اشد وطأً واقومُ قيلا»[6] تحية استنير منها الكتاب، واستنيب عنها الجواب، وقد حفز لها حافزان : احدهما شوق قديم كان مَطّل غريمه ممكنا الى ان تتيسر الأسباب، والآخر مَرامٌ عظيم ما كره اذا استفتحت به الابواب.

وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هناءه بفتح البيت المقدّس[7] وسكون الاسلام منه الى المقيل والمعرَّس، وما فتح الله للاسلام من الثغور، وما شرح لاهله من الصدور، وما انزله عليهم من النور، ولم يَخلُ المسلمون فيه من دعوات أسرار ذلك الصدر، وملاحظات أنوار ذلك البدر، ومطالعات

---

(1) انظر الهامش (4) على «تقديم» الرسالتين، هذه الرسالة وردت في الكتاب ضمن فصل عنوانه : «فصل في نسخة الكتاب الى ملك المغرب والهدية، العنوان : بلاغ الى محلّ التقوى الطاهر ومستقر حزب الله الظاهر اعلى الله به كلمة الايمان، ورفع به منار البر والاحسان، بسم الله الرحمن الرحيم...» وذكر صاحب الاستقصا ان عنوان هذه الرسالة : «من صلاح الدين الى امير المسلمين وفي اوله : الفقير الى الله تعالى يوسف بن ايوب، وبعده : الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض... بعضها من بعض» الاستقصا ج 2/ 182 ط 1954.

(2) اقتباس من الاية 20 (عبس).

(3) من الاية 60 (يونس) : «...ولكن اكثرهم لا يشكرون»

(4) الاية 10 من سورة الحشر

(5) انظر خصوصيات الرسالتين في الفصل الثاني.

(6) من الآية 6 من سورة المزمل.

(7) انظر الهامش 7 في الرسالة السابقة.

تلك الجهة التي هي وان كانت غربية فان الغرب مستودع الانوار، وكنز دينار الشمس ومصب انهار النهار، ومن جانبه يأتي سكون الليل ومستروَح الاسرار، وعنه يقلب الله الليل والنهار «ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار[8]»، ولم تتأخر المكاتبة الا ليتم الله ما بدأ من فضله، وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله ؛ والمفتَتَح بيد الله من الشام مدن وامصار، وبلاد كبار وصغار، وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل، وللاسلام معاقر، ولبني الكفر مَصانع، ولبني الاسلام مَصارع، والباقي بيد الكفر منها ثغرا طرابلس وصور ومدينة انطاكية يسّر الله امرها، وفك من يد الكفر أسرَها ؛ واذا امَّن المؤمن على هذه الدعوة رُجي ايجابها، وما يتأخر من الله سبحانه جوابُها، فالدعاء احد السلاحين، ومع النية يطير الى وكره من السماء بجناحين، بعد ان كُسر العدو الكسرةَ التي لم يُجبَر بعدها، وألجىء الى حصونه التي للحصر اعدَّها[9] وكان يومها كريما، ولطف الله فيها عظيما، قضت كل حاجة في النفس وأغنت المسلمين، فاما العدو بعد يومها فكأنْ لم يَغنَ بالامس، وكانت على اثر غزوات قبلها فما الظن بالمجهزة بعد النكس، ولم يؤخر فتح البلاد بعدها إلاّ أن فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار منْ الغرب فأجابوهم رجالا وفرسانا، وشيبا وشبانا، وزرافات ووحدانا، وبرا وبحرا ومركبا وظهراً، وركبوا اليهم سهلا ووعرا، وبذلوا ماعوناً وذخرا، وما احتاجوا ملوكا ترتادهم، ولا أرسانا تقتادهم، بل خرج كل يلبّي دعوة بَطْرَكِه، ولا يحتاج الى عزمة مَلِكِه[10] وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العُجمة على أسمائها، واتت العزيمة بحمد الله على اشخاصها عند لقائها، ومنهم ملك الالمان خرج في جموع برّية، من الله تعالى برية، ملأت الفجاج، وازدحمت فانفذها العَجاج، ومنهم من ركب ثبج البحر فركب الأجاج العَجاج، وامتطى من البحر مشية الزُّجاج، لينصر دينا شبيه الزجاج، يقبل الكسر، ولا يسرع اليه الجبر، وراكبُ ذلك الدين كراكب البحر، بلا ساحل سلامة والى قاع كفر[11].

وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كل مجلوب، وملأوا عليهم ثغريهم[12] من كل مطلوب، ما بين اقوات واطعمة، وآلات واسلحة، وشلة وجنة، وحديد مضروب وزبرة، ونقدي ذهب وفضة،

---

(8) من الآية 13 من سورة آل عمران.

(9) تساقطت في يد المسلمين الحصون والقلاع تباعا بعد الهزيمة الكبرى للصليبيين في حطين سنة 583 ثم تحرير بيت المقدس، وصمدت مدينة صور لحصانتها وتجمّع فلول الصليبيين المنهزمين اليها، ولم يمنع طرابلس من السقوط بيد المسلمين غير تدخل الاسطول الصقيلي بقيادة الملك وليم (بروكلمان 357)، وظلت انطاكية ايضا تحت سيطرة الصليبيين.. انظر عن المعاقل المحررة الكامل ج 9/ 176 وما بعدها، والعبر 5/ (649 ــ 694).

(10) ساعد سقوط بيت المقدس بيد المسلمين على اذكاء واستغلال الحماس الديني باوربا حيث تدخل البابا لاصلاح العلاقات بين ملوك اوربا الكبار : ملوك المانيا وفرنسا وانكلترا، الكامل 9/ 201 بروكلمان 357، وان كان «ويلز» يرى ان دور البابوية كان في تناقص خلال هذه الفترة من الحروب الصليبية (معالم تاريخ الانسانية 3/ 879).

(11) راجع الهامش 11 على الرسالة السابقة.

(12) لعله يقصد طرابلس وصور بالخصوص، انظر ذكر طلب المعونة لحصار عكا وصور طرابلس في العبر (6/ 514).

الى ان شحنوا بلادهم رجالا مقاتلة، وذخائر للعاجلة من حربهم والآجلة، لاتشرق شارقة الا طلعت على العدو من البحر طالعة، تعوض من الرجال مَن قتِل وتخلّف من الزاد ما أكِل، فهم كل يوم في حصول زيادة ووفور مادة، وقد هان عليهم موقع الحصر واعطاهم البحر، ما منعهم البر[13]، وبطروا لما كثروا ونظروا، فانهم لا يستطيعون ان يلقوا ويُصحِروا، ويستطيعون ان يَحصروا على ان ينحصروا ؛ ونزلوا على عكا بحيث يُمدهم البحر بأمداده، ويصل الى المقاتل ما يحتاجه من اسلحته وازواده، ويمن يكثر به من مقاتلته واجناده، فانقطعت مادة عكّا من البحر[14]، وحصرنا منازلهم من العدو[15] من جهة جانب البر، فخندقوا على انفسهم، وحثّوا التراب على رؤوسهم، وعقدت عدّتهم مائة الف او يزيدون، كلما افناهم القتل اخلفتهم النجدة، فكأنهم قبل الممات يعودون ؛ فاتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها فنفذت عمارتنا الى الثغر، واوصلت اليه الأقوات التي حمل منها البحر ما لا يحمله الظهر، والاسلحة التي امضاها الله عز وجلّ بيد الاسلام في صدور الكفر، وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عُدة، فعدد مراكبهم كبير، ولكن لقيناهم باصدق منها عَزمة، والقليل مع العزم الصادق كثير، واستمر مقام العدو محاصرا للثغر، محصورا منا اشد الحَصر، لا يستطيع قتال الثغر لأنا من خلفه، ولا يستطيع الخروج الينا خوفا من حتفه، ولا نستطيع نحن الدخول اليه، لأنه قد سوَّر وخندق، وحاجَزَ من وراء الحجرات واغلق ؛ ولما خرج ملك الالمان بحشده وسمعته التي هي منه احشد، وعاد جيشه الملعون على رسم قديم الى الشام[16] فكان العود لأمة احمد ﷺ احمد، قويت به نفوسهم وجمحت به رؤوسهم، وظنوا انه يزعجنا من مخيمنا، ويخرجنا من خيمنا، فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا الشمالية[17]، فسلك ذات الشّمال متوعّراً فيها محتجزا عن لقائها، مظهرا انه صريع داء وما به غير دائها، وكان ابوه الطاغية ملك الألمان شيبة اللعن اللعين، قائد جيشه الى سجن سِجّين، قد هلك في طريقه غرقا[18] وخاض الماء فخاضه الماء شَرَقا، وبقي له ولد هو الآن المقدم المؤخر، وقائد الجمع المكسَّر، وربما وصل بهم الى عكا في البحر تهيّباً ان يسلك البر، ولو سبق اصحابنا الى عساكر الالمان قبل دخولها الى انطاكية لأخذوه اخذا سريعا، وسبق

(13) يشير الى تأثير حصار جيش صلاح الدين برا للفرنج المحاصرين لمدينة عكا.

(14) كان هذا بين بداية حصار الفرنج لعكا في منتصف رجب 585 (صيف 1189) وبين بداية وصول الحملة الصليبية البرية في صيف 586 (1190).

(15) كذا في الروضتين.

(16) في هذا تذكير باشتراك الالمان في الحملة الصليبية الثانية سنة 1147 بزعامة الامبراطور كنراد الثالث الذي وصل الى عكا آنذاك... بروكلمان (348 ــ 349)، معالم تاريخ الانسانية (3/ 878) تاريخ الاسلام (4/ 249) (حسن ابراهيم حسن).

(17) يشير ابن الاثير الى ارسال صلاح الدين عساكر لاعتراض الالمان في اعمال حلب (الكامل 9/ 208).

(18) غرق الامبراطور الالماني فريدريك في نهر انطاكية وكان معسكره قد انتشر فيه الوباء، كما حدث الاختلاف بعد موته حول من يخلفه (الكامل 9/ 207)، انظر ايضا مصير هؤلاء الألمان بعد وصولهم الى عكا في نفس المصدر (ص 208)، وستسقط هذه المدينة بيد الفرنج عند وصول الحملة الصليبية البحرية الفرنسية بالخصوص وذلك في جمادى الثانية 587 (الكامل 9/ 209 ــ 215، والروضتين 2/ 177 العبر 5/ 694 ــ 705) انظر أيضا الهامش 9 على الرسالة السابقة.

بحر سيوفهم الى ان يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعا، ولكن لله المشيئة في البرية، والطاغية انما يمشي الى البلية، فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق، واجتياز واصلهم بالمضايق، لكان لنا ولهم شأن، وكان ليومنا في النصرة الكبرى بحول الله ثان لا يثنيه من العدو ثان[19].

ولما كانت حضرة سلطان الاسلام[20]، وقائد المجاهدين الى دار السلام، اولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبثه، واستعان به على حماية نسله وحرثه، وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد الغرّ المحجّلة، المؤمّرة الكاشفة لكل معضلة، الكاسفة لكل مشكلة، والأخبار بذلك سائرة والآثار ظاهرة، والصحف عنه باسمة، والسيَر به معلمة وعالمة، وكل بجهاده قد سكن الا السيوف في اغمادها، وقد امن الا كلمة الكفر في بلادها، لا يزال في سبيل الله غاديا ورائحا، ومواجها ومكافحا، ومماسيا ومصابحا، يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكا على الاسرة، وغزاة تصافح وجوهها السيوف فلا يخمد نور الاسرة، يذود الفِرق الكافرة ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد، وكلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ولولاه لأخمد شرارة كل زناد، كان المتوقَّع من تلك الدولة (العالية)[21]، والعزمة الغادية مع القدرة الوافية، والهمة المهدية الهادية، ان يمد غرب الاسلام المسلمين، باكثر مما امد به غرب الكفار الكافرين، فيملأها عليهم جواري كالاعلام، ومُدناً في اللُجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالايام، تطلع علينا معشر الاسلام آمالا، وتطلع على الكفار آجالا، وتردنا اما جملة واما ارسالا، مسوّمة تمدها ملائكة مسومة ومعلّمة، تقدم حيازيمها اقدام حيزوم تحت اصحابه وانما هي منه عزمة، كانت تعين اصحاب الميمنة على اصحاب المشأمة، وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة، ولما استبطئت ظُنّ انها توقفت على الاستدعاء فصرخنا به في هذه التحية،[22]، فقد تحفل السحاب ولا تمطر الى ان تحركها ايدي الرياح، وقد تترك النصرة فلا تظهر الى ان تضرع إليها ألسنة الصفاح.

وسُيِّر لحصن مجلسه الاطهر، ومحلّه الانور، الامير الاجل المجاهد الامين الاصيل شمس الدين، نفير الاسلام والمسلمين، سفير الملوك والسلاطين : ابو الحزم عبد الرحمن بن منقذ[23]، كتب الله سلامته واحسن صحابته، وما اختير للوفادة الا من هو اهلها، ولا حمل الوديعة الامن هو محلها، ولا بعث لنهج الصلة الا من هو مفتاحها، ولأداء الامانة الا من هو قُفلها ؛ ومهما استُوضِح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيرة، ومن البيان ذو ذخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة، والمشاهدة له أوصف،

---

(19) يتضح من هذا ان الرسالة كتبت في الفترة بين وصول الحملة البرية الالمانية سنة 586 ووصول الحملة البحرية الفرنسية والانجليزية في السنة اللاحقة.

(20) لم يخاطب المنصور هنا بلقب امير المومنين على عكس ما حدث في اول الرسالة السابقة.

(21) في الروضتين : الغالية.

(22) في هذا تلميح الى مراسلة سابقة.

(23) الامير عبد الرحمن بن منقذ من بقية امراء شيزر من حصون الشام، خرج من الاسكندرية في 13 رمضان 586 مبحرا غرباً نحو طرابلس التي وصلها في 25 شوال واقلع منها في ثامن ذي القعدة واجتمع بالوزير الموحدي ابي يحيى ابي بكربن محمد بن الشيخ ابي حفص في سابع ذي الحجة وتقابل مع المنصور في العشرين منه، وانفصل عن مراكش في العاشر من محرم 588 ووصل الى الاسكندرية في 28 من جمادى الاخرة (الروضتين 2/ 173 ــ 174، البيان 183 ــ 184 العبر 513/6 ــ 514).

على أن تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فاخلف، وما أجدره بان يصادف بسطة على بساطه، ونظرا يأذن له في القول على اختصاره وتوسطه وافراطه، فكلٌّ هو به وافٍ، وكلٌّ هو للفهم الكريم كاف، والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغا يسرّ اهل دينه، ويوزعهم بها اقتضاء ديونه من الذين اتخذوا الاها من دونه ؛ والسلام الصادر عن القلب السليم، والود الصميم، والعهد الكريم، على حضرة الكرم العلية، وسدة السيادة الجلية، سلام مودة ما وفد الغربَ قبلها مثلها، ورسالة ما خطرت الى ان انفذت وراءها المحبة رسلها، وليصل السلام رحمة الله وبركاته، ورضوانه وتحياته، ان شاء الله تعالى، وكتب في شعبان سنة ست وثمانين[24] وخمسمائة، والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامُه[25].

---

(24) في الروضتين : وثمان

(25) يذكر صاحب الروضتين بعد هذه الهدية الموجهة الى المنصور وهي تشمل «ختمة كريمة في ربعة مخيشة بمسك، ثلاثمائة مثقال عنبر عشر قلائد عددها ستمائة حبة، عود في سفط عشرة امنا دهان بلسان مائة درهم وواحد قسي باوتارها مائة وقوسان، سروج عشرون نصول سيوف هندية عشرون، نشاب ناسج خاص مريش كبير ومتوسط ضمن صندوقي خشب مجلدة سبعمائة سهم».
ويصف ابن خلدون الهدية هكذا : «تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين، ووزن مائة درهم من دهن البلسان، وعشرين رطلا من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوسا اعرابية باوتارها، وعشرين من النصول الهندية، وسروج عدة ثقيلة» (العبر 6/ 514).

الرسالتان الأربعون والواحدة والأربعون :

رسالتان من قرطبة إلى الخليفة المنصور حول ولاية العهد لابنه محمد (الناصر)

تقديم :

بعد حركة الخليفة ابي يوسف يعقوب الى الاندلس خلال سنتي 586 و587 والتي واجهت فيها جيوشه القوات القشتالية والبرتغالية لتخفيف ضغطها على البلاد خاصة باعادة فتح بعض مدن الغرب مثل شلب وقصر أبي دانس وتوقيع المدنة مع النصارى، بعد ذلك عاد الخليفة إلى المغرب الأقصى في النصف الثاني من سنة 587، ومرض مرضا طويلا، فعقد البيعة بولاية العهد لابنه ابي عبد الله محمد في آخر هذه السنة أو بداية السنة التالية، وعرّف بذلك القرابة في الولايات ليأخذوا البيعة عمن في ولاياتهم، وتوجهت الوفود اليه بينما تأخر وفد اهل قرطبة بالبيعة الى أواخر سنة 588 وهذا نص بيعتهم مع نص رسالة «طلبة» قرطبة، وقد ورد النصان ضمن مخطوط الاسكوريال رقم 488 (درانبورغ) الورقات (158 ــ 163) ونشرهما الدكتور حسين مؤنس مع تقديم لهما بمجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول عدد ديسمبر 1950[1].

نص البيعة :

159/أ بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم (عقد البيعة المباركة السعيدة الأولى بولاية العهد لسيدنا ومولانا امير المومنين ادام الله علو امرهم وسمو ذكرهم عن اهل قرطبة وانظارها من الموحدين والعرب والاجناد واصناف الرعية، وفق الله جميعهم وذلك في العشر الأوائل من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)[2]

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونومن به ونتوكل عليه ونشكره ولا نكفره، ونشهد ان لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد ان محمدا عبده الذي اصطفاه، ونبيه الذي اجتباه، ورسوله الذي ارسله ؛ والحمد لله[3] الذي رضي الاسلام دينا، وثبّت قواعده تمكينا، وأوضح معالمه

---

(1) اعتمدت في نقل النصين على شريط خاص مكنني منه احد الاصدقاء مشكورا صوّره عن مخطوط الاسكوريال المذكور، وسأرمز لتعاليق الدكتور حسين مؤنس على هاتين الرسالتين بالرمز (ح م).

(2) يبدو ان هذا التقديم وضعه او تصرف فيه جامع الرسالة في التسعينات كما يلمح لذلك في نهاية الرسالة الثانية، ولذا يذكر ولي العهد محمدا (الناصر) تحت اسم امير المومنين في هذا التقديم.

(3) تتكرر الحمدلة والتصلية في هذه الرسالة كما في بعض الرسائل الاخرى مثل رقم 27 و 28 و 30 و31.

تبيينا، وقدّر فيه الامامة النبوية[4] والخلافة المهدية العصمية، علماً أظهره من أعلامه، وحُكما أوجبه من أحكامه، حصّن بها امور الملة الحنيفية تحصينا، وجعلها لمن ضمه حبلها الشديد وانسدل عليه ظلها المديد معقلا أشِباً وحصنا حصينا، لتتّسق بذلك مصالح الامة في نظام، وتطّرِدَ سياسة الملة على قوانين مقدّرة وأحكام، تدبيرا أُوسَع به المعالم الدينية إتماما وتحسينا، والمعايش الدنياوية/ إحكاما وتزيينا، وأوجب للقائم بها بحقها والمستولي عليها بشرطها طاعة بطاعته تعالى موصولة وحقا بحقه مقرونا، وأتم إنعامه عليه وظاهرَ إكرامه لديه، فأورثه اولا من مقام النبوة وآخرا من مقام الهداية ارثا مطيّباً وحقا مستوجبا لا ممنوعا ولا ممنونا ؛ نحمده حمد مَن أنعم عليه بالنظر الى براهينه الواضحة، والتدبّر لآياته البينة اللائحة فأبصرها بعين قلبه حقا يقينا، ونشكره شكر من لجأ اليه، وعوّل في جميع أموره عليه، فأحله من كنف حماه، وأباح له من نطف نعماه (حصنا)[5] منيعا ومُعينا؛ ونصلي على محمد رسوله وعبده الذي اصطفاه وليّاً وابتعثه نبيا وأرسله أمينا[6]. طهّره تشريفا من العيب، واظهره تعريفا على الغيب، فما كان على غيبه ضَنِيناً ولا به ظنينا، بل أبلغ في الرسالة، ونصح في الهداية والدلالة، واستنقد من الغواية والجهالة، واسترد عن التيه في العماية والضلالة، بما شرعه بأمر ربه مفروضا ومسنونا، واطلعه مما جاء عنه به برهانا قاطعا وفرقانا ونورا مبينا ؛ ولم يزل — ﷺ — يصدع بنور الحق مِن ظُلَمِ الباطل دجُونا، كلما رفع من الاسلام شأنا وضع من الإشراك شؤونا، وكلما أقر للايمان عينا أسخن للكفران/ عيونا، حتى أتم الله نعمته بكمال الدين، وأقر عيون عباده المهتدين، فجاءته البشرى من ربه اذ (انتقل)[7] الى جُواره الأعلى، وقرّبه فأرقاه مرتقّى عَلِياً، وأحلّه مكانا مكينا، وخيّره فاختار الرفيق الاعلى مرافقا ومصاحبا وخدِيناً، ورأى الصدّيق — رضى الله عنه — خليقا بالقيام مقامه في الصلاة وقَميناً، ورادّه أهله القولَ في ذلك فردّهم، بعد أن علم — ﷺ — باعتذارهم قصدَهم، وقال : «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس» تخصيصا له بالكرامة وتعيينا، واقتدى المسلمون به في فعله — ونعم القدوة — فرَضُوه لدنياهم، إذ كان قد رضيه ُدينهم، فسكنوا اليه سكونا، ووضعوا أيمانهم في يمينه الكريمة بُوركت على الاسلام يمينا ؛ فصارت هذه سنة العقد بالاجماع امرا مبرما وحبلا متينا[8] ؛ واستخلف — رضي الله عنه — الفاروق قويا في دين الله امينا، فأطلع منه على آفاق الاسلام بدرا منيرا وغيثا هتونا، وتلقّى الامر بالقوة وخلوص النية فلم يُرَ إلا مُعانا او مُعينا، ودوّن الديوان ووضع الخراج ومصّر الامصار وفتح الفتوح شِمالا ويمينا، وصارت هذه ايضا سنة العَقد بالاستخلاف قصدا أَمَماً ميمونا ومركبا أمونا[9]، صلى الله

159/ب

160/أ

160/ب

---

(4) راجع حول الامامة والعصمة الهامش رقم 6 على الرسالة السادسة. في الأصل اضافة في الحاشية مع الملاحظة على خطأ، فتصحيح الجملة هكذا، «النبوية الشرعية والخلافة».

(5) ناقصة في المخطوط، والتصحيح من (ح م).

(6) كذا في المخطوط، وقد جعلها (ح م) : اميا، معترفا بهذا التغيير، ولعل الاصل هو الاصح (لاحظ القافية).

(7) غير واضح في المخطوط.

(8) هنا تشبيه لطريقة استخلاف عبد المومن للمهدي بطريقة استخلاف ابي بكر للرسول (ص) رغم «معارضة» القرابة في كلتي الحالتين، اليس في هذا تلميح لكون قرابة المهدي لا زالوا الى هذا العهد يطالبون بحقهم في الخلافة ؟

(9) هنا اشارة إلى شرعية نص الخليفة على من يخلفه، وهذا تبرير مطابق لمضمّن الرسالة (ح م بتصرف).

على (سيدنا محمد وعلى آله)[10] وصحبه الأكرمين الأرشدين الذين عمَّروا ببيعة الرضوان[11] من معاهد الايمان صفّاً وحُجونا، واشتروا ببيعهم الذي بايعوا عليه حظا لا مبخوسا مشتريه ولا مغبونا، واعتاضوا من النفوس والاموال عوضا لا معدولا بعظيم من أمر الدنيا ولا مثموناً، وعلم الله تعالى ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم الفتح قريباً[12]، ووعدهم أضعافه كالياً مضمونا

ورضي الله عن الامام المعصوم المهدي المعلوم سر الوجود وبشارة جدّه ـــ ﷺ ـــ الظاهرة لوقتها الموعود كنزا كان مذخورا وجوهرا من نور النبوة مكنونا، وذلك عندما انسحبت اذيال الضلال، وطلعت نجوم الدين كاسفة مما انسدل عليها من أغطية المُحَال، واشتعلت أقطار الأرض فتونا، واستولى الولاة الطغاة ومَلك الاملاكُ البغاةُ يتسارعون في سبلِ الغي سباقا ويتنازعون من أحاديث النكر شجونا، فيستبيحون ما كان محرّما ويُهينون ما كان معزّزا ويذيلون ما كان مَصونا، فأحيى الله به من معالم الدين ما قد كان ظل دَفينا، وعادت الحنيفية السمحة الى قويم مجراها وشِيدت وشُدَّت/ (...بعد ان كانت[13]...) وعن الخليفتين الاكرمين[14] الطاهرين العلَمين اللذيْن ورثا من أنواره العلمية وأسراره الحِكمية علما كان لهما مخزونا، فأوسعا الدين والدنيا نظرا، كان بالنجاح كفيلا وللصلاح والاصلاح ضمينا، وأمدّ الله من استرعاه عهدهما واستخلفه في الأرض بعدهما سيدنا ومولانا الامام الاهدى الخليفة العدل المرتضى، نور الحق المشهور وسيف الله المنتضَى أمير المومنين أبو يوسف[15] ابن سيدنا ومولانا الإمام امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين ـــ أعز الله امره وفسح للاسم وأهله عمره ـــ بما مده من ظلال العدل والأمان، وبثه من أنوار الهدى والايمان، بصنع يَجنيه من ثمر النصر والفتح فنونا، ويجعل سعيه الكريم للتوفيق لَزيماً ولليمن عقيدا وللسعد قرينا. 161/أ

وبعد، فهذا ماأجمع عليه الملأ بقرطبة وأعمالها ـــ حرسها الله ـــ من الطلبة والموحدين والعرب والاجناد، والوجوه من الاشياخ والاعيان والقواد[16]، والخواص والعوام من الرعية مِن حاضرٍ منهم ومِن بادٍ، أجمعوا ـــ بتوفيق الله العظيم وعونه واحسانه العميم ومنّه ـــ على المبايعة للامير الاجل الملك/ السعيد السيد الاوحد الاكمل (المرجو لعهد امير المومنين)(*) المؤهل المؤمل الحائز لشرف 161/ب

---

(10) جزء من السطر الاعلى غير واضح.

(11) هي البيعة التي تمت في الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة قبيل الصلح بين الرسول (ص) وكفار قريش.

(12) الجملة مقتبسة من الآية 18 من سورة الفتح، وباضافة ما في الحاشية نجد : «.... قريبا، ناجزا ميسورا ووعدهم...

(13) السطر الأول في صفحة المخطوط غير واضح.

(14) أي الخليفتان عبد المومن ويوسف.

(15) نلاحظ هنا عدم تسمية يعقوب بالمنصور (راجع خصوصيات الرسالتين في الفصل الأول).

(16) الاشارة الى الفئات الادارية والعسكرية الموحدية باحدى عواصم الاندلس، ويمكن القياس عليها بالنسبة للعواصم الاخرى.

(*) غير واضح بفعل الرطوبة على الصفحة.

الانتساب، الموفي بحسبه الكريم ومجده الصميم على الأحساب، فرع الشجرة المباركة الطيبة الانتماء، التي أصلها في مقر الهدىٰ ثابت وفرعها في السماء، نجل الخلافة الأطهر، ونور الإمامة الأزهر، الذي نشأ في حجر العلى مربوبا بثدي الندى والهدى، حتى وافى مترعرعا مستوليا على كل غاية من الفضل ومدى، أبو عبد الله محمد ابن سيدنا الامام المنصور الناصر لدين الله تعالى الخليفة المرتضى امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين، ــ اعلى الله امرهم واسماه ــ كما أعزّ بهم جانب الاسلام وحَماه، وذلك عندما ورد عليهم وصحّ لديهم ما كان مِن إجماع مَن بالحضرة الامامية العلية ــ كرم الله آثارها وأعلى منارها ــ من اخوانهم الموحدين الذين هم طائفة الحق وانصار الدين، على سؤال سيدنا ومولانا امير المومنين، والرغبة اليه وإعادة الطلب له ثقة بما رجوه من الإسعاف لديه في أن يُعْلِق أيمانهم مِن هذا الامير السيد السعيد بيمين، ويحمّله عهده الكريم بتخصيص له لذلك المقام العظيم وتعيين(17).

162/أ وإن سيدنا ومولانا امير المومنين / (أعلى الله أمره وشريعته، بما جعل الله إليه من قبض)(*) الامور وبسطها، وملّكه اياه من امضاء العهود وربطها، وأوجب عليه من النظر للامة في يومها وغدها، والتحصين(18) لها وعليها في اقرب الآماد وأبعدها، وبما علمه من صدق نيات الطالبين في مطلوبهم، وخلوص غيوب الراغبين في مرغوبهم، وأنهم مع ذلك هم الطائفة التي مَطالبها خليق أن يصاحبها التوفيق ويكانفها، وآراؤها جدير وحقيق أن تلازمها العصمةُ ولا تخالفها، رأى اسعاف رغباتهم وتيسير طلباتهم(19) وكمّل لهم إراداتهم، وأسعدهم على الامر الموذن بكمال سعاداتهم، لما اجتمع في ذلك من اسباب الصلاح، واقترن به من لوائح النجاح، فبايعوه بمقتضى امره العلي، وبنصه الواضح الجلي(20)، بيعة مباركة سعيدة، استقبلوا بها آمالا فسيحة مديدة، واعمالا من البر والتقوى جديدة، انسكبت عليهم شآبيب الرحمة والامان، وانسحبت فواضل الإنعام والإحسان، وازدادت بهاءاً وجمالا
162/ب معالمُ الاسلام والايمان، فانعقد بها الاجماع،/ ووجب البِدار الى التزام حكمها والاسراع، وبادر جميع مَن ذُكِر في صدر هذا الكتاب من اهل قرطبة واعمالها من الطلبة والموحدين والعرب والاجناد، والوجوه من الاشياخ والاعيان والقواد، والخواص والعوام مِن الرعية من حاضر منهم ومِن بادٍ ــ وفقهم الله أجمعين ــ بادروا الى التزام عهد هذه البيعة المباركة عهدا، وإحكام عَقدها السعيد عقدا، فبايعوا للامير الاجل السيد السعيد الاوحد الاكمل الافضل ولي العهد الكريم، وذي المجد الصميم، ابو عبد الله محمد ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين بيعة اخوانهم الموحدين على صفاء من قلوبهم، وخلوص من غيوبهم، وصحة من عقائدهم وضمائرهم،

---

(17) الادعاء هنا بان تعيين ولي العهد كان بطلب من الاعيان وليس رغبة من المنصور. انظر ما ورد عند ابن عذاري ص 187 و 207 وخصوصيات الرسالتين في الفصل الأول، وقارن مع رسالة عن يوسف بن تاشفين حول تقديم ابنه علي لولاية العهد ورد مقطع منها في صبح الاعشى 161/5 وفي الحلل الموشية (78 ــ 79) وفيه اعتراف صريح بانه هو الذي اقترح ابنه لهذ المهمة واشترط عليه شروطا يلتزم بتنفيذها.

(18) في الاصل : التحسين (ح م).

(19) عند حسين مؤنس : طلبتهم وفي المصور ما اثبتناه.

(20) الاشارة واضحة الى الصفة الالزامية لتقديم البيعة، اي الخضوع لما تم الاتفاق عليه في عاصمة الخلافة.

وتوافقٍ من بواطنهم وظواهرهم، وعلى أوفَى عهود البيعة وشروطها، واكملِ عقودها وربوطها، من السمع والطاعة في السر والجهر، والمنشَط والمكرَه والعُسر واليسر، وعلى اعتقاد النصيحة والموالاة الصريحة، أعطوه بذلك عهد الله المؤكد، وميثاقه المشدد، وأعطوه به صفقة قلوبهم وأيمانهم، وعهدة اسلامهم وإيمانهم، وخالصة سرِّهم واعلانهم، لا يحلون/ (... ولا يتحولون عما اعتقدوا)[21] منه ابدا، معتقدين انها ــ ان شاء الله ــ بيعة رضوان، وجُنة أمان، وعارفة حسن واحسان ؛ أشهدوا الله على انفسهم بمضمونها طائعين، وكتبوا (عليها)[22] خطوط ايديهم على احوالهم الموصوفة مبادرين ومسارعين، والله يعرِّفهم خير ما أبرموه، ويمن ما احكموه، انه على كل شيء قدير، وبالاجابة جدير، واليه المصير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وعلى ذلك كتب اسمه في العشر الأوائل من ذي القعدة من سنة ثمان وثمانين وخمس مائة فلان ابن فلان و فلان ابن فلان، (وتتابعت الاسماء حتى كملت اسماء الحاضرين من اهل الحاضرة والمستنفرين من اهل البادية والحمد لله رب العالمين)[23].

163/أ

(21) بياض بقدر نصف سطر اعلى الصفحة وهو مطموس في الاصل.

(22) كذا عند (ح م)، وفي الاصل (عليه).

(23) يظهر هنا واضحا تصرف منشيء أو ناسخ الرسالة في اغفال الأسماء الحقيقية للموقعين على عقد البيعة انظر ايضا الاضافة الملحقة بآخر الرسالة القادمة.

نص الرسالة المرفقة (رقم 41).

163/ب (نسخة الكتاب المتوجه مع البيعة المباركة، وهو الجواب على كتاب الحضرة الامامية ايد الله امرها واعز نصرها).

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، الحضرة الإمامية العلية، المعظمة المكرمة السنية، الطاهرة القدسية، معلية منار الاسلام، وممضية احكام الخلفاء الكرام، والائمة النصحاء الاعلام، في تحسين النظر لأمة محمد عليه افضل الصلاة واطيب السلام، حضرة سيدنا ومولانا الامام الاهدى الخليفة المرتضى، نور الحق المشهور وسيف الله المنتضى[1] امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الامام امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين[2]، قرن الله امرهم وعمرهم بالدوام، وزين عقدهم وعهدهم بالاتساق والانتظام، واطلع بدور سعدهم وشموس مجدهم على اجمل احوال الكمال والتمام، كما جعل لهم عواقب الايام، وفرض طاعتهم على كافة الانام، من عبيدهم المتلقّين لأوامرهم العلية بالسمع والطاعة، الممهدين لدينهم ودنياهم بصدق الاجابة والانابة، لما اهيب بهم اليه وحضوا عليه من الالتزام لقوانين الشريعة والانتظام في سلك الجماعة[3]، المبادرين 164/أ لاغتنام حظوظهم من الخيرات المشاعة والمسرّات المذاعة، الذين/ (نشأوا في حجور الخلافة السعيدة وتحت اروقة عزها المديدة ولدانا)[4] يُربَّبون، وهاهم متكهلين في فواضل نعمها العميمة وطوائل كرمها الجسيمة يترددون ويتقلبون[5] : الطلبة الذين بقرطبة[5] : سلام طيب مبارك كريم عميم، رَوحه نسيم ووروده تسنيم، تتجلى بالبشائر غُرَرُه، وتتصدى في اجمل المناظر صوره، على الحضرة الامامية العليا، والمثابة التي اشرقت بانوار هديها القويم وآثار سعيها الكريم اقطار الدنيا، ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد حمدِ الله الذي اعلى كلمة التوحيد، ورفع مبانيَها المؤشبة المحصنة ومغانيَها المنجَّدة المحسَّنة على قواعد التمكين والتمهيد، واختار لطائفته السعيدة لما امضى عزائمهم وجمع قلوبهم على ابتغاء الحظ الذي يعمهم بنفعه، وسؤال الامر الذي يضمهم بجمعه اختيار الموفّق[6]، فعصم آراهم فيه بنور التحقيق من ظلم التشكيك والترديد، وشد ازرهم فيه وايد امرهم بالظافر الميمون والنيّر السعيد، وافضى بعدهم منه الى الكفيّ الكفيل والوليّ الحميد، والصلاةِعلى سيدنا محمد رسوله وعبده المخصوص من بين الانبياء باولية السبق المعنوي والشرف التليد، فقد كان ﷺ نبيا وآدم بين الماء والطين، يتردد من اطوار الخِلقة بين تصويب وتصعيد، ثم ارسله لما كملت بفضل الله تصفيته واعقبت دعواتِ الرسل دعوتُه مؤيدا بالبرهان الباهر والقرآن المجيد، حائزا بقَبول الشفاعة وإيجاب

---

(1) نلاحظ هنا ان لقب «المنصور» لازال غير رسمي فيما يبدو فيستعاض بغيره.

(2) يذكر ابن عذاري (141) ان نقش خاتمه : «امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين»

(3) راجع الهامش 20 على الرسالة السابقة.

(4) السطر الاعلى من الصفحة متأثر بالرطوبة لا يظهر منه احيانا غير كلمة او كلمتين.

(5) فراغ بسيط بين الكلمتين.

(6) بعد هذا في الحاشية اليسرى من الاصل كلمتان، الأولى (المصيب) والثانية غير واضحة.

164/ب الوسيلة لعاقبة الشرفين/ (الاولوي...) وصحبه الاكرمين الذين جلّت مناقبهم عن الاحصاء والتعديد، وأعطوه صفقة أيمانهم مبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشَط والمكره[7]حازوا بها من سوابق الفضائل، وسوامق الرتب الجلائل، ما ليس فوقه من مزية ولا بعده من مزيد، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم بأوضح الدلائل وأصح الاسانيد، الصادع بالحق والقائم بالصدق هادماً من أركان الباطل كل ركن مَشيد، منتهضاً بأمر الله ذا عزم ماضٍ، وأيْدٍ شديد، فأعاد الحنيفية السمحة إلى مَهْيَعِها القويم ومنهجها السديد، وعن الخليفتين الاكرمين الطاهرين العلَمين اللذين سارا يهتديان ويهديان بمنار هديه اللاّحب ويَقتفيان ويُقفيان لآثار سعيه الصائب، مستألفين على أمر الله كل نافر شريد، ومناضلين عن دين الله كل باغ عنيد، تارة بالقول السمح السهل وآونة بالسطو المُبير المُبيد، والدعاء لوارث مقاماتهم وحائز كراماتهم مستوليا من غايات السبق والتبريز، وإحراز خصال المؤهل

165/أ المرتضى لحمل أمانة هذا الامر العزيز،/ (... والامام الاعدل)[4] الخليفة المنصور المؤيد المعان الموفق المسدّد[8] امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الامام امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين المتلقي لأمر الله اذ أصار خلافته اليه وجمع القلوب في التخير لها والانتقاء عليه بالذراع الرحب والباع المديد، بصنع يتكفل له بدوام النصر والتأييد، ويعرّفه في نعم الله التي قِبَلَه ومِنَحِه التي خوّله صلة السالف منها بخالف والقديم بجديد، وللأمير الاجل السيد السعيد الأكمل الافضل سليل مجده الصميم، وولي عهده الكريم، ابي عبد الله[9] بما يبلغ به من مزايا الرضى والتنفيذ للأقدار على وفق ارادته والامضا(ء) ما لم يبلغه أملُ آملٍ ولا إرادة مُريد.

فكتب عبيد الحضرة الامامية العلية، والمثابة الطاهرة القدسية — كتب الله لها يمن المساعي والمقاصد، وأمدّها بالسعد المساعد في المصادر والموارد، وأبقاها ولديها من دلائل صنع الله لها في شد أزرها وعضْد امرها أدل الدلائل وأعظم الشواهد — من قرطبة — حرسها الله — والبشائر قد

165/ب شدّت/ (....)[10] والتأمت شواردها في اتصال واتساق، وأنوار الهدى وأسرار الامر الاعلى قد تبلجت في ظهور وإشراق، والنفوس قد تملّكها من الأفراح وسرى فيها من الاهتزاز والارتياح ما لا تبلغ صفته بإطناب في الشرح ولا إغراق، والحمد لله رب العالمين على ما نظمه من اسباب الائتلاف، وتممه من مضاء العهد الكريم والاستخلاف، وأبرزه للعيان مِن ما كان في كفالة الوعد الالهي والضمان مؤقتا له وقته الذي قدّر كونه فيه على احمد الاحوال وأجمل الأوصاف، حمدا تستغرق حمد الحامدين صدورُه واوائله، وتدلي بسبب متين الى رُتب المصطفيْن المقربين تواليه وفواضلهُ، ويكون لكل نعمة مستفادة وان عظمت عديلا وكفيا، وبكل زيادة مستزادة وإن كبرت مَليّاً ووفيا.

وان الكتاب الكريم — كتاب سيدنا ومولانا الامام امير المومنين شكر الله إنعامه، ووصل بالسعد أيّامه — وصل الى العبيد مبشرا بما اجمع عليه الكافة من اخوانهم الموحدين، طائفة الحق وانصار

(7) يشير الكاتب الى بيعة المسلمين للرسول (ص) — ربما مبايعة الحديبية — مادام الموضوع هنا هو موضوع بيعة على سبيل المقارنة.

(8) نلاحظ هنا عدم تخصيص الخليفة بلقب «المنصور» راجع خصوصيات الرسالتين في الفصل الأول.

(9) هناك رسائل اخرى يذكر فيها ولي العهد بعد ذكر ابيه الخليفة مثل الرسائل ارقام 10 و 41 و 42 و 44.

(10) السطر الأول من الصفحة مطموس في الأصل كليا اوجزئيا بفعل الرطوبة.

الدين، وخلاصة عباد الله المهتدين ــ اعزهم الله وادام كرامتهم بتقواه ــ من الرغبة في البيعة المباركة
166/أ السعيدة، واخلاص الطلب لعقد شرائطها الموثّقة الاكيدة،/ (.... فان امير المومنين وولي رب العالمين)[10]، ايد الله أمره وأعز نصره ــ بما أطلعه الله عليه من صدق نياتهم، وأراه اياه من خلوص ضمائرهم وطويّاتهم، وهم الطائفة المرضية المتخيرة، والجماعة المهدية المستبصرة، وبما جعل الله تعالى ايضا لسيدنا ومولانا امير المومنين من امور العقد والربط، وملّكه من أحكام القبض والبسط، رأى إسعاف رغباتهم، وتيسير طلباتهم وتكميل اراداتهم، وإسعادهم بالحظوة الموجبة لسعاداتهم[11]، فبايعوا للأمير الأجل الملك السعيد السيد الافضل النّير الاتم الاكمل سليل الخلافة الاطهر، ونور الامامة الاظهر، ابي عبد الله محمد ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين الكريم عرقا ونسبا، العالي نِجاراً ومنصبا، المستولي على غايات الشرف التليد والطريف، العلم المعروف قبل دُخول أدوات النعت والتعريف، بسط الله ظله على العباد والبلاد، وشدّ امره واعز نصره بالعَدد من عالم أمره الالهي والأعداد، وبلغ به افضل ما يؤمله ويؤمله المخلصون له من أمل ومراد، وحفظ من نوره الباهر الذي أشرق، وغصنه الناضر الذي أثمر بالبركة وأورق[12]، ما
166/ب هو سامٍ في اعتلاء ونامٍ في ازدياد، بايعوه/ (....)[10] وصحة من البصائر على أكمل عقود البيعة وشروطها، واتم حقوقها الواجبة وربوطها، وأهِيب بالعبيد الى ورود مناهلها السائغة المعِينة، والادّراع لجُنتها السابغة الحصينة، والاعتلاق بحبالها القوية المتينة، والاستضاءة بانوارها المشرقة المبينة ؛ فلِحينِ ورود هذه المسرة العظمى عليهم، وحلول وافدِ البشرى بها لديهم أجابوا على الفور مهطعين، ولبّوا في الوقت مسرعين، وأعطوا صفقة قلوبهم وأيمانهم مستبشرين، لجميع ما التزمه اخوانهم الموحدون من شروط هذه البيعة المباركة ملتزمين، وللوفاء بعهودها والقيام بحدودها مستشعرين، وما تقدّمهم في هذا المضمار الكريم مَن تقدمَ فيه بنية سبقت عقودها عليه، ولا بهمَّةٍ طمحت قديما طوامحُها اليه، اذ كان هذا هو مرغَب العبيد ومبتغاهم، ومطلبهم ومتمناهم، ومودودهم ومؤمَّلهم، ومجملهم من انواع الرجاء ومفصَّلهم، اليه كانت هممهم ابدا طامحة، وفي رياض الأمل له كانت قلوبهم قديما
167/أ سارحة، **فأخرهم عن إظهار التقدم بالفعل اليه سابقُ الأقدار، وما مُنُوا به**/ (..[10]..)[13] قد أكمل الله تعالى من ذلك ما اعظم النعمة به على جميع المومنين فالحمد لله رب العالمين،

ذاك الـذي كنـا نؤمّـل أن نـرى ... لاح الصبـاح لنـا فأحمدْنـا السّرى

ثم إن العبيد تقدموا لإشاعة البشرى باتم ما تكون به الاشاعة، وإذاعة خبر النعمى على أوفى ما تترتب عليه الاذاعة، أكمل بشرى سَفَر عنها سفير، وأعظم نُعمى أخبر بها خبير، تهللت لها الوجوه والأسرّة، واهتزت لذكرها المنابر والأسرة، واعتز بها ركن الاسلام وجانبه، وذلّ شانيه ومُجانبُه، واستظهر بها الامر الاعلى على عِداه، وأشرق نوره الأجلى وانفسح مداه، وما كان الله ليعدل بها

---

(11) تأكيد الادعاء مرة اخرى بان تقديم محمد لولاية العهد كان تنفيذا لرغبة «الكافّة» من الموحدين، انظر الهامش (17) على الرسالة السابقة.

(12) كلمة مطموسة في الاصل بسبب نقطة مداد سقطت من قلم الناسخ.

(13) طمس قدر سطر، ضيّع علينا المبرر الذي يقدمه «طلبة» قرطبة لتأخرهم عن تقديم البيعة بعد مبرر «الاقدار».

عن من[14] أهّلهُ لها في الازل وارتضاه، وأنفذ له بها حكمه السابق وأمضاه، فهو كان أحق بها وأهلها،

ولم تك تصلـــــح إلا لـــــــه ولم يك يصلـــــــح إلاّ لها

ثم إن العبيد تقدّموا في اخذ العهد الكريم على كافة مَن قِبَلَهم وفي جهتهم من الموحدين ـــ اعانهم الله ـــ والعرب والقواد والاجناد وسائر طبقات الناس والخاصة والعامة والحاضر والباد، وعقدوا بذلك عليهم عقدا مباركا[15] توثّق مبناه، وحسُن ان شاء الله / (....)[16] لداعيه، وسارعوا من كل قطر الى كتب اسمائهم واثبات شهاداتهم فيه، وأبكارُ المسرات تؤكد عقدها، وخواتمُ البشائر تؤدي ما عندها، وكؤوس التهاني تدور، ووجوه الآمال لها سُفور، وتَمشّى العمل في ذلك اياما، ودّ العبيد ان لو كانت اعواما، رغبة في الاستمتاع بما ابدته من محاسن صور الجلال والجمال، وحرصا على الاستزادة بما اهدته من طرائف ثمر الاحسان والإجمال، فكأنما كانت ايام اعياد العمر قد نُظمت لهم في عقد، ونُسقت فيما قبلهم على سَرد ؛ فالله تعالى يعرّف سيدنا ومولانا امير المومنين ـــ اعلى الله امره واعز نصره ـــ وولي عهده الكريم ـــ انمى الله سعده واسمى جده ـــ بركة هذاالعقد الكريم ويمنه، ويسبغ به على كافة المومنين إنعامه الجسيم ومَنّه، وجزى الله سيدنا ومولانا امير المومنين افضل جزاء من نظر للامة الاسلامية والملة الحنيفية بأحسن النظر لليوم والغد، وشفع اليد السالفة العظمى عندهم بمثل هذه اليد، وله بعد بفضل الله وكرمه. من طول البقاء، واتصال العلو في درجات الكمال والارتقاء، وحراسة/ (....)[17] العظيمة، وادرار البركات الجسيمة مايربي شأوه الكريم فيه على السابقين الاولين، ويوفي عمله فيه على اعمال المحسنين المجلين ان شاء الله، وله في فعل مَن فعل مثل فعله من الخلفاء الراشدين والائمة المهتدين افضل قدوة آثر الاقتدا بها اسعافا عند الرغبة والسؤال، واكرم إسوة تأسّى بها افاضةً للاحسان والاجمال.

167/ب

168/أ

والعبيد، بعدُ مُنتهون الى ما أُمِروا به من ربطِ امور مكانهم، ومبادِرون الى الباب الكريم في جماعة اخوانهم[18] تهفو بهم هبات المسرة والارتياح، ولو تمكن لهم لركبوا اسراعا اجنحة الطير او متون الرياح، والله تعالى يوردهم من باب الحضرة الامامية العلية افضل مَورد، وينيلهم من قبولها واقبالها كل حظ مسعد، ويجعل بيعتهم المباركة التي احكموا عقدها والتزموا عهدها بيعة رضوان، وجُنّة أمان، وعارفة حسن وإحسان، بمنّه وفضله، وجوده وطَوْله...

(وكان بعد هذا دعاء للحضرة الامامية يليق بمقامها العظيم لم يثبت في المبيضّة، ولم اذكره عند نقل المبيضة الى هنا لبعد العهد بذلك التاريخ، اذ كان نقل المبيضة في شهر رمضان المعظم من سنة تسعين وخمسمائة، ولم اذكر شيئا من الدعاء الثابت في آخر كتاب البيعة)[19].

(14) كذا بالاصل، وكتبها (ح م) : عمّن.

(15) هذا العقد هو الرسالة السابقة.

(16) طمس بقدر سطر في اعلى الصفحة.

(17) طمس بقدر سطر في الأصل تقرأ ثلاث كلمات في آخره هكذا (... وفتح الفتوح) العظيمة...

(18) العبيد هم «الطلبة» حكام قرطبة، والمقصود هنا توجّه وفد من حكومة قرطبة لتقديم البيعة.

(19) ما بين هلالين تعليق من منشيء الرسالة او ناسخها الاصلي مع اعترافه بالبتر في كتاب البيعة السابق.

الرسالة الثانية والأربعون :

رسالة أهل مراكش إلى
المنصور جوابا على رسالته

تقديم :

خلال الثمانينات وبعد ان اقر المنصور الأمور بافريقية نسبيا، كانت احوال الاندلس مضطَربة بسبب ضغوط القوات البرتغالية والقشتالية التي كانت تصل أحيانا الى الوادي الكبير، فكان هذا عاملا اساسيا لتهييء المنصور لحملة كبرى الى الاندلس استغل خلالها النزاعات بين الممالك الاسبانية ليوجه ضربة قوية لجيش قشتالة في موقعة الارك حيث كانت تتركز الحاميات التي تغير على المسلمين، وكانت المعركة سنة 591، وعلى اثرها وجه المنصور رسائله الى عواصم الولايات مبشرا بالنصر، فرد المسؤولون بمراكش على رسالته بجواب من انشاء الكاتب ابي الحسن القلنّي[1]، وهذا نص الرسالة الجوابية كما وردت في الزوائد الملحقة بالعطاء الجزيل[2] :

نـص الرسـالـة :

ع ز/12 الحضرة الامامية العالية، المعظمة المكرمة المقدسة الطاهرة السامية، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤيد المنصور الناصر[3] لدين الله امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المومنين[4]، وصل الله لها ما عوّدها من النصر والتأييد والتمكين، وايدها واعلى يدها أنّى حلت وحيث وجهت بالفتح المبين والسعد المكين ؛ العبيدُ المعتصمون بحبل عصمتها، المذِمّون بذمامها، المخصوصون من سابغ نعمتها بإكمالها عليهم وإتمامها، الفاخرون بجوارها الكريم على عراق البسيطة ويَمنها وشامها، الداعون الى الله تعالى بنصر ألويتها وظفر أعلامها ؛ المبتهلون اليه (سبحانه) في اعتلاء جدها ومجدها ومقامها : أهل مراكش ؛ سلام كريم طيب مبارك عميم، على حضرة الامامة ومثابة الخلافة ومقر الرحمة ومعهد النعمة من (ندوتها ؟) القدسية الطاهرة، ورحمة الله تعالى وبركاته.

ملاحظة : ما بين هلالين ( ) غير واضح بالأصل — كلا أو بعضا — بسبب الأرضة على الخصوص.

(1) انظر ترجمته في المقدمة .

(2) حدث خلال تصليح المخطوط خلط في ترتيب بعض اوراقه، ولهذا نجد الجزء الأول من الرسالة على الصفحتين 12 و 13 والجزء الثاني منها على الصفحتين 30 و 31.

(3) هذا اللقب من جملة ما لقب به ايضا الخليفة عبد المومن (مثلا في الرسالة 30).

(4) نقش خاتمة «امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين» البيان 141.

اما بعد حمدِ الله تعالى على ما منّ به علينا وعلى الامة من جزيل احسانه وحفيل امتنانه، والصلاةِ على نبيه المبتعث بحجته البالغة وبرهانه، وعلى آله وصحبه[5] المتسابقين الى مضماره والجارين على (...)[6] والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم بحسبه ونسبه ومكانه وزمانه، وعن الخليفتين الامامين الراشدين المرشدين سيديْنا اميري المومنين القائمين بامره والمعظمين لشأنه، وموالاة الدعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤيد المنصور الناصر[3] لدين الله امير المومنين المجاهد في الله تعالى حق جهاده معتقِدة التثليث وعبدة صلبانه، ولنجله الاطهر الازكى الامير الاجل المبارك الميمون المظفر الاسعد ابي عبد الله[7] بن الخلفاء الائمة الراشدين المهديّين بعزة سلطانه وغلبة جموعه وظفر أعوانه.

فكتب العبيد (الـ)ـثاوون[8] من الحضرة الامامية ادام الله علوها وسموها في الحرم الآمن والبلد الامين، الآوون من نعمتها وذمتها الى الرُّبوة ذات القرار والمعين، كتب الله لها من الفتوح المتوالية المتواترة والسعود المتوافية الوافرة ما يشرق على الارض ذات الطول والعرض انوارُه، ويتضح فيها فجره الساطع ونهارُه، ويعز الاسلام واهله والتوحيد وحزبه بسطته الغالبة واقتدارُه، ويرفع بعدلها الشامل وسعدها(الباهر) الكامل ركنه ومرقبه ومناره، من مدينة مراكش — حرسها الله — وامرها العزيز العالي — ادام الله (...)[9] وعلاء — ما عوّده الرب سبحانه من إعزاز المجاور والمصاحب، وإذلال المُوَارِب والمُجانِب، وتعرّف الخير/ (والخِيَرة) واليمن والبركة في كافة الانحاء وجميع المذاهب، واطّراد (الفوز) والنجح (والسعد الذي) يأتي كفلق الصبح مما يَعِنّ من الأغراض ويَسنح من المطالب ؛ ولله تعالى بكم ياسيدنا عناية ربانية قد ظهر على العالم سعودها، وانتُجز لهم بيمن نقيبتكم وبركة سيرتكم وعودُها، ووفد على البلاد واهلها والاقطار ومَن حلّها بنيل المرغوب وبلوغ الامل المحبوب بريدُها، وبدا (لهم) على تعاقب الازمان وتغاير الاحيان نموها المتغنّم ومزيدُها ؛ فالخيرات بكم ظاهرة[10]، والبركات بجميل مذهبكم شاهرة، والمسرات بعالي نظركم راهنة، والبشارات بحميد اثركم واعد(ة إ)حراز الاماني ضامنة، لا جرم ان تلك عادة الله عندكم المعروفة، وسنته لكم المعهودة المألوفة، التي بهرت آيتها، واستوى سرها لديكم وعلانيتها، ووسِعَ الجمهورَ فضلُها، (وأحسبَهم)[11] على العلات طَولها وبذلُها، وأراهم عين اليقين أن ايامكم — فسحها الله — اجمل الايام، ومدتكم — مدّها الله وامدها — (أطولُ المُددِ)، وسياستكم — حاطها الله وحفظها — أفضل السياسات، وأنكم المنصورون المغلَّبون، والمظفَّرون الظافرون، بتأييد الله القاهرون، بنصر الله المعتلُون، بمنّ الله المستولون على كل من عاندكم وكايدكم، بفضل الله (....)[12] عمَّ عدلكم، وتم

ع ز/13

---

(5) لازال الدعاء لآل الرسول وصحبه، وسينقطع هذا الدعاء لهم في الرسائل اللاحقة.

(6) قدر كلمة غير واضحة لعلها (اسانِه)، والأسان جمعها أُسُن اي البقايا والآثار.

(7) هو ابو عبد الله محمد (الناصر)، اخذ له ابوه البيعة بولاية العهد في اواخر 587 أو 588، انظر الرسالتين 40 و 41.

(8) في الاصل : (التاوون) مع تعرض (ال) للارضة ومعنى ثوى : اقام.

(9) قدر كلمة غير واضحة مثل (علوّه).

(10) استعمال حرف الكاف للمخاطبين للدلالة على الخليفة حالة استثنائية، فغالبا ما يخاطب بضمير الغائبين.

(11) حرف الباء ماروض ولم يبق منه غير الفتحة عليه، هذا ان كان الحرف باءً.

(12) قدر كلمة غير واضحة

على الكافة فضلكم، وشُهِـ(ـد)إحسانكم، وبهر امتنانكم، وظهر اشفاقكم على (....[12] حا)طهم الله ــ بنظركم المبارك وحنانكم، والله تعالى يجازيكم عن الامة افضل الجزاء، ويؤيدكم ويعلي يدكم على كافة الاعداء، ويعيننا معشر عبيدكم على الائتمار بهديكم والاقتداء.

وقد وصل الى العبيد ــ وصل الله الحضرة الإمامية مدةَ التأييد والنصر، وضاعف (لها) مزيد الظفر المؤذن باعتلاء الامر واشتداد (...) ــ الكتابُ الإمامي العزيز، والخطاب الذي له الشفوف على الحقيقة والتبريز، مضمَّناً المسرة الكبرى، والبشارة التي هي من كل بشارة أعلى وأسنَى (واسرى)[13]، بما فتحه الله للاسلام واهله على الكريمتين يدي سيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤيد المنصور الناصر لدين الله امير المومنين، ونخبة الخلفاء المحسنين، خلد الله ملكه، وصيَّر سبعة الاقاليم مِلكه[14]، (على) اللعين المدْبِر الإذفونَش[15] طاغية النصارى أركسه الله كما وكسه، وصلمه كما وقمه، واخزاه وأذله (كما)[16] أدْحره وأقلّه، وفي شيعته النصرانية أنزل الله به وبهم نكالَه، كما أذاقه واياهم بسعيكم المنصور (وب ....)[17] ووبالَه، وأحل به وبهم هُونه وخِزيه، كما أضل بهديكم سعيهم الخاسر وسعيه، وما صنعه الله للمسلمين في جموعهم التي كانت غصّ بها الفضاء، (وعُرف) منها الغَناء في المواطن الكريمة والمضاء، (و...)[17] بالعُدة والعديد، ويَقِن أنه لم يُعهَد لهم مثلها في الزمن المتقادم والأمد البعيد، من القتل الذريع الشنيع، والهزيمة الفاضحة للجميع، وكيف تقسّمتهم السيوف، وتوزّعتهم الحتوف، وتحكّمت في (رقابهم ؟)[17] وطِلابهم بيضُ الصفاح، (و...ـتْ)[17] في مجال صدورهم وثُغَر نحورهم أسنّةُ العوالي وسمُر الرماح، (...)[17] اليه رِعَالُ كُماتهم وصناديدُ حماتهم بحكم الاضطرار من تولية الأدبار، وركوب العار بإسلا(م) الحوزة واباحة الذِّمار، وتسابق (هامِهم)[18] مع أقدامهم في الفرار والانتثار، وما استولى عليه المو(حدون) ــ أعزهم الله ــ في محلتهم المغلوبة المسلوبة من انظهر والكُراع، وحُرّ السَّلَب وفاخِر المتاع، وحصلوا (عليه) من الاسلحة والأزواد والأقوات، والمضارب والأبنية والآلات، وكل ما ذخروه ووفّروه وضنّوا (وشحّوا) عليه، وتقدّموا في الدفاع عنه بين يديه[19]، وما كان من اسلامهم لأعلامهم المنكوسة[20] وصِلبانهم،

---

(13) الحرف الرابع غير واضح ولعله (ر) ليطابق السجع.

(14) هنا فكرة التوسع في العالم الاسلامي بل المبالغة في الدعاء بملك العالم كله، فالعالم كان يقسمه الجغرافيون انذاك الى سبعة اقاليم من جنوب الصحراء (بالنسبة للمغرب) الى الشمال وكل اقليم يوزع من الغرب الى الشرق.

(15) الاذفونش هو الفونسو الثامن الملقب بالنبيل (552 ــ 612)، خضع للوصاية الى سنة 562، وهو المنهزم في الارك، المنتصر في «العقاب».

(16) كلمة غير موجودة في النص (ربما لكشط في آخر السطر)، والسياق يفترض وجودها.

(17) قدر كلمة غامضة.

(18) في الاصل : هامتهم غير انها في حالة الإفراد غير مناسبة.

(19) لا شك ان افخر المتاع المسلوب هو متاع محلة الفونسو.

(20) اشارة اخرى الى اخذ الموحدين «لعلامات» الطاغية اذفونش المنكوسة بعد هزيمته في «الاركة» نجدها في الذيل س 6/ 24 ــ 25 ضمن ترجمة ابن رشد.

و(....)[17]قرابينهم للحادثة ورهبانِهم، واستوى بَطارقتُهم وأساقفتُهم واسخَلاّرِيّتُهم وزَراوِرَتُهم في القتل و(...)/ والتولي (...)[21] ما استحر بالافرَنْريّين وهم ذوو البصائر في يقينهم، والتشددِ في (دينهم) من الدمار والبوار، المفضي بجميعهم الى هاوية النار وسخط الجبّار، وما افتُكّ بأخِيذتهم في الأركو ــ عمّره الله ــ من اسرى المسلمين[22]، وفُقِد في الناوُرْد والمعترك من محشورتهم الأغفال ومشاهيرهم المعلمين (....)[23] به خرق العادة، وفُهِم بتصوره اقتبال السعادة التي أعزّت الاسلام، ومنحت الشركَ وأهله الاتعاسَ والإرغامِ والانثلام والاصطلام، وأعطت ظهور الكلمة واعتلاء اللُّمّةِ ما عاقب الاصباحُ الإظلامَ والإحلالُ الإحرام.

ع ز/30

وانه سيدنا ــ وصل الله ظفركم، وأحمد في سبيله واعدائه أينما كانوا أثركم ــ الفتحُ الذي أُغرب، وشرَّق وغرَّب، وأعرق وأشأم، وأنجد في معمورِ الارض وأتهم، وقضى عند الوقوف على كنهه، أنه لم يُسمَع في ما سلف بشبهه، ولا تقدَّمَه مثيلٌ يقاس عليه، ولا عُلِم نظير تنضاف صفته اليه، وإن الله تعالى (....)[25] من الاسلام قوةَ المريرة، وأبقى كلمته عالية في تلك الجزيرة، وقصم بوقوعه وسماعه ظهورَ فِرق النصارى ما بين حدّ برتقال فأقصى الارض الكبيرة ؛ وإن مِن أظهرِ الآيات، وأشهر العنايات، حصول المعاقل[26] التي كان الكفرة شدّوا عليها يد الضِّنّانة وصرفوا اليها همة العناية والصيانة، وتوفّروا على سد ثغرها بغاية جُهدهم، وتقدّموا الى ذلك وفيه بأوفر تهمّمهم وأظهرِ جِدِّهم ؛ والقدَرُ يضحك من ورائهم (...)[27] باحتقارهم في ذلك وازدرائهم، ويذخَرها (المطعَم) النصر أوحدُ الدهر والعصر، ويَعِد الايمان على يديه بالجبر ما كان في تلك المعاقل من الكسر، وقد أصبحت ــ والحمد لله ــ بسعادة سيدنا ومولانا دار اسلام، وأضحت معهد صلاة وصيام، يُسمع من صوامعها نغمة (الأذان)، وتُشرق جوامعها بتلاوة القرآن، وتقام (بها) الجماعات والجُمع، فتظلم بضيائها الكنائسُ المجاورة لها والبِيَع[28]، وأمست قذاةً في عين اللعين وغصّة (في قلبه)، وحزازة في نفسه وكمدا في كبده، وخيفت منها أصقاعُ الشرك ومغاني

---

(21) قدر كلمتين غير واضحتين.

(22) حصن الاركة او الاركو او الاركس حصن فتحهُ المسلمون بعد الانتصار قربه على جيش الفونسو ملك قشتالة، انظر الاستقصا 2/ 189، و(193 ــ 194)، وراجع في الدراسة العامة الفصل الثالث، الفقرة الخامسة.

(23) قدر كلمتين ولعلهما : (ما عُلِم).

(24) يذكر ابن عذاري ان انتصار الارك انسى ما سبقه من انتصار الزلاقة (ص 197).

(25) قدر كلمة او كلمتين غير واضحتين.

(26) ومنها حصن الارك نفسه الذي كان يعمره (000 5) فرد بين كبير وصغير، انظر البيان (195 ــ 196) وانظر عن دور (بيدرو فرانديس دي كاسترو) في تسليم حصن الارك وفي المعركة بجانب المسلمين مقال ميراندا في الموسوعة الاسلامية م 1/ 625 مادة AL ARAK، وراجع الفقرة الخامسة من الفصل الثالث. ومن الحصون الاخرى المستردة قلعة رباح وكركرا (ولعله كركوي) زيادة على الارك (الاستقصا 2/ 194).

(27) كلمة لم يبق منها غير الحرفين الاخيرين (ـكك) ولعلها : ويضحكك.

(28) اعتراف ضمني بوجود حصون اخرى بالمنطقة بيد النصارى.

الكفر، وآذنت أهلَها بالجلاء والتبدد، (ورمتهم) بالتفرق والتشرد، كما قد امنت بها ثغورُ المسلمين وبسائطهم، وودَعت أطرافهم ووسائطهم[29] وانتظم تأليفهم، (وأنظم)[30] شملَهم قويهم وضعيفُهم، وانصبّ من مَغبَرتهم على الكفر سوْطُ (العذاب)، وأحسَبَهم من مرابطتهم صيمُ تَبار وتباب، يغادونهم ويراوحونهم بالويل وغارة الصباح وبيات الليل دون إغباب، ويُدخلون عليهم المكارهَ المحْرِقة المغْرِقة من كل باب.

فأما من استشهد من المسلمين رحمة الله عليهم في حُميَى الصدمة واحتدام الملاقاة[31]، فقد قرّت عيونهم بما قدّموا من جسيم الثواب عليه، (....)[32] نفوسهم بما صاروا من كرم المآب اليه، وودّوا لو أنهم أُعطُوا كرّة ورُدّوا الى الدنيا (ولو ؟) مرّة، (أن يعاودوا ؟)[32] بأنفسهم ثانية، ويحدّثوا إخوانهم بما رأوه من النعيم المقيم جهرة علانية، «أولائك الذين صدقوا (وأولائك)[32] هم المتقون»[33]، «الأحياء عند ربهم يُرزقون»[34] أولوا الحماسة والبسالة، والنفوس الأبية والمهج المسالة، (....)[35] والكرم والمجد الأتلد الأقدم، الذين رَبحَ بيعُهم وتجْرُهم، ووقَع على الله أجرُهم، وكَرُمَ مشهدُهم (....)[35] وبُعدَ في سبيل الله تعالى أثرُهم، وبرضى الحضرة الامامية عنهم وصلوا الى الحسنيين، وأحرزوا (.... تين)[36]، وفازوا بخير الدارين، «فمن أحسن منهم مقيلا»[37]، وأكرم عند الله تعالى قيلا، وأوجد الى نيلِ (.... القدسية)[35] طريقا وسبيلا وقائدا هادياً ودليلا، فالحمد لله رب العالمين أولاً وآخرا وباطنا وظاهرا، (كشف) بكم سيدَنا ومولانا الغمّاء، وأتمَّ بإيالتكم وكفالتكم على هذه الأمة النُّعماء، وأخزى بكم وعلى (....[35] كُم)[38] الأعداء، وأعاد الى معهده ومَرقَبه بعد انتزاحه عنه وتغيُّبه الدعوة العلية الحنيفية والنداء،/ وذَخَر لكم أجر هذا الفتح العظيم، وشفى صدور المؤمنين، وأذهب غيضَ قلوبهم (....)[39] وأيّد الاسلام وحزبه، ورفع بنظركم المبارك ورأيكم الميمون عنه (كر)بَه، ودفع حَـ(ر)بَه (....)[40] بكم ندمَه، بل ان شاء الله بَواره وعدمَه،

ع ز/31

---

(29) في هذا اشارة الى ان منطقة المعركة هي فعلا منطقة الثغور وليست داخل ارض قشتالة.

(30) كذا بالاصل (مع قلة في الوضوح).

(31) لعل المتضررين من الصدمة الاولى في المعركة هم المتطوعة، ومن المشايخ الشهداء ابو يحيى حفيد الشيخ ابي حفص فعرف بالشهيد وابناؤه بابناء الشهيد، وبلغ عدد شهداء المسلمين زهاء 500 (البيان 194) المعجب 282 ــ 283، رفع الحجب المستورة 58 ــ 59 (مجلة المعهد المصري بمدريد عدد 1954).

(32) قدر كلمة في اول السطر مأروضة.

(33) من الآية 177 من (البقرة).

(34) اقتباس من الآية 169 من سورة آل عمران.

(35) قدر كلمتين في اول السطر مأروضتين.

(36) قدر كلمتين اوثلاث يبدو انها كالآتي : واحرزوا (على احدى الجنتين)...

(37) اقتباس من الآية 122 من سورة النساء.

(38) يبدو انها : وعلى (يمن يديكم)...

(39) ثلاث كلمات مأروضة.

(40) قدر ثلاث كلمات مطموسة ومأروضة.

وعرّفكم أن محادّتكم ومشاقّتكم أزلّت قدمه، وصلبت صليبه ونكست عَلمه، وستـ(ـريـ)ـق وان أمهله القدر بسيفكم القاهر الغالب دَمه ؛ وهنأ الله الاسلام والايمان وسيدنا ومولانا امير المومنين، وعامة المسلمين ما منح الله تعالى ونوّلَ، وأعطى وخوّل، وأنعم فأجزل، ومنّ فأكمل، وشفّع هذا الفتح بأمثاله، وقرنه بأشباهه، وجعله عنوانا على ما يتلوه، ودليلا لما يتبعه، ولا أعدَمَنا ابدا دائما (....)[41] متواليا متتابعا ما يزيد عليه في السمعة ويتقدمه في الذكر وينسيه في الاثر، آمين آمين آمين بحوله وصَوله، والسلام الكريم، الطيب المبارك العميم، على الحضرة الامامية ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(41) قدر كلمة تظهر هكذا : (واصباً) بمعنى : دائما وثابتا.

الرسالة الثالثة والأربعون :

رسالة المنصور بعد نكبة ابن رشد إلى الولايات يأمر فيها الناس بترك علوم الفلسفة واحراق كتبها

تقديم : قبل حركة المنصور إلى الأندلس، قدم عليه بمراكش سنة 590 جماعة من الأندلسيين يحرضونه ضد ابن رشد[1]، فلم يهتم بذلك حيث كان يهيء لمعركة الارك، كما لم يهتم بذلك أيضا بعد انتقاله إلى الأندلس الا بعد انتصاره في المعركة واستقراره بقرطبة حيث تجددت شكاوى بعض المعارضين لعلوم الفلسفة أو الحاسدين لابن رشد، فكانت «محنته» بمحضر أعيان قرطبة، وطرد من مجلس المنصور، فأمر هذا كاتبه ابا عبد الله ابن عياش بتوجيه رسالة الى مختلف الولايات يامر الناس بالتخلي عن علوم الفلسفة واحراق كتبها، كان ذلك سنة 593[2] حسب صاحب الذيل والتكملة الذي اورد ترجمة لابن رشد وضمنها الفصل الآتي من الرسالة المذكورة (ص 26 ــ 28) السفر 6 نشر احسان عباس.

نص الرسالة :.....وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام، وأقرّ لهم عوامُّهم بشُفوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعو إلا الحي القيوم، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم، فخلّدوا في العالم صُحفا ما لها من خَلاق، مسودّة المعاني والاوراق، بُعدها من الشريعة بعدُ المشرقين، وتبايُنها تباينُ الثقلين، يوهمون أن العقل[3] ميزانُها، والحقَّ برهانُها، وهم يتشعّبون في القضية الواحدة فِرقا، ويسيرون فيها شواكل وفرقا، ذلك بأن الله خلقهم للنار، وبعمل أهل النار يعملون. ﴿ليحمِلوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومِن أوزار الذين يُظلُّونهم بغير علم، ألاَ ساء ما يَزِرون﴾[4] ؛ ونشأ منهم في هذه السمحة البيضاء شياطين إنس ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون﴾،[5] ﴿يوحي بعضهم الى بعض زخرفَ القول غُرورا، ولو شاء

---

(1) هو ابو الوليد محمد بن احمد ابن رشد قاضي الجماعة بقرطبة، انظر ترجمته في التكملة (ت 1378، كوديرا، اوت 1497 ط القاهرة) وفي الذيل س 6/ ص 25 وما بعدها، النباهي في «المرقبة» ص 111، والمعجب (305 ــ 306)، وبغية الملتمس ص 44، وشذرات الذهب 4/ 0 32، والديباج 284، والمغرب لابن سعيد 1/ 104.

(2) الذيل س 6/ 25 وما بعدها، وايضا البيان (ص 202) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول من الدراسة العامة.

(3) لعل هنا تلميحا الى المنهج العقلي لابن رشد وعلاقته بالفلسفة اليونانية.

(4) الآية 25 من سورة النحل.

(5) الآية 9 من سورة البقرة.

ربك ما فعلوه، فذرهم وما يفترون﴾[6] فكانوا عليها أضرّ من اهل الكتاب، وأبعدَ عن الرجعة الى الله والمآب، لأن الكتابي يجتهد في ضَلال، ويَجدّ في كَلال، وهؤلاء جهودهم التعطيل، وقصاراهم التمويه والتّخييل، دبّت عقاربهم في الآفاق برهة من الزمان، إلى أن أطْلعَنا الله سبحانه منهم على رجال كان الدهر قد سالمهم على شدة حروبهم[7]، وأغفَى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم، وما أمِليَ لهم إلا ليزدادوا إثما، وما أُمهِلوا الا ليأخذهم ﴿الله الذي لا إلاه الا هو وَسِعَ كلَّ شيء علما﴾[8].

وما زلنا ــ وصل الله كرامتكم ــ نذكّرهم على مقدار ظنّنا فيهم، وندعوهم على بصيرة الى ما يُقرِّبهم الى الله سبحانه ويدنيهم، فلما أَراد الله فضيحة عمايتهم وكشْفِ غوايتهم، وُقف لبعضهم على كتب مسطورة في الضلال[9]، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشّمال، ظاهِرُها موشّح بكتاب الله، وباطنها مصرِّحٌ بالاعراض عن الله، لُبّسَ منها الايمان بالظلم، ويجيء منه بالحرب الزبون في حالة السلم، مزلةٌ للأقدام، وسمٌّ يَدِبّ في باطن الاسلام، أسيافُ اهل الصليب دونها مفلولة، وأيديهم عن ما يناله هؤلاء مغلولة، فانهم يوافقون الأمة في ظاهرهم وزيّهم ولسانهم، ويخالفونهم بباطنهم وغيهم وبهتانهم، فلما وقفْنا منهم على ما هو قذى في جفنِ الدين، ونكتة سوداء في صفحة النور المبين، نبذناهم في الله نبذ النواة، وأقصيناهم حيث يقصى السفهاء من الغواة، وأبغضناهم في الله، كما أنّا نحب المؤمنين في الله، وقلنا اللهم إنّ دينك هو الحق اليقين، وعبادَك هم الموصوفون بالمتقين، وهؤلاء قد صدفوا عن آياتك، وعَمِيت أبصارهم وبصائرهم عن بيناتك، فباعدْ أسفارَهم، وألحقْ بهم أشياعهم حيث كانوا وأنصارهم، ولم يكن بينهم الا قليل وبين الإلحام بالسيف في مجال ألسنتهم، والإيقاظ بحده من غفلتهم وسِنَتهم، ولكنهم وقفوا بموقف الخزي والهون، ثم طردوا من رحمة الله ﴿ولو ردّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾[10].

فاحذروا ــ وفقكم الله ــ هذه الشرذمة على الايمان، حَذرَكم من السموم السارية في الابدان، ومن عُثر له على **كتاب من كتبهم فجزاؤه النار** التي بها يعذّب أربابهُ، واليها يكون مآل مؤلّفه وقارئه ومآبُه، ومتى عُثر منهم على مُجرٍ في غُلَوائه، عَمٍ عن استقامته واهتدائه، **فليعاجَلْ فيه بالتثقيف والتعريفْ**، ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكّم النار، وما لكم من دون الله من اولياءَ ثم لا تُنصرون﴾[11] ﴿أولائك الذين حبطت اعمالهم﴾[12] ﴿أولائك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحَبِط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾[13]، والله تعالى يطهّر من دنس الملحدين اصقاعَكم، ويكتب في صحائف الابرار تضافرَكم على الحق واجتماعَكم، انه مُنعِم كريم...

---

(6) من الآية 112 من سورة الانعام.

(7) لعل الاشارة هنا الى ابن رشد والقاضي ابي عبد الله ابن ابراهيم الأصولي «اللذيْن لم يكن في زمانهما من هو بكمالهما ومن سار على دربهما» الذيل 6/ ص 26.

(8) من الآية 98 من سورة طه.

(9) انظر المعجب (305 ــ 306) وخصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(10) من الآية 28 من سورة الانعام.

(11) الآية 113 من سورة هود.

(12) من الآية 22 من سورة آل عمران.

(13) الآية 16 من سورة هود.

الرسالة الرابعة والأربعون :

رسالة والي اشبيلية جوابا على المنصور بشأن الاهتمام بالكتاب والسنة

تقديم :لاحظ صاحب المعجب ان المنصور «تقدم الى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي... وكان قصده... محو مذهب مالك... وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد ابيه وجده... فظهر في ايام يعقوب هذا ماخفي في ايام ابيه، وجدّه» (ص 278 ــ 279)، وذكر انه رأى بنفسه حرق كتب الفروع بمدينة فاس[1]. وهذا الامر وجهه المنصور الى عواصم الولايات ومنها اشبيلية، وكان من عادة الولاة ان يكتبوا الى الخليفة مخبرين بوصول كتابه وتنفيذ اوامره، ولعل الرسالة الآتي نصها هي الجواب الذي كتبه والي اشبيلية على مثل هذا الأمر، اذ انه يذكر ما تضمنته رسالة الخليفة من الامر بالاهتمام بالقرآن والسنة، وهذا نص الرسالة الجوابية كما وردت في المخطوط الخاص (ص 305 ــ 308)[2] ومن انشاء ابن وضّاح[3].

نص الرسالة :

م خ/305 الحضرة الامامية، المعظمة المقدسة العلية، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر لدين الله[4] امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين وصل الله دوام نصرها واعزاز امرها ، عبيدُها الشاكرون لجزيل نَعمائها، المتقلبون في مِننها الجمة وآلائها، الطلبةُ الذين باشبيلية والكافة من اهلها، سلام طيب كريم، مبارك عميم، على مقام الحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله على جزيل ما منح من نعمه وآلائه، والصلاةِ على محمد نبيه ورسوله خاتم رسله وانبيائه، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم محيي رسم الدين بعد دروسه وامّحائه، وعن خليفته الامام امير المومنين الجاري على سَننه الكريم، ونهجه القويم، في هديه واهتدائه، وعن الخليفة

---

(1) يذكر المراكشي اسماء المدونات التي احرقت (ص 278)، وينسب صاحب «بيوتات فاس» حرق «المدونة» الى الخليفة الناصر (19 ــ 20، المطبعة الملكية).

(2) هذه اولى رسائل هذا المخطوط ضمن هذه «المجموعة الجديدة»، وستأتي بقية رسائله مرتّبة زمنيا مع باقي الرسائل.

(3) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة (تر 17).

(4) الملاحظ هنا ان الخليفة يعقوب لم يتخذ بعد ــ فيما يبدو ــ لقب المنصور منفردا وبصفة رسمية، راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

م خ/306 الامام امير المومنين بن سيدنا الامام الخليفة/ أمير المومنين متقبل شرفه العميم ومجده وسنائه، وموالاة الدعاء والاسترضاء لسيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر... لدين الله[4] امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين بالنصر الاعز والفتح الاكمل الاعم على كافة اعدائه، ومواصلة الدعاء بدوام ذلك للامير الاجل ابي عبد الله فرعه الازكى الاتقى الاطيب ولي عهده ونجله الايمن الاسعد الانجب، واستمرار أجمل الصنع وتماديه واستيلائه[5].

فكتبه عبيد الحضرة العلية الامامية المعظمة المقدسة ـــ كتب الله لها اتصال ما عوّدها من طلوع عميم البشائر عليها والمسرات، وانثيال جزيل الفتوحات لديها والخيرات ـــ من مدينة اشبيلية ـــ حرسها الله ـــ على ما يجب على العبيد ويتعين من التزام طاعة أوامرها العالية، وشكر عوارفها المترادفة المتوالية، والربُّ سبحانه يحمل العبيدَ من شكر هذه النعم الجسيمة ((التي الغائب بالحاضر من عبيد الحضرة الامامية اعلى الله مقامها وخلد ايامها، في اخذهم منها بالحظ الأوفر لها قِبلهم بمنه وكرمه))[6] ؛ وان العبيد ـــ ادام الله للحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية اعتلاء مقامها وتخليد ايامها ـــ لم يزالوا ابدا متشوفين[7] الى مايصدر عن مقامها الاعلى ـــ خَلَّده الله ـــ مما عهدوا أن يعتمدهم من الخير ويتوخاهم، مترقبين لما أَلِفوا أن يَرِد عليهم من النظر الجامع لصلاح أحوالهم في دنياهم وأخراهم، موقنين بأنه الهادي المرشد لهم بالوصايا النافعة والحِكم البالغة والمواعظ الناجعة الى ما يُزلِف عند الله تعالى في مماتهم ومحياهم، واثقين بأن نظر المقام الاعلى ـــ خلده الله ـــ لهم لا يزال يلتفتهم ويتعهدهم بكل أمنية من الحفظ والرعاية، ولا ينفك يتحرّاهم ويتفقدهم بكل رغبة في الاحتياط والحماية، وكيف لا يكون التشوّف من العبيد نحو إرشاد المقام الاعلى دائما والترقب له متصلا، والثقة بجميل نظر سيدهم ومولاهم ـــ خلد الله ملكه ـــ متمكنة دائمة مستمرة، وهو ظل الله الظليل عليهم ورحمته الواسعة فيهم، وأمنه وأمانه المتصلان منه في قاصيهم ودانيهم ؛ والله يخلّد أمرهم العزيز تخليد تعاقب الليالي والايام، ويجمع على طاعتهم في المشارق والمغارب قلوب كافة الانام، بقدرته وعزته.

وإنّ ما جمع للعبيد أمرَ دينهم ودنياهم وحواه، وقَرن لهم بين عاجل الخير وآجله بذلك م خ/307 واستوفاه،/ الكتابُ الكريم العزيز الواصل اليهم من مقرّ العلم ومعدن تقبيل أنوار الهداية ومحل الامامة والخلافة حيث لا تُقتَبس الأنوار إلا منها، ولا تهتدي الأفكار إلا بما تأخذ عنها ؛ لقد أشرقت بما تضمّنه من الأنوار الساطعة والآثار البينة الواضحة الأبصارُ والبصائر، وخلُصت له بضرورة العقل من كل **مسلم مومن موحّد**[8] **المعتقدات** والضمائر، واستوى في معرفة صدق ما ألقاه من **البراهين القاطعة للشك البادي والحاضر**[9] ؛ والله تبارك وتعالى يوزع العبدَ[10] شكر المنة العظمى فيه،

---

(5) راجع الرسالتين 40 و 41 وخصوصياتهما وكذلك خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(6) الجملة ما بين هلالين مزدوجين (( )) يبدو انها في حاجة الى التقويم.

(7) في الاصل بحرف القاف، والاصوب : (متشوفين) بالفاء اي مترقبين ومنتظرين، وسترد كلمة (التشوف) بعد قليل.

(8) يتفق هذا التعبير مع عقيدة التوحيد عند الموحدين.

(9) في هذا تلميح الى كون الرسالة الخليفية المجاوب عنها قد تكون متعلقة بموقف الخليفة من ابن رشد وكتب الفلسفة.

وحمدَ النعمة السابغة فيما اقتضته ألفاظه الصادعة بالحق ومعانيه، بمنه ؛ ولما وصل ــ وصل الله للحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية دوام نصرها وإعْزاز أمرها ــ وانتهى الى العبيد خبر ورُوده ووصوله، أُلقِيَ في رَوع كل منهم قبل سماعه أنّ خير الدنيا والآخرة حصَل لهم في مضمّنه ومحصوله، وأن البغية التي يبتغونها من طاعة الله ورسوله، إنما يتوصلون اليها ويحوزونها بقبول ما يلقيه المقام الاعلى ــ خلده الله ــ عليهم وينهيه اليهم، تبادروا نحو سماعه للحين، ملبّين مهطعين، تطير بهم أجنحة السرور، وتسعى بهم أقدام الابتهاج، ويحدوهم حادي الحرص الذي عندهم على الطاعة المتعينة ؛ ثم لما استوعبوا سماع جميع ما تضّمنه من الفصول التي لا يكون الفوز في الدارين والسعادة فيهما الا بمن اهتدى بأنوارها، واقتدَى بمعالمها النيرة الواضحة وآثارها، تلقَّوْها بالتعظيم والتبجيل، وتَقَبَّلوها بقلوب شرحها الله لقلوب الخير ببركة ورودها عليهم أحسن قبول، وعَلِموا وتيقنوا أن أنوار المقام الاعلى ــ خلده الله ــ هي الهداية لهم بالأملاء الكريم الى **معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله وسنة الرسول**(11)، ولم يجعلوا لأحد ممن بلغ التكليف أو ناهزه في غير الاشتغال بدراسته من سبيل، وأخذوا بتحصيله كافة نسائهم وصبيانهم وإمائهم دون تقصير في وقت ولا تعطيل، فهو يُتدارس بالأبرية والأفنية، ويُتلَى حق تلاوته ابتهاجاً به في وهدة او ثنية ؛ قد عمرت بدراسته المساجد والمحاضر، وأعمِلت في انتساخ نسخته الأَمَدةُ والاقلام والمحابر، وتساوَى في ذلك كله القريب والبعيد والبادي والحاضر ؛ والله تبارك وتعالى يوفق العبيد لما فيه رضاه ورضى سيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين، ويحسن عونهم على شكر هذه/ النعمة الجسيمة التي أنعموا بها على عبيدهم وعن سائر نعمهم الجزيلة أفضل جزاء الائمة المنعِمين المحسنين، ويمنحهم على ذلك خير مِنح الخلفاء الراشدين المرشدين(12)، ويخلِّدُ أمرهم العزيز العالي الى يوم الدّين، بكرمه وعزته لارب سواه، والسلام الكريم، الطيب المبارك العميم، على مَقام الحضرة الامامية، المعظمة المقدسة العلية، ورحمة الله تعالى وبركاته(13).

م خ/308

---

(10) كذا بالاصل، ولعل الاصح : (العبيد)، حيث وردت الكلمة بالجمع في بقية الرسالة.

(11) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(12) اي الخلفاء الموحدين.

(13) حول تاريخ الرسالة انظر خصوصياتها.

الرسالة الخامسة والأربعون :

رسالة والي سجلماسة السيد أبي الربيع إلى ملك غانة

تقديم :

وردت هذه الرسالة ضمن كتاب نفح الطيب ج 3/ 105، وهي من جملة مانقل ابن حمويه[1] عن ابي الربيع[2] والي سجلماسة[3] عندما اتصل به خلال ولايته في اواخر عهد المنصور أو أوائل عهد الناصر، وقد تميز هذا الوالي بالحزم فيما يبدو، فهو يعدم قطاع الطرق بين سجلماسة وغانة[4]، كما انه يحمل المسؤولية لملك غانة عن العراقيل التي يعاني منها التجار المغاربة هناك ولا يعاني الغانيون من مثلها في سجلماسة وجهاتها، وهذا فصل من الرسالة التي وجهها في هذا الموضوع الى ملك غانة كما وردت في نفح الطيب.

فصل الرسالة :

....نحن نتجاورُ بالاحسان، وإن تخالفنا في الاديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألّف على الرفق بالرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجَورَ لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة ؛ وقد بلغَنا احتباسُ مساكين التجار ومنعَهم من التصرف فيما هم بصدده ؛ وتَردّدُ الجلاّبة إلى البلد مفيد لسكانها، ومُعينٌ على التمكن من استيطانها ؛ ولو شئنا لاحتبسنا مَن في جهاتنا[5] من أهل تلك الناحية، لكننا لا نستوصب فعلَه، ولا ينبغي لنا أن ننهَى عن خُلق ونأْتِيَ مثلَه، والسلام.

---

(1) هو تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر... ابن حمويه السرخسي، له رحلة مغربية... اذ سافر الى بلاد المغرب سنة 593 واتصل بيعقوب المنصور، وبقي بالمغرب الى سنة 600 نفح الطيب 3/ 101 وما بعدها دار صادر، بيروت، ووفيات الاعيان (ترجمة يعقوب المنصور).

(2) انظر ترجمته ضمن كتاب الرسائل (تر 18).

(3) حول هذه المدينة واهميتها الاقتصادية انظر الادريسي 37 — 38 (بيريس) الاستبصار 200 — 202 الروض المعطار 305 صبح الاعشى 5/ 163 وما بعدها. هذه الاهمية ستوجه اليها اطماع ابن غانية سنة 605 وستتكرر حركاته اليها، وستتوجه اليها ايضا اطماع ثائر كزولة، وغيره من المنافسين للخلفاء الوحدين (راجع الفقرة الثانية من الفصل الرابع).

(4) انظر نفح الطيب 107/3، وانظر ايضا مقالا عن (العلاقات مع السودان) بمجلة «الاصالة» الجزائرية عدد 1975/26. ومقالات مجلة كلية الآداب بفاس عدد 1989/5.

(5) هذا دليل على وجود الغانيين بالمغرب (الجنوبي على الاقل)، ولكن لايبدو ان عددهم كان كثيرا فالاحتكار التجاري شمال الصحراء كان للمغاربة، ولعل مملكة غانة كانت تحاول عرقلة وصول المغاربة اليها لتحطيم هذا الاحتكار والسيطرة على طريق الملح.

الرسائل من رقم 46 إلى رقم 52 :

رسائل من تونس إلى بيشة حول اعتداء على سفن المسلمين

تقديم :

في سنة 596 تعرضت بعض سفن المسلمين بتونس لاعتداء من قطع بيشانية، فوجهت حكومة تونس عدة رسائل في الموضوع الى حكومة بيشة حول ضرورة معاقبة المعتدين واحترام المواثيق. وردت هذه الرسائل عند أماري تحت ارقام 6 و9 و8 و10 و11 و12 و13 وهي كما يلي وعلى التوالي :

رسالة من عبد الرحمن بن أبي الطاهر الناظر بديوان افريقية (رقم 46) :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما،

الاشياخ الاجلاء[1] الكبراء[1] الكرماء[1] الاثراء[1] الارشفشك والقناسلة[2] والحكام والاعيان من اهل بيشة هداهم الله لرضاه وارشدهم لما يرضاه، مكبركم وموثركم عبد الرحمن بن ابي الطاهر الناظر بديوان افريقية كلأها الله[3]، اما بعد حمدِ الله العلي العظيم، والصلاةِ على سيدنا محمد نبيه الكريم، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وعن الخلفاء[1] الراشدين[4] الجارين على سَنن هديه، القويم، والدعاء[1] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين[5] ابن الخلفاء الراشدين بدوام النصر العميم والفتح الجسيم.

فكتب اليكم من تونس ــ كلأها الله ــ سائلا عن انبائكم، وتلقيا لما يرد من تلقائكم ؛ والذي يجب اعلامكم[6] به ــ ارشدكم الله ووفقكم ــ (انه)[7] وصل الى مرسى تونس ــ كلأها الله ــ مسطَّحان للبيشانيين احدهما يسمى الارْكُليوس والآخر يسمى الكُرُناطة[8] ومعهما زوج[9]

ملاحظة : الرمز (ام) يعني الاصل المعتمد وهو : Diplomi. انظر بعض تصحيحات اماري في هذا المرجع ص 401

(1) في (ام) الهمزة الاخيرة ناقصة.

(2) في الرسالة رقم 49 كتبت هكذا : القناصلة.

(3) في الرسالة رقم 48 نجد ايضا تعبير «صاحب ديوان تونس والمهدية»؛ومصطلح (ديوان) تعبير عن ادارة المرسى، لاحظ ذلك في رسائل اخرى لاحقة.

(4) وهم عبد المومن ويوسف ويعقوب المنصور.

(5) وهو الناصر الحاكم آنذاك.

(6) في (ام) : لعلامكم.

(7) في (ام) : ان.

(8) في الترجمة الايطالية للرسالة L'orgogliosa و La Coronata.

قطايع، فوجدوا بالمرسى ثلاثة مراكب للمسلمين، أحدهما[10] تيسّر للاقلاع وفيه جميع وسقِه وجميع التجار (والركاب)[11]، والمركبان فيهما بعض الوسق، فأخذوا ثلاثة مراكب للمسلمين المذكورة بجميع الوسق وجميع التجار والركاب، وقتلوا جماعة من المسلمين سوى من رمى نفسه إلى البحر فمات غريقا، وجرح منهم مالا يحصى، وانتهكوا حرمتهم وفضحوا حريمهم.

فاتفقت بيننا وبينهم مراسلات في رد المراكب، وخوفناهم جانبكم وعقوبتكم لهم على سوء فعلهم، إذ اتصل بنا أنكم أحلفتموهم قبل خروجهم أن لا يتعرضوا[12]أحدا من المسلمين ولا يقصدوه[13] بمضرّه ولا أذية ؛ فبعد الخطب الطويل معهم ما ردّوا المسلمين (الا)[14] على أسوء حالة من الجراح والعري دون أن يتركوا لهم شيئا من رحالهم وأموالهم، وردّوا المركبين الذيْن فيهما بعض الوسق، وأقلعوا بالمركب الثالث[15] ؛ واتفق إثر ذلك وصول الاسطول المظفر، فألفاهم بمرسى رأس الجبل فردّه عن قتالهم وأخذِهم ونكالِهم عقوبةُ الامر[16] العزيز أدامه الله، إذ لم يكن تقدّم اليهم أمرٌ بذلك، فاجتمع الطلبة الذين كانوا بالاسطول المظفر أعزهم الله، باصحاب المسطحات واعيانهم وقبّحوا عليهم سوء فعلهم وخوفوهم عقوبة الامر العزيز ادامه الله وعقوبتكم على ما انتهكوا من حرمة المسلمين وإفسادهم مرسى امير المومنين ادام الله له العزة والمكرم والفتح المبين، فردُّوا المركب دون شيء من البضائع التي كانت فيه والاموال والاثاث الذي كان للركاب والحجاج[17] وقالوا للطلبة المذكورين : جميع ما أخذْنا للمسلمين من مال وبضائع يوخذ من اصحابنا البيشانيين الذين بتونس اصحاب مركب الرُّنْدِلَه وغيره من البيشانيين، ونحن نعيد[18] عليهم ما يردّوا عنا للمسلمين عوضا عما أخذنا لهم اذا وصلوا الى مدينة بيش ؛ فرفعت المسألة الى السيد[19] الاجل المعظم الامام الاسعد الكريم ابي زيد بن سيدنا الخليفة امير المومنين ـــ ادام الله تأييد امرهم ووصل اسباب ظفرهم ـــ اذ كانت النازلة اتفقت عند وصوله الى تونس ـــ كلأها الله ـــ فأمر ـــ اعلى الله امره وأعز نصره ـــ أن يحضر القاضي والاشياخ والشهود بالجامع الاعظم، ويستحلفوا اصحاب المراكب والتجار والركاب في مقطع الحقوق منه على ما أخذ لهم البيشانيون اصحاب المسطحات، بعد أن

(9) في (ام) حرف الواو في الكلمة غير واضح، والتصحيح من الرسالتين 50 و 51.

(10) في (ام) : اخذُهم.

(11) في (ام) : الكاف والالف بعدها غير واردتين، قارن مع الجملة اللاحقة.

(12) كذا في (ام).

(13) في (ام) : ولا يقصدونه.

(14) محذوفة في (ام).

(15) هو مركب الرايس مسعود، وكان الحادث في شوال 596، انظر الرسالة رقم 51.

(16) في (ام) : الامير.

(17) يفهم من هذا ان السفن الاسلامية الغربية كانت تتحرك آنذاك بين الشرق والغرب رغم ظروف الحروب الصليبية.

(18) في (ام) : نعيدوا.

(19) هو السيد ابو زيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المومن عينه الناصر على ولاية افريقية سنة 596، انظر البيان ص 214، وتاريخ وصوله إلى افريقية هو شهر شوال أو ذي القعدة من هذه السنة (الرسالتان 47 و51).

يجتهد في البحث عنهم والكشف عن مقدار ما كان عند كل واحد من التجار والركاب، فبولغ في الاجتهاد في الكشف عن ما اخذ لهم، وحلفوا على ذلك في الجامع الاعظم بمحضر القاضي والاشياخ والشهود، وأمر ـــ أعلى الله أمره ـــ ببيع قمح البشانيين بمحضرهم وبمحضر الشهود والكتّاب أيضا من البيشانيين، فلم يفِ ثمن القمح بما اخذ للمسلمين، فبيع[20] قمح اللُّكّين[21] وكمل به المال.

فكُتب لهؤلاء البيشانيين هذا الكتاب لتقفوا منه على صورة الحال كيف جرت، والمدرجة التي في طيته بخط كِينُو الكاتب البيشاني[22] تتضمن ما لكل واحد منهم من المال الذي أُخِذ لجميعهم[23] ليرجعوا به على اخوانهم اهل المسطحات، والغرض منكم حسنُ عونكم ومعاضدتكم لهم على المذكورين ليأخذوا منهم ما اخذ لهم بسببهم ورُدَّ على المسلمين، بعد (ان)[24] تبالغوا في عقوبة اهل المسطحات المذكورة والتنكيل بهم على تعدّيهم أمرَكم، وخروجهم عما حدَدتم لهم، وإفسادهم مرسى سيدنا أمير المومنين وأخذِهم أموال المسلمين وانتهاكهم حرماتهم وقتلِهم لهم، وتنصفوا هؤلاء المذكورين منهم، وتعيدوا اموالهم عليهم لتكوْن عقوبة اصحاب المسطحات المذكورة ردعا لغيرهم، وكفّاً لسواهم، فلا يتجاسر احد بعد ذلك لتعرّضِ المسلمين بأخذٍ ولا مضرة ولا إذاية، حسبما يقتضيه حزمكم وسياستكم، وجريكم على سَنن العدل والانصاف، ومايوجبه ما بيننا وبينكم من مهادنة وصلح وكريم عهد وأذمّة، كما يفعل أشياخ الجنويين فيمن قصد المسلمين بمضرة من اهل بلادهم.

فاجرُوا في ذلك على ما تشكرون عليه ان شاء الله تعالى وتحمدون عاقبته، ومُروا مَن قِبلكم من التجار البيشانيين واللُّكّيين وغيرهم مَن أراد منهم السفر الى هذه الجهة ـــ كلأها الله ـــ بالوصول اليها على متقدم عادتهم في الحفظ والرعاية والصون والحماية، آمنين بأمن الله عز وجل حسبما يقتضيه الكتاب الكريم الواصل اليكم صُحب هذا[25] ؛ وما تكون لكم من الحاجات والسباب[26] بهذه الجهات ـــ كلأها الله ـــ فعرفوا بها ليجرى فيها على غرضكم ومقصدكم ان شاء الله عز وجل وهو وليّ الإنجاد على تأدية حقه، والارشاد لما (يقع...)[27] وفقه، بمنه وكرمه، لارب غيره ولا خير إلا خيرهُ، والسلام على من ابصر رشده فوقف عنده، وكُتب لثلاث[28] بقين من ذي قعدة من سنة ست وتسعين وخمسمائة.

للأشياخ الجلة. الكبراء[1] الكرماء[1] الاثراء[1] الأرشفشك
والقناصلة والحكام والاعيان من أهل بيشة
هداهم الله لرضاه وأرشدهم لما يرضاه

(20) في (ام) :فابيع.

(21) ولعل الاصح : (اللكيين) نسبة الى مدينة Lucca شمال شرق بيزا، وسيرد ذكرهم بعد قليل،

(22) انظر موضوع رسالته في رسالة لاحقة .

(23) في (ام) : بجميعهم.

(24) محذوفة في (ام)، واضيفت ليستقيم التعبير.

(25) لعله يقصد كتاب الوالي السيد ابي زيد المسجل بعد هذا، اي رقم 47.

(26) كذا في (ام).

(27) حرف العين ناقص في (ام).

(28) في (ام) :... فوقف غده وكتب لثالاث.

الرسالة السابعة والأربعون :

نص رسالة السيد أبي زيد عبد الرحمن إلى حكومة بيشة

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة امير المومنين[1] الى الارسفسك [2] وحكام بيشة وقناصرة[3] بحرها واشياخهم واعيانهم وفقهم الله ؛ أما بعدَ حمدِ الله، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصّحبه، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وعن الخلفاء الراشدين أئمة الهدى، والدعاء لسيدنا الامام الخليفة الناصر لدين الله امير المومنين به دام النصر الاعز الاعلى ؛ فانّ كتابنا اليكم من تونس ـــ كلأها الله ـــ وهذا الامر السعيد ـــ أدامه الله ـــ منصور اللواء، عزيز الاولياء، محكوم له بقهر الاعداء، والحمد لله حق حمده[4].

وقد علمتم ما لم تزل الحضرة العلية الامامية ـــ ادام الله نصرها ـــ تأمر به من حفظ تجار النصارى[5] المعاهدين، وإجرائهم على العدل حيث حلّوا من بلاد الموحدين، لا تنالهم مضرة في متصرفاتهم، ولا يُتعدى على أحد منهم في تجارتهم ؛ وقد وصلنا الى تونس ـــ كلأها الله ـــ فوجدنا مسطّحات من اخوانكم[6] أخذوا مراكب المسلمين وقتلوا جملة منهم، واستأصلوا أموالهم، وفعلوا ما لو رفعناه الى الحضرة العلية الامامية ـــ ادام الله تأييدها ـــ لخيفَ على اخوانكم الذين ببلاد الموحدين كلها[7]، لكنْ رأينا أن نصرف عقوبتهم في هذه المرة اليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله أشياخ جنوة[8] في من تعدّى على المسلمين من اخوتهم في إخراب ديارهم، والتقرب الى الله وإلَى خليفته الامام سيدنا امير المومنين ـــ ايده الله ـــ بالبراءة منهم[9]. وقد لقيهم الاسطول المؤيد بعون الله فردّوا أجفان المراكب التي أخذوها فارغة مِن وسقِها، ورغبوا أن يؤدي[10] إخوتهم عنهم المال حتى

---

(1) هو ابو زيد عبد الرحمان بن عبد المومن (المعجب 314) وهو نفسه المذكور في الرسالة السابقة رقم 46 فهو ليس عبد الرحمان بن ابي حفص كما فهم اماري (ص 400) وفي جدول الاعلام في آخر الجزء الأول (ص L/81) الذي كانت ولايته على افريقية في الثمانينات والذي كتبت عنه الرسالة 36.

(2) كتبت في رسائل اخرى هكذا : (الارشفشْك (46) والارشفسْك (50)....

(3) كتبت ايضا : القنصر (62) وكتبت :قناصلة (في 49 و 50).

(4) (والحمد لله حق حمده) مثل هذه العبارة استعملها ملك صقيلية كعلامة لرسائله (ابن جبير 226، واماري في Diplomi/I ص 402) واستعملها حكام بيشة ايضا في رسائلهم الى الموحدين (الرسالتان 32 و 33).

(5) في (ام) : النصرى.

(6) كذا في (ام).

(7) اشارة الى انتشار البيشانيين في مراسي الدولة الموحدية.

(8) و(9) في (ام) : بالبراءة منهم.. وفي هذه الجملة اشارة الى مدى التزام حكومة جنوة باتفاقاتها الدولية وعلى الاقل مع الموحدين.

(10) في (ام) : ان يردي، وصححها اماري هكذا : ان يردّد (402)، وما اثبتناه يبدو انه اصح.

يقضوه لهم في بلادهم ؛ وقد أمرنا المشتغِل بالديوان أن يخاطبكم بذلك ان شاء الله[11]، ونحن نؤكد عليكم في الأخذ على أيدي هؤلاء[12]الجناة وأمثالهم وأن تعاقبوهم عقابا يردَعهم، وتقابلوهم بشيء[12] يقطعهم عن هذه العوائد[12] المكروهة ويمنعهم

واذا وصل الينا تجاركم وسفّاركم فهم آمنون بأمان الله تعالى، وفي كنف خليفته المرتضى سيدنا الامام الناصر لدين الله امير المومنين ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ لا نؤاخذهم بشيء[12] من أفعال المفسدين، وليصل الينا كتابكم بما فعلتم في عقوبتهم التي استوجبوها، وجريرتهم التي جنوْها، وفعلتِهم القبيحة التي أتوْها، والله المعين على ما يرضاه، بمنه وعزته لارب سواه ؛ كُتب عقب شهر ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة[13].

الى الارسفسك[2] وحكام بيشة وقناصرة[3] بحرها
وأشياخهم واعيانهم ألهمهم الله مراشدهم.

(11) هي رسالة ناظر الديوان السابقة (رقم 46).

(12) الهمزة الاخيرة محذوفة في (ام)، والوسطى ايضا.

(13) في الترجمة الايطالية جعل التاريخ الموافق هو 11 سبتمبر 1200 م، هذ التاريخ يقابل بالهجري يوم 30 من ذي القعدة 596 (T.C).

الرسالة الثامنة والأربعون :

رسالة صاحب ديوان تونس والمهدية إلى أحد كبار تجار بيشة (حول أحد أسرى الحادثة المذكورة سابقا)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، الشيخ التاجر باج البيشاني هداه الله، كتبه اليك يوسف[1] بن محمد صاحب ديوان تونس والمهدية معلما لك أنّي أنفذت الى شيوخ بيشة كتاب أمان إلى التجار البيشانيين من عند سيدنا المعظم المؤيد الأرفع أبو زيد،[2]، أدام الله تأييدهم[3] وأعز أمرهم،

فليصل منكم من يصل في أمان الله تعالى وأمان سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المومنين — اعلى الله أمرهم وأعز نصرهم — لا يعترضكم معترض ولا يكلّمكم أحد، فبهذا نفذ أمرُهم العالي أدامه الله ؛ وكذلك بلغني أن عندكم مهدي اخو[4] وهاب الترجمان، وكان في المركَب الذي أخذه المسطح، فلما أُخِذ المركب طلع معكم، وهو يَعزّ عليّ، فابعثه صحبة من يصل من التجار، او فيصلُ[4] معك اذا وصلت ان شاء الله تعالى، وان لم يكن عندك فتستقصي عنه وتشتريه وتكتب لي بذلك، ولا تفرّط في هذه الحاجة ؛ وتصلوا فما لكم هنا الا كل خير، والذي سَلِم لأصحابكم هو موقوف عند القاضي يستحقه متى[5](ما)[6] يصل من يأخذه ان شاء الله لارب غيره ولا معبود سواه،

الشيخ التاجر باج[7] البيشاني هداه الله وأرشده

---

(1) لعله هو نفسه الملقب ب (ابو الحجاج) في الرسالة رقم 16 في «دبلومي» التي بعتها عثمان الترجمان الى التاجر (باش).

(2) كذا في (ام)، وهو السيد عبد الرحمان بن عبد المومن (انظر الهامش «1» على الرسالة السابقة)، وذكر ايضا في الرسالتين 47 و52.

(3) في (ام)، تايدهم.

(4) كذا في (ام)

(5) في (ام) : حتى.

(6) كذا في (ام)، وحذفها اصوب.

(7) في الترجمة الايطالية pace.

الرسالة التاسعة والأربعون :

رسالة من سبتة بأمر من الخليفة الناصر إلى حكومة بيشة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، القناصلة[2] والاشياخ والاعيان الذين ببيجة[3] وفقهم الله تعالى، من مريد الخير لهم ناصح بن عبد السلام[4] سلام عليهم، اما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على محمد رسوله المصطفى وعلى آله وصحبه الاكرمين اولي الشرف الاسنى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المرتضى، وعن خلفائه الراشدين أئمة الهدى[5]، والدعاء لسيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين[6] بن الخلفاء المبارين الراشدين باتصال النصر الأعز الأوفى وتوالي الفتح الأسنى.

فكتبناه[7] اليكم — كتب الله توفيقكم — من سبتة[8] — حرسها الله، وظلال الامر الاعلى ادام الله ظليله، وعوله[9] وخيراته جزيلة جليلة، وبركات صحبته[10] باتصال الآلاء وتوالي النعماء كفيلة، والحمد لله تعالى ؛ وموجبه — وفقكم الله — انه وصل الينا من الحضرة المقدسة الطاهرة، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام[11] الناصر لدين الله امير المومنين — أعلى الله أمرهم وأعز نصرهم — أمر بأن نخاطبكم[12] لتوجهوا من زعمائكم وأعيانكم من ينوب منابكم، ويقوم مقامكم في التكلم عنكم بالحضرة الامامية — أعلى الله أمرها — فيما يصدر عن الامر العالي — أدامه الله — [13] من الأوامر المطاعة، وليكن ذلك في أول مركب يصل من هنالكم في هذه الصائفة،

---

(1) قد تدخل هذه المراسلة في موضوع الاعتداء المذكور قبلُ وبعدُ (وربما أيضا في موضوع ابن عبد الكريم الثائر بالمهدية).

(2) كتبت ايضا قناسلة وقناصرة (الرسالتان 46 و 47 و ايضا 49 و50)

(3) كتبت في رسائل اخرى بالشين بدل الجيم

(4) يذكر صاحب البيان ان الناصر عيّن على اسطول سبتة ابا عبد الله بن عبد السلام الكومي سنة 600 (218) فلعله هو ناصح ابن عبد السلام.

(5) هم عبد المومن ويوسف والمنصور.

(6) هو الناصر.

(7) في (ام) : فكتبنا، (قارن مع رسائل اخرى)

(8) عن سبتة انظر الادريسي 528 (ن ايطالية)، والاستبصار (137 — 138) وبسط الارض 83 ، والروض المعطار 303.

(9) كذا في (ام).

(10) في (ام) : صحيثه، وصححها اماري : صحبته (1/ 403).

(11) في (ام) : والامام، (بواو العطف).

(12) في (ام) : بان نخاطبوكم.

(13) في (ام) :...الله فيما...

وقد وادعنا الشيخ الاكرم انجُ اسبنولة[14] ـــ وفقه الله ـــ ليتكلم معكم في ذلك، ويؤكد عليكم غاية التأكيد، فلتسرعوا بالبراز الى ذلك، والله سبحانه يعرّفنا واياكم ما فيه الخير للجميع، آمين، بمنه لارب سواه، والسلام عليكم معادا ؛ وكتب في التاسع لشهر جمادى الاولى من سنة سبع وتسعين وخمسمائة[15]

القناصلة والاشياخ والاعيان ببيجة وفقهم الله تعالى

---

(14) في الترجمة الايطالية Angelo spinola.

(15) جعل هذ التاريخ في الترجمة اللاتينية موافقا ليوم 11 فبراير 1201، ولعل الاصح انه يوافق 15 فبراير (T.C)

الرسالة الخمسون :

رسالة من ناظر ديوان تونس إلى حكومة بيشة :
(حول الاعتداء البحري المذكور)

بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، الشيوخ الكبراء[1] الأرشفسك والقناصلة الكبار وقناصلة البحر والاعيان بمدينة بيش هداهم الله لرضاه، ويسرهم لما يرضاه، مكبرهم ومريد الخير لهم عبد الرحمان ابن ابي الطاهر[2] الناظر بديوان تونس كلأها الله، وبعد حمد الله تعالى، والصلاة على سيدنا محمد نبيه المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن خلفائه[1] الراشدين المرشدين ايمة الهدى، وصلة[3] الدعاء[1] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بن الخلفاء[1] الراشدين[4] بدوام النصر الاعلى والفتح الاسمى،

فالكتاب اليكم من تونس ــ كلأها الله ــ ولا جديد الا ناءٍ لهذا الامر العزيز ــ ادامه الله ــ من علو الجد ومضاء الحد، والحمد لله كثيرا عن السؤال عن احوالكم، واللّفتِ لما يرد من تلقائكم[1]، والذي وجب اعلامكم[5] به أن كان وصل الى مرسى مدينة تونس ــ كلأها الله ــ مسطحان احدهما يعرف الأركليوس والثاني الكرناطة ومعهما زوج قطايع، فوجدوا بالمرسى المذكور مركبا للمسلمين رايِسُه مسعود، فأخذوا المركب المذكور بجميع ما فيه، وقتلوا جماعة من المسلمين، وفعلوا فيهم فعالا قبيحة، فطلع الى المسطحين المذكورين الكتّاب النصارى البيشانيون[6] الذين بتونس وتراجمة الديوان، وقبّحوا عليهم ما فعلوه بمرسى سيدنا امير المومنين ــ ادام الله تأييدهم ــ من قتل المسلمين واخذ اموالهم ونسائهم[7]، فبعد الجهد والمراسلات تركوا من بقي من المسلمين بعد القتل واكثرهم جرحى[8] عراة على اسوأ حالة، ثم اقلعوا بالمركب المذكور الى

---

(1) الهمزة ناقصة في الأصل.

(2) في الرسالة رقم 46 سمّى نفسه الناظر بديوان افريقية، ولعل الفرق بين التسميتين راجع الى تقلص نفوذ الموحدين، امام توسع نفوذ ابن غانية والثائر الركراكي بالمهدية.

(3) في (ام) : وصله.

(4) اي الناصر ابن المنصور ابن يوسف ابن عبد المومن.

(5) في (ام) : بعلامكم.

(6) في (ام) : البيشانيين، صححها اماري (403) : البيشانيون.

(7) في (ام) : ونسايهم.

(8) في (ام) : حرحا.

رأس الجبل، فوصل الاسطول المظفر فوجدهم برأس الجبل، وكان قادرا على اخذهم والتنكيل بهم فلم يقابلهم بسوء[1] ولا نالهم منه مكروه لأجل ايصاء سيدنا امير المومنين — ادام الله علاءهم[9] ووصل آلاءهم — بالنصارى ان لا ينالهم مكروه ولا اذية ؛ فاجتمع قواد الاسطول المظفر باعيان المسطحات، وقبحوا عليهم ما فعلوا في مرسى سيدنا امير المومنين — ادام الله امرهم — من قتل المسلمين واخذ أموالهم ومركبهم، فردوا المركب المذكور فارغا، وقالوا لهم : ما أخذنا من الاموال تؤخذ من اموال البيشانيين الذين بتونس — كلأها الله — اصحاب مركب الرُّندِلة وغيرهم، وقالوا : نحن نعيد عليهم ما أخذ لهم من اجلنا، وكان ذلك عند وصول سيدنا المعظم الهمام المكرم ابوزيد[10] بن سيدنا امير المومنين — ادام الله تأييدهم — الى تونس[11] — حرسها الله — فرفع اصحاب المراكب التي اخذها[12] المسطحات المذكورة أمرَهم وما جرى عليهم من الاخذ والقتل اليه، فأمر — اعلى الله امره — ان يؤخذ من اموال النصارى البيشانيين قدر ما اخذوا للمسلمين بعد ان حلف جميعهم في الجامع الاعظم على ما اخذ لهم، واخذوا ذلك من اموال البيشانيين، وكتب لهم (كتبا) اليكم بالمسألة، وكيف جرت واتفقت لتردّوا على هؤلاء التجار المذكورين اموالهم.

ولما وصل هؤلاء المذكورون اصحاب مركب الرندله، ذكروا انكم لم تنصفوهم من اصحاب المسطحات المذكورة و لم تعيدوا عليهم اموالهم، فعجبنا من ذلك غاية العجب، اذ انتم انما جلستم لإنصاف المظلوم من الظالم ؛ والغرض منكم الآن انصافهم وردّ اموالهم عليهم من اصحاب المسطحات، وعقوبتهم على ما جنوه من اخذ المسلمين وقتلهم حتى يكونوا (نكالا) لغيرهم، ولئلا يعتدي احد من اصحاب المسطحات على فعلة اخرى بعد هذا، فاعلموا ذلك ان شاء الله عز وجل، والله ولي العون على تقواه ؛ وكتب في الحادي والعشرين من شعبان المكرم من سنة سبع وتسعين وخمس مائة ؛ ونعلمكم ان الكتاب الذي وصل اليكم قبل هذا بخط كينو الكاتب البيشاني ووجدتموه بغير طابع صحيح، نحن[13] امرناه بكتبه في مسألتهم خاصة، والتعريف والعقد الذي يصلكم في اثناء هذا الكتاب بشهادة عدول الديوان وكاتبه وشهادة التراجمة وشهادتي فيه تأكيد[14] لصحته، وكتب في التاريخ المذكور[15].

الشيوخ الكبراء[1] الأرسفسك[16] والقناصلة الكبار وقناصلة البحر والاعيان بمدينة بيش هداهم الله لرضاه ويسرّهم لما يرضاه...

---

(9) في (ام) : علامهم.

(10) كذا في (ام) : والصواب لغويا : ابي زيد، راجع الهامش 2 على الرسالة السابقة.

(11) نلاحظ في الرسالة اللاحقة مباشرة تاريخ الحادثة وبالتالي نتعرف تقريبا على تاريخ وصول السيد ابي زيد واليا على تونس اي شهر شوال او ذي القعدة من سنة 596.

(12) كذا في (ام) : ولعل الاصح : اخذتها.

(13) في (ام) : ونحن.

(14) في (ام) : تأكيدا.

(15) هل هذه الجملة هي علامة خاصة بالسيد ابي زيد ؟ قارن مع الرسالتين اللاحقتين 52 و 53.

(16) وردت كلمة (الأرسفسك) في أول الرسالة هكذا : الأرشفسك).

الرسالة الواحدة والخمسون :

شهادة اثبات باعتداء المراكب البيشانية على مركب للمسلمين في شهر شوال سنة 596

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ؛

يقول شهداء هذا العقد : الذي نعلمه ونشهد به ان المسطحات[1] الذين اخذوا مركب الرايس مسعود بوادي مدينة تونس في شهر شوال من سنة ست وتسعين وخمسمائة، نعلم ا ن جميع من كان في المركب المذكور انما هو من اهل مدينة تونس وباديتها وحجاج وصلوا من المغرب[2]، ولم يكن فيه من اهل الاسكندرية الا رجل واحد[3] ولم يكن معه الا شيء يسير، فهذا الذي نعلمه ونشهد به ؛ والذي اشتهر عندنا واستفاض ان المسطحات الذين اخذوا بمركب[4] الرايس مسعود المذكور الاركليوس والكرناطة ومعهما زوج قطايع هما[5] الذين اخذوا المركب المذكور، اشتهر ذلك اشتهارا رفع به العلم، يشهد[6] بذلك من علمه وحققه[7]، وكتب شهادته بذلك (....)[8] في آخر شهر شعبان (المـ...)[9] من سنة سبع وتسعين وخمسمائة، واصلاح الاركليوس على (سر)[10] صحيح، شهد بذلك كله من علمه (وحققه)[11] في تاريخه المذكور : محمد بن ابي

---

(1) كذا في (ام)، ويستقيم النص هكذا : ان اصحاب المسطحات، أو كما صححها اماري : ان المسطحات التي اخذت (ص 404).

(2) رأينا في الرسالة رقم 35 ان المنصور منع البيشانيين من حمل المسلمين في سفنهم، فهل في هذه الرسالة تلميح الى تطبيق هذه السياسة ؟

(3) انظر الاشارة الى موضوع الاسكندرية في رسالتين موجهتين الى مصر (رقم 12 و 13 في «ديبلومي»).

(4) كذا في (ام) : ولعل الاصح : مركب.

(5) كذا في (ام)، والانسب (هم) ليعود الضمير على اصحاب المراكب.

(6) في (ام) :نشهد.

(7) في (ام) :بدون تنقيط.

(8) في (ام) كلمة غير واضحة اقترح اماري ان تكون : لتاريخها (ص 404).

(9) عادة ما يوصف شعبان بالمكرم، ونفس الشيء عند اماري (ص 404).

(10) كلمة غير منقوطة في (ام).

(11) لم يبق من الكلمة غير (وحعـ).

القاسمي[12] الربعي واحمد بن عبد الواحد الرساطي[13]، وعبد الكريم بن عبد المومن اللخمي، وحسن بن علي الترجمان وعثمان بن ابي بكر الترجمان وقاسم بن علي الترجمان، وسفيان ابن هلال الترجمان، وأحمد قطران الترجمان وعبد الرحمان بن ابي[14] الطاهر التميمي[15].

---

(12) كذا في (ام)، ولعل الاصوب : ابن ابي القاسم.

(13) كذا في (ام) ولعله (الرشاطي).

(14) في (ام) : ابن بي.

(15) عبد الرحمان بن ابي الطاهر التميمي هو الناظر بديوان تونس الذي كتبت عنه الرسالة السابقة، وهو هنا يضع اسمه في نهاية هذه الشهادة تأكيدا لصحتها، ويبدو ان الاسمين الاولين هما لعدلي الديوان والاسم الثالث لكاتب الديوان.

الرسالة الثانية والخمسون:

رسالة عن السيد أبي زيد ابن الخليفة وجهها مع الشهادة المذكورة لتصديق أقوال حامليها حول ما غرّموه عن اخوانهم

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة امير المومنين[1] الى الارسفسك[2] وقناصرة البر وقناصرة البحر[3] والاشياخ والكافة الذي ببيشة، وفقهم (الله)[4] ويسّرهم لتقواه،

أما بعدَ حمدِ الله تعالى، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله الكريم المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن الخلفاء[5] الراشدين القائمين بأمره الأعلى، والدعاءِ[5] لسيدنا الامام الخليفة الناصر لدين الله أمير المومنين بن الخلفاء[5] الأيمة الراشدين بدوام النصر الاعز الاسنى، واتصال الفتح الأحفل الأحفى.

فالكتاب إليكم من تونس ــ حرسها الله ــ وأمرُ سيدنا الامام الخليفة أمير المومنين ــ أيد الله أمره وأعز نصره ــ هو أمر الله الذي يُعِزُّ من والاه، ويُذلّ مَن عاداه، ويحفظ مَن تمسكَ بعهده وذمته، وحافظ على صنائعه الجسيمة ونعمته ؛ والله يصل له ما عوّد من الفتح والنصر، والتسهيل واليسر، بمنه لارب غيره، ولا خير الا خيره.

وإلى هذا ــ وفقكم الله لهداه ــ فقد وصل إخوانكم هؤلاء البشانيون أصحاب المركب المعروف بالرندلة الواصلون بكتابنا هذا اليكم على ما سلفت به عوائدهم من التصرف في تجارتهم، والتقلب في بضاعتهم، وعاملناهم في جميع أحوالهم بما توجبه[6] الذمة لهم، ووصينا بان يقابلوا[7] بالخير في

---

(1) هو ابو زيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المومن والي تونس منذ 596، انظر الهامش 19 في الرسالة رقم 46 والهامش 1 في الرسالة 47 والهامش 2 في الرسالة 48 والتجاني ص 350.

(2) راجع الهامش 2 في الرسالة 47.

(3) كتبت ايضا : قناصلة وقناسلة والقناصار (رقم 31 و 32 و 46) وفي الرسالة رقم 50 : القناصلة الكبار وقناصلة البحر، أي أن قناصلة البرّ هم القناصلة الكبار على الأرجح.

(4) الكلمة ساقطة في الاصل.

(5) الهمزة ساقطة في (ام).

(6) في (ام) الكلمة ناقصة (توحـ).

(7) في (ام) كلمة مبتورة البداية، اقترحها اماري هكذا : اقبلوا (ص 404 في «دبلومي».

كافة أمورهم ؛ ولما حضر سفرهم، رغِبوا الينا ان نعرّفكم بما كانوا غرّموه عن إخوانهم البيشانيين أصحاب المسطحات للمسلمين من بلاد الموحدين، على ما نفذ به أمر سيدنا الامام الخليفة أمير المومنين ؛ فخاطبناكم تعريفا بما غرّموه من أموالهم لتنصفوهم من غرمائهم، وتصدّقوهم فيما رفعوه إليكم من أقوالهم، حسبما تضمّنه العقد الذي بأيديهم في ذلك ان شاء الله تعالى ؛ فاعلموا ذلك، وتحققوا ما لِمن يصل من تجاركم عندنا من الرعي ومواصلة الحفظ، ووصّوا كل من يسافر من عندكم بأن لا يعترضوا أحدا من المسافرين إلى بلاد سيدنا الامام الخليفة امير المومنين — أيدهم الله — وأن يقصدوا من الاعمال ما يعود عليهم وعلى جميع إخوانهم[8] خيره ان شاء الله تعالى، وهو المستعان لارب غيره، ولا خير الا خيره.

كتب في مستهل شهر رمضان المعظم من سنة سبع وتسعين وخمسمائة[9].

الى الارسفسك[2] والقناصرة[3] والاشياخ والكافة
من اهل بيشة وفقهم الله ويسّرهم لتقواه.

(8) في (ام) : الكلمة مبتورة البداية.

(9) العبارة (كتب في ..) مكتوبة بخط سميك ولعلها علامة السيد ابي زيد، انظر ايضا نهايتي الرسالتين 50 و 52.

الرسالة الثالثة والخمسون :

رسالة من والي تونس إلى حاكم بيشة
محذرا من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم

تقديم :

سبق ان وجهت حكومة تونس الموحدية رسائل الى حكومة بيشة (بيزا) حول اعتداء بعض القطع البيشانية على مراكب للمسلمين قرب تونس منبهة الى ضرورة معاقبة المعتدين واحترام المواثيق، وفي نفس الوقت مرحبة بمن يصل من التجار البيشانيين، فكان جواب حكومة بيشة يتضمن التوصية بهؤلاء التجار، فاجاب الوالي بتونس السيد ابو زيد عبد الرحمان بالرسالة الآتي نصها مرحبا، ولكن ايضا منبها على عدم اذاية المسلمين وعدم التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم، حيث ان الاوامر اعطيت لمحاصرته بها، ومشيرا الى ضرورة تحذير حاكم احدى جهات سردنيا من اضراره بالمسلمين (الرسالة تحمل رقم 21 عند اماري)

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

من عبد الرحمن[1] بن سيدنا الخليفة امير المومنين الى الشيخ الاجل الاثير جراردو ألاسْكُنْت حاكم بيشة[2] والاشياخ والكافة الذين ببيشة، وفقهم الله ويسرهم بتقواه،

اما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الاكرم المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن الخلفاء[3] الايمة الراشدين القائمين بامره المحتوم، والدعاء[3] لسيدنا الامام الخليفة الناصر لدين الله امير المومنين بن الخلفاء[3] الايمة الطاهرين، بدوام النصر والتمكين والفتح المبين.

فالكتاب اليكم من تونس — حرسها الله — وهذا الامر العزيز — ادامه الله — منجاة لمن تمسك

---

(1) هو السيد ابو زيد بن الخليفة عبد المومن، وقد اخطأ اماري هنا ايضا في جعله ابا زيد بن ابي حفص بن عبد المومن (انظر جدول الاعلام في Diplomi (L xxx II) وقارن مع المعجب 314 ولهامش 1 على الرسالة 52.

(2) في الترجمة الايطالية : Girardo osconto (Visconti).

(3) الهمزة ناقصة في الأصل المعتمد.

بعروته، واستظهر بعهده الكريم وذمته، (و)[4] الحمد لله رب العالمين على سبوغ[5] نعمته لارب غيره ؛ وقد وصل كتابكم على يدي ابي الطيب الواصل مِن قِبلكم، ووقفنا على ماعرّفتم به من حرصكم على خدمة هذا الإمر العزيز ـــ ادامه الله ـــ ورغبتكم، وتنبيهكم على من يصل من عندكم من التجار البيشانيين[6] ووصيتكم ؛ ونحن لمن يصل من جهتكم على ما تحبون رعيا لهم وحفظا لجانبهم، وتيسيرا لمقاصدهم، وتمشية لأمورهم اكراما لكم فيهم، وايثارا لما يذنيكم[7] من بركة هذا الامر السعيد ـــ ادامه الله ـــ ويدنيهم ؛ فاعلموا ذلكم، وكلّفوا تجاركم بان يصلوا على سالف عادتهم من هنالكم، فهم عندنا محمولون على الاجمال والاحسان، وما تعوّدوه عند سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ـــ ايد الله امرهم ـــ من الإفضال والامتنان، ووصّوا المسافرين من جهتكم بان لا يتعرضوا المسلمين الا بالخير، وان لا يُظهروا في بلاد سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ـــ ايدهم الله ـــ الا ما يجتنون ثمرته من جميل الفعل، وان يقطعوا السفر الى اللص الذميم الغادر بالمهدية[8] ابن عبد الكريم[9] ـــ اخذه الله ـــ فقد وجهنا من عندنا قطعاً مظفرة لحصاره[10]، وامرنا المقدّمين عليها بان يمتثلوا بما امر به سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ـــ اعلى الله امرهم واعز نصرهم ـــ فيمن يجدونه من النصارى[11] قاصدا اليه من قتلهم واستيصال اموالهم ؛ فانهوهم، وقرّروا هذا عندهم ؛ وكذلك سمعنا بان قطعاً وشياطي[12] خرجت من جهة كمنت جوذج[13] صاحب تُطُر[14] من سردانية،

---

(4) ناقص في (ام).

(5) في (ام) : على سبوع.

(6) في (ام) : تجار البيشانين.

(7) كذا بالاصل، وصححها اماري هكذا : يزنئكم، ولعلها اصح بمعنى الجأه وادناه الى ..(لسان العرب).

(8) عن المهدية انظر الاستبصار (117 ـــ 118) الروض المعطار 561، والادريسي (78 ـــ 79) بيريس.

(9) هو محمد بن عبد الكريم الركراكي، كان ابوه من الجند الموحدين المترتبين في المهدية فنشأ محمد بها وظهرت بطولته في مواجهة الاعراب، ثم وقع خلاف بينه وبين والي المهدية الشيخ ابي علي يونس بن الشيخ ابي حفص فاستولى على المهدية وتسمى بالمتوكل على الله وذلك في شعبان من سنة 595 (التجاني 350... والعبر 518/6) انظر الفصل الثاني من الدراسة التاريخية خاصة آخر الفصل.

(10) يذكر التجاني ان ابن عبد الكريم حاصر تونس 596 اثر وصول السيد ابي زيد إليها والياً، وفي اول السنة اللاحقة قام ابن غانية بحصار المهدية وطلب الاعانة البحرية من والي تونس مظهرا المسالمة له فاعانه بقطعتين، وعندما استسلم ابن عبد الكريم احتفظ ابن غانية بالمهدية لنفسه (350 و ما بعدها) فهل كانت الاعانة باكثر من قطعتين ؟ وهل كانت الاعانة اكثر من مرة ولماذا ؟

(11) في (ام) : النصرى.

(12) في الترجمة الايطالية للقطعة : galée، وللشياطي Saettie، انظر رأي اماري حول كلمة : شياطي في الهامش (e) الصفحتان (408 ـــ 409).

(13) في الترجمة الايطالية : Conte Giudge.

(14) ترجم اماري «تطر» ب :Torres (ص 408) وهذه المدينة ـــ ان صح انها طوربس ـــ تقع في الشمال الغربي لجزيرة سردينيا، وان كانت هي طورطولي tortoli فانها تقع في الوسط الشرقي للجزيرة انظر عن سردانيا بسط الأرض 101 والروض المعطار 314 ـــ 315.

فخاطبناه بان ينتهي عما بلغنا عنه، من اعانة المفسدين وممالاتهم في القطع على المسلمين، والا عاملناه بما يستحقه على ذميم فعله عند وصول الاسطول المظفر وحلوله ببلده ؛ فوصّوه[15] بان يرجع عما بلغنا عنه، ويكون مثل غليالم مركيس[16] المجاور له في سردانية، فانه لم يعامل المسلمين الا بالخير والكرامة، وبحسب ذلك اكرمناه فيمن يصل من عنده، ويأتي من جهته ؛ فاعلموا ذلك واعملوا بحسبه ان شاء الله، وهو المستعان لا رب سواه؛ وكتب في السادس والعشرين من رجب الفرد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[17] كتب في التاريخ المذكور بحول الله[18].

إلى الشيخ الاجل الاثير جراردو الاسكنتُ حاكم بيشة والاشياخ
والكافة الذين ببيشة وفقهم الله ويسّرهم لتقواه

---

(15) يفهم من هذا التعبير ان سردانيا لازالت تابعة بشكل ما لحكومة بيشة انظر ايضا الرسالة رقم 35.

(16) كتبت بالايطالية هكذا : Guglielmo IL Marchese.

(17) هذا التاريخ يوافق 23 مارس 1202 في الترجمة الايطالية، أو 21 مارس في (T.C).

(18) يبدو ان هذه علامة خاصة بالسيد ابي زيد بن عبد المومن وقد ورد مايشبهها في الرسائل 47 و 50 و 52.

الرسالة الرابعة والخمسون :

رسالة جوابية على رسالة الناصر المبشرة بهزيمة «أهل اللثام» ومقتل «الشقي»

تقديم :

وجه الناصر قوات بحرية مهمة من الساحل الاندلسي الشرقي لفتح جزيرة ميورقة وهي اخر ما تبقى لبني غانية المرابطين بالاندلس بعد ان تم فتح جزيرتي منورقة ويابسة. ففتحت ميورقة في آخر ذي الحجة 599 او بداية محرم سنة 600، فوجه الناصر اثر هذا الفتح بالخبر الى الولايات بواسطة رسالته التي كتبها ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز (بن عياش) وهي الرسالة رقم 36 في «مجموع رسائل موحدية» لبروفنصال، فاجاب والي الاندلس من اشبيلية فيما يبدو[1] برسالة من انشاء الكاتب ابي بكر بن عيسى[2] وردت في زوائد مخطوط العطاء الجزيل على الصفحتين 25 و 28 (بسبب اضطراب ترتيب بعض اوراقه) وهذا نص الرسالة الجوابية :

نص الرسالة :

ع ز/25 الحضرة الامامية الخلافية المعظمة العلية الطاهرة القدسية الهادية المهدية، السَّنِيّة السُّنية، حضرة الخلافة، ومقر الفضل الباهر والإنافة، وغياث الأنام، ومعتمد الاسلام، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام- الناصر لدين الله امير المومنين بن امير الومنين بن أمير المومنين بن امير المومنين حرس الله جلالها وكمالها، وابقى بهجتها وجمالها، وهنأ الاسلام ما خوّلها من الصنع الجميل وانالها، مماليكُ طاعتها المتقلبون في سابغ نعمتها، الراتعون في ظلال امنها، والمتنعّمون في بركات خلافتها السعيدة ويمنها، والمتضرعون الى الله سبحانه في نصر احلامها، ودوام ايامها، وإمضاء مرادها في من عاند وأحكامِها، عبيدُها وانشاؤها الطلبة الذين باشبيلية، سلام كريم عميم على حضرة سيدنا ومولانا، وعصمة ديننا ودنيانا، ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمد الله الذي جبر بأمركم صدع الاسلام، وأبقاه مخلدا على مرّ الليالي والايام، وجعل التمسك به سببا للنجاء والفوز بدار السلام، وحكّم في من عانده أو باعده ميل السمهريّ وجور الحسام، والصلاة على محمد رسوله خير الأنام، ومبيد الاوثان والاصنام، الذي بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا، ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾[3] فبيّن شرائعه وحفظ ودائعه، صلى الله عليه وعلى

(1) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث.

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب في المقدمة.

(3) الآية 46 من سورة الاحزاب.

آله وصحبه الكرام[4]، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ناظم شمل الدين أحسن نظام، ومعزّه بعد الضيم والاهتضام، مبير البغاة وقامع الطغاة الناطق بالحكمة والمؤيد بالعصمة في النقض والابرام، الصادق العزل الموصل للحزم في تطهير البلاد **وإراحة العباد من رِجس أهل اللثام**[5]، وتنزيه الشريعة عن تحكم الطغام واللّيَام، وعن خلفائه الراشـ(ـدين)[6] المرشدين في كل مَرام، المعتصمين بحبله أشد اعتصام، المبلّغين سَننه وسُننه الى غاية الكمال والتمام، و(الدعاء)[6] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام الناصر لدين الله أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين (....)[6] فيه الأوهام، وتعجز عن إداركه الأفهام، وتستبقي للعالم بحول الله وقوته (صفحة) زمانه وتُستدام، (فكـ....[7].)[6] الله لها من مساعدة القدر، وتأييد الوِرد والصدَر، وما يتكفل لها في جميع محاولاتها وكافة متصرَّفاتها (.....[6] وتعجيل المرتقب في اعدائها والمنتظر ـــ من اشبيلية التي اهتزت أعطافها ارتياحا، وعاد ليلها (....[6])[8] وكادت تطير من الجذل لو أعيرت جناحا، وأمرُكم الركن الذي يعتمد عليه الايمان، وبه اليمن و(.....[6]) في محبته والتمسك بطاعته الإسرار والإعلان، والله المعين المرشد، والموفق المسعد، (لا... [9]) المعول واليه (....)[10].

ع ز/28 وبعد وصول الكتاب الكريم، الصادر عن محل التشريف والتعظيم يبشر (....[11])/ بأنوار[12] الخـ(لافـ)ـة السعيدة وأضوائها، وبشائر الخلافة السعيدة قد جدّدت مواسمَها وأعيادَها، (....)[13] قد أضحكت مبا(هجـ)ـها و (حـ)ـلَّت أجيادَها، وميامن أيامها وسوابغ إنعامها قد ألقت في أيدي محبتها أزمّة القلوب فأعطتها قيادها، وبراهين السعْد قد أطلعت من كواكب النصر على مراقب البصر نيّرها ووقّادها، ونوّرت كافة البصاير بما لها من حسنِ العواقب والمصاير فأكدت يقينها واعتقادَها، والبركات العميمة والالتفاتات الكريمة قد عجزت الأمة عن شكرها ولو اتخذت الأشجار أقلامها والبحار مدادَها، فالدهر تتهلّل صفحاته بِشراً، والجو تتضوع نفحاته نَشراً، والفرح يحـ(ـشـ)ـر الناس

ملاحظة : كما هي العادة في معالجة رسائل «العطاء الجزيل» فان ما بين هلالين ( ) هو كلمات او اجزاء منها غير واضحة يملأ احيانا اجتهادا اعتمادا على وضوح جزئي.

(4) لا زالت في المراسلات الرسمية التصلية على آل الرسول وصحبه، وستنقطع فيما بعد.

(5) ورد في رسالة عن الخليفة الناصر (رقم 36 في م ر م) : «.... علمتم ان الله استأصل شر الانام، ورعاء الابل... اهل اللثام، وطهّر منهم المغربين تطهيرا... ولم يبق منهم الامن كان بجزيرة ميورقة...» فلعل الرسالة الحالية هي رد على رسالة خليفية مبشرة بالانتصار على صاحب ميورقة.

(6) بتر في اواخر اسطر الصفحة بسبب الارضة وترميم الورقة (قدر كلمة فاكثر من الاعلى الى الاسفل).

(7) يكون المناسب هنا كما يلي : (فكتب ـــ كتب) الله.

(8) ما بين هلالين يبدو انه : (من السرور نهارا وضّاحا) وذلك حسب تصحيح على قطعة الورقة المرمّمة.

(9) لعل الاصل هو : (لارب سواه عليه)...

(10) كلمة غير واضحة تبدو مثل (يُصْمَدُ) ومعنى اصمد اليه الامر : اسنده اليه.

(11) في اسفل الصفحة يوجد بتر قدر ثلاثة اسطر وقعت تغطيتها نهائيا اثناء ترميم الورقة.

(12) هذه الصفحة خالية من الفواصل في المخطوط. وقد رتبت في غير محلها اثناء ترميم المخطوط.

(13) قدر اربع كلمات مطموسة جزئيا تبدوا هكذا : (ونتائج البيعة الميمونة... ـعيدة)...

للتحدث بنعمة ربهم في كل جهة حشرا، وكل نفس مومنة قد بلغت مناها، ونالت غَناءها وغِناها، وأشرق لها ضوء السعادة الإمامية وسناها، وشعَرت بأسرار العناية الربانية وفهمت معناها، والحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي لا يحصرها العدّ، ولا يضبطها الحدّ، حمدا يكرم مثواها ويقربها حق قِراها، ويحمد بعد (تبلّج) صباح المزيد وتأرج نشر الصنع الجديد سَيرُ ركايبه وسُراها.

وقد ورد على عبد نعمتها — (....[14]) على ما أوجب الله من النصيحة في خدمتها — كتابها المعظم الكريم، الذي أعز الدين وجدد الايمان، وحقق (....[14]حلا) على منصّة السعود، الصادقة بنص الوعود، السابـ(ـقـ)ـة عروس الفتح المبين، وجاء به الصنع المكمل (....[14]ـل) كماله في اوفق ساعة من الجمعة وافضل حين، مضمنا ما صنع الله لأمرها العزيز في **قتل الشقي**[15] (....ـتل)[14] أشياعه من الصنع الجميل، وما عرّفها في ذلك من عواقب التيسير وعجائب التسهيل، الجارية (...[14]ـدنا) الموحدين بالواحد الذي أعلى كلمة التوحيد، وجعل مآل اعاديها ومصير مُناويها ومُحادّيها (.....)[14] الحيْنِ العتيد ؛ فهزّ الأرض بهذا النبأ السارّ طربا، وأنطق بالاقرار بعزة هذا الامر عَجما من الامم (....ـب[16]) النصرانية رعبا ورهبا[17]، فقالت بلسان الحق ﴿لن نعجز الله في الارض ولن نُعجزه هربا﴾[18] وانحشر، (....البعيد...[14]والـ)ـقريب، فللّه يومها العجيب، لقد شبّت فيه ببهجة بشارته الشيب، وخُلع على الارض بُردُها (.....ـب)[14] الألسنة فكل امرىء في مقامه بشكر الله على سعد إمامه خطيب، ولقد غصت الافنية (....[14]) وحولها الابنية من الجامع الكريم، وقال كل سامع اليه ومتقاطر عليه هاهنا حياتي الباقية (...)[14] حضرت ذلك الجمع الوافر، والسرور السافر، (فلاتـ) سمع بإزاء كل لفظة من الكتاب المعظم إلا ضجيج (.....فات)[14]، ولم يَخْلُ نفسَه الا بين الحجيج في عرفات، شَمِلهم الفرح وعمّهم، وصارهم في أحفل جمع (.....[14]) الامر العزيز عقبى الدار، وعلوّ الكلمة في الإيراد والإصدار، (و) إنه أمر الله العزيز الانصار، ومن (....[14] المخصوص بالبسطة والاقتدار، وأن مَن أطاعه فله في الدارين (.....)[19] الابرار ومَن (...) البوار، وهذا في الاعلى من شرفات الاسوار، وهذا.........[20].

---

(14) قطع في اوائل اسطر الصفحة نتيجة ترميم الورقة بحيث سقط قدر كلمة او كلمتين.

(15) انظر عن فتح ميورقة ومقتل زعيمها ابن غانية الروض المعطار (مادة ميورقة)، والرسالة 36 (م ر م) اما الميورقي الثائر بافريقية فلم يقتل في هذه الفترة فيكون المقصود هنا هو صاحب ميورقة.

(16) لعل الضائع يعوّض كالآتي، «من الامم (وعربا، وارعب)»... او (وعربا، وأرهب)...

(17) رسالة الخليفة عن فتح ميورقة (رقم 26 من م ر م لبروفنصال) تشير الى ان فتح ميورقة كان اشد على صاحب برشلونة من رشق النبل.

(18) من الآية 12 من سورة الجن.

(19) كلمة مطموسة يصعب قراءتها، وما بعد هذا يمثل تقريبا آخر ما تبقى من اسطر الصفحة 28.

(20) بتر باسفل الصفحة قدره سبعة اسطر (عدد اسطر الصفحات عادة 21 سطر) اما ظهر هذه الصفحة في المخطوط فهو خال من الكتابة كليا، وبهذا يصبح قدر كبير من الرسالة في حالة ضياع، أمّاما على الصفحة 30 فهو في موضوع آخر بل هو تتمة للرسالة رقم 42.

الرسالة الخامسة والخمسون :

رسالة إلى الخليفة الناصر
بشأن عرب المغرب الأقصى

تقديم :

كان العرب الذين دخلوا المغرب الاقصى قد وزعوا على سهوله في بلاد الهبط وتامسنا وتادلى، الا ان بعض القبائل التي وضعت بتادلى نقلت او انتقلت الى تامسنا، واثارت هناك مشاكل مع من كانوا بالمنطقة، فوجّه الناصر جيشه لتأديب هذه القبائل واعادة توطينها في مواضعها السابقة بتادلى، وبعد انجاز المهمة، رغب اشياخ هذه القبائل من الخليفة الاّ يحرمهم من العطاءات «الاحسان» كما كان الشأن في السابق، فوجه المسؤولون عن هذه الحملة رسالة الى الخليفة يخبرونه بما حدث ويرفعون اليه رغبة زعماء هذه القبائل، وهذا نص الرسالة كما وردت في زوائد مخطوط العطاء الجزيل(1)، ومن انشاء الكاتب ابي محمد بن حامد(2) :

نص الرسالة :

ع ز/26 الحضرة الامامية القدسية المطهرة العلية مهبط الرحمة، وملجأ الامة، ومعدن البركة، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة الناصر امير المومنين بن سيدنا ومولانا الامام المنصور امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين، وصل الله تأييدها وسعادتها، تهيب بالآمال فتلبّيها مطيعة سامعة، وتتكفل لها بالنصر الرباني فتستوي لديها المآخذ الدانية والمرامي الشاسعة وتثير من مكامنها سواكن الفتوحات وبالسيوفُ في خِلَلها وادعة، وتُنهض بما قلدها الله تعالى من اعباء خلافته قائمة بالحق صادعة، قادغة انوف اهل الزيغ والفساد جادعة، دامغة كل من عاند امرها العالي قامعة، وازالت بركاتها لدى عبيدها أنواءً هامعةً وأنواراً ساطعةً ؛ عبيدُها الحائزون بما منّ الله عليهم من العبودية لها شرفي المحيى والممات، المتفيّئون ظلال طاعتها المخرجة الى النور من الظلمات، المهطعون الى مايقرِّب من رضاها صادقي النيات والعزمات، اللائذون بحَرمها لياذَ الهدي

ملاحظة : ما بين هلالين (   ) غير واضح في المخطوط كليا او جزئيا بسبب الارضة او الكشط او تغطية عند ترميم المخطوط.

(1) ان ترميم المخطوط ادى الى خلط في ترتيب بعض اوراقه فاضطررت لاعادة ترتيبها هنا، وهكذا نجد هذه الرسالة على الصفحتين 26 و 27 ثم على الصفحات 22 و 23 و 24. وكان اهم مساعد على اعادة هذا الترتيب تشابه المضمون في جزءيها معا زيادة على مقارنة اشكال الارضة والابعاد فيما بينها.

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب في المقدمة.

بمقامها السامي عند اعتلاج الشبهات المظلمات، الفارجون ببركة الانتاء الى رق ولائها مبهمات الازمات ؛ مماليكُ مَقامها وارقّاء إحسانها، سلام كريم عميم على الحضرة الامامية القدسية، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله تعالى الذي رفع منار الحق على أيدي أولياء أمره العالي فظهر، وتكفَّلَ بحفظه الى آخر الزمان فلا يضر(....ـذَلة)[3] أسرَّ أو جهر، والصلاةِ على محمد نبيه المصطفى الذي خصه الله من اجتبائه بما غلب وبهر، (...معارج)[4] اختصاصه حيث ينقطع دونه كل أبهر، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي سل سيف الهداية وشهر، وقمع الزيغ والباطل وقهر، وأطفأ نار الفتنة بعد أن صخد[5] الامة لفحُها وصهر، وأحلّهم بدعوته المنجية وكفالته الواسعة «مع المتقين في جنات ونهر»[6] وعن الأئمة الخلفاء الراشدين المرشدين أعلام الطهارة والهدى، ومتّبعي سَننه الألحب الأهدى، ومقتبسي أنواره التي ملأت البسيطة نجدا ووهْداً، فتلألأ بهم الزمان وزهر، وهجع في كنف عدلهم ملء عينيه وقد (نحلتا ؟) لطول السهر، والدعاء لسيدنا الامام الخليفة الناصر امير المومنين بن سادتنا الأئمة الخلفاء (امراء) المومنين بنور تسير تحت لوائه الاقدار، ويقضي له (بالعزم ؟) في هذه الدار وتلك الدار، وتناديه (الفروحات) بألسُن البشائر : بَدارِ بدارِ، فتعاجلَ ان يستعد لها (ويُستَظهر)، او يسدد نحوها خَطّي أو يُعطَفَ لها أبهر.

فكتب عبيد الحضرة الامامية المقدسة، كتب الله لمقامها (من) ظفرِ الفيالق ونَصر الاعلام، ما تضيق عن وصفه بطون المهارق وتكِلّ (عنه) ألسنُ الأقلام، وتكفّل لعزمها (ما يجدع[7] ؟) أنوف الشرك راغمة ويفترس في عِرِّيسه ضراغمه، ويعمر خيلا (وخـ...)[8] مَراقبه ومراقدَه، (.....[7] الحِمام تحت لوائه والآجال راقدة، وبركات الحضرة الإمامية تغادي عبيدَها وتراوح (....[7]رف)، وتلألُؤُ أنوارها لا تُكِنُّه أغساق الشرف، وآيات آثارها لا تحملها اوراق الصحف، ومتعرَّف (....[7]) عوارفُها الفرادى والتؤام، ويمنُ مَقامها المقدّس مُوضِحٌ لاحباتِ المراشد، حاشرٌ شواردَ (....ـياويه[7]) حاشد، فلا يضل مستمسكٌ بهديه أنّى وهديُه الناشد، قد أبان منار الحق (....)[9]/ [10] منقلَب، والسعادة التي ما عداها فبرقٌ خُلّب، والحمد لله الذي أحلَّ العبيد من خدمة الحضرة المطهرة[10] بحيث تصـ(ر)خ بشكر آلائها، وتنتسب الى رق ولائها، فانها منة أصفى الله على العبيد (...)[11] ما لنصّها تأويل، وأمنية لأقلام الشكر في بحور مواهبها سبحٌ طويل ؛ ع ز/27

(3) قدر كلمتين مطموستين.

(4) قدر ثلاث كلمات مطموسة.

(5) صخد : احرق وصهد.

(6) من الآية 54 من سورة القمر.

(7) قدر كلمتين الى ثلاث ساقطة من بدايات الأسطر الستة الاخيرة من الصفحة بسبب الارضة وتصليح المخطوط.

(8) كلمة مأروضة الوسط كانها : (وخولا).

(9) لنفس السبب المذكور سقط السطران الاخيران من الصفحة.

(10) ما بين هاتين العلامتين (10...10) يمثل السطر الأول من الصفحة وهو مكتوب بمداد اقوى ومغاير لما بعده.

(11) قدر كلمة مأروضة الوسط.

فحسبُ العبيد أن يُقرّوا بالعجز عن شكر نعمائها، ويعترفوا بالتقصير عن القيام بحق آلائها ؛ والى الله يضرع عبيدها أن يُجري طوع ارادتها الاقدار، ويصرّف وفق اختيارها الايراد والاصدار، ويضفي على الزمان بايالتها المهدية أسنى لباس، ويؤيدَ بنصر مؤزر من عنده «في البأساء والضرّاء وحين البأس»[12]، ويجعَلَ نورها الساطع باقيا في عقِبها لا ينقصه كثرة الاقتباس ؛ واياه نسأل ان يجعلنا جميع العبيد ممن عرف بهذه النعم فقدَرها قدرها، وأطلع في أفق الاخلاص بدرَها، وقابلها من الشكر عَودا على بدء بما يقضي له بازدياد الحظ، ويحكم تصديقا لقوله تبارك وتعالى «ولئن شكرتم لأزيدنكم»[13]

وان العبيد لما وصلهم الكتاب العزيز قبلُ، فاجتلَوا منه بعد لثم البسملة المباركة والعلامة المنصورة[14] ما ألقاه الله في الروع الطاهر، ويسر (لهم) الرأي السعيد، واقتضاه الامر العالي من **النظر في أشغال العرب** اللذين بهذه الجهة[15] ومباشرة أحوالها، والانتهاء إلى ما رسم من ذلك والوقوف عند حدّه، تضرَّعَ العبيد الى الله تعالى ان ينجدهم ويرشدهم إلى ما يُحضي لدى الحضرة ويُيَسِّر لهم من تلك المحاولة ما يزلف عندها ويدنى منها، وينهضهم الى القيام باعباء خدمتها وأداء أمانتها، ويثبت لهم رسما في ديوان أوليائها، وبادروا الى امتثال أوامرها العالية مهطعين مطيعين، وبركة الحضرة القدسية تُرشدهم وتُمدّهم، والتزام طاعتها المفترضة نور يسعى بين أيدهم ؛ ولما حُلَّ بهذا الموضع[15] ــ عمره الله ــ حسبما تقدمت به مخاطبة العبيد، شُرِع للحين في تنفيد الاوامر السعيدة المؤسس على تقوى الله تعالى مَنشؤها ومَبناها، المتسندِ الى ما (يرضي) الله سبحانه ويتكفّل بصلاح المسلمين أمته مغزاها ومعناها، المؤيد بتوفيق الله عز وجل مبدؤها ومنتهاها، المخصوصُ بسعادة الجمهور ظاهرها وفحواها، وأُحضِر لذلكم أشياخ جُشَمَ مع حفّاظهم[16] ـ وفقهم الله ــ وأُنهي إليهم ما تلقّاه العبيد من الكتاب العزيز في شأنهم، فحَمِدوا الله تعالى على ماخصّهم به من عظيم النعمة وجزيل المنة، وذخره لهم من السعادة بمرورهم على الخاطر الطاهر، وذكراهم لديه واختصاصِهم بهذا الاعتناء الرباني الذي جعل مصالحهم تَسفِر ما بين يديه، وقدَروا قدر مامنّ الله عليهم به وأنعم، وتلقّوه بشكرِ الله تعالى وليس سواه كِفاءً (....)[17]، وأُمِروا ان يكونوا مع مَزاوِرَتهم[16]يدا واحدة في ما قلّدوه، وأن يَتركوا الهوينَى في ما اعتمدوه، ويولُوا (....)[17] على مشغّبي أوباشهم وذئاب هِراشهم، وأن يأخذوا عليهم مهاوي الوهاد، وأعالي الجـ(ـبال، ويقتـ...)[17] مكامن الاساود واغيال (الأ...)[17] وأن يقعدوا لهم بكل مَرصَد، ويقفوا لهم على كل مَقصَد، ويفتحوا

(12) من الآية 177 من (البقرة).

(13) من الآية 7 من سورة ابراهيم.

(14) العلامة هي (والحمد لله وحده) وهي عادة في اول الرسائل الخليفية بعد البسملة والتصلية، لاحظ ذلك مثلا في الرسالتين رقم 35 ورقم 126

(15) يبدو ان المقصود بلاد تامسنا بدون امكانية معرفة الموضع بالضبط، اما اشارة ابن خلدون الى ان سفيان كانوا يحلون باطراف تامسنا مما يلي اسفي، فهي بدون تحديد تاريخ ذلك (العبر 6/ 62).

(16) لعل الفرق بين الحفاظ والمزاورة هنا ان اولائك موظفوا الدولة وهؤلاء من ابناء القبيلة.

(17) قدر كلمة تعرضت للكشط والارضة.

(....)[17]الفِتَكات كلَّ باب موصَد، حتى تلفِظَهم البيدُ السمالق، وتقذفهم الجُرد الشواهق، وتنقطعَ (....)[18] فمن عثَر به انتزاؤه، وقبض عليه فهو جزاؤُه، ومن فرّ به أجله وانطبق عليه مَجهَله (....)[18] استباحةِ ماله كسرا لا يرجو له عَثماً، وأصبح داخلا تحت قوله تبارك وتعالى : «انما (....)[18]»

واستنفر العبيدُ جميعَ أشياخ جُشَمَ ـــ انجدهم الله ـــ وأعيانِهم ليتعاونوا مع مَزاورتهم[16] على (.....)[19]/ (تتناولها ؟) بيض القوا(ضـ)ـب، وتنقصف صُمُّ الانابيب، وتبادروا الى الموضع ع ز/22 مواكب تتلوها مواكب، وطلعوا في أفق اجتهادهم كـ(واكـ)ب تر (دِفـ)ـها كـ(وا)كب، وأوضعوا الى ما يَحمدون فيه بركة الحضرة الامامية القدسية طريقهم المثلى ووتيرتهم، متسارعين الى استيصال شأفة من حادّ الله ورسوله ﴿ولو كانوا آباءَهم او ابناءَهم او اخوانَهم او عشيرتَهم﴾[20]، ونهدوا صحبةَ مَزاورتهم مع مَن لدى العبيد من الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ والاجناد، ونورُ الحضرة الإمامية قائدهم، وهُداها أيّةً سلكوا رائدُهم، وبركتها تَفتح لهم مهماتِ المغالق، وتيسّر لهم ما تعجز عنه أشتات الكتائب والفيالق ؛ وقد كانت **قبيلة الكُرَيز من سفيان** يتصل عنها ماهم عليه شِرارُهم من بَطْر النعمة، والتّعرّض بارتكاب الجرائم بحلول النقمة، فطال ما أوضعوا في ميدان الضلالة، وأوْفَضُوا في مجاهل الجهالة، قد استهواهم شيطانهم واستغواهم جَذْلانهم، ولم يعلموا أن الغيَّ وإن أُمهِل مجتثٌ فرعه وأصلهُ، وأن البغْي وإن أهمِل ممحوٌّ نوعه وفصلُه، حتى حَلّ بهم من نقمة الله تعالى مَا أمْسَكَ بمخنَّق تنفسهم، ﴿انَّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[21] ؛ فقُدّم النظر في تطهير هذه القبيلة المذكورة من أدناسها، وغسلها بجداول السيوف من ارجاسها، وجُعل مفتتَحَ الشغل لكونها لرأس الفساد مَسقِطا، ولحرب الضلال مأقِطاً[22] ؛ فخرجت الجملة الناهدة اليهم وقد وَرّت عنها أول النهار بغيرها[23] حتى إذا أضفى الليل سدوله ثنت اليها أعنّة سَيرها، وأدلجت اليها سواد ليلها مشْيَ الغضنفر في حمي العرين، وأشرفوا على حلالهم مع الصباح «فساء صباحُ المنذَرين[24]»، فتشطّت قناةُ شقاقِهم شَقَقاً، وسُقط في أيدي فِرقهم فَرقاً، واستبيح لهم حريم عرّضته جرائمهم أن يستباح، وتشاءموا بسُرى الصباح، ولولا ضلالهم لحَمِدوا سُرى ذلك الصباح ؛ وانتهب جميع ما أُلفِي لهم ونسِب اليهم، وسُلِبوا النعمة التي قامت بها حجة الله تعالى فيهم وعليهم، وقُبض على فِتَتهم الباغية إلا شُذّاذا منهم مَجاهلَ، وأفذاذا أسافل، هاموا على وجوههم حيث لا يسلكه سالك، ولَفَظَتهم المهامهُ الفِيَح الى مهاوي المهالك، وتقطّعت بهم الاسباب فقيل هالك في الهوالك، واستؤصل جميع

(18) قدر كلمتين او ثلاث تعرضت للكشط او الارضة على الخصوص فوقعت تغطيتها عند الترميم.

(19) ضاع حوالي ثلاثة اسطر من اسفل الصفحة بفعل الارضة والترميم.

(20) من الآية 22 من سورة المجادلة.

(21) من الآية 12 من سورة االرعْد.

(22) المأقط : أقط يأقط مأقطا : المصْرع، وموضع القتال، والمضيق في الحرب (لسان العرب).

(23) هناك إذنْ قبيلة اخرى نالها التأديب غير الكريز ولكن لم يذكر اسمها، وقد تكون من نفس المجموعة الجشمية.

(24) من الآية 177 من سورة الصافات «فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين».

مالَهم فأضحت معالمهم بَلاقع، وكم كانت مصا(ق)ع[25]، يمرحون في ظلالها ويرتعون، «فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[26]، ولأعيانهم في هذه الحطمة التي حُطِمَتها عشائرهم الأثرُ المحمود، والغناءُ المشهود، وحُقّ لهم، فقد كانت جرائم مفسديهم طأطأت من رؤوسهم، وساوت في الاتّهام (بين) رئيسهم ومرؤوسهم، حتى سهّرهم الانتقاد، وَجَلا شُبَهَهم من نور الحضرة الامامية كوكب وقّاد، تَبيَّن (...)[27] من الصَيِّب، وميّز الله تعالى الخبيث من الطّيب.

ولما فُرِغ مِن وطء هذه الشرذمة الباغية، وحَلَّ بهم (....)[27] فأخذهم الله أخذة رابية[28]، طار الرعب مطارَه بقلوب ذوي التهم، وسُقط في ايديهم فخَرُّوا لليدين (... «ضاقت)[27] عليهم الارض بما رحبت»[29]، سواء التَّنوفةُ الفَيفَى والمُشْمَخِرُّ الأَيهم، فرمت بهم مراميَها ايدي الصَّغار (.... وقذفتهم)[27] شَعوب[30] في شعاب كل مُتيهة مُضلة ؛ لا جرَم **أنّ بعض عوْفٍ**[31] من الخلط ايضا قد كانت استولت (....)[27] وانتهت بها في الشقاوة غايتها، فلا يُصيخون الى موعظة سمعا، ولا يثيرون الا في ميدان جهالة[32] (...ـون)[27] الا في نَدِيّ ضلالة جمعا، ولما تمرّد شيطانها[33]، وامتدت في قلب عصيانها أشطانها، (....تِهِ)[27] بما لا يَسكن له روع ولا خَبْلٌ، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل، وثُنيت (...)[27]، وقَصدت الجملةُ من الموحدين ــ اعزهم الله مع من انضاف اليهم من العرب والاجناد ــ انجدهم الله ــ قصْدَهم (...ماء)[27] يخوضون لجج غياهبها بسفن الركائب، ويهتدون في مجاهل حَنادسها[34] من نور الحضرة (....)[35] ثواقب،(....)[35]/ وهم في (....)[36] قفر (....)[36] صِفرٍ، فواصلوا السير بالسُّرى، ع ز/23
وأحالوا عليه صدر (...)[36] تنفخ في (...[36]) الى ان حَلّت الشمس كبدَ السماء، وتوسطت

---

(25) يمكن ان تقرأ ايضا (مصانع).

(26) الآية 112 من سورة النحل.

(27) قدر كلمتين الى ثلاثة غير واضحة.

(28) اقتباس من الآية 10 من سورة الحاقة.

(29) من الآية 118 من سورة التوبة.

(30) التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا انيس، الفيفَى ج فيافٍ : المفازة لا ماء فيها، المشمخر الايهم : الجبل العالي، والمعنى : استوى في ذلك الفيافي والجبال، شَعوب : اسم للمنية.

(31) عوف من الخلط: هناك عوف من سليم ايضا فيما يبدو، قارن مع الرسالة 61 والعبر 6/ 586 وانظر عن الخلط العبر 6/ 63 وما بعدها ضمن فصل عن الجشميين بالمغرب.

(32) ربما الامر ليس مجرد عصيان، وانما قطع الطرق وخاصة طريق الحركتين التجارية والعسكرية مثل بلاد تامسنا.

(33) لم نتعرف على زعيم هذه القبيلة او احدى بطونها ممن تتوفر له العصبية والاشياع.

(34) الحنادس : جمع حِندِس أي الليل الشديد الظلمة.

(35) السطر الاخير من الصفحة اصابته الارضة ثم التغطية اثناء الترميم، فلم يبق منه غير كلمة (ثواقب).

(36) كلمة مأروضة.

درجة الاستواء، فهي «لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»[37]، فاذا شرارُ عوف قد نَذِروا بهم فتسنّموا بجملتهم رُباوة[38]، واستلأموا لحماية ذِمارهم (جهالة) وغباوة، ونَعمُهم عن مسارحها معكوفة، وهممهم الى الطعان دونها مصروفة ؛ فَتَقدَّم اليهم سَرعانُ الخيل من عشيرتهم[39] ليَخضِدوا شوكة انتزائهم، ويكتسحوا ما بإزائهم، فألفوْهم قد تحالفوا على البَسالة في الفسالة[40]، وحاكموهم الى البيض القواضب والسمر العسّالة، وشيطانهم يدلّيهم بغرور فلا يتمارَوْن، «فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه فقال إني بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون»،[41] فلاقت هبّةُ ريحهم إعصارا، وعاد تَعاطي جرأتهم إقصارا، وفرّوا على وجوههم «كالحُمرِ المستنفَرة فرّت من قسوة»[42]، فطارت بهم أجنحة آجالهم، ونجت بهم منجى الذّئاب شعابُ سباسبهم ورمالهم، قد وَسمهم الرعب بسمات يُحَلّؤون[43] بها عن الموارد والمناهل، وتَلْفظهم لها صدور المعالم الى بطون المجاهل، فهم أموات الاحياء، وعنوانٌ باقٍ لما مُحي من صحيفة الاشقياء، قد اكتنفتهم الذلة والصَّغار، «فلو استطاعوا لابتغوا نفقا في الارض او سلما في السماء»[44]، فسُلب جميع ما ألفي لهم وحصِّل على أتمّ الاستيفاء، إلا ما تطعّمه أتْباع الموحدين وخدّامهم، وأضيف ذلك الى ما تقدم من سَلَب الكُريْز حسبما تقدمت به خدمة العبيد قبلُ.

ثم أخذت الجماعة من الموحدين ــ اعزهم الله ــ ومن معهم في الاياب الى هذا الوضع، وبركة الحضرة الامامية القدسية قد ملأت أيديَهم، وأفعمت بالخيرات واديَهم، ولهم من نورها الساطع في كل مَوماة[45] قائد ودليل، وفي كنف سعادتها الكاملة مُعرَّس ومَقيل ؛ وتعرَّفَ العبيد من اجتهاد اعيان العرب في هذه المحاولة وحسن الغَناء وظهور الجد وبذل النصح ما اطلق لهم اللسان بالشكر، وعرّفهم بما لهم بذلك لدى المقام الامامي المقدس من كريم الصيت وجميل الذكر، ولم يبقَ بعد هذه الشرذمة التي استؤصلت من سفيان والخلط لشرٍّ مَشْعبٌ ولا لِغَواية مَشْعَب[46]، فإنها كانت شوكة الفساد وقد (خُضدت)، وداعية الضلال وقد بُهظت ــ ببركة امره العالي ــ واضطهِدت، إلا ما يكون في سائر القبائل من أتباع ربما تَطرَّقَ اليهم اتّهام، واحتَمل أن يكون لهم باقتراف جناية إلمامٌ ؛ فضَمِنَ أشياخهم وحفّاظهم كشف أحوالهم، وإلحاقَهم بأمثالهم، ونهضوا (لذلكم) وقد عيِّنَ لهم من الاجناد من يستعينون به[47]، وعَزائمهم صادقة، ونياتهم في جيّد الاخلاص متناسقة، ثم

(37) من الآية 143 من سورة النساء.

(38) رُباوة : الرابية، ج رواب.

(39) اي حدوث انشقاق وسط القبيلة بين طائع وعاص.

(40) الفسالة : الضعف والجبن او الرذالة.

(41) في المصحف : «...على عقبيه وقال إنّي بريء...» من الآية 48 من سورة الانفال.

(42) اقتباس من الآيتين 50 و 51 من سورة المدثر.

(43) يُحلّؤون : يمنعون ويطردون.

(44) اقتباس من الآية 35 من سورة الانعام.

(45) الموماة والموماء : (جمعها موامي) : المفازة الواسعة او الفلاة التي لا ماء فيها.

(46) كذا بالاصل.

(47) هل كان توجيه الاجناد مع هؤلاء الاشياخ والحفاظ لكون العصاة كثيري العدد ؟ ام لكون قادة الحملة من الموحدين لا يثقون في تصرف هؤلاء الاشياخ والحفاظ مع ابناء قبيلتهم ؟.

انصرفوا وقد قضوا ما توجهوا عنه وقبَضوا على من عثَروا عليه، واجتمع لدى العبيد من شِرارهم جملة عوجِل بمشاهرهم، وشرِّدَ بهم مَن خلْفَهم، وأذيقوا وبال مكرهم، وجرِّعوا بيد الرّدى كؤوس غدرهم.

ولما شمل البحث جميع هذه القبيلة الجشيمة بطنا وظهرا، واستُكشفت احوالهم سرا وجهرا، حتى لم يَبق فيها لشبْهةٍ مجال، ولا لقائلٍ مكانُ رويّة وارتجال، ومَيَّز الانتقادُ عامّتها فخلَصت إبريزا، وامتحن الاختبارُ أعيانَهَا في هذه المحاولة فبرَّزوا (في) ميدان المناصحة تبريزا، وتصفّت من أقذاء شِرارهم مشاربُ غُمارهم، أُمروا بالانتقال عن جهات تامسـ(ـنا الى)[48] محالّهم الأُول من بلاد تادَلَى[49]، والارتحالِ بجملتهم حسبما اقتضاه الامر العالي ـــ ادامه الله ـــ فبادروا الى ذلك (....)[48] امتثالَ ما أمِروا به، ورحلوا عن هذه الجهات بقُلِّهم وكُثْرِهم، وثاغيتِهم وراغيتِهم، وصاهلهم وشا(تهم....)[48] صحبةَ حفّاظهم ليلُمّوا في حلهم وتَرحالهم شعثَهم، ويَربوا[50] مُعتلِثَهم ؛ فساروا تسيل بهم الاباطح والربا، (....)[48] البيداءُ فتعقِد رِعَانُ شواهقها حُبىً[51]، وبركة الحضرة الامامية تكتنفهم عن اليمين والشمال، وتُنجز لهم (مَوا....)[48] والآمال، وتُريهم النُّجح في صنفي الاقوال والاعمال.

ولما وصلوا بلاد تادَلَى نزلوا منها بمواضعهم قديما (....)[48] وسكنت دهماؤهم، واستقرت احوالهم، وانتقل (مَن) كان بها من بني جابر[52] ـــ وفقهم الله ـــ الى جهة تافَرْدِيُون[53] (ونزلوا ؟)[48] بها ؛ (وقبل) انتقال الجشـ(ـميين الـ)ـى هذه الجهات، أمِروا بالتخلص مما بينهم وبين جيرتِهم أ(هل تامسـ)ـنا من مَطالب المعاملات، وسائر التبعات حتى لا يبقى بينهم تَشَبُّثٌ ولا عُلقة، فتخلَّصَ بعضهم من بعض، وانسدّت بينهم مفتّحات (الابواب) و«تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبَعوا وتقطّعت بهم الاسباب»[54]، وضُمِّنت طرقُ هذه الجهات ـــ أمنها الله ـــ (اشيـ)ـاخ[55] موا(ضعـ)ها، وقُطعت الاعذار بكتْب العقود عليهم (بتلزيمهم) لهم وأخْذِهم بكل ما يطرأ فيها، ورضاهم بذلك وضمانِهم له ؛ فانتشر الامن والحمد لله ببركة النظر الامامي السعيد بأداني هذه الجهاتِ واقاصيها، وانبثت الدعة في غيظانها وصياصيها، والله يجازي الحضرة الامامية عن عبيدها

ع ز/24

(48) فراغات لتأثير الارضة في اواخر الاسطر الاخيرة من الصفحة 23.

(49) راجع خصوصيات هذه الرسالة في مطلع الفصل الرابع.

(50) الكلمة مشكولة هكذا : يَرْبُوا، ولعل اصلها : ربأ يربأ، ربأ القوم : صار لهم ربيئة اي طليعة، والمعتلث : المنسوب الى غير ابيه.ويبدو ان المقصود من الجملة ان الحفاظ يقودون جموعهم، مهما اختلفت اصولهم، اذ كان ضمن هذه القبائل بطون من قبائل اخرى انتمت اليها فيما يبدو. انظر مثلا العبر 6/ 63.

(51) الحبَى : السحاب الكثيف الذي يدنو من الارض، والحُبى ج حبوة : مايُشتمل به من ثوب او عمامة...

(52) بنو جابر يجعلهم ابن خلدون مع الخلط وسفيان من الجشميين، العبر 58/6 وما بعدها و 66 وما بعدها الاستقصا 2/ 171 (نقلا عن العبر).

(53) تافرديون : لم اعثر على تعريف لهذا الموضع.

(54) الآية 166 من سورة البقرة.

(55) الجملة مشكولة هكذا في الاصل.

خير ما جازى به ايمته الراشدين وخلفاءه المهتدين بمنه ويمنه[56].

وإن أعيان العرب من جشم ومَن حضر بهذا الموضع من أعيانِ سائر هلال[57]، لِما دَهِم عشائرهم من هذا التمحيص ما فيه ببركة الحضرة الامامية سببُ حياتهم، وخامَرهم من الرعب ما هو موجِب نجاتهم، وأصابهم من الاحتياج ما فيه ثراء أموالهم، وأُشرِبوا من القنَط ما فيه درْك آمالهم، رغِبوا في تأنيس دهمائهم، وتسكين رَوع حماتهم، وتلافي باقي ذَمَائهم[58] بِأَن يُمنّ عليهم بما اعتادوه من إحسان الحضرة الامامية القدسية وعميم إنعامها، ومعهود إفضالها، حسبما أَلِفوه من بركتها وعهِدوه من لطفها وحنانها، لتتم النعمة بذلك على جميعهم، وتسكُن له نفوس كافتهم، وتَفيضَ به المنة على خاصتهم وعامتهم، وليكون كالتباشير لصبح الرضى عنهم، وعنوانا لجميل الغرض فيهم، ودليلا على تتميم النعمة قِبَلَهم ؛ ووالَوا الرغبة للعبيد في مطالعة الحضرة العلية الامامية بما أمّلوه في ذلك واستفتاح أبواب رحمتها لِوُلوجِهم، واستمطار صيِّب إحسانها لظمإهم، واستلطافِ رأفة حنانها لضُعفهم، فطالَعَ العبيدُ بذلك من رغباتهم[59] راجين لهم من بركات امتنان الحضرة الامامية مَقرِّ الرحمة وينبوع البركة ما لا تطمح اليه مُناهم، ولا يبلغه متمنّاهم، حسبما اعتاده جميع عبيدها من فضلها، وعهِدوه من بركة هدْيِها؛ وإلى اللّهِ يَضرع عبيد الحضرة الامامية (القدسية) في أن يَبلغ مُلكُها ما زُوِيَ له ﷺ من أقاصي المشارق والمغارب، ويغنيها بتأييده ونصره عن مناصبة مُناصب أو مُحاربة مُحارب، وأن يتكفل لأعلامها المؤيدة من تيسير الارادات ما لا يَمرّ بخاطر، ولا يَدخل تحت (حصر) حاصر؛ بمنه وكرمه، والسلام الكريم العميم على الحضرة الإمامية القدسية المطهَّرة ورحمة الله وبركاته[60].

---

(56) هم عبد المومن ويوسف والمنصور والخطاب موجه الى الناصر.

(57) هلال : هو الجد الاعلى لمعظم القبائل التي استوطنت المغرب الاقصى من رياح ومن الجشميين (سفيان والخلط وبني جابر وغيرهم) انظر العبر 6/ 27 وما بعدها. والمقصود في الرسالة اعيان هذه الفروع الثلاثة الاخيرة

(58) الذماء : بقية الروح.

(59) لعل هذا هو المقصود الاساسي من الرسالة (بالاضافة على الاخبار بانتهاء المهمة).

(60) حول تاريخ الرسالة انظر خصوصياتها في مطلع الفصل الرابع.

الرسالة السادسة والخمسون :

رسالة من اشبيلية
حول «شقي ميورقة»

تقديم :

هذه الرسالة هي مجرد تقديم موجه من والي اشبيلية الى الولايات الاندلسية ــ فيما يبدو ــ وجهه مع نسخ من رسالة للخليفة الناصر مبشرة بالنصر على «شقي ميورقة» قد يكون هو ابن غانية المستقل بميورقة الى ان اخذها الموحدون في مطلع سنة 600 أو قريبه الثائر بافريقية والذي انهزم امام الجيوش الموحدية سنة 602 فتراجع الى الصحراء[1]. فالرسالة التقديمية هنا لا تصرح بمقتل «الشقي»[2] وانما «احانه الله» اي تتمنى له الهلاك، وهكذا يمكن ان تكون تقديما للرسالة الاخيرة في «مجموع رسائل موحدية» لبروفنصال التي هي رسالة خليفية عامة موجهة الى سائر عواصم ولايات الدولة[1]، وقد ورد في ختامها الامر «بنشر هذه المسرات» فربما نفّذ الوالي المذكور هذا الامر بتوجيهه لهذا التقديم الذي كتبه عنه الفقيه ابو الحسن ابن الفضل[3]، وورد ضمن زوائد «العطاء» على الصفحتين 24 و 25.

نص الرسالة

ع ز/24 ....(....(*))[4] إليكم؛ كتب الله لكم من البشائر ما يجدد آمالكم وأمانيَكم، ويعمرُ بالمسرّات المستمرات ربوعَكم ومغانِيَكم، (....)[4] يتقلص ظلها قاصيَكم ودانيَكم ــ من اشبيلية ــ حرسها (الله) ــ عندما وصل كتاب الحضرة الإمامية الناصرية (....)[4] وأكمل في إعزاز الإيمان إرادتَها، تنطق عن ما سنّى الله تعالى لحزبه الموحدين أولياء حضرتها وخُدَما(ئها.....)[4] يختبط في هواه، المعذّب في دنياه وأخراه، شقّي ميورقة ــ احانه الله ــ على حسب ما تسْمعونه من (....ـاليكم)[4]

---

(1) انظر الرسالة رقم 37 (م ر م) لبروفنصال، وقد كتبت من ظاهر المهدية حيث كان الخليفة يحاصرها، وكانت جيوشه تطارد ابن غانية.

(2) انظر نفس الرسالة ص 258 على عكس ما ورد في رسالة الناصر بفتح ميورقة (رقم 36 في م ر م).

(3) توجد ترجمته في المقدمة ضمن تراجم الكتاب.

(*) الرسالة هنا ناقصة الصدر، ويبدو ان ما بين هلالين هو : (وانا كتبناه)...

(4) ما بين هلالين ( ) مغطى بفعل الترميم في وائل اسطر النصف الاسفل من الصفحة بمقدار كلمتين (في الاعلى) الى حوالي خمس كلمات (في الاسفل).

الطالعةِ إن شاء الله بالسعادة عليكم ؛ فاحضرُوا ــ أكرمكم الله ــ لسماعها بأذهان حاضرة ونفوس (...ـرة)[4]، وأصيخوا إلى ما يتلى عليكم من آياتها إصاخة تَجمع لكم بين شرفي الدنيا والآخرة، واجتهدوا (....المرتضَى)[4]، وسيفِه المنتضَلِ المنتضَى، فطال ما أسهَر جفنَه ليُنيمكم، وأتعبَ نفسَه ع ز/25 ليُكْمِل راحتَكم (.....)[5]/ لا عزيزَ إلا من أعزه (الله)، ولا ذليلَ إلا من اتخذ إلاهه هواه، والله تعالى يحمـ(ـلكم عـ)لى سَنن هداه، (وهو) يجمع قلوبكم (على) تقواه، بمنّه (لا)رب سواه.

(5) بتر في اسفل الصفحة بسبب الترميم شمل ثلاثة اسطر فيما يبدو.

الرسالة السابعة والخمسون :

فصل من رسالة عن الخليفة الناصر حول فتحه للمهدية

تقديم :

خلال التسعينات، وبينما كانت وضعية الموحدين قوية نحو الاسبان وخاصة نحو قشتالة منذ معركة الارك، كان الوضع بافريقية يميل تدريجيا لغير صالح الموحدين، وخاصة في السنوات الاولى من عهد الناصر، حتى ان بني غانية اصبحوا يسيطرون على معظم افريقية بما فيها المهدية، وبينما سقطت ميورقة بيد الموحدين سقطت تونس بيد بني غانية، فاضطر الناصر لتنظيم حملة لمطاردتهم، وتحرك معه الاسطول نحو المهدية. وبعد تحرير تونس ومطاردة بني غانية من معظم جهات افريقية شدد الناصر الحصار برا وبحرا على عاملهم بالمهدية الى ان فتحها سنة 602، فكتب عنه كاتبه ابو عبد الله بن عياش[1] رسالة مبشّرة بفتحها الى الولايات الموحدية، وقد اورد ابن سعيد المغربي في كتابه «عنوان المرقصات» فصلاً من هذه الرسالة[2]، ونقله عنه ابن الخطيب في «الاحاطة» ضمن ترجمة ابن عياش[3]. وقد اعتمدت على نص ابن سعيد مقارنا بما في الاحاطة التي رمزت اليها بحرف (ح).

نص الرسالة :

.....ولما حللنا عُرى السفر بأن حللنا حِمى المهدية، تفاءلنا بأن يكون لمن ألمَّ بساحتها[4] هدية، فأحدقْنا بها إحداق الهُداب[5] بالعين، وأطرْنا لِمُختِلسِ وِصالها غِربان البيْن، فبات بلَيلةٍ نابغية[6] وصافَح يوما صافحته فيه يد البلية[7] ؛ ولمّا اجتلينا منها عروسا قد مُدَّ بين يديها بساط (من)[8] الماء، وتوِّجت بالهلال، وقُرطت بالثريا، ووُشِّحت بغيوم السماء[9]، والسحبُ نسجت عليها أرداناً تُبديها[10] تارة متلثمة وطورا سافرة، وكأنما شرفاتها المشرقة[11] أنامل مخضَبة بالدياجي،

الرمز (خ) يشير الى نص الاحاطة.

(1) انظر ترجمته ضمن المقدمة.

(2) وذلك في الصفحتين 12 و13 من الطبعة الحجرية.

(3) المجلد الثاني طبعة 1974، تحقيق عنان (486 ـــ 487).

(4) في (ح) : بان تكون لمن حل بساحتها.

(5) في (ح) : الهدب.

(6) في (ح) : فبانت بليلة باسنية.

(7) في (ح) : وصابح ...يد المنية.

(8) كلمة ناقصة في (ح).

(9) في (ح) : وتوجهت بالهلال، وقرطته بالثريا ووجشت بنجوم السماء.

(10) في (ح) : تسحب عليها اردانها فترتديها.

مختمة[12]بالكواكب الزاهرة، تضحي (ضاحكة)[8] عن شنب لا تزال تقبّله أفواه المجانيق[13]، وتمسي باسمة عن لعْسٍ لا تبرح تَرْشِفه شفاهُ سهام الحريق، خطبناها فأرادت التنبيه على قدْرها والتوفير في إغلاء[14] مهرها، ومَن خَطب الحسناء لم يُغلِه المهر ؛ فتمنّعت تمنّع المقصورات في الخيام، وأطالت إعمالَ العامل في خدمتها وتجريد الحسام، إلى ان تحققت عِظَمَ موقعها في النفوس، ورأت كثرة ما ألقِيَ اليها من[15] نِثار الرؤوس[16] فجنحت[17] إلى الإحصان بعد النشور، ورأت اللَّجاج في الامتناع من قَبول الاحسان لا يجوز[18]، فأمكنتْ زمامَهَا من يد خاطبها بعدِ مطاولة خَطْبها وخِطابها، وأمتعته على رغم رقيبها[19] بعناقها ورشفِ رُضابها، فبات[20] بها معرِّساً حيث لا حجالَ إلا من البنود، ولا خلوق إلا من دماء أبطال الجنود ؛ فأصبح وقد تلألأت بهذه البشائر وجوهُ الأقطار[21]، وطارت بمسارّها سوانحُ البراري وسوائح البحار[22]، فالحمد لله الذي أقر الحق في نصابه، واسترجعه من أيدي غُصّابه[23]، حمداً يجمعها بشمل النعم[24]، ويُلقحُها كما تُلقِح البحارُ الدِّيَم[25] ؛ فشنِّفوا الأسماع بهذه البشائر، واملأوا الصدور بما يرويه لكم من أحاديثها كلُّ وارد وصادر، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء[26]، وعمّ الأمنُ والخير به بسيطَيْ الارض والماء[27]، فشكرُ الله عليه فرضٌ، في كل قطر من أقطار الارض....[28].

---

(11) في (ح) : المشرفة (بالفاء).

(12) في (ح) : مختتمة.

(13) من المجانيق التي استعملها الناصر لفتح المهدية «منجنيق كبير لم يعمل مثله عظما يرمي مائة ربع، فرمي البلد به فوقع الحجر من المنجنيق في وسط دفة باب المدينة فطوى وسطها، والدفة من حديد كلها قائمة على قاعدة من زجاج اخضر» (القرطاس ص 232).

(14) في (ح) : اعلاء.

(15) في (ح) : لها.

(16) في الاصل : الرؤس.

(17) في (ح) : جنحت.

(18) في مثل هذه العبارات تلميح الى طول حصار المهدية وكثرة ضحايا الحصار، ولم تستسلم المدينة الا بعد تأكدها من هزيمة ابن غانية في «تاجرا» بنواحي قابس، (انظر الفصل الثاني، الفقرة الأولى).

(19) في (ح) : رقيها.

(20) في (ح) : فبانت.

(21) في (ح) : الافكار.

(22) في (ح) : ... سوائح البرازي وسوانح البحار.

(23) يقصد هنا بالغصّاب ابن غانية وحلفاؤه وكان المكلف من طرفه بشؤون المهدية هو ابن عمه علي ابن الغازي وهو الذي استسلم للموحدين بل دخل في طاعتهم، وكان تاريخ استسلام المدينة هو 27 جمادى الأولى 602، (انظر الفصل الثاني).

(24) في (ح) :...حمداً يجمع شمل النعم.

(25) في (ح) : الرياح.

(26) مقتبس من قصيدة لأبي تمام بعد فتح عمورية : فتح تفتح ابواب السماء له.. وتبرز..

(27) في (ح) : وعم الخير واليمن به بسيطي الشرق والماء.

(28) لعل تاريخ الرسالة هو 22 جمادى الآخرة سنة 602 من منزل ابي نصر بعد يومين من مغادرة الناصر للمهدية اذ وجه من هذا المنزل كتب الفتح الى المغرب والاندلس حسب التيجاني ص 360.

الرسالة الثامنة والخمسون :

رسالة من الجزيرة الخضراء إلى السيد أبي عمران موسى اشتياقا إلى عودته من غيبته

تقديم :

خلال ولاية السيد ابي موسى بن الخليفة عبدالمومن على اشبيلية منذ سنة 601 يبدو ان السيد ابا عمران ابنه كان نائبا عنه بالجزيرة الخضراء ثم تغيب عنها، ولا ندري الجهة التي قصدها[1]. فكتب أبو القاسم بن عذرة[2] عن «طلبة» الجزيرة الخضراء إلى السيد أبي عمران يتمنون قرب لقائه، وقد وردت رسالته ضمن المخطوط الخاص (ص 303 ــ 305) بتاريخ 9 رمضان 602، وهذا نص الرسالة.

م خ/303 **نص الرسالة : (رقم 58)**

م خ/304 حضرة السيد الأجل المكرم الأسنى الهمام الاوحد الامجد المبارك الميمون/ الموفق الاسدى أبو عمران[3] بن السيد الاجل المعظم الارفع الازهد الاطهر المؤيد الاسعد الازكى أبو موسى[4] بن سيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين مكن الله سعدها، وخلّد شرفها الباهر ومجدها، وشكر عن الكل مذهبها الجميلَ وقصْدَها، عبدُها المستندُ الى اعلائها، الشاكر لنعْمائها المستظل بظل لوائها، الراغب في بركة دعائها : عبد الرحمن بن عمر بن عذرة[5]، سلام كريم مبرور على حضرة سيدنا ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمد الله تعالى (الى آخر الصدر المعهود)[6].

---

(1) اذا صح الافتراض بان ابا عمران كان نائبا عن ابيه بالجزيرة الخضراء، هل يمكن ان تكون غيبته ضمن حركة الناصر الى افريقية خاصة بمقارنة تاريخ هذه الرسالة مع الفترة التي استغرقتها الحركة ؟

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب.

(3) انظر الهامش 1، وممن كتب ايضا عن السيد ابي عمران موسى الكاتب ابو القاسم البلوي (العطاء ص 90).

(4) عيّن الناصر على اشبيلية السيد ابا موسى بن الخليفة سنة 601 (البيان 219)،

(5) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب.

(6) كذا في المخطوط وقع الاستغناء عما بعد الحمدلة، وفي العادة ان الصدر يشمل الحمدلة ثم التصلية على الرسول و الترضية عن المهدي وخلفائه والدعاء للخليفة الحاكم وهو هنا الناصر، قارن مع رسائل اخرى.

فكتب العبد من الجزيرة الخضراء[7] — حرسها الله — وبركات الأمر العزيز — أدامه الله — متوالية، وبشائره مع الايام رائحة وغادية، والحمد لله على السَّنن الذي أسلُكه — يا سيدنا الامجد — في طاعتكم وخدمتكم والمقصَد الذي أتوخّاه واعتمده من شكر نعمتكم السابغة ومنّتكم، والشوق الشديد الذي أجده الى لقائكم الاسعد ورؤيتكم، والدعاءُ الذي أرُدّه الى الله تعالى في أن يزيد في سمو درجتكم، وأن يتفضل عليّ وعلى أهل المكان بتقريب أوبتكم[8]، فقد كان بأنسكم معموراً، وبحلول يمنكم وبركتكم فيه مشهورا مذكورا ؛ وكان أهله كافة يمسون ويصبحون من هديكم وكرم سعيكم في حرم آمن[9]، ويشربون من حسن معتقدكم وجميل مقصَدكم ماءً غيرَ آسن ؛ ؛ وكان «طلبته» يشتملون براداء إحسانكم، ويرِدون الموردَ العذب مِن بِشركم وامتنانكم، (وإنني)[10] لأتذكر معهم بهاء مجلسكم الكريم، وضياء نوركم الذي سرى اليكم من المنصب العظيم، والهدي المستقيم، فيزداد الشوق أضعافا، ويهزّ من الجميع جوانب وأعطافا، ويوقد من الحنين ما نرتشفه ارتشافا، ونعتكف على تجرع وَجْدِهِ اعتكافا ؛ فلو تَخيَّل مجدكم — أيد الله امركم — قدر ما بعبيده من الاستيحاش لمغيبكم عنهم ساعة، لأَعملَ في تلافيهم بالاياب المأمول أوفَى الجهد والاستطاعة، فما لهم أُنسٌ الا بحضرتكم، ولا بِشرٌ الا في رؤيتكم، ولا حياة الا في محاورتكم ومذاكرتكم[11] ؛ وإنهم لِتلك الأيام المعظمة لحامدون، وبقدر نعمة الله تعالى عليهم فيها لعارفون ؛ هذا في حق الجميع على العموم، فكيف/ — يا سيدنا — في حق عبدكم وإخوته على الخصوص، الذين رُزقوا من المعرفة بقدر تلك الحقوق المكرمة ما رُزقوا، وارتَزقوا من ثمارها العذبة الجنَى ما ارتَزقوا، إنهم لَهم الذين ذهب بهم الشوق كل مذهب، وارتقى بهم كل مَرقب، فهم المتشوقون لإيابكم الأكرم ورحمة الله تعالى وفضله، والمستعطفون مع الساعات والاوقات جودَه العظيم وطَوله، ولو كان القدَر بالاختيار، ما غاب العبيد عن ذلك النور طَرْفةَ عين، ولكانوا منه في كل مكان يَحله رأيَ العين.

م خ/305

والله يَنظم بذلك السؤدَد شملَهم، ويصل به حبلهم، ويديم ببركته أُنسهم وظلَّهم، ويصنع لكم — يا سيدنا — في كل مقام ومَرام أفضل من الصنع وأسناه، وأتمه وأعمَّه وأكرمه وأوفاه ؛ والسلام الاطيب الاحفل الأوفى، المعاد المردد الموصول المستوفى، من عبدكم وإخوته المنقطعين الى مقامكم، المتجمّلين بأوقاتكم السعيدة وأيامكم، على حضرتكم السَّنية الزكية ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ في التاسع من رمضان المعظم سنة ثنتين وستمائة.

---

(7) الجزيرة الخضراء : انظر عنها نزهة الادريسي (ص 539 — 540) ن ايطالية والروض المعطار (مادة الجزيرة الخضراء).

(8) انظر الهامش 1.

(9) في هذا تلميح الى المهام السلطوية للسيد المخاطَب.

(10) كلمة شبه مطموسة.

(11) يقتضي هذا ان تكون العلاقة بين الطرفين ايضا علمية وان يكون الطلبة فقهاء وليسوا دائما طلبة اداريين وعسكريين وهذا ما يجعل موضوع الرسالة يحتمل ان يكون ذا صبغة رسمية كما يحتمل العكس.

الرسالة التاسعة والخمسون :

رسالة عن الشيخ عبد الواحد الحفصي بمناسبة انتصاره في «شبرو» على ابن غانية

تقديم :

بعدما استرجع الخليفة الناصر افريقية من قبضة يحيى ابن غانية عين عليها واليا عاما مفوضا هو الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص الهنتاتي احد اصحاب المهدي، وترك معه نخبة من القوات الموحدية اختارها بنفسه، ثم عاد الناصر خلال سنة 603 في اتجاه المغرب(1). فتحرك ابن غانية من جديد من الصحراء محاولا التوغل في وسط افريقية فاعترضته قوات الشيخ عبد الواحد بنواحي تبسّة حيث دارت المعركة في شبرو(2) واسفرت عن انتصار الشيخ عبد الواحد وذلك في اواخر سنة 604 فكتب عنه كاتبه ابن نُخَيل(3) رسالة النصر التي يورد ابن الآبار في «اعتاب الكتاب» بعض فصولها، ونسخ الاعتاب المعروفة هي كما يلي : نسخة الخزانة العامة بالرباط، ونسخة الخزانة الحسنية بالرباط (لم يتيسر الاطلاع عليها لحاجتها الى الترميم) ثم طبعة دمشق لسنة 1961 ص (233 ــ 239) التي استندت على نسخ القاهرة والاسكوريال والخزانة العامة، وقد اعتمدت اصلاً على هذه الطبعة.

فصول من الرسالة :

....(4) وقد انتصر الحق من الباطل(5) ففرَّق جموعَه، واذهب بسطوته الغالبة ودعوته العالية(6) جميعَه، وأيد الله طائفة التوحيد على حزب الشيطان المريد، تأييدا أراق بسيفه القاصل نَجيعَه، وبيّن

---

(1) راجع الفصل الثاني (آخر الفقرة الأولى).

(2) اخطأ محقق (الاعتاب) في قراءة اسم الموقع فكتبه هكذا : «وقيعة شيذو من نواحي سبتة» وعلّق في الهامش ان الكلمتين الاخيرتين غير مقروءتين في الاصل وان ما اثبته هو الاصوب ! انظر الروض المعطار 338 والعبر 6/ 403.

(3) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب.

(4) صدر الرسالة محذوف، ربما تجنبا لإظهار التبعية للموحدين بمراكش، فابن الابار قضى بقية حياته في ظل الحفصيين ويبدو ان المرسل اليهم هم رعايا ولاية افريقية الموحدية.

(5) في اعتقاد الموحدين دائما ان عدوهم على باطل.

(6) في نسخة (خ ع) : القالية.

لكل ذي بصر سديد وسمع شهيد أن هذا الامر[7] هو أمر الله الذي لا يزال نافذُ الاقدار في الايراد والإصدار مطيعَه، وأن عدوَّه وإن تراخى به الامد فلابد أن يُنزل موعدُه الصادق مَنيعَه، ويحُطَّ رفيعه، والحمد لله على ذلك حمدا يستمد وحي النصر المؤزر والفتح المدّخر وسريعَه...[8].

...فحشد من قبائل دباب[9] وزغب ونفات، ومن انقاد اليهم من برابر تلك الجهات[10] من قادهم اليه الحَيْن بزمام الخُدع والتّرهات، وأقبل بمن التف عليه من أولئكم الطّغام، وبقايا الاجتياح والاصطلام[11]، يتقرّى المنازل والمناهل، ويوهم بكثرةِ مَن جمعَه من هذه القبائل، وخرج الموحدون إليهم مستعينين بالله وبما عوده من النصر عليهم، فلما حققوا عزمهم، وصححوا في التصميم نحوهم عِلمَهم، ورأوا أنهم فوّقوا لثُغرهم المثغورة أسهمَهم، طار بهم الفرار، ونبا بهم القرار، وولّوْا سراعا لا يستبدّ بسيرهم دون الليل النهارُ ؛ والموحدون أعزهم الله ينتظرون الوقت الذي لا يبعد مداه في هلاكهم، ولا يُفلتون منه بعدَ إدراكهم ؛ فلما تراءى الجمعان، وضاق متّسَع المجال عن الدماء والطعان، وشِيمَت السيوفُ كالبوارق الخواطف (في اللمعان)[12]، وحَملت الكتائب على الكتائب كالرعان على الرعان[13] جرى الموحدون — أعزهم الله — على عادة صبرهم، فعرّفهم الله ما أحبوه من عوائده الكريمة مع أميرهم[14]، فلم يكن الا لمحةُ بارق، او خِلسة مُسارق، حتى استلحمت السيوف أحزاب الضلال، وتبرّأ منهم رجيمهم المغرور تبرؤَ مَن كان وعدَهم بالمُحال، فقُتلوا مئين وعشرات وآحادا، وفرّ غويّهم الشقي جريحا[15] لم يَصحَبه من ذلك الجم إلاَّ فُرادى، وامتلأت الأيدي من غنائمهم فهي تُشَلّ[16] في حَزْن وسهل سَوقاً وطِرادا، وكفلت الموحدين عنايةُ الله تعالى فلم ينل العدوّ منهم نيلا، ولم يَمِل الضررُ عليهم ميلا[17]، بل أشوتْ سهامُه[18]، وخاب والحمد

---

(7) اي الدولة الموحدية وعقيدتها.

(8) عبر ابن الابار عن هذا البتر هنا بقوله : «ومنها في ذكر الشقي الميورقي : فحشد من قبائل...».

(9) في (خ ع) : دياب وتتكرر ذكر «دباب» في الرسالة رقم 61، ويجعل ابن سعيد «مجالات دباب من حد قابس الى بئر السدرة من برقة» ، ويذكر بعض بطون قبائل اخرى في هذه المجالات وتحت خفارة دباب، (بسط الارض 79) ويجعل ابن خلدون زغب وذباب (كذا) من سليم، وان مواطنهم ما بين غربي قابس وبرقة (العبر 6/ 168) واما نفات : فنجدها عند ابن خلدون : (نفاث) بالثاء المثلثة، (العبر6/ 76 — 77).

(10) هل يقصد بربر صنهاجة عصبيته ؟ انظر الفصل الثاني من الدراسة العامة) ام يقصد مغراوة الزناتية التي كانت حليفة لابن غانية في هذه الفترة ؟ هذا أُرجّح، انظر البيان (228 — 229)، والعبر 6/ 586، والهامش 34 على الرسالة رقم 61.

(11) الاصطلام : اصطلمه : استأصله.

(12) اضافة من نسخة الاسكوريال وخ ع (المحقق للاعتاب)

(13) الرعان : جمع رعن اي الجبل الطويل.

(14) المقصود الشيخ عبد الواحد الحفصي والي افريقية منذ سنة 603 (البيان 225).

(15) الشقي هو يحيى ابن غانية، وسيتكرر ذكره بعد الرسالة اللاحقة.

(16) في (خ ح) : تستن... والحزن : ما ارتفع من الارض.

(17) ادعاء مألوف عند الموحدين بالنسبة لمختلف المعارك، راجع خصائص الرسالتين 59 و 61 في الفصل الثاني.

(18) اشوت سهامه : اخطأت غرضها.

لله أمله ومَرامه، ولم يبق من هذا العدو إلا ذَماء، ولقد ظل بعد هذه الوقيعة لا تحميه مع العرب أرض ولا سماء، فإنه أتى في هذه الحركة (منهم)[19] بمن لم يَطِر له قبل بجناب، واستهوى بحبالاته الكاذبة وآماله الذاهبة مَن عاد لأرضه بجُريْعة الذقْن ولم يَعُدْ شابّ ولا تابّ[20]، وترك الحلائلَ في المحامل تتوزعها أيدي الناهبين فلا تُدركه حفيظة الانتهاب[21].

وطالعناكم بهذه المسرّة العظمى والموهبة الكبرى عشيَّ اليوم المشهود، والوقت المحمود، لتحمَدوا الله بجميع محامده وتشكروه، وتذيعوا بلاءه الجميل لكم ولكافة المسلمين على ايدي أوليائهم الموحدين وتَنشروه....[22].

---

(19) ناقصة في نسخة الأسكوريال (المحقق).

(20) التاّب : الشيخ العجوز، استتبّ الرجل : ضعف وعجز.

(21) للعرب عادة في استصحاب نسائهم في المعارك (انظر ايضا الرسالة 61).

(22) تاريخ الرسالة هو تاريخ يوم المعركة وقد حدّده ابن الابار ــ في تقديمه لهذه الرسالة ــ بمنتصف شهر صفر 604، وجعله صاحب الروض المعطار في آخر ذي القعدة من نفس السنة (338).

الرسالة الستون :

رسالة حول تردد الموحدين على الغرب الأوسط

تقديم :

كان من نتائج ضعط الموحدين بافريقية على تحركات ابن غانية ــ كما حدث ذلك في شبرو ــ ان غير اتجاه حركته نحو المغرب الاوسط والواحات الصحراوية، حيث وصل في نهبه الى سجلماسة[1]، كما هزم قوات الموحدين بناحية تلمسان[2] بواسطة دعم قبائل زناتة وذلك سنة 605 غير ان توجيه قوات ضخمة من المغرب الاقصى بزعامة الوزير ابي زيد ابن يوجان الهنتاتي فرضت عليه التراجع نحو افريقية محاولا اقتحامها، ولعل الخليفة بمراكش وجه الى الولايات رسالة تبشر بنجاح حركة الموحدين الى المغرب الاوسط وعودتهم بعد نجاح مهمتهم، وقد تكون رسالة والي اشبيلية من انشاء ابي العباس ابن جعفر[3] (المخطوط الخاص ص 342 ــ 343) جوابا على هذه الرسالة، وهذا نص الرسالة الجوابية :

نص الرسالة :

م خ/342 ...[4] وإنه ورد على عبد[5] الحضرة الامامية العلية ــ أيدها الله ــ كتابها المعظم المكرّم فياله من وارد سَرّ وأبهَج، وهدى السبيل وأوضح المنهج، وبسط الأمل وفسح الرجاء وبشّر بالصلاح التام والخير المستقبَل العام هذه النواحي والأرجاء، فتلقاه العبد تلقّيَ أمثاله من موادّ نِعمها، ونتائج عطفها وكرمها، وشكرَ الله على ما تضمَّنه من **البشارات العظيمة** والاشارات الكريمة، وعلى ما اقتضاه من الاعتناء الكريم، والإنعام العميم، والفضل الدائم المقيم، وسُرّ بها سرور مَن عَرف فيه حسن الغرض، واعتكف له على الحمد الملتزم والشكر المفترض ؛ وتعرّفَ من كريم مضمّنه نعمة الله على **الغرب الاوسط**[6] ــ كلأه الله ــ بما كان اقتضاه النظر العالي، والرأي الكريم الامامي، مِن تردد

(1) انظر العبر 6/ (403 ــ 404) و592

(2) انظر البيان (228 ــ 230).

(3) انظر الحديث عنه ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة.

(4) يلاحظ هنا اغفال صدر الرسالة كما هو الشأن في رسائل اخرى من نفس المخطوط.

(5) هذا نموذج من الرسائل التي يذكر فيها «العبد» اي الوالي دون بقية «الطلبة» او «العبيد» كما كنا نجد في رسائل سابقة واذا فرضنا ان هذه الرسالة ــ كغيرها من رسائل هذا المخطوط ــ صادرة من اشبيلية فيمكن ان يكون «العبد» هنا هو السيد ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة المنصور في ولايته ما قبل الاخيرة اي بين سنتي 605 و 607 (البيان 230 و 234، والمعجب 308 ــ 309)

(6) لعله المغرب الاوسط خاصة منطقة تلمسان، (انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع).

الموحدين — أعزهم الله — فيه لتأنيس رعاياه، والفحص عن شؤونه وقضاياه، وتلك عادة الحضرة الامامية — أيدها الله — في العناية بمناجح الامور، والرعاية لمصالح الجمهور، والتفقد لأحوال البلاد، والالتفات لمنافع العباد، وما استرعاها الله هذا العالم الا وقد خصّها من العدل والاحسان، والفضل والجود والامتنان، والنظر المبني على السنة والقرآن[7]، بما تحوط به رعيتها المسندة اليها، وتكلأ به البرية التي هي أمانة الله لديها ؛ فهنّأ الله البلاد والعبادَ حسن رعيها، وجميلَ مذهبها في ذات الله وحميدَ رأيها ؛ وجزى الله الحضرة الامامية أفضل ما جزى به خلفاءه الراشدين المرشدين[8]، المجاهدين في حياطة المسلمين، العاملين على ما يعود في البسيطين[9] بمصلحة الدنيا والدين.

وتعرَّف العبد ايضا من مضمّن الكتاب الكريم ما صنع الله من **تيسير اسباب رحلة الموحدين** — أعزهم الله — **إلى أوطانهم**[10]، وإمكان الاقتراب/ من اوليائهم المشتاقين اليهم واخوانهم، فهنيئا لتلكم الاوطان التي طالت بها الى الموحدين الاشواق[11]، وكادت تزعجها نحوهم فتنزعج وتسوقها اليهم فتنساق، لقد دنت منهم إليها أرواحها، واستقبلتها مسرّات العظائم وأفراحُها، وأظلتها البركات الامامية وطلع عليها صباحُها، وتِلكم نعمة من الله يسّر أسبابها، وفتح ابوابها، ومدّ على عبيد الحضرة الامامية أطنابَها، وشُكرُ الله على هذه النعمة الكبرى متعيِّنٌ، وفضلُ الله فيها على العباد والبلاد بيِّنٌ ؛ والحمد لله رب العالمين على ما عرَّف الحضرة الامامية في هذه الحركة السعيدة من التيسير والتسهيل والعاقبة الحنسة والصنع الجميل، وعلى السلامة التي آتاها، **والظفر الذي صاحبها** والسعد الذي واتاها[10]، وتلك عادة الله التي عوّدها، وفضلهُ الذي أمدّها به وأسعدَها، والله يعرّفها في كل محاولة سعادة المبتدأ والختام، وتيسير المحاولـ(ـة و) المرام، ويصل لها في كل وِرد وصَدَر ما عوّدها من العناية الربانية، والكرامة الرضوانية.

م خ/343

وما أوردته الحضرة الإمامية — ايدها الله — من الإنباء بذلك كله والإعلام به فمنةٌ منها — شكرها الله — ونعمى، والتفات كريم واحسان عميم ونعمة عظمى، وأيّةُ ساعة من الساعات أغبّت بركاتُها، ومتى لم يتملك القلوب اعتناؤها المستصحب والتفاتُها، إنْ هي إلا توالي (سوابغ)[12] الإنعام مختلفة الأنواع والأجناس، وتوابعها مع الأيام بل مع الساع متتابعة الأنفاس، وتجود منها بما ليس شكرُه بالمستطاع قبل السؤال والالتماس ؛ فجازاها الله عن كافة عبيدها بأفضل الجزاء، وتولّى شكرَها عن الخاصة والدهماء...

---

(7) تتكرر مثل هذه الاشارة الى الارتكاز على القرآن والسنة في الاحكام.

(8) يقصد الخلفاء الموحدين السابقين.

(9) لعله يقصد العدوتين ان لم يقصد المشرق والمغرب

(10) راجع خصوصيات الرسالة.

(11) لعل في هذا تعبيرا عما في نفس الوالي ابي اسحاق ابراهيم، حيث نجده يطلب اعفاءه من ولاية اشبيلية سنة 607 (البيان 234).

(12) في الاصل : الا سوابغ.

الرسالة الواحدة والستون :

رسالة الشيخ عبد الواحد الحفصي
بمناسبة انتصاره على ابن غانية بوادي أبي موسى

تقديم :

بعد جولة ابن غانية حوالي سنة 605 عبر المغرب الاوسط ومدن الواحات ومطاردته من طرف جيش الوزير الموحدي ابن يوجان، تراجع الى افريقية محاولا اقتحامها بعد ان تصله امدادات العرب من ناحية طرابلس، غير ان جيش الشيخ عبد الواحد افشل مخططه واشتبك معه في معركة هامة بوادي ابي موسى عند جبل نفوسة سنة 606، وهي المعركة التي شلّت تحركاته لعدة سنوات. فكتب الشيخ عبد الواحد رسالة تبشر بالنصر، من انشاء ابن نخيل[1] اقتبس ابن الابار منها بعض فصولها في كتابه «اعتاب الكتّاب» (ص 240 — 245 من المطبوع).

بعض فصول الرسالة :

... والى ذلكم — وصل الله بالنجاح اسباب آمالكم، وختم بالفلاح صحائف اعمالكم — فان الموحدين — اعزهم الله — لما قفلوا من حركتهم الاولى الى ديارهم، وانصرفوا من تمام اغراضهم في اتباع الاعداء واوطارهم، اقبل هذا العدو الاشقى[2] فيمن التف عليه من غَدَرة بني رياح[3] كفرة النعمى يؤمّون هذه الجهة الافريقية حنينا اليها، وصبابة لم تزل تعطف عليها، ظناً منهم ان هذه العصابة المنصورة، والجماعة المحمودة في سبيل الله المشكورة، قد القت عصا التسيار، واخلدت الى الراحة من طول السِّفار ؛ وكانت قد تلقّتهم باطراف الزاب[4] جماعة بني مالك مزيدة وجموع دياب[5] فقوّنت رجاءهم في الهجوم على البلاد، وصدّقت املهم الكاذب فيما عزموا عليه من الفساد ؛ فاخذ الموحدون — اعزهم الله — في الحركة اليهم، والورود بحول الله وقوته عليهم، بعزائم لا تثنى بالامل، وحفائظ لا ترضى بالقول دون العمل حتى نزلوا القيروان وهي قطبُ منازل الأعراب

---

(1) هو نفسه كاتب الرسالة رقم 59، انظره ضمن تراجم الكتاب.

(2) كان ابن غانية تعرض للهزيمة امام جيوش الشيخ عبد الواحد الحفصي في معركة شبرو (الرسالة 59) ثم تحرك عبر الواحات الى منطقة تلمسان وهدد سجلماسة قبل ان يتراجع نحو افريقية ليتعرض لهزيمة اخرى ساحقة هي التي تتحدث عنها هذه الرسالة.

(3) لعله يقصد الدواودة من عرب رياح الذين سبق ان اقرهم المنصور ببلاد الهبط ثم رجع قسم منهم الى افريقية، انظر الرسالة 26 (م ر م) والقرطاس 212 والعبر 6/ 586.

(4) ربما حدث ذلك عند عودة ابن غانية بانصاره من منطقة تلمسان، وعن الزاب انظر الحموي 3/ 124 والاستبصار (171 — 175) والروض المعطار 281.

(5) «دياب» كانت في هذه الفترة بالزاب، بينما كانت مجالات «دباب» في نواحي طرابلس كما يتضح من الرسالة انظر أيضا الهامش 9 على الرسالة 59 وعن بني مالك بالمغرب الاوسط، انظر العبر 6/ 95 وما بعدها،

ومُراد سوامِهم عند ازدحامهم في مثل هذه الاحوال الصعاب، والاعداء حينئذ نزلوا بظاهر قفصة يرتقبون ورود بقية دباب[5] من طرابلس اجابة لما قدّموه من ندائهم، واهابة بهم الى اعادتهم في الفساد وابدائهم ؛ واقبلت عصابة التوحيد، على استدعاء مَن ألفتْه من عوفٍ والشّريد، ونَدْبهم الى ان يأخذوا بحظهم من خدمة هذا الامر السعيد[6]، وطُلبوا بان يَحضروا بالاهل المال، ليلقَوا أكفاءهم في مثل تلكم الهيئة والحال، وللعرب عادات في الرحيل جميعا، لا تعطي الخفوف الى المقصود سريعا، فسار بهم الموحدون على هيأتهم في التواني سيرا، ولم يُذعِروا لهم بإخراجهم عن معتادهم طيرا ؛ ولما سمع الاعداء برحيلهم من القيروان[7] رحلوا من قفصة[8] الى الحمّة[9] يُبرقون ويُرعدون، ويهددون باللقاء ويوعدون، ثم عطفوا من هنالكم على نفزاوة[10] ليتقوّتوا من ثمراتها، ويستدرّوا — ريثما تصلهم أمدادهم — أخلاف خيراتها ؛ فلما أبطأ رسولهم، وتقلّص بطول الانتظار مأمولهم، انصرفوا على ادراجهم الى زميط فقطعوا حَزْن دَمَّر[11] مسلمين للدمار، ونزلوا من شعفات الجبال الى قرار البوار، وعجلّ الموحدون إليهم فوردوا قابس[12] والأرض تُحرَق من بأسهم، وذبالات الذوابل أضوأ في سماء العَجاج من شمسهم، وعون الله يحقق عندهم في يومهم ما مَدَّ لهم من النصرة في أمسهم[13]، فلما تجهزوا منها بجهازهم، واستكملوا ما عليه عوّلوا من تمييزهم وتفرغوا لنجازهم، ثنوا للأعداء أعنة الجياد، وأقبلوا وهم من صرائم العزائم أمضى من البيض الحِداد، وقطعوا لهم المراحل شفْعاً لا يذوقون النوم إلا غرارا مثل حسو (الطير) ماء الثماد[14] ؛ فجعلوا يستدرجون عزائم التوحيد، وحادي المنايا يحدوهم الى مضاجعهم : أن انزِلوها، ولسان القضاء المقدور يخاطب المشرفيات الذكور : أن حُطّوا عن منازل الكواهل (رؤوس)[15] رؤساء الباطل[16] واستنزلوها.

---

(6) عندما يتحدث ابن خلدون عن هذه المعركة يشير الى «تحيز بعض الفرق من بني عوف بن سليم» الى الموحدين، ويتحدث ايضا عن انصار ابن غانية وهم «رياح وزغب والشريد وعوف ودباب ونفاث «العبر 6/ 586

(7) انظر الهامش 13 على الرسالة رقم 30.

(8) عن قفصة : انظر الهامش 6 على الرسالة 30.

(9) الحمة : مدينتان صغيرتان احداهما قرب قابس وتعرف بحمة مطماطة، والثانية تعرف بحمة البهاليل او بني بهلول قرب توزر وهي المقصودة هنا، انظر عنها الاستبصار 157 ومعجم البلدان 2/ 306 والتجاني 136 (حيث يميز بين الحامتين).

(10) نفزاوة : من بلاد قسطيلية (الجريد) بها مدن وحصون، انظر عنها الاستبصار 157 — 158 والروض المعطار 158 والحموي 5/ 296.

(11) زميط : لم نتمكن من التعرف على هذا الموضع. الحَزْن : جمعه حزون وحُزُن، ما غَلُظ من الارض وقلّما يكون الا مرتفعا.

(12) قابس : انظر عنها الاستبصار (112 — 113) الروض المعطار 450، معجم البلدان 4/ 289.

(13) الكلمة مضافة من نسختي الاسكوريال والخزانة العامة (محقق الاعتاب).

(14) نثر من البيت : لا نذوق النوم الا غرارا + + + مثل حسوِ الطير ماء الثماد (محقق الاعتاب).

(15) زيادة من الاسكوريال (المحقق).

(16) في نسخة خ ع : الاباطيل.

وكان مرامهم في هذا المطال بالنزال، والوقوف للحتوف، أن تنفذ ازودة الموحدين وعلوفاتهم، ريثما يلحق بهم من استدعوا ليعودوا من الهرب الى الطلب، ويحلوا منزلة الفائز[17] بالغلب وحسن المنقلب، «ويابى اللّهُ إلا أن يُتم نورَه[18]» ويكمل لأمره العظيم في الاعداء أمورَه، ولم يعلموا أن لله بهذه العصابة المجاهدة عن حريم البلاد، الكافة أيدي هؤلاء الاحزاب المرّاد، عنايةً لا يفتقرون بها الى الأزواد، ورعايةً تحميهم من النُوب الشداد، وتُؤويهم من فضله واحسانه الى أرحب جناب وأرغب عتاد ؛ ولم يزل ذلك دأبهم، وما انفك إعلانهم بالمقابلة بكتم قربهم، حتى حلّوا بمنهل يعرف بوادي ابي موسى من سفح جبل نفوسة[19]، وفيه أتاهم من نفات وآل سليمان وآل سالم،[20] وَجموع وافرة من الاعراب وأحلافها الاعاجم ما سال أتِيُّهم بالدّهم[20 م] الداهم، «وأعجبتهم كثرتهم فلم تُغنِ عنهم شيئا»[21] وكانما اجتمعوا للهزائم، فعاجُوا من هنالكم وقد بيتوا بزعمهم ما لا يرضى من القول، وبرئوا لحولهم من القوة والحَوْل.

وضَمِنَ الغَدرةُ من بني رياح مع شقيّهم[22] لقاءَ عصابة التوحيد، وزعموا له أنهم حديد العرب ولا يُفلَح الحديد الا بالحديد، وتركوا دبابا ومن التف بها لعوف وأحلافها والشريد[23]، وأتوا بربّات الخدور في الهوادج كالازهار في الكمائم، وقدَّموا من حُمر النعم وسودِها ماصار الدّوُّ[24] بتموجها كالبحر المتلاطم، وجاءوا بزهوهم وبأْوِهم[25] يَزُفون زفيفا، ويُسمعون من رعود الوعيد قصيفا، ومن نيوب الحروب صريفا ؛ واستدعى الموحدون من ربهم نصره المعهود، واستمدّوا طوْله المحمود، وعولوا على حوله وقوته لا على العدد والعديد، واستلأموا غدران الدروع تحت جداول المداوس[26]، وتهللت بالنصر وجوههم فكانوا كالاقمار في شموس القوانس[26]، وتنكبوا من اراقم

---

(17) في نسخة خ ع : الفائت.

(18) من الآية 32 من سورة التوبة.

(19) يوصف اهل جبال نفوسة بانهم خوارج متمردون على طاعة السلاطين (معجم البلدان 5/ 296 — 297)، انظر ايضا الروض المعطار ص 604 (مادة وادي ابي موسى)،

(20) آل سالم من بطون ذباب (دباب) مواطنهم من بلد مسراته الى لبدة ومسلاته، وآل سليمان من بطون ذباب ايضا مجالاتها في القفر الى الشرق (العبر 6/ 171) وذكر صاحب الروض المعطار (604) حلفاء ابن غانية وهم : رياح وزغب والشريد وعوف ونفاث ودباب ومن لا فَهم، وتضيف الرسالة هنا الاعاجم ولاشك انهم بقايا عناصر الغز الذين ضمهم ابن غانية الى جنده منذ هزيمته لقراقوش، انظر مثلا التجاني عند حديثه عن طرّة من نفزاوة.

(20 م)الاتي : السيل، والدهم : العدد الكثير.

(21) اقتباس من الآية 25 (س التوبة).

(22) يبدو ان شيخ رياح هنا هو شيخ الدواودة محمد بن مسعود انظر الهامش 34.

(23) من حلفاء ابن غانية ذباب من سليم والدواودة (العبر 6/ 142 و14 و16)، وانظر الهامشين 21 و34 على هذه الرسالة، ومن حلفاء الموحدين بنو عوف بن سليم (العبر 6/ 144 و 145 و 586).

(24) الدّوّ : البرية.

(25) البأو : الفخر والتكبر.

(26) المداوس : ج مدواس : مصقلة السيوف، والقوانس مفردها قونس : اعلى بيضة الحديد.

القسيّ ألدغَ على البعد من حيّات البسابس، وتأبطوا كل خطّار تطّرد كعوبه، قد ركب فيه نجم ولكن في ثغر البحار غروبه، وساروا لعدوهم كأنهم بنيان مرصوص[27]، وتيقنوا ان نصر الله بالصابرين المحتسبين مخصوص، وكان يوم ضباب، وشمسه من قَوام الغمام في حجاب ؛ فلما تعالت في فلكها، وانقادت في زمام الاستسلام الى مَلكها، ورمقت من خلال غيْمها ظهرت كتائب الباطل سوذاً[28] كقلوب أهلها، وقد مالت الأرضُ طولا وعرضاً بخيلها ورجلها[29] ؛ فحمل الموحدون عليهم حملةً أزالتهم عن مصافّهم فولّى شقيهم منهزما لأول دفعة، ولم يطق وقوفا عندما رآى من بوارق الخوافق لمعة...

...واستحرَّ القتل في كثيرٍ من زعمائهم ورؤسائهم، ومات كل مذكور من شجعانهم وحمسائهم، واستحوذت القبائل على أموالهم وولدانهم ونسائهم[30]، ونجا الشقي في نفر قليل الى جهة الإبل فاتخذ حصنا، وجعلها لبناء فراره من زلازل الجحافل ركنا، وحف من حف من الموحدين والعرب به فلم يبرحوا يتنسفون ما اعتصم به من النعم نسفا، وينسومونه في نفسه واصحابه خسفا، ولم يصرفهم عنه إلا إقبال الليل، وما انسحب له على الآفاق من ذيل.... وكانوا قد قدّموا الهوادج أمام الآبال، ودبروا أن تكون لهم حمى يرشقون من يريدها من خللها كالنبال، وقد قيل : النساء أغلال الرجال، والحريم مظنّة الآجال، فكرّوا عندها مستميتين، ودافعوا عنها للنفوس الدنية منها مفيتين، ولم يزالوا في اثناء انهزامهم يعطفون عند خدورهم، وأناملُ العوامل تجذب أرواحهم من صدورهم، وبساط ما قدّموه من أموال وعيال يطوى بقبضهم، وجانب الحق يعلو كلما جد الجد (في خفضهم، وقبائل الموحدين على راياتهم تركض في آثارهم[31]،) حتى أسلموا ماكانوا عنه يدافعون قهرا، وأسالت جداول المناصل من دمائهم نهرا....

....ولم ينج عدو الله الا بذَمائه، وغادر في المعترك وجوهَ أهله وقرابته[32] وأصحابه وأحبّائه، فيما راى يوما قط أشد منه عليه، ولا انتهى به الامر مذ كان الى ما انتهى به الآن اليه[33]، والموحدوّن على أولهم في طِلابه، والولوج عليه حيث يمّم من أبوابه[34]....

(27) اقتباس من الآية الكريمة : «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص».

(28) السواد هو شعار التبعية للعباسيين (ولو اسميا).

(29) في العادة ان العرب فرسان والزناتيين حلفاء ابن غانية فرسان ايضا، فممن يكون الرجالة هل من الغزّ ام من بربر آخرين ؟ انظر وصف صاحب البيان للمعركة (231 — 232).

(30) ما بين هلالين اضافة من الاسكوريال (محقق الاعتاب).

(31) في نسخة خ ع : «اهله وقواده...» وكان من قتلى المعركة محمد بن الغازي ابن عم يحيى ابن غانية (الروض المعطار 604.

(32) فعلا فإنّ هذه الهزيمة ستؤخر ظهور ابن غانية لعدة سنوات.

(33) بعد المعركة وفرار ابن غانية منها ستتبعه حملة موحدية إلى شرق طرابلس.

(34) انتهت المعركة بانتصار الموحدين وامتلاء ايديهم بالاسرى والغنائم، ومات في هذه المعركة من معسكر ابن غانية : محمد بن مسعود شيخ الدواودة وابن عمه حركات ابن ابي الشيخ، وشيخ بني قرة، وكبير مغراوة، ومحمد ابن الغازي بن غانية وجمع من اعيان العرب الرياحيين وزغب... وخلق من الملثمين وزناتة... (العبر 6/ 47 و404 و586 والروض المعطار 604).

الرسالة الثانية والستون :

رسالة الشيخ عبد الواحد والي افريقية
إلى حاكم بيشة حول تعاقد مع الموحدين

تقديم .

هذه الرسالة مؤرخة ب 28 ربيع الاول 607 كتبت عن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن ابي حفص الهنتاتي جد الملوك الحفصيين اثناء ولايته على افريقية من قبل الناصر، وهي رسالة جوابية الى حكومة بيشة يذكر فيها توصله ب «كتاب» من حاكمها يؤكد فيه التمسك بما انعقد مع الموحدين من «العهد» وعدم الاضرار بالمسلمين، ولذا يطمئن الشيخ عبد الواحد حاكم بيشة على معاملة رعاياه بالمثل من طرف المسلمين[1]

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما،
إلى القنصر[2] الاجل كُذْفِرِي دَسَكُونْتْ[3] وفقه الله ويسّره لما يرضاه، من عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص[4]؛ أما بعدَ حمدِ الله تعالى، والصلاةِ على سيدنا محمد ورسوله الكريم المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن الخلفاء[5] الأئمة الراشدين إلى سَنَنه الأهدَى، والدعاء لسيدنا الإمام الخليفَة النّاصر لدينِ الله أمير المومنين بن الخلفاء[5] الأيمة الراشدين بدوام لنصر الأعز الأسنَى، واتصالِ الفتح الأتم الاوفَى،

فالكتاب إليكم ــ وفقكم الله لما يرضاه، ويسّركم لهداه ــ من تونس ــ حرسها الله ــ وبركة هذا الامر العزيز ــ ادامه الله ــ بأمره الانوار متعرّفة في الايراد والإصدار[6]، جارية للاولياء

---

(1) وردت هذه الرسالة عند اماري في (ديلومي) تحت عدد 26.

(2) راجع الهامش 3 على الرسالة رقم 47.

(3) في الترجمة الايطالية : «Goffredo de visconti ?».

(4) الشيخ عبد الواحد الحفصي ولاّه الناصر شؤون افريقية تفويضا سنة 603 وذلك لمواجهة مشاكلها وخاصة مع بني غانية، وسيعلن ابناؤه الاستقلال عن الدولة الموحدية (راجع الفصل الرابع، الفقرة «ج»).

(5) الهمزة محذوفة في الاصل المعتمد.

(6) في (ام) : والاحذار.

بموافقة[7] الغرض والاختيار، حاملة كل من تمسك بعهده ووفّى بربطه وعَقده على سبيل الاكرام وستر الايثار:

وقد وصل كتابكم ـــ وفقكم الله ـــ وعُرف منه ما قررتموه من تمسّكِكُم بما عقدتموه من عهد الامر العظيم، وسلوكِكم في الوفاء به والمحافظةِ له على الصراط المستقيم، وأورد رسولكم ـــ جراردو ـــ وفقه الله ـــ ما أنهيتم من ذلكم، وأبديتم له من محمود أفعالكم في السلم وأعمالكم، وأن كل من يسافر مِن قِبلكم تؤكدون عليه في محاشاة[8] المسلمين (و....)[9]، ومجانبة التصدي لضررهم وتصرفهم وسعيهم، وقد عُلم ذلكم ـــ وفقكم الله ـــ من أعمالكم، وعُرف من أفعالكم، وظهر من أصحابكم المسافرين ورجالكم، فعهدُكم عند الموحدين مشكور، واستظهارُكم بالوفاء مذكور ؛ وبحسب ذلكم جرى العمل مع كل من يصل من جهتكم، أو ينتسب الى حوزتكم[10] في رعي جانبه، وتيسير مَطالبه وتسهيل مآربه[11]، وحملِه من الحفظ والحماية على الوجه الاحرى به ؛ فاعلموا (أن)[12] ذلكم من جميل الغرض فيكم، وحميدِ النظر لكل من يصل من نواحيكم، إن شاء الله، وكُتب في الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة سبع وستمائة[13] .

القنصر[2] الاجل كدفري دسكونت[3] صاحب

بيش وفقه الله ويسره لما يرضاه.

---

(7) في (ام) : الفاء والقاف غير واضحين.

(8) في (ام) :مخاشاة.

(9) كلمة غير واضحة في (ام)، صححها اماري هكذا : (واموالهم)، ديلومي ص 412.

(10) في (ام) : جوزتكم، وصححها اماري : جورتكم.

(11) في (ام) : مأربه.

(12) كلمة ناقصة في (ام) : اضيفت ليستقيم التعبير.

(13) هذا التاريخ يوافق 19 سبتمبر 1210 م (T.C) بينما وضع في الترجمة الايطالية التاريخ الموافق هو يوم 9 سبتمبر 1211 وهذا يوافق في الواقع 28 ربيع الاول سنة 608 (T.C) فيكون غير مطابق للنص العربي.

الرسالة الثالثة والستون :

رسالة والي جيان إلى ملك قشتالة حول انتهاك الهدنة

تقديم :

منذ اتمام فتح الموحدين للجزائر الشرقية (البليار) ازدادت علاقاتهم توترا مع ارغون وخاصة بعدما ضرب الاسطول الموحدي سواحلها سنة 607، فاستولت على عدد من الحصون بولاية بلنسية وفي هذه الفترة اخذت قشتالة تطمئن الى جاراتها من الامارات النصرانية بعقد اتفاقات ثنائية مما شجعها على خرق الهدنة التي كانت بينها وبين الموحدين منذ سنة 600[1]، فوصلت مجموعة من القشتاليين فرسانا ورجالة يساندهم بعض الارغونيين الى ولاية جيان وعاثت فيها واخذت عددا من الأسرى والغنائم، وذلك سنة 607 فيما يبدو. فكتب والي جيان السيد ابو زيد عبد الرحمن ابن الخليفة عبد المومن الى ملك قشتالة يذكره بضرورة احترام الهدنة ومعاقبة الجناة، والرسالة غير مؤرخة، وهي من انشاء ابي القاسم البلوي[2] في مخطوطه العطاء الجزيل (ص 53 — 54) ضمن الفصل الذي خصصه للرسائل المتعلقة بالتقريع، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

ع/53 من عبد الرحمان بن سيدنا الخليفة امير المومنين[3] الى ملك قشتالة وطليطلة وغشكونية[4]، تولى الله كرامته بتقواه، وألهمه الى ما فيه رضاه.

اما بعد حمد الله تعالى (الى آخر الصدر)[5].

---

(1) انظر البيان 218، وفي الفصل الرابع خصوصيات هذه الرسالة ثم الدراسة العامة.

(2) توجد ترجمته في مقدمة البحث.

(3) كان عبد الرحمان بن عبد المومن واليا على سجلماسة فنقل عنها الى ولاية جيان سنة 607 (البيان 234 والعبر 6/ 521)، وكانت اولى ولاياته على السوس من قبل ابيه عبد المومن (البيذق 77) وتولى على غرناطة سنة 579) ثم عينه المنصور بعد الارك على اشبيلية سنة 594 (البيان 213، والعبر 6/ 513). ولاه الناصر على افريقية سنة 596 (البيان 214 والرسائل رقم 46 و48 و50 و52 و53) ويشهد صاحب الذيل على ان البلوي كتب عن السيد ابي زيد عبد الرحمان بن عبد المومن (الذيل س 1/ 455).

(4) هو الفونسُو الثامن (النبيل) المنهزم في معركة الارك.

(5) كذا في المخطوط وسنرى مثل هذا في الرسالة رقم 90، انظر نموذجا لصدر رسالة اخرى من انشاء البلوي وهي رقم 77.

فالكتاب اليكم ـــ وفقكم الله ـــ من جيان[6] ـــ كلأها الله تعالى ـــ وكلمةُ الحق عالية، ونِعمُ الله سبحانه متوالية، وبركاتُ الامر العزيز ادامه الله ـــ متتالية، والحمد لله رب العالمين ؛ وتعلمون ما بين الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ وبينكم من العهود المبرمة، والعقود المربوطة المحكَمة، التي يجب الانتهاء اليها، والوفاء بها والوقوف لديها، ويحق العقاب على من قدح فيها من الرعية واعتدى عليها ؛ وقد طرأ في هذه الايام مابرِح فيه الخفاء، وعظُم فيه مِن فاعليه الجَفاء، وذلكم أن جملة كبيرة من خيل النصارى ورَجْلهم خرجوا من بلادكم، وضربوا أحواز شقورة[7] وغيرها من الحصون الراجعة الى نظر جيان حاط الله جميعها، واحتملوا عددا من أسارى المسلمين ودوابهم، واكتسحوا جملة كبرى من البقر والغنم، وساحلوا خلال هذه الجهات مجاهرين بالمفاتنة، موقدين نار المحاربة، لا يستترون بسِجفِ من الحياء، ولا يَثنون عنانا من التبسط في الاعتداء، كأنهم لا يرجعون الى ملك يملكهم، ولا يخافون من حاكم يحكمهم، طغيانا منهم وعنادا، وخَترا بميثاق الموحدين ـــ أعزهم الله ـــ الذي لا يسع لبسا ولا يقبل دخلا ولا يحمل فسادا ؛ وما يُفعل أبدا في حال المحاربة والمفاتنة، أكثر مما فُعل الآن في حال المسالمة والمهادنة، وقد عوينوا وميّزوا، وتحقق قواد هذه الجهات ـــ انجدهم الله ـــ أنهم من رجالكم، وأنهم خرجوا من بلادكم، وأنه كان منهم الدليل فلان بن فلانة[8]، والدليل فلان ابن فلانة[8]، ونكثُ العهود ما لا يرتضيه مِثلكم، ولا يمشّيه لفاعليه قولكم ولا فعلكم، وقد عجبنا من حدوث هذه الكائنة الشنيعة في مدة السِّلم المربوطة، مع المظنة بكم من حِفظ العقود، وايثار الوفاء بالعهود، ولو كانت/ هذه النازلة صغيرة (.....[9])[10] ولكنها من الكِبر واستطارة الشرر (....في أقطار المـ...[9].)[11] النائية عنكم، فكيف عن من الرجالُ الفاعلون رجالُه، والبلاد التي خرجوا منها بلاده، (....[9])[12] المسلمين مقبوضة عنهم (....[9])[13] من المحافظة على شروطهم والوقوف عند عرض إمامهم أيده الله ونصره، وهم يتبسطون هذا التبسط في هذا الاعتداء، وينتهون الى مثل هذا الانتهاء، من ضرب البلاد وإخافة (العباد ؟)، وما كفى ضررُ اللصوص الذين (قلّ)[14] ما انقطعت في وقت من الاوقات مضرتهم للعباد، وقلّ ما خلت منهم أطراف البلاد، حتى يتجاوز ذلك الى المجاهرة، بمثل هذه الفعلة المنكرة، وفي الاغضاء عن بعض هذا القدر، والتسامح

ع/54

---

(6) جيان : يصف الادريسي حالتها الزراعية وحصانتها بقوله : «.... ولها قصبة من امنع القصاب واحصنها، يرتقى اليها على طريق مثل مدرج النمل، «...(ص 568، ن ايطالية، انظر ايضا الروض المعطار ص 183).

(7) شقورة : «حصن شقورة كالمدينة عامر بأهله وهو في رأس جبل عظيم متصل منيع الجهة حسن البنية «(الادريسي ص 560 ـــ 561، ن ايطالية) انظر معجم البلدان ج 3 (مادة شقورة).

(8) كذا في المخطوط، انظر الهامش 17 بعد.

(9) ما بين هلالين اصيب في المخطوط بالرطوبة، فامكن قراءة بعض كلماته بصعوبة.

(10) سطر في المخطوط غير واضح.

(11) حوالي خمس كلمات غير واضحة.

(12) كلمتان غير واضحتين ولعلهما : (ولا تزال ايدي) او (وكانت ايدي).

(13) ثلاث كلمات غير واضحة.

(14) حرف القاف غير واضح.

في مثل هذا الغدر، من الاخلال بحقوق المسالمة والانحلال في ربوط المهادنة ما لا يليق بوفائكم، ولا يحسنُ أن تُقرّوا احدا من رجالكم عليه بوجه من وجوه آرائكم، إما سَلمٌ فَسَلْم يحافَظ عليها، واماحربٌ فحربٌ يجازى بها ويُصرَف النظر اليها[15].

وهذا الذي عرّفناكم به لا جواب عند الفاعلين عليه الا بحثكم عنهم، واشتدادكم في تعجيل الانصاف منهم، فان جريمتهم التي أجرموها ليست مما يدفع بالجحد والانكار، ولا مما يصح أن يُتبرأ منه ويعزَى الى الأغيار، فقد مُيِّزوا بأعينهم وأسمائهم، وعُرفوا بقائدهم ودليلهم، وحُفظوا بغدوّهم ورواحهم ومأتاهم ومتقلَّبهم ؛ وأما قول من يقول ان الفاعلين لهذه الكائنة هم من أرغون[16]، فمحالٌ من القول وغير سائغ في القياس، فإن تلك الارض التي دخلوا عليها أرضُكم، وتلك البلاد بلادُكم، وما يصح أن يجتاز عليها أرغوني الا بتواطؤ مع قوادها، وتوافقٍ من رجالكم الذين فيها، ولو أراد أهلٍ بلادكم تلك ألاَّ يُشاكَ مسلم من أهل هذه الجهات بشوكة من جهة أرغون لما كان ذلك، وقد كُشف بالبحث عن حقيقة الفاعلين وتُحققَ انه لم يكن فيهم من ارغون الا نحو خمسين فارسا خاصة وسائرُ المئين من الرجالة والفرسان الذين كانوا معهم وذلك نحو الفٍ واربعِ مائة راجل ونحو مائة وخمسين فارسا إنما كانوا من بلادكم وإنما كان فيهم من سمّيناه لكم في هذا الكتاب[17]، وما هذا بجائز في حق السِّلْم، فان كان ثَمَّ سَلمٌ فتُحفَظ شروطها، وتُكَفُّ العادية فيها، ويُنصف من المخلّين بها ؛ وأنتم ــ بحول الله ــ تفعلون في هذه الكائنة ما يجب فعله في حقوق السلم مما يظهر ولا يخفَى، وتمتعضون منها امتعاض الملك الأوفَى، وتنظرون في تلافيها، وجبرِ جميع ما انتهب فيها، نَظَرَ مَن يغار على عَقده أن يُنقَض، وعلى عهده أن يُخَلّ به ويُرفَض.

ولإهمام الأمر عندنا قد وجّهنا اليكم بهذه المخاطبة أرسالنا ــ سلَّمهم الله ــ ليشاهدوا ما يكون منكم في ذلك، ويروا ما تفعلون فيه هنالك، فتعرّفوننا صحبتهم بما طرأ عندكم في السلم المعقودة، والعهود المعهودة، وهل هي باقية فيوقَف عندها ويحافظ عليها، او مختلة فتعرَّف بذلك الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ ويُرفَع الامر اليها ؛ والله يوفِّق الجميع الى ما فيه رضاه، ويعين في كل حال على ما تَجمُل عقباه، ويتولى كرامتكم بتقواه،بمنه لا رب غيره ولا معبود سواه، ولا إلاه حاشاه[18].

---

(15) ورد في البيان : ان وفدا من اهل شرق الاندلس وفد على الناصر سنة 607 يشتكي من تعديات قشتالة، (ص 236) وذكر صاحب المعجب ان المهادنة في هذه الفترة انتقضت بين الناصر والاذفونش (ص 318) انظر في الفصل الرابع خصوصيات هذه الرسالة، وكذلك في الدراسة التاريخية الفقرة الاولى رقم 3.

(16) كانت قشتالة وارغون في هذه الفترة على وفاق بينهما، انظر عنان في تاريخ المرابطين والموحدين 2/ 604 ــ 605.

(17) هذا دليل على أن الأسماء في الأصل كانت مذكورة ثم حذفت فيما بعد وعوضت بفلان ابن فلانة.

(18) التعبير يناسب مخاطبة النصارى المؤمنين بالتثليث.

الرسائل رقم 64 و65 و66 :

والي إشبيلية يخبر الخليفة الناصر بقرب انتهاء الهدنة، ويتوصل منه بالاذن له للورود عليه

تقديم :

في رسالة بالمخطوط الخاص (ص 330 — 332) صادرة عن والى اشبيلية إلى الخليفة الناصر، وخالية من التاريخ، ورد الحديث عن قرب انتهاء اجل الهدنة مع النصارى، ولعل المقصود بهذا قشتالة التي استمرت هدنة الموحدين معها الى سنة 607 فنقضتها او رفضت تجديدها، وفي هذه الرسالة ايضا يستأذن الوالي ملاقاة الخليفة، وفي رسالة اخرى على الصفحة 332 بنفس المخطوط توجد الاشارة الى قبول الخليفة لهذا الطلب، وعلى اثر ذلك تحرك الوالي ليلتقي بالخليفة كما تذكر رسالته بنفس المخطوط (ص 332 — 333) هذه الرسائل الثلاث صادرة كلها عن نفس الوالي ومن انشاء الكاتب ابي العباس ابن جعفر[1]، والمعروف ان والي اشبيلية السيد ابا اسحاق ابراهيم بن الخليفة المنصور (605 — 607) طلب اعفاءه من مهمته فاعفاه الناصر منها، وولى مكانه ابا اسحاق ابراهيم ابن الخليفة يوسف سنة 607[2] وهي السنة التي تحرك فيها الناصر من مراكش نحو الاندلس، ولعل هذ الوالي استأذن في لقاء الخليفة خلال هذه الحركة[3]، وهذه نصوص الرسائل الثلاث على التوالي :

الرسالة الرابعة والستون :

م خ/330 ...[4]وبعدَ حمدِ الله معلي كلمة التوحيد، الفاتح لها الفتح القريب في المكان البعيد، «ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[5] والصلاةِ على محمد رسوله بالوعد والوعيد، والمبدي[6] في تبيين الشريعة والمعيد، والهادي بإذن الله الى صراط مستقيم، والرضى عن الامام

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) البيان 234، والمعجب (308 — 309) والعبر 6/ 524.

(3) كان من عادة الولاة بالاندلس ان يستقبلوا او يودعوا الخليفة عند نقطة العبور او النزول على المضيق من الجهة الاندلسية.

(4) قارن مع رسائل اخرى لنفس الكاتب حول صدر الرسالة مثل الرسالة رقم 70.

(5) الآية 4 من سورة الجمعة.

(6) كذا في الاصل بدون همزة والاصوب : المبدىء.

المعصوم، المهدي المعلوم بالدليل الواضح والشهيد، مؤنس الدين حين استوحش استيحاش الغريب الوحيد، وطبيبه حين تضاءل في أسمال سقيم، وعن ا لخلفاء الراشدين القائمين بامره الحميد، والقاصمين من عُداته كل جبار عنيد، حتى وضحت معالم الحق بعد طُسوم الرسوم، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الامام الناصر لدين الله امير المومنين ابن الخلفاء الراشدين المرشدين بنصر عتيد، وفتوح لا يزال في مزيد، والله سميع عليم.

فكتب عبد[7] جلالها، وشاكر أفضالها ــ كتب الله لها الظهور على كل عدو مسالم او محارب، وفتحَ لها الفتح الموعود في المشارق والمغارب ــ من اشبيلية ــ حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ يبهر الالباب ظهورُها، وتزخر في الشرق والغرب عذبةً بحورُها، ويفيض على كافة البلد فيض الشمس على كل مكان نورُها، وبشائرُها الكبر يُبهج سفورُها، وتَروق اعجازُها كما تروق صدورها، ولله عليها الحمد الذي تَنمِي به أقسامها وتُشرق بدُورها ؛ والذي يعتكف عبد الحضرة الامامية عليه، وينصرف باخلص العمل وابلغ النية اليه، من النصيحة في خدمتها، والتضرع الى الله في شكر نعمتها، والعلم بقدر عطفها الكريم، والتفاتها العميم / ورحمتها، وبذل الجهد في ابتغاء مرضاتها، واستنفاذ الوسع في اداء مفترضاتها، والمحافظة على تمشية أوامرها العلية، والسرور بما صنع الله لها من المصنوعات السنية لا يزال يَنمي ويزيد، وينشأ كما ينشأ الوليد، ولا يبرح ينتابه التقرير والتكرير والترديد والتوكيد، تقربا الى الله باداء الواجب من ذلك والفرض، اوعملا يجده مُحضَرا يوم الجزاء والعرض، والله يُنهضه بواجباتها، ويوزعه شكر مِنحها العظيمة وهِباتها.

م خ/331

ومما وجب به إعلام الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ أن أحوال هذه الجهات ببركتها جارية على الصلاح المتصل، والهدنة المستمرة والخير المشتمل، وقد امتد ظل الامان، واقتبل شباب الزمان، وتمكنت طمأنينة القلوب، وقضى بالمومنين للحسنيين الاياب الكريم، والالتفات العميم، كل مرغوب ومطلوب، والنعم وافية والغبطة ظاهرة، وآيات الظهور على الاعداء باهرة؛ والناس مشتغلون بضم زرعهم، شاكرون لله على الخير الذي استقبلهم والاعتزاز الذي اظلهم، **والروم مغتبطون** بسَلمهم لما تقررَ مِن نصر الله (لأمر الله)[8] لأمره العزيز على من حاربه في علمهم ؛ **غير أنّ أمدَ الصلح لم يبق منه إلا نحوُ شهرين** ؛ والله يُجري الاحوال ببركتها في كل مستقبل على أفضل معهود، ويعرّفها الخير والخِيَرة واليمن والبركة في كل مَنويٍّ مقصود،

وقد ورد على عبد إحسانها، وشاكر امتنانها، كتابُها المعظّمُ الكريم المتضمن من عظيم البشارات، وكريم الاشارات ما يُعزّ الله به الآمال، ويُصلح به المساعي كلها والأعمال ؛ فتلقّاه تلقّيَ امثاله، وتضرّع الى الله في أن يجازي المقام الإمامي بأفضل الجزاء على كريم التفاته واهتباله، وأن يُعِين على تمشية غرضه الكريم وتنفيذ أمره المطاع وامتثاله.

فأما ما تضمّن من مُشارَفة الحضرة الامامية ثنايا البلاد[9]، ووعدها بالخير الذي استقبل كافة

(7) قد يكون هو والى اشبيلية السيد ابا اسحاق ابراهيم ابن المنصور (605 ــ 607) حسب المعجب (308 ــ 309) والبيان (230 و 234) وقد يكون هو خلفه السيد ابا اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف المتولي على اشبيلية سنة 607، انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

(8) كذا في الاصل ولعلها جملة زائدة.

(9) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

العباد فتلكم نعمة لا يُحصَر السرور بها ولا يُحصى، ولا يزال الشكر عليها ينتهي في الاحتفال والاتصال الى الامد الاقصى ؛ فيالها من مسرّة عظيمة ومنّة جسيمة، وبشارة شاملة عميمة تشرق بها كلُّ جهة نورا، وتكاد تَهُشّ اليها المغاني فضلا عن اهلها بهجة وسرورا، وتَشمَخ بها كل ناحية من نواحي المسلمين عزة وظهورا، ويدعو لها الكافرون حيث كانوا ثبورا ؛ والحمد لله على ما صنع للحضرة الامامية في هذ الحركة السَّنية/ من الصنع الجميل، والحمد لله على ما عرفها فيها من التمكين والتكريم والتيسير والتسهيل.

م خ/332

ولعبد الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ **صَبابة الى لقائها** وحرصٌ عليه، ورغبة أكيدة فيه وتشوفٌ اليه، ولولا أنه لا يمكنه الإقدام على حركة إلا بإذنها الكريم لَطَوى المراحل شوقا اليها، ولَسابق الارواح في الوفادة عليها، ولكنه يتحصل بَرحُ الشوق في انتظار الاذن الكريم ولو أقام على الجمر، ولا يُقدم على القدوم بغير أمر، وفضلُ الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ يسعفه من ذلك بمرغوبه، وييسر عليه في مطلوبه، بفضل الله...

م خ/332

الرسالة الخامسة والستون :

...وبعدُ ــ وصل الله للحضرة الإمامية ما عوّدها من نصر اعلامها، واعلاء مقامها، واوزع شكر إحسانها العميم وإنعامها ــ فإن عبد[1] نعمها وآلائها، لم يزل يشتد به الحرص على لقائها ويتصل منه التشوّف الى إحياء النفس، وتمكين الأنس برؤية علائها، وينتهي به الشوق اليها الى غاية منتهاه، ويتجاوز به الكَلَفُ بمشاهدتها حدّه ومداه، ولم تزل رغبته الى الله في تعجيل لقائها شديدة، ويد ضراعتها في تيسير ذلك ممدودة، وثقته بالإسعاف في ذلك بعظيم فضائل الحضرة الامامية وعميم أياديها المعهودة[2]، إلى أن ورد عليّ كتابها المعظم الكريم، بما اقتضاه إنعامها السابغ وفضلها العظيم، من **إسعاف الرغبة في الحركة اليها**، وقبول الضراعة في الاذن بالورود عليها ؛ فكان له ورود الماء على الغليل، والشفاء على العليل، ونزلت به على العبد الرحمة، وكبُرت لديه بوروده النعمة، وعظُم به السرور، وسُرَّ به البشير ؛ وما عسى أن يقرر العبد من سروره بهذه النعمة وشكره عليها وسرورُه بها لا يحيط به حدّ، وشكرُه عليها لا يأخذه حصر ولا يضبطه عدّ، والله بجازيها على أياديها المتظاهرة، وملابس نعمها الفاخرة، ويُبّلغها كافة أملها في الدنيا والآخرة[3]...

---

(1) راجع عن هذا الوالي الهامش رقم 7 على الرسالة السابقة.

(2) كذا والصواب معهودة، وقد ورد في الرسالة السابقة ذكر مطلب هذا الوالي بالقدوم على الخليفة.

(3) قارن مثلا مع خاتمة الرسالة رقم 70.

م خ/332

الرسالة السادسة والستون :

....وبعدُ ــ وصل الله للحضرة الامامية أسباب السعود، ويسّر لها إنجاز الفتح الموعود ــ فان عبد نعمتها الباذل جهده في خدمتها **قد وصل هذا الموضع المكرم**[1] ــ كلأه الله ــ **مستبشرا بالقرب من رحمتها**، متبركا بالدنوّ من كرم لحظتها، واثقا من الخير العظيم، والالتفات الكريم، بما يثق به من كانت الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ غايتَه المقصودة/ ،وحرمَه الميمّم وشريعته المورودة ؛ وعَلِمَ الله أنه ما عنده من التشوف[2] الى لقائها الذي هو أعظم البركات، ومِن شكر الله على تأتّي الحركة نحوها التي هي اسعد الحركات، ومن الحرص على تعجيل الوصول، والعمل على الجد في السير مسارعة الى المرجو من لقائها والمأمول ؛ والعبد الآن متوجه في اثر هذا المكتوب، ومنحفز جهده ــ ان شاء الله ــ في بلوغ المطلوب من رؤية الحضرة الامامية ونيل المرغوب، ومتضرع الى الله في أن يجعل تصرّفه في كل حال واقعا بوُفق الحضرة الامامية، جاريا على حسب أنحائها الكريمة وأغراضها العلية، محتظيّاً في الحالين الدنيوية والأخروية ؛ والله ينفعه بما يستصحبه في حقها من العمل ويخلصه في مرضاتها من النية[3]...

م خ/333

---

(1) يذكر صاحب القرطاس ان ولاة الاندلس استقبلوا الناصر عند مدينة طريف في اتجاهه من المغرب الى اشبيلية (ص 234) فهل الوالي كان يقصد هذه المدينة ؟ راجع الفصل الرابع.

(2) الحرف الاخير غير منقوط في المخطوط فيمكن ان تقرأ (التشوف).

(3) بالمقارنة مع بقية الرسائل يتضح ان هذه الرسالة مبتورة الاخير كما هي مبتورة البداية.

الرسالة رقم 67 ورقم 68 :

رسالتان عن الناصر معلما بفتح شلبطرة
ثم «بالاعتذار» عن هزيمة «العقاب»

تقديم :

قبل انتهاء مدة الهدنة بين الناصر وقشتالة قامت قواتها بالاستيلاء على حصن شلبطرة القريب من قلعة رباح فاصبح مركزا لتحركات القشتاليين وعيثهم في ولاية جيّان، وبعد جواز الناصر الى الاندلس في آخر سنة 607 (بداية صيف 1211) فضّل البدء بالسيطرة على حصن شلبطرة المنيع الذي استنزف جهدا من القوات الموحدية الرئيسية، ولما تم فتحه خلال سنة 608 وجه الناصر بالبشرى الى ولايات دولته ومنها ولاية افريقية ؛، وقد أورد كل من صاحبي الروض المعطار والبيان المغرب، فصلا من هذه الرسالة التي أنشأها ابن عياش[1] بتاريخ 12 ربيع الأول 608 (حسب صاحب البيان)[2]، غير ان مفعول هذا النصر زال بسرعة بعد ان انهزمت جيوش الناصر امام القوات الصليبية التي كان يسيرها ملك قشتالة، وعرف موقع المعركة في المصادر العربية «بالعقاب» في منطقة الممرات الرئيسية بين طليطلة شمالا وولايتي جيان وقرطبة جنوبا، فكتب الناصر «معتذرا» عن الهزيمة بتاريخ أواخر صفر 609 ومن انشاء كاتبه المذكور ابن عياش، وقد أورد صاحب البيان المغرب[3] بعض فصول هذه الرسالة، وهذان نصّا الرسالتين على التوالي :

الرسالة رقم (67) عن فتح شلبطرة :

....[4] ((وهذا كتابنا اليكم من منزل الموحدين بمنزل أندوجر)) .... [وإلى هذا ــ وفقكم الله وأوزعكم شكر نعماه ــ فان النصرانية لما طال بالقتال عهدها[5]، وكاد ينسى وطءَ الخيول غَورُها

ملاحظة : حول الرموز المعبّرة عن نسخ الخزانة الحسنية (خ ح) راجع الملاحظة المسجلة على هامش الرسالة التاسعة.

ــ بالنسبة للرسالة الأولى : ما بين هلالين مزدوجين (( )) : اضافة من الروض المعطار، وما بين معقفين [ ] : ناقص في الروض المعطار.

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) البيان ص (238 ــ 240) ط تطوان.

(3) البيان (241 ــ 242).

(4) ورد في الروض المعطار قبل هذا : «ولما ملك الناصر حصن شلبطرة نفذت عنه المخاطبات بهذا الفتح فمن فصل من ذلك خاطب به صاحب افريقية حينئذ الشيخ المعظم ابا محمد عبد الواحد : وهذا كتابنا... (344 ــ 345).

(5) كذا في نسخ الخزانة الحسنية (خ ح) ونسخة (ق) الخزانة العامة، وفي خ ح/ 6 وطبعة تطوان : عهده.

ونجدها، وأن السلم الذي كان بين الموحدين وبين صاحب قشتالة حان[6] أن ينقضي اجله وحدُّه، بلغ الينا (أنها)[7] اهمت[8] بأن توقد نار الحرب التي كم أحرقها وقدُه[9] ؛ وكان الموحدون بعد قفولهم من الشرق[10] لا يزالون على النية للغزو والجهاد في سبيل الله بالأعراب ومن يليهم، قاصيهم ودانيهم[11]، فأتت منهم أمم لا يعلمهم الا الله ولا يحصيهم؛ وجاؤوا كأمواج البحار في جيوش لا يطل على مصباحها الساري والله مجازيهم بتظافرهم وتَواصيهم[12] ؛ وكان أئمة الكفر[13]الذين لا أيمان لهم ولا إيمان، ولا حجة على ما يدّعونه ولا برهان، قد وافاهم من رومة رسول إلاههم الأرضَى الذي[14] له يسجدون، وإياه يعبدون يامر باتفاقهم، وخلع بعضهم ما بقي من شروط الموحدين في أعناقهم، «ومَنْ نَكَثَ فَإنمَا يَنْكُثُ[15] عَلَى نَفْسِهِ»[16]، وشرط الله أوثق، وسيف الخليفة أمضى وأصدق ؛ فبينَاهم[17] يَجرون بالخلاء، ويجّرون فضول الخيلاء، ويدبّرون ما لا يتم، ويريدون ما لا يعصم من أمر الله ولا يَرِمّ[18] ، (اذ سمعوا بإجازتنا)[19] التي كانوا يرونها بعيدا ويراها[20] الله قريبا، وحلولنا بالاندلس التي نصرَ الله بها الدين الحنيف نازحَ الدار غريبا، فرأوا أن الحرب قد كشفت[21] لهم عن ساقها[22]، وأجلبت لهم من آفاقها].

ولما كان صاحب قشتالة اقرب من تعيّنت حربُه دارا، واكثرهم مهْما[23] استطاع[24] نكاية

---

(6) في خ ح/ 6 : جاوز. والملاحظة ان هذا المخطوط كثير الاخطاء فلم نشر هنا الى معظمها، وصاحب قشتالة هو الفونسو الثامن (النبيل) المنهزم في الارك (552 ـــ 611/ 1158 ـــ 1214 م).

(7) كلمة ناقصة في خ ح/ 6.

(8) كذا في جميع نسخ (خ ح) اما في ط تطوان : (همت).

(9) عن نقض الهدنة من طرف القشتاليين انظر الرسالة رقم 63 والفقرة الاولى (رقم 3) من الفصل الرابع

(10) يقصد حركة الناصر الى افريقية فيما بين 601 و 603.

(11) في خ ح/ 6 : وادانيهم.

(12) في خ ح/ 4 : نواصيهم.

(13) في خ ح/ 5 : الكفار.

(14) في خ ح/ : 4 الذين.

(15) في خ ح/5 : يمكث.

(16) الآية 10 من سورة الفتح : «فمن نكث...».

(17) في خ ح/6 : فبينا هم.

(18) في خ ح/6 : وردت العبارة هكذا : «فبينا يخرون بالخلاء ويدبرون مالا يتم، ويرون ما لا يعصم، من الله ولا يرم، اذ سمعوا...» والعبارة مضطربة في خ ح/ 5.

(19) في خ ح/3 محذوف ما بين الهلالين.

(20) في خ ح/6 : او يراها انه قريب.

(21) في خ ح/6 : تكشفت.

(22) في خ ح/5 : ساقيها.

(23) في خ ح/1 و2 و6 وط تطوان : مما.

(24) في خ ح/3 و 6 : اسطاع.

وإضرارا، كان اول[25] من نوينا، ووجب تقديم حربه[26] علينا، [وان كنا لم نحلَّ بالاندلس الا وفصل الغزو قد ذهب جلّهُ ولم يبق الا أقلهُ ؛ ذلكم مما لقي[27] الناس في طريقهم من المطر المتدارِكِ، والوحلِ المقيَّد للاخامص[28] والسنابك، والسيولِ الخارقة بكل ارض جلد انهارا[29] ترمي غواربها الغدير[30] بالزبد حتى ذهب[31] بالجسور، وامتنع اكثرها من العبور، وفي النية من العزم اثناء هذه المحاولات والأمورِ، ما لا يعلمه الا الله «العليم بذات الصدور»[32]، ولكن ــ وفقكم الله ــ مع ضيق الأناء، وكون الفصل لم تبق[33] منه الا صبابة كصبابة الإناء[34] رأينا أن لا نخلي العام من غزو يذل الكافرين[35] في أرجائهم، ويجدد عهدهم بالسيف الذي لم يجف[36] بعد من دمائهم[37]].

وكان المعقلُ المعروف بشلبطرة[38] قد عُلّقت به حبائل الصلبان، [وتألّم ببقائه وسط البلاد قلبُ الايمان] ((وضجّ من ناقوسه ما في جهاته الاربع من التكبير والأذان[39]، مَرقَبُ الدّوّ،[40] وعُقابُ الجو، العَلَمُ المطل على الأعلام، والنّكتة السوداء التي بقيت في بساط الاسلام، والخبأة الطلِعَة، الذي لا حال للمسلمين معه))، قد جعلته النصرانية الى كل غاية جناحا، وأعدته لأبواب[41] ((المعاقل و)) المدائن مفتاحا، [تهان[42] شعائر الله في سنامه وبطحائه، ودين الحق عن يمينه وشماله وامامه وورائه، تعتقده الكفار حجّها (وجهادها)[43]، وتخدمه ملوكُها ورهبانها وبلادها[44]، وتسرَّب اليه

(25) في الروض : اولى.

(26) في الروض : غزوة.

(27) كذا في نسخ خ ح، و في ط تطوان : القي.

(28) في نسخ خ ح : للأحامص (بالحاء).

(29) في خ ح/4 و5 : جلدانها ترمي.

(30) في خ ح/ 1 و6 : الغزير وفي/ 2 العزيز وفي / 3 و4 و5 : الغرير.

(31) في خ ج/ 4 : ذهبت.

(32) اقتباس من القرآن الكريم (المائدة 8 وغيرها).

(33) في خ ح/ 1 و 2 و 3 و ط تطوان : لم تبقى.

(34) في خ ح/ 6 : الانباء.

(35) في خ ح/ 6 : ويذل الكافر.

(36) في خ ح/ 5 : لم يخفى.

(37) في خ ح/ 6 : دنائهم.

(38) شلبطرة : انظر عنها الروض المعطار (344 ــ 345).

(39) هل هي اشارة الى توغل شلبطرة وسط الثغور الى الجنوب ام هي مبالغة ؟

(40) الدّوّ : بمعنى البرية، المفازة...

(41) في الروض : الى ابواب.

(42) في خ ح/ 5 : تهن، وفي / 6 : تهاين.

(43) ناقصة في خ ح/ 5.

(44) كذا في خ ح/ 3 و5 و6. وفي خ ح/4 : بلدانها وفي ط. تطوان : بلادانها.

درهمها ودينارَها، وتزعم انه يعصم دارها ويحط أوزارَها ؛ ومن الاتفاق ان الموحدين كانوا قد جعلوه في غزوة من الغزوات مُعرَّج ركابهم ومستوقف إيابهم، وما عسى ان يبلغ العزم وهم بسبب[45] انقلابهم، وقد قضوا من الغزو نهمتهم، فأقلعوا عنه لضرب من النظر، وأمّلوه الى حين[46] وكل شيء بحكم القضاء والقدر ؛ فازدادت فيه فتنة الكفار، ولولا[47] عادتهم في التشييد[48] مدى الاعصار، لا سْتغنوا فيه بمجرد الوهم عن السلاح والاسوار[49] ؛ وما عَلِمَ القوم أن امر الله في مزيد، وأن سعده من جديد الى جديد، وأنهم ينازلون في وقت تكذب فيه ظنونهم، وترى ما لم تعهده عيونهم].

فاستخرنا الله ((تعالى)) في [50] في منازلته، [وشرعنا في الضروري[51] من أسباب محاولاته،] وقلنا هو يمين صاحب قشتالة إن قُطِعت قَعَدَ مَقعدَ الذليل[52]، ومَظنّةُ غيرةٍ[53] إن لم يتحرك لها فقد قام على ضعفه أوضح دليل[54]، [ثم إنّا قدّمنا اليه الأعراب رعيلا فرعيلا[55] ، وأطلقناهم عليه قبيلا (فقبيلا)[56]، وظهر في بسيطه زهاء أربعمائة فارس فقتّلوهم تقتيلا، ثم إنا تحركنا على الاثر في جيوشنا][57] ((ونحن في ذلك نبرأ من القوة والحوْل، ونتوكل على الله ذي الفضل والطوْل)) ؛ فقبْلَ النزول من السروج، ووضعِ المهنّد والوشيج، حيّاهم الناس[58] بكل ضرب وجيع، وموت وحِيٍّ سريع[59]، وملكوا عليهم أرباضهم[60]، وكانت من الذروة الى البطحاء فأضرموها[61] نارا من جميع الأنحاء، ((ونسخوا فيها آية النهار بالظلماء))، [ثم أمرنا بالمجانيق فزُحف بها اليه، تقذف

---

(45) في خ ح/ 4 : بحسب، وكلمة (عسى) ناقصة في خ ح/ 4.

(46) يبدو من هنا ان الموحدين سبق لهم ان حاصروا شلبطرة بدون نتيجة، انظر المعجب 319.

(47) في خ ح/ 5 : ولو.

(48) في ط تطوان و خ ح/ 5 : التشديد.

(59) اعتراف رسمي باهتمام الاسبان بالحصون والقلاع.

(50) في الروض : على.

(51) في خ ح/ 5 : في الضرورية.

(52) كذا في الروض، ووردت في ط تطوان هكذا : «ان قطعت قصد منه هذا الدليل».

(53) و(54) كذ في الروض، ووردت في ط تطوان : «ومظنته عن غيرته...ادلّ دَليل» وفي خ ح/ 5 : «ومظنة غيرته...ادل دَليل»، اي ان الهدف ـــ حسب الرسالة ـــ من منازلة حصن شلبطرة هو جسّ النبض لدى قشتالة لمعرفة مدى قوتها او ضعفها.

(55) في خ ح/ 5 و6 :...«الاعراب وكيلا واطلقناهم».

(56) ناقصة في خ ح/ 5 و 6.

(57) يبدو ان تأخر وصول الخليفة راجع إلى انه كان مشغولا بفتح حصن آخر هو حصن أللج، (الروض 344).

(58) في الروض : حباهم الله.

(59) في نسخ خ ح و ط تطوان : وموت وجيء سريع.

(60) في خ ح/ 1 و2 و3 و4 و5 : ارياضهم.

(61) في النسخ المذكورة وط تطوان : «واضرموها».

حجارة كالجبال عليه، وأنشيء عليهم سحاب[62] مكفهرّ من النبال، تتكسّر منه النصال (على النصال)[63]، فمن نجا من الحجارة أمثال الجبال، لم ينج من السهام أمثال الغمام المُنثال ؛ والسرايا مع الايام تجوس طليطلة[64] وأحوازها، والرعب يملأ أطراف البلاد وأحوازها، والنصرانية قد ضاقت على الرُّحب ساحتُها، وودّت لو يكون في الموت راحتُها]، ((فألقوا يد الاستسلام، وذَلّوا لعزة الاسلام، ورغبوا في أمدٍ يقيمون فيه الحجة على صاحبهم[65]، فأذنّا لرسلهم في التوجه اليه، لعلمنا أن ذلك أشد من وقع السيوف عليه ؛ فحين إذ وافته رسلهم اعترف لهم بالصَّغار، وقلة القوة على الانتصار))، [فخرج أهل المعقل المذكور] وفارقوه ((على تسليم الدار،)) لمن له عقبى الدار، ((فنبذنا اليهم بأنفسهم احتقارا، وساروا الى قومهم يحملون هموماً طوالا وآمالا قصارا)) ؛ وعلى اثرهم طهر الله ((تعالى)) المعقل من الأدران[66]، ((ورَقيت أعاليَه ألويةُ الإيمان))، وبدّل الله[67] فيه الناقوس بالأذان، وعادت الكنيسة مسجدا على تقوى من الله ورضوان[68]، (ورأى المسلمون قرة أعين لم يروا مثلها مذ أزمان[69]....)

---

(62) في خ ح/ 4 : سحائب.

(63) ناقصة في خ ح/ 6.

(64) راجع الهامش 4 على الرسالة 37.

(65) يقصد ملك قشتالة فيما يبدو.

(66) في ط تطوان ونسخ الحسنية : «من الاقذار»... وهي لا تناسب ما بعدها من سجع.

(67) في الروض : وبدل الله عز وجل فيه....

(68) في الروض : «وحولنا كنيسته مسجدا ومنبراً على تقوى من الله ورضوان»، وهنا ينتهي النص في الروض.

(69) في خ ح/ 4 وط تطوان : «مذ زمان». بعد هذه الكلمة وردت الجلمة الآتية : «وخلصت القلعة للموحدين في التاريخ المذكور قبل» وغير واضح ما اذا كان هذا جزءاً من الرسالة، والارجح انه اضافة من المصدر الذي نقل عنه ابن عذاري، وقد ذكر في تقديمه لهذه الرسالة انها كتبت في ثاني ربيع الاخر (سنة 608).

الرسالة (رقم 68) عن الهزيمة «بالعقاب».

...[1] وإلى هذا ـــ وفقكم الله وأعانكم على ما يحبه ويرضاه ـــ فإن صاحب قشتالة لما كان في العام السالف قد ضعُف عن الانتصار، وكاد يخفى في بلاده حتى عن الأبصار[2]، رأى أن يضرع للملوك اهل ملته ضراعة الاسيف، ويصانعهم على معونته بالتالد والطريف، ويسترحِمَهُم عسى ان يجد عندهم رقة القوي على الضعيف ؛ فبثَّ القسيسين والرهبان من برتقال الى القسطنطينية[3] العظمى، ينادون في البلاد من البحر الرومي الى البحر الاخضر[4] : غوثا غوثا ورحمى رحمى، فجاءه عبّاد الصليب من كل فج عميق، ومكان سحيق، فأقبلوا إليه إقبال الليل والنهار، من رؤوس الجبال وأسياف البحار، وكان أولهم سبقا الافرنج[5] المتّوغلون في الشرق والشمال[6]، ثم تابعهم البرجلوني[7] بما عنده من العُدد والرجال، وكان صاحب نبرّة متعلقا من الموحدين بذمام[8]، ومنقادا ابدا لهم[9] في أسمح زمام، فسخط عليه صاحب رومة[10] ان لم يكن لقومه معسكِرا، ولسواد أهل ملته مُكثِرا[11]، فلحق بتلك الجموع مُرهِجا، وتوسط بَحرهم المزبد ملجّجا، كل ينادي بالصليب[12]، ونحن ننادي بالسميع المجيب.

وكنا لما تحركنا بالموحدين ومن معهم من سائر المسلمين رأينا أن الامة قد جَدّ جدُّها، وأرهب في ذات الله حدُّها، وعلِمنا أن الامة التي ليس لها في الارض نظير، والعصابة[13] التي وليُّها الله «وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير»[14]، حزبُ الله الذي شرف به منقطعُ التراب،

(1) يبدو ان المبتور هنا الحمدلة والتصلية والترضية والدعاء والتوصية، انظر نموذجين لرسائل ابن عياش ـــ الكاتب هنا ـــ في الرسالتين 36 و37 من (م ر م).

(2) صاحب قشتالة هو الفونسو الثامن المشار اليه في الرسالة السابقة، والاشارة هنا واضحة حول استيلاء الموحدين على شلبطرة سنة 608.

(3) في خ ح/ 1 و2 و4 و5 : القسطنطينية.

(4) البحر الاخضر : وهو البحر المحيط، وسمي بالبحر الاخضر «لتلونه غالبا بالخضرة» العبر 6/ 193.

(5) في خ ح/ 4 : «فكان اسبقهم الفرنج....

(6) يقصد بالخصوص الفرنسيين.

(7) البرجلوني او البزشلوني : هو ملك ارغون بيدور الثاني الحاكم فيما بين (592/1196 ـــ 1213/ 610) (عنان ج 2 :603).

(8) في خ ح/ 4 : بزمام، انظر عن تحالفه مع الموحدين سابقا الفقرة الاولى (رقم 3) من الدراسة التاريخية (في الفصل الرابع).

(9) في خ ح/ 2 و4 وط تطوان : «ومنقاداً اليهم ابدا».

(10) هو البابا اينوصان الثالث.

(11) في خ ح/ 5 : كثيرا.

(12) في خ ح/ 2 و4 : الصليب.

(13) في خ ح/ 4 : والمصابة.

(14) من الآية 4 من سورة التحريم.

وأعَزّ به الدين الغريب في زمن الوحدة والاغتراب، فسألنا الله أن يوفقنا الى الرشاد، وان يحملنا على جادّة صلاح العباد، وضرعنا[15] (اليه)[16] في الالهام لما فيه الخير والخِيرَة للاسلام.

ووصلنا[17] إلى ظاهر جيان[18]، وأقمنا هُنالك أياما ننتظر عبور الوادي الكبير، إذ كان قد طما تياره، وأمدّته من كل شِمال ويمين آثاره، مع ما كنا فيه من النظر في رعاية الأصلح، والمحافظة على رأس المال الذي هو التجر الاربح ؛ والكفار طولَ هذا ينثالون على طليطلة[19] انثيال الجراد، في الكثرة والإفساد، وصاحب قشتالة يتودد اليهم بالصبر على انتساف بلاده، ويتجرد[20] الى تابعهم (ومتبوعهم)[21] بأموال رعيته وأجناده، ونحن نعلم على القطع واليقين، أنه جمعٌ لا يتأتّى للكفار[22] إلا بعد المئين من السنين ؛ فحين نضَبَ الوادي الكبير زحفنا بالجيوش وتحركت جماهير الكفر[23]، فأرهبوا من كان في طريقهم من حصون الثغر[24]، ثم إن الفئتين قضى بتلاقيها[25] في الموضع المعروف «بالمرشّة»، فكان بين المسلمين وبين أعدائهم يوم ذو كواكب، نازعت فيه المواكب (على المواكب)[26]، وموقف نرجو أن يراه الله لنا، وأن يقبل فيه عملنا، اشتد فيه الكفاح، وأرخِصت فيه الارواح، لكن أراد الله ان يمحّص المومنين[27]، ويُبلي[28] فيه الكافرين، فكانت عاقبة اليوم (على)[29] الخصوص لأهل الصُّلبان، والعاقبة المطلقة هي لأهل الاسلام والإيمان، وتحاجز[30] الفريقان والمسلمون عَزيزةٌ جوانبُهم، محروسة بقدرة الله كتائبهم، لم تُصِب الحرب منهم أحدا، ولا نَقصت لهم عَددا،[31] وهي الحروب قضى الله أن تكون سِجالا، وأن يجعل الله فيها[32] لكل قوم

(15) في خ ح/ 6 : وصرحنا.

(16) (اليه) كلمة ناقصة في خ ح/4.

(17) في خ ح/ 6 : فوصلنا.

(18) جيان : راجع الهامش 6 على الرسالة رقم 63.

(19) طليطلة : (انظر عنها الهامش (4) على الرسالة رقم 37.

(20) في خ ح/ 2 : ويتجدد.

(21) ناقصة في خ ح/ 4.

(22) في خ ح/ 4 : على الكفار.

(23) في خ ح/ 3 و5 و6 : الكفرة.

(24) من الحصون التي استولى عليها الاسبان اثناء اندفاعهم نحو المواجهة في «العقاب» قلعة رباح، القرطاس (237 — 238).

(25) كذا في خ ح/ 1 و2 : وفي/ 3 و4 و5 و6 وط تطوان : بتلاكيهما.

(26) ما بين هلالين ناقص في خ ح/ 3 و4 و5 و6.

(27) في خ ح/ 4 : امير المومنين.

(28) في خ ح/ 4 : يبلغ.

(29) ناقصة في خ ح/ 4.

(30) في خ ح/ 4 و5 : وتعاجز.

(31) هذا من الادعاءات الكاذبة حول نتائج المعارك، راجع هذه النتائج في الدراسة التاريخية (الفصل الرابع الفقرة المحال عليها سابقا).

مجالا، كذلك كانت في زمن النبي — ﷺ — والوحي غضٌّ نضير، وجبريل من السماء الى الارض في (كل)[33] وقت سفير[34]، ، وكذلك كانت في زمن الصحابة[35] رضي الله عنهم، كل ذلك ليُعلَم الشاكر والصابر منهم.

واذاكانت — وفقكم الله — الجيوش موفورة، والرايات منشورة، والعزائم باقية، وكفايات الله واقية، فلا تَهِنوا فإنّا لا نَهِن، وانتظروا الكرّة على الكفار والإمدادَ عليهم بجند[36] الله الذين هم خير الأنصار، فما كان الله ليترك المومنين حتى يأخذ أعداءهم أخذا وبيلا، «ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا »[37] ؛ وعرّفناكم لتكون (عندكم)[38] هذه الوقيعة على وجهها، والنازلة على كنهها، ولِتعلموا (انه)[39] لم يَدِرْ للموحدين قتيل، ولا أصيب منهم[40] كثير ولا قليل، والسلام ؛ وكتب (في)[41] أواخر صفر سنة تسع وستمائة[42].

---

(32) في خ ح/ 5 : فيه.

(33) ناقصة في خ ح/ 2 و4.

(34) الاشارة هنا الى هزيمة المسلمين في احد.

(35) في خ ح/ 1 و3 و5 و6 وط تطوان : الخلفاء.

(36) في خ ح/ 4 : بجنود.

(37) من الآية 141 من سورة النساء.

(38) ناقصة في خ ح/4.

(39) ناقصة في خ ح/ 5.

(40) في خ ح/ 4 : منكم.

(41) ناقصة في خ ح/ 4.

(42) هذا التاريخ يوافق اواخر يوليوز 1212 م.

الرسالة التاسعة والستون :

رسالة إلى الناصر في موضوع «الاستعطاف»

تقديم :

هذه الرسالة أوردها القلقشندي كنموذج للرسائل الموجهة الى الخلفاء الموحدين المبدوءة بوصف الخليفة «بالمقام» ... فجعلها صادرة عن «بعض ا هل الدولة» ومن إنشاء كاتبها (أبو الميمون !) من «موضع كذا حماه الله»، يتشكى من انتزاع «السهام» التي كانت له من قبل، وانقطاع «المواساة» عنه، هذه الرسالة تطرح مشكل إغفال تاريخها والشخص الصادرة عنه وموضع إرسالها، وحتى كاتبها غير معروف فالمسمى (ابو الميمون) لم نتعرف عليه بعدُ ضمن الكتّاب في العصر الموحدي تحت هذه الكنية، وهذا نص الرسالة كما ورد في صبح الأعشى ج 5/ 532 ــ 533.

نص الرسالة :

المقام الاعلى، المقدس المكرم الإمامي الطاهر الزكي، مقام الخليفة المؤيد بنصر الله، الإمام الناصر لدين الله، كلأ الله جلالهم، وفيّأ ظلالهم، وبوّأ وفود السعادة ووجوه الظهور والصعود مواطئهم المقدسة وحِلالَهم، عبدُهم[1] المتقلب في نعمتهم، المتقرب الى الله عَز وجل بالمناصحة في خدمتهم، المتسبب الى الزلفى عندهم بالتزام طاعتهم، والاعتصام بعصبتهم : فلان[2](...)[3].

كتب عبد المقام الاعلى، والنديّ الذي أُسّس بنيانُه على تقوى من الله ورضوان واحتوى على الفضائل واستولى، من موضع كذَا ــ حماه الله تعالى ــ وجَنانُه لطاعتكم قطب، ولسانه بشكر نعمتكم رطب، فيتلك رجاءُ الفوز، وبها ابتغاء نيل الآمال والحوز ؛ وكيف لا يطاوعه الجنَان، وشكر اللسان مستمد لإدرار الاحسان، وللمقام الاسنى عوارف، لا يتقلص ظلها الوارف، وقطرات بالرحمة

(1) ان المكتوب عنه هنا يتحدث عن نفسه باسم «العبيد» (بالمفرد) ونجد في عدد من رسائل المخطوط الخاص يعبر المكتوب عنه بنفس التعبير، مع اننا في الفترة السابقة لهذه كنا نجد اغلبية الرسائل تحمل كلمة «العبد» في صيغة الجمع بدل المفرد.

(2) الرمز (فلان) يبدو انه من وضع جامع الرسالة او ناسخها والمرجح انه يعبر عن اسم الشخص المكتوب عنه مجردا من اية زيادة وهذا على غرار عدد من الرسائل المكتوبة عن والي اشبيلية الى الخليفة الناصر (في المخطوط الخاص).

(3) يبدو ان هنا بترا في صدر الرسالة ففي العادة ان صدر الرسالة الموجهة الى الخليفة عن ولاته او رعاياه يتضمن بعدما ذكر : السلام ثم الحمدلة ثم التصلية والترضية، ثم تأتي بعد ذلك عبارة مثل «كتب عبد المقام» او غيرها.

مسطّرات بمدرار سحابها الواكف ؛ وقد كانت للعبد سهام[4]، فاضت عليه بها من النعمة رهام : ثم جزرَ الماءُ باسترجاعها الان، وسُقي العبد بانتزاعها كأسَ الحزن ملآن، وردت (لك)[5] بهذه الجهة انقطاع المواساة[4]، وامتناع الألسن بالمكابدة لشظف العيش والمقاساة ؛ وإلى المقام الاعلى الأسنى نَفزع حين نَفزع ونذهب حين نرجو ونرهب، ونلجأ فلا تؤخّر طلباتنا ولا ترجأ، وخِدمة العبد هذه تنوب عنه في تقبيل ذلك المقام الاسمى، والتعرض لما عهد لديه من نفحات الرضى، والتضرع في إدرار ما جَزر من تلك المنة وغيضَ من فيض تلك النعمى[6]،وينهي من رغبته في بركة تلك الأدعية، التي هي للخيرات كالأوعية، ما يرجوه بشفاعة تأكد الامتنان، ومجرد عوارف الرأفة والحنان، ان شاء الله تعالى.

والرب تعالى يبقي المقام الاعلى والنصرُ له مظاهِر، والخير لديه متظاهر، والسعد لوليّه نَاصِرٌ ولعدوّه قاهر، بحول الله تعالى وقوته لارب غيره، ولا خير الا خيره، والسلام

---

(4) يبدو ان هذه امتيازات اضافية غير المرتب الرسمي وقد يدعم هذا ما ذكره القلقشندي من كون المكتوب عنه احد خدام الدولة.

(5) كذا في «صبح الاعشى» ويبدو انها خطأ.

(6) لعل في هذا تلميحا يؤكد ما وصف به الناصر من التقتير على خدام الدولة، راجع المعجب ص 322 و الروض المعطار ص 416 (مادة العقاب).

الرسائل من رقم 70 إلى 76 :

رسائل عن والي اشبيلية في أوائل عهد المستنصر
حول تحسن الأحوال الزراعية بالأندلس
واضطراب احوال الممالك النصرانية

تقديم :

كانت سنة 610 (1213 ـ 1214) وهي السنة التالية لمعركة العقاب سنة مجاعة وغلاء بالاندلس ربما لعدم ملاءمة الاحوال المناخية، وربما ايضا كنتيجة من نتائج الهزيمة (كثرة الموتى، انعدام الامن، الانشغال عن الزراعة...) لكن منذ أوائل سنة 611 (أوائل صيف 1214) تحسنت الاحوال بنزول الامطار في اوقاتها، وبالهدوء الداخلي وتوقف عمليات الاعتداء على المسلمين خاصة منذ موت ملك قشتالة في اكتوبر سنة 1214، وهذا ما تعبر عنه الرسائل «باستسلام الكفار» و «اذعان الاعداء» بل اندلع الصراع فيما بينهم : الحرب الأهلية بقشتالة وتدخل ليون فيها، ويعبر عن هذا بعبارات مثل «الفتنة بين الكفار» «وتفرق شملهم» «وكل منهم اسرج لحرب الاخر وألجم»... هذه الاشارات وردت في رسائل المخطوط الخاص، وخاصة الرسائل التي كتبها ابو العباس ابن جعفر[1] عن والي اشبيلية ابراهيم ابن الخليفة يوسف في ولايته الاخيرة عليها[2] (بين اوائل 611 ومنتصف شعبان 612). وتتميز رسائل هذا المخطوط بانها موجهة الى مركز الخلافة، وان الاخبار فيها متنوعة، ونظرا لعدم تأريخها وبالتالي صعوبة ترتيبها ترتيبا زمنيا اصبح من المفروض تصنيفها حسب اهم اخبارها بحيث يمكن ان تتكرر الاشارة للرسالة الواحدة في اكثر من تقديم دون ان يتكرر نصها وعلى سبيل المثال هناك صنف من الرسائل يصف الحالة الداخلية بالاندلس بالهدوء ووفرة الأمطار في اوائل عهد المستنصر واضطراب احوال النصارى، والرسائل التي تشير الى ذلك هي كالآتي :

— الرسالة رقم 70 : (ص 334 ـ 337)[3] موجهة الى الخليفة، ومؤرخة ب 20 صفر 611، ربما بعد وصول الوالي ابراهيم الى اشبيلية، وتتضمن الاشارة الى كثرة الامطار التي تبشر بانقضاء عهد المجاعة والغلاء.

---

(1) انظره ضمن تراجم الكتّاب.

(2) تكررت ولايته على اشبيلية عدة مرات : منها ولايته فيما بين 600 و 601 هـ (البيان 218 و219)، ثم ولايته سنة 607 (البيان 234) و (العبر 6/ 524)، ثم ولايته الاخيرة المذكورة اعلاه، انظر الهامش (1) على الرسالة اللاحقة.

(3) هذه صفحات المخطوط الخاص، وترتيب الرسائل هنا ترتيب زمني تقريبي.

ـ الرسالة 71 : (355 ـ 357)[3] الى الوزير، مضمّنها الاشارة الى الهدوء والاستبشار بالحرث، مع خبر موت ملك قشتالة.

ـ الرسالة 103 : (320 ـ 322)[3] الى الخليفة، تذكر توالي الامطار واستسلام الكفار مع «تقديم» على بطليوس.

ـ الرسالة 104 : (353 ـ 355)[3] الى الوزير، نفس المواضيع في الرسالة السابقة.

ـ الرسالة 72 : (348 ـ 349)[3] الى الوزير : هدوء البلاد وانتظار موسم حصاد جيد

ـ الرسالة 73 : (310 ـ 312)[3] الى الخليفة : انتظار موسم حصاد جيد، وعلاقات غير حسنة بين قشتالة وليون.

ـ الرسالة 74 : (337 ـ 339)[3] الى الخليفة : هدوء البلاد وكثرة الزرع، وتفرق شمل الكفار والفتنة بينهم

ـ الرسالة 75 : (345 ـ 347)[3] الى الخليفة : هدوء البلاد، والفتنة بين الكفار.

ـ الرسالة 76 : (358 ـ 359)[3] الى الخليفة ؟ تلميح الى الفتنة بين النصارى.

ـ الرسالة 98 : (325 ـ 327)[3] الى الخليفة : الفتنة بين الاعداء، وثورة الجزولي.

ـ الرسالة 94 : (322 ـ 325)[3] الى الخليفة : المفاتنة بين الاعداء، مع موضوع كومية «وتقديم» على بني رياح.

وهذه هي نصوص الرسائل المذكورة على التوالي ما عدا الرسالتين 103 و104 فهما ضمن رسائل التعيينات، والرسالة 98 ضمن موضوع الجزولي، والرسالة 94 ضمن موضوع عيث القبائل العسكرية بالاندلس.

الرسالة السبعون :

الحضرة الامامية القدسية، المؤيدة المنصورة العلية، الطاهرة الزكية، حضرة سيدنا الخليفة الهديّ الامام المبارك الأزكى أمير المومنين ابن الأيمة الهادين، الخلفاء الراشدين، ساداتنا أمراء المومنين، رضي الله عنهم أجميعِين، وأدام تأييد أمرها وإعزاز نصرها، ووصل تمكين عزها وإسعاد عصرها، ووالى علوها وظهورها، وضاعف بهجتها وسرورها، وأجرى ما يقر العيون، ويصدّق الآمال فيها والظنون، أحوالها كلها وأمورَها، عبدُها الطائف بِحَرمها، العارف بحق فضلها العظيم وكرمها، المتضرع الى الله في شكر ما فاض عليه من جزيل نعمها، اللائذ بظل أعلامها،/ الداعي بدوام أيامها، والحفظ لعليّ مَقامها، المعتصم بمتين حبلها، المستند الى وارف ظلها ؛ عبدُها إبراهيم[1]، سلام الله الكريم، الطيب المبارك العميم، يخص الحضرة العظمى، والمقام الاشرف الأسمى، كثيرا ورحمة الله وبركاته، وبعدَ حمدِ الله على آلائه العميمة، ونعمه الجسيمة ؛ والصلاةِ على محمد رسوله المخصوص بالدرجة العظيمة ؛ والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم بالدلائل الواضحة والخلال الكريمة ؛ وعن الخلفاء الراشدين الايمة الهادين المرشدين، الذين صمموا في نصر الدين تصميمه، وتولوا تكميل امره العزيز وتتميمَه ؛ وموالاة[2] الدعاء لسيدنا الخليفة السعيد المبارك الحميد امير المومنين ابن الخلفاء الراشدين[3] بنصر يصل بحديثه قديمَه، وفتحٍ يُعجِز الأقلام والأفهام أن تصف عظيمه.

(م خ/334) (م خ/335)

فكتب عبدُ الحضرة الامامية العالية ــ كتب الله لها سعودا متضاعفة متناصرة، وعزة لا تزال الأفهام عنها قاصرة ــ من اشبيلية ــ حرسها الله ــ ولأمرها العزيز أدامها الله ما عوَّد من وفور الخيرات، وظهور البركات، وتعرّفِ الصنع الجميل، والتيسير والتسهيل، في السكنات كلها والحركات، ووجوبِ التعظيم المفروض له على الأمة فرض الصلاة والزكاة، ولله على ذلك الحمدُ الذي يقتضي مزيدَ النعم ودوامَها، ويستدعي جديد القِسم ويضاعف أقسامها ؛ وشكر الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ أوجب ما يُبدأ به الذكْر ويُختَم، و النصيحة في خدمتها أوكَدُ ما يكمَّل من الاعمال ويُتمَّم، والتمشية لأغراضها السَّنية، والامتثال لأوامرها العلية، أهمّ ما يُعتنَى به ويُتهمَّم، وباب رضاها اسعد ما يُقصَد من الابواب ويُتيمَّم ؛ وعبدها من ذلك على اوفى ما يكون عليه مماليك إحسانها، وارقّاء امتنانها، الشاكرون لعطفها وحنانها، العارفون ما اوجب الله لعظيم شأنها وعليّ مكانها ؛ والله يعينه على ما يُحظيه برضاها، وينشر عليه جناح رُحماها، ويوزعه شكر فضلها ونُعَماها.

وقد كان الوصول الى هذا الموضع[4] ببركة الحضرة الإمامية ــ أفاض الله أنوارها، كما ملأ ببهجة

---

(1) هو ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف، ويبدو ان هذه اولى الرسائل التي كتبها بعد وصوله الى اشبيلية واليا عليها، بحيث يمكن ان تمتد فترة ولايته ما بين اوائل سنة 611 ووفاته في منتصف شعبان 612 ومن المرجح ان معظم رسائل المخطوط الخاص، صادرة عنه وخاصة التي تحمل اسم «ابراهيم» وقد وردت الاشارة حول ولايته هذه زيادة على المخطوط الخاص في العطاء الجزيل ص79 و171 والرسائل الواردة فيه هي رقم 77 و 90 و 92 و105 انظر ايضا الهامش 2 على الرسالة السابقة.

(2) الكلمة في الاصل بتاء مبسوطة.

(3) المقصود هنا الخليفة المستنصر ابن الخلفاء الموحدين.

(4) يتضح من هذه الرسالة ان «الموضع» هو اشبيلية التي وصلها واليا عليها، انظر الهامش (1).

التفاتها الكريم نجود الارض وأغوارها ــ على احسن حال من التيسير، في حالتي الحلول والمسير، تلوح له ولمن معه البركة الامامية بكل سبيل، ويجد بها الخير أجمعه في كل مُعرَّس وحفيل ؛ والله
م خ/336 يحرس/ الحضرة الامامية، ويحفظ ما وهب لها من السعادة والبركة الخارقة للعادة، التي هي بفضل الله كل يوم في زيادة.

فقد كانت أصابت الناس شدةٌ ظاهرة في العام، بما كان من غلاء السعر وعدمِ الطعام[5]، الى ان تدارك الله المسلمين ببركة كفالتها الحميدة وايالتها السعيدة، فظهرت على هذه البلاد عموما وعلى هذه الجهة خصوصا بركة الحضرة الامامية وسعادتها، واطّردت لها ــ والحمد لله ــ طريقتُها، في الالتفات الإمامي والنظر العلي وعادتُها ؛ فالرخاء هنا الآن والحمد لله كائن موجود، والمقام الامامي مشكور بكل لسان على التفاته الجميل ومحمود، والناس لخليفتهم وإمامهم داعون، ولأمانته وعهده راعوان، وفي مرضاة[2] الله ومرضاته سارعون ؛ وقد منَّ الله عليهم من جملة بركاتها بالهدنة والعافية، وموارِدِ الأمنة الصافية[6]، فجميعهم مستبشرون، وفي كل ناحية من النواحي منتشرون، يشكرون الله على النعم سرا وجهارًا، ويشتغلون بضمّ زرعهم[7] آمنين حيث كانوا ليلاِ ونهارا، مبسوطة لهم الآمال، منشرحةٌ منهم الصدور، صالحة لهم بفضل الله وبركة الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ الاحوال كلها والامور، متساوية في الدعة والسكون المواسطُ من أوطانهم والثغور، قد فاض من الحضرة الإمامية على جميعهم النور، وعمهم ببركتها الفرح المقتبل والسرور، والله تعالى يصل النعم بتخليدها ويُبقيها، ويُجري الاحوال في كل حال واستقبال على ما يرضيها.

وعبدها الآن مشمّر عن ساعد الاجتهاد جُهد الاستطاعة في تمشية اغراضنها الكريمة وامتثال اوامرها المطاعة، لا يَغفل عن اداء واجباتها، وشكر هِباتها ــ بحول الله ــ ساعة، والله يوزعه شكر نعمتها، وينجده على ما يزلفه من رحمتها، وللمقام الامامي ــ ايده الله ــ الفضل العظيم، والطوْل العميم، في الامداد ببركة دعائه الذي هو الموصِل ــ بفضل الله ــ الى خير الدارين، والكفيل من الله بنيل الحسنيين، والله يديم ايامه وينصر اعلامه، ويشكر إحسانه العميم وانعامه، ويُمده بمواد النصر والتمكين، والفتح المبين، بمنه ونعماه، لارب سواه ؛ وسلام الله الكريم العميم الاحفل الاصفى على الحضرة
م خ/337 الامامية القدسية كثيرا اثيرا ورحمة[2] الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الموفي/ عشرين لصفر سنة احدى عشرة وستمائة.

---

(5) يبدو ان ازمة المجاعة (وما تبعها من وباء) كانت شديدة سنة (610) فالرسالة مؤرخة ب 20 صفر 611 (1/ 7/ 1214) وتتحدث عن مجاعة سابقة، اما هذا العام (611) فهو وافر المطر والزرع، انظر القرطاس 216 والذخيرة السنية 49 (ضمن احداث سنة 610 في المصدرين).

(6) لم يكن القحط خاصاً بالاندلس الاسلامية، وانما شمل باقي اسبانيا حتى انه ارغم قادتها «على ان يلتزموا السكينة حينا، فلا تحدثنا المصادر بشيء من اخبار الحرب في اوائل سنة 1214 م» (أشباخ 386) وهذا التاريخ يوافق اواخر 610 هـ، ويستمر الهدوء بعد هذا كما يتضح من الرسالة ومن رسائل اخرى، انظر الفقرة (1) من «عواقب معركة العقاب» في الفصل الرابع.

(7) راجع في الفصل الرابع الفقرة (أ) من الدراسة التاريخية.

الرسالة الواحدة والسبعون :

م خ/355 ....[1]والى هذا ــ وصل الله سرّاءكم، وضاعف نَعماءكم ــ.فانه قد أفصَح لسانُ الزمان، ونطقت شواهد البرهان، فإن لله[2] تعالى بأمره العزيز ــ ادامه الله ــ عناية تعلو بها مقاماته، وتبدو في كل زمان كراماته، وتتضح بنتائج مقدماتها دلائل سعده وعلاماته ؛ وإن سعادة الحضرة الإمامية ــ وصل الله تأييدها ونصرها، كما اسعد بها عبيدها وعصرها ــ قد ثبتت أصولُها وبسَقت فروعُها، واطّرد في الجمال والكمال مقدورها الالهي ومصنوعُها، وامتدّ شأوُها واتسع باعُها، ورسخ م خ/356 انتقاشها في صفحات الليالي والايام وانطباعها[2 م]، فأثرها واضح ونورها/ مبين، والعلم باطّرادها (واتصال معتادها)[3] يقين، ومَثلها في عكوف فوائدها وتجددِ مألوف عوائدها، ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أُكلها كل حين﴾[4]؛ وعلى الجملة فان البلاغة تعجز عن وصف السعادة الامامية ولو أغربت إغرابا، فليس إلا أن لسان الحال بها في كل زمان أقوم، قيلا وأفصحُ إعرابا.

وما زالت البشائر ببركة الخلافة السعيدة[5] تطلع شموسا في سماء سعدها، وكلما جاءت ايامها المباركة ببشرى جاءت باختها الكبرى من بعدها، والحمد لله رب العالمين ؛ وقد طلعت الآن في سماء السعادة الامامية بشرى من أعظم البُشر، وأكبرِ نعم الله على البَشر، توذن الكفر بانتثار كواكبه وتبددِ شمله وتفرقِ جموعه، واجتثاثِ أصوله الخبيثة وفروعهِ، وقذفِ الرعب في قلبه ونفثِ الروع في رَوعه، كما توذن الاسلام بنصر لوائه، واعتزاز أوليائه على أعدائه، وتمكنِ الامر في ثبوته واستوائه، وتفيّءِ ما مدّ الله على المسلمين في هذه الجزيرة[6] من ظل وارف، وعرّفهم ببركة الخلافة السعيدة من جميل العوارف، وذلكم بما كان من الفتح المبين، والصنع الذي اشرق به وجه الدين، **بموت طاغية الكفار**، المعجّل بروحه الى النار، صاحب قشتالة[7] كان لا سقى الله له قبرا، ولا عقبَ صدع اهل ملته بعده جبرا، وان ذلك لنعمةٌ من النعم التي ذخرها الله لأيام خليفته الميمونة السعيد، واختص بها دولته التي قضى فيها للإسلام بإنجاز [8]الوعد، وعلى الكفر بإنجاز الوعيد، فبسعادة خلافته يدمّر الله الكفر تدميرا، وببركة إمامته يتبّر أهل الشرك تتبيراً، وقد كان تقدمتْه هذه البشرى مسرّةٌ أخرى كانت لصحيفته هذه كالعنوان، وكالفجر الدالّ على ما بين طلوعه وطلوع الشمس

---

(1) الرسالة مبتورة الصدر.

(2) في الاصل : الله.

(2 م)في الأصل : والأيام انطباعها.

(3) في الاصل : (واتصالها معتاها).

(4) من الآيتين 24 و 25 من سورة ابراهيم.

(5) في الاصل : الخلافة السعادة.

(6) اي جزيرة الاندلس.

(7) هو الفونسو الثامن المنتصر في «العقاب» مات في طريقه الى البرتغال (للتفاوض مع ملكها) في 6 اكتوبر 1214 (29 جمادى الاولى 611) اشباخ 361 و 386 و عنان 2/ 591.

(8) في الاصل : بانجار.

من قربِ الاوان، بهلاك «دِياقُه لُبس»[9] الذي كان عند الطاغية المذكور رئيس الخدام، وزعيم الإقدام، والذي كانت أكثر أمور الطاغية بيده، وكان الكافر يعتدّ به اعتداده بساعده وعَضُدِهِ، ويستظهر بكفايته استظهارَه بالقوي عنده من عدده، فلم يُبقِ الله منهم بسعادة الخلافة المباركة رئيسا ولا مرعوسا، ولا ترك للكفار عَلما بعدهم الا منكوسا،/ وكلما ضاعف للخلافة المباركة سعودا م خ/337 ضاعف[10] للكفار أعدادها نحوسا، وكأن بكلمة الاعداء قد تفرقت، وبأصناف الرزايا اليهم قد تطرّقت، وبالايام قد قلبت لهم ظهرَ المجنّ، وضربت عليهم الذلة بالفضل من الله والمن، وبسعادة الخلافة المصنوع لها وبركة الإمامة التي بسط الله بها للأمة أملَها، فسعادة الخلافة التي أهدت هذه البشائر وأقطفَت ثمرَها، وبركة الامامة السعيدة هي التي اطلعت شمس هذه الافراح وقمرَها، وكذلك تتوالى الفتوح في أيامها وتتناصر، وتأتي الاقدار المسعدة منها بما تتضاءل لوصفه الاذهان وتتقاصر، بفضل الله سبحانه ؛ وأعلمَكم مجلُكم ــ ادام الله سعدكم[11] ــ بما تواترَ من هذا الخبر السار عنده، وهو خبر قد استفاض بحيث لا يُشكُّ في صدقه ولا يُمترَى في صحته، وقد وصلت به المخاطبات من حصون شتى وجهات ؛ فالحمد لله الذي جبّ غارب الكفر وسنامَه، وأعز الاسلام وأعلى مقامَه، وأظهر بركة إمامة خليفته وأسعد أيامَه، والحمد لله الذي ترك سائمة الشرك هملا[12]، ولم يُبنْ لها في الفلاح ولا في الصلاح أملا، والحمد لله الذي أذلّ كلمة الكفر وأعزّ كلمة الإيمان، وجعل البشائر تتوارد عليها من الأمام والوراء وعن الشمائل والأيمان.

فالاحوال في هذه الجهة معتملة ــ والحمد لله ــ في مناهج الصلاح، مقترنة بالأمنة المقتبلة الشباب والعافية المتبلّجة الصباح، والناس بما جاد الأرض من الحيا[13] أيضا في استبشار، وللحداثة انبساط في كل ناحية وانتشار، وكل ذلك ببركة الخلافة السعيدة وسعادتها ــ وصل الله لها في السعود باطّراد عادتها ــ وقد وثقوا بأن سعادة الخلافة وثيقة المباني، ظاهرةٌ في كل معنى من المعاني، لائحة للقاصي والدّاني، وأن الله لا يزال ينشر أنوارها، ويجري الأمور على ما يوافق اختيارها، ويملأ بالسرور في ايامها السعيدة بلادها وأنصارَها، والله يوزع شكر ما أوْلَى في أيامها من المسرّات وجزيل الخيرات ويعرّفها، ويجعل سعدها كالعَلم الضروري وَالمَثل السائر....[14]

(9) دياقه لبس (ديكو لوبيث) جعله الفونسو في البداية على رأس جيش النصارى المتطوعين الوافدين على قشتالة قبيل «العقاب»، وخلال هذه المعركة كان على رأس قسم من فرق قلب المعسكر النصراني...(اشباخ 361 و 366).

(10) في الاصل : ضاعفت، مع ان الضمير يعود على (الله).

(11) توضح العبارة ان المكتوب اليه ليس الخليفة والراجح انه وزيره ابو سعيد ابن جامع فهو الوصي على الخليفة المستنصر في سنوات حكمه الأولى.

(12) لم يترك الفونسو وليا للعهد بل كان مات قبل وفاة ابيه الفونسو (اشباخ 357)، فتولى العرش ابنه الصبي هنري الأول (اشباخ 387، وعنان 2/ 591 ــ 592)، انظر الفصل الرابع حول «عواقب معركة العقاب»، وسترى قشتالة عهدا من الاضطرابات الداخلية التي تنشغل بها ايضا مملكة ليون مما يساعد على الهدوء بالاندلس الاسلامية (نفس الصفحات).

(13) ومعنى العبارة : اصاب الأرض مطر جود اي غزير، والحيا هو المطر لإحيائه الارض.

(14) يبدو ان الرسالة مبتورة النهاية، وحسب تاريخ موت ملك قشتالة فان تاريخ هذه الرسالة لا يتعدى شهر جمادى الثانية سنة 611 (اكتوبر 1214 م).

الرسالة الثانية والسبعون :

....[1]وبركات الحضرة الامامية العلية ــ أيدها الله ــ تنسكب انسكاب الغمام، وسعادتُها م خ/348 تتكفل لمصالح العباد بالكمال والتمام، ولله على ذلك الحمد الذي يرضاه، ويقتضي مزيد نُعماه ؛ وما تعلمون (مُجلُّكم عليكم)[2]، وصل الله عزتكم من اجلالكم واخلاص الود فيكم، والشكر لحميد مقاصدكم، وجميل مناحيكم، فمَهْيَعُه لاحبٌ ومنزَعه على الدوام مُصاحب ؛ والله يصله في ذاته ويبقيه ، ويجعله خالصا لما يرضيه.

واحوال هذه الجهات ــ وصل الله عزتكم[3] قد ظهر صلاحها، وتساوى في الامنة والدعة ليلها ونهارها، وغدوُّها ورواحها ؛ والبلاد ــ والحمد لله ــ ممهدة ساكنة، والرعية هادئة هادنة[4]، والمصالح منتظمة متناسقة، واصول البركة الامامية ــ حرسها الله ــ في كل مكان ثابتة وفروعها باسقة، وسعادة الخلافة العلية ــ ادامها الله ترسِل على العباد من سماء النِّعم كلَّ صيّب، وأغراضها الكريمة ــ شكرها الله ــ تثمر في البلاد من ثمرات الخيرات والبركات كل طيّب، فلا عيْنَ لعبيدها[5] المومنين الا وهي بفضلها واحسانها قريرة، ولا نفس لأرقّائها[5] المسلمين الا وهي بسعادة زمانها مبتهجة مسرورة.

م خ/349 وأما الزرع فقد بسط الله الآمال بكثرته وصلاحه في هذا العام بسطا، واعطى هذه/ الجهات منه حظا وافرا وقسطا، فان الناس كانوا قد استكثروا منه في كل مكان، وأنفقوا فيه ما عز وهان[6]، واعتنى أهل الثغور ايضا بالازدراع اعتناء الغير[7] وتنافسوا في الاكثار منه تنافس الواثقين بما تكفَّلت به السعادة الامامية من اليمن والأمن واليسر والخير، فتملَّأ به السهل والجبل، واتسع فيه للمسلمين الرجاء والامل، وعظُم به السرور والجَذَل، وكان من صنع الله الجميل، الجاري على وفق التأميل، أن جاده في هذا العام من الغيث كل مدرار، واعاده عليه في اوقات احتياجه اليه مَن «بيده الخيرُ وهو على كل شيء قدير»[8]، «وكل شيء عنده بمقدار»[9]، فبدت الارض منه في مُلاءة حسنٍ يسرّ

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، وقد وردت في اول فصل خصصه جامع رسائل المخطوط الخاص «لكتب وزراء الخلافة المعظمين»... من انشاء ابي العباس بن جعفر منشىء الرسالتين السابقتين والرسائل اللاحقة.

(2) كذا بالاصل.

(3) مثل هذه العبارة والتي في الهامش (2) سبق ــ وسيلي ــ استعمالها بالنسبة للرسائل الموجهة الى وزير الخلافة او غيره من كبار الموظفين والقادة.

(4) انظر الهامش (6) على الرسالة رقم 70.

(5) تستعمل الكلمة احيانا للدلالة على رجال السلطة، ولكن المقصود هنا رعايا الدولة عموما.

(6) انظر الهامش 7 على الرسالة 70.

(7) هذا ما يؤكد هدوء الثغور.

(8) اقتباس من الاية 26 آل عمران.

(9) من الآية 8 من سورة الرعد.

الناظرين جمالُها، ووعدت فيه بفوائد يرجى من الله تمامُها على جملة السلامة وكمالها ؛ وذلك كله ــ والحمد لله ــ ببركة الخلافة السعيدة ــ ادامها الله ــ وبيمن ايامها، وسعادة مقامها، وما وهبه الله للرعية من بركة مولاها وامامها، حرس الله حضرته القدسية وتكفل بنصر اعلامها، فببركة فضله وعدله واحسانه يَأْمَنُ سِرِبُها، وبرحمته وعطفه وحنانه يصفو ان شاء الله من كل كدر شِربُها[10]...

(10) الرسالة مبتورة الاخر.

الرسالة الثالثة والسبعون :

م خ/310 الحضرة العلية الامامية المعظمة المكرمة القدسية المؤيدة المنصورة الزكية، مَطلِعُ الانوار السامية، ومنشأ الخيرات النامية، ومثابة البركة الهامية، أدام الله تأييدها وحرس جلالها، كما مدّ على العباد والبلاد ظلالها، ووصل لها ما عوّدها من علو المقام، ونصرِ الأعلام كما أعلى بها كلمة الاسلام، وعرّفها في كل حال واستقبال عوارف المسرات والبُشر، كما أفاض أنوار عدلها وإحسانها على البَشر، عبدُ مقامها، ومملوك إنعامها، المحافظ على ما أوجب الله من حقوق إعظامها، الداعي بمضاعفة سعودها ودوام ايامها : إبراهيم[1] ؛ سلام كريم طيب مبارك عميم، يخص مقامها الاسنى، المخصوص بالحسنى، كثيرا ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله (الى آخر الصدر)[2] فكَتب عبد احسانها ــ كتب الله لها[3] علو المقدار، ومطاوعة الأقدار، ونجاح الايراد في كل مقصود والإصدار ــ وبركات[4] الحضرة م خ/311 الامامية ــ / ايدها الله ــ عميمة على العباد بانسكاب غمامها ، وسعادتُها كفيلة لمصالح البلاد بكمالها وتمامها، وأيامُها السعيدة تروق الامة بابترارها عن ثغور السرور وابتسامها، ونعمُها المتوالية ــ شكرها الله ــ تستغرق حمد الحامدين وشكر الشاكرين بترادفها وتضاعفِ اقسامها، ولله على ذلك (الحسن) الذي يقضي بمزيد النعم ودوامها.

وأحوال هذه الجهات ــ وصل الله تأييد الحضرة القدسية ــ جارية من الصلاح الشامل على ما اقتضته البركة الامامية، فالبلاد والحمد لله في تمهيد وسكون، والرعية في استبشار وهدون، والمصالح منتظمة الانواع والفنون، وسعادةُ الخلافة المباركة قد اتضح دليلها واستبان جليلها للقلوب والعيون ؛ فسحاب النعم بها على البلاد تصوُب، وثمرات المصالح بها للعباد تطيب، وشمسُ البهجة والمسرَّة في كل مكان تشرق ولا تغيب، وأما الزرع فالامال بكثرته وصلاحه في هذا العام مبسوطة، وبهذه الجهات بما اعطاها الله منه مغبوطة، فان الناس كانوا قد بذلوا في الاكثار من الازدراع في الثغور وغيرها جُهدهم، وأنفقوا فيه متنافسين ما عزَّ وهان عندهم[5]، ووثِقوا من السعادة الامامية بما يسوغهم بفضل الله أمنهم، وينجح لهم قصدهم، فامتلأ به البسيط غورا ونجدا، واتسع الأمل فيه للمسلمين جدا، ودَرّت عليه أخلافُ السحاب بجميل صنع العزيز الوهاب، فقرّت العيون بحسن صفاته، وامتدت الايدي ضارعة الى الله في ان يخلّصه للمسليمن من جميع آفاته ؛ وذلك كله ــ والحمد لله ــ ببركة الخلافة الميمونة ادام الله ايامها، وحرس مقامها، فببركتها يؤمِّن الله البرية، ويصلح نظامَها، وبسعادتها يسعد الله الرعية وييسّر مرامَها.

---

(1) هو نفسه ــ على الارجح ــ المذكور في الرسالة 70، راجع الهامش 1 على الرسالة 70.

(2) لعله لا يختلف بقية الصدر عما في الرسالة 70 ما دامت الرسالتان معا لكاتب واحد.

(3) في الاصل : له. قارن مع مطلع الرسالة اللاحقة.

(4) بمثل هذا ابتدأت الرسالة رقم 72 (المبتورة).

(5) قارن مع نفس المعنى في الرسالة السابقة.

وبعدُ ــ وصل الله للحضرة الامامية ما عوّدها من النصر والتمكين، وأنجز لها ما وعدها من الفتح المبين[6] ــ فان الله سبحانه بما له من العناية المطّردة العادةِ، الجاريةِ على وفق السعادة، لا يزال يسبب لها أسباب المسرة تسبيبا، ويشبّب لها حُلَى النصر تشبيبا، ويُسمعها من غرائب التكييف وبدائع الصنع اللطيف عجيبا فعجيبا، ومن ذلك ــ وصل الله إعلاء أمرها، وإعزاز نصرها، كما باهى العصور بسعادة عصرها ــ أن الواردين من الثغور في هذه الايام قد كانوا يتقولون بارتباط صلح بين النصرانييْن ــ أحانهما الله[7] ــ صاحب قشتالة وصاحب ليون[8] وأمْرُ الله في نقض عزائمهما الخبيثة بين الكاف والنون، ﴿انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون﴾[9] ؛ وورد الآن على العبد كتاب المقدَّم بماردة[10] يذكر أن ابن صاحب ليون وابن صاحب قشتالة اجتمعا وقعدا في موضع واحد فظهر لكل واحد منهما من الآخر ما يظهر من المبغِض الشاني، وادعى كل واحد منهما الشفوفَ لنفسه ولأبيه على الثاني، ثم آل بهما التفاخر الى ان تلاطما، وارتفع بينهما عُباب الشقاق وطما، وانتصر لكل واحد منهما فريقه الحاضرون فاقتتل الفريقان للحَيْن والحِين، وعجّل الله من أرواحهم الى النار بنحو خمسين[11] ؛ وهذه مسرة كبيرة، وداعية مبيدة لجمعها الذميم بفضل الله ومبيرة، تُنتج بفضل الله مسرات كثيرة، والمسراتُ والحمد لله ببركة الحضرة الامامية أيدها الله تنساق في أحسن نظام، وتنقاد في أسمح زمام، والله يوالي منها ما يقضي بذِلّة الكفر وعزة الاسلام، ويطلع من أنبائها المبشرات ما تتهلل به أسرّة الليالي والايام، وتخطب به على منائر الانامل ألسنةُ الاقلام، ويطيل بقاء الحضرة الامامية منصورة الأعلام، مصنوعاً لها الصنع الجميل في كل مرام، ويجعل دعوتها راقية وكلمتَها باقية الى يوم الدين انه ولي الاحسان والانعام[12]....

م خ/312

---

(6) الدعاء بعبارة «وصل الله» ابتدأت به الرسالة 71 المبتورة.

(7) في الاصل : خانهما الله.

(8) اذا ثبت ان الرسالة يرجع تاريخها فعلا الى ما بعد «العقاب» فان صاحب قشتالة هو الفونسو الثامن (مات في 6/ 10/ 1214) او ابنه الطفل هنري الأول تحت وصاية «البارو نونيو دي لارا، وصاحب ليون هو الفونسو التاسع، ولم يكن الصلح بين الطرفين غير هدنة مؤقتة غالبا ما كانت هشة، (راجع في الفصل الرابع عواقب معركة العقاب).

(9) الآية 82 من سورة يس.

(10) ماردة : مدينة على نهر يانه قريبة من منطقة الثغور، انظر عنها الادريسي ص (545 ــ 546) ن ايطالية، والروض المعطار (518 ــ 519).

(11) هذا دليل على هشاشة الصلح بين الطرفين، راجع نفس الفقرة من الفصل الرابع.

(12) الرسالة مبتورة النهاية.

الرسالة الرابعة والسبعون :

م خ/337 الحضرة الامامية القدسية المعظمة المكرمة المباركة العلية المؤيدة المنصورة الطاهرة الزكية، مَطلِعُ الانوار والاضواء، وينبوع الخيرات المنسكبة الانواء، حضرة سيدنا الخليفة الامام امير المومنين[1] ابن الخلفاء الراشدين، الايمة المرشدين، افاض الله انوارها، ونصر انصارها وشكر إيرادها في الإنعام وإصدارَها، وبلّغها في الدارين بنيل الحسنيين آمالها واوطارَها، كما عم بمواد فضلها العظيم، وطولها العميم، اصقاعَ الأرض واقطارَها ؛ عبدُ جلالها ومملوك أفضالها، المعتصم بوافر ظلالها، المتضرع الى الله في شكر التفاتها الكريم واهتبالها، الداعي بحراسة ما بهر من كمالها : ابراهيم[2] ؛ سلام الله الكريم وتحيته على الحضرة العلية القدسية ورحمته تعالى وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله على آلائه العميمة (الى آخر الصدر)[3].

فَكَتَبَ عبد نُعماها، ومستَرَقُّ عطفها ورحماها ــ كتب الله لها علو المقام، ومطاوعةَ الليالي والايام ــ من اشبيلية حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية ــ خلد الله ايامها واعلى مقامها ــ تتدفّق شآبيبها، وتضفر برودُها وجلابيبها، والحمد لله رب العالمين حمدا تدعو ألسنة المزيد فيلبّيها ويجيبها، وما ينطوي عبد الحضرة الامامية عليه ويرجع اليه من النصيحة في خدمتها، والاحتفال في شكر الطارف والتليد من نعمتها، والمحافظةِ على تمشية اغراضها الكريمة وامتثالِ اوامرها المطاعة، بغاية الوسع وجُهد الاستطاعة، حكمٌ يلتزم التزاما وعملٌ يغتنم البدار اليه اغتناما ؛ والله يعين من ذلك. كله على الواجب الفرض المحظي عند الله يوم الجزاء والعرض.

وقد وَرد على عبد احسانها ــ اورد الله عليها وفود السعد الباهر، والصنع الجميل المتظاهر ــ ما انعمت به ــ شكَرَ الله إنعامها الهامي ونصرَ مقامَها السامي ــ **من الظهير الكريم** المبارك الذي اسبغت به النعمة عليه، وضاعفت المنة لديه، وجرت فيه على عوائدها الكريمة في التنويه به وحسن الالتفات اليه، وضمّنته من التشريف، والاحسان المنيف، ما لم تزل بعطفها ورحمتها تُلحفه بُرودَه، م خ/338 وتوالي له معهودَهُ، وسوّغت له به القربة التي كمّلت الانعام/ بها تكميلا وجددته تجديدا، وأردفت ما تقدم من إحسانها ــ شكرَها الله ــ مزيدا، فتلقّى العبد هذه النعمة الجسيمة بواجبها من الشكر الذي لا يزال يتلو منه أطول السّوَر، ويجلو منه أحسن الاشخاص وأجمل الصور، وتضرَّع إلى الله في أن يجازي إحسانها بأفضل الجزاء، ويتولى عن عبدها شكر ما أسبغت عليه من النعماء، وأنعمت عليه من شرف الالتفات وكريم الاعتناء ؛ والعبد يأخذ باليد الكريمة التي من جودها يستملي صوب الدِّيمة، ويعترف بالعجز عن شكر اياديها الجسيمة، وفضائلها العظيمة، ونعمها الحديثة والقديمة ؛ فما زالت ــ تولّى الله جزاءها ــ تُجزل له مواهبها، وتوضح له سبل الحسنى ومذاهبَها، وتَمنّ عليه بالتفاتها الكريم، وتصل له اسباب فضلها العظيم، وتلك عادتها ــ ايدها الله ــ في تملك العبدان، واسترقاقِهم بمضاعفة الاحسان، وإنَّ شُكرها ــ اعلى الله أمرها ــ ليس في وُسع المخلوق ولا في

---

(1) يبدو انه الخليفة المستنصر.

(2) لعله هو نفسه المذكور في الرسائل السابقة اي الوالي ابراهيم ابن الخليفة يوسف.

(3) قد لا يختلف بقية الصدر عما في الرسالة 70.

استطاعة الانسان، فليس إلا الدعاءُ الى الله في حسن مجازاتها، والدعاء من الله بمكان أوزع الله شكر إنعامها، وحرس على العباد والبلاد عَلِيِّ مَقامِها.

واحوال هذه الجهة ببركتها ــ ايدها الله ــ جارية على ما تقدَّم الإعلام به من العافية، والخيرات الوافية، والهدنة المستمرة، والأمَنَة المستقرة، والاستبشار **بكثرة الزرع في هذا العام** وطِيبِه وصلاحِهِ، واستيفائه من الغيث في وقته منتهى أمل الآمل واقتراحِهِ.

وما قد توالى بسعادتها ــ ضاعفها الله ــ من الأنباء المبشرة بتفريق شمل الكفار، وما جعل الله بينهم من **الفتنة المضطرمة** النار، وقد وصل الآن كتاب المقدّم بترجالة[4] ــ كلأها الله ــ منبئا بماهو معدود فيما[5] يصنع الله للحضرة الإمامية ــ ايدها الله ــ من الصنع الجميل، وما يكفيه لها من غرائب التكييف الجاري على وفق التأميل، وقد وجّه العبد الكتاب المذكور صحبة هذا ليوقَف من نصه على مقتضاه[6]، وذلك كله ــ والحمد لله ــ بسعادة الخلافة السعيدة ادام الله ايامها، وأسعد أعلامها ؛ ولا تزال المسرات بسعادتها ــ ان شاء الله ــ ترد متناسقة تناسق ورق الآس، وتطّرد متلاحقةً تلاحُقَ الانفاس، بفضل الله[7] تعالى ؛ والله يوالي منها ما يغادر الكفرَ ذليلا والاسلام عزيزا، ويصله/ من أنبائها السارة ما يطرِّز الله به برود المسرة تطريزا، وهو تعالى يصل للحضرة الامامية اسباب النصر والتمكين، والفتح المبين، ويديم تأييدها، ويضاعف سعودها، ويجعل[8] الملائكة المسومين انصارها وجنودها، بمنه[9].. م خ/339

(4) ترجاله : من مدن الثغور شمالي بطليوس الشرقي انظر عنها الادريسي (550 ــ 551) ن، ايطالية والروض المعطار ص 133.

(5) في الاصل : في ما.

(6) اي ان رسالة الوالي هذه هي ايضا تعريف برسالة مقدم ترجاله ومرفقة بها.

(7) وردت كلمة (الله) في المخطوط في اول السطر بعد فراغ قدر كلمة.

(8) في الاصل : ويجل.

(9) انظر خاتمة الرسالة 70 للتعرف على ما يرد عادة بعد هذه الكلمة الى النهاية.

الرسالة الخامسة والسبعون :

م خ/ 345 الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية، المباركة الطاهرة الزكية، مطلع الأنوار الباهرة للبَشر، ومنشأ السعود الضامنة لأنواع البُشر، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المومنين[1] ابن الخلفاء الراشدين، الأيمة الهادين المرشدين، أدام الله تمكينها وتأييدها، ووَصَل بسعدها المضاعَفِ للبلاد تأمينها وتمهيدَها، وحرس على الدنيا والدين سعودها، وأنجز لها من الفتح المبين وعودها، كما ملأ بأنوارها الساطعة وبراهين سعدها القاطعة اغوارَ البسيطة ونجودَها ؛ مملوكُ نِعَمَها الهامية، ورهينُ شكرِ مَقامها النامية، المعتصم بظلها الممدود، الداعي بحراسة ما خوّلها الله من السعود، المتضرع الى الله في شكر فضلها العظيم، عبدها ابراهيم[2] ؛ سلام الله وأفضل تحياتِه، على الحضرة العالية السعيدة وأكمل رحمته تعالى وأوفى بركاتِه.

وبعد (الى اخر الصدر)[3].

...وبركات الحضرة الامامية أيدها الله ــ وخلّد أيامَها وأعلى أعلامها ــ تشرق أنوارها وأضواؤها، وتنسكب على بلاد الاسلام وأهله أنواؤها، وتبسط[4] بها في كل آونة أمل البرية ورجاؤها،/ م خ/ 346 والحمد لله رب العالمين حمدا تتضاعف به أقسام النعم وأجزاؤها ؛ وعبد إحسانها ــ وصل الله علوّ مكانها ــ على أوفى مايكون عليه النصحاء المخلصون من عُبدانها، من النصيحة في خدمتها والتغذي بشكر نعمتها ؛ والله ينهضه من ذلك بما يعتقده دينا ويلتزمه شرعا، ويحافظ على أصوله الواجبة وفروعه الراتبة أصلا أصلا وفرعا فرعا.

وهذه الجهات ببركة الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ ترتع من الخيرات في جميم، وتتعرّف من المسرّات كل شامل عميم، وتسند من سعد الخلافة الميمونة الى صميم، ويضج أهلها بشكر الله تعالى على ماخوّلهم بسعادة مولاهم وإمامهم من الفضل العظيم، والأمنة ــ والحمد لله ــ تضرب بجرانها، والهدنة تمد بأسبابها وأشطانها، والسعادة الامامية ــ حرسها الله ــ تدلي بحجتها وبرهانها، وتظل المومنين بروحتها الزاكية وتُقطِفهم ثمر السُّرور من أغصانها ؛ ومما أثمره سعد الخلافة العلية ــ وصله الله ــ من الثمر الشافي للصدور الموافي بالبهجة والسرور، ماجعل الله في هذا الوقت **بين فرق الكفرة ــ أبادهم الله ــ من الفتنة المضطرمة نارها** العائدة على ملتهم الدائرة بما فيه ثبارها وخسارها حيث شغلهم بنفوسهم، وجعل بأسهم بينهم لِبؤسهم، وجعل سعود الخلافة المباركة كفيلة بنحوسهم ؛ ومما وجب به إعلام الحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ من أنباء الأعداء، الواردة بالسرّاء،

(1) يبدو انه الخليفة المستنصر.

(2) ابراهيم، يبدو أنه هو نفسه المذكور في الرسالة السابقة.

(3) انظر الرسالة رقم 70 فقد لا يختلف صدرها عن المبتور هنا خاصة وان الكاتب هو نفسه أبو العباس بن جعفر.

(4) كذا في الاصل ولعل الصواب : (ينبسط) ليكون فاعلها مناسبا للسجع.

أنه ورد على العبد كتاب من بطليوس[5] ــ حماها الله ــ يتضمن من المسرّة التي ساقَتها سعادة الخلافة العليّة ــ أدامها الله ــ مَا نسخته مستطَرة في المُدرج طَيّ هذا الكتاب[6] ؛ وإنها لَمسرّة عظيمة، ونعمة من الله جسيمة، وبشارة شاملة عميمة، توذن كلمة الكفر بزيال، وتقضي عليها بالهون والإذعان بعد التخمط والصيال[7] ؛ وإنه لفتحٌ من الفتوح المذخورة لهذا الأمر العالي، وصنع جميل من بدائع صنع الله الكبير المتعالي، ولا نُكْرَ على ما وهب الله للخلافة السعيدة ــ أدامها الله ــ من السعد اللاحب السبيل، الواضح الدليل، يتيسر به أسباب المسرة للاسلام، وتدور به على الكافرين دوائر التدمير والاصطلام ؛ والله يصل للاسلام وأهله من سعادة الخلافة/ العلية ما يشرح الصدور ويقرّ العيون، ويصدق الآمال والظنون، ويطلع البشائر عليهم في كل حين، ويزيد الكافرين اشتداد فَرَق[8]، وشتات فِرق، وقطعا بهم في جميع الطرق، ويريهم أن لهذا الامر العزيز عناية ربانية تشمته بالأعداء، وتعرفه عوارف الصنع الجميل متتابعة الاعادة والابداء[9].

م خ/ 347

(5) انظر عنها الادريسي ص 545 (ن إيطالية).

(6) اي ان نسخة «كتاب» بطليوس وجهت الى الخليفة صحبة هذه الرسالة المكتوبة عن والي اشبيلية.

(7) التخمّط : التكبر، والصيّال : (فعلها صال يصول) : القهر والغلبة.

(8) الفَرَق : الفزع.

(9) الرسالة مبتورة النهاية كسابقاتها.

الرسالة السادسة والسبعون :

م خ/358 ...[1]والى هذا ــ أورد الله على المقام الإمامي من البشائر أصدقَها بيانا، وأوضحَها للأبصار والبصائر عَيانا، وأعوَدها بما يكون على سعد الخلافة المباركة برهانا ــ فانه قد أوضحَ الحسنَ، وأفصَحَ اللّسَن، وعلم من كان له عقل أن لله تعالى بأمره العزيز ــ أدامه الله ــ عنايَةً لا يزال يصل له أسبابها، وكرامةً لا يبرح يفتح له في كل حال واستقبال أبوابها ؛ وقد قضى الله سبحانه بأن عوّد هذا الأمر العزيز اجمل العوائد، وتكفّل له بأحفل البشائر وأكمل الفوائد، وصار[2] اليه مختلفاتِ القلوب، م خ/359 وأجراه في حالتي السّلم والحرب والبعد والقرب،/ من التيسير والتسهيل والصنع الجميل على اوضح اسلوب، والحمد لله رب العالمين.

وقد ورد الآن مِن سارِّ الأنباء ما تجب به مطالعة الحضرة الإمامية المنصورة اللواء، وذلك انه وصل نصراني **فاخبر بكذا وكذا**[3]،وهذه بشائر[4] ببركة مولانا وسيدنا، جعل الله بأس أعدائه بينهم، وأهلكهم بآرائهم، وجعل في تدبيرهم عاجلَ تدميرهم، فأعلمَ العبدُ بما تجدّدَ عنده من **أخبار الاعداء**[5] ؛ والله يحفظه ويديم تأييد سيدنا وَموْلانا ويخلد ملكه ؛ فبسعده تطمئن البلاد، وتمتد الأمَنة، ويمحق الله الكفر وشيعته ؛ وكلُّ ما يردُ من **البشائر والمسرات** ويتوالى من الصنائع الجميلة والخيرات، فذلك كله ببركة الخلافة السعيدة، وبسعادة الإمامة المباركة الحميدة، وتلك عوائد الله الجميلة، التي هي بكل مصلحة من مصالح الامر العزيز كفيلة ؛ والله يوالي المسرات تباعاً، ويُطلِع منها اجناسا متوالية وأنواعا[6]...

---

(1) رسالة مبتورة الصدر.

(2) صار يصور : أمال.

(3 ــ 4) كذا بالاصل، مما ضيع علينا نوع الخبر، ويبدو انه يتعلق بالفتنة بين الاعداء القشتاليين والليونيين، فمثل هذا الخبر يعد من البشائر والمسرّات.

(5) ان تطورات الاحداث داخل الممالك الاسباينة كانت اخبارها تصل الى الموحدين باستمرار بواسطة الجواسيس. انظر مثلا الرسالة رقم 84.

(6) الرسالة مبتورة الاخر كسابقاتها.

الرسائل من رقم 77 إلى 85 :

الرسائل المتعلقة بتوقيع الهدنة والحفاظ عليها بين القشتاليين والموحدين في عهد المستنصر

تقديم :

بعد معركة العقاب (609/ 1212) بسنة ونصف مات الناصر بمراكش وترك ابنه المستنصر طفلا على عرش الدولة، وبعد ذلك بحوالي سنة ونصف اي في اكتوبر 1214 م مات الفونسو الثامن ملك قشتالة المنتصر في العقاب، وترك ايضا طفلا على العرش، هذه الوضعية في الدولتين طرحت مشاكل داخلية فرضت عليهما اللجوء الى عقد هدنة سنة 612 (1215) سيتم تجديدها سنة 618، (وربما كانت هناك محاولة لتوقيع الهدنة ايضا بين الموحدين وليون)، وتوجد مجموعة من الرسائل تتعلق بهذا الموضوع وهي كالتالي :

ــ رسالة من والي اشبيلية الى الوصي على عرش قشتالة حول وصول الوفد المفاوض : العطاء ص 18[1] رقمها 77.

ــ رسالة والي اشبيلية الجوابية على رسالة الخليفة حول تشكيل وفد التفاوض (وتتضمن ايضا الحديث عن كثرة الامطار وعن اضافة بطليوس وثغورها الى مسؤولية والي اشبيلية) : المخطوط الخاص (315 ــ 318) رقمها 78 [2].

ــ رسالة نفس الوالي ابراهيم ابن الخليفة يوسف جوابا على رسالة الوزير (ابن جامع) حول تشكيل وفد التفاوض ايضا فيما يبدو، وتتضمن كذلك توجيه رسالة الى كومية، وتعيين ابن الوالي على بني رياح وقرة مناف، وتعيين قاض على شريش، والاذن للوالي باقتضاء سهمه برجراجة من مخزن اشبيلية، زيادة على التلميح الى محاولة التفاوض ايضا مع ليون على الارجح : المخطوط الخاص (349 ــ 352) رقمها 79.

ــ رسالة والي اشبيلية ايضا (ابراهيم) الجوابية على رسالة من مركز الخلافة حول وصول الوفد النصراني الى اشبيلية بعد اتصاله بالخليفة، وتحرك الوفد في اتجاه بلاده : المخطوط الخاص (352 ــ 353)، رقمها 80.

---

(1) الرسالة من انشاء صاحب العطاء نفسه ابي القاسم البلوي حيث كتبها عن السيد ابراهيم بن الخليفة يوسف والي اشبيلية، انظر ترجمة الكاتب في مقدمة البحث.

(2) رسائل المخطوط الخاص هنا من انشاء ابي العباس بن جعفر، انظر ترجمته في مقدمة البحث.

ـــ رسالة نفس الوالي الى الخليفة جوابا على رسالته التي تحث على «رعي السلم مع صاحب قشتالة» : المخطوط الخاص (318 ـــ 320) رقمها 81.

ـــ رسالة نفس الوالي ابراهيم الى الخليفة تخبر بارتباط النصارى «بالصلح» (وتتضمن اخبارا عن انشغال الناس في الزراعة وعما تشكوه الثغور من الضيق والضعف وغلاء السعر وكثرة التشكي بقلة الانصاف...) : المخطوط الخاص (327 ـــ 330) رقمها 82.

ـــ رسالة الخليفة المستنصر الى «بعض نوابه» بالاندلس مستنكرا عليه خرق الهدنة مع النصارى ومُحَذرا اياه من قوة الاعداء... صبح الاعشى ج 6/ (446 ـــ 447) رقمها 83)[3].

ـــ رسالة جوابية من الاندلس تخبر باستمرار السلم مع النصارى، وان معتديا عليهم بناحية بطليوس تم قتله واطلاق سراح الاسرى حفاظا على العهد وتجنبا لقيام «ضرر الكفرة»، وتخبر الرسالة بعقد «سلم» بين ملك البرتغال وليون وبتراجع البرتغال عن محاولة توقيع الهدنة مع الموحدين بسبب تراجع ليون عنها : المخطوط الخاص (333 ـــ 334) رقمها 84.

ـــ رسالة وزير المستنصر ابي يحيى زكرياء الى ملكة قشتالة سنة 618 بشأن تجديد الهدنة : البيان ص 246 رقمها 85[4].

وهذه نصوص الرسائل على التوالي :

---

(3) الرسالة منسوبة في صبح الاعشى الى الكاتب (ابي الميمون).

(4) رسالة «البيان» من انشاء ابن عياش ! (انظر الهامش «1» على هذه الرسالة فيما بعد).

الرسالة السابعة والسبعون :

ع/18 من ابراهيم[1] بن سيدنا أمير المومنين بن سيدنا امير المومنين، الى القُومِط الزعيم ازْبل بن القُومِط نونة[2] وفقه الله وارشده.

أما بعد حمدِ الله كما يجب لوحدانيته وجلاله[3]، والصلاة على محمد رسوله المصطفى وعلى آله[4]، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، وارث شِيَمِهِ النبوية وخِلالِه، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين الذين مشَوا أمره العزيز الى غاية كماله، والدعاء لسيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أبو[5] يعقوب بن الخلفاء الراشدين بتيسير آماله، وتعريفه النصر الأعز والفتح الأسنى في كافة أحواله.

فكتبناه اليكم من اشبيلية ــ حرسها الله ــ ولا جديد إلا فضلُ الله الأكمل، وصنعُه الأجمل، وبركة أمره العزيز التي تعم وتشمل، والحمد لله رب العالمين كثيرا ؛ وقد وصل كتابكم فوقفنا على ما ضمّنتموه من جميل الأغراض، ووصل رسولكم الوزير الحكيم **أبو الحجاج بن مزاح**[6] ــ وفقه الله ــ صحبة الوزير الأكرم أبي إسحاق بن أبي الحجاج ابن الفخار[7] ــ تولّى الله توفيقه ــ فتُعرِّف مِن قِبله أيضا ما عندكم في **موالاة الموحدين** أعزهم الله، والاستناد إليهم من جميل المقصَد ؛ وستجدون بركة ذلك عند المقام الإمامي العلي أفاض الله أنواره، ونصر أنصاره، فإن عادته في الإحسان الى من أسند اليه، وأورد النصيحة عليه، قد عرفها القريب والبعيد، وقام عليها الدليل والـ(ـشـ)ـهيد[8]؛ وأمّا ما أشرتم اليه من طلب الاعتناء برسولكم المذكور، فكذالكم كنا نفعل لو لم تؤكدوا ذلك، فإن الذي عندنا من رعي مثلكم من ذوي الأغراض الجميلةَ جميلٌ، وسيصاحب رسولكم المذكورَ في هذه الحركة التهمُّمُ الموالي والرعيُ الموصول، بحول الله ومشيئته، وكلُّ ما قرّرتم من حسن المقصَد فإنه مشكور لكم ؛ والله يعرّف الخير والخِيرَة في كل ما يقتضيه، ويعين الجميعَ على ما يرضيه، بمنه وكرمه لارب غيره، ولا خير الا خيره.

---

(1) هو ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف انظرالهامش 1 على الرسالة 70.

(2) هو الوصي على عرش قشتالة البارو نونيو دي لارا، انظر الهامشين 7 و 12 على الرسالة 71.

(3) هنا الاشارة الى وحدانية الله مادامت الرسالة موجهة الى طرف نصراني.

(4) لازالت هذه الرسالة تحمل ذكر آل الرسول ربما لكونها موجهة الى خارج الدولة، اما الرسائل الداخلية ابتداء من هذه الفترة فقد اخذ يزول منها، انظر مثلا الرسائل 70 و71 و126.

(5) كذا بالاصل، ويظهر انه متعمد لعدم اخضاع اسم الخليفة للقاعدة النحوية، وهذا ما يتكرر في عدد من الرسائل. وابو يعقوب هو يوسف المستنصر بن الخلفاء الموحدين.

(6) لعل تقديم اسمه يبين انه هو رئيس الوفد القشتالي وليس ابن الفخار كما ورد في البيان المغرب ص 244 وفي المغرب لابن سعيد ج/ 2 الترجمة رقم 339.

(7) انظر ترجمته عند ابن سعيد في رقم الترجمة المذكور.

(8) ما بين اللام والهاء مأروض في الاصل، ولعل الكلمة هي كما اثبتناه، فالشهيد : معناه الشاهد أو الامين في شهادته...

الرسالة الثامنة والسبعون :

م خ/315 .....[1] مَطلِعُ الأنوار الهادية، ومنشأ البركات المتضاعفة المتمادية، ومصاب/ الرحمة الهامعة،
م خ/316 ومَثابة الخيرات الجامعة، أدام الله تأييدها وخلد أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامها، وقرن بمطاوعة الأقدار، ويمنِ الإيراد والإصدار، مَرامَها، كما وهب للبلاد اعتناءها الكريم واهتمامَها، وكما أسبغ على العباد إحسانها العميم وإنعامَها، عبدُها المجتهد في خدمة علائها، المعتصمُ بظل لوائها، المعتكف على شكر نعمها المتتابعة وآلائها، الداعي بحراسة ما ملأ الأرضين من أشعة سناها وسنائها : ابراهيم[2]، سلام (الى آخر الصدر)[3].

فكتب عبدُ الحضرة الإمامية ــ كتب الله لها مضاعفة السعود ومصاحبة النصر والتأييد، وخصها من إعلائه وتوالي آلائه بالمزيد ــ وبركاتُ الحضرة الامامية أيدها الله قد عمت الأنام، وساجلت الغمام، وواصلت الإنجاد في طيّ البلاد والإتهام، وأسعدت الليالي والأيام، وأعجزت في شكرها الألسنةَ والأقلام، والحمد لله على هذه النعم حمدا يَتكفل لها بالمزيد والدوام ؛ وعبدُ علائها على أوفَى مايكون عليه الناصحون من عبيدها وأرقّائها، من النصيحة في خدمتها، والشكر لنعمتها، والله ينشر عليه جناح رحماها، كما أعلى مصعَدَها في (العلاها)[4] ومَسماها.

وأحوال هذه الجهات ببركة خلافتها الميمونة، وسعادة إمامتها المباركة المأمونة، في صلاح يُقتَبل ــ والحمد لله ــ شبابُه، ويُتفتَّح ببركة عنايتها الكريمة بابُه، وتمتد به ظلال الأمن ويتسع جنابُه ؛ فالسعد الإمامي ولله الحمد والشكر كامل، والخير به بفضل الله هامٍ هامل، والكل بالاوامر الإمامية عامل، والناس لمولاهم وإمامهم داعون، وفي مرضاته ساعون ؛ وكان للمطر إغباب تمادَى أياما ثم أنزل الله الغيث الآن في هذه الجهات فجاد الأرضَ وبسط النفوس ؛ وكان للثغور الجوفية منه الحظ الأوفر بالبركة الإمامية أدامها الله ؛ والله يهنّيء[5] العباد والبلاد ما شملها من الالتفات الامامي الكريم، ويصل لها ما عوّدها به من الخير العميم.

وبعدُ، وصل الله للحضرة الامامية اسباب نصرها، وعرَّفها يمن نقيبتها وسعادة عصرها، فإنه ورد على عبد مقامها العلي كتابُها المعظم الكريم، الصادرُ عن الالتفات المعهود والفضل العظيم، المضمَّنُ
م خ/317 ما لم تزل تنعم به ــ شكَرَ/ الله إنعامها ــ من سنَى التشريف والتنويه، وحميدِ الغرض الجميل والقصد النبيه، المشتمل على ما اقتضاه النظر الكريم من **إضافة بَطَلْيَوْس وثغورها الجوفية** [6] ؛ وما اقترن بذلك من الاوامر المطاعة والمقاصد العلية، وتلك عوائدها الجميلة في الالتفات والاعتناء، ومضاعفة النِّعم والآلاء، واهتدائها على التتابع والولاء، والله يجازيها عن قديم نعمها وحديثها بأفضل الجزاء ؛ وإنّ لَحْظَها الكريم الذي كست العبدَ بمنتها جلبابه، وعطفها الذي وَصلت له برحمتها أسبابَه،

(1) الرسالة مبتورة البداية (قارن مع الرسالتين 70 و 75).

(2) هو المكتوب عنه على الارجح في الرسائل السابقة، انظر اسمه الكامل في الرسالة رقم 79.

(3) انظر نموذجا من صدر الرسالة لنفس الكاتب ابن جعفر في الرسالة رقم 70.

(4) كذا في الاصل، والانسب : (في العلى) وكلمة (مسماها) معطوفة على (مصعدها).

(5) في الاصل : يهنى.

(6) من ثغورها الجوفية : جلمانية، منتا نجيش، قاصرش، وترجاله، وماردة، والقنطرة، انظر عن بطليوس الهامش 5 على الرسالة 75. ستبقى المدينة تحت نظر ابراهيم الى ان ياتيها وال خاص، انظر الرسالة رقم 104.

لَيُعجِز شكرهما إسهابَ البليغ وإطنابه، ولو أرسل عنان الكلام جهده ومَدّ اطنابَه ؛ فلا سبيل للعبارة الى استيفاء المعبَّر عنه من الشكر ولو طاولت فيه الأوان بعد الأوان، واستظهرت عليه بكل بِكْر من المعاني وكلِ عوان، إنما قصارها الاعتراف بالعجز عن الادراك، والحنين الى غايته المطلوبة كدعاء الهديل على الأراك ؛ فمتى يؤدي العبد شكر هذا الإنعام والإحسان، وأي بيانٍ يعبر عنه أو أي لسان ؛ وكُلاًّ لا حول ولا قوة لبشر بشكره إلا بمن هو على كل شيء قدير، فليس الا التضرع الى الله في تولي جزائه والله بالاجابة جدير.

وقد تلقّى العبد كتابها الكريم بواجبه من التعظيم والاجلال، والسمع والطاعة والامتثال، والاجتهاد في شكره والاحتفال، والله تعالى يعينه على تمشية أغراضها الكريمة على التمام والكمال ؛ وتضمَّنَ، الكتاب الكريم أن **يتفاوض العبد في تعيين من يُنفذ** الى الجهات المذكورة مع **الشيخ أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن**[7] ـــ أكرمه الله لما جُرب من اجتهاده، وسداد ارتياده، والله يشكر الحضرة الامامية ويصل أسباب حراستها، ويحفظ عليَّ نظرها ونور (....)[8]، فان الذي عند المذكور في حق الامر العالي ـــ ادامه الله ـــ من الجد والنصيحة، والخدمة الخالصة الصحيحة، وما يرجع اليه في ذاته من محمود الشيمة والخليقة، ومشكور السيرة والطريقة، والأعمال المستقيمة على الحقيقة، وسداد الروية في ما [9] يقصده وينتحيه، وصدق النية فيما ينظر فيه، يقتضي الاغتباط بمذاكرته، ويستدعي النشاط لمفاوضته ؛ وما زال العبد لهذه الصفات التي ظهرت له من المذكور يفاوضه/ في الكليات والجزئيات من الأمور ؛ وبهذه الاشارة الإمامية الكريمة الواردة الآن يزداد العبد بمفاوضته اغتباطا، وبحبل موافقته على المصالح ارتباطا ؛ والله يجازي الحضرة الإمامية على ما يوثره لنصّاح خدَّامها وخُلصان عُبدانها من نبيه اللَّحْظ والرعاية، وكرم الالتفات وشرف العناية، وما تضمنته الاوامر المطاعة من **الاحتياط على المخازن**[10] ـــ أنماها الله ـــ يُعتنى به كل الاعتناء، ويحافَظ عليه في جميع الآناء، وكذلك كل ما تضمّنه الكتاب الكريم من الفصول يحصل فهمُه كل التحصيل، ويبادرَ الى امتثاله على الجملة والتفصيل، ويبذُل العبدُ جُهده في ما[9] نيط به وأسند اليه، ويتوخى فيه الغرض الكريم ويعتمد عليه ؛ والبركة الإماميةِ ـــ أدامها الله ـــ هي السبب الموصل إلى نجاح الأمل، والظهير المعين على صلاح القول والعمل، ان شاء الله يكون التوفيق والتسديد، وعليها ينبني التسكين والتمهيد، وبأنوارها الساطعة يستضيءُ في كل محاولةٍ العبيد ؛ والله يوفق في كل منتحَى الى ما يقع بوُفق الحضرة الإمامية ويحْظى برضاها، ويعين في كل حال على مايزلف من رُحماها، والله تعالى يديم لها النصر والتمكين، ويفتح لها الفتح المبين، ويجعل كلمتها باقية، ودعوتها راقِية الى يوم الدين، وينجِز لها ما وعدها من الاستيلاء على ما زُوي لنبينا عليه السلام من الارضين، ويعين على ابتغاء مرضاتها، وأداء مفترضاتها، عبيدَها أجمعين...

م خ/318

(7) يبدو ان الوفد المفاوض كان يضم ايضا الشيخ ابا العباس بن ابي حفص والي قرطبة، والسيد ابا الربيع والي جيان (البيان 244).

(8) العبارة غير واضحة في الاصل، ويمكن ان تقرأ : (من برئاستها) و (من بمؤاستها) أو (من في حراستها).

(9) كذا في الاصل : في ما.

(10) هل هذا من أجل مواجهة حالات الجفاف كالذي حدث مؤخرا ام للاستعداد للطوارىء مع العدو خاصة اذا فشلت المفاوضات ؟

الرسالة التاسعة والسبعون :

م خ/349 الشيخ الاجل الأعز الاكرم الاسنى الولي الاثير الأودّ الازكى الافضل ابو سعيد ابن الشيخ الاجل ابي محمد ابن الشيخ الاجل المرحوم ابي اسحاق[1] — ادام الله عزته، ووصل كرامته ورفعته — وليّه في الله تعالى ومُحبّه فيه، البَرُّ بجانبه، الموثر له الحفِيُّ به، ابراهيم بن سيدنا امير المومنين بن سيدنا امير المومنين[2]، سلام كريم يخصكم كثيرا ورحمة الله وبركاته.

أمابعد حمدِ الله تعالى والصلاةِ على محمد رسوله المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المجتبى، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أبي[3] يعقوب بن الخلفاء الراشدين بالنصر الأعز والفتح الأسنى.

فالكتاب اليكم — كتب الله لكم من الكرامة أمدّها الله ظلالا، ومن السعادة أدْومَها اتصالا — من اشبيلية — حرسها الله — وبركات الحضرة الامامية أيدها الله/ تنمي وتزيد، ويُتعرّف منها الجديد فالجديد ؛ والحمد الله رب العالمين حمدا يسوق النِّعم ويقودها، ويُنميها بفضل الله ويَزيدها. م خ/350

وعن الذي يواليه[4] مجلُكم من شكركم، وجميل ذكركم، ويُخلص فيه من ودّكم، ويتحققه من جميل غرضكم وقصدكم، ويوثره من إيثاركم، ويعتني به من استطلاع السارّ من أخباركم، وصل الله ذلك في ذاته، وقرنه بمرضاته، بمنّه وكرمه ؛ وقد وصلت مخاطبتكم الاثيرة السارة الخطيرة — وصل الله سعادتكم، وسنّى أملكم كله وإرادتكم — **متضمنةً من الأوامر العلية، والأغراض الكريمة الإمامية**[5]، ما انفسح فيه متردّدُ الشكر ومُحالُه، وعجزت عن استيفاء شكره رويَّةُ الفكر وارتجالُه، وتلك العوائد الإمامية المعتادة، والفضائل التي لم تزل تنال المبتغاة منها والمرتادة، والله يجازي الإنعام الإمامي العميم، والفضل المترادف العظيم.

وتضمنت مخاطبتكم الأثيرة — أدام الله عزتكم — ما اقتضاه النظر الكريم، من مخاطبة كومية[6] بكتاب عزيز، وأن يحضروا لقراءته، (ويتّبعوا)[7] من القول ما يحملهم على المقصود فلم يصل لمجلكم

(1) هو ابو سعيد ابن جامع وزير الخليفة المستنصر — بعد الوزارة لأبيه — والوصي عليه، تنسب بعض المصادر هزيمة العقاب الى سوء تدبيره وتأثيره على الناصر (انظر الفصل الرابع)، ولعله هو نفسه المخاطب في رسائل المخطوط الخاص التي تحمل عبارات مثل : مجلكم.. ادام الله عزتكم...

(2) هو الوالي ابراهيم بن الخليفة يوسف، وقد عرّف بنفسه هنا ما دامت الرسالة موجهة الى الوزير، أما في رسائله الى الخليفة المستنصر فيبقى اسمه الشخصي بدون زيادة، لاحظ معظم رسائل المخطوط الخاص، وراجع الهامش 1 على الرسالة 70.

(3) كذا في الاصل وهو الصواب، على خلاف اغلبية الرسائل التي لا تخضع فيها كنية الخليفة للقاعدة النحوية (ابو).

(4) تتكرر هذه الكلمة في رسائل اخرى الى الوزير.

(5) لعل هذا من دلائل الوصاية على المستنصر.

(6) كومية : قبيلة بني عبد المومن وعصبيتهم وهم يمثلون فرقا عسكرية وربما هي التي اشارت اليها رسائل اخرى باسم (فلانة اصلحهم الله) : رقم 90 و 91 و93، انظر ايضا الرسالتين 94 و 96.

(7) في الاصل : ويتبع.

الكتاب العزيز المذكور الذي خُطِبوا به إلاّ مفضوض الخِتام، دفعه إليهم مِزوارهم[8] بعد ان وقف عليه، وزعم أنه قد قرأه عليهم، فأغنى ذلك عن إعادة قراءته عليهم، وألقى اليه مجلّكم من القول ما أُمِر بالقائه، وأوضح له مقتضى الغرض الإمامي ـــ شكره الله ـــ في جميع أنحائه ؛ والله يعين على امتثاله، ويجازي المقام الإمامي على التفاته الكريم واهتباله.

وأشرتم ـــ أدام الله عزتكم ـــ على[9] استحسان ما بين الشيخ الأجل الأكرم أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن[10] ـــ أدام الله كرامته ـــ وبين مجلّكم من المساعدة والمعاضدة ؛ وذلكم عملٌ محافَظ على استصحابه، مجتهَدٌ في وصْل اسبابه، توخّياً لمقتضى الغرض الإمامي الكريم، واغتباطا بما عند المذكور من النصيحة الصحيحة والمنزَع القويم، أعان الله الجميع على واجبات الخدمة، وأوزع شكر ما شمل من كريم الالتفات وعميم النعمة.

وذكرتم ـــ أدام الله (...)[11] ـــ ما اقتضاه الإنعام الامامي الذي صفت أدربته، وسالت والحمد لله أوديته ـــ من الأمر لمجلّكم باقتضاء فائدة السهم المنعَم عليه به[12] الذي برجراجة[13] من مخزن اشبيلية، وأنه قد خوطب بذلك الشيخ الأجل أبو عبد الله[14]، وذلكم ـــ أدام الله سعدكم ـــ من جملة / ما تعوّد من فضل المقام الإمامي ـــ أعلى الله ذكره، وأوزع العبيد شكرَهُ ـــ والله يجازي النظر الكريم خير جزاء الإحسان، ويتولى مِن شكره ما ليس في وسع الانسان. م خ/351

وأعلمتم ـــ وصل الله رفعتكم ـــ بتعيين القاضي أبي الحسن بن الفقيه أبي القاسم ابن المالقي[15] لشريش[16]، والشكر على ذلك كله ـــ مطّرد الوجوب، كثير الاحتفال، فسيح المجال، ووساطتكم الجميلة ـــ أدام الله عزتكم ـــ مشكورة في جميع الأنحاء، وتَمشيتُكم الحميدة مذكورة بأجمل الذكر وأحسن الثناء، ومجلُكم يشكر تهمُّمَكم الذي مازال يتعرّفه ـــ والحمد لله ـــ على الولاء، فقد غمره الإحسان بإسعافكم في مطالبه، وقد أوليتموه ما يقصر اللسان عن شكره من مواصلة التهمم بجانبه، ولا نُكْرَ فيما فعلتموه من ذلكم، على فضيلة سجاياكم وكرم خِلالكم، فما زلتم أهلا للجميل، ومكانا للشكر الحفيل، بارك الله فيكم وشكرَكم، وبلّغكم في الدارين أملكم، وضاعف النعم قِبلَكم، ووصل السعادة لكم، وأبقاكم لاستحقاق الشكر والحمد، وللقصد لقضاء اللُبانات والعمد.

---

(8) انظر عن (المزوار) في الفصل الخامس الجانب العسكري، وقارن ايضا مع الرسالة 94.

(9) كذا في الاصل.

10) ورد اسمه ايضا في الرسالتين 78 و 95.

(11) في الاصل : (ادام الله ما اقتضاه) ويتضح هنا نقص كلمة ليتم الدعاء مثل (ادام الله عزتكم ما اقتضاه).

(12) تلميح إلى نوع من الامتيازات التي ينالها السادة الموحدون.

(13) رجراجة : احدى قبائل المصامدة جنوب غرب نهر تانسيفت، انظر الخريطة المرفقة حول قبائل المصامدة ضمن الفصل الأول وانظر ابن سعيد في بسط الارض ص 59.

(14) لعل هذا يبين انه كان مشرفا ماليا للأندلس او على الاقل لاشبيلية.

(15) سيتكرر ذكره في الرسالة 94.

(16) انظر عنها الروض المعطار ص 340.

وذكرتم — أدام الله عزتكم — إقامة أبي الحسن بن وزير[17] مكانه بسبب الخبر الليوني الذي كان بَلَغ، وأنّ الذي كان رآه مجلّكم من ذلك هو الحزم، ولله الحمد على التوفيق لما وافق الغرض الكريم الذي موافقته نعمة كبرى من نعم الله التي لا تحصى.

وأما ما ذكرتم من أن يتفاوض مع الشيخ الأجل أبي عبد الله[18] فيمن يسير بدلا منه، فقد كان ذلكم كذلكم حسبما صدر اليكم الإعلام به قبل هذا، **وما يفعل مجلّكم شيئا من الأشياء الا ما صدر عن المفاوضة معه والاتفاق والمذاكرة والاجتماع، هذا حكم ملتزَم** وعمل مغتنَم[19]، والله يعين الجميع على ما يَحظى برضى المقام الامامي وموافقة غرضه الكريم الجلي.

وورد على مجلكم — أدام الله عُلُوَّكم — الكتاب الإمامي الكريم الذي اشرتم إليه بتقديم عبد المقام الامامي ابن عبده[20] على بني رياح وقرة مناف[21]، وإلزامه سكنى شريش، الى غير ذلك مما تضمنه الكتاب الكريم من الوصايا المنيرة، والأغراض المحمودة بكل لسان والمشكورة، وذلكم — حفظ الله مكانكم — مما عوّده المقام الإمامي — ايده الله — عبدائه من مضاعفة الإنعام وإسباغ بُرود الاحسان، وتجديد العطف والالتفات والامتنان، على القريب والبعيد والشيب والشبان والله يجازي المقام الإمامي جزاء المحسنين المنعِمين، ويوزع شكر فضله العظيم وطَوْلِه المبين. م خ/352 ؛/

والذي عند مجلّكم من شكر هذه النعم العديدة، والأيادي الجديدة، هو بحر لا تُمتطَى أثباجه، ولا يَزال واضحا منهاجُه، وقد عظُمت النعمة متوالية من المقام الإمامي شكره الله عن ان يقوم بشكرها الانسان، ومن الله الجزاء الذي يستحقه هذا الاحسان، وقد توجّه العبد المذكور[22] الى شريش بعد الوصية المؤكدة كما أمِر، والله يعين على امتثال الاوامر، وشكر النعم الهوامر، وهو تعالى يديم عزتكم، ويصل رفعتكم، والسلام.

---

(17) يبدو ان ابن وزير مسجل في لائحة اعضاء الوفد الموحدي المفاوض لوفد قشتالة، غير انه استبدل بغيره «بسبب الخبر الليوني» !.

(18) انظر الهامشين 10 و14.

(19) هل هذا يدخل فقط في اطار موضوع المفاوضة، ام ان السادة اصبحوا مرتبطين بالتشاور مع الاشياخ في سائر الامور تنفيذاً لسياسة ابن جامع الوزير وأحد الاشياخ ؟

(20) هل هو القاضي المالقي المذكور ام ابن والي اشبيلية نفسه ؟.

(21) بنو رياح وقرة مناف : ذكرت القبيلة الاولى في الرسائل 12 و 25 و 61 وهما معا في 79 و 94 (م ج).

(22) اي المذكور في الهامش 20.

الرسالة الثمانون :

م خ/352 الحضرة الامامية القدسية العالية، التي أنوارها مبسوطة ونعمها متوالية، ومقاماتها بحُلى النصر والتأييد حالية، والايام لآيات سعدها وسُوَر شكرها وحمدها تالية، حضرة الهداية الموروثة المأثورة، والبركات المبثوثة المنثورة، قَرن الله سعودها بالدوام والاتصال، وضاعف من النصر مزيدَها مدى البُكَر والآصال، وعرّفها عوارف التمكين ثرّة الغمام، وقاد لها نجائب الفتح المبين سمحةَ الزمام، عبدُها المعتصم منها بوارف الظلال، المتضرّعُ الى الله في الشكر على ما خوّلته من الإنعام السابغ والإفضال، الداعي بحراسة ما وهب الله لها من العزة والجلال : إبراهيم[1]، سلام (الى آخر الصدر)[2].

فكَتب عبد إنعامها الدّارّ، ومسترَقُّ التفاتها المبهِج السارّ ــ كتب الله لها إحراز السعود، وإنجاز ما وعد لها في المشارق والمغارب من صادق الوعود ــ وبركاتُها ــ أيد الله نصرها، وأسعد عصرها ــ تلوح بدورا، وتملأ بالسرور أفئدة وصدورا، وتستوجب من الله جزاء وشكورا، والحمد لله رب العالمين حمدا يقتضي للمزيد منها وفُورا.

والذي يواليه العبد في خدمتها ــ أيدها الله ــ من النصيحة المبادَرِ اليها، ويلتزمه من الامتثال (لأوامرها)[3] المطاعة والمحافظة عليها، حُكمٌ مستصحبٌ العمل، والمعونة من الله على ذلك من أكبر ما يرغب اليه فيه من الامل ؛ والله يعين على ما أوجب لها وافترض، ويوفق لما يوافق من أغراضها م خ/353 الكريمة كل غرض ؛ وأما شكرُ العبدِ لنعمها المختلفة الأجناس، المتضاعفة الاقسام،/ والتفاتاتها الكريمة المتعارفة مع الايام، فشُكرُ العارف بقدرالنعمة، الباذل جهده في حق الخدمة، المتضرع الى الله ليلا ونهارا في مجازاة[4] ما لها من الاحسان، إذ ليس القيام بشكرها في وسع الانسان، لكنْ ما عجز المرء عن أدائه، فالله كفيل بجزائه.

وقد وصل الأرسال الصادرون من الحضرة الإمامية العلية[5] ــ أفاض الله نورها، وضاعف بهجتها وسرورها ــ في بُرود إحسانها رافلين، وبجديد امتنانها قافلين، ولآلائها شاكرين، ولما شاهدوه من أنوار علائها ذاكرين ؛ وتلك عادتها ــ دامت سعادتها ــ في إسباغ النعم على كل من قصدَ لِبابها، وتعلقَ من أهل الملل بسبب من أسبابها، الفضلُ والحمد لله شيمتُها، ودِيمَةُ الجود العميمةُ علَى اهل الوجود دِيمَتُهَا، أوزع الله شكرها، كما أحسن في ألسنة العرب والعجم ذكرَها ؛ وقد أخذ الأرسال المذكورون في الانفصال من هنا الى صاحبهم على الوجه الذي اقتضاه النظر الكريم، ونَفَذ به الأمر المطاع، أمضى الله حدّه، وأسمى جَدّه، متوخّى في ذلك كلّ ما أمِر به، معمولا جهد

---

(1) نفس المكتوب عنه في الرسائل السابقة.

(2) قارن الصدر مع الرسالة رقم 70.

(3) ناقصة في الاصل، والسياق يقتضي وجودها بالمقارنة مع رسائل اخرى.

(4) في الاصل : مجازات.

(5) يقصد الوفد القشتالي برئاسة الوزيرين ابن مزاح وابن الفخار (انظر الرسالة رقم 77) وذلك بعد ما اتصل بالخليفة المستنصر بالمغرب.

الإمكان في توجههم وتوجّهِ مَن صَحِبَهم بحسبه[6]، متحدثين من[7] عظمة الأمر العزيز — أدامه الله — بما يبلغه الشاهد منهم الغائب، ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب[8]، وببركة الحضرة الإمامية — أيدها الله — يتسنّى من مصالح العباد والبلاد كل مطلوب، ويتمشّى في كلّ ما يعود بالأمن الشامل والخير الكامل كل مرغوب ان شاء الله تعالى ؛ والله يجازي الحضرة الإمامية بأحسن الجزاء، على حسن نظرها للجهات والأرجاء، وعلى ما لم تزل تواليه من كريم الاعتناء، العائد ببسط السرّاء وكفّ الضرّاء، وتشترطه للاسلام وأهله بحسب مالَها — والحمد لله — من علوّ الكلمة ونصر اللواء، وهو تعالى يحرس على العباد أنوارها، ويحفظ سعودها التي عدت حوائط البلاد وأسوارها، ويصل لها من الإمداد الربّاني والإنجاد السماوي ما يقضي أغراضها كلها وأوطارَها، ويُطبِّق ذكره آفاق الأرضين وأقطارَها، بمنه وكرمه، لارب سواه...

---

(6) يشير الى مغادرة الوفد القشتالي لاشبيلية الى بلاده بعد امضاء عقد الهدنة، انظر البيان 244 والدراسة التاريخية في الفصل الرابع (ضمن عواقب معركة العقاب).

(7) كذا في الاصل.

(8) هذا دليل على ان الدبلماسية الموحدية كانت تقتضي تزويد ضيوفها الاجانب بالهدايا، ويبدو ان المقصود هنا هدايا بالخصوص الى ملك قشتالة والوصي عليه.

الرسالة الواحدة والثمانون :

م خ/318 ....أمضى الله حدودها[1]، وأدام تأييدها وظاهر سعودَها، ووالي سموَّها في ذرى العزّ والتمكين وصعودَها، وضاعف بهجتها وسرورها كما ضاعف كرمها وَجودها، وأجرى لها (من قرة) العيون، وصدق الآمال والظنون معتادها ومعهودَها، عبدُها[2] اللائذ بظل لوائها، العائذ بحَرم علائها، العارف بحق ما فاض عليه من جزيل نِعمها وآلائها، المتضرعُ الى الله في شكرها واحسان جزائها، الداعي بإدامة ايامها وإطالة بقائها، المعتصمُ بالاستناد الى ظلالها الوارفة وأفيائها، سلام (الى اخر الصدر)[3].

....كتب الله لها ظهورا لا يضاهي، وعزاً لا ينبغي لسواها، وسعودا تَضاعَفُ أعدادها الى ما م خ/319 لا يتناهى، ولأمرها العزيز — أدامه الله — من إفاضة/ أنواره، على أنجاد البسيط واغواره، وظهور بركاته، في سكناته كلها وحركاته، والصنع الذي لا يزال في كل قضية جميلا، والعناية الربانية التي تكمِّل له صفات السعادة تكميلا، ولله على ذلك الحمد الذي تُدِرّ به من النعم أخلافُها، وتتبع به آحادَ القِسم آلافُها ؛ والشكر للحضرة الامامية — أيدها الله — فرض من فروض الاعيان، والنصيحة في خدمتها أوكدُ الاعمال التي تَعبَّد بها الانسانُ، والتمشية لأغراضها السَّنِيَّة، والامتثال لأوامرها العلية أنجحُ ما التمِس به نَيْلُ الرضوان، وأصحّ ما اعتُمد عليه في كل أوان، وعبدُها[2] من المحافظة على ذلك كله على أوفى ما يكون عليه أرقّاء الاحسان، ونُصَّاحُ الخدّام وخُلصان العُبدان، العارفون بما أوجبَ الله لها من تعظيم الشان وخدمة المكان ؛ والله يعينه على ما يُحظيه برضاه الموصل الى رضاء الرحمن، وينشر عليه جناح ما[4] جُبلت عليه من الرأفة والرحمة والعطف والحنان، ويوزعه شكر ما أضفت عليه من بُرود النعمى والامتنان.

والى هذا — وصل الله للحضرة القدسية ما عوّدها من علوّ المقدار، ومطاوعة الأقدار، وتعرّف الصنع الجميل في الإيراد[5] به والإصدار — فما وجب به إعلام مقامها الأسمى — أيدها الله — أن احوال هذه الجهات ببركتها جاريةٌ — والحمد لله — على الصلاح الشامل، والعافية المتصلة والأمن الكامل، والناس مستبشرون بالرخاء، آمنون ليلا ونهارا حيث كانوا من الأرجاء، داعون في مظانّ القَبول لخليفتهم وإمامهم وسيّدهم ومولاهم، الذي خوّلهم الله ببركة خلافته من الخير ما خوّلهم، وأوْلاهم بسعادة إمامته من اليسر ما أولاهم، قد فاضت عليهم البركات الإمامية فيض النهار، ووثقوا بما وعد الله دينه القيّم من الإعلاء على الدين كله والإظهار، والله يصل النّعم بتخليد الحضرة العظمى، ويُجري الاحوال في كل حال واستقبال على ما يرضي المقام الاسمى.

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، والضمير هنا يعود على «الحضرة» قارن — مثلا — مع الرسالتين السابقة واللاحقة.

(2) يبدو انه هو نفسه ابراهيم المذكور في الرسائل السابقة.

(3) انظر نموذجا لصدر رسالة من انشاء ابي العباس بن جعفر في الرسالة رقم 70.

(4) في الاصل : لما (مع طمس نسبي لحرف اللام).

(5) كلمة شبه مطموسة في الاصل.

وإنه ورد على عبد إحسانها، ومملوك امتنانها، كتابها الكريم المعظم، المبارك المكرّم، يشرق نوره وتنطق بالفضل المبين والهدي المبني على قواعد الدين سطورُه، فعظُمَ به ابتهاج العبد وسرورُه، وتلقته بالسمع/ والطاعة أعجاز الامتثال وصدوره ؛ واشتملت علامته المباركة[6] التي هي القطب الذي يحرك فلك المصالح ويديره، فياله من وارد كريم ما أعظمه، وواصل عظيم ما أجله وأكرمه، لقد بلغ العبد غاية سُؤْله[7]، من التبرك بوصوله، وبادر للفور الى امتثال معانيه الكريمة وفصوله.

م خ/320

فأما الاشارة الكريمة في **حق رعي السلم مع صاحب قشتالة**[8] فقد نبّه العبدُ أهل هذه الجهات عليها، وبثّها فيها وأنهاها اليها، ولن يزال **يؤكد في ما**[9] **يجب من حفظ العهود**، والوقوف عند الحدود، ويُمشي في ذلك الغرض الامامي الكريم، على التكميل بحول الله تعالى والتتميم، حتى تقوم على صاحب قشتالة في ما[9] يُطلب به من النصيحة الحجةُ، وتتضح له من الإنصاف والمعدلة السبيلُ الواضحة والمحجّةُ، برشد الله[10]...

---

(6) هي علامة الخليفة، وتكون في اعلى الرسالة بعد البسملة والتصلية، وهي (والحمد لله وحده)، انظر الرسائل 9 و 13 و 21 و 22 و 24 و 35 و... 126.

(7) في الاصل : سوله (بدون همزة).

(8) هو ملك قشتالة هنري (الطفل) تحت وصاية البارو نونيودي لارا.

(9) كذا بالاصل.

(10) الرسالة غير منتهية فيما يبدو.

الرسالة الثانية والثمانون :

م خ/327 الحضرة العلية المقام، القدسية التمجيد والإعظام، السعيدةُ الليالي والأيام، المحفوفةُ بالتأييد الدائم الاستمرار والتسديد المستمر الدوام، الطيبة بذكرها أنفاسُ الرياح والخافقة بنصرها عذبُ الأعلام، والمفتوح لها في كل مرمى والميسَّر لها في كل مَرام، والميمونة المَطالع على أهل الاسلام، والمقضيّ م خ/328 بها على كل عدوّ في كل رواح أو غدوّ بالاصطلام ؛ حضرةُ سيدنا ومولانا الخليفة/ الإمام أمير المومنين، ابن الخلفاء الراشدين، الأيمة المرشدين الكرام، خلّد الله سلطانها وعمّر بوفود البشائر أوطانها، ومدّ لها أسبابَ الفتوح وأشطانها، وأيّد بإنجاز الموعود أمرَها، وأعظم في إظهار السعود شانَها، كما جعل أيمنَ الدول دولتها وأسعد الازمان زمانَها، وكما جعل حياة الأرواح طاعتها وقيدَ القلوب إحسانَها ؛ عبدُ سنائها ؛ ومملوك علائها، في بحر الشكر لآلائها، الباذلُ جهدَه في شكر الله على تيسير ظفرها واستيلائها، الفرِحُ بنصر البشرى والمنة الكبرى من كريم إملائها، المتضرعُ إلى الله في إدامة ما عوّدها من نصر كلمتها وإعلائها، المتقطِفُ ثمرَ المنى طيبَ الجنَى من بيان سعودها ووضُوح جلائها : إبراهيم[1]، سلام الله العبِقُ النفحات، المشرق الصفحات، المقرون بالرحمة العامة والبركات، الموصولُ في آناء السكنات كلها والحركات، يخصّ حضرة السعود، المقضيَّ لها بالسمو والصعود، ما شرحت بدولتها الصدور، وتتابعَ بسعادتها السرور، ذلك أجل مستاخر، وأمدٌ ليس له الى يوم القيامة آخر.

وبعد حمدِ الله الذي أنجز للأمر العزيز المحفوظ في حرزه الحريز صادق عِداته، وأجراه على أوضح أسلوب من الظهور في كل مطلوب على عُداته، وأطلع بشائره الغرَّ الاطلاع المستمر على حضرة الاسلام وبِداتهِ، والصلاةِ على محمد نبيه الذي بشارتُه لهذه الطائفة بالفتح لها، (وشهادتُه)[2] بأنه لا يضره مَن خالفها ولا مَن خذلها من معلوم بشائره وشهاداته، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، عتاد الدين القيّم وأداته، وطبيبِ الاسلام حين تضاءلَ في أسمال السَّقام، لا يُعرَف عِشيُّه من غداته، وعن الخلفاء الراشدين الايمة المرشدين قادة هدى ركبه وحُداته، ومكمّلي أمره العلي وموضحي منهجه الجلي وهُداته، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين باطّراد عوارفه في النصر وعاداته، ومُضاعفةِ حظوظه مدَّ الدهرِ وسعاداته، وتيسير مقاصده كلها وإراداته.

فالكتاب الى حضرة سيدنا ومولانا، وعصمة ديننا ودنيانا — كتب الله لها من الفتوح ما يخرق معتادها، ويتجاوز (مُبتغاها)[3] ومُرتادها، وملّكها ما زُوي لنبينا عليه السلامِ من المشارق والمغارب، ووصل لها ما عوّدها من الظهور على كل مُناوٍ[4] ومحارب، وهنّأها ما خوّلها من تيسير الأغراض م خ/329 والأمنية بفضل الله كاملة ، والعافية/ شاملة، وقد أنزل الله في هذه الايام من رحمته ما بسط القلوب، وأربى على المطلوب ؛ فالناس **منتشرون في الارض لزراعتهم** ومستكثرون منها جُهد استطاعتهم،

(1) لعله المذكور في الرسائل السابقة.

(2) في الاصل : وشهدته.

(3) في الاصل : مبغاها.

(4) كذا في الاصل، اي مناوىء.

والروم بالسّلم مغتبطون، وللصلح[5] مرتبطون، وكل نعمة تُنال، ورحمة تنثال، فمن الحضرة الامامية انبعاث أسبابها، ونشي[6] سحابها ؛ والله يهنيء الجميع ما شملهم من نعمها، وعمّمهم[6 م] من عطفها وكرمها

وقد ورد على عبد جلالها، ومملوك أفضالها، كتابها المعظم المكرّم الذي بوروده تنبعث المسرات، وبمقصوده تُنال البركات والخيرات، فأورد جملة السرور، وأرشد الى مصالح الاحوال ومناجح الأمور، فتلقاه العبد تلقيَ من ظفر منه بأمله، وأخلص له في الطاعة بنيته وعمله، وتفهّم فصوله تفهّم الواقف عندها، المنتهي اليها، المتضرع الى ا لله في الإعانة عليها ؛ وعرف قدر **ما تضمّنه من الوصايا الجامعة** لضروب المنافع في الدارين، والاشارات الموصلة الى نيل الحسنيين، والأغراض التي لا يضل مَن سلكَ واضح سبيلها، واتبع صالح دليلها — ولا يزال مَن استند اليها، واعتمد عليها ؛ وطفق عبدُ الحضرة الإمامية — ايدها الله — لا يدبّر امرا إلا اتخذ وصاياها الكريمة فيه إمامه، ولا يحاول شغلا الا استشعرها أمامه ؛ والله تعالى يشكر الحضرة الإمامية على توصيتها المرشدة، وإشارتها المعينة على الخير المنجدة، ومواعظها التي لا تزال تشحذ الأفكار والضمائر، وتنوّر الأبصار والبصائر، وتحمل على التماس الأنفع، واكتساب العمل الصالح الذي يرفع ؛ والله العليم سبحانه بما عند العبد من بذل الجدّ في طاعتها والاجتهاد، والاستعانة بالله في أداء حقوقها والاستنجاد، واستغراق إمكانه واستنفاذُ وُسعه في تفقد جزئيات الأمور بأتمّ وجوه الاستغراق والاستنفاد[7]، والسعي المتصل في العمل الأصلح والرأي الأصوب، والملازمة لابتغاء الأدنى إلى المراضي الإمامية والاقرب، والتمشية لمقصودها من العدل والاحسان، والامتثال لأوامرها المطاعة في كل أوان معنى وكّل أوان، وإنه لا يغفل عن مصلحة بحسب وُسعه ساعة من الساعات، ولا وقتا من الاوقات ؛ والله يعينه على ما يخطى برضاها، ويُزلف من رُحماها.

وقد تقدم الإعلام **بأحوال الثغور** غير مرة، وشرحَ العبد ما مسّها من الضيق والضُّعف، **وغلاء السعر وعدمِ الطعام** وكثرة التشكي بقلة الإنصاف[8] واحتياجها الى النظر الكريم الذي يصلح أحوالها ويبسُط آمالها، واحوالها الان باقية على ذلك ؛/ وكان من جميل صنع الله وفضله الذي م خ/320 لا تنحصر أسبابُه، ولطفِه الذي لا يُغلَق في وجه مستفتِح بابُه، أن الله تعالى أغاث أهلَها في هذا العام بالبلوط فإن شجرها حملت حملا كثيرا فاتخذها أهلُها قوتا لأنفسهم ولدوابهم وسدّت لهم مسدّا كبيرا حتى لا يكاد يوجد عندهم دقيق إلا منها، فعظُمت بها عند أهل الثغور النعمةُ، وظهر فيها من الله اللطف بعباده والرحمةُ، وذلك كله ببركة الحضرة الإمامية — ايدها الله — وبجميل نيتها وبركة دعوتها، والحمد لله على ما خوّل أمرَها العزيز من السعود التي تظهر آثارها في كافة الامور وعامة الأرجاء، وَيغنَى المجدبون ببركتها عن الأنواء والأنداء[9]

(5) كذا في الاصل، ولعل الأصوب : (بالصلح).

(6) كذا في الأصل بدون همزة والنشيء اول ما ينشأ من السحاب.

(6 م) كذا في الاصل.

(7) كذا في الاصل (بدال اخيرة)، واستنفد الشيء : افناه، واستنفد وسعه : استفرغه.

(8) لا توجد لدينا رسائل الوالي التي يشكو فيها من هذه الوضعية.

(9) الرسالة مبتورة النهاية.

الرسالة الثالثة الثمانون

صبح 446/6...[1] اما بعد حمدِ الله الآمر بالوفاء بالعهود، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيد الوجود، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، الآتي بالنعت الموجود، في الزمن المحدود، وعن خلفائه الواصلين، بأمره الى التهائم والنجود، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر[2] بالله أمير المومنين بسعد تذِلّ له النواصي، ويهُدّ الاقطار القواصي ؛ فكتبناه ـــ كتبكم الله ممن إذا همّ بامر تدبّر عواقبه، واذا عزم على ركوب غَررٍ ألفَى مَعاطبه ـــ من فلانة[3] كلأها الله تعالى ؛ وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى[4]، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلا، ونخوةٍ تُعقب هوانا وذلاً، وقد أخطأتم في فعلتكم الشنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد، والوقوف مع العقد ؛ والثاني عصيان الأمر العزيز وفيه التغرير بالمُهَج، وترك السعة للحرج ؛ والثالث أنكم **تثيرون على أنفسكم من شرّ عدوّكم ـــ قصمه الله ـــ شَرَراً يستعِرُ، وضررا يَعدَم فيه المنتصر،** فليتكم إذ تحلّيتم بالعصيان، ورضيتم الغدر المحرّم في سائر الاديان، ثبتّم للعدوّ اذا دهمكم، ولقِيتموه بالجانب القوي متى زحمكم، بل تتدرعون له الفرار، وتتركونه في مخلّفيكم وما اختار ؛ وقد جربتم مرات انكم لا ترزأونهم ذرّة، الا رزأوكم ألف بَدرة، ولا تصيبونهم مرة، إلا أصابوكم الف مرة ؛ والى متى تُنهوْن فلا تنتهون ؟ وحَتّى مَ تنبّهون فلا تنتبهون ؟

فاذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته، فأدُّوا من أُسرتم الى مأمنه، ورُدّوا ما انتهبتم الى مَسرحه، ولا تمسكوا من الأسارَى بشعرة، ولا من الماشية بوبرة ؛ ومن سمعنا عنه ـــ بعد وصول هذا الكتاب ـــ أنه تعدى هذا الرسم، وخالف هذا الحكم، أنفذنا عليه الواجب، وحكّمنا فيه المهنّد القاضب، فلتسرع من نومة الغفلة إفاقتُكم، **ولا تتعرضوا من الشرّ لِما تعجز عنه طاقتكم**[5]، ونحن متعرفون ما يكون منكم من تأنٍّ او بِدار، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم من إقرار أو إنكار، وهو يرشدكم بمنه، والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(1) اعتبر صاحب صبح الاعشى أن هذا هو مطلع الرسالة، حيث اوردها كنموذج للرسائل المفتتحة بلفظ «اما بعد» ويجعل الرسالة صادرة عن الخليفة المستنصر بالله الى بعض نوابه حين «نقض العهد، على بعض المهادنين من النصارى»، ويسمي الكاتب بلقب «ابو الميمون»

(2) اذا صح ما ذكره القلقشندي في الهامش (1) تكون هذه الرسالة استثنائية بالنسبة للرسائل الموحدية التي لا يذكر فيها الدعاء للخليفة الحاكم عندما تكون صادرة باسمه، غير انه من غير المستبعد ان تكون الرسالة صادرة عن وزيره والوصي عليه ابن جامع وليس عن المستنصر.

(3) من المرجح أنها مراكش، حيث أن المستنصر لا يعرف عنه انه خرج من هذه المدينة الى غيرها من المدن.

(4) قارن مع الرسالة اللاحقة (84) (حول قتل معتد على ا لنصارى).

(5) اعتراف بميل الموحدين الى السلم لعجزهم عن المواجهة في هذه الفترة.

الرسالة الرابعة والثمانون :

م خ/333 ....[1] والى هذا — وصل الله للحضرة القدسية ما عودها من نصر أعلامها الخوافق، وامضاء سيوفها البوارق، وفتحَ لها الفتح الموعود في المغارب والمشارق، فإن بركتها لا تزال تتكفل لبلادها بالأمن في سربها، وتدلح اهلها بالسلم المستوثق من سَورة حربها ؛ وحظ هذه الجهات من ذلك — والحمد لله — حظّ كبار، والسِّلم قد ضمنت لها ان لا يرتفع فيها على فئتين متقاتلتين قَتَامٌ ولا غبار، ولا يُراعَ لها سِرب ولا صُوار، ولا يَضيرها دنوّ من بلاد العدو ولا جُوار ؛ وقد كان نشأ بهذه الجهات في هذه الايام ناكث غادر، مجرم فاجر، ظهر فساده لكل إنسان، وابتدر الشكوى منه بكل لسان ؛ وكان يَهْتِصِر أفنان الفتنة اهتصارا، ولا يحاشي من الإذاية مسلمين ولا نصارى، فتُقُدّم[2] اليه بالنهي اعتذاراً وإنذاراً، ودعي لما يحييه فلم يزده الدعاء إلا فرارا[3]، ثم اجترأ على أن نهد الى جماعة من رُعاء النصارى قد أظلّم السلم بستارته، وأدخلهم العهد في خفارته، فرماهم وغنمهم وأتى بطليوس[4] بأحد[5] وعشرين أسيرا منهم، والصلح قد علاهم فسطاطُه، ووسعتهم عهوده اللازمة وأشراطه ؛ فاخذه الله بذنوبه اخذا وبيلاً، وجاء اجله فلم يجعل له الى الاستيخارة سبيلا، وحكمت المحافظةُ على السلم بتعجيل إطلاقهم، وحلّ وثاقهم، حذَراً من نكث العهد والميثاق، **وخوفاً أن ينجُم ناجمُ فتنة أو نفاق، أو يستوي ضرر الكفرة على ساق،** فانصرف القوم وصَدَرَ

م خ/334 الرعاءُ، وهنالك ارتفع النداء الى الله/ بتخليد الحضرة الإمامية والدعاء، وعلم الناسُ أن عدوهم المفسد قد استؤصلت منه شأفة، ولم تؤخذ به[6] في دين الله وصلاح المسلمين رأفة، فهم لخليفتهم داعون، ولأمانته وعهده راعون ؛ وعَلِمَ حزبُ الروم ايضا أن الناكث الذي كان يقدح في سلمه، قد أخذه الله بظلمه، ورأوا كيف كان عاقبة المجرمين، وكيف يُحفظُ الميثاقُ عند المسلمين ؛ فالروم بذلك مغتبطون، وبحبل السلم معتصمون جميعا مرتبطون ؛ وقد اتّصلت رحالهم برحال المسلمين[7] وغنمُهم بغنم المسلمين، فالكل في هذه الأحواز مختلطون : كلا الفريقين يرتعي في المرعى الواحد، ويلتقي بالغداة والعشي وهو لآيات السلم غير جاحد، والبلاد خلال ذلك ترتضع ثُدِيَّ هذا الأمر الشامل، وتثق بما يصنع الله لخليفته في الأرض من الصنع الجميل الكامل.

وقد وصل متجسسون من بلاد الروم فأعلموا بما هم عليه من الاغتباط بسلمهم، وبما قد تقرر

---

(1) الرسالة مبتورة البداية قارن مع رسائل سابقة غير مبتورة لنفس الكاتب.

(2) «فتقدم» :في الاصل مضبوطة بالفتح على القاف، والاصح بناؤها للمجهول.

(3) اقتباس من الآية السادسة من سورة نوح.

(4) بطليوس : انظر عنها الهامش 5 على الرسالة 75 والهامش 6 على الرسالة 78.

(5) كذا بالاصل.

(6) في الاصل : ولم تأخذ به.

(7) في هذا اشارة الى التنقل بين بلاد المسلمين والنصارى، وربما ايضا التجارة بين الجهتين.

من نصر الله لأمره العزيز على (خالقه)[8] في علمهم، وأنبأوا **أن ابن الريق**[9] **وصاحب ليون**[10] **تعاقدا وتعاهدا بينهما سلما** اختلف الناقلون في امرها فمنهم من يقول إنها لأمد طويل ومنهم من يزعم أنها لعدد قليل ؛ وأما ما كان من ابن الريق بزعمه من توجيه القَمْطِ الى الحضرة الإمامية ــ ايدها الله ــ فإنما كان رام ذلك إذا كان إذفونش[10] يروم توجيه ابن مريق اليها، وإشخاصه للوفادة عليها، فلما لم يوجِّه اذفونش رسولَه، بلغ ابن الريق في نقض تلك العزيمة سُولَه، وذلك من خداع المشركين، ومكر الكافرين «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»[11]..

---

(8) كذا في الاصل والصواب :من خالفه.

(9) ابن الريق : هو الفونسو الثاني (البادن) (1211 م/ 608 ــ 1223 م/ 620) حفيد الفونسو هنريكيز (اشباخ 449، وعنان 2/ 610 ــ 611) والتسمية بابن الريق في المصادر العربية مستمدة من اسم جده هنريكيز.

(10) صاحب ليون : وهو المسمى اذفونش : الفونسو التاسع ملك ليون (والد ملك قشتالة الطفل فرناندو الثالث) امتد حكمه فيما بين 1188 (583 ــ 584 هـ) و 1230/ 627 هـ (عنان 2/ 594 ــ 597).

(11) من الآية 30 من سورة الانفال.

الرسالة الخامسة والثمانون :

البيان 246 ....[1]، وقد انقلب اليكم[2] رسولا منكم بما تتعرفونه[3] في السلم المنعقد[4] النير[5] شهابُه المتقد، بين الموحدين وبينكم بالمخاطبة الكريمة التي حملها اليكم، وحمل نحوكم من الإتحاف ما يبلغكم على يديه الذي هو عنوان المخالصة وثمرة المواصلة، وكل ما يكون من هذا بيننا وبينكم ينبغي أن يكون متقبَّلا، وعلى أحسن المتأوّلات[6] متأوّلا، إن شاء الله ؛ **وأنتم بحول الله تقفون عند حدود السلم، وتحافظون عليها** وتعاقبون كل مَن همّ بإذاية المسلمين[7]، فإن الوفاء شعار الملوك، وعليهم فيه يجب السلوك ؛ وكُتِبَ في سادس رمضان سنة ثمان عشر وستمائة[8].

---

(1) نقل صاحب البيان هذا الفصل مبتورا، وجعله عن الوزير ابي زكرياء يحيى وزير المستنصر، والمكتوب اليه هي ملكة قشتالة (راجع في الفصل الرابع عواقب معركة العقاب).

(2) المخاطب في الرسالة هي ملكة قشتالة — فيما يبدو — وهي برنجيلا ام الملك فرناندو والوصية عليه، (راجع في الفصل الرابع نفس الفقرة المذكورة).

(3) في نسخة خ ح/ 6 و ط تطوان : بما تعرفونه.

(4) في خ ح/ 1: المتقد.

(5) في بعض النسخ التي اعتمدتها ط، تطوان : المنير.

(6) في خ ح/ 5 : المتأويلات.

(7) هل يقصد منع الجماعات العسكرية الدينية من الغارات على بلاد المسلمين زيادة على الجيوش الرسمية ؟.

(8) ان الترتيب الزمني يفرض تأخير هذه الرسالة عن المكان الذي وضعت فيه، غير ان ارتباطها بالرسائل السابقة حول السلم مع قشتالة استلزم الحاقها بها.

تنبيه : فيما يخص الرمز (خ ح) بالهوامش انظر الملاحظة على الرسالة 67.

الرسائل رقم 86 و87 و88 و89 :

رسائل تلمح للوضع الداخلي
بالأندلس في أوائل عهد المستنصر فيما يبدو

تقديم :

هناك اربعة رسائل في المخطوط الخاص لا تتحدث عن الحالة الزراعية ولا عن حالة العدو، وانما تلمّح الى الوضع الداخلي، فاحدى هذه الرسائل غامضة تشير الى وصول أوامر من الخليفة وأن الوالي يمتثل هذه الاوامر : (ص 310) رقمها 86، واخرى تشير الى نفس الموضوع مع اضافة التأكيد على صلاح البلاد : (339 ــ 340) رقمها (87)، وثالثة تذكر الرخاء والهدوء في البلاد، وتبديد شمل المفسدين بتطبيق أوامر الخليفة في تأمين الطرق وإنصاف المظلومين : (312 ــ 315) رقمها (88)، ولم ينج الوالي امام تشعب الظروف من معاكسة البعض، إلى أن أتى كتاب الخليفة متوعدا هؤلاء ومؤنّسا للوالي : ومع كل هذا يؤكد الوالي دائما أن البلاد في صلاح وأمن ! (340 ــ 342) رقمها 89، وهذه هي نصوص الرسائل الاربعة على التوالي :

الرسالة السادسة والثمانون :

م خ/330 ....[1] فانما يقطف (المجد)[2] في نجد، ويلمّ الشعث (ويجدد)[3] المبادرة الى امتثال أوامره المطاعة وتمشية أغراضه العلية ؛ والأوامرُ المطاعة[4] ــ أدام الله علاءها ــ محافَظٌ عليها أبدا بالكليّة، والعبد[5] يبذل جهده في امتثالها والله يعلم ما عنده فيها من بذل النصيحة وخلوص النية، وجزى الله الحضرة الإمامية بافضل الجزاء، على اعتنائها بمصالح الأرجاء، وتأكيدها فيما يعود ببسط الامل والرجاء، وتأمين الرعية وسكون الدهماء ؛ فمازالت بركتها تخص وتقصد كل مكان بضروب الإحسان وتُوُم، ويكمُل بها كلُّ خير ويَتِمّ، وما برحت سعادتها تُصلح الأرضِين، وتُبهج الدنيا والدين، وتقذِف في كل قلب بظهورها العِلم اليقين، والله يعين على طاعتها التي يكون بها الفوز بالإسعاد، وهي العمل الصالح المذْخَر للمعاد، ويوافق في كل محاولة إلى ما يقع بوفقها ويحظى برضاها، ويُستعمل في كل حين على ما يزلف من رحماها، ويحفظ الاسلام وأهله ببقاء جلالها، وامتداد ظلالها، بمنّه[6]...

---

(1) هذه اول رسالة في المخطوط الخاص (المجموع)،،، ويظهر بوضوح انها مبتورة.

(2) كلمة مطموسة جزئيا.

(3) في الاصل : (ويجبدد).

(4) «الاوامر المطاعة» غير موضحة هنا على عكس الاشارات ــ الواردة في الرسائل الجوابية ــ الى ما ورد في الرسائل الخليفية المجاوب عنها ، وربما كانت هذه الاوامر تخص الحفاظ على السلم مع قشتالة، او موضوع عيث القبائل العسكرية.

(5) اذا ثبت ان هذه الرسالة كتبت فيما بين اوائل 611 ومنتصف شعبان 612 فان «العبد» هنا من المحتمل ان يكون هو ابراهيم ابن الخليفة يوسف الذي كتب عنه الكاتب ابو العباس بن جعفر معظم رسائل المخطوط الخاص.

(6) لم تصل الرسالة الى نهايتها تماما بالمقارنة مع رسائل اخرى.

الرسالة السابعة والثمانون :

م خ/339 ....[1] فكتب عبد الحضرة الامامية ــ كتب الله لها ما عوّدها من الظهور، وإفاضة النور، ــ وبركات الحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ تعمّ البلاد بأضوائها، وتروي العباد بصادق بُروقها وهامِع أنوائها، وتحفظ الجمهور في ظل لوائها، والحمد لله على هذه النعم حمدا يتكفّل بمزيدها وبقائها، والشكر للحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ من أوكد الاعمال المقرّبات، والامتثال لأوامرها المطاعة من أنجح ما التمُس به في المعاد الفوز بالنجاة ؛ وعند عبد إحسانها من المحافظة على ذلك كله أكمل ما يكون من ذلك عند عُبدانها المخلصين الناصحين، والله يعين على توفية واجباتها وأدائها، ويُنهض بذلك عبدَ علائها، ويَنشر عليه من رحمتها جناحا ويُبقي بركة أمرها العزيز لأبواب السعود وخصّها من إعلائه، وتوالي آلائه، بالمزيد، فإن أحوال الجهات ــ والحمد لله ــ في صلاح تستقبله، ونجاح أمل تستوفيه ببركتها المصاحبة ــ بفضل الله ــ وتستكمله ؛ وإن أهلها في سرور بالالتفات الإمامي الذي عمّ اشتماله، وأقرّ العيون تفصيلهُ وإجمالهُ، ولله يوزع الجميع شكر نعماها، ويعين في كل حال على ما يحظى برضاها، فيزلف من رحماها.

وقد ورد على عبد جلالها أورد الله عليها وفود السرور، وعرّفها الخِيَرة التامة، والبركة العامة، في جميع الامور ؛ كتابُها المعظم الكريم، المتلقّى بما يجب له من التعظيم والتكريم، المتضمّنُ من منافع البلاد ومصالح العباد، ما يسر الجمهور، ويثير السرور، ويصلح الأحوال كلها ــ بفضل الله ــ والأمور، فتلقّاه العبد بواجبه من التعظيم والإجلال، والسمع والطاعة والامتثال، وكل ما أمرت به ــ أعلى الله أمرها ــ يمشي بحول الله وبركتها على الكمال، ويعتمل في مناهجه الواضحة أفصح اعتمال، ويجعل من أهم الأمور وأوكد الأعمال ؛ وتلك عادتها ــ وصل الله تأييدها ــ في حياطة عبادها بنظرها السديد، وتأمين القريب والبعيد ؛ وما زالت بركتها ــ والحمد لله ــ حفيلة وإمامتها

م خ/340 السعيدة بكل مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة كفيلة، والله يجازيها/ على كريم الالتفات وجميل النظر، بأفضل ما جزى به (خلفاءه)[4] المنعِمين على البشر، والعبد يستنفد وسعه في امتثال أوامرها المطاعة وابتغاء مرضاتها، ويستعين بالله تعالى وهو خير معين، وبما تعلّق بظهور بركتها في كل شأن من العلم اليقين، على أداء مفترضاتها، وينتهي إلى حدودها المحدودة، أدام الله مضاءها ــ بحول الله ــ وبركاتها، والله يعينه على ما يُحظِي لديها، ويُنجده على ما يزلف اليها، وهو ــ تعالى ــ يصل لها أسباب النصر والتأييد، والحفظ لمقامها العليّ والتخليد، ويقرِن مساعيَها بالفلاح والنجاح والتوفيق والتسديد، ويُبقي بركتها على جميع العبيد، ويَمدّها بموادّ التمكين، والفتح المبين، في القريب من الارضين والبعيد، بمنه...

(1) الرسالة مبتورة البداية، قارن مثلا مع الرسالة اللاحقة (88).

(2) لعله هو والي اشبيلية ابراهيم بن الخليفة يوسف، انظر الهامش 5 على الرسالة السابقة (86) وانظر اسمه في الرسالة اللاحقة (88).

(3) يبدو ان الاوامر المطلوب تنفيذها تتعلق بالحفاظ على الهدنة مع قشتالة او بموضوع عيث القبائل العسكرية التي سنرى الرسائل المتعلقة بها بعد.

(4) في لاصل :خلفاء.

الرسالة الثامنة والثمانون :

م خ/312 الحضرة الإمامية، القدسية المؤيدة المنصورة العلية[1]، خلد الله أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامَها، ووصل إعلاءها وإظهارها وإعزازها وإعظامَها، وأمد بموادّ التمكين والفتح المبين مقامَها، وأجرى على ما يقرّ عيون البَشر ويقضي بالمسرات والبُشر أمورَها كلها وأحكامَها، عبدُها الطائف بحَرَم جلالها، العاكفُ في معتصم ظلالها، العارفُ بحق ما تعهّده من كريم التفاتها وشريف اهتبالها، المتضرعُ إلى الله في شكر ما غمره من صفو نعمه العميمة وزُلالها، الداعي بحراسة ما ملأ الارض نورا والقلوب سرورا من كمالها وجمالها، المعتصمُ برفيع سَنَدِها ومتين حبالها : عبدُها إبراهيم[2] ؛ سلام الله الكريم، الطيب المبارك العميم، يخص الحضرة الإمامية المؤيدة، المكرمة العالية الممجدة، كثيرا أثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته.

م خ/313 وبعد حمد الله/ على آلائه العميمة (الى آخر الصدر)[3].

فكتب عبد الحضرة الإمامية العلية كتب الله لها ما عوّدها من اطّراد السعود، وازدياد السمو في كل مستقبل والصعود، وأنجز لها في المشارق والمغارب ما وعدها به من كريم الوعود ؛ وبركات الحضرة الإمامية أيدها الله مشرقة الإيَّات[4]، ظاهرة الآيات، مستولية من أنهار سحابها واقتبال شبابها على الآماد[5] والغايات، معرب فيها التكميل والصنع الجميل عن ما لها من الكرامات الربانية والعنايات ؛ والحمد لله على ذلك يمتري أخلاف النعم ويضاعف آلاف القِسم، والشكر للحضرة الإمامية أيدها الله واجب فرض، والنصيحة في خدمتها أوكد الاعمال الموصلة الى «جنة عرضُها السماوات والارض»[6]، والتمشية لأغراضها السنية، والامتثال لأوامرها العلية[7]، أنجح ما التُمس به الفوز بالنجاة يوم يكون الجزاء والعرض ؛ وعند عبد جلالها، ومملوك أفضالها، من المحافظة على ذلك كله أوفَى ما يكون من ذلك عند مماليك إحسانها، وخُلصان عبدانها، الشاكرين لعطفها وحنانها، المتقربين الى الله سبحانه بتوفية ما أوجبه لعليّ مكانها ؛ والله يعين على أداء واجباتها، وشكرِ مِنَحها المترادفة وهِباتها، ويُبقِي بركة أمرها العزيز سِلكًا على نحور الايام السعيدة ولبّاتها[8]، وينشر على

---

(1) يبدو ان المخاطب هو الخليفة المستنصر.

(2) ابراهيم هو — على الارجح — ابو اسحاق بن الخليفة يوسف المكتوب عنه في رسائل سابقة.

(3) قارن مع صدر الرسالة (70) لنفس الكاتب.

(4) كذا في الاصل، واياة الشمس : نورها وحسنها أودارتها كالهالة على القمر.

(5) في الاصل :الإماد.

(6) من الآية 133 من سورة آل عمران.

(7) قد تكون هذه الاوامر متعلقة بمسألة الحفاظ على الهدنة مع القشتاليين، وهذا ما سيتضح من الرسالة نفسها، لكن مع اوامر اخرى لعلها ذات علاقة بمشكل عيث القبائل العسكرية وهذا ما سيتجلى بعد في هذه الرسالة نفسها.

(8) اللبة : موضع القلادة من الصدر.

العبد جناح رحمتها التي سكنت من القلوب في حبّاتها[9] ؛ وإلى هذا ـــ وصل الله للحضرة القدسية عادة حضورها واستيلائها، وحرس على البلاد والعباد كريم علائها وعظيم آلائها ـــ فإن مما[10] وجب به إعلام مقامها الاعلى ـــ أيده الله ـــ أن أحوال هذه الجهات ببركتها والحمد لله جارية على الصلاح المستدام، والعافية الشاملة **والخير العام، والرخاء** الذي ظهرت مباديه، وقوي الرجاء بفضل الله وبالبركة الامامية أدامها الله في تزيّده وتماديه، والسرور بالالتفات الامامي الذي أبهج رائحه الكريم وغاديه، فالزمان والحمد لله بالبركة الإمامية في صعود، والخير في مزيد، والاسلام في ظهور **والكفر في خمود، ومياه الاستبشار** قد جرت في الأبشار جري الماء في العود، والناس في تخليد الحضرة الإمامية الى الله ضارعون، وإلى طاعتها مسارعون، وفي ملابس إحسانها رافلون، وفي مشارع حنانها شارعون ؛/ والله يوزِع الجميع شكر نعمها التي لم تزل عوائدها معروفة، وفوائدها معهودة مألوفة، ولم تبرح دانيةً قطوفها، متعددةً ضروبُها الجميلة وصنوفها. خ/314

وإنه ورد على عبد إحسابنها، ومملوك امتنانها، كتابها الكريم المعظم، المبارك المكرم، تلوح الهداية في أثنائه، وتعشو البصائر والأبصار إلى أشعة سناه وسنائه، ويبتهج الدين والدنيا بتهممه بمصالحها واعتنائه، فعظُم به السرور عموما والابتهاج، وسُلكت من تعظيمه السبلُ الواضحة والمنهاج، فأكرِمْ به من وارد هاد، فَضْلُه واضح وعدله باد، وكل ما تضمّنه **من الاوامر المطاعة تلقاه العبد بالسمع والطاعة**، وأما ما اقتضاه الكتاب الكريم من الامر **بتأكيد أسباب الهدنة وتمهيدها**، فتلك نعمة من نعمها المعهودة على بلادها وعبيدها، ومنّة لم تزل البركة الامامية تتكفل في كل زمان بتجديدها ؛ والله يعين في ذلك وفي سواه على تمشية مَنويِّها الكريم ومقصودها ؛ وأما ما أمرت به ـــ أعلى الله أمرها ـــ من مباشرة أمور الناس مع الأيام، وتخويفهم بالمواعظ الحسنة على الدوام، وإنصاف المظلومين **وتأمين الطرق** أعم تأمين، فالعبد مستنفِذ في ذلك كله من الامتثال جُهده، جارٍ فيه من النصيحة على ما هو والحمد لله عنده، وقد كان أهل الذعارة والفساد **فد اجتمعت منهم جماعات، فعاثت أياما في** هذه الجهات[11]، فأنفذ العبد جملة من الأجناد في طلبهم، وخاطب اهل الجهات بالخروج من كل مكان اليهم والتعاون عليهم، حتى فرّق الله جموعهم وشتت شملهم، وأحلّ نَظمهم، واستنفذت أكثرَهم البركةُ الامامية الظاهرة التي هي لكل محارب بحول الله قاهرة بين قتيل ذاهب، وطريد هارب، ونازل على الأمان تائب ؛ وكل ذلك ببركة الحضرة الامامية العلية، وبخلوص النية في خدمتها والطويّة.

واقترن بالكتاب المعظم الامامي الكريم، ـــ وصل الله للحضرة الامامية أسباب التقديس والتعظيم، ـــ ما وصل به أمرها المطاع، ونفذ به نظرها الجميل الذي لا يطاق شكره ولا يستطاع، من أنواع النعم التي شملت الخاص والعام، وأوردت على أرقّائها الناصحين وعبيدها الموحدين والاندلسيين الفرح العظيم والسرور التام، بماخص كل فريق منهم في مطلوبه من إسعاف/ مرغوبه ؛ أمّا عبد علائها خ/315

---

(9) حبة القلب : مهجته.

(10) في الاصل : م

(11) انظر مجموعة الرسائل التي تتعلق بموضوع عيث هذه الجماعات رقم 79 ومن رقم 90 الى 96.

فيما أوْلته من كرم التفاتها وشرف اعتنائها، والإنعام **برسم التضييف**[12] الذي ضاعفت به ما قبله من نعمها الجزيلة وآلائها، وجرت في الاحسان به ــ شَكر الله إحسانها ــ على مقاصدها المعهودة المحمودة وأنحائها ؛ وإنها لَنعمة يتردد الشكر في أثنائها، ولا يفي الاحتفال فيه ولو أُمدته كل براعة بأقل جزء من أجزائها، والله الكفيل بثوابها عليه وحسن جزائها ؛ وأما عبيدها الموحدون فيما أنعمت به عليهم من إجراء الطعام لهم فصُنِع لهم كلما[13] أمِرَ به، وكثر فرحهم وعظُم شكرُهم ودعاؤهم بسببه، وتلك النعم التي ألِفُوها وعهِدوها في الحضرة الامامية وعرفوها، أوزَع الله شكر سحابها المنهمِر ماؤها، المتعارَف نماؤها.

وأما عبيدُها الأندلسيون فما جَهَموا[13] مما قرىء عليهم من أمرها النافذ المطاع من قطع كراء ديارهم المنزَلةِ الآن من **بركة ساكنيها** حتى يقتصروا على الضروري الذي لابّد منه، وإنها لَنعمةٌ لا يقدَّر فرحُهم بها، ولا يحصر شكرهم عليها ؛ ارتفعَ ضجيجهم فيها بالدعاء للحضرة الامامية التي أنعمت عليهم بذلك بحسن الجزاء، وعلت أصواتُهم بالحمد والشكر والثناء، وعلموا أن ديارهم إنما هي مُلكهم حيث أمِر لهم فيها بأخذ الكراء، وظفِروا بعد القنوط واليأس منها بالطمع فيها والرجاء، وأكثرها إنما هي ديار الضعفاء ؛ وتلك عادة الحضرة الامامية في الرفق بالضعفاء، فكل فريق من عبدانها، يَضِجّ بشكر ماجاءه من إحسانها، وشمله من إشفاقها وحنانها، والله يجازيها بأفضل الجزاء على حسن نظرها لعُبدانها وبلدانها ؛ فما زالت أياديها تلوح في أعناق الانام، أطواقا كأطواق الحمام، وما برحت تورد مواردها، وتلبس ملابسها وتعهد معاهدها ؛ والله يحرس منها ما أُلف، ويبقي ما عُرف، ويوزع من شكرها ما يستحفظ مالوفَها، ويستزيد معروفَها، وهو تعالى يديم للحضرة الامامية ما عودها من نصر الأعلام، وتيسير المَرام، ومساعدة الليالي والايام، ويعين على واجبات خدمتها، وشكر نعمتها جميع العبيد والخدّام، بمنه....

(12) يبدو انه منحة اضافية في مقابل نفقات الوالي التعلقة بالضيافات الرسمية، انظر امتيازا آخر للوالي في الرسالة 79.

(13) كذا في الاصل، والاصوب : كلُّ ما.

(14) جهم : صار عابس الوجه.

الرسالة التاسعة والثمانون :

خ/340 ....[1] وبركات الحضرة الامامية — أيدها الله — تغدو كما عرفت في حلّة الجمال وتروح، وتبدو على ما ألفت من الكمال وتلوح، ولله على ذلك الحمد الذي يتضاعف والخير[2] الممنوح ؛ ومملوك إحسانها[3] على أوفى مايكون عليه المخلصون الناصحون من عبدانها من الجد في خدمتها، والتضرع الى الله في شكر نعمتها، **والمحافظة على امتثال أوامرها المطاعة**، والاجتهاد في تمشية أغراضها الكريمة جهد الاستطاعة ؛ والله يعينه على ابتغاء مرضاتها، وأداء مفترضاها، ويوزعه شكر نعمتها، وينشر عليه جناح رحمتها ؛ واحوال هذه الجهة ببركتها — والحمد لله — في صلاح يتفتح بابه، ونجاح تتأكد أسبابهُ، وامن يتمهد بالسعادة الامامية — والحمد لله — جنابُه.

وبعدُ، وصل الله للحضرة الامامية ما عوّدها من السعادة، وأجراها من العناية الربانية على حسن العادة؛ فإنه ورد على عبد علائها[3] كتابها المعظم الكريم، أُعظِمْ به من وارد بالسرور، وأكرِمْ به من واصل بما فيه صلاح الامور، فتلقاه العبد بما يجب لمثله، من تعظيم قدره وشكر فضله ؛ والنصيحة في خدمتها عقيدة دينية وقاعدة شرعية، بها يصح كمال الايمان؛ ويُنال رضى الرحمن ؛ والذي عند عبد نعمها ومملوك كرمها، من المواصلة لهذا الاعتقاد، وموالاة[4] الجد في طاعتها والاجتهاد ؛ لا يزال مع الأيام في ازدياد، ولا ينفكّ على ما يرجو به الفوز بالنجدة في الميعاد، والله يوزع الجميع شكر نعمتها، وينشر على الكل جناح رحمتها، وينهض بواجبات خدمتها، بمنه وكرمه.

م خ/341 وبعدُ، وصل الله/ للحضرة الامامية أسباب الظهور، وجعل على وفق اختيارها جريَ الامور — فإنه ورد على عبد إحسانها، ومسترق لحظها وامتنانها، كتابها المعظم الكريم بما اقتضته نعمتها، وتضمّنه فضلها ورحمتها، من **الإنعام والتنويه**، والالتفات المتناهي فيه، والغرض الكريم الذي يستوعب جميع الخير ويتسوفيه، فطارت بالعبد عند وصوله أجنحة السرور والجَذَل، وبلغ بمضمّن فصوله غاية المتمنّى ونهاية الامل، وتضرعَ الى الله في ان يتولى من شكره ما ليس لمخلوق به من قبل، وجعل التعظيم له والعلم بقدره شعارَه، وطفق يقطع بشكر متضمّنه ليله ونهارَه، ويرى أنه إذا بذل في الإعلام بما عنده من شكر هذه النعمة الوسعَ والجُهدَ، وحمل نفسه من التوغل في شرحه الجَهد، وتجاهَد[5] في الاحتفال في وصفه الجدّ، فلم يوفِ مع ذلك حق الإعلام بكنه ما في نفسه من شكر ما غمره من النعم التي يتفيأ[6] ظلالها، ويسيغ زلالها، خصّه من العناية الكريمة التي يلتحف بُرودَ إحسانها، ويقتطف ثمَرَ عطفها وحنانها ؛ فقصاراه أن يعترف للحضرة الامامية بالعجز

---

(1) الرسالة مبتورة البداية قارن مع الرسالة السابقة موقع العبارة «وبركات الحضرة...»

(2) في الاصل : يتضاعف الخير.

(3) لعله نفس المكتوب عنه سابقا اي ابراهيم.

(4) في الاصل : وموالات.

(5) تجاهد في الامر : جد وبذل وسعه.

(6) في الاصل : يتفيؤ.

عن شكرها، ويتضرعَ الى الله في تأييدها ونصرها، ومجازاتها على نعمها التي تعجز الالبسنة عن حصرها.

وأما ما اقتضاه الكتاب المعظم الكريم، من كفّ أولائكم الذي تألّم العبد منهم، ومما صدر عنهم، فذلكم نظر كريم محسب، وتنويه عظيم مطنب، وفضل فيه المقنع، وفي نظر الحضرة الامامية الخير أجمع ؛ وليس الآن الا الهدنة والسكون، والخيرُ الذي هو من بركة الحضرة الامامية مضمون، وبركتها كان ويكون، والله تعالى يجازيها عن عبد إحسانها بأفضل الجزاء، ويستجيب فيها صالح الدعاء، ويوزع شكر نعمتها التي لو استعيرت له ألسنة البلغاء وبلغاء الفصحاء، لم يوتِ منه على الجَهد الا باقل جزء من الاجزاء ؛ وأما ما اقتضاه (الكتاب) الكريم[7] من الوعيد بالنظر الذي يعم برشد الله صلاحُه ويظهر بفضل الله نجاحُه، فتلكم نعمة قضت ببسط الآمال[8] وبهجة النفوس، وأهدت الى الجميع أعظم التأنيس، والله يقرّب إنجاز الموعود، ويقضي بالاياب الحميد بعد ا لفوز بالمقصود، والاستيفاء لجملة السعود ؛ وأما ما أنعمتْ به الحضرة الامامية على عبد نعمها من التأنيس في كتابها الكريم الصادر عن عظيم عطفها وكرمها، فليست بأول نعمة وصلت له اسبابها، وأضْفت/ عليه جلبابها، ولا بأولِ منّة من مننها التي تتملك القلوب، وتمنح المطلوب، كلاً إنها عادتها في الاحسان، وبركاتها التي تفيض على نصحاء العبدان، ونعمتُها التي ليس شكرُها في استطاعة الانسان، تولّى الله جزاءها وشكَر نعماءها، كما نصر أعلامها، وأعلَى مقامها، وجعل الأرواح مماليكها والقلوب خدّامها، ولا زالت السعود تسير خلفها وأمامها[9]...

م خ/342

---

(7) في الاصل : ما اقتضاه الكريم.

(8) في الاصل : الإمال (بهمزة في الاسفل).

(9) الرسالة غير منتهية فيما يبدو.

الرسائل من رقم 90 إلى 96 :

مجموعة رسائل حول عيث العناصر العسكرية العربية والكومية بالأندلس

تقديم :

سبق لبعض الخلفاء الموحدين ان وطّنوا بعض العناصر البربرية والعربية في بعض الجهات الاندلسية لتدعيم السيادة الموحدية بها، الا انهم عندما يقررون الجواز الى الاندلس «للجهاد» كانوا يستنفرون القبائل لتشارك بحصصها في الحملة، ومثل هذا وقع بالنسبة للقبائل العربية بالمغرب وقبيلة كومية عصبية بني عبد المومن للحركة مع الناصر وخوض معركة العقاب التي انتهت بالهزيمة وتفرّق اكثرية من نجا من المعركة ؛ ويبدو أن الناصر عندما عاد الى المغرب لم يأذن لكومية والعرب بالجواز معه او على الاقل لقسم منهم، غير ان ظروف بقائهم بالاندلس لم يكن مجديا بالنسبة لهم فالهزيمة تبعتها المجاعة والامراض ثم توقيع الهدنة بين الموحدين وقشتالة، فأخذت هذه العناصر العربية والكومية ــ وهي لا تملك ارضا للعيش ــ تهدد الطرقات وتنهب السكان : اموالا ومزروعات، فكثر التشكي من فعلهم الى ان أذن لهم الخليفة المستنصر بالجواز الى المغرب[1].

وهذه مجموعة من المراسلات حول عمليات النهب التي قامت بها هذه العناصر وموقف السلطة منها، وقد وردت في مخطوط العطاء والمخطوط الخاص وهي كالآتي :

ــ الرسالة رقم (90) في العطاء (ص 167 ــ 169)، ومن انشاء ابي القاسم البلوي مؤلفه.
ــ الرسالة رقم (91) في العطاء (ص 169) ومن انشاء ابي القاسم البلوي.
ــ الرسالة رقم (92) في العطاء (169 ــ 170) ومن انشاء ابي القاسم البلوي أيضا.
ــ الرسالة رقم (93) في العطاء (170 ــ 171) ومن انشاء ابي القاسم البلوي.
ــ الرسالة رقم (94) في المخطوط الخاص (322 ــ 325) (وتتضمن ايضا الحديث عن الفتنة بين النصارى).
ــ الرسالة رقم (95) في المخطوط الخاص (347 ــ 348) وتشير ايضا الى موضوع المفاوضات فيما يبدو.
ــ الرسالة رقم (79) في المخطوط الخاص (349 ــ 352) وتتضمن ايضا موضوع المفاوضات[2].
ــ الرسالة رقم (96) في مخطوط العطاء (ص 7) من انشاء «صاحب القلم الاعلى ابي عبد الله بن عياش[3]». وهذه هي نصوص الرسائل على الترتيب ما عدا نص الرسالة رقم 79 فهو يوجد ضمن الرسائل الخاصة بالمفاوضات :

(1) انظر هذا الموضوع في الفصل الرابع ضمن عواقب «العقاب» بالنسبة للموحدين.
(2) رسائل المخطوط الخاص هي من انشاء ابي العباس بن جعفر، ولعل رسالتيه 88 و 89 لهما علاقة بموضوع عيث كومية والعرب.
(3) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

الرسالة التسعون :

ع/167 الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد[1] بن الشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل المرحوم أبي اسحاق، ادام الله عزته، ووصل كرامته ورفعته، وليُّه في الله تعالى ومحبّه فيه، البرُّ بجانبه، الموثر له، الحفيُّ به : إبراهيم[2] بن سيدنا أمير المومنين بن سيدنا أمير المومنين، سلام كريم يخصكم كثيرا ورحمة الله وبركاته ؛ أما بعد حمدِ الله خق حمده[3]... (إلى آخر الصدر)[4].

فالكتاب إليكم ـــ كتب الله لكم دوام السعادة وبلوغ الأمل كله والارادة، من اشبيلية ـــ حرسها الله ـــ وبركات الحضرة الامامية ـــ أيدها الله ـــ واضحة الأسلوب، كفيلة بالفرج العاجل لكل مكروب، وبنيل كل مرغوب، ودَرْك كل مطلوب، والحمد لله رب العالمين كثيرا ؛ والودّ لكم ـــ أدام الله عزتكم ـــ موصول، والاعتقاد فيكم جميل، والإيثار لكم حَسَنُ المذهب،والشكر لمقاصدكم الحميدة متصل السبب، والله يجعل ذلك في ذاته باقيا، وفي دَرَجَ مرضاته راقيا.

وإلى هذا ـــ وصل الله عزتكم ـــ فإن من أهم ما ينهيه مجلّكم إليكم، وآكدِ ما تقتضي النصيحة تقريره وتكريره لديكم، حالُ مَن هنا من فلانة ـــ أصحهم الله[5] ـــ فإنهم قد عاثوا في هذه الجهات، وبالغوا في نكاية أهلها، واشتدت وطأتهم عليهم بالقهر والاضطهاد، والبسط في العدوان والاشتداد ؛ وقد توالى اعتداؤهم تواليا مقلقا موحشاً (مكلاً)[6] مجحفا مكدّرا للرعية ما تعوّد (ت صـ)ـفاءه[7] من نعمة الأمر العزيز ـــ أدامه الله عليها ـــ، وقد كان مجلّكم خاطب مَجْدَكُمْ قبل هذا بأفعالهم وما لحق الرعية من الخوف الشديد على زرعها الذي هو قوام حياتها، ومُمْسِك رمَقِهَا ع/168 وما(دّ)ة أقواتها، وأطلّت الآن الصائفة التي صافت، فأدرك الرعيةَ ما خشيت من الضرر فيها و (خافت) فإنهم شحذوا للاستطالة مُداهُم، ومَدّوا في الاذاية خُطاهم، وتلمّظوا للزرع تلمّظ المستعدّين لانتهابه، المتأهبين لأن يحو(لوا) بينه وبين أربابه، وما هو لعمرُ الله بهم إلا كفريسة بين ظُفر الليث ونابه، وقد تسببوا إلى الرعية باسباب، وفتحوا عليها من المطالبة جملة أبواب، تارة بقتيل يدّعون على من شاءوا بقتله، وتارة بتكاليف[8] يُلزمونهم منها ما يضعُفون عن حمله، ويجاذبونهم انواع

---

(1) هو الوزير ابن جامع، انظر الهامش 1 على الرسالة 79.

(2) هو المذكور ايضا في الرسالة رقم 79 مثلا، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(3) الى هنا ينتهي نفس التقديم الذي نجده في الرسالة رقم 79.

(4) قارن مع رسائل اخرى غير مبتورة مثل رقم 70.

(5) بمقارنة الرسائل المشتركة التقديم هنا يترجح ان يكون هؤلاء كومية، خاصة وانهم مدعوّ لهم بالصلاح، وكان وجود هؤلاء بالاندلس مؤقتا (انظر الرسالة رقم 96).

(6) كلمة شبه مأروضة.

(7) مأروضة.

(8) هل كانوا ـــ كقبائل عسكرية ـــ مكلفين بجباية الضرائب، ام ان هذه الاعمال هي مجرد تعديات من هذه العناصر ؟

الغلات، وفوائد الثمرات، فيكتسحون أكثرها، ولا يتركون لهم إلا الجزء الاقل منها ؛ وقد كانوا فعلوا في فلانة[9] ما قد بلغكم خبره، وأهلها مزمعون الجلاء عنها، والفرار أمامهم منها، وإسلام ما لهم به من الأموال، فرارا من مقاساة الشدائد عليها والأهوال، وجلّ ما كان فيها من العصير[10] في العام الفارط لم يتحصل لأربابه معهم منه إلا ما فضل عنهم وسَلِم منهم، واما العصير المستقبَل فما يتعلق لأربابه على ما ذكَروا به أمل ؛ وفي هذه الأيام رمت جماعة منهم ليلا على جهة من جهات فلانة[9] فاستغاث أهلها ودافعوهم عن أنفسهم، ثم ادّعى الفلانيون[11] أنه وقع منهم قتيل بين أهل الجهة المذكورة، ووُجد عند سانية رجل هرغي من القدماء هنالك، فعلّقوا دعواهم في قتله بالهرغي[12] الذي وجد القتيل بزعمهم عند سانيته، فسجنه حافظ الموضع اجتهادا وتسكينا للنائرة، فبلغ الاعتداء بفلانة[13] إلى أن اقتحموا سجن فلانة في وسط النهار، وذبحوا الهرغي المذكور بأيديهم، ثم أحالوا على الرعية أيديَهم وبسطوا فيهم تعدّيَهم، وطلبوهم بمغارم مثقِلة، وتوعّدوهم عليها بإحراق الزرع وافشاء القتل، وهلاك الحرث والنسل ؛ وعلى هذه النسبة هي افعالهم في سائر المواضع التي ينتابونها من هذه الجهات سواء هي في فلانة وفلانة وفلانة[14]، ولم ينفكوا في كلها عن العدوان المتمادي، ومزوارُهم[15] خلال ذلك يشكو الناسُ إليه فلا يُشكيهم، ولا يتحرك من مكانه لشيء من النظر في كف ايديهم، ولا يَظهر منه أثر، ولا يصدر عنه في قطع العادية نظر.

ويظهر من القوم ــ ادام الله عزتكم ــ ما قد أعلنوا به وصرّحوا، من أنهم انما يقصدون المبالغة في الضرر ليُسمَع خبرهم فيجازوا البحر ويسرَّحوا[16] فهم يتبحّرون في عدوانهم، بغاية وُسعهم وجُهد امكانهم ؛ وقد ضجت الرعية ضجيجا، وعجَّت بالشكوى عجيجا، ورجت للغمّاء من الالتفات الامامي تفريجا، ورفعت أصواتها بالاستغاثة والاسترحام، ونادت حضرة العدل التي هي نصرة المظلومين وملجأ المقهورين الملهوفين من الأنام، وانزعجت لما نالها من الضرر الشديد البَرْح، الخارج عن الحد المربي على الشرح، والفتك الذي اقتضى لها ضيق الذرع، والقهر الذي تخاف أن يحول بينها وبين ضم الزرع، ولقد اقسم أهل فلانة انهم لولا تقيّدهم بالحبوب التي لهم فيها، وتعلّق نفوسهم بما يرجونه من تحصيلها لَما بقُوا فيها ساعة، ولخرجوا بالأهل والولد منها فارين

---

(9) كذا بالاصل.

(10) اهمية العصير بالاندلس جعل اهلها يتخذون عيدا خاصا به (العبادي في مقال بمجلة «عالم الفكر» م 10 ع 2 سنة 1979 ص 107).

(11) هم المشار اليهم في الهامش 5.

(12) لعل هذا مايدعم كون الجماعة العائثة غير مصمودية وكانت كومية هي عصبية بني عبد المومن من غير المصامدة بالاضافة الى العرب.

(13) انظر الهامش 5.

(14) كذا، مما ضيع علينا اسماء هذه الجهات الثلاثة.

(15) عن المزوار انظر الميدان العسكري في الفصل الاخير.

(16) وهذا مايؤكد كونهم ليسوا من الموطّنين القدماء بالاندلس، وسيسمح الخليفة بجوازهم ى المغرب : كومية اولا ثم العرب، انظر الرسالة 96 والفصل الرابع ضمن عواقب «العقاب» بالنسبة للموحدين.

عنها لما لحقهم من الضرر الذي لا صبر لهم عليه ولا بقاء لهم معه، حيث تُقتحم عليهم الديار، وتستغلَب بناتُهم الأبكار، وتسلب أموالهم بالقهر والاقتسار، ويُقتَلون عليها سرّا وعلانية بالليل والنهار، وتُخوّ ف قراهم تخويفا يضطرهم إلى الجلاء عنها والفرار، **وما لأحد هنا طاقة بكفّ فلانة عنهم ولا اقتدار** ؛ فان فلانة قد اشتغلوا بحصاد الزرع قهرا في جميع الجهات التي حَلُو (اب-)ـها، وقد فشا عيثهم في كل مكان، وصار حديثا للركبان، وأمراً مفـ(ـزعاً) للرجال والنساء والولدان، فالناس بسببهم في هذ الجهات (مـ..ـون)[17]، وعلى جميل النظر الامامي/ موقوفون، وإلى حنان المقام القدسي مُتشوفون، ولِاستيصالِ أموالهم وانقطاع آمالهم إن أبطأ النظر الكريم عنهم متخوّفون ؛ ورحمة المقام الامامي — ايده الله تعالَى — تتداركهم ان شاء الله بتعجيل الأمان، وتتكفل لهم بصلاح الزمان، وترفع عنهم ما قد اشتد بهم من العدوان، عملا على ما عوّدته من تأمين المرتاع واغاثة اللهفان ؛ وقد أفهمكم مجلّكم الحال بما فيه كفاية من الإفهام، ولم يفرّط في التعريف في ذلك كله والإعلام، وأنتم ان شاء الله تغتنمون الأجر الجزيل، والذكر الجميل، بحسن الوساطة التي يحسن أثرها، ويَسرّ خبرُهَا، بفضل الله، والحضرة الامامية — ايدها الله — أنظَرُ لعبادها، وأحوَط على بلادها، والله يعين الجميع على ما يحضي برضاها، ويُزلف من رحماها[18]...

ع/169

((17) قدر كلمة مأروضة الوسط يمكن ان تكون هكذا : (مأوفون).

(18) يمكن تأريخ هذه الرسالة باواخر سنة 611 حسبما يتضح من المقارنة مع الرسالة اللاحقة (92) والمؤرخة بمحرم 612، فالرسالة كتبت اذن قبل هذا التاريخ.

الرسالة الواحدة والتسعون :

ع/169 ...وإلى هذا، وصل الله عزتكم[1] ــ فان من أهم ما يجب تبليغه وانهاؤه، وأوكدِ ما يتعين بحكم النصيحة تقريره وتكرير رفعِه واعادة ذكره وإبداؤه، ما اشتد بالرعية في هذه الجهات من بأس فلانة ــ أصلحهم الله[2] ــ وحلّ بها من استطالتهم الشنيعة وتعدّيهم الفاحش ؛ فإنهم ــ ادام الله حظوتكم ــ قد عاثوا في هذه الجهات بوجوه من العيث كثيرة، وبالغوا في نكاية أهلها مبالغة مبيدة مبيرة، وإن الناس معهم من الاضطهاد، وظهور الاختلال في احوالهم والفساد، لَفي مشقة مفرطة وفي شدة كبيرة، قد تجاوزوا حد النهاية من الظلم والحيف، وعظُمَ فسادهم عن أن يحيط به التفسير في جواب ؛ كيف وغادروا الرعية بين مرعوب مسلوب يرهب الخيال منهم والطيفَ، وينتظر الفقر بانتهاب زرعه في هذا الصيف، وبين محرَّق بالنار ومُقتَّل بالرمح والسيف، قد تفاقم أمرهم كل التفاقم، وتعاظمَ أمرهم كل التعاظم، وتلاطَم بحرهُم اعظم التلاطم، فما يُبقون ولا يذرون، يعيثون الليل والنهار لا يفتُرون، وقد ضجّت الرعية ضجيج السقيم الناحل، وأجهشت للحضرة الامامية العادلة إجهاش يوسف عليه السلام لقبر راحل، وأشارت اليها ــ ايدها الله ــ بأيدي الاستغاثة إشارة الغرق بين موج البحر الى اهل الساحل، ينادون غوثا غوثا ! وعطفاً عطفاً ! ويسترحمون إمامهم ومولاهم ــ بسط الله أنواره ــ حناناً حناناً، ولطفاً لطفاً !

وقد كان مجلّكم طالعَ قبلَ هذا بأفعال القوم[3]... (ثم استمررتُ على نص التي قبلها)[4].

---

(1) الرسالة موجهة ــ حسب كاتبها صاحب العطاء ــ الى «القائد الأجل ابي القاسم بن مثنّى رحمه الله» ويبدو انه كان مكلفا باحدى الجهات الاندلسية المتضررة من اعمال الجماعة المذكورة في هذه الرسالة والتي سبقتها، وهذه الرسالة بدون صدر ولا تتمة.

(2) انظر الهامش 5 في الرسالة السابقة.

(3) لاحظ مثلا رسالته السابقة الى وزير المستنصر.

(4) هذا تعبير البلوي منشيء هذه الرسالة، وهو يقصد الرسالة التي سبقتها مباشرة في المخطوط وفي هذا المجموع ايضا، اي رقم 90، وعلى هذا يكون تاريخها بعد التي قبلها بحيث لا يبعد كثيرا عن تاريخها.

الرسالة الثانية والتسعون :

ع/169 ....والى هذا — وصل الله عزتكم[1] — فإن مجلكم ينهي اليكم من شرح الحال ماهو أهم ما يُنهى ويُرفَع من كبير الخَطب وجلِّه، وأوجبُ ما يُنظر في حسم عِلله ورمِّ خَلَلِه، وذلكم أن فلانة[2] الذين هنا بهذه الجهات قد عاثوا فيها، وتبسّطوا بأشنع استطالة وأفحش تعدٍّ في نواحيها، وامتدت أيديهم الى سفك الدماء، وانتهاب الأموال واستغلاب للنساء[3]، واقتحام الديار، والانتقام من الرعية بأنواع الأضرار، والتقتيل بالسلاح والتحريق بالنار، وأحالوا أيديَهم على الرعية يسومونهم سوء العذاب، ويتسببون اليهم بشتى أسباب[3]، ويطلبونهم بمغارم مجحفة مقلقة، ويتوعّدونهم بإحراق الزرع وإفشاء القتل إن توقفوا عن أدائها[4]؛ ومزوارُهم خلال ذلك يُشْكَى فلا يتحرك لنظر، ولا يَظهر منه حميد اثر، وقد اقسم أهل فلانة[5] باوكد القَسم انه لولا ما لهم من الحبوب التي تعلقت خواطرهم بضمها، وكادت نفوسهم تموت من الخوف عليها (بـ)ـلمّها، لفروا اجمعون

ع/170 من البلد، بالأهل والولد ؛ وأما أهل فلانة[5]/ فقد لاذوا بالفرار، ولم يجدوا سبيلا الى القرار، وجلُّ عصيرهم الفارط فلانةُ[6] استاصلوه دون اربابه،اما العصير المستقبل فما يتعلق به — على ما ذكر — املٌ لأصحابه ؛ وقد كانت الرعية شديدة الخوف على زرعها في هذا الصيف[7]، والآن قد أدركهم فيه ما خافوه من الحيف ، فإن فلانة[2] اشتغلوا في جميع الجهات التي حلّوا بها بالتعدي قهرا في الحِصاد، وكيف يخلص أرباب الزرع اليه وهو فريسة في سواعد آساد، وأما الغلات وفوائد الثمرات، فقد وزّعوها على انفسهم قَسما، ولم يُبقوا لأربابها فيها حظّا ولا قِسْماً، إلا ما تخطّته اليد العادية، وشذّ عن تلقّي الرائحة منها والغادية.

وقد ضجّت الرعية ضجيج الهلكَى، واستغاثت استغاثة الغرقَى، واشتد بها اليأس اشتدادا كليا، ولحقها الحيف ومسّها الضرّ مساً واضحا جليا، وألظّت بالغوث دعاءا ونداءا، ودفعت شكواها إلى المقام الإمامي مقَام العدل والإحسان — أيده الله — إعادة وإبداءًا، ملهوفة مضطهدة، مورقة في دياجي التظلم مسهَّدة، مقهورة مرعوبة منكَّدة ؛ والمقام الامامي — ايده الله — أرحم بها وأرأف، وأحنَى عليها وأعطف، ونظره الجميل لعباده وبلاده أغلى وأشرف ؛ وأنتم ان شاء الله تسعون في

---

(1) لعله نفس المكتوب اليه في الرسالة رقم 90 (اي الوزير ابن جامع)، وهي هنا بدون صدر،

(2) نفس الجماعة المذكورة في الرسالة 90 على الارجح.

(3) كذا في الاصل.

(4) راجع الرسالة 90 والهامش عليها رقم 8.

(5) لعلها احدى الجهات التي سميت بفلانة في الرسالتين 90 و 91.

(6) اي الجماعة الناهبة المذكورة سابقا، انظر ايضا عن العصير الرسالة 90 والهامش 10 عليها.

(7) خاصة وان السنة الفلاحية التي قبلها (610 — 611) كانت سنة قحط كما تلمح لذلك رسائل المجموعة من رقم 70 الى 76

حسم هذه العلة سعيا جميلا، مبتغين من الله اجرا جزيلا، والله يعين الجميع على ما يرضاه، ويقع بِوَفق المقام الإمامي ايده الله، وهو تعالى يديم عزتكم، ويصل رفعتكم، والسلام ؛ وكتب في الموفي عشر(ين)[8] محرم سنة ثنتي عشرة وستمائة[9].

(8) يمكن ان تقرأ هكذا : عشر من محرم.

(9) هذا التاريخ يوافق يوم 21 مايو 1215 (T.C)، اي في اواخر الربيع واوائل الصيف للسنة الفلاحية (611 — 612) هـ.

الرسالة الثالثة والتسعون :

ع/170 ....وإلى هذا ـــ وصل الله عزتكم[1] فإن مجلكم يُنهي اليكم من أحوال الرعية مع فلانة في هذا الوقت ما لا يسعه الكتم، بل يجب البدء بالتعريف به والختم[2]، لما يُخشى أن يؤول اليه أمرهم، إن لم يُطفأ بالنظر الإمامي الكريم جمرُهم ؛ وذلك أنهم شحذوا لإذاية الرعية مُدى التعدّي، وتوافقوا على استباحة المحذور وإحالة الايدي، وصمُّوا عن الناهي والزاجر، وأضرّوا بالبرِّ من جيرانهم والفاجر، وتهاونوا بسفك الدماء، واستغلاب النساء، وانتهاب الأموال، وإفساد الاحوال، جامحين في ذلك ملء العنان، منتهين فيه الى أقصى وجوه العدوان، وقد أخافوا القرى إخافة اضطرت أهلها الى الجلاء، والفرار من البلاء، وبخاصة قرية فلانة التي على الوادي[3] فإن أهلها قد فرّوا عنها، وهربوا منها، وتركوها خاوية على عروشها، لا يجرأ[4] احد على دخولها خوفا من فلانة[5]، وعلى أن هذه القرية لم يفرّ أهلها في القديم، إذ كان ابن الرنق[6] يقاتل المسلمين بطِريانة[7]، ويجوس خلالها، بل كانت قرية سنت بس[8] حينئذ عامرة لم يبلغ الرعب بأهلها مبلغه الآن من فلانة لِما ساموهم من سوء العذاب، وفتحوا عليهم للمطالبة من الابواب ؛ ولقد قَبض أناس من فلانة في هذه الايام على رجل في القيسارية مشتغل بشغله، وقالوا : جرّوا هذا لنقتله، فإنه من قرية فلانة[9]، فأنقذته الرعية من أيديهم، وغلّقت القيسارية، وخاف الناس على أموالهم ومتاعهم، وامتنعوا من فتح حوانيتهم حتى أنّسوا وسكّنوا، ووُعِدوا بقرب النظر الامامي لهم ؛ وكذالك يفعلون في هذه الايام بأرباض اشبيلية، يقتحمون ديارها ويقتلون الرجال والنساء ويسلبون أموالهم، وفي الجمعة الفارطة قتلوا شيخا كان خطيبا بفلانة وسلبوه ثيابه عند انصرافه من صلاة الجمعة الى المدينة ؛ وقد كثر مثل هذه الافعال منهم في هذا الوقت كثرة ملأت قلوب الرعية خوفا وجزعا، فالناس بسببهم ملهو(فون)، يَضَجّون ع/171 ضجيج الهلكَى، ويستغيثون استغاثة الغرقى، ويَمدّون أيديهم بالشكوى، ويسترحمون/ المقام الإمامي (الذي) عوّدهم الرفق والرحمى، **ويخافون أن تحملهم الغيرة على حُرَمهم وبناتهم ونفوسهم وأموالهم**

---

(1) الرسالة ناقصة الصدر، والمكتوب اليه يبدو انه هو نفس المخاطب في الرسالتين السابقتين 90 و 91.

(2) هل يقصد أنه آخر انذار الى السلطة المركزية ؟

(3) هكذا في الاصل بدون تسمية للوادي،،، ولعله الوادي الكبير مادام الكاتب يكتب من اشبيلية ويتحدث عن الجهات المتضررة بعبارة هذه الجهات.

(4) كذا في الاصل.

(5) قد تكون هذه الجماعة العائثة هي المشار اليها في الرسائل السابقة واللاحقة اي كومية، وقد تكون عناصر عربية (لغياب الدعاء هنا بالصلاح).

(6) ابن الرنق : هذه الكنية كان يطلقها المسلمون آنذاك على ملك البرتغال ولعل المقصود هو الفونسو الثاني الملقب بالبادن (1211/ 608 ـــ 1223/ 620) ابن سانشو الأول ابن الفونسو هنريكيز.

(7) طريانة : احدى حصون اشبيلية الجنوبية غربي نهرها (انظر الخريطة عند عنان 2/ 479).

(8) سنت بس : لعلها سانتي بونثي (Sante ponce) شمال غربي اشبيلية ببضع كلمترات.

(9) هل هي طريانة أو سنت بس او قرية ثالثة ؟

على أن يدفعوا عن انفسهم بأيديهم، فيؤول ذلك الى ما يكرهون والعياذ بالله من ذلك[10] ؛
وعلى الجملة ــ ادام الله عزتكم ــ فإن حال فلانة[11] قد تفاقمت تفاقما تُخشَى عاقبته (... النصيحة....)[12] وتوجب للغيرة على حقوق الامر العالي رفعَه، والمقام الأمامي ــ ايده الله ــ أرحمُ لعباده وانظَرُ لبلاده[13]...

---

(10) هل هذا يثبت ان حق الدفاع عن النفس كان ممنوعا او مقيدا، وان هذا واجب السلطة وحدها ؟

(11) استعمال فلانة بدون دعاء بالصلاح هل يخص العرب ام كومية، فوقع الاستغناء عن الدعاء لما لتكرر فسادها ؟

(12) قدر ثلاث كلمات في المجموع مأروضة كلا او بعضا.

(13). الرسالة غير منتهية وبالتالي غير مؤرخة ويبدو انها لا تتأخر كثيرا عن سابقتها، اي انها قد تكون مؤرخة بما بعد محرم سنة 612.

الرسالة الرابعة والتسعون :

م خ/322 حضرةُ الخلافة العلية، والامامة السعيدة السنية، مطلعُ الانوار العاكفة، ومنبع البركات الدارّة الواكفة، وصل الله تأييدها وخلّد أيامها وضاعف سموها وأعلى أعلامها، وشكر إحسانها المترادف المتضاعف وإنعامها، وأبقى بركتها العظيمة الجسيمة وأدامها ؛ عبدُ مقامها الكريم، ومملوك فضلها العظيم، المتضرع الى الله في شكر إحسانها المتتابع وإنعامها الجسيم، الداعي بدوام أيامها التي سَفرت م خ/323 السعودُ فيها عن كل وجه وسيم، غَذِيُّ نِعمها، ورهينُ شكرِها، إبراهيم[1] ؛ سلام كريم طيب مبارك عميم، على حضرة التقديس والتكريم، كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله كما يجب لجلاله، والصلاةِ على محمد رسوله المصطفى وعلى آله، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وارث شِيَمه النبوية وخِلاله، وعن الخلفاء الراشدين[2]، الايمة المرشدين، الذين مشّوا أمره العزيز الى غاية كماله، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أبي يعقوب[3] ابن الخلفاء الراشدين ببلوغ آماله ودوام سعده وتمكينه ويمنه وإقباله، وبالصنع الأجمل والنصر الأعز الأكمل في كافة أحواله.

فكَتب عبدُ إحسانها، ومسترَقُّ عطفها وامتنانها ــ كتب الله لها صلة ما عوّدها من إفاضة النور، ومساعدة القدَر في جميع الأمور ــ وبركاتُها وصل الله علوّها طاميةُ العُباب، ونِعمُها على القريب والبعيد.والكبير والصغير هاميةُ الرِّباب، والتفاتاتُها الكريمة مُدخِلة على الجمهور وفودَ السرور من كل باب ؛ والحمد لله رب العالمين حمدا يستخرج من المزيد كل لُباب، والشكر لآلائها الجسام وأياديها الجمة، مِن أوْكدِ الفروض الواجبة المهمّة، وأوجبِ الحقوق التي تتعين في كل حين على العناية والهمّة، وكذلك في الوجوب الامتثالُ بأوامرها المطاعة وبذلُ النصيحة لها في الخدمة ؛ وعند العبد من ذلك كله أوفَى ما يكون مثله عند من يعرف كنه ما أوجب الله لها من عظيم الحق ويقدّر قدر ما أسبغت عليه من النعمة، والله يعينه من ذلك على الموجب المفترَض، ويُنهِضه من تمشية أغراضها الكريمة والمحافظة منها على كل غرض، بما يحظيه برضاها الذي هو خيرُ أمل عزّ وأشرفُ مطلوب عَرض.

وقد ورد على عبد مقامها، الشاكر لجزيل إنعامها ــ اورد الله عليها وجود السرور، وبلّغها الامل في جيمع الامور ــ كتابُها الكريم الأفخم، الأشرف الأعظم، الذي كمّلت به الإنعام وجدّدته، وأولت فيه من كريم الالتفات ما عوّدته، ومنحت به من التشريف والتنويه، والحظ الكريم النبيه، ما لم تزل بفضلها ورحمتها تضاعفه وتُنّميه، فتلقاه العبد بما أوجب الله من التعظيم والإجلال، واحتفل في شكر مقاصده الكريمة أتم احتفال، وابتدر ــ الشكر له بلسان الى الله في المعونة عليه ضارع، م خ/324 ولأمره المطاع باجتهادِ مبادرٍ الى امتثاله مُسارع ؛/ فأما ما اقتضاه الامر المطاع ــ أمضاه الله ــ من التأكيد في تعرف أنباء الكفرة ــ احانهم الله ــ مع الساعات، وتكليف أهل الثغور (وتهميمها)[4]،

(1) ابراهيم : لعله المكتوب عنه في الرسائل السابقة.

(2) اي عبد المومن ويوسف والمنصور والناصر.

(3) هو المستنصر بالله يوسف بن الناصر.

(4) قد تقرأ ايضا : (وتعميمها) او (وتصميمها).

والإعلام بها في كل الاوقات، ومواصلة الإعلام بما يرد بعدُ من حقيقة الأنباء، يعلم به ان شاء الله على الولاء ؛ و لم يتزيد الآن من حقيقة أنبائهم إلا ما هم به **من المفاتنة فيما بينهم** مشتغلون[5] ؛ والله لا يعدمهم بذلك اشتغالا حتى يبيدهم الله ويدمر أعدادهم، ويخرب بالبركة الامامة بلادهم.

وأما ما اقتضاه الكتاب الكريم في أمر كومية[6] ــ وفقهم الله ــ من أن يُحضر العبدُ مزوارَهم[7] وجماعتهم **ويحذّروا عاقبة الاعتداء**، ويخوّفوا من الجزاء، ويستوفي في الالقاء اليهم كل ما اقتضاه الكتاب الكريم، فذلكم من الفضل الإمامي الذي عم البلاد، وشمل العباد، ومن النظر الجميل الذي به يغيَّر المنكر حيث كان والفساد، ووجب الإعلام ــ ادام الله تأييد الحضرة الامامية ــ بأنه قد القى اليهم من مقتضَى الاغراض الامامية، والوصايا الهادية العلية ما أمر بالقائه اليهم، وأكد ذلك جُهدَه عليهم، وببركة الحضرة الأمامية تظهر المصلحة وتحمد الاثر ويتصل النفع وينقطع الضرر، ان شاء الله، والله يجازي المقام الامامي على عطفه على الرعايا عبيده، وتشديده في مصالحهم وتأكيده، ويعين على تمشية غرضه الكريم فيهم ومقصودِه، فمازال التفاتُه الكريم يرفع المظالم ويؤمن الخائف ويبشر بالفرح القريب، ويلبي دعاء المضطر تلبية المجيب.

واما ما اقتضاه النظر الكريم والفضل العظيم، والالتفات العلي الذي من شأنه التكميل للنعم والتتميم، من **تقديم عبد الحضرة العلية ابن عبدها[8] على** بني رياح وقرة مناف[9] وإلزامه سكنى شريش وأخذه بركوب الطريقة الحميدة، واتباع المناحي السديدة، فإن ذلك من النعم التي جلّت عن أن يحيط شكر المخلوق بأجزائها فان الذي أولتهم بذلك من التنويه والتشريف يُعجز الاستطاعة الانسانيّة عن استيعاب واجبات شكره واسيفائها، فليس إلا الدعاء إلى الله في تولي جزائها، فهو القدير سبحانه على أن يجعل الشكر الموفّى بإزائها، وليست بأُولَى من بركات الحضرة الامامية شَكَر الله عميم التفاتها، ولا بفاتحةٍ مِن منحها العظيمة وهباتها، فتلك عادتها في تملّكِ قلوب الشبان من عبيدها والشيب، وإسباغ النعم/ على البعيد منهم والقريب، وما زالت نعمها تَسُحُّ غمائمَ، وتتفتح عن زهر الآمال كمائم، وتصفو أوديةً، وتطمو بحارا وتَسيل أوديةً ؛ وما برح الحمد والشكر بفضلها العظيم وطوْلها العميم، تعمّ الأمم بها المحافلَ في كل قطر والأندية، ولو وصف العبد ما عنده من الشكر على توالي بعض التفاتها، وتضاعفِ بركاتها، لأنفذ الاوراق والاقلام، و لم يستوفِ الكلام، لكِنّه يعترف بأن هذه النعم إنما تُشكَر بالعجز عن شكرها، فقصارى العبد أن يتغذى بحمدها على الدوام وذكرها ؛ وقد تلقى العبد النظر الكريم في ذلك بالامتثال، وألقي اليه من الوصايا الامامية الكريمة ما يحتوي منه ــ بحول الله ــ أكرمَ مثال، ويستعين بالله تعالى وبالبركة الإمامية ــ ادامها الله ــ على الانتهاض به والاستغلال، والله يوزع شكر ما أفضلت به الحضرة الإمامية من جزيل الإفضال، ويستعمل على ما يحضى برضاها في كل حال، ويوزع الخاص والعام والوالد والولد شكر ما عممهم من كريم الالتفات والابتهال...

م خ/325

(5) الاشارة الى الحرب الاهلية داخل قشتالة وربما ايضا تدخّل ليون فيها.

(6) لاحظ الدعاء لهم هنا بالتوفيق، فلا يبعد ان يكونوا هم المدعو لهم سابقا بالصلاح، والتأكيد ياتي بعد هذا على انهم هم اصحاب الاعتداءات المذكورة سابقا.

(7) المزوار : انظر عنه الجانب العسكري في الفصل الاخير.

(8) قد يكون المقدم للقضاء في شريش.

(9) عن بني رياح وقرة مناف انظر الهامش 21 على الرسالة 79.

الرسالة الخامسة والتسعون :

م خ/347 ....[1] وبركاتُها ــ أيدها الله ــ تشرق انوارها، وتُبرق ابتسامُ الايام السعيدة عنها وافترارُها، ونعمُها ينسكب مدرارها، ويفوت الحدَّ والعدّ مقدارُها، والحمد لله رب العالمين حمدَ استزادةِ النعم واستكثارها ؛ وصلاحُ هذه الجهات ببركاتها ــ والحمد لله ــ جديد فجديد، وظلُّ الالتفات الكريم على أرجائها مزيد، وزمانُ خلافتها الميمونة ــ والحمد لله ــ زمان سعيد، فكلُّ يوم من أيامه كأنه عيد، وقد ابتهج بالالتفات الإمامي ــ شكره الله ــ القريب (من اهلها والبعيد)[2]

وقد ورد على عبد علائها[3] ــ أورد الله عليها السعود متعاقبة، وعرّفها الخِيرة المطّردة في كل الاوقات حالا وعاقبة ــ كتابُها الكريم المعظم المثير السرور، المبهج للجمهور، المصلحُ للأحوال والامور، والمتضمّن من مصالح الرعية، ونقل العرب[4] الى الاماكن الخالية القصية، ما لم يزل مثله من وجوه النظر النورية، يصدر عن فضل الحضرة الامامية العلية، وتلك عادتها دامت سعادتها في الاعتناء بمنافع البرية، والله يجازيها على جميل الغرض وصلاح النظر وحسن النية ؛ فما زالت تحوط البلادَ بالصارم والسِّنان، وتعُمُّ البلاد بالعدل والاحسان، وتبسُط بجواز رافتها ورحمتها على كل مكان وفي كل زمان، تولّى الله جزاءها عن كافة البلدان والعبدان.

ولما ورد الكتاب الكريم ــ أُكرِمْ به من وارد خطير ــ تلقّاه العبد بواجبه من التعظيم والشكر، وجعلَ البِدار الى امتثاله أهمَّ ما يمُرُّ على البال وأوكدَ ما يسبق للفكر[5]، ورأى أن كل ما تشير به الحضرة الامامية ــ ايدها الله بالتوفيق من الله ــ يسوقه ويحدوه، ولا يتجاوزه ولا يعدُوه، وفي الحين أنفذ[6] العبد مخاطبته الى الشيخ الاجل الأكرم أبي العباس بن الشيخ الأجل المكرم أبي

م خ/348 حفص ــ ادام الله كرامته ــ بمقتضى ما وصله من الأمر/ المطاع، وسأله متى يكون خروجُه لما أمِر به في هذه المحاولة المهمة من الاجتماع[7]، وشمّر العبد عن ساعد السامع المطيع، الباذِل فيما[8] أمِر به جُهدَ المستطيع، فراجعه المذكور بكتاب أنفذه العبد صحبة هذا إلى المقام الامامي العلي ــ ايده الله ــ ليقف امره العالي على مقتضاه، وكل ما ينفذ به الامر المطاع ــ أمضى الله حدوده، وأسمى جدوده ــ فإليه يبادِر وعليه يعتمِد، وبحسبه يعمل وفي تمشيته يجتهد، والعبد يستنفد في امتثال ما يومر به في كل شان، نهايةَ الوُسع وجهدَ الامكان، ويستعين على ذلك بالله تعالى وهو خير مستعان، وببركة الامر العزيز التي المستعينُ بها أبداً مُعان[9]...

---

(1) الرسالة مبتورة البداية.

(2) في الأصل : (القريب والبعيد من اهلها) غير ان السجع يفرض ما اثبتناه.

(3) يبدو انه نفس المكتوب عنه سابقا اي «ابراهيم».

(4) لعل العرب هنا هم بنو رياح وقرة مناف المذكورون في الرسالة السابقة، والظاهر انهم كانوا من جملة العائثين في البلاد.

(5) في الاصل : للكفر. (6) في الاصل :نفذ.

(7) سبق ذكر الشيخ ابي العباس في رسالة سابقة حول موضوع تكوين وفد المفاوضة مع النصارى.

(8) في الاصل : في ما.

(9) الرسالة غير كاملة على ما يبدو.

الرسالة السادسة والتسعون :

ع/7 ....[1] وإلى هذ ـــ وصل الله توفيقكم وكرامتكم ـــ فما زلنا نرتاد لمن بقي في تلكم الجزيرة من غزاة الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ وقتا ينقلبون فيه الى أوطانهم، ويردّهم الله فيه الى أهليهم واخوانهم[2] ؛ والآن فقد بلغ الوقت الذي كان ينتظر لهم، والله يكتب في صحف الأبرار نيتَهم وعمَلَهم ؛ فإذا وصلكم كتابنا هذا ـــ وصل الله توفيكم وكرامتكم ـــ فاستحضِروا مزوار كومية وغزاتهم[3]، واقرأوا كتابنا هذا عليهم، وأنهُوا مضمّنه كله اليهم، وأعلِموهم بأنهم حيث جعلهم الله من التقديم، وأنهم من المُبْدإ بهم في كلٍ خيرٍ على التخصيص والتعميم، وميِّزوهم تمييزا[4] لا تدخله داخلة، ولا تغول صحته غائلة، وحذّروهم من أن يدخل فيهم غيرُهم من اخوانهم الساكنين هنالكم[5]، وافصلوا بينهم فصلا لا يقع به التباس، ولا يعرض معه إشكال، تم تقدّموا لهم[6] الى جزيرة طريف[7] بعد أن يتغافروا مع أهل البلاد، ويختِموا بخير عملٍ ما تقدّم لهم من الجهاد، ولا تنفصلوا عن المجاز حتى تكمل اجازتهم على ما شرطنا من الصحة، وهم بيض الصحائف برآءُ من المآثم، أيديهم مقبوضة، وأعراضُهم نقية[8]، وأجورهم على الله واقعة ؛ وعرِّفوا مَن هنالكم من غزاة العرب[9] بأنّ العمل واحد، وأنهم يُجيزون في موضعهم[10] على ما أمرنا به من عدم الاختلاط، وعلى ما نوثره لهم من العمل الصالح والتز(وّ)د بالثناء الجميل، والدعاء المقبول ان شاء الله، وهو تعالى منجدكم ومعينكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الثالث عشر لشعبان المكرم سنة ستٍّ عشرة وستمائة[11].

---

(1) الرسالة ينقصها التقديم، قارن مع قسم من صدر الرسالة لنفس الكاتب وهي رقم 97.

(2) هذا يؤكد ان هؤلاء ليسوا من الموطّنين بالاندلس، والارجح انهم دخلوها ضمن حركة الناصر.

(3) انظر عن «الغزاة» و «المزوار» الفصل الخامس ضمن الجانب العسكري.

(4) التمييز يعنى ضبط العساكر والاجناد باعدادهم وعُددهم، انظر نفس الفقرة من الفصل الخامس.

(5) المقصود هم كومية المستنفرون مع الناصر.

(6) كذا في الاصل.

(7) جزيرة طريف : انظر الادريسي (539) ن، ايطالية.

(8) هذا يؤكد قيامهم بالنهب في الاندلس كما ذكرت ذلك الرسائل السابقة.

(9) هذه اشارة تبين مساهمة العرب في اعمال العيث بالاندلس الى جانب كومية.

(10) لم يتضح مكان جواز هذا العنصر، وربما كان الجزيرة الخضراء ما دام كومية أجيزوا من طريف تجنبا للاختلاط.

(11) انظر عن مدى صحة او خطأ هذا التاريخ خصائص الرسائل المهتمة بموضوع عيث القبائل العسكرية في الفصل الرابع.

الرسائل من رقم 67 إلى رقم 101 :

رسائل حول مقتل الثائر ببلاد جزولة

تقديم :

الى جانب اضطراب امور افريقية خلال السنوات الاولى من حكم الناصر تحركت بلاد جزولة في جنوب المغرب الاقصى وراء بعض الثوار : فظهر عبد الرحمن الجزولي المسمى ابو قصبة فيما بين 597 و 599، ولم يقض عليه الا بعد ان هزم عدة بعوث عسكرية موحدية، ثم ظهر بلمطة وجزولة ايضا حوالي سنة 600 عبد الرحيم ابن الفرس المتلقب بالقحطاني، ثم تمكنت جيوش الناصر من التخلص منه، وعند حركة الناصر الى افريقية استغل ثائر آخر غيابه للظهور في الجنوب ايضا وقد ادعى انه من سلالة العبيديين الفاطميين، وسيتمكن من فرض الهزيمة على والي سجلماسة، ويبدو ان ثورة جزولة اصبحت خطيرة بعد هزيمة الجيش الموحدي في «العقاب» وتولّي المستنصر منصب الخلافة صغير السن، ولذا عند القضاء على زعيم هذ الثورة سنة 612 «أعظم الموحدون الفرح بقتله» كما يقول صاحب المعجب[1].

وأشاع الخليفة المستنصر خبر هذا النصر برسالة من انشاء كاتبه أبي عبد الله ابن عياش وجهت نسخة منها إلى والي اشبيلية السيد ابي اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف[2]، وردت هذه الرسالة ــ مع بعض البتر فيها ــ ضمن زوائد العطاء الجزيل (ص 11 ــ 12) رقمها (97) وهي مؤرخة ب 21 ربيع الآخر سنة 612، فرد الوالي المذكور مخبرا باثر هذه «البشرى» وذلك في رسالة جوابية الى الخليفة وردت في المخطوط الخاص (ص 325 ــ 327) رقمها (98)، ويبدو انه أتبعها برسالة اخرى كان من جملة ما ذكر فيها موضوع الثائر الجزولي، وهي في نفس المخطوط (343 ــ 345) رقمها (99)، كما وجه الوالي رسالة خاصة الى الوزير ابن جامع يخبره فيها بعموم الفرح «بهذه البشارة»، وردت في نفس المخطوط (359 ــ 362) رقمها 100، ويبدو ان الرسالة الاخيرة في هذا المخطوط (ص 362) والتي رقمها 101 (وهي مبتورة) موجهة ايضا من الوالي الى الوزير، وتتضمن نفس الموضوع او على الاقل هو من بين موضوعاتها. وهذ الرسائل الموجودة في المخطوط الخاص هي من انشاء الكاتب ابي العباس بن جعفر[3]، وتأتي نصوصها على التوالي بدءاً برسالة العطاء الجزيل :

---

(1) المعجب ص 329.

(2) انظر الهامش 1 على الرسالة رقم 70.

(3) انظر ترجمته في مقدمة البحث (رقم الترجمة 26).

الرسالة السابعة والتسعون :

ع ز/11 من أمير المومنين[1] بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيدهم الله (....)[2] وأمدهم بمعونته، الى الشيخ الأجل الأعز الأكرم أبي إسحاق بن سيدنا بن سيدنا الامام امير المومنين بن سيدنا (....)[3] أدام الله توفيقه وكرامته بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعدُ، فإنا نحمد (....)[4] الله الذي لا إله إلا هو (الى آخر الصدر المعهود)[5] وإنا كتبناه إليكم — كتب الله لكم رضاء — من حضرة مراكـ(ـش...)[6] الله ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ؛ والى هذا — وصـ(ـل....)[7] وكرامتكم — فإنه قد نَجم هذه المدة ببلاد جزولة[8] شقيٌّ يدّعي المحال، ويتّبع الخبال، والموحـ(د....)[9] كل ذلك يعلمون أن مآله ومآل أمثاله من كل من ادعى دعواه، ونحا في الباطل البحت منحاه، و(أن كل مَن شايعه من الجهّال وكلّ من اغتر)[10] (....)[11] ولم يعرف (الفرق)

ع ز/12 بين الهدى والضلال (....)[12] (وبادروا ؟ أنجز)[13] الله فيهم وعدَه، والله لا يخلف الميعاد[14]،

ملاحظة : تقع بعض الكلمات في نهايات الاسطر بالمخطوط مغطاة نتيجة ترميم قديم كما ان هناك كلمات مأروضة كلا او بعضا فجعلنا ما اشكلت قراءته في الحالتين بين هلالين.

(1) الرسالة من انشاء ابي عبد الله بن عياش والمكتوب عنه هو الخليفة المستنصر.

(2) في الاصل مغطاة، والكلمة المناسبة هي : (بنصره) حسب رسائل اخرى لابن عياش مثل الرسالة رقم 28 في (م ر م) وما بعدها.

(3) المفروض ان تكون الكلمة المغطاة هي : (الخليفة)، فالمكتوب عنه هو والي اشبيلية السيد ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(4) كلمة مغطاة قد تكون : (اليكم).

(5) اقتصر جامع الرسائل على هذا التعبير، ويمكن معرفة نماذج لصدور رسائل بن عياش في (م ر م) رقم 28 وما بعدها.

(6) كلمة مغطاة قد تكون : (حاطها) او (حرسها).

(7) مغطى في الاصل، والتعبير المناسب : (وصل الله توفيقكم) قارن مع الرسالة السابقة 96.

(8) عن جزولة انظر الخريطة المرفقة في القسم الثاني عن امتداد هذه البلاد واهلها، وكذا بسط الارض 58 وانظر عن القبيلة العبر 6/ 419 — 420.

(9) مغطى، والانسب : (والموحدون في).

(10) كلمات مأروضة كلا او بعضا قرئت بصعوبة.

(11) قدر كلمتين مأروضتين.

(12) قدر ثلاث كلمات مأروضة في آخر سطر بالصفحة 11.

(13) كلمتان مأروضتان باول الصفحة 12 قرئتا بصعوبة، وكذلك ما بعدهما الى نهاية الرسالة مصاب بالارضة كثيرا.

(14) اقتباس من الآية 6 من سورة الروم، وايضا من الآية 20 من سورة الزمر.

وذلك بأن اجتمعت عليه القبائل، وتقرّبوا بقتله وقتل أشياعه إلى الله[15] وإلى هذا الأمر الذي قامت على (....)[16] ، وظهوره الدلائل ؛ وأعلمناكم بهذا الصنع لتكونوا منه على يقين، وبشّروا به الخاصة والعامة ليكونوا من الموقنين ؛ والله يُجزل لكم عوارف نعماه، ويعينكم على شكر ما أولاه، بمنه وكرمه لارب سواه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الحادي والعشرين لربيع الآخر سنة ثنتي عشرة وستمائة[17].

---

(15) راجع ثورة جزولة في الفصل الرابع وانظر المعجب (326 — 327) والعبر 6/ 524.

(16) قدر كلمة لم يبق منها غير الحرفين الاخيرين (.....ـره) قد تكون : (نشره).

(17) هذه حالة استثنائية بالنسبة لرسائل النصر التي تكون عادة مطولة، فهل التقصير هو اسلوب جديد منذ نكسة «العقاب» ؟

الرسالة الثامنة والتسعون :

م خ/325 ....[1] مطلعُ الانوار الهادية، ومنشأُ البركات الرائحة والغادية، ومثابةُ البُشر المتوالية المتمادية أدام الله تأييدها وإعزاز نصرها، وهنأها ما أوضح من براهين السعود في عصرها، ووالى لها من التمكين والفتح المبين ما يعرّفها في كل ارادة عوارف يُسرها، عبدُ مقامها السامي، ومملوكُ إنعامها الهامي، المتضرّعُ الى الله في شكر إحسانها المتضاعف وإدامة سعدها النامي، اللائذُ بظلها الواقي وكهفها الحامي : إبراهيم[2] سلام الله الكريم.

وبعدَ حمدِ الله معلي كلمة التوحيد ومظهرُها على كل أفّاك اثيم وكفّار عنيد، والصلاةِ على محمد رسوله بالوعد والوعيد، والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، بالدليل الصادق والشهيد، وعن الخلفاء الراشدين، الأيمة المرشدين إلى سَننه القويم وصراطه الحميد، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الإمام أمير المومنين[3] ابن الخلفاء الرشدين بدوام ما عوّده من النصر والتأييد، وإنجاز ما ذَخر من الفتوح لزمنه السعيد.

م خ/326 فكتب عبدُ علائها، ورَهْنُ شكرِ آلائها، — كتب الله لها من السعود أعظَمها/ مقدارا، وألزَمها إيرادا، وإنجازَ الوعود وإصدارا ؛ وبركات الحضرة الإمامية — أيدهاالله — قد تدفقت شآبيبُها، وأضفت على العُبدان في كافة البلدان جلابيبُها، والحمد لله رب العالمين حمدا يدعو النعم فيلبّيه مجيبُها ؛ وعبدُ جلالها — وصل الله حراسة كمالها — على أوفى ما يكون عليه عُبدانها المخلصون، وأرقّائها الناصحون من النصيحة في خدمتها، والاجتهاد في شكر نعمتها، وبذل الجُهد في ابتغاء مرضاتها، واستنفاذ الوسع في أداء مفترضاتها ؛ والله يوزعه شكر نُعماها، وينشر عليه جناح رُحماها.

وقد ورد على عبد احسانها — أورد الله وفود السرور على عليّ مكانها — كتابُها الكريم، المعظمّ بواجبات التعظيم، يشرق نورُه، وتنطق بالهدى والارشاد سطورُهُ، وتشتمل على ما فيه صلاح الدين والدنيا أعجازهُ الكريمةُ وصدورُه، فعظُمَ بوصوله فرح العبد وسرورُه، واقتبسَ المصالح والمراشد من ضوء سراجه، واقتفى بالامتثال لأوامره المطاعة واضحَ منهاجه، وكلُّ ما تضمَّنه من الأغراض العلية، والاشارات الكريمة الجلية، **في حفظ المهادنة والإعلام بالأنباء وتأمين الرعية**، يبادِر العبدُ اليه، ويعمل به، ويحافظ — بحول الله — عليه ؛ والله يجازي الحضرة الامامية على اعتنائها بمصالح العباد والبلاد، وتأكيدها في وصل ما يعود بالصلاح وقطع ما يؤدي الى الفساد، بأفضلِ جزاء المحسنين، والأيمة السعداء المفضلين المنعِمين.

وإلى هذا — وصل الله للحضرة الامامية ما عودها من نصر الأعلام، كما حفظ بدعوتها العالية كلمة الاسلام، — فإن الله تعالى بما له من العناية الربانية بأمرها العزيز، قد جعل الله سعدها في الاشتهار، أوضحَ من النهار، وفي البيان، أصدق من العِيان، وإذا كان هذا الأصل يعضده النقل، ويشهد

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، قارن مع رسالة اخرى من انشاء نفس الكاتب ابي العباس بن جعفر مثل رقم 70.

(2) راجع عن ابراهيم الهامش 1 على الرسالة 70، وهو المكتوب عنه في الرسائل اللاحقة بهذا الاسم.

(3) هو الخليفة المستنصر.

به الحس والعقل، فحُقَّ للبشائر أن تتردد في أيامها تردّدَ الانفاس، وتتناسق تناسق ورق الآس، ؛ وقد بلغ الآن الخبر العميم والحمد لله بما كيّفه السعد المطّرد الأنواع والأجناس، وهيأه فضل الله عليها وعلى الناس، من **قتل الشقي الذي نجم بالقِبلة**[4]، وكتم الحق الذي لا يضره كتم كاتم، وأراد أن يعارض النور المبين بالظلام العاتم، ولم يعلم أن أمرها العزيز هو أمر الله الذي لا يصدّه صادّ، ولا يضره مخالف ولا مضادّ، فاهتزت أرض الأندلس/ طربا بهذه البشارة العظيمة اهتزازا، واعتزت كلمة التوحيد اعتزازا، وشمل السرور الأمةَ قاطبة وعمّهم، وقصدَهم الحبورُ في كل جهة وأمَّهم، وارتفع الضجيج بشكر الله على هذه النعمة العميمة، وامتلأت القلوب بهجة بهذه المنة الجسيمة، وحسدت عليها العيونَ الآذانُ[5]، وازداد المسلمون يقينا بأنّ سعد هذه الخلافة العلية كالشمس لا تخفى بكل مكان ؛ وأما الذي خُصَّ العبدُ به من السرور بهذه البشرى، والمنّة الكبرى، فهو أعظم من أن يحيط الوصف بتحصيله، أو يشتمل على حصر جملتِه وتفصيله، وإنه لفتح من الفتوح التي يأتي بها اسعد الأزمان، ويقر الله بها عين الإيمان، وتلك عادة الله لهذا الامر العزيز في إظهار أمره على كل مُناوٍ[6] وإعزاز نصره على كل شقي غاوٍ ؛ «وعدُ الله لايُخلف الله وعده»[7]، وسعد قضائه لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين، والله يضاعف تمكينه وسعدَه، ويُتبع له كل فتح بأكبر منه بعدَه، ويُنجز له ما وعده من الاستيلاء والظهور، الى يوم النفخ في الصور ؛ وإن مِن سعدِ أيامه السعيدة ومن بركة خلافته المباركة الحميدة، ما ألقى الله في هذا الوقت **بين رؤوس الكفرة** ــ أحانهم الله ــ **من المفاتنة فيما بين فِرقهم الذميمة**، والشتات الذي يصلَى كل منهم جحيمه، **فما منهم إلا مَن أسرَج لحرب الآخرين منهم وألجَمَ**، وأنجد في ضرب بلادهم وأتْهَم، والله يمحق جميعهم محق الرّبا، ويبيد جموعهم حيث كانت بين مهبّ الجنوب والشمال ومهب الدّبور والصَّبا، ويزيد الخلافة العلية سعودا تقضي لها في كل مرام بالتسهيل، ويعرّفها في كل مقام عوارف الصنع الجميل، بمنه[8].

م خ/327

---

(4) انظر عن هذا الثائر الفصل الرابع ضمن عواقب «العقاب» بالنسبة للموحدين.

(5) يتفق هذا مع صاحب المعجب من كونه ــ وهو بالاندلس ــ رآى الموحدين هناك اعظموا الفرح بقتله (ص 329)

(6) اي مناوىء.

(7) من الآية 6 من سورة الروم.

(8) الرسالة تنقصها بعض الكلمات على الارجح.

الرسالة التاسعة والتسعون :

م خ/343 ....[1] وأحوال هذه الجهات ببركة الحضرة الإمامية ــ ايدها الله ــ صالحة، ونعم الله بحسن التفاتها غادية عليها ورائحة، ويخوضون[2] من شكر الله عليها في بحار غير متناهية ليست كذاتِ السواحل ؛ ويتمسكون بأسباب البيعة السعيدة التي تعرّفوا يمنها فهم بها مغتبطون، وبحبالها المحكَمة المَعاقد مرتبطون، يدعون لخليفتهم ومولاهم، الذي خوّلهم، بسعادته ما خوّلهم، وأولاهم بمنٍّ م خ/344 خلافته/ ما أولاهم، ويتضرعون الى الله في إدامة أيامه وتخليدها، ونصر حضرته العلية وتأييدها، ويوقنون بأنها رحمة الله المنزَلة على عبيدها.

والعجب من **الشقي**[3] المذكور كيف جمح في شأوِ الغُرور، فرام أن يغطي صفحة الشمس ؛ وطمع في إدراك السماء السابعة بحاسة اللمس، ولم يعلم بأن هذا الامر العزيز هو أمر الله المصنوع له في عقب الزماأن، وأنه لا يزال الى يوم الدين مِن كيد الكائدين في أمان، ولم يعتبر بما لهذا الأمر العزيز من الآيات الواضخة سماتُها، والعنايات الفاضحة لشمس الضحى قَسَمَاتُها ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾[4]، ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾[5]، ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[6] ؛ ولله قبائلُ قرّبت رأسه قربانا، وغادرته من جسده مُبانا، وعاقت[7] من النمو نجمَه الذميم، وأتت فيه من الزلفى بما يقضي لها في الدارين بالأجر العظيم، والثواب الجسيم، فلا أخلفت بلادَها الغمائم، ولا أغبَّها الإحسانُ الإمامي الدائم، **والله يُلحق بهذا الشقي أمثاله من الضُلاَّل كما ألحقه بمن تقدَّمه من أهل المُحال والضَّلال**[8] ؛ وقد بثّ العبد هذه البشرى في أرجاء هذه البلاد كلها ونواحيها، لتعمّ المسرّة كافة قاصيها ودانيها، ويأخذ الجميع بالحظ الأوفر من فهم معانيها، والابتهاج بما ضمنه سعد الخلافة ــ أدامه (الله)[9] من الخير الجزيل فيها ﴿ليزداد الذين آمنوا إيمانا﴾[10]، ويروا نور الحق عِيانا، وتطمئنَّ قلوبهم بهذا الصنع الجميل اطمئنانا، وإن كان العلم بسعادة الخلافة ــ والحمد لله ــ على يقين، والإيمان به في كل قلبِ ثابت مكين، لكن الله تعالى يقول : ﴿قال أو لم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[11] حكايةً عن خليله من النبيئين، صلى الله على نبينا محمد وعليهم

---

(1) الرسالة مبتورة حيث ينقصها الصدر.

(2) ضمير الغائب يعود على المذكورين في الجزء المبتور.

(3) انظر الهامش 4 على الرسالة السابقة.

(4) من الآية 42 من سورة الانفال.

(5) من الآية 5 من سورة الحديد.

(6) من الآية 40 من سورة النور.

(7) في الاصل علقت.

(8) الاشارة هنا الى الثورات التي سبقت ثورة الجزولي، راجع الفصل الرابع (حول ظروف العقاب).

(9) كلمة ناقصة في الاصل.

(10) من الآية 31 من سورة المدثر.

(11) من الآية 259 من سورة البقرة.

اجمعين، وأعلَم العبدُ[12] الخاصة والعامة بأن الذي تضمّنته هذه البشرى من النعم لا يُحصَى لها عدد، ولا يستطيع أن يوفّي حقَّه من الشكر أحد، فلو استمد البليغ القوافيَ كلها والأسماع، واجتلب الاجناسَ من البلاغة والأنواع، لم يكن ذلك لقدْرها كِفاءً ولا لشكرها وفاءً، فقصارى الشاكرين التنعمُ مدى الدهر بذكرها، والتحدثُ غابرَ العمر بأغمار شكرها، فعمّت البشرى مواسط هذه الجهات وأطرافَها، وطفقت البلاد ترتضع ثُديَّ الأمنة وأخلافَها، وتنتجع منها حَياً ترَوَى به وتَسِيم، وتستقبل به/ وجه الزمان الوسيم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يشاء والله ذو الفضلِ العظيم﴾[13] م خ/345
؛ والله يصل للحضرة الإمامية عادة نصرها، ويهنّيها سعادتها وسعادة عصرها، ويبارك فيما وهب لها من اليمن والإقبال، والبركة العامة لأقسام زمانها السعيد من الماضي والحال والاستقبال، ويُجري أقداره على وفقها، ويُطلع على الولاء شموس السرور وأقماره المعتادة من أفقها، ويعين كافة أرقّائها من شكر التفاتها واعتنائها، على ما يؤدّون به ولو بعضَ البعضِ من عظيم حقها، ويتابع لها انجاز الوعود الموثوق بصدقها، ويديم ببركاتها توالِيَ البُشر، كما جمع على طاعتها ومحبتها قلوب البشر، ويحفظ عليها من النصر جزيل مواهبها، ويجلب المسارّ اليها من جميع طرقها ومذاهبها، ويجعل كلمتها باقية النور، راقية الظهور، منصورة الأحزاب الى يوم النشور، بمنه ورحماه، لارب سواه[14]...

---

(12) العبد : يبدو انه ابراهيم ابن الخليفة يوسف، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(13) الآية 4 من سورة الجمعة.

(14) يظهر ان الرسالة مبتورة الاخر.

الرسالة المئة :

م خ/359 ....[1] وبعدَ حمدِ الله معوِّدِ أمره العزيز كل فتح جليل، المجدِّدِ له كل صنع جميل، المقيمِ ما وهب له من التيسير في كل مَرامٍ والتسهيل، مقامَ البرهان على سعده والدليل، والصلاةِ على محمد رسوله الهادي إلى خير سبيل، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، ظل الله الممدود الظليل، وطبيب الدين حين تضاءل في (أسمال)[2] عليل، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين (الذين)[3] مشّوا أمره العزيز الى غاية التتميم والتكميل، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين[4] ابن الخلفاء الراشدين بالنصر الأعز والفتح الحفيل، والسعد الجاري على وفق التأميل.

فالكتاب إليكم ـــ كتب الله لكم من السرّاء ما يَفيض سناه، ويحسِب أملَ الآمل ومُناه ـــ من إشبيلية حرسها الله ـــ وسعادة الحضرة الإمامية ـــ أيدها الله ـــ كبيرة، وبشائرها لأوليائها المومنين سارّة ولاعدائها الكافرين والمنافقين مبيرة، ويمنُ خلافتها قد اتضح دليله وبرهانُه، وسوابق كراماتها قد غصّ بها مضمارُ السرور ورهانُه، وأيامها السعيدة ـــ أدامها الله ـــ أعيادٌ كلّها ومواسم، وثغورُ م خ/360 المواسط والثغور بما وهب الله لها من الظهور بَواسم، وبيعتُها الميمونة قد أثمرت للمومنين/ أطيب الثمر، وأبدت آية سعدها أبين من الشمس والقمر، فنور الحق بها باهر، (وورد)[5] العدل زاهر، وجيدُ الدهر بمحامدها حالٍ، وكعبها في كل زمان ومكان عالٍ، وغيث نعمها وابلٍ، ومَثل ما غرس الله من محبة أمرها العزيز في كل قلب ﴿كمَثلِ حبّةٍ أنبتتْ سَبعَ سُنابل﴾[6]، وحبلُ اليقين بصدق دعوتها العالية مُغار، ونطق الناطقين كله اعتراف بعزتها وإقرار، والحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي لا تحصى بالحُسبان، ولا يخطُر حصرُها في الحِسبان، حمدا يكون بفضل الله لها قيدا، ويقتنص به المزيد والصنع الجديد صيدا.

وقد تقدّم الخطاب اليكم[7] ـــ أسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة عليكم ـــ بما كان قد طلع به في هذا الأفق فجر البُشرى، من الأخبار بما يسّره الله لأمره العزيز من البِشرى، وسنّاه سعده من النعمة الكبرى، **في قتل الشقي[8] الذي كان نجم بجزولة لحيْنه**، فاستوى سيف الله من ناصيته الكاذبة الخاطئة اقتضاء دَيْنه، وكان حكم اليقين بما للأمر العزيز من السعد المبين يعلم الله بضرورة العقل، صحة هذا الخبر من طريق المعنى ويُتشوَّف الى صحة تأكيده من طريق النقل، فكان السرور قد مدَّ للنسج سَداه، وأخذت بطرفي منواله يداه، ووضع قدمه في الدَّرَج، ليصعد بالخاصة والعامة الى

---

(1) رسالة مبتورة البداية.

(2) في الاصل : (اسماء)، ولعل الانسب ما اثبتناه.

(3) كلمة ناقصة في الاصل.

(4) اي المستنصر.

(5) كلمة مطموسة في الاصل.

(6) من الآية 261 من سورة البقرة.

(7) يتضح من هنا ان الرسالة ليست موجهة الى الخليفة بل الى الوزير على الارجح.

(8) هو الثائر الجزولي المذكور في الرسائل السابقة.

غُرفات الفرَج، ثم لم يدع الأمة المبتهجة بأن أسعد الله مولاها وإمامها، إلا طلوع شمس كتابه الكريم أمامها، مضمّنا من صحة الخبر وتحقيق الفتح الذي من أمهات[9] العبد ما أعز دينها وأكّد يقينها، وزادها إيمانا لإيمانها، وغبطة لغبطتها بالبيعة الميمونة التي كانت قد اعطت بها صفقة أيمانها، فغدا كل لسان وهو بِعِظم هذه النعم مُفعَم، وأضحى السرور وغُفلُه مُعلَم، وسرى كالمتقدم الذي كرٌّ مُلجَم، وعلا في ذروة الاستبشار مصعدُه ومَسماه، وانتهى من الارتفاع من شرف الانتفاع إلى أسماه ؛ وكان من السعد الذي أشرقت آياته، والصنع الذي اطّردت في الجمال والكمال جزئياته وكلياته، أن وافق وصولُ الكتاب الكريم ليلة الجمعة فتمم الله بذلك فضل اليوم وجَمعه، وأعربت موافقة عَروبة[10] عن تأنق العناية الربانية بمصالح الأمر العزيز أفصحَ إعراب، وأغربت لطائفُ التكييفات كما كان في ذلك من الحشر للإذاعة به والنشر أوضح إغراب، حيث جمع الله الأمة/ من الحاضرة والبادية لسماع البشرى، وحشرها في الجامع الكريم في يوم مجموع له الناس ويوم مشهود حشرا، ففرع به المنبر المبارك بعد صلاة الجمعة في حفل ساعده القضاء، وضاقت منه الارض وغص به الفضاء، فكان فعلُ الله في جَمع مَن جُمع فيه وحَشرِ مَن حُشِر أجملَ وأكملَ من كل احتفال كان يمكن أن يفعله في ذلك البَشر، فضجّ الناس بالدعاء والشكر، عند سماع ما تضمّن من الذكر، ضجيجَ من استخف الفرحُ وقارَه، وطار به السرور مطارَه، وتيقّن الجميع أن الأمر العزيز هو (أمر)[11] الله الذي ينصر أنصارَه، ويخدمه[12] أقدارَه، ويكشف له من خبايا الفتح المبين أسراره، فلو رأيتم — أدام الله عزتكم[7] — ارتياح الخلق واهتزازَهم، وافتخارهم بما وَهب الله لهم مِن سعدِ إمامهم واعتزازَهم، وإعادتهم في شكر الله تعالى وإبداءَهم ودعاءَهم اليه سبحانه بتخليد هذا الأمَر ونداءَهم، وختمهم بالتهليلِ والتحميد والتعيظيم لأمر الله والتمجيد وابتداءَهم، لَرأيتم ما يُقرّ عين الإيمان، ويشهد تصريحا وتلويحاً بسعادة هذا الزمان، ولقد استفزّ الطربُ الخاصةَ والعامة فحكموا بحكم الاعياد للأيام، وأجروها مجراها في إفشاء السلام فيها وإطعام الطعام، واحتفلوا في حقها احتفال ذوي الاهتمام، وبْدأ بذلك الموحدون — أعزهم الله — على عادة بِدارهم، ثم تلاهم أهل البلد على أطوارهم، ينتشرون لإظهار ما عمّهم من الفرح في أنجادهم وأغوارهم، ويقيمون أعراسا في كل مكان، ويحسبون كل يوم يومَ موسم ومهرجان، فدَرّت النعم درورا، وامتلأت الأرض سرورا، وعاد الفضاء كله مآلف[13] للشكر ومَعاهد، ومَجالس للذكر ومَساجد ؛ ويحق ذلك لهذا الفتح فإنه لفتحٌ من الفتوح التي يَتعوّد إثمارها، وتَصلح بها أحوال الامة وتشِبُّ أعمارها، وتتفتح أبواب السماء لأمثالها، وتبرز الارض في حُلل جمالها، وتنصرف المُنَى عنها حُفّلاً مشمولة الحلَب، ولا تترك لأحد مطلباً إلا تقضيه فيصحب الدنيا بعدها بلا طلب، إلا طلبَ اطالةِ بقاء الخلافة الذي يعضُده الوعد، وتخليد دعوتها الذي سبقت به كلمة مَن له الأمر مِن قبلُ ومِن بعدُ ؛ فالحمد لله الذي ضاعف لعباده أقسام الفرح

م خ/361

(9) كذا بالاصل.

(10) عروبة او يوم العروبة هو يوم الجمعة.

(11) ناقصة في الاصل.

(12) كذا : ويخدمه.

(13) الفاء في الاصل غير منقوطة، والمآلف جمع مألف : اي ما يالفه الناس.

والجذَل، وبلّغهم من سعدها خليفتَه غاية الامل، وعرّفهم أنّ لهم من عرض الله أنصارا في كل سهل
م خ/362 وجبل، وأنه ليس لأحد من الكائدين يكيده والحمد لله من قبل ؛ ويا عجبا **لذلك الشقي المحذور**،
كيف عمِيَ عن النور، الذي يتساوى في إداركه عقلاء الجمهور ! ﴿وما يستوي الأعمى والبصيرُ
ولا الظُّلماتُ ولا النُّورُ، ولا الظِّلُّ ولا الحَرورُ﴾[14] ؛ ولقد قابل البحرَ الزّخّار بالوَشَل، والقدرة
الإلهية بالعجز والفشل، وزاحم الحديدَ بالرَّجاج[15]، ولم يعرف الفرق بين الأسنة والزّجاج[15]،
ودفع العلومَ الضرورية بدواحض الحِجاج، ولم يَعلم أنّ مَن شك في هذا الأمر العزيز فقد شك
في وحدانية الجليل[16]، ومن طلب الدليل على ظهوره فقد احتاج النهارُ عنده الى دليل ؛ فالحمد
لله الذي أنجز فيه وفي أشياعه وعدَه، واوضحَ بصنعه فيهم يمنَ سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين
وبيّن سعدَه، وبشّر قياسا وسَماعاً بأنّ لهذا الفتح إن شاء الله تعالى ما بعدَه.

وما لبث مجلّكم أن أنفذ نُسخَ الكتاب الكريم الى جميع هذه الجهات، وعمّ ببَثّهَا جميع الأمهات
منها والبنات[17]، حتى عمّت البشرى كل ثغر وحصن، (وخبت)[18] على القريبِ والبعيد ببركة
الأمر السعيد عَروس النصر المؤزر والفتح الميسّر،في أكمل حسن، فالألسنةُ في كل غَور ونجد بشكر
الله على هذه النعم ناطقة، والقلوب موقنة بان الدعوة المهدية في الظهور الى يوم النشور صادقة،
والأمنة قد مَدَّت على البلاد (جناحَها)[19]، وأرض النصرانية قد زُلزلت زلزَالها، وهيَّجت هذه
المسرّة بَلبالهَا، وآذنت بذُلّها وصَغارِها، وعدمت تخمّطها وصِيالَها، والله يصل للحضرة الامامية يمنها
وإقبالَها، ويضاعف لها ماخوّلها من السعود وأولاها، ويورثها الاعمار حتى تستأصل من الكافرين
والمنافقين كافة عِداها، ويحرس على الدين والدنيا ما اشرق عليهما من نور هُداها، ويهنّئها ما وهب
لها من عُلاها، ويرزقنا اجمعين (....)[20] رضاها، ويعيننا في كل حال على ما يُزلف من
رحماها....[21].

---

(14) الآيات 19 و20 و21 من سورة فاطر.

(15) الرجاج (بالراء) : ما كان ضعيفا، والزجاج (غير مشكولة في الاصل) جمع زج : حديدة الرمح.

(16) في اعتقاد الموحدين ان من عارض مذهبهم او سياستهم فهو كافر مُشرِك.

(17) كانت «كتب» النصر مما يطلب نشره على اهل المدن والبوادي.

(18) غير واضحة في الاصل لكونها مطموسة الوسط.

(19) في الأصل : جناحا، والأنسب : (جناحها) لتتناسب مع السجع بعدها.

(20) كلمة غير واضحة يمكن أن تقرأ هكذا : (أكذمين ؟).

(21) يبدو أن الرسالة مبتورة الآخر.

الرسالة الواحدة بعد المئة :

م خ/362 ....[1] فما لبث مجلكم[2] أن بثّ هذه البشرى[3] في كافة الجهات والنواحي، وأنفذ اليها نسخ الكتاب الكريم خفّاقة القوادم والخوافي ، حتى اشترك في السرور بها الداني والقاصي، وتبسمت ثغورُ الثغور، ودعت النصرانيةُ بالويل والثُّبور،/ وأيقنت[4].

---

(1) الرسالة مبتورة البداية كغيرها من اغلبية رسائل المخطوط الخاص.

(2) هذا يرجح انها ايضا موجهة الى وزير الخليفة المستنصر.

(3) لعلها البشرى بمقتل الثائر الجزولي.

(4) ينتهي هنا ما بقي من رسائل المخطوط الخاص حيث لا توجد تتمة لهذه الرسالة، ولعل ما اصاب المخطوط من بتر في آخره يكون قد ضيع علينا عددا من الرسائل الاخرى.

الرسائل من رقم 102 إلى رقم 105 :

رسائل تهم بعض التعيينات
في أوائل خلافة المستنصر

تقديم :

من هذه الرسائل ماهي خاصة بموضوع التعيينات ومنها ما تتناول هذا الموضوع ضمن مواضيع اخرى، وهكذا نجد :

ـ الرسالة رقم 102 (المخطوط الخاص : 357 ـ 358) الصادرة عن الوالي باشبيلية الى وزير المستنصر، تذكر تخصيص مرتّب خاص للمحاسب الذي يستعين به الوالي المذكور مع الاشارة الى التنويه والتشريف بالوالي من طرف الخليفة.

ـ الرسالة رقم 103 (المخطوط الخاص : 320 ـ 322) عن والي اشبيلية ايضا الى الخليفة، تذكر تعيين «عبد الحضرة ابن عبدها» على بطليوس وثغورها الجوفية بالاضافة الى ذكر احوال البلاد من الاستبشار بتوالي الامطار، وكذلك «اذعان الاعداء واستسلام الكفار» ربما خلال محاولة التوصل الى الهدنة بين الموحدين والقشتالين.

ـ الرسالة رقم 104 (المخطوط الخاص : 353 ـ 355) عن والي اشبيلية نفسه الى وزير الخليفة حول نفس الموضوع مع التلميح الى محاولة عقد الهدنة مع القشتاليين على الارجح.

ـ الرسالة رقم 94 (المخطوط الخاص : 322 ـ 325) عن ابراهيم والي اشبيلية ايضا الى الخليفة المستنصر تذكر تعيين «عبد الحضرة ابن عبدها» على «بني رياح وقرة مناف»، مع الاشارة الى تحذير كومية من عاقبة الاعتداء، وذكر الفتنة بين الاعداء النصارى.

ـ الرسالة رقم 105 (في العطاء الجزيل 69 ـ 70) عن الخليفة المستنصر (من انشاء أبي عبد الله بن عياش) الى اهل اشبيلية بتاريخ 21 رمضان 612 بشان تعيين السيد ابي اسحاق ابراهيم بن المنصور خلفا للوالي المتوفى ابي اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف في منتصف شعبان 612.

وهذه هي نصوص الرسائل المذكورة على التوالي باستثناء الرسالة رقم (94) المرتبة ضمن الرسائل الخاصة بعيث القبائل العسكرية :

الرسالة الثانية بعد المئة :

م خ/357 — 358 ....[1] وبركاتُ الحضرة الإمامية — أيدها الله — ضافية البرودة دائمة الورود، جارية/ من الترادف والتضاعق على أكرم معهود، كفيلة للعباد والبلاد بالتأمين والتمهيد، والحمد لله، والودُّ لكم مُحصَرُ الأمراس وثيقُ الأساس، والشكر لجميل مقاصدكم مغمور المغاني، حفيل المعاني، والتطلع لسماع أنبائكم، وتلقي المسرّات من تلقائكم، مستصحَب في جميع الأناء، معتنَى به كل الاعتناء، والله يبسط جذَلكم، ويضاعف النعمَ قِبَلكم.

والأحوال في هذه الجهات — أدام الله عزتكم[2] — جارية على ما اقتضته سعادة الخلافة المباركة — أدامها الله — من عموم المسرات والأفراح، وانشراح الصدور وتنعُّمِ الأرواح، والحمد لله على عوّد أمره العزيز من الظهور وتمام النور.

وقد وصل الكتاب الإمامي المعظم الكريم — وصل الله عزتكم[2] — **مضمَّنا من التشريف والتنويه** والالتفات الكريم النبيه، ما لم يزل المقام الإمامي — شكَره الله — يوليه، والله يوزع شكر مِننه الجسيمة وأياديه، ووصل أيضا صحبةَ الكتاب الكريم كتابُكم الأثير[3]، المبهِجُ الخطير، فسُرَّ محبّكم بوصوله، وشكَرَ جملة فصوله، وذكرتم نفوذ الإنعامِ الإمامي — شكره الله — بمرتّب للمحاسِب[4] الذي قدَّم هنا محبُّكم يستعين به ؛ وتلكم عادةُ المقام الإمامي — أيده الله — في الإحسان، وقصد الإنعام على كل إنسان، والله يجازي الإنعام الإمامي، والنظر الكريم العلي ؛ ووساطتُكم[5] في ذلكم — أدام الله عزتكم — مشكورة، وبكل جميل من الذكر مذكورة، والله يشكر اهتبالكم بجميع المسائل، ويبقيكم للمحامد والفضائل..[6].

---

(1) رسالة مبتورة البدّاية.

(2) هذه من العبارات المستعملة من طرف ابراهيم والي اشبيلية في مخاطبة الوزير ابن جامع.

(3) الرسالة هنا على الارجح جوابية على رسالة الوزير التي وردت مع رسالة الخليفة، وفي هذا تلميح مهم الى دور الوصاية من ابن جامع على الخليفة المستنصر، حيث تظهر الازدواجية في المراسلة من طرف الشخصين معا، قارن مع الرسالتين 14 و 15 وخصائصهما في الفصل الأول.

(4) تعتبر هذه الرسالة وحيدة ضمن رسائل المجموعة الجديدة في اشارتها الى احد مساعدي الوالي ملقبا بالمحاسب وبراتب رسمي، وبهذا يصبح المحاسب كأنه معين من قبل الخليفة، وهذا ما دفع الى وضع هذه الرسالة ضمن تعيينات عهد المستنصر.

(5) في الاصل : (وساطتكم) بواو واحدة.

(6) يبدو ان الرسالة مبتورة النهاية.

ألبابَهم ؛ وقد أولته ـــ شَكرَها الله ـــ من **التنويه**، والانهاض ما تعجز الأقلام عن شرح الشكر عليه، فلا يستوعبه الوصف ولا يستوفيه، ونهجت له بوصاياها الكريمة من جميل الأغراض ما يرشده إلى الصواب ويَهديه، وليست بأول بركة من بركات المقام الإمامي ولا بيدٍ من عميم أياديه، تلك عادة (إحسانه)[8] المعروفة، وشيمةُ امتنانه المألوفة، للفضل (خلق)[9] على كافة العبدان، وتملّك القلوب بالإنعام والإحسان، فهو يفضُل على البعيد والقريب، ولا يزال يتملك قلوب الشبان والشيب، وتَعمُّ نعمه الآباء والبنين، ويشمل كرمه الخلق أجمعين، تولّى الله جزاء فضله الجزيل، وشَكَرَ فعلَه الجميل ؛ وإن للأقلام في شكر هذه النعمة سَبحاً طويلا، وإن للحمد فيه مُعرّساً وطقيلا[10] ؛ وإن القيام بواجب هذا الإحسان، ليس في وسع المخلوق ولا في استطاعة الإنسان، فليس إلا أن العبد لا يزال إلى/ الله في شكر الحضرة الإمامية متضرعا، وبطاعتها مغتبطا، والى النصيحة في خدمتها متسرّعا ؛ م خ/322
وقد وادع العبدُ[11] عبدَها المذكورَ، على توخّي الغرض الإمامي في تلك الثغور، وألقى إليه من التأكيد والتشديد ما أمر به في جميع الأمور، وأعلمه بأن هذا **التقديم تجريب له واختبار**، ومِحكٌّ كما جاء في الكتاب الكريم ومِسبار ؛ فشمَّرَ تشمير الباذل جهدَه المستطيع، وانفصل[12] ونورُ الغرض الإمامي ـــ شكرَه الله ـــ دليلُه وهاديه، وسعدُ المقام الإمامي ـــ نصره الله ـــ قائده وحادِيه، ومن حسن الغرض الإمامي فيه بالصنع الجميل، والخير الجزيل مقرونان ـــ بفضل الله ـــ بخواتم عمله ومواسطه ومباديه، بفضل الله ؛ ولا يزال العبد[13] ـــ كما أُمِر ـــ ناظرا من ورائه، متطلّعا لأحواله ومتسمّعا لأنبائه، والله يشكر الالتفات الامامي الذي يَنشأ العبيد إنشاءً[14]، ويقيّدهم بقيود إحسانه فلا يزالون يطوون على حبه جوانح وأحشاءً.

وأما أحوال هذه الجهة الآن ـــ وصل الله تأييد الحضرة الامامية ـــ فعلى ما تقتضيه سعادة الإمامة العلية، وبركةُ الخلافة السَّنية، من الابتهاج والاستبشار، وحياة الحرث والنسل بما توالى مْن الغيث المدرار، واستقبالِ الطمأنينة وتمهّدِ القرار، بما منّ الله به بسعادة أيامها من **إذعان الاعداء واستسلام الكفار**[15]، والثقة بما عود الله أمره العزيز من حفظ الأمصار، وعزة الأنصار ؛ والله يُجري الأمور كلها على اختيار الحضرة الإمامية الذي هو خير اختيار، ويعين على ما يحظى برضاها، ويُجزل الحظ من نُعماها، ويوزع الخاص والعام والوالد والولد شكرَ فضلها ونُعماها...

---

(8) في الاصل : (احسانها).

(9) غير منقوطة الآخر.

(10) كذا في الاصل (طقيلا)، ولم اجد لهذه الكلمةاثرا في «لسان العرب» و «البستان» و «قطر المحيط».

(11) المودِّع هو المكتوب عنه، والمودَّع هو المعيّن على بطليوس «عبد الحضرة ابن عبدها».

(12) في الاصل :وينفصل.

(13) اي المكتوب عنه.

(14) كذا في الاصل (ينشأ)، والاصوب (ينشيء) حيث أن مصدرها انشاء.

(15) الاشارة الى فترة الهدنة بين الموحدين والقشتاليين على ما يبدو المذكورة في الرسائل السابقة عن أوائل المستنصر.

الرسالة الرابعة بعد المئة :

م خ/353 ....[1] وبركاتُ الحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ يتوالى إلمامُها، ونِعمها يسُحّ على
م خ/345 العباد/ والبلاد غَمامها، ــ والحمد لله رب العالمين حمدا يستديمها ويستزيدها، ويَنمي به مزيدُها ؛ وما تعلمونه ــ وصل الله عزتكم[2] ــ من كمال الوداد وجمال الاعتقاد، واحتفال الشكر، واجلال القدْر، فرياضه زاهرة، ومحاسنهُ ظاهرة، وأسبابه مبرمة، والنفس باستصحابه مُغرَمة ؛ والله يصل ذلك في ذاته ويبقيه، ويحرسه ويقيه.

ومن صفات أحوال هذه الجهات اقتبالُ الصلاح، وانثيال النجاح، وتُّمهُّد القرار، **واستسلام الكفار**، وامتداد ظل الامان، والاستبشار بسعد الزمان، والانبساط في الرجاء، بحسن مواقع الغيث المتتابع الغَنَاء، الموذِنِ في الزرع والضرع بالبركة والنماء، كلّ ذلك بسعادة الخلافة وبركة الامامة التي قضى الله في الأزَل بان تنبني عليها مصالح الجمهور، وتكون بها مَناجحُ الأمور، وتتصل بها أسبابُ الجهة والسرور والحمد لله ؛ وقد (وصل)[3] ــ وصل الله سعادتكم ويسّر في كل أمل إرادتكم، ــ كتابكم الأثير، السارّ الخطير صحبة الكتاب الإمامي الكريم[4] السَّنِّي المضمّن من جزيل الفضل وجليله، **وحفيِّ التنويه وحفيله**، ما يزدحم الشكر على فصوله، وتفرَّع[5] الحمد من أصوله، ويتحصلُ السعد بقدوم مثله ووصوله، والمشحون من أنوار الالتفات الكريم بما جرى على متعارَفه ومعتادِه، وحَسبَ أمل آمله وارتياد مرتاده، بما اقتضاه من **إنعام المقام الامامي، ــ** أيده الله **ــ على عبده ابن عبده بالأمر بتقديمه في بَطَلْيَوْس وسائر ثغرها الجوفي**[6]، وإنفاذه إليها على الوجه المرضي الحفيّ ؛ وتلك عادة المقام الإمامي ــ شكره الله ــ في إنشاء العبدان، والاعتناء بمصالحهم وإصباغ برود الإنعام عليهم والإحسان، وتملّك قلوب الشيب منهم والشبّان، تولّى الله جزاءَهُ، وشكر تهمُّمَه الكريم بعبيده واعتناءه ؛ ومجلّكم[2] متلقٍّ لهذ النعمة بمستوجبها من الشكر ومستحقِّها، ومبالغٌ في ذلك مبالغة العارف بحقها، وقد ألقى إليه من الوصايا الواجبة فيما[7] قُلّد ما اقتضاه الغرض الإمامي الكريم، وهو الآن آخذٌ في الحركة مستعينا بالله تعالى على ما أُمر به، عاملا بحول الله فيما يورده
م خ/355 ويُصْدره بحسبه، والبركة الإمامية إن شاء الله تعالى تعينه وتنجده، ويوفقه الله/ بها ويسدّده ؛ وما يقصرِّ مجلّكم في التضرع لأحواله والتسمّع لأنبائه حسبما أُمر به من ذلكم إن شاء الله، والله يجازي المقام الإمامي على غرضه الجميل، وفضله الشامل الجزيل.

---

(1) الرسالة مبتورة البداية.

(2) الرسالة على الارجح موجهة الى وزير المستنصر وهي جوابية.

(3) الكلمة ناقصة في الاصل والضرورة تفرض إضافتها.

(4) انظر الهامش 3 على الرسالة قبل السابقة (102).

(5) كذا بالاصل، والانسب : ويتفرع.

(6) هل هو تقديم لولد الوالي ابراهيم ؟ حيث كان عثمان ابنه ببطليوس عند وفاة ابراهيم باشبيلية، لاحظ أيضا التشكرات التي يقدمها للخليفة بعد هذا.

(7) في الاصل : في ما.

وتضمّن كتابكم الأثير[2] المشكور ما شفع الإنعام بالإنعام، وقَرن المنة بالإكمال والإتمام، من أفضال المقام الإمامي ـــ شكره[8] الله **بإكمال مرتّبه الشهري** على ما كان عليه مرتّب إخوانه الذين كانوا قبله ؛ وليس ذلك بأول أياديه ونِعمه، بل هو المعروف المألوف من جوده وكرمه ؛ والذي عند مجلّكم من الشكر على ذلك كله أكْثر من أن يَحْويَه الكتاب ولو أطنب فيه كل الإطناب.

وكذلك تضمن كتابكم الأثير الإعلام بالوقوف على النصيحة التي كان العبد أشار اليها، والتقريب لرأيه في التنبيه عليها، وأن الشروع في النظر فيها يكون عند إكمال ما **يحاول من المهادنة**[9] ـــ إن شاء الله ـ وموافقة الغرض الكريم في ذلكم وفي أمثاله نعمة من النعم التي ترتبط نفائسها بالشكر، وتُقيِّدُ جنائسها بالحمد والذكر، فالحمد لله على موافقة الغرض الكريم حمد المستزيد للنعمة في ذلك والمستديم ؛ وكل ما تَمشّى ـــ أدام الله عزتكم ـــ من فضل المقام الإمامي فهو أهلُه، **ومجلّكم يعلم من حسن وساطتكم**[10] فيه وجميل سعيكم في تسنّيه ما لا يسع جهلُه، وشكره كثيرا لما يتحقق من جميل مقاصدكم، وحميد مصادركم في الجد ومواردِكم، والله يبقيكم لشكرٍ تستحقونه بكرم خلالكم، وجميل تهممكم واهتبالكم، ويُحسن تمشيتَكم وحميدَ فِعالكم، ويُبلغكم في كل حال جميع آمالكم....[11].

---

(8) في الاصل : شكر الله.

(9) هل يقصد المفاوضات مع قشتالة أم المحاولة الفاشلة المشار اليها في الرسالة 84 وهل النصيحة تتعلق بموضوع عيث القبائل العسكرية فينظر في أمرها بعد توقيع الهدنة ؟.

(10) هذا تأكيد على أن المخاطَب هو الوزير ابن جامع الذي كان مسيطرا على أمور الخليفة المستنصر في اول عهده.

(11) الرسالة مبتورة النهاية كعادة سابقاتها.

الرسالة الخامسة بعد المئة :

ع/69 من أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين[1] — أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته — إلى جماعة الموحدين الذين بإشبيلية والكافة من أهلها — وفقهم الله وأكرمهم بتقواه سلام... (إلى آخر الوصية المعهودة)[2]...وأن تعلموا أن مصالح بلدكم عندنا مقدّمة
ع/70 على كل ما تأ(تّى) من المصالح ودنا، وأن مكان/ اشبيلية منّا مكانٌ لا يغيب وإن بعدت الشقّة عنا، إذا وُزنت الوسائل كانت وسائلها أرجح، وإذا عُرضت الأمور الجلائل كانت أمورها أسمـ(ـى) وأنجح، وإذا (ـــ ـــ ت)[3] المهمّات كانت المُهَمَّمَ الذي يُقدَّم، والضروريَ الذي يُعْتَنَى (به) قبل كل شيء ويتهمَّم، على ذلكم درجت إشبيلية كل (....)[4] السعادَة التي (....)[5]، وأبهة (....)[6] التي لِزَمَتْها، ومجموع القرائن (التي سبّبتها ـــ ـــ ـــ ـــ ـرحَتْها، ولها منّا)[7] المزيدُ من الاعتناء، والنصيبُ الأوفر من الحبّ والثناء، والحظ الأكبر من مراعاة المرضاة في كل الآناء.

وقد بلغنا ما كان من وفاة الشيخ الأجل الأثر لدينا أبي إسحاق[8] بن سيدنا الإمام أمير المومنين بن سيدنا الإمام أمير المومنين[9] رحمه الله، وكرَّم مُنقلبه ومأواه ؛ فلقد كان الأمـ(ـيـ)نَ الغيبِ، البعيدَ ورعُه والمنزع الذي كان يَنزعه من الريْب، وكان لأهل إشبيلية اليه المتاب الذي ربّته السّنونَ وأنِس به الآباء والبنون[10]، فإنا لله على ذهابه وإنا إليه راجعون[11] ؛ وأنتم أحق الناس أن تُعزَّوا به على البِعاد، وتؤنّسوا بعده لما كان بينكم وبينه من الوداد، وأن يكون لكم من نظرنا ما تستقبلون به الزمان جديدا، ومِن تخيُّرنا ما يسرّكم شيخا وكهلا ويافعا ووليدا ؛ وقد عيّنّا لكم من تعرفون إيالته الحميدة، وطريقته المرضية السديدة، الشيخ الأجلّ الأعز الأسنى الأثير **الأفضل أبا إسحاق**[12] **بن سيدنا الإمام المنصور** أمير المومنين بن سيدنا الإمام أمير المومنين ابن سيدنا الامام امير المومنين

---

(1) اي المستنصر بن الناصر بن المنصور بن عبد المومن.

(2) راجع الهامش 5 على الرسالة 97.

(3) كلمة مأروضة الوسط ولعلها : (رجحت).

(4) قدر كلمتين مأروضتين قد تكونان هكذا : (درجها، تحكم).

(5) قدر كلمة مثل : (غرستها) او (خدمتها).

(6) كلمة غامضة الطرفين لعلها :(الفنون) او (القبول).

(7) تأثير الرطوبة على نصف سطر (حوالي عشر كلمات).

(8) كان دفنه يوم 17 شعبان 612 (العطاء ص 78).

(9) تكررت عبارة (امير المومنين) ثلاث مرات ونبه الكاتب الى الخطأ في المرة الثالثة بوضع العبارة الزائدة بين هلالين بالاحمر.

(10) حيث تكررت ولايته عليهم عدة مرات، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(11) اقتباس من الآية 156 من سورة البقرة.

(12) سبق ان تولى على اشبيلية ما بين 605 — 607 (البيان 230 — 234) ولا نعرف متى انتهت ولايته الاخيرة وان كان صاحب المعجب يذكر انه تركه واليا على اشبيلية في آخر ذي الحجة 613 وبلغه — وهو بمصر — خبر وفاته سنة 617 المعجب (308 — 309).

جعل الله مَقدمَه عليكم سعيدا، وعرّفكم به نموا على كل ما عهدتم من الخير ومزيدا، فارتقِبوا قدومَه عليكم فلن يكون بحول الله بعيدا ؛ وفي أثناء هذا ــ وصل الله كرامتكم ــ فلْتحسُن آثاركم، ولْتطِبْ في المسامع أخبارُكم، ولْيتساوَ في العافية ليلُكم ونهاركم، ولْتُمشُّوا الأمور خير تمشية، ولْتوفُّوا أعمال البِر أفضل توفية، **ولْتأتمروا بينكم بمعروف، ولا يستطِلْ قويٌّ على ضعيف** ولا شريف على مشروف ؛ والله يو(ز)عكم شكر نعماه، ويعينكم على ما يزلف من رحماه، بمنه لارب سواه، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الحادي والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثنتيْ عشرة وستمائة.

الرسالة الخامسة بعد المئة (مكررة) :

ظهير عن المستنصر إلى رهبان بوبلات

تقديم :

اذا كانت العلاقات بين الموحدين وأرغون زمن المستنصر لا تتميز بهدنة رسمية — فيما يبدو — وانما بهدوء فرضته مشاكل الطرفين، فإن الاتصالات على المستوى الشعبي لا يظهر أنها توقفت، بل إن المستنصر اعطى لجماعة من رهبان الثغور الارغونية الحق في استغلال المراعي الاسلامية وكتب لهم بذلك الظهير الآتي نصه، وقد نشر هذا الظهير — مع دراسة له — بمجلة كلية الآداب بتونس المسماة (les Cahiers de Tunisie) المجلد 18 عدد 69 — 70/ 1970 على الصفحات من 69 الى 90 :

نص الظهير :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد نبيه الكريم، وعلى آله وسلم تسليما، والحمد لله وحده[1]، هذا ظهير كريم أمر به أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين[2] أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته لرهبان بوبْلات التي بجهة لاردة[3]، وفّقهم الله وسدّدهم، وأنار بصائرهم وأرشدهم، وجعل ما يقرّب من رحمته معتمَلهم ومعتَمَدَهم، أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مَكْرَع ولا مرعَى، رعياً لما سَعَوا له وانتُدِبوا إليه من المأخذ (الذي)[4] حبسوا له أنفسهم والمسعَى.

فليحفظْ حفَظَتُها في إيرادها وإسامتها[5]، ولا يَتعرضْ أحد من المسلمين لتنغيص إناختها، تأمينا مدّ به عليهم كثيف ظلاله، وأوردهم غير مرنّق ولا مرصّد نَاقِعَ زُلاله، فمن وقف عليه[6] فليمتثلْ حدّهُ، ولا يَتجاوزْ رِسمَه الكريم ولا يتعدَّه، إن شاء الله تعالى، وهو المستعان، لارب غيره ولا (خير إلا خيره)[7] ؛ وكُتب في الموفي عشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة.

(1) هذه العبارة هي علامة الخليفة.

(2) اي المستنصر بن الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن.

(3) لاردة : انظر عنها الادريسي ص 554، ط ايطالية، كانت هذه المدينة بيد أرغون منذ خريف سنة 544 هـ/ 1149 م، عنان «عصر المرابطين والموحدين» القسم الاول ص 508.

(4) في الاصل المنقول عنه : (التي).

(5) اي في ذهابها الى الموارد والمراعي.

(6) والي بلنسية المسؤول عن المنطقة في هذه الفترة هو السيد ابو عبد الله محمد بن ابي حفص بن عبد المومن (الذيل والتكملة س 6/ 489).

(7) في الاصل المعتمد : (لاجبر الا جبره) والتعبير العادي في الرسائل هو ما أثبتناه وقد قرأها الناشر خطأ كما يتضح ذلك من تعليقه في الهامش 10 ص 81 من مقاله المذكور سابقا.

الرسالة السادسة بعد المائة :

رسالة المستنصر حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تقديم :

منذ هزيمة العقاب عرف المغرب الاقصى أزمات متتالية، فالقسم الشمالي على الخصوص أصبح يعاني من الاضطرابات التي تسبّبت فيها قبائل بني مرين منذ بداية تغلّبها على الحاميات الموحدية سنة 613، فتوالى القحط والمجاعة التي وصلت عمقها سنة 617 خاصة وأن البلاد «الغربية» هي المنطقة الأساسية للإنتاج الزراعي ؛ فوجّه الخليفة المستنصر رسالة إلى الأمة تتضمن الأمر بالامر والنهي عن المنكر مؤرخة بعاشر ربيع الأول سنة 617 وذلك على عادة الخلفاء وقت الأزمات، وقد أورد ابن عذاري في «البيان» فصلا من هذه الرسالة (ص 245 ـــ 246)[1] وهو كما يلي :

نص الرسالة :

....والى هذا ـــ وصل الله توفيقكم ـــ فقد علمتم أن الدّين هو الأساس الوثيق، والبناء العتيق، والفسطاط المضروب، والعلَم المنصوب، والتّجْر الذي لا يبور، والطريف الذي يجور[2] ؛ من استمسك به فقد استمسك بالعروة (الوثقى)[3]، ومن تحصّن به فقد تحصّن بالمعقل[4] الأحصن الأرق ؛ فإذا وقفتم على كتابنا هذا فجدِّدوا[5] للناس به الذّكرى، وعرِّفوهم أنّ الدنيا مطيّة إلى الدار الأخرى، وحُظّوهم[6] على العمل الصالح، والتجر الرابح، عسى أن يجعلهم الله تعالى في الدارين من الذين لهم البُشرى، وبُثُّوا في جهاتكم كلها **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** تطهر[7] من الأرجاس، وتَتنقّى الحواضرُ والبوادي[8] من الأدناس، وتَسلمَ القلوب والجوارح من «الوسواس

(1) حسب ط تطوان. وقد تعمدت اغفال صفحات نسخ (خ ح) لتعددّها.

(2) في خ ح/ 5 و6 وط تطوان : لا يجوز.

(3) ناقصة في خ ح/ 5.

(4) في خ ح/ 4 : بالعقل.

(5) خطأ في خ ح/5.

(6) خ ح/ 2/ 3/ 4/ 5 : تحضوهم.

(7) في خ ح/ 1 و 2 و 6 وط تطوان : تظهر.

(8) في خ ح/5 : والبادي.

الخنّاس»[9] ؛ واستحفِظوا الكافة **صلواتِهم** فإنها الكتاب الموقوف على المومنين، وخذوهم باعتياد المساجد فإنها الشاهد[10] الأزكى بشهادة خاتم النبيئين وسيّد المرسلين، واطلبوهم بقراءة **الحزب والتوحيد بالمساجد**[11] **والأسواق**، **فإنه** الخير المألوف (والشعار المعروف)[12]، والرسمُ الذي عليه العمل والعهدُ الذي يجب فيه التغيير والخلَل، وتتبّعوا شعائر الدين كلها بالإقامة، ولا يعرضْ لكم في الأمر بها والحض عليها عارض سأمه،[13] وتخولوا الناس على الدوام بالوصايا النافعة، والمواعظ الجامعة، واعلموا انه قد جاء (في)[14] الأثر : إذا أصلح المرء جوانبه أصلح الله بَرَّانِيَه ؛ فلْيصلح الناسُ سرائَرهم، ولْيخلصوا ضمائرهم، ولْيوقنوا[15] بأنهم مسؤولون، وأنهم «تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون»[16] (ونحن قد قُلِّدنا قلادة نَعلم لوازمها، وتحفظ مراسمَها، ومن جملتها التذكير بالدين)[17]، فهو الشافع الذي يقبل[18]، والوسيلة التي لا تضاع[19] ولا تُهمَل، فاعلَموا ــ اعزكم الله ــ هذا المقصود[20] علما، وكونوا في القيام به لا تخالفون يقظة ولا نوما، وللناس عليكم (ما نأمركم به من العدل التام، والإنصاف العامّ، وكف الأيدي، وقبضها عن التعدي ؛ وهذا خطاب)[21] قد أرشدنا فيه إلى مناهج سوية[22] وحضضنا فيه على أمور ضرورية، وأتينا فيه بما يجب البدار[23] إليه، وخير العمل ما دُووِم[24] عليه، والله مُعينكم[25]، والسلام عليكم ؛ وكتب في عاشر ربيع الأول سنة سبع عشرة وستمائة.

---

(9) اقتباس من الآية 4 من سورة الناس.

(10) في خ ح/ 4 : الشهادة.

(11) في خ ح/ 5 : في المساجد.

(12) ناقصة في خ ح/ 5

(13) في ج ح/ 5 : عادي سنائه.

(14) ناقصة في خ ح/ 5.

(15) في خ ح/ 5 : وليقنوا.

(16) من الآية 24 من سورة النور.

(17) ما بين هلالين ناقص في خ ح/ 5.

(18) في خ ح/ 4 و 5 : لا يقبل، وفي ط تطوان : لا يغفل.

(19) في خ ح/ 5 : لاتضام.

(20) في خ ح/ 5 : المقصد.

(21) ما بين هلالين ناقص في خ ح/ 5.

(22) في خ ح/ 1 و 2 و 3 و5 : سرية.

(23) في خ ح/ 5 : البرار.

(24) في خ ح/ 5 داوم.

(25) في خ ح/ 5 : والله يعينكم.

تنبيه : فيما يتعلق بالرمز (خ ح) في الهوامش انظر ملاحظة هامشية على الرسالة التاسعة.

الرسالة السابعة بعد المائة :

رسالة السيد أبي زيد، والي بلنسية إلى الخليفة المستنصر حول لجوء أحد النبلاء الأركونيين إلى بلنسية

تقديم :

بعد موت بيدور الثاني ملك أركون سنة 1214 تولى على العرش ابنه الطفل خايمي الاول، وفي فترة الوصاية عليه اندلعت الصراعات الداخلية والتنافس على الوصاية على العرش بين كبار النبلاء وكان من نتائجها إقصاء احد المقرّبين الى الملك وهو «افلا صكه أرطال» فلجأ الى بلنسية طالباً الاذن بحق اللجوء، وعندما وصل السيد ابو زيد الى بلنسية واليا عليها من طرف المستنصر (ربما سنة 620) جدد الاركوني طلب الاذن، فوجه السيد ابو زيد رسالة الى المستنصر في موضوعه مبينا أن مكانته داخل المجتمع الاركوني قد تتيح اشعال او تقوية الفتنة بمملكة اركون، ولا يظهر ان الموحدين استفادوا من هذه الوضعية إذا انهم سينشغلون بدورهم بالأحداث الداخلية بعد موت المستنصرفي أواخر هذه السنة.

وهذا نص رسالة السيد أبي زيد[1] من انشاء كاتبه أبي المطرّف ابن عميرة[2] كما وردت ضمن رسائل هذا الكاتب بمخطوط خ ع/ ك 233 (ص 250 ـــ 251) ووردت أيضا في صبح الاعشى ج 6/ 434 ـــ 435) ضمن نماذج من رسائل العهد الموحدي، وقد رمزتُ الى صبح الاعشى بحرف (ص)، والي مخطوط الخزانة العامة بالرباط بحرف (ك).

نص الرسالة[3] :

ك 233/ ص 250 الحضرةُ الإمامية (العلية)[4] المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والإحسان ما[5] يجلو نورُه متراكمَ الإظلام، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة (الإمام)[4] المستنصر بالله أمير

(1) عن السيد ابي زيد انظر الهامش 13 على هذه الرسالة.

(2) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(3) ورد عنوان الرسالة في (ص) هكذا : «كتب ابو المطرف بن عميرة عن صاحب ارغون من الاندلس الى المستنصر بالله يستأذنه في وقادة صاحب ارغون من الاندلس ايضا على ابواب الخلافة مغاضبا لأهل مملكته»، واما في (ك) فورد هكذا : «كتب (ابو المطرف) لأمير المومنين المستنصر بالله عن السيد ابي زيد صاحب بلنسية في حق نصراني».

(4) كلمة ناقصة في (ص).

(5) في (ص) : بما.

المومنين أبي[6] يعقوب ابن ساداتنا[7] الخلفاء الراشدين، وصل الله لها إسعاد القدَر، وإنجاح[8] النصر والظفَر ؛ ولا زال مقامها الأعلى ساميَ النظر، مُباركَ الوِرد والصدَر، يَفيض[9] منه الجود فيضَ المطر، وتحيط[10] به السعود إحاطة الهالة بالقمر، نشأةُ أيّامها الغُرّ، (ورَبِيُّ)[11] إنعامها (المقتنى منه ألسنة)[12] الحمد والشكر، المشرَّف باستخدامها الذي هو نِعمَ العون علَى التقوى والبر، عبدُها وابن عبدها (عبد الرحمن بن محمد)[13] ؛ سلام الله الطيب المبارك وتحياته، تخص المقام الأشرف الاعلى ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ (حمدِ الله العظيم، والصلاةِ على سيدنا محمد نبيه المصطفى ورسوله الكريم[14]، والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين الى أمره الحق وطريقه المستقيم، والدعاءِ إلى سيدنا ومولانا الخليفة المستنصر بالله أمير المومنين بن الخلفاء الأئمة المهتدين بدوام النصر العزيز والفتح العميم)[15].

فكَتب العبدُ ــ كتَبَ الله للمقام العلي[16] فتوحا تعمّ جميع الأقطار[17]، وسعدا[18] يقضي بفلّ السُّمر الطوال والبِيض القصار ــ من بلنسية[19]، وبركاتُها[20] تظهر ظهور النهار، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار، فالخلق بين[21] وارد في سلسالها المَعين، وراجٍ للوليّ منها هو من بلوغ رجائه[22] على أوضح مراتب اليقين ؛ والله يبقي عز الإسلام ببقائه، ويعيننا على امتثال أوامره المباركة معشرَ عبيده وأرقّائه، بمنه[23].

(6) في (ك) : ابو.

(7) في (ص) : سادتنا.

(8) في (ص) : انجاد.

(9) في (ص) : ويفيض.

(10) في (ص) :ويحيط.

(11) ناقصة في (ك).

(12) في (ص) : انعامها المواظب على الحمد والشكر.

(13) في (ص) : فلان، سلام... وهذا السيد هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن ابي حفص عمر بن عبد المومن، وكان ابوه ايضا من ولاة بلنسية.

(14) لاحظ هنا غياب الدعاء لآل الرسول وصحابته.

(15) ما بين هلالين ناقص في (ص).

(16) في (ص) : الاعلى.

(17) في (ص) : يعم جميع الامصار.

(18) في (ص) : وسعودا.

(19) عن بلنسية انظر الادريسي 556 ن، ايطالية، وبسط الارض (100 ــ 101).

(20) في (ص) : وبركاته.

(21) في (ص) : من.

(22) في (ص) : وراج للذي منها وهو من رجائه...

(23) لاحظ ان الكلمة (بمنه) وردت هنا قبل ذكر موضوع الرسالة على عكس ما رأيناه في الرسائل السابقة.

وقد تقرر لدى المقام الكريم[24] ـــ أدام الله علوه وكبت عدوه ـــ بأمر افلاسكه أرطال[25]/ وما له في البلاد الأرغونية من رعاية[26] في شاوها برّز، ولغايتها أحرز ؛ وكان[27] قد كفل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرُها عليه، وأُلقِيَ زمامُها إليه، وتفرّد منها بعبءِ حملَه، وحظ بلغ منها أمله[28]، ثم إنه حُطَّ من رتبته، وتأكدت المبالغة في نكبته، لقضية عرضت له مع أهل ارغون، فلفطته تلك الجَنَبات، وأزعجه أمرٌ لم يمكنه عليه الثبات، ورأى أن يلجأ بحاله الى المقام الباهر الأنوار، العزيز الجُوار ؛ فوصل[29] هذا الموضع قبل قدوم[30] العبد عليه مقررا مانزل به، ومستأذنا في الوجه الذي تعرَّض لطلبه، **فأذن له في مقصَده** وانصرف عن التأهب للحركة من بلده، ثم لما وصل العبد[31] هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجها إلى الباب الكريم، ومتوسّلا بأمله الى فضله العميم.

والظاهر مِن حَنَقِهِ على أهل أرغون، وشدّة عداوتِه لهم، وما تأكد من القطيعة بينه وبينهم، أنه إن صادف وقت فتنة معهم، ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العلي[32] ـــ ايـده الله ـــ فسينتهي[33] من نكايتهم والإضرار بهم الى غاية غريبة الآثار، مفضية به إلى دَرْك الثار ؛ وكثير من زعماء أرغون ورجالها أقاربه وفرسانه، وكل [34] في حبله حاطب، ولإنجاده متى أمكنه خاطب ؛ وللمقام العلي عالي الرأي[35] فيه أبقاه الله شافيا للعلل، كافيا طروق الخطْب الجلل[36]، مأمولا من ضروب الأمم واصناف الملل، وهو سبحانه يديم سعادة جده (ومضاء حده)[37]، ويخصه من البقاء الذي يسرّ أهل الأيمان، ويضاعف بهجة الزمان بأطولِه وأمدِّه، والسلام.

---

(24) في (ص) : وقد تقرر له من المقام الكريم.

(25) انظر في الفصل الرابع خصوصيات رسائل ابن عميرة ثم عواقب معركة العقاب (الفقرة الاولى).

(26) في (ص) : وكبت عدوه امر بالتسلط وطال ماله في البلاد الارغونية من زعامة في شأوها...

(27) في (ك) : وكل قد...

(28) في (ص) :...بعبء وحمله، وخطة...

(29) في (ص) :فواصل.

(30) في (ص) :مقدم.

(31) أي المكتوب عنه.

(32) في (ص) :العالي.

(33) في (ص) : فينتهي.

(34) في (ص) : وكلهم.

(35) في (ص) : وللمقام الكريم اعلى الرأي.

(36) في (ص) : وكافيا طوارق.

(37) ما بين هلالين ناقص في (ص).

الرسالة الثامنة بعد المائة :

رسالة من والي بلنسية السيد أبي زيد
إلى الخليفة عبد الواحد مؤيدا بيعته بالخلافة

تقديم :

عند موت الخليفة المستنصر في أواخر سنة 620 بمراكش اختار أشياخ الموحدين أحد كبار السادة من أبناء الخليفة يوسف وهو أبو محمد عبد الواحد[1] الذي سيتم خلعه بعد بضعة أشهر، وهذا أول خلع حدث في الدولة الموحدية فاشتهر عبد الواحد بالمخلوع، وبعد تمام بيعته بمراكش وجهت رسائل الى الولايات بشأن إرسال موافقتها على البيعة، فكانت الرسالة الآتية من السيد أبي زيد عبد الرحمن والي بلنسية جوابا بالتأييد لهذه البيعة ؛ وهي من إنشاء ابي المطرف ابن عميرة،[2] وقد وردت ضمن السفر الاول الخاص برسائله وهو مخطوط مصور ضمن مخطوطات جائزة الحسن الثاني لسنة 1981، المصور بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د ــ 4502 الورقتان 3 و 4، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

3/ب الحضرة الإمامية العلنية[3] ناصرة الإيمان، ومجددة بهجة الزمان، القائمة بالعدل الموصلة[4] إلى رضاء الرحمان، الباسطة على البلاد والعباد ظل الأماني والأمان، حضرةُ سيدنا ومولانا الخليفة المرتضى أمير المومنين، أنجز الله تعالى لها أفضل المواعد، وأنهضها لإعلاء كلمته[5] بشدة الأيد وقوة الساعد، وتكفّل لها بدوام الجد الصاعد، وإخدام القدَر المساعد ؛ عبدُ مثابتها العليا ومؤمل دولتها المستحفظة نظام الدين والدنيا، المعتقِد خدمتها وسيلة تُفضي الى نجح الآمال وتقضي بعز المحْيا، عبد الرحمن بن محمد ؛[6] سلام الله تعالى الطيب المبارك الكريم وتحياته، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(1) هو عبد الواحد ابن الخليفية يوسف بن عبد المومن (البيان 247 والقرطاس 243).

(2) انظر ترجمته في مقدمة البحث .

(3) كذا في الاصل، والعادة ان تكون (العلية)، قارن مع ما كتبه ابن عميرة نفسه الى المستنصر عن السيد ابي زيد ايضا (الرسالة رقم 107).

(4) كتبت خطأ (الموصل) وصححت على هامش المخطوط : (الموصلة).

(5) في الاصل : (واهضها لاعلاء كلمة).

(6) هو ابو زيد عبد الرحمن... انظر عنه الهامش 13 على الرسالة 107.

أما بعدَ حمدِ الله تعالى الذي جمع أهل طاعته على الهدى، و لم يرضَ لأمر خليقته أن يبقى هَمَلا ولا يُتركَ سُدى، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله بدر الكمال وبحر الندى، صلاةً تتوالى عليه وعلى آله وأصحابه الذين خاضوا دونه غمرات الردى، وفدوْه عند الكريهة بنفوسهم وقلّ له ذلك الفِدى ؛ والرضى عن الإمام[7]/ المهدي المعلوم أضوأ شهاب بَدا، وأكرم إيمان راح لإعزاز الملة الحنيفية واقتدى ؛ وعن خلفائه الراشدين[8] الذين هم كالنجوم بأيّهم اقتدى الساري اهتدى، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين بنصر يحوز المَدى، ويَفُلّ غرب العِدى ، وفتحٍ يروّي غُلّة الاسلام ويشفي منه (للهدى[9])[8]. 4/أ

فكَتب العبد ـــ كتب الله تعالى للمقام العلي سعدا مطلق الأعنة، وعزما ماضي الأسنّة، مسعدا على ما ينويه من إقامة الفرض والسّنة ـــ من بلنسية، والإيمان في الذروة العالية راقٍ، والأرض بنورها ذاتُ إشراق، والبشائر قد قامت[10] على سياق، واتسق وفدها أجمل اتساق، ونفوس المسلمين قد غشيها الأمان، وتمحّض[11] لها عن أسعد أيامها الزمان ؛ والله تعالى قد صدَقها وعده، وهنأ لها من الرّيّ ما لا ظمأ ـــ إن شاء الله تعالى ـــ بعده، وقد جعل الله سبحانه اتفاق الكلمة على النجاح عنوانا، وقيّض لدينه أنصارا من أهله وأعوانا، وألف بين قلوب إخوانه فأصبحوا بنعمته إخوانا[12]، فله عزّ وجهه الاختراعُ والانشاء، والفضلُ بيده يوتيه من يشاء ؛ وقد **نادى للعقد ما أصفق عليه الملأ الأعلى** كرّم الله تعالى مثواهم، وأسعد سرّهم ونجواهم، **من عقد الإمامة لمن جمع الله تعالى له[13] شرف الذات والولادة**، وقلده منها بالاستحقاق أعظم قلادة، سيدنا ومولانا الخليفة أمير المومنين، جزى الله تعالى مقامه الأعلى أفضل جزا(ء)[14] المحسنين، فورد عليه من هذا النبأ أكرم وارد طويت عليه المهارق، وتهادته المغارب والمشارق، وزحزحت بطروبه الخطوب الطوارق، لاجرم أنه طلع على البلاد صبحا جليا، ورفع الدعوة المهدية مكانا عليا، فتعرّى زهر المسرات عن كمامه، وقيّد جامح الأمل بزمامه.

ولما هبّت عيون البشائر عن نومها، وتشرّفت خطبة الجمعة الى الدعا(ء)[14]لأيام المخصوصين بيومها[15]، وعَلِم العبد أن الترغيب في المسارعة الى الخير حُكمٌ من أحكام الشريعة، وقصدٌ هو

(7) كذا، ومن عادة كتّاب الرسائل أن يضيفوا هنا كلمة (المعصوم).

(8) الرطوبة في اعلى الصفحة اثرت على معظم كلمات السطر الاول وبداية الثاني.

(9) يمكن ان تقرأ ايضا (للصدى).

(10) في الأصل : قد قامته.

(11) كذا، ولعلها : (وتمخّض).

(12) اقتباس من الآية 103 من سروة آل عمران.

(13) في ا لاصل : (الله له تعالى شرف)..

(14) الهمزة ناقصة في الاصل.

(15) تظهر تبعيته في الدعاء للخليفة في خطبة الجمعة، وكانت بيعته قد تمت بمراكش في يوم الاحد 13 من ذي الحجة سنة 620 (البيان 247 والقرطاس 243) وثار عليه العادل بمرسية في 13 صفر 621 (البيان 248) وسيتم خلعه في 20 شعبان 621) ثم قتله بعد ذلك (البيان 247 والقرطاس 245).

الى نيل الثواب من أكرم ذريعة، وأن خبر **هذه البيعة السعيدة قد تعيّن إعلانه وإبداره**، وفرضُها من قَبيل ما يجب في أول الوقت أداؤه، **ألزمها نفسه** على أوعب فضولها المكرمة، وأكرمِ شروطها المبرَمة، **ودعا الناس إليها فأقبلوا مهطعين**، إلى الداعي مسرورين، بعقدٍ أُسِّسَ على التقوى فتكفّل الله عز وجل بعصمته من الداعي فانقلب حاسرُ الرجاء دارعا، ومُتَطاوِلُ الأمل بارعا[16]، وعاد الناس بعد الوجوم ببشرى من مُزْنتِها سُقياهم، وفي ذروتها حصّنوا دينهم ودنياهم، وكأنما الله سبحانه «قال لهم موتوا ثم أحياهم»[17] ؛ فأفاضوا في شكر نعمته بجهاده[18] الخلافة التي تملأ الأرض قسطا، وتبسط ما أمر به من العدل والإحسان بسطا، وتجدّدُ من سير الخلفاء الراشدين/ (الراشدين)[19] رضي الله تعالى عنهم ما يعود على أهل الاسلام بعزة الاقتدار، (....)[20] ويعلم الكافر لِمن عقبى الدار، وكيف لا يرى التوحيدُ قرّة عينه، والشركُ عاجلَ بَواره (....)[21]، والله تعالى قد اختار لها أهل النهوض بها والاستقلال، والأمّةُ قد أجمعت عليها والصادق المصدوق أخبر أنها لا تُجمِع على ضَلال ؛ فلله هو من خبر قَبِلَه المسلمون سامعين مطيعين، وغَصَّ به الكافرون فيأتون بالهُون قاطعين، وللهدي مقاطعين، وأنزلَ الله تعالى منه آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ؛ وقد تبادر مَن قِبَلَ العبيدِ[22] **الى البيعة المباركة** مؤكدين بالدخول فيها على عقد إيمانهم، ومهطعين بها على أوفى شروطها صفقة أيمانهم ؛ قد وافق ما اقتضاه الملأ الاعلى وأرضاهم، وبذلوا من أنفسهم لداعي الحق كلما تقاضاهم ، ووثقوا بأن الله سبحانه لم يجمع على هذا العقد الكريم كل من شهده أو بلغه، وأقرن به من دلائل اليسر أصدق شاهد وأبلغه، إلا وقد قضى فيه بضمّ النشر، ودخوله من عجائب الاتفاق ما لم يخطر على قلب بَشر.

ك 4/ ب

وقام العبد الى هذه البيعة المدّخرة الى أفضل أوان؛ المؤسسة على تقوى من الله ورضوان، قيام من أنِسَ الرشدَ من مقاصدها السّنية، ورآها شرطا في صحة الأعمال الدنيوية والقُرَب الدينية ؛ وبمقتضى ذلك يشمّر للخدمة خير آل[23]، ويرجو بأداء وظائفها النجاة في حال[24] ومآل ؛ وإذا جدّ به الجد في نهج طريقها وجمعِ تفاريقها، فما يرى أنه قضى كل حق ترتّبَ في ذمته، وواجب انصرف إليه بهمته، وإنما حسبُه أن يعترف بالتقصير مع الاجتهاد، ويضرع إلى المقام الأعلى في إرشاده فهو خير مرشد وأفضل هاد، ثم ينصرف هو ومَن قِبَله إلى الدعاء يرفعونه إلى القريب

---

(16) لعل في هذا تلميحا الى الخلاف القوي بين الاشياخ والسادة حول من يتولى الخلافة، انظر في الفصل الرابع «تصدع الجبهة الداخلية الموحدية».

(17) من الآية 243 من سورة البقرة.

(18) كذا في الاصل.

(19) كذا مكررة في المخطوط ولعل الاصح : الراشدين (المرشدين).

(20) قدر كلمتين غير واضحتين في نهاية السطر الاعلى من الصفحة حيث طمست الرطوبة معظم كلماته.

(21) قدر كلمة غير واضحة لعلها : (وحيْنه).

(22) كذا في الاصل بالجمع بينما ورد سابقا «فكتب العبد» ويرد لاحقا «قام العبد...»

(23) كذا، ولعلها من الفعل (ألّ) بمعنى أسرع.

(24) كذا في الاصل.

المجيب، ويستنزلون به إمداد اللطف الخفي والصنع العجيب : ربنا إنك تعلم ما تخفي وهو اعتقاد الطاعة، وما نعلن وهو الشكر جهد الاستطاعة، فاحفظ اللهم إمامنا المرتضى بما حفظت به الايمة الذين بالحق قضَوا، وعلى إظهاره مضَوا، والى رحمتك ورضوانك أفضَوا، اللهم أمتعْه بعوا رفك الجسام، واقسم له من إسعادك وتوفيقك أفضل الأُقسام، واجعل زماننا به رائق الطلاقة والابتسام، وانصره على أعدائك الكافرين بما قلّدته من الماضييْن الرأي والحسام، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين[25].

(25) اورد صاحب «نفح الطيب» رسالة تهنئة من ابن سعيد (والد صاحب «المغرب») الى الخليفة عبد الواحد بمناسبة بيعته بالخلافة، وكان من قبل كاتبا له ومختصا به (نفح 2/ 362 ــ 364).

الرسالة التاسعة بعد المائة :

فصل من رسالة العادل بعد استقراره بمراكش قادما من الأندلس

تقديم :

كان أبو محمد عبد الله بن المنصور ثار بمرسية على الخليفة عبد الواحد المخلوع سنة 621[1]، وبعد أن لقي تأييدا من أهم مدن الاندلس حيث كان اخوانه ولاة بها، انتقل الى المغرب فاستقر بمراكش، ومنها كتب الى اهل الاندلس مخبرا باستقرار الامور له بالمغرب ومواعدا بالعزم على الجهاد، ورد فصل من هذه الرسالة بكتاب البيان المغرب (الجزء الثالث طبعة تطوان ص 249) ضمن احداث سنة 622 وهذا نص الرسالة مقارنا مع نسخ الخزانة الحسنية[2].

نص الرسالة :

....[3] وأن تعلموا — رضي الله عنكم — أن الموحدين — اعزهم الله — لم يزالوا يتعرّفون في أوبتهم هذه من التيسير والتسهيل، واستصحاب الصنع الجميل، ما قرّب لهم كل قاصٍ، وذلّل لهم كل عاص، ويسّر كل عسير، وجبر كل كسير، إنجازا منه سبحانه للمواعيد الصادقة، وصلةً لأسباب العنايات اللاحقة، تنثال عليهم الخيرات انثيالاً، وتُوافيهم المسرّات بُكَراً وآصالا، وتتلقّاهم وفود الموحدين من كل جهة أرسالا، يتسابقون الى لقائهم تسابق الطير الى الأوكار، ويتباروْن في حفظ ما أخِذ عليهم من الوفاء بما التزموه من العقود تباريَ السُّراة الأحرار ؛ وهاهم — بحمد الله — **قد انتظم شملهم، واتصل حبلهم**، واجتمعت أهواؤهم، واتفقت على إعزاز كلمة الحق آراؤهم، وحلّوا بدار الموحّدين[4]، ومطلع[5] الخلفاء الراشدين المهتدين، حيث الجموع وافرة، والأعداد متكاثرة، وطائفة الحق متعاضدة متظاهرة، وذلك حلول استدعاء واستنفار، لا حلولَ إقامة واستقرار، **عازمين على الجهاد**، والله تعالى يُمضي عزائمهم، ويَجبرهم[6] على جميل معتقداتهم على جهاد أعداء الله الكفار، فاعلموا — وفقكم الله — (ذلكم)[7]، (والله)[8] يبلغكم آمالكم، والسلام عليكم.

(1) اي في 13 صفر بعد شهرين من خلافة عبد الواحد (البيان 247 — 248).

(2) حول رموز هذه النسخ انظر ملاحظة في هامش الرسالة التاسعة.

(3) قدم ابن عذاري لهذا الفصل من الرسالة كما يلي : «وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة استقامت الامور والاحوال لامير المومنين العادل بمدينة مراكش فأقر عمّاله على أعمالهم وخدّامه على طبقاتهم في أمورهم وأحوالهم وجميع أشغالهم في البلاد الغربية والاندلسية، وكتب عند وصوله الى الحضرة للأندلس...(فصل من ذلك : «....وان تعلموا...).

(4) لعله يقصد مراكش أو بلاد المصامدة عموما بما فيها مراكش.

(5) في خ ح/ 4 : الموحدين، (ودار) الخلفاء.

(6) في خ ح/ 3 : ويجرهم.

(7) اضافة من خ ح/ 4.

(8) ناقصة في خ ح/ 4 و6، ووردت الجملة في ط تطوان هكذا : «فاعلموا وفقكم الله على والله يبلغكم...

البائس وطائفته البائسة، عبدُها إدريس[10]، سلام كريم على المقام الامامي ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله الذي أبى إلا أن يتم نوره، ويصل لخليفته[11] العادل الفاضل اعتلاءه وظهورَه، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم ذي الدعوة المنجوزة[12] والوسيلة المذكورة، سيد الأولين والآخرين صفوة الصفوة وخِيرة الخِيرَة (....)[13].

فكَتب العبدُ المسترَقُّ شخصُه وفؤادُه، المستحقُّ بغمر الأيادي[14] والفضل المتمادي[15] جدّه واجتهادُه، — كَتَب الله للمقام العالي من أنباء المسارّ ما يقترن به التواتر، ويرتفع به التشاجر — من إشبيلية....

.... ولما كان يومُ كتابه نزل العدوّ المذكور، فكانت بيننا وبينه مواقفات غُلب فيها باطلُه، ومُحِيَ بعون الله أملُه، وهو — قصمه الله — يحاول الانتهاض ويروم الاحتمال، وبناؤُه قد مال، فولّى أمام حزب الله الموحدين ما ابتلع ريقا[16]، ولا (وجد)[17] إلى غير الفرار طريقا، تَكتنف السهامُ أذنيه، وتسبق الشفارُ إليه، وتكاد عُقبان المنايا الواقعة على جَزعاه وجرحاه[18] تقع عليه، فكم خلّف خلفه من قتيل مُضرج[19] بدمه، وجريح عضّ بنان ندمه، أَرْدته مواعيدُه الكاذبة، وتمويهاتهُ العائدة عليهم وعليه بسوء العاقبة، وتبعتهم أجناد الله إلى مَضاربه فألفَوْها خرقى[20] مصفقة[21] بالرياح، لا بل خلقى[22] ممزّقة بالرماح، قد أخلاها جزعاً وخلاّها فزعاً، وأوى[23] إلى رُبوة[24] ليست (ذات)[25] قرار ولا معين، واستمسك بعروة لا تَثبت مع شِمال ولا يمين ؛ وكانت الشمس قد

---

(10) إدريس (المامون) ابن الخليفة المنصور، سيستغل مكانته بالأندلس لتحويل الخلافة إليه. راجع في الفصل الرابع «تصدع الجبهة الداخلية الموحدية».

(11) كذا في خ ح / 1 و2 و3، وفي بقية النسخ (خ ح) وط. تطوان : الخليفة.

(12) في خ ح / 3 و4 وفي خ ع / ق 200 : المنجزة.

(13) يبدو أن هنا بتراً تسبب في إغفال ذكر المهدي، لأن المامون لازال واليا للعادل، أي قبل أن يتولى الخلافة ويلغي رسوم المهدي.

(14) كذا في خ ح / 3 و 4، وفي خ ح / 6 : بغمر الأياد، وفي ط. تطوان : بغير...

(15) في خ ح / 1 و 2 وط. تطوان : والمتادي (بإضافة الواو).

(16) في خ ح / 4 : وبقي، وفي خ ح / 6 : ريا.

(17) في نسخ خ ح / وط. تطوان : (وجه). ويبدو أن الأصح : (وجد).

(18) في خ ح / 4 : جرعاء وجرحاء، وفي خ ح / 1 و2 و5 و6 وط. تطوان : جزعاءه وجرحاءه.

(19) في خ ح / 1 و4 : مضموح.

(20) في خ ح / 1 و2 و3 و4 وق (خ ع) : حرما.

(21) في خ ح / 4 : مصفقا.

(22) في خ ح / 3 و4 وق : ملقا.

(23) في خ ح / 4 : وادى.

(24) في خ ح / 1 و2 و3 و4 : رتبة.

(25) ناقصة في خ ح / 3 و4.

الرسالة العاشرة بعد المائة :

رسالة والي اشبيلية أبي العلى إدريس إلى الخليفة العادل حول هزيمة البياسي

تقديم :

بعد أن استقر العادل بمراكش عيّن سنة 622 عبد الله (البياسي) صاحب اشبيلية والياً لقرطبة، وعيّن أبا العلى إدريس (أخا الخليفة) على اشبيلية، غير أن البياسي لم يلبث أن ثار على العادل معتمدا على الفرسان القشتاليين المرتزقة ودعم ملك قشتالة، وحاصر اشبيلية، إلا أنه انهزم أمام واليها أبي العلى، فكتب هذا رسالة إلى أخيه الخليفة العادل مخبرا بهذا الانتصار وهي مؤرخة بربيع الأول سنة 623، وردت فصول منها بالبيان المغرب (طبعة تطوان ص 250 ــ 251)، وهذه هي الفصول مقارنة مع نسخ الخزانة الحسنية حسب الرموز المذكورة في هامش الرسالة التاسعة :

نص الرسالة :

الحضرة الامامية الطاهرة[1] العلية، مقام الفضل الباهر، ومقر العدل المشتهر في البادي والحاضر، حضرةُ سيدنا الخليفة الإمام العادل أمير المومنين ابن الأئمة الخلفاء أمراء المومنين، أدام الله لها اتصال البشائر، وخلّد في صحف الليالي[2] والأيام ما لايزال يجدده برحمته لها من قهر المُنافر ونصر المُظاهر[3] ؛ عبدُها الباذل في خدمتها العلية نفسَه ونفائسه، وفي الذب عن خلافتها السعيدة وإمامتها الحميدة راجلَه[4] وفارسَه، المشمِّرُ عن ساعد جدّه (في)[5] مقارعة الصادّين عن قصده بغيةً[6] في العمل المبرور تنافسه[7]، وعزمةً من النصر الموعود عرائسه[8]، لِما أحل[9] الله من المِلِمّات بعدوّه

(1) كذا في خ ح / 2 و4 و6، و(الظاهرة) في باقي النسخ مع ط تطوان، وبالمقارنة مع رسائل أخرى نجد عادة استعمال كلمة (الطاهرة).

(2) في خ ح / 6 كلمة خاطئة.

(3) في خ ح / 3 و 6 : المظافر.

(4) في خ ح / 4 : رجله.

(5) ناقصة في خ ح / 4.

(6) في خ ح / 4 و 6 : بهية.

(7) في خ ح / 4 : وتنافسه.

(8) في خ ح / 3 و 4 : عيرائسه.

(9) في خ ح / 3 : لما أحله.

وجبت[26] واستحبت، والظلمة قد أَزِفت وأزلفت، فمحت الأشخاصَ من النواظر، وعمّت تلك الربوة على الأقدام والحوافر، ولولا سواد الليل[27] خامَره البَنان[28] المدلَّل، وغادره[29] بالاثلاث[30] نجماً لا يظلَّل....

..... وإن المحنة بهذا البائس قد بلغت مَداها، وانقبضت بعد التبسط يداها، وانتهى إلى غاية لا يَتعدّاها، والحمد لله الذي أذل للخلافة العادلية[31] أحدَ عُداتها، وأنصفها من مُنازعها بأَداتها، فكافرُ النِّعم تستحيل عليه نِقما، وحاجبُ الشمس ضوءها حافظ بين ظلام وعمَى[32] ؛ والموحدون عازمون على اتّباع هذا العدو إلى أن يَدَعوه عقيرا، أو يستثبتوه[33] أسيرا، إن شاء الله تعالى ؛ وكتب في ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وستمائة[34].

---

(26) في خ ح / 4 : وحييت واستحبت.

(27) في خ ح / 1 و2 : سواد أليل.

(28) خطأ في خ ح / 2 و4.

(29) في ط. تطوان : وغاده.

(30) كذا في (ق) وجميع نسخ خ ح ماعدا خ ح / 5 وط. تطوان ففيها : بالاثاث.

(31) في خ ح / 6 : العادلة، وفي خ ح / 2 و4 : العادية.

(32) في خ ح / 2 و5 و6 وط. تطوان : حافظا بين ظلام وعماء.

(33) في خ ح / 1 و2 و3 و6 : يستثبلوه وفي خ ح / 4 : يستثبوه.

(34) ورد في نهاية الرسالة العبارة الآتية : «وكتب أيضا أبو العلاء لأخيه العادل يخبره برجوع بلد طلياطة (حسب خ ح / 1 و2 و3 وق أو طليطلة حسب ط. تطوان والنسخ الأخرى) وانتزاعها من يد (حسب خ ح / 1 و2 أو أيدي حسب باقي النسخ) البياسي المذكور بعدما هزمه» ولم يرد نص الرسالة المذكورة. راجع موضوع البياسي في الفصل الرابع ضمن «عواقب هزيمة العقاب» و «تصدع الجبهة الداخلية الموحدية».

الرسالة الحادية عشرة بعد المائة :

رسالة من أحد كبار رجال الدولة إلى الخليفة العادل

تقديم :

تعتبر منطقة شقورة ثغرا مهما في مواجهة القشتاليين ومنعهم من الامتداد نحو ولاية مرسية، خاصة بعد تقدم هؤلاء في ولاية جيان معتمدين على تحالف البياسي معهم. ووصلت إلى الخليفة العادل بمراكش تُهم موجهة إلى عامل ثغر شقورة، غير أن أهلها «صرّحوا بارتضائهم بسيرة عاملهم»، وحاول الخليفة أن يتأكد عن طريق والي اشبيلية وقرطبة فيما يبدو وهو أبو العلاء إدريس الذي كان أخوه العادل فوّض إليه النظر في أمور الأندلس، فتوصل الوالي إلى نفس النتيجة أي تأكد من براءة عامل شقورة مما نُسب إليه، فوجه بذلك الجواب على رسالة الخليفة في صدر جمادى الأولى سنة 624[1]، وقد أورد هذه الرسالة الجوابية القلقشندي في صبح الأعشى ج / 6 (531 — 532) ضمن أمثلة من المراسلات بين بعض كبار الموظفين في الدولة الموحدية وبعض خلفائها لتبيان اختلاف أساليب بدايات الرسائل[2]، وهذا نص الرسالة الجوابية :

نص الرسالة :

أطال الله بقاء أمير المومنين، وناصر الدين والدنيا[3] بفضله العميم ؛ ولا برحت مصالح العباد بباله الكريم جائلة مائلة، وسيرته الحميدة لدانيهم وقاصيهم شاملة كافلة، ولازال لله في أرضه بالقسط قائما، وعلى ما ينفع الناس محافظا دائما.

كتبتُه — أيّد الله أمره — صدرَ جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين وخمسمائة[4] بعد امتثال ما حدَّه، والانتهاء إلى ما وجب الانتهاء عندَه ؛ مِن أمر ثغر شقورة[5] — حرسه الله — على ما أنصُّ

---

(1) انظر الهامش 4 بعد.

(2) انشاء الرسالة منسوب إلى المكنّى (أبو الميمون).

(3) كذا في الأصل المعتمد.

(4) كذا في صبح، ويظهر هنا الخطأ واضحا حيث يجب وضع (وستمائة) بدل (وخمسمائة)، وهذا التاريخ كان قبل ثلاثة أشهر من نهاية حكم العادل وبيعة إدريس المامون باشبيلية.

(5) يقع حصن شقورة في أعالي نهر شقورة (أو نهر مرسية) وأعلى روافد الوادي الكبير، ويقع ثغر شقورة بين منطقة مرسية شرقا ومنطقة قلعة رباح غربا وكوينكة شمالا، أي في مواجهة الضغط القشتالي (انظر الهامش 7 على الرسالة 63).

الرسالة الثانية عشرة بعد المائة :

رسالة من تونس
إلى حاكم بيش لانصاف أحد التجار

تقديم :

وجّه المسمّى عمر بن أبي بكر الصابوني رسالة إلى صاحب بيش آنذاك على يد أحد كبار التجار من اليهود التونسيين يطلب إنصاف هذا التاجر من مَدينيه البيشانيين ومنهم يهوديان، مثلما يعامَل البيشانيون بتونس، ويطلب منه الجواب بما فعل مع غرماء هذا اليهودي، مما يرجح أن يكون الصابوني أحد كبار موظفي تونس إن لم يكن رئيس ديوان مرساها. والرسالة مؤرخة بـ 20 شوال 624 وتحمل الدعاء للخليفة الموحدي العادل الذي قتل في هذه الفترة. والرسالة واردة عند اماري في (Diplomi...) تحت عدد 28.

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

الشيخ[1] الأكرم المبجّل البُسْتَات أُبَالْدُ بيسكُونتِ[2] صاحب بيش، أرشده الله ووفقه، شاكِرُكم المبادِر لقضاء[3] حوائجكم عمر بن أبي بكر الصابوني[4]، سلامٌ عليكم ؛ وبعدَ حمدِ الله تعالى، والصلاةِ على سيدنا محمد نبيه الكريم ورسوله المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبَى، وعن الخلفاء[3] الأيمّة الراشدين أيمّة الهدى، وصلةِ الدعاء[3] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام العادل[5] أمير المومنين أبو[6] محمد عبد الله بن الخلفاء[3] الأيمّة الراشدين بالفتح الأحفل والأحفى ؛ فكَتبتُه إليكم ــ وفقكم الله وسددكم ــ من تونس ــ كلأها الله ــ مسلّما عليكم وسايلا عن

---

(1) في الأصل المعتمد (ا م) : للشيخ.

(2) في الرسالة رقم 27 عند اماري المكتوبة عن صاحب بيش إلى ملك مصر الكامل يسمى «سير أُبالْدُ فسكونتُ البُسطار».

(3) في الأصل المعتمد (ا م) بدون همزة.

(4) عمر الصابوني : لم نتوصل بعد إلى معرفة ترجمته.

(5) الخليفة العادل هو عبد الله ابن المنصور والي مرسية قبل خلافته (انظر في الفصل الرابع : «تصدّع الجبهة الموحدية الداخلية».

(6) كذا، حيث لا تخضع كنية الخليفة للقاعدة النحوية كما هو الحال في رسائل مماثلة.

مَناقلَه، وأعرِض مراتبه ومنازلَه، وذلك أن كِتابه العزيز وافاني على يد رجلٍ من أهلها فيه فصول رَفَعَها، وأحاديثُ سطَّرها وجمعَها، واندرج الكتاب المرفوع بذلك طيَّه، لينظر إليه مَن ادَّعى عليهم رفعه، ويستبين حقيقته أو وضْعَه ؛ وبإبطاء هذا الرافع سبقَتْه الأنباء، واستقرت عند جمعها الأفراض والأنحاء، فاجتمعوا إلى عاملهم فلان[6] ـــ وفقه الله ـــ، وحضرَهم حاكم الجهة[7] ـــ أبقاه الله ـــ، وتتبعوا تلك الوجوه بالرد لها، والإنكار على القائم بها، وعقدوا في كل عقد منها عقدا يناقضه، واستظهروا بشهادات تنافيه وتعارضه، واندرجت العقود، ثابتة في كتاب الحاكم على السبيل المعهود في إثبات العقود، فثبتت عندي لثبوتها عنده، وخاطبوني مع ذلك متبرّين[8] من هذا الرافع، واضعين له في عقله ودينه بأحط المواضع، **وصرّحوا بارتضائهم بسيرة عاملهم واغتباطهم بحمايته وسداد** نظره، وعلى (تَفِئة)[9] ذلك وصل هذا الرافع بالكتاب العزيز وما اندرج طيّه على ما قدّمتُ ذكره، **فاستأنفتُ النظر، وأعدتُ العمل، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم،** وأردفتُ الكتابَ المرفوع ليقفوا على نصه، وينظروا إلى شخصه، فراجَعوني أنه لا مزيد عندهم على ما قدَّموه، ولا خلاف فيما نقدوه وأحكموه، وأحالوا على ما تَثْبُت به العقود، وهي من الناس المقاطعُ والحدود، فاقتضى النظرُ إعلامَ أمير المومنين وناصر الدين ـــ أعلى الله أمره ـــ حسب ما حدَّه، بما وقعت عليه الحال، ليرتفع الإشكالُ، ولا يتعلق بهذه الحَيْبة[10] البالُ، وقد أدرجتُ إلى حضرته السامية الكُتب المذكورة لتُعرَض عليها، وتستقرَ الجليّة منها لديها إن شاء الله.

واندرجت العقودُ إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة[11] ـــ وفقه الله ـــ والله يشكر لأمير المومنين وناصر الدين تحرّيه واجتهادَه، وتوفيقه وسدادَه، ويوالي مَن والاه، ويَكيد من عاداه ؛ ولو كانت الحال بشقورة على ما صَوَّره هذا الرافع لما انطوت عني أسرارُها، ولا خَفِيَت عليّ على البُعد أخبارُها، (وسفوفٌ الى)[12] فلانة بيّن، وهو متشرِّع متديّن، وعَضْدُه على ما هو بسبيله في ذلك الثغر متعيّن، والله ييسر الجميع إلى ما يقضي حقوق النعمة، ويقيم فروض الخدمة، بعونه وقدرته....[13].

---

(6) لعله السيد أبو الربيع بن أبي حفص وهو عم المخلوع، وكان هذا عوّضه بأبي محمد (البياسي) قبل تمرّده، (العبر 526/6).

(7) لعله يقصد القاضي. انظر عن «الحكام» النّباهي في «المرقبة العليا» ص 5.

(8) أي متبرئين.

(9) في الأصل : (تئفة)، والأصوب ما أثبتناه.

(10) الحيبة : الحال، الحاجة، الهمّ...

(11) الحضرة قد تكون اشبيلية مقر أبي العلاء واليها، وقد تكون قرطبة التي وليها قبل اشبيلية ثم أضيفت إليه بعد مقتل البياسي سنة 623 حيث يبدو أنه استقر بها.

(12) لاحظ محقق (صبح الأعشى) عدم وضوح الكلمة ورجّح أنها : (وتعفف والي) فلانة...

(13) راجع في الفصل الرابع الهامش 132 وما يتصل به.

أحوالكم ؛ ومُوصِلهُ إليكم عمر بن أبي الجيد الاسرايلي التونسي ــ وفقه الله وسلمه ــ له طلب ببلدكم عند أبيذين اليهودي وصهره بيتوره المتنصّر وغيرهما ؛ فنحبّ منكم أن تنصفوه من جميع من يتعين له عليه حق، لأنه ما استطاع على أخذ حقه منهم بسبب تعلقهم بأعيان من أهل البلد، وبيده عقود ثابتة عليهم، فنحب منكم (تقفوا)[7] على ما بيده من العقود، وتعملوا له حكومة حتى ينتصف منهم، وتكون يدكم عليه، ويكون مرعي الجانب عندكم، لأنه ممن يكرم علينا (ويلوذ)[8] بنا، وهو جاري ؛ وعسى تعملوا[7] معه كما يعمل هنا مع تجاركم، وكل من يصل من قِبَلكم إذا كان لهم طلب عند أحد ؛ والذي تعملوا[7] معه من (المحبة)[9] إنما هو معي وأنا الشاكر عليه، فنحبّ منكم أن تنصفوه من غرمائه[3] بالحق الواضح، حتى يقف على حقه ويصل كتابه بما تفعلوا[7] معه، وليعلموا[7] أن كل من يَصل من تجاركم، ومن أهل بلدكم محفوظين[7] مكرمين[7]، وأشغالهم على أحسن حالٍ تُقضَى لهم، وهذه الحاجة أول حاجة خاطبتكم فيها[10]، ونحب إن كانت لكم بهذه الجهة حاجة أو أمر من الأمور، فكاتبوني بذلك يُقضى لكم على حسب المراد إن شاء الله تعالى، والله مرشدكم، والسلام عليكم ؛ كُتب في الموفى عشرين من شهر شوال[11] من سنة أربع وعشرين وستمائة[3].

الشيخ المكرم المبجل البستات أبالد بسكونت صاحب بيش أرشده الله ووفقه[12]

---

(7) كذا في الأصل المعتمد.

(8) كلمة مبتورة البداية بقي منها (...ــلوذ)، واقترح أماري التصحيح أعلاه، (ص 415).

(9) في الأصل : الحبة.

(10) لعل هذا يبيّن أن الصابوني حديث العهد بالمهامّ في ديوان تونس.

(11) كان العادل توفي قبيل هذا في 20 شوال أي أن الرسالة كتبت قبل وصول خبر وفاته.

(12) هذه العبارة تكتب عادة على ظهر الرسالة المختومة بعد طيّها، (قارن مثلا مع الرسالة 126).

الرسالة الثالثة عشرة بعد المائة :

رسالة المأمون بالعتاب
إلى أهل أندوجر

تقديم :

أصبحت مدينة أندوجر مهددة بالسقوط من يد الموحدين منذ ثورة عبد الله البياسي (622 — 623) حيث أن تحالفه مع ملك قشتالة فرناندو الثالث كان في مقابل التنازل له عن عدد من الحصون عندما تسقط في يده، ومن هذه الحصون حصن أندوجر على الوادي الكبير شمال غرب جيان، وفعلا تسلّمه القشتاليون بعد استيلاء حليفهم عليه عندما اتسع نفوذه في حوض الوادي الكبير، ويبدو أن المأمون آنذاك وهو والي على اشبيلية كتب إلى حامية أندوجر رسالة عتاب وورد فصل منها ضمن كتاب البيان المغرب (ص 266 — 267) في إطار أحداث سنة 626[1] وكذلك في كتاب الإحاطة (ج 414/1)، وهي من انشاء المأمون نفسه.

نص الرسالة :

....[2] إلى الجماعة والكافة من «أهل» فلانة[3]، وقاهم الله عثرات الألسنة، وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة ؛ أما بعدُ، فإنه وصل مِن قِبَلكم كتاب[4] جدَّدَ لكم أسهم الانتقاد، ورماكم من العناد بالداهية والناد[5]، أتعتذرون من المحال بضعف الحال، وبقلة[6] الرجال، فألحِقَكم[7] بربات الحجال ؛ كأنّا لا نعرف مَناحيَ أقوالكم، (ولا نعلم بتقلّبكم في أحوالكم)[8]، لا جَرم أنكم سمعتم

ملاحظة : ما بين « » مضاف من الإحاطة، والرمز (ط) يعبر عن طبعة تطوان.

(1) رغم أن صاحب البيان أورد هذا المقطع من الرسالة ضمن أحداث سنة 626 فمن المحتمل أن تكون صادرة عن المامون قبل اعلان خلافته بالأندلس سنة 624، وربما أيام ثورة البياسي وضغوطه مع حُلفائه القشتاليين على أندوجر وغيرها من المدن والحصون (انظر عن ثورة البياسي «عواقب هزيمة العقاب على المدى القريب» ضمن الفصل الرابع).

(2) بُتِر من الرسالة الخطبةُ والصدر كما يذكر صاحب البيان في تقديمه لها.

(3) (فلانة) ناقصة في خ ح / 6.

(4) في الإحاطة : كتابكم الذي جدد.

(5) في الإحاطة : من السهاد بالدّاهية الساد.

(6) في الإحاطة : وقلة.

(7) في الإحاطة : إذاً نلحقكم...

(8) في الإحاطة : أقوالكم، (وسوء منقلبكم وأحوالكم) لا جرم.

بالعدو ــ قصمه الله ــ وقصْدِه «إلى» ذلك الموضع ــ عصمه الله ــ[9] فطاشت قلوبكم[10] خَوَراً، وعاد صَفْوُكم كَدَراً، وشَمَمتم ريح الموت وِرْداً وصَدَراً، وظننتم أنكم أحيطَ بكم من كل الجوانب، وأن الفضاء[11] قد غصّ بالتفاف[12] القنا واصطفاف المَقانب[13]، ورأيتم غير شيء فحسبتموه طلائع الكتائب، تبّاً لهممكم المنحطّة، وشيَمِكم[14] الراضية بأدوَن خطّة ؛ أحِينَ[15] نُدبتم إلى حماية إخوانكم، والذّبِّ عن كلمة إيمانكم[16] نسّقتم الأقوال وهي مكذوبة[17]، ولفّقتم الأعذار وهي بالباطل مَشُوبة ؛ لقد آن لكم أن تمُدّوا ذيل الحرمان[18] إلى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول، وإنما على الغانيات[19] جرّ الذيول، أتُظهرون العناد تصريحاً وتلويحاً، وتظنّون أنكم إذا تفرقتم لا نجمع لكم شتاتا[20]، ولا ندني[21] منكم نزوحا ؛ أين المفرّ وأمرُ الله يدرككم، وطلبُنا الحثيث لا يتركَكم، فأميطوا[22] هذه النزعة[23] النّفاقية عن[24] خواطركم قبل أن نمحوَ بالسيف أقوالكم وأفعالكم، «ونَسْتَبْدلْ قَوْماً غَيرَكُم ثُمَّ لا يَكونوا[25] أمثالَكم»[26] ؛ ونحن نُقسِم بالله لو اعتسفتم كلّ بيداءَ سَمْلَق[27]، واعتصمتم[28] بأمنع[29] معقل وأحفل فيلق، ما وَنَيْنا

---

(9) هل في هذا تلميح إلى أن أندوجر لاتزال تحت السيادة الموحدية إن كان المقصود فعلا أندوجر ؟

(10) في خ ح / 5 : قلبكم.

(11) في خ ح / 3 و6 : وان الفضل.

(12) في خ ح / 1 : بالتفات.

(13) في الإحاطة : المناكب ... وفي (ط) : المقائب.

(14) في الإحاطة : لهمتكم ... وشيمتكم.

(15) في خ ح / 1 و2 وط : حين.

(16) كذا في الإحاطة، ووردت في نسخ البيان : والذب بالكلمة عن مقتضى ايمانكم.

(17) في خ ح / 6 : كذوبة.

(18) في الإحاطة : ان تتبدلوا جلّ الخرصان.

(19) كذا في الإحاطة، ووردت في نسخ البيان : الغانجات.

(20) في الإحاطة : ... العناد تخريصا، بل تصريحا وتلويحا، ونظن أن لا يجمع لكم شتاً.

(21) في الإحاطة : يدني.

(22) في الإحاطة : فازيلوا.

(23) في خ ح / 4 : النزغة.

(24) في الإحاطة : مـن.

(25) في خ ح / 5 : لا يكونون.

(26) من الآية 39 من سورة محمد.

(27) خطأ في خ ح / 6.

(28) في خ ح / 1 و3 والإحاطة : واعتصم.

(29) في خ ح / 6 : بأمنح.

عنكم زماناً ولا ثَنينا[30] عن استيصال العزم عنكم عنانا، فلا يغرّنّكم الإمهال أيّها الجهّال[31]، (ولا يعودنّكم الاجتراء إلا لنبذكم[32] بالعراء، وأدواءُ الأهواء[33] بالسيف تنحسم.

إذَا رأيتم نيـــوبَ اللـــيث بـــارزةً
فلا تظنّون[34] (أن)[35] اللّيْثَ مبتسم[36]

فإن كفاكم صريرُ[37] الأقلام، وإلا[38] جفاكم ضرير الحُسام، والسلام[39] على من استقام، ورحمة الله وبركته)[40].

---

(30) في خ ح / 3 : وثنينا.

(31) في خ ح / 6 : الجاهل.

(32) في خ ح / 6 : لنبدلكم.

(33) الكلمة والتي قبلها خاطئتان في خ ح / 5 و6.

(34) كذا في الأصل.

(35) كلمة ناقصة في خ ح / 1.

(36) في خ ح / 3 و5 : متبسم.

(37) في خ ح / 5 : ضرير.

(38) في خ ح / 6 : ولا جفاكم.

(39) في خ ح / 6، كلمة (والسلام) ناقصة.

(40) ما بين هلالين (ولا يعودنكم ... ورحمة الله وبركته) ناقص في الإحاطة، واكتفى صاحبها بالإشارة إلى أن الرسالة طويلة.

الرسالة الرابعة عشرة بعد المائة :

رسالة عن أحد الخلفاء الموحدين
إلى شيخ بني أمغار

تقديم :

هذه الرسالة كتبها أحد الخلفاء الموحدين، وهو الناصر حسب النص على اسمه في الرسالة، أو هو المأمون حسب التاريخ في آخر الرسالة، كتبها من اشبيلية بعد انتصاره على الأعداء، فكان هذا مطابقا لدعوة شيخ بني أمغار له بالنصر، فوجّه الخليفة رسالة إليه مبشرا بذلك ومعلما بقرب عودته إلى المغرب. وردت هذه الرسالة في كتاب «بهجة الناظرين» لمحمد ابن عبد العظيم الزموري في نسخ الخزانة العامة : د ــ 1343 (ص 44 ــ 45)، ج ــ 377 (ورقة 28)، ج ــ 896 (ص 34 ــ 35)، ونسخة الخزانة الحسنية رقم 1358 (ص 45 ــ 47).

وقد اعتمدت بالأساس على المخطوط الأول ورمزت له بحرف : د، والتعاليق من المخطوط الثاني ورمزت له بحرف : ج/1، ومن المخطوط الثالث ورمزت له بحرف ج/2، ومن المخطوط الرابع ورمزت له بحرفي خ ح، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ؛ (الحمد لله وحده)[1]، من عبد الله محمد الناصر[2] أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين، أيدهم الله بنصره ومدّهم بمعونته[3]، إلى الشيخ الصالح الولي أبي عبد الخالق بن الشيخ الزاهد أبي عبد الله (بن)[4] أمغار، أدام الله كرامته (بتقربه)[4]، سلام (كريم)[5] عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعدُ، فإنّا نحمد (إليكم الله)[6] الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه ونعمه ونصلي على

(1) إضافة من ج 1، وفي خ ح : (والحمد لله وحده) وهي أصح لأنها صيغة العلامة الخليفية.

(2) كذا، راجع خصوصيات الرسالة في الفصل الرابع.

(3) في نسخة ج 1 : «من أمير المومنين بن أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته».
وفي خ ح : «من أمير المومنين بن أمير المومنين أيده الله بنصره ومدّهم بمعونته».

(4) ناقصة في ج 1.

(5) إضافة من خ ح.

(6) في (د) : «نحمد الله إليكم»، قارن مع الرسائل الأخرى الصادرة عن الخلفاء.

سيدنا محمد نبيه المصطفى الكريم ورسوله، وعلى آله وصحبه الفائزين بفوز السبق وبحوْله[7]، ونسأله[8] الرضى عن الامام المعصوم (المهدي)[9] المعلوم القائم بأمر الله تعالى والداعي على بصيرة إلى سبيله، وعن خلفائه الراشدين (المجتهدين)[10] في تتميم أمره العالي[11] وتكميله.

وإنا كتبناه إليكم ــ كتب الله (لكم)[12] ــ عِلماً نافعاً، وعملاً إلى أعلى المقامات رافعا[13]، وجاهاً يكون لكم في مواقف الشفعاء شافعاً ــ من (حضرة)[14] اشبيلية حرسها الله ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله (تعالى)[15] والعمل بطاعته والاستعانة (به)[15] والتوكل عليه، والعمل بما أنتم علماء به **بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، والجد والاجتهاد في غزو العدو، (وتمكين الهدوّ)[16]، وأساس الدين (و)[15] التقوى[17]، وسبله الجلية السوية، والفروض التي لا يضاع[18] فيها (النائي والنائية)[19]، ولم نتكلف (حمل)[20] هذه الأمانة، ولا تعرضنا (لثقلة عهود الدنيا الدنية)[21] حتى وجدنا تلك الأساس منهدّة، وألفيْنا تلك السبل منسدّة، وأصبنا تلك (الفرائض ضائعة)[22] مع فرائض عِدّة.

(و)[15] كان العدو قد كَلَب بالفتنة (المبيدة)[23]، وعزم على الاستيلاء على هذه الجزيرة[24]، (فأعاننا) الله على قمع شدّته[25] وإطفاء جمرته، فانقبض تبسُّطه، (وانقمع)[26] تسلّطُه، وانطوى على

---

(7) في ج 1 : الفائزين بقدم السبق وفحوله.

(8) في (د) و خ ح : ونسأل.

(9) في ج 1 : الهادي.

(10) في ج 1 و خ ح : المجاهدين.

(11) في (د) : العلي.

(12) في ج 1 : إليكم، وفي خ ح : وإنا كتبناه إليكم كتابا كتب لكم.

(13) في خ ح و(د) : راصخا.

(14) إضافة من خ ح.

(15) ناقصة في ج 1.

(16) كذا في خ ح، وفي (د) وج 2 : الهدي ... والكلمتان ناقصتان في ج 1.

(17) في خ ج : التقوية.

(18) في ج 1 : التي يصاغ.

(19) في ج 1 : التأني ولم نتكلف ... وفي خ ح : الثاني ولم نتكلف.

(20) في (د) : علي.

(21) في خ ح و ج 2 : لتقلد عهود الديانة حتى ... وفي ج 1 : ولا تعرضنا لتقدم عهود الدنيا والديانة.

(22) في ج 1 : تلك الفروض مضاعفة ... وفي خ ح : الفروض مضاعة.

(23) كذا في خ ح، وفي ج 1 : المثيرة.

(24) نتذكر محاولات القشتاليين وحليفهم البياسي وغيره.

(25) كذا في خ ح وفي ج 2، اما في (د) و ج 1 : فأعاننا الله قمع شر نيته.

(26) في خ ح : وانقطع.

الشّرّ له والخير للمسلمين تأبّطه، وعادت (صولته)[27] ذِلّة، وكثرتُه قِلّة، ووَهَنَ كَيدُه، وضُعف أَيْدُه، وكل ذلك بلطف الله تعالى وحده، ووعده السابق بإظهار دين الحق «ولن يُخْلِفَ الله وعده»[28]، **فأَمِنت السبل** وكانت خائفة، وسَكَنت الفتن وكانت مترادفة، واطمأنّت القلوب بعد أن كانت واجفة ؛ وتهنّأ المسلمون (بحول الله)[29] ربيعا وخريفا، ومَشتى (ومَصيفا)[30]، وغُزِيَ العدو في عقر داره، وأجاب إلى الصلح بعد إبائه (عنه)[31] ونِفارِه، وتَمّ عقدُه باختيار المسلمين لا باختياره[32]، والحمد لله على نصره لجيوش المسلمين ونَعمائه.

ثم نحن آخذون في **الإقدام عليكم**، فأبشروا بذلك وبشِّروا به مَن لَديكم، وابسُطوا بالدعاء لنا أيديَ إخوانكم وأيديكم[33]، فالله تعالى يعلم أن اعتقادنا بالدعاء فوق الاعتقاد بسُمر الصِّعاد[34] والبِيض الحِداد، وأن دعوة منكم آثرُ عندنا من مائة ألف بطل فوق مائة ألف جواد ؛ وبحول الله تعالى وقوته نستبدّ، والثقةُ [فيه][35] سبحانه أوثَقُ ما أعددنا ونُعِدّ، وهو سبحانه يُمدُّكم بتوفيقه، ولا يصدّكم عن طريقه، بمنه، والسلام (الكريم)[36] عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ وكتب منسلخ شعبان المكرم سنة خمس وعشرين (وستمائة)[37]، والحمد لله رب العالمين.

---

(27) في ج 2 و(د) : سطوته.

(28) من الآية 47 من سورة الحج.

(29) في ج 1 : «وهنيء المسلمون بحمد الله تعالى». وفي خ ح : وهنئ المسلمون بحول الله تعالى.

(30) كذا في خ ح، وهي ناقصة في (د)، وفي ج 1 وج 2 : صيفا.

(31) ناقصة في خ ح.

(32) وقّع المامون هدنة مع قشتالة في أواخر سنة 624 استعدادا لانتقاله إلى المغرب.
راجع خصوصيات الرسالة والدراسة التاريخية في الفصل الرابع.

(33) في خ ح : ويديكم.

(34) كذا في خ ح، وفي باقي النسخ : «فوق اعتقادنا بسمر الصفا والبيض الحداد».

(35) كلمة ناقصة، والسياق يفرض وجودها.

(36) إضافة من خ ح.

(37) الكلمة ناقصة في (د) وثابتة في بقية النسخ.

الرسالة الخامسة عشرة بعد المائة :

رسالة السيد أبي زيد[1] والي بلنسية إلى الخليفة المأمون حول فتح حصن بشج

تقديم :

في الوقت الذي أخذت الأمور تضطرب في الدولة الموحدية بسبب مشكل العرش كانت مملكة أرغون لاتزال تعاني بدورها من الاضطرابات الداخلية لنفس السب، حيث كان الملك خايمي الأول يعاني من منافسة بعض أقربائه ومن عدد من نبلاء المملكة، وهذه الوضعية كانت تتيح في بعض الأحيان لوالي بلنسية مثل السيد أبي زيد أن يقوم باسترجاع بعض الحصون التي كانت أرغون استولت عليها قبل معركة العقاب، ومن هذه الحصون حصن «بشج» الذي استرجعه بعد الحصار ونزول نصاراه على الأمان وذلك فيما بين أواخر سنة 624 وأوائل سنة 625 على الأرجح، وهذا نص الرسالة التي وجهها السيد أبو زيد إلى الخليفة المأمون بهذه المناسبة من نفس الحصن كما وردت في رسائل أبي المطرف ابن عميرة، مخطوط الخزانة العامة ك/ 233، ص : 114 — 117.

نص الرسالة :

ك/114 ... وبعدُ، فكُتِب — كتب الله للمقام الإمامي المأموني[2] العليّ سعودا تقتضي دَيْن الفتح معجَّلا، وتَطلُعُ يوم النصر أغرَّ مُحجّلا — من حصن بِشِج[3] ساعةَ قرّت عينُ الإسلام بقرار أهله في ذروته، واعترته هزّةُ الطرْف لعزّة استعصامه بعُروته، وعاد الحقّ لأهله، وقُطِع دابرُ الشرك من أصله، وتمخضت الأيامُ عن بُشرى ولدَتها لِتِمام، وقادتْها بأسمح زِمامٍ، وأظهرت فيها من آثار عناية الله سبحانه بهذه الدعوة المأمونية ما أرى خرقَ المعتاد، وخَضْد شوكة الكفر وكان يُظنّ أنّ دونها ك/115 خَرْطَ القَتاد ؛ وقد طالع العبدُ بانتظاره إمكانَ الفرصة في هذا الحصن وإقامة ابنِه / عبدِ الله[4] في

---

(1) انظر عنه الهامش 13 على الرسالة 107.

(2) في هذا تأكيد على فترة خلافة المامون وليس فترة ولايته على اشبيلية أو قرطبة.

(3) يبدو أنه المسمى حصن Bexis أو Bejis الذي استولى عليه «جيل كارسيس» المذكور حسب بعض الروايات الاسبانية أو أخذه بيدرو فرنانديس دي اساكرا سنة 1211 (انظر مجلة «أوراق» الاسبانية، العدد 3، ص 108) وهو أقرب إلى شارقة وليس إلى بلنسية، ولقد ذهب الأستاذ بن شريفة مذهبا آخر في تحديد موقع الحصن «أبو المطرف ابن عميرة» ص 92.
راجع أيضا الفصل الرابع (الفقرة ب).

(4) أي عبد الله بن السيد أبي زيد المكتوب عنه.

شَارِقَةَ آخذاً عليهم ثنا(يا)[5] السهْل والحَزْن، فضاق على اللّعين جيل غرسيس[6] المجالُ، وقَعد له على طُرق الحصن الرّجالُ، فكان قُصاراه عندما انقطعت المَيْرة عن نصاراه، أنْ جَمع لهم ما أمكنه من الدقيق، وبعثه على الظَّهْر إلى بعض الطريق، وأرسل إلى الحصن أن تَخرج جماعة لأخذه تَمشي به على الضَّراء[7]، وتُصابِر به الضّرّاء، وكان العبدُ عبدُ آلله[4] قد رتّب على الطريق جماعة سيَّرها تحت الليل، وتخيَّرها من الرجال والخيل، ومرّت بِهم هذه الميرة فأحرزوها في أول الطلْق بأوّل الطلب، وقارعوا أهلها وهِمَّتُهم في المسلوب فَنَفَّلُوه مع السَّلَب، وفي الحال أرسَل عبدُ الله بأنَّ الحصن قد مسّته المجاعة، ونقَصت منه هذه الجماعة، وبلَغ الخبرُ إلى العبد أول الليل، فَرَكب من حينه ببقيّة الأجناد، واستنفر مِن جميع الجهات كافّةَ الأنجاد، وسرَى ليلتَه فبلغ شَبَّرْب[8] عند إسفار الصبح، وقد لاحت من جدّ المسلمِين مخايلُ اليسر والنجْح، ثم سار من حينه إلى شارقة[9]، وبها لقِي عبد الله في الأجناد، وكلٌّ عاملٌ على صدق الجِلاد، وإخلاص النية في الجهاد ؛ وجاءت عيونهم على الحصن بأنه لم يصله مدد، ولا زاده أحد ؛ فرأى العبدُ أن يُقدِّم عبدَ الله في جماعة كثيفة تَرُضُّه بالقتال، وتَرُوضه للنزال، وخرج العبدُ بهم عشيّة النهار إلى ظاهر شارِقة، وقد باحت على خَبَر أهل الحصن أسراهم، **فميَّز الناسَ** ورتَّب مسيرهم ومسراهم، وفي اليوم الثاني أصبحوا على الحصن ؛ وحمل جميع المسلمين على النصارى (فضعضعَهم بجملته)[10]، وقاتلوهم في الربض أشد قتال حتى ملكوه بجُملته، وبعثوا إلى العبد بما أراهم الله من جميل الصنع، وطلبوا ما وعدهم به من لحاقه في بقيّة الجَمع، فوافاهم عصرَ أمسِ والكفرةُ قد أحسُّوا بالوَهْن، ولجأوا إلى القتال من وراء سُور الحصن ؛ فعاينَ العبدُ معقلاً لا مطمع فيه إلا من جانب يقف فيه من وطَّن على آفة الفَوْت، وأثبتَ رجله في مستنقع / الموت، فقرَّر في بقية اليوم مـ(ــسـ)ـافاةَ[11] القتال، وما يكفي كلَّ مسافة من مشاهير الرماة وأنجاد الرجال، وعُيِّن جماعةٌ للمبيت بديار الربض، وأوصاهم بالثَّبات، وحذّرهم من البَيات ؛ وعندما بدأ ضوءُ النهار، وأخذَ الناسُ حاجتَهم من التأهب والاستظهار، برزت كل جماعة فعُمِر بها موضعُها، واستنجَزت مواعد النصر من الكريم الذي لا يُخلفها، فصبروا على مُرِّ الكريهة ليظفروا

ك/116

---

(5) في الأصل : (ثناء)، مع ملاحظة فوق الكلمة بحرف (ظ)، ولعلها إشارة إلى خطأ الكلمة فيمكن تصحيحها كما اثبتناه.

(6) راجع الهامش رقم 3.

(7) الضَّراء : الاستخفاء، يقال : هو يمشي الضَّراء إذا مشى مستخفيا فيما يواريه من الأشجار.

(8) حصن «شبرب»، ذكره باختصار ابن غالب في «فرحة الأنفس» وأشار إلى جودة القمح والكتّان بالناحية، وهو من كورة بلنسية (مجلة معهد المخطوطات العربية م 1955/2)، انظر أيضا معجم البلدان م 4 / 354 ؛ وهو من الحصون التي سيتنازل عنها السيد أبو زيد للملك الأركوني خايمي فيما بعد (عنان 2 /396 — 397).

(9) شارقة : ذكرها ابن غالب (الصفحة المذكورة)، وذكرها صاحب معجم البلدان على أنها من أعمال بلنسية (م / 4 ص 354). موقعها شمالي بلنسية بحوالي 60 كلم وتعرف بـ Jerica.

(10) كذا في الأصل، على أساس أن الضمير يعود على «عبد الله»، ويطابق السجع في الجملة اللاحقة.

(11) حرف السين غير واضح. هل المقصود تقدير المسافات الضرورية بين الحصن وموقع النبالين والمجانيق، أم المقصود تنظيم الصفوف ؟

بحُلوها، وقلّل الله الكفرة في أعينهم فقدّروهم بثلاثين أو نحوها، وجدَّ أهل الإجادة من الرماة فرشقوهم ببَنَات الحنايا[12]، وصوَّبوا إليهم منها رسل المنايا، فما لَمَحت لهم عينٌ إلا ولأمِحُ النصل لها لامِح، ولا بَدت منهم جارحةٌ إلا ولها مع النَّبل جارح، ودنا أهل الصبر والحِفاظ من السور وهو يُمطِر شآبيب الحجارة[13]، فعاملوا الله بالثبوت هنالك على يقين من ربح التجارة، وزلزلوا الصخورَ فانحلّت عقودُها، وسلّطوا النار على الباب فإذا هو وقودُها ؛ ولمّا رآى الكفرة شدَّة الهَوْل، وَتَناولَهم بيد القهر وأيد الصَّوْل، لاذوا بأهل الايمان، **وعادوا بالنزول على الأمان** ؛ وفاوض العبدُ مَن حَضره في الوجه الذي رَضُوه، والخروجِ الذي عَرَضُوه، فترجَّحت إجابتهم لما يريدون، ونزلوا **فعُدّث مُقاتِلتُهم فكانوا مائةً أو يزيدون.**

والحمد لله الذي أنصف الطّيّب من الخبيث، ونصرَ التوحيد على التثليث، ويَسّر لهذه الخلافة المأمونية ــ أيدها الله ــ من الفتح الجليل ما مهّد الأرجاء، وفسح الرجاء، وشفى الداء، وقمع الأعداء، وبسعادة يومها (ما) كَبَتَ يومه، وببركة إيالتها هَبّ من مَرقده النصرُ وقد كان يطول نومه، فوقف الكفرُ خَزْيانَ ينظر، وخرج اللّعينُ وَلَدُ الغادر[14] وهو في ذيل الهوان يَعثر ؛ والعبد[15] على أن يترك هنا جماعة من الجند والرجّالة لسدّ ثَلْم السُّور[16]، وهدم الربَض الذي هو من أهم الأمور، ويُسرع الانفصال للنظر فيما يحتاج إليه الحصن من الطعام وآلة البنيان، وسائر المصالح / التي يتعاهده بها ــ إن شاء الله ــ مع الأحيان ؛ والله يُبقي سيفَ المَقام العليّ للإغلاق فاتحاً، وسَيْبَه لِحظّي الآمال فاسحاً، ولا يعدِمه بريدَ الفتح غاديا عليه ورائحا، ويجعل نسرَ نصره طائراً، وسِماكَ سُموّه رامحاً، بمنّه، والسلام. ك/117

(12) الحنايا : الأقواس، والمقصود أقواس النبال.

(13) هل يعني هذا استعمال العدو المحاصَر المجانيق للدفاع، أم القاء الحجارة فقط بالأيدي من أعلى الحصن.

(14) أي أن المشرف على الحصن هو ابن «جيل كارسيس».

(15) لعل الكلمة تحتاج إلى فعل قبلها مثل (ويعمل) العبد.

(16) في الأصل : الصّور... ولعل هذه الجملة تفيد في استعمال المسلمين للمجانيق في فتح الحصن.

الرسالة السادسة عشرة بعد المائة :

رسالة السيد أبي زيد والي بلنسية
إلى الخليفة المامون حول ظروف شرق الأندلس

تقديم :

عندما أعلن إدريس (المأمون) نفسه خليفة باشبيلية في 2 شوال 624، كان ممن دخل في بيعته سريعا السيد أبو زيد عبد الرحمن والي بلنسية، غير أن انقسام الموحدين بين خلافتي المأمون والمعتصم[1]، وتنافسهم أيضا في الأندلس وتعامل بعضهم مع النصارى شجع بعض الزعامات الأندلسية التقليدية على الثورة ضد الموحدين كما فعل ابن هود بمرسية[2]، حيث أعلن إمارته وتبعيته للعباسين في أول رمضان 625، فلم يستطع جيش أبي زيد ولا جيش المأمون إخضاعه. غير أن تهديدات ابن هود لولاية بلنسية من جهة وتهديدات الأرغونيين من جهة أخرى جعلت أبا زيد يطلب الامدادات وخاصة المالية لمواجهة هذه الظروف، مؤكدا أنه لازال على الطاعة للمأمون رغم ما قيل عن انحرافه كما تشير إلى ذلك رسالته الآتية. إلا أنّ مقامه ببلنسية لن يطول حيث سيثور عليه وزيره ابن مردنيش في 26 صفر سنة 626[3]، وعلى هذا يكون تاريخ رسالته محصورا بين أواخر 625 وأوائل 626، وقد وردت في السفر الأول من رسائل ابن عميرة، مخطوط جائزة الحسن الثاني لسنة 1981، مصور الخزانة العامة : د/4502، الورقتان 41 و42، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

41/أ ...... فكَتب العبد ــ كتب الله تعالى للمقام الامامي المأموني[4] مضاءَ الحدّ، وسعادةَ الجدّ ــ من بلنسية، والإسلامُ بيمن نقيبته محبور، والمبيضُ ببركة إيالته مجبور، وعزمُه بإنجاد الله سبحانه منصور، والأملُ كله / على إمضاء عزائمه وانتضاء صواريه مقصور، ورأْيُه الراجح لا توازنه الرواسي، 41/ب ونظرُه الصالح إن ضَنِيَت الأيام أو ضَنَت فهو الآسي والمُواسِي ؛ والعبدُ على سجيّته مستمر،

(1) هو أبو زكرياء يحيى بن الناصر (624 ــ 633) المنافس للمأمون ثم لابنه الرشيد، انظر البيان (253 ــ 291) والفصل الرابع من الدراسة التاريخية (تصدع الجبهة الموحدية).

(2) انظر عنه المغرب ج 2/ (251 ــ 252)، البيان (269 ــ 270).

(3) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

(4) في الأصل : المامولي.

ولِحبل[5] خدمته مُمِرّ، وبصادق العبودية مُقِرّ، ولبضاعة الرجاء مستقرِض وفي كنف الاخلاص مستقرّ ؛ هذا وإنْ[6] غشيته هواجس وجهُ الجَذَل بها كاسف، ومطلَقُ الأمل في قيْدها راسف، والنفسُ منها تكابد غَصصا، ولا تجد من زمانها مَخلصا.

وكانت هذه الخلافة العلية المأمونية مطلعَ شمسه، ومطافَ أمله في أمسه، استشرف إليها والعيونُ سَواهٍ، وائتَمر لها والأحوالُ نَواهٍ، وأفصحَ بها بين قلوب مُنكِرة وأفواه[7]، فلما أشرقت بها الأيام، واجتمع عليها الأنَام، رأى أنّ له في دعوتها قَدمَ صدقٍ، وأن له في خدمتها دعوى حقّ، وتسامت العيون إليه نظراً لرتبةٍ إليها يَرقى، وخُطوةٍ فَخارُها في عَقِبه يَبقَى ؛ فما أكثَرَ ما نزل إليه[8] المرتفعون، وأمّل شفاعته المُشفَّعون، ثم ما بَرِح النّاقد أن بَهْرَج، والمقبلُ أن عاج عن رأيه وعَرَّج ؛ ولمّا تَنكَّر مَن تَعَرَّف، وتَطأطأ مَن كان استشرَف، حصل العبد في قبضة التحيّر، وبحث عن سبب ما أحسّ به من التغيّر، فقرعت سمعَه قوارص، وبلغه أنه قد استُغِشّ ودُّه الخالص، وسمع أن أدنَى الخاصة مكانا يعمُر المحاضرة بثَلْبه، وَيَثْبق عليه خِلاف ما أثبتَه الله عز وجل في قلبه، وَلَكَمْ رَامَ سَلَّ هذه السخيمة، ولجأ إلى الله تعالى بما له في النفس الكريمة ؛ ولما أُكثِر عليه من خَبَرٍ أصرَّ[9] على ردّه، وأمْرٍ يعلم الله تعالى أنه مفطور على ضدّه، استعرض خواطرَه، واعتبر ماضِيَ أمرِه وحاضرَه[10]، فألفى كثِيراً مما سلف مَظَنَّة القال والقيل، غير خارج عن هذه السبيل.

وعندما كانت البيعة المبرية السعيدة وَفَدَ بها وَفده، واطَّلَع معهم على كل ما عندَه، ولقُوا في طريقهم **ابن عبد الجليل**[11]، فَغَبَطهم بالوِفادة، وبشّرهم بالزيادة، وعرّفهم بأن مرسية معطاة، وأن غاية الأمل متخطّاة، وكان العبد حين أُشعِر بالسبب في إقرار **عمر بن موسى**[12] بها ندبهم هذا المعنى، وتراءَت له من هذه النّكتة طليعة المقصد الأسنى ؛ ثم قَدِم الوفد فوسِعَهم ما وسع غيرهم من الرأي الجميل والمنّ الجزيل، وانتظروا حقيقة ما سمعوا، فما أُشيرَ إليه ولا عُرِّج عليه، وما زيدت إلاّ الأقطار بتنبيه قبل التنبّه، وطلبِ أبدى له وجه التكرّه ؛ وصَدَرَ القومُ، فكانوا من حضرة الإمامة ــ أيدها

---

(5) في الأصل : وحيل.

(6) كلمة (وان) مكررة في الأصل.

(7) هناك روايات تجعل أبا زيد هو المحرض للمامون على اعلان خلافته منافسا لأخيه العادل.

(8) في الأصل كلمة خاطئة.

(9) كذا في الأصل ولعلها (أضرّ) التي من معانيها : صبر.

(10) مشكولة خطأ في الأصل، وما أثبتناه أصح.

(11) ابن عبد الجليل : هل هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الجليل ابن غالب الأنصاري الخزرجي، الذي كان بمرسية عندما ثار بها ابن هود، (اللمحة البدرية ص 45).

(12) لعله والي مرسية الذي ثار عليه ابن هود وهو السيد أبو العباس ابن أبي عمران موسى ابن أمير المومنين يوسف بن عبد المومن (العبر 362/4 والإحاطة 192/2)، أو عمر ابن أبي موسى بن أبي حفص بن يحيى الذي كان صاحب جيان، وجبن عن ملاقاة النصارى ببياسة في ذي الحجة سنة 623 فتركها لمصيرها (الروض المعطار : مادة بياسة، الحلة السيراء ج 282/2).

الله تعالى ــ على مرحلتين أو ثلاث إذ سمعوا أن **صاحب مالقة**[13] طار إليه البريد بأن يهجر الكَرى، ويصلَ السير إلى مرسية بالسُّرى، ويتجرد[14] على كل سبب يثبّط ساعة، ويحدّ على ما ظنّ إضاعة، فأحسّوا حينئذ بما لم يَغب / عن ذي حسّ، وعلموا أنه أمرٌ بُني من التُّهمة على أُسّ وطَوَى الوجْدَ حَزْنَ البسيطة[15] مع سهلها، و«دَخلَ المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها»[16]، فماشك أُولُوا رأيهم في معنى هذا المسير، وسبب هذا التدبير، وعاد إليهم وفدُهم بما سمعوه في جانب العبد من أن مساعيَه[17] مستنقَصة، والدّوائرَ بِه متربِّصَة، وأن الطاعن عليه مَخْبُوٌّ، والنافرَ عنه مَدْعُوٌّ ؛ وظهرت علامات ذلك في قوم كان العبد قد نقص منهم أمورا جزاهم عليها بالإيعاد، واشتهرت عداوتهم في البلاد، فما منهم إلا من حضي بولاية، أو بلغ به الإحسان إلى أقصى غاية، حتى شاع الخبر عن بعضهم أنه التفت إليه عن هذه الحال، وأعرض عنه عند ظن الإقبال ؛ وهذه الدلائل وأشباهها كان العبد متى ظهرت غَمَّض، وإن أُبرِمَت نَقض، وربما نقلها الأُثبات[18] فزيّفهم، وارتمض إليها الثّقات[19] فعنّفهم ؛ ووفد القسطلي[20] فوجد الأمرَ بَيّناً، وحسَبَ التّكلّمَ في أمر العبد هيّناً، فكاد يَلقَى هواناً، وقيل له : كلُّ شيء إلاّ فلاناً ؛ ودوخل في شأنه بما أخبر به عن يقين، ونصحه بعد حين، ومن جملة ذلك أمر **صاحب ميورقة** وما كان وعد به وأعدّ له، وراسله بذلك عند الغدر[21] إلى مرسية فسفّهه الرجل وجهّله ؛ والعبد لما سلك من قبله على استجلابه، ولا يصغي[22] لشيء إصغاءه لجوابه، فيالله من ساعٍ ضلّت مساعيه، ومدعُوٌّ أُرصِد لداعيه، ولقد نَصح في أمر مرسية حتى نبّه على ما كان يُظن به من أنه على الصَّبوح يُرفِّق، ولِولايتها يُطرِّق، فأمسك عمّا كان يُقدِّره، وعلم أن الله سبحانه سيعذره ؛ ولما وضح السّر، وكشف الستر، حَسَر عن ساعدٍ، وأقام لِتلافي[23] الأمر كلَّ قاعد، وخاطب البلادَ على الطاعة مُثبِّتاً، ولِفرق الضلال مشتِّتاً، وتابع الخدمة إلى الباب الكريم بِعظم الطارىء وافية، ومحرّضا على استيصال شافية، ولو خُطِب بدخول

42/أ

(13) لعله السيد أبو موسى بن الخليفة المنصور الذي كان على ولايتها أيام خلافة المخلوع وخلال ولاية المامون على قرطبة (البيان 248، العبر 251/6 و526، والإحاطة 458/3 ط القاهرة).

(14) في الأصل : ويتحرد.

(15) حَزْن ج حُزون : ما غلظ من الأرض، وقلما يكون إلا مرتفعا.

(16) من الآية 15 من سورة القصص.

(17) في الأصل : مساعية.

(18) في الأصل : لإثبات.

(19) كذا في الأصل بتاء مبسوطة.

(20) لعله قاضي مرسية أبو الحسن علي بن محمد القسطلي، استقصي بها مرتين وببلنسية وشاطبة و«أثار فتنة جرّت هلاكه»، إذ اتفق مع ابن هود على تحويل الدعوة للعباسيين فقتل بمرسية في 7 جمادى الأولى سنة 626 (الذيل س 5/ ق 1 /377 ــ 378، الصلة 131، التكملة ج 2/ ترجمة 1899 ن كوديرا)، الحلة السيراء 308/2، الروض 355).

(21) في الأصل : العذر.

(22) في الأصل : ولا يصغَى، والأصوب ما أثبتناه ليتناسب مع المفعول المطلق بعده.

(23) في الأصل : لتلاقي (بالقاف).

مرسية حين وليها ابن وامازير[24] لما بلغَ[25] الفسقةُ ريقَهم، وأخذ عليهم طريقهم، لكنها رُميت منه بمن أبطأ في المسير، ثم قصّر كل التقصير، فإن **لَوَرقة[26] إنما فاتُها جُبنه، وأخرجها عن الطاعة وهنه**، ولو ضبطها ما اختلّت، ولو حَفِظ صحتها ما اعتلّت ؛ وسمع العبد بإقبال الركاب السعيد فطار شوقا إليه، واستمـ(ـدّ) على يقين من ورود المنال عليه، وكان طرأ له الطارىء بالشدة[27] فماشك في درك الثار، والانتصاف من الفجّار[28]، وبشّر الطليح بالإنجاد الواصل، والفاقة بالخلف العاجل، وانتظر المال يوما بعد يوم، ووعد الرِّيَّ من شرعه كل صادٍ ذي حوم، إلى (أن)[29] سمع بمقْدم ابن فلان[30] فماشك رائد النجاح، وأن سعة الثروة الرائشة للجناح، فإذا هو صِفْرُ اليدين إلا من حضٍّ[31] على تعجيل الإسعاد، والإجازة إلى لورقة بالحشود والأجناد، مسهّلا تجشّمَ المكاره واعتسافَ / المَهامِه، غيرَ مبالٍ بترك هذه البلاد نهبة الناهب، وفريسة للطالب ؛ وكلٌّ مِن ولاة الأندلس ما فارق مركزه، ولا أُمِر إلا ببعث بلده أن يُجهزّه، ولو حضروا لما لَزِم ضياع، ولا لَحِقَ من ورائهم ارتياع ؛ كما أن العبد لو حضر لاختلت هذه البلاد بأسرها، ولم يبق للدعوة المهدية من يفوه بذكرها ؛ فلما يئس العبد من الإمداد معه، وأسمعه من التأكيد عن المقام السعيد ما أسمعه، شرع في استقدام وظيف العام الآتي حين أعياه كلّ وجه، وقبض ما قبِضَ منه على كره، ثم خرج بزاد لا يبلُغ كفاية، ولا يُبلِّغ غاية، **وأرسَل رُسْله واحدا بعد آخر يؤكد في طلب المال**، ويعرّف بضيق الحال، (فَما)[32] أنجحت مطالبهم، بل عادوا بما جاء به صباحُهم، وكلٌّ مَن قِبَل العبدِ قد ضجروا من طول الانتظار، وسمعوا عظيم ما يُبذَل من الفضة والنُّظَّار، وما بلّهم من ذلك القَطْرِ رذاذ[33]، ولا ورد عليهم إلا جدٌّ[34] في السير وإغذاذ[33] ؛ **والأنباء تسري في الأجناد والرجال، بأن الظِّنّة هي التي منعت من وصول المال**، والعبدُ يجري على سَننه المعلوم، ويصبر على مضض هذه الكلوم.

42/ب

وفي هذه الحال بعث في ألْمرية وأحوازها[35]، وليشير في الإقامة على مرسية أو الضعن عنها

---

(24) يمكن أن نقرأ أيضا (ابن وامازيد)، ورد اسم ابن وامازير أو ابن أومازير خديما للحفصيين دخل الأندلس سنة 626 (العبر 6 / 595).

(25) في الأصل : بلغ.

(26) لورقة : انظر الادريسي (561 ــ 562) ن إيطالية.

(27) لعل المقصود هزيمة أبي زيد أمام ابن هود الثائر بمرسية.

(28) في الأصل : الفخار.

(29) ناقصة في الأصل.

(30) كذا، ولم نتوصل إلى معرفة ترجمته.

(31) في الأصل : خص.

(32) (ما) ناقصة في الأصل، أضيفت لتناسب السياق.

(33) الذال الأخيرة في الأصل بدون نقط.

(34) في الأصل : الأحد.

(35) بعدما ثار ابن هود بمرسية قام بدعوته في المرية أبو عبد الله ابن الرميمي (نفح 464/4، البيان 269 ــ =

بتحصيل الأهبة واحرازها، ثم كان الضعن فما عُرّف به ولا اطّلع على سببه، وجرى على صفة هُزّ[36] بها الرجاء، واختلت منها الأرجاء، **فازداد مِن غَلَطه الغالط، وعادت لمرسية معاقل وبسائط، حتى اتسع الخرق، واضطرب الشرق**[37]، وهاجت في الناس أنواع الفتن، ثم التأمت من أطراف الجانبين **من أجل الزراعة هدنة على دَخن**[38]، فلم يكن بدّ من اقرار الأمر وإنفاده، إذ لا قوة تقبل القسمة بين تلك البلاد وهذه، والعبدُ في هذا كله صابر محتسب، وللمُلِمّات بنفسه منتدب، وللفرج بعد الشدة مرتقِب.

وهو في طرفٍ ناءٍ، محمّلٌ أشدّ عناء، وقد أعيته المباغي، وأحاط به الكافر والباغي[39]، والغوث شفعته قبل أن تفجأ العطب، والذخائرُ لإنفاقها في الشدائد تُكتَسب، وقد أبرزها عنده فرهن وباع، وسدّد ما استطاع، حتى صفَرت الراحة، وأقوت الساحة، ولم يبق إلا الرجاء في النصر القريب، والأمل في ناصر الدين أن ينصره في هذا (الصنع)[40] الغريب، **فإن عجّل الإمداد، أوشك أن تُحفَظ هذه البلاد**، وإن فاتت الإعانة أولاً ففي الحال ولأنّ بقيةً تُتلافى، وحشاشة تقبل الصحة بالمال إذا وافى ؛ وعلى العبدِ النصيحةُ وقد خرج عن عهدتها، والصبرُ على الأزمة رجاءَ انفراج شدتها، يدافع مَن كَفر وغَدر، ولا يلقي بيده إلى التهلكة ما قدر، وقِبَله من المسلمين من لا يدع حيلة في صون دمائهم، والذب عن ذمامهم...

= 270، العبر 530/6، انظر رسائل مخطوط يحيى ص 8 — 11 من المخطوط في الملحق الأول : الرسالة رقم 5).

(36) في الأصل : وهز.

(37) ربما كناية عن اتساع نفوذ ابن هود.

(38) هل هي هدنة مع أركون، أم بين أبي زيد وابن هود فكانت من عوامل «الظنة» بصاحب بلنسية ؟

(39) أي بين أركون شمالا وابن هود جنوبا.

(40) كذا في الأصل، ولعل الأصح (الصقع).

الرسالة السابعة عشرة بعد المائة :

رسالة يحيى المعتصم
مدافعا عن أحقيته بالخلافة

تقديم :

بعد خلع الخليفة العادل وقتله أصبح هناك خليفتان : ادريس المأمون الذي بويع باشبيلية في 2 شوال 624، ويحيى المعتصم ابن الناصر الذي بويع بمراكش في أواخر شوال من نفس السنة، وحاول المعتصم ـــ منعاً لتزايد أنصار المأمون ـــ أن يستميل الناس إليه مدافعا عن أحقيته بالخلافة ومدّعيا نيّة أخيه المستنصر من قبل في إسناد الأمر له، وكتب بذلك رسالة من انشاء كاتبه أبي الحسن السرقسطي[1] أوردها ابن عذاري على الصفحات من 262 إلى 264[2]، ووضعها ضمن أحداث سنة 625، وهذا نص الرسالة «وذلك بعد الصدر»[3] :

نـص الرسالـة :

...... والذي نوصيكم[4] به تقوى الله تعالى والاستعانةُ به والتوكل عليه، وأن تعلموا أن أمور الرعية لابدّ لها من حافظ يحفظها، ويراعي حق الله فيها، ويجهد[5] في صلاح أحوالها وتلافيها، فإنها لا تصلح إلا بسلطان يَزَع، وعاملٍ[6] يسوس ويَردَع، بهذا يكون قِوامُ العالم، وينتصف المظلوم من الظالم، وبه تكون الدّعة[7] والأمان، وقد جاء في الشرع : يَزَع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ولما كانت هذه القلادة لم تزل من لدن سيدنا الإمام[8] تنتقل من يد إمام[9] إلى نجله، وكان

ملاحظة : بالنسبة للأرقام اللاحقة بالرمز (خ ح) انظر ملاحظة بهامش الرسالة التاسعة.

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) من طبعة تطوان وسنرمز لها بحرف (ط).

(3) هذا حسب عبارة صاحب البيان.

(4) في خ ح / 1 : يوصيكم.

(5) في خ ح / 2 : ويحمد.

(6) في خ ح / 4 : وعمل.

(7) في خ ح / 4 و6 : الدعوة.

(8) ربما يقصد عبد المومن الذي سنّ وراثة الحكم الموحدي.

(9) في خ ح / 5 وط : الامام.

الأمر من[10] مستحقيه وفي أهله، إلى أن بلغ الأمر إلى المستنصر بالله أمير المومنين، والناس في أمنة وفي تهدين ؛ ولو أجّله أجلُه وساعده[11] الأمل لألقَى هذه[12] القلادة إلينا، وتلا قول سَمِيِّه[13] : «أنا يوسفُ وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا»[14] ؛ إلا أن الأمور اختلّت اختلالا، واكتست من بعد قوة وصحةٍ وهناً واعتلالا، واسترسَل الشرُّ وأهله استرسالا ؛ وفي أثناء ذلك كادت[15] قواعد هذا الأمر المهدي ــ لولا تدارك الله ــ أن تتزعزع[16]، ومبانيه الوثيقة أن تَتَضعضع ؛ فتلافاه الأشياخ والجلة[17] بما شدّ أركانه وأسّس بنيانه، وأعطاه بحمد الله من كيد كائده أمانَه[18]، واقتضى نظرهم ــ بعد استخارة الله تعالى لهذا الأمر المؤسس على التقوى بنيانه ؛ وبعد شحذ[19] العزائم، والطيران إلى الحق بعمل خفّاق الخوافي والقوادم ــ تَحْميلَنا هذه الأمانة العظمى، والقلادَة الجسمى ؛ **فأعْطَوْنا صفقة أيديهم**، وعقدوا بيعتنا بنيّاتهم الصادقة وأيمانهم، حرصاً منهم على لَمِّ شعث المسلمين، وعناية بأمور الدنيا والدين، وردعاً لمن ظنَّ أن الفتنة أمكنت وصولا، وأن الاعتداء أوْجدَ[20] إلى الاعتداء سبيلا[21] ؛ وما علم أن أمر الله محروس الجانب، (محروب المجانب)[22]، وأن الشيطان مقذوف من سماء سعادة هذه الدعوة بشهاب ثاقب، وأن الدّول تَذْوَى[23] وتبلّ، ويعتريها ما يعتري الأبدانَ ثم تستقلّ ؛ ونحن قد أخذنا راية هذا الأمر باليمين، وتلقيناها تلقّي الحازمين.

فكونوا من ذلك على بيّنة ويقين واعلموا أن الله قد جاءكم بمن يسهر في مصالحكم وأنتم نائمون،

(10) كلمة (من) ناقصة في خ ح / 4.

(11) في خ ح / 6 : وملكوه.

(12) في خ ح / 6 : بهذه.

(13) في خ ح / 5 وط : نبيه.

(14) الآية 89 من سورة يوسف، والآية عن النبي يوسف، فاسمه يتطابق معه اسم يوسف الثاني المستنصر بالله.

(15) في خ ح / 4 : كانت.

(16) في (ط) : ان يتزعزع.

(17) من المبايعين ليحيى المعتصم القاضي أبو الحسن بن القطان، وكان رئيس «الطلبة» في عهده (التكملة ترجمة 1920، كوديرا، والذيل : قسم الغرباء خ ع / ص 13) وكذلك ابن الشهيد أبو زيد بن أبي محمد بن أبي حفص شيخ هنتاتة ويوسف بن علي شيخ تينملل (العبر 528/6).

(18) في خ ح / 5 و6 وط : أمانة.

(19) في خ ح / 1 و2 : سحد، وفي خ ح / 3 : شحد.

(20) في خ ح / 4 : وجد.

(21) الإشارة هنا إلى بيعة المامون بالخلافة بالأندلس وتسرّبها تدريجيا إلى المغرب، وكان من دعاته الأساسيين : ابن يوجان وأمير الخلط هلال بن مقدم وشيخ هسكورة عمرو بن وقاريط (الروض المعطار ص 175 مادة جنجالة، والعبر 528/6 ــ 529)، ويذكر صاحب البيان دور شيخ الخلط في (ص 260)، كما يشير صاحب الذيل إلى داعيين آخرين هما أبو حفص عمر ابن أبي حفص بن عبد المومن وأبو علي عمر بن تافراجين، غير أن أنصار المعتصم قتلوهما (قسم الغرباء ص 30 من نسخة الخزانة العامة).

(22) إضافة من خ ح / 3 و4 و6.

(23) في خ ح / 1 و3 : تذوي.

((ويقوم بما يعود بالأصلح[24] عليكم وأنتم قاعدون، ويقضي لقاصيكم ودانيكم[25] بالدّعة[26] والهدون))[27] ؛ فاستقبلوا[28] زمنا جديدا، وتفيَّأوا[28] ظلّ الدَّعة مديدا، واعلموا أننا نستقبل المسلمين بنظر يزيدنا محبّةً ويعرِّفنا ما لنا من الرفق والحنوّ عليهم، فإنّ مقصودنا في الأمة جميل، ورأيُنا في تأليف موجبات الاستيصال أصيل ؛ فنحن نصفح عن الجاني[29]، ونحُلّ قيد العاني، ونصرف عن الوعيد إلى الوعد، ونوثر العفوَ على المُؤاخذة والقربَ على البعد ؛ فكونوا على صحة من أن الأحقاد، قد ذهبت رسومها وزالت من الأحياد[30]، وأن الناس معنا في زمنٍ شبَّ واقتَبل، وأن الأمل بفضل الله مدرك الأمل.

فادخلوا ــ وفّقكم الله ــ فيما دخل فيه الجمهور، وابعثوا بيعتكم بعد أخذها وثيقة الأساس، مُحكَمَةَ الأمراس، في طاعة سعد ويمن إلى حضرة الموحدين، والله المنجد المعين ؛ وقد عرّفناكم بما انعقد علينا من الموحدين ومن إليهم من المسلمين فتيَمَّنوا، ودَعوْنا الله في الخِيرَة والإنجاد والعَون فأمِّنوا ؛ اللهم إنك قلدتنا أمور المسلمين، وارتضيتنا[31] للنظر في مصالح الدين، واخترتنا للملة الحنيفية خُدماء، وأسبغتَ علينا النَّعْماء، فاجعلنا لأنعُمك من الشاكرين، ولآلائك[32] من الذاكرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[33].

---

(24) في (ط) : الأصلح.

(25) في خ ح / 5 و6 وط : لماضيكم ودنياكم.

(26) في خ ح / 1 و2 و4 : بالدعوة.

(27) ما بين هلالين ناقص في خ ح / 6.

(28) الكلمة خاطئة في خ ح / 6.

(29) لعله يقصد المامون.

(30) في خ ح / 4 : الأجياد، وفي خ ح / 6 : الأجناد.

(31) في خ ح / 1 و2 و3 : وارتضينا.

(32) في خ ح / 4 : وآلاتك.

(33) ان التسلسل الزمني للرسائل يفرض أن يتبع هذه الرسالة رسالتان عن المامون بتقديم قاضيين (مخطوط يحيى 65 ــ 66 و66 ــ 67) غير أن نشر رسائل هذا المخطوط كاملة في ملحق لرسائل هذا البحث لا يسمح ببتر الرسالتين منه، فلتُنظرا هناك.

الرسالة الثامنة عشرة بعد المائة :

رسالة الخليفة المأمون
حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تقديم :

عادة ما يوجه الخليفة الجديد رسالة إلى الأمة يذكر فيها بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجّه مثل هذه الرسالة أيضا في أوقات الشدّة أحيانا، وهكذا وبعد بيعة أبي العلاء المأمون بالأندلس وجّه رسالة بهذا الشأن وردت بعض فصولها ضمن ترجمته بكتاب «الإحاطة» لابن الخطيب المجلد الأول (ص 413 ـــ 414) تحقيق محمد عنان، وهذا نص هذه الفصول :

نص الرسالة :

......[1] الحمدُ لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين، وأمَرَ بالعدل والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ؛ والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان، طوراً بالشدة وتارة باللين، القائلِ ولا عدول عن قوله : ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعِرضه، تنبيهاً على ترك الشك لليقين ؛ وعلى آله أعلام الإسلام باليمين، الذين مكّنهم الله في الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفاءا بالواجب لذلك التمكين......

...... وإذا كنا نوفّي الأمة تمهيد دنياها، ونعنى[2] بحماية أقصاها وأدناها، فالدِّين أهمّ وأولى، والتهمّمُ بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها أحق أن يُقدّم وأحرى ؛ وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع وندع، ونتّبع السُّنن المشروعة ونذر البدع ؛ ولنا أن لا ندّخر عنها نصيحة، ولا نغبنها أداة من الأدوات مريحة، ولنا عليها أن تطيع وتسمع...[3].

...... وأول ما يتناول به الأمر[4] النافذ، الصلاةُ لأوقاتها، والأداءُ لها على أكمل صفاتها

(1) ورد في الإحاطة قبل هذه الرسالة ما يلي : «خاطب المامون لأول أمره، وأخذ الناس لبيعته من بأقطار الأندلس صادعا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على الصلوات وايتاء الزكاة، وإيتاء الصدقات، والنهي عن شرب الخمر والمسكرات، والتحريض على الرعاية، فمن كتابه : «الحمد لله الذي....» غير أن صاحب القرطاس يجعل تاريخ هذه العملية سنة 628 (ص 253).

(2) في ط الإحاطة : وتعنى.

(3) حالة نادرة من الحالات التي يذكر فيها الخليفة ما يلتزم به نحو الرعية.

(4) في ط الإحاطة : يتناول به النافد.

وشهودُها إطهاراً[5] لشعائر الايمان في جماعتها، فقد قال عليه الصلاة والسلم : «أَحَبُّ الأعمالِ إلى (الله)[6] الصلاة لأوقاتها»، وقال : «أول ما يُنظر فيه من أعمال العبدِ الصلاة»، وقال عمر : «إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمَن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع»، وقال : «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة»، وهي الركن الأعظم من أركان الإيمان، والسور الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها في المساجد، وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمرٌ لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون ؛ قال ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ : لقد رأينا وما يتخلف عنها إلا المنافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتَى يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، وشهودُ الصبح وعشاء الآخرة شاهد بمحضر الإيمان[7] ؛ ولقد جاء : «حضورُ الصبح في جماعة يَعدِل قيام ليلة» ؛ وحسبُكم بهذا الرجحان، ومن الواجب أن يُعتنَى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، ويُؤخَذَ[8] بها في جميع الأمصار الصغيرُ والكبير من المسلمين، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام : «مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين»......[9].

---

(5) كذا في ط الإحاطة (إطهارا)، ويبدو أن الأصوب : (اظهارا).

(6) ناقصة في ط الإحاطة.

(7) في ط الإحاطة : الإيماء.

(8) كذا في الأصل المعتمد في ط الإحاطة، أما المحقق فكتبها : (وياخذ).

(9) ختم صاحب الإحاطة الرسالة بقوله : «وهي طويلة في معاني متعددة».

الرسالة التاسعة عشرة بعد المائة :

رسالة الخليفة المأمون
حول إلغاء «رسوم» المهدي

تقديم :

بعد استقرار المأمون بمراكش إثر هزيمة يحيى المعتصم بحث في مسألة الناكثين لبيعته وخاصة من هنتاتة وأهل تينملّل، فتحيَّل في استدعائهم إلى مراكش وقتل أعيانهم ثم تتبع أنصارهم، وأراد أن يحطّم سلطة الأشياخ الموحدين معنويا أيضا بهدم الشعارات التي وضعها المهدي لأسس الدولة الموحدية، فأمر على الخصوص بقطع اسم المهدي من الخطبة والعملة متنكرا لعصمته ومهدويته، ووجّه بذلك رسالة **من إنشائه**[1] إلى الجهات التابعة لسلطته. وقد وردت هذه الرسالة في الحلل الموشية (164ـ 165) وفي البيان المغرب ج 3 (267 ــ 268) ضمن أحداث 626، وهذا نص الرسالة مقارنا بين المصدرين.

نص الرسالة :

من عبد الله إدريس أمير المومنين ابن أمير المومنين (ابن أمير المومنين)[2]، إلى الطلبة (والأشراف)[3] والأعيان والكافة ومن معهم من المومنين والمسلمين[4]، أوزعهم الله شكر أنعمه[5] الجسام، ولا أعدمهم[6] طلاقة أوجُه الأيام الوسام.

وإنا[7] كتبناه إليكم ــ كتب الله لكم[8] عملاً منقاداً، وسعداً وقّاداً وخاطراً سليماً، لايزال

ملاحظة : تمت المقارنة في هذا النص بين الحلل الموشية (ط 1978) ونسخ البيان خ ح / ونسخة (ق) بالخزانة العامة وط تطوان، أما الحلل من نشر علوش فهي كثيرة الأخطاء.

(1) حسب ما ذكره صاحبا البيان والحلل.

(2) ما بين هلالين ناقص في خ ح / 4 وفي الحلل.

(3) كلمة ناقصة في خ ح / 4، وفي الحلل، وهي كلمة جديدة في الرسائل الموحدية عوّضت كلمتي (الموحدين والأشياخ) أي الطبقة التي يسعى المامون لتحطيمها.

(4) في الحلل : ومن المسلمين.

(5) في الحلل : نعمه.

(6) في خ ح / 4 : ولا أعدم لهم.

(7) في الحلل : فانا.

(8) في خ ح / 4 و5 : إليكم.

على الطاعة مُقيماً ـــ من (حضرة)[9] مراكش ـــ كلأها الله (تعالى)[10] ـــ، وللحق لسان ساطع[11]، وحسام قاطع[12]، وقضاء لا يُردّ، وباب لا يُسدّ، وظِلال على الآفاق، (تمحو النفاق.

وبعد)[13]، فالذي[14] نوصيكم به تقوى الله (العظيم)[15] والاستعانة (به)[16] والتوكل عليه، ولْتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم (روح الله)[17]، وما سمي مهديا إلا (لأنه)[18] تكلم في المهد[19] ؛ فتلك[20] بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على (هذه)[21] القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ[22] العصمة عمن لا تثبت (له)[23] عصمة، فلذلك[24] أزلنا عنه رسمه، فيُمحي ويُسقط ولا يثبت[25] ؛ وقد كان سيدنا المنصور (رضي الله عنه)[26] همّ أن يصدع بما به الآن صَدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا[27]، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجلُه[28]، فقدم على ربه بصدق نيّة، وخالصِ طوية[29] ؛ وإذا كانت العصمة لم تثبت (عند العلماء)[30] للصحابة[31]، فما الظنّ بمن لم يَدرِ بأيِّ يدٍ يأخذ كتابه ؛ أُفٍّ لهم[32]، قد ضلّوا

(9) إضافة من الحلل.

(10) إضافة من نسخ البيان.

(11) في الحلل : قاطع.

(12) في الحلل : وحكم ساطع.

(13) في نسخ البيان : لمحو النفاق بعد.

(14) في البيان : والذي.

(15) إضافة من الحلل.

(16) ناقصة في نسخ خ ح وق (خ ع).

(17) إضافة من الحلل.

(18) في الحلل وفي خ ح / 2 : أنه.

(19) في خ ح / 5 و6 : تكلم في المهدي.

(20) في نسخ البيان : وتلك.

(21) إضافة من الحلل.

(22) في خ ح / 3 و6 : لفظة، وفي الحلل : وقد اسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة.

(23) ناقصة في خ ح / 4.

(24) في خ ح / 5 : بذلك، وفي خ ح / 6 : يدلك.

(25) في نسخ البيان : فتسقط وتبت وتمحى ولا تثبت.

(26) ما بين هلالين ناقص في الحلل.

(27) في خ ح / 6 : رفعنا، وفي خ ح / 1 : كلمة (الخرق) ناقصة، وفي الحلل هكذا : «وان يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا».

(28) في الحلل : ولا أجّله لزواله إلا أجله.

(29) في الحلل : بنية صدق خالص الطوية.

(30) الكلمتان ناقصتان في الحلل.

(31) في خ ح / 6 : الضخامة.

(32) في الحلل : بل هم.

وأضلُّوا، ولذلك وَلُّوا وذَلُّوا[33]، ما تكون لهم الحُجّة على تلك المَحجة[34] ؛ اللّهم اشهد، (اللهم اشهد)[35] أنا (قد)[36] تَبرأنَا منهم تبرؤ[37] أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك (يا جبّار)[38] من فعلهم[39] الرثيث، وأمرهم الخبيث، إنهم[40] في المعتقد (من الكفار)[41]، وإنا (نقول)[42] فيهم (كما قال نبيك[43] عليه السلام)[44] : «ربِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّارا»[45]، والسلام (على من اتبع الهدى واستقام)[46].

---

(33) في الحلل : وتلفوا في ذلك وزلوا.

(34) في الحلل : الحاجة.

(35) غير مكررة في الحلل.

(36) في الحلل : إنا تبرأنا.

(37) في الحلل : براءة.

(38) ناقصة في الحلل.

(39) في الحلل : من أمرهم الرثيث وفعلهم الخبيث.

(40) في الحلل : لأنهم.

(41) في الحلل : من أهل النار.

(42) ساقطة في نسخ البيان.

(43) في خ ح / 4 و5 وط : نبيكم.

(44) في الحلل (أصلا) : قال نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

(45) من الآية 26 من سورة نوح.

(46) ما بين هلالين ناقص في الحلل.

الرسالة العشرون بعد المائة :

رسالة استنجاد من أهل مكناسة الزيتون
إلى الخليفة المأمون

تقديم :

تكاثرت المصائب على المأمون سنة 629، فبعد أن شعر بنوع من الاستقرار من جانب يحيى المعتصم الذي التجأ إلى أقصى الجنوب (درعة وسجلماسة) وصلته الأنباء عن ثورة أخيه بسبتة، وكذلك عيث وحصار قبائل فازاز وزرهون لمكناسة حيث كتب أديبها ابن عبدون[1] رسالة عن سكان المدينة إلى المأمون بمراكش طالبين النجدة، فتحرّك بجيوشه، مما جعل هذه القبائل تفكّ الحصار عن المدينة فينشغل بعد ذلك بأمر سبتة، وقد أورد ابن عذاري فصلا من هذه الرسالة في الصفحة 280 (ط تطوان) :

نص الرسالة :

......[2] فالعبيد — أيدكم الله — هالكون لا محالة، وحياتهم في حيِّز[3] الاستحالة، إلا أن يتدارك الله تعالى بلطفه، ويتلافى الجميع بجزيل عطفه ؛ ومعلوم أن هذا القطر — حماه الله — قُفْلُ الغرب[4]، والبلاد معتمدة عليه اعتماد الحسام على الضّرب، فإغاثتُه واجبة، وحمايته حاجبة، فالعَجَلَ العَجَلَ، قبل بلوغ الأجل، والغياث، قبل تمكن الفساد والإعباث...

....[5] إمامَ الهدى سَمعاً لدعوة شاكٍ ثَـوى بين هـلاكٍ رَهين هـلاكِ
وأوشكَ أن يغتال مكناسةَ الـرَّدى وتبكي على مـا تحتويـه بواكِـي[6]

ملاحظة : عن نسخ الخزانة الحسنية (خ ح) انظر الملاحظة في هامش الرسالة التاسعة.

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) قدم ابن عذاري لهذه الرسالة بقوله : «وفي هذه السنة المؤرخة (629) حاصر بعض القبائل مكناسة الزيتون ؛ فعرّف بذلك أهله (كذا) أبا العلى المأمون برسالة من انشاء ابن عبدون ... فصل منها : فالعبيد أيدكم الله ....».

(3) في خ ح / 6 : خير.

(4) في خ ح / 2 و4 : المغرب.

(5) علّق صاحب البيان بقوله هنا : «وله شعر في المعنى طويل فمنه : إمام الهدى ....».

(6) في خ ح / 4 : بواك، وفي خ ح / 6 : يراك.

أحاطت بها الأعداء من كل جانب فقد قعــدتْ منها بكـــل شراكِ
وقد زارها من أهل زرهون[7] هَوْنها وَبَثُّـوا لها التطليـق بعــد مـــلاكِ
وأبنـــاءُ[8] فـــازاز لها مستفـــزّة فها هـي تشكـو كل أروعِ شاكِ

...... رفع هذه[9] الشكوى إلى المقام[10] الإمامي الأعلى ــ أدام الله أيامه، ونصر[11] ألويته وأعلامه عبيدُه المستجيرون بعدلِهِ : أهلُ مكناسة تَلافى الله برحمته تَلافَها[12] ؛ وتدارك بلطفه قُطّانَها وأُلاّفَها، مستصرخين جلالَه، مسترْقِبين[13] إقباله ؛ فالعبيدُ في حُكم الفَوَات، وعدد الأموات ؛ وعدلُ المَقام الأعلى كفيلٌ بتدارك أرماقهم، وحَلِّهم من وثاقهم ؛ كُتب في شهر كذا من عام تسعة وعشرين وستمائة[14].

---

(7) في خ ح / 6 : زرهونة.
(8) في خ ح / 6 : وأنباء.
(9) في خ ح / 3 و6 : هذا.
(10) في ط. تطوان : المكان.
(11) في خ ح / 6 : وأنصر.
(12) في خ ح / 2 : ... مكناسة تلافاها الله برحمته وتدارك .... وفي خ ح / 4 : ... تلافاها الله وتدارك ....
(13) في خ ح / 3 و4 : ومترقبين، وفي خ ح / 5 : ومرتقبين.
(14) في خ ح / 4 : وتسعمائة.

الرسالة الواحدة والعشرون بعد المائة :

رسالة بيعة من بعض القبائل للخليفة الرشيد

تقديم :

بعد عودة المأمون من حصار أخيه المتمرد بسبتة ونجدته لأهل مكناسة من ضغط بعض القبائل عليها، سمع بدخول المعتصم إلى مراكش ففك الحصار عن سبتة وقصد إلى مراكش، لكنه توفي عند نهر أم الربيع في آخر ذي الحجة سنة 629، فبويع ابنه أبو محمد عبد الواحد (الرشيد) البيعة الخاصة، وتمكن من كسب المعركة ضد المعتصم، فدخل مراكش مدعّما بمرتزقته من «الروم» وحلفائه من عرب الخلط، ثم توافدت عليه بيعات القبائل، ومنها نص البيعة[1] التي أوردها صاحب البيان المغرب (287 ــ 288) مؤرخة بشهر محرم سنة 630 (مُقارَناً بين نسخ خ ح وط. تطوان).

نص الرسالة :

الحمدُ لله الذي شيّد بالامامة[2] أركان الإسلام، وحفظ بها دين محمد عليه السلام، وجعل طاعة من استحقّها وأدّى حقها من فروض الأعيان، ونظم بتقليد بيعة من اختاره لخلافته في أرضه، وارتضاه لإقامة سُنته وفرضه، عقودَ الاعتقاد، وتمّم به شروط الإيمان ؛ والصلاةُ على سيدنا محمد رسوله المبعوث لخير أمة في خير زمان، وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان ؛ والرضى عن الخلفاء الراشدين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون في الإسرار والإعلان[3]، اللهم ارضَ عن خليفتك في بَراياك، الكفيلِ عدلُه بإقامة دينك القيّم[4] ورعاية رعاياك[5]، الإمام المؤيّد، المبارَك الأسعَد، أمير المومنين أبو[6] محمد عبد الواحد بن سيدنا الخليفة الامام المأمون أمير المومنين أبي العلى بن الخلفاء الراشدين ؛ اللهم كما انتخبتَه[7] من خَير نِصاب، وأعدتَ به الدولة المأمونية[8] إلى

ملاحظة : عن نسخ (خ ح) انظر الملاحظة في هامش الرسالة التاسعة.

(1) نص البيعة مجهول المؤلف والمكتوب عنهم، انظر الهامش 17 بعد.

(2) في خ ح / 4 : بالإقامة.

(3) يلاحظ غياب اسم المهدي استمرارا لسياسة المأمون.

(4) في خ ح / 4 : المقيم.

(5) في مختلف النسخ وط تطوان : رعياك، ويبدو أن هناك ألفا محذوفة حسب الخط المغربي.

(6) كذا في أغلب النسخ، وفي خ ح / 5 وط تطوان : أبي.

(7) في خ ح / 1 و2 و5 وط تطوان : انتبته.

(8) في خ ح / 1 و2 و5 وط تطوان : المأمونة.

عنفوان الشباب، وجمعتَ بعدله ضروب الأشتات كما جمعتَ بفضله جميع الأسباب، وحسمتَ بحسامه مَواد الشِّرك والارتياب ؛ اللهم اجعلْ كلمته[9] العليا، وامنحْه من قِسَم السعادة والنّعم المستزادة ما يجمع له بين سعادتي الآخرة والدنيا، إنه كفيل بكل خير جميل.

وبعدُ، فهذا ما أجمع عليه الكافة من بني فلان، خصوصِهم وعمومِهم من عقد بيعتهم الموطدة الأركان، «المؤسَّس بنيانها على تقوى من الله ورضوان»، لسيدنا الخليفة (الامام)[10] أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين ــ أعلى الله كعبه ونصر حزبه ــ أبرموا عقدها، والتزموا عهدها[11]، وقلّدوا أعناقَهم أمانتها، وتكفّلوا حياطتَها وصيّانتَها[12]، واعتصموا بمتن حبلها، واهتدوا[13] بيمن سبلها، وأوجبوا بها على أنفسهم طاعتَه، واعتقدوا بعقدها موالاتَه ومشايعتَه، وفاءوا إلى فيئته المباركة، والتزموا مواصلةَ مَن واصله ومُتاركةَ مَن تارَكه، سروراً بسعد أيامه، وشكرا لجزيل إحسانه[14] وإنعامه، وامتثالاً لماضي أوامره ولحُكم أحكامه، طائعين غير مكرَهين، بارعين غير نازعين بضمائرَ خالصة، وعزائمَ ماضيةٍ غير ناكصة، يوالون مَن والاه، ويعادون مَن عاداه، ويوادّون من وَادّه[15]، وفاءً بعهده وميثاقه، وابتغاءً لمرضاته ووفاقه، مبايعةً موثَّقة الإحكام سَنِيَّةَ الأَحكام، أعطوْا عليها صفقةَ أيمانهم وأكيدَ أَلِيّاتهم، واعتقدوا الوفاء بها والتّمسك بسببها بصفاء من سرائرهم، وخلوصٍ من نياتهم وضمائرهم، وأشهدوا الله تعالى وملائكتَه على أنفسهم بذلك وهم بحدوده عالمون، «ومن يتعدَّ حدودَ الله فأولائك هم الظّالمون»[16]، قيّدوا بذلك شهاداتهم، في شهر محرم سنة ثلاثين وستما(ئـ)ـة[17].

---

(9) في خ ح / 3 و6 : فاجعل اللهم كلمته، وفي خ ح /2 : اللهم كلمته...

(10) ناقصة في خ ح / 2 و4.

(11) في خ ح / 1 و2 و3 و4 و6 : مواعدها.

(12) في ط تطوان : صيانتها (بدون واو).

(13) في خ ح / 2 : اهتنوا.

(14) في (ط) تطوان : احسامه.

(15) في خ ح / 2 و4 و5 وط : من واداه.

(16) من الآية 229 من سورة البقرة.

(17) قارن أواخر هذه الرسالة مع أواخر الرسالة رقم 125.

الرسالة الثانية والعشرون بعد المائة :

ظهير توقير عن الخليفة الرشيد

تقديم :

هذا الظهير منحه الخليفة الرشيد للشيخ أبي بكر ابن المشرف أبي الحسن ابن غالب يجدد فيه راتبه «ومواساته» وهو مؤرخ بجمادى الآخرة سنة 637، ورد في كتاب «زواهر الفكر وجواهر الفقر» لابن المرابط المرادي، مخطوط الاسكوريال ضمن مجموع رقم 520، المصور بالخزانة العامة، على شريط رقم 1114، الورقة 16، وهذا نصه[1] :

نص الظهير :

هذا ظهير[2] كريم أمر به أمير المومنين ابن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين، أيدهم الله تعالى بنصره وأمدّهم بمعونته، ويسّره للشيخ القائد الأكرم **أبي بكر** بن الشيخ المشرف أبي الحسن **بن غالب**[3] أدام الله كرامتهم بتقواه ـــ **يُحمَل به من (الكرامة)**[4] على أوضح سبيل، ويوفّى **من المبرّة والرعاية** كل حظ جزيل وقصد جميل، ويُرتَّب له أربعون دينارا[5] في كل شهر مع مُدَّيْن من القمح وأربعةِ أمداد من الشعير (...)[6] مائتي دينار[5] اثنين في كل سنة ؛ وكل ذلك مطرَّد له حيثما حلّ من بلاد الموحدين ـــ أعزهم الله تعالى ـــ يُيَاسَى[7] فيه من غير توقف،

---

(1) لم يذكر كاتب الظهير، ومن المعلوم أن من كتبوا عن الرشيد كثيرون (البيان 283)، وكان رئيس الكتاب لديه هو أبو زكرياء يحيى الفازازي. انظر الذيل س 8 / ص 231 (خ ع).

(2) يفهم من صاحب التشوف أن الظهير له معنى الصك وذلك في ترجمة المتوفى سنة 586 حيث منح له «صك بالحمل على البر والرعاية» ص 239 (ن. فور).

(3) هناك من يسمى بأبي الحسن بن غالب : علي بن خلف بن غالب بن مسعود الشلبي المتوفى 568، وهو إمام الصوفية دفين قصر كتامة ومن مؤلفاته كتاب «اليقين» (الذيل س 5/ ص 208 ـــ 212، صلة الصلة ص 176، والتشوف ت 81، وسلوة الأنفاس 2/ 24 ؛ وجذوة الاقتباس 297).

(4) في الأصل : الكراة.

(5) كتبت هكذا : (دينرا) في الحالة الأولى، و(دينر) في الثانية.

(6) كلمة غير واضحة في الأصل.

(7) كذا بالأصل.

ويُتعرَّف الرأي الجميل منه أحسن تُعرّف، إحسانا منه ــ أعلى الله تعالى[8] أمره وأوزع شكره ــ بوّأه ظلّه، وأفرغ عليه سِجِلّه ؛ فمن وقف عليه فلْيعمل بمضمّنة، ولا يعدلْ عن واضح سَنَنه ان شاء الله تعالى، وهو المستعان لا رب سواه. كتب في العشر الأُول لجمادى[9] الآخرة عام سبعة وثلاثين وستمائة[10].

---

(8) كتبت هكذا : تعلى.

(9) كتبت في الأصل : لجمدى.

(10) قد يسبق هذه الرسالة زمنيا رسالة تقديم يبدو أنها عن الرشيد واردةٌ في مخطوط يحيى (ص 2 ــ 3)، وأخرى عنه في تقديم قاض (ص 75 ــ 76)، انظرهما في الملحق الأول للبحث.

الرسالة الثالثة والعشرون بعد المائة :

ظهير عن الخليفة الرشيد بتوطين أهل شرق الأندلس برباط الفتح

تقديم :

كانت أحوال الأندلس تزداد سوءا منذ العشرينات بسبب المشاكل الموحدية بالمغرب وتنافس بعض السادة بالأندلس، وظهور الزعامات الأندلسية المتصارعة مع بعضها ممثلة في ابن مردنيش ببلنسية وابن هود بمرسية وابن الأحمر في الجنوب، زيادة على تصاعد القوة الاسبانية، مما أتاح للقشتاليين التحرك جنوبا فاستولوا على قرطبة سنة 636، وللأركويين فاستولوا على الجزائر الشرقية (البليار) وحصون ولاية بلنسية، ثم سقوط بلنسية نفسها سنة 633، وبداية التسابق مع القشتاليين نحو مرسية .... مما أدّى إلى هجرة عدد من أهل شرق الأندلس فانتقل بعضهم نحو بلاد المغرب. وقد أصدر الخليفة الرشيد بتشجيع من ابن خلاص الأندلسي صاحب سبتة ظهيرا يمنح هؤلاء حق الاستيطان برباط الفتح، من انشاء الكاتب البلنسي ابن عميرة[1]، وهذا نص الظهير كما ورد ضمن رسائل ابن عميرة، مخطوط الخزانة العامة (فهرس الكتانية) ك 232، ص 118 ــ 120، مقارنا مع ما ورد في كتاب زواهر الفكر، ميكروفيلم الخزانة العامة (1114) الورقتان 115 ــ 116.

الرموز : ك = مخطوط الخزانة العامة (فهرس الكتانية).
س = مكروفيلم الخزانة العامة (مخطوط الاسكوريال رقم 520).
« » = إضافة أو تصحيح من زواهر الفكر.
( ) = ناقص في زواهر الفكر.

نص الظهير :

ك/118 هذا ظهير كريم أمر به «أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين[2] ــ أيدهم الله بنصره، وأمدّهم بمعونته، ويسّره»[3] للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومَن جرى من سائر بلاد شرق الأندلس[4] مجراهم، وعَراهم من غِيرِ الأيام

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) فهو الرشيد بن المأمون بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن.

(3) ما بين « » عُبّر عنه في (ك) بكلمة (فلان).

(4) في (س) : ... بلاد الشرق مجراهم.

س/116 أ ما عَراهم، حين أنهى «ذو الوزارتين الشيخ الأجل، الأثير الأكرم الأعز الأفضل، / أبو علي بن الشيخ الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص ــ أدام الله تعالى أثرته وكرامته ــ»[3] ما أصابهم من الجلاء، ودهاهم من أمر الأعداء، وسعى لهم سَعْيَ من يقضي (لهم حق الجوار)[5]، ويلتمس لهم مكانا للقرار، ومنزلا لإلقاء عصا التّسْيار، وعند ذلك أذن لهم ــ أعلى الله «تعالى» ــ إذنه، وجَدّد سعده ويمنَه ــ في النّقلة إلى رباط الفتح ــ[6] عمّره الله «تعالى» ــ بقضيضهم[7] وقَضّهم، وأن يتّخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضِهم، ويَعمُروا منه بلدا يقبل منهم أولي[8] مَن قَبَل، ويَحملهم ــ ان شاء الله «تعالى» ــ وخَير البلاد مَا حَمَل، فإنه مناخ للتاجر والفلاّح، وملتقَى

ك/119 للحادي / والمَلاّح، والمَرافقُ من بَرّه وبحره موجودة في فصول السنة[9]، موذنة لقاطنه بالعيشة الهنيّة والحالة الحسنة، ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الأمر العزيز ــ أدامه الله «تعالى» ــ من التوسعة على قويّهم كي يزداد قوة، والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة، وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه هنالك[10] متّسع، ويتبسّطوا في كل ما لهم منه معاش وبه مُنتفَع، ويغرسوا الكروم وأنواع الشجر على عاداتهم ببلادهم، ويتأثّلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم[11]، وكلّ ما يعمرون من الضّياع، ويقتنون من الأصول والرّباع، فله حكم التسويغ على الإطلاق والدوام، (و) لا يُلزَمُون فيه شيئاً من وجوه الإلزام، ولا يُطلَبون بغير حقوق الشرع التي جعلها الله «تعالى» في أموال أهل الإسلام ؛ وأقوالُهم في مقاديرها مُصدَّقة[12]، وأمانيهم كلها لهم وللاّحقين بهم محقّقة.

والولاة والعمال ــ حفظهم الله «تعالى» ــ مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يُلِمّ بجانب من جوانبهم، أو يعوق عن مأرب كبير أو صغير[13] من مآربهم، وأن يُكرَموا غاية الإكرام نُبَهاءَهم[14] وأعيانهم، ويُولُوهم من حسن الجوار ما يُنسيهم أوطَانَهم، حتى تندفع عنهم كل شبهة

---

(5) في (س) : يقضي فيهم بالجوار.

(6) نسب بناء قصبة المهدية وهي نواة رباط الفتح إلى الخليفة عبد المومن سنة 545، وبناء المدينة إلى ابنه يوسف وأتمها المنصور، (المن 446 ــ 449) قارن المعجب 359، وبسط الأرض ص 72 الذي ورد فيه أيضا عن المنصور «وعزم أن يجعلها عوضا من مراكش فعاجلته المنية». ويوصف موقعها مع موقع سلا بالأهمية الفلاحية والتجارية الداخلية والبحرية (الإدريسي 47 ــ 48، ن. بريس، الاستبصار 140 ــ 141).

(7) في (ك) : بقصيصهم.

(8) كذا في (ك) ولعلها : (أولى) بألف مقصورة.

(9) انظر في الفصل الرابع خصوصيات هذه الرسالة، والفقرة (جـ) من الدراسة التاريخية به.

(10) في (ك) : هناك.

(11) هل هذه الأرض تؤخذ من ملاكيها الأصليين أم هي ملك للدولة فتتنازل عنها للاّجئين ؟ يتحدث صاحب المن عن أرض رباط الفتح حول قصبَتها بقوله : «حواليه أرض محرث براح ومسرح متملك للمخزن ولأهل سلا ولابن وجاد من اشبيلية فاشتراه الخلفاء من أربابه وخلص لهم» ص 446 ــ 447.

(12) هل يلمح هذا إلى كون الفلاحين عادة غير مصدّقين في تقدير المنتوج فتقوم الدولة بذلك وعلى أساسه تفرض قيمة الخراج ؟

(13) في (س) : عن مأرب صغير أو كبير.

(14) كذا في ك، وفي (س) : نبهائهم.

من شُبَه الحَيْف، ويُجمَعَ لهم بين الرعاية لحرمة البلدِيِّ والعناية بحق الضيْف، إحساناً منه أعلى الله «تعالى» أمره، وأوزع شكره، ينسحب على جماعتهم وأفذاذِهم، ويحملهم على موجب اعتلاقهم[15]
116 ب بهذا الأمر / العلي ــ أدامه الله ــ وملاذِهم.

120/ك فمن وَقف عليه من الطلبة والعمال[16] ــ أكرمهم الله «تعالى» ــ فليعملْ / بحسبه، ولا يعدلْ عن كريم مذهبه، إن شاء الله تعالى، «وهو تعالى المستعان، لا رب سواه ؛ كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة».

---

(15) في (س) : اعتلامهم.

(16) لاحظ الإشارة سابقا إلى «الولاة والعمال»، والآن «الطلبة والعمال»، فيكون الطلبة هنا هم الولاة (راجع في الفصل الأخير من البحث : الجانب الإداري).

الرسالة الرابعة والعشرون بعد المائة :

رسالة عن أهل سلا
إلى الخليفة الرشيد حول بيعة أهل تلمسان

تقديم :

كانت ظروف الفتنة بين الأمراء الموحدين خلال العشرينات وأوائل الثلاثينات عاملا مساعدا على انفصال الأقاليم البعيدة كالأندلس وافريقية الحفصية، وأيضا منطقة تلمسان تحت قيادة أسرة بني عبد الواد الزناتية وزعيمها يغمراسن، غير أن استقرار الأمور نسبيا للرشيد بالمغرب الأقصى، وأطماع الحفصيين في تلمسان ربما كانا وراء عودة ارتباط تلمسان شكليا بالخليفة الرشيد في السنوات الأخيرة من خلافته ؛ وبعد أن وصلته البيعة بذلك وجّه رسائله مبشرا بها، ومن ذلك رسالة وردت على مدينة سلا فأجاب مسؤولوها برسالة تهنئة إلى الخليفة من انشاء قاضي المدينة ابن عميرة[1] (ربما سنة 639)، وهذا نص الرسالة كما ورد في مخطوط رسائل ابن عميرة بالخزانة العامة : ك 233، (ص 237 — 240).

نص الرسالة :

237 الحضرةُ الامامية العلية المقدسة الطاهرة المباركة السنية السعيدة المنصورة المؤيدة الرشيدية[2]، الكفيلة من إعزاز الإسلام بما هي المَلِيّة به الرفيّة، الماضية عزماتها الشريفة حيث تنبو المشرفية ؛ حضرةُ سيدنا ومولانا الخليفة الامام الرشيد بالله المؤيد بأمر الله، أمير المومنين ابن سيدنا الخليفة الامام المأمون أمير المومنين بن ساداتنا الخلفاء الراشدين، أيد الله أمرها، وأعز نصرها، وأوزع الأمة المحمدية حمدها وشكرها، وأبقى برونق الإشراق والأمان من المحاق شمسها الطالعة وبدرَها ؛ عبيدُها اللائذون بحرمها، العائذون بكرمها، المتقلبون في مِننها العميمة ونعيمِها[3]، الداعون إلى الله سبحانه وتعالى أن يُنهضهم بحقوق طاعتها وواجبات خِدمِها : الطلبة[4] برباط الفتح وسلا[5] والجماعة والكافة من أهلها ؛ سلام الله المبارك الكريم وتحياته، تخصّ المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله العزيز الحكيم، الفتاح العليم، ذي المنّ العميم والفضل العظيم، والصلاةِ على سيدنا

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) الرشيدية نسبة إلى الخليفة الرشيد واسمه أبو محمد عبد الواحد.

(3) كذا في الأصل ولعل الأصح : (نِعَمِها) في حالة الجمع.

(4) انظر مدلول الطلبة في الفصل الأخير من الدراسة التاريخية (الجانب الإداري).

(5) انظر الهامش 6 على الرسالة 123 والإحالات المذكورة به بمناسبة الحديث عن رباط الفتح.

محمد رسوله الذي اختص بكرم الخِيَم والشرف الصميم، وتأخّرَ بالزمان وله من شرف المكان رتبةُ التقديم، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا معه بصدق العزم حتى صار العلوّ لحزبه الكريم، وانقلب العدوّ على هيأة الولي الحميم، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم العليم، بفضيلة العلم وفريضة التعليم، الطالع بدر يقين في ليل الشك البهيم ؛ وعن خلفائه الراشدين الجارين على نهجه القويم، الواسمين جباه أوليائهم بالترغيب ومعاطس أعدائهم بالترغيم، والدّعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام الرشيد أمير المومنين بن / ساداتنا الأيمّة المهتدين بنصرٍ يَعِد بتمليك الأقاليم، وفتحٍ تُلقِي إليه البلاد يد التسليم. 238

فكتَب العبيد ــ كَتَب الله للحضرة الامامية العلية الرشيدية سعودا تخرق بالأيام معتادَها، وفتوحا تعطيها البلاد قيادَها ــ ولازال نصر الله لها يَقُدّ أعداءها، قبل أن تقودَ جيّادها، ويصافحُ لواءَها وبيضُ الصّفاح ما فارقت أغمادها ــ من كذا[6] ؛ وبركاتُها تعم البسيطة أنوارُها، وتُكاثِرُ البحارَ المحيطة بِحارُها، وتُملي على الأيام من عاداتها الكرام ما تطيب به أصائلُها وأسحارُها، ويَجري على الاختيار بإسعاد الأقدار ليلُها ونهارُها ؛ فعَصرُها السعيد هو بيت قصيدة العصور، وحاملُ لواء الشرف المنصور، وبه صحّ في ختم العوادي ونظْم الأيادي قَصْرِ الممدود ومدُّ المقصور، عُلمت فضيلتُه باليقينيّ من الأدلة، وزاد على مَن قَبْله زيادة البدور على الأهِلّة، والتزم الخاص والعام من الشكر لخصائصه فروضا، وعلموا أن للرزق به والرفق منه بابا مفتوحا وجناحا محفوظا ؛ فالحمد لله الذي حلاّه بحُلَى المفاخر، وأذهب بجوده ذكر البحور الزواخر، وجعله حجة واضحة لمن قال كم ترك الأول للآخر ؛ وعند العبيد من خلوص الطاعة، والتزام ما يجب للنعمة من الشكر لها والإذاعة، ما يجب أن يكون عند أرقّاء تالد المنّة وطارِفها، الأحِقّاء باستيفاء ما يتعيّن عليهم من وظائفها، ولهم في شكر ما ورثوه منها خَلَفاً عن سلف، وتقلّدها منهم من تقلّدها شرفاً على شرف، مجالٌ كلٌّ منهم جاهَد في قَطعه، ومعه جاذبٌ من زماني عادته وطَبعه ؛ على أنهم لو أنفذوا فيهم الأعمار الفسيحة، واستعاروا له الألسنة الفصيحة لأعجزهم المرام البعيد، والشوط المديد، وقالوا لكل لفظ جمعوه، ومعنًى أشبَعوه : أين تقعان مما أُريد.

ووصل الكتاب الإمامي الكريم ــ وصل الله لمصدره الأشرف عادة العلوّ، وسعادة الرواح والغدوّ، وباهر السُّوَر والإعجاز، رائقَ الصدور والأعجاز، مُعْطًى من صور الكمال أبهاها، لابساً من حلل الحُسن ما يقصُر عنه كل حُسْنٍ وإن تَناهى[7]، وَحُقٌّ لكتاب أودعته الحِكم الجليّة، وأمْلته الأغراض العلية، واشتمل على أوصاف الهِبة الهنيّة، والعارفة السَّنِيّة، والعَقِيلة التي هي حسب الأمنية /، أن يكون الكتاب المطهَّر، والعلم المشهَّر، والطالع الذي أبت آيُ فضله إلا أن تظهَر وتَبهَر ؛ فكان بحرُه العذبَ المَعين، ودُعي العبيد إليه فأجابوا مهطعين، وحضروا لقراءته يوم الجمعة بعد أن قُضيت الصلاة، ووجب عند جوازه الإنصات، فتُلِيَ عليهم نصّه الذي هو أعلى درجات النصوص، ولفظه الذي لا يُنكِر عمومَ فضله أربابُ الخصوص، واستوفَوْا سماعه فصلا فصلا، وفرّعوا على كَلِمِه الزواهر 239

(6) قد تكون هي سلا حسب عنوان الرسالة في المخطوط وهو «وكتب (أي ابن عميرة) أيضا رحمه الله عن أهل سلا جوابا عن كتاب الحضرة ببيعة تلمسان». ومع ذلك لا يستبعد أن تكون أيضا رباط الفتح إذ كان فيها مركز القيادة العسكرية والإدارية (مركز الوالي).

(7) في الأصل : وإن تناها.

فروعاً من البشائر جعلوه لها أصلا، وعرَفوا منه **إتيان بيعة تلمسان**[8] عفواً بلا تعب، وابتداءً دون طلب[9].

وهي البلدة العتيقة، بل الروضة الأنيقة، جمعت محاسن المدائن منها في مدينة، واشتملت على أكمل عُدَّةٍ ليومي حرب وزينة، **حَشْوُها السلاح والكُراع، وفاخِرُ مَتاعِها لا يضاهيه المتاع**[10] ؛ وقد كانت قديماً نأت بجانب، وأومأت من الانقياد بوعدٍ غير كاذب[11]، وأولياءُ الله بِكظمِها آخذون، وللهُوَيْنَى[12] في أمرها مُنابِذون، وبصائرُ أهلِ هذا الأمر العليّ كسيوفهم (محشودة)[13]، والعهود عليهم بالصبر في مواطن الجلاد مأخوذة ؛ فما أذعنت إلا بعد أن ظُنّ أنها ماءٌ نَضَب، بل ذِماءٌ ذَهَب، وها هِي قد لبَّت قبل النداء، واستحبَّتْ فضيلة الابتداء، وجاءت وهي عَروسٌ عليها حُلِيُّها حسّانة أحسنَ جِلاءَهَا وليُّها ؛ هذا والسيف مقروب، والخَطِّيُّ لم تُهَزَّ له كُعوب، والخيلُ ما أرضاها سيرٌ ولا أنضاها رُكوب ؛ فأيُّ دلالة على سعادة هذه الخلافة، ولِمَ لا تسحَب أيامَها ذيولُ الحسناء المختالة، وكلُّ يوم منها موسم من مواسم الدنيا، وفي كل يد من عطاياها ما لا تسمح به إلا يدُها العليا.

والعبيدُ قد قضَوا للبشرى حق الإصفاق عليها والاتفاق، ورأوا آياتها في أنفسهم وفي الآفاق، وازدادوا بصيرة فيما لهذه الإمامة السعيدة من مزايا أخذتْها بالاستحقاق واستوفتها على الاطلاق ؛ وعَلِموا أن ما وَعدت به من فتوحٍ على الأثر، وبشائرٍ في ضمان القدَر، سُحبٌ قد أومضت بروقُها، بل شهبٌ حان منها شروقُها، فلهُم لسماعها إصغاء، طلبٌ لمرضاة الدعوة الهادية وابتغاء، والفوز بها فوز بسعادة الدنيا والآخرة، والحوزُ له لبوسُه من أبهى الملابس الفاخرة ؛ وهم لأيدي الدعاء رافعون، وفي ثَناءٍ[14] الرجاء في القَبول طالعون، والدعاءُ للمومن سلاح،/ وبه لأبواب البركات قَدْح وافتتاح : اللهم إنَّ إمامنا هذا أحلم الحلماء، والموصوف كالصحابة الكرماء، بصفات الأشداء ؛ اللهم فاكلأْه بعينك التي لا تأخذها سنة ولا نوم، واجعل أيّامه لا يلحقها في الإخلال بمُراده لَوْم، وما يمرّ منها إلا بإسعاده يوم ؛ اللهم أيّده على أعدائك، وأوزعه شكر نعمائك، واحفظه بما حَفَظت به الصَّفوة الكرام من أنبيائك وأوليائك، وانصر مُلكه في أرضك بملائكة سمائك، آمين آمين، والصلاة على سيد المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والسلام الكريم، الطيب المبارك الزاكي العميم، أرِجُ النشر، رائق البِشر، يخصّ المعالم القدْسية السَّنِيّة ورحمة الله وبركاته[15].

240

(8) تلمسان : انظر عنها الإدريسي (56، بريس)، والاستبصار (176 — 177) وخصائص رسائل ابن عميرة في الفصل الرابع من البحث والدراسة التاريخية بهذا الفصل (الفقرة جـ).
وانظر عن دورها في التجارة الخارجية : ديفورك ص 145 — 156 في ...L'Espagne catalane.

(9) راجع في الفصل الرابع الفقرة (ج).

(10) هذا يبين أهمية موقعها التجاري.

(11) الإشارة إلى استقلالها سابقا تحت قيادة يغمراسن : انظر نفس الفصل المذكور.

(12) في الأصل : للهوينا.

(13) كذا في الأصل : (محشودة) وفي هامش المخطوط وبمداد مغاير للأصل : (مشحوذة) ولعل هذا هو الأصح إذ تناسب هذه الكلمة السجع في الجملة اللاحقة.

(14) كذا في الأصل.

(15) حول تاريخ الرسالة وبعض مضامينها راجع خصائصها في الفصل الرابع ضمن رسائل ابن عميرة.

الرسالة الخامسة والعشرون بعد المائة :

تجديد بيعة أهل مكناسة للخليفة السعيد

تقديم :

شهدت السنوات الثلاثينية الاعلان الرسمي لظهور كيانين سياسيين جديدين بافريقية والمغرب الأوسط، وأصبح الحفصيون بافريقية أكبر منافس للموحدين، فبمجرد موت الرشيد سنة 640 دخلت في بيعتهم سبتة وبعض المدن الشمالية الأخرى وكذلك سجلماسة، بل توغل نفوذهم إلى داخل البلاد الغربية حيث كانت تنتشر قبائل بني مرين، وهكذا وجّهت مكناسة سنة 643 بيعتها إلى أبي زكرياء الحفصي من إنشاء قاضيها أبي المطرف ابن عميرة الذي التحق بعد ذلك بافريقية، فتحرك الخليفة الموحدي السعيد نحو مكناسة فبادر أهلها إلى تجديد بيعتهم له متبرئين من فعل ابن عميرة فعفا عنهم السعيد ؛ غير أن مقتله قرب تلمسان في طريق حركته إلى افريقية سيشجع على ظهور كيان سياسي جديد داخل المغرب الأقصى الشمالي حول فاس وهي الدولة المرينية. توجد بعض فصول البيعة المكناسية المتجددة للسعيد في البيان المغرب (378 — 379) طبعة تطوان، وهي من إنشاء الأديب المكناسي ابن عبدون[1].

بعض فصول رسالة البيعة :

الحمدُ لله مقدّر الأمور، ومصرِّفِ المقدور[2]، ومُخرِج عباده من الظلمات[3] إلى النور، عالِمِ السرائر، ومنوِّر البصائر، ورافِعِ الدرجات، وواضِعِ الخطيّات[4]، «وهو الذي يَقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات»[5]، وسعَ كلَّ عاصٍ حِلمُه، وأحاط بكل شيء عِلمُه، ونفذ في كل موجود حُكمُه، لا رادّ لما به حَكَمَ وأَمَرَ، ولا ناقضَ لما أُحكَمَ وأَمَّرَ، قدَّر الأشياء، وأتقن الإنشاء، وأتى

ملاحظة : عن رموز نسخ (خ ح) انظر ملاحظة على هامش الرسالة التاسعة. أما الرمز (ط) فهو تعبير عن طبعة تطوان.

(1) هو نفسه منشيء الرسالة رقم 120.

(2) في خ ح / 3 و5 و6 : القدور.

(3) في نسخ خ ح : الظلماة وفي ط تطوان : الظلمة.

(4) في ط : الخطئات، وفي خ ح / 6 : الخطيات.

(5) من الآية 25 من سورة الشورى.

ملكَه مَن شاء، وأسّس بالامامة مبانيَ الديانة، ووصل بها للرعايا أسباب الرعاية، وأمدَّ مَن أهّله لوراثة مَقامه الأسمى، واختاره لأمانته العظمى بالإنجاد والإعانة....

...... اللهم ارضَ عن خليفتك في عبادك، المرتسِم في ديوان أوليائك وعبادك، الامامِ المؤيد، والحسام المهنَّد، الأتقى الأطهر[6] الأعلى المعتضدِ بالله أميرِ المومنين أبو[7] الحسن ابن سيدنا الخليفة الامام المأمون أمير المومنين ابن الخلفاء[8] الراشدين، رضًى يبلغه أمله في الدنيا والدين، ويحكم لدولته السعيدة ومدّته الحميدة بالتمهيد والتمكين، ويجعل كلمته الباقية إلى يوم الدين، اللهم كما انتقيتَه من أكرم جرثومة[9]، وسدّدتَه لاقامة حدود الله المرسومة، فضاعِف — اللهم — في قلوب رعاياه حبّه، وأيّدْ بالملائكة والروح عصابته وحزبه ..... ومَن[10] شُكِرت في الخدمة آثاره، فحقيقٌ أن تُغفر زلاته وتُمحَى آثاره ؛ وإن العبيد (من)[11] أهل مكناسة، قد اجتمعوا ووقفوا موقف الاستكانة والمذلة، وقرعوا سن الندم على ما صدر عنهم من زلة، واستشعروا لباس الإنابة، وبادروا[12] لهذه الدولة المعتصمية[13] بالإجابة، واتفقوا جميعا علي (أن)[14] جددوا بيعتهم لسيدنا ومولانا الخليفة الامام المعتضد بالله أمير المومنين أبي الحسن بن الأئمة الراشدين — أعلى الله يده، ونصره وأيده —، حسبما تقدّم مستوعبة الشروط، مستوفاة[15] العقود والربوط، لم يستثنوا فيها فصلا، ولا أغفلوا من عقودها فرعا ولا أصلا، بنفوس مغتبطة، ونيات[16] على الوفاء بما التزموه من عقودها مرتبطة ؛ وأشهدوا الله وملائكته على أنفسهم بذلك وهم به عالمون، «ومَن يتعدَّ حدود الله فأولائك هم الظّالمون»[17]، وقيّدوا عليه شهادتهم[18] في تاسع عشر شهر ذي الحجة[19] من عام ثلاثة وأربعين وستمائة.

---

(6) في خ ح / 3 و4 : الاطهر (بدون نقط).

(7) كذا بالأصل : أبو.

(8) هم المنصور بن يوسف بن عبد المومن.

(9) كذا في نسخ خ ح، وفي ط تطوان : جرثوم.

(10) في خ ح / 1 و2 و3 و4 و5 : وقد.

(11) في خ ح / 5 : وأهل.

(12) في خ ح / 2 و4 : وبادوا.

(13) كذا في نسخ خ ح وط، والأصوب : (المعتضدية) نسبة إلى السعيد المعتضد.

(14) كذا في خ ح / 4 و5 و6، وفي ط : ما.

(15) كذا في خ ح / 4، وفي بقية النسخ : مستوفات.

(16) في خ ح / 2 : ونية... وفي خ ح / 4 : ونية الوفاء.

(17) من الآية 229 من سورة البقرة.

(18) يلاحظ هنا نفس الأسلوب في الرسالة رقم 121.

(19) في خ ح / 1 و3 و5 و6 : ذي حجة.

الرسالة السادسة والعشرون بعد المائة :

رسالة الخليفة المرتضى
إلى البابا اينوصان الرابع[1]

تقـديـم :

لم يكن الخلفاء الموحدون أول من استعمل المليشيات المسيحية الاسبانية كقوات خاصة، وانما ورثوها عن المرابطين، غير أن أهمية هؤلاء المرتزقة تزايدت مع ضعف الدولة بسبب ضعف عصبيتها والانشقاق داخل هذه العصبية، لكن في نفس الوقت ضعفت امكانية حماية هذه الجماعات وخاصة أسرها من انتقام الثوار والمعارضين كما حدث أثناء انشغال الخليفة المأمون بحصار سبتة سنة 629، حيث دخل منافسه يحيى المعتصم إلى مراكش وهدم كنيسة النصارى بها وقتل عددا منهم[2]... وإذا كان الخليفة الرشيد استطاع نسبيا إقرار الهدوء وبالتالي حماية جنده النصارى وعائلاتهم[3]، فإن هذه الوضعية يبدو أنها تغيّرت أيام الخليفة السعيد وبداية عهد المرتضى حتى أن البابا إينوصان الرابع هدّد بالتدخل لمنع المسيحيين من خدمة السلطة الموحدية إذا لم تتوفر لهم شروط الأمان[4]، ولعل رسالة المرتضى الجوابية على البابا لها علاقة بالموضوع[5] وهذا نصها :

---

(1) نشرت هذه الرسالة لأول مرة بمجلة هسبيريس 1926 (الفصل الرابع) بنصها العربي مع الترجمة والتعاليق من الصفحة 26 إلى 53 مع صورة لنصها الأصلي الموجود بمكتبة الفاتيكان، قام بهذا العمل كل من تيسيران E. Tesserant ووايت G. Wait، كما نشرها محمد عنان في ملاحق تاريخه عن الموحدين، وأعاد نشرها بالملحق الثقافي للعَلَم عدد 31 يناير 1975. وبعد تردد قررت أن أجعلها ضمن المجموعة الجديدة وحاولت أن أتجنب تكرار التعاليق الواردة في هسبيريس.

(2) القرطاس 253، والبيان 281، و«بيير دو سينيفال» في مقال له حول «الكنيسة المسيحية بمراكش في القرن الثالث عشر بمجلة هسبيريس 1927 الفصل الأول ص 74 — 76 (بالفرنسية).

(3) يظهر ذلك من الشكر الذي قدمه البابا كريكوار الرابع إلى هذا الخليفة (الصفحة 80 من مقال سينيفال، انظر عنان 537/2).

(4) سينيفال ص 81.

(5) اهتم ناشرا الرسالة في هسبيريس بمحاولة التعريف بشخصية الأسقف المشار إليه داخل الرسالة بـ «البشب».

ملاحظة : الكلمات أو أجزاؤها الموضوعة بين هلالين غير واضحة في صورة الرسالة بهسبيريس، وهي معتمدنا الأساسي في هذا النص تجنبا لأخطاء الطبع.

نـص الرسالـة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله وحده(6).

من عبد الله عمر(7) أمير المومنين بن سيدنا الأمير أبي إبراهيم(8) بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيدهم الله تعالى بنصره وأمدّهم بمعونته إلى مُطاع ملوك النصرانية، ومعظّم عظماء الأمة الرومية، وقيِّم الملّة المسيحية، ووارثِ رئاستها الدينية البَابَهْ إينُهْ سَانِسْ أشْ(9) أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وإرشاده، وجعل التقوى التي أمر عز وجل بها عُدّته لمحياه ومعادِه، وأناله مِن سابق الهداية ما يقضي لمدى الغاية بأتمّ انفساحه وامتدادِه، تحية كريمة نراجع بها ما **تقدَّم من تحياتكم الواردة علينا**، ويترجِم لكم أَرَجُها عمّا تعتمدكم به المَبارُّ لدينا.

أما بعدُ، فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو حمدَ مَن عَلم أنه الرب الواحد الذي دلّت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد، ونزّهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يُدَّعَى أنه الوالد، تعالى الملك الرحمن عمّا يقول المُثَلِّث والمشبِّه والجاحد(10)، ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم الذي وضحت به للنجاة المذاهبُ والمقاصد، وخُرِقت له بظهور المعجزات الباهرة على يديه العوائد، ونُصِر بالرّعب فألَقَى له يدَ الاستسلام كلُّ من كان يناوىء ويعاند، وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدانت بهم المحاضرُ والمشاهد، ووَصلت قِصارَ صوارمهم في مواقف الحروب السواعدُ، وأُنجِزت لهم في استيلاء الإسلام على مشارق الأرض ومغاربها المواعد ؛ ونسأل الله عز وجل رضاه عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي جدّ به لدين الله تعالى الشباب المُعاوِد، وأَهَّلَت بهدايته بعد إقفارِها المَعاهد، وباءَ بالخسران المُخاتلُ لأمره والمُكايِد، وعن الخلفاء الراشدين(11) المهتدين الذين تولَّى منهم إتمام بدايته الإمامُ الراشدُ فالرَّاشد، عَلت بهم لأمر الله تعالى المَراقي والمَصاعد، وعن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المومنين بن سيدنا الخليفة أمير المومنين

---

(6) (والحمد لله وحده) هي العلامة الخليفية، وهي مكتوبة بخط بارز ومتميّز.

(7) عمر : هو الخليفة المرتضى وكنيته أبو حفص، تولّى الخلافة فيما بين ربيع الأول سنة 646 ومحرم 665.

(8) الأمير أبو إبراهيم اسحاق والد المرتضى ولقبه «الطاهر»، انظر مثلا البيان المغرب 243.

(9) هو البابا إينوصان الرابع، جلس على العرش البابوي في الفترة بين 1243 (640/641) و1254 (651/652) حسب ج. كولتون في «عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة» (هامش الصفحة 205، طبعة دار المعارف).

(10) يبدو أن هذه الصيغة الدعائية للاسلام ضد المسيحية هي التي جعلت البعض يعتقد أو يظن أن البابا دعا الخليفة الموحدي إلى التمسّح، فكان جواب المرتضى هو الدفاع عن الإسلام والحديث عن وحدانية الله، انظر تحليل الرسالة في هسبيريس ص 49، وعنان 537/2 — 538 وملاحظاته حول الرسالة في الملحق الثقافي لجريدة «العَلم» عدد 257 بتاريخ 31 يناير 1975، غير أن مثل هذه الصيغة واردة أيضا في رسائل أخرى موجّهة من السلطة الموحدية إلى بعض الجهات النصرانية منها الرسالة رقم 35 (م ج).

(11) أي الخلفاء بعد المهدي مع الدعاء لوالد المرتضى الذي لم يكن خليفة من قبل، ولم يقع الدعاء للمرتضى كما هو حال سائر الرسائل المكتوبة عن الخليفة الحاكم.

الذي طابت منه العناصر والمحاتد، واشتُق من نبعةٍ للخلافة قد أورَق نضارةً وغضارة فَنَنُها المائد، وزَهِد في الدنيا الفانية ورَغِبَ في الأخرى الباقية فنِعم الراغب الزاهد[12].

وهذا كتابنا — كَتب الله تعالى لنا[13] حُظوظاً من رضاه تزكو وتتوفر، واستعملَنا وإياكم بكل ما نتهيّأ به لاحراز الفوز لديه ونتيسَّر — من حضرة مراكش[14] — حرسها الله تعالى — ودين الله عزّ وجـ(ـل) عالٍ مَسماه ومَصعده، والتوحيدُ[15] حَالٍ بالظهور جِيدُه ومُقلَّده، والسعيُ مُعمَل في ابتغاء ر(ضاء) الله تعالى موفَّقه ومُسَدَّدُه ؛ والحمد لله رب العَالمين حمداً يتوالى على الألسنة تَكرُّرُه وتردّدُه، ونستدعي به من مَزيد النعماء أفضل ما وعد به تعالى من يشكره ويحمده.

وإلى هذا — يَسَّر الله تعالى بتوفيقه إسعادكم، وجعلٍ في طاعته التي تَعَبَّد بها خَلْقَه إصدا(ر)كـ(ـم) وإيرادَكم، — فإنه سبقت منا إليكم **مراجعات عن كُتُبكم الموثَرة الواصلة إلينا**، وأ(رسلنـ)ـا نحوكم من الجواب عنها ما تمّمنا به برّكم ووفّينا، وعرّفناكم أنا نوجب لمنصبكم الذي أبرّ في ملّتكم على المَناصب[16]، وأقرَّ لرتبتكم فيه أهل دينكم[17] بالشفوف على سائر ما لهم من المراتب، فأنتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون، وبالعناية الجميلة محظوظون، نؤكد من أسباب المواصلة لكم ما حقُّه أن يُؤكّد، ونجدّد من عهود الحفاية بكم ما شأنُه أن يُجدَّد، ونشكر لكم ما تَوالَى علينا من حسن إيثاركم لِجانبنا وتردّد.

وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين — أعزهم الله — البُشْب[18] الذي كان قد وصل بكتابكم إلينا انصرافاً لم يَعْدُه مِنّا فيه بِرٌّ وإكرام، ولم يَغِبّه فيه اعتناءٌ به واهتمامٌ، كما أنه في المدة التي قُضي له فيها لدينا بالمُقام، لم نزل نتعهّده أثناءَها بالإحسان والانعام، وتحمّل كتابَنا

---

(12) كل ما سبق يعتبر صدر الرسالة وهو يتكيف مع مضمونها أوحسب المكتوب إليه، انظر الهامش 18.

(13) عبارة «كتابنا — كتب الله لنا...» صيغتها فريدة في الرسائل الموحدية المعروفة والجديدة ولكن هذا لا يمنع من وجود الدعاء بالتوفيق والهداية في الرسائل المكتوبة إلى الجهات النصرانية : (ملك قشتالة، حكومة بيشة)، ونجد الدعاء بلفظ الكتابة في الرسالة رقم 49 إلى حكومة بيشة : «فكتبنا إليكم كتب الله توفيقكم...».

(14) عن مراكش انظر الهامش 90 على الرسالة رقم 6..

(15) أي المذهب الموحدي والسلطة القائمة على أساسه.

(16) إشارة إلى تبادل رسائل سابقة بين الطرفين الموحدي والبابوي بشأن المرتزقة الاسبان، وربما أيضا بشأن التجار النصارى بالموانىء كسبتة التي دخلت في طاعة الموحدين سنة 647 انظر الفصل الرابع (فقرة جـ) ومقال ب. سينيفال المذكور بالهامش (2) قبل.

(17) ما بعد هذا مكتوب على هامش الرسالة من الأسفل إلى الأعلى بسطور تميل نحو الأسفل إلى أن تنتهي بكلمة واحدة أسفل أول كلمة من الرسالة وهي (من).

(18) هو الأسقف لوبو فرنانديث كان البابا بعثه إلى الخليفة السعيد ويبدو أنه ارسل إلى جهات أخرى من اسبانيا قبل قدومه إلى المغرب سنة 1246 (644) حيث استقر في بداية عهد المرتضى (انظر هسبيريس ص 41 وعنان 537/2 — 538 ومقاله في «العلم الثقافي» المذكور). والظاهر أنه كان مكلفا بشؤون المسيحيين الاسبان وخاصة المرتزقة، فهل أصبح شخصا غير مرغوب فيه مادام المرتضى يوصي البابا بحسن اختيار من يسهر على مصالح النصارى ؟

إليكم تعريفا بما اختارَ من انصرافه، وتوخّياً في ما آثره من ذلك لاسعافه، وما قُصِّر له في حالَيْ مُقامه ورحيله، ولا عُدِل به عن حَفِيّ البِرّ وحَفِيله، وسَنِيّ المَنّ وجزيله، ذهابا لتكريم إشارتكم السابقة في حقه، وسلوكاً به من البِرّ على أوضح طُرقه، والله تعالى يرشد في كل الأحوال لأزكى الأعمال لديه، ويُنجد من الأقوال والأفعال على ما يُقَرّب إليه، بمنّه ؛ ومتى سَنح لكم ــ أسعدكم الله تعالى بتقواه ــ أن **تُوَجِّهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين**[19] **ببلاد الموحدين** ــ أعزهم الله ــ **من ترونه برسم ما يُصلحهم في دينهم، ويُجريهم على مُعتاد قوانينهم**، فتَخَيَّروه من **أهل العقل الراجح** والسَّمت الحسن، **وممن يَسْلك في النزاهة** على واضح السُّنَن، وممن يتميز في الخدمة بالمذهب المُسْتَجاد والقَصد المستحسَـ(ـن) ؛ وذلكم هو الذي إذا تعيَّن من قِبلكم مستجمعا للصفا(ت) المذكورة، ومتحليّاً بالخلال المشكورة، حَسَنٌ في كل ما يستخدم الرّ(ب)[20] وتسنّى له بذلك أجزل الخير وأوفره، وأنتم تَفُون بهذا المقصود في ما تعملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لأحد، وتعتمدون فيه أجمل معتمَد، وشكرنا لكم على كل ما تذهبون إليه في جانبنا من تمشية الأغراض والمذاهب، وتحتفلون فيه من المساعدة الصادرة منكم عن كَرم الضرائب، وتبادِرون إلى بذله من المُكارمة المناسبة لما لكم في نحلتكم من إنافة المناصب، مما نكافىء به صدق مصادقتكم، ونتوخّى منه ما لا يعدل عن موافقتكم جزاءً لبرّكم بأمثاله، واعتناءً بما يقضي لولائكم بدوامه واتصاله، بحول الله وقوته، وهو سبحانه ييسّرنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله، ويأخذ بنا في ديننا ودنيانا على أقوم سبله، ويجعلنا وإياكم بما يمنحنا من التوفيق في أول رعيل من حزب الحق وأهله، بمنّه وكرمه لا رب سواه ؛ وكتب في الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وستمائة.

إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظَّم عظماء الأمة
الرومية وقيِّم الملّة المسيحية ووارث رياستها الدينية
البابه إينُه سانس أشْ أنار الله تعالى بصيرته بالتوفيق
والإرشاد، ومنحه بتقواه سعادة المحيى والمَعاد[21]

---

(19) يذكر ابن عذاري أن المرتضى كان «وجه إلى الأندلس برسم أن يصله جمع من النصارى ليُركبهم معه ويكونوا له أعوانا وأنصاراً فوصلوا إليه بهذه السنة» أي سنة 648 (ص 402).

(20) ما بعد هذا مكتوب على ظهر الرسالة الأصلية.

(21) لاحظ مثل هذه العبارة في رسائل أماري حيث تحدد المكتوب إليه، فهي تظهر على الرسالة بعد طيّها.

الرسالة السابعة والعشرون بعد المائة :

رسالة عن المرتضى إلى العزفي حول هجوم النصارى على سلا[2]

تقديم :

منذ سقوط اشبيلية سنة 646 واستقرار ملك قشتالة بها، أصبح أقرب إلى تهديد السواحل المغربية ومدنها سواء سبتة أو غيرها، واستغل القشتاليون فراغ السلطة العسكرية بمنطقة سلا نتيجة الصراع الموحدي المريني والتنافس بين المرينيين أنفسهم في المنطقة بعد موت الأمير أبي يحيى سنة 656، ولم تفد التحذيرات التي كان يبعث بها صاحب سبتة أبو القاسم العزفي إلى المدن الساحلية حيث وجّه ملك قشتالة قوة بحرية إلى سلا فاحتلتها، ثم تحرك المرينيون وطردوا القشتاليين منها، كان ذلك في شوال سنة 658، فأرسل الخليفة المرتضى إلى العزفي يشكره على تحذيره من غدر النصارى رغم وقوع الهجوم المذكور، وقد أورد صاحب البيان المغرب بعض فصول رسالته (ص 425 — 426 من طبعة تطوان)[2].

فصول من الرسالة :

.....[3] وإنا كتبناه إليكم — كتب الله لكم أحمَدَ عاقبة وأجمَلَها، وأكنف كلاءةٍ وأكلأها — وأن تعلموا أنّا نعتدّ[4] بولائكم الخالص[5]، ونحفظ ما لكم ولسلفكم[6] من السوابق والخصائص، ونشكر نصائحكم التي مازلتم إيّاها تبذلون، وخدمتكم التي توالون وتصلون، ونستمد منكم (إلى)[7] العلم الذي أنتم له مخلصون، والدين الذي عن سَنَنه القويم لا تعدلون، والله يتولاكم بحفظه وصَونه، ويُجزل حظّكم من إنجاده وعونه.

ملاحظة : راجع ما ذكر في الملاحظة بهامش الرسالة التاسعة.

(1) إن الترتيب الزمني يفرض — قبل هذه الرسالة — وضع رسالة المرتضى بتقديم العزفي على سبتة (مخطوط يحيى 11 — 12)، فلتنظر هناك ضمن مجموعتها في الملحق الأول رقم 6.

(2) الرسالة غير واردة في خ ح / 4 بسبب البتر فيها من أحداث 653 إلى أحداث 659.

(3) الرسالة مجهولة الكاتب، ويذكر ابن عذارى على الخصوص كاتبين للمرتضى هما أبو الحسن الرعيني وأبو عبد الله التلمساني (ص 389).

(4) في خ ح / 6 : نعتقدوا.

(5) في خ ح / 1 و2 و3 و5 و6 : المخالص.

(6) لعله يقصد والد العزفي.

(7) كذا في الأصل.

وقد طرأ في مدينة سلا[8] ـــ جبرها الله سبحانه واستنقذها ـــ[9] (ما)[10] قد اتصل بكم مما كنتم أبدا منه تُحذّرون، وبه لعلمكم بزيادة العدو (الكافر)[11] تنذرون ؛ ولكن لم تزد الأقدار لمن فيها إلا انْهِمَالاً في الإضاعة، وإذهالاً لمن محَّل في أعماله الساعة بعد الساعة، حين نفذ المقدور ووقع المحذور، ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي تصير إليه الأمور ؛ والله سبحانه يجري دينه القيّم من النصر والظفر ما عوّده، ويجمع أيدي عباده المومنين على (مَن)[12] اتخذ إلاهاً غيره[13] وعَبَدَه، وهو سبحانه يكافي سعيكم على ما عرّفتم وحذّرتم لأهل السواحل، وخوّفتم من فجأة العدو المخاتل، لما ظهر من استعداده، ونبّهتم في ذلك أقصى مبالغة بنيتكم الصالحة (الصريحة)[14]، ووفيتم منه أوجب حق للمسلم على أخيه من النصيحة، لكن ينفذ حكم الله تعالى فيما ثبت في الكتب مسطورا، فلم يُحذر التحذير محذورا، «وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً»[15] : وثوابكم على الله سبحانه فيما من ذلك تولّيتم، وقضيتم به حق الاسلام وأدّيتم، وإنا لنشكر لكم ذلكم[16]، كما رأى الله عز وجل فيه منابكم، وشكر إليه انتدابكم، فما قصّرتم في عملٍ سديد، ولا تأخّرتم في الجد والنصح عن شأو بعيد ؛ فعرِّفوا بكل ما تتعرّفون من إرادات الأعداء بعد، وطالِعوا من محاولاتهم الذميمة ما نتأهب[17] لدفعه بحول الله ونستعدّ[18]، وهو سبحانه يتدارك بمعهود لطفه ومعتاده، ويمدّ الإسلام وأهله بنصره وإنجاده، ويعينكم على أفضل ما أنتم عليه من صواب العمل وسداده، بمنّه ؛ وكتب ثالث ذي القعدة[19] من عام ثمانية وخمسين وستمائة.

---

(8) انظر عن سلا الهامش 6 على الرسالة 123.

(9) في خ ح / 5 : فاستنقذها.

(10) ناقصة في خ ح / 6.

(11) إضافة من خ ح / 3 و5 و6.

(12) كذا في خ ح / 1 و3 و6، وفي ط : ما ... والإشارة هنا إلى عبادة التثليث المسيحية.

(13) في خ ح / 1 و3 و5 و6 : وغيره.

(14) ناقصة في خ ح / 5.

(15) من الآية 38 من سورة الأحزاب.

(16) في خ ح / 5 : ذلك، وفي خ ح / 6 : نشكر لكم ذلك.

(17) في نسخ خ ح : تتأهب.

(18) في نسخ خ ح : وتستعد.

(19) في خ ح / 5 : ذي قعدة.

الرسالة 128 و129 و130 :

رسالة السيد أبي موسى[1] عن أمر الواثق بالله
إلى المرتضى بشأن المدخرات
وجواب المرتضى عليها مع استعطافه

تقديم :

عندما ثار أبو دبوس الواثق على المرتضى في محرم سنة 665 اتهمه باخفاء الأموال والكنوز فوجه إليه تحذيرا إن لم يظهر ما أخفاه، وكتب عنه هذا التحذير السيد أبو موسى، فأجاب المرتضى بخط يده يتبرأ مما نسب إليه، ويستعطف الواثق أن يرفق به وبعياله. وردت الرسالة والجواب عنها في البيان المغرب (449 ــ 450) طبعة تطوان بدون تأريخ، ولكن تأريخهما يقع بين يوم دخول الواثق إلى مراكش وهو 22 محرم ويوم مقتل المرتضى وهو 22 صفر سنة 665 :

رسالة السيد أبي موسى :

...... اقتضى نظر سيدنا ومولانا الخليفة الامام الواثق بالله تعالى المعتمد عليه، أمير المومنين أبي العلى بن سيدنا الخليفة الإمام أبي عبد الله بن سيدنا أبي حفص بن سيدنا الخليفة عبد المومن ــ أيده الله تعالى ونصره وأعانه وظفّره ــ الوصول إلى هنا برسم الاجتماع بك وسؤالك عن المال الذي كان بيدك بعد أن تعرّف من طرق صحيحة كثرته، وأنه مال المسلمين، ولم تزل أبدا تنتمي إلى الزهادة وتتصف بالورع[2]، ومن يكون كذلك فلا يليق به كنز الذهب ولا الفضة حتى يدفنه في الأرض، وقد قال الله تعالى في الذين يكنزون الذهب والفضة ما قال[3]، فإن كان (ما)[4] بيدك مدفونا فعَرِّفْ حيث هو، أو مودَعاً تُعرِّف عند من هو، وإذا أقررتَ بأحد هذين الوجهين يُرجى لك عفو سيدنا ومولانا الخليفة أمير المومنين، وإلا فلا تلم إلا نفسك وأنت المسؤول عنها، وأنا الآن أرتقب جوابك لنطالع به الباب الكريم أسماه الله تعالى.

ملاحظة : راجع ما ذكر في الملاحظة بهامش الرسالة التاسعة.

(1) لعله عمران بن (أبي) عبد الله بن الخليفة كاتب الرسالة كما ورد في نسخ خ ح.

(2) في هذا تأكيد على سلوك المرتضى كما تحدثت عنه بعض المَصادر (القرطاس 259، والبيان 451 ــ 452).

(3) هذا القول في الآية 34 من سورة التوبة.

(4) ناقصة في خ ح / 1 و2 و3 و4 و5.

جـواب المرتـضـى :

حفظكم الله تعالى وأبقاكم رحمة للرحم، وحقّ هذا المقام ما نغادر ولا نرضاه لحشر ونشر أن نغادر[5] صغيرة ولا كبيرة، فالذي كان، (كان)[6] في مواضع مختلفة من بيوت وخزائن بل خزانة واحدة وزوج صناديق والحلي والقلائد متفرقة، فلا أعرف ما وجد وما لم يوجد، وما تحت الأرض الله يعلم أني ما دفنته ولا أودعته، ونعلم[7] ما يلزم عند الله في ذلك، اللهم وقت وصول المريني[8] كان الشيء كثيرا حتى خرج لما وصل الزعيم بن سجن[9] بمعرفة الخَدمة كلهم، والله تعالى على ما نقول وكيل ؛ وبفضلكم يا أخي وبحق الدم والرحم الإبقاء عليّ، واعملوا ما يجازيكم الله تعالى عليه ان شاء الله، والسلام يخصكم والرحمة والبركة.

بطاقة استعطاف أدرجها المرتضى مع الجواب السابق :

يا أخي ـــ حفظكم الله ـــ عسى بفضلكم تتلطفوا[10] عند مقام الرحمة، وغياث الأرمة[11] رضي الله تعالى عنه وأبقاه رحمة لصلة الأرحام، وعزة[12] للإسلام في **الذي وعدتم من التأمين والأمان**، والإبقاء مع الأصاغر والأحفاد بقية العمر، فأخوكم شيخ ينتظر ما لابد منه وكثير العلل ؛ فبالله رحمة وحنانا واشفاقا فيما سألتكم، فنضرع لكم فيه بحرمة مولانا المصطفى ﷺ (تسليما)[13]، والله سبحانه يبقي عليكم نعمه، ولا ينسى لكم هذه المكرمة، ومولانا المقام الأرحم الأعطف فقد (   )[14] عمل، فالله تعالى يجازيه بفضله، ويخلد ملكه، آمين آمين آمين[15].

---

(5) كذا في جميع النسخ وهي بمعنى : أبقى وترك.

(6) إضافة من خ ح/ 4 و5.

(7) كذا في خ ح/ 4 و5، وفي ط : ويعلم.

(8) لعله يقصد فترة حصار أبي يوسف يعقوب المريني لمراكش سنة 663 والذي انتهى بقبول المرتضى دفع إتاوة سنوية له (البيان 440، الذخيرة 108، القرطاس 304).

(9) ابن سجن : يبدو أنه زعيم المرتزقة الاسبان.

(10) كذا.

(11) كذا.

(12) في خ ح/ 4 و5 : وعدة.

(13) ناقصة في خ ح/ 3 و4.

(14) يظهر أن هناك بترا خفيفا فهناك علامة الخطأ في خ ح/ 3 و5.

(15) ما بقي بعد هذا من رسائل البيان (خ ح) رسالة من ابن القشاش قاضي مراكش إلى الخليفة الواثق يشكو طعون «الجهلة» في أحكامه، ثم جواب الواثق مختصرا يدعم فيه مركز قاضيه.

ثانيا

الرسائل الملحقة

الملحق الأول

رسائل التقاديم (التعيينات)

مرتبة حسب ورودها في مخطوط الخزانة الحسنية رقم 4752

(تقاديم الولاة والعمال والقادة ... والقضاة)

[التقديم الأول] :

ي/2 ......(1)/ المصاعد، والاستبشارُ بصفقتكم الرابحة من موالاة الحق وحزبه، والاستبصار من عقائدكم الصحيحة وأعمالكم الصالحة فيما أحظاكم لدى هذا الأمر بدنوّ المحلّ وقربه، والاستدرارُ بنصائحكم البينة الواضحة لأنمى قِسَمه وأهمَى سُحبِه، فإنكم بموجب السعادة قد سلكتم الجادّة السوية اهتداءً، وأجدتُم العمل والنية إعادةً وإبداءً، وأحرزتم المزية السنية سبقا وابتداء، لذلكم خصصناكم من العناية بالمزيد، واستخلصناكم للمكانة التي أهّلتكم لها **مخالَصتُكم لدعوة التوحيد**(2)، واعتمدناكم من الاختصاص بما حكم لسوابقكم الشريفة وخصائصكم المنيفة بالتبقية والتخليد.

وقد كان الوافدون مِن قِبَلكم قدِموا على هذه الحضرة بما أوردوه من بيعات تلكم البلاد، وتحمّلوه من النصائح التي صدرت عن صادق ذالكم الاعتقاد، وتعرّف في ما نصصتم عليه ما تميّز به مَن بفلانة وجهاتها خاصة وعامة، وما أخذ بأخذها مَن بفلانة وسائر تلكم الجهات من الاستباق إلى الطاعة والاتساق في الجماعة(3)، تلبية لإهابتكم بهم إلى خير دنياهم وأخراهم، وتوفية في تنوّر البصائر بأنوار الائتلاف وتطهّرِ السرائر من أوضار الخلاف لما يسّرهم ليسراهم ؛ وقد رَتّب ذلك لهم سابقة أفازتهم بما أفازت به الهجرةُ أهلَها، وأنالتهم الكرامةُ التي لم ينالوا قبلها مثلَها، واستقبلتْهم لها الرعاية التي تشمل أحوالهم كلَّها ؛ والله تعالى ييسّر في مصالحهم إلى الاصلاح الأحسن، ويأخذ لنا في سبل النظر لهم على الأوضح الأبين.

وإنا بحسب التيقن بحسن منابكم، والتحقق لابتداركم إلى بذل وُسْعَي الجدّ والاجتهاد وانتدابكم، **فوّضنا إليكم النظر في البلاد** المذكورة وما رجع معها على يدكم، وما يرجع بعدُ بمحاولتكم من الجهات المصاقبة والمواضع المتنائية والمتقاربة، وأسندنا **أشغالها** كلها على اختلافها إلى اضطلاعكم، واكتفينا في جميع أمورها بإشرافكم عليها واطّلاعكم(4). فتولُّوا ذلك أجمع تولي مَن كَرُمَ غَناؤه، وحَسُنَ في إقامة المصالح وإدامة النصائح اعتناؤُه. واستعمِلوا فيها من ترون استعمالَه وترضون استقلالَه ي/3 من **حافظ وقاض وعامل**(5)، وتخيَّروا / لكل شغلٍ مَن يُولِي الضبط له ويواصل، وتفقّدوا قليلَ الأمور وكثيرَها تفقّداً توفون به في البلاد ورعيتها غرضنا الجميل ومذهبنا الكريم، وتَوَخّوْا من سِيَر هذا الأمر المبنية على العدل والرفق وإقامة الحق كل ما يُرجَى أن تَصلُح الأحوالُ عليه وتستقيم، واعلَموا علم يقين وأعلِموا به أنّا لا ننام عن تلكم الجزيرة(6) التي الإسلام بها غريب ولا نذهل، وأن المعونة

(1) هذه أول صفحة مما بقي من المخطوط، ومن غير المستبعد أن يكون هذا التقديم صادرا عن الخليفة الرشيد، انظر خصوصيات هذا التقديم في الفصل الرابع.

(2) أي الدخول في طاعة الموحدين.

(3) انظر الخصوصيات المذكورة.

(4) حالات التفويض نادرة لا تحدث إلا في الأقاليم البعيدة أو عند ضعف السلطة المركزية، انظر أيضا التقديم السادس.

(5) انظر الفصل الخامس (الجانب الإداري) حول أصحاب هذه الوظائف.

(6) سميت الأندلس بالجزيرة في عدد من الرسائل الموحدية.

في إظهار دين الله تعالى فيها على أعدائه أول ما نلتمس من الله سبحانه ونسأل، وإنا لا نألوا نظرا لها في التمهيد والتوطين، والاصلاح والتسديد والتسكين، والتأمين والحماية والتحصين، **وعقد السَّلم إذا جنح الكفار لها** على ما يرضي الله والمسلمين[7]، ويكفُّ عن أرجائهم عوادي المعتدين والمفسدين، مذهبنا في تمكين دعوتهم وأمانهم، وتهدين مقارِّهم وأوطانهم، يعلَمُه الذي «أحاط بكل شيء علما»[8] ؛ وحرصنا على ردع أعادِهم[9] ومنع نواحيهم حِرصَ مَن يرى ذلك في صدر الواجبات حَتما، ومدارُ الأمر في ذلك على أن تكون كلمة الاسلام متفقة، وعزمات أهله إلى الانتظام في الجماعة التي معها يد الله متّسقة.

فلْتحرصوا أبدا على الألفة، فهي قطب الصلاح الشامل، ولْتهيبوا بمن نكب عن جادّتها إلى ما له في مراجعتها من الخيرين العاجل والآجل، وليعلم الناس خيرَ العلم أن لهم منّا في تلافي أحوالهم وتدارك بلادهم أفضل ما للرعية المكفولة من رعي الكافل، وأنّ حياطتهم هو الشغل الذي لا نثني عنه لشاغل، والشأوُ الذي ندفع عن تقديمه وتتميمه كل عائق وحائل ؛ وطالِعوا أبدا بالمتزيّدات، فإنها ترد من قبولنا على محلٍّ قابل، وواصِلوا أسباب المناصحات فلدينا اهتمام بكل واردٍ منها وواصل.

وقد أخذ الآن وفدُكم في الإياب إليكم (بأيمن)[10] ما يَقدم به قادم عليكم، والاعتناء متوالٍ بما يظهر أثرُه في مصالح البلاد، ويبين ويتأكد معه في سداد أمورها وسداد ثغورها اليقين، ويَفيض به للخيرات حالا واستقبالا الغدُ المعين، إن شاء الله تعالى وهو المُنجد والمُعين، وهو سبحانه يُعرِّفكم إطّراد الاسعاد، ويُمدّكم في أعمال السداد، بالإعانة والإنجاد.....

---

(7) قد يدل هذا على تحوّل الموحدين إلى موقف الدفاع أكثر مما كانوا عليه أيام قوّتهم.

(8) من الآية 12 من سورة الطلاق.

(9) أعادٍ : جمع الجمع لـ «أعداء»، ولعل الأنسب هنا «أعاديهم ومنع نواحيهم».

(10) كلمة مأروضة جزئيا.

[التقديم الثاني] :

ومن مخاطبة جمهورية(1) في تقديم قائد على الأسطول وأشغال البحر

...... ذلكم بما اقتضته أسبابُ ولائكم ووسائلُه، ووضحت لكم في الاختصاص به شواهدُ الاخلاص ودلائله، وبما ترتّب لبلدكم من لوازم الاعتناء بأمره، وعزائم الغَناء في حماية برّه وبحره، لأنه القُفل الأوثق لما وراءه من الأقطار، والنصر الذي تُستمد منه شتّى المنافع جوامعُ الأمصار، والقُطر الذي له لدينا شرف الرتبة وإنافة المقدار ؛ والله سبحانه ييسر في إقامة مصالحه، وإدامة الحيّاطة لغاديه ورائحه لأسدّ النظر وأصلحِه، ويرشد في ما يعتمد منْ تحسين أحواله وتحصين حِلاله إلى أيمن الرأي وأنجحِه.

وإلى هذا، فإن البحر هناكم هو جادّة ما يُجلَب إليكم من الأقوات، ومادّة ما يَرد عليكم من الخيرات، والعمدة في ما يُستجَرّ من ضروب المنافع ويستدفَع من المضرّات(2)، ولتقرر(3) هذا في جميع الخواطر، وتعيّن العمل بحسبه في ما نعتمدكم به وأنتم بحال الغائب من النظر الحاضر، خصصناكم من بتقديم فلان على الأسطول هنا لكم وجميع أشغال البحر، مع ما أسندناه (إلى أمانته من) الديوان(4) وسائر ما أضيف إليه مما قد تعرّفتم سماعا قصدنا الأحمد فيه، وتتعرّفون عيانا بعون الله حسن أثره في كل ما ينتحيه، فهو خالصة الموحدين (الذي) نصَع إبريزُه، ونصيحهم الذي وضح في (المصافاة)(5) والمخالصة تبريزُه ؛ (وما توخّينا) إفرادَه من النظر في الأسطول وأشغال البحر بالمُهمّ الذي لا يَعدله سواه، ومن أمانته الديوان والسكة والمواريث والزكاة كاله، تخيرناه (الآن)(6) لينظم (.......)(7) هذه الأشغال مقصود الذب عن أرجائكم، ومراد الحماية لدهمائكم، حتى يأمن البحر بمعونة الله (عِداه و) تعمّ الحراسة ان شاء الله مَسْبَحه ومَرساه، ويَتعرّف الراكبُ لسفينه اطّراد الأمنة

ملاحظة : ما بين هلالين (   ) كلمة أو كلمات غير واضحة كلا أو بعضاً.

(1) أي رسالة تقديم تقرأ على جمهور البلدة المقدّم عليها.

(2) لعل البلدة هي سبتة.

(3) مكتوبة في الأصل هكذا : (وَلتُقدر).

(4) أي ديوان البحر، وهو الجهاز الحكومي المكلف بأمور المرسى، قارن مع الرسائل 46 و48 و50 حيث وردت كلمة الديوان بنفس المعنى.

(5) في الأصل : المصافات.

(6) في الأصل : الا.

(7) كلمة مكشوطة.

(والرعـ)[7] في مصبحه وممساه، فكل ما يرتفع من مجبى الديوان وما أضيف إليه يُتصرّف في مصالح الأسطول وأرزاق غزاته[8]، ويُقصر عن إقامة عدده واطلاق آلاته، ويستعان بقليله وكثيره على توفية منافعه وتتميم مهمّاته، أردنا بذلكم أن تنزاح العلل في عمارته وترتفع / التعذّرات، وقصرنا ما ذكرنا ي/5 عليه إظهارا لما في النفس على الحماية لكم وفراس الدعاوى المتوفرات ؛ فأْذَنوا بالخيرات تُدرّ عليكم أخلافُها، والجهاتِ النازحة ترِد عليكم منها أنواعُ البركات وأصنافُها، والعداة المتقاحمات في اللجج يطّرد لديكم انزجارها وانكفافُها ؛ فما ذُخِرَ عنكم بهذا النظر اعتناءٌ تستصحبونه في كل أحوالكم، واعتزامٌ يُنْميكم في ظلّ العافية ملء أجفانكم، وما استكفينا من فلان[9] إلا مَن تَحققتْ كفايتُه، وامتدّت في مناصحة الأمر غايتُه، ورُجِيَ أن تَستمر بِجِدِّه وتشميره حراسةُ البحر وحمايتُه، وتندفع على أتمّ الوجوه وأكملِ المقصود مضرّةُ العدو وإذايتُه ؛ وقد ألقينا إليه من معاني التوكيد في هذا الشأن ما فهمه عنّا ووعاه، وحمّلناه من ضروب عنايتنا بذلكم[10] المكان ما نورد عليكم منه أوضحَ نصّ وأجلاه، وخصصناكم به لتعلموا[11] قدر ما نوثره من إيجاب المزيّة لكم ونتوخاه ؛ ووراء هذا النظر ما تُحمد في الحال والمنتظر بمنّ(*) عقباه ؛ ونحن لانزال دائبين (.................)[12] سعي جميل في حق الإسلام وأهله، ولكم من ذلك السعي (وافره)[13] وأوفاه، وإذا ازدحمت أشغال البلاد فشغلكم لدينا هو المهم الذي لا (..........)[13] غيره ولا يزحمه سواه ؛ فلتكونوا من هذا وأمثاله على أتم يقين، ولْتعلموا (أنكم منزَلون)[13] من عناية (هذا)[14] الأمر بما يعود عليكم بشامل الصلاح في دنيا ودين، ولا (............)[13] والمسرات، واستطلاع الخيرات المتيسّرات، حينا بعد حين ان شاء (الله تعالى)[13]، وهو سبحانه يخوّلكم أوفر قِسم نُعماه ورحماه، ويديم أوِيَّكم إلى كنف (.........)[13] لا يضام حِماه ....

---

(8) راجع حول هذا المصطلح الجانب العسكري في الفصل الخامس.

(9) أي المقدّم على البلد.

(10) في الأصل : بذاكم.

(11) في الأصل : ليعلموا.

(*) كذا بالأصل.

(12) طمس قدر ثلاث كلمات.

(13) قدر كلمة (إلى كلمتين) مأروضة أصلا وقعت تغطيتها أثناء ترميم قديم للمخطوط.

(14) في الأصل : من عناية الأمر ...

[التقديم الثالث] :

مخاطبة أخرى في تقديم وال بعد الصدر

...... (أدام)[1] الله لكم اتباعا للسلف من حزب التوحيد، واجتماعا على ما يحظيكم (.......)[1] الدين والدنيا بالمزيد، وأن تعلموا أن خير ما عاد بالصّلاح على أحوالكم (.........)[1] حلكم ومآلكم، هو أن تسلكوا سبل هذا الأمر الذي وضحت (........ين)[2] /، ي/6 وترأبوا[3] على ما درج عليه من تقدّم من الموحدين، وتلزموا أمر حسن الائتمار والانقياد ما يمكّن لأوطانكم التمهيد، ويؤكد لجمهوركم التأمين ؛ بذلكم نتحفّظ نعمَ الله تعالى عليكم ونتمنى قِسَم إحسانه الكريم لديكم، وتستفيدون من بركات أمر الله ما لاتزال معه وجوه العناية مصروفة إليكم، والله تعالى يعرّفكم يمن ما نعتمدكم به من الرفق والعدل، ويأخذ بكم في استيجاب الكرامة بلزوم الاستقامة على أوضح السبل.

وإلى هذا فإنّا تخيّرنا فلاناً لتولّي تلكم الجهات بأسدّ النظر وأصلحِه، (وإجراء العمل في مصالحه)[4] على أحدِّ قصدٍ وأنصحِه[5] ؛ وألقينا إليه من نافع الوصايا في أمور الخاصة والجمهور ما حددنا أن يديمه في مختتَم عمله ومفتتحه، وهو الموصوف في ما يُسنَد إليه بالغناء، والمعروف في الخِدَم بأحسن الأنحاء، والمقدّرُ فيه أتمّ الاستقلال بما نيط به والوفاء.

فليكن من مشكور طوعيتكم له في المصالح، وموثر إعانتكم له على توفية ما أُمر به من المحاولات التي فيها بحول الله قوامُ الغادي منكم والرائح، وصلاحُ الداني من أرجائكم والنازح، ما تَحسُن فيه آثاركم، ويُشكَر فيه ائتمارُكم، وتأمن عليه نواحيكم، وتتلاقى بجِدّ العمل وصدق النية فيه مناحيكم ؛ وإذا استقبل تلكم الجهات فعيِّنوا من أشياخكم ووجوهكم من يصل إليه، ويتلقى من مصالحكم ما لديه، فقد أُودِع من ذلكم ما اقتضاه مذهبنا الجميل لكم ولكافة إخوانكم[6]، وحُمِّل من إيثارنا للعدل والإحسان ما يتعمّدكم به ان شاء الله تعالى في كل أحيانكم ؛ وإذا اجتمع به أشياخكم وأعيانكم عَرَفوا الخير الذي نوثره للكافة ونريده، ووجدوا من حس الاعتناء بأموركم كلها ما نستديم عونَ الله تعالى ونستزيده ؛ فلا تقصرّوا في التعاون على البرّ والتقوى في كل أحوالكم، ولا تؤخّروا من

---

(1) قدر كلمة (إلى كلمتين) مأروضة أصلا وقعت تغطيتها أثناء ترميم قديم للمخطوط.

(2) كلمة مكشوطة في آخر السطر.

(3) في الأصل : ونرأبوا.

(4) هذه الجملة مكررة في المخطوط بهذه الصيغة : (واجراء العمل في مصالحها).

(5) المقدم هنا وال، ولا تذكر له مهام جبائية. قارن مع التقاديم اللاحقة.

(6) فهل المقدّم عليهم يمثلون إحدى القبائل ؟

التظافر في ذات الله والتعاضد على ما يرضاه ما يُفضي بكم إلى نيل آمالكم، واستقيموا على الجادّة التي لا تحيد بكم عن السداد في عمل من أعمالكم، واعلَموا أنكم متخوَّلون من نظرنا بما لا تغِبُّكم ي/7 بركته في حالكم واستقبالكم / إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه ييسّرِكم للحسنى، ولا يعدمكم باستدامة الاستقامة هدُوّاً وأمْناً ...[7].

قال يحيى وفقه اللّه :

انتهى ما في أثناء المجموع[8] من المُكتب في تقاديم الولاة[9] على البلاد، وإقرار من فيه المصلحة لسد الثغور لضبطها من القواد ؛ ومما ألفيتُ أنا من هذه التقاديم مما لم تكن في المجموع، ولم تتحصل في ذلك للموضوع، ما أثبته ان شاء الله مع هذه ليكون بها متصلا وبها مكمّلا حتى تتساوى انسياقا وترتبط[10] مَساقاً، وتلتئم انتظاما واتّساقا، لتختص هذه التقاديم بمكانها، وتتبين ببيانها، وتجري في التماثل ملء عنانها ؛ ثم آتي بعد ذلك **بتقاديم القضاة** مما في المجموع ومما وجدته في غيره لتنحصر ألقاب ما أردته، وتتحصل فائدة ما أوردته ؛ وآتي بعد ذلك بالصكوك والظواهر وغيرهما مما لم ترتبط في هذه الفنون ولا تدخل في هذه العيون، وتكون منحازة وحدها، ومعطاة ما عندها، حتى لا يقع في الكتاب غلط، ويكون بعضه ببعض مرتبط ؛ وإن وجدتُ شيئا بعد تمام هذا القصد من هذه الأنواع، وحصلت على إمتاع هذا المتاع، فسأورده ان شاء الله شاملا، وأُطلِعه هلالاً كاملا ؛ والله الموفق للصواب، والملِيّ لتوفية المقاصد والآراب.

---

(7) هل هذه العبارات تلمح إلى تمرد قامت به هذه الجماعة قبيلة أو بلدة ؟

(8) الجملة في المخطوط من (قال يحيى .... المجموع) مكتوبة بخط سميك وملوّن على شكل عنوان.

(9) في الأصل : الولات.

(10) في الأصل : ويرتبط.

[التقديم الرابع] :

كتب رحمه الله قديما عن المأمون أبي العلى وذلك قبل خلافته[1] في تقديم والٍ مخاطبةً جمهورية

...... إلى أهل فلانة، جمع الله على البر والتقوى جمهورهم[2]، وعرَّفهم من سديد النظر ما يصلح أحوالهم وينظِم أمورهم، سلام....

فكتبناه ــ كتب الله لكم وعيا للنصائح (ورعيا)[3] للمصالح ــ من قرطبة[4]، ولا متعرَّفَ بفضل الله وبركات أمره الأعلى إلا الخيرات / الوالفة العِهاد، والمسرّات المترادفة الإسعاد، والحمد لله كثيرا حمداً يقرن نعمه بالنمو والازدياد ؛ وقد علمتم ــ أكرمكم الله ــ أنَّ أخصَّ المصالح بمكانكم، وأعودها بالأمر والدعة عليكم في كل أحيانكم، تخيُّرُ وَالٍ يتقلد أشغالكم، ويتفقد أحوالكم، ويريكم من حسن تصرفاته ما تستقبلون به الزمن جديدا، ويجريكم في كل محاولاته على ما تعدمون معه تمهيدا ولا تفقدون نظراً سديدا.

ي/8

وإن الشيخ أبا فلان ــ أدام الله كرامته ــ[5] ممن جمع أوصاف الاستقلال، واستظهر بأكرم الشيم وأحسن الخِلال، ووُثق منه بالاضطلاع فيما أُسند إليه من الأشغال، ولذلك اختير (في)[6] النظر في مصالح أفقكم وأنظاره، وقدّم لأشغالكم بعد اختباره واختياره[7]، وأُنهض للاستبداد لأموركم حين الثقة بحسن إيراده وإصداره ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى فيما أسندناه إليه، وقصدناه من مهماتكم عليه، وأوزعنا إليه أن يسلك في تسديد مناحيكم، وتشريد أهل الفساد عن نواحيكم،

---

(1) ربما حدث هذا عندما كان والياً لأخيه العادل على قرطبة، أو عليها وعلى اشبيلية بعد انتصاره على البياسي.

(2) في الأصل : جمهوركم، والخطاب في مثل هذه العبارة كثيرا ما يكون بضمير الغائبين، انظر مثلا التقديم رقم 17.

(3) كلمة مكشوطة.

(4) تعرضت المدينة لاحتلال البياسي الثائر على السلطة الموحدية، وبعدما انتصر عليه والي اشبيلية أبو العلى (المأمون) وثار عليه أهل قرطبة ضمها الخليفة العادل إلى المامون إلى جانب اشبيلية.

(5) لعلها إشارة إلى مستواه الأعلى ضمن طبقة الأشياخ، فهناك من المقدّمين من هم أقل مرتبة فلا يوجد لهم دعاء (فيما بقي من النصوص).

(6) كذا، ولعل الأصل : اختير للنظر.

(7) انظر نفس الملاحظة في الهامش 5 على التقديم الثالث.

السُّنَنَ التي تَصلح بسلوكه أحوالُكم، وتنبسط به في الأمر آمالكُم، وتتمشى معه على الجادة أقوالُكم وأعمالُكم، وألزمناه أن يكون لأموركم كلها متفقّداً؛ وفي أداء النصيحة فيما قلّد منها مُجِدّا مجتهدا، حتى لا يشِذَّ عن تفقده مهمٌّ من مهمّاتكم، ولا يهمل نظره جهة من جهاتكم ؛ وعليكم بمعونته في تنفيذ الحق وإمضائه، ومعاضدتِه في استيفاء الواجب واقتضائه، والعلم بأن النبيه والخامل في الشرع شرعٌ سواءٌ وصنف واحد، وأن الحق تستوي في حلوه ومرِّه الأنحاء الدينية والمقاصد، ومتى كانت المحاولات جارية على هذا الأسلوب، انتصف الضعيف من القويّ، وسار الشريف والمشروف على السَّنَن السويّ.

فإذا وافاكم إن شاء الله تعالى فوفُّوه (....)[8]، وتوخّوا وُفقه، واسلكوا في التعاون على الخير والبر طُرُقه، والله تعالى ينجدكم وإياه على تمشية المصالح، ويستعملكم بالعمل الصالح، بمنه وكرمه، والسلام.

---

(8) كلمة مطموسة، ولعلها (حقه).

[التقديم الخامس]:

وكتب رحمه الله[1] عن ابن هود[2] في استدعاء ابن الرميمي وزيره إليه وتقديم ولده بألمرية (.......)[3] ومالقا أزمتها بيديه ما نصه

ي/9 إلى الوزراء والفقهاء، والأعيان والأعلام والحُسَباء، والصدور العِلْية النُّبهاء، الأولياء النصحاء، الأودّاء الصرحاء، السابقين الأولين بسجايا الإخلاص ومزايا الولاء، الصادقين فيما تفصح به ألسنتهم عن صدورهم من الحب والصفاء ؛ صفوتنا من أهل بلادنا وإخوتنا بصريح الوداد، وأخلاّئنا الذين اجتبينا من نجبائهم وحسبائهم نخبة السَّرا(ة)[4] الأمجاد، والكافة الذين يتعهدهم نظرنا الجميل بما يحظيهم بقصية الأمل من صلاح أحوالهم وغاية المراد، أدام الله كرامتهم وأثرتهم بتقواه، وعرّفهم إجزال منّته وإسباغ نعماه، وأجراهم في كل أمورهم على ما ييسّرهم لحسناه، سلام كريم عليكم أيها الأولياء المكرّمون، والأودّاء الذين يسبقون في مضمار الخلوص ويتقدّمون.

أما بعدَ حمدِ الله المُنعم بآلائه على أوليائه، الملهم من حمده إلى ما يضاعف قِسَم نَعْمائه، الميسّر من صُنعه الأجمل ومَنْحه الأجزل ما يستقل كل شكر بإزائه، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم سيد رسله وخاتم أنبيائه، المبعوث بالحق والمنعوت بأكرم الخلق لتبيّنِ مزيّة اصطفائه، الهادي إلى الرشد والداعي إلى اقتفائه، وعلى آله وصحبه الكرام أعلام الإسلام ونجوم اهتدائه، البالغين في إظهار الدين الحنيفي وإعلائه إلى غاية انتهائه، العاملين على سَنَن السُّنَن لا يُنكِّبون عن جادة استوائه ؛ والرضى عن الإمام **الخليفة العباسي** أمير المومنين[5] المحتوي على الشرف الباذخ والمجد

---

(1) الكاتب مجهول، وممن كتبوا عن ابن هود الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجنان، مثلا رسالته عنه إلى عماله بالكف عن الدماء (مفاخر البربر 148 — 149، المجموع، وفي البيان 333 — 335).

(2) بويع بمرسية في غرّة رمضان 625 وتسمّى بأمير المسلمين وتلقّب بالمتوكل على الله، داعيا للخليفة العباسي أبي جعفر المستنصر بالله، مَلَك ألمرية وغرناطة ومالقة والجزيرة الخضراء واشبيلية (626 — 627) وقرطبة (631)، وتوفّي سنة 635 ؛ (البيان 257 — 258، 269 — 270، 335 — 336، فقهاء مالقة 77، القرطاس 275، الإحاطة 130/2 — 131 الأعلام 321/2 — 322، نفح 464/4.

(3) كلمتان غير واضحتين بسبب الكشط.

(4) في الأصل : السرات.

(5) هو المستنصر بالله أبو جعفر العباسي.

الراسخ بصريح انتمائه، القائم بالدعوة النبوية قيام الخلفاء الراشدين آبائه[6]، المستسقي بجده عليه السلام مُزن السماء وقد (منّ بمائه)[3].

فإنا كتبناه ـــ كتب الله لكم تعرّفاً لمتضاعف النعم ومترادفها، ولقّاكم من فضله ما يشفع لديكم سالف المنن بخالفها ـــ من حضرة غرناطة[7] ـــ حرسها الله ـــ ونحن (..........)[8] / وأنماها، فإن عنايتنا بالأقل والأكثر من أموركم لاتزال تتجدد، وأن رعايتنا لمصالح خاصتكم وجمهوركم لا تنفك تتزيّد ؛ ذلكم لمكانتكم في النفس التي أحظتكم بالشفوف، ولسابقتكم التي لم تُشرَكوا في تقدّمِها المعروف، ولموالاتكم التي خُصّت من شرف الصفات بما يناسب منكم شرف الموصوف، فإنكم القوم لا يجارَون في مضمار خلوص وصفاء، ولا يبارَوْن إذا استبقت حلبة جد ووفاء، ولايزالون من أتباع الحق على سَنن اهتداء واقتفاء ؛ فالنظر الأجمل في تمهيد جنباتكم وتأمين جهاتكم مما نقدّمه على كل المهمات ونسبّقه، والخير الأجزل الذي نتوخاكم به ونعتمدكم لانزال نواليه وننسّقه ؛ وبحسب هذا كان توجُّه وليّنا الأخلَص، وصفيّنا المستخلَص، وظهيرِنا المعتمد على سبيل نظره، وخالِصتِنا الذي لاح في التدبير كريم أثره : ذي الوزارتين[9] المخصوص بسَنيِّ المكانة لدينا، الحالِّ اختصاصا بنا واتّصالاً محلَّ اليمنى من يدينا ـــ وصل الله ارتقاءَه وفسح بقاءه ـــ إلى قطركم المبارك ـــ حاطه الله ـــ لينيب عنا في مباشرة أحوالكم، ويقومَ مقامنا في تيسير آمالكم، وقد كان من ذلكم ما علمنا أنه يوافق اختياركم هنالكم، وقضينا به الغرض الأهمَّ لدينا من تمهيد أرجائكم وحِلالكم.

ولا خفاءَ عليكم أن تدبير إمارتنا ـــ أعلاها الله ـــ منوط بانتهاضه وغَنائه، وأن الإيرادات المترددة لدينا مضبوطة باضطلاعه واكتفائه ؛ وإنّا بحسب ذلكم نحتاج إلى حضوره بين أيدينا، ونستمد من سَداد نظره ورجاحة حِلمه ما يحملنا على الأوْلى من التدبير ويجرينا، وما سَمحنا في هذه الأيام بغيبته عنا، ولا احتملنا مشقة انفصاله منا، إلا لِما اقتضاه اعتناؤنا بكم من إيثاركم بالموثَر لد(ى) الخاطر، والسماح لكم بمن يحل محل السواد من الناظر ؛ ولمّا وضُحَ كَرَمُ مَنا به (في) تحسين أحوالكم كلها ومذاهبكم، وحسْنِ عنائه(*) في تحصين خِلالكم وجوانبكم، وتعارضَ احتياجُنا (واحتياجكم .... أن نستهِمَ معكم عليه .... النعمة ....)[10] عنه في الحضور لما يعود نفعه على نواحي سواكم

---

(6) هل هي محاولة التشبه بما كان يذكره الكتّاب الموحدون من وصف خلفائهم بالراشدين، فيطلق الكاتب هنا نفس الصفة على أجداد الخليفة العباسي ؟

(7) في هذه الفترة (أي حوالي 630) كان نفوذ ابن هود يشمل معظم ما بقي من الأندلس الإسلامية بما فيها اشبيلية بل وسبتة المتمردة على المامون الموحدي، انظر الهامش 2.

(8) قدر ثلاثة أسطر في أسفل الصفحة مغطاة تغطية كاملة بفعل ترميم قديم.

(9) هو أبو عبد الله محمد بن الرميمي، أعلن بالمرية الدعوة لابن هود سنة 626 (البيان 229)، ثم وفد على ابن هود بمرسية فولاه الوزارة، ثم استبد ابن الرميمي بالمرية بعد أن قتل ابن هود ثم ثار عليه ولده ثم سقطت بيد ابن الأحمر، نفح 464/4 انظر الهامش 2.

(*) كذا في الأصل.

(10) كشط لسطرين.

11/ي ونواحيكم، نظرْنا في ذلك (نظر ؟) /[11] (مبال لا يجمع ؟)[12] بين قصدين في أن لا نخلي منكم ذلك (المغْنَى)[12]، وأن يكون حاضرا لدينا بالحس ولديكم بالمعنى، فاتّجه في ذلكم مذهبٌ حَسُنَ توخّيه واعتمادُه، ومنحَى وَضُح صوابُه وسدادُه، وظهر لنا أنه لا يعدوه اختيارُ كل واحد منكم ومُرادُه ؛ وذلك أن قدمنا في قطركم وجميع جهاته دانيها ونازحها **الرئيس فُلاناً بن وليّنا ذي الوزارتين** ـ وصل الله إسعاده وإنجادَه، وأدام إرقاءَه في دَرَج المجد وإصعادَه ـ بعد أن توسّمنا فيه النجابة، وتحققنا منه الإصابة، وشُهدت لدينا أصالتُه التي لا تنكر، ومكانتُه التي لها المنصب الأسمى والمُظهر، أنه يحذو حذو والده، ولا ينكّب عن كَريم مقاصده، وهُو لنا نجلّ بالودّ والولاء، ولأبيه وليّنا المبرور بكرم الانتماء، واعتناؤنا به اعتناءُ رحماءِ الآباء بنجباء الأبناء، وله الاتصال بما خصصناه به من مزية الاحتباء ؛ وقد أمضينا بعد استخارة الله تعالى تقديمه على المصالح[13] التي لديكم والمنافع، وأسندنا إلى نظره جميع الداني من أقطاركم والشاسع، واعتمدناه واعتمدناكم في ذلك بالخير المتوالي والإحسان المتتابع، وأقررناه والياً عليكم محميّاً بالاستبداد بنظره في ما لديكم من مجاذبة المُشارك والمُنازع، وعلِمْنا علم يقين أنه من أبيه وولّينا الأعلى حالٌّ في كفالة لا يتطرق لها الإهمال، وأنه من ذاته السنية لا يعدم الترقي إلى رتب الانتهاض والاستقلال ؛ وهذا نظر خصصناكم بمختاره ومنتقاه، وحبوناكم منه بما يخلد في الآباء منكم والبنين مؤبّده ومبقاه.

فاستبشِروا بما تستقبلون من البركات الجزيلة، وابتهجوا بما يملأ عيونكم قرّة ونفوسكم مسرّة، اجتلاء الموصولة والمنح المبذولة، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يصل اكتفالكم بالعافية واكتنافَكم، ويُسعِد حالكم واستينافكم ؛ كتب في ثامن شهر رمضان المعظم عام ثلاثين وستمائة[14].

---

(11) قدر كلمة تعرض بعضها للتغطية.

(12) ترميم أفقي قديم في أعلى الصفحة غطّى الأجزاء العليا من كلمات السطر الأول.

(13) في الأصل : المصلح.

(14) فترة تمثل أوج نفوذ ابن هود من شرق الأندلس إلى غربها وجنوبها مما بقي إسلاميا (ماعدا أطراف من ولاية بلنسية التي يزاحمه فيها بنو مردنيش)، انظر الهامشين 2 و7.

[التقديم السادس] :

ومن المكتوب عن الخليفة المرتضى رحمه الله في ذلك مخاطبة جمهورية لأهل سبتة

ي/12 (تقتضي الاعتناء بالنظر في مصالحهم، والاحتفال بالأمور العائدة بالخير على / غاديهم ورائحهم، وتتضمن الجواب لهم عن رغبتهم في تقديم الفقيه الأجل أبي القاسم العزفي على بلدتهم، وإسعافهم فيما تأكدت فيه من ذلك طلبة جملتهم، وهي بعد التصدير باسم الخليفة والمخاطبين عرفهم الله عز وجل الخِيَرة في ما يقتضيه، واستعملهم من التعاون على البر والتقوى بما يرتضيه، وأتانا من الخير مثل ما نريده إليهم ولسائر إخوانهم المسلمين وننويه، سلام)[1].

أما بعد، فإنّا نحمد إليكم الله عز وجل الذي لا إله إلا هو ونشكره على نعمه وآلائه، ونصلي على سيدنا محمد الكريم الرؤوف الرحيم صفوة خلقه وخاتم أنبيائه، والحمد لله الذي «يَعلَم خائنةَ الأعين وما تُخْفي الصدور»[2]، وينفذ وفق إرادته وقدرته المرادُ والمقدور، ويحكم بين عباده بما يذعن له الآمر والمأمورُ، «ويَهْدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[3]، فلا ينكّب عنه ولا يجورُ، «صراطِ الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور»[4]، والصلاةُ الهامية الدِّيَم، الناميةُ القِسَم، على نبيه المفضل على جميع الأرسال والأمم، المرسَل بالحنيفية السمحة للعرب والعجم، سيدنا ومولانا محمد الذي تعيَّن لمكانته على الأنبياء الشفوفُ والظهور، وتبيَّن بإبانته المتَّضحة الجلاء الواجبُ والمحضور، وأيده ربه من معجزات القرآن بما لايزال جديدا وإن بَلِيَت الدهور، ولا يبرح باقياً وإن فنيت العصور، وجعله أول من تنشقّ عليه الأرض إذا بعثرت القبور، وأول شافع مشفع إذا جُمع الناس في بساط واحد [يوم][5] الحشر والنشور، وعلى آله وصحابته الأبرار الكرام الذين تألقت منهم في سماء الإسلام الأهلّةُ والبُدُور، وأُلقِيَ في أيمانهم مفاتحُ الأقطار الواسعة والأمصار الدانية الشاسعة المعمور، وتضاعفت لهم بالجهاد في سبيل الله والذب عن دينه المثوباتُ والأجور، وذلّ لاجتيابهم للأعداء من قواصي النواحي والأرجاء الموطّوُ والمعبور، فما عاقتهم عن الأخذ بناصية[6] مرامِهم (والبرِّ) لغاية اعتزامِهم البِيدُ ولا البحورُ ؛ **والرضى عن الإمام القائم بأمر الله**

(1) هذه المقدمة يبدو أنها مزج بين تقديم الكاتب وتصرّف جامع الرسائل فيها.

(2) الآية 19 من سورة غافر.

(3) من الآية 25 من سورة يونس.

(4) الآية 53 من سورة الشورى.

(5) في الأصل : (بساط واحد الحشر).

(6) في الأصل : بناصيته.

تعالى[7] والداعي إليه بالعزم الذي لا يشوبه الفتور، والجد الذي يمضي في ذات الله قُدُماً فلا يحور، حتى أشرق / وللهدى النور، وامَّحق من الضلال ألاَّ يجور، وطلعت أضواء الحق فلا تغيب ولا تغور، وانقشعت ظلماء الباطل فلا تُنجد بعد ولا تَغُور[8] ؛ وعن الخلفاء الراشدين المهتدين الذين طبّق الخافقيْن شعارُهم المنصور ولواؤهم المنشور، وأمِنت بعد التهم الرعايا وبحمايتهم الثغورُ، وكان لهم في إعلاء كلمة الإيمان وإرداء عبدة الصلبان الغَناء المذكور والثناءُ المأثورُ، وحاطوا ما للإسلام من الذِّمار بالحماة إلاّ ذِمار المتخطِّفين لأرواح الكفار كما تتخطف بناتِ الماء الصقورُ ؛ وعن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم[9] من مضاعف الرضوان، ما يتعهَّد بالروح والريحان، جدته[10] الطاهر ويزور، ويتجدَّد لديه به من قِسَم الرحمة والغفران النّماءُ والوفور، ويكون جزاءا كريماً لما أسلف في التزام العلم والعمل سعيُه المبارك المشكور، ويسعى نورا بين يديه يوم يُلقَى في يمناهما كتابُه المَنشور، وتتلقاه الملائكة ان شاء الله تعالى من البُشَر، بما يوجبه المُعَدُّ له عند الله من جزيل ثوابه والمذخورُ.

ي/13

وإنا كتبناه — كتب الله تعالى لكم حفظا تصحبكم في كل أحوالكم كالِئه وكافِله، وحفظاً من فضله العظيم وطَوْله الجسيم تَدُرّ عليكم حَوَافِله، ولا تَغِبُّكم رغائبُه ونوافله — من حضرتنا بفلانة[11]. ثم اعلموا علم يقين أنكم عندنا وفيما طوينا عقدنا في الأولياء الخلصاء متقدّمون، وفي عدد النصحاء الصرحاء منتظمون، وبشِيَم الصدق والوفاء متّسمون، **تميّزتم في تلبية دعوتنا بمزية السبق**[12]، وسلكتم في البدار إليها على أهدى الطرق، وخلصت مُصافاتكم لها من الشَّوْب والمذْق، لذالكم خصتّكم بمزيد الرعي والإيثار، ونصتّكم في الرعيل الأول من أولي التيقّن في موالاتنا والاستبصار، وقضت لكم بالقرب لديها على بعد الشقة ونأي المزار، ولم تعدل في الاعتناء بجوانبكم والالتفات لمذاهبكم عن هذا الاعتبار، ولا بعدت لكم في الإسعاف لآمالكم ومآربكم عمّا لكم من البقية والاختيار ؛ والله تعالى ييسركم فيما ننويه لكم، ونصرف فيه وجوه النظر الجميل قِبَلكم لليسرى، ويعرّفكم من تقديمنا لمهمّاتكم وحُسْن الكفالة لخاصتكم وجمهوركم في الأولى والأخرى، بمنه.

ي/14

وإلى هذا — نوّر الله / بصائركم، وعمّر بتقواه خاطركم — فإن **كتابكم وصل إلينا إثر كتاب منكم تَقدَّمه** تذكرون ما ابتدأتم به من انتظامكم في **سلك الجماعة**[13] واتساقكم، وتقرّرون ما

(7) لاحظ هنا عدم ذكر لقب «المهدي» أو العصمة، مما يبين أن هناك علاقة خاصة مع سبتة.

(8) من النجد والغور وهما ضدّان.

(9) وهو والد الخليفة المرتضى، كان واليا على غرناطة في أول عهد المستنصر ثم نقله إلى فاس، وهو الذي انهزم أمام المرينيين عام «المشعلة»، البيان 243 و244، العبر 524/6.

(10) كذا في الأصل.

(11) يبدو أنها مراكش.

(12) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع، الموضوع الأول.

(13) هناك رسالة العزفي إلى السيد أبي اسحاق وزير المرتضى بشأن توجيه وفد البيعة إلى المرتضى، وفي هذه الرسالة يشير إلى كتاب سابق منه إلى مركز الخلافة بالدخول في «دعوة الحق» : «فقد تقدّم خطاب معظمكم في هذه الأيام»، «رسائل ديوانية من سبتة» ص 109 — 111.

تقدمتم إليه من حسن ابتداركم إلى الطاعة واستباقكم، واعتصامكم بحبل الله تعالى في موالاة هاته الدعوة واعتلاقكم، وذلكم ـــ أعزكم الله تعالى ـــ مرعيّ لكم لا يضاع، ومعتمَد من السير والرعي واللّحظ بما يستطاع، أبى الله تعالى أن يعدل فيكم عن سجيتنا (......)[14] على رعي الذّمم لأهلها، وأن تهمل سابقتكم التي لم يسبقكم سواكم إلى مثلها، بل أنتم موفَّون لدينا أتم ما لله عز وجل علينا أن نوفيه لمن استرعانا من عباده، ومتلقَّون مِنّا بكل ما في الامكان من حسن النظر وسداده ؛ وهل عَدَوْنا ـــ عندما أهاب بكم داعي التوفيق فلبّيتم، ودعاكم إلى سلوك مثلى الطريق فما وَنَيْتُم ـــ، أن رفعنا عنكم المظالم التي لم تزل الآذان منها تَسْتكّ، والمحدَثات التي كانت البلاد في **المدّة السالفة**[15] عنها لا تنفكّ، فأمرنا بمحو تلك الرسوم الجائرة وطمسِها، وصدعنا بالنصوص التي لا تحتمل التأويل في إزالة لَبْسها[16]، وأعدَمْنا بالعدل في اليوم ما كان موجوداً (من)[17] الجور في أمسها، وأوسعنا الدهماء حنانا ورفقا، ولم نحمّلها لعبءٍ من غير الواجبات شقا، ولم نرد منها عن حقه محقا ؛ وفي علم الله العليم بذات الصدور، المطّلع على المخفيّ طيَّ الضمائر والمنشور، أنّا أردنا بهذا وبما يناسبه من المقاصد الحِسان، والمذاهب المبنية على العدل والإحسان، أن نقوم له عز وجهه بحقه في الخلق، ونجدد في إظهار دين الله ما عفا[18] من الطرق، وعند الله سبحانه في ذلك الجزاء والثواب، وإليه عز وجهه المردّ والمآب، ومن توفيقه (و)[19] تسديده يستثمر الصواب، لا ربّ سواه.

فأما ما ذكرتم في شأن من استعملناه هنا لكم وما صدر عن (.......)[20]، فقد علمتم أولا أنّا لم نقدّم **والياً لشغل** عندكم حتى تكررت في التقديم له رغباتكم، وترددت في التعجيل به طلباتكم، واستحثّنا في ذلك **خطيباكم الوافدان علينا ومخاطباتُكم**[21]، فعيّنّا ـــ إسعافاً لكم ـــ من قررنا فيه الصلاحية لما له أهّلناه، وظننا به الاضطلاع بما حمّلناه، وعهدنا له أن يلتزم العدل ويوثر الحق في كل ما فيه **استعملناه**، والذي كان / في ذالكم من حسن الانتقاء والاختيار وفّيناه، ولم نقف دون غاية من الاجتهاد لكم ولقطركم فيما اعتمدناه من ذلك وتوخّيناه، وليس إلينا علم البواطن والضمائر، **وما تعبَّدنا ربنا ـــ جلّ وعلا ـــ إلا بالظاهر**[16]، وفي مثل هذا من غائب الأحوال، قال نبينا عليه السلام : إنني لم أُبعث لأنقُب على قلوب الرجال، ولسنا نثرّب عليكم فيما ذكرتموه مما ظهر لكم من أمورهم، ولا نعتبكم على ما شكرتموه من عدم الإصابة في تدبيرهم، لأنا لا نستعمل عليكم ولا على سواكم من الرعايا ـــ حاطهم الله ـــ إلا من يكون لهم رضى بسيرته، واستقامة إلى حسن سريرته، **ومن كرهته الرعية فإنّا لا نستعمله بحال عليها**، ولا نوجده بالاقرار فيهم سبيلا إليها، عملا في ذلك بالحق الذي لله عز وجل على الرعاة فيمن استرعوه، واقتفاء لسَنَن العدل الذي اقتفاه الخلفاء الراشدون واتبعوه.

ي/15

(14) كلمة مكشوطة.

(15) الإشارة إلى عهد تبعية سبتة للحفصيين قبل ثورة العزفي بها.

(16) يتطابق هذا مع المذهب الموحدي الذي يرفض التأويل في الجانب الشرعي.

(17) في الأصل : في.

(18) كذا بالأصل.

(19) الواو ناقص في الأصل.

(20) كلمتان مأروضتان.

وأما ما ذكرتم مما جرى على ألسنة أتباع الولاة[21] من أقوال لا يهتف بها عاقل، ولا يتعين لها قائل، فما أخلقكم بأن لا يكون لذالكم في خواطركم تأثير، ولا ينشأ لأجله في نفس من نفوسكم تغيير، فإن مثله لا يُسمع، وحاشى أنه فيكم، ولا يليق بما علم في الطاعة من حسن مناحيكم، وأنّى وقد تميزتم من الموالاة الصريحة الصحيحة بما أبرمت منه المَعاقد، وتنزّهتم في المناصحة لدعوتنا عن كل ما ينقمه الناقم وينقده الناقد، ونأيتم عن مواقف التهم بما اقتضته منكم البصائر الراسخة والعقائد، فقول القائل فيكم لما عدا ذلكم عليه مردود، وباب القبول دونه فيه موصَد مسدود، والقائل كائناً من كان مُخلىًّ عن بابنا مطرود ؛ فثِقوا بما نعتمد به مذاهبكم في طاعتنا من (......)[22] والاحماد، وطيبوا نفوسا وقَرّوا عيونا بما وَقَر لكم في النفس من جميل الاعتقاد، وأقبِلوا على ما يعينكم من الشؤون إقبالا ينفعكم في المَعاش والمعاد، واعلموا أن لدينا من الحنوّ عليكم وإرادة الخير لكم ودفع المضارّ عنكم ما لا ننفكّ عنه في الإصدار والإيراد، وما نتخوّلكم منه بأوفى ما نتخول به رعايانا من أهل البلاد، والله الميسّر للصلاح والسداد، (والمانّ)[23] علينا في كل ما تولّينا بالإعانة والإنجاد /. ي/16

وأما ما ذكرتم مما صرح به الإفرَنْرِيَّان[24] اللذان ذكرتم أنهما قدما على ذلكم (الثغر)[25] — حماه الله — من اشبيلية — أعادها الله — من كونهما وصلا للاجتماع بالنصارى[26] الذين هنالكم في أمور خوطبوا بها من حضرتنا — كلأها الله — فكيف يلج في أسماع أمثالكم من المسلمين العقلاء هذا الزُّور الشنيع المنكَر، ويا عجباً من الإصغاء لأقوال كفرة[27] الأعداء الذين «لا يالونكم خبالا ودّوا ما عَنِتُّم قد بَدَت البغضاء من أفواههم وما تُخْفِي صُدورهم أكبر»[28]، وقد كنا نضرب عن هذا البهت البحت صفحا، فلا يورَد في كتابنا ولا يُذكر، ولا يُشغل به لبيان غائلة الكفرة فيه البال ولا (يعمر)[29] لكن توقعنا لإنكاره مما قد يثبت به في خواطركم ويتقرر، ورأينا أن ننبهكم على قبح الإصاخة منه لما يمتعض له ويتأثر ؛ وقد نزّه الله تعالى حضرة الموحدين — أعزهم الله — عما يفوه به أهل الشرك من بهتانهم، وعصم من (الرضى)[29] بما يرمونهم به من الإفك عقائد إيمانهم، والله محيط من ورائهم، ومُحيق بهم سُوء آرائهم، بمنه وقدرته.

وأمّا ما أنهيتم — أعزكم الله — من رغبتكم في أن ينفرد[30] فلان — أدام الله أثرته وكرامته، ووصل على الأعمال الصالحات إعانته — بالنظر في **مصالحكم ومجابيكم**، والتولّي بحسن **الحياطة**

(21) هذه الإشارة واردة في رسالة عن العزفي ص 111 «رسائل ديوانية».

(22) كلمة مأروضة جزئيا قد تكون (الاستخارة).

(23) في الأصل : والمار.

(24) وردت هذه الكلمة أيضا في الرسالتين 27 و28، أنظر الهامش 25 على الأولى والهامش 17 على الأخيرة.

(25) كلمة مكشوطة قد تقرأ أيضا (القطر).

(26) هذا دليل على وجود القشتاليين بسبتة.

(27) كذا في الأصل.

(28) من الآية 118 من سورة آل عمران.

(29) بعض أجزاء الكلمة مطموسة.

(30) في الأصل : أن تفرد.

والحماية لجوانبكم ونواحيكم، فقد وافقت رغبتكم في ذلك اختيارنا، ولم تَعْدُ ـــ عَلِمَ الله تعالى ـــ إيثارنا، لما له بنا قديما وحديثا من كَرم الاختصاص، وتميّزه في موالاتنا بصريح الإخلاص، ولكونه بذاته وسلفه ودينه ومعرفته أهلا للاستصفاء والاستخلاص، ولولا ما صدر عنه أولا لهذا المعنى من الإباية، لما عدلنا عنه في ذلكم القطر المهمّ شأنه لدينا بالولاية ؛ ونحن قد أمضينا تقديمه **مفوّضاً إليه**، وجعلنا بيده من ذلك ما كان نظره قبلُ فيه بحكم الإشراف عليه، إذ كان الولاة **المقدّمون من قِبَلنا قبلُ معهودا لهم أن لا يقطع في أمر من الأمور دونه، وأن يفاوضوه في ما يعملونه من النظر ويُمضونه، فقد جعلنا الآن زمام ذلك كله في يمينه**، وأسندناه إليه إسناد الاستنامة إلى نصحه (والـ.....)[31] بدينه، وأرضيناكم منه بمُوَلًّى يعمل في مصالحكم على يقينه، لأنه ـــ أعزه الله ـــ يحفظ / جزئيات أحوالكم وأموركم، ويزيد إلى استقلاله بما نِطْنا به بصيرة النشء بين ظهوركم، (......)[32] بخاصتكم وجمهوركم ؛ فتلقّوه بحسن انقيادكم وامحضوه خالص ودادكم، وأمِدُّوه في مصالحكم بنصحكم وجِدِّكم واجتهادكم، وهو خليق أن يتلقى وصايانا له بتقوى الله تعالى بأتم امتثاله وائتماره، وأن يجعلها نصب عينه في إيراده وإصداره، فقد أرضعته الشريعة بِلِبانها، وأنشأته بين سحرها ولَبانها، وحظِيَ في حياة أبيه[33] رحمه الله وبين يديه بالسبق في ميدانها، فبأمرها يصدع، وبحكمها يأخذ ـــ ان شاء الله تعالى ـــ ويدع، وعهودنا برفع المظالم وإزالة المحدثات بمرأى منه ومَسمَع، وهو لِمَا أوردناه منها قبلُ أوعى مَسمع. (ي/17)

فإذا وافاكم كتابنا هذا فلْتُبادروا من المعاضدة له والمساعدة لما تحسن فيه آثاركم، ولْتكونوا معه يدا واحدة فيما تأمن عليه أرجاؤكم وأقطاركم، ولْتعلموا أنه لا يعنيكم من نظرنا (إلا)[34] ما يتمشى به في المصالح اختياركم، ويصان بتواليه وتتاليه حماكم وذماركم، ان شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعلق بالتقوى إيمانكم، ويصل عافيتكم ودَعَتكم وأمانكم ؛ كتب في الرابع عشر لرجب الفرد عام ثمانية وأربعين وستمائة.

---

(31) كلمة مطموسة في آخر السطر.

(32) كلمتان مطموستان.

(33) هو الوالد أبو العباس العزفي العالم المحدث بن القاضي الفقيه أبي عبد الله محمد العزفي، انظر المقدمة التي وضعها الأستاذ الهيلة لـ «رسائل ديوانية» ص 15 ـــ 17.

(34) ناقصة في الأصل، أضيفت ليستقيم المعنى.

[التقـديـم السابع] :

ومـن تقديـم عامل آخـر

.... وإنّا كتبناه ــ كتب الله لكم أحوالا يتزيّد صلاحُها، وأعمالا يتأصّل على التقوى خَتمُها وافتتاحُها، وأن تعلموا أنّا نتعهدكم بالنظر الجميل، ونستعمل فيكم من يُجري مصالحكم على سواء السبيل، ونوثر العمل بالعدل والرفق في الكثير من أموركم والقليل ؛ وبمقتضى ذلكم عيّنا الآن فلانا ــ وصل الله أثرته وكرامته، ووالى إنجاده وإعانته ــ للنظر في **أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية**[1]، والإجراء لكم على السبل السوية، وهو مَن له في **أشياخ الموحدين** ــ أعزهم الله ــ البيت الكبير، والمنصب الشهير، والمكان الأثير، مع ما تميزت به ذاته من مشكور الخلال، ومستحسن الأحوال، والاتصاف بالسداد والاعتدال، والتولّي لكل ما يُستعمَل فيه بالاضطلاع والاستقلال ؛ وقد / أوصيناه مع ذلك بتقوى الله ومراقبة أمره، والتزام خشيته في سرّه وجهره، وأمرناه أن يباشر مصالحكم مباشرة المعتني بجميعها المتهمّم، وأن يتولّى صلاح شؤونكم كلها تولّي المبرّ المبرّز في مضمار الاجتهاد المتقدّم، وأن يضم **مرتفع مجباكم** ويضبطه، ويُبرم الشغل فيه على القوانين المعهودة[2] ويربطه، ويستوفي الحقوق ويستوعبها، ويلتزم النصيحة ويستصحبها، ويشتد في حسم **أدواء الشرّ والفساد**[3]، ويستعمل الرفق واللين حيث يستغني عن الاشتداد ؛ وهو بمعونة الله تعالى يفي بهذه المقاصد الحسان، ويقتفي ما أسندناه إليه من أموركم سَنَن العدل والإحسان. 18/ي

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا إليه أحسن انقياد، وائتمِروا لما يريده فيكم من إصدار وإيراد، واعتمدوا على ما يأخذكم به من الواجبات أتم اعتماد، واعلَموا أنا أثرناكم منه بمن تسرّكم بمنّ الله سيرته فيكم، وتجدون[4] يُمن تقدمِّه عليكم في إقامة مصالحكم وحياطة نواحيكم، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يسعد بهذا النظر الذي توخينا به تسديد أحوالكم، ويقضي لكم بالخِيَرة في عاجلكم ومآلكم، بمنّه.

---

(1) يبدو أن المقصود من الأولى الجانب الأمني ومن الثانية الجانب المالي، وهو ما يؤكده بعد هذا الإشارة إلى مرتفع المجبى، وهذا التعبير سيتكرر في جل الرسائل التقديمية (باستثناء تقاديم القضاة)، راجع خصوصيات هذه المجموعة في الفصل الرابع.

(2) لم توضح هذه القوانين في بقية التقاديم (على الأقل مباشرة).

(3) حالة تتكرر في مختلف رسائل هذا المخطوط، وهي حالة أصبحت عادية في فترة ضعف الدولة الموحدية.

(4) في الأصل : ويجدون.

[التقديم الثامن] :

ومن آخر في سناه

..... كتب الله لكم استقامة تجنون ثمرتها في حالكم واستقبالكم، واستدامةً للعافية بما تدأبون عليه من سَداد أعمالكم، وأنْ تعلموا أن النظر الجميل منا يتعهد مصالح الرعايا حيث كانوا من المواضع، ويقيم على السَّنَن القويم ما لهم دينا ودنيا من المنافع، ويُؤْويهم من عدل هذا الأمر وفضله إلى الظل المديد والكنف الواسع ؛ وبمقتضى ذلكم نستعمل فيكم من يحسّن أحوالكم ويضبط أعمالكم، ويُمشي الأحقَّ الأوْلى لكم، وقد عيّنّا فلانا لتولّي **أموركم المصلحية وأشغالكم المخزنية**، بعد أن بان في ما يتصرّف فيه جدّه واجتهاده، ووافق السدادَ إصداره وإيرادُه ؛ وقد وصّيناه باتقاء الله تعالى ومراقبة أمره، والتزام الخشية له في سره وجهره، وأمرناه[2] بأن يوفي مصالحكم كلها، ويسلك بكم مناهج المعدلة[3] وسبلَها،/ ويشتدّ **في حسم أدواء الشر والفساد**، ويكفّ كل ي/19 مسترسِل في الغيّ ومستشرف إلى العناد، ويعاملَ باللين والرفق كلَّ من بادر إلى الانقياد[4]، ويلقي ما يطلب به من الحق بالموافقة والاسعاد ؛ وأكدنا عليه في استخراج **الواجبات المخزنية** واقتضائها، والطلب لكل من تعينت عليه بأدائها، والتشمير عن ساعد الانتهاض في استيعابها واستيفائها، وأن يجري **في رفع المظالم وإزالة المحدثات على أتم ما نأمر به كل من نستعمله**[5]، ويقف مع الحق الواضح في ما يقوله ويفعله، ويجتنب الظلم في كل ما يحاوله وينتحله.

فإذا وافاكم فانقادوا له وائتمروا، واستبقوا إلى التعاون معه وابتدروا، وكونوا يدا واحدة في تمشيّة المصالح تحمدوا مغبّة ذلكم وتشكروا ؛ ووراء ذلكم من نظرنا ما يتوالى في كل الأحيان، وتلقون به مُحَيَّى العدل سافرا للعيان، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يسدّد طريقكم، ويجمع على البرّ والتقوى فريقكم، بمنه.

---

(1) المقدّم هنا غير مدعوّ له على عكس سابقه مثلا، فهل هو من غير الأشياخ أو على الأقل من غير كبارهم ؟

(2) في الأصل : وأمرنا.

(3) في الأصل : العدلة.

(4) هنا تلميح إلى أن البلدة سبق لها أن تمردت (أو سقطت من يد الموحدين) مثلا سجلماسة في بداية عهد المعتضد ثم في عهد المرتضى (655 — 656)، الذخيرة 83 — 84، البيان (417 — 419) وكذلك سلا سنة 549 (القرطاس 296)، فهل التقديم هنا يهم إحدى هاتين المدينتين بعد عودتها إلى النفوذ الموحدي ؟

(5) هل القوة التي سيطرت على البلدة أحدثت فيها المحدثات أم أن الخليفة يسعى لتركيز نفوذه بالغاء هذه المحدثات ؟ نلاحظ أن بعض تقاديم المرتضى تحمل مثل هذه السياسة، مثلا التقديم رقم 6 (للعزفي على سبتة)، انظر أيضا الهامش 7 على التقديم اللاحق (رقم 9).

[التقديم التاسع] :

وفي معناه مخاطبة جمهورية

..... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأفاض عليهم سوابغ نُعماه ورحماه، كتب الله لكم أحوالا تصلح وتستقيم، وآمالاً يصحبها النجح فلا تريم، وأن تعلموا أنّا نُديم النظر للبلاد وأهلها بما يمهّد حِلالَها، ويُحسّنُ أحوالَها، ويؤمّنُ أرجاءَها، ويمكّنُ في استصحاب العافية رجاءَها، قصدنا بذلكم أن نوفيَ حقّ كفالتها وحياطتِها، ونبلغ الغاية في إزالةِ المخاوف عنها وإماطتِها، ونُفرغَ الرعايا لشؤونها، ونقيمَ الكافة في كنف الأمنة ملءَ جفونها ؛ وبمقتضى هذا القصد، وما لنا فيه من بذل الجهد، واستفراغ الوُسع والوجد، لانزال نتخير من نستعمله في ضبط البلاد وحمايتها، ونؤهّله لحفظها ورعايتها، لتَجري الأمور فيها بذلكم **على قوانينَ سَوادِها**، وتنتهيَ في المعاقلِ المهمة إلى أتم ما يفي بسدادِها، مستمِدّين في ما نعمله وذلك بتوفيقَ الله تعالى الذي يَستدّ[1] به كلّ عمل (.....)[2] / ورأي، ومستنجدين بتأييده على أجمل أثرٍ في ما نعتمده وأحسنِ سعي ؛ والله تعالى الكفيل لإدارتنا بالإعانة والإنجاد، والمسؤول تسديد بدْئنا وإعادتِنا في الإصدار والإيراد، وهو (المانّ)[3] بذلك لا رب سواه ؛ وقد قدّمنا استخارة الله تعالى في أن قدّمنا لجميع **أشغالكم المصلحية وكافة أعمالكم المخزنية فلانا، وهو الجليل في الموحدين مقدارُه**[4]، الأصيلُ عقلُه ورأيُه واعتبارُه، المختارُ لتولّيكم بما أدى إليه اختباره ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى وهي وصية الله الجامعة للعباد، والذخيرة النافعة للمعاد، والتي سماها الله خيرَ الزّاد، وأمرناه أن يلتزم العدل الذي أمر الله تعالى بالتزامه، وأن يعمل في استيفاء الحق أشد اعتزامه، وأن يقضي **الواجبات المخزنية** غير مُسامح منها في واجب، ويسلك في استخراجها على سَنَنٍ من الجد والاجتهاد لاحب[5]، فإنها لمصالح المسلمين والحماية لهم مُرصَدة، وفي ما يعود عليهم بكف أعدائهم مستنفدة[6]، وجعلنا له حربَ المحاربين والمفسدين، وتنكيلَ العاندين والمعتدين، والاستبداد على كل من نكّبَ على(*) السّنَن الواضح المستبين، والانتهاضَ في إقامة ما يجب إقامته من وظائف الدين ؛ وأكدنا عليه في **إزالة المحدثات والمظالم**[7]، وإجراءِ الرعية في الوقوفِ بهم مع الحق على

ي/20

(1) استدّ : بمعنى : استقام.

(2) كلمة مطموسة في الأصل ولعلها مشطّب عليها.

(3) في الأصل : المار.

(4) لاحظ أن قدره جليل في الموحدين، ولكن اسمه (فلان) غير متبوع بالدعاء له.

(5) لاحب : أي واضح.

(6) كذا في الأصل. استنفد : أفنى.

(*) كذا في الأصل.

(7) هل هذا التقديم حدث في بداية عهد الخليفة الصادر عنه، فيبين أن المحدثات وهي أساسا الضرائب غير الشرعية كانت قائمة في عهد سلفه ؟ وهذا مما يتناقض مع مبادىء المهدي.

أوضح المعالم، وأن يرفع كل مظلمة متى انتهت إليه، ويمحو كل منكر متى عثر عليه، عملا بما نقصده من طمس كل أثر للظلم وأهله، وصدعاً بالعدل الذي لا مَعدِل عن واضحات سُبله.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا إليه أحسن انقياد، وائتمِروا لما يعمله من مصالحكم من إصدار وإيراد، وتعاونوا معه على إثبات كل صلاح ونفي كل فساد، واعلموا أنّا مع ذلكم نتعهّدكم من نظرنا بما لا (يخليكم)[8] في كل أموركم من استقامة وسَداد، ويجريكم في تمهيد بلادكم على أجمل معهود وأكرم معتاد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن هذا التقديم، ويأخذ بكم في دنياكم ودينكم على المنهج الواضح القويم ....

---

(8) كلمة مأروضة الوسط، لعلها (يخليكم).

[التقديم العاشر] :

وفي مخاطبة في المعنى

ي/21 /..... كتب الله لكم أحوالاً تصلح وتستقيم، وآمالاً في عافية يكنفها النظر القويم، وأن تعلموا أنكم منّا بالعناية معتمَدون، وبالرعاية في كل الأناء متعهّدون، ولذلكم نختار لكم من (نقدّر)[1] فيه تمشية مذهبنا من العدل والإحسان فيكم، ونستنهضه[2] لِمَنٍّ ظلال الأمان على نواحيكم ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا الآن فلانا للنظر في **أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية**، والسلوك بكم في أموركم كلها على السبيل السوية، بعد أن تقررَ حسنُ غَنائه، وذكر بالسداد في كل أنحائه ؛ وقد وصيناه بتقوى الله تعالى وهي القاعدة التي (ثبت)[3] عليها جميع الأعمال، وأمرناه بتوخي الرفق فيكم والاعتدال، وأن يستوفي الحماية عند وجوبها على الكمال، وأكدنا عليه في **تمهيد جهاتكم** وتأمينها، وحماية أرجائكم وتحصينها، وأن **يشتد في ردع أولي الشر** والفساد، ويأخذ بكم في أحوالكم على سبيل الاستقامة والسداد، ولا يعدل فيكم عن المعهود والمعتاد.

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فائتمِروا له في ما يتولاه من مصالحكم أحسن ائتمار، وتعاونوا معه على ما يواليه من إيراد واصدار، واحرِصوا[4] على أن يكون لكم في حسن السمع والطاعة أجمل مَساعٍ وأكرمَ آثار، ثم نَظَرُنا بعدُ يتعهَّدكم في كل أحيانكم، ويتردد عليكم بتحسين أحوالكم وتحصين حِلالكم وأوطانكم، إن شاء الله تعالى، وهو يجمع على البِرّ والتقوى أهواءكم.ويعمُر بالأمنة والعافية أرجاءَكم ؛ ومما[5] أمرنا به حافظكم[6]، ووكّدنا عليه فيه الاجتهاد في **رفع المحدثات**، وطمس آثار المنكرات، **ومحق الرسوم** التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب، وإزالة كل ما لا يجيزه مُحكَمَ السنة والكتاب، حتى لا يبقى إلا الحق الذي درج سلفُ هذا الأمر عليه، ويذهب الباطل ذهابا كليا برغم من انتمى إليه، فهذه الدعوة إنما نصبها الله تعالى لتجدَّدَ ما للإسلام من المعالم، وتُعَفّيَ[7] بالعدل آثار المظالم، وتُقيمَ الحقَّ الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وتصدعَ بالشرع الذي تَعبَّد اللّهَ به العبادُ وتُزيلَ كل ما عَداه ؛ هذا عهدُنا الذي تطلّب العمل بمقتضاه مِنْ كلِ مَن[8] نستعمله في أشغال البلاد، وهو حجتنا / القائمة على المشتغِلين في هذه الدار وعند قيام الأشهاد ؛ فكونوا من ذلك على أتم يقين، وتعاونوا مع ولاتكم على ما يعود عليكم بمصلحتي دنيا ودين، بحول الله تعالى... ي/22

(1) قد تقرأ : (نقرر).

(2) في الأصل : ويستنهضه.

(3) كذا في الأصل ولعلها : تثبت.

(4) في الأصل : واحرضوا.

(5) في الأصل : مما.

(6) حول هذا المصطلح راجع الجوانب الإدارية في الفصل الخامس.

(7) في الأصل : وتعقي.

(8) في الأصل : ما.

[التقديم الحادي عشر] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله تعالى لكم ولأرجائكم يُمناً وأماناً، وعرّفكم بما نواليه في من نولّيه عليكم عدلا وإحساناً، ثم اعلموا أن تأكد اعتنائنا بأموركم، وتجدّد اهتمامنا بمصالح خاصتكم وجمهوركم، وتعهد نظرنا لكم بما فيه إقرارٌ لعيونكم وإبهاجٌ لصدوركم، مما يوجبه تخيُّر من نستعمله في إقامة مهماتكم وحياطةِ جنباتكم، **وضبطِ مجابيكم**، والسيرِ بأعدل السِّيَر فيكم، ذلكم لأن الخاطر معمور بكل ما يؤمِّن حِلالَكم ويحسِّن أحوالكم، ويوجز الرفق والعدل في ما عليكم وفي ما لكم، والله تعالى يجريكم على العادة الحسنى في حالكم واستقبالكم، ويُوليكم من عوارف النعمى ما يوفيكم جميع آمالكم، بمنّه ؛ وقد استخرنا الله تعالى في أن قَدَّمنا عليكم **تقديما مطلقا**[1] **في أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية وضبط ذلكم الثغر**[2] وحماية من فيه وبنواحيه من الرعية، فلانا ؛ وهو الذي عرفتم سِيَره الحسنة في تقدّمه عليكم، وألِفتُم من أنحائه المشكورة ما أكد الأمنة والعافية لديكم، ومازلتم على ما تقرر لدينا ترغبون في أن يكون لأموركم كلها متولّياً، وللنظر في قليل مصالحكم وكثيرها متحلّياً، لِمَا تميز به في اشتغالاته كلها من النزاهة والنقاء، والضلاعة والاكتفاء، وعزوف الهمة عن شائنات الأشياء، والاتصاف من متانة الأمانة بما هو أزيدُ الحلى وأبهى الأزياء ؛ لذلكم **أفردناه بالأعمال هنالكم والمصالح**، واستَنَهْنا[3] في الشغلين للمخبور عنده من النظر السديد والرأي الراجح، وقد وصيناه مع ذلكم بتقوى الله تعالى في كل حالاته، والتزام العدل في كل محاولاته، وأمرناه أن يستوفي منكم **حقوق المخزن** ــ ثمّره الله تعالى ــ **على قوانينها المعروفة**، وأن لا يعدل[4] فيكم عن رسومها المألوفة، وأن يزيل **المحدَثات** الجَورية وألقابِها، ويعاقب كل من يعرف منه ارتكابها، ولا يبقي إلا الحق الذي لا نطلب بسواه أحداً،/ ولا يوجَد دون الشرع الذي تَعبَّد الله به العبادُ مُلتحَداً، ولا لحدٌّ من حدوده بوجه من الوجوه معتدىً، وهو بمعونة الله تعالى يسلك بكم في كل ما أمرناه به على السبل المتضحة، ويوثر ما يعود عليكم بالمنفعة والمصلحة، ويشتد على أهل الاعتداء والفساد، ويرميهم من المعاقبات المهلكة بما يريح منهم أكناف البلاد، ويرصد لهم من عزمه وحزمه ما يُلفونه ــ حيث أمُّوا، ومتى ائتمّوا بشيء وهمّوا ــ بالمرصاد، وهو مُعانٌ على ذلك بمَن هنالك من **الأجناد**[5]، وبمَن نُمِدّه[6] بهم من الأنجاد.

ي/23

(1) هذه بعض الحالات التي يكون فيها التقديم مطلقاً (صراحة).

(2) أيّ ثغر هذا هل سبتة أم سجلماسة أم ..... ؟

(3) في الأصل : واستنهنى ... والمعنى : مرت علينا السنون.

(4) في الأصل : وان لا تعدل.

(5) لعله يقصد الحامية النظامية بالبلدة.

(6) في الأصل : بمده.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فألقُوا بأزمّة أموركم إليه، واعتمِدوا في ما نُنهيه إليكم من أوامرنا عليه، وابذُلوا بِدارَكم وائتمارَكم في ما يأخذكم به من مصالح جهاتكم، ولا تدَّخروا دونه انقيادا وإسعادا في وقت من أوقاتكم، وستعرفون بمنٍّ الله حسنَ أثره في ما أسندناه، وتجدون يُمن وِرْدِه وصَدَرِه في ما ولّيناه ؛ ونظرُنا الجميل مع ذلكم يتعهّدكم الحين بعد الحين، ويوفّر لكم ولبلادكم **أسباب التمهيد والتأمين**، ويسدد أنحاءكم لما تنالون معه الصلاح الشامل في الدنيا والدين، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يكتنف بالعافية الوافية أكنافَكم، ويجعل على البرِّ والتقوى تعاونَكم وائتلافَكم، بمنه ...

[التقديم الثاني عشر] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله لكم أحوالا تصلح وتستقيم، وآمالا لا يبرح عنها النجْح ولا يَريم، وأن تعلموا أن الله عز وجل بما قلّدنا من القيام بحقه في جميع بلاد الإسلام، وحمّلنا من أمانة النظر في ما يعود على أحوال المسلمين بالصلاح وأموركم بالانتظام، أوجبَ تعالى علينا أن نبذل الوسع في دعاء الأمّة إلى ائتلافها واجتماعها، وأن نُعمِل النظر في كل ما يمدّ ظلال الأمان على أكنافها وأصقاعها، فنحن لذلكم نتعهّد الأنأى[1] والأقرب من الرعايا وأوطانها، ونعتمد السعي الأعود عليها باتصال عافيتها وتأصّلِ أمانها، ونستعمل عليها من نعتقد منه الغَناء في حياطة جانبها / وإصلاح شأنها، والله تعالى يُمدّنا في ما نتولاه لعباده المسلمين من مصالح دينهم ودنياهم بنصره وتأييده، ويُوجدهم حيث كانوا بركةَ ما نريده لهم ونريده فيهم من جميل الرأي وسداده. ي/24

وإلى هذا ــ كلأكم الله وأعانكم على تقواه ــ فإنّا لِمَا تعرّفناه من **أوبَتِكم إلى هذه الدعوة التوحيدية** بحسن الانقياد لطاعتها[2]، والاعتماد على الحق في اتّباع جماعتها، رأينا أن تكون أموركم هنالكم مسندة إلى من يقوم **بضبط ثغركم** أو سده، ويجري أموركم على أقوم سَنَنٍ وأسدّه، ويقف بكم مع مقتضى الشرع في قبوله وردّه، حتى لا تشِذُّوا عن الضوابط الدينية في حالٍ من أحوالكم، ولا تخرجوا عن القوانين المصلحية بشغل من أشغالكم، فقدّمنا بهذا الرسم عليكم فلاناً **لتقدّمِه الشهير في أعيانكم**، وتميُّزِه بسَداد النظر في حماية مكانكم، واجتهاده في إقامة مصالحكم ومهمّاتكم، واحتياطه في كل ما يكفّ عنكم عادية عُداتكم، بعد أن تقررَ لدينا أنكم بحسن سيرته فيكم مغتبطون، وإلى ما يورده[3] ويُصدره في أموركم مُغتبطون ؛ فأمضينا له التقديم التّام في بلادكم وما يرجع إليه من أنظاره، وارْتضَيْنا لكم ما اتصل بنا من حسن مساعيه هنالكم وكرمِ آثاره، وأسندنا **أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية** إلى نظره وضبطه أتم إسناد، واستنهضناه من القيام بذلك كله والاستقلال به لما يَنهض به ان شاء الله نهوض جد واجتهاد، ويسير فيه على جادة قصد وسَداد ؛ وقد وصيناه بتقوى الله تعالى في كل محاولاته، ومراقبته في جميع انتحاءاته وانتحالاته، والتزام العدل والرفق في كل حالاته، وأن **يرفع المظالم** التي يحق لها الإزالة والرفع، ولا يُقرُّ إلا ما أقرّه الشرع، وعمّ به في المصالح النفع، وأكّدنا عليه في أن يكون للحزم ملتزما، وللاحتياط مستصحباً، وأن يبني سِيره كلها

---

(1) في الأصل : الانئاي.

(2) هل هي عودة اشبيلية إلى الدعوة الموحدية في عهد الرشيد ؟ خاصة مع ذكر كلمة الجهاد.

(3) في الأصل : تورده.

على ما يكون لرضى الله عز وجل موجبا، وأن يأخذكم عامة وخاصة بإقامة وظائف الدين، وإدامة السلوك على المنهاج المتضح المستبين، وتغيير المناكر التي يتعين لها التغيير، **وإحياء الرسوم التي كان السلف الصالح على سبلها** الهادية يسير، والتعاون من البرّ والتقوى على ما / تستضيىء[4] به القلوب وتستنير[4]، والتوافق على إيثار ما ينتفع[5] دينا ودنيا من الأمور واجتناب ما يضير.

ي/25

فإذا وافاكم كتابنا هذا فاغتبطوه بما أثرنا(...)[6] لكم من جميل النظر في من قدمناه عليكم، واعملوا من حسن الانقياد إليه بأتم ما ألقيناه إليكم، واشكروا الله تعالى على ما صرفته هذه الدعوة نحوكم من كريم اعتنائها واهتمامها، وأعملته في تفقّد أحوالكم وإجرائها على ما تَحمَدون مغبته في عاجلكم ومآلكم من سديد اعتزامها، وانظروا من نظرِ الله تعالى ما يقْضِي بردِّ الكرّة على أعدائه، وينجز صادق الوعد في إظهار دينه وإعلائه، وانشروا[7] بما توفرت عليه دواعي الموحدين ــ أعزهم الله ــ بهذه البلاد من الاجتماع والاحتشاد، والتجرّد لأداء فرض الجهاد، وبإعمال الجد والاجتهاد، وإظهار القوة والعتاد، واستنزالِ النصر بصريح الاستعانة بالله عز وجل والاستعدادِ، وإعانة الله تعالى لأهل دينه القيّم بالمرصاد، ونفوس عباده المومنين على ثقة من إنجازه لسابق الميعاد ؛ فكونوا ــ أكرمكم الله ــ على يقين من الخير الذي تستقبلون، والفتحِ الذي في عدوِّ الإيمان تؤمّلون، وتَوصَّلُوا لنيل ذلكم بالطاعة لله ورسوله وأولي الأمر في كل ما تقولون وتفعلون، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم من ألطافه الجميلة أجمَلَ ما إليه تتشوّفون، ولا يعدل بكم عما كنتم من عوارفه الجزيلة في كل أحوالكم تعرفون، ولا يقلّص عنكم ظلال[8] عوافيه الضافية في حالكم وفي ما تستأنفون، بمنه.....

(4) في الأصل : نستضيىء .... ونستنير.

(5) كذا في الأصل، ولعل الأصح : (ينفع).

(6) ما بين الكلمتين مأروض، وقد يكون الأصل هكذا : بما أثرناه لكم.

(7) كذا بالأصل، ولعل الأصوب : وأبشروا.

(8) في الأصل : ضلال.

[التقديم الثالث عشر] :

وفي تقديم أحد الطلبة[1]

..... كتب الله لكم أحوالا يصحبها الصلاح والسداد، وآمالا يقترن بها الإنجاح والإسعاد، وأن تعلموا أن نظرنا الجميل ببلادكم موذِن بتمهيد أرجائها وأكنافها، وتمدّد ظلال العافية والأمنة على مواسطها وأطرافها، لا نألو جِدّاً واجتهادا في توفية أسباب الحياطة لها والحماية، ولا نخلي مهمّاً (من مهماتها)[2] في نواحيها وجهاتها، والتهمّم التا(مّ به و)[3] العناية ؛ ذلكم (.....)[4] الرعايا / والبلدان ي/26 بما قلّدنا الله تعالى من الإقامة لمصالحها، والإدامة لأمن (غاديها)[5] ورائحها، والأخذ في أمورها وشؤونها على (لاحب)[6] السبل وواضحها ؛ وبالله عز وجل في جميع ما نوثره لبلادكم من تمكين موجبات الهدنة والأمان، ونعتمدكم به من الرفق والعدل والإحسان، لانزال نتخير لتولّي أموركم، وتوخّي مذهبنا في تدبير خاصتكم وجمهوركم من يحسُن منابه في ذلكم كله، ويسلك في تمهيد الحِلال وتسديد الأحوال على أقوم طرق النظر وأجلى سبله[7] ؛ والآن قدّمنا عليكم بهذا وبما أعملناه لكم من حسن الاختيار فلاناً، وصل الله أثرته ومبرّته، وحفظ مكانه وحظوته، وهو **منّا القريب القرابة،** والمعروف في محاولاته كلها بالسَّداد والإصابة، **قد ترددت ولايته لقواعد الأمصار،** وتميّزت إدارته كلّها بكريم الآثار، وناسبت تناولاتُه كلها لما له على النظراء من شفوف المقدار، **فخصصناكم** منه لذلكم بما خصّته رتبةُ سِنّه ومكانةُ قدرِه ومزيَّةُ ذاتِه بكريم الاختصاص، وأوجبنا لكم بتقديمه عليكم أوفر الحصص من التمييز لبلادكم وأهلها بالإيثار والاستخلاص، وهو بما أحرزه من الخلال الحميدة والآراء السديدة والمناحي الكريمة والمآخذ القويمة يُؤوي جميع مصالحكم ومنافعكم نظراً جميلاً، ويقتفي في حماية جَنَباتكم وإقامة مهماتكم سَنَناً سويّاً وسبيلا، ويدفع عنكم المضارّ والمَعارّ جملة وتفصيلا، ويعلمُ ما فاوضناه به من الوصايا التي وصَّى الله تعالى بها عباده في قوله : «ولقد وصَّينا الذين أُوتوا الكِتَابَ من قَبْلِكم وإيّاكم أَنِ اتَّقُوا الله»[8]، فيجعل تقوى الله تعالى (......)[9] ؛ فاستبشروا بقدومه كل الاستبشار، وائتمِروا لما يُجريه فيكم من الأوامر أتمّ الائتمار، وكونوا له على الحقّ يُمضيه والعدلِ يُمشيه من الأعوان والأنصار، واعلموا قدر ما خصّتكم به **حضرةُ الموحدين إخوانكم من تقدّم المقدَّم في الجِلَّة من كُبَرائها،** والإثار منه بمن يُعلم محلُّه في ذوي إدارتها وآرائها، بحول الله تعالى ....

(1) انظر عن هذا المصطلح الجانب الإداري في الفصل الخامس.

(2) الكلمتان مكشوطتان.

(3) حروف مأروضة.

(4) كلمة مأروضة مع الكشط.

(5) في الأصل : غادها.

(6) في الأصل : الاحب.

(7) هنا الاقتصار على المهام الأمنية دون ذكر الجوانب الجبائية، فهل لأنه «طالب» ؟ انظر الهامش 1.

(8) الآية 131 من سورة النساء.

(9) في الأصل : «الله تعالى فاستبشروا»، والسياق يفرض إضافة كلمة مثل (سبيله) أو (أمامه).

[التقـديـم الرابع عشر] :

وفي مخاطبة تقديم عامل

ي/27 ..... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعانهم على العمل بما يتقبله ويرضاه ؛ وإنا كتبناه / كتب الله لكم تعرُّفاً لإصلاح[1] الأحوال وأسدّها، وأويّاً إلى أَوْرَف ظلال الأَمَنة وأمدّها، والمحافظةِ من وظائف دينكم على ما يحظيكم بالزُّلفى لديه، وأن تعلموا أنّا ننظر للبلاد وأهلها النظر الذي يمهّد أكنافها، ويحمي مواسطها وأطرافها، ويمكّن أمنَها ويُذهب مَخافها ؛ ذلكم لأن الله عز وجل استرعانا أمورها، واستحفظنا خاصها وجمهورها، فنحن نصرف[2] إليها ما في الوسع من الاهتمام بها والاعتناء، ونوالي التعهّدَ لها في كل الأوقاتِ والأناء، ونتخيّر لأشغالها أهل الاضطلاع والغَناء، حرصاً على أن تتمشّى مصالحها على سَنَن السّداد، وتُوفّى من الاحتياط عليها ما يدفع عنها **عوادي الشرّ والفساد**، والله تعالى يُمدّنا في ذلكم بالتأييد والإنجاد، ويجعل توفيقه لنا رفيقا في الإصدار والإيراد ؛ وبمقتضى ما ذكرناه في توخّي الصلاح للرعية وبلادها، وقصد الأمانة[3] لها من العافية في أوثر مهادِها، قدّمنا الآن فلاناً على جهاتكم ــ حاطها الله تعالى ــ ليقوم بمصالحها ومنافعها، ويبثّ الأمان التام في أماكنها ومواضعها، ويستوفي بالتّطواف جميع دانيها وشاسعها، وينظر في الأعمال كلها بما فيه تدليل مَهَائعِها ورفعِ موانعِها، وهو المعروف بالشهامة، الموصوف بالحزامة، السالك سبيل سلفه في النجدة والصرامة ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى والتزامِه في سره وعلنه، والتزيّنِ منها بأجمل نعت وأحسنه، والجري في كل أحواله على سبيل الحق وسنَنه، وأمرناه أن يشتد في **محق الفساد والمفسدين**، وتشريد الباغين والمعتدين، وأن يوالي التمهيد لنواحيكم والتأمين، وأكدنا عليه أن يقضي **الحقوق المترتبة للمخزن**[4] ــ ثمّره الله ــ في الأموال، ويستوفي الواجبات على الكمال، ويستخرج من ذلك ما بقي في ذمم الرعية وتعيّن عليها، ويأخذها بالأداء لما انتسب بالوجه الصحيح بقاؤه إليها، جامعا في ما يتولاه بين ملاحظة الرفق والمطالبة بالحق، وضم المرتفعات التي منها تُستمَدّ المصالح، والاحتياط منها على ما تقام به للمسلمين المساعي النواصح[5].

ي/28 فإذا وافاكم بمعونة الله سبحانه / فارجعوا إليه بأموركم المصلحية، وسيروا في الائتمار له والتعاون على السوية، وكونوا معه يدا واحدة في **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، والموافقة من المصالح في الأقل والأكثر، إن شاء الله تعالى ...

---

(1) كذا في الأصل، ولعل الأنسب : (لأصلح).

(2) في الأصل : نطرف.

(3) كذا في الأصل : الأمانة.

(4) لاحظ مرة أخرى ارتباط الجبايات بمهمة العامل.

(5) الإشارة إلى الدور الاجتماعي للجبايات واقعا أو تبريرا.

[التقديم الخامس عشر] :

وفي تقديم آخر

.... وإنا قدّمنا الآن أبا فلان ـــ وصل الله تعالى إنجاده، وأجرى على سَنَن السّداد إصداره وإيراده، ـــ على تلكم البلاد ـــ حاطها الله تعالى ـــ ليقيم مصالحها ومهماتها، **ويحوط نواحيها** وجهاتها، وينظر في **أعمالها المخزنية كلها ومجابيها**[1]، ويتولى مرتفعاتها من الضبط والتثمير بما يوفّرها ويُنْميها، وهو معلوم بالاكتفاء والغناء، ومشكور في كل ما يتصرف فيه من ضروب الأنحاء، وموصوف بالوقوف مع الدين في الإعادة من محاولاته والإبداء[2] ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى التي تسدِّد الأقوال والأعمال، وتُجري على جادة الحق والعدل الشؤونَ والأحوال، وأمرناه[3] أن يشتد في **كف الفساد** والضرر كلَّ الاشتداد، ويأخذ في حسم أدوائه في الاعتداد بمقتضى الاجتهاد، وأكدنا عليه في **اقتضاء كل حق يجب للمخزن** ـــ ثمّره الله ـــ واستيفائه، وأن يُلزم كل مَن عليه مِن واجب من المجبى بتعجيل أدائه، **وجعلنا معه في التعاون على أشغال المخزن أبا فلان ليعتضد** نظره في الأعمال بنظره[4]، ويحسّن منها التوافق والترافق في أقل الشغل المخزني وأكثره.

فإذا وافاكم واليكم المذكور فتلَقَّوه بالامتثال والائتمار في كل ما يُلقيه، وتعاونوا معه على كل ما يوجبه النظر الأسدُّ ويقتضيه، وانقادُوا إليه في كل ما ينفذه من مصالحكم ويُمضيه، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يُسعدكم بتقديمه، ويتعهدكم بجزيل فضله وجسيمه، بمنه..

---

(1) في الأصل : ومجابها.

(2) في الأصل : والانداء.

(3) في الأصل : وأمرنا.

(4) هذه إحدى الحالات التي ينص فيها على مراقبة الجهاز المالي من طرف مسؤولين كبيرين معا، وستأتي حالات أخرى.

[التقديم السادس عشر] :

تقديم عامل آخر

ي/29 ..... أكرمهم الله بتقواه، وكلأهم، وجمع على ما يُحظيهم بنُعماه ويؤويهم إلى حمى / رحماه ملأهم ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم أتمّ الأحوال انتظاما واتّساقاً، ومدّ عليكم للعدل والإحسان ظلا ورواقاً ؛ وأن تعلموا أنا لا نغبّكم بنظر جميل، ولا نَعدِل في حسن الاختيار لكم على أجلى سبيل، ولا نعتمد في جوانبكم إلا ما نعتمده لكل من استحفظنا الله من عباده من توفية تأمين وتبليغ تأميل ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا فلانا ــ **وصل الله كرامته** وأدام بتوفيقه وتسديده إعانته ــ للاستبداد بأمورِكم[1] **المصلحية وأعمالكم المخزنية، والتولي للشغلَيْن في بلادكم** بأتم الجد في العمل والصدق في النية، وهو من أشياخ الموحدين بالمنصب الشهير لشفوفه، وله من المكان الأثير فيهم ما لا يُدفع معلومه ولا يُنكَر معروفه، وقد خَبرْنا من اعتداله في كل أحواله، وتحققنا من اضطلاعه واستقلاله، ما يَنِيفّ به على نظرائه وأمثاله، ووصّيناه بتقوى الله تعالى في كل ما يتولاه وينظر فيه، ومراقبة أمره ونهيه في كل ما يذره ويأتيه، وأمرناه أن يستوفي الحقوق الواجبة في الأموال، ويوفي الاجتهاد في الاستخراج لها والجباية على الكمال، ويتعهد مع ذلكم المصالح التي تستقيم عليها هنالكم جميع الأحوال، **ويقطع بالاشتداد موادّ الفساد** ويحسم دواعي الاختلال، وأكدنا عليه في أن يكون العدل قوام محاولاته كلها ومناولاته، وملاك أمره في جميع أنحائه وأوقاته، وأن يرفع **المحدثات** التي هي بحكم الشرع مرفوعة، ويضع المظالم التي هي على الخلق موضوعة، وأن لا يُبْقِيَ إلاّ ما أوجب الحق إبقاءه[2] وإقراره، ولا ينتحِيَ من السِّيَر إلا ما يكون الرفقُ شعارَه، وما يُحَسِّن العدلُ فيه آثارَه ؛ هذا أمرُنا الجزم له ولكل من نستعمله، وقصدُنا الذي لا نُهمله بحال ولا نُغفله.

فإذل وافاكم فائتمروا[3] له في مصالحكم أحسن ائتمار، وتعاوَنوا معه على ما يواليه من إيراد[4] فيها وإصدار[4]، وأدُّوا الحقوق إليه أداء استباق للواجب وابتدار، وكونوا على يقين من أنكم تتعرّفون يُمنَ الله وهو سبحانه يجريكم من أحوالكم على الأحسن من معتادها فالأحسن، ولا نعدل بكم في التظافر من المصالح،/ والتواصي بالعمل الصالح، على السَّنَن الأبين، إن شاء الله تعالى.... ي/30

---

(1) في الأصل : أمورِكم.

(2) في الأصل : ابقاؤه.

(3) في الأصل : وائمتروا.

(4) في الأصل : (إيراده فيها واصداره)، وهذا لا يستقيم مع السجع السابق واللاحق، فلعل الأصح ما أثبتناه.

[التقديم السابع عشر] :

وفي تقديم عامل وناظر في المجبى[1] بسجلماسة وما إليها

إلى الأشياخ والأعيان والكافة من أهل سجلماسة وأعمالها وقبائلها وسائر من يرجع إليها، أدام الله كرامتهم بتقواه، وأنام عيونهم قريرة في قرار الأمن ومثواه، وإنا كتبناه كتب الله تعالى لكم إقبالاً على الشأن الذي يصلح أعمالكم وينجح آمالكم، واستقبالاً على الخير الذي يسدد أحوالكم ويمهّد حِلالكم، والمحافظة من وظائف دينكم علي ما يُزلفكم لديه، وأن تعلموا أنّ أهمّ ما نُجيل فيه الخاطر ونُعمِله، وآكدَ ما نواليه من النظر ونصِلُه، هو ما يعود على البلاد وأهلها بالحماية، ويفي لها من إقامة المصالح بالكفاية، ونوفيها[2] قسط التهمم بشؤونها والعناية ؛ وإذا اشتركت الأقطار لدينا في هذا المذهب، وكنا لا نعدل في التولي لمهامّها وتوالي التعهد لخاصّها وعامّها عن هذا المَهْيَع الأنجب، فلبلادِكُم منّا مزيدُ تعهّدٍ وتفقد في كل الأناء، ولنا في تمهيد أرجائها وتأمين دهمائها قصدٌ لا ينثني عنها بحال عنان الاعتناء ؛ وبموجب هذا القصد الذي في جوانبكم اعتمدناه، وبمقتضى إيثاركم بأحسن ما للرعايا نَتَولاه[3]، ألقينا الآن بأزمّة أموركم في ما يعود بالصلاح على خاصتكم وجمهوركم بمن وثقنا بغَنائه واكتفائه، واستنمنا[4] إلى سداد مقاصده وأنحائه، ووقف منا عليه الاختيار بمنصبه الذي بزّ[5] فيه كافة نظرائه، ذلكم فلان، **وصل الله أثرته ومبرّته**، ووالى حظوته ومكانته، **وهو السابق بذاته وسلفه في أشياخ هذا الأمر** العلي، والمتميز في **حزب التوحيد** بالمحلّ السَّنّي والمكان الحظِي، والذي لم يزل في خدمتنا سالكا على السَّنن السوي الجلي[6]، وقد تلقّى وصايانا له بتقوى الله في كل متصرفاته أجمل تلقٍّ، ووادَعنا على أن لا يثنيَ فيكم عن عدل ورفق، وأن يُمشي مصالحكم

(1) انظر الجانب الاقتصادي في الفصل الخامس، وخصوصيات التقاديم في الموضوع الأول من الفصل الرابع.

(2) كذا في الأصل، والأنسب : ويوفيها.

(3) في الأصل : بتولاه.

(4) في الأصل : واستنهنا.

(5) في الأصل : بــدَّ.

(6) هل المقدّم هنا هو الشيخ أبو محمد بن وانودين والي درعة سابقا ؟ حيث كلفه الرشيد بولاية سجلماسة واخماد تمرّدها (632 — 634) (البيان ص 331)، وان كانت المدينة ستعرف تمردا آخر في مطلع عهد السعيد مع فتن عرب المعقل وآيت يبغز في المسالك نحو درعة ويفرض هذا التمرد حضور الخليفة بنفسه لانهائه (البيان 362 — 366، الذخيرة 68)، ثم تمرد آخر على يد محمد القطراني متحالفا مع اعراب المعقل سنة 655 — 656، حيث يتكلف باخماد التمرد ابن زجو الجنفيسي (القرطاس 296).

ي/31 كلها على ما للحق والشرع من وُفق، وأمرناه / أن يمهّدَ بلادكم بما يعمله من عزم يحسم عنها الأدواء، ويُظهرَ من اشتدادٍ يمحق البغي والاعتداء، ويَرهبُ به كل مَن جانَبَ الاعتدال والاستواء، حتى يرتدعَ عن الفساد مَن اعتاده، ويتّدعَ في كنف الأمان مَن لزمَ استقامته وسداده، ومن لجَّ في ارتكاب هواه، وأطاع شيطانه في ما إليه استهواه، وتمادى في الإصرار على قبيح الآثار تمادِيَ من أضلّه وأشقاه، فالسيف منه مُريح، والشرع لسفك دمه مُبيح، **وبالشدة على أهل الشر** تصلح أحوال الرعية وتحسن، وبكفِّ العادية عنها تأمن وتسكن، بحول الله تعالى ؛ وجعلنا له أن ينظر في **أشغال المجبي** ــ ثمَّره الله ــ مع مَن يتعين لها نظراً ضابطاًلقليله وكثيره، عائدا بتوفيره وتثميره، وأن لا يقع دونه انفراد فيه (بتنفيذ)[7] أمر أو توقيفه، ولا يخرج عنه شيء إلا بعد مطالعته وتعريفه، والاذن منه في اخراجه بمقتضى المصلحة وتصريفه.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانقادوا إليه كل الانقياد، وتعاوَنوا معه على ما يتولاه في مصالح بلادكم ومنافعها من الإصدار والإيراد، ويديمه من الذّبّ عنها لأهل الفساد والعناد، والحماية لها من كل باغٍ وعادٍ، والتأمين لكل رائح عليها من أهلها وغادٍ، واقدُروا قدر إيثارنا لكم منه بمن لا يعدِل فيكم عن سديد قضاءٍ وجميلِ مُرادٍ، ولا تزال[8] محاولاته كلها فيكم واقعة منا موقع استحسان وإحماد، إن شاء الله تعالى...

---

(7) في الأصل : بتنفير.

(8) في الأصل : ولايزال.

[التقديم الثامن عشر] :

ومن تقديم عامل آخر مشرّكا مع غيره

..... أدام الله تعالى كلاءتهم وكرامتهم بتقواه، وأنام عيونهم قريرة في كنف لطفه ورحمى رحماه ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يصحبها السداد والصلاح، واستقبالا من فضله لأحسن ما ييسّر ويتاح، والمحافظة من وظائف دينكم على ما يزلفكم لديه، وأن تعلموا أن مصالح بلادكم مقدّمة في النظر والاعتناء على سواها، وأنكم معتمدون منا في كل أحيانكم بأتم الحياطة / وأوفاها، وإنا نختار لكم من الولاة من تصلح به أموركم حين يتولاها، وبمقتضى ذلكم واعتباره، وإرادة الخير التام لكم وإيثاره، قدّمنا الآن لذلكم أبا فلان — وصل الله إنجاده وإعانته، وأدام كرامته ومكانته — وهو المعلوم مكانه في **المشتغلين** بين يدينا، والناشئين في أنبه[1] الخِدَم لدينا، والمتميزين بمشكور الاضطلاع والغناء، والموصوفين بالوقوف مع الدين في كل المحاولات[2] والأنحاء، ولذلكم أسندنا إليه القيام بمصالح تلكم البلاد ومهماتها، والانتهاض في **حماية نواحيها** وجهاتها، والنظر في **أعمالها المخزنية ومرتفعاتها**، وتولّي ذلك كله بالاحتياط على كلّياتها وجزئيّاتها ؛ ووصيناه بتقوى الله تعالى في سرّه وعَلَنِه، والتزين منها بأجمل نعت وأحسنه، والجري في كل أحواله على سبيل الحق وسَنَنِه، وأمرناه أن يشتد في **محق الفساد والمفسدين**، وأن يوالي التمهيد للبلاد هنالكم والتأمين، وأكدنا عليه في اقتضاء كل حق يجب **للمخزن** — ثمّره الله تعالى — واستيفائه، وأخذ كلّ مَن ترتب عليه بتوفية أدائه، **وجعلنا معه في التعاون على أشغال المخزن أبا فلان** ليعتضد نظره في الأعمال بنظره، ويحسن منهما[3] التوافق والترافق في أقل الشغل المخزني وأكثره.

ي/32

فإذا وافاكم واليكم المذكور فتلقّوه بالانقياد والائتمار، ووفُّوه ما أُسند إليه مشكور التّسرّع والابتدار، واجْروا في الكوْن معه يدا واحدة تعاونا ومساعدة على أتم الاختيار، واشكروا الله عز وجل على ما يسّر إليه في مصالحكم من سديد الإيراد والإصدار، واحرِصُوا على أن تتميزوا في كل الأحوال بأحمد الأعمال وأجمل الآثار، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يسعدكم بالتزام البر والتقوى، ويُعْلق إيمانكم في طاعته بالسّبب الأمتن الأقوى، بمنه....

---

(1) في الأصل : أنبة.

(2) في الأصل : التحاولات.

(3) في الأصل : منها.

[التقديم التاسع عشر] :

وفي معنى ذلك

ي/33 ..... كتب الله لكم صلاحا (.......كم)[1] ويلزمها، ونجاحا يكمل آمالكم (........)[2] / وأن تعلموا أن جميل النظر مما نتعهد[3] به أرجاءكم في كل الأحيان، ونجريكم به على جادة العدل والإحسان، ونوالي منه ما لا تعدمون معه بحول الله تعالى اكتناف العافية والأمان ؛ وبمقتضى اعتنائنا بكم في ذلكم، وإيثارنا تمشّي السِّيَر الحسنة هنالكم، نختار لكم من يتولى أموركم، ويحوط خاصتكم وجمهوركم، ويكفّ عنكم بما يعمله من الإنهاض محذورَكم، والله تعالى يعرّفكم يُمنَ نظرنا لكم، ويصل في ما يرضاه أقوالكم وأعمالكم، بمنّه.

وإنّا قدّمنا لتولّي مصالحكم ومهمّاتكم، والحياطةِ التامة لأكنافكم، والأخذِ بكم على سَنَن السداد في كل أوقاتكم، أبا فلان، وهو مشكور في التصرفات والخِدَم، **معروف في حزب التوحيد** برسوخ القَدم، ملحوظ الأثَرة في أولياء هذا الأمر العليّ والذِّمَم، قد خُبِر منه حُسنُ التناول في ما يُسنَد إليه، وعُرِف بالغَناء والاكتفاء في ما يُقصَر من المحاولات عليه، **وجعلنا له النظر مع مشتغِل فلانة في الأشغال** التي نِيطت به هنالكم، وأن لا يَقطع المذكور أمرا دونه في ذلكم، بعد أن وصّيناه بتقوى الله تعالى في كل أمره، والمراقبةِ له في سرّه وجهره، وأن يجتهد في إقامة المصالح، وإدامة الحماية للدّاني من نواحيكم والنازح، وأمرناه أمراً جزْماً أن يعمل أتمّ الاشتداد في **قمع أهل الشر والفساد**، والحسم لأدوائهم التي عَدَلت بهم عن طُرق السَّداد، وأن يشْرُدَهم[4] بعد عقاب من يستحق ذلك منهم عن **ذلكم المكان الذي (هو)[5] موطن لأهل الدين والصلاح**[6]، ويأخذ على أيديهم أخذاً يقضي بصدّهم عن أعمالهم القباح، ويُفضي بهم إن لم يستقيموا إلى النأي عن ذلكم القطر والانتزاح، حتى يُنقّى بالكلية من أضرارهم، وتُحمى منه سيئات آثارهم ؛ (فلْيُشَمِّرْ)[7] عن ساعد الجدّ في ما أمرناه كل التشمير، ولْيَسِرْ في ما يتولاه على السَّنَن المتضح المستنير، ولْيُوَفِّ ما به وصّيناه في

---

(1) كشط قدر كلمتين.

(2) كشط قدر كلمة.

(3) في الأصل : تتعهد.

(4) كذا في الأصل بهذا الشكل.

(5) كلمة ناقصة في الأصل، يفرض السياق وجودها.

(6) مثل هذه الإشارة نادرة بل منعدمة في بقية التقاديم، فهل الموطن هو فاس حسب مدح المراكشي لها ؟ (المعجب 357 — 358).

(7) في الأصل : فليشمروا.

القليل من تناولاته والكثير، وأكّدنا عليه أن يأخذ في ما جعل (له)[8] اشتراك النظر فيه بالضبط الذي لا يلحق معه إمهال، والتعاون مع متولّيه (الذي شرّك)[8] معه بألا (يكون رسمه)[9] لشيء من مرتفعاته (..........)[10] بمعونة الله / تعالى ؛ فانقادوا إليه أحسن انقياد، وائتمِروا لما يَحملكم عليه من صواب وسَداد، وكونوا معه يدا واحدة في ما يتولاه لمصالحكم من إصدار وإيراد ان شاء الله تعالى، وهو سبحانه يجمع على التقوى دواعيكم، ويجعل في ما يحب ويرضى (........)[11] بمنه....

ي/34

(8) غير واضحة القراءة.

(9) بعض الحروف غير واضحة.

(10) قدر ثلاث كلمات مأروضة.

(11) قدر كلمتين مطموستين.

[التقديم العشرون] :

وفي تقديم آخر

.... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأفاض عليهم ظلال نعماه ورحماه، كتبكم الله من الذين سبقت بتوفيقهم وارشادهم إرادتُه، وتضاعفت لديهم مننُه النافعة وإفادتُه، وأنالكم من خيراته الجزيلة وألطافه الجميلة ما لا يغبّكم نماؤه، ولا تنقطع عنكم زيادته ؛ وأن تعلموا أنّا معنيّون بالأخصّ من أموركم والأعمّ، ومقدِّمون من مصالحكم للأهمّ فالأهمّ، ومستقبِلون لكم في كل الأحيان من جميل النظر بالأوفى الأتمّ ؛ ذلكم لما نريده لبلدكم ولكافتكم من اطّراد صلاح الأحوال، ونوثره من إجرائكم جميعا على سَنَن الرفق والاعتدال، ونؤكد الوصية فيه على **مشتغليكم وعُمّالكم** من تمشية مهماتكم وحياطة جهاتكم على الكمال، والله تعالى يوجدكم أفضل ما ننويه لكم من أمنة ودعة، ويعين على ما نعتمد توفيته لأرجائكم من مصلحة ومنفعة، بمنّه.

وإلى هذا ــ أكرمكم الله بالتقوى، وأعلق إيمانكم من هداه بالسبب الأقوى ــ فإنه تقدّم **إقرارُنا هنالكم لفلان برسم النيابة**[1]، واختيار ما لديه من التناولات من السّداد والإصابة، **وقرنّا به في ذلكم كله فلانا لمكانه المكين في طائفة التوحيد**[2]، واقتفائه لسَنَن سَلَفِه القويم السَّديد، فاستمرّ اختيارنا لما صدر عنهما معا من المحاولات القويمة والإدارات المستقيمة استمرارا وضع معه استقلالهما بتلكم الأشغال، وغَناؤهما في ما تولّياه من تمهيد النواحي وتسديد الأحوال، فرأينا بذلكم بعد استخارة الله تعالى أن يَمضي **تقديمُهما على الاطلاق** في كل ما تقدَّم إسناده إليهما من إقامة المهمات والمصالح، ونفصح-بما جعلناه لهما من الاستبداد في حياطة الدّاني من تلكم البلاد والنازح، وحماية الغادي من أهلها / والرائح[3]، على أن يجتمعا لذلكم ولا يفترقا، ويأتلِفا على العمل بما تقتضيه المصالح هنالكم ويتّفقا، ويُديما من الخدمة والنصيحة ما يكون به نظام الأمور لديكم متّسقا ؛ وأنهينا هذا إليهما وإليكم ليعلما أنهما بحفظ أحوازكم وحمايتها مطلوبان، وإلى بلوغ الغاية في حراستها ورعايتها مندوبان ؛ وقد أمرناهما بالرؤوف على الجد والاجتهاد، والوفاء في تأمين الأرجاء وتسكين الدهماء بأقصى المقصود والمراد، والاعتناء التام بكل ما يعود على أحوالكم بالصلاح والسّداد، ووصيناهما باستشعار تقوى

ي/35

---

(1) مصطلح وحيد في مجموع هذه التقاديم وإن تكرر بصيغة المضارع في ص 40 من المخطوط : «ينوب في ضبط أشغالكم».

(2) هل هذا الأخير هو المشرف على أعمال النائب مادام الأول مكانتُه في حزب التوحيد ؟

(3) الواضح هنا أن الموضوع هو إقرار الموظفيْن في مهامّهما، على أن دوافع هذا الإقرار غامضة، هل لأن السلطة انتقلت إلى خليفة جديد، أم أن الدافع هو عودة السيادة الموحدية إلى البلدة بعد تمرد بها أو غارة عليها مادام السور يتطلب بناء ما يحتاج فيه إلى البناء، وهل البلدة هي سجلماسة التي كثيرا ما كانت تتعرض لتمرد أو غارات القبائل حولها ؟ انظر أيضا الهامش 6 على التقديم رقم 17.

الله في الإصدار والإيراد، وأن يصِلا في النظر المصلح والعمل البيّن نجاحه المتضح التأويب بالإسناد، وأكدنا عليهما في بناء ما يُحتاج إلى بنائه في **سور بلدكم المحيط بنخله**[4]، الحامي من تطرّف المضرة لأهله، وأن يتوليا النّظر في تتميم ذلك بالتحصين والتسديد، بأتمّ ما لديهما من الجد الدائم والعزم الشديد، وأن يعكفا عليه ليكمل بمعونة الله تعالى في الأمد[5] القريب، وينحسم علل الخِلل بالتشييد له والتأشيب، وأنهي من أمرنا الجَزم في ذلك للعامل[6] ـــ أنجده الله ـــ ما يبادر بحول الله لأعماله، ويَعمل من فوره ما يجب من امتثاله.

فتعاوَنوا مع مشتغليكم في هذا وسواه التعاونَ الذي ينجذب[7] إليكم نفعه، وكونوا معهم يدا واحدة على كل ما يَجمُل في المصالح صنعه، ويحسُن من المسامع وقعُه، وأقبلوا في أمن وهدوٌ في أشغال معاشكم ومَعادكم، ووَفُوا لِولاتكم مما تُشكَرون عليه من ائتماركم وانقيادكم، وكونوا على يقين من أن كفالتنا لكم بمنّ الله تعالى تُبوّئكم مِهادَ العدل والإحسان، وتُخوّلكم[8] أقسام الخيرات الحِسان، نَمدُّ عليكم ظلا ظليلا للعافية والأمان، هذه نيّتنا التي يبرز العمل بحول الله وقوته في مقتضاها، وإرادتنا التي أوجبها حنانُنا عليكم واقتضاها، ونسأل الله عز وجل أن ييسرنا لتوفية ما في النفس من ذلكم، وأن يمدّنا بتأييده وإنجاده على ما تتعرّفون به الصلاح في حالكم واستقبالكم، وأن يجعل لنا من لدنه وليّاً ونصيرا على حسن اكتنافكم بالعدل واكتفالكم، بحسن الله ومعونته ومشيئته،/ فهو القادر على ذلكم، لا رب سواه، وهو سبحانه يبسط باتصال العافية آمالكم، ويجعل ما يقربكم إليه أقوالكم وأعمالكم..... ي/36

(4) يذكر الإدريسي أن درعة «ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير، وانما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة» (بيريس ص 38)، أما سجلماسة فكان المدراريون بنوا عليها سورا على نخلها ومَزارعها سنة 199 (الاعلام لابن الخطيب ص 141 تحقيق العبادي وغيره).

(5) في الأصل : الأمر.

(6) فهو إذن المسؤول الأعلى.

(7) في الأصل : ينجدب.

(8) في الأصل : ونخولكم.

[التقديم الواحد والعشرون] :

وفي تقديم قائد عسكر(1)

..... كتب الله لكم تضافرا على المصالح واجتماعا، وتسارُعاً إلى ما يوليكم بالاتّفاق والائتلاف احتماءا من الأعداء وامتناعا، وأن تعلموا أنا نتعهد مصالح بلادكم الآونة، ونعتني بما يحسن منها الظاهرة والباطنة، ونتصدى بأقصى النظر لما يقوّي أحوالها الواهية(2)، وبمقتضى ذلكم نختار لها الأنجد والأمجد من خدمائنا، ونعطيها الأوكد فالأوكد من اعتنائنا ؛ والآن قدمنا **لأشغالها كلها ومجابيها**، والاستبداد بالنظر في جميع نواحيها وما ينضم إليها من أقاصيها وأدانيها، فلانا، وهو المعروف في **حزب التوحيد** منصبا ونسبة، والمتقدّم في الأولياء والظهراء مكانا ورتبة، ونحن نشكر له غَناء حميدا قدّمه في كثير من المواقف، ورأيا سديدا أعمله في المحاولات إعمال المجرِّب العارف، ولذلكم اخترناه **لقَوْد العساكر، وطلب العدوّ الغادر**(3)، وقلّدناه البلاد هنالكم ليؤمِّن خائفَها، ويدفع عنها مخاوفَها، ويسدّ ثغورَها ويسكِّن مذعورَها، ويحسم بالسيف أدواءَها، ويستأصل مردَتها وأعداءَها، ويعيدها بحول الله وقوته إلى أمنَتِها وهدونها، ويكون بمشيئة الله تعالى وتيسيره حجاباً من دونها ؛ كل ذلك بما يتيحه الله تعالى من إعزاز دعوة الحق وابتزاز فرقة الباطل، وينجز فيه وعده من انتقامه بكفرة أمره الهادي إلى أقوم الشواكل.

فإذا وافاكم كتابنا هذا فكونوا مع **واليكم** المكرَّم في المصالح كلها كاليد الواحدة، وسيروا في الخدمة معه والمناصحة له على السبيل المتوافقة المتواردة، وثِقوا بنصر يمحق المفسدين ويدمّر المعتدين، ويكون مع طائفة الحق وأنصاره على **المشاقّين الملحدين**(3) بحول / الله تعالى، ونظرُنا مع ذلكم متتابع مع الأناء، وإمدادُنا للبلاد مُوافٍ لها غاية الاعتناء، فاعلَموا ذلكم.....

(1) راجع الصنف الرابع من خصوصيات التقاديم بالفصل الرابع.

(2) كذا في الأصل، وقد تكون (الواهنة) لتتناسب مع السجع والمدلول.

(3) هل المقصود من هذا العدو المرينيون ؟ وعلى مَ كان ضغطهم، على إحدى القبائل، أم سلا أم سجلماسة... ؟

[التقديم الثاني والعشرون] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله لكم تعرّفاً لصلاح الأحوال وسدادها، وتَبَوُّؤاً من ظلال العافية أجمل معهودها ومعتادها، وأن تعلموا أن لنا بالبلاد عناية نستمدّ لها عون الله تعالى في كل الأحيان، ونستنجد منها ما نبذل فيه غاية الإمكان، ونتصدى لحمايتها وحياطتها من أهل البغي والعدوان، ونختار لها من أولي النجدة والكفاية من يذِبّ بالصارم ضرباً وطعناً بالسنان، ويَسوق رعاياها أسلس سَوْق إلى ما عهدوا لدى هذا الأمر العلي من الهدوّ والأمان ؛ وبمقتضى هذا قدّمنا فلاناً **وصل الله إعانته وإنجاده**، وحسّن في المحاولات إصدارَه وإيرادَه، وهو الذي بان في الخِدم المهمّات غَناؤه، واشتمَلت على مشكور الأفعال أنحاؤُه، فألقينا إليه بأزمّة **تلكم**[1] **البلاد القبلية**[2]، وصرفنا إليه **أشغالها ومجابيها ومصالحها** ومهماتها بالكلية، وأمددنا(ه)[3] من نظرنا الذي يتعهده مع الأناء ما يحمله بحول الله تعالى على الجادة الواضحة الجلية، ووصيناه في كل ذلك بتقوى الله تعالى وهي نِعمَ الوصية، وأمرناه أن **يستأنف أهل تلكم البلاد على هذه الطاعة**[4] التي سَعِد بها أهل الإيمان، وكانت بحكم الكتاب والسنة فرضا على الأعيان.

فإذا وافاكم واليكم المكرّم فاعلموا أنّا تخيّرناه لكم ليقيم **مصالحَكُم على الاطلاق**، ويأخذكم بالابتدار إلينا والاستباق، فكونوا يدا واحدة على ما **يذود عن البلاد أهلَ البغي والنفاق**، ويُضفي عليها ظل الائتلاف والاتفاق، ويمكّن لها أسباب التمسك والاعتلاق، وقد أصحبناه من **الجيش** الوافر ما يطأ به تلكم البلاد، ويستأصل بحول الله أهل الشر والفساد، ومن وراء ذلكم نظرُنا / الذي نُمِدّ به تلكم الأرجاء بما يؤمِّنها ويُسكّنُها، ويتعهدها من الصلاح بما تبتهج به (نفوس)[5] أهلها وتَقِرُّ أعْينها ؛ فتلقّوا الخير بتلقّيكم لواليكم، واخدُموا معه في ما تأمن به جميع نواحيكم، وصنعُ الله تعالى كفيل بما يؤيد أمره ويُظهر أولياءه، والنصر مستمَدّ منه سبحانه بما يُعلي كلمته ويُضاعف اعتلاءه، فكونوا على يقين من ذلكم، واسلُكوا المنهج الأقوم بأقوالكم وأعمالكم، إن شاء الله تعالى....

ي/38

---

(1) في الأصل الكلمة مكررة هكذا : (تلك تلكم).

(2) هل هي درعة أم سجلماسة ؟

(3) الهاء ناقصة في الأصل، أضيفت لتناسب السياق، لاحظ مثلا الجملة اللاحقة (ووصّيناه... وأمرناه...).

(4) هذا ما يرجح أن تكون سجلماسة بعد اخماد إحدى تمّرداتها زمن الرشيد أو السعيد أو المرتضى، راجع الهامش 6 على التقديم 17.

(5) كلمة مأروضة الوسط.

[التقديم الثالث والعشرون] :

تقديم آخر

..... كتب الله تعالى لكم هِمماً تُنهضكم إلى سنيّ الأعمال، وقَدَماً ترسخ بكم في حميد الخلال، وأن تعلموا أن أولَى ما استبق إليه السعداء، وتحقَّق به إلى النجاة الاهتداء، طاعةُ **هذا الأمر** الذي سلف عليه الآباء والأبناء، **وقام به على كل منبر من منابر الإسلام الدعاءُ والخطباء**[1]، وقد اتصل من خدمتكم لأوليائه وملازمتكم لهم واجتهادكم في العمل ما شكرناه من أفعالكم واستحسناه، وارتضيناه من خِدَمكم واستجدناه ؛ فثابِروا على ذلكم تنالوا إحسان هذا الأمر جزيلا، وتتلقَّوْا اعتناءه بكم جميلا ؛ وقد اقتضى نظرُنا تقديمَ فلان ــ **وصل الله عزته** وإنجاده ــ على البلاد كلها **وإقامة شغلها ومصالحها**، وتولّي دواني جهاتها ونوازِحها، وإعمال الغَناء في تأمين غاديها ورائحها.

فكونوا معه ومع كافة مَن لديه من **العساكر** يداً واحدة في **دفاع أهل البغي** والعِناد، واستئصال أولي الشر والفساد، وليبلغ عنكم من الجد والاجتهاد والنصح في ذلكم ما يحظيكم من إحساننا بالمزيد، ونتعهدكم منه بالجديد، جزاء لعملكم (السديد)[2]، وقصدكم الحميد، إن شاء الله ....

---

(1) في هذا مبالغة طبعا حيث لم يتجاوز نفوذ الموحدين في أقصى اتساعه الغرب الإسلامي.

(2) مطموسة بالكشط والأرضة.

[التقديم الرابع والعشرون] :

ومن تقديم آخر

..... كتب الله لكم تَعرُّفاً لمراد الأحوال وصلاحها، وتصرّفاً في ما يحظيكم بتسنّي الآمال ونجاحِها ؛ وأن تعلموا أن تلكم المدينة (.........)[1] / يجب لها من الاعتناء، ومقدّمة في تمشية مصالحها على سائر الأقطار والأرجاء، ذلكم **لاشتمالها على الأجداث الطاهرة**[2]، وامتيازها من الاحتواء على مقارّ الهداية والخلافة بالمفاخر المكاثرة، وصل الله تعالى (لها)[3] الاحترام، وأعزَّ بنصرٍ من حلها قبل الإسلام ؛ وإلى هذا فإنّا قدّمنا هنالكم أبا فلان تقديما يتولّى به **النظر في المصالح**، والجريَ في إقامتها على السَّنَن الواضح، وله المزية التي تعرفونها في **حزب التوحيد**، والمكانةُ في أُولي السّعي المشكور والقصدِ السديد، وقد تلقّى من وصايانا له بتقوى الله تعالى في كل أمره، ومراقبته في سرِّه وجهره، ما هو ان شاء الله عز وجل له عامل، ولاقتفاء سَنَنِه في كل أحواله مُواصِل[4].

ي/39

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فكونوا يدا واحدة مَعه، وأعينوه على ما يسلك به سبيل الحق ومهيعه، واجْرُوا على **المعهود من المساعي الحسنة** في كل شؤونكم، وانشروا بإبهاج نفوسكم بما تتعرفون من الخير وإقرار عيونكم، إن شاء الله تعالى....

---

(1) قدر كلمتين مطموستين بالكشط والأرضة.

(2) هذه العبارة ترجح أن تكون المدينة هي تينملل.

(3) في الأصل : لنا.

(4) الملاحظ هنا غياب ذكر الأشغال المخزنية أو المجابي كما هي العادة في التقاديم الأُخرى وهذا ما يبين التمييز بين القبائل والجهات في النظام الجبائيّ، انظر الفقرة الأخيرة من الفصل الرابع.

[التقديم الخامس والعشرون] :

وفي المعنى من ذلك

..... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأنالهم أوفر حظٍّ من نُعماه ورُحماه ؛ وإنا كتبناه كتب الله تعالى لكم نظرا لأحوالكم مُصلِحاً، ولآمالكم مُنجِحاً، وبوَّأكم للعافية (المتحصّلة) والأمانة المشتملة كَنَفاً منفسحا ؛ وأن تعلموا أن اعتناءنا بكم وببلادكم يقتضي أن يكون تعهّدنا لها مع الأحيان متتابعا، ونظرُنا للمحاولات المصلحية ضابطا جامعا، وتدبيرُنا لكل ما فيه جلب الخيرات ودفع المضرات عنها مهادرا مسارعا، حتى لا تتأخر مصلحة عائدة بالمصلحة عن أنآها، ولا يشذّ عن الحماية والحياطة أقصى جهة من جهاتكم ولا أدناها، وبهذا الاعتبار الذي نسأل الله تعالى التوفيق فيه للسداد (......)[1] تمنحه تسديده الذي يصحب في الإصدار والإيراد، فقدّمنا الآن أبا فلان / للنظر في 40/ي أمور.كم **المصلحية والضبط لأشغالكم المخزنية**، والدفع عن بلادكم لأهل **الضرر والإذاية**، وهو المشكور الغناء، المشهور[2] الاضطلاع والاكتفاء، الموصوف في ما يتولاه من الخِدَم بسَداد الأنحاء ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى التي هي وصية الله عز وجل لعباده، وأكدنا عليه منها في ما هو أفضل زادٍ لمعاده، وأمرناه أن يصرف لإقامة مصالحكم كلها وجهَ جِدّه واجتهاده، وأن يتلقى كل من تصدى للشر والفساد بأشد اشتداده، وأن يبثّ الأمان في كل ناحية بما يعمله لها من تعهده وافتقاده، وأوْزعنا إليه أن **يقتضي المجابي عند تعيُّنها** ووجوبها، ويُجري الأشغال فيها على **قانونها وأسلوبها**[3]، وأن يعمل من الانتهاض في ذلك ما يجمع فيه بين اقتضاء الحق وملاحظة الرفق، والسلوك على أوضح الطرق.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاجتمعوا إليه في مصالحكم اجتماع الانقياد والائتمار، وكونوا معه يداً واحدة في ما يعود عليكم بالهدنة والقرار، واعلموا أنا توخّينا في تقديمه عليكم إجادة النظر لكم والاختيار، بحول الله تعالى، وهو سبحانه يمهّد جوانبكم، ويسدّد في التوافق على الطاعة مذاهبكم، بمنّه.....

---

(1) قدر كلمة مطموسة.

(2) الهاء غير واضحة في الكلمة.

(3) لم توضح التقاديم هذا الأسلوب أو القانون، راجع في الفصل الرابع ــ الفقرة الأخيرة ــ جانبا من السياسة الجبائية الموحدية.

[التقديم السادس والعشرون] :

تقديم آخر

..... وأن تعلَموا أنّا لا نُخْليكم من نظر يضبط أموركم، ويحمل على الجادة الواضحة جمهوركم، ويمشي مصالحكم على أقوم سبلها وأوضحها، ويأخذ في مهماتكم بأيمن المحاولات وأنجحها ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا فلانا ليتولى **النظر في أعمالكم، وينوب** أحمد منابٍ في ضبط أشغالكم، ويتوخّى العدل المسدَّدَ لأنحائكم المصلِحَ لأحوالكم، وقد خُبرَ منه غناءٌ[1] في الخِدَم التي استُعمل فيها وسَدادٌ[1] يُجري المصالحِ على ما يجب لها من النظر ويمشيها ؛ وقد وصيناه بتقوى الله تعالى التي هي أسُّ الأعمال الصالحة، والمأمور بالتزامها في الخاتمة والفاتحة، وأمرناه أن **يقتضي الحقوق عند وجوبها، ولا يعدل بالأشغال المخزنية عن صواب أسلوبها**[2]، وأن يشتد في كف المفسدين والفساد، ويوالي في تأمين جهاتكم مشكورَ الجدِّ والاجتهاد.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاجتمِعوا عليه، وارجعوا بأموركم عليه، وتعاونوا على الصبر والتقوى، وسيروا على الطريقة المثلى، وكونوا يداً واحدة في الأمر بالمعروف وإظهاره، ومحقِ المنكر وتعفية آثاره، فذلكم عائدٌ عليكم بالنفع في حالكم واستقبالكم، وجالبٌ إليكم الخيرَ في كل أحوالكم، بحول الله تعالى...

---

(1) في الأصل : غناءً .... وسداداً.

(2) قارن أيضا مع التقديم السابق (هل هي مجرد وصية، أم أنها دليل على الانحراف عن الأسلوب المعتاد فازدادت قسوة أساليب الجباية ؟).

[التقديم السابع والعشرون] :

تقديم آخر

..... وأن تعلَموا أنّا ننظر البلاد[1] وأهلها النظر الذي يعمهم بحول الله سداده، ونقدّم لتولّي مصالحها وتأمين غاديها ورائحها مَن بان جدُّه في الخدمة واجتهادُه، وحَسُنَ فيها إصدارُه وإيرادُه ؛ وبمقتضى ذلكم عيّنّا أبا فلان **ليضبط نواحيكم** ويحوطها، ويقوم بالحماية التامة لها ويوفي شروطها، ويتولى بالغناء والكفاية مجعولَ تلك المصالح به ومنوطَها، بعد أن تقرر من استقلاله ما أدّى إلى استعماله، وتبيَّنَ من اكتفائه ما حذا إلى استكفائه، وقد وُصّي بتقوى الله تعالى وهي العدة الوثيقة، وأُمِرَ من التزام النّصح والعدل ما تَحسُن عليه السِّيرة وتستقيم الطريقة، وأكّد عليه في أن **يَحسِم أدواء الشر والفساد**، وأن يعمل في قمع أولي الاعتداء والبغي كل الاشتداد، حتى ينسحب للأمان على تلكم الأرجاء ظلٌّ وارِف، ويرتدِع عادٍ ويأمَن خائف، وتجري الأمور كلها هنالكم على قوانين هذا الأمر العليّ من الضبط لانتشارها، وتسري سَواري العافية والأمانة في أنحاء تلكم الجهات وأغوارها، **وترتفع عن الطرق المسلوكة هنالكم ما عاق السيّارة** قبل تسيارها[2]، وترتدع الشرّار عمّا اعتادت من شرّها وأضرارها.

ي/42 فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانقادوا أحسنَ انقياد لما / يورده في مهماتكم ويُصْدره، وكونوا معه يداً واحدة في ما يعتمده من حماية جهاتكم ويوثره، وتعاضَدوا وتضافروا في كل ما يعود عليكم نفعه ويندفع عنكم ضرره، ومن وراء هذا نظرٌ منّا نواليه لكم ونَصِلُه، واعتناءٌ يتعهد أحوالكم أحسنُه وأجملُه، ولا يُهمِل شيئا من أموركم ولا يُغفله، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يمهد أوطانكم وأكنافكم، ويَعمُر بالعافية حالَكم واستينافَكم، بمنه....

---

(1) كذا في الأصل.

(2) لعل هذا يشير إلى أن الجهة المقدَّم عليها هي إحدى جهات أو مدن الجنوب الواقعة على مسلك تجاري هام خاصة درعة أو سجلماسة، حيث كثر عيث عرب المعقل وغيرهم بالمنطقة.

[التـقـديـم الثامن والعشـرون] :

تـقـديـم آخـر

..... أدام الله كرامتهم بتقواه، ويَسَّرهم[1] للتعاون على ما يرضاه ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم عافية تتبوأون أكنافها، وعارفة تستدِرُّون أخلافها، وأن تعلموا أنّا نتخولكم من جميل النظر ما يصلح أحوالكم ويمهّد حِلالكم، ويُجري مصالحَكم كلها على ما يوجب بفضل الله تعالى في كنف الدعة والأمان احتلالكم، قياماً بما لله عز وجل علينا في حياطة الرعايا وإماطة الشكايا وتأمين البلاد، وتمكين أسباب الصلاح والسداد، والله تعالى يُمدّنا في ذلكم بتأييده وتسديده، ويُنجدنا على ما نتولاه للمسلمين من جميل السعي وحميده ؛ وقد رأينا بعد استخارة الله تعالى واستمداد توفيقه، والاستنجاد به على سلوك سَنَن السَّداد وطريقه، أن نقدِّم **لضبط أشغالكم وربط أعمالكم** أبا فلان، **أدام الله كرامته**، ووصل إنجاده وإعانته[2]، وهو الذي شُكِرت تصرفاتُه كلها وتناولاتُه، ووُصفت بحسن الأثر مقاصدُه ومنتحياتُه، وجرت على وتيرة قويمة وسيرة رفيقة محاولاتُه ؛ لذلكم أمضينا النظر في تقديمه على ما لديكم من **المصالح والأعمال، وإفراده** من تلكم الأشغال، بما يبذل في القيام به بحول الله أتم الغناء والاستقلال، وقد أوصيناه من التزام تقوى الله تعالى بما هو أنفع عُدَّة للحال والمآل، وأن يسير فيكم على أوضح جوادّ الاستواء والاعتدال، وأمرناه أن يؤمّنكم بما يعمله في ردع **أهل الفساد** من الاشتداد، وأن يحميكم من أن تصل / إليكم **الأيدي المعتدية** بالاستطالة عليكم والامتداد، وأن يأخذ في كل ما فيه استقامتكم وصلاحكم بغاية الجد والاجتهاد، وأكدنا عليه في استيفاء **واجبات المجابي** واستخراجها، وإجرائكم من المعدلة على أوضح منهاجها، جامعا في ذلكم بين اقتضاء الحق وتمشية الرفق، وحددنا[3] له في **إزالة المحدثات ورفع المظالم**[4]، والوقوف مع ما للشرع الذي تعبّد الله تعالى به عبادَه من الحدود والمعالم، ما لانزال نحدُّه لكل من نستعمله، ونوصيه بالانتهاء إليه في ما يقوله ويفعله.

ي/43

فإذا وافاكم بمعونة الله سبحانه فائتمروا له أحسن ائتمار، وابتدروا للتعاون معه على مصالحكم أجمل ابتدار، ولا تتعدَّوْا سبيل الانقياد فيما هو عليكم بالخير عائد، ولكم بحسن الطاعة والامتثال شاهد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يضفي ظلال الأمن على أرجائكم، بالنجح واليمن لأملكم ورجائكم، بمنه....

(1) في الأصل : ويسّركم. والعادة تقتضي في مثل هذه الجملة من الصدر ــ وقبل عبارة «كتبناه كتب الله لكم» ــ أن يكون الخطاب بضمير الغائبين، قارن مثلا مع التقاديم السابقة : 5 و9 و14 و16 و17 و18 و20 و25 وتقاديم لاحقة، وعن بعض مميزات الكتابة انظر الفقرة الرابعة من المقدمة.

(2) لعل المولّى هو من شيوخ الموحدين أو من السّادة حسب الدعاء له وإفراده «بالأعمال»، راجع خصوصيات التقاديم في الفصل الرابع.

(3) في الأصل : وجددنا.

(4) هذا من جملة التقاديم التي وقع فيها التصريح بضرورة رفع المحدثات والمظالم، وقد سبقت نماذج منها وستأتي نماذج أخرى.

[التقديم التاسع والعشرون] :

وفي مخاطبة جمهورية في ذلك المعنى

..... وأن تعلموا أنّا نستقبل بلادكم بالنظر الذي يمهّد أكنافَها، ويجدّد لها أحسن ما عَهِدته من الهدوّ والهدون، والاطمئنان والسكون، والتعهد بما يحوطها ويحميها ويفي لها باجراء المصالح في كل الأمور والشؤون ؛ وبمقتضى ما لنا بكم من جميل العناية التي نستصحبها في جوانبكم، والرعاية التي نضفي ظلالها على شاهدكم وغائبكم، والحياطة التي لانزال ننوطها بكم، اخترنا لتولي **أشغالكم كلها**، والتقديم على **إجراء أعمالكم** على أقوم سُبُلها، والنظر (المطلوب)[1] في أكثر مصالحكم وأقلها، فلان[2] **وصل الله مبرّته**، ووالَى مكانته وحظوته[3]، وهو الذي بان جميل أثره في كل التصرفات، وتميّز من حميد الغَناء في التناولات بأحسن الصفات، وتناسبت ذاته وخِدَمُه ووسائله وذِمَمُه، في السوابق التي أوجبت **لسلفه في حزب التوحيد**[4] كريم المزيات، وأنه ليوافيكم منه مَن عرفتم إدارته التي حَسُنَت قبلُ فيكم[5]، وشكرتم (متـ......)[6] الحميد في ضبط نواحيكم،/ وألفتم سياسته المشكورة في **استخراج مجابيكم** ؛ وقد ألقينا له من الوصايا التي وصى الله بها عباده من التزام تقواه، وإيثار الحق واجتناب سواه، ما هو متلقّيه بالإسماع والإصغاء، وحددنا له أن يسير في تأمين البلاد، وكفّ أهل الشر والفساد أحسن سيرة، وأن يكون مَن يجري الأصلح قولاً وعملاً على البصيرة، ولا يغضي عن ذي جريرة، ولا يدفع لِحَنِّه عن معروف بمجاهرة في الفساد أو سريرة، حتى يكون الصلاح محبا للقلوب، ويسلك الجماهير في السداد والاستقامة على أقوم أسلوب، ويقتضي مع ذلك **الواجبات في الأموال** أوعب اقتضاء، ولا يؤخّر حقا من حقوق الله عن محلّ أداء، ويتولى ذلك من الرفق بما لا يُخلّ بمقصودِ استخراجٍ للجبايات واستيفاء.

ظ/44

فإذا وافاكم فلتُسَرُّوا بتخيّره لكم وتقديمه عليكم، ولْتكونوا من الطواعية على أتم ما يصل به لاستيعاب حقٍّ لديكم، ولْتنقادوا في كل أحوالكم أحسن انقياد لما يلقيه إليكم، ولْتكونوا يدا واحدة في الائتمار في ما لكم وعليكم، فذلكم بالخير عائد (على)[7] عامّتكم وجمهوركم، وسائقٌ لكل ما تحبّون من ابتهاج نفوسكم وانشراح صدوركم، ومؤكّد لما تصلُح[8] به جميع أموركم، إن شاء الله تعالى.....

(1) كلمة مأروضة جزئيا.

(2) كذا في الأصل، والصواب : فلاناً.

(3) انظر الهامش 2 على التقديم السابق.

(4) هذا ما يؤيد الملاحظة في الهامش السابق.

(5) لا يتضح هنا هل كانت ولايته السابقة متصلة بهذه الجديدة أم غير متصلة زمنيا، فعندما تكون متصلة يشار — عادة — إلى إقراره في هذه الولاية حسب بعض التقاديم..

(6) كلمة مأروضة.

(7) كلمة ناقصة في الأصل.

(8) في الأصل : نصلح.

[التقديم الثلاثون] :

مخاطبة أخرى في ذلك

إلى الأشياخ والفقهاء والوزراء والأعيان والحسباء، الأولياء الخلصاء الصرحاء، الأعلام المعروفين بسَداد المذاهب وشرف الأنحاء، والكافة المعتمدين بحفظ الجوانب وتمهيد الأرجاء، من أهل الجزيرة الخضراء[1] وجميع أنظارها، أدام الله صلاح أحوالهم ونجاح آمالهم، وعرّفهم انتظام أمورهم وأمنية حِلالهم، سلام.

أما بعد، فإنا نحمد الله الغالب وحده، ونشكره على فضله الذي لن نحصره ولن نعدّه، ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الذي بلغ وعيده ووعده، وعلى (آله) وصحبه الكرام الذين وَفُوا في إظهار دين الإسلام / قصده، ونرضى عن الامام العباسي أمير المومنين[2] الذي أحرز حسامَ ابن عمه رسول الله وقضيبه وبُردَه[3]، فإنا كتبناه ـــ كتب الله لكم اطّراد الصنع الجميل، وسلك بكم في تعرف اليمن والمنّ على واضح السبيل ـــ من فلانة[4]، ونحن نغلب بالله تعالى أعداء دينه، ونستمد من عونه وإنجاده ما يوفي أكمل عوائد تأييده وتمكينه، ونسأله أن يُعلقنا في إقامة أمره[5] وإظهار حقه بقويّ حبله الذي أمر بالاعتصام به ومتينه، ولدينا من استصحاب النظر الأسدّ في أموركم، وإعمال الخاطر في ما يعود بعاجل الخير وآجله على خاصتكم وجمهوركم، ما نرجو أن يعيد إليكم جِدّة الزمان، ويؤويكم كنف الأمان، ويُفيض عليكم ظل العدل والإحسان، والله يعرّفنا وإياكم يُمْنَ هذا القصد، ويسلك بنا سَنَن الهدى والرشد بمنّه.

ي/45

وبحسب اعتنائنا بمكانكم، واعتمالنا في تمهيد أوطانكم، تخيّرنا لولاية مصالحكم وحماية دانيكم ونازحكم من لم يَعْدُه الاختيار، ولم تُعرف منه إلا المساعي الجميلة والآثار، ذلكم خاصتنا فلان، وصل الله عزته وأدام أثرته[6]، وما خصَصْناكم منه إلاّ بالاخصّ لدينا، والأحقّ بمزية القرب إلينا، فهو

(1) كان نفوذ ابن هود بها قبل هذه الفترة (انظر الهامش 2 في التقديم الخامس)، غير أن نفوذ دولته أخذ ينهار منذ مقتله في أواخر جمادى الأولى 635، على يد ابن الرميمي صاحب ألمرية (البيان 335 ـــ 336، نفح 581/2 ـــ 582، الحلة السيراء 249)؛ ودخل ابن الأحمر في بيعة ابن هود، ثم انقلب إلى الموحدين ودخل في صراع مع الإمارة الهودية سنة 635 باحتلاله غرناطة (العبر 366/4 ـــ 367).

(2) الخليفة العباسي هو أبو جعفر المنصور المستنصر بالله (623 ـــ 640).

(3) أي شارات الخلافة في الإسلام.

(4) لعلها مرسية عاصمة ابن هود.

(5) نلاحظ هنا غياب العبارة الموحدية «هذا الأمر العالي» أو «الأمر العزيز» أو «حزب التوحيد»، مما يساعد على تمييز الرسائل الموحدية من غيرها.

(6) لاحظ هنا التشابه في الدعاء بعد الاسم مع ما في الرسائل الموحدية مادام المقدّم من الخاصة فيما يبدو.

الذي له ولأبيه المبرور سابقة السوابق، ومكانة الولاء الخالص والاعتقاد الصادق[5]، وقد أنهينا إليه من الوصايا ما يوفّيه في جميع جهاتكم إصلاحاً لها وتمهيدا، وألزمناه من إقامة مهماتكم ما لا تُعدمون معه حالا حسنة وقصدا سديداً، وستَلقَوْن منه من يَجري على سَنَن التعيّن وسبيله، ويُوفي ما يليق بصميم[7] حسبه وأصيله.

فإذا وافاكم فاقدُروا قدرَ إيثارنا لكم منه، فأثر أوليائنا الجلّة وتقديمنا عليكم منه، لمن استظهر بالسلف الأشرف والذّات المستقلة، واعلموا أنه عنوان عنايتنا الحافلة لجوانبكم، والخلصان الذي أهلناه لتمهيد جهاتكم وتسديد مذاهبكم ؛ فلا تغبُّوه نصحاً وجِداً في كل الأحوال، ولْتستشعروا من الاغتباط بولايته ما يقضي للخيرات لديكم بالاطّراد والاتّصال، ويوجب لكم التعهد منا بالنظر الذي تستقبلون به الصلاح الشامل كل الاستقبال، إن شاء الله تعالى، (وهو سبحـ)ـانه يسعدكم بهذا التقديم،/ ويضاعف قِسَمكم من الصنع الجميل والمَنح الجسيم، بمنّه، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته، كُتب عَقِب شهر رمضان المعظم سنة خمس وثلاثين وستمائة. ي/46

---

(7) في الأصل : بصمم.

[التقـديـم الواحـد والثلاثـون] :

وفـي المعنـى

..... وإنا كتبناه، كتب الله لكم ولأحوالكم انتظاما والتئاما، وخوّلكم أجزل عوارف التوفيق والتسديد أقساما، وأن تعلموا أنا نعتمدكم بالاعتناء الكريم خاصة وجمهورا، ونصرف إليكم من النظر الجميل ما يقرّ منكم عيونا ويشرح صدورا ؛ وبمقتضى ذالكم قدّمنا فلانا ليتولى أموركم بالنظر الأسدّ أحسن تولٍّ، ويمضي في **مصالحكم** ما يؤدي الرأي الأنجح إليه من عقد وحلّ، ويأخذ بكم في خدمة **هذا الأمر**[1] بالمَناحي التي تُقرّبكم إلى أوليائه زلفىً، وتعتقد لكم في الاختصاص به والانتظام في خلصائه حرمة أكيدة وحَلفاً، وتُدِرُّ عليكم إحسانه العميم وإفضاله الجسيم خِلْفاً فخِلْفاً، وهو ـــ أعزكم الله ـــ مَن بانَ غَناؤه في كل ما يتولاه على تردّد التصريف له والاستعمال، وازدان في جميع تصرفاته وتقلّباته بحميد المذاهب وجميل الخِلال ؛ وقد تلقّى من الذِّكَر النافعة والوصايا الجامعة ما يُجري عليه محاولاتِه كلّها وأعمالَه، ويبذل في العمل به انتهاضه واستقلالَه.

فاخدُموا معه في تلكم البلاد، الخدمة التي تَردع عنها **أهلَ الاعتداء والفساد**[2]، وتوفي[3] أحوالها معهود الاستقامة والسّداد، وانقادوا إليه في كل ما يحملكم عليه أتم الانقياد، وكونوا يدا واحدة في الإعانة له على جميع المصالح والإنجاد، واستمِرّوا من ذلكم على ما يقضي لحظوظكم من الحظوة لدينا بالازدياد، ويعتمد آمالكم منا بالإسعاف والإسعاد، ويعرض أعمالكم علينا في عدد المستحسَن المستجاد، ويُؤكد[4] ما لكم إلينا من ذِمم الجدّ في الخِدم والاجتهاد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يستعملكم في التعاون على الأصلح من الأعمال، ويمنحكم بتقواه سعادة الحال والمآل،/ ي/47 بمنه....

---

(1) الدولة الموحدية فيما يبدو.

(2) التركيز في هذا التقديم على الجانب الأمني دون الإشارة إلى الجبايي، وهذا ما قد يجعل المقدّم غير عامل للجباية، بل قائد عسكرٍ أو والياً، لاحظ التقاديم اللاحقة أيضا.

(3) في الأصل : نوفي.

(4) في الأصل : نؤكد، والسياق يقتضي إسناد الفعل إلى الغائب.

[التقـديـم الثانـي والثلاثـون] :

تقـديــم آخـر

..... كتب الله لكم اتفاقا على مصالحكم الجامعة، واستباقا لما يعرض عليكم من الذِّكَر النافعة، وأن تعلموا أنا نحظكم من جميل الالتفات بحظ وافر، ونصرف إليكم من النظر المُحسِّن لأحوالكم ما يبهج منكم كل نفس ويقرّ كل ناظر، ونتعهدكم مع الأناء بما يسكِّن منكم كل بالٍ وخاطر، ذلكم لأنكم من الخدماء الذين تقرَّبوا بصدق جدّهم واجتهادهم، ويدُلّ تسرُّعُهم إلى الخِدم التي بها يومرون على خالص ولائهم لهذا **الأمر العلي**[1] واعتقادهم، والله تعالى يسلك بكم في كل ذلكم على سُبل السبيل، ويُؤْوِيكم من تسوّغ النعمى والرحمى إلى الظل الظليل، بمنه ؛ وإنا قدّمنا عليكم ـــ بعد استخارة الله تعالى ـــ فلانا وهو ممن تميّز بحسن الغَناء وسَداد الأنحاء، فاخترناه لينظر في **مصالحكم** ومهماتكم، ويتعهدكم بحسن السيرة في كل أوقاتكم، وقد وصيناه بتقوى الله التي هي أسّ كل عمل صالح، وأن يسلك منها في كل محاولاته على سَنَن واضح، وأكّدنا عليه في أن يُجري أموركم على الحق والرفق، وأن لا يعدلَ فيكم عن أقوم الطرق، **وأن يشتد على أهل الشر**[2] بما يزجرهم عن شرّهم، ويأخذ بمقتضى الشرع في أمرهم.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فأعينوه على إعمال هذه الوصايا كل الإعانة، وكونوا معه يدا واحدة فيما[3] يحملكم عليه من مصالح الدنيا والديانة، واستمِرُّوا في الخدمة على ما يزيدكم منا التفاتاً واعتناء، وأظهروا من حسن الطاعة ما يوجب لِقسم الخيرات لديكم وُفوراً وَنماءاً، إن شاء الله تعالى....

---

(1) هذه صيغة موحدية أيضا.

(2) يخلو التقديم من الإشارة إلى المهام المالية كما هو حال التقديم السابق.

(3) كذا في الأصل، وهذه من الحالات النادرة، إذ في الغالب ترد هكذا : في ما.

[التقديم الثالث والثلاثون] :

وفي تقديم آخر

.....[1] إلاّ الخيرُ المنهلُ الرَّباب، واليسرُ المنسدِلُ الإطناب، وإنّا لِما نوثره من النظر لكم، ونتوخاه من تخيّرِ مَن نقلّده **شغلكم**، قدّمنا فلاناً وهو **الخديم القديم**، والناصِحُ الذي نستصحب حسن الطوية ونستديم، ومَن (رَبَّته ....)[2] في حِجر كفالتها، وضرَّجته المهذَّب / الأريب في ظل إيالتها، وله **السلف الأكيد الخدمة**، الخليق بشكرِ النعمة، (المُفني)[3] في خدمة **هذا الأمر العالي** وُسع الطاقة ومُمْكن الهمّة ؛ وقد وصّيناه ــ وهو العامل بالوصية ــ بالسعي في **التهدين**، والإحياءِ لمعالم الدنيا ومعالم الدين، وردِّكم إلى القانون الشرعِيّ والديدن[4] المَرعِي[5].

ي/48

فتلقَّوْه تلقّيَ جَزْلٍ ومسرَّةٍ، وعامِلوه معاملة إكرامٍ ومَبَرَّة، واستشعِرُوا الصلاح بتوليته فله الدين الصحيح والشيمة الحرّة ؛ وقد أثرناكم به على سواكم[6]، فاشكروا الله تعالى على هذه الأثرة، والله يحمله وإياكم على السَّنَن الأقوم، ولا يُخْليكم وإياه من الخير الأبقى واليسر الأدوم.....

---

(1) قارن هذه البداية مع بدايات التقاديم 35 و44 و61 و62 و64.

(2) تأثير الأرضة على كلمتين لعلهما (ربته الحضرة).

(3) طمس جزئي للكلمة.

(4) في الأصل : والذيذن.

(5) هل يقصد إلغاء ضرائب غيرَ شرعية، أم ردّ السكان إلى الطاعة بعد تمرّدهم أو دفع الاعتداء عن منطقتهم كما هو التلميح في عبارة : «ووصّيناه بالسعي في التهدين»، لعل هذا أرجح، مما يجعل هذا التقديم من صنف تقاديم القادة أو الولاة وليس من عمال الجباية.

(6) قارن مع التقديم 35 : «فاعرفوا قدر ايثارنا لكم به».

[التقديم الرابع والثلاثون] :

وفي تقديم آخر

(بعد الصدر)[1] فكتبناه كتب الله لكم نظرا يوافقكم اختياره، ويطابقكم استحبابه وإيثاره، وقد قدّمنا عليكم فلانا لينظر في مسائلكم الدنيوية أحسن النظر، ويسير في ما بينكم أعدل السير، ويأخذ بالحق إذا تبيّن للضعيف من القويّ، ولا يحيد في مُتناولاته كلها عن المنهج السويّ، ووصّيناه بتقوى الله تعالى **فهي** العُدّة المسجية، والسِّيرة المشكورة في الأندية، وأمرناه **بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ومحو **آثار المفسدين** والفساد حتى لا تذكر ولا يذكر[2].

فإذا وافاكم إن شاء الله فأعينوه على تمشية هذه الأغراض المبرورة، وكونوا له فيما يمضيه من المصالح كالرّوح للصورة، واتفِقوا، ففي الاتّفاق كل بركة، ولا تختِلفوا، فمع الاختلاف كل هلكة، ونحن نتفقد أحوالكم وأحواله، ونكافىء بالواجب إقبالكم على هذا الرّسم المحدود وإقباله، إن شاء الله تعالى....

---

(1) كذا في الأصل، مما يرجّح أن التقاديم المبدوءة بعبارة «انا كتبناه» أو «كتب الله لكم»، مبتورة الصدر، انظر الفقرة الرابعة من المقدمة. (د)

(2) هنا أيضا يغيب ذكر المسائل المالية كما في التقديمين السابقين.

[التقديم الخامس والثلاثون] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله لكم نظرا يقع بوفقكم، واختيارا يصلح من أفقِكم (..)[1] إلاّ الخيرُ الهامي السحائب، واليسر الحامي القواضب، (والحمد لله)[2] حمْداً (تكفّل)[3] بالمنّ المتصل والفضل المتعاقب، وقد / رأينا أن نقدّم فلانا للنظر في **مصالحكم، والذّبّ عن مَساربكم ومَسارحكم،** ي/49 والاشتغال بالدقيق والجليل من أموركم، والانتهاض بمهماتكم[4] وخاصتكم وجمهوركم، وهو **المجرّب اضطلاعُه** واكتفاؤه، والمختبَر انتهاضُه وغَناؤُه، والمشكورةُ قديما وحديثا مساعِيه كلُّها وأنحاؤه، ومن لا يحرم[4] يمينا ولا شمالا عمّا نوثره من السيرة الحسنة ونَشاؤه، ولاتزال واقعة بالوُفق غَيبةً وحضرة آثارُه وأنباؤه، ولا يزيده على ما عنده من الجد والاجتهاد والبعد عن مظانّ التعقب والانتقاد تنبيهُه وإيصاؤه.

فاعرِفوا **قدرَ إيثارنا** لكم به[5]، وأعينوه على[4] مقصده من حُسن المعاملة ومذهبه، واعمَلُوا جميعا في إظهار **المعروف وإخفاء المنكر** بألزمِ حق وأوْجبِه[6]، والله[4] يعينكم وإياه، ويمُدّكم بمراقبته في كل الأحوال وتقواه.....

---

(1) قارن مع التقديم رقم 44.

(2) كلمتان مأروضتان.

(3) كلمة مأروضة الوسط، قارن مع التقديم رقم 44.

(4) كذا، قارن مع التقديم رقم 44.

(5) انظر الهامش 6 على التقديم 33.

(6) هنا أيضا المسؤولية أمنية دون ذكر الجبايات.

[التقديم السادس والثلاثون] :

وفي إقرار والٍ والاستنامة إليه في كل حال

..... أدام الله تعالى بالأمنة والعافية تمهيد أوطانهم، ووالى لديهم عوارف نعماه ولطائف رحماه في كل أحوالهم وأحيانهم ؛ وهذا كتابنا إليكم، كتبكم الله تعالى ممن تلاقى على البِرّ والتقوى إعلانُه وإسرارُه، وتوالى في إيثار السعي الأجمل الأرضى إيقانُه واستبصارُه، وأن تعلموا علم يقين أنّا بمصالح بلادكم ـــ حاطها الله تعالى ـــ معتنون، ولكل ما فيه صلاح أحوالكم ونجاح آمالكم منثنون، نقدّمكم في كل نظر جميل نُعمِله، ونبدأ بكم[1] في ما نواليه من الحياطة للبلاد وأهلها ونصله، **ونحضر ذكر ابتدارِكم إلى الطاعة والانتظام في الجماعة**[2] فلا نهمل الرعي المستصحب له مع الأناء ولا نغفله ؛ وبمقتضى هذا نتعهدكم بحفيّ السؤال عن شؤونكم، ونعتمدكم من كريم الالتفات في كل الأوقات بما يحسبكم إبهاجا لنفوسكم وإقراراً لعيونكم، ولن تتعرف[3] بحمد الله من أموركم، وما تجري عليه أحوال خاصتكم وجمهوركم، إلاّ خير ما يتعرّف من رعية استقامت على الطريقة المثلَى، وأقبلت من مهمات دينها ودنياها على الأحق الأوْلَى، وانقادت طوعَ واليها للمساعدة على ما / من مصالحها يتولّى ؛ فلذلكم نتلقى أعمالكم بالإحماد والاستحسان، ونحظيكم بما يتقاضاه لكم حسن طاعتكم من تمشية العدل فيكم والإحسان، وواليكم المخاطب الآن معكم **الشيخ أبو عبد الله**، أنجده الله تعالى على تقواه وأعانه، وسدّد قصده في كل المحاولات ويَمَّن شأنه[4]، هو كما تعلمون **السابق هنالكم إلى اظهار دعوتنا**، والصادق الإهابة بكم لعقد بيعتنا، والباذل أقصى جدّه واجتهاده عن خلوص من نيّته وصفاء من اعتقاده في أنواع خدمتنا، ولهذا وقف الاختيار عليه في أن **ينفرد** بتولّي أشغالكم، وتعرف[5] له من حسن الآثار ما أوجب الاستنامة له في القليل والكثير من ذلكم، ومازلنا نستعلم منه في تناولاته وكافّة تصرفاته ما نزداد به اغتباطا، ونستجلي من سَداد مذاهبه ومَناحيه ما لايزال على دينه وأمانته فيه محتاطا، فاستخلصناه بما من خلوصه تيقّنّاه استخلاصنا لمن تتأكد به عنايتنا من الخدماء، وأوجبنا له الأثرة التي لا نوجبها إلا للخلصاء الأصفياء والنصحاء الصرحاء، هذا هو الذي

50/و

---

(1) هنا أيضا ادّعاء بعناية خاصة بالمقدّم عليهم.

(2) يدل هذا على كون البلد خرج عن النفوذ الموحدي (إن صح أن الرسالة موحدية) قبل العودة إليه، حدث هذا في اشبيلية بين سنتي 627 و634، وفي سجلماسة أكثر من مرة، وفي سلا سنة 649 (القرطاس 296). فمن يكون المقدّم ؟ نجد اسم (أبو عبد الله) المذكور بعدُ كنية للقطراني بسجلماسة (البيان 415 ـــ 419) وللوالي على سلا ابن أبي يعلى. (البيان 402 و421).

(3) كذا في الأصل.

(4) راجع خصوصيات مثل هذا التقديم (في الصنف الأول) من الفصل الرابع.

(5) كذا في الأصل.

نجزم العقد عليه في جانبه، والذي نوالي بحسبه جميل اللّحظ له وكريم الاعتناء به، فإن أرجف بغير ذلكم مُرجِفٌ فقد أعظم الافتراء، وأساء الاجتراء، وعَدَل عن مذهبنا السديد، وتَعرَّض للعقاب الشديد، **فلسنا نسامح من يفوه في أثرِ خدمائنا بالبهتان**، ولا نُقيل له عثرة تُحلّه محلّ المذال المهان، ونجعله نكالا لمن اعتاد بالافتيات لإطلاق[6] اللسان، وأنتم أكرمكم الله تعالى بمعزل عن هذا المقام، ومتنزّهون عندنا وعند واليكم من كل ما يشين على التفصيل والإجمال، **فموالاتُكم لهذا الأمر وأوليائه** في القديم والحديث معروفة، وجوانبكم منّا بالرعاية الموصولة على الدوام محفوفة، وجماعاتكم لدينا في ما تلتزمون من الأعمال المستقيمة بأحسن الخلال موصوفة، وإنما نتوعد بهذا الوعيد الشديد من نَكّب عن الجادة الواضحة، وهتف **بالأباطيل المخزنية** الفاضحة[7].

فاستمروا على ما أنتم بسبيله من حسن الائتمار لواليكم المذكور، وكونوا معه يدا واحدة في مهمات الأمور، وساعدوه بصدق / النيات وصفاء الصدور، واعلَمُوا أن ذلكم عندنا من أجمل ي/51 (.........)[8] والمأمور، مما نوثره من عملكم المبرور وسعيكم المشكور، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يصل على طاعته اجتماعَكم وائتلافَكم، ويُديم اكتفالَكم بكلاءته ووقايته واكتنافَكم، بمنّه....

---

(6) في الأصل : الاطلاق.

(7) يبدو أن المقصود بالمخزنية هنا ما يتعلق بالسياسة المالية، فكلمة المخزن لا يظهر أنها آنذاك ارتفعت عن هذا المعنى.

(8) كلمتان مطموستان.

[التقديم السابع والثلاثون] :

وفي إعادة وال

..... وأن تعلموا أنّا نعتمدكم بالنظر الضابط لأموركم، ونصرف عنان الاعتناء لما فيه صلاح خاصتكم وجمهوركم، ونتعهّدكم من جميل النظر بما فيه تسنّي مرجُوّكم وتلاشِي مَحذوركم، إحظاءً لكم بأوفر حظ مما نوفيه للبلاد من الرعاية لأهلها، والحماية التي تُجريهم من الأمنة والعافية على أقوم سُبُلِها، والله تعالى يَحْملنا من ذلكم على ما يصل به الخير ويعم، ويُكمل مقصود الحياطة لجميع الرعايا ويُتمّ، بمنّه[1]، وقد رأينا والله تعالى يسدّد الرأي الذي نراه، ويعرّف اليمن في ما نتوخاه، أن **نعيد**[2] **إليكم** أبا فلان ليتولى النظر على ما كان عليه في أموركم **المصلحية والمخزنية**[3]، ويُجريكم[2] في كل أحوالكم على الجادة السّوية، وهو ممن أَلِفتم قَبْلُ جِوَارَه، وعرفتم إيراده فيكم وإصداره، وقد تميّز لدينا بحميد الغَناء وسديد الأنحاء، ووصّيناه بتقوى الله تعالى في كل ما يتولاه، وأن يراقبه سبحانه في سرّه ونجواه، وأمرناه أن **يشتدّ على أهل الفساد**[4] حتى ينقطع إضرارُهم، أو تَحسُن بمراجعة السَّداد آثارُهم، وأن تكون محاولاتُه كلها جاريةً على سَنَن الحق المستبين، وتناولاتُه غيرَ عادلة عن العدل الذي بميزانه[5] أرجح الموازين، وأن يجتهد في ما أسندناه إليه اجتهاداً مبنيا على راسخ من الدين.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانتظِموا عليه، وائتمروا إليه، وكونوا معه يدا واحدة في كل ما يُصلحكم ويحمي جهاتكم، ووالُوه الموالاةَ المشكورةَ في كل أوقاتكم، إن شاء الله تعالى...

---

(1) كلمة (بمنّه) تأتي عادة في آخر الرسالة، فهل مثل هذه الرسالة تمثل نموذجا لكاتب آخر ؟

(2) في الأصل : أن يعيد إليكم .... ويجريكم.

(3) يبدو أن هذا الوالي من مرتبة العمال، فمهامّه محدودة في الأمور المصلحية (الأمن) والمخزنية (المالية).

(4) مناطق «الفساد» متعددة في عهد المرتضى، منها الضغط المريني على سلا، والأطماع في سجلماسة وثورة ابن يدّر بسوس.

(5) كذا في الأصل، والأصح : الذي ميزانُه.

[التقديم الثامن والثلاثون] :

وفي تقديم شيخ قبيلة

ي/52 .... كتب الله لكم استبشارا بجميل النظر الذي يتعهّدكم، واستشعارا للخير الذي / يوافيكم ويَرِدكم ؛ وأن تعلموا أنّا لم نغفل الاعتناء بما يُفيض الأمن[1] على جميع البلاد، ويحسم **أدواء الفساد**، في الحاضر والباد.

والآن، ولله الحمد على ما أمدّنا به من الإعانة والإنجاد، ويَسَّرنا إليه من إعمال الإصدار في تمشية المصالح والإيراد، قد أنهضْنا **العسكر المبارك**[2] ــ أظفره الله تعالى وأنجده ــ صحبة من تخيّرناه **من الموحدين** مع أبي فلان الذي قدّمناه **لأشغال العرب**، وأهّلناه لنصحه في خلوصه إلى أكرم الرُّتب.

وبعد أن وصل العرب بجموعهم إلى بابنا، وبادَروا إلى الخير الذي أَلِفُوه[3] في جانبنا، **وتعاقدوا على السمع والطاعة**، وبذلِ الوُسْع في الخدمة والاستطاعة، وجَرَت أمورُهم لدينا على أحسن انتظامِها، ووادَعونا على إدامة النصيحة (والـ...... مها)[4]، ووراءَ ذالكم من نظرِنا الموصول ما يَفِي إن شاء الله بتحسين الأحوال وتمهيد الأوطان، **وردْعِ أهل البغي والعدوان**، وإفاضةِ العدل والإحسان، على كافة أهل البلدان.

فكونوا على يقين من إقامة كثير من مصالحكم وقليلِها، وإجراءِ أموركم من جميل التفقد والتعهّد على أوضح سبيلِها، وأقبِلوا على أشغالكم، واستصحِبوا لما يعود عليكم بالصلاح من أقوالكم وأعمالِكم، وثِقُوا بأنّا لا نُخْليكم من نظرٍ مُصلحٍ لجميع أحوالكم، إن شاء الله تعالى...

---

(1) في الأصل : الأمر.

(2) هل «العسكر المبارك» يعني قوات موحدية قبلية ؟ انظر الجانب العسكري في الفصل الخامس.

(3) في الأصل الفاء منقوطة من أعلى فتصبح (ألقوه).

(4) كشط وسط هذه الكلمة الموزّعة بين نهاية سطر وبداية تاليه.

[التقديم التاسع والثلاثون] :

تقديم شيخ آخر

..... وأن تعلموا أن **العرب**[1] مخصوصون من دعوتنا بما نشأ فيه أسلافُهم من إفاضة الإنعام عليهم وإسداء العوارف عليهم، وأنتم فيهم ممن تُشكر خدمتُه وتُلحَظ ذمّته ؛ وبمقتضى ذلكم خاطبناكم لتبادروا لما بادر إليه العرب إخوانُكم من الخِدَم التي نُستحْسَن[2] منكم وتُستجاد، وتَصِلوا إلى الانتظام معهم ومع (...... الكماة)[3] الأنجاد، في **المحلّة المباركة** ــ يمّنها الله تعالى ــ باذلين الاجتهاد الذي يحظيكم (......... الاعتناء)[4]، ويفيدكم **أفضل ما عُوِّدتم** من الإيثار (والاحتفاء)، 53/ي (وقد علِمتم أن)[5] أبا فلان كان (........)[6] **الدعوة العلية**، وخليقاً لديها لصدقه / وجِدِّه بالحُظوة الحَظيّة ؛ ولما توفي **أبقينا ولده في مكانه**[7]، ونوَّهْنا بتقديمه على العرب من شأنه، وقدّرْنا فيه أنه يسلك في الخِدمة مسلكَ والده، وأن لا يعدلَ عن مشكور مقاصده، فما عدا أن كَفَر النَّعْماء، وجَلَب إلى نفسه بسوء أفعاله الأسواء، **وأخرناه وقدّمنا عمّه** فلانا[7] **على العرب ليضبط أمورَها**، ويسوس أحسن سياسة جمهورَها.

فأعلمناكم بذلك لتبادِروا إلى ما بادر إليه إخوانُكم، ولتستبِقوا إلى الخدمة مُرسَلا فيها عنانُكم، على ثقة مِن تجدّدِ الالتفات والإكرام، وتعهُّدِ المنِّ والإنعام، إن شاء الله تعالى....

---

(1) يبدو أنهم عرب سفيان، راجع الهامش 7 بعد.

(2) في الأصل : الذي نستحسن.

(3) كلمتان غير واضحتين بفعل الأرضة والكشط، يبدو أن الثانية هي كما أثبتناه.

(4) كلمتان تعرضتا للكشط، يبدو أن الثانية هي كما أثبتناه.

(5) كلمات مطموسة يبدو أنها هكذا : «والاحتفاء، وقد علمتم أنّ».

(6) قدر كلمتين مأروضتين.

(7) راجع خصوصيات هذه الرسالة مع ما بعد اللاحقة (41) في الفصل الرابع.

[التقديم الأربعون] :

(تقديم)[1] آخر في معناه

..... كتب الله لكم سُبوغاً للنعم عليكم، وإجزالا لِقِسَمها لديكم، وأن تعلموا أنكم (أرضياء)[2] دعوتنا المخلصون، وظُهَراؤها الناصحون ؛ لذلكم نعتمدكم بمزية الإكرام، ونصرف إليكم وجوه الاهتمام، ونُحظيكم في كل الأحوال بمزيد الإنعام، والله تعالى يعرّفكم سُبوغ الخيرات على الدوام، بمنّه[3].

وإلى هذا فإنا قدّمنا الآن فلاناً على **الجيش** الذي أشخصناه الآن إليكم، ورأينا أيضا تقديمه على **الجيش الأول** ليَرجع الجيشان إلى نظره، ويجتلي في الخدمة بهم حُسنُ أثره، فهو المعروف بالغَناء، والمعروف بسَداد الأنحاء، وأمرناه أن يكون الجميع يداً واحدة معكم في **دفاع الأعداء**، وفيما يعود عليكم بالصَّلاح على ما يستقبلونه[4] من الجهات والأرجاء، وأن تُوالوا جميعاً الاجتهاد في كل ما يُردي أهل النفاق، وتُجرُوا في الخِدم كلها على مشكور (الاتفاق)[2]، ونحن نزيدكم الوصية في ضم جموعكم كلها واستدعاء من تأخَّرَ **من العرب** (........كم)[5] وليكونوا مؤتلفين على الجد والنصيحة، متّفقين على (.........يحة)[6]، حتى يَرهبَ العدوُّ ـــ قصمه الله ـــ مكانكم (...... ي/54 وإضافته وأحيائكم، .... الجميل، وواصلوا ...... الكثير)[7] / من المحاولات والقليل، فاعلموا ذلكم[8]........

---

(1) إضافة للتوضيح.

(2) كلمة مطموسة البداية.

(3) لاحظ الهامش 1 على التقديم رقم 37.

(4) كذا في الأصل، ولعل الصواب : تستقبلونه.

(5) قدر كلمتين مطموستين.

(6) قدر كلمة مأروضة في آخر السطر ثم كلمتين مكشوطتين في أوله.

(7) قدر سطر كلماته غير واضحة كلا أو بعضاً.

(8) قارن مع التقاديم 38 و39 و41 وخصوصيات التقديمين 39 و41.

[التقديم الواحد والأربعون] :

وفي آخر

..... أدام الله أثرته وكرامته بتقواه، وأكّد بما له لدينا من الحُظوة مَسَرّته وبشراه ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم استقبالاً لأجزل حظوظ النِّعم قِسَماً (........)[1] فيما نرشحكم له من الأثرة والمزية أجمل الكرامات وَسْماً ورسماً، (وأن تعلموا.....)[1] ما استأنفناه لكم من الإحظاء لرتبتكم والإرْقاء، والاستخلاص (الذي لكم)[1] به أكرمُ شُفوف الخُلَصاء الخُدَماء، والإجراء لكم مَجرى **والدكم** في كل (مرام......)[1] به هذا الأمر من التقديم والتكريم والإنعام والإسهام (والفضل الذي)[1] **سبقتُم إليه في خدمتنا** أولاً من الجِدِّ والنصح والصفاء، وحفظاً (.........)[1] جرى عليه **أبوكم** بإبقائه منكم في أنجب الأبناء.

وبحسب هذا ــ أدام (الله ......)[1] قدّمناكم الآن **تقديماً مطلقا على كافّة إخوانكم عرب سفيان**[2] (...............)[3] يتولى جميع أشغالهم وأمورهم، ويتقدم على خاصتهم وجمهورهم، (.............)[1] لكم مع ذلك **النظر في آنفا**[4] حسب ما **كان أيضاً لأبيكم**[5]، وأسندنا جميع (أشغالها)[1] إلى حسن توليكم، **وأطلقنا يدكم** على ذلك كله **كإطلاق يده** قبل فيما (.........)[1] من نِعمة وإحسان، ورتب له من منزلةٍ أثيرة ومكان، وإجراء ذلكم في ذلك (كله)[1] مجراه، وإنافة بكم في الحظوة لدينا على مداه.

فاعلَموا ذلكم، وتنسَّطوا[6] (.........)[1] الثقة بإحساننا في كل آمالكم، وخذوا في الوصول إلينا والقدوم علينا (تجدون ....)[1] كل أمل وبغية وضّاحاً وسيماً، ولتنالوا لدينا الإنعام جزيلا (........)[1] جسيماً، ولتحُلُّوا في القرب منا والاختصاص بنا مكانا حظيّا، (.......... بما يزكو النعم عندكم وينميها ....

....

....)[7].

ي/55 / الناصح ؛ فبادِروا لتفوزوا بالحسنى والحظ الأسنى، وتتبوّأوا من إيثارنا لكم واعتنائنا بكم المحلَّ الأقرب منا الأدنى، إن شاء الله تعالى......

(1) وقعت تغطية لنهايات أسطر هذه الصفحة مما أخفى كلمة أو كلمتين من كل سطر عدا الأول.

(2) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

(3) قدر كلمة مكشوطة أو كلمتين بسبب ما ذكر في الهامش السابق.

(4) انظر عن آنفا : الادريسي 48 (بيريس) وبسط الأرض 72.

(5) قارن مع التقديم 39.

(6) كذا في الأصل.

(7) ضاعت هنا ثلاثة أسطر في أسفل الصفحة بسبب الأرضة ثم التغطية أثناء الترميم.

[التقديم الثاني والأربعون] :

تقديم ناظر في المجبى[1] عن المعتضد

..... وإنا كتبناه، كتب الله لكم توافقا على المصالح[2]، وأن تعلموا أن النظر الجميل يسدد أنحاءكم ويُمهِّدُ أرجاءكم، ويُطْلع عليكم من الخيرات ما يطابق أملكم ورجاءَكم، فأبشِروا من كريم التعهّدِ لأحوالكم، بما يَنظم أمورَكم، ويشمل خاصتكم وجمهورَكم، ويُقرّ عيونكم ويُبهج صدورَكم ؛ وبالله تعالى **نعتضد**[3] على ما نتولاه للإسلام وأهله من إفاضة البركات على جوانبهم وجهاتهم، وإجادة العنايات بمصالحهم ومهمّاتهم، وهو المانٌ بعَضْده، والهادي إلى سواء السبيل بقَصده، لا ربَّ سواه.

وبحسب ذلكم قدّمنا فلانا لينظر في مصالحكم النظر الأسدّ، ويتولّى في ضمّ **مجابي المخزن والمختص**[4] ـــ ثمرهما الله ـــ الجِدَّ الأشدَّ، لذلك وصّيناه بتقوى الله تعالى فيما قُدِّم إليه من ذلكم، وأمرناه أن يسلك جادّة الحق في كل أحوالكم، وحدَدْنا له أن يستوفي **حقوق المخزن والمختص** هنالكم أتمّ الاستيفاء، وأن يكون في الضبط لأشغالها على ما قُدِّر فيه من الغَناء والاكتفاء، وأن يعمل في ذلك عملا ليُحظيه بالأُثرة والاعتناء.

فإذا وافاكم بمعونة الله، فارجعوا بجميع أشغالكم إليه، وأعينوه على كل ما قَصَرناه عليه، وتعاونوا معه على ما تُحمَدون أثرَه في حالكم ومآلكم، ويَظهر فيه المؤثر المشكور من أعمالكم، إن شاء الله تعالى، وهو مُعينكم على ما يرضاه، ومُيسِّركم لأقوم سبيل وأهداه، بمنّه.

---

(1) مصطلح «الناظر في المجبى» ورد في هذه التقاديم بشكل محدود، بحيث يتبيّن أن هناك موظف يحمل هذا اللقب. انظر في الفصل الخامس الجوانب المالية.

(2) يبدو أن الجملة هنا ناقصة في المخطوط، قارن مثلا مع التقديم اللاحق حيث تذكر «التوصية» بين عبارتي «انا كتبناه.....» و«أن تعلموا....».

(3) الدعاء مقتبس من لقب الخليفة المعتضد.

(4) هناك من يعتبر أن المختص هو ملك المخزن (انظر محمد ماضور في «تاريخ الدولتين» الهامش بالصفحة 37، وعز الدين موسى في «النشاط الاقتصادي» ص 139 ـــ 140)، لكن التقديم هنا يميّز بين «مجابي المخزن والمختص ثمرهما الله»، انظر في الفصل الخامس الجوانب الاقتصادية.

[التقديم الثالث والأربعون]

وعن الخليفة المرتضى تقديم عامل

..... وإنّا كتبناه كتب الله تعالى (لكم تعرّفاً للأصلح)[1] بكم والأولَى، وتصرّفاً فيما ي/56 يُحْظيكم / بخير في الآخرة والأُولى، من فلانة[2]، والذي نوصيكم به (إلى آخره)[3].

وأن تعلموا أنّا[4] نوفي نواحيكم — حاطها الله — من جميل الالتفات قسطَها، ونختار لها من يوالي حياطتها وضبطَها، ونُديم بثّ الأَمَنة في دانيها وقاصيها وبَسْطَها ؛ ذلكم بمقتضى النظر الذي قلّدناه لكم ولسواكم، وموجب الرعاية التي تَعمّ أنزَحَكم وأدْناكم ؛ وبحسب ذلكم تخيّرنا الآن لتولّي **أموركم المصلحية وأعمالكم المخزنية**، وإجرائكم في كل أحوالكم على المَناهج القويمة السَّوية، الشيخ أبا فلان[5]، وهو في **حزب التوحيد** أثيرٌ مَكين، وسببُه في استحقاق المكانة وثيقٌ متين، وخِدَمُه في توخّي النصح والجد تتّضح وتَبين، وقد وصّيناه من تقوى الله وخشيته ومراقبته في سره وعلانيته بما هو أرسخ قواعد النجاة وأرساها، وأحق معتمدات أهل الإيمان وأولاها، وأمرناه[6] بأن لا يؤثِر على الحق يعمل به ويقوله شيء من الأشياء، وأن يلتزم العدل في كل المذاهب والأنحاء، وأن يتولّى مصالحكم وأعمالكم بمشكور الاضطلاع والغَناء، وأكدنا عليه في أن يستوفي **حقوق المجبى**[7] — وفره الله تعالى — وواجباتِه، ويبتغي إنماءَه وتثميره بكل محاولاتِه، ويقصُر على تصفح شغله وضمّ كُثْرِه وقُلّه أكثرَ أوقاتِه، فالمرتفَع فيه إلى ما يعم المسلمين نفعُه مصروف، وعلى إقامة مهماتهم التي تشملهم موقوف[8]، فلا يجوز فيه المسامحة والادهان، ولا يميز في استخراج الحق واستقصائه بين مَن عزَّ قدرُه أو هان[9].

(1) ثلاث كلمات تعرضت للكشط، ولعلها كما أثبتناه.

(2) لعل المقصود مدينة مراكش، انظر أيضا الهامش 5.

(3) الجزء المبتور هنا من أصل التقديم هو التوصية بتقوى الله والعمل بطاعته.

(4) في الأصل : أن.

(5) خلال هذه المدة المؤرخة يتحدث ابن عذارى عن تقديم المرتضى — وهو بمراكش — للقاضي أبي عمرو بن حجاج على سجلماسة، وكان قدّمه قاضيا بها من قبل عندما عاد القطراني إلى طاعة المرتضى فدبّر القاضي بأمر الخليفة مقتل القطراني «فاستقامت الأمور بسجلماسة»، «وعاد الفقيه أبو عمرو بعد ذلك إلى مراكش فقدمه المرتضى على جميع أشغالها» (سجلماسة)، البيان 419.

(6) في الأصل : وأمرنا.

(7) لماذا لم تذكر هنا المجابي المختصية، هل لأن المسؤولية هنا عامة بدون تحديد فتشمل الجانبين الأمني والمالي ؟

(8) لعله يقصد الدور الاجتماعي والأمني للجبايات، انظر دور «العامل» في الجانبين الإداري والاقتصادي في الفصل الخامس.

(9) ربما في هذا تلميح إلى بعض محاولات التملص من أداء الجبايات من «مَن عزّ قدره».

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانقادوا إليه في كل الأمور، وكونوا يدا واحدة فيما يعود بالصلاح على الخاصة والجمهور ؛ ومما أوعزنا فيه إليه إعمال الجدّ والاجتهاد في محق آثار **البغي والفساد**[8]، والتلقّي لهم بالغلظة والإشْداد، فأعينوه على ذلكم وسواه من مصالحكم كل الإعانة، وتضافَروا معه على تمشية الحق تضافراً وفي النصح والدّيانة، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يديم كرامتكم بتقواه، وييسّركم لما فيه رضاه، بمنّه.

التاريخ غرة جمادى الأولى سنة سبعة وخمسين وستمائة.

[التقديم الرابع والأربعون] :

57/ي

/ وعنه [أي المرتضى]

..... كتب الله لكم نظرا يقع بوُفقكم، واختيارا يُصلِح من أُفقكم، ولا متعرَّفَ إلاّ الخيرُ الهامي السحائب[1]، واليسر الحامي (القواضب)[2]، والحمد لله حمدا تكفّل بالمن المتّصل، والفضل المتعاقب، وقد رأينا أن نقدّم فلانا للنظر في **مصالحكم، والذب عن مساربكم ومسارحكم**، والاشتغال بالدقيق والجليل من أموركم، والانتهاض بمهمات خاصتكم وجمهوركم، وهو المجرّب اضطلاعه واكتفاؤه، والمختبَر انتهاضُه وغَناؤُه، والمشكورة قديما وحديثا مساعيه كلها وأنحاؤه، ومن لا يَحيد يمينا وشِمالا عمّا نوثره من السِّيرة الحسنة ونشاؤه، ولاتزال واقعةً بالوُفق غيبةً وحضرة آثارُه وأنباؤه، ولا يزيده على ما عنده من الجدّ والاجتهاد والبعدِ عن مظانّ التعقّب والانتقاد تنبيهُه وإيصاؤه[3].

فاعرِفوا قدر إيثارنا لكم به، وأعينوه على تمشية مقصده من حسن المعامَلة ومذهبه، واعمَلوا[4] جميعا في إظهار المعروف وإخفاء المنكر بألزمِ حقٍّ وأوجبه ؛ والله تعالى يعينكم وإياه، ويُمدّكم بمراقبته في كل الأحوال وتقواه[5]....

[التقديم الخامس والأربعون] :

تقديم آخر

..... وإنّا كتبناه[1] كتب الله لكم توافقا على المصالح، وتسابقا إلى العمل الصالح، وأن تعلموا أن النظر الجميل يُسدِّد أنحاءَكم، ويمهِّد أرجاءكم[2]..................................

(1) قارن هذه البداية مع بداية التقديمين السابقين 33 و35.

(2) في الأصل : القواصب. قارن مع التقديم 35.

(3) يبدو أن المقدّم هنا قائد عسكر، فالمهام محصورة في الإطار الأمني دون إشارة للجانب المالي.

(4) في الأصل : واعلموا، قارن مع التقديم 35.

(5) هذا التقديم يبدو أنه هو نفسه التقديم رقم 35، إلا إذا كان الكاتب استعمل نفس العبارات في تقديمين لشخصين، وهذا مستبعد بالنسبة لكتّاب يستعملهم الخليفة في الكتابة فالمرجح أن الناسخ كرر التقديم 35 خطأ، وربما كان سيعمل نفس الشيء مع التقديم اللاحق 45.

(1) في الأصل : كتبنا.

(2) هذا كل ما ورد في التقديم بالمخطوط، وهو لا يفيد في شيء، ولكن ضرورة نقل جميع ما في المخطوط اقتضت عدم صرف النظر عنه، وليس من المستبعد أن الناسخ بدأ ينقل تقديما مكررا ولما شعر بهذا توقف هنا، انظر الهامش 5 في التقديم السابق، وقارن مع بداية التقديم رقم 42.

[التقديم السادس والأربعون] :

ومن تقديم على أشغال المخزن

..... كتب الله لكم أحوالا للصلاح مستصحبة، وآمالا للنجاح منتسبة[1]، وأن تعلموا أن اعتناءنا بتوفية النظر لمن استرعانا الله أمره يتناول الأدنى والأقصى من الجهات، ويتعاهد بالرفق والعدل في كل الأوقات ؛ وبهذا الاعتبار نختار من نستعمله في إقامة المصالح والمهمّات، ونقدّم من نتوسّم فيه سَداد الأنحاء واستقامة المحاولات، ذلكم لتتمشّى الأمور على أقوم الجوادّ[2] وأوضحِها، ي/58 وتتوخى / الرعية بالحماية (............)[3] ذلك موادّ توفيقه وتسديده، ويعرّفنا في حياطة الإسلام (........)[4] وتأييده، وإلى هذا فإنا قدمنا عليكم بعد استخارة الله تعالى فلانا لينظر (في **أشغالكم)[5] المصلحية، وأعمال مجابيكم المختصية**[6]، ويتولى ذلك كله بالسِّيَر القويمة وعلى الطرق السوية، وقد عُرف بتردد الاختيار لأحواله، وتكرر الملاحظة لتصرفاته في وجوه استعماله، وما وافق القصد في تعيّنه لتولّيكم، وطابق الغرض الجميل في النظر لكم ولنواحيكم ؛ وقد أُوصي بتقوى الله تعالى في كثير الأمر وقليله، وأكّد عليه في سلوك سَنَنِ العدل وسبيله، وأُمِر أمراً جزماً أن يبذل في تسديد الأمور لديكم ما استطاعَ، ويوالي الاستقلالَ بما حُمِّل من مصالح الخاصة هنا كم[7] والجمهور والاضطلاعَ، ويُعمل الشدة في ردع أولي **الشّر والفسادِ**، ويقيم المعدلة بين حاضرٍ منكم وبادٍ، ويحتاط **على مرتفعات المختص وفوائده**[6] هنا كم[7] أتمّ الاحتياط، ويُجري الأشغال فيها على (قانون ......)[8] وإقساط، ويستوفي الواجبات كلها دون تقصير فيها ولا اشتطاط ؛ ومن أهم ما

---

(1) قارن مع بداية التقديم 43، وانظر الهامش 2 على التقديم 42.

(2) جمع جادّة.

(3) ما يقرب من سطر كلماته مكشوطة.

(4) قدر ثلاث كلمات مطموسة.

(5) كلمة مطموسة جزئيا.

(6) قارن مع التقديم 42، فالمقدم هنا مسؤول عن المجابي المختصية، هذا زيادة على المهام الأمنية المطلوبة منه. وإذا كان المقصود بالأشغال المصلحية ما ورد في العنوان من «أشغال المخزن»، وبالتالي المجابي المخزنية، فقد يكون المقدّم هنا أيضا ناظرا للجباية على غرار المقدّم في التقديم 42، وإلا فيكون الأول ناظرا للجباية والثاني ناظرا على أشغال المخزن بما فيها المخزنية والمختصية، راجع خصوصيات هذه التقاديم في الفصل الرابع والجانب الاقتصادي في الفصل الخامس.

(7) كذا في الأصل.

(8) كلمتان مطموستان.

نجيد به الاعتناء ونبذل فيه الغناء، **رفع المظالم على اختلافها وإزالة المحدثات، وقطع المسكرات**[9] **وتغيير المنكرات**، وأخذ الناس هنالكم بما يجدون النفع به من الأعمال الصالحات في المحيَى والممات.

فإذا وافاكم بمعونة الله فائتمروا لما يلقيه إليكم فيما قدّمناه عليه أحسن ائتمار، وكونوا معه يدا واحدة في ما يواليه في تلكم الأشغال من إيراد وإصدار، واحرِصوا على أن يتضح لكم في التعاون على البر والتقوى وأجمل مساع وأكرم (آثار)[5]، واعلموا أن وراء هذا من حسن التفقد لأحوالكم (ما نَوَ)اليه لكم مع الأحيان، ونمدّ به عليكم ظل الرفق والحنان، ونتخوّلكم[10] فيه بما يعود عليكم خيرُه من (القرب والإحسانِ)[8]، وهو سبحانه يمهّد بالعافية والأمَنة أرجاءَكم ويحقّق في إيصال الكلاءَة لكم والوقاية رَجاءَكم، بمنّه.....

---

(9) يدل هذا على أنها كانت شائعة الاستعمال.

(10) في الأصل : ويتخولكم.

[التقديم السابع والأربعون] :

ي/59 / **وفي تقديم آخر عن الخليفة المرتضى**

..... وإنّا كتبناه، كتب الله لكم توافقاً على أنجح المساعي والأعمال، وتسابُقاً إلى ما يعود عليكم نفعه في الحال والمآل، من فلانة[1] ؛ وأن تعلموا أنا نعتمد بالاعتناء (في)[*] جوانبَكم، ونحمد في صدق الخدمة لدعوتنا مذاهبَكم، ما لم تزالوا متمسّكين به من طاعتها، والانتظام في جماعتها، والاخلاص الذي يُحظيكم لدى أوليائها، ويجزل لكم حظ نعمائها ؛ وقد تيسّر من فتح فلانة[2] ما نعلم أنكم به أول من يُسَرُّ بحسن الصنع فيه، ويحمد الله عزل وجل على تسنّيه، لما في ذلكم من اتصال البلاد، وارتفاع شر **أهل البغي عنها والفساد**، وامتداد ظل الأَمَنة والمعتدلة[3] على الحاضر منها والباد، والحمد لله الذي خوّل النعمة الهنية وأسداها، وأشجى الشرذمة الباغية على الإسلام وأرداها.

وقد اقتضى النظر الكريم الذي نسأل الله تعالى إمدادَنا فيه بالسّداد، وإرشادَنا فيه إلى ما يقضي بالصلاح للبلاد والعباد، أنْ قدّمْنا فلاناً[4] لتولّي النظر في مصالح تلكم البلاد ومهماتها والتصفح لأحوال نواحيها وجهاتها، وتوخّي الرعية بما يصحبها إن شاء الله تعالى في كل أوقاتها، **وهو مجتاز على تلكم الأرجاء**، وموفّيها قِسطَها من التهمّم بأمورها والاعتناء، بما عُرِف عنه من الغَناء وحسن الأنحاء.

فكونوا معه يدا واحدة فيما يحتاج فيه إليكم، واقدُروا قدر اهتمامنا بكم في تقديمه عليكم، وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى التي هي أسُّ الخير كله، وسبب النجح في عقد كل أمر وحَلّه، وأمرناه بالتمهيد والتسكين، وإجراء المصالح على أقوم القوانين، والاشتداد على المفسدين والمعتدين، وأن يلاحظ في كل ما يقوله ويفعله الدّين، **فإذا اجتاز عليكم فتلقّوه بحسن الائتمار**، وأعينوه على تمشية أحسن المقاصد وأجمل الآثار، وارتقبوا من صنع الله تعالى في اطّراد الفتح واتصال المَنْح ما يؤكد لديكم موجبات الاستبشار، إن شاء الله تعالى[5].

(1) لعلها مراكش.

(*) كذا في الأصل ولعلها زائدة.

(2) المدن التي استعادها المرتضى هي سجلماسة حيث عاد القطراني إلى مبايعة المرتضى طوعاً (سنة 656 ــ 657) (البيان 415 وما بعدها)، أما السوس فقد أخذ يخرج عن نفوذه منذ 651، وفشل في استعادته (البيان 405 و406 و415)، وفاس سقطت في أول عهده ولم تعد إلى نفوذه، وأما سلا ــ وهي الراجحة هنا ــ فقد استولى عليها المرينيون سنة 649 (القرطاس 296) ولمح ابن عذاري إلى استعادتها وهو يذكر واليها الموحدي ابن أبي يعلى عندما غدرها أحد الأمراء المرينيين سنة 658 (البيان 421 ــ 422). وعلى هذا نفترض أن يكون تاريخ الرسالة سنة 649 أو 650 وأن يكون المخاطَبون هنا لدعم المقدّم هم عرب سفيان المستقرين بتامسنا، وقد ظلوا أقرب إلى السلطة الموحدية نسبيا بالمقارنة مع القبائل العربية الأخرى، فكان الخطر الأساسي على الموحدين هو من جهة سلا كطريق لزحف بني مرين نحو تامسنا.

(3) كذا في الأصل.

(4) إذا صح الافتراض السابق فقد يكون المقدم على «فلانة» (سلا) هو أبو عبد الله محمد بن أبي يعلى الكومي.

(5) المهام المنوطة بالمقدّم هنا لا يتضح منها غير الجانب العسكري.

[التقديم الثامن والأربعون] :

وعنه في المعنى

60/ظ /..... وإنّا كتبناه كتب الله لكم تَكيّفَ صلاح الأحوال وتَعرُّفَ نجاحِ الآمال، وأن تعلموا أنّا نتفقّد أموركم، ونتعهّد بالنظر الجميل خاصتكم وجمهوركم، ونوثر أن تستمـ(ـروا) من العافية والأمنة الكافلة الكافية على ما نؤكد جَزَلكم وسروركم، قياما بما استرعانا الله تعالى من أمور عباده وبلاده، والتزاما في ذلك لصواب العمل وسداده، والله تعالى الكفيل بتوفيقه وإرشاده والمُمِدُّ لنا في كافة المحاولات بإعانته وإنجاده، بمنّه وكرمه، لا ربّ سواه.

وإلى هذا ــ أدام الله تعالى كرامتكم بتقواه ــ فإنا رأينا بعد استخارة الله تعالى على أن نقدّم على **أعمالكم المخزنية**[1] فلانا، وهو مِمّن أهّله الاختيار، ورشّحه الاستعمال المردَّد والاختبار، وقد وصيناه بتقوى الله تعالى فيما يأتيه ويَذره، والتزام خشيته عزّ وجلّ في كل ما يُورِده ويُصْدِرُه، والعملِ في جميع محاولاته بما ينفعه عند من يعلم ما يُظهره ويُضمره، وأمرناه **أن يستقضيَ الحقوق الواجبات**[2] عليكم أعدل الاقتضاء، ويستوفيَها أكمل الاستيفاء، ويعتنيَ في الاحتياط على قليلها وكثيرها أجمل الاعتناء، وأكّدنا عليه في أن يُجريَكم على قانون السِّيرة الجميلة والعا(فية)[3]، ولا يعدل بكم عن سَنن العدل في الإبداء والإعادة، وأن يضع موضع اللين لينه وموضع الشدة اشتداده، متوليا ذلك كله بما قُدّر فيه من الجدّ (والغَناء)[3]، متحليا في جميع أموره بسَداد المذاهب والأنحاء، متحرِّياً العمل بما (يقع) موقع الاستحسان والارتضاء.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فارجعوا إليه **بأشغالكم المخزنية والمصلحية**، واسلُكوا في الانقياد لما يقدِّره فيكم من المصالح على السبل الواضحة الجلية، وبادِرُوا **إلى أداء المتعيِّنات** قِبَلكم من غير بُطْءٍ ولا تَوانٍ، «وتعاوَنُوا على البِرِّ والتقوى ولا تَعاوَنوا على الاثم والعُدوان»[4]، والتمُوا على حُسنِ الطواعية، والتزِموا الأعمال التي تُحظيكم باطِّراد العافية، واعلَموا أن وراءكم مِن نظرنا الجميل ناظرا

---

(1) هنا التنصيص على الأعمال المخزنية، وسترد الإشارة ضمنيا إلى المهام الأمنية «موضع اللين لينه وموضع الشدة اشتداده» و«الأشغال المخزنية والمصلحية» على غرار تقاديم عمال الجباية، حيث المزج بين العمل الأمني والعمل المالي.

(2) هنا تعميم للواجبات، فهل يدخل ضمنها المجابي المختصية كذلك، وهل هناك مكوس أيضا ؟ فابن عذاري يذكر أن الواثق عندما استولى على الخلافة ألغى المكوس التي كانت في عهد المرتضى (455 ــ 456).

(3) كلمة غير واضحة كلاً أو بعضا.

(4) من الآية الثانية من سورة المائدة.

لا (يهدم)[3]، وخاطراً لا (........)[3] غير مصالح المسلمين ولا يقدّم، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يُمنَ / هذا التقديم، ويضفركم بفضله[5] الشامل العميم، بمنّه[6]. ي/61

قال يحيى وفّقه الله : انتهى ما ألفيته من المكتوب في تقاديم الولاة[7] في المجموع[8] وفي المبيضّات[9]، وأنا آتيك[10] ما في الفصل الذي في المجموع **من تقاديم القضاة**، وأضيف إليه ما في أثنائه وما خرج عنه من تلك العهود والمكاتبات.

---

(5) في الأصل : لفضله.

(6) **ملاحظة** : هذا آخر تقديم للولاة والعمال والقادة .... وستأتي بعده ــ كما في المخطوط ــ تقاديم القضاة، وسنحتفظ بالترقيم المتسلسل للتقاديم.

(7) في الأصل : الولات، وكثيرا ما ترد بهذا الشكل.

(8) لعله يقصد من البداية (وهي مبتورة) إلى الصفحة 7 من المخطوط.

(9) ربما من الصفحة 7 من المخطوط إلى آخر التقديم رقم 48.

(10) تبدو الكلمة في المخطوط كأنها : (أتيت).

[التقديم التاسع والأربعون] :

كتب رحمة الله عليه عن
الإمام المأمون تقديم قاض

(بعد التصدير)[1]...

وإنا كتبناه ـــ كتب الله لكم نظراً يعمّكم مَنُّه ويشمَلُكم، واعتناءا يؤمُّكم خيرُه ويستقبلكم، وأن تعلموا أن قطركم ـــ مهّده الله ـــ مِنّا ببال العناية التي نتعهده ونتخوّلُه، وإنكم لدينا بقديم اختصاصكم بالمحلّ الذي يُحدِق به أحفى الرعْي وأحفلُه، ولذلكم نخصّكم مع الآونة بتفقد أحوالكم، ونُوالِي حفيَّ السؤال عن الدقيق والجليلِ من أشغالكم، ونتوخّى إجراءكم في الأمور كلها على أوفَى ما تتشوّف إليه طوامحُ آمالكم.

وبحسب ذلكم نختار لأحكامكم، مَن يوفّي قصدَنا فيكم، ويُمشّي مذهبَنا الجميل في كافة نواحيكم، وبالله تعالى نستعين على إفاضة المنّ والأمانء وإقامة رسم العدل والإحسان ؛ وقد رأينا بعد استخارة الله تعالى أن نقدّم **للقضاء في شرعيّ نوازلكم وتَوَلّي النظر في الديني من مسائلكم،** فلاناً، وله المنصبُ الشهير، والمحلُّ في الدِّين الأثيرُ، وعلى زكائه واتقائه تتفق الجماهيرُ، بعد أن وصيناه بتقوى الله تعالى وهي أُسُّ الخَير كله، وإليها يستند المومن في عقده وحلّه، وأمرناه بالاستظهارِ في أحكامه بكتاب الله وسنّة رسوله، والاعتمادِ عليها في مَقُوله ومفعوله، والتّخيّر للشهداء[2] والمسَدِّدين[3]، فهم عمدة تأسيسه للقضاء وتأصيله، وأوعزنا إليه أن يُنزل الناسَ منازلَهم ما لم يَعرض حُكمٌ شرعي، فعليه اعتبار الشرع، والإلقاءُ إليه بالبصر والسمع، فلا مزيّةَ لأحدٍ على أحد في الحق الواجب، ولا معتبر في إمضاء الحكم وإنفاذه للمَناصب[4].

ي/62 فإذا قرىء عليكم كتابُنا هذا، فارجعوا إليه بأحكامكم، (.........)[5] / عليه في الفصل بينكم في نوازل خصامكم، واتّفِقوا ولا تختلفوا تجدوا بركة اتفاقكم والتئامكم[6]، واعلموا أنّا تخيرناه من أماثِلكم في الحَسب والطَّلب والديانة، وأنهضناه بحُكم النظر الجميل لكم لتقلّد هذه الأمانة لكم وتَبوُّءِ هذه المكانة، فأمِدّوه بالعَضْد والإنجاد والإعانة، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يصل استقراركم في كنف العافية، ولا يعدمكم تعهُّدَ النِعم الوافرة والعِصَم الكافية[7].

---

(1) كذا في الأصل، وهذا يؤكد أنّ التقاديم جلّها ناقصة الصدر، انظر فن كتابة الرسائل في المقدمة.

(2) يسمون في تقاديم أخرى «العدول».

(3) المسددون هم قضاة الجهات والمدن الصغرى، انظر نفح الطيب 218/1.

(4) هذه الوصايا مقتبسة من المهام المنوطة بالقاضي كما وردت مثلا عند النباهي في «المرقبة العليا» ص 5 ـــ 6، وستكرر هذه الوصايا أو بعضها في التقاديم اللاحقة.

(5) كلمة مكشوطة. (6) كلمة مكشوطة جزئيا.

(7) يبدو أن تاريخ هذا التقديم (واللاحقيْن به) محصور بين إعلان خلافة المامون في 2 شوال 624 بالأندلس وجوازه إلى المغرب الأقصى في آخر سنة 626.

[التقديم الخمسون] :

تقديم قاض آخر

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وعرّفهم يمن ما نقصده من النظر له ونتوخاه، وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يتضح صلاحها، وأعمالا يدل على حسن عاقبتها افتتاحها ؛ وأن تعلموا أن العناية بمصالح البلاد هو (تَهَمُّمنا)[1] المقدم، ومقصودنا الذي لا نتأنّى في إ ظهاره ولا نتلوّم[2]، وإنا لا نزال نعمل النظر في تمشية الأوفق الأصلح، ونجري الأمور على السَّنن الأبين الأوضح، ونتعهّد مهمات المسلمين مع الممسى والمصبَح، وبالله نستعين على الصلاح الذي نبرم أسبابه ونؤكدها، وإليه نفوض في الإدارات التي نتوخاها في ذاته ونعتمدها.

ولما كانت الأحكام الشرعية أحق ما قدِّم إحكامه، وحفِظ بجميل الاعتناء نظامُه، لأنها القطب الذي تدور عليه مصالح الأمة، والملجأ الذي يفزع إليه بالأمور المهمة، لم نزل نتخير لها من نظن به الاستقلال، ونحمد.منه المناحي والخلال، باذلين أقصى الوسع في الانتقاء، موثرين مَن اجتمعت فيه أوصاف الزكاء والنقاء ؛ وبحسب هذا النظر قدّمنا فلانا **للفصل في نوازلكم والقضاء**، والإنفاذ للحق في مسائلكم والإمضاء، بعد ان قُرِّر تأهُّله، وعُزي اليه أحسن الوصف وأجملهُ، وذُكر باستقامة وسداد قوله وعملِه، وقدِّر فيه الاقتداء بأبيه[3] وهو المشكور تحرّيه في ما يقلّده ويحمله[4]، ومع

ي/63 ذلك فقد عهدنا إليه بان يكون تقوى الله سبحانه أول ما (يقدمه)[4]،/ والعمل بمقتضى الكتاب والسنة آكد ما يلتزمه، وأن يراقب عالم الغيب والشهادة في ما يَنقضه ويُبرمه، وأمرناه أن **لا يعدل عن سَنن السلف الصالح** في شيء من أحكامه، وأن لا يورد ولا يصدر إلا عن تحقيق يستفيده من تثبته وتردد استفهامه، ففي القضايا البيّنُ والملتبس، ومن النوازل ما لا يكفي فيه النظر المختلس.

فليُدِم التأمل ليسلم من زلل الاستعجال، ولْيطل التصفح فهو أرفع للإشكال، وأكّدنا علْيه في أن لا يقدّم إلا من وَثِق بدينه ومعرفته[5]، وكان على يقين من زكاء صفته، وأن **يتخير الشهود** فلا يقبل إلا العدل المتّفق عليه، ولا يعمل من الشهادات إلا ما لا يتطرق الجرح اليه، ولْيوالِ ابدا تعهّدهم فقد يخفى من أحوال الشاهد في وقتٍ ما يبين بعده، وقد يلوح مع التفقد ما يوجب بعد القبول ردَّه، وأوعزنا إليه أن يتنزه عن **مَضانِّ الاتّهام**، ويتنبّه لما ترشُقه به سهام الملام، ويسوّي بين المتحاكمين، في المجلس والالتفات والكلام، وأن يكون لديه الضعيف والقوي والقريب والقصيّ شرعا **سواءاً في الاحكام**.

فإذا وافاكم فأعينوه على تمشية هذه المقاصد الحسنة، وأمدُّوه بالمعاضدة المتمكنة والمساعدة البيِّنة، إن شاء الله تعالى[6]....

(1) كلمة مكشوطة.

(2) في الاصل : لا يتلوم.

(3) اشارة الى امكانية وراثة منصب القضاء.

(4) كشط جزئي.

(5) لعل المقصود هم الاعوان القريبون، واختيار المسددين للجهات.

(6) لاحظ الهامش 7 على التقديم السابق.

[التقديم الواحد والخمسون] :

وفي تقديم آخر(1)

...(و) انا كتبناه، كتب الله لكم نظرا تتعرّفون يمنه في كل أحوالكم، وتخيراً لما يتولّى كل مهمّ من أشغالكم ؛ وأن تعلموا أنا نقدّم للأشغال من يتقلدها بأتم غنائه، وننظر للبلاد نظر الطارف إلى مهماتها وجه اعتنائه، ونعطيها بحسب محلّها من النباهة ما نقصده من تتابع التهمم بمصالحها وولائه ؛ ولما كان لقطركم من المكانة لدينا ما يُزحم عليه،(2) وكانت خواطر الالتفات أبدا مصروفةً إليه، لم نؤهّل للتقدم في شيء من أشغاله إلاّ من أهّلته سوابقه الكثيرة، (وأنهضته)(3) ذاته المستقلة ورتبته ي/64 الأثيرة،/ وتردّد على الاختبار فحسنت منه السجيّة (وعـ ـــ ـــ)(4) ما تعنى به القضاء الذي ينال (منفعته)(5) خاصتكم وجمـ(ـهوركم، ـــ ـــ)(4) بإقامته على القانون الشرعي أحوالكم وتصلح أموركم، فانه الحكمة الوازعة عن استرسال، والعصمة للدماء إلاّ بحقها وللأموال ؛ ولذلكم عيّنّا لكم بعد التخيّر والانتقاء، والتأمل والارتياء، فلانا، فنقلناه عن هذه الحضرة إليكم(6)، وأثرناكم بتقديمه عليكم، فإنه مع تمكّن اختصاصه وتأكده، وتميّزه من إحراز الوسائل المرعية بما لا خفاءَ بتعدده القديم الأنحاء، العديم النظراء في المعرفة والزكاء، **المتردّد بين أبيه وعمه بالاقتداء والاقتفاء**(7).

ومع ذلك فهو موصّى بتقوى الله التي هي المستند الأعصم، (والـ ـــ ـــ)(8) الذي لا تُجَدُّ(9) عروته ولا تُفصَم، ومأمور بالرجوع الى **كتاب الله** (ـــ ـــ ـــ)(8) **رسوله** عليه السلام في جميع أحكامه، والاستناد إلى **إجماع الأمة** وفتاوى الأيمة بنقضه وإبرامه، والوقوف مع ما سلف عليه السلف الصالح محطاطاً لإحجامه وإقدامه ؛ وعليه ان ينتقي المسدّدين(10) الذين يستعملهم في الجهات، ولا

(1) لعل هذا التقديم ايضا صادر عن المأمون.

(2) الادعاء مرة اخرى بان البلد المقدم عليه له مكانة خاصة عند الخليفة.

(3) كلمة شبه مأروضة.

(4) قدر كلمتين أو ثلاث اختفت بفعل الترميم.

(5) كشط لجزء من الكلمة.

(6) يبدو انه كان قاضيا بحضرة المأمون باشبيلية (لاحظ وجود المأمون بها في التقديم 53) انظر ايضا الاشارة الى القرابة بين المقدّم هنا والمقدم في التقديم اللاحق، وعن تاريخ هذا التقديم انظر الهامش رقم 11 على التقديم رقم 49.

(7) هذه الاسرة اذن مشهورة بالقضاء، ويبدو ان المقدم من اقرباء القاضي المقدم في التقديم اللاحق (52).

(8) كلمة مكشوطة.

(9) جدّ، يَجُدُّ : بمعنى قطع.

(10) راجع الهامش رقم 3 على التقديم 49.

يقدّمَ إلا المشهور من الأزكياء الثُّقاة[11]، ولا يقبل من الشهود إلا المستوفي لشروط الشهادات، وهو بحبل الله يجري الأحكام على أقوم مناهجها، ويفي لهذه المقدّمات بأصدق نتائجها، ويتلقّى بما يعرض عليه من مبهمات النوازل بفاتحها من التأمل (وفارجها)[12]، ويستمرّ على الوتيرة التي كان أبوه رحمه الله عليها من الفضل بالعدل، والسلوك على أوضح السبل، والتصميم في إمضاء الحق غير مبال باللوم، (والعذل)، والتسوية بين المفضول والفاضل في الحكم غير موثر فيه لذوي (الفضل، ـــ ـــ)[13] يُنزل الناس منازلهم، ويفضل نبيهم خاملَهم ما لم يعرض حق يتعيّن اعتباره، ويتعيّن حكم يجب إيثاره.

فإذا وافاكم فتلقّوهُ تلقّيَ الجذل به (والاستيثار)[14]، وتوخّوا إعانته (على ـــ ـــ)[15] الايراد والإصدار، وكونوا/ [16] على ما يعمله من المصالح من الظُّهَراء (والاـــ ـهار)[17]، وأديموا الاختلاف والاتفاق (تجدوا بركة هذا الأمر في هذه الدار ودار القرار)[18]. ي/65

(11) في الاصل الثقات، ربما كتبت على هذه الصورة لتناسب السجع.

(12) كلمة غير تامة الوضوح.

(13) كلمة مطموسة ولعلها : ولقّناه ان).

(14) كلمة مكشوطة في معظمها.

(15) كلمتان مكشوطتان وماروضتان.

(16) يبدو ان كلمة (له) ناقصة هنا بسبب كشط في اول السطر.

(17) كلمة غير واضحة الوسط.

(18) كلمات مطموسة جزئيا قد تكون كما اثبتناه.

[التقديم الثاني والخمسون]

وكتب في تقديم صنوه الفقيه أبي محمد[1] على خطة القضاء بشريش عن الخليفة الإمام المأمون

....أدام الله كرامتهم بتقواه، وأسبغ عليهم عوارف مننه الجزيلة ونعماه.

وإنا كتبناه كتب الله لكم نظرا تتعرفون يمنه في أقطاركم، ولا تعدمون (معه)[2] هدوء أحوالكم وتمهُّدَ قراركم، والعلم بأن الاعتناء بمكانكم يوجب تقديمَ أشغالكم في ما يُقدِّم، وإجراءكم مجرى من يُصرَف إليه التهمُّم ؛ وبحسب ذلكم نتخير المستعمَلين فيكم (ونحيد)[3] الانتقاء[4] لمن نقدمه في نواحيكم، *والله تعالى يعين على إقامة المصالح، وإدامة الحياطة للداني من الجهات والنازح.*

وإنا قدمنا فلانا للانفراد بالنظر في **أحكامكم الشرعية**، والاجتهاد في الفصلِ بينكم **في النوازل الدينية** بعد أن تكرر مرارا استعماله، وتحققَ غناؤه واستقلاله، وخُبِر فكانت جميلةً أوصافهُ ومشكورةً خِلالُه ؛ وقد أوصيناه بتقوى الله تعالى وهي الجادة الواضحة والوسيلة[5] الناجحة، وأمرناه ان يقف مع **كتاب الله** وسنّة **رسوله واجماع الامة** فيما يبرمه وينقضه من أحكامه، وأن يصرف إلى ذلك وجه الاقتداء به وائتمامه، وأن يحافظ على الوصايا التي نأمر بها من التزام العدل والرفق، والتصميم في كل نازلة تنشأ عن الحق، وحددنا[6] له أن يضبط شغل القضاء الذي أسند إليه وقصير عليه، وأن لا يقدّم من **المسددين**[4] إلا من يتميز بالقبول، ويرتسم في العدول، ولا يقبل من **الشهود** الا من عرف بالعدالة وسداد الحالة، واشتهر بالتيقظ والزكاء[7]، واتصف بالنزاهة والزكاء، فالشهادة مستند الحاكم ومعتمَده (ـــ ـــ يصدره وبها يورد ـــ ـــ ورده)[8]،/ وهي أصل ما يُحلّه من قضاياه ويعتقده ؛ فعليه أن يحطاط لذلك جهده، ويضع قبوله حيث يجب ردُّه، وعليه أن يسوي

ي/66

(1) هو نفسه الذي سبق ان قدم للقضاء بالجزيرة الخضراء حسب ما في التقديم اللاحق مباشرة، أي أن هذا التقديم (52) وضع متقدما على التقديم اللاحق، انظر تاريخيهما.

(2) كلمة مطموسة في معظمها.

(3) في بداية الكلمة تاثير الارضة، ويبدو انها كا اثبتناه.

(4) انظر الهامش 3 على التقديم 49.

(5) في الاصل : الوسيلة (بدون واو العطف).

(6) في الأصل : وجددنا.

(7) كذا بالاصل، ولعل الصواب : والذكاء.

(8) اكثر من نصف سطر كلماته مطموسة (من سبع الى ثمان كلمات).

في الحكم بين النبيه (والخامل)[9]، والمفضول والفاضل، فالشرع لا تعتَبر فيه المناصب، ولا تُلحَظ في تنفيده المراتب، ولا يرعى فيه إلا جانب الحق الذي دونه الجوانب.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاغتبطوا بقدومه على مكانكم، وواصلوا انجاده في كل أحيانكم، وأديموا التعاون على البر والتقوى، وكونوا يداً واحدة في ما يراد بكم من الخير ويُنوَى، واعلموا أنه اختير لكم بعد الاختبار، واستحسان ما تَقَدَّم له من السيرة في المواضع التي قُدِّمَ عليها والآثار، والتقدير فيه للوفاء بمرتضى الإيراد والإصدار، إن شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يجمع على طاعته أهواءكم ويصرِف إلى ما يرضاه أغراضكم وأنحاءكم، بمنه، والسلام.

التاريخ[10] منتصف شهر شوال المبارك سنة ست وعشرين وستمائة.

---

(9) كلمة مطموسة.

(10) ان كلمة (التاريخ) لا يبدو انها علامة خاصة بالمأمون، فالتقديم اللاحق (53) صادر عن المأمون ولا نجد فيه هذه الكلمة بينما نجدها في نهاية تقديم صادر عن الرشيد (رقم 57)، وآخر عن المعتضد (65)، ونجدها ايضا في تقديم آخر صادر عن ابن هود (رقم 54).

[التقديم الثالث والخمسون]

وعنه في تقديم من ذكر[1] على الخضراء

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعلق إيمانهم بأمتن سبب من الخير وأقواه.

وإنا كتبناه ــ كتب الله لكم اختياراً يحفظ نظام أموركم، وإيثارا لما تصلُح عليه أحوال جمهوركم ــ من اشبيلية والإقبال على ما يعينكم من شؤون دينكم ودنياكم، والعلم بأنكم من كفالة النظر الجميل فيما يقضي بحياطة أدناكم وأقصاكم، ولذلكم لا نألو[2] انتقاءاً للمستعمَلين فيكم، ولا نذخر عنكم ولا عن غيركم من أهل الآفاق اعتناءاً يكنَفكم ويحميكم، وبالله تعالى نستعين على ما ننويه للكافة من الخير الجامع، ومنه نلتمس الانحاء[3] على ما نتوخاه من إقامة المصالح وإجراء المنافع.

وإنا قدمنا فلانا **للنظر في شرعي أحكام موضعكم وجهاته**، وإدامة الاجتهاد في **تمشية قضاياكم** على السيرة المرضية وموالاته، بعد أن تردد استعماله وتكرَّر، وتبيّن استقلاله وتقرّر،/ وأُجيلَ النظر ي/67 في تخير من يقدَّم لقضائكم فكان المتخيَّر، وقد أوصيناه بتقوى (الله العظيم)[4]، ووزن ما يورده ويصدره ويأتيه ويذره بالقسطاس المستقيم، ومراقبة من يحيطه بمضمره ومخفاه، ويعلم متقلّبه ومثواه في حالي الهبة (والتهريم)[5]، وأمرناه أن يستند إلى كتاب الله وسنّة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة في أحكامه، ويبني على هذه الأصول الثلاثة ما يريده من نقضه وإبرامه، وأن يتخير الشهود فهم عمدة نظره، وإليهم يرجع في وِرده وصدَره، فلا يقبل إلاّ من تبينت عدالته، وحسُنت دينا ودنيا حالتُه، وأوعزنا إليه ان يباشر شغله كله، ويمضي على يقين واستبراء[6] عقده وحلّه، **ولا يستكتب[7] ويستنيب** إلا من يتفق[8] قوله وفعلَه، وأن يسوي بين الخامل والنبيه في الحكم تسوية يبلغ معها المحق أقصى حقه، ويجري بها الفصل على أعدل طرقه، ويتوخّى فيها التوسط بين حالي شدته ورفقه.

---

(1) انظر الهامش 1 في التقديم السابق (52).

(2) في الاصل : لا نالوا (بزيادة الف اخيرة).

(3) كذا، والانحاء ج نحو بمعنى القصد والطريق.

(4) كلمتان مكشوطتان في معظمهما.

(5) كلمة غير مقروءة الوسط، قد تكون كما اثبتناه.

(6) استبرأ : طلب الابراء من الدين والذنب.

(7) هل مهمة كاتب القاضي تنحصر فقط في تسجيل الدعاوى واقوال المتخاصمين ؟ والنائب قد ينوب عن القاضي في حالة الغياب او في القضايا الاقل تعقيدا، وقد يكون نائبه هو المحتسب او صاحب السوق (عبد الرحمن الفاسي في «احكام الحسبة» المناهل ع/ 20 ص58) انظر الجانب القضائي في الفصل الخامس.

(8) في الاصل : يتق.

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فأعينوه على **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**[9] أتم الإعانة، وصِلوا يده فيما ذكرناه عملا في التعاون على البر والتقوى بمقتضى الديانة، إن شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يجمع على ما يرضاه دواعيكم، ويصرف إلى ما يزلف لديه مساعيكم، بمنه، والسلام ؛ في شهر صفر سنة ست وعشرين وستمائة.

---

(9) هنا يقع التداخل بين مهام القاضي وبعض العمال بواسطة المحتسب الذي يمثل الربط بين جهاز الامن وجهاز القضاء، رغم ان تعيينه اصلا يكون من طرف القاضي، راجع الفقرة المذكورة في الفصل الخامس.

[التقديم الرابع والخمسون] :

وعن ابن هود[1] في تقديم مَن ذُكِر على[2] خطة القضاء بمالقة[3]

إلى اهل فلانة[4]، عرفهم الله يمن ما نواليه من حفظ جوانبكم ورعايتها، وأوصلهم في (كل)[5] ما نتوخاه من الرفق بهم والعدل فيهم الى نهاية آمالهم وغايتها، أما بعد حمدِ الله الذي شرّع الأحكام لإقامة الدين وإظهاره، (وتعبَّدَه)[6] الأنامُ باتّباع الحق واقتفاء آثاره، والصلاةِ على (سيدنا محمد ـــ ـــ ـــ)[7]،/ الذي تلاشت الظُّلَم لأنواره، وتخلّص به بدر العدل الذي قامت به ي/68 السماوات والأرضون من سداره[8]، وعلى آله وصحبه الكرام أعلام الإسلام، وأنصاره، الذين ظهر بهم دين الله حق ظهوره وانتشر كل انتشاره، والرضى عن الإمام خليفة الله على خلقه وأمينه في بلاده وأمصاره، القائِم بامر الله تعالى قيام من أضحى قسيم رسوله عليه السلام في كريم نِجاره[9].

فإنّا كتبناه كتب الله لكم أجمل معتمد في حفظ نظامكم وأحسن مُنتحَى، وأجراكم من جميل النظر على ما يكون به متولّي أحكامكم مختتما بالعدل ومفتتحاً، ونحن نتوكل على الله تعالى في ما نُحكم من أمر ونُبرم من عقد، ونستخيره في كل ما نتوخاه بالعزم إليه من حميدِ سعي وجميلِ قصد، ونسأله الهداية في ما نحاوله ونزاوله من (صَدَر)[10]ووِرد، ونتلقى نعمه الجزيلة ومننه الموصولة بما يجب لها المزيد من شكر وحمد.

وإلىّ هذا فإن قطركم ذلك وأنظاره مما (لا)[11] نزال نوفّيه قسط العناية الحفيلة، ونتخير للاشتغال

---

(1) ان الالتزام بنشر المخطوط كاملا فرض عدم استثناء أية رسالة تقديمية ولو انها غير موحدية، وهذه حالات استثنائية، انظر الهامش 2 على التقديم الخامس.

(2) اي المقدم للقضاء سابقا على الجزيرة الخضراء ثم شريش حسب التقديمين 53 ثم 52.

(3) خضعت مالقة لابن هود سنة 627 (فقهاء مالقة 77).

(4) اي اهل مالقة حسب عنوان التقديم، وهذا يرجح ان جامع التقاديم هو الذي تصرف فيها بالبتر في البداية والنهاية واغفال الاسماء.

(5) كلمة مطموسة.

(6) في الاصل : (ونعبّد).

(7) قدر ثلاث كلمات مطموسة يبدو ان الاولى والثانية كما اثبتناه.

(8) السدار : كناية عن الحجاب.

(9) هو الخليفة العباسي المستنصر بالله (623 ـــ 640).

(10) ما بين هلالين مكرر في المخطوط.

(11) ناقصة في الاصل.

فيه من نتحقق وقوفه مع مذاهبنا الجميلة، ونُنهض لتقلّد الفصل في الأحكام بين أهله من عرفناه بالنباهة والنزاهة والعدالة والفضيلة ؛ وبحسب الصحيح من هذا الاعتبار، والصريح مِن توخّينا لكم ولجهاتكم بمزيد من التقديم والإيثار، بَالغنا في الانتقاء والاختبار، وعيّنّا لخطة القضاء هنالكم من خبرناه فزاد نصوعا على الاختبار، واستعملناه في نبيهات البلاد المرة بعد المرة فحمدناه مع التكرار وتردد المِرار ؛ ذلكم فلان[2]، وإنه لخليق بما قدمناه إليه من أحكامكم، وحقيق بما قصرناه عليه من الفصل في نوازل خصامكم، لاستظهاره بأوصاف العدالة والطهارة، واشتماله على كل موثَر مشكور من السياسة والادارة، وكونِه مجبولا على الشيم المستحسنة والسجايا المختارة ؛ وما زالت هذه الخلال فيه منذ استعملناه على مرّ السنين تتضح وتستبين، ومَنازعةُ في نقضه (وإبرامه)[12] ي/69 وإمضائه وارتيابه لا يعدوها/ السداد ولا يَريمها الدين ؛ وقد ألقينا إليه من الوصايا الجامعة ما تلقّاه بحسن قبوله، وحددنا له أن يبني أحكامه كلها على مقتضى كتاب الله وسنة رسوله، وأن يقتدي **بإجماع الأمة وفتاوى** الأيمة في مَقوله ومَفعوله[13]، وأكّدنا عليه في أن يختار المسددين[14] للجهات كلها وينتقيهم، وأن لا يستعمل إلاّ زكيّهم وتَقيّهم، وأن يكون لهم متعهّدا في كل الأحوال، وآخذا فيهم بما يقتضيه نظره من الإقرار والاستبدال ؛ وكذلك فلْيكن عمله في الشهود الذين تصحّ الحقوق بهم وتبطُلُ، وبشهادتهم يُرد ما يَقبُح ويُقبَل ما يجمُل، وأمرناه أن يحتاط **للحسبة**[15] التي هي قوام المعائش والمرافق، وأن لا يتولاها في موضع من المواضع إلا الشهير له بنزاهة التناولات وسَداد الطرائق، وإجراء للأحكام الشرعية على القوانين المرتضاة، واقتفاء في إقامة الحق وإشاعة العدل لسبل العدول من القضاة، وعملا في توفية المذاهب المشكورة بالسِّيَر الملتمسة منه المقتضاة.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاعلموا أنا أثرناكم باستعماله في أقطاركم، ورضينا لكم محمود جواره ورضينا له محمود جواركم، واخترناه لكم واخترناكم له عملا بموجب إيثاره وايثاركم[16] ؛ فلْتكونوا معه يدا واحدة على ما أنهضناه إليه مِن تقلّد أحكامكم، ولْتوالُوه كل الموالاة بغاية جدّكم واعتزامكم، إن شاء الله ؛ وهو سبحانه يعرّفكم يمن مَقدمه، ويُوجِدكم بركة استعماله وسعادة تقدّمه، بِمنّ الله تعالى وكرمه، والسلام ؛ التاريخ[17] غرة ربيع الآخر عام أربعة وثلاثين وستمائة.

---

(12) مأروضة جزئيا.

(13) فمن الناحية الشرعية لا فرق بين الموحدين وبين ابن هود ممثل العباسيين في الاعتماد على أصول الشرع الثلاثة : الكتاب والسنة والاجماع.

(14) انظر الهامش 3 على التقديم 49.

(15) هنا اشارة باختصار لمهمة المحتسب وتأكيد على انه من تعيين القاضي، وهي نفس القاعدة عند الموحدين.

(16) نفس ما لاحظناه لدى الموحدين من الادعاء بان القطر المقدَّم عليه له مكانة خاصة.

(17) كلمة (التاريخ) واردة ايضا في تقديم عن المأمون (رقم 52) وعن الرشيد (رقم 57).

[التقديم الخامس والخمسون] :

وعنه[1] مخاطبة جمهورية في تقديم قاض آخر

...أدام الله صلاح أحوالهم وانتظام أمورهم، وعرّفهم من جميل النظر ما يفي بإقرار عيونهم وإبهاج صدورهم، أما بعد حمدِ الله الذي جعل العدل/ للخليقة قِواما، وللحقيقة نظاما، وشرع الأحكام التي[2] تَعَبّدَ بها الأنامُ إكمالا للدين وتماما، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله المبتعث بالهدى ودين الحق إشجاءً للمُضِلِّ المبطلِ وإرغاما، الممّدِ (يد)[3] النور والقسط بما لم يبق للجاهلية ظلما ولا ظلاما، وعلى آله وصحبه الكرام الذين كانوا للاسلام نجوما وأعلاما، واقتدوا به ــ عليه السلام ــ جِدّاً في إظهار الحق واعتزاما، والرضى عن الإمام القائم بخلافة النبوة مختارا للقيام بها معتاما، الجامع من شروط الاستحقاق ما أوجب بالإجماع والإصفاق اقتداءً به وإلماما[4]. 70/ي

فإنا كتبناه كتب الله لكم أوضح الأعمال سدادا وصوابا، وعرفكم أسمح الآمال انقيادا وإصحابا، ونحن نتوكل على الله تعالى في كل ما نأتي ونذر، ونستمد من توفيقه وإرشاده ما يَسْتَدّ به الرأي ويستقيم النظر، ونساله أن يهدينا إلى ما يرضى به عنا فبيده القضاء والقدر، ونشكره كثيرا ونحمده، وحمده وشكره في كل الاحوال أولى ما إليه يستدر، وإلى هذا ــ وصل الله أسباب النّعم لديكم وأضفَى ظلالَ العِصَم لديكم ــ فإنّا نخصّكم ونخصّ مكانكم من كريم العناية وعميم الرعاية بما تقتضيه لكم السوابق[5]، ويحظيكم به الولاء الخالص والوداد الصادق، وتتعرفون منه ما يناسب سبقكم ويطابق[6] ؛ وبهذا الاعتبار نجد الاختيار لمن نستعمله فيكم، ونستنهضه لتولّيكم، ونقلّده شغلا منْ أشغال نواحيكم، وبخاصة خطة القضاء التى ترتبط إليها الأحكام، وتتحفظ بها الدماء والأموال والارحام[7]، وتنضبط بالوقوف مع قوانينها الاصول التي يعرف بها الحلال والحرام، (فنجري العتام)[8] لها الأمثل طريقة، والازكى خليقة، ولا نؤمل لتقلّدها إلا من عرفنا لديه سيرة

---

(1) اي عن ابن هود.

(2) في الاصل : الذي.

(3) في الاصل : الممدّين النور.

(4) هو الخليفة العباسي المستنصر المذكور.

(5) قارن مع التقديم 51 وهامشه رقم 2 والهامش 16 على التقديم السابق.

(6) ماهي المدينة التي سبقت الى طاعة ابن هود هل المقصود مرسية، أم مالقة ؟

(7) قارن مع رسالة عن ابن هود إلى عماله وولاته بالحفاظ على الدماء والاموال والارحام (البيان 333 ــ 334، مفاخر البربر 148 ــ 149 من المجموع)، ولعل هذا الامر ناتج عن التداخل بين مهام المسؤولين الاداريين والقضائيين فيما يهم موضوع الحسبة.

(8) كشط جزئيٌ للكلمتين، وقد تكونان كما اثبتناه.

قويمة ومنة مطيقة ؛ وقد عيّنّا الآن بهذا الرسم فلانا حين زكّته الخِيَرة المترددة، وكانت له الآثار المتعددة، وحسن[9]/ سمته وهديه[10]، وكرم في ما تولاه نظره وسعيُه، وبانت حصافته وأصالته، ي/71
ووضُحت سكينته وجزالته ؛ فاستخرنا الله تعالى في تقديمه وإنهاضه، ورجونا أن يكون عند الظن به في جميع أنحائه وأغراضه، و لم يبعد أن يكون بالقضاة **الأعلام من سلفه مقتديا**[11]، وبالفقهاء المشاوَرين من أوائله مهتديا، وإنه لخليق لذلك وأمثاله، والخيرَ أردنا ــ والله يشهد ــ في استعماله، «وما توفيقيّ الا بالله عليه توكلت وإليه انيب»[12].

وقد ألقينا إليه بوصايا أكدنا عليه في امتثالها، وبرئنا إليه من العهدة في ما نطنا به من أثقالها، و لم نوسعه نُذرا عُذرا في أن يخرج قولاً وفعلا عن واضح سَننها وقويم مثالها، منها : أنّا امرناه أن يقدّم تقوى الله (تعالى)[13] التي عليها مدار النيات والاعمال، وهي خير الزاد للمآل، وبها (تستجزل)[14] الإفادة وتَحصُل السعادة، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم﴾[15] وقال : ﴿إن الله مع الذين اتقوْا والذين هم محسنون﴾[16]، وحددنا له أن يستند إلى كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن يقف مع آياته المحكَمات بوعي قلبه وإصغاء سمعه وإبصار طرفه، فهو النور الذي تتلاشى الظلَم لسطوعه واشراقه، وحبل الله الذي قد سَعد من بادر لا عتصامه به واعتلاقه، قال الله تعالى : ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[17] وقال.: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾[18] ؛وأن ياخذ بسنة رسول الله ﷺ أخذ المقتفي لاثارها(*) الصالح، والمستضيء (بأ) نوارها اللوائح، فإنها سبيل الهدى، وكلام من لا ينطق عن الهوى، قال الله تعالى : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[19]، وقال : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[20]،/ وقال عليه السلام «تركت فيكم أمرين لن ي/72

(9) كلمة مأروضة جزئيا.

(10) في الاصل : وهدبه.

(11) الاشارة الى ان اسرة هذا القاضي هي اسرة قضاء (خلفا عن سلف).

(12) من الاية 88 من سورة هود.

(13) كشط جزئي للكلمة.

(14) في الاصل : نستجزل.

(15) من الآية 29 من سورة الانفال.

(16) من الآية 128 من سورة النحل.

(17) من الآية 155 من سورة الانعام.

(18) من الآية 9 من سورة الاسراء.

(*) كذا في الأصل.

(19) من الآية 92 من سورة المائدة.

(20) من الآية 7 من سورة الحشر.

تضلوا ما تمسّكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله، عضوا عليها بالنواجذ[21]، وأن يكون الإجماع الذي هو الركن الثالث من أركان الشريعة قائلا وعاملا، ولمنعقَده الذي استقر لدى الأمة قابلا، فإنه مما أظهر الله به حقه وحرّم خرقه، وتعبّد باتّباعه خلقه، قال الله تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المومنين نولّه ما تولّى ونُصلِه جهنّم، وساءت مصيرا﴾[22] وقال عليه السلام : «لن تجتمع أمتي على ضلال» ؛ وعليه مع ذلك أن يكون لأقوال الأيمة متصفّحا ولما عضّده الحق منها مرجّحا، ولمشورة أهل العلم مستعمِلا، ولما يوردونه من الحِجاج متأملا، ولحكم الله بالرد الى الرسول وإلى أولي الأمر متوصّلاً، قال الله تعالى : ﴿ومن أحسنُ من الله حكما لقوم يوقنون﴾[23]، وقال آمرا لنبيه ليقتدى به : ﴿وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[24] ؛ وعليه أن يلتزم العدل الذي أمر الله به في إصداره ويعمل في إقامة قسطاسه غاية جده واجتهاده، عاملا[25] انه (ـــ ـــ ـــ)[26] الاكيد الالزام، فإنه مطلوب الله تعالى من جميع الحكام، قال الله تعالى : ﴿إن الله يامركم ان تؤدّوا الأمانات الى اهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[27] ؛ وقال : ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما﴾[28].

وللقضاء قوانين دَرجَ عليها خيار القضاة، وعُرفت من سِيرهم المرتضاة، منها ما حفظ عنهم في التوثق (تقييد)[29] المقالات، والتثبّت فيما يرِد من المشكلات، والاستظهار بعدول البينات وحسن التفهم للخصومات، والإعذار لضرب الآجال، والتلوّم الرافع للاحتمال ؛ ومن أهم ما يُقدَّم فيه النظر، ويُعضَّد بالخير فيه الخبر، الشهود الذين عليهم في تنفيد الاحكام الاعتماد، وإليهم في النقض والإبرام الاستناد، (وعن)[30] بعض القضاة السلف يقول للشهود : إنما انتم القضاة وأنا المنفذ والله تعالى ي/73 يقول في كتابه : «ستُكتَب شهادتُهم ويُسألون»، (ـــ ـــ ـــ)[31]أن يختارهم (وينتقيَهم،/ [32] ولا) يقبل إلا عدلهم وتقيَّهم، قال الله تعالى : ﴿وأشهِدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾[33] وفي الأثر المروي عن النبي عليه السلام : ﴿لا تقبل شهادة خصمٍ ولا ظنينٍ ولا جارٌ الى نفسه﴾.

(21) في الاصل : النواجد.

(22) من الآية : 115 من سورة النساء.

(23) من الآية 50 من سورة النساء.

(24) من الآية 159 من سورة آل عمران.

(25) كذا بالاصل : ولعلها (عالما).

(26) كلمة غير واضحة.

(27) من الآية 58 من سورة النساء.

(28) من الآية 135 من سورة النساء.

(29) كلمة مصابة بالارضة.

(30) كلمة مأروضة.

(31) كلمة مكشوطة، والآية هي 19 من سورة الزخرف.

(32) كلمتان متأثرتان بالارضة والكشط. (33) من الآية 2 من سورة الطلاق.

فليكن باحثا عن أحوالهم في كل آنائه، صارفا الى تفقّدهم عنان اعتنائه، فمن عَلم زكاءَه اختيارا وخبر عدالته مرارا أمضى شهادته وقَبِلها، ومن عثَر له على جرحة ردّ شهادته وأبطَلها، حتى يكون على يقين مما يبني الحكم عليه، وثقةٍ فيما يسنِد الفضل اليه، وعليه أن يجري حدود الله على أوضح الطرائق، وأن يقيمها غير معتدٍ إقامة من لا يُرضي المخلوق بإسخاط الخالق، قال الله تعالى : ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها، ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[34] ؛ ومتى مثل الخصوم بين يديه فلْيراقب الله سبحانه في توخي التسوية بينهما في المجلس واللفظ واللحظ، ولْيعطِ كل واحد منهما في حسن الاستماع أعدل الحظ، غير معتبر شفوف نبيهٍ على خامل، ولا مُحابٍ لقريب ملاصق ولا صديق مُواصلٍ، قال الله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوْفوا، ذلكم وصّاكم به﴾[35] ولْيذكر متى حضر الخصمان لديه وأدليا بحجهما بين يديه يوما يحضر فيه عند ربه، وتُعرض عليه مُودَعات صحائفه وكتبه، فهناك يوبقه جَوره أو يطلقه عدلُه، ويحصى عمله الذي له أو عليه كله، قال الله تعالى : « يومئذ تُعرَضون لا تَخفى منكم (خافية)»[36] ؛ وعليه أن **يامر بالمعروف وينهى عن المنكر**، لا يخاف في الله لومة لائم، وأن لا يجعل في الحق سبيلا على مظلوم لظالم، وأن يأخذ بإقامة الصلوات والملازمة لها في الجماعات من ليس بملازم، قال الله تعالى : «الذين إن مكّنّاهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوْا عن المنكر»[37].

هذه وصايانا التي ألقيناها اليه، وأقررناها لديه حجة له وعليه، وأمرنا(ه)[38] أن يحمل عليها من في نظركم وجهاته، وأن يلتزم الوقوف عندها في كل أوقاته ؛ (فإذا)[39] وافاكم بمعونة الله فكونوا معه يدا واحدة في ما أمرنا به من (ـــ ـــ عمل ـــ ـــ)[40]/ مقاصد، (ـــ ـــ [41])في جمـ(يع ي/74 احوالكم أوضح المراشد، (واسعوا[42] ؟) في التعاون عليها جميعا عمل الموافق للحق (المساعد)[42]، قال الله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[43].

نسال الله لنا(ولكم)[42] التوفيق الى الحق واتّباعه وتسديدا الى تحصيل أحسن الاقوال واستماعه، وتخليصاً من التبعات يوم لا ينفع مال ولا بنون عند صرف العبد الى ربه وارتفاعه، بمنّه وفضله.

---

(34) من الآية 229 من سورة البقرة.

(35) من الآية 152 من سورة الانعام.

(36) كلمة ناقصة في الاصل، والآية 18 من سورة الحاقّة.

(37) من الآية 41 من سورة الحج.

(38) الهاء ناقصة ربما بسبب الكشط.

(39) كلمة مأروضة.

(40) كلمتان غير واضحتين.

(41) طمس في السطر الأول لكلمتين او ثلاث.

(42) كلمة مطموسة جزئيا.

(43) من الآية 2 من سورة المائدة.

[التقديم السادس والخمسون] :

وفي تقديم آخر[1]

...ولما كانت أمورُكم من أهم ما نعمر به الخاطر الخصام، والنظر في ما يدور بينكم من الأحكام، من أحق ما ينبغي تخيّر المستعمَل فيه، وأوجبِ ما نوثر الاحتياط ونوفيه، أعملنا الفكر في من نقلده أمانة القضاء هنالكم، وأخذنا مع من يثق[2] (بدينه)[3] وعقله في ذلكم، فتعين مع إمعان النظر والتماس المعروف بحسن الطرائق (وأعدل) السير، وإعمال البحث عمن زكّاه تردّدُ الخبر وتواترُ الخيَر[4] فلان، وهو الشهير حسبه وطلبه، والمشكور في هذه الخطة منحاه ومذهبه، لذلكم قدمناه لأحكامكم الشرعية، ورضيناه لإجراء قضاياكم على القوانين المرعية، بعد أن أمرناه بتقوى الله تعالى في كل أحواله، ووصّيناه بالتزام سداده في كل المحاولات (واعتداله)[3]، وحددنا له أن يجعل كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة قواعد احكامه، وأن يستند في ما لم يرد فيه نص الى أقوال أيمة العلماء بنقضه وإبرامه، وأن يستصحب في تعرف أحوال الشهود الذين يُثبت به الحقوق أو ينفيها (أهم تفقده)[5] واهتمامه، وان لا يستعمل من المسددين إلا من عرف (ـــ ـــ ـــ)[6] على حسن الحال ووُسِم بنزاهة (الحال)[7] ونقاء الانتحال، وأوعزنا اليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن ضده، وأن يقيم الحق بأقصى وُسعه وأوْفى جُهده، وأن يسوّي في القضاء بين النبيه والخامل، وأن لا (يلاحظ) في الحق الذي به يصدع أولي المناصب والمنازل، فالناس شَرْعٌ سَواءٌ في الشرع، ي/75 والشريف والمشروف مأموران/ بالطاعة له والسمع.

فإذا وافاكم فتعاونوا (معه على)[8] ما اسندناه اليه، وكونوا يدا واحدة في الحق...

[قال يحيى وفقه الله][9]

((انتهى ما ألفيت من هذه التقاديم في الفصل الذي في مجموع الشيخ رحمة الله عليه، وألفيت في اثناء المجموع منها مما كتب[10] به عن الخليفة الرشيد في تقديم صنوه أبي محمد على خطة القضاء بشريش وما إليها :))[11].

(1) يبدو ان هذا التقديم ايضا عن ابن هود ما دام جامع الرسائل لم يبد اية ملاحظة على عكس ما سنراه بعد هذا التقديم.

(2) كذا.

(3) كلمة مطموسة كلا او بعضا.

(4) في الاصل : وتواثر الخبر.

(5) يتخلل الكلمتين مفعول الارضة.

(6) في الاصل يبدو انها : برؤويه..

(7) كلمة مطموسة. (8) طمس جزئي.

(9) اضافة من المحقق، قارن مع نفس الملاحظة في الصفحة 7 من المخطوط.

(10) هل يرجح هذا ان كاتب التقاديم كاتب واحد، فجمعت له نماذج كتابته عن الموحدين وغيرهم ؟

(11) هذه ملاحظة صاحب المخطوط.

[التقديم السابع والخمسون] :

وعن الخليفة الرشيد في تقديم أبي محمد[1] على خطة القضاء بشريش[2] وما إليها

....وإنا كتبناه، كتب الله لكم استقبالا لأيمن النظر وأحسنه، وإقبالا فيما يعود بصلاح أحوالكم ونجاح آمالكم على أوضحِ السُّنَن وابينِه ؛ وأن تعلموا أن مصالحكم معتمدة بالاعتناء وأن جوانبكم متعهَّدة بالرعاية في كل الأناء ؛ وأنكم موفون من نظرنا لأجمل ما لا يغبّكم منه نظام الأمور وسداد الأنحاء ؛ وبهذا الاعتبار نتخير لأحكامكم من يعيّنه الارتضاء، ونوثر بتقلد أشغالكم من عُرف منه الصلاح وأُلِف لديه الغَناء ؛ والآن قدّمنا فلانا لخطة **القضاء بينكم** والفصل، وإجراء **نوازلكم الشرعية** على قانون النصَفة والعدل، وقد تردّد **فيكم استعماله**[3]، وتقرر اضطلاعه واستقلاله، وتميزت بالنباهة والنزاهة خلاله، وهو موصّى بتقوى الله ومراقبة امره، والتزام الخيفة له في سره وجهره، وأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة فيما يمضيه من الأحكام، ويقتدي في كل أحواله بمن سلف من أيمة الدين وأعلام الاسلام، وأن لا يستعمل من **النواب**[4] والشهود إلا من تنزه عن المَظِنّة والاتهام، واتصف من موجبات القبول بما تنفد به الشهادات عند الحكام.

فإذا وافاكم قاضيكم المذكور، فتعاونوا معه على البر والتقوى كل التعاون وتوافقوا من الامر **بالمعروف والنهي عن المنكر** على ما يقتضي في ديانتكم بالرجحان عند التوازن ؛ والله (يستعمله)[5] وإياكم بأزكى المساعي والأعمال، ويعرّفكم هذا النظر في كل الأحوال، بمنه، والسلام ؛ **التاريخ** غرة ذي قعدة عام ستة وثلاثين وستمائة./

---

(1) يذكر النباهي قاضيا لابن هود اسمه عبد الله بن الشيلغ استكتب أبا عبد الله بن علي (ابن عسكر)... ثم استنابه في بعض الاعمال ثم عزل اخوه عما كان يتولاه من القضاء بالجزيرة الخضراء، وعزل ابن عمه عن الجهة الغربية، (المرقبة العليا 113 — 114).

(2) تمثل هذه الفترة عودة السيادة الموحدية الاسمية الى جنوب بلاد الاندلس من المناطق التي كانت تابعة لابن الاحمر امير غرناطة حيث أعلن البيعة للرشيد منافسا لبني هود بالشرق الداعين للعباسيين.

(3) هل هو أبو محمد الذي سبق تعيينه قاضيا من قبل المأمون على الجزيرة الخضراء (حسب التقديم 53) ثم على شريش (حسب التقديم 52) ؟

(4) لاحظ في التقديم 53 والهامش 7 عليه مسألة الاستنابة.

(5) كشط بالكلمة، فقد تقرأ كما اثبتناه.

[التقـديـم الثامن والخمسـون] :

وعنه[1] في تقديم آخر

ظ/76 /...أدام الله كرامتهم بتقواه وأولاهم من جميل النظر أحقه واولاه، كتب الله لكم تعرفا لأجمل ما توفرت عليه الدواعي من إصلاح احوالكم، وتصرّفا في أكفل الأعمال والمساعي بانجاح آمالكم ؛ وأن تعلموا انّا ننظر للبلاد ورعاياها النظر الذي يقدّم الأهمَّ فالأهمّ من أمورها، ويتمّ الاخصَّ والأعمّ من مصالح خاصتها وجمهورها، ويقيم للشريعة التي تعبّدت بها هذه الامة مراسم واجبها ومحْظورها ؛ ذلكم لتطّردُ لها العناية على أبين مقاصدها، وتوردها الرعاية[2] على أمتن[2] مواردها، وتمتد بها الغاية في ملاحظة الحقائق وملازمة أهدى الطرائق إلى أحسن عوائدها.

وبهذا الاعتبار، يتأكد لدينا تردّدُ الاختيار وتجدّدُ الاختبار، لمن يتعين بترجيح الارتضاء، ويتبيّن تأهّله لخطة القضاء، ويُتيقّن مضاؤه فيما حَكم فيه الشرع بالإمضاء ؛ وممن وفى لهذه الجملة بتفصيلها، ووفّى المعارف حق تحقيقها وتحصيلها، واقتفى في الأهلية لهذه الرتبة السنية واضح سبيلها : فلان ؛ وقد عيّناه **لإقامة أحكامكم الشرعية**[3]، وادامة اجرائكم على قوانينها المرضية، والمساواة[4] في الحق بين من تضمّه أقطاركم من الرعية، بعد أن تُقدّم اليه بأن يقدّم تقوى (الله) تعالى التي هي قطب السداد، وحسبُ المومن للمعاد، ويستند الى الكتاب والسنة فهما عمدة الاستناد، (و)[5] الى الاجماع الذي (هو)[5] ثالث قواعد الاستدلال والاسترشاد، ويستظهر فيما عَدَمَ النص فيه بما انبنى من أقوال العلماء على أسنّي النظر والاجتهاد، هذا هو السُّنن الذي لا عدول عنه لعدول القضاة، والطريق الذي أدى اليه التحقيق من السِّير المتضاة، وعلى ما أصِّل منه تُحمل نظائره وأشباهُه، وبه يُسبَر الحكمُ إذا انبهم اشتباهُه، ويقع الفصل إذا سلم من عوارض النواقص اتجاهُهُ ؛ وقد حددنا له أن يرجع إليه فيما يثبته وينتفيه، ويجعله منهاجه الذي يسلكه دائما ويقتفيه، وأمرناه ان (يكـ ـــ)[6]تصفّح أحوال الشهود، وتعرِّف المقبول منهم من المردود، من أن أهم

---

(1) اي عن الخليفة الرشيد.

(2) شبه مأروضة.

(3) الملاحظ هنا عدم النص صراحة على الفصل في النوازل مثل ما هو ايضا في التقديم رقم 53.

(4) في الاصل : المساوات.

(5) ناقصة في الاصل.

(6) كلمة مأروضة، ولعلها (يكثر من).

ي/77 (ـــ ـــ ـــ)[7]/ فيه، وأن يتوخى الديانة والأمانة فيمن يستعمله من النواب[8] عنه ويستكفيه[9].

فإذا وافاكم، فلْيحسُن ائتمارُكم لإصداره، وإيراده، ولْتجمُل آثاركم في التعاون معه على ما قُلّد من استقلاله بأحكامكم واستبداده، ولتعلموا أنكم أوثِرتم منه بمن يُجري الفصل الشرعي فيكم على جادّة سداده، ان شاء الله تعالى...

---

(7) كلمة مأروضة تماما.

(8) لاحظ هذا المصطلح ايضا في التقديم السابق عن الرشيد.

(9) كلمة مأروضة جزئيا.

[التقديم التاسع والخمسون] :

وفي تقديم آخر

...كتب الله لكم توافقا على السعي الجميل، وتسابقا الى سلوك سواء السبيل، والتعاون على ما يحظيكم بالزلفى لديه ؛ وأن تعلموا أنكم معتمدون بالنظر المصلح لأحوالكم، ومتعهَّدون بالاعتناء الميسَّر لآمالكم ؛ وأولى مهماتكم بالتقديم، وأحرى ما جرت فيه أموركم على السنن القويم، خطة القضاء التي تقام بها بينكم الأحكام، ويتسق ما جرت فيه اموركم على السنن القويم، خطة القضاء التي تقام بها بينكم الاحكام، ويتسق بإجزائها على القوانين الدينية لجميع النوازل النظام ؛ وقد قدَّم فلان للفصل بينكم والقضاء، وأنهض لما تحتاجون إليه في نواشيء أحكامكم من الإنفاذ لها والإمضاء، بعد أن قُرِّرَ تردُّده في الاستعمال فظُنَّ به الاقتداء بسلفة في مشكور الاحوال.

وقد وصِّي بتقوى الله ومراقبة أمره، واستشعار اطّلاعه تعالى عليه في سره وجهره، وأن يكون على الكتاب والسنة والإجماع اعتماده، وإلى فتاوى علماء الأمة وأعلام الأيمة استناده، وأمِر بالتسوية في الحكم بين المشروف والشريف[1]، والآخد بالحق من القوي للضعيف، وأكِّد عليه في شأن الشهود لينتقيهم، ولا يقبل إلا عدلهم وتقيّهم، فعلى الشهادة مَدار ما يوقفه من الفصل في القضايا او ينفذه، والاحتياط لها من اهم ما يَحسُن فيه بحول الله منحاه ومأخذُه[2].

فإذا وافاكم بهذا الخطاب فارجعوا إليه باحكامكم، وأعينوه باتفاقكم معه على تمشية الحق والتئامكم إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن النظر الذي يتعهدكم جميله، ويسلك بكم من التعاون على (ـــ ـــ ـــ)[3] والتوافق في أعمال البر على ما اتضح سبيله...

---

(1) في الاصل :الشريف (بدون واو).

(2) لا يوجد هنا ذكر لاختيار المسددين، فهل يبقى هذا ضمنيا، ام لا يدخل في اختصاص هذا القاضي بحيث لا يتعدى نفوذه بلدته ؟

(3) كلمة مأروضة.

ي/78 **قال يحيى[4] وفقه الله تعالى :**

انتهى ما في المجموع مما ذكرته وما ألفيته فيه ووجدته، ووصلت بعضه ببعض وأوردته ؛ وهذا ابتداء ما وجدته من هذه التقاديم في غير ذلك المجموع مما جنيت ثمره، وأجريت نهره، وأشممت زهره، ونظمت لأولي الآداب والالباب (درره، لينتهي)[5] بلآليها، ويتسلى بما بث الأنس في لياليها، فمن ذلك :

[التقديم الستون] :

تقديم قاض

...وإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم نظرا تتمشّى به مصالحكم، وأثرا تأمن له مساربكم ومسارحكم ؛ وقد رأينا ــ ونسأل الله تعالى سداد الرأي ورشاد الأمر (ــ ــ ــ)[1] وأن يقدم(*) للاشتغال بأحكامكم الشرعية، والنظر في مصالحكم الدينية، فلانا أكرمه الله[2] بتقواه، وسدد لقول الحق والعمل به مقصده ومنحاه، بعد أن وصيناه بتقوى الله التي هي أسّ الاعمال الصالحة، وعنوان الأحوال الناجحة، وأمرناه بالقيام بشرط القضاء، والتثبت في الأحكام قبل الإمضاء، والتسوية بين الخصوم (في)[3] الحق دون تفرقة بين ذوي المرتبة والإثراء، وعهدنا إليه أن لا يقبل من الشهداء إلا من حُمدت طريقته، ولا يعمل من العقود إلا ما ثبتت حقيقته، وأكدنا عليه التزام هذا القانون الذي حددناه، والاعتماد على الذي نويناه وقصدناه[4].

فإذا وافاكم إن شاء الله فأعينوه على الشغل المنوط به، وشاركوه في اظهار الحق فلم تُنهضه الا بسببه، ووافِقوه في ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر تحمدوا غِبّ اتفاقكم، وتجدوا بركة انتظامكم واتساقكم، والله تعالى ينجدكم ويعينُكم، ويستعملكم في ما تصلح به دنياكم ويَصحّ دينُكم...

---

(4) لاحظ تدخّلين سابقين له في الصفحتين 7 و75 من المخطوط، والعبارة هنا من «قال... المجموع» مكتوبة في الاصل بخط سميك. (أي السطر الأول في صفحة المخطوط)

(5) طمس جزئيٌ للكلمتين.

(1) كلمة مطموسة.

(*) كذا في الأصل، والصواب : وأن نقدّم.

(2) لاحظ صيغة جديدة في الدعاء في هذا التقديم.

(3) ناقصة في الاصل بآخر السطر بسبب الكشط.

(4) اغفل هنا ذكر الالتزام باصول الشرع واختيار النواب والمسددين، فهل هو ناتج عن اختصار الناسخ ام لإهمال الكاتب...؟ راجع الهامش 2 على التقديم 59.

[التقديم الواحد والستون] :

وفي تقديم آخر

....كتب الله لكم نظرا يمهّد[1] أكنافكم، واختياراً يؤمن أوساطكم وأطرافكم إلا الخير[2] الأكمل، واللطف الاشمل، والحمد لله حمدا (تستدام)[3] به الآلاء (وتستجزل[3]، و) قد رأينا ــ ونسأل الله سداد الآراء، ويمن المقاصد كلها والأنحاء ــ أن نقدّم عليكم[4] (للقضاء في)[5]/ أحكامكم الشرعية، والاشتغال بأشغالكم الدينية، والفصل بين قويكم وضعيفكم، ي/79 وشريفكم ومشروفكم بميزان العدل والسوية، ووصيناه بتقوى الله في ما يُعمل فيه نظرَه، ويسند إليه مقوله ومنتظرَه، والحكمِ بالحق الواضح يسلك سَنَنَهُ ويقفو[6] أثره، وأمرناه (بتفقد)[7] العقود والشهود، وبذل الجهد في الفرق بين المقبول منهم والمردود، والوقوف عند الحدود الشرعية في (التعزيرات)[8] والحدود[9] ؛ فأعينوه على ما وجهناه إليه من **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وعاضدوه في إظهار الحق وإخفاء الباطل معاضدة تُرعى لكم وتُشكَر...

---

(1) في الاصل تمهد.

(2) قارن مع مثل هذا التعبير في التقديمين 62 و64 والتقاديم 33 و35 و44.

(3) كلمة مطموسة.

(4) يوجد هنا بتر تسبب في اغفال ذكر المقدّم (فلان) في هذا التقديم... لاحظ نفس الشيء في التقديم 64.

(5) كلمتان مأروضتان.

(6) في الاصل : ويقفوا.

(7) الكلمة في الاصل مكررة.

(8) كلمة مأروضة ومن معاني (عزّر) : أدّب وضرب.

(9) هنا ايضا إغفال لذكر اختيار النواب والمسددين، انظر الهامش 2 على التقديم 59.

[التقديم الثاني والستون] :

وفي مخاطبة أخرى في ذلك

....أدام الله كرامتهم بتقواه، ويسّر لهم خير الدين والدنيا وسنّاه، كتبناه كتب الله لكم حسن الاختيار، ويمن الإيراد والإصدار، إلاّ الخير[1] الأوفر نصيبا واليسر الأدفر[2] عبقا وطِيبا ؛ وقد رأينا ــ ونسأل الله رشاد الآراء وسداد الأنحاء ــ أن نقدم فلانا للنظر في الشرعي من أحكامكم، والاشتغال بالديني من نقضكم وإبرامكم، والفصل بواجب الحق في نواشيء نزاعكم وطوارىء خصامكم، بعد تقرر طلبه وزكائه، والثقة بسداد مقاصده وأنحائه ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى، والسير على جادة الشرع المثلى، والاقتداء بآثارالكتاب والسنة[3]، والانتهاض في الأمر **بالمعروف والنهي عن المنكر** ببذل الجهد وإعمال النية، والاستحسان في المشكلات بالحذر والتوقّي ونِعْمت الوقاية فيهما والجُنة، وأمرناه بانتقاء الشهود واختيارهم، والوقوف مع الحق في اطّراحهم أو إقرارهم، والتسوية بين الأقوياء والضعفاء غير معْرض عن هؤلاء لإقتارهم ولا مُقبل[4] على أولئك لإكثارهم.

فإذا وافاكم فأحسنوا معاضدته، وأجملوا مساعدته، والله يديم توفيقكم، ويُنهِج إلى الخير طريقكم...

[التقديم الثالث والستون] :

وفي فصل من أخرى في المعنى

ي/80 ...(كتبناه كتب)[1] الله حسن النظر لكم، ويمن ما نوجهه من الغَناء والاعتناء قِبلكم، وقد رأينا ــ ونسأل الله سداد الرأي ورشاد السعي للنظر في نوازلكم الدينية، والفصل بالحق في قضاياكم الشرعية...

---

(1) قارن مع هذا التعبير ما في التقديم السابق 61 وتقاديم اخرى : 33 و35 و44 و 61 و64.

(2) المقصود فوحان الرائحة.

(3) وقع هنا التغاضي عن ذكر الأصل الثالث من اصول الشرع وهو الاجماع.

(4) في الاصل : ولا مقيل.

(1) الكلمتان شبه مطموستين بفعل الرطوبة.

[التقديم الرابع والستون] :

ومن مخاطبة جمهورية في المعنى

...أدام الله كرامتهم بتقواه، ووفر حظوظهم من رحماه ونعماه، إلا (الأ لاءة)[1] الدارّة، والأحوال السارّة ؛ ولمّا كان قطركم مبدأ مهماتنا، والمقدّم في نظرنا والتفاتنا، وكان تخيُّر قضاته أولى ما رفع به الابتداء، ووقف عليه الاعتناء للنظر في أحكامكم الشرعية، والاشتغال بنوازلكم الدينية[2]، وهو المشهور حسبه وطلبه وتديّنه، والمعروف أنه لا يقف دون غاية الكفالة ممكنه، وممن لم يزده (مسبار)[3] الاختبار، وتكرار الاعتبار، إلا منحَى نستجيده، ومنزعا نستحسنه ؛ وقد وصيناه بتقوى الله فهي عُدّة المفلحين، وعمدة الصلحاء والمصلحين ؛ والوظيفة التي يجب على الأبّاء[4] استشعارها الحين بعد الحين، وأمرنا(ه)[5]أن يسوي[6] بينهم الخصوم في سمعه ولحظه، والمعدلة بينهم في الشدة أو اللين من لفظه، وأن لا يخاف لومة لائم في إمضاء الحق، ولا يعدل ما لم تعترض[7] شدة شرعية عن سنن الرفق، ولا يقبل من الشهود إلا المشهّدين بالذكاء والزكاء والصدق، فالشهود مناط أحكامه، ومستنَد نقضه وإبرامه، (والفاروق)[8] الأقوى بين حلال الفصل وحرامه، والعائدون حسب العدالة أو ضدها ذات اليمين أو ذات الشّمال بزمامه ؛ وهو يقف عند هذا (الوقف)[9] ويعمل بهذا العهد، ويمشّي ما لم يزل يُلقّنه عنا ويفهمه منا من سداد القصد[10].

فإذا وافاكم فوافقوه في تمشية مصالح الديانة، وأولوه (مَمكّنَه)[11] في ذلك من الانحاء والعضد (والإعانة)[12]..../

---

(1) يشابه هذا الاسلوب ما ورد في اوائل تقاديم اخرى (33 و35 و44 و61 و62)، وكلمة (الألاءة) مأروضة الآخر.

(2) هنا بتر ادى الى اغفال ذكر المقدم، كما هو الحال في التقديم السابق رقم 61.

(3) كشط جزئي للكلمة.

(4) الأباء : من فعل ابى يأبى، «رجل أبّاء» اي يأبى الضيم.

(5) في الاصل : وامرنا.

(6) في الاصل : ان نسوي.

(7) كشط في وسط الكلمة.

(8) مأروضة الوسط.

(9) كلمة مطموسة تظهر شبيهة بما اثبتناه.

(10) يلاحظ ذكر «القطر» وغياب ذكر اختيار «المسددين» فهل القاضي مسؤول عن مدينته دون الجهات الاخرى.

(11) كلمة مطموسة تظهر شبيهة بما اثبتناه.

(12) كلمة مأروضة.

[التقديم الخامس والستون] :

ي/81

مخاطبة أخرى وعن الخليفة المعتضد في إعادة قاض لخطته[1]

(بعد الصدر)[2]

كتب الله لكم نظرا يطّرد لأحوالكم صلاحها، و(يـ)سلك[3] بكم على جادة توفيقه التي لا ينبهم تبيُّنها واتضاحها ؛ وأن تعلموا أن اعتناءنا بكم (ـــ ـــ ـــ)[4] أن لا نُغبّكم بالنظر الجميل في كل الاحيان، وأن تطّرد فيكم سيرُ العدل والاحسان، وأن يعيَّن لمصالحكم وأشغالكم من عرفنا تأهله لذلكم بتردد الخبرة وتكرر الامتحان.

وبهذا الاعتبار أعدنا الآن الى **تولّي أحكامكم الشرعية، وتقلد النظر في نوازلكم الدينية** ؛فلان، إعادة تفرده بالفصل بينكم والقضاء، وتشهد بما تأكد له لدينا من موجبات التأهيل لذلكم والارتضاء، وتنبيء بما تضاعف له عندنا من مزيات الإيثار والاعتناء، فهو ممن تميّز بالخِدم الحديثة والقديمة، وتبيّن سلوكه على تردد استعماله في **هذه الخطة** للطرق الواضحة والسبل القويمة ؛ وقد تُقدِّم إليه بالوصية الأكيدة في أن يكون على تقوى الله تعالى مدارُه، وأن لا يعدل عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع الامة إيرادهُ واصدارُه، وأن لا يستعمل من **النواب** عنه إلا الأزكياء الذين يَحسُن لهم اختياره، والشهود هم مُستَنَد الحكم فيما يمضيه أو يتوقف فيه ؛ فليقدِّم انتقاءهم جهده، ولا يقبل منهم إلا من صحت عدالته عنده، وليجعل التسوية في الحكم بين المشروف والشريف والقوي والضعيف، من أهم ما يصرف إليه قصده، وليتولَّ النظر في تمشية[5] (الأحكام)[6] تولّي من يصدع فيها بالحق، ويجريها على أقوم الطرق، إظهارا لمذهبنا في العدل والرفق، واعتمادا على ما نوثره من استقامة الاحوال لكافّة الخلق.

فائتمروا لما أسندناه إليه أحسن ائتمار، واستمروا على ما تحسن آثاركم (....)[7] إعانته أجمل

---

(1) في الاصل : (لخطبته)، والمضمون يؤكد ما اثبتناه.

(2) هل حدث تدخل جامع الرسائل التقديمية لإلغاء الصدر ؟ راجع الهامش 11 على التقديم 70.

(3) في الاصل : وسلك.

(4) كلمة مأروضة البداية، ولعلها : (يقتضي).

(5) كلمة مأروضة البداية ولعلها في الاصل : (تمشية).

(6) شبه مطموسة.

(7) كلمة مأروضة، ولعلها (من).

82/ظ الاستمرار، واعلموا أنا أثرناكم به عن حسن نظر لكم واختيار،/ وأنتم تعرفون في عودته هذه اليكم، من حسن سيرته فيكم، ما حصلتم قبلُ منه على معرفة واختبار، ان شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يوجدكم يمن نظرنا في كل أموركم، ويعرّفكم اتم عائد بالخيرات على خاصتكم وجمهوركم، بمنه والسلام[8] **التاريخ** منتصف شوال عام أربعين وستمائة[9].

---

(8) الملاحظ ان هذا من التقاديم الاولى لعهد المعتضد ومع ذلك فهو خال من الاشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الا اذا كان ذلك ضمنيا مطلوبا من القاضي.

(9) كان ابو الحسن علي الملقب بالمعتضد بالله وبالسعيد تولى الخلافة يوم وفاة اخيه الرشيد في 10 جمادى الآخرة 640 وتوفي في منسلخ صفر سنة 646، وممن كتب عنه ابو الحسن الرعيني (البيان 358)

[التقديم السادس والستون] :

وفي اعادة قاض آخر[1]

...أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه، وأجرى أحوالهم في دينهم ودنياهم على ما يرضاه، وإنا كتبناه كتب الله لكم انسحاب ظلال العافية عليكم وانسدالها، واستصحاب الأمنة التي لا تعدمون اطّرادها واتصالها، والثقة من ألطافة الجميلة بما يُيسر آمالكم لديه ؛ وأن تعلموا أن نظرنا لكم في كل أموركم وفيما يَصْلُح بخاصتكم وجمهوركم، النظر الذي يمهد بلادكم ويؤكد سدادكم، ويسلك بكم على أهدى الشواكل، ويعود إن شاء الله تعالى عليكم بالخير في العاجل والآجل، بمنّ الله تعالى.

وإلى هذا فإنا لما أمرنا قاضيكم فلانا **بالتوجه لخطته من القضاء** الذي كان هنالكم بسبيله، وصرفه إليكم بمقتضى حميد الاعتناء به وبكم وجميله، رأينا أن نشد عضده بخطابنا هذا في أن يقيم الحق والعدل في ما يرجع اليه من **خطته الشرعية**، ويختصُّ به من الفصل بينكم في **نوازلكم الدينية**، وأن يصدع بالشرع لا يخاف فيه لومة لائم، وينهض في تمشيته بما يكفّ كل ظالم، وحددنا له الوصايا باتقاء الله عز وجل في سره وعلنه، والاعتماد على ما جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله العزيز وسنته، وعلى إجماع الأمة الذي لا يضل من اقتفى واضحَ سَننه، وهو بمعونة الله تعالى يجريكم على ما عهدتم من ضبط أحكامكم، وازاحة علل خصامكم، ويسير فيكم السيرة التي ألفتموها إجادة للفصل بينكم بالشرع الذي لا (مزية)[2] فيه للوجيه على (الخامل)[2]/ وإقامة للحق الذي يستوي ي/83 فيه الأدنى والأرفع من المنازل، وهو الذي (ـــ ـــ)[3] بهذه الخطة جوارُهُ، وحسنت في تمشيتها على أقوم طرقها طولَ إقامته عندكم في المدة المديدة آثارُهُ، فيعرف على مرّ السنين صغيركم وكبيركم، ويتهدّى[4] من حسن السياسة فيكم إلى ما يعمّ بالمعدلة بحول الله تعالى خواصّكم وجماهيركم[5].

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فكونوا معه في الحق إخوانا، وعلى **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** أعوانا، ولا تذخروا دونه في الموافقة والمعاضدة وسعا ولا إمكانا، وتحققوا أن اعتناءنا بكم يتعهدكم حينا فحينا وزمانا فزمانا، إن شاء الله تعالى....

---

(1) اي اعادته الى خطته كما هو حال التقديم السابق.

(2) كلمة شبه مأروضة.

(3) كلمتان مطموستان يبدو انهما : (قدم فيكم).

(4) تهدّى، يتهدى : استرشد.

(5) الملاحظ هنا عدم ذكر اختيار الشهود والنواب، فهل هو ضمني ؟ وكذلك اغفال امر المسدّدين، انظر الهامش 10 على التقديم 64.

[التقديم السابع والستون] :

وفي مخاطبة تقديم قاض

...وإنا كتبناه كتب الله لكم اكتفالا متعهّدات[1] العوافي والألطاف، واعتيادا للتنبؤ في متمهدات النواحي والأكناف ؛ وأن تعلموا أنّا بحكم ما استرعانا الله سبحانه من أمور الرعية في جميع البلاد ومصالحها، وألزمَنا من السلوك في النظر لها على قديم السبل وواضحِها، وقلّدنا من أمانة القيام بما يعود نفعه على دانيها ونازحها، طورا في دينها الذي هو أولى ما نقيمها فيه على جادّة السداد وسَننِ الاستقامة، وتارة في دنياها التي هي مطلوبة فيها بالاستصحاب لحسن العمارة والاستدامة، ومازلنا ـــ والله تعالى المانّ بالإعانة، والموفّق لكل ما تصلح عليه أحوال الدنيا والديانة ـــ نتخولكم بجميل الالتفات، ولا نُخليكم من إعمال الاهتمام بشؤونكم في كل الأوقات، ولا نقدم لأحكامكم إلا من تقدَّم الاختيار له بالاستعمال في كثير من الجهات ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا الآن فلانا للفصل بالشرع في **قضاياكم ونوازلكم** ، والصدع بالعدل في ما توردون عليه من التخاصم في طوارىء مسائلكم، والتسوية في القضاء بالحق بين نبيهكم وخامِلكم، بعد أن تأهّل لدينا لذلكم بما له في الطلب والحسب (ومن النباهة)[2]، **ولاقتفائه لسلفه في هذه الخطة**[3] في ما اتصفوا به من النقاء والنزاهة،/ (وقد وصيناه بتقوى)[4] الله تعالى ومراقبة أمره ونهيه، وأن يقصر على طلب التخلص ي/84 لديه من التبعات (في)[5] كل عمله وسعيه، وأمرناه أن يبنى على كتاب الله العزيز وسنة رسوله ﷺ ـــ وإجماع الأمة كل حكم يمضيه وينفذُه[6]، وأن لا يعدل بحال عن ذلك في نازلة من النوازل منحاه ومأخذُه، وأن يصرف إلى الشهود الذينِ عليهم مدار النفي والإثبات وبهم استخراج الحقوق المقتضيات أقوى نظره وتأمّلِه، وأن يتلقّى المعدّلَ منهم بتقبّله، ويرد المجرَّح بما اقتضاه له سوء عمله، وأكدنا عليه في أن يسوي في كل حكم يمضيه عند توجهه، وفصل يجريه بعد اتضاحه وتبيّنِه، بين القوي والضعيف، والمشروف والشريف، فالحق لا يعتبر فيه تباين المناصب، ولا يقضي بين متجاذبيه[7] إلا بالواجب[8].

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا إليه احسن انقياد، وتعاونوا معه على ما يحملكم عليه من صلاح وسداد، ويعمله في أحكامكم من إصدار بالشرع وإيراد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يوجدكم يمن هذا النظر لكم، ويجمع على طاعته قولكم وعملكم، بمنه...

(1) كذا في الاصل.

(2) مأروضة البداية.

(3) في هذا تأكيد، لما ذكر سابقا من اشتهار اسر بمهمة القضاء وتوارثه.

(4) كلمات شبه مطموسة باثر الرطوبة.

(5) مطموسة بالرطوبة.

(6) في الاصل : وينقذه.

(7) في الاصل : متخاذبيه.

(8) لا يوجد هنا ايضا اشارة الى اختيار النواب او المسددين كما رأينا في تقاديم سابقة.

[التقديم الثامن والستون] :

ومن مخاطبة أخرى في ذلك

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعانهم على ما يتقبله من الاعمال ويرضاه، وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يتجدد لها الصلاح والسداد، وآمالا يقترن بها الإنجاح والإسعاد، وأن تعلموا أن الإعتناء بمصالح جهاتكم، والإجراء لكم على سنن العدل والرفق في كل أوقاتكم، مما نتعهدكم[1] به الحين بعد الحين، (و)[2] نختار لإقامة ذلك فيكم أهل الزكاء والدين، وبمقتضى النظر الجميل لكم في الأقل والأكثر من أموركم، وقصد الخير لخاصتكم وجمهوركم، تخيّرنا لتولّي الاحكام الشرعية هنالكم، وتوفية المقصود في تسديد أحوالكم، فلانا ؛ وهو المخبور النزاهة والزكاء، المشهور المذاهب والأنحاء، (بـ ـــ ـــ)[3]/ ما لسلفه في العلم والدين من رتبة الاقتداء والاقتفاء ؛ وقد وصيناه (بتقوى)[4] ي/85 الله تعالى في كل متصرفاته، ومراقبة أمره فيما يديره من محاولاته في الفصل بين الخصوم وتناوُلاته، وأمرناه أن يبني على كتاب الله العزيز وسنة رسوله عليه السلام ما يجريه من نفيه وإثباته، وأن يلاحظ إجماع الأمة في ما ينفذه من حكوماته، وأن لا يقبل من الشهود إلا من عرف بالأصلية للقبول، وسلم في شهادته بتيقظه وذكائه من الغفلة والذهول، وأن يسوي في الحكم بين الأقوياء والضعفاء، ولا يجعل مزية على المشروفين فيه للشرفاء، وأمرنا(ه)[5] أن يجتهد في **إزالة المحدثات** التي لا يجيزها الشرع، **ومحق المنكرات** التي يجب الزجر عنها والمنع، وأن يطمس آثار ذلك كله حيث كان في **الأسواق وسواها**[6]، ويسلك في رفع كل مظلمة أقوم الطرق وأجلاها، وأن يصدع بالحق دون مراقبة لأحد من الخلق، ولا يضع الرفق موضع الشدة ولا الشدة موضع الرفق، حتى يجري نظره على قانون سديد، وينتهي في توفية العدل إلى امد بعيد، بحول الله تعالى.

فإذا وافاكم فائتمروا له في ما أسندناه إليه، واتفقوا معه (على)[7] الحق ولا تختلفوا فيه عليه، وكونوا في ذات الله عز وجل إخوانا، واستقبلوا بالتعاون على البر والتقوى خيرا ويمنا وأمانا، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه ينجدكم على ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، ويشمل بالعافية (والأمنة)[8] أدناكم وأقصاكم، بمنه...

(1) في الاصل : تتعهدكم.

(2) الواو مطموس تماما بفعل الارضة.

(3) كلمة ماروضة، ولعلها (المعلوم).

(4) كلمة مأروضة.

(5) في الاصل : وامرنا.

(6) هنا تلتقي مسؤولية القاضي عبر المحتسب مع مسؤولية الادارة المدنية، راجع الفصل الخامس حول الجانب القضائي.

(7) ناقصة في الاصل.

(8) في الاصل : الامانة.

[التقديم التاسع والستون] :

وفي تقديم آخر

...وإنا كتبناه كتب الله نظرا بمصالحكم الدينية متكفلا، وتخيّراً لمن يكون في أحكامكم الشرعية مستعمَلا ؛ ثم العلم أن الاعتناء منا يتعهدكم (في)[1] كل أموركم، ويجريكم على ما فيه سداد خاصتكم وجمهوركم، ويوفيكم من جميل الالتفات ما يفي بإقرار عيونكم وإبهاج صدوركم ؛ ذلكم لما تميزتم به لحضرة الموحدين (من الجوار)[2] الذي تأكدت ذمته، (ورعيت)[3] لكم قديما وحديثا حرمته، ولما لكم في موالاة[4]/ الأمر (العلي)[5] والانضواء اليه من الخلوص الذي لاحت سمته ؛ 86/ظ وقد رأينا بعد استخارة الله تعالى أن نختار للقضاء لكم من يستنام إلى زكائه ونقائه، ويوثَق فيما يتولاه بسداد أنحائه، فقدمنا بهذا الرسم هنالكم فلانا، وصل الله تعالى توفيقه، وجعل العمل الصالح رفيقه، ليجري الحكم في نوازلكم على قانون الشرع، ويلتزم العدل في أحكامكم بأقصى الوسع، ويسلك مسلك القضاة من سلفه في الفصل بالحق والصدع.

وقد وصيناه بتقوى الله تعالى التي من لزمها أمِن من (العثار)[6]، وأمرناه ان يسند في نقضه وإبرامه وتوفقه وإقدامه الى محكمات الآيات وصحيحات الآثار، وإلى إجماع الأمة الثابت في مصنفات الايمة الأخيار، وان لايشذّ في حكم يمضيه عن اقوال العلماء الذين بهم يقتدي في الايراد والاصدار، وأكدنا عليه في تفقد أحوال الشهود، والتمييز بين المقبول منهم والمردود، والتثبت التام في نصوص السجلات والعقود، وأن يسوّي بين المتخاصمين في الحضور لديه والقعود، ويوفي في توفية كل ذي حق حقّه غاية المجهود، وأن يكون **بالمعروف آمرا وعن المنكر زاجراً**[7]، ولكل ما يخالف الحق منافراً.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا أحسن انقياد اليه، وكونوا معه يدا واحدة فيما يحملكم من هذه المآخذ عليه...

---

(1) كلمة مأروضة.

(2) الكلمتان مأروضتان جزئيا.

(3) مأروضة في اواخرها.

(4) في الاصل : موالات.

(5) مأروضة الوسط.

(6) مأروضة، ويبدو انها كما اثبتناه.

(7) انظر الهامش 6 على التقديم 68.

[التقديم السبعون] :

وفي معنى ذلك

...وإنا كتبناه كتب الله لكم تعرفا من النظر الجميل لما فيه استقامة أحوالكم وسداد أموركم، وتألّفاً في اقتفاء مثلى السبيل على ما يعود بالصلاح على خاصتكم وجمهوركم ؛ وأن تعلموا أنّا نوالي الاعتناء بمصالحكم ومهماتكم، ونجيد[1] الاختيار لكل من نستعمله في شغل من أشغال جهاتكم، وبخاصة خطة القضاء التي تجري الأحكام الشرعية على قوانينها، وتزن النوازل الدينية تحريا فيها للحق (باعدل)[2] موازينها، فلا نقدّم لها (إلا من)[3]/ (ـــ ـــ ـــ)[4] ديانته ومعرفتُه، وتميزت بالنباهة والنزاهة شيمتُه، (ـــ ـــ ـــ)[5]لإيثار الفصل بالعدل والشرع بالصدع إصغاؤه وتلفّتُه ؛ وبهذا الاعتبار الذي (يشتد)[6] كرامته وتوفيقه، (ويسدد)[7] إلى مرامي السداد تفويقه، ليتولى الأقضية في بلادكم كلها[8]، ويمشّي مقتضى العدل في نفيها وإثباتِها وعقدها وحلّها، وطلبه متين، ومكانه لدينا مكين، وقد خبرناه فزكى على الاختبار، واستعملناه فحمدنا ما انتحاه من السِّير والآثار، وشكرنا توخّيَه للحق في الإيراد والإصدار، وبعد أن وصيناه بتقوى الله تعالى التي يزينها التزامُها، ويستند إليها نقضُ أحكامه وإبرامها، وأن لا يفصل إلا بما يوجبه كتاب الله تعالى الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[9]، وأن لا يعدل عن سنة رسوله عليه السلام في نفي ما لم يثبته[10] وإثبات ما لم تنفه[10]... (انتهى ما أُلْفِيَ من هذا الخطاب)[11].

ي/87

---

(1) كذا بالاصل.

(2) مأروضة البداية.

(3) مأروضتان بشكل تام.

(4) كلمة او اثنتان مأروضتان مثل (عرفت) او (قد ثبتت).

(5) كلمتان مطموستان نهائيا تقعان في نهاية السطر الاعلى الكثير الارضة.

(6) كذا بالاصل.

(7) في الاصل : (وسدَّدَ).

(8) لعل الضمير يعود على الأقضية.

(9) من الآية 42 من سورة فصلت.

(10) كذا بالاصل.

(11) كذا في الاصل، بحيث يظهر بوضوح ان التقديم مبتور الاخر قبل ان يقع بيد جامع التقاديم، فهل هذا الاعتراف يخلصه من مسؤولية البتر في الحالات الاخرى في خواتم وصدور التقاديم ؟ ام بالعكس يثبت هذه المسؤولية ما عدا في حالة الاعتراف ؟

[التقديم الواحد والسبعون] :

وفي المعنى أيضا

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأجزل حظوظهم من نعماه ورحماه ؛ وإنا كتبناه كتب الله تعالى لكم تعرفا يمن النظر الأجمل، وتصرفا في ما يقضي لكم بصلاح الأحوال في الحال والمستقبل، وأن تعلموا أن نظرنا لكم جميل، واعتناءنا بخاصتكم وجمهوركم كفيل، وأنا نحملكم على سَنن العدل ونجريكم في جميع أحوالكم على أوضح السبيل، ونتخير لتمشية العدل في نوازلكم الشرعية وقضاياكم الدينية من يمضي فيها مضاء النصل، والله يعرفكم يمن هذا القصد في كل زمان، ويحظيكم بما تأملونه من مَنٍّ وأمان، ويوجدكم أثر ما نوثره لكم ولكافة المسلمين من رفق وعدل وإحسان، بمنّه.

وإلى هذا ــ أدام الله كرامتكم ــ فإن خطة القضاء هي الخطة التي لها يُفزَع في مشكلات النوازل، وبحقها يُصدع في مبهمات المسائل، وبما خصته به من علم الشريعة ويفرّق بين (الحق)[1] والباطل، وبحسب ذلـ(ـلكم)[2]لتوليها من يقوم بها خير قيام، ويجريها/ (على أحسن)[3] قانون وأجمل نظام ؛ وبهذا (الاعتبار)[4] قدّمنا الآن عليكم للفصل في (ــ ا ــ كم)[5] الشرعية، وحملكم على القوانين المرعية أبا فلان، وصل الله توفيقه، وسدد الى مرام الخير والسداد طريقه، بعد أن اختبر واختير، وتحقق أنه يوافق بزكائه وسداد أنحائه التيقن فيه والتقدير، وبعد أن تقدّم استعماله، (وشكر ــ ــ ــ)[6] بما أسند اليه من هذه الخطة واستقلالُه، وحُمدت مناحيه في النزاهة وأحوالُه، ولم يزل مع ذلك ناشئا في حجر الخدمة لهذا الامر العزيز الكريم ومرتضعا هو (وابوه)[7] أعزه الله تعالى لدرء إحسانه الجسيم وفضله العميم.

88/ظ

وقد وُصّي مع ذلكم بتقوى الله تعالى ومراقبة أمره ونهيه في جميع أحواله، وملاحظة الشرع في مقاله وفِعاله، والقي إليه أن يجعل القرآن العزيز إمامه، وسنة رسول الله ﷺ أمامه، وأن يبني على إجماع الأمة إذا عدم النص الجلي في الكتاب والسنة نقضه وإبرامه، وأن يتصفح مع ذلك احوال الشهداء ولا يستعمل من المسدّدين[8] غير المسدّدين الاتقياء، وأن يسوي في مجلس الأحكام بين

(1) كلمة مأروضة كليا.

(2) كلمة مأروضة، لعلها (نستعمل).

(3) كلمتان مطموستان بفعل الرطوبة والارضة، ولعلهما كما اثبتناه.

(4) كلمة مأروضة.

(5) كلمة مأروضة ولعلها (مسائلكم).

(6) كلمتان مطموستان لعل اولاهما (وشكر).

(7) كلمة مأروضة الوسط، وقد تعددت الاشارات لتوارث منصب القضاء وستتعدد.

(8) حول المسددين انظر الهامش 3 على التقديم 49.

الأقوياء والضعفاء، (و)[9] المشروفين[10] والشرفاء، وأن لا يوثر على جانب الحق جانبا، ولا يحابي مواليا له ولا ينافي مجانبا، وأن يتقي الله حق اتقائه، ويعمل عمل المستشعر لجزاء الله يوم لقائه، وأمرناه مع ذلك أن ير(فع)[11] كل محدث يجب له الرفع، ويُذهبَ كل مبتدع لم يبحه الشرع، ويزيلَ كل مخترع يتعيّن الزجر لمخترعه والردع، حتى لا يبقى إلا ما اباحته الشريعة المحمدية، واقتفيت فيه آثارها السنية[12]، فبذلكم تستمر الأحوال على مَهْيَع الصلاح ومنهاجه، وينفرج باب الخيرات بعد ارتجاجه.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى قاضيكم المذكور، فارجعوا إليه بأحكامكم، واعرضوا عليه نواشيَ خصامكم، وائتمروا له في كل ما نمشيه فيكم من الحق، واسلكوا في معاونته ومعاضدته على أقوم الطرق، وأعينوه على أخذ الحق من الظالم للمظلوم، واعلموا أن العدل فيما (يستمر به صـ)ـلاح[13] الأحوال ويدوم، إن شاء الله/ تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن هذا التقديم، ويَسلك بكم على المنهج ي/89 الواضح والصراط المستقيم، بمنّه....

---

(9) حرف الوال ناقص في الاصل.

(10) في الاصل المشرفين.

(11) الحرفان ساقطان في الاصل.

(12) الاشارة الى المحدثات ايضا في تقاديم سابقة.

(13) كلمتان مأروضتان.

[التقديم الثاني والسبعون] :

ومن تقديم آخر

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأنالهم المزيد من فضله ونعماه، وإنا كتبناه كتب الله لكم نظرا يجري لكم معهود الأحوال الصالحة، وسيراً (يقضي)[1] بكم من الرفق والعدل إلى الآمال الناجحة، والتقرب بامتثال أوامره واجتناب نواهيه اليه ؛ وأن تعلموا أن نظرنا يتعهدكم في كل الأناء، وأن مصالحكم مُجراة[2] منّا ببال التهمم والاعتناء ؛ لذلكم نتخير لأحكامكم من يقيم وزنها بالقسط، ونستعمل في أشغالكم من يتولاها بالكفاية والضبط، إظهارا لآثار المعدلة فيكم، وإيثارا للاحتياط على جوانبكم ونواحيكم ؛ وبحسب هذا القصد الذي نعتمده في كل أموركم، ونستديم به شامل الصلاح لخاصتكم وجمهوركم، قدّمنا الآن لخطة القضاء في نوازلكم الشرعية، والإجراء لمسائلكم الأحكامية على قوانينها المرعية، أبا فلان، بعد أن تُوسّمت فيه مخايلُ الزكاء والعفاف، وتُعرِّفت منه شمائل المترشح للاستعمال بمشكور الخلال والأوصاف، وتقاضت له **وسائل أبيه** الأثير الحرمة الشهير الخدمة مزية التقريب والازدلاف، ومع ذلكم فإنه موصًّى بتقوى الله العظيم ومراقبة أمره، واستشعار الخيفة له في سره وجهره، ومأمور أن يجعل الكتاب والسنة والإجماع ضوابط إيراده وإصداره، وروابط إنهائه وائتماره، فلا يشذّ في حكم عن جوامعها، ولا ينفذ له فصل إلا على جوادّها الواضحة ومعائها[3]، وعليه أن يسوي في الأحكام بين أقوياء الناس وضعفائهم، ولا يوجب مزية في الحق على مشروفهم لشرفائهم، والشهود هم عمدة إمضائه وتوقفه، (فليبالغ)[4] في كشفه عن أحوالهم وتعرفه، ولا يقبل إلا من عُرف بالعدالة (ــــ ــــ)[5]وتصرفه[6].

ي/90 فإذا وافاكم بحول الله تعالى/ فتعاونوا معه على هذه المقاصد التي أمرناه بتمشيتها فيكم، وكونوا معه يدا واحدة في ما أنهضناه إليه من تولّيكم، وستتعرفون بركة النظر الذي به نعتمدكم في كل الاحوال ونتحيكم، إن شاء الله وهو سبحانه يوجدكم يمن هذا التقديم في حالكم واستقبالكم، ويستعملكم من التعاون على البر والتقوى بأصلح اعمالكم، بمنه...

---

(1) كذا في الاصل، والاصوب : تفضي.

(2) في الاصل : مجبراة.

(3) كذا في الاصل.

(4) كلمة مأروضة النصف الاخير.

(5) كلمة او كلمتان مأروضتان تماما.

(6) هنا إغفال لاختيار المسددين ورفع المحدثات عكس التقديم السابق.

[التقديم الثالث والسبعون] :

وفي تقديم آخر

...وإنا كتبناه كتب الله لكم تعرفا للنظر الجميل، وتصرفا فيما يحظيكم بالخير الجزيل، وإنا قدمنا الآن للنظر في أحكامكم الشرعية، وإجرائكم في قضاياكم الدينية على القوانين المرعية، أبا فلان، بعد أن شُكرت احواله، واستُحسنت آثاره في هذه الخطة التي تكرر فيها اسعماله، وتميّز من الوسائل الملحوظة بما تزكو معه آثاره[1] وتتيسر آماله، وحذا حذو أبيه اتساما من الخدم، وارتساما في أولي الذمم، في ما ينفسح فيه مجاله، ويدرك خير[2] هذا **الأمر العلي** حالا واستقبالا ويناله، وقد أوصي بتقوى الله تعالى في كل تصرفه وتقلّبه، ومراقبته تعالى في كل ما نهى عنه وأمر به، وأن يجعل كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة قبلة اهتدائه، ولا يقبل من الشهود إلا من وثق بعدالته وزكائه، وأن يسوي بين المتحاكمين حكما بالحق وفصلا بالعدل في كل أنحائه، وأن يكون عنده القوي والضعيف والمشروف (والشريف)[3] سواءً ما يورده أو يصدره من قضائه[4].

فإذا وافاكم فاقتصروا عليه[5] ما اسندناه من أحكامكم اليه، وتلقّوه بالائتمار والانقياد فيما يحملكم عليه من سَنن الصلاح والسداد، بحول الله سبحانه، وهو يديم كرامتكم، ويصل على تقواه إعانتكم، بمنه....

---

(1) في الاصل : تزكوا معه اثره.

(2) في الاصل : خبر.

(3) كلمة ساقطة في الأصل.

(4) نفس الملاحظة في الهامش 6.

(5) بين الكلمتين ارضة لعلها اتلفت كلمة (في) الا اذا كانت كلمة (اقتصروا) في الاصل (اقصروا).

[التقديم الرابع والسبعون] :

ومن تقديم آخر

91/ب ...أدام الله كرامتهم بتقواه، (ـــ ـــ ـــ)[1] الصنع وأسناه، وإنا/ كتبناه كتب الله تعالى لكم أعمالا يستمر صلاحها، (وآمالا يعمكم نجاحها)[2]، وأن تعلموا أنا نعتمدكم من نظرنا الجميل بالأصلح لكم فالأصلح، ونتوخى[3] إجراء خاصتكم وجمهوركم على سنن العدل الأوضح، ونقصد أن تستمر[4] أموركم على ما يحظيكم بالأمل الانجح، ويؤويكم في تعرّف الآمنة وتكيّف الدعة إلى الجناب الأرحب الأفسح، ونتخير للاشغال فيكم من تميّز بالمذهب السديد والعقل الأرجح ؛ والله تعالى يعرّفكم يمن قصدنا في كافة أحوالكم، ويظفركم باطّراد الآمال في حالكم ومآلكم، بمنّه.

وإلى هذا ــ ادام الله كرامتكم بتقواه ــ فإنا قدّمنا ــ بعد الاستخارة لله تعالى ــ للنظر هنالكم في **الأحكام الشرعية** وإجراء **النوازل الدينية** على القوانين المرعية : أبا فلان، وصل الله تعالى توفيقه، ونهج إلى مرامي الإصابة طريقه، على حين اختير واختبر(*)، واستعمل فصدق الظن فيه والتقدير، واهتدى بسنن أبيه ــ أعزه الله ــ فلم يعدُ السدادَ (و) الزكاء والخير، بعد أن نشأ مغدوّاً بإنعام هذا الأمر العلي وفضله، ومألوفا منه السلوك على طرق التوفيق وسبله[5]، ومتعرّفا من استقامة أحوالكم ما لم نزل نعتمدكم بمثله ؛ وقد وصّيناه مع ذلكم بتقوى الله تعالى واستشعارها، واقتفاء سَنن السُنن وآثارها، واتخاذ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ ﷺ ــ وإجماع الأمة سراجه الذي يهتدي به في كل مبهم من الأمور، وإمامه الذي لن يعدل به عن سَنن العدل ولن يجور، وحجته التي[6] هي «هدًى وشفاءٌ لما في الصدور»[7]، وأكدنا عليه في انتقاء الشهداء، وتخيّرهم في كل الآناء، واستعمال من تصحّ أمانته من المسددين من الانتقاء، والتسوية في مجلس الأحكام ومحل النقض والابرام بين الاقوياء والضعفاء، والمشروفين والشرفاء، حتى لا يطمع قوي في إعانة، ولا يغلَب ضعيف من إهانة، وحتى يتمشى (العدل متضح)[8] الطريق، (ـــ ـــ ـائفة)[9] والفريق، إن شاء

(1) قدر ثلاث كلمات مأروضة.

(2) كلمات شبه مطموسة بفعل الرطوبة.

(3) في الاصل : وبتواخى.

(4) في الاصل : ان نستمر.

(*) كذا، والأصوب (اختبر واختير) ليتلاءم مع السجع بعده.

(5) قارن مع التقاديم 71 و72 و73 (حول توارث المنصب).

(6) في الاصل : الذي.

(7) الآية من سورة.

(8) كلمتان شبه مأروضتين.

(9) كلمتان مأروضتان.

ي/92 الله تعالى، ومما/ أكدنا عليه (فيه)[10] ما لم نزل نردده في كل الآناء، ونحث عليه كل مستعمَل في الجهات والأرجاء، من **إزالة المحدثات والمظالم**[11]، وإعادتها كالطلول الطواسم، وإيضاح ما للحق من الآثار الواضحة والمعالم، وتمشية الشرع الذي لا تأخذ[12] فيه لومة لائم، والجري على ما لدينا بالخير[13] الدائم.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فارجعوا إليه باحكامكم، واقصروا عليه نوازل خصامكم، وتعرّفوا بقدومه عليكم يمن أيامكم، واعلموا أنا خصصناكم منه بمن حمدنا اختباره، وشكرنا في جميع الأحوال آثاره، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن قدومه وتقديمه، ويسلك بكم على (الأَلحب)[14] السني وقويمه، بمنّه.

كُتب غرة شهر ذي قعدة عام ثمانية وأربعين وستمائة.

---

(10) كلمة مطموسة بأثر الرطوبة.

(11) قارن مع تقاديم اخرى مثل 68 و71.

(12) كذا، ولعل الأصح : (تاخذه)، وربما ضاعت الهاء بفعل الطمس.

(13) في الأصل : بالخبر.

(14) في الأصل : الاحب.

[التقديم الخامس والسبعون] :

ومن تقديم آخر

...وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يصحبكم صلاحها، وآمالا يحسبكم نجاحها ؛ وأن تعلموا أن مصالحكم مجراة بالبال، وأن النظر لكم كفيل بانتظام الأمور قِبلكم واعتدالِ الأحوال، وأنّ تخير المستعمَلين في أحكامكم واشغالكم مما نوفيكم فيه قسط الالتفات والاهتبال ؛ وإنا قدمنا الآن أبا فلان لتولي الفصل بينكم والقضاء، وتوخّي العدل في التوقف والإمضاء، والالتزام في التسديد بينكم لأسدّ الأنحاء، بعد أن تُوسِّم فيه العفاف والزكاء، ورشّحه للخدمة التجريح والإنشاء، وتميز بما لأبيه[1] وله من الوسائل التي توفر التهمم بها والاعتناء ؛ (و) وصّي[2] بتقوى الله في إيراده واصداره، وأكّد عليه في تحسين أعماله بالزكاء وآثاره، وأمِر أن يجعل الكتاب والسنة والإجماع تلقاء بصيرته وبصره، وأن لا يعدل عن هذه القواعد الثلاث بشيء من نظره، (وان)[3] يعتمد الشهود في الحقوق بأحسن انتقائه وتخيره، وان يسوي في (ــ ــ ــ)[4] القوي والضعيف (ــ ــ ــ)[5]/ والمشروف والشريف، عملا بالعدل واقتفاء لسيره. ي/93

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فتعاونوا معه على القصد الأصلح، وسيروا في كل أموركم على السنن الأبين الأوضح، تفوزوا في ذلكم بالتجْر الاربح، والسعي الأنجح إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه وتعالى يعرفكم الخير في تقديمه، ويعينكم واياه على سديد العمل وقويمه، بمنه...

---

(1) انظر الهامش 5 على التقديم 74.

(2) في الاصل : وصي (بدون واو العطف).

(3) كلمة مأروضة.

(4) قدر كلمتين مأروضتين كأنهما (الاعدل من).

(5) كلمة مأروضة.

[التقديم السادس والسبعون] :

وفي معناه

...كتب (الله)[1] لكم أعمالا تستدُّ[2] مصالحكم الدينية والدنيوية ملاحظةَ من يعتمدكم بأحسن الحياطة والكفالة، ويجريكم من العدل والرفق على أتم ما يقتضيه سداد الإدارة والايالة، ويوفيكم من النظر الجميل ما يحظيكم بأوفر حظوظ النعم المستحسنة المستنالة ؛ وبهذا الاعتبار يتأكد اعتناؤنا بالأهم فالأهم من اموركم، ويتجدد اعتمالنا في كل ما يصلح عليه أحوال خاصتكم وجمهوركم ؛ ولذلكم اخترنا الان لخطة القضاء بينكم فلانا أدام الله كرامته وتوفيقه، وسدّد إلى مرامي التحقيق تفويقه، وهو الذي تردد[3] في هذه الخطة استعمالُه، وعُلِم اضطلاعه باعبائها واستقلاله، لأنها مستظهِر لها بالديانة المتينة، والمعرفة المعينة، والنزاهة التي لم يزل عليها مفطورا، والعدالة التي لم يبرح بها مشكورا، ومع إكبابه على تلاوة كتاب الله ليلا ونهارا، واشتهاره باتّباع السنة لا ينكب عنها يمينا ولا يسارا ؛ وقد تلقى عنا الوصايا البالغة بتقوى الله عز وجل وتلقّن ؛ وتحقق أن مذهبنا العدل في الرعايا وتيقن، وهو بحول الله تعالى يسلك في احكامكم سَنن الشريعة (الابين)[4]، ويعتبر في جميع قضاياكم الآيات المحكمات والسُّنن ، ولا يقبل من الشهود إلا من نفت عنه العدالة الظاهرة التهم والظِّنن، وقد أمرناه بما نأمر به كل من نقدمه من إزالة المنكرات وتغييرها، والتحذير من ممنوع ي/94 المحدثات (ومحذورها)[5] وأن يصدع (بالحق غير)[6] خائف فيه لومة لائم، ولا مراعٍ فيه/ لحرمة ظالم، (وان يجعل نصب عينيه) في ما يفصل فيه من الأحكام (مثوبة)[7] بين يدي الله عز وجل يوم الفصل، ويأتمر لأمره سبحانه في قوله تعالى ؛ ﴿وإذا حكمتُمْ بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[8]، سالكا في ذلك كله على أوضح السبل وأحسن السير، واقفاً في ما يثبته او ينفيه مع مقتضى الكتاب والإجماع والاثر، عارضا على أقوال ايمة العلماء المقتدى بهم ما يسنح له من التأويل والنظر.[9]

---

(1) كلمة مأروضة.

(2) استد الشيء : استقام.

(3) في الأصل : تتردد.

(4) كلمة مأروضة ولعلها كما اثبتناه.

(5) مأروضة الاوائل.

(6) مأروضة بشكل شبه كلي.

(7) كلمة مطموسة جزئيا.

(8) من الآية 58 من سورة النساء.

(9) اي ان باب الاجتهاد في الشرع غير مقفل.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فألقوا اليه أزمّة أحكامكم، وائتمروا لكل ما يمضيه في مسائل خصامكم، وكونوا معه يدا واحدة باتفاقكم على الحق والتئامكم[10]، والتزموا من حسن الانقياد إليه، والامتثال لما قصدناه من أموركم عليه، ما يظهر فيه أثر التزامكم، إن شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يحملكم وإياه على الطريقة المثلى في الآخرة والأولى، وييسركم من صالح الأعمال لا لما تعدمون له قبولا، بمنّه...

[التقديم السابع والسبعون] :

وفي تقديم[1]

...كتب الله لكم أمنا يعمّ جميع أوطانكم، ويمناً يصحبكم في كل أحوالكم وأحيانكم ؛ وأن تعلموا أن أموركم مجراة منا ببال الاهتمام والاعتناء، وموفاةً قسط النظر الجميل في كل الأناء، ومستعمَل فيها من يتميز لدينا بالاطّلاع والغَناء، لاسيما خطة القضاء في نوازل الخصام، والفصل بمقتضى الشرع في نواشيء الأحكام، فإنا نقدم لذلك مَن قدّمه زكاؤه وعفافه، ولا نعدل بها عن من خُبِرت فشُكِرت خلاله وأوصافه ؛ ذلكم لنوفي تلكم الخطة واجب التخير والانتقاء، ونؤهل لتوليها أهل النقاء (والاتقاء)[2]، ونسأل الله ربنا أن يمدنا بالاختيار للرعايا بتوفيقه وتسديده، ويجعلنا ممن وفّى القيام بحق الله عز وجل في مصالح عبيده ؛ وقد رأينا بعد تقديم إستخارة الله تعالى في الإيراد والإصدار، واستيهاب هداه في ما نُعمله من النظر للأدنى (والأقصى)[3] من الجهات والأنظار، ان نقدم/ [4]....

---

(10) في الاصل : ولتئامكم.

(1) كتب على يسار هذا العنوان وبلون مخالف وبخط ادق من العنوان وبحروف ذات اشكال مغايرة هذه العبارة (الحمد لله وحده) مما يرجح انها ملاحظة متأخرة عن عهد نسخ الكِتاب.

(2) مأروضة الاواخر.

(3) مأروضة كليا.

(4) هذه آخر صفحة من المخطوط الخاص بالتقاديم، اي ان هناك جزءا آخر مهما من التقاديم يعتبر مفقودا وخاصة صنف الصّكوك والظهائر، انظر ملاحظة جامع التقاديم في الصفحة السابعة منه اي بعد التقديم الثالث مباشرة.

الملحق الثاني

رسائل في موضوع الشكايات

رسائل شكايات إلى الأمير
ثم الخليفة يوسف بن عبد المومن

تقديم :

عادة ما يحصل في الفترة الانتقالية بين حكم خليفة وآخر نوع من عدم الاستقرار، قد يرافقه إهمال المسؤولين في الجهات البعيدة عن العاصمة لأحوال عامة الناس، ويحاول الخليفة الجديد ان يفتح مجلسه لسماع المظالم، فتكثر الشكايات واحيانا حتى من النوع الذي لا يحتاج ان يرفع الى الخليفة بنفسه، وهذه بعض الرسائل الموجهة فيما يبدو الى الخليفة الموحدي الثاني يوسف ابي يعقوب بعضها قبل الاتفاق النهائي على خلافته فيما بين 558 و 563 حيث كان يكتفي بلقب الامير، وبعضها بعد الاتفاق على خلافته وتسميته بامير المومنين منذ سنة 563، وهذه الرسائل هي من انشاء الكاتب ابن مبشّر وقد وردت ضمن مخطوط العطاء الجزيل من الصفحة 135 الى 138، وهذه نصوصها[1] :

(1) انظر ترجمة الكاتب في مقدمة البحث.

الشكاية الأولى :

ع/135 حضرة سيدنا الإمام الأعدل، الملك الأعز الأفضل أبو يعقوب ابن سيدنا ومولانا أمير المومنين التي أسِّست على القسط والعدل قواعدها، وأنهَلَت بالغُرّ الغوادي على الأمة رواعدُها، ورمت الجور فأقصدتها يدها الباطنة وساعدُها، أبقاها الله يستمر ساكنها ويدوم خالدها، عبدها العامل عِيسَةُ المنضاة اليها، راجي الفرج الوشيك مما حل لديها : فلان بن فلان الساكن بموضع كذا من بلاد **افريقية** سلام على الحضرة الامامية، والنصرة الحُمامية ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله خالق الخلائق ومدبّر الأمور، حاشر الأيمّة المقسطين على منابر من نور، والصلاةِ على محمد المصطفى صلاة تُوليه المقام المحمود والحوض المورود يوم العرض الجامع والنشور، والرضى عن الامام المعصومِ المهدي الحاكم على الجور بالخمول الخاسي والدحور، والدعاءِ لسيدنا أمير المؤمنين بالتأييد العزيز لعلَمه المظفر ولوائه المنصور، ولنجله الامير الأجل أبي يعقوب في سعود تنتظم في مُلكه انتظام السلوك النفسية على النحور.

فإن عبدكم لقي عَبوسا من وجه الجور ووُجوما، وأتاكم بعيدَ الدار مظلوماً[1]، ورجا من الحضرة الإمامية[2] أن ترسل على مزيد الضلالة رُجوما ؛ وان عتيقا بن مسكور الجنب[3] الذي كسرُه أكذب اسمه وصدّق اسم ابيه، وضجّت الأرض وعجّت لقبح ما يأتيه، فإنه **كان قاضيا في** أيام النصارى — دمرهم الله — يخدم **مكوسهم**، ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم، قد اتخذ أعوانا ووزعة، وأبرزَ شنعة وبدعة، وقد بَعد عن معرفة التوحيد وعلمه، ولم يجر على حده المطّرد ورسمه، بل يحكم في النوازل، بلا رأي القائل، ويقضي في الحوادث، بالنظر العابث، يسلك في سبل المظالم وطرقها، **ويضرب ظهور المسلمين بغيرحقها**، (ويعضل) الى من بالمسـ(ـــ ـــ)[4] من العباد الذين خفرتهم ذمة سيدنا ومولانا ورحمته، وتكنفتهم رأفته ومحبته، وكتب لهم كتابا يعنو له كل من قرأه ويذعن، ويوغل في (برِّهَ)[4]وتكرمته ويمعن ؛ ومع ما نال العباد من الكرامة الكريمة، والأيادي الجزيلة العميمة، **يضربهم بالسياط** إيقاعا، ويملأ قلوبهم ذعرا مخيفا وارتياعا ؛ ومن نوازله القبيحة، الشاهدة عليه بالفضيحة، أنه ردّ امرأة تسكن منزل الـ(ـنـ)ـورين[5] وقد طلقها زوجها ثلاثا، فردها الى زوجها ونقض عرى الشرع أنكاثاً، **وأخذ على ذلك عشرة دنانير أكلها سحتاً**، وحكم بالباطل بحتا ؛ وعند عبدكم من قبيح قضاياه، وذنوبه في الرعية وخطاياه، ما إن اذِنتم في شرحه، أطلعتُ منبلِجَ صبحِه، وأيامكم — ادام الله تأييدكم — تبطل الباطل وتزهقه، وتستنفد شكر الشاكر وتستغرقه ؛ وعبدكم — أدام الله تأييدكم — قد **قد طال بالحضرة** السامية مُقامه[6]، وشَرَد بارتياعـ(ه)[5] كراه

(1) فالمشتكي قدم الى «الحضرة» الخلافية من افريقية.

(2) يؤكد هذا ان المشتكى اليه هو الامير يوسف قبل بيعته باسم «امير المومنين» (558 — 563).

(3) توجد ترجمة للمسمى ابي بكر عتيق بن الحسن بن مكسور الجنب في الذيل س 8 ص (209 خ ع) أو ص 432 في ط 1984 انظر أيضا في هذه الطبعة ص 286 والهامش بها 399.

(4) كلمة او جزء منها غير واضح.

(5) حرف من الكلمة غير واضح.

(6) هل هذا يفسر بكون الخليفة شغلته الفتن عن استقبال المشتكين أو سماع شكاياتهم ؟

ع/136 ومنامه، ورغب في الرجوع إلى بلده، واجتماع شـ(مـله)[4] بأهله وولده، فالرغبة الحميمة/ لسيدنا ومولانا الامام الاعدل الملك الاعـ(ز)[5] الأ (فضل)[4] على العبد الراجي **في أن يكتب له كتابا** يأمن به ممَّن يكيد(ه)[5]، ويصل ببركته الى ما يرغبه (من)[4] الدعة و (يُرِ)يده،[4] وأنا — ادام الله تأييدكم — قد جُبتها (مهـا)[4]مِهَ وقفاراً، و (لــ[5])بست تأميلكم النجيح شعاراً، فإن منتم على عبدكم بإفراخ روعه، وأصحبتموه كتابا كريما، **وتمييزه عن نوعه**، يطالعه به الامل وسيماً، وفرتم عند الله (ثو)[4] اباً جزيلا واجراً، وبايعتموه فأربحكم تجْراً.

والله جلّ وعزّ يقيم بكم للعدل مناراً لا يخفـ(ـو[5]) أثرهُ، ويبقيكم تحيَى بكم قضايا عمر الفاروق وسيرُه، ولا زال للحق ما يأتيه نظركم الموفق وما يذره، بمنه لارب غيره، والسلام.

الشكاية الثانية :

ع/136 حضرة سيدنا الإمام الأعدل الملك الأعز الأفضل، **أبو يعقوب**[1] أدامه الله حاقناً للدماء بالقوْد والقصاص، حاكما بالقسط على ذوي التمرد والاعتياص، عبده المستجير بحماه، الشاكي إليه سهما قصده به الدهر وأصماه : فلان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله الذي رفع بالإمامة المهدية ظلْما نازلا وعدوانا، وجعل لوليّ المقتول المظلوم على قاتله وظالمه سلطانا، والصلاة على محمد المصطفى صلاة نرددها ونكررها إسراراً وإعلاناً، ونسأله للامام المهدي رضىً يُحلّه الله به في الفردوس الأعلى مَحلاً رفيعا ومكانا، ولسيدنا أمير المومنين[2] في نصر عزيز وفتح مبين يكسر نواقيس مضللة وصلبانا، ولنجله الامير الأجل في سعود متتابعة (تسـ[3])ـابق الى سدته زرافات ووحدانا، (فـ)ـإن عبدكم اللائذ بكم فُجِع بحميمه، وكرع من الأسى والحزن في مقشو (به)[3] ومسمومه، ورجا أن ياخذ بقسطكم وعدلكم من ثأره بمنيمه ؛ وشرحُ هذه النازلة ــ أيدكم الله ــ وتفسيرها، ووصفها على كنهها وتحبيرُها، أن أخي عدا عليه شريكه فشدخ في حال نومه بأرزيةٍ رأسَه أذهبت حياته وأفاتت نفسه، فتصايح الناس عند ذلك، وأتوا من هنا وهنالك، فوجدوا أخي وعاينوه مضرَّجا في دمه، مُصرَعا بيديه وفمه، وفرَّ القاتل عند ذلك بين سمع الأرض وبصرها، لا يُعرف له مكان في بدوها ولا حضرها، ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك والقتل، وقال سأفعل به ما فعلت بأخيه من قبل ؛ وها أنا ــ أدام الله تأييدكم ــ قد لذت بحماكم وتوسّمت روح نعماكم، فعسى أن يُنهَى إلى الطلبة[4] ــ أكرمهم الله ــ بموضع كذا أن ينفذوا من يتكفل باحضاره، ويزعجه عن أهله وداره، حتى تُمكِن محاكمته، وتتأتى مقاعدتُه ومخاصمته[5]، والله جل وعز يبقيكم لحقن دماءٍ وإحياء نفوس، وإطلاع بدور من السيرة العادلة وإشراق شموس، بمنّه.

---

(1) كذا في الأصل : (أبو).

(2) نظر الهامش 2 في الشكاية السابقة.

(3) جزء من كلمة غير واضح.

(4) انظر عن دورهم الفصل الخامس (ضمن الجانب الاداري).

(5) هل نفهم من هذه الشكاية ان السلطة المحلية امنيا وقضائيا لم تكن تقوم بالدور المطلوب منها في الاقاليم البعيدة (وهذا في فترة قوة الدولة الموحدية) وخاصة الفترات الانتقالية في الحكم.

الشكاية الثالثة :

إلى حضرة سيدنا الإمام الأجل أبي يعقوب[1] مدّ الله لها في البسطة ضياءًا ونوراً، وجعل ع/136 (حـ)ـظّي[2] من عدلها جزيلا موفوراً، من اللائذ بعدلها وقسطها، والراجي لإفاضتها الرحمة عليه وبسطها : فلان، سلام عليها ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله الذي جعل العدلَ ظلا ممدوداً، وعذباً (نا)[2]قِعا بروداً، والصلاة على محمد المصطفى صلاة أواليها تكريرا وترديدا، وعلى الامام المهدي لإعادة شراع الاسلام قشيبا جديدا، والدعاء لسيدنا أمير المومنين في أن يولي الله حزبه المنصور تظفيرا وتأييدا ولسيدنا الامير الاجل ابي يعقوب[1] في سعد مكين يبغي ضِعفا ويطلب مديدا،

فإنّ إخوتي جاروا علي يوم اقتسامهم، وسلّوني كما تُسلّ الشعرة من العجين من أسهامهم، فلم يفرضوا لي منها فريضة بل (غاد) روا[3] حِصَّتي منها (منقوصة)[2] مغيضة، وقد سدّدْت إخوتي ع/137 نصالها، وأساءت معي/ (ـــ ـــ ـــ كربها)[3] أدعى لها، وأنا ـــ أدام الله تأييدكم ـــ أشهد مشاهدهـم، (ـــ ـــ ـــ ـــ)[4] ويطـوون عنـي فو(ائدهـم)[2] ؛ وعدلكم ـــ أدام الله تأييدكم ـــ يحكم بالسواء ويعصـ(ـم) بالشّرب عـ(ـلى)[2] الأقذاء، ويكفّ عني أيدي المؤذين عن الأذى[5]، والله عز وجل يَفُلّ بعدلكم المبسوط شَباهم، ويسوّي بالحضيض الأوهد رُباهم، حتى تتساوى وتتناصف، وتتعالم بعد التناكر وتتعارف، وتتذاكر حقوق الرحم المشتبكة وتتواصف، ويديم أيامكم، ويجعل سعدكم المكين أمامكم، ويقرن بسيرة العمريْن غَشَيانكم وإلمامَكم، بمنّه لا رب سواه، والسلام.

---

(1) راجع الهامش 2 على الشكاية الاولى.

(2) جزء من الكلمة غير واضح.

(3) قدر سبع كلمات غير واضحة.

(4) قدر كلمتين غير واضحتين.

(5) راجع الهامش 3 على الشكاية الثانية.

(4) قدر سبع كلمات غير واضح.

الشكاية الرابعة :

ع/137 حضرة الإمام الأعدل، (الملك)[1] الأكرم الأفضل، أبو يعقوب[2] ابن سيدنا ومولانا أمير المومنين أقام الله منار الحق والعدل ببقائه، وأهبّ علينا روح الانتصاف والانتصار من تلقائه، مملوكة إنعامه، الراغبة إلى الله في اتصال أمره العزيز ودوامه، فلانة، سلام على الحضرة العلية، والسدة القدسية ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمدِ الله الذي يكفّ بالإمام المقسط ويزع، حمدا يقتضي حسن الفِعال وكَرَمَ المصنع، والصلاةِ على محمد المصطفى المبتعث بالسّنَى الأنور والضياء الأسطع، ونرضى عن الإمام المهدي رضى يجد كرامته في اليوم الأحفل والمشهد الأجمع، وندعو لسيدنا أمير المومنين في نصر عزيز يردّ الكافرين والمارقين ويَقمع، ولسيدنا الإمام الاعدل، الملك الأفضل، أبو يعقوب في سعود جمة تَفنَّنُ ع/138 ضروبُها الجمّة و (تتنـ)ـوع[1]،/ فإن أمَتكم رُميت من زوجها فلان بداهية الدهر، ومُنيت من (ــ ــ ــ ــ)[3] حُسنِ العشرة مَجالَها، وحَشَد أوصافَها ؟ المـ(قطـ)ـوعة[1] وأوجالَها، وصيّر أخوف من (سمة[1] الـ)ـضرغام (مجالها)[1]لَجّ في إصراره على إضراره، وعزم على إبايته ترك إذايته ؛ وقد اظطرني بما سامني من الخسف، وركبني به من العَنف والعَسف، حتى اختلعتُ منه بكثير من مالي، ورضيت العدم ثمنا لرخاء بالي، فمنا أَجابني إلى مطلوبي، ولا أسعفني في مرغوبي ؛ وعدلكم ــ أدام الله تأييدكم ــ يفكّني من إساره، ويحلّ عنقي من ربقة اقتساره، والشيخ أبو فلان وغيره من شيوخ بني فلان ــ وفقهم الله ــ يعلمون أمرنا ويَخبرون سرّنا ؛ والله لا يعدم الملهوفة المضطهدة من نظركم المؤيد بالسداد، ورأيكم الراحم لكافة العباد، ما يكشف بَأساءَها، وهو جل وعزّ يعمر بالفتوحات النيرة صباح حضرتكم السامية ومساءَها، ويحقق امتداد أيامكم السعيدة ونَساءها، والسلام[4].

---

(1) كلمة او أجزاؤها غير واضحة.

(2) انظر الهامش 2 على الشكاية الاولى.

(3) قدر اربع كلمات غير واضحة.

(4) انظر الهامش 5 على الشكاية الثانية.

الشكاية الخامسة :

ع/ 137 حضرة سيدنا ومولانا أمير المومنين بن أمير المومنين[1] الذي بثّت في البسيطة عدلَها، ومدّت على الأمة فيأها الوارف وظلَّها، وحكّم الله في طُلَى الكُفّار وكُلاهم سيفَها الصقيل ونصلَها ؛ عبدُها اللائذ بحَرَمها الآمن، المستجيرُ منها بكافلٍ يرفع الظلمَ عن صاحبه وضامنٍ : فلان بن فلان سلام على حضرة سيدنا ومولانا أمير المومنين ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله حمدا يُقضَى به حق مننه العميمة وآلائه، ويُعظَّم به ما وجب له جل وعز من عظمته وكبريائه، والصلاةِ على سيدنا محمد المصطفى خاتم رسله وخِيرة أنبيائه، ونرضى عن الإمام المهدي مُحرز الفخار بِعظم مقامه وكرمِ انتمائه، وعن الخليفة المنصور الناصر أمير المومنين مُظهر الدعوة المباركة بإشاعته لها في المشارق والمغارب وإفشائه، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الإمام أمير المومنين بن امير المومنين في غلبتِه على مَن عاند الأمر العالي واستيلائِه.

فإن عبدَكم جرى عليه بمدينة كذا اعتداء، وألزِم قضاءً لما يَلزَمه في السبيل وأداءً، وذلكم — أدام الله تأييدكم — أنه يسكن بحارة الطّرابِنة[2] فأدى ما عليه مع جيرانه، وجرى في طَلَق التناصف[3] معهم وميدانه، فإن فلانا وفلانا وفلاناً من تجار سوق السِّماط كتبوني في جملتهم وألحقوني بِفِئَتهم، وألزموني ثلاث مائة دينار وخمسين ديناراً[4] ؛ وعبدُكم — أدام الله تأييدكم — لم يُصفق قطّ في سوق، ولا كان له مع أهل السماط اتصال ولا لُصوق ؛ وقد رَفع عبدكم أمره إليكم، وعرضه مفسرا عليكم، وأنتم — أدام الله تأييدكم — بعدلكم الذي سار مسير الشمس في كل بلدة، ونظركم الموفق الذي هو عتادٌ لمن خِيف عليه وعُدّة، تبطلون الباطل وتتوخّون بهدايتكم ردّه ؛ والله لا يُعدم عبدكم منكم نصرا عزيزا تجدونه يوم معادكم، وتتخذونه عملا مبرورا من جهادكم، فإن قمع الظَّلَمة من أبرّ الاعمال وأزكاها، وأسْيَرها إلى رضا الله العزيز وأحراها، مدّ الله — سيدنا ومولانا امير المومنين — في أيامكم، وعقد بالنصر والظفَر منشور أعلامكم، وشكَركم على تحَفّيكم بردّ المظالم واهتمامكم، بمنّه لارب غيره.

---

(1) يبدو ان تاريخ الرسالة يقع بعد بيعة يوسف باسم «امير المومنين» سنة 563.

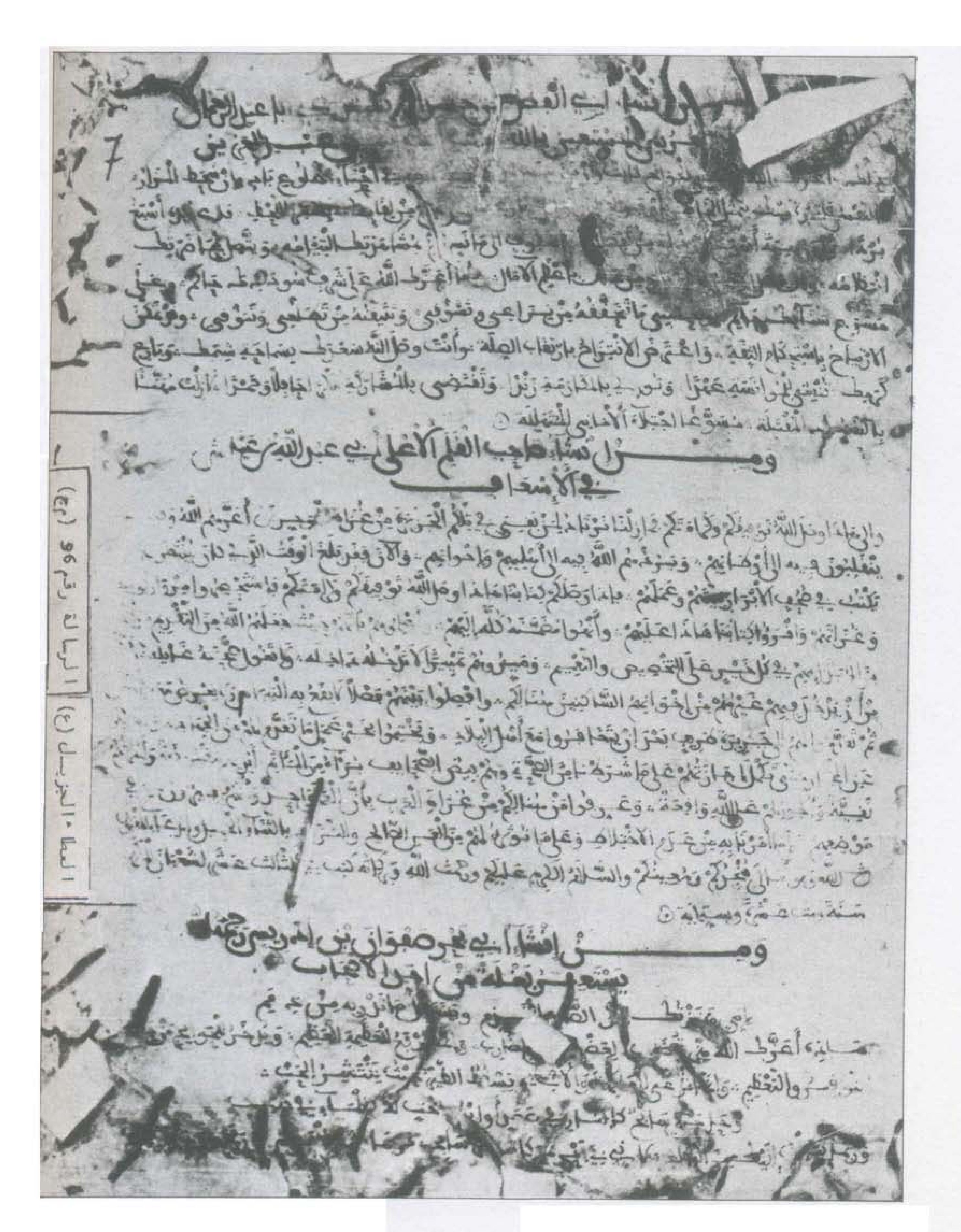
(2) هل هي نسبة الى اطرابنش او اطرابنة بصقيلية حيث المسير بينها وبين تونس يوم وليلة ؟ (الروض المعطار : طرابنش)، فهل كانت الحارة بمدينة تونس بحكم القرب من طرابنة ام بالمهدية ؟

(3) هذا يذكر بسياسة المناصفة التي فرضها عبد المومن على العقارات والمتاجر بتونس بعد فتحها عنوة.

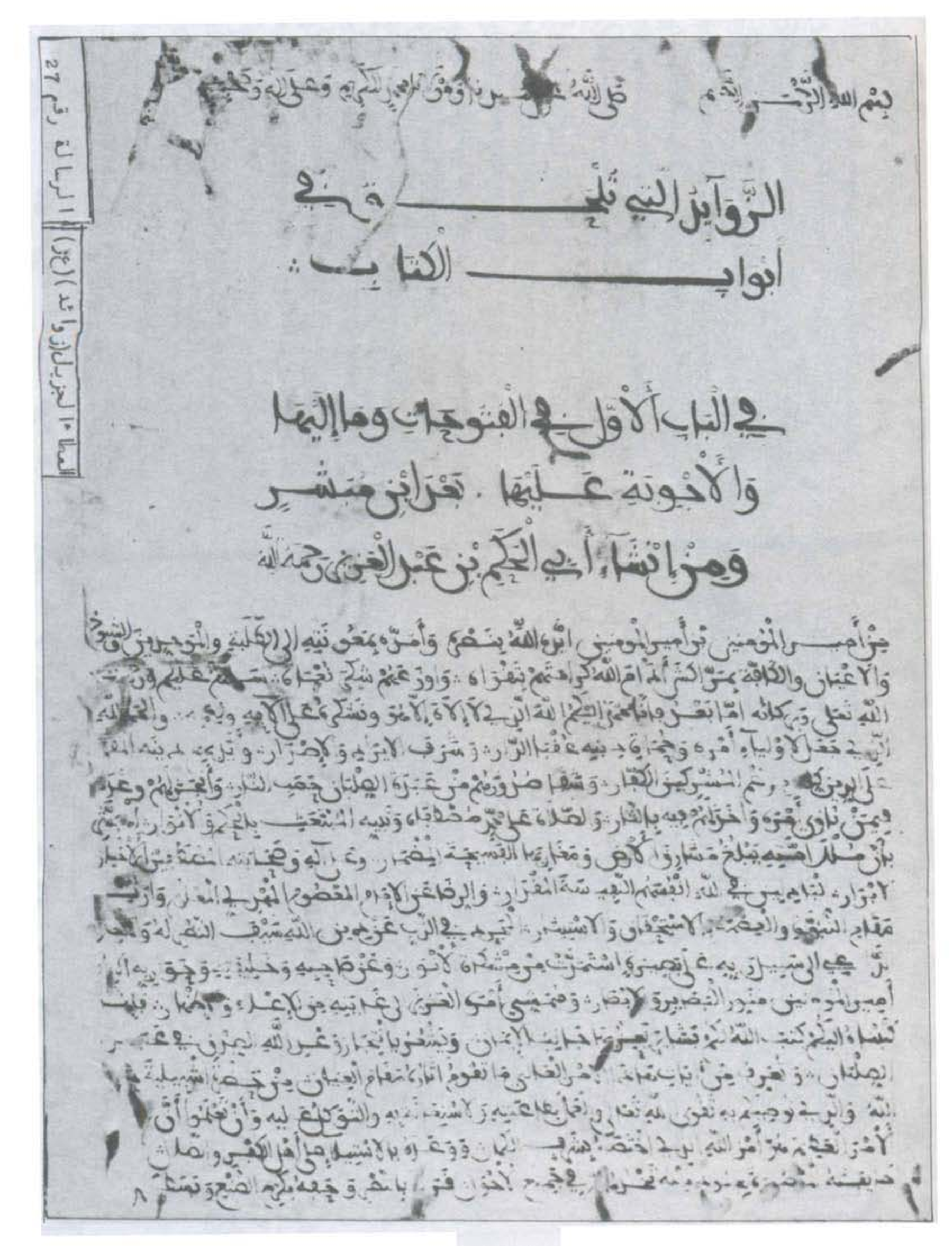
(4) يبدو من هذا ان مدخول التاجر بسوق السماط قدّر ب 700 دينار اي ضعف الضريبة.

ملحقات

1 ـ نماذج من المخطوطات الرئيسية المعتمدة



المخطوط 1



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وصحبه

الرسالة رقم 27

الرسائل التي تلحق في أبواب الكتاب

في الباب الأول في الفتوحات وما إليها والأجوبة عليها. تحرير ابن مبشر ومن إنشاء أبي الحكم بن عبد الغني رحمه الله

من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ

المخطوط 1

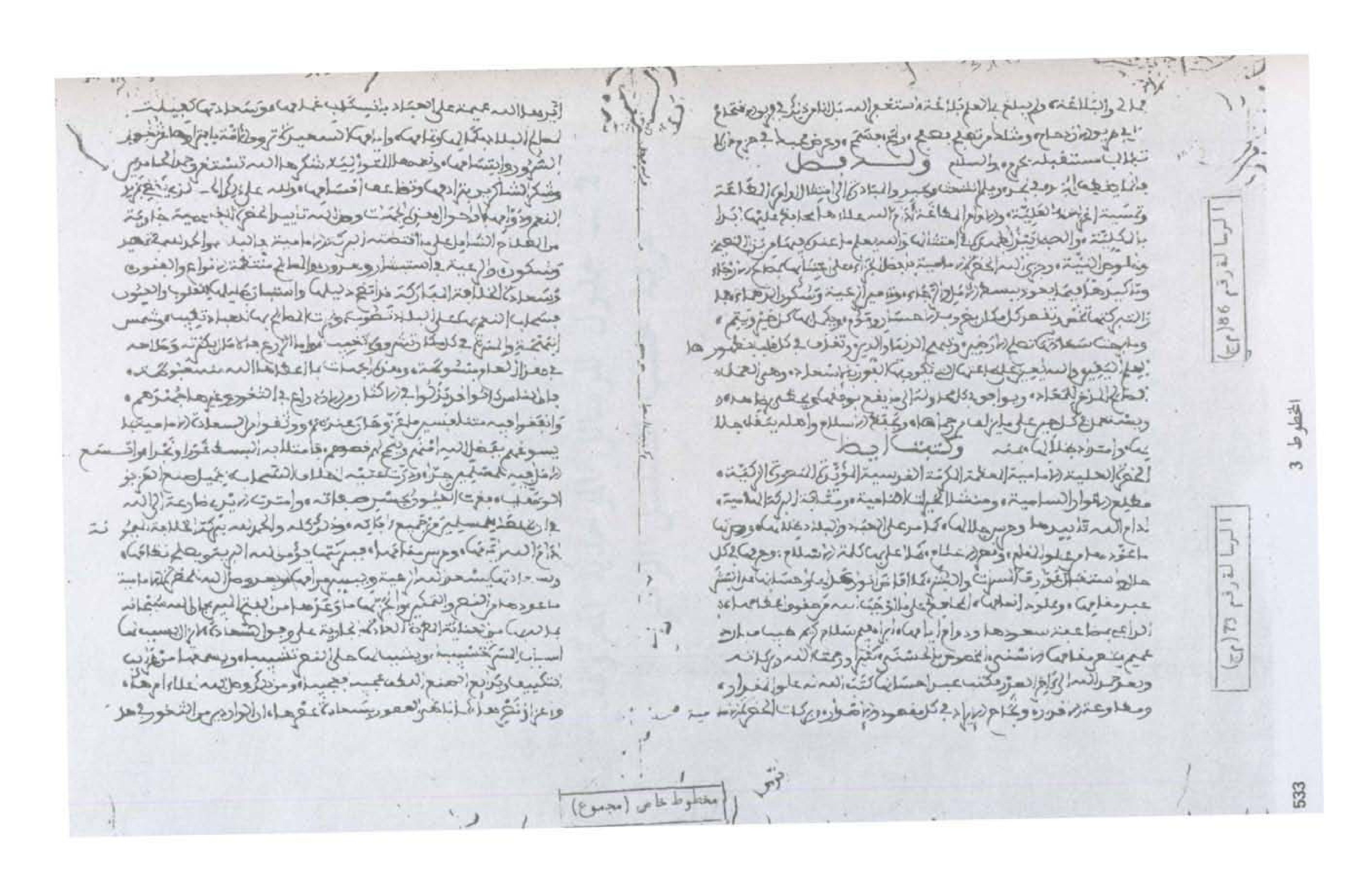
4752

التقديم رقم (ت 1)

التقديم رقم (ت 2)

مخطوط "يحيى" (ي)

المخطوط 2


وله فصل
وكتب أيضا
الرسالة رقم 86 (م ج)
الرسالة رقم 73 (م ج)
مخطوط خاص (مجموع)

المخطوط 3

2 ــ جدول للرسائل الموحدية المعروفة مرتبة حسب التسلسل الزمني

جدول عام لمجموع الرسائل الموحدية (حسب التسلسل الزمني)

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	كتاب أخبار المهدي ن، بروفنصال ص (1 — 8)	—	[المهدي]	[عامة الموحدين]	—	تعاليم عامة عن المهدي إلى عامة الموحدين	«... وهذا الوعيد العظيم والعذاب الأليم»	— العلامة [...] تفيد الترجيح. — من كتّاب المهدي: سليمان الحضري
—	نفس المصدر (8 — 10)	—	المهدي	«جماعة الموحدين»	—	الحض على جهاد المجسّمين الكفرة الملثمين	(بعد البسملة والتصلية) «إلى جماعة الموحدين وفقهم الله لما يحبه ويرضاه سلام...»	يلحق بها كلام للخليفة عبد المومن يعلّق به على رسالة المهدي ص 10
1(م.ج)	الحلل الموشية ص 111 ومخطوط خ ع	—	المهدي	المرابطون	—	تحذير وإنذار للمرابطين	«إلى القوم الذين استزلّهم الشيطان»	لعلها أول رسالة إليهم حسب ملاحظة صاحب مخطوط خ ع
—	كتاب أخبار المهدي، ص 11	—	المهدي	الأمير علي بن يوسف المرابطي	—	اتهام المرابطين بالظلم وبأن دماءهم وأموالهم حلال	(بعد البسملة والتصلية) «من القائم بدين الله العامل بسنة رسول الله.. إلى المغرور بدنياه...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	نفس المصدر ص 11 — 12	—	المهدي	جماعة الملثمين الزراكنة بالسوس	—	تهديد لأهل سوس وجيرانهم كزولة لَكُسْت ولمطة وأهل القِبلة كافة	(بعد البسملة والتصلية) «من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي.. إلى الفئة الباغية...»	
—	نفس المصدر ص 13	—	المهدي	[إحدى القبائل الموحدية]	—	لعلها تتعلق «بالتمييز» أي تمييز الفاسد من المصلح	(بعد البسملة والتصلية)) «من محمد بن عبد الله (....)	تأتي بعدها رسالة «الفصول» وهي نفسها رقم 6 م. ج
2 (م.ج)	أعز ما يطلب خ ع	—	المهدي	«جماعة الموحدين»	—	فضح سياسة المرابطين نحو الموحدين	(بعد البسملة والتصلية) «إلى جماعة أهل التوحيد...»	سميت الرسالة بالرسالة المنظّمة، قارن مع أخبار المهدي (8 — 10)
3 م.ج	نظم الجمان ص (210 — 212)	—	عبدالمومن	جماعة الموحدين	[529]	الاعلام بفتح تارودانت بالسوس	—	مطلعها غير واضح ولعلها أيضا مبتورة البداية.
4 م.ج	أعز ما يطلب خ ع	—	عبدالمومن	أهل كزولة	الثلاثينات	حث كزولة على التخلي عن دعوة المرابطين وتذكيرهم برسالة المهدي (م ج/2)	(بعد البسملة والتصلية) «سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فانا نحمد......»	أوراق المخطوط سيئة الترتيب

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
5 م.ج	الإعتاب وغيره	أبو جعفر ابن عطية	الشيخ أبو حفص الهنتاتي	[الخليفة عبد المومن]	[542]	الإخبار بمقتل الثائر الماسي	«كتابنا هذا من وادي ماسة...»	انظر عن المصادر الأخرى للرسالة التقديم لها
6 م.ج	نظم الجمان ص (167 — 150) إخبار المهدي (ب) ص 13 وما بعدها	نفس الكاتب	عبد المومن بتينملل	«الطلبة» بالأندلس	16 ربيع الأول 543	«رسالة جامعة لأنواع من الأوامر»	من أمير المومنين أيده الله تعالى... إلى...»	سنقتصر على الرمز (أ.م) عوض أمير المومنين
—	(م.ر.م) رقم 1	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	إلى «طلبة سبتة والموحدين»	—	الإخبار بالرجوع من الغزوة المباركة والظفر على الكفرة والمرتدّين	«(أ.م) أيده الله ونصره وأمده بمعونته، إلى الطلبة الذين بسبتة وجميع من فيها من الموحدين.....»	سنرمز لـ «مجموع رسائل موحدية» بالحروف (م.ر.م) مع رقم الرسالة
—	(م.ر.م) رقم 2	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	الفقيه أبو القاسم بن الحاج	—	الإخبار بوصول الوفد الذي بعثه لأداء البيعة	«من (أ.م) أيده الله ونصره وأمده بمعونته إلى الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم بن الحاج...»	—
—	(م.ر.م) رقم 3	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	«طلبة» صنهاجة تاسغرت...	27 ربيع الأول 543	الإخبار بالرجوع من تينملل بعد لقاء وفد صنهاجة تاسغرت بالخليفة	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة الذين بصنهاجة تاسغرت والمشيخة والأعيان والكافة»	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 4	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	الشيخ أبو زكرياء يحيى [المسوفي]	9 ربيع الثاني 543	دخوله مع أهله في الطاعة للموحدين، فأثنى الخليفة عليه وعلى مسوفة بالصحراء	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ الأجل أبي زكرياء يحيى بن علي...»	—
—	(م.ر.م) رقم 5	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	«طلبة» سبتة	—	الإعلام بخبر انتصار الموحدين في مرسى ألمرية وذكر حصار مالقة	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة وفقهم الله»	—
—	(م.ر.م) رقم 6	أبو جعفر ابن عطية	أمير المومنين بمراكش	إلى مشيخة قرطبة	2 صفر 544	الإخبار بوصول وفد قرطبة لتقديم البيعة	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي فلان وجماعة المشيخة بقرطبة»	—
—	(م.ر.م) رقم 7	أبو جعفر ابن عطية	عبد المومن ببجاية	إلى شيوخ قسنطينة	24 جمادى الأول 547	دعوة أهل قسنطينة إلى الدخول في طاعة الموحدين	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيوخ والأعيان وجميع من بقسنطينة...»	—
—	(م.ر.م) رقم 8	أبو عقيل عطية بن عطية	عبد المومن ببجاية	«طلبة» تلمسان والموحدين بها	10 شعبان 547	الإخبار «بفتح قسنطينة وإنابة يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية بجاية إلى التوحيد»	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بتلمسانوجميع من فيها من الموحدين	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
7(م.ج)	فقهاء مالقا وأدباؤها (خ ح)	—	الشيخ أبو حفص الهنتاتي بفج قامرة	أهل مالقة	17 ربيع الأول 548	تأمين أهل مالقة وشكرهم على ثورتهم على ابن حسّون	بعد البسملة والتصلية «من عمر بن يحيى إلى الشيوخ والأعيان بمدينة مالقا....»	—
—	(م.ر.م) رقم 9	أبوجعفر ابن عطية	عبدالمومن بتلمسان	الطلبة والأشياخ بمراكش	1 ربيع الآخر 548	الإخبار بالانتصار في وقعة سطيف على العرب	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي محمد وسنار وجماعة أصحابه الطلبة والمشيخة و...من أهل مراكش»	—
—	(م.ر.م) رقم 10 وصبح الأعشى 443/6 ــــ 445	أبوجعفر ابن عطية	عبدالمومن بمراكش	ابن مردنيش (محمد بن سَعْد)	16جمادى الآخرة 548	توجيه الدعوة لابن مردنيش للدخول في طاعة الموحدين	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي عبدالله محمد ابن سعد وفقه الله»	—
—	(م.ر.م) رقم 11	—	[عبد المومن] من مراكش	—	[548ـ 549]	حول ما أثاره أخوا المهدي من محاولة السيطرة على الحكم	«...وهذا كتابنا ـ كتب الله لكم ملء القلوب من الإضاءة والتنوير ...»	يلاحظ روفنصال أنها ناقصة البداية ورجّح أنها من انشاء أبي جعفر بن عطية
—	(م.ر.م) رقم 12	أبوجعفر ابن عطية	أ.م (عبد المومن) بمراكش	«طلبة» تلمسان	[548ـ 549]	إعادة تقسيم طبقات الموحدين إلى ثلاث طبقات حسب أقدميتها في «التوحيد».	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بتلمسان أدام الله كرامتهم...»	الرسالة مبتورة في آخرها

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	13 رقم (م.ر.م)	أبوجعفر ابن عطية	أ.م عبد المومن برباط الفتح	«طلبة» سبتة و...	548 — 549	الاخبار بتعيين الأمير أبي عبد الله محمد وليّاً للعهد	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة وطنجة... وجميع من بهما من الموحدين والأشياخ والأعيان والخاصة والعامة»	—
—	14 رقم (م.ر.م)	أبوجعفر ابن عطية	أ.م عبد المومن برباط الفتح	«الطلبة» بسبتة	12 ربيع الأول 551	التذكير بما تمّ من البيعة - بولاية العهد، والاعلام بتعيين بعض «السادة» على الولايات	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بسبتة...»	—
8(م.ج)	العطاء الجزيل 46 — 47	ابن عبد الحميد	—	أبو بكر بن توندوت الهسكوري	—	عتابٌ عليه بسبب ثورته، ودعوته إلى مراجعة طاعة الموحدين	«إلى أبي بكر أيقظ الله بصيرته... أما بعد، فياليتك...»	راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول حول المكتوب عنه
—	15 رقم (م.ر.م)	أبوجعفر ابن عطية	أ.م (عبد المومن) بمراكش	الطلبة والأشياخ ... بسبتة	25جمادى الآخرة 551	الإشارة إلى تمرد زعيم موحدي وتوبة القبائل التي قامت معه	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة والأشياخ والأعيان والكافة بها»	—
—	16 رقم (م.ر.م)	أبو عقيل عطية بن عطية	أ.مْ (عبد المومن) بمراكش	الطلبة و... ببجاية	شعبان 552	«فتح ألمرية وبياسة وأبذة»	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة من أهل بجاية»	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 17	أبو عقيل عطية بن عطية	أ.م (عبد المومن) بمراكش	«الطلبة بفلانة»!	8 شوال 552	الإخبار بجولة في بلاد السوس وزيارة ضريح المهدي	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بفلانة وأنظارها»	—
—	(م.ر.م) رقم 18	أبوالحسن بن عيّاش	(الخليفة عبد المومن) بمراكش	—	14رجب 553	الأمر بالتحفظ في «الأحكام» ومشاورة الخليفة قبل التنفيذ [ربما بالنسبة لأحكام الاعدام]	«أما بعد حمدِ الله الذي عمَّ بنواله وخصّ أهل ولايته بقبوله وإقباله، والصلاة...»	—
—	(م.ر.م) رقم 19	أبوجعفر ابن عطية	أ.م بظاهر المهدية	الطلبة و.... بأغرناطة	20 ذو العقدة 554	الأمر ببناء مدينة جبل طارق، وفتح قفصة..	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته، إلى الطلبة والموحدين الذي بأغرناطة»	نسبت خطأ إلى أبي جعفر بن عطية مع أنه قتل قبل هذه المدة
9 م.ج	المن بالامامة 131ـ 135، البيان (مقطع) (ص 39 ـ 40)	—	الخليفة (عبدالمومن) من ظاهر قسنطينة	ولده يوسف باشبيلية	[555]	الإخبار بانتهاء الحملة الافريقية والتحرك نحو الغرب	بعد البسملة والتصلية والعلامة «أعزكم الله، وجعلنا وإياكم...»	لا يوجد في صدر الرسالة الحمدلة والتصلية والترضية كما هي العادة في صدر الرسائل
—	(م.ر.م) رقم 21	أبو القاسم القالمي	أ.م (عبد المومن) من فحص متيجة	الطلبة و.... بفاس	24 ربيع الاخر 555	الإعلام بهزيمة عرب افريقية وتحرك بعض قبائلهم مع جملة الموحدين نحو الغرب	«من أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من الموحدين من أهل فاس»	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 23	—	أ.م (عبد المومن) -	طلبة بجاية	3 ربيع الأول 556	(تعرف برسالة الفصول) التوصية بإقامة الحدود وحفظ الشرائع، وإظهار الحق بلزوم الواجبات	«من أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين ببجاية»	منسوبة في المجموع الذي نقل عنه بروفنصال إلى أبي جعفر بن عطية
—	أخبار المهدي (بروفنصال) ص 13 — 17	—	الخليفة (عبد المومن)	الطلبة بجبل الفتح	—	تعرف برسالة الفصول وبعد العلامة يعنونها المؤلف هكذا: «رسالة للخليفة (رضه) في التنبيه والتعليم والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	«من أمير المومنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بجبل النصر والفتح»	الرسالة مبتورة الآخر وهي في محتواها نفس الرسالة السابقة (23) مع تغيير في الألفاظ أحيانا
10 م.ج	العطاء (الزوائد الملحقة بآخره)	قاضي الخلافة أبو موسى	الطلبة بفلانة	السيد أبو فلان ابن أمير المومنين	16 رجب 567!	الإخبار بانتصار قطعتين بحريتين موحديتين على أخريين أركونيتين ببحر تنس	«حضرة سيدنا المعظم الأسني أبي فلان بن سيدنا ومولانا أمير المومنين...»	انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الثاني حول تاريخ الرسالة والسيد أبي فلان
11 م.ج	العطاء (44 — 45)	ابن مبشر	—	—		تقريع موجّه فيما يبدو إلى فرقة عسكرية منهزمة	«إلى أمة نجهت أفئدتهم وقلوبهم...»	الرسالة خالية من الدعاء للمهدي

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
12 م.ج	المـن	أبوالحسن عبد الملك بن عياش	السيدان أبوحفص وأبوسعيد من ظاهر مرسية	الأمير* يوسف بمراكش	أواسط ذي الحجة 567!**	حول هزيمة ابن مردنيش وانحصاره بمرسية	بعد البسملة والتصلية «من عمر وعثمان ابني أمير المومنين إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية»	* قبل التسمية بأمير المومنين ** عن خطأ هذه السنة راجع خصوصيات الرسالة
13 م.ج	المـن	أبو الحسن عبد الملك بن عياش	الأمير أبو يعقوب يوسف بمراكش	أخوه الأمير أبو سعيد بقرطبة	3 رمضان 561	النهي عن المنكر ومنع الحكم بالقتل قبل استشارة الأمير	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من أمير المومنين* يوسف بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى... أخينا أبي سعيد...»	* لم يكن بعْد قد اتخذ هذه التسمية
—	(م.ر.م) رقم 24	أبوالحسن عبد الملك بن عياش	الأمير يوسف بمراكش	السيد أبو سعيد والشيخ أبو سعيد يخلف	—	ـ الاعلام بحركة الموحدين إلى المرتدين من صنهاجة ـ الاعلام بارسال عسكر إلى اشبيلية بقيادة السيد اسماعيل	«من الأمير يوسف بن (أم) أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته إلى الشيخ الأجل أخينا أبي سعيد.. والشيخ.. أبي سعيد يخلف ....»	
14 م.ج	المـن	أبو الحسن عبد الملك بن عياش	الأمير يوسف بجبل الكواكب بغمارة	إلى أهل غرناطة	14 شوال 562	الإعلام بالانتصار على ثائر غمارة سبع ابن منخفاد	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من الأمير يوسف ابن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمدينة غرناطة»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
15 م.ج	المن	السيد أبو حفص*	السيد أبوحفص ابن عبدالمومن	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	14شوال 562	نفس الموضوع السابق	بعد البسملة والتصلية «من عمر بن أمير المومنين إلى الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أبي إبراهيم»	* يشير صاحب المن إلى أن الرسالة كتبها أبو حفص عن نفسه
16 م.ج	المن	—	الأمير يوسف بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	9 ذي الحجة 562	رسالة جوابية حول إبعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة	بعد البسملة والتصلية «من الأمير يوسف بن أمير المومنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي ابراهيم والطلبة والموحدين بأغرناطة»	—
17 م.ج	المن	أحمد بن محمد !	أهل اشبيلية	الخليفة يوسف ابن عبد المومن	منتصف جمادى الثانية 563	بيعة أهل اشبيلية بمناسبة اسمية الأمير أبي يعقوب بلقب أمير المومنين	بعد البسملة والتصلية «الحمد لله الذي جعل الامامة قواما للحق ونظاما للخلق...»	—
18 م.ج	المن	—	أهل غرناطة	الخليفة يوسف أبو يعقوب	منتصف جمادى الآخرة 563	بيعة أهل غرناطة بمناسبة اسمية أبي يعقوب بـ «أمير المومنين»	بعد البسملة والتصلية «الحمد لله الذي جعل الامامة عصمة للدين، ونعمة سابغة منه تعالى للمسلمين»	الرسالتان أرسلتا معا
19 م.ج	المن	—	الشيخ أبو عبد الله الوالي بغرناطة	الخليفة أبو يعقوب	منتصف جمادى الآخرة 563	— نفس موضوع البيعة — الإعلام بوصول كتاب من الخليفة حول توجيه العساكر إلى الأندلس	بعد البسملة والتصلية الحضرة السامية الإمامية حضره سيدنا.. الخليفة.. المنصور بالله أمير المومنين ابن أمير المومنين...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
20 م.ج	المـن	—	الخليفة أبو يعقوب يوسف بمراكش	«طلبة» غرناطة	12 شوال 563	الإعلام بوصول وفد البيعة من غرناطة ثم انصرافه من الحضرة	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة أكرمهم الله»	
21 م.ج	المـن	—	الخليفة أبو يعقوب بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	22 جمادى الآخرة 563	ـ الأمر بالتنسيق مع بقية ولاة الأندلس لمواجهة الأعداء الروميّين والمجسّمين	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الحافظ أبي عبدالله والموحدين الذين بأغرناطة»	
22 م.ج	المـن	—	الخليفة أبو يعقوب بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	3 رمضان 568	ـ رسالة جوابية حول انتصار الشيخ على قوات كرانده بوادي آش	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة	
23 م.ج	المـن	—	السيد أبو حفص بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	3 رمضان 568	نفس الموضوع	بعد البسملة والتصلية «من عمر بن (أ.م) إلى الشيخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
24 م.ج	المن	أبو الحسن ابن عياش	الخليفة يوسف بمراكش	الطلبة والموحدون بالأندلس	21 ربيع الآخر 564	الإعلام بتوجيه عسكر الموحدين برئاسة الشيخ أبي حفص في انتظار جواز الخليفة بنفسه	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين من الذين بجزيرة الأندلس	
25 م.ج	العطاء (الزوائد)	أبو القاسم القالمي	الخليفة يوسف بمراكش	الطلبة «الغزاة» بافريقية	غرة رجب 564	رسالة جوابية حول مراسلات الخليفة بشأن — الانتصارات الموحدية في المغرب والأندلس. — وحول المخطط المطلوب تنفيذه في افريقية	«من أمير المومنين بن (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الغزاة بافريقية»	
26 م.ج	المن	ابن مصادق	السيد أبو اسحاق ابراهيم والي قرطبة	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	رمضان 564	الإعلام بما تمّ من «فيئة» ابن همشك إلى الموحدين	بعد البسملة والتصلية «الشيخ الأجل الحافظ الأعلى وليّنا في الله تعالى أبو عبدالله محمد بن أبي إبراهيم»	
—	(م.ر.م) رقم 25	أبو الحسن ابن عياش	الخليفة يوسف بمراكش	ابن سعد (ابن مردنيش)	أول رمضان 564	دعوة ابن مردنيش إلى التوحيد ترغيبا وترهيبا	«من (أ.م) بن (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى أمير شرق الأندلس أبي عبد الله محمد بن سعد»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
27 م.ج	ـ العطاء (زوائد) ـ م.ر.م (22)	أبو الحكم بن* عبد العزيز ابن المرخي	الخليفة يوسف من اشبيلية	أهل مراكش	24 شعبان 568	الإعلام بالانتصار على جماعة فرسان آبلة قرب قلعة رباح	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته...»**	* في م.ر.م نسبت الرسالة إلى القالمي ** في م.ر.م الرسالة مبتورة البداية
28 م.ج	العطاء (زوائد)	أبوالحسن ابن زيد	الخليفة يوسف من اشبيلية	أهل مراكش	24 شعبان 568	نفس الموضوع	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان ... بمراكش»	
29 م.ج	العطاء (زوائد)	أبو الحسن ابن زيد	الخليفة يوسف من اشبيلية	أهل مراكش	[569]	الإعلام بالإتفاق مع وفدي قشتالة والبرتغال على عقد الهدنة، وكانت مبرمة من قبل مع ليون	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش»	
30 م.ج	العطاء (زوائد)	أبو الحكم ابن المرخي	الخليفة يوسف من داخل قفصة	أهل اشبيلية	عقب رجب 576	الإعلام بفتح قفصة بعد حصارها	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بمدينة اشبيلية»	
31 م.ج	العطاء (زوائد) ـ م. ر. م (20)	أبو علي بن نارار *	الخليفة يوسف من داخل قفصة	أهل اشبيلية **	عقب رجب 576	نفس الموضوع	نفس العبارة في العطاء، وفي م.ر.م : «من (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بقرطبة»	* نسبت في م.ر.م إلى ابن المرخي. ** في م.ر.م موجهة إلى أهل قرطبة

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م. ر. م) رقم 26	أبو الفضل ابن محشرة	عن الخليفة يوسف من تونس	أهل قرطبة	منتصف شوال 576	الإعلام بتحرك رياح للجهاد بالأندلس مع زعيمها مسعود بن زمام	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بقرطبة	
32 م.ج	أماري: ديلومي (رقم 2)	—	(من حكومة بيش: أُبْلُدُه أركُ بيشة و...)	الخليفة يوسف	23 أبريل 6/1181 ذي الحجة 576	شكوى من نهب مركب للقمح من طرف مقدم طرابلس وسجن تجاره، المطلوب الالتزام بالعهد بين الطرفين	بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده إلى (أم) أيد الله أمره وأعز نصره معظمون مقامه...»	
33 م.ج	ديلومي (رقم 3)	—	مطران بيشة وحكومتها	الخليفة يوسف	1182/7/1 26 ربيع الأول 578	شكوى من انتهاك أحد العمال في بجاية لشروط الاتفاق بين الطرفين	«بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده إلى (أم) إمام الموحدين أبي يعقوب يوسف بن (أم) أيد الله أمرهم وأعز نصرهم معظمون مقامه».	
34 م.ج	العطاء (زوائد)	أبوالحسن القلنّي*	محمد بن (أم) بن (أم) من ظاهر يابرة	أهل مرسية	21 ربيع الآخر 580	الحديث عن الحملة الموحدية إلى وادي تاجه غربا ومعركة شنترين	«من محمد بن سيدنا (أم) ابن سيدنا (أم) أدام الله تأييد أمرهم إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من أهل مرسية وجهاتها	* راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م. ر. م) رقم 27	أبو الفضل طاهر بن محشرة	الأمير يعقوب المنصور باشبيلية	أهل غرناطة	7 جمادى الأولى 580	الاعلام بتمام البيعة للأمير يعقوب (حسبما كان اقترحه الموحدون والعرب على أبيه يوسف) والمطلوب أخذ البيعة بغرناطة	«من الأمير يعقوب بن سيدنا (أم) بن سيدنا (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بأغرناطة».	
—	(م.ر.م) رقم 28	أبو الفضل طاهر بن محشرة	الخليفة يعقوب المنصور بمراكش	أهل اشبيلية	عقب شهر رمضان 580	ـ الأمر بمنع شرب الرُّبّ ـ الأمر بتوزيع الفطرة على الضعفاء (على يد القاضي)	«من (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية»	
—	(م.ر.م) رقم 29	أبو الفضل طاهر بن محشرة	الخليفة يعقوب بمراكش	أهل اشبيلية	5 ربيع الآخر 581	ـ الاعلام بتغلب الميورقي على جزء من افريقية. ـ الإعلام بحركة الموحدين وفتح بجاية وتجمّع الأشقياء بجهة قسنطينة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية».	
35 م.ج	دبلومي رقم 5	—	الخليفة يعقوب المنصور	أهل بيشة وجهاتها	أوائل رمضان 582/ نوفمبر 1186	إمضاء اتفاقية سلام وتجار بين المنصور وحكومة بيش	بعد البسملة والتصلية والعلامة «الحمد لله المتعالي عن الأنداد والقرناء، المتقدس عن الصواحب والأحبّاء، المحيط علمه...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
36 م.ج	دبلومي رقم 7	—	السيد أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حفص	جماعة تجار النصارى	583 — 588	«كتاب أمان للتجار البيشانيين للتردد على افريقية»	«كتاب أمان وتأكيد إحسان أمر بكتبه عبد الرحمن بن سيدنا أبي حفص بن سيدنا الخليفة الامام أمير المومنين إلى جماعة نصارى بيش»	
—	(م.ر.م) رقم 30	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب من ظاهر قابس	أهل مراكش	18 شعبان 583	الإعلام بالانتصار في معركة حمّة مطماطة قرب قابس على تحالف الأعراب والغز والميارقة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بمراكش	
—	(م.ر.م) رقم 31	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب بظاهر قفصة	أهل تونس	2 رمضان 583	الاعلام بفتح بلاد الجريد إلى طرابلس وطاعة الأغزاز، والذهاب لحصار قفصة.	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بتونس».	
—	(م.ر.م) رقم 32	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	عن الخليفة يعقوب من قفصة	أهل مراكش	13 ذو القعدة 583	الإعلام بإعادة فتح قفصة من يد الميورقيين وحلفائهم	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بمراكش»	
—	(م.ر.م) رقم 33	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب من منزل أبي سعيد	أهل مراكش	10 ربيع الأول 584	الاعلام بالحركة — بعد فتح قفصة — إلى المهدية وطاعة من حولها من سليم (عوف والشريد) والإعلام بالعودة إلى «الغرب»	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بمراكش»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
37 م.ج	العطاء (ص 33 ـ 35)	أبو بحر صفوان ابن ادريس	عبد الرحمن ابن الخليفة يوسف بمرسية	ملك قشتالة	منتصف ذي الحجة 584	الجواب على كتابه الذي يدعوه فيه إلى خلع طاعة الموحدين	«من عبد الرحمن بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيد الله أمرهم إلى اذ فونش ابن شنجة ملك قشتالة وطليطلة	
38 م.ج	صبح الأعشى 527/6 ـ 530	القاضي الفاضل	السلطان صلاح الدين الأيوبي	يعقوب المنصور	[585]	الاشارة إلى انتصارات صلاح الدين في الشرق، والاستنجاد بالموحدين لمواجهة الفرنج القاصدين بلاد الشام ومصر	«فتح الله بحضرة سيدنا أمير المومنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامن...»	
ـ	(م.ر.م) رقم 34	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب .	أهل سبتة	26 جمادى الثانية 586	توقيع السلم مع قستالة، تجديده مع ليون، غزو أراضي البرتغال (إلى طُرُش وطُمار).	من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأعيان والأشياخ والكافة بسبتة».	
39 م.ج	كتاب الروضتين .	القاضي الفاضل	السلطان صلاح الدين الأيوبي	يعقوب بن يوسف (المنصور)	شعبان 586	الاستنجاد بأي طريقة ممكنة لدعم الأيوبيين ضد الأساطيل المسيحية	«بسم الله الرحمن الرحيم من الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن أيوب، أما بعد فالحمد لله الماضي المشية الممضي القضية، البرّ بالبرية...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
40 م.ج	مخطوط الارسكوريال ديرانبورغ 488	—	أهل قرطبة	(إلى يعقوب المنصور)	ذو القعدة 588	بيعة أهل قرطبة بولاية العهد لمحمد بن المنصور	بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه (عقد البيعة المباركة السعيدة الأولى بولاية العهد...) «ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...».	
41 م.ج	مخطوط الارسكوريال ديرانبورغ 488	—	[طلبة قرطبة]	(إلى يعقوب المنصور)	ذو القعدة 588	نسخة كتاب الطلبة والموحدين بقرطبة مصحوبة مع البيعة السابقة	(البسملة والتصلية) «الحضرة الامامية العلية المعظمة المكرمة السنية الطاهرة القدسية...».	
42 م.ج	العطاء (زوائد) 12 — 13	أبو الحسن القلنّي	أهل مراكش	الخليفة يعقوب بالأندلس	[591]	جواب على كتاب الخليفة المخبر بالنصر في «الأركو»	«الحضرة الامامية العالية المعظمة المكرمة المقدسة الطاهرة السامية حضرة سيدنا ومولانا....»	
—	(م.ر.م) رقم 35	أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن عياش	الخليفة المنصور باشبيلية	الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بفاس	9 رمضان 592	— رفض المنصور الاستجابة لرغبة قشالة في السلم، حصار طليطلة — عقد التحالف مع ليون ضد قشتالة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بفاس وعملها»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنـه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
43 م.ج	الذيل س 6/ ترجمة ابن رشد	ابن عياش	المنصور	أهل مراكش وغيرها	593	نكبة ابن رشد	«..... وقد كان في سالف الأزمان قوم خاضوا في بحور الأوهام.....».	
44 م.ج	المخطوط الخاص 305 ـــ 308	أبو الحسن ابن وضاح	طلبة اشبيلية والكافة من أهلها	الخليفة المنصور	[593ـــ 594]	الإعلام بوصول كتاب الخليفة الذي يوضّح حقيقة الدين من كتاب الله وسنة رسوله	«الحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر لدين الله...»	
45 م.ج	نفح الطيب 105/3	أبو الربيع سليمان والي سجلماسة	عن نفسه	ملك غانة	ـــ	يستنكر تعويق التجار المغاربة بمملكة غانة	«... نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الأديان...»	من الصعب تأريخ الرسالة ولذا وضعت في آخر رسائل عهد المنصور
46 م.ج	ديلومي رقم 6	ـــ	عبد الرحمن بن أبي الطاهر ناظر ديوان افريقية	حكومة بيش	27 ذي القعدة 596	ـــ حول هجوم مسطَّحين لبيشة على مراكب للمسلمين بخليج تونس ـــ التذكير بتأمين من يصل من تجار بيش	بعد البسملة والتصلية «الأشياخ الأجلاء الكبراء الكرماء الأثراء الأرشفشك والقناصلة والحكام والأعيان من أهل بيشة	
47 م.ج	ديلومي رقم 9	ـــ	السيد أبو زيد عبد الرحمن بن الخليفة من تونس	حكومة بيشة	عقب شهر ذي القعدة 596	ـــ نفس الحادثة ـــ المطلوب عقاب الجناة كما تفعل جنوة مع المعتدين ـــ الخسائر عوّضت من البيشانيين بتونس	بعد البسملة والتصلية «من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة أمير المومنين إلى الارسفسك وحكام بيشة وقناصرة بحرها وأشياخهم وأعيانهم...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
48 م.ج	ديلومي رقم 8	—	يوسف بن محمد صاحب ديوان تونس والمهدية	التاجر باج البيشاني	596	ــ الإعلام بتوجيه كتاب أمان إلى تجار بيش ــ المطلوب افتكاك أسير من عائلة أحد موظفي الديوان	بعد البسملة والتصلية «الشيخ التاجر باج البيشاني هداه الله، كتبه إليك يوسف بن محمد...»	
49 م.ج	ديلومي رقم 10	—	ناصح بن عبد السلام (نيابة عن الناصر) بسبتة	حكومة بيشة	9 جمادى الأولى 597	ــ المطلوب ارسال من ينوب عن بيش للحضور لدى الخليفة عاجلا	بعد البسملة والتصلية «القناصلة والأشياخ والأعيان الذين ببيجة... من مُريد الخير لهم ناصح بن عبد السلام...»	
50 م.ج	ديلومي رقم 11	—	عبد الرحمن بن أبي الطاهر الناظر بديوان تونس	حكومة بيش	21 شعبان 597	ــ حادثة الاعتداء المذكورة. ــ تعويض الخسائر من البيشانيين بتونس ــ المطلوب تعويض هؤلاء من المعتدين	بعد البسملة والتصلية «الشيوخ الكبراء الأرشفسك والقناصلة الكبار وقناصلة البحر والأعيان بمدينة بيش....»	
51 م.ج	ديلومي رقم 12	—	عبد الرحمن بن أبي الطاهر الناظر بديوان تونس	حكومة بيش	آخر شعبان 597	ذكر أسماء الشهود على الحادثة المذكورة (وهم عدول الديوان وتراجمته وكاتبه وناظره)	بعد البسملة والتصلية «يقول شهداء هذا العقد: الذي نعلمه ونشهدُ به أن المسطحات...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
52 م.ج	ديلومي رقم 13	—	عبد الرحمن بن الخليفة بتونس	حكومة بيش	مستهل رمضان 597	تأييد مطالب البيشانيين بتونس للحصول على ما عوضوا به إخوانهم المعتدين	بعد البسملة والتصلية «من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة أمير المومنين إلى الارسفسك وقناصرة البروقناصرة البحر والأشياخ والكافة الذين ببيشة»	
53 م.ج	ديلومي رقم 21	—	أبو زيد عبد الرحمن بن الخليفة بتونس	حاكم بيشة والأشياخ والكافة	26 رجب 598	ـ التأكيد على تأمين تجار بيش. ـ التحذير من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم، والتحذير إلى حاكم إحدى جهات سردينيا	بعد البسملة والتصلية «من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة (أم) إلى الشيخ الأجل الأثير جراردو ألاسكنتُ حاكم بيشة والأشياخ والكافة الذين ببيشة»	
—	(م.ر.م) رقم 36	أبو عبد الله محمد بن عياش	عن الخليفة (الناصر) بمراكش	(غير مخصصة لأية جهة)	599 ـ 600	الإعلام بفتح الجزر الشرقية (ميورقة) والاستعداد لمطاردة الميورقيين بافريقية	«الحمد لله فاتح الاغلاق، ومانح الأعلاق، ممّد هذه الدعوة الامامية من السبع الطباق، وناصرها في البحار المرتجة القوارب النازحة الآفاق...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
54 م.ج	العطاء (زوائد) 25 و 28	أبو بكر بن عيسى	من اشبيلية	إلى الخليفة الناصر	600	جواب على رسالة مبشّرة (ربما بفتح ميورقة)	«الحضرة الامامية الخلافية المعظمة العلية الطاهرة القدسية الهادية المهدية السّنية السنيّة حضرة الخلافة... حضرة سيدنا... الناصر...»	
55 م.ج	العطاء (زوائد) 26 — 27 و22 — 24	أبو محمد بن حامد	«عبيد الحضرة»	الخليفة الناصر	600	تأديب بعض قائل عرب تامسنا وإعادة إقرارهم بتادلة مقرهم الأول	«الحضرة الامامية القدسية المطهرة العلية مهبط الرحمة وملجأ الأمة ومعدن البركة حضرة سيدنا ومولانا... الناصر»	
56 م.ج	العطاء (زوائد) ص 24	أبو الحسن ابن الفضل	والي اشبيلية	أهل الأندلس	602	الدعوة إلى استماع الناس إلى كتاب الخليفة المبشر بالنصر على شقي ميورقة	«... إليكم كتب الله لكم من البشائر ما يجدد آمالكم وأمانيكم ويعمرُ بالمسرّات المستمرات ربوعكم ومغانيكم...»	
—	(م.ر.م) رقم 37	أبو عبد الله ابن عياش	عن الخليفة الناصر بمنزل الموحدين بظاهر المهدية	(غير مخصصة لأية جهة)	602	الاعلام بانتصار الموحدين على الميورقيين بتاجرا واستمرار حصارهم بالمهدية	«الحمد لله مُحقّ الحق بكلماته، ومبطل الباطل برغم دعاته، وناصر هذا الحزب في حركاته وسكناته»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
57 م.ج	ـ الإحاطة 486/2 ـ عنوان المرقصات (ترجمة ابن عياش)	أبو عبد الله ابن عياش	الخليفة بإفريقية	إلى (الأمّة)	[602]	فصل من رسالة كتبها في نزول الناصر على المهدية برّا وبحرا واسترجاعها من يد الملثمين	«... ولما حلَلْنا عرى السَّفر بأن حَلَلْنا حِمَى المهدية تفاءلنا...»	
58 م.ج	المخطوط الخاص 303 ـ 305	أبو القاسم ابن عذرة	طلبة الجزيرة الخضراء	السيد أبو عمران ابن أبي موسى	9 رمضان 602	إظهار الوحشة بعد طول الغياب	«حضرة السيد الأجل المكرم الأسنى الهمام الأوحد الأمجد... أبو عمران ابن السيد... أبي موسى	لم يتضح ما إذا كانت رسمية أو إخوانية
59 م.ج	الاعتاب، ط. دمشق 103 ـ 104 ومخطوط خ ع	أبو عبد الله ابن نخيل	الأمير أبو محمد عبد الواحد الحفصي	—	منتصف صفر 604	الانتصار في واقعة شبرو بنواحي تبسّة على شقّي ميورقة وأتباعه وحلفائه	«...وقد انتصر الحق على الباطل ففرّق جموعَه، وأذهب بسطوته الغالبة... جميعَه»	
60 م.ج	المخطوط الخاص 342 ـ 343	أبو العباس ابن جعفر	[الحضرة]	—	[605]	جواب على رسالة مخبرة بتردد الموحدين على الغرب الأوسط ورحلتهم إلى أوطانهم	«... وإنه ورد على عبد الحضرة الإمامية العلية أيدها الله كتابها المعظم...»	
61 م.ج	الاعتاب، ط. دمشق 240 ـ 245 ومخطوط خ ع	أبو عبد الله ابن نخيل	[عن الأمير الحفصي]	—	سنة 606	الإخبار بالانتصار على ابن غانية في معركة وادي أبي موسى بجبل نفوسة	«... وإلى ذلكم وصل الله بالنجاح أسباب آمالكم وختم بالفلاح صحائف أعمالهم، فإن الموحدين...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
62 م.ج	ديبلومي رقم 26	—	عبد الواحد الحفصي من تونس	كودفري صاحب بيش	28 ربيع الأول 607	حول تجديد السلم بين البلدين (الموحدين وبيش)	بعد البسملة والتصلية «إلى القنصر الأجل كدفري دَسَكُونت وفقه الله... من عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص...»	
63 م.ج	العطاء ص 53 — 54	أبو القاسم البلوي	من عبد الرحمن بن الخليفة والي جيان	ملك قشتالة وطليطلة وغشكونية	[607]	التحذير من انتهاك الهدنة والالحاح على معاقبة المعتدين	«من عبد الرحمن بن السيد الخليفة (أم) إلى ملك قشتالة وطليطلة وغشكونية تولّى الله كرامته... أما بعد حمد الله تعالى»	
64 م.ج	المخطوط الخاص 330 — 332	أبو العباس ابن جعفر	«عبد الحضرة» من اشبيلية	الخليفة الناصر	[607]	— الإخبار بقرب انتهاء أجل الهدنة. — الجواب على رسالة مخبرة بالحركة السّنية. — عبد الحضرة يطلب الاذن بالقدوم على الخليفة	«... وبعد حمد الله مُعلي كلمة التوحيد الفاتح لها الفتح القريب في المكان البعيد ذلك فضل الله يوتيه من يشاء...»	سنرمز للمخطوط الخاص بالرمز (م خ)
65 م.ج	م. خ ص 332	أبو العباس ابن جعفر	«عبد الحضرة» من اشبيلية	[الخليفة الناصر]	[607]	الاخبار بوصول كتاب الخليفة بمنح الاذن «للعبد» بالورود عليه	«...وبعد، وصل الله للحضرة الإمامية ما عوّدها من نصر أعلامها وإعلاء مقامها، وأوزع شكر إحسانها العميم وإنعامها فإنّ عبد نعمها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
66 م.ج	م خ 332 — 333	أبو العباس ابن جعفر	«عبد الحضرة» من اشبيلية	[الخليفة الناصر]	[607]	الإخبار بتوجه المعني نحو الخليفة في أثر هذا الجواب	«... وبعد، وصل الله للحضرة الامامية أسباب السعود، ويسرّ لها انجاز الفتح الموعود فإن عبيد نعمتها»	
67 م.ج	البيان خ ح وط. تطوان والروض المعطار	ابن عياش	الناصر بأندوجر	—	[608]	فصل من الرسالة معْلماً بفتح حصن شلبطرة	«...وهذا كتابنا إليكم من منزل الموحدين بمنزل أندوجر... وإلى هذا وفقكم الله وأوزعكم شكر نعماه»	
68 م.ج	البيان خ ح وط. تطوان	ابن عياش	الناصر [من اشبيلية]	—	أواخر صفر 609	الاعتذار عن الهزيمة في «العقاب»	«...وإلى هذا وفقكم الله وأعانكم على ما يحبه ويرضاه فإن صاحب قشتالة...»	
69 م.ج	صبح الأعشى 532/6 — 533	أبو الميمون!	«بعض أهل الدولة»	الناصر		استعطاف لإعادة «السّهام والمواساة»	«المقام الأعلى المقدس المكرّم الإمامي الطاهر الزكي مقام الخليفة المؤيد بنصر الله الامام الناصر...»	
70 م.ج	المخطوط الخاص 334 — 337	أبو العباس ابن جعفر	والي اشبيلية ابراهيم [ابن الخليفة يوسف]	إلى الخليفة الناصر	20 صفر 611	— الاخبار بوصول إبراهيم إلى «هذا الموضع» — الإشارة إلى غلاء ومجاعة سابقين واشتغال الناس حاليا بالزرع — الهدنة مستمرة	«الحضرة الإمامية القدسية العلية الطاهرة الزكية حضرة سيدنا الخليفة... ابن الخلفاء الراشدين..»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
71 م.ج	م خ 355 ــ 357	أبو العباس ابن جعفر	[والي اشبيلية إبراهيم ابن الخليفة يوسف]	الوزير	[أواسط 611]	ــ الإخبار بموت ملك قشتالة وقبله مساعده ــ أمن المنطقة والاستبشار بالحرث	«...وإلى هذا وصل الله سرّاءكم وضاعف نعماءكم فإنه قد أفصح لسان الزمان...»	
72 م.خ	م خ 348 ــ 349	أبو العباس ابن جعفر	[والي اشبيلية ابراهيم ابن الخليفة يوسف]	الوزير	[611ــ 612]	ــ هدوء البلاء ــ انتظار موسم حصاد جيد	«...وبركات الحضرة الامامية العلية أيدها الله تنسكب انسكاب الغمام...»	
73 م.ج	م خ 310 ــ 312	أبو العباس ابن جعفر	إبــراهيم	الخليفة [المستنصر]	[611ــ 612]	ــ هدوء الثغور وانتظار محصول جيد. ــ صلح غير ثابت بين قشتالة وليون	«الحضرة العلية الامامية المعظّمة المكرمة القدسية، المؤيدة المنصورة الزكية ــ مطلع الأنوار السامية...»	
74 م.ج	م خ 337 ــ 339	أبو العباس ابن جعفر	[إبراهيم من اشبيلية]	الخليفة [المستنصر]	[611ــ 612]	ــ الإخبار برسالة تنويه من الخليفة ــ البلاد في هدنة وكثرة الزرع. ــ تفرّق شمل الكفار والفتنة بينهم	«الحضرة الامامية القدسية المعظمة المكرمة المباركة العلية المؤيدة المنصورة الطاهرة الزكية مطلع الأنوار والأضواء ... حضرة سيدنا الخليفة»	
75 م.ج	م خ 345 ــ 347	أبو العباس ابن جعفر	إبــراهيم	[الخليفة المستنصر]	[611 ــ 612]	ــ خراب البلاد والهدنة قائمة ــ الفتنة بين الكفرة	«الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية المباركة الطاهرة الزكية مطلع الأنوار الباهرة للبشر...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
76 م.ج	المخطوط الخاص م خ 358 — 359	أبو العباس ابن جعفر	[عن الوالي باشبيلية]	[الخليفة المستنصر]	[611 — 612]	— الإعلام [بالفتنة] بين النصارى، وهذه بشائر واردة على الحضرة	«...وإلى هذا أورد الله على المقام الإمامي من البشائر أصدقها بيانا...»	
77 م.ج	العطاء ص 18	أبو القاسم البلوي	من والي اشبيلية إبراهيم بن الخليفة يوسف	إلى الوصي على عرش قشتالة	[612]	— الاخبار بوصول المفاوضين إلى اشبيلية الوزير ابن أبي الحجاج ابن مزاح وأبي إسحاق ابن الفخار	«من إبراهيم بن سيدنا (أم) ابن سيدنا (أم) إلى القومط الزعيم أربل بن القومط نونه»	
78 م.ج	المخطوط الخاص 315 — 318	أبو العباس ابن جعفر	من إبراهيم	الحضرة	[612]	— أمن البلاد ووفرة الأمطار — إضافة بطليوس... — حول اختيار وفد المفاوضة — الأمر بالاحتياط على المخازن	«مطلع الأنوار الهادية ومنشأ البركات المتضاعفة المتمادية ... أدام الله تأييدها...»	
79 م.ج	م خ 349 — 352	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم بن الخليفة يوسف	الوزير أبو سعيد ابن الشيخ أبي محمد ابن أبي إسحاق	[612]	— الإخبار بوصول خطاب الوزير المتضمن: — أوامر إلى كومية. — موضوع المفاوضات — الخبر الليوني — تقديم على بني رياح وقرّة مناف	«الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد بن الشيخ الأجل أبي محمد ابن الشيخ الأجل المرحوم أبي إسحاق...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
80 م.ج	م خ 352 ـ 353	أبو العباس ابن جعفر	إبـــراهيم	[الحضرة]	[611 ـ 612]	الإعلام بوصول الوفد النصراني إلى اشبيلية قادما من عاصمة الخلافة وخروجه إلى بلاده	«الحضرة الامامية القدسية العالية التي أنوارها مبسوطة ونعمها متوالية ومقاماتها بحُلى النصر والتأييد حالية...»	
81 م.ج	م خ 318 ـ 320	أبو العباس ابن جعفر	عبد الحضرة [إبـراهيم]	الحضرة الامامية [المستنصر]	[611 ـ 612]	ـ الاستبشار بالرخاء ـ الجواب على رسالة خليفية تأمر «برعي السّلم مع صاحب قشتالة»	«...أمضى الله حدودها وأدام تأييدها وظاهر سعودها ووالى سموها...»	
82 م.ج	م خ 327 ـ 330	أبو العباس ابن جعفر	إبـــراهيم	أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين [المستنصر]	[611 ـ 612]	ـ انشغال الناس بالزراعة ـ ارتباط النصارى بالصلح ـ الثغور تشكو من الضيق والضعف وغلاء السعر	«الحضرة العلية المقام، القدسية التمجيد والإعظام السعيدة الليالي والأيام... حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام (أم) بن الخلفاء الراشدين..	
83 م.ج	صبح الأعشى 6/(446 ـ 447)	أبو الميمون!	المستنصر (من فلانة)	بعض نوابه (بالأندلس)	[611 ـ 612]	ـ استنكار الخليفة على (عامله) الذي خرق الهدنة مع النصارى	أما بعد حمد الله الآمر بالوفاء بالعهود والصلاة على سيدنا محمد...»	
84 م.ج	المخطوط الخاص 333 ـ 334	أبو العباس ابن جعفر	[إبـراهيم]	[المستنصر]	[611 ـ 612]	ـ الإخبار باستمرار حالة السلم مع النصارى ـ قتل المعتدي على النصارى ـ أخبار بسلم بين ليون والبرتغال	«...وإلى هذا وصل الله للحضرة القدسية ما عوَّدها من نصر أعلامها الخوافق.. فإن بركتها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
85 م.ج	البيان المغرب ص 246	ابن عياش	الوزير أبو يحيى زكرياء ابن أبي زكرياء	ملكة قشتالة وطليطلة	6 رمضان 618	ـ تجديد الهدنة مع ملكة قشتالة	«...وقد انقلب إليكم رسولا منكم بماتتعرفونه في السلم المنعقد...»	
86 م.ج	المخطوط الخاص ص 310	أبو العباس ابن جعفر «شاعر هذا الزمان وكاتبه»	«العبد» [إبراهيم]	الحضرة الامامية [المستنصر]	ـ	الإعلام بامتثال «العبد» للأوامر المطاعة	«...فإنما يقطف المجد في نجد، ويلم الشعث ويجدد المبادرة إلى امتثال أوامره المطاعة وتمشية أغراضه العلية...»	أولى رسائله في هذه المجموعة ضمن المخطوط المجموع (الخاص)
87 م.ج	المخطوط (الخاص) 339 ـ 340	أبو العباس ابن جعفر	عبد الحضرة	الحضرة .	ـ	ـ الإعلام بصلاح البلاد ـ الاعلام بوصول كتاب الحضرة المتضمن للأوامر. ـ العبد يستنفذ وسعه في امتثال الأوامر المطاعة	«...كتب عبد الحضرة الامامية كتب الله لها ما عوّدها من الظهور، وافاضة النور، وبركات الحضرة الامامية...»	
88 م.ج	م خ 312 ـ 315	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم	الخليفة	ـ	ـ صلاح ورخاء بالبلاد ـ جواب على الخليفة حول تأمين الطرق وتأكيد الهدنة. ـ تبديد شمل المفسدين بأجناد بعثها المكتوب عنه	«الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية، خلّد الله أيامها ونصر أنصارها... عبدُها الطّائف بحرم جلالها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
89 م.ج	م خ 340 ـــ 342	أبو العباس ابن جعفر	[الـــوالي]	الخليفة	ـــ	ـــ البلاد في صلاح وأمن ـــ جواب على رسالة الخليفة التي تحمـــل تأنيسا للوالي وكفه لمن تألم منهم	«...وبـــركات الحضرة الامامية، أيدها الله تغدو كما عرفت في حلة الجمال وتروح، وتبدو على ما ألفت من الكمال وتلوح..»	
90 م.ج	العطاء 167 ـــ 169	أبو القاسم البلوي	إبراهيم بن الخليفـــة يوسف من اشبيليـــة	الوزير ابن جامع	ـــ	تقديم شكوى من عيث «فلانة أصلحهم الله» مع تغافل مزوارهم	«الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد بن الشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل المرحوم أبي إسحاق أدام الله عزته... وليُّه...»	
91 م.ج	العطاء ص 169	أبو القاسم البلوي	[الـــوالي] باشبيليـــة	القائد أبو القاسم ابن مثنّى	ـــ	تنبيه إلى عيث «فلانة أصلحهم الله»	«... وإلى هذا وصل الله عزتكم فإن من أهم ما يجب تبليغه وإنهاؤه...» (ويسترسل على نص التي قبلها)	
92 م.ج	العطـــاء ص 169 ـــ 170	أبو القاسم البلوي	[الولـــي باشبيليـــة]	[الوزيـــر]	20 محرم 612	عيث فلانة تسبب في فرار فلانة، أما فلانة فإنهم صبرُوا على الأذى ليجمعوا مزروعـــاتهم (تغافل مزوار فلانة)	«... وإلى هذا وصل الله عزتكم فإن مجلكم ينهي إليكم من شرح الحال ما هو أهم ما ينهى...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوب عنـه	المكتوب إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
93 م.ج	العطاء ص 170 — 171	أبو القاسم البلوي	[الوالي باشبيلية]	[الوزير]	—	تكرار الشكوى من «فلانة»، وان الأحوال أصبحت تُخشى عاقبتها مع تصرفهم	«...وإلى هذا — وصل الله عزتكم فإن مجلكم ينهي إليكم من أحوال الرعية مع فلانة في هذا الوقت ما لا يسعه الكتم...»	
94 م.ج	مخطوط خاص 322 — 325	أبو العباس ابن جعفر	من إبراهيم [باشبيلية]	الخليفة أبو يعقوب [المستنصر]	—	— المفاتنة بين الأعداء — تقديم عبد الحضرة ابن عبدها على بني رياح وقرة مناف — تحذير كومية: مزوارهم وجماعتهم من عاقبة الاعتداء	«...حضرة الخلافة العلية، والامامة السعيدة السنية، مطلع الأنوار العاكفة ومنبع البركات الدارَّة الواكفة...»	
95 م.ج	م خ 347 — 348	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي]	[الحضرة]	—	— الاخبار بوصول كتاب الحضرة المتضمن نقل العرب إلى الأماكن القصيَّة. — العبد راسل الشيخ أبا العباس حول موعد خروجه للمهمة المطلوبة منه، جوابه مع هذا الجواب	«... وبركاتها أيدها الله تشرق أنوارها، وتبرق ابتسام الأيام السعيدة عنها وافترارها، ونعمها ينسكب مدرارها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
96 م.ج	العطاء 7	أبو عبد الله ابن عياش	[الخليفة]	[والي اشبيلية]	13 شعبان 616 ! [612]	ـ استدعاء جند كومية من الأندلس قبل استدعاء العرب منها و«العمل واحد»	«...وإلى هذا، وصل الله توفيقكم وكرامتكم فمازلنا نرتاد لمن بقي في تلكم الجزيرة من غزاة الموحدين...»	
97 م.ج	العطاء (زوائد) 11 ـ 12	أبو عبد الله ابن عياش	الخليفة المستنصر بمراكش	إبراهيم بن الخليفة يوسف	21 ربيع الآخر 612	التبشير بمقتل الناجم ببلاد جَزولة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) ابن (أم) بن (أم) أيدهم الله [بنصره] وأمدّهم بمعونته إلى الشيخ الأجل الأعز الأكرم أبي إسحاق بن سيدنا الإمام (أم) بن سيدنا...»	
98 م.ج	مخطوط خاص 325 ـ 327	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم عبد الحضرة	الخليفة (أم) بن الخلفاء الراشدين	[612]	* الاخبار بوصول كتاب الخليفة المتضمن: ـ حفظ المهادنة وتأمين الرعية. ـ الخبر عن مقتل الشقي الناجم بالقِبلة * الفتنة والحرب بين رؤوس الكفرة	«...مطلع الأنوار الهادية ومنشأ البركات الرائحة والغادية، ومثابة البُشر المتوالية المتمادية، أدام الله تأييدها وإعزاز نصرها...»	
99 م.ج	م خ 343 ـ 345	أبو العباس ابن جعفر	عبد الحضرة	[الخليفة]	[612]	ـ أحوال الجهات صالحة ـ الإشارة إلى الشقي الذي قُبض عليه. ـ البشرى بلّفها العبد...	«...وأحوال هذه الجهات ببركة الحضرة الامامية أيدها الله صالحة، ونعم الله بحسن التفاتها غادية عليها ورائحة»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
100م.ج	م خ 359 — 362	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي باشبيلية]	[وزير الخلافة العالية]	[612]	— هدوء البلاد: مواسط وثغور. — إشاعة الوالي سابقا لمقتل الشقي الناجم بجزلة كما خاطب بذلك الوزير	«...وبعد حمد الله مُعَوِّد أمره العزيز كل فتح جليل، المجدّد له كل صنع جميل...»	
101م.ج	م.خ 362	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي باشبيلية]	[الوزير]	[612]	الإخبار بوصول البشرى بواسطة الكتاب الإمامي فوجهت نسخ منه إلى الجهات	«...فما لبث مجلّكم أن بث هذه البشرى في كافة الجهات والنواحي وأنفذ إليها نسخ الكتاب الكريم...»	آخر رسالة في المخطوط الخاص ومبتورة بحيث لم يبق منها غير ثلاثة أسطر
102م.ج	م.خ 357 — 358	أبو العباس ابن جعفر	[عبد الحضرة] باشبيلية	[الوزير]	—	— عموم المسرّات — التنويه بالوالي (المكتوب عنه) — تخصيص مرتب للمحاسب الذي يستعين به	«...وبركات الحضرة الإمامية — أيدها الله — ضافية البرود، دائمة الورود جارية من الترادف والتضاعف على أكرم معهود»	
103م.ج	مخطوط خاص 320 — 322	أبو العباس ابن جعفر	[إبراهيم]	[الخليفة]	—	— تقديم على بطليوس وثغرها «عبد الحضرة ابن عبدها» — استسلام الكفار — توالي الأمطار وكثرة الحرث والنسل	«...مطلع الأنوار الهادية ومنشأ البركات الرائحة (و) الغادية، ومجمع الرحمة الهامعة ومثابة الخيرات الجامعة... عبدُها...»	.

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
104م.ج	مخطوط خاص 353 ــ 355	أبو العباس ابن جعفر	[إبراهيم]	[الوزير]	ــ	ــ تحرك المقدم على بطليوس «عبد (المقام) ابن عبده»، مع الوصايا له ــ إشارة إلى محاولة الهدنة ــ الغيث المتتابع ينشط الرجاء	«...وبركات الحضرة الامامية أيدها الله يتوالى إلمامها، ونعَمُها يَسُحُّ على العباد والبلاد غمامُها... وما تعلمونه وصل الله عزتكم..»	
105م.ج	العطاء 69 ــ 70	أبو عبد الله ابن عياش	الخليفة المستنصر	أهل الأندلس	21 رمضان 612	ــ تعيين خلف للوالي المتوفى السيد أبي إسحاق ابن الخليفة يوسف وهو أبو إسحاق بن المنصور	«...من (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى جماعة الموحدين الذين باشبيلية والكافة من أهلها»	
105مكرر	«الكراسات التونسية» م/18 ع/69 ــ 70	[ابن عياش]	الخليفة المستنصر	رهبان بويبلات	20 ربيع الآخر 614	ظهير لهم لرعي ماشيتهم في بلاد المسلمين زمن الحرب أو السلم	«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم تسليما، والحمد لله وحده. هذا ظهير كريم أمر به أمير المومنين بن (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
106م.ج	البيان ط تطوان 245 ـ 246	ـ	الخليفة المستنصر	الرعية عامة	10 ربيع الأول 617	ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على أداء الصلاة وقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق	«...وإلى هذا وصل الله توفيقكم فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق البناء	
107م.ج	ـ رسائل ابن عميرة خ ع ك/ 233 ـ صبح الأعشى 434/6	ابن عميرة	السيد أبو زيد بن محمد والي بلنسية	الخليفة المستنصر أبو يعقوب	[620]	ـ الاعلام برغبة أحد النبلاء الأركونيين اللجوء إلى البلاد الموحدية	«الحضرة الامامية العلية المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والاحسان ما يجلو نورُه متراكم الإظلام...»	
108م.ج	خ ع جائزة 1981 الورقة 3 ـ 4	ابن عميرة	السيد أبو زيد بن محمد والي بلنسية	الخليفة عبد الواحد (المخلوع)	620 ـ 621	تقديم بيعة بلنسية على يد واليها السيد أبي زيد	«الحضرة الامامية العلمية ناصرة الايمان، ومجددة بهجة الزمان، القائمة بالعدل الموصلة إلى رضاء الرحمن...»	
109م.ج	البيان (تطوان) ص 249	ـ	الخليفة العادل	أهل الأندلس	622	الاعلام باستقرار الأمور له بالمغرب دون أن ينسى العزم على الجهاد	«...وأن تعلموا ـ رضي الله عنكم ـ أن الموحدين ـ أعزهم الله ـ لم يزالوا يتعرّفون في أوْبتهم هذه من التيسير والتسهيل...».	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
110م.ج	البيان 250 ـ 251 ط. تطوان	ـ	أبو العلى (المامون) والي اشبيلية	الخليفة العادل	ربيع الأول 623	حول هزيمته للبياسي	«الحضرة الامامية الطاهرة العلية، مقام الفضل الباهر، ومَقَرّ العدل المشتهر في البادي والحاضر»	
111م.ج	صبح الأعشى 531/6 ـ 532	أبوالميمون!	[والي اشبيلية]	الخليفة العادل	صدر جمادى الأولى [624]	حول تفحص حال عامل ثغر شقورة	«أطال الله بقاء أمير المومنين وناصر الدين والدنيا بفضله العميم...»	الرسالة في الأصل مؤرخة خطأ ب 525
112م.ج	ديلومي رقم 28	ـ	عمر بن أبي بكر الصابوني (بتونس)	حاكم بيش أُبالُد بِسكونت	20 شوال 624	يطلب إنصاف أحد كبار التجار من اليهود التونسيين من مُدينيه البيشانيين	بعد البسملة والتصلية «الشيخ الأكرم المبجل البُسْتَات أُبالُدُ بِسْكونْت صاحب بيش...»	
113م.ج	البيان (266 ـ 267) الاحاطة 1/ (414 ـ 415)	(الخليفة) المامون	المأمون	أهل أندوجر	ـ	عتاب إلى أهل أندوجر	بعد الصدر «...إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة...»	
114م.ج	بهجة الناظرين نسخ (خ ع) و (خ ح)	ـ	المامون ؟	شيخ بني أمغار	منسلخ شعبان 625	الإعلام بقرب العودة إلى البلاد بعد النصر على الكفار	بعد البسملة والعلامة «من عبد الله محمد الناصر أمير المومنين بن أمير المومنين ابن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره ومدهم بمعونته..»	الرسالة تحمل اسم الخليفة الناصر. انظر خصوصياتها في الفصل الرابع

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
115م.ج	خ.ع ك/233 ص 114 ــ 117	ابن عميرة	السيد أبو زيد والي بلنسية	الخليفة المأمون	[624 ــ 625]	الإعلام بفتحه حصن بشج واسترجاعه من يد الارغونيين	«...وبعد، فكتب كتب الله للمقام الإمامي المأموني العلّي سعودا تقضي دَيْن الفتح معجّلا...»	
116م.ج	خ ع جائزة الحسن الثاني 4502	ابن عميرة	السيد أبو زيد والي بلنسية	الخليفة المامون	[625 ــ 626]	الرسالة حول اضطراب شرق الأندلس والاعلام بالبقاء على الطاعة	«...فكتب العبد ــ كتب الله تعالى للمقام الامامي الماموني مضاء الحد وسعادة الجد من بلنسية...»	
117م.ج	البيان 262 ــ 264	أبو الحسن السرقسطي	يحيى (المعتصم) ابن الناصر	إلى الرعية	625	يدافع عن أحقيته بالخلافة	«بعد الصدر» «...والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والاستعانة به...»	
118م.ج	الاحاطة 413/1 ــ 414	الخليفة المامون	الخليفة المامون	إلى الرعية	في الإحاطة سنة 624 والاستقصا* سنة 628	حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	«...الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين...»	* الاستقصا 240/2
119م.ج	البيان 267 ــ 268 الحلل (164 ــ 165)	الخليفة المأمون	الخليفة المأمون	ــ	[626 ــ 627]	حول إلغاء رسوم المهدي	«من عبد الله إدريس بن (أم) بن (أم) بن (أم) إلى الطلبة والأشراف والأعيان والكافة ومن معهم من المومنين والمسلمين...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
120م.ج	البيان ص 280	ابن عبدون المكناسي	أهل مكناسة	الخليفة المأمون	سنة 629	رسالة استنجاد من أهل مكناسة إلى الخليفة المامون بسبب حصار القبائل لها	«...فالعبيد أيدكم الله هالكون لا محالة، وحياتهم في حيّز الاستحالة...»	
121م.ج	البيان ص 287 ـ 288	ـ	ـ	الخليفة الرشيد	[630]	بيعة من بعض القبائل إلى الخليفة الرشيد	«الحمد لله الذي شيّد بالأمانة أركان الإسلام، وحفظ بها دين محمد عليه السلام...»	غياب ذكر اسم المهدي
122م.ج	زواهر الفكر رقم 520 (الاسكوريال) لوحة 16 ـ 22	ـ	الخليفة الرشيد	الشيخ ابن غالب	العشر الأول من جمادى الاخرة 637	ظهير توقير إلى المسمى أبي بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن ابن غالب	«هذا ظهير كريم أمر به (أم) بن (أم).... ويسّره للشيخ القائد الأكرم...»	
123م.ج	ك/232 (رسائل ابن عميرة) ص (118 ـ 121) ـ وزواهر الفكر اسكوريال (لوحة 114 ـ 116)	أبو المطرف ابن عميرة	الخليفة الرشيد	أهل شرق الأندلس	21 شعبان 637	ظهير بالسّماح لأهل شرق الأندلس باستيطان رباط الفتح	«هذا ظهير كريم أمر به (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته ويسّره للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة و...»	
124م.ج	ك/233 (رسائل ابن عميرة ص (237 ـ 238)	ابن عميرة	أهل سلا	إلى الخليفة الرشيد	[638-639]	جواب على «كتاب» الرشيد إلى أهل سلا حول وصول بيعة تلمسان	«الحضرة الامامية العلية المقدّسة الطاهرة المباركة السنية السعيدة المنصورة المؤيدة الرشيدية...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
125م.ج	البيان 378 — 379	ابن عبدون المكناسي	أهل مكناسة	إلخليفة السعيد (المعتضد)	19 ذو الحجة 643	تجديد بيعة أهل مكناسة	«الحمد لله مقدّر الأمور، ومصرّف المقدور ومخرج عباده من الظلمات إلى النور، عالم السرائر ومنور البصائر...»	
126م.ج	هسبريس 1926	—	الخليفة المرتضى	البابا اينوصان : «إينُه سَانِس أشْ»	18 ربيع الأول 648	حول موضوع اختيار ممثل أحسن وأكثر نزاهة للسهر على شؤون المسيحيين بالبلاد	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من عبد الله عمر (أم) بن سيدنا الأمير أبي إبراهيم بن (أم) بن (أم) أيدهم الله تعالى بنصره وأمدهم بمعونته، إلى مُطاع ملوك النصرانية...»	
—	«رسائل ديوانية من سبتة» ص (109 — 111)	خلف الغافقي القبتوري	عن أبي القاسم العزفي صاحب سبتة	إلى السيد أبي إسحاق أخي المرتضى ووزيره	—	حول تهيىء الجو لتقديم بيعة العزفي للخليفة المرتضى	«السيد الأجل الأعز أبو اسحاق بن سيدنا الأمير الطاهر المرحوم أبي ابراهيم ابن سيدينا الخليفتين... خديمهم... فلان...»	
—	«رسائل ديوانية من سبتة» ص (115 — 121)	خلف الغافقي القبتوري	عن أبي القاسم العزفي صاحب سبتة	الخليفة المرتضى	—	اقتراب نهاية أجل الهدنة مع قشتالة وطلب المعونة المالية لتسديد ما تطلبه قشتالة لتجديد الهدنة وعجزُ سبتة تجارياً	«الحضرة الكريمة العلية الامامية المباركة المؤمنية المرتضية الهادية المهدية... حضرة سيدنا... المرتضي لأمره...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
126م.ج	«رسائل ديوانية» (125 — 127)	القبتوري	عن العزفي	ابن نصر سلطان غرناطة	—	— الإشارة إلى مصالحة مع المرينيين. — والتزامهم بالدفاع عن سبتة	«المقام المخصوص بأسنى صفات الفخر...»	في الرسالة الدعاء للمرتضى بعد ذكر المهدي مباشرة
127م.ج	البيان 425 — 426	—	الخليفة المرتضي	أبو القاسم العزفي أمير سبتة	3 ذوالقعدة 658	المرتضى يشكر العزفي على تحذيره لأهل السواحل من غدر النصارى رغم وقوع الحادثة بسلا	«... وانا كتبناه إليكم — كتب الله لكم أحمد عاقبة وأجملها وأكنف كلاءة وأكْلأها — وأن تعلموا أنا نعتدّ بولائكم الخالص...»	
128م.ج	البيان 449	—	السيد أبو موسى نيابة عن الخليفة الواثق	إلى المرتضى (بعد الانقلاب عليه)	[22 محرم — 22 صفر 665]	يسأل عن مكان دفن الأموال والذخائر ويحذّر من الانكار	«اقتضى نظر سيّدنا ومولانا الخليفة الامام الواثق بالله... (أم) أبي العلى بن سيدنا...»	
129 و130م.ج	البيان 450	المرتضي (بخط يده)	المرتضي (بخط يده)	إلى السيد أبي موسى	[22 محرم 22 صفر 665]	— ينكر معرفته لمخزون الأموال. — بوجّه بطاقة استعطاف للابقاء عليه	— «حفظكم الله تعالى وأبقاكم رحمة للرحم»... — «يا أخي — حفظكم الله — عسى بفضلكم تتلطّفوا عند مقام الرحمة...»	

ملاحظة : إن رسائل الملحقين الأول والثاني لم تدمج ضمن هذا الفهرس.

3 ـــ الفهارس والبيبليوغرافيا

فهرس الأعلام البشرية

(ابـن)

(أبـو)

ملاحظات : ـــ يرتكز الترتيب المتّبع في هذه الفهارس على الأبجدية المغربية.

ـــ تعبّر الأرقام الموضوعة في الفهارس عن أرقام الرسائل في «المجموعة الجديدة»، ويعبّر الرقم المسبوق بحرف (ت) عن التقاديم الملحقة بآخر المجموعة الجديدة، والرقم المسبوق بحرف (ش) عن رسائل الشكايات في الملحق الثاني.

ـــ الرمز (ص 7 ي) يعبّر عن وجود الكلمة خارج نصوص «التقاديم»، فتكون الإحالة عليه في الفهارس برقم الصفحة بالمخطوط.

(أ)

(ب)

(*) اسمه وارد في تقديم كاتب الرسالة وليس في نصها.

فهرس القبائل والجماعات[1]

(1) راجع الهامش على فهرس الأعلام البشرية.

(*) كلمة كثيرة التكرار في رسائل مجموعة أماري

(ز)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ص)

(ع)

(غ)

(ق)

(س)

(ش)

(هـ)

فهرس الأعلام الجغرافية[1]

(1) راجع الهامش على فهرس الأعلام البشرية.

فهرس المصطلحات والكلمات الحضارية

ملاحظة : انظر الهامش على فهرس الأعلام البشرية.

(*) هذا الرمز يعني أن الكلمة واردة بكثرة في الرسائل.

(س)

(ش)

(و)

فهرس الرسائل «الجديدة»

مصادر ومراجع البحث[1]

المصادر[2] :

* ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي) ت 658[3] :
— إعتاب الكتّاب، ط دمشق، ومخطوط خ ع.
— التكملة لكتاب الصلة، ط مدريد (كوديرا)، وط القاهرة، وخ ح رقم 1411.
— الحلة السيراء، جزآن، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1963.
— المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار، (اقتضبه البلفيقي)، نشر إبراهيم الابياري 1957، وكان نشر بمجلة «المشرق» سنة 1941.

* ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين) ت 630 :
— الكامل في التاريخ، ط دار الكتاب العربي (الجزآن 8 و 9).

* الادريسي (محمد بن عبد الله الحسني السبتي) ت 564 :
— وصف افريقيا الشمالية والصحراوية (من نزهة المشتاق) ن، هنري بيريس الجزائر 1957.
— النشرتان الايطاليتان لنزهة المشتاق : الثالثة والخامسة.

* البكري أبو عبيد عبد الله (487) :
— كتاب المغرب في ذكر افريقية والمغرب، طبعتا 1857 و1965.

* البلوي (أبو القاسم أحمد بن محمد القضاعي) ت 657 :
— العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، خ ح / 6148/ (مخطوط).

(1) وردت بعض المصادر والمراجع في الهوامش بشكل محدود، فلم يرد ذكرها في هذه اللائحة.

(2) رتبت المصادر حسب الأبجدية المغربية للمؤلفين، وحسب الترتيب الأبجدي للمصادر المجهولة المؤلفين.

(3) سنوات الوفيات أخذت في معظمها عن الأستاذ المنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ج/ 1. 1983 (وهي بالتاريخ الهجري).

* البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) :
ـــ أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ط الرباط 1971.

* التادلي (يوسف بن يحيى ابن الزيات) ت 627 :
ـــ التشوف إلى رجال التصوف، الرباط 1958 (تحقيق أدولف فور)، الرباط 1984 (تحقيق أحمد التوفيق).

* التجاني (أبو عبد الله محمد التونسي) حي سنة 717 :
ـــ رحلة التجاني، تونس 1958 (ن حسن حسني عبد الوهاب).

* ابن تومرت (محمد المهدي) ت 624 :
ـــ أعز ما يطلب، خ ع/ ق 1214 (بالنسبة للرسالتين 2 و4 م ج).

* ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني) ت 614 :
ـــ رحلة ابن جبير (أو «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار»)، دار الكتاب اللبناني ـــ دار الكتاب المصري.

* الحموي (شهاب الدين ياقوت الحموي) ت 626 :
ـــ معجم البلدان.

* الحميري (محمد بن عبد الله... ابن عبد المنعم) ت 726 :
ـــ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (1975).

* ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي) ت 776 :
ـــ الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عنان، ط القاهرة.
ـــ أعمال الأعلام... (القسم الاندلسي) خ ع/ 1552 د، والمنشور بعناية بروفنصال تحت عنوان «تاريخ اسبانيا الاسلامية».

* ابن خلدون (عبد الرحمن أبو زيد) ت 808 :
ـــ كتاب العبر.... ن دار الكتاب اللبناني 1968.

* ابن خلدون (يحيى بن محمد الحضرمي، أخو المذكور قبله) ت 780 :
ـــ بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، جزآن، ن ألفرد بيل، الجزائر 1903 و1910.

* ابن خلكان (أحمد بن محمد : أبو العباس) ت 681 :

ــ وفيات الأعيان... تحقيق ا، عباس ــ دار صادر، بيروت (1969 ــ 1972).

* ابن دحية (أبو الخطاب عمر الكلبي السبتي) ت 633 :
ــ المطرب من أشعار أهل المغرب، ط، القاهرة 1954.

* الرعيني (أبو الحسن علي) ت 666 :
ــ برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق ابراهيم شبوح، دمشق 1962.

* ابن الزبير (أحمد بن ابراهيم الجياني) ت 708 :
ــ صلة الصلة، ن ليفي بروفنصال ــ الرباط 1938، وقطعة خاصة مرقونة (في ملك الأستاذ المنوني) عن نسخة دارالكتب المصرية (المجموعة التيمورية).

ــ الزركشي (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) حي سنة 894 :
ــ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط حجرية وط تونس 1966 (تحقيق ماضور).

* ابن أبي زرع (ــــــ) القرن الثامن :
ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط دار المنصور الرباط 1973.

* الكتبي (ابن شاكر) ت 764 :
ــ فوات الوفيات، القاهرة 1951 (تحقيق محمد عبد الحميد).

* مـجـهـــول :
ــ الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، القاهرة 1958. (عاش مؤلفاه في القرن السادس)
ــ الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق زكار وغيره، ط البيضاء 1979. (عاش مؤلفه في القرن الثامن)
ــ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ط دار المنصور بالرباط 1972. (عاش مؤلفه في القرن الثامن)
ــ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية، ن بروفنصال، الرباط 1941.

ـــ [مخطوط ضمن مجموع به رسائل موحدية] (مخطوط الأستاذ محمد المنوني).
ـــ مفاخر البربر : مخطوط خ ع / ك، 1275 (مجموع) و د، 1020 (ثلاثة أجزاء).
ـــ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ط دار المنصور، الرباط 1971. (القرن السادس)

* ابن المرابط (محمد بن علي المرادي) ت : 663 :
ـــ زواهر الفكر وجواهر الفقر، شريط خ ع/ 1114، (عن مخطوط الاسكوريال رقم 250 غزيري).

* المراكشي (ابن عبد الملك الأنصاري) ت 703 :
ـــ الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة :
س 1 تحقيق بنشريفة، س 4 و5 و6 تحقيق إحسان عباس، وس 8 تحقيق بنشريفة وس 8 مخطوط خ ع/ د، 3784 والمصور عنه بها د، 1705 (خاص بالغرباء).

* المراكشي (عبد الواحد التميمي) ت 625 :
ـــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949.

* المقري (أبو العباس أحمد) ت 1041هـ :
ـــ نفح الطيب... ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

* المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد) ت 845 :
ـــ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
ـــ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ق 1 (تحقيق محمد زيادة)، القاهرة 1934.

* ابن مريم (محمد بن محمد المديوني التلمساني) حي 1014 :
ـــ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق ابن شنب، الجزائر 1908.

* النباهي (أبو الحسن علي الجذامي) حي سنة 793 :

ـ المرقبة العليا في القضاء والفتيا، نشره بروفنصال تحت عنوان «تاريخ قضاة الأندلس» 1948.

* النويري (أحمد بن عبد الوهاب التميمي) ت 732 :

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر 22 تحقيق د. مصطفى أبو ضيف تحت عنوان «تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط»، الدارالبيضاء 1985.

* ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي) ت 594 :

ـ تاريخ المن بالإمامة... تحقيق الأستاذ عبد الهادي التازي، بيروت 1965.

ـ مخطوط أوكسفورد (نسخة مصورة عنه بالخزانة العامة تحت رقم 2649 د).

* الضبي (أحمد بن عميرة) ت 599 :

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس.

* ابن عذاري (أبو العباس المراكشي) حي سنة 712 :

ـ البيان المغرب (المرابطي)، منشور على أساس أنه الجزء الرابع، ط بيروت.

ـ البيان المغرب (الموحدي) الجزء الثالث، ط تطوان 1960 ـ 1963 ونسخ الخزانة الحسنية 336 و777 و6158 و334 و2150 و5212 ونسخة خ ع/ ق 200.

* ابن العماد (عبد الحي الحنبلي) ت 1089 :

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط القاهرة 1351هـ.

* ابن عميرة (أبو المطرف أحمد المخزومي الشقري) ت 658 :

ـ رسائل ابن عميرة : قطعة من السفر الأول خ ع/ د، 4502 (مخطوط)، قطعتان من السفر الثاني خ ع/ ك 232 وك 233 (مخطوطان).

* ابن عسكر (محمد بن علي بن خضر الغساني) ت 636 :

ـــ فقهاء مالقة وأدباؤها خ ح / 11055 (كان ابن عسكر أحد مؤلفي الكتاب).

* ابن غازي (محمد بن أحمد العثماني) ت 919 :

ـــ الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، مطبعة الأمنية بالرباط 1952.

* الغبريني (أبو العباس أحمد البجائي) 714 :

ـــ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الجزائر 1970.

* القرآن الكريم :

ـــ المصحف المطبوع بالقاهرة سنة 1964 (مراجع من طرف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر).

ـــ والمصحف المطبوع بدار المعرفة، بالدارالبيضاء.

* ابن القاضي (أحمد المكناسي) ت 1029هـ :

ـــ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط 1974 (دار المنصور).

* القبتوري (خلف الغافقي) ت 704 :

ـــ «رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي» تحقيق محمد الهيلة، الرباط 1979.

* ابن القطان (حسن بن علي الكتامي)، القرن السابع :

ـــ نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود مكي، تطوان 1964.

* القلقشندي (أحمد بن علي الفزاري) ت 821.

ـــ صبح الأعشى... الجزآن الخامس والسادس.

* ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) ت 673 :

ـــ كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، بيروت 1970 (أعيد طبعه تحت عنوان : كتاب الجغرافيا).

ـــ رايات المبرّزين وغايات المميّزين، ن كارسيا كوميث، مدريد 1942 (أعيد طبعه بالقاهرة سنة 1973).

ـــ عنوان المرقصات والمطربات (ط حجرية 1286هـ).
ـــ الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة، ط دار المعارف (ت الأبياري).
ـــ المغرب في حلي المغرب.

* السلفي (أبو طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني) ت 576 :
ـــ أخبار وتراجم أندلسية (من «معجم السفر»)، ن إحسان عباس، بيروت 1963.

* السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ت 911 :
ـــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط القاهرة 1964 ـــ 1965.

ـــ أبو شامة الدمشقي (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي) ت 665 :
ـــ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط القاهرة، 1287هـ.
ـــ الذيل على الروضتين أو «تراجم رجال القرنين 6 و7».

* ابن شدّاد (بهاء الدين) ت 632 :
ـــ النوادر السلطانية (منشور تحت عنوان «سيرة صلاح الدين الأيوبي» مع ذيل عليه).

* ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت 697 :
ـــ مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، ن جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية 1953 ـــ 1957.

* الوزّان (حسن) ق 10هـ :
ـــ وصف افريقيا، ج 1، ط الرباط 1980.

* يحيى (؟) :
ـــ مخطوط به رسائل موحدية، بالخزانة الحسنية رقم 4752 (رسائل الملحق الأول).

المعــاجــم :

* البستاني : قطر المحيط.

* ابن منظور : لسان العرب.
* معلوف (لويس) : المنجد في اللغة.

المراجع العربية والمعرّبة :

* ابن عيد الله (عبد العزيز) :
— البحرية المغربية والقرصنة (مقال بمجلة «تطوان»، سنة 1958 — 1959).
* ابن شريفة (محمد) :
— أبو المطرّف ابن عميرة (الرباط، 1966).
* جواد (مصطفى) :
— المنصور الموحدي والناصر العباسي، صراع خفيّ (دعوة الحق، أبريل 1969).
* حمّوش (عبد الحق) :
— القوة البحرية في الغرب الإسلامي بعد الفتح إلى قيام دولة الموحدين (دعوة الحق، ماي 1969).
* المنوني (محمد) :
— المصادر العربية لتاريخ المغرب (الجزء الأول، البيضاء 1983).
* مصطفى أبو ضيف أحمد :
— أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (البيضاء 1982).
* العباس بن إبراهيم (المراكشي) :
— الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام.
* العروي (عبد الله) :
— تاريخ المغرب (ترجمة قرقوط، بيروت 1977).
* عزالدين أحمد موسى :
— النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري (بيروت 1983).

* عنان (محمد عبد الله) :
ـ عصر المرابطين والموحدين (القاهرة 1965).
* الغربي (أحمد) :
ـ الموحدون سادة البحر (مجلة دعوة الحق، يناير 1972).
* الفاسي (محمد) :
ـ أبو جعفر ابن عطية (مقال بمجلة «الباحث»، السنة الأولى، المجلد الأول، سنة 1972 وزارة الثقافة «المغربية»).
* سعد زغلول عبد الحميد :
ـ العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدي (مقال بمجلة كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية، سنة 1953).
* اشباخ (جوزيف) :
ـ تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تعريب : محمد عنان.
* أرشيبالد (لويس) :
ـ القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، ط القاهرة 1960.
* لوتورنو (روجي) :
ـ حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1982.
* هوبكنز (ج، ف، ب) :
ـ النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1980.

مراجع أجنبيـة :

* AMARI (Michel) :
  - Diplomi Arabi dell'Archivio Fiorentino - 1863 T.1.

* BEL (Alfred) :
  – Les Banou Ghânya 1903 (Paris).
  – Contribution à l'étude de Dirhams Al mohade, Hespéris 1933 T. 16. f 1 – 2.

* BRUNSCHVIG (R) :
  - La berberie Orientale sous les Hafsides... (Paris 1940).
  – Cahiers de Tunisie : (Faculté des Lettres) T : XVIII – N 69 – 70, 1 – 2 tri, 1970.

* CATTENOZ (H – G) :
  - Tables de concordance des éres chrétienne et Hegirienne éd 1961.

* Cénéval (P) :
  - L'église Chrétienne de Marrakech au 13éme siècle. Hespéris 1927 1er tri.

* Dozy :
  - Recherches sur l'histoire et la littérature dans l'Espagne musulmane pendant le moyen âge. T2. 1965.
  – suplément au dictionnaires arabes éd 1968.

* DUFOURCQ (Ch.E) :
  - L'Espagne Catalane et le Maghrib Au 13éme et 14éme siècle. Paris 1966.
  – La question de Ceuta au 13éme S. (Hespéris 1955 – 1 – 2 Tri.).
  – Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13éme siècle.

(بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب بالجزائر ع/ 5، يوليوز 1968).

* Le Tourneau (R) :
  - La révolte des frères d'Ibn Toumart de 1153 à 1956.
  - Mélanges d'histoire et d'Archéologie de l'occident musulman T 2. (G. MARÇAIS).

* MASCARELLO :
  - Quelques aspects des activités Italiennes dans le Maghrib médieval.

(بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب بالجزائر ع/5، يوليوز 1968).

* MAS – LATRI (DE) :
  - Relations et commerce de l'Afrique septentrional ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge. Paris 1886.
  - Traités de paix et de commerce et documents divres concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrional au moyen âge, Paris 1866.

* MERAD ALI :
 - Abd Al – Mu'min à la conquête de l'Afrique du nord... (Annales de l'institut d'études orientales. Alger 1957).

* MIRANDA (A.H) :
 - AL – ARK, Ensyclopédie de L'Islam, Tome 1 Ed. 1975.
 – La campaña de Alarcos.

(مقال بمجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد 1954).

 – Historia politica del Ampério Almohade Tetuan, 1956 – 1959.

* MONTAGNE (R) :
 - Les berbères et le Makhzen dans le sud marocain – Paris 1930.

* NEVIL BARBOUR :
 - The influence of sea Power on the History of Muslim spain.

* PROVENÇAL (Levi) :
 - «Trente-sept lettres Almohades officielles» Hespéris T. 29. 1941 (Unique).

(دراسة لـ«مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المومنية»).

* TORRES : (Barcelo) :
 - El Sayyd Abu Zayd, principe musulman, señor cristiano.

(مقال بمجلة «أوراق» ع 3/ 1980 ــ المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد).

فهرس المواد



الإيداع القانوني رقم 1995/1249



Université Ibn Tofail
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Kénitra

Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kénitra
Série : Textes et documents
N° 2

NOUVELLES LETTRES ALMOHADES

Edition annotée et commentée par

Ahmed AZZAOUI

Tome I

جامعة ابن طفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القنيطرة



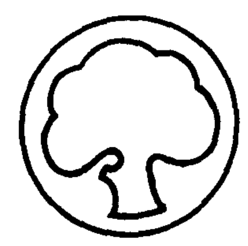
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة
سلسلة: نصوص ووثائق
رقم 2

رسائل موحدية

مجموعة جديدة

تحقيق ودراسة:
أحمد عزاوي

الجزء الثاني



جامعة ابن طفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القنيطرة

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة
سلسلة: نصوص ووثائق
رقم 2

رسائل موحدية

مجموعة جديدة

الجزء الثاني

تحقيق ودراسة:
أحمد عزاوي

رسَائِل مُوحِدِيَة

الطبعة الأولى 1422- 2001

مقدمة

صدر الجزء الأول من كتاب «رسائل موحدية» خلال سنة **1995** بعناية كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة، وتقوم الآن نفس المؤسسة ـــ مشكورة ـــ بنشر الجزء الثاني المتعلق بالدراسة التاريخية لنصوص الجزء الأول، هذه الدراسة لا تعتبر شاملة للعصر الموحدي بقدر ما تطرح قضايا تصرّح بها أو تلمّح اليها الرسائل المذكورة.

وزعت هذه الدراسة على خمسة فصول، كل فصل يشتمل على موضوعين، موضوع أول توضح فيه خصوصيات بعض رسائل الفصل التي لا يحسن دمجها في الاطار السياسي العام، ثم موضوع ثان يتناول الأحداث والقضايا التي تطرحها نفس الرسائل :

فالفصل الأول تناول دراسة الرسائل التي تهم الوضع الداخلي في المغرب الأقصى خلال القرن 6هـ، منها ما يتعلق بمشكلة الثورات وما يتعلق بمسألة الخلافة وولاية العهد وموقف السلطة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

والفصل الثاني : اهتمّ بموضوع امتداد النفوذ الموحدي شرقا في المغرب الأوسط وافريقية وما ترتب عنه من صراع مع بعض الأسر الحاكمة قديما مثل بني الرند في قفصة، وبعض العناصر الطارئة على المنطقة خاصة بني غانية المرابطين الذين ركزوا صراعهم مع الموحدين في افريقية لوجود عناصر مساعدة تمثلت في القبائل العربية الحديثة الهجرة إلى المنطقة، والمماليك مرتزقة الدولة الأيوبية بمصر وبدعم رمزي من الخلافة العباسية، وما ترتّب عن كل هذا من توتّر العلاقات بين الموحدين من جهة والأيوبيين والعباسيين من جهة ثانية. كما أنّ وصول الموحدين الى افريقية فرض نوعا من العلاقات بينهم وبين الايطاليين الذين أصبحوا يتحكمون في تجارة البحر المتوسط، فارتبط الموحدون مع بعضهم باتفاقيات تجارية تجنبا لأعمال القرصنة التي وقع الحد منها دون القضاء عليها، وهذا المنهج سلكته الدولة الحفصية التي حلّت محل الموحدين في افريقية خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري كما شرحناه مفصّلا في عملنا الذي أنجزناه عن القرنين 7 و8 هـ بغرض تهييء دكتوراه الدولة بعنوان «الغرب الاسلامي من خلال رسائله»

أما ما يتعلق بأمر الأندلس فقد وزع على الفصلين الثالث والرابع لغزارة الرسائل المتعلقة بها ولأهمية موضوعها في تاريخ الموحدين خاصة وفي اطار الصراع بين المسيحية والإسلام في الغرب : **فالفصل الثالث** خصص لظروف استقرار النفوذ الموحدي الذي بدأ يدخل الأندلس قبيل فتح مراكش، ومن خلاله تظهر محاولات الموحدين للاستقرار في المناطق التي

ورثوها عن الدولة المرابطية، والمحاولات الاسبانية لمعاكسة هذا الاتجاه بشكل مباشر أو بواسطة بعض حلفائهم من المسلمين مثل أمير شرق الأندلس ابن مردنيش، وكان العمل الايجابي بالنسبة للموحدين هو عدم استقرار العلاقات بين الممالك الاسبانية وصراعها فيما بينها، وربما كان هذا من العوامل المهمة التي ساعدت على كسب الموحدين الانتصار الكبير في معركة الأرك التي هيّأت استقرار النفوذ الموحدي بالأندلس، وتوازنا بين الطرفين دام حوالي 15 سنة إلى أن حدثت كارثة العقاب سنة 609.

الفصل الرابع، تناول الأوضاع منذ هزيمة العقاب الى نهاية الدولة الموحدية، فهذه المعركة ساعدت على الإخلال بالتوازن الذي استقرّ منذ معركة الأرك، كما ساهمت في كشف تناقضات الحكم الموحدي وفجّرت الصراعات الداخلية، فسقطت الأندلس من يد الموحدين، وتقاسم معظمها الاسبان، وانقسم الشمال الافريقي الى ثلاث مناطق سياسية استقلت عن بعضها البعض ــ تقريبا ــ حتى اليوم رغم محاولات المرينيين لإعادة المنطقة تحت نفوذهم.

الفصل الخامس، خصص لبعض المستفادات الحضارية من الرسائل في الجوانب الادارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والمذهبية وحتى في العلاقات الخارجية لتكون نواة لدراسة حضارية مفصّلة لاحقة ان شاء الله.

في نهاية الدراسة أضفنا بعض الملحقات : جداول، خرائط، بيليوغرافيا (منقحة عما ورد ضمن ملحقات الجزء الأول)، إضافة إلى جدول لتصحيح ما أمكن اكتشافه من أخطاء الجزء الأول معتمدين على نباهة القارىء في اكتشاف البقية.

والله الموفّق.

القنيطرة في 2 شوال 1418
31 يناير 1998

تذكير ببعض الرموز المستعملة

(م ر م) :: «مجموع رسائل موحدية»، نشر ليفي بروفنصال

(م ج) : «مجموعة جديدة» هي المجموعة التي نقوم بدراستها

(خ ح) : الخزانة الحسنية بالرباط

(خ ع) : الخزانة العامة بالرباط

(ط) : طبعة

(س) : سفر

(ت) : تحقيق

(ن) : نشر

(م) : مجلد

(ت 5) : التقديم الخامس

(T.C) : Tables de Concordance... (للموافقة بين التاريخين الهجري والميلادي).

الفصل الاول

الوضع الداخلي في الـمغرب الاقصى الموحدي خلال القرن 6 هـ

تنقسم دراسة هذا الفصل إلى موضوعين :

الأول : يتناول خصوصيات بعض رسائل الفصل الأول.

الثاني : يتناول دراسة تاريخيّة تتجنّب الجزئيات التي أثيرت في الموضوع الأول[1].

رسائل تهم الفصل الأول[2] :

- رسالة عن المهدي إلى المرابطين .... رقمها : 1
- رسالة عن المهدي إلى جماعة الموحدين .... رقمها : 2
- رسالة عن عبد المومن بفتح تارودانت .... رقمها : 3
- رسالة عن عبد المومن إلى جزولة .... رقمها : 4
- رسالة عن أبي حفص الهنتاتي حول مقتل الماسي .... رقمها : 5
- رسالة عن عبد المومن «جامعة لأنواع الأوامر» .... رقمها : 6
- رسالة إلى الثّائر الهسكوري ابن توندوت .... رقمها : 8
- رسالة عن الأمير يوسف حول أحكام الإعدام .... رقمها : 13
- رسالتان عن الأمير يوسف وأخيه أبي حفص حول إخماد ثورة غمارة رقمهما : 14و15
- تجديد بيعة أهل اشبيلية إلى الخليفة يوسف .... رقمها : 17
- تجديد بيعة أهل غرناطة إلى الخليفة يوسف .... رقمها : 18
- رسالة عن والي غرناطة في نفس الموضوع .... رقمها : 19
- رسالة عن الخليفة يوسف إلى غرناطة حول انصراف وفد البيعة رقمها : 20
- بيعة قرطبة بولاية العهد لمحمد (الناصر) .... رقمها : 40
- رسالة والي قرطبة صحبة البيعة المذكورة .... رقمها : 41
- رسالة عن المنصور حول نكبة ابن رشد .... رقمها : 43
- جواب على كتاب الخليفة يعقوب حول الاهتمام بالقرآن والسنة رقمها : 44

(1) سنتّبع هذه الطريقة في الفصول الثاني والثالث والرابع، ومما لاحظناه قلة رسائل الفصل الأول بالمقارنة مع بقية رسائل الفصول الأخرى فلجأنا إلى بقية المصادر للدعم.

(2) تخضع هذه الرسائل للترتيب الزمني ولترقيمها في الجزء الأول من «المجموعة الجديدة» وهو قسم خاص بنصوص الرسائل.

الموضوع الأول :

خصوصيات بعض رسائل الفصل الأول

1 ــ رسالة المهدي إلى جماعة الموحدين ورسالة عبد المومن إلى كزولة : (رقم 2 و4)

تعتبر قبيلة كزولة إحدى القبائل الكبرى التي كانت تمتد مواطنها من سهل سوس إلى الشرق عبر السفوح الجنوبية للأطلس الصغير (جبل كزولة)[3]، وكانت لهذه القبيلة صلات خاصة بالدولة المرابطية فظلت تدعمها ضد الموحدين، ولم تستجب لدعوة هؤلاء إلا بعد هزيمتها أمامهم سنة 533 وظهور ضعف المرابطين. ويبدو أن عبد المومن استغل فرصة تطور الصراع المسلح مع هؤلاء في إطار حملته الطويلة الجبلية لجرهم بعيدا عن عاصمتهم، فحاول استمالة كزولة حتى لا تنحاز من جديد إلى المرابطين، فوجه رسالة إلى هذه القبيلة ومعها نسخة رسالة عن المهدي كان وجّهها إلى «جماعة الموحدين»[4]. وأهم ما يمكن استفادته من الرسالتين :

- التلميح إلى أقدمية الدعوة الموحدية مادامت رسالة عبد المومن مكتوبة بعد 23 سنة من بدء هذه الدعوة، والدولة المرابطية لاتزال قائمة أثناء إنشاء هذه الرسالة، وهناك من يرجِّحُ أن يكون تاريخها هو سنة 537 إذا كانت الدعوة بدأت سنة 514[5].
- التلميح إلى الأواصر بين كزولة والمرابطين دون تحديد ما إذا كانت عرقية أو مذهبية، على أن منشىء الدعوة المرابطية جزولي : «ولو لم تكن إلا الحمية...»[6].
- الإشارة إلى عالمية الدعوة الموحدية بالنسبة لجميع المسلمين : «فما عذر مَن سَمِع بقيام المهدي في المتخلّف عنه ولو كان ببلاد الصين والهند حتى يلحق به ويلتجىء إليه...»[7] وهذه الفكرة كثيرا ما نجد أثرها في الرسائل الموحدية تصريحا أو تلميحا.

---

(3) ابن سعيد، بسط الأرض، ص 58 (ط بيروت 1970)، العبر 517/6 (عن مجالات جزولة).

(4) الرسالتان 2، 4 (م ج).

(5) راجع نص الرسالة رقم (4) وتعليق عمار الطالبي عليها وعلى الرسالة رقم (2 م ج) في أحد منشورات الجامعة التونسية سنة 1979 تحت عنوان «أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته» ص 95-110.
وهناك من يجعل بدء الدعوة سنة 515، البيذق في «أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين» الرباط 1971.

(6) رسالة عبد المومن رقم (4).

(7) رسالة عبد المومن رقم (4).

ـ لازال للتفاوت الحضاري تأثير في عقلية المجتمع آنذاك، وعلى هذا يُعيِّر المرابطون بأصلهم : «العراة الحفاة...»، فوجود هذه العقلية مكّن عبد المومن من إثارتها في رسالته.

ـ يبدو أنه كان يشاع آنذاك أن المصامدة من أصل عربي[8]، فيوصف المرابطون وعصبياتهم «بالبرابر المفسدين»[9].

ـ الإشارة إلى بعض أساليب المرابطين لإبعاد الناس عن اتّباع الدعوة الموحدية، ومنها الطعن في المهدي نفسه[10].

ـ تركيز رسالة المهدي على فكرة الجهاد باعتباره فرضا على المؤمن الحقيقي لمحاربة «المجسّمين» والمنحرفين عن الدين.

2 ـ رسالة عبد المومن بفتح تارودانت (رقم 3) :

بعدما تمت بيعة عبد المومن بالخلافة عمل على مدّ نفوذ الدعوة الموحدية بين قبائل جبلية مثل «صنهاجة الجبل» و«هسكورة الجبل»، ثم أصبح يهدد السوس خاصة مدينتيه تارودانت وايجلي (اللتين جعل ابن القطان فتحهما ضمن أحداث سنة 529)[11]، أو على الأقل أغار الموحدون على قبائل السهل وقراه مما استلزم وصول إمدادات مرابطية إلى المنطقة، وكتب عبد المومن رسالة حول عمليات الموحدين بها[12]، ويمكن أن نستنتج منها ما يلي :

ـ وصف الموحدين للمرابطين بالكفار (مجسِّمين)، وأيضاً بالبربر[13].

ـ ذكر أهم منتوج زراعي لتِيوَنْوِين وهو قصب السكر، وإن سمي فقط في الرسالة بالقصب، فشهرته مذكورة عند الجغرافيين[14].

ـ ذكر أسماء بعض القبائل التي كانت تقطن السهل أو حواشيه مثل هنكيسة، جزولة، تاجندويت، ورقالة.

ـ محاولة الموحدين قطع طرق الإمدادات المرابطية إلى المنطقة : «اقتحم (العلج)... في طريق إيغِران تطوف في حالة غفلة من الموحدين... الذين عليها حتى جاز عليهم...».

---

(8) الاستبصار ص 211.

(9) رسالة عن المهدي رقم (2)، ويوجد هذا الوصف أيضا في رسالة فتح تارودانت (رقم 3).

(10) الرسالة رقم (2).

(11) نظم الجمان ص 210 (ط تطوان 1964).

(12) هي الرسالة رقم (3).

(13) انظر خصوصيات رسالتي المهدي وعبد المومن السابقتين (2 و4).

(14) الإدريسي، نزهة المشاق (227، ط القاهرة)، الاستبصار (211-212)، وأيضا ابن حوقل في «صورة الأرض» ص 90، ط 1979 بيروت، والبكري في «المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب» ص 161، ط باريس 1965 (من «المسالك والممالك»).

ــ اعتماد المرابطين في فترة ضعفهم على القوات النصرانية المرتزقة لمواجهة الأوضاع الخطيرة، وكانت هذه القوات التي وصلت إلى السوس بقيادة العلج (الربرتير فيما يبدو)، وأهمية هذه القوات هي التي طمأنت القبائل الفارّة أمام جموع الموحدين فعادت إلى أرضها.

ــ هذه الأهمية تبرز أيضا في صمود مدينة تيونوين التي تَحصَّن بها المرتزقة ولا تصرّح الرسالة باستيلاء الموحدين عليها.

وهكذا يبدو أن عمليات الموحدين خلال سنة 529 لا تمثل فتحا نهائيا لسوس ومدنه.

3 ــ رسالة عبد المومن «الجامعة لأنواع من الأوامر» (رقم 6) :

إن أهم ما يمكن أن نستفيده من هذه الرسالة هو تلميحها أو إشارتها إلى مفاسد العهد السابق (المرابطي)، ومحاولة بعض الموظفين استغلال فترة انشغال الدولة الموحدية بظروف نشأتها وما تواجهه من ثورات لمصالحهم الخاصة، فكان عبد المومن يرى ضرورة قطع تلك المفاسد وإشعار السكان بالاطمئنان إلى الحكم الجديد وتشريعاته :

ــ فابن عذاري يجعل من دوافع كتابة هذه الرسالة تعدِّيَ أخويْ المهدي بإشبيلية على الناس من قتل وإباحة للأموال وانشغال بعض «المشتغلين بها» بالغش في الأمور المالية حتى إنه بعد وصول هذه الرسالة إلى اشبيلية تمّ قتل اثنين من هؤلاء «المفسدين»، فكانت هذه الرسالة «حجة بأيدي الناس ومؤمّنةً لهم من الباس»[15].

ــ تشير الرسالة إلى إلغاء التمييز بين من دخل في الدعوة الموحدية قديما ومن دخلها حديثا، وفي هذا تلميح إلى محاولات البعض لاستغلال هذه الأقدمية. ولكن هذه المساواة لا تمنع من بعض الامتيازات للموحدين القدماء، فالرسالة تنصّ على المساواة أمام الشرع وليست مساواة عامة.

ــ تشير أيضا إلى سوء تصرف «الرقّاصين» (البريديّين) وتسلطهم على أموال الناس مما فرض تنظيم تنقلاتهم.

ــ كما أن وضع علامة خاصة في الرسائل الخليفية يؤكد وجود هذه العلامة منذ زمن عبد المومن على الأقل إن لم يكن ذلك منذ عهد المهدي، وعلامة عبد المومن هي : «والحمد لله وحده» كما هي ثابتة في رسالته من ظاهر قسنطينة إلى ولده يوسف بإشبيلية سنة 555[16]، فلاشك أنها هي نفس العلامة التي يذكرها في الرسالة المدروسة، وستظل هذه

---

(15) البيان (ضمن أحداث سنة 513) ص 37، ط بيروت 1985 وننبه القارىء الكريم إلى أن النسخة المعتمدة هي طبعة تطوان إلا في حالات البتر فيها فتقع الإحالة على طبعة بيروت لسنة 1985

(16) الرسالة رقم 9 (م ج)، ويتأكد بذلك ما ذكرته بعض المصادر مثل (المغرب في حلي المغرب) لابن سعيد 138/2 ضمن ترجمة حفصة الركونية، انظر الهامش 6 بعد هذا.

«العلامة» هي نفسها عند ابنه يوسف[17] ثم المنصور[18] وكذلك عند الناصر[19]، ثم المستنصر[20]...

ــ بالنسبة لتاريخ الرسالة يؤكد صحته ما جاء في «المن» (ص 307) عن مضمون وتاريخ ومكان صدور هذه الرسالة والجهات الموجهة إليها، كما أن هناك إشارة إليها في الرسالة الثالثة من «مجموع رسائل موحدية» (م.ر.م) لبروفنصال.

ــ ويفهم أيضا من الرسالة أن الإهمال الذي كان يعرفه نظام بيع الإماء (خصوصا بالأندلس) فرض إعادة تنظيمه وفقا للشريعة.

ــ كما أن إشارة الرسالة إلى المحارم والقبالات... تفيد بوجود أسلوب من أساليب الجباية في أواخر العهد المرابطي، وهو ما يؤكد الإدريسي وجوده بمدينة مراكش[21]، والظاهر أنه كان عامّاً[22].

ــ في الرسالة أيضا الأمر برفع أحكام الإعدام إلى الخليفة قبل التنفيذ، وهذا فيه مراعاة لجانب العدل من جهة ومن جهة أخرى التقليص من سلطة أشياخ الموحدين في الولايات والتي كانت لاتزال قوية آنذاك.

4 ــ بعض خصوصيات الرسالتين عن ثورة غمارة (رقم 14-15) :

إن الاشكالية المطروحة هنا هي وجود رسالتين في نفس الموضوع إلى حكومة قرطبة صادرتين عن الأمير يوسف وأخيه أبي حفص وفي نفس التاريخ، فهذه الازدواجية قد تكون راجعة إلى المكانة التي كان يمتاز بها والي قرطبة من كبار شيوخ الموحدين أبو عبد الله بن أبي إبراهيم[23] حيث نجد العملية تتكرر بالنسبة للرسالتين 22 و23 الصادرتين عنهما إلى الشيخ نفسه. ولكن يبدو أن هناك عاملا آخر أكثر أهمية، وهو وجود نوع من الوصاية أو

---

(17) انظر الرسالة رقم 13 (م ج).

(18) انظر رسالته رقم 35 (م ج).

(19) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 231 (ط الرباط 1973).

(20) انظر الظهير رقم 105 مكرر (م ج)، ويذكر ابن خلدون أن «العلامة» (والحمد لله وحده) اتخذها الموحدون اقتداء بالمهدي إذ وجدوها في بعض مخاطباته وظلت علامتهم إلى آخر دولتهم، العبر 497/6-498. لاحظ الإشارة إلى تقبيل البسملة والعلامة الخليفية في الرسالة رقم 55 (م ج).

(21) وصف افريقية الشمالية (من نزهة المشتاق) مادة مراكش، بيريس، ص 44-45.

(22) انظر التوضيحات التي قدمها عز الدين أحمد موسى حول أنواع الضرائب العامة التي كانت في أواخر العهد المرابطي (النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري)، ص (167-168) ط. دار الشروق، بيروت، القاهرة 1983.

(23) كان أبوه من العشرة أصحاب المهدي انظر الهامش (4) على الرسالة رقم (14).

الاشتراك في السلطة بين الأمير يوسف وأخيه أبي حفص عمر منذ موت أبيهما سنة 558. يتحدث صاحب «المن» عن احتضار عبد المومن ثم يقول : «... والسيّد الأعلى أبو حفص بن أمير المومنين قد ملك الأمر كله مما جعل له أبوه قديما وحديثا، وحكّمه تحكيما وخصّه بوزارته خصوصا للأمر وعموما، وعلم أنه سيحمي الحمى ويحمي الحريما (كذا)، واستوثق وصيته عند السيد الأعلى أبي حفص المذكور»[24]، ويقول صاحب البيان المغرب عن عبد المومن أيضا «استوثق بوصيته... لابنه أبي حفص بتقديم أخيه شقيقه يوسف، وكان أبو حفص المذكور قد ملك جميع الأمور، جعل له أبوه ذلك»[25]، ويذكر أيضا بعد تمام البيعة الأولى له «وتَوالَى استبداد السيد أبي حفص على معنى الوزارة والإمارة بانقياد الأوامر السلطانية على أمره على ما كان عليه عند أبيه على رضى من الأمير أبي يعقوب أخيه واتفاق، وإجماع من شيوخ الموحدين وإصفاق...»[26].

ويظهر أن اتخاذ الأمير يوسف بيده العلامة (والحمد لله وحده) في مراسلاته يشكل أولى مراحل استبداده بسلطته نحو أخيه[27]، كما أن أمره بمنع تنفيذ أحكام الإعدام قبل استشارته يمثل مرحلة مهمة لتقليص سلطة الولاة من إخوانه وأشياخ الموحدين[28]، رغم أن ازدواجية المراسلات استمرت بعد ذلك مدة كما يظهر في الرسالتين عن ثورة غمارة أي إلى شوال 562 بل إلى رمضان 563 حسب الرسالتين 22 و23.

يلاحظ أن اسم الثائر في إحدى الرسالتين المدروستين ابن منخفاد وفي الأخرى ابن منغفاد، ويسميه المراكشي (ص 251) سبع بن حيان، ولعل حيان اسم أحد أجداده مادام البيذق ينسب جبل تيزران (الكواكب) إلى أولاد حيان ويسمي الثائر باسم سبع بن منغ فاد بن حيان[29].

وتظهر أهمية الرسالتين أيضا في تصحيح تاريخ إنهاء ثورة غمارة الذي تختلف حوله بعض المصادر بل وتختلف حول اسم زعيم الثورة نفسه.

---

(24) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص 221، طبعة بيروت.

(25) ابن عذاري : البيان، ص 55 (ط تطوان).

(26) نفس المصدر، ص 59، لاحظ أيضا ظاهرة الازدواجية في المراسلة في عهد الوصاية على الخليفة المستنصر كما تلمح إلى ذلك الرسالة رقم (102).

(27) الرسالة رقم (13) المؤرخة برمضان 561، انظر أيضا تقديم صاحب المن لهذه الرسالة (ص 302، ط بيروت)، ولا يمكن أن نصدق ما ذكره صاحب القرطاس من أن المنصور هو أول من كتب العلامة بيده فقلّده بقية الخلفاء الموحدين (217).

(28) نفس الرسالة (13).

(29) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 251 (ط. القاهرة 1949)، انظر أيضا البيذق في أخبار المهدي 54، 86.

5 ــ خصوصيات بعض رسائل تجديد البيعة ليوسف بن عبد المومن (17-20) :

تتضمن هذه الرسائل الملاحظات الآتية :

ــ في رسالة الشيخ أبي عبد الله والي غرناطة توجد الإشارة إلى أن عمر بن الخطاب هو أول من تسمّى بأمير المومنين الذي هو لقب الخلافة، وفي هذا محاولة لتبرير انتقال يوسف ابن عبد المومن من التسمي بلقب الأمير إلى «أمير المومنين»[30].

ــ في رسالة أخرى للشيخ أبي عبد الله[31] تغير أسلوب مخاطبته للخليفة يوسف من استعمال ضمير المخاطبين (كُمْ) للدلالة على مرحلة الإمارة في الجزء الأول من الرسالة إلى مخاطبته بضمير الغائبين للدّلالة على الوضع الجديد للخليفة بعد تجديد البيعة له، وهذا الأسلوب الأخير هو المستعمل عادة في الرسائل الموحدية عند مخاطبة الخليفة.

ــ في هذه الرسالة الأخيرة توجد الإشارة إلى توصّل الشيخ أبي عبد الله بنسخة كتاب الخليفة من والي إشبيلية السيد أبي إبراهيم إسماعيل، ويفهم من هذه الإشارة أن إشبيلية أصبحت آنذاك عاصمة للأندلس بدلا من قرطبة[32]، ومما يزيد في ترجيح هذه الملاحظة إشارة أخرى حول تكليف «طلبة» إشبيلية بدفع «البركة» لموحدي غرناطة وموحدي قرطبة وذلك في رسالة من الخليفة إلى الشيخ أبي عبد الله والي غرناطة[33].

ــ تؤكد الرسالة ما تذكره المصادر من تأخر الإجماع حول بيعة يوسف بالخلافة لبضع سنوات من حكمه.

6 ــ بعض خصوصيات رسالتي البيعة بولاية العهد من قرطبة لمحمد الناصر (رقم 40 و41):

يمكن إبراز هذه الخصوصيات في النقط الآتية :

ــ نلاحظ في رسالة بيعة أهل قرطبة[34] أنها من الرسائل الطويلة الصدر مثل بعض الرسائل المتعلقة بأخبار النصر في المعارك[35].

ــ أن تاريخ الرسالة الأولى (40) هو سنة 588، ومن المرجّح أن يكون المنصور عقد البيعة

---

(30) الرسالة رقم 18 (م ج).

(31) الرسالة رقم 19 (م ج).

(32) كان السيد أبو إبراهيم واليا على اشبيلية منذ فاتح ذي الحجة 561، ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص 296. وسينتقل إلى ولاية قرطبة في 22 جمادى الثانية سنة 563 تمهيدا للغزو، الرسالة رقم 21 (م ج).

(33) الرسالة رقم 21 (م ج).

(34) الرسالة رقم 40 (م ج).

(35) مثلا الرسالة رقم 42 (م ج).

لابنه بين أواخر 587 وأوائل 588[36].

— في الرسالتين معا لا يسمى الخليفة يعقوب «بالمنصور» أو على الأقل لا يختص بهذا اللقب وحده من بين ألقاب أخرى، لذا فلا يستبعد أن يكون لقب «المنصور بالله» اتخذ بصفة رسمية ونهائية بعد الانتصار في الأرك[37].

— مما هو مفروض على السلطة المحلية — كما يفهم من الرسالتين — إذاعة خبر البيعة وجمع بيعات أهل الناحية.

— تظهر الرسالتان التزام أهل الولايات بما التزم به أهل العاصمة[38].

— تبين الرسالتان ادّعاء الخليفة يعقوب بأن تقديم ولده لولاية العهد لم يكن برغبة منه، وقد سبق لعبد المومن — منشىء نظام الوراثة في الدولة الموحدية — أن ادّعى مثل هذا الادعاء[39].

— يوجد في بيعة أهل قرطبة[40] مقارنة بين عمل الرسول ﷺ في تقديم أبي بكر للصلاة بالناس أثناء مرضه، وبين تقديم المهدي لعبد المومن وهما من غير القرابة في الحالتين، وهذا ما يدفع إلى التساؤل عما إذا كانت عائلة المهدي لازالت إلى عهد المنصور تطالب بحق وراثتها لمنصب الخلافة ؟

— لا يوجد في الرسالتين ذكر الشروط بالنسبة للمبايَع له، أما المبايِعون فعليهم السمع والطاعة...[41].

---

(36) استناداً إلى البيان المغرب (187–188 ط، تطوان)، والعبر 511/6، واستبعادا لرأي صاحب المعجب (307).

(37) وصف عبد المومن من قبل «بالمنصور الناصر لدين الله» في الرسالة 30 (م ج) وكذلك بالنسبة لابنه يوسف «المنصور بالله» (19 م ج)، ووصف يعقوب «بالمنصور الناصر» في هاتين الرسالتين (40 و41) وأيضا في 42 و44 (م ج)، وربما ظل يوصف باللقبين معا إلى أن اتخذ ابنه فيما بعد لقب الناصر.

(38) مع المجازفة يمكن أن نقول أن في هذا نوعاً من المقارنة المقصودة — أو غير المقصودة — مع ما كان يحدث زمن الخلفاء الراشدين من التزام أهل الولايات بما التزم به أهل المدينة النبوية.

(39) الرسالة 13 (م ر م).

(40) الرسالة رقم 40 (م ج).

(41) نفس الشيء بالنسبة للرسالة 18 عن بيعة غرناطة المجددة للخليفة يوسف، قارن مع رسالة يوسف ابن تاشفين لتقديم ولده لولاية العهد، الحلل 78–79، وصبح الأعشى 161/5 (يذكر شروطا على ولده).

ـ يتضح من الرسالتين أن ولي العهد يدعى له بعد أبيه الخليفة[42].

ـ ولعل أهم نقطة في رسالة حكومة قرطبة (41/م ج) هي الاعتذار عن التأخر في تقديم البيعة لسبب غير واضح في الرسالة فإذا فرضنا أن والي قرطبة آنذاك هو أبو يحيى أخو المنصور المعيّن عليها سنة 579[43]، والذي أقرّه المنصور عليها سنة 580 أي بعد بيعته ـ وليس بعد حملته الأندلسية الأولى كما يفهم من المعجب ـ[44] إذا فرضنا أنه لازال على ولاية قرطبة سنة 586-587 (عكس ما يذهب إليه صاحب القرطاس)[45] يكون عندئذ أبو يحيى هو المسؤول عن التأخير الحاصل في بيعة قرطبة والذي سيترتب عنه قتله بعد شفاء المنصور وتتميم البيعة لولده، خاصة وأن صاحب الذيل[46] يرجع سبب نكبة القاضي ابن رشد بقرطبة سنة 593 إلى صلته الوثيقة بأبي يحيى. وهكذا من المرجّح أن يكون سبب تأخر بيعة قرطبة يدخل في إطار المنافسة بين المنصور وبعض إخوته، وقد عارض بعضهم خلافة المنصور نفسها قبل معارضة تولية العهد لابنه[47].

7 ـ خصوصيات رسالة نكبة ابن رشد (43) :

إن هذه الرسالة صادرة عن المنصور ومن إنشاء ابن عياش، ولكنها مبتورة البداية.

ـ أما بالنسبة لتاريخ الرسالة فهو غير منصوص عليه، ويمكن التوصل إليه كما يلي : فالرسالة محصورة ما بين 586 و595 : السنة الأخيرة هي سنة وفاة المنصور[48]، والأولى تمثّل بداية كتابة ابن عياش له، فقد كان مختفيا منذ مقتل مخدومه أبي حفص عمر الرشيد أخي المنصور سنة 584[49] ثم عفا هذا عنه واستكتبه[50]. غير أن ابن عذاري يجعل نكبة ابن رشد ضمن أحداث سنة 593 حين كان المنصور بقرطبة في أعقاب معركة الأرك، كما

---

(42) قارن مع الرسالة 10 (م ج) والهامش 5 عليها.

(43) البيان 129.

(44) المعجب (280-281).

(45) القرطاس 219، وهو في هذه الحالة مضطرب حيث ينسب تزعم الحملة نحو غرب الأندلس إلى والي قرطبة بدل الخليفة يوسف، مما يشكك في صحة معلوماته هنا.

(46) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل س 6/ ص 25 وما بعدها (ت إحسان عباس)، انظر خصوصيات الرسالة (43) بعد هذا.

(47) راجع الفصل الثالث، ص 109.

(48) كان ذلك بعد وفاة ابن رشد في أواخر سنة 594، على خلاف النباهي الذي يجعلها سنة 598 (المرقبة العليا، ص 111، ن بروفنصال).

(49) البيان 171-172، ابن الأبار : إعتاب الكتّاب (100-109، ط. دمشق)، راجع ترجمة ابن عياش (رقم 16) في مقدمة البحث.

(50) البيان 172.

أن صاحب «الذيل» ينص على تحديد هذه السنة[51]. وهكذا تكون رسالة المنصور حول هذا الموضوع صادرة خلال هذه السنة (أي 593).

— تمت نكبة ابن رشد بمحضر الرؤساء والأعيان بمدينة قرطبة[52]، وتنص الرسالة على نبذه ومن معه «نبذ النواة»، بحيث طرد من مجلس الخليفة بعدما كان مقربا إليه، وصدرت الأوامر بإحراق كتبه الفلسفية واعتقال من كان على آرائه، «فمتى عُثر منهم على مجْرٍ في غلوائه، عمٍ عن استقامته واهتدائه، فليعاجَلٍ فيه بالتثقيف والتعريف»[53] أي ريثما تصدر الأوامر النهائية بشأنه من طرف الخليفة، و«كتبت عنه الكتب إلى البلاد بالتقدم إلى الناس في ترك هذه العلوم جملة واحدة وبإحراق كتب الفلسفة كلها إلا ما كان من الطب والحساب والفلك»[54].

— ما هي أسباب نكبة ابن رشد ؟ ما يظهر من الرسالة هو الاتهام بالمروق عن الدين باتباع العلوم القديمة المنبنية على العقل، وحدّد صاحب المعجب سببين لذلك، أولهما عندما تحدّث عن الزرافة في بعض تآليفه فذكر مشاهدته لها عند «ملك البربر جاريا في ذلك على طريقة العلماء في الإخبار عن ملوك الأمم وأسماء الأقاليم»، وثانيهما، حسد بعض مناوئيه من أهل قرطبة ممن يدعون الكفاءة معه في البيت وشرف السلف[55]، فأوقفوا المنصور على جملة يحكيها عن بعض قدماء الفلاسفة وهي : «فقد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة»[56]. وأضاف صاحب الذيل سببا آخر ربما كانت له صلة قوية بالنكبة وهو أن ابن رشد كان له اختصاص بأبي يحيى أخي المنصور والي قرطبة[57]، ويذكر صاحب المعجب أن أبا يحيى هذا استغل مرض المنصور (587–588) لدعوة الناس إليه ليخلفه بعد موته المنتظر من هذا المرض الطويل فقتله المنصور بعد شفائه[58]. وكان تعيين الخليفة يوسف لأخيه أبي يحيى على

---

(51) البيان 202، الذيل 6/ ص 25، ويجعل عنان تاريخ وفاته سنة 591 دون ذكر مصدره (تاريخ المرابطين والموحدين، 722/2، ط. القاهرة).

(52) المعجب 306.

(53) الرسالة المدروسة رقم (43).

(54) المعجب 306.

(55) ذكر النّباهي واحدا ممن ناصبوه العداء وهو القاضي أبو عامر يحيى ابن أبي الحسن وبنوه، (المرقبة ص 111) وهذا يعني استمرار ضغط فقهاء قرطبة أيام الموحدين وليس فقط في عهد المرابطين، انظر : عزّ الدين موسى في «النّشاط الاقتصادي...» ص 154.

(56) المعجب (305–306).

(57) الذّيل س 6/ ص 26.

(58) المعجب (280–281)، ولعلّ هذا السيّد كان وراء تأخّر بيعة قرطبة بولاية العهد لمحمد بن المنصور، (انظر خصوصيات الرسالتين السابقتين رقم 40 و41).

قرطبة سنة 579 بإشارة من ابن رشد فعيّنه آنذاك قاضيا بها[59].

وهكذا تجتمع عوامل المنافسة الشخصية ومعاداة العلوم العقلية من طرف البعض، مع هذه العلاقة بين ابن رشد وأبي يحيى لتؤدي إلى نكبة مؤقتة تمّت تغطيتها بغطاء ديني، على أن هذا لا يعني اضطهاد المنصور للعلوم العقلية، فهو يدعو إلى الاجتهاد في النصوص الدينية بدل التقليد، بل أقبل بنفسه على الفلسفة وعفا عن ابن رشد في السنة اللاحقة، غير أن هذا مات في نفس السنة بعد انتقاله إلى مراكش سنة 594 قبيل وفاة المنصور.

8 ــ بعض خصوصيات الرسالة الجوابية إلى المنصور حول الاهتمام بالقرآن والسنة (44) :

وردت هذه الرسالة ضمن المخطوط الخاص (مجموع) على الصفحات من 305 إلى 308 وهي من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن وضاح عن حكومة اشبيلية جوابا على رسالة للمنصور تتعلق بالاهتمام بالقرآن والسنة.

1 ــ مسألة تاريخ الرسالة :

ــ إن هذه الرسالة غير مؤرخة ولكنها تتضمن الدعاء للأمير ولي العهد محمد، وقد نصبه أبوه لهذه الولاية أواخر سنة 587 وتوافدت الوفود المبايعة آنذاك وخلال السنة اللاحقة[60]، بحيث يمكن حصر تاريخ الرسالة الجوابية بين سنة 588 وأول سنة 595 الذي هو تاريخ وفاة المنصور.

ــ وإذا جازفنا بمقارنة الألقاب التي كانت تطلق على الخليفة يعقوب قبل الأرك سنة 591 وبعدها، نجدها في المرحلة الأولى معممة مثلا «نور الحق المشهور، وسيف الله المنتضى أمير المومنين...»[61] ومثل «سيدنا الإمام المنصور الناصر لدين الله تعالى الخليفة المرتضى أمير المومنين...»[62] أو «المنصور المؤيد المعان الموفق المسدد...»[63] أما بعد الأرك فنجد اللقب يقتصر على «المنصور الناصر لدين الله»[64] وهو ما نجده في رسالة ابن وضاح المدروسة هنا، وسيسقط اللقب الثاني تدريجيا ليختص به ابنه وخليفته محمد الناصر لدين الله. فإذا صحت هذه المقارنة أمكن وضع تاريخ الرسالة الجوابية بين 591 وأول 595.

ــ ولعل ما يدعم هذا الافتراض ما ذكره المراكشي من محاربة المنصور لكتب الفلسفة مؤقتا

---

(59) البيان 129.

(60) انظر الرسالتين 40 و41، وأيضا خصوصياتهما (ص 32–33) والبيان 187، والمعجب 308.

(61) الرسالة 40.

(62) الرسالة 40 أيضا، انظر الهامش عليها رقم 4.

(63) الرسالة رقم 41.

(64) الرسالة رقم 42 (م ج).

بعد نكبة ابن رشد سنة 593[65]، هذا العداء المؤقت لعلوم الفلسفة كان يوازيه عداء للمذهب المالكي القائم على علم الفروع لحث الفقهاء على العودة إلى الأصول (القرآن والسنة) مع القياس والاجتهاد، ويذكر صاحب المعجب أنه شاهد بنفسه بفاس أيام المنصور حرق كتب الفروع، وكان آنذاك حديث السن[66]. ومن المحتمل ألا تكون هذه العملية ضد علم الفروع بعيدة زمنيا عن العملية الأولى ضد الفلسفة، وبما أن رسالة ابن وضاح لا تتقدم عن سنة (587-588) فإن المنصور منذ هذه الفترة انشغل بجلب المؤيدين لولاية العهد لابنه فلا يبحث عما يثير الفقهاء المالكيين ضده، بل يتجنب كل إثارة للمشاكل في الوقت الذي كان يستعِدّ للغزو بالأندلس، فهو لم يهتم مثلا بأمر الوشاة ضدّ ابن رشد سنة 590 أو أوائل سنة 591[67]، كما أن أهل الأندلس اشتكوا إليه من معاملة بعض العمال فلم يهتم بذلك إلا بعد نهاية غزواته. بحيث أنه عندما يكتسب النصر العظيم في الأرك سيعطيه قوة معنوية لإظهار ما كان يخفيه هو وربما أيضا أبوه من قبله[68]. والمراكشي الذي شهد عملية حرق كتب الفروع بفاس كان حديث السن في الثمانينيات، بحيث لا يستطيع تمييز كتب الفروع المحروقة التي ذكرها مفصّلة، مما يرجح أن الحرق لم يتم آنذاك وإنما في التسعينيات[69]، أي بالخصوص بعد نكبة ابن رشد وربما خلال سنة 593 أو 594 باعتبار أن الحادثتين تخدمان اتجاها واحدا هو التحريض على الاهتمام بالقرآن والسنة مباشرة والابتعاد عن علوم الفلسفة القديمة التي تطلق المجال للعقل[70]، أي الاتجاه نحو الاعتماد على الظاهر من النص القرآني ومن الحديث[71]، فمن جملة ما أمر به الرعايا في رسالته «معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله وسنة الرسول»[72]، وعدم الاشتغال بغيرهما.... فهل كانت الرسالة المجاوَب عنها هي الرسالة المخبرة بنكبة ابن رشد وتلامذته (أي الرسالة رقم 43) ؟

— إذا صح جعل تاريخ هذه الرسالة بين سنة 593 وأول سنة 595 فمن هو والي اشبيلية

---

(65) المعجب 306، البيان 202، الذيل س 6/ 25-30، انظر أيضا خصوصيات الرسالة السابقة (43).

(66) المعجب (278 و305)، ويذكر المراكشي أنه ولد بمراكش 581 وانتقل إلى فاس وهو في سن التاسعة لقراءة القرآن... (ص 360).

(67) الذيل س 6/ ص 25 وما بعدها، البيان يذكر هذه الاستعدادات منذ أواخر سنة 588 (ص 189 و191 وما بعدها)، وعن أمر الوشاة (ص 202).

(68) يذكر صاحب المعجب حادثة بعد الأرك تدخل في ميدان الاهتمام بالقرآن والسنة قبل كل شيء (292)، انظر أيضا (278-279).

(69) انظر الهامش 7 سابقا.

(70) ليس من المستبعد أن تكون عملية الحرق شملت في نفس الوقت كتب الفلسفة وكتب الفروع.

(71) وقد أوصى المنصور بالكتاب والسنة أيضا عند احتضاره، البيان 206، الاستقصا 200/2.

(72) الرسالة المدروسة (44).

المكتوبة عنه هذه الرسالة الجوابية ؟ إن والي اشبيلية منذ سنة 585 هو السيد أبو حفص يعقوب بن أبي حفص بن عبد المومن[73]، وعند عودة المنصور إلى المغرب سنة 594 ترك على ولاية إشبيلية السيد أبا زيد بن الخليفة[74]، فيكون ابن وضاح كتب عن أحدهما إن لم يكن كتب عنهما على التوالي.

2 ــ ما هي دوافع هذه السياسة عند المنصور ؟

ــ هل تكفيرٌ عن فترة الصبا[75] وبحثٌ عن الشعبية التي اكتسبها فعلا حتى أن العامة وضعت أساطير حول موته ؟[76] يبدو أنه كان مقتنعا حقا ببطلان تعدد المذاهب سواء المالكي (علم الفروع) أو التومرتي حيث لم يكن في قرارة نفسه مؤمناً به[77]، فيرى ضرورة العودة إلى الأصل، خاصة وأن عصره عصر ازدهار العلوم فيجب أن يتنزه عن التقليد.

3 ــ أهمية الرسالة : تظهر في نقطتين أساسيتين :

ــ لا تلمح الرسالة إلى أمر عن المنصور بتدارس المذهب الموحدي[78]، فهل هذه خطوة لتهميش المذهب التومرتي بعد تهميش المذهب المالكي ؟

ــ تشير الرسالة إلى بيعة ولي العهد بالدعاء له بعد أبيه الخليفة، وفي هذا تأكيد لما في المصادر حول عقد هذه البيعة في عهد المنصور.

---

(73) البيان 213، عنان 198/2.

(74) البيان 213، العبر 513/6، وربما هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد المومن، المعروف بابن اللمطية، فقد كان أصغر أو من أصاغر أولاد عبد المومن (البيدق في أخبار المهدي ص 77).

(75) يشير صاحب المعجب إلى سوء صباه (214).

(76) بعض أعماله الاجتماعية في المعجب 285 وما بعدها.

(77) انظر إشارات صاحب المعجب ص 279 و(291–292)، ورسالة المامون رقم 118 (م ج) عن عزم أبيه المنصور على ترك مذهب المهدي.

(78) الرسالة تدعو إلى عدم ترك المجال لدراسة غير القرآن والسنة.

الموضوع الثاني :

دراسة تاريخية

استمرت المواجهة بين الموحدين والمرابطين في المغرب منذ بيعة المهدي ابن تومرت حوالي ربع قرن، هذه المواجهة كانت مع القوات المرابطية النظامية ومع القبائل التي تقف موقفا عدائيا من الحركة الموحدية. ورغم أن الموحدين تمكنوا من القضاء على المرابطين بفتح عاصمتهم مراكش سنة 541 فإنهم سيصطدمون منذئذ ولسنوات أخرى بمعارضة قوية من طرف أهم القبائل المغربية ومن بعض المدن، ويواجهونها بعنف شديد إلى أن تعلن خضوعها. فما هي العلاقة بين الموحدين وهذه القبائل قبل وبعد فتح مراكش ؟

أ ــ العلاقة بين الحركة الموحدية وبعض القبائل :

نحاول التعرف على هذه العلاقة منذ بداية الحركة لعلنا نفهم بعض ظروف المعارضة : فبالنسبة **للمدن** كان تيار الفقهاء المالكيين ــ عضد الدولة المرابطية ــ هو المسيطر عليها خاصة بالأندلس وسبتة حتى أن منهم من استقلوا ببعض هذه المدن عندما شعروا بضعف المرابطين أو نهايتهم. وأما بالنسبة **للقبائل** فالذي يهمنا بالخصوص هي قبائل المصامدة بالجنوب الغربي للمغرب الأقصى، فمنها السابقة إلى قبول دعوة ابن تومرت فأصبحت تحمل اسم «القبائل الموحدية»، ومنها اللاحقة، وأهم القبائل المصمودية هرغة : قبيلة المهدي، وأهل تينملل، وهنتاتة : إحدى القبائل المصمودية الكبرى، وكنفيسة، وبعض قبائل كدميوة[79]. فخلال السنوات الأولى من الحركة (515-518) أي ما بين البيعة للمهدي[80] والاستقرار في تينملل اتسعت دعوته بين مصامدة الجبال : هرغة، مَسْكالة[81]، سجتانة[82]، (أو سكتانة)، هنتاتة، قبائل أهل تينملل وجدميوة الجبل، وهزميرة الجبل، وجنفيسة الجبل، وكذلك أهل

---

(79) من القبائل المصمودية الأخرى : وريكة، ركراكة، هزميرة، هزركَة، حاحة، هيلانة، واختلف في بعض القبائل مثل هسكورة وبرغواطة وكَزولة ودكالة، راجع المعجب (339-341) والعبر 419/6 وما بعدها، (428-435)، (461-462)، مفاخر البربر خ ع/ك، 1275، ص (24-25)، 99، قبائل المغرب (ابن منصور) 331/1.

(80) حول هذه البيعة راجع مقال الأستاذ محمد زنيبر في «المناهل» ع/24 ص 132، (وزارة الثقافة).

(81) مسكالة فخذ من أهل تينملل (المقتبس من كتاب الأنساب، ص 13، الرباط 1971)، وينتمي إليها عبد الله بن سليمان أحد أهل الجماعة (المعجب 194) وهو أول ولاة سبتة.

(82) سكتانة يجعلها صاحب المقتبس فخذا من أهل تينملل (ص 43)، اختلف في موطنها الحالي كل من محقق المقتبس و R. Montagne على الخريطة مقابل الصفحة 24 في :
Les Berbéres et le Makhzen dans le Sud Marocain, Paris 1930

توندوت من هسكورة سنة 517[83]. بينما ظل «مصامدة الفحص» مع المرابطين مثل «دكالة، هسكورة، هزميرة، ركراكة، حاحة وصودة»[84].

ومنذ استقرار المهدي بتينملل سنة 518 أصبح يشكل خطرا أكبر على المرابطين سواء بالمناوشات الحربية معهم أو مع القبائل المؤيدة لهم، هذا زيادة على الحرب المذهبية بين الطرفين : فبينما اعتبر المرابطون الموحدين خوارج على الجماعة الإسلامية اتهمهم المهدي بالشرك بالله وبالانحراف عن سنة نبيه مشهّرا بالمناكر في دولتهم[85]، وادّعى أن الله أمره «بإدحاض حجة الظّالمين» معتبرا أن دماء المرابطين حلال وأموالهم فيىء للموحدين[86]، فجهادهم فرض عين «وأعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة»[87]. فكان بمثل هذا وغيره يغذي الروح القتالية لأتباعه، ويحثهم باستمرار على فهم عقيدة التوحيد والعبادات والمعاملات بالشكل الذي فسّره لهم ما دام هو «المعصوم» القادر على «فهم» الشريعة، وكل من شك في عصمته كان مصيره القتل. وسيستمر عبد المومن في الإشراف على هذه التربية الروحية وقيادة العمل المسلح ضد المرابطين، بحيث أصبح خطر الدعوة الموحدية يهدد العاصمة المرابطية نفسها إلى أن انهزم الموحدون خارجها في معركة البحيرة سنة 524، فحدث نوع من الركود المؤقت بين تاريخ هذه الهزيمة وموت المهدي من جهة والبيعة العامة لعبد المومن من جهة أخرى[88]، ثم بدأت الحالة في التطور خاصة بعد إخضاع قبائل الجبال المجاورة : ففي سنة 529 انضمت «هسكورة الجبل» إلى الموحدين[89]، واستولى عبد المومن على بعض مدن السوس (تارودانت وايجلي) بعد انهزام المرابطين وحلفائهم بالمنطقة (هنكيسة وكزولة)[90]، بل حدث الاقتراب من مراكش من جديد بعد فتح أغمات. ومنذ هزيمة جزولة 533 ودخولها في دعوة الموحدين[91]، يبدو أن هؤلاء أصبحوا أكثر اطمئنانا للتحرك ليس فقط إلى الغرب

---

(83) البيذق في أخبار المهدي، ص 94.

(84) ابن القطان في نظم الجمان ص 86، ابن عذاري في البيان ج 85/4 (ضمن أحداث سنة 525).

(85) الرسالة رقم (2) م ج.

(86) أخبار المهدي، ص 11 (ن بروفنصال).

(87) الرسالة رقم (2) م ج، وأخبار المهدي ص 9 (بروفنصال)، وخاطب المهدي المرابطين يدعوهم إلى تقوى الله واتّباع السنة (الرسالة رقم 1 م ج).

(88) كان تولي عبد المومن الخلافة — وهو مجرد من أية عصبية تحميه — من شأنه أن يحل مشكل التنافس بين الأشياخ المصامدة حولها، راجع «لوتورنو» في «حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و13»، تونس 1982 (ص 49-50).

(89) نظم الجمان 196، 210، ويذكر ابن عذاري (سنة 525) أن مصامدة الجبال أصبحوا كلهم تابعين للدعوة الموحدية وقليل من مصامدة الفحص (85/4).

(90) الرسالة رقم 3 (م ج).

(91) نظم الجمان (242-243)، البيان 96/4، البيان (الموحدي) ص 11.

من تينملل وإنما إلى الشرق منها أيضا (تادلة مثلا)، بل الاستمرار في خطة التحرك عبر الجبال لجمع تأييد قبائلها[92] وجرّ المرابطين بعيدا عن عاصمتهم، وهذه الحركة الطويلة ستنتهي بفتح مراكش بعد إخضاع الجبال والسهول والمدن المرابطية.

غير أن الحركة الموحدية عرفت **مشاكل** منذ فترتها الأولى تمثلت فيما سمي «بالارتداد» عن المذهب بحيث اتصفت الحركة منذ أوائلها بسياسة دموية لا هوادة فيها ضد المتشككين في المذهب أو المرتدين عنه أو الذين رفضوا دعوة الدعاة الموجهين إليهم[93]، وهكذا وجّه المهدي حملة ضد غجدامة إحدى بطون «هسكورة الظل»[94] لقتلهم أحد الدعاة[95]، وعندما «ارتد» بنو واوزكيت من أهل تينملل إلى المرابطين أرسل المهدي حملة إليهم وربما صادر أملاكهم[96]. وعندما استقر بتينملل سنة 518 لم يطمئن إلى توحيد «هزميرة الجبل» وهم «هزميرة تينملل» فقتل منهم حوالي خمسة عشر ألف شخص في يوم واحد بتينملل وسبى حريمهم وغنم أموالهم وقسم أرضهم ومساكنهم بين أصحابه، وكان المبرر لذلك — حسب رواية نظم الجمان — أن من عادتهم عدم ترك سلاحهم حتى ولو في اجتماع مع المهدي[97]. ولما انتقد أحد «الجماعة» هذا العمل كان مصيره القتل على أساس أنه شك في عصمة المهدي[98]. غير أن أشهر عملية دموية في عهده هي التي قام بها أبو محمد البشير الونشريسي أحد العشرة بتينملل (ربما سنة 519) وذلك لتمييز «الخبيث من الطيب» و«المؤمن من الفاسق»[99]، فكل من شك في حقيقة اعتقاده في المهدي أمر بقتله؛ هذه العملية يبدو أنها شملت عددا من القبائل التي دخلت في الدعوة[100]. غير أن حركة «الارتداد» اتسعت بعد موت المهدي فظهر أحد المعارضين لعبد المومن من بين «الجماعة» وهو عبد الله بن يعلى المعروف بابن ملوية حيث انضم إلى المرابطين وحاول الهجوم على تينملل، إلا أنه قتل على

---

(92) البيان 12/3.

(93) نظم الجمان 212، أخبار المهدي (94–95)، 71.

(94) المقتبس 53 (غجدامة هسكورية).

(95) هو الشيخ أبو محمد عطية، وذلك سنة 520 (البيذق 94)، قارن مع نظم الجمان (93) وفيه أن غجدامة هؤلاء هم «غجدامة الجبل» 196.

(96) كانوا بايعوا المهدي بعد خروجه من مراكش نحو الجبال (أخبار المهدي 32، نظم (91–92))، العبر 470/6، وعن نسبهم انظر المقتبس (43–44).

(97) نظم (93–94)، البيان 69/4، الحلل الموشية 112، الكامل 296/8.

(98) نظم 93 وما بعدها.

(99) نظم (102–104)، البيان 68/4، البيذق 39، ابن الأثير 8/ (297–298)، النويري (400–402).

(100) أخبار المهدي 39.

يد كنفيسة بعد أن فشل في إثارتها ضد الموحدين[101]. كما أن هناك قبائل كانت تتردد بين الانضمام إليهم والانفصال عنهم : فصاحب نظم الجمان (ص 209) ذكر ــ ضمن أحداث سنة 526 «توحيد» و«ارتداد» قبائل من هزرجة[102]، وذكر ــ ضمن أحداث سنة 533 ــ أن «منانة الجبل» إحدى بطون حاحة وحّدوا ثم ارتدوا ثلاث مرات بعد أن قتل الأمير المرابطي علي بن يوسف أعيانهم، فأقام عبد المومن عليهم بالقتل أكثر من شهر (ص 241). ولم تتوقف عمليات التصفية حتى أثناء الحملة الطويلة لعبد المومن إلى المغرب الأوسط حيث غدر بمن انضم إليه من جزولة بعد تجريدهم من السلاح[104]. فهل كان عمله هذا هو الدافع إلى تذكير جزولة برسالة كان المهدي وجّهها إلى القبائل الموحدية سنة 521 فبعث عبد المومن نسخة منها مع رسالته إليها ؟ أم أنها كانت تحذيرا لم يعط نتائجه فكان تقتيلهم كما ذكر سابقا[105].

على كل بقي بين الموحدين والقبائل التي لم تقبل دعوتهم بسهولة عبء ثقيل يصعب التخلص منه.

ب ــ الاضطراب العام بعد فتح مراكش، وإعادة إخضاع الموحدين للبلاد (541-544) :

رفعت بعض المدن وكثير من القبائل راية التمرد بعد فتح مراكش من طرف الموحدين[106] (شوال 541)، وأهم المدن : **سبتة** التي كانت على رأي قاضيها عياض المالكي المذهب[107]، الذي سبق له أن بايع عبد المومن سنة 540 فأعلن الآن بيعته لبقايا المرابطين

---

(101) أخبار المهدي 46، 82، انظر أيضا Merad Ali : Les Annales (A.I.E.O), Alger 1957, p(115-116)

(102) هزركة يوجد بجبلها أجناس من الياقوت المتناهي في الجودة وحسن اللون (البكري 153) ألا تكون هذه الأهمية إلى جانب أرض القبيلة وكونها ممراً تجارياً مما يطمع الموحدين فيها ؟

(103) هذا قبل انضمام هسكورة الجبل إليهم سنة 529، (نظم 196 و210...).

(104) البيذق في أخبار المهدي 57.

(105) الرسالتان رقم 2 و4 (م ج)، الرسالة الأولى سماها البيذق «الرسالة المنظمة» (ص 95)، وفي رسالة عبد المومن (رقم 4) دعوته إلى جزولة للكف عن تأييد المرابطين والإخلاص للدعوة الموحدية وكتبت سنة 537 أو بعدها حسبما يفهم من الرسالة نفسها، مما يدل على عدم ثقة عبد المومن في «توحيدها».

(106) يعلل لوتورنو صمود المدن في وجه الموحدين بما كانت تنعم به من الرخاء في ظل المرابطين وبما كانت تخشاه من زوال هذا الرخاء، ويعلل مقاومة الأندلسيين برفض سيادة البربر عليهم زيادة على صرامة مذهبهم، (حركة الموحدين... ص 63 و65).

(107) انظر مقال عبد الهادي [illegible]ازي في مجلة «المناهل» عدد 19 (دجنبر 1980) عن «القاضي عياض بين العلم والسياسة»، وهو يستنتج من تقلباته أنه قد يكون له طموح سياسي ما، وأن مكانته هي التي منعت عبد المومن من انزال العقاب به. راجع أيضا مقال عبد العزيز بنعبد الله : «سبتة في عصر عياض» بدعوة الحق ماي 1981، عدد خاص بعياض.

بالأندلس، وانتقل إلى المغرب واليهم على سبتة والمناطق التي يمكن أن تحافظ على السيادة المرابطية، وسيظهر عمله أكثر بعد نهاية ثورة الماسي بالجنوب.

ذلك أن تجربة المهدي في ادعاء المهدوية بين قبائل الجنوب أتاحت لمحمد بن عبد الله بن هود السلوي الملقب **بالماسّي**[108] أن يدعي الهداية (سمّى نفسه الهادي) وجمع حوله عددا كبيرا من الأنصار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سهولة تقبّل الناس لفكرة المهدي[109]، ويدل من جهة أخرى على عدم الرضى عن الحكم الموحدي والسعي لتحطيمه قبل تركيزه خصوصاً إذا كان ابن هود يظهر الزهد والتعبد[110] والبساطة في الدين، وليس من المستبعد أن يكون من العلماء رغم أن المصادر المكتوبة في العهد الموحدي أو الناقلة عنها تصفه بالشعوذة وبأنه من العامة من أبناء سلا وأن أباه كان دلالاً[111]، وأن المجتمعين حوله من الأشرار والمغترين والمرتدين والكفرة...[112] ولكن الذي لم تستطع هذه المصادر إنكاره ولو تلميحا هو أهمية هذه الحركة ومدى الاستجابة الكبيرة لها من أطراف بعيدة كسجلماسة، ومن قبائل مصمودية كانت تأخرت في قبول الدعوة الموحدية أو كانت مترددة نحوها، وهذه بعض الأمثلة : فقد ورد في الرسالة الخامسة (م.ح) أنه «استمال النفوس بخزعبلاته، واستهوى القلوب بمهولاته... فأتته المخاطبات من بُعدٍ وكَثَب، ونَسلت إليه الرسل من كل حَدَب، واعتقدته الخواطر أعجبَ عجب...» وفي البيان المغرب (ج 26/3) : «فأقبل الناس المغترون به من كل مكان وقبيلٍ إليه، فاجتمعوا بشقاوتهم عليه اجتماعاً طار له الذكر في الآفاق، وتحدث به الرفاق، وكثروا عنده واستندوا له، فقامت بدعواته جموع لا تحصى... وأتته دعوته الكاذبة الغارة في جميع العدوة حتى لم يبق منها إلا مراكش وفاس، وارتدّ سائر البلاد كلها»[113]، ومثل هذا تقريبا ينقله صاحب الحلل الموشية وأيضا ابن خلدون الذي يذكر أسماء القبائل المؤيدة للماسي وهي : أهل سجلماسة، درعة، قبائل دكالة، رجراجة، قبائل تامسنة، هوارة،

---

(108) لعله هو المسمى عند البيدق بـ : عمر بن الخطاب الملقب ببويكندي ونسبه من سلا (ص 67).

(109) لا ننسى أن منطقة سوس وصلتها دعوة الشيعة فانقسم أهلها بين سنيين مالكيين وشيعة جعفريين، الإدريسي 39 (بيريس)، القرطاس 129.

(110) الرسالة رقم 5 (م ج)، وقد وصف البكري رباط ماسة بأنه «رباط مقصود، له موسم عظيم ومجمع جليل وهو مأوى الصالحين»، عند حديثه عن الطريق بين أغمات والسوس (ص 161).

(111) البيان 26/3، العبر 479/6 وما بعدها.

(112) هل الخيرات المتوفرة بإقليم سوس كما تصفها المصادر الجغرافية، مع قداسة رباط ماسة من قديم، وعدم رضى السكان عن الموحدين هي العوامل الأساسية لانتقال الماسي إلى المنطقة وإظهار طموحه تحت ادعاء اصلاح ما أفسده الآخرون ؟ هناك من يتحدث عن العوامل الدينية والطموح الشخصي وعامل التنافس بين قبائل السهول وقبائل الجبال، انظر المقال المذكور لـ Merad Ali : Annales. p. 122

(113) يقتصر ابن عذاري هنا على ذكر أهل نفيس وهسكورة وسجلماسة وبرغواطة (ص 27) زيادة على سلا، وكذلك دكالة كما في بعض نسخ خ خ.

أهل نفيس، هيلانة، هسكورة[114]، وأضاف ابن عذاري مدينة سلا (ج 21/3)، ويقتصر البيذق في أخبار المهدي (ص 67) على ذكر حاحة ورجراجة وهزميرة وهسكورة الوطا[115] ودكالة وبني ورياغل[116]، إلا أنه يضع بعد ذلك لائحة مفصلة بالقبائل والمدن الثائرة بمناسبة حديثه عن تأديب عبد المومن لها في إطار ما سماه «بالاعتراف» سنة 544[117]، فمن القبائل الثائرة جزولة وقبائل وسط وشمال البلاد. ولكن من الصعب القول بأن جميع هذه القبائل ثارت مع الماسي أو مع المرابطين، فليس من المستبعد أن بعضها كانت تعمل من أجل استقلالها[118].

وهناك مسألة تتعلق بالفترة الزمنية لثورة الماسي وصعوبة التغلب عليها :

فابن أبي زرع (ص 190) يذكر أن الماسي ثار سنة 542 وذلك بعد أن حضر مع عبد المومن فتح مراكش وبايعه، بينما يجعل ابن عذاري الثورة في شوال سنة 541 ــ وهو الشهر الذي فتحت فيه مراكش ــ وتم القضاء عليها في ذي الحجة من نفس السنة (ص 26). غير أن الرسالة الخامسة تشير إلى قدم وجود الماسي لأعوام في رباط ماسة : «ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام...»[119] وليس من المستبعد أن يكون قد بدأ ذلك خلال انشغال المرابطين مع عبد المومن في حملته الطويلة نحو المغرب الأوسط بحيث تكون المدة كافية لنشر دعاية الماسي بين قبائل منها القريبة ومنها البعيدة عن المنطقة[120]، كما أن نهاية الثورة يرجح أن تكون في آخر سنة 542 كما هو موضح عند ابن الأبار في ترجمته لابن عطية قبيل ذكره نص الرسالة حيث يجعل انتصار الموحدين يوم الخميس 16 من ذي الحجة سنة 542[121]، كما أن ابن أبي زرع يذكر وصول وفد اشبيلية سنة 542 وأن أعضاءه انتظروا للاتصال بالخليفة مدة سنة ونصف لانشغاله بالماسي، أي أنه صمد في وجه الموحدين أكثر من سنة بعد فتح مراكش، فقد هزم لهم جيشاً وربما جيوشا سابقة، وهذا ما صرَّح به صاحب

---

(114) العبر 6/(480-483)، والحلل الموشية 146.

(115) هكذا يوضح البيذق كلمة هسكورة المعممة في العبر، ويخص من أهل نفيس قبيلة هزميرة وهي التي سبق أن عاقبها الموحدون، راجع الصفحة 38 في هذا الفصل.

(116) وهي قبيلة يسميها ابن خلدون بنيَ ورياكل من صنهاجة، العبر 427/6، انظر أخبار المهدي 68.

(117) أخبار المهدي (69-72).

(118) وخاصة القبائل العظمى مثل جزولة، وقبائل تامسنا، ودكالة، وربما هسكورة أيضا، أي قبائل كان لها اعتزاز بماضي مجيد وبقوتها البشرية...

(119) الرسالة رقم 5 (م ج).

(120) انظر الهامش 105 بهذا الفصل، ونتساءل هل كانت رسالة عبد المومن (4/ م ج) متزامنة مع بدء حركة الماسي ؟ قارن مع البيذق ص 67.

(121) يورد صاحب القرطاس نفس السنة والشهر (ص 190)، بينما يغفل البيذق ذكر التاريخ (ص 67) وينقل ابن خلدون عن ابن عذاري نفس التاريخ.

الروض المعطار[122]، وهو ما يمكن أيضا أن يستنتج من ذكر شخصيتين وجّهتا إلى حرب الماسي قبل الشيخ أبي حفص الهنتاتي، فابن عذاري يذكر إرسال عسكر إليه بزعامة أبي زكرياء أنكمار، ويضيف ابن خلدون أنه المسوفي النازع إلى عبد المومن من إيالة تاشفين بن علي[123] بينما يذكر البيذق (ص 67) إرسال عبد المومن لابن يكيت[124] (وهو أحد أبناء العشرة من أهل تينملل) بأهل السوس إليه، أي أن هناك حملتين على الأقل نحو الماسي وكلتاهما انهزمتا، مما اضطر عبد المومن إلى حشد قوات ضخمة ومتنوعة تشمل قبائل «الموحدين» وأشياخهم والمرتزقة من الروم وغيرهم ويرأس الجميع الشيخ أبو حفص، ونظرا لأهمية هذه الحملة فقد خرج الخليفة بنفسه إلى ظاهر مراكش لتوديعها. وبلغ عدد المقاتلين اثني عشر ألفاً نصفهم من الفرسان[125]، بينما قدّرت قوات الماسي بستين ألف راجل وسبعمائة فارس[126]. وحتى في حالة اعتبار هذا الرقم مبالغا فيه فإن رسالة أبي حفص تعترف بضراوة المعركة التي استماتت فيها أتباع الماسي للدفاع عنه ولم ينهزموا إلا بعد مقتله[127]. ويبدو أن حسن تنظيم الجيش الموحدي، وقتاله لبعض قبائل العدو منفردة كانا من العوامل المساعدة على انتصاره[128]. وكان لابد من إشعار الخليفة بهذا الانتصار، فبعث الشيخ أبو حفص إليه بالخبر قبل أن يكتشف أبا جعفر بن عطية ليكتب رسالته[129] التي وصل بفضلها إلى مرتبة الكتابة ثم الوزارة لدى عبد المومن[130].

هل التاريخ يعيد نفسه ؟ فقبل سنوات لم يتحرك الموحدون في حملتهم الطويلة إلا بعد أن اطمأنوا إلى طاعة قبائل سوس وخاصة جزولة، والآن أيضا سيشرع الموحدون في تأديب القبائل الثائرة مع الماسي بعد هزيمته ومنها قبائل جزولة، فبعد استراحة الشيخ أبي حفص بمراكش

---

(122) الروض المعطار، ص 522 (ماسة)، ت إحسان عباس.

(123) البيان ص 26، العبر 6/ 480.

(124) هو ابن أبي يحيى أبي بكر ابن يكيت، المقتبس 31، نظم (76–77)، وعنان 270/1 وهو يجعل أبا زكرياء وابن يكيت قائدين لحملة واحدة.

(125) البيان 26/3، وفي الحلل الموشية 146 : «استعد الموحدون للقائه غاية الاستعداد».

(126) الاستقصا 211/2.

(127) هذه الإشارة في جزء من الرسالة الخامسة وردت في الروض المعطار دون المصادر الأخرى. ويبدو أن المعركة دارت غير بعيد من البحر حيث أن النهر الذي جرت المعركة بجانبه متأثر بالمد والجزر (انظر الرسالة). وعن استمرار الفكرة المهدوية برباط ماسة انظر الحسن الوزان : وصف افريقيا 90/1 ط 1980.

(128) مما ورد في الرسالة «وحملت كل قبيلة على من يليها...»، ويتحدث البيذق (67) عن هزيمة قبيلة هزميرة على يد أبي حفص قبل أن يهزم جزولة التي اعتمد عليها الماسي أولا.

(129) ورد في الرسالة «وقد تقدمت بشارتنا به جملة حين لم تعط الحال بشرحه مهلة».

(130) انظر رسائله الأولى في مجموع بروفنصال، وانظر ترجمته (رقم 1) في مقدمة البحث.

«خرج غازيا إلى القائمين بدعوة الماسي بجبال درن فأوقع بأهل نفيس[131] وهيلانة... حتى أذعنوا بالطاعة... ثم خرج إلى هسكورة... وافتتح معاقلهم وحصونهم ثم نهض إلى سجلماسة فاستولى عليها ورجع إلى مراكش ثم خرج... إلى برغواطة...»[132]. وهكذا وبهزيمة جزولة تمكن الموحدون مؤقتا من إعادة نفوذهم على الجنوب، وبقي أمر الوسط الغربي والشمال الغربي.

ففي الشمال الغربي توجد مدن خارجة عن السلطة الموحدية، **فطنجة** لم تخضع بعد[133]، **ومكناسة** أيضا، وكان يشدّد الحصار عليها من حين لآخر[134]، وسلا التي سبق لعبد المومن أن فتحها بعد فاس[135] ثارت على عامله بقيام ثورة الماسي في الجنوب، ونصبت والده في مكان العامل الموحدي، كما أن **سبتة** ـــ التي سبق لها أن بايعت عبد المومن بموافقة القاضي عياض سنة 540 ـــ ثارت على عامله[136] برأي عياض[137] مبايعا لبني غانية من بقايا المرابطين بالأندلس الذين وجهوا الصحراوي ـــ حاكم فاس سابقا ـــ واليا على سبتة وعلى ما يمكن أن يسترجعه من الموحدين.

أما قبائل الوسط الغربي فأهمها مجموعتا برغواطة ودكالة، وإذا كانت هذه (حسب البيذق 63) وحّدت توحيدها الأول عند وصول عبد المومن إلى مدينة أزمور قبل أن تثور أثناء ثورة الجنوب، فإن برغواطة لم تدخل بعد في الطاعة، وإنما غزاها الشيخ أبو حفص أثناء تحرك عبد المومن من سلا نحو مراكش[138] ربما لاشغالها عن عرقلة تحرك جيش الخليفة أو للتعرف على مدى قوتها وفي نفس الوقت لجمع المؤونة للجيش[139]. وهكذا لما انتهى عبد المومن من مشكلة الماسي وقبائل الجنوب وجه الشيخ أبا حفص إلى قتال برغواطة، فانهزم وذهب لحصار

---

(131) يبدو أن المقصود قبيلة هزميرة (البيذق 68).

(132) العبر 6/ (483–484)، انظر أيضا البيان 27/3 والبيذق 67.

(133) البيان 21/3، والبيذق 67.

(134) راجع الهامش 56 (بعد).

(135) حسب ابن عذاري 3/ (20–21) وابن الأثير 300/8 والنويري 409، وأشار صاحب «التعريف بالقاضي عياض» إلى لقائه مع عبد المومن بسلا قبل انصرافه لفتح مراكش (تحقيق الأستاذ محمد بنشريفة) ص 12.

(136) هو يوسف بن مخلوف التينملي، البيان (قسم الموحدين)، ص 32، ط 1985.

(137) القرطاس 191، البيان (قسم الموحدين) ص 32، ط 1985.

(138) البيان 21، ط. تطوان.

(139) يختلف كل من البيذق وابن عذاري حول طريق عبد المومن من مكناسة نحو مراكش هل هو مباشرة أم مرورا بسلا، وإذا حاولنا التوفيق بين الروايتين يمكن ترجيح حركة عبد المومن من سلا إلى تادلى عبر مكناسة، بينما تحرك أبو حفص من سلا نحو قبائل تامسنا ربما لاشغالها ولمعرفة مدى قواتها، ثم يكون اللقاء مع الخليفة بأزمور أو ناحيتها.

مكناسة[140] إلى أن استسلمت سنة 543[141]. ولعل هذه الهزيمة أمام برغواطة هي التي شجعت الصحراوي على الخروج من سبتة بقواته نحوها فأخذ سلا من يد والد الماسي وعاقب أنصاره[142]، ورغبت برغواطة في بقائه معها إلا أنه استقر بين قبائل دكالة فالتفت حوله أيضا رجراجة وحاحة[143]، أي أنه أصبح يهدد مراكش لأن هذه القبائل تحيط بها من الشمال والغرب.

أما رد عبد المومن فهو إرسال فرقة سريعة ضربت خلفية الصحراوي ففتحت سلا ثم طنجة وحاصرت سبتة فعادت إلى النفوذ الموحدي، وساهمت هذه الفرقة أيضا في فتح مكناسة... بينما كان الخليفة يهيّىء لحملة كبرى يجمع عساكرها من مختلف المناطق المؤيدة استعدادا لمواجهة الصحراوي في دكالة بعد عودة الفرقة الموحدية المذكورة من الشمال. وهكذا اصطدم عبد المومن مع دكالة فانهزمت[144] وفر الصحراوي إلى الصحراء، ودخلت برغواطة في الطاعة خصوصا بعد أن قضى الموحدون على ثائر آخر بأرض تامسنا هو بومزكيدة، كل هذا سنة 543 أو سنة 544[145].

وبهذا يكون الموحدون قد تغلبوا على الثورات التي واجهتهم بعد فتح مراكش وأصبحت تهددهم بزوال ملكهم الفتي، فعمل عبد المومن على تأديب القبائل والمدن الثائرة بتهييء لوائح تشمل أعداد المحكوم عليهم بالإعدام من هذه المجموعات، وقد أورد البيذق تفاصيل ذلك، حيث شمل الإعدام مدنا وقبائل من جهات مختلفة[146]، وهذا ما يذكر بعملية التمييز الدموية

---

(140) البيذق 67، البيان 27/3 (طبعة تطوان)، العبر 484/6.

(141) ساعده في حصارها القائد يصلاسن بعد حملته العسكرية إلى أقصى الشمال «فوحّد» واليها المرابطي «آك لكوط» (البيذق 68)، ولعله هو نفسه يدر بن ولكوط الذي هزم أول فرقة موحدية كان عبد المومن بعثها من خارج فاس إلى مكناسة (البيذق 62، البيان 19/3)، راجع أيضا عن فتح مكناسة الروض المتون (9–10)، القرطاس 191، النويري 409.

(142) وجده الصحراوي «على غير الاستقامة معهم فأخذه وضرب عنقه.... وفيّاً فنزارة الذين أطاعوا الخياط» (والد الماسي)، البيذق 67. ويجعل الوزان فنزارة على بعد 10 أميال من سلا (ص 165).

(143) البيذق 68.

(144) انظر وصف هزيمة دكالة في الحلل الموشية 147 مع ضرورة الانتباه إلى ما ورد في النسختين المطبوعتين، ففي تحقيق زكار وردت فيها الجملة «وكان أهل دكالة لا رأي عندهم»، وفي تحقيق علوش (121) : «...لا رامي عندهم»، انظر أيضا النويري 412.

(145) البيذق (68–69) و83، القرطاس (191–192)، الحلل الموشية 147، كذلك البيان حيث يجعل، حملة عبد المومن على دكالة وبرغواطة، سنة 542 لأنه يجعل القضاء على الماسي سنة 541 (البيان ــ قسم الموحدين ــ ص 31، 37، ط 1985).

(146) أخبار المهدي (70–72)، ويلاحظ فيه عدم ذكر أية قبيلة من القبائل السابقة إلى الدعوة الموحدية، كما يلاحظ فيه ارتفاع قتلى قبائل جزولة جنوبا وكذلك قبائل الأطلس المتوسط من زناتة، وصنهاجة، =

التي قام بها البشير في عهد المهدي وغيرها من العمليات التي تطبع العهد الموحدي الأول بالخصوص بطابع دموي، فهل أعطت هذه السياسة ثمارها ؟

سنرى ذلك بعد أن نتساءل عن **طبيعة الثورات السابقة وأسباب فشلها**، فنلاحظ أولا نوعية العلاقات بين الأطراف الثائرة، فهناك القاضي **عياض** وبقايا المرابطين بالأندلس، هل عياض كان مخلصا لهؤلاء ؟، فلماذا بايع إذن لعبد المومن سنة 540 ثم نقض البيعة إلى المرابطين ثم عاد إلى بيعة عبد المومن رغم أن القوات الموحدية لم تقتحم مدينته سبتة ؟ هل كان له طموح سياسي شخصي ؟ ومع هذا فإن عبد المومن لم يعامله كما عامل غيره من الثوار ظاهريا على الأقل[147]ولعل هذا راجع لمكانته بين الناس بل إن سبتة لم تشملها لائحة الإعدامات المذكورة من قبل، فهل تردُّده بين الاحتفاظ بمكانته العلمية وبين المغامرة السياسية هو الذي أفشل طموحه ؟[148] أم أن ولاء غرب الأندلس للموحدين هو الذي حال دون ذلك ؟ وهل كانت **للماسي** علاقة بالمرابطين ؟ لا يبدو ذلك، والدّليل هو اتخاذه لقب الهادي مثلما اتخذ ابن تومرت لقب المهدي كما سيفعل آخرون في غمارة وسوس[149]، ودليل آخر هو أن الصحراوي قائد المرابطين استولى على سلا من يد والد الماسي لأنه «وجده على غير الاستقامة معهم»[150]، أي أنه يؤيد سياسة ابنه، فالماسي كان له فيما يبدو طموحه الخاص دون ارتباط بالمرابطين، فهل يناقض هذا الاستنتاج موقف القبائل التي كانت ثائرة وراء الماسي ثم أصبحت مع الصحراوي مثل قبائل تامسنا وما جنوبها ؟

من الصعب وضع مختلف القبائل في إطار واحد بالنسبة للزعامات التي اتبعتها **ولدوافع** ثورتها ضد الموحدين : فبالنسبة للنقطة الأولى، يصعب القول بتبعية كل القبائل والمدن الثائرة للماسي أو الصحراوي، وبالنسبة للنقطة الثانية هناك عوامل ترجع للموحدين أنفسهم وعوامل ترجع للثائرين :

فالمذهب الموحدي يتميز بالتعقيد على عكس المذهب المالكي ــ مذهب المرابطين ــ الذي

= وكانت المعارك قد حصدت الكثير من أبناء برغواطة ودكالة، فهل هذه سياسة تدخل في نطاق اضعاف العصبيات غير المصمودية، وان نفس السياسة ستؤدي إلى توطين القبائل العربية قرب هذه القبائل (منطقة تامسنا وتادلا).

(147) هناك من يشك في أن يكون عبد المومن سمّ القاضي عياض كما أن هناك من يركز على إخلاص عياض للمذهب المالكي، راجع «التعريف بالقاضي عياض» ص 13 ومقال الادغيري بمجلة «الاعتصام» مارس 1982 ص 77 وما بعدها.

(148) انظر مقالا للأستاذ عبد الهادي التازي بمجلة «المناهل» ع 19 ص 472 وما بعدها.

(149) سيأتي بيان ذلك في فصول لاحقة.

(150) انظر التعليق 142 آنفا، ويذكر أيضا الناصري أن عياضا لم يأخذ بدعوة الماسي لأنه ثائر بدوره على السلطة الشرعية الأصلية، الاستقصا 115/2.

كان المذهب الشعبي، وهنا نتساءل ألم يكن هناك ــ على غرار ما حدث بمدن الأندلس وسبتة ــ دور للفقهاء المالكيين لإذكاء الثورة بين أهل المدن والقبائل ؟ ليس هذا مستبعداً.

كما تميز الموحدون **بالسياسة الدموية** منذ بداية الدعوة، وهذا قد يدل من بعض الجوانب على صعوبة تقبل فكرة المهدي عند البعض، وإن أمكن قبول عصمة المهدي فهي عصمة لا يرثها عبد المومن... أي أنه حدث نوع من انعدام أو نقص الثقة بين «القبائل الموحدية» السابقة إلى الدعوة وبين غيرها. كما أن أغلبية القبائل الجنوبية التي ترددت أو امتنعت عن قبول الدعوة الموحدية هي قبائل السهول القريبة من الجبال أو قبائل المنحدرات الهامشية للأطلس الكبير الغربي ومنحدرات الأطلس الصغير، بينما بقية المصامدة السابقين إلى الدعوة هم جبليون، وربما كان اندفاعهم وراء الحركة الموحدية يهدف إلى التوسع على حساب المجموعة الأولى لضمان الاستفادة من التكامل المعيشي بين الجبل والسهل[151]. ومن الملاحظ أيضا أن عددا من قبائل المجموعة الأولى كانت تقع على الممرات التجارية الرئيسية التي يسعى الموحدون لمراقبتها وذلك بين جنوب الأطلس الكبير وشماله كمجموعة هسكورة الواقعة على الطريق التجاري بين مراكش من جهة ودرعة وسجلماسة من جهة أخرى وأيضا بين مراكش وأغمات من جهة وفاس من جهة ثانية. ومثل قبيلتي هزميرة الجبل ووزكيتة (آيت واوزكيت) المنسوبتين إلى قبائل أهل تينملل[152] اللتين كانتا تستفيدان من استقرارهما حول وادي نفيس فلاحيا وتجاريا (ممر بين مراكش وتارودانت)، وقبيلة منانة الجبل من حاحة على الطريق الغربي بين الحوز وسهل سوس، وكذلك جزولة في الأطلس الصغير حيث تراقب بعض الممرات التجارية نحو الصحراء... فهذه القبائل كانت علاقتها مع الموحدين منذ الأوائل متوتّرة : فهزميرة الجبل (هزميرة تينملل) قتل المهدي عددا من أبنائها ووزع أملاكهم على الموحدين[153]، وتعرضت آيت واوزكيت[154] لضغوط مختلفة للتخلي عن أرضها بوادي

---

(151) انظر أحمد التوفيق في رسالته عن اينولتان «مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19» ج 1 ص 80 وما بعدها، ومقال الأستاذ محمد زنيبر في المناهل ع 24 ص (136–137)، و«لوتورنو» في الصفحة 65.

(152) انظر الهامش 102 في هذا الفصل والبيذق 43 ونظم (91–93) والبيان 69/4، ط. بيروت، غير أن البيذق (64) يذكر مرة أخرى آيت ووزكيت كفخذ من هنتاتة، ويبدو أن الموحدين أبعدوا قسماً مهما من قبائل وادي نفيس ووزعوها على القبائل الموحدية الكبرى كهنتاتة ولعل هذا ما يفسر وجود بعض القبائل في أكثر من منطقة، انظر الحسن الوزان (1/ ص 138) عن أحد أشكال الطرد الموحدي لبعض القبائل من أرضها، انظر أيضا الهامش 178 بعد قليل.

(153) انظر الصفحة 26 من هذا الفصل.

(154) بنو ووزكيت ارتدوا في عهد المهدي عن مذهبه وسلطته فعاقبهم، وثاروا على عبد المومن بعد سنة 548 (البيذق 77) وستتجدد ثورتهم في عهد الخليفة يوسف بجبل سيروان محاولين السيطرة على معدن جبل زكندر (البيذق 90).

نفيس...[155] فكل قبيلة فرض عليها الموحدون سيادتهم عنوة تعتبر فيئا لهم، وهذا ما وقع أيضا لمكناسة الزيتون حيث فتحت عنوة وخُمِّست أملاكها[156]، فمعظم القبائل والمدن عوملت على هذا الأساس...[157]. هذا إلى جانب ما يتمتع به «الموحدون» من امتيازات عامة على غيرهم، فالطبقية موجودة في تنظيمهم لتمييزهم فيما بينهم وتمييزهم عن غيرهم : فهناك الموحدون وهناك الرعية[158].

وبالنسبة **للقبائل** يمكن التساؤل حول نوعية علاقاتها مع الحكم السابق كوجود علاقات عرقية (مع جزولة ولمطة مثلا)، أو اشتغال بعضها كجابية للضريبة أو في الجندية أو إحساس القبائل المهامشة لجبال «الموحدين» بخطورة تحرك القبائل الجبلية على حساب أرضها مستندة إلى دعم الحكم الجديد، وربما أيضا تفضيل بعض القبائل لحكم مرابطي ضعيف المركزية تحقّق معه قدراً مهمّاً من استقلالها الذاتي معنويا وماديا خصوصا بالنسبة للقبائل الكبرى، وبالتالي هي ترفض أية سلطة مركزية قوية على القبيلة كمركزية الموحدين، ومثل هذه القبائل جزولة وهسكورة ودكالة وخاصة برغواطة : فجزولة تعددت ثوراتها ولو وراء زعامات غير محلية (الماسي، القحطاني...) وكذلك برغواطة نلاحظ أنها مع الماسي[160] ثم مع الصحراوي على شرط «أن يقعد معهم»[161] فلما انصرف إلى دكالة بايع برغواطة أو بعضهم شخصا آخر هو بومزكيدة[162]...

ويمكن استنتاج أن فشل هذه الثورات أساسا راجع إلى تكتّل «القبائل الموحدية» وانضباطها، مقابل انقسام أعدائها لاختلاف أهدافهم وغلبة الروح القبلية لديهم فلم يقع تنظيم الثورة بإحكام، وتمكن الموحدون من القضاء عليها ولو مؤقتا[163]، وتبع ذلك أو رافقه حملة تأديبية

---

(155) راجع الهامش 152 قبل.

(156) القرطاس 190، الروض الهتون (9-10)، ووقع ما يشبه هذا عند فتح مدينة تونس (التجاني 344...)، وسيفرض عبد المومن الخراج على بلاد المغرب على أساس أنها فتحت عنوة (القرطاس 198-199).

(157) هذا بالإضافة إلى سوء استغلال المناصب ولو في مطلع عهد الدولة كما يفهم من الرسالة رقم 6 (م ج)، انظر البيان ص 37-38، ط 1985.

(158) المعجب 339-341، لوتورنو ص 56 و(124-125).

(159) مثلا كانت ضمن جيش الملثمين حشود حاحة في أكثر من مناسبة (نظم الجمان 90).

(160) البيان 27/3.

(161) البيذق 68.

(162) البيذق 69 و83، والقرطاس (191-192) قارن مع «النشاط الاقتصادي (135-136) و(169-170).

(163) يحاول الموحدون التغلب على ذلك بجلب العرب كعنصر موازن للقبائل المغربية وجلب عناصر من كومية للموازنة مع العرب.

زادت من تعميق الهوة بين الموحدين والقبائل خاصة الجنوبية منها بحيث ستتحرك عن قريب عندما تتاح لها الفرصة[164].

ج ـ ثورة قبائل الجنوب عامة وهسكورة خاصة حوالي سنة 550 : (انطلاقا من الرسالة 8 م ج)

كان ذلك في الفترة الفاصلة بين الحملة الموحدية إلى المغرب الأوسط وبين الحملة إلى إفريقية التي انتهت بفتح المهدية، إذ يبدو أن الحملة الأولى التي انتهت بفتح مملكة بني حماد والانتصار على قبائل العرب بسطيف ساعدت على إحداث ـ أو زيادة ـ الخلل في العلاقات بين عبد المومن وبعض قبائل المصامدة[165]، فهو بدلا من أن يعاقب العرب أكرمهم وأخذ يقرّبهم[166]، فشعرت هذه القبائل بأن عبد المومن يسعى لتخفيف ضغطها ومراقبة أشياخها عليه من أجل الاستبداد بسلطته. ويذكر ابن عذاري قدوم وفد إشبيلية إلى مراكش سنة 547 واقتراح أحد أعضائه تقديم الأمير محمد بن الخليفة وليا للعهد[167]. وهكذا أخذت ملامح الامتعاض تظهر بين «الموحدين»[168]، وهذا ما ذكره البيذق ضمن أحداث سنة 548[169] وأشارت إليه الرسالة الحادية عشرة من مجموع بروفنصال، فثارت هرغة وأهل تينملل، فنفى عبد المومن أخوي المهدي إلى فاس بتهمة اشتراكهما في الحركة المضادة له[170]، وبعد هذا قام عبد المومن بتعيين ابنه محمد وليا للعهد معتمدا على دعم القبائل العربية التي حضرت

---

(164) يذكر ابن الأثير استمرار سنوات الشدة والغلاء «بالمغرب» فيما بين سنة 537 وسنة 543 وخاصة التي قبلها، فهل هي حالة مرتبطة بالظروف المناخية بالمغرب ككل ؟ أو هي حالة خاصة بافريقية وبالخصوص عندما يجعلها ابن الأثير من أسباب سقوط المهدية بيد النورماند ؟ أو هي حالة ناتجة عن الأحداث العسكرية منذ حملة عبد المومن الكبرى ضد المرابطين وما تبعها من ثورات بعد فتح مراكش ؟

(165) أخذ الصراع يتطور بين عبد المومن وعائلة المهدي منذ قتله يصلاسن (من قرابة المهدي) بعد العودة من الحملة إلى بجاية سنة 546، البيذق 75، وانظر ابن خلدون 580/6 (ويجعل سبب قتله رفضه اسناد ولاية العهد لمحمد بن عبد المومن).

(166) البيذق 76، الكامل 41/9 (أي عكس ما فعله مع قبائل المغرب).

(167) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 48، ط 1985.

(168) أي الامتعاض من التدخل الخارجي في دعم سياسة عبد المومن : اقتراح من الأندلس بالتحول إلى الملك الوراثي، وكذلك القوة العملية التي يمكن الاعتماد عليها لتطبيق ذلك هي خارجة عن إرادة قبائل المغرب الأقصى أي القبائل العربية.

(169) البيذق ص 76.

(170) فهل يكون عبد المومن يهدد الثائرين بواسطة العرب الذين وصلوا إلى مراكش قبل أن يرافق هؤلاء إلى سلا حيث ستتم البيعة لمحمد ؟

وفود منها معه بسلا بعد مرافقتها للخليفة من مراكش[171]، وكثر تردده على سلا في هذه الفترة بين 548 و553 ولعله كان يعتزم بناء رباط الفتح[172] ويهدد المصامدة باتخاذها عاصمة جديدة بعيدا عن أرضهم، وليس من المستبعد أن يكون قد تم في نفس الفترة (بين 548 و550) توزيع الولايات بين أبناء عبد المومن مادامت وفود القبائل لم تعد بعد إلى مواطنها بالمغرب الأوسط وحتى يمكن استعمالها للضغط عند الحاجة[173].

هذا الاتجاه الجديد في سياسة عبد المومن نحو الوراثة في السلطة ساعد على انفجار الوضع من جديد لدى القبائل الموحدية وعلى رأسها أخوا المهدي اللذان فرّا من فاس إلى مراكش (والخليفة بسلا) لإحداث الانقلاب هناك. غير أنه فشل، وقتل معهما عدد من المتورطين بمراكش[174]، وربما كان هذا الوضع من أهم العوامل التي دفعت عبد المومن لإعادة التنظيم الاجتماعي للقبائل الموحدية، وهو تنظيم يدمج ضمنها قبيلة كومية ويوسع دائرة الطبقة الأولى بشكل يخفف من ضغط من بقي من جماعة العشرة وأهل الخمسين[175]، وسيستمر جو التوتر إلى حين جولة عبد المومن بين قبائل الجنوب الغربي فيما بين شعبان وشوال سنة 552[176].

---

(171) ادعى عبد المومن أن التعيين تم باقتراح قبائل العرب ورضي به الشيخ أبو حفص المرشح سابقا للخلافة بعد عبد المومن، الرسالة 11 (م ر م)، والبيان 48–49 (ط 1985) البيذق 78، ابن الأثير (ضمن أحداث 551).

(172) البيذق (78–79)، أما قصبة الرباط فترجع لعهد سابق، وكان عبد المومن أمر بالبناء في الرباط عند حركته نحو بجاية : البيذق 73، المن 548 (وسيحاول المنصور اتخاذ الرباط عاصمة له : بسط الأرض لابن سعيد 72).

(173) إن الرسالة 13 (م ر م) حول تعيين محمد وليا للعهد يرجح بروفنصال في دراسته لها (هيسبريس 1941) أنها كتبت سنة 551 استنادا إلى ابن الأثير وإلى الرسالة 14 (م ر م) المؤرخة بربيع الأول 551 عن توزيع الولايات بين أبناء عبد المومن. غير أن هذه الرسالة الأخيرة لا تؤكد وقوع هذين الحدثين سنة 551 وإنما هي تذكر بما حدث، اما روايات البيذق (77) والبيان (خ ح)، والقرطاس (194) فكلها تقدم ذلك إلى سنة 548 أو 549 فيكون هذا العمل مبررا لتحرك أخوي المهدي وانصارهما في الجنوب والمحاولة الانقلابية بمراكش، بينما يحدث في سنة 550 زيارة عبد المومن إلى تينملل وأمره بإصلاح المساجد في البلاد... أي إحداث ما يصرف الناس عن المشاكل السياسية خاصة مسألة وراثة الحكم.

(174) البيذق 78، والبيان المغرب (قسم الموحدين) ص 50–52، ط 1985. وستظهر محاولة لقتل عبد المومن من طرف عائلة المهدي سنة 555 (المعجب 233–234، القرطاس 199).

(175) الرسالة 12 (م ر م).

(176) الرسالة 17 (م ر م)، وعندئذ يطمئن على الوضعية الداخلية ويتهيأ للحركة إلى افريقية (بين 553 و555).

هذا الانشقاق وسط المجموعة الموحدية جعل قبائل أخرى في الجنوب تجدد ثورتها[177] : فإلى جانب ثورة بعض القبائل المصمودية ثارت جزولة ولمطة والكسْت[178]، وظهر من جديد يحيى الصحراوي المرابطي في المنطقة حيث التفّت حوله هذه القبائل[179]، وإلى جانب القيادة العامة للصحراوي كان يقود القبائل زعماؤها الخاصون كزعيم لمطة[180] الذي قتل في المعركة أمام الشيخ أبي حفص قائد الحملة الموحدية الكبرى ضد الثائرين. ويبدو أن عدم الاستقرار في هذه المنطقة استمر إلى سنة 552 حيث مات الثائر أبو بكر بن عمر[181] الذي كان بجزولة، وقدم الصحراوي ومعه بنو يبغز[182] وأشياخ كزولة إلى الخليفة بسلا تائبين فعفا عنهم[183]. غير أن البيذق أهمل اشتراك هسكورة وصنهاجة في هذا التمرد، وهذا ما تفيدنا عنه — ولو بإشارة خفيفة — الرسالة السابعة عشرة من مجموع بروفنصال من مراكش بتاريخ ثامن شوال سنة 552 حول جولة الخليفة ببلاد السوس والمصامدة، واتصال قبائل المنطقة به معلنة عن توبتها وقبولها «العهد»[184]، ومن هذه القبائل جزولة ولكست وصنهاجة وهسكورة.

وهسكورة هذه لم تكن ذات علاقات خالصة الود مع المهدي وعبد المومن، وقد اختلف في نسبها : فهناك من يجعلها من المصامدة ربما على أساس الجوار، ومنهم من يربطها مع صنهاجة برباط الأخوة...[185] ومن ناحية الموقع كانت القبيلة أو الاتحاد القبلي لهسكورة تستوطن

---

(177) البيذق يجعل ذلك بعد سنة 548.

(178) من الثائرين أيضا آيت واوزكيت بجبل سيروان فعمل قائد الحملة الموحدية الشيخ أبو حفص على توزيعهم بين أهل تينملل وهنتاتة (البيذق 77)، انظر عن مثل هذا الأسلوب الهامش 152.

(179) انظر البيذق ص 77 و79 و85.

(180) يسميه البيذق تارة محمد امركال (ص 77) وتارة أهوكار سلطان لمتونة (نفس الصفحة)، وتارة أخرى محمد أهوكار القائم بلمطة (ص 84)، ويبدو أن قبائل «للكست» كانت تقطن الأطلس الصغير ومنها جزولة لكست.

(181) يضطرب البيذق بشأن الثائر بجزولة أبي بكر بن عمر، فيقول مرة قتله الحافظان واليا جزولة (ص 77) ومرة «مات الثائر الذي بجزولة المسمى بأبي بكر بن عمر...» (ص 79) وثالثة يقول : «أبو بكر بن عمر القائم بجزولة خرج إليه أبو حفص ومات الشقي موته فوحدت جزولة...» (ص 84).

(182) هم فخذ من هنتاتة (المقتبس 44)، هل هم كذلك عرقيا أم مضافون إليهم نتيجة لسياسة تهجير بعض القبائل عن مواطنها تأديبا لها ؟

(183) البيذق 79.

(184) لعل المقصود قبول ولاية العهد لمحمد، الشيء الذي كان سببا في التنافر بين المصامدة وعبد المومن.

(185) راجع الهامش (79) في هذا الفصل (ص 24)، وأحمد التوفيق حول اختلاف أنماط العيش بين هسكورة الظل وهسكورة القبلة وأثره في موقف كل منهما من الدعوة الموحدية (المجتمع المغربي في القرن 19، ج 1، ص 71 وما بعدها).

ـ في الفترة الموحدية ـ المنطقة ما بين صنهاجة شرقا ومصمودة غربا وما بين تادلى شمالا ووادي درعة جنوبا[186]. وتقسم جغرافيا إلى مجموعتين : هسكورة الظل أو هسكورة الوطاء شمالا، وهسكورة القبلة أو هسكورة الجبل جنوبا[187]، وتتكون هذه من سبعة أفخاذ منهم آيت واورت المعروفون **بأهل توندونت** نسبة إلى موقعهم الجغرافي[188]. وذكر ابن خلدون أن بعض الهساكرة دخلوا في الدعوة المهدوية قبل فتح مراكش و لم يستكملوا الدخول فيها إلا بعده، ولذا لا يعتبرون من «السابقين»[189]، ولا توجد هسكورة ضمن الطبقات الموحدية إلا جزئيا[190] والسابقون إلى الدعوة هم أهل توندوت وذلك منذ سنة 517[191]. فالذين دخلوا الدعوة من هسكورة وأصبحوا من أهل الخمسين هم أربعة أشخاص حسب المقتبس (ص 35) أو ثلاثة حسب نظم الجمان (ص 31) منهم في المصدرين معا : أبو عبد الله بن أبي بكر ابن توندوت. وعندما اندلعت الثورات بعد فتح مراكش اشتركت فيها هسكورة[192] وشملتها الحملة التأديبية بإعدام 2500 شخص منها، وأشرف أبو عبد الله المذكور على قتل ألف شخص من أهل توندوت[193]، ولما حدث الاضطراب داخل القبائل الموحدية وثارت قبائل الجنوب مرة أخرى حوالي سنة 550، اشتركت فيها هسكورة كما يتضح من الرسالة رقم 17 (م ر م) ورسالة العتاب المدروسة هنا[194]، هذه الرسالة الأخيرة تسمي المرسل إليه أبا بكر بن توندوت وتجعله من أبناء أهل الجماعة، والمفهوم أنه هو الذي تزعّم ثورة هسكورة. لكننا لا نجد في المصادر المعروفة ـ حسب علمنا ـ هذا الاسم ضمن

---

(186) يذكرها صاحب الذيل في نفس المنطقة (س 6/ ص 288 وما بعدها) بحيث تمتد شرق مراكش في المجال المذكور، ويجعل الحسن الوزان الحدود الشمالية لهسكورة هي واد العبيد (وصف افريقيا 129/1).

(187) انظر الهامش (185) قبله.

(188) العبر 419/6، نظم الجمان 84، المعجب 339–341، المقتبس 52، مفاخر البربر ج/1، الورقتان 8–9 (خ ع/1020،د).

(189) العبر 419/6، بل يبدو أن هسكورة دخلت في الدعوة قبل فتح مراكش (البيذق 60 و63 و64 البيان 24/3) أما كونها من غير السابقين فالراجح أنه بسبب تأخر هذا الدخول نسبيا وبسبب ارتداد هذه القبيلة أو بعض بطونها خاصة هسكورة الشمال التي ظلت مع المرابطين إلى حوالي 530 أو بعدها، أما ملاحظة ابن خلدون فتفسر بثورة هسكورة بعد الفتح مرتين على الأقل، ثم خضعت بعد ذلك. انظر أيضا الهامش 191 بعد قليل.

(190) نظم 28، الحلل 109، المعجب 340.

(191) البيذق 94، ثم في سنة 529 انضمت هسكورة الجبل إلى الموحدين (نظم 196) وهناك قبائل من هسكورة لم تخضع أو ارتدت، (نظم 196).

(192) انظر الصفحة 30 من هذا الفصل وما بعدها.

(193) البيذق 72.

(194) الرسالة رقم 8 (م ج).

الجماعة أصحاب المهدي التي تسمى بالعشرة أحيانا(195)، وإنما نجد اسم ابن توندوت مع «الخمسين» وهو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المذكور سابقا(196)، هذا الثائر الهسكوري يبدو أنه هو الذي تشير إليه الرسالة رقم 15 (م ر م) المؤرخة بجمادى الثانية سنة 551 فهي لا تذكر اسمه، ولكن تجعل «إلى جانب الموحدين انتسابه، وعليه لا عليهم سعيه واكتسابه»، كما تلمّح إلى تخلي أنصاره عنه، فاستحضر الخليفة شيوخ الموحدين وأعيانهم وطلبتهم وعُمّالهم في «محفل عظيم أبدوا فيه الخجل مما حدث». وفي الرسالة رقم 17 (م ر م) المؤرخة بشوال 552 يدور الحديث عن حركة عبد المومن بين شعبان وشوال عبر قبائل جنوب مراكش مع زيارة ايكليز وتينملل للتبرك بآثار المهدي، وأثناء ذلك استقبلته وفود القبائل معلنة توبتها عما حدث منها وهي على الخصوص كزولة والكست وصنهاجة وهسكورة، وكأنّ هسكورة بعملها هذا تكون قد تبرأت من ابن توندوت كما تذكر الرسالة (8 م ج)، وإذا صح هذا يمكن تحديد الإطار التاريخي للرسالة بين أواخر سنة 552 ــ أو على الأبعد سنة 551 ــ(197) وأوائل سنة 553 قبل أن يتحرك الخليفة من مراكش نحو سلا ثم افريقية أي بعد أن يطمئن على الوضع بالمغرب الأقصى، ومما يدعم هذا الاستنتاج أن المصادر لا تحدثنا بعد هذا عن ثورة لهسكورة تعاونت فيها مع «أهل اللثام» على الأقل قبل سنة 621(198) (وهو تاريخ بداية الفتنة بين الموحدين سادة وأشياخ). أما أثناء ثورتها حوالي سنة 542 فإن الزعامة في أهل توندوت كانت للشيخ أبي عبد الله بن أبي بكر المذكور وليس لأحد «من أبناء أهل الجماعة» وهو أبو بكر كما يفهم من رسالة العتاب (رقم 8 م ج)، فوالد الثائر أبي بكر كان ناصحا للدولة الموحدية(199)، وكذلك الابن قبل ثورته(200).

هذه الفترة التي كتبت فيها الرسالة (8 م ج) ــ افتراضا ــ تمثل نهاية الكاتبين الأخوين أبي جعفر وأبي عقيل ابني عطية(201)، فهل كانت الرسالة المذكورة إخوانية تحمل طابع النصيحة فقط ؟ أم أنها كانت إيحاءا من الخليفة إلى أحد الكتاب وهو «ابن عبد الحميد»(202)

---

(195) «العشرة هم المهاجرون الأول الذين أسرعوا إلى إجابته وهم المسمون بالجماعة» المعجب 188.

(196) المقتبس 35، نظم 31 ويسميه (ابن يندوس).

(197) وهو تاريخ الرسالة 15 (م ر م).

(198) الثورة التي تشير إليها الرسالة 8 (م ج) لا يرجح حدوثها قبل فتح مراكش، وإلا لماذا يلجأ ابن توندوت إلى الصحراء بدلا من مراكش المرابطية، وبعد سنة 553 لم تذكر المصادر ثورة بهسكورة إلى سنة 621، وإذا كان بنو غانية بافريقيا من «أهل اللثام» فلا علاقة لهم بهسكورة نظرا للبعد الجغرافي.

(199) تكرر الرسالة رقم (8) ذكر أعماله وأنه كان من أهل الزعامة في قومه.

(200) تركز الرسالة (8) على مكانته المرموقة قبل ثورته.

(201) اعتقلا أواخر 552 ثم قتلا في صفر 553 (البيان 35).

(202) انظر الترجمة رقم 4 في مقدمة البحث.

ـ وهذا هو المرجح ـ فتتخذ بذلك صفة رسمية أو شبه رسمية لمحاولة إبعاد ابن توندوت عن التعاون مع الصحراوي وأنصاره قبل استسلامهم للموحدين[203] ؟

وأخيرا إذا كان الموحدون قد تخلصوا من ثورات القبائل الجنوبية في مطلع 553 ليتفرغوا لافريقية والأندلس، فليس معنى هذا أن الرضى والقبول صدرا عن هذه القبائل، فهي قد قبلت الأمر الواقع مؤقتا وستتحرك مرات أخرى سواء في الأطلس المتوسط (أي فازاز وصنهاجة)[204] أو في الريف من طرف غمارة[205]، أو في سوس خاصة كزولة[206]، وفي كثير من الأحيان وراء المدّعين للتنبؤ أو الهداية، أي نفس تجربة المهدي، ولعل هذا يمثل الرفض لأسلوب حكم الموحدين وعقيدتهم الغامضة، هذا زيادة على المشاكل التي سيواجهونها في افريقية والأندلس. والنتيجة النهائية التي يمكن الخروج بها من دراسة الرسالتين 5 و8 (م ج) هي أن ثورة الماسي تناولتها المصادر بشكل مقتضب ومشوه فيما يبدو، فثورته هو وابن توندوت مظهر من مظاهر رفض السلطة الموحدية مهما كانت الأشكال التي اتخذها هذا الرفض.

د ـ جوانب من السياسة الداخلية للخلفاء الموحدين الأوائل :

هذه النقطة لن أشير فيها إلى جوانب متعددة، وإنما سأقتصر على ذكر مسألتين : الأولى تتعلق بسياسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثانية حول موضوع الخلافة.

1 ـ بالنسبة لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لما كانت الحركة الموحدية أصلا حركة إصلاحية تسعى لإسقاط الحكم المرابطي «المنحرف» عن الإسلام الحقيقي والمنغمس في المظالم والمناكر في رأي الموحدين[207]، فإن مسألة الدعوة إلى الارتباط بالقرآن والسنة ومحاربة المناكر ستظل الركيزة المذهبية التي يستند إليها الحكم الموحدي، بحيث نلاحظ أن المهدي والخلفاء من بعده يوجّهون رسائل بهذا المعنى إلى الولايات خاصة في أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية[208] :

---

(203) لا نعلم شيئا عن مصير ابن توندوت إلا إذا كان هو أبا بكر بن عمر الثائر بكزولة (الهامش 181) انظر أيضا الترجمة رقم 4 المذكورة. ومن جهة أخرى فالذي يرجح أن الرسالة بإيعاز من الخليفة إلحاحها على التوبة والتهديد بالقوة، وأيضا ضمان العفو.

(204) البيذق (84-85).

(205) انظر خصوصيات الرسالتين عن ثورة غمارة ص 15-16 وما سياتي في الفصلين الثالث والرابع.

(206) سنرى ذلك في الفصل [illegible]ابع خلال عهدي الناصر والمستنصر.

(207) لاحظ اتهامات المهدي في ر[illegible]سائله مثل الرسالة رقم 2 (م ج).

(208) انظر الدعوة إلى الكتاب وا[illegible]سنة ضمن الوصايا للمقدمين على الجهات خاصة القضاة (في الملحق الأول بنصوص الرسائل).

وهكذا نجد رسائل المهدي تركز على الجهاد ضد المرابطين، وتحثّ أتباعه على اتباع القرآن والسنة، وهذا يفرض تعلّم التوحيد الصحيح والعبادات وعلى رأسها الصلاة وتجنّب المحارم...[209] ونجد الخليفة عبد المومن أيضا ــ وهو يواجه ثورات الجنوب ويقوم بحملة جبلية سنة 543 لتأكيد فرض طاعته على القبائل التي كانت ثارت مع الماسي[210] ــ يوجه من المدينة «المقدسة» تينملل رسالته الحاملة لمجموعة من الأوامر منها ما يهمّ السلطة مباشرة لتقوية مركزها كتنظيم البريد الرسمي والأمر بعدم تنفيذ أحكام الإعدام قبل مراجعة الخليفة... ومنها ما يهم مباشرة مصالح الرعية كإلغاء المكوس من الأسواق ــ وكانت شائعة حتى بمراكش نفسها ــ[211] ومنع الخمور، والعدل بين الناس على السواء وبدون تمييز بين من «وحّد» قديما أو حديثا...[212] بحيث كان عبد المومن يظهر أو يريد أن يظهر بمظهر الخليفة المصلح الملتزم بأوامر المهدي وبتطبيق ما نادى به، ولعل من شأن هذا أن يكسبه محبة من الرعية، فتشعر مع الحكم الجديد بما هو جديد لمصلحتها، وفي هذا أيضا إغراء للجهات التي كانت لاتزال ثائرة على الموحدين أو لم تخضع بعد لنفوذهم. وبعد إحداث عبد المومن لولاية العهد لولده محمد وتوزيع الولايات على أبنائه وإنهاء ما صاحب ذلك من معارضة بين المصامدة، جدّد في رسالة مؤرخة بسنة 553 أمره بالتريّث في الأحكام والتشاور فيها وبأخذ رأي الخليفة[213]. وفي سنة 556 كانت أقاليم جديدة ضمّت إلى الدولة الموحدية كإفريقية ــ وكان مقر واليها الموحدي آنذاك هو بجاية ــ فوجّه عبد المومن إليها رسالته المسماة برسالة الفصول[214] التي تحث على «إقامة الحدود وحفظ الشرائع»، ومن ذلك الحضّ على أداء الصلاة والزكاة والكشف عن اللصوصية ومحاربة الخمور ومنع المكوس والغرامات... ووجّهت مع هذه الرسالة رسالة أخرى كان المهدي كتبها في محاربة المنكرات[215].

وهكذا كان عبد المومن يحاول تحقيق هدفين أساسيين فيما يبدو : الأول هو التحول من

---

(209) توجد رسائله في أول كتاب البيذق المنشور بعناية بروفنصال، انظر أيضا الرسالة رقم 2 (م ج).

(210) راجع مثلا في رسالة النصر على الماسي (5 م ج) كيف تنظر الجهات الرسمية للثائرين عليها.

(211) يعترف الإدريسي بوجودها وأن الموحدين هم الذين أزالوها (الإدريسي : نزهة 235-236، ط. القاهرة).

(212) الرسالة رقم 6 (م ج) وخصوصياتها في الفصل الأول، هذه الرسالة موجهة إلى الأندلس، ولكن هناك إشارة إلى أن نسخا منها وجهت إلى الجهات الأخرى، هذه الإشارة في الرسالة المذكورة نفسها وفي الرسالة رقم 3 (م ر م).

(213) الرسالة رقم 18 (م ر م).

(214) الرسالة رقم 23 (م ر م).

(215) ويصف ابن الأثير عبد المومن بقوله «جمع الناس بالغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول، وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين، المرجع إليهم والكلام معهم ولهم» الكامل 82/9 (ضمن أحداث سنة 558).

العنف الدموي للسلطة إلى التربية المذهبية، فتتحد القبائل تحت السلطة المركزية وتتناسى الخلافات القديمة، وهذا من شأنه أن يمنعها من الثورات ويسهّل قيادتها في العمليات العسكرية خاصة بالأندلس... والثاني هو محاولة تقوية السلطة المركزية على حساب سلطة الولايات التي كان نفوذ الأشياخ الموحدين بارزا فيها رغم إسناد رئاستها أحيانا إلى أبنائه.

ونجد **الخليفة يوسف** في مطلع عهده يفتح مجلسه لسماع شكاوى المتظلمين فيفدون إليه أحيانا من الأقاليم البعيدة حتى أصبح بعضها ليس في مستوى العرض بمجلس الخليفة[216]، كما أنه في سنة 561 ــ بعد القضاء على ثورة مرزدغ الغماري ــ[217] يوجه رسالة تحمل أوامره بمنع تنفيذ أحكام الإعدام قبل مراجعة الخليفة[218]، والتركيز على تطبيق أحكام القرآن والسنة. وهنا أيضا تعتبر السلطة الثائرين ضالين أشقياء ومنحرفين عن الجماعة «ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا»[219].

وأما **يعقوب المنصور** فقد ابتدأ عهده أيضا بالجلوس للمظالم[220]، وكتب إلى الولايات في الحث على التمسك بالقرآن والسنة لمعرفة حقيقة الدين، بعد أن كان أخذ البيعة لولده محمد (الناصر) بولاية العهد، وهذا ما يفهم من رسالة جوابية كتبت إليه من الأندلس[221]، وكان قبل هذا في سنة 575 قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي[222]»، وربما يدخل في إطار هذه السياسة أيضا نكبة ابن رشد[223] تلبية لضغط الفقهاء المعادين لأفكاره الفلسفية ومسايرة من المنصور للاتجاه الذي كان يريده أن يكون متعلقا بالمذهب المهدوي وإن خالفه هو في عقيدته الشخصية[224] باعتبار أن العامل المذهبي هو أحد الأركان الأساسية لقيام الدولة الموحدية واستمرارها[225]، وسيظل أمر الخلفاء بمراعاة القرآن والسنة منصوصا عليه في مختلف الرسائل وعلى الخصوص رسائل تقاديم القضاة على الأقاليم إلى العهد الأخير من الدولة الموحدية[226].

---

(216) رسالتا شكوى من إنشاء ابن مبشر (العطاء 135-136)، (137-138)، انظر الملحق الثاني في قسم الرسائل.

(217) راجع الهامش 229 الآتي بعد.

(218) انظر الرسالة رقم 13 (م ج) والمن 302.

(219) انظر الرسالة 15 (م ج).

(220) حتى أصبحت تعرض على مجلسه قضايا تافهة، المعجب 285، البيان 144-145.

(221) هي الرسالة رقم 44 (م ج).

(222) الاستبصار 210، انظر البيان 206 والمعجب (278-279).

(223) انظر الرسالة رقم 43 (م ج) وأيضا البيان (202) والمعجب (305-307).

(224) المعجب (291-292) حول عقيدته.

(225) ان التربية المذهبية كانت تمارس باستمرار حتى في خطب الجمعة (المعجب 343-344).

(226) سنجد المستنصر سنة 617 عندما تشتد أزمة المجاعة يوجه رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن =

2 ــ بالنسبة للموضوع الثاني المرتبط بالخلافة :

هذا الموضوع لاشك أنه أثار جدلا منذ البداية فيما بين أنصار المهدي إثر موته، وقد يكون ذلك سببَ تأخير الإعلان عن وفاته وتأخير البيعة العامة لخلفه عبد المومن. غير أن هذا حوّل نظام الخلافة من نظام «اختياري» إلى نظام وراثي في سلالته كما رأينا سابقا بتقديم ولده محمد لولاية العهد وما أثاره ذلك من مشاكل[227]، وعندما خلعه أبوه من الولاية قبيل موته تولاها يوسف بدون إجماع حتى من إخوته[228]، ثم بعدما تقوّى مركزه تدريجيا بالتقرب إلى العامة وبالعطاءات للأجناد وخاصة بكسبه الانتصار على ثورة سبع بن منخفاد الغماري[229]، بعد ذلك اتخذ اللقب الخلافي «أمير المومنين»، وبويع من جديد كما تشهد على ذلك بعض رسائل المن بالإمامة[230]. وكان قد مهّد لهذا العمل أيضا سنة 561 ــ لجسّ النبض فيما يبدو ــ بكتابته «العلامة» الخلافية بنفسه، وبتقليص سلطة ولاة الأقاليم في تنفيذ بعض الأحكام كحكم الإعدام[231]. ولم ينظم يوسف ولاية العهد لابنه يعقوب على الأقل رسميا ربما لموته المفاجىء في غزوة شنترين[232]، فصادف الخليفة يعقوب معارضة من بعض قرابته خاصة بعض الإخوة[233]، ثم إنه استغل عودته ظافرا من بعض غزواته بالأندلس سنتي 585 و586 ــ وخاصة بعد أن وقع مريضا ــ فعقد البيعة لابنه محمد (الناصر) بولاية العهد، كما تؤكد ذلك رسالتان من قرطبة حول تقديم أهلها للبيعة[234]. ولا نجد بعد هذا رسالة تحدثنا عن بيعة أخرى بولاية العهد لمن تبقّى من الخلفاء الموحدين ما عدا رسالة بيعة قدّمت للخليفة الرشيد بعد دخوله مراكش منتصرا سنة 630[235].

ومما هو ملاحظ في شروط البيعات أن المهدي قدّم عبد المومن وأمر بطاعته «مادام سامعا مطيعا لربه...»[236] وفي تقديم عبد المومن ابنه لولاية العهد بويع «على حدود الشرع

= المنكر (الرسالة 106 م ج)، ثم يوجه المامون رسالة في نفس الموضوع أمام تفشي الانقسام الداخلي (الرسالة رقم 118 م ج)، انظر الملحق رقم 1 حول الوصايا بالكتاب والسنة في تقاديم القضاة.

(227) انظر الصفحة 36 وما بعدها.

(228) وهذا يدل على أن نظام ولاية العهد لم يكن مضبوطا وإنما يشترط الكفاءة بين الأبناء.

(229) القرطاس (209–210)، البيذق 86، المن (307–309) والرسالتان 19 و20 (م ج).

(230) الرسائل 17 و18 و19 و20 انظر خصوصياتها في الصفحة 17.

(231) الرسالة 13 (م ج)، وانظر عن «العلامة» خصوصيات الرسالة (6 م ج) ص (14–15).

(232) هذا إذا لم نأخذ برأي صاحب المعجب (261)، انظر خصوصيات الرسالة رقم 34 (م ج) في الصفحات 103–105).

(233) انظر في الفصل الثالث الصفحتين 131–132.

(234) هما الرسالتان 40 و41 (م ج).

(235) هي الرسالة رقم 121 (م ج).

(236) المعجب 196.

ورسومه»[237]، بينما لا نجد أية إشارة لذلك في رسالة تجديد البيعة ليوسف بإسميّة «أمير المومنين» وإنما بويع على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر... أي ذكر الشروط على المبايعين فقط[238]، وكذلك في رسالتي البيعة عن قرطبة لولي العهد محمد (الناصر)[239]، إلا إذا كان وقع ذكر الشروط على الولي في الرسائل الأصلية الصادرة من مركز الخلافة وهي لاتزال في عداد المفقودة[240].

وهكذا بعد أن كانت دعامة الدولة الموحدية هي مذهبها الأصلي وعصبيتها المصمودية فإن الجانب المذهبي سيتحول شيئا فشيئا إلى الإطار الشكلي (الرسمي) لا غير، وأما العصبية المصمودية كقوة عسكرية فستقل أهميتها تدريجيا باعتماد بني عبد المومن على قبيلتهم كومية وعلى قبائل العرب الذين أخذوا يوطّنون بسهول المغرب الأقصى، وهذا العنصر الأخير لم يكن دائما مأمونا بحيث أن هناك مؤشرات على فشل السياسة الموحدية نحو العرب منذ عهد الناصر[251].

وعلى العموم إذا كان جانب القوة العسكرية كأساس للدولة سينكسر في معركة العقاب، فإن جانب القوة المذهبية كأساس آخر للدولة كان يسير نحو الضعف إلى أن يوجّه إليه المأمون الضربة القاضية بالتنكر لعقيدة المهدي. وإذا كان هذا الموضوع سيعالج في الفصل الرابع فإن بعض مظاهر القوة الموحدية تتضح لنا في الفصلين الآتيين الثاني والثالث قبل مرحلة الضعف.

---

(237) الرسالة 13 (م ر م).

(238) الرسالة رقم 17 (م ج).

(239) هما رقما 40 و41 (م ج)، راجع خصوصياتهما في ص (17–19).

(240) يذكر صاحب المعجب بعض الشروط على المستنصر حين مبايعته بالخلافة (326).

(241) الرسالة رقم 55 (م ج) عن تأديب بعض القبائل العربية. بل ان المنصور نفسه ندم على ادخالهم إلى المغرب (البيان 208، القرطاس 230).

وهناك عناصر أجنبية اعتمد عليها الموحدون أيضا أهمها الغزّ في العهد الأول والاسبان في العهد الأخير.

الفصل الثانـي

الوجود الموحدي في المغرب الأوسط وافريقية، والعلاقات مع الأيوبيين والإيطاليين

الرسائل التي تهم هذا الفصل :

- رسالة عن الخليفة عبد المومن من ظاهر قسنطينة إلى إشبيلية رقم 9 (م ج)
- رسالة القاضي أبي موسى عن معركة تنس .... رقم 10 (م ج)
- رسالة عن الخليفة يوسف إلى «طلبة» افريقية .... رقم 25 (م ج)
- رسالتان من قفصة حول إعادة فتحها .... رقما 30و31 (م ج)
- رسالتان من بيشة إلى الخليفة يوسف .... رقما 32و33 (م ج)
- رسالة عن المنصور إلى بيشة (اتفاق تجاري) .... رقم 35 (م ج)
- رسالة عن والي افريقية السيد أبي زيد عبد الرحمن إلى تجار بيشة رقم 36 (م ج)
- رسالتان عن صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة المنصور .... رقما 38و39 (م ج)
- رسالة عن ناظر ديوان افريقية إلى حكومة بيشة .... رقم 46 (م ج)
- رسالة عن والي افريقية السيد أبي زيد إلى حكومة بيشة... رقم 47 (م ج)
- رسالة صاحب ديوان تونس والمهدية إلى أحد كبار تجار بيشة رقم 48 (م ج)
- رسالة عن سبتة بأمر من الناصر إلى حكومة بيشة .... رقم 49 (م ج)
- رسالة عن ناظر ديوان تونس إلى حكومة بيشة .... رقم 50 (م ج)
- رسالة (شهادة) بأسماء الشهود حول اعتداء البيشانيين على سفن بخليج تونس .... رقم 51 (م ج)
- رسالة عن السيد أبي زيد إلى حكومة بيشة .... رقم 52 (م ج)
- رسالة عن والي تونس إلى حاكم بيشة حول الامتناع عن التعاون مع ابن عبد الكريم بالمهدية .... رقم 53 (م ج)
- رسالة عن والي اشبيلية حول «شقّي ميورقة» .... رقم 56 (م ج)
- رسالة عن الناصر (من افريقية) بفتح المهدية .... رقم 57 (م ج)
- رسالة عن الأمير الحفصي عبد الواحد حول معركة شبرو رقم 59 (م ج)
- رسالة جوابية حول «تردد الموحدين بالغرب الأوسط» .... رقم 60 (م ج)
- رسالة عن الأمير الحفصي عبد الواحد حول معركة وادي أبي موسى .... رقم 61 (م ج)
- رسالة عن الأمير الحفصي عبد الواحد إلى صاحب بيشة (حول اتفاق بين الطرفين) .... رقم 62 (م ج)

ملاحظة : وضعت هذه اللائحة حسب الترتيب الزمني للرسائل كما هو في القسم الأول من البحث.

الموضوع الأول :

خصوصيات بعض رسائل الفصل الثاني

1 ـ رسالة القاضي أبي موسى[1] حول معركة بحرية قرب تنس (رقم 10 م ج) :

توجد هذه الرسالة ضمن الزوائد الملحقة بمخطوط العطاء الجزيل، وهي تحمل بعض الجوانب الغامضة فيما يتعلق بتاريخها ومرسلها والمرسلة إليه :

ـ عن تاريخ الرسالة :

إن التاريخ المسجل في نهايتها هو يوم 16 رجب سنة 567 أي في عهد الخليفة يوسف (558-580). إلا أن هناك بعض العناصر التي ترجح عدم صحة هذا التاريخ :

• إن صيغة **الدعاء** المألوفة في الرسائل الموحدية الموجهة إلى الخليفة أو أحد كبار الموظفين هي أن يدعى فيها للخليفة الحاكم[2]، فهنا «الدعاء لمولانا أمير المومنين» أي الخليفة عبد المومن، ولا نجد صيغة «أمير المومنين بن أمير المومنين» أي الخليفة يوسف ابن عبد المومن، فالرسالة فيما يرجّح ترجع إلى عهد عبد المومن (541-558).

• ومما يزيد هذا ترجيحا وجود الدعاء لولي العهد «السيد أبو عبد الله» وهو محمد أكبر أبناء عبد المومن[3] (الذي خلع قبيل وفاة أبيه أو بعدها بأيام على اختلاف الروايات)[4]، بينما لم يكن للخليفة يوسف ولي عهد يحمل هذه الكنية[5]، مما يرجح أن يكون تاريخ الرسالة بين حوالي 550 و558 أي فترة ولاية عهد أبي عبد الله محمد بن عبد المومن.

• يوجد في الرسالة ربط بين الانتصار في المهدية بفتح الموحدين لها والانتصار في معركة تنس، بحيث يرجح ألا يكون الفرق الزمني بين الحدثين كبيرا وإلا فإن انتصارات أخرى قد

---

(1) انظر عنه الترجمة رقم (5) في مقدمة البحث.

(2) وعلى العكس إذا كانت صادرة عن الخليفة لا تحمل الدعاء له وإنما تقف بالدعاء عند سلفه.

(3) عند تعيينه وليا للعهد أمر عبد المومن بذكر اسمه في الخطبة بعده وكتب بذلك إلى جميع عمله، القرطاس 194.

(4) عن تنصيبه وليا للعهد انظر الرسالة 13 (م ر م)، وعن خلعه انظر المن 221، والبيان 55، والمعجب 236، ووفيات الأعيان 7/130-138 (ضمن ترجمة يوسف بن عبد المومن. وينسب خلعه إلى يوسف، ويذكر أن ولي العهد كان اسمه ينقش على الدنانير).

(5) لم يكن له أي ولي للعهد على أغلب الروايات، أما ابنه يعقوب فكنيته أبو يوسف ولا تتفق الروايات على تنصيبه وليا للعهد، انظر الصفحة 44 والهامش بها 232.

تنسي انتصار المهدية. أي أن تاريخ الرسالة يمكن حصره بين سنة 555 وهو تاريخ فتح المهدية وسنة 558 وهو تاريخ وفاة عبد المومن ونهاية ولاية عهد السيد أبي عبد الله.

• وهناك عنصر آخر قد يطعن في صحة تاريخ سنة 567 ويتعلق بكاتب الرسالة، فإذا كان فعلا هو القاضي أبو موسى عيسى ابن عمران المشهور خاصة في عهد الخليفة يوسف[6] ــ وهذا هو الراجح ــ فإنه كان في السنة 567 مع هذا الخليفة في حركته بالأندلس التي بدأت بالخروج من مراكش يوم 4 رجب 566 واستمرت إلى 571 على أغلب الروايات وأصحها[7] خاصة رواية ابن صاحب الصلاة المرافق لهذه «الحركة»، فهو يصف أبا موسى «بقاضي المحلة والجماعة» و«قاضي الخليفة»، ولما خرج الخليفة من اشبيلية يوم الاثنين 11 شوال سنة 567[8] في حركته إلى غزوة وبذة كان معه أيضا أبو موسى «قاضيه»[9].

وهكذا فإن تاريخ الرسالة لا يتقدم عن سنة 555 ونرجح ألا يتأخر عن 558، فهل هناك إمكانية للتحديد أكثر ؟

• قد يمكن الوصول إلى ذلك من خلال معرفة ظروف هذه الفترة : فالموحدون أصبحوا يدعمون نفوذهم تدريجيا بجنوب شرقي الأندلس منذ فتحهم مالقة سنة 548، ثم استيلائهم على المرية (552) من يد النصارى القشتاليين بالخصوص[10]. هذا التحرك الموحدي شرقا كان له ردّ فعل قوي من طرف أمير شرق الأندلس ابن مردنيش حليف النصارى، فاستولى على قرمونة بضواحي اشبيلية (ربيع الأول 555) ثم مدينة غرناطة ــ عدا القصبة ــ سنة 557، ولم تفلح حملة السيد أبي سعيد بن عبد المومن والي غرناطة في استخلاص المدينة، إذ انهزم في معركة مرج الرقاد. ولما توصّل بمعونة جديدة من المغرب يقودها أخوه يوسف استطاعا معا أن يهزما ابن همشك التابع لابن مردنيش في معركة السبيكة[11] خارج غرناطة وذلك في يوم الجمعة 28 رجب 557، فتراجع ابن مردنيش ــ الذي كان قدم لنجدة تابعه في قوات عمادها الأساسي فرقة من النصارى ــ فأعيدت غرناطة إلى النفوذ الموحدي مع المناطق الموجودة حولها، وستستمر الأعمال العسكرية ضد ابن مردنيش إلى وفاته سنة 567. فالظروف كانت متوترة بين الموحدين وبين ابن مردنيش وحلفائه النصارى (قشتاليين

---

(6) كان أول اتصال له بالخلفاء الموحدين فيما يبدو سنة 547 أو 548 حين قدم مع وفد اشبيلية لتهنئة عبد المومن بفتح بجاية، وهو الذي اقترح تولية العهد لمحمد البيان 48 (ط 1985).

(7) يخالف صاحب المعجب الروايات يذكر رجوع الخليفة إلى مراكش سنة 569 (ص 251).

(8) انشغل الخليفة سنة 567 بالأعمال العمرانية باشبيلية قبل خروجه لهذه الغزوة، المن 461 وما بعدها، البيان 96، القرطاس 211.

(9) المن 504.

(10) انظر الرسالة رقم 7 (م ج) وخصوصياتها في الفصل الثالث (ص 98-100) وكذلك الصفحة 109 وما بعدها).

(11) عن المعركتين انظر المن (190-199) والبيان (51-53).

وأرغونيين)، فهل تدخل المعركة البحرية عند تنس في مخطط نصراني على الأقل لاكتشاف مدى قوة الموحدين، مثلما يمكن أن يكون لهؤلاء مخطط «للغزو» في البحر (أو القرصنة) جسبما يفهم من الرسالة المدروسة «لغزو إن اتفق» ؟ وهل عملية تنس هي عملية إشغال للموحدين واستطلاع على أحوالهم بالمغرب الأوسط، أم أنها مجرد قرصنة حرة وصلت إلى ساحل هذه المنطقة حيث سقط في أيدي النصارى مجموعة من الأسرى أنقذوا بعد هزيمة القطعتين النصرانيتين ؟

ونعود مرة أخرى إلى تاريخ الرسالة، فإذا افترضنا أن النسّاخ أخطأوا في الرقم العشري لتاريخ الرسالة فكتبوا (سبع وستين) بدلا من (سبع وخمسين) فإن الموقع الزمني ليوم المعركة بتنس وهو الجمعة 7 رجب يكون سابقا ليوم معركة السبيكة (28 رجب) بثلاثة أسابيع بالضبط، ويكون موقع الجمعتين بالنسبة لبعضهما مطابقا لأيام الشهر : أي الجمعة 14 رجب ثم الجمعة 21 رجب ثم الجمعة 28 رجب (يوم السبيكة). وهكذا نتساءل ألا يكون تاريخ الرسالة هو يوم 16 رجب 557[12] ؟

ــ مصدر الرسالة ومنتهاها :

• مصدر الرسالة «الطلبة الذين بفلانة» ! ويستبعد أن يكون هؤلاء «الطلبة» ــ أي القادة الموحدون إداريا وعسكريا ــ في مدينة تنس وهذا ما يفهم من الرسالة التي تنص على أن المعركة كانت يوم 7 رجب، وفي يوم 16 منه «وصل الغزاة المفتوح عليهم» وهو نفس يوم كتابة الرسالة، فنستنتج أن تكون الرسالة مكتوبة من مكان ساحلي أو قريب من الساحل (والراجح أنها بالمغرب الأوسط مثل تلمسان) بحيث يصل الخبر من الساحل إلى المدينة المكتوب منها في نفس اليوم. والمفهوم من الرسالة ــ تلميحا ــ أن هذه المدينة لم يكن بها آنذاك «سيد» من أبناء عبد المومن وإلا لماذا يوجّه «الطلبة» بهذه الرسالة إلى «السيد أبي فلان» ؟ فالمدينة فيما يبدو ليست بجاية التي كانت مقر ولاية السيد أبي محمد عبد الله المشهور بصاحب بجاية فيما بين حوالي 550 و560[14] (وسيخلفه عليها أخوه أبو زكرياء منذ سنة 561، أما في سنة 567 فسيكون أبو زكرياء بالأندلس مع الخليفة بعد أن يترك أخاه السيد أبا عمران نائبا بمراكش)[15]. وأما تلمسان فكان واليها هو السيد أبو حفص عمر بن عبد المومن إلى

(12) ان معركة تنس وقعت ــ حسب نص الرسالة ــ يوم الجمعة 7 رجب غير أن سابع رجب سنة 567 لا يقع في يوم جمعة، وعلى العكس من ذلك إذا افترضنا أن السنة الحقيقية هي سنة 557 فإن سابع رجب يصادف يوم الجمعة وكذلك أيام 14 و21 و28 (يوم معركة السبيكة)، انظر جدول الموافقة في (T.C).

(13) انظر عنها الهامش 11 على الرسالة المعنية (أي رقم 10 م ج).

(14) اختلف في تاريخ توزيع الولايات على أبناء عبد المومن، راجع الصفحة 37 والهامش بها 173.

(15) انظر البيان 99/3.

سنة 555 حيث أصبح منذئذ وزير أبيه الخليفة، وبقيت هذه المدينة بدون «سيد» إلى عهد الخليفة يوسف فيما يبدو[16]، فهل «طلبة» تلمسان هم موجّهو هذه الرسالة ؟ إن الإجابة على هذا تقتضي التعرف على كاتب الرسالة القاضي أبي موسى[17]، فقد رأيناه يصل إلى مراكش سنة 547-548[18]، ويصاحب عبد المومن في حملته الافريقية... ثم لا يذكر بعد ذلك[19] إلا سنة 566 وهو مرافق للخليفة يوسف في حركته إلى الأندلس، فهل عند عودة عبد المومن من فتح إفريقية إلى المغرب بقي أبو موسى بمسقط رأسه تلمسان[20]؟، وبأيّ صفة يكون قد كتب هذه الرسالة ؟

• إلى من كُتِبت الرسالة ؟ إنها موجهة إلى «السيد الأسنى أبي فلان بن سيدنا ومولانا أمير المومنين» ! فإذا كان تاريخ الرسالة محصورا في الفترة بين 555 و558 وهذا هو المرجّح[21]، وإذا كان مصدر الرسالة هو مدينة تلمسان ــ افتراضا ــ فقد تكون موجهة إلى السيد أبي حفص عمر ــ وزير أبيه الخليفة ــ باعتباره «صاحب تلمسان» أصلا، خصوصا وأنه لم يخلفه عليها أي سيد آخر في هذه الفترة. ويبدو أن الفقرة الأخيرة فيها نوع من الإيحاء إلى السيد أبي حفص الملازم لمجلس الخليفة «المجلس الأعلى»، وهذه مهمة الوزير الذي يكون متصلا بالخليفة، وكان السيد أبو حفص عندما عاد مع أبيه إلى المغرب وزيرا له جاء معه كاتبه أبو الحسن بن عياش[22] الذي اتخذه عبد المومن كاتبا، فهل كان غياب الوالي وكاتبه *دافعا «الطلبة» تلمسان لاختيار «القاضي أبي موسى» لكتابة الرسالة لشهرته الأدبية* ؟

وأخيرا يمكن تلخيص **أهمية الرسالة** فيما يلي :

* إغفال المصادر لذكر هذه المعركة (حسب المقروء منها لحد الآن).
* تلميح الرسالة إلى سوء العلاقة بين أرغون والموحدين واستمرار القرصنة بين الطرفين.
* في الرسالة نوع من الاعتراف بتفوق النصارى في القوة البحرية، فهم «الكفار الذين عرفوا بالنجدة، ووصفوا بالشدة، واتخذوا هذا البحر جملا ذلولا يركبون جنابه، ويضربون عبابه،

---

(16) سيعين عليها الخليفة يوسف أخاه أبا عمران موسى، وسيبقى بها إلى أن يعود مع أخيه صاحب بجاية بعرب افريقية قبيل حركة الخليفة يوسف الأولى إلى الأندلس (البيان 90-91).

(17) إذا كان هو فعلا القاضي أبو موسى عيسى بن عمران.

(18) راجع الهامش 6 بهذه الفقرة، وأيضا ترجمة القاضي أبي موسى رقم 5 في مقدمة البحث.

(19) حسب المصادر التي أمكن الاطلاع عليها.

(20) كتب التراجم لا تذكر عن حياته بتلمسان إلا النشأة والتعلم، فهل اشتغل في هذه الفترة الأخيرة بالقضاء فكتب الرسالة بصفته قاضيا ؟ انظر ترجمته والمصادر المعتمدة لتحضيرها.

(21) أما إذا كان تاريخها هو سنة 567 ــ وهذا غير مرجح ــ فإن الرسالة قد تكون موجهة إلى السيد أبي عمران موسى صاحب تلمسان الذي كان حينئذ بمراكش نائبا عن أخيه الخليفة المتغيب بالأندلس.

(22) انظر عنه الترجمة رقم (3) في مقدمة البحث.

عرضا وطولا...»[23].

2 ـــ رسالة الخليفة يوسف إلى «الطلبة الغزاة بافريقية» (رقم 25)[24] :

توجد هذه الرسالة ضمن زوائد العطاء الجزيل، وتحمل بعض الإشارات التي تتطلب التوضيح :

ـــ تشير الرسالة إلى أخبار **الفتوح بالأندلس وبغيرها**، وفي هذا تعبير عما واجه الخليفة يوسف منذ بداية حكمه من صعاب منها عدم رضى البعض على تولّيه السلطة ومنها الثورات سواء في الأطلس المتوسط[25]، أو الريف كثورة غمارة، ومنها أيضا القضاء على ثورة طبيرة بالأندلس سنة 563، وكان يوسف وهو وال على اشبيلية عجز مرتين أيام هذه الثورة التي كانت اندلعت سنة 546[26]. أي أن التاريخ الذي كتبت فيه الرسالة يُمثل بالنسبة للمغرب عودة إلى الهدوء مما يساعد على استغلال جو التوتر القائم بين الممالك الاسبانية للقيام «بحركة» إلى الأندلس وخاصة لإنهاء مشكل ابن مردنيش، وقد سبق أن انهزم أمام الجيش الموحدي الذي كان يتضمن مجموعة من العرب المستقدمين من افريقية، ولعل بروز أهميتهم القتالية في «معركة الجلاب» شجعت على الاستمرار في هذا المخطط الذي كُلِّف به ولاة وعمال افريقية وبالخصوص والي بجاية في هذه الآونة وهو السيد أبو زكرياء يحيى بن عبد المومن (561-566).

ـــ إن ضغوط ابن مردنيش من شرق الأندلس وضغوط البرتغاليين من غربها... كانت وراء الطليعة العسكرية التي بعثها الخليفة إلى الأندلس في أواسط سنة 564 برئاسة الشيخ أبي حفص في انتظار جواز الخليفة بنفسه[27]، غير أن المرض الذي أصابه من فاتح سنة 565 إلى منتصف ربيع الأول 566 أخّر هذا الجواز[28]، وكان قد سبق له أن استدعى العرب من افزيقية برسالة وبقصيدة شعرية سنة 563[29]، وهذا يتطابق مع تاريخ الرسالة رقم (25) المدروسة إن صحّ أن المهمة المطلوبة من قادة الموحدين بإفريقية هي **استدعاء بني رياح وبني**

---

(23) انظر بعض الملاحظات في إطار مقارنة بين القوة البحرية للموحدين والبحرية المسيحية في الحوض الغربي للبحر المتوسط في أواخر هذا الفصل (ص 84-88).

(24) الرسالة في زوائد العطاء الجزيل (16-18) مؤرخة بأول رجل 564 ومن إنشاء أبي القاسم القالمي (انظر الترجمة رقم 2 في مقدمة البحث).

(25) انظر البيذق 85 والمن 360 و363، والصفحتين 113 ـــ 114 من الفصل الثالث.

(26) البيان 77.

(27) انظر الرسالة 24 (م ج).

(28) لا ندري هل هو مرض حقيقي أم تمارض في انتظار وصول العرب المستنفرين من افريقية.

(29) القصيدة الأولى من إنشاء ابن طفيل فلما أبطأوا وجه إليهم قصيدة أخرى من إنشاء ابن عياش، المن (409-419) والبيان 88-90.

عدي، فيجيبون الخليفة بما فعلوا مع بني عدي وما سيفعلون مع بني رياح كما تشير إلى هذا الرسالة الجوابية الصادرة عنه. ويبدو أن هناك مهمة أخرى للموحدين بالمنطقة وهي **غزو قفصة** التي ثارت على العامل الموحدي عمران بن موسى الصنهاجي بزعامة علي بن عبد العزيز الرندي الذي كان منفيا ببجاية، حيث يذكر ابن خلدون أن الخليفة يوسف أغزى أخاه السيد أبا زكرياء سنة 563 مدينة قفصة فقضى على ثورتها، وإذا صحت رواية ابن خلدون هذه فإنه يكون قد انفرد بذكر هذا الحادث بقفصة[30]. لكن لماذا تأخر قدوم العرب وتكرر استدعاء الخليفة لهم، هل السبب هو «وفور الخيرات... وانصرام المحل والجدب» وذلك في السنة السابقة أي سنة 563[31]، حيث انشغل العرب عن الاستنفار بوسيلة أخرى للعيش (أي توفر المرعى)؟ أم يرجع تأخرهم إلى كونهم مترددين في التبعية لأية سلطة مركزية؟[32] يبدو أن هذا هو الأرجح، ولذا فإن الرسالة تشير إلى مسألة إثبات قوات موحدية دائمة في إفريقية لتتمكن من إفشال المحاولات التمردية أو غارات العرب البدو على المستقرين.

ــ **من هو المخاطب في الرسالة ؟** يبدو أن الشخص الرئيسي في افريقية وشرق المغرب الأوسط هو السيد أبو زكرياء يحيى بن عبد المومن، فهو «السيد» الوحيد بالمنطقة ــ باستثناء تلمسان ومنطقتها التي كان مكلفا بها أخوه السيد أبو عمران موسى ــ ومما يرجّح هذا ما تتضمنه الرسالة من عبارات تمجّد المخاطب[33] : «أدام الله عزتكم وكرامتكم بتقواه»، «أعزكم الله وأكرمكم»، «وبعث الكتب إلى سائر أنظاركم»، «وكافة مَن قِبَلكم». بل إن صاحب المن عندما يذكر ــ ضمن أحداث سنة 564 ــ توبة شيخ بني رياح جبارة بن أبي العينين يقول : ««جمع قبيله» ولحق بهم أولا إلى السيد الأسنى أبي زكرياء يحيى بن الخليفة (عبد المومن) بمدينة بجاية مستلقيا عليه مستعفيا لديه...» وبعدما اجتمعت القبائل العربية تحرك السيد أبو زكرياء من بجاية نحو مراكش، «ووصل أيضا الأمناء والعمال بإفريقية أبو محمد أقوسقور صاحب

---

(30) العبر 339/6، إلا أن يكون ابن خلدون خلط بين ثورة ابن الرند في هذه السنة والثورة حوالي 575.

(31) الرسالة الخليفية (25) مؤرخة بفاتح رجب 564 وهو يوافق 31 مارس 1169م، فهي إذن تتحدث عن نتائج الموسم الفلاحي الفارط الذي يقع ضمن سنة 563 فيما يبدو (انظر جدول المطابقة في T.C).

(32) انظر مثل هذا التردد في المن (417–418) عن موقف جبارة أحد زعماء رياح، وفي «الكامل» (ضمن أحداث 568) عن موقف مسعود بن زمام أحد زعماء رياح أيضا والأمثلة متعددة منذ معركة سطيف سنة 548.

(33) ان الرسالة تنص على أنها موجهة إلى «الطلبة»، ويعتبر السادة من أبناء عبد المومن من الطلبة أيضا، ويسميهم صاحب الحلل (151) حفّاظا، والحفاظ هم صنف من الطلبة. والملاحظ أن الرسائل الموجهة إلى الولايات لا تحمل في العادة اسم الوالي وإنما عبارة «الطلبة والموحدين والأشياخ... ولعل في هذه الصيغة نوعا من محاولة إظهار أن الحكم غير فردي وإنما هو جماعي. وهكذا يكون المخاطب هنا ــ فيما يبدو ــ السيد أبو زكرياء أولا ثم معاونوه.

تونس وأنظارها وأبو زكرياء يحيى أقصور الهنتاتيان... بهؤلاء العرب والأموال والخيل[34] ولهذا يرجّح أن المراسلات كانت بين الخليفة والسيد أبي زكرياء حينما كان ببجاية أو في عمليات خارجها، فإحدى هذه الرسائل كتبت إلى الخليفة من ظاهر قسنطينة كما نفهم من الرسالة الجوابية التي ندرسها، والجواب عليها أيضا موجه إلى افريقية وليس إلى بجاية.

ــ يمكن إبراز **أهمية الرسالة كما يلي** :

* لمّا كانت الرسالة جوابية فإنها تلخص ما جاء في الرسالة المجاوب عنها والموجهة من إفريقية إلى الخليفة وهي مفقودة، ومما أشارت إليه هذه : توصل طلبة افريقية بأخبار «الفتوح» بالأندلس والمغرب، وأعمالهم الماضية والمستقبلة تجاه العرب من بني رياح وبني عدي. وتبليغ أخبار الانتصارات من شأنه أن يرفع الروح المعنوية لموحدي افريقية.

* وأشارت الرسالة المفقودة أيضا إلى ظاهرة الجفاف بافريقية في السنة السابقة (563) (أي الموسم الفلاحي 1167–1168)،[35]، بينما تحسّنت الأحوال خلال السنة المؤرخة في الرسالة الجوابية (564).

* تفيد الرسالة أن هناك اتصالا مستمرا بين السلطة المركزية والسلطة الجهوية بافريقية.

* وتشير الرسالة إلى تثبيت السلطة الموحدية بإفريقية عن طريق إقرار الحاميات بها.

3 ــ رسالتان حول فتح قفصة على يد الخليفة يوسف (رقما 30 و31) :

أ ــ إن الرسالة الأولى هي من إنشاء أبي الحكم بن عبد العزيز (ابن المرخي)[36]، وردت في زوائد العطاء الجزيل على الصفحات (4–7)، والرسالة الثانية من إنشاء أبي علي بن نارار[37] (كذا)، وردت على الصفحات (3–7) و(14–16) من نفس «الزوائد». وكلتا الرسالتين صادرتان عن الخليفة يوسف من داخل قفصة إلى حكومة إشبيلية معلمتان بالفتح وتحملان نفس التاريخ أي «عقب رجب سنة 576».

ب ــ إذا حاولنا المقارنة بين مضامين الرسالتين نجدهما تتفقان على الحركة إلى قفصة وتشديد الحصار عليها إلى حين استسلامها، وإن كانت الرسالة الثانية أوضح : إذ تشير مثلا

---

(34) المن (417–418) والبيان (90). وفكرة جلب العرب إلى الأندلس تعود إلى ما قبل فتح المهدية، فحسب البيان (37–38) أنه في ربيع 552 انهزم السيد يوسف في موقعة زغبولة «فوصل الخبر إلى عبد المومن فنظر في استجلاب العرب وحماية الجزيرة من الحرب والنوب».

(35) المقصود من هذا الفترة الممتدة من خريف سنة 1167 إلى بداية صيف 1168.

(36) راجع ترجمته (رقم 11) في مقدمة البحث.

(37) ترجمته (رقم 12) في مقدمة البحث، والرسالة المشار إليها هي نفسها رقم 20 في (م ر م) المنسوبة في إنشائها إلى أبي الحكم بن المرخي موجهة إلى قرطبة، مع بعض الاختلاف في بعض الكلمات أو تجاوز بعض الجمل.

إلى استدعاء الثائر بها **للعرب والأكراد**. وتذكر الرسالة الأولى تقديم الخليفة في الطليعة «لعساكر هذه البلاد مع طلبتها»، وتوضح الرسالة الثانية أنهم «طلبة» بجاية وعساكر الموحدين ببجاية وافريقية. وتنفرد الرسالة الثانية بالإشارة إلى جلب النصارى «للعود» من بلادهم إلى افريقية والذي منه صنعت آلات الحصار[38]، وتعلل لماذا قبل الخليفة أن يؤمّن أهل قفصة مشيرة إلى أنهم كانوا مغلوبين على أمرهم، وتذكر اعتراف الخليفة بأن أخبار قفصة لم تكن تصل إليه على حقيقتها خصوصا من حيث حصانتها[39]. وتتفق الرسالتان في ذكر حصانة المدينة وأهمية زراعتها ونظام الريّ بها[40]. هذه الأهمية سوف لن يرد ذكرها في رسالة المنصور بفتح قفصة سنة 583[41] أي أنها أصبحت معروفة، مما يرجّح أن قفصة لم يرها خليفة موحدي قبل يوسف سنة 576. وتتحدث الرسالتان عن العرب، فهؤلاء كانوا حلفاء **لقراقوش الغزّي** بالمنطقة منذ انتقاله إلى إفريقية بدعم عرب رياح ثم تمكن من الاستيلاء على قابس ومدن أخرى[42]، غير أن هؤلاء العرب عندما وصل الخليفة إلى إفريقية بادروا إلى الطاعة فقبلها منهم وصرفهم مؤقتا. وعندما ينتهي من فتح قفصة سيحاول اجتذابهم لقبول الحركة معه إلى المغرب ثم الأندلس، وهذه الفكرة التي تلمّح إليها الرسالتان وخاصة الثانية منهما توضّحها بصفة أفضل الرسالة رقم 26 (م ر م) المؤرخة بشوال 576 الصادرة عن الخليفة من تونس، مما يبيّن فعلا أن حركة يوسف الافريقية كانت على الخصوص بسبب قفصة ولأجل استدعاء العرب[43].

تمتاز الرسالة الأولى بتلميح مهمّ وهو أن هذه الثورة بقفصة ليست هي الأولى، إذ «طالما لم تصرف عنانا إلى طاعة»، مما يرجّح صحة رواية ابن خلدون عن ثورتها سنة 563 أيضا كما سبق ذكر ذلك[44].

تفيدنا الرسالتان معا في بعض الفنون القتالية وفنون التحصين من استعمال بعض أدوات

---

(38) لا تحدد الرسالة من هم هؤلاء النصارى، ولاشك أنهم تجار إيطاليون حيث تؤكد رسائل أماري وجود علاقات مع البيشانيين في هذه الفترة (الرسالة رقم 1 في مجموعته والرسالتان 32، 33 م ج)، ويذكر ماص لاطري وجود علاقات مع جنوة منذ ما قبل هذه الفترة :
Mas-Latri : Relations et commerce... p. 88

(39) هل هذا مجرد تبرير لطول مدة الحصار ؟ فهو يذكر أيضا عدم الاستعداد لمثل هذا الحصار، راجع ابن الأثير (سنة 576)، والروض المعطار (مادة قفصة).

(40) قارن مع الاستبصار (150-151)، والروض المعطار (477-479)، ومعجم البلدان 382/4-383)، وصبح 107/5.

(41) هي الرسالة رقم 31 (م ر م).

(42) ابن الأثير في الكامل (سنة 568)، التجاني 111.

(43) البيان (الموحدي) 112.

(44) راجع الصفحة 55 قبل.

الحصار ومطاولته واعتماد المدينة على حصانة أسوارها والخندق حولها ووجود عيون داخلية تستفيد منها المدينة وقت الحصار، ولذا ربما كان التهديم الذي أصاب بعض الأبراج والأسوار هو الدافع إلى الاستسلام وليس الجوع والعطش وهذه حالة نادرة[45].

توجد في الرسالتين إشارة إلى أن الخليفة وجّه رسالة أو رسائل سابقة معلما بدواعي الحركة إلى إفريقية : من فتنة الأعراب والأكراد وثورة ابن الرند بقفصة مستعيناً بهم، وقد وجهها من افريقية عندما وصل إليها، ووصف توفّر خيراتها ! وطاعة العرب بواسطة أشياخهم. فهل هذا يدخل في نطاق طمأنة الأندلسيين بعد تكرار استنجاداتهم، خاصة وأن الرسالتين معا موجهتان إلى اشبيلية ؟

هناك تناقض يبرز في الرسالتين وهو : كيف يمكن التوفيق بين ذكر خلو المخازن وحالة الجفاف التي تعيشها المنطقة[46]، وبين توصل الموحدين بما يحتاجونه من «مرافق»، فهل كانوا يستفيدون فقط من بساتين قفصة الخارجة عن الأسوار[47]، أم كانوا يوجّهون البعوث إلى مختلف جهات منطقة الجريد لجمع المؤونة، أم **كان الأسطول** الموحدي يرافق الحملة ويحمل المؤونة فتتصل به البعوث الموحدية في السواحل لسحبها ؟ ربما كان هناك تكامل بين مختلف هذه الجوانب.

ج ــ ان الرسالة الثانية (من إنشاء ابن نارار) وقع الخطأ في ترتيب أوراقها عند ترميم المخطوط فأصبحت على الصفحات 7 و8 و9 ثم 14 و15 و16، والذي يؤكد هذا هو سياق الكلام بين جزءي الرسالة المتباعدين، وأشكال تأثير الأرضة على أوراق الرسالة والمسافات فيما بينها في هذين الجزأين، كما أنها هي نفس الرسالة التي أوردها بروفنصال في مجموعه تحت رقم (20)، ولا تختلف عنها إلا في بعض الكلمات (وهي أحيانا خاطئة في مجموعه على ما يبدو)[48]، كما تختلف عنها في توجيهها إلى قرطبة (عوض اشبيلية)، وفي نسبتها إلى أبي الحكم بن عبد العزيز بدلا من أبي علي ابن نارار. وتختلفان في نقطتين أساسيتين : فرسالة بروفنصال مبتورة الآخر فلم يرد بها تاريخ انهاء الرسالة، كما أنها صادرة عن «أمير المومنين» (بدلا من أمير المومنين بن أمير المومنين)[49] وهذا ما جعل بروفنصال ينسبها إلى الخليفة عبد المومن، مما أدى به إلى الاعتقاد بأن عبد المومن حضر فتح قفصة سنة 554

---

(45) سنرى المنصور خلال حصاره لها يقطع كل يوم ألف نخلة فيضطر أهلها للاستسلام (التجاني 138).

(46) يذكر ابن الأثير أيضا الجدب في هذه المدة بافريقية فتعذر على العسكر القوت والعلف للدواب، فسار يوسف إلى المغرب بسرعة (الكامل 152/9).

(47) تتفق على أهمية زراعتها المصادر الجغرافية مثل الاستبصار (150-151)، الروض المعطار (477-479)، معجم البلدان 382/4-383، صبح 107/5.

(48) نسخة «العطاء الجزيل» المعتمدة خالية من الأخطاء مما يرجّح أنها عتيقة لم تحمل أخطاء النسخ المتكرر.

(49) كما هي في العطاء، أي أمير المومنين يوسف بن أمير المومنين عبد المومن.

أثناء حصار الجيش الموحدي للمهدية، وهذا شيء لا تنص عليه المصادر التي أمكن الاطلاع عليها[50].

وإذا حاولنا تلخيص **أهمية الرسالتين** 30 و31 (م ج) نجدها كما يلي :

* تلمّحان إلى وجود علاقات تجارية مع النصارى (مسألة جلب «العود» لصناعة «الأبراج» الحربية).
* توضحان أهمية موقع قفصة وتحصيناتها وبعض منتوجاتها وأسلوب الري بها، فتتكاملان بذلك مع ما ورد في المصادر الجغرافية بالخصوص.
* تكملان وتصححان الرسالة رقم 20 (م ر م) لبروفنصال وتؤكدان أنها صادرة عن الخليفة يوسف وليس عن عبد المومن كما ذهب إلى ذلك بروفنصال.
* تتفقان مع ما في بعض المصادر من العفو عن زعيم الثورة ابن الرند على عكس رأي صاحب القرطاس الذي يذكر أنه تمّ قتله.

4 ـــ خصائص بعض رسائل مجموعة أماري :

• ان الرسائل المعاد نشرها في هذا البحث هي التي تتخذ طابعا رسميا، بحيث يجد القارىء رسالتين موجّهتين من حكومة بيشة (بيزا) إلى السلطة الموحدية، ومجموعة من الرسائل موجهة من هذه السلطة إلى تلك. ويمكن تصنيف رسائل هذه المجموعة كما يلي :

ـــ رسالتان في موضوع شكاية من حكومة بيشة إلى الخليفة يوسف حول انتهاك شروط المعاملة التجارية بين الدولتين في كل من طرابلس وبجاية (فيما بين سنتي 576 و578) وهما الرسالتان 32 و33 (م ج).

ـــ اتفاقية تجارية وسلمية بين المنصور وحكومة بيشة سنة 582 أو هو ظهير من المنصور يحدّد شروط التعامل بين الدولتين[51]، تجدّد في عهد الخليفة الناصر سنة 607 (الرسالة رقم 62 م ج).

ـــ رسائل تجمع بين ظاهرتين : الأولى تشير إلى اعتداء البيشانيين على سفينة إسلامية بخليج

---

(50) انظر دراسته لهذه الرسالة في هسبيريس 1941 ص 47 (عدد وحيد)، ومن دلائل خطإه في الاستنتاج أيضا ورود كلمة «الغز» في رسالة مجموعه، وهؤلاء لم يظهروا بافريقية قبل سنة 569 أو على الأبعد قبل عهد يوسف، كما أن رسائل عبد المومن الأخرى في (م ر م) وحتى رسائل المن في أوائل عهد يوسف لا ذكر فيها لاسم «الغز»، بل إن الرسالة (19) (م ر م) المؤرخة بـ20 من ذي القعدة 554 صدرت عن عبد المو ن بظاهر المهدية وأشار إلى وصول الخبر بفتح قفصة في فقرة استدراكية بآخر الرسالة، فنفهم منها أن ر الفتح وصله بظاهر المهدية بعد الانتهاء من كتابة الرسالة (19)، انظر أيضا الفقرة الأولى من الدراسة التاريخية بهذا الفصل. ص 60 وما بعدها.

(51) الرسالة رقم 35 (م ج).

تونس، والثانية تحرّض تجار بيشة على التحرك نحو إفريقية مع إعطاء الضمانات لهم بتأمينهم. (36، 46، 47، 48، [وربما 49]، 50، 51، 52، 53) م ج.

ــ رسالة إلى حكومة بيشة (وملحقاتها) تحذر من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم وهي الرسالة رقم 53 م ج.

• ويمكن إبراز **أهمية رسائل «أماري»** التي تهم البحث كما يلي :

أ ــ ان الرسالتين المتعلقتين بالشكاية حول تصرف حاكم طرابلس والمشرف المالي لبجاية يمكن أن تدلاّ على تخلخل النظام في المدينتين في أواخر عهد الخليفة يوسف بسبب تحركات المماليك «الغز» حول طرابلس، وربما نفوذ بعض الأسر الكبرى ببجاية غير المرتاحة للسلطة الموحدية[52].

ب ــ أن اتفاقية المنصور مع بيشة تعطي مجموعة من الإفادات :

ــ فهي تحدد بالتقريب مجال نفوذ دولة بيشة على جزء من الساحل الإيطالي وبعض جزره خاصة كورسيكة وسردينية.

ــ وتفيد بمنع القرصنة بين الدولتين وتعويضها بالتعامل المنظم في إطار اتفاقيات ومنها هذه الاتفاقية التي تمتد على مدى 25 سنة.

ــ وهي تحدد الرسوم على الواردات البيشانية بـ 10 % في حالة بيعها بالموانىء المحددة في الاتفاقية، وفي هذا استمرار لما كان بين بيشة وبين بني خراسان بتونس[53].

ــ تحدد أربع موانىء في الشمال الافريقي فقط للتبادل التجاري مع بيشة هي تونس وبجاية ووهران وسبتة (أي أنها تمنع البيشانيين من الاتصال بالأندلس)، كما تمنع هؤلاء من حمل المسلمين على سفنهم.

ــ وفي الاتفاقية تلميح إلى أهمية مدينة ألمرية في الصناعة البحرية والامكانيات الفلاحية حيث يمكن للتجار البيشانيين النزول بها قصد الإصلاح والتزود بالحاجيات ليتمكنوا من متابعة السير.

ولا يتضح ما هو المبرّر لهذا المنع، هل تركت موانىء الأندلس كامتياز لدولة أخرى مثل جنوة ؟ أم تركت للأندلسيين حماية لهم من المنافسة التجارية الايطالية ؟ أم لمجرد الخوف على عورات المسلمين بالأندلس ؟ ومثل هذه التساؤلات نضعها أيضا حول منع «المسلمين» من ركوب السفن البيشانية.

---

(52) انظر الفقرة الأخيرة في هذا الفصل حول العلاقات مع بيشة (ص 81-83).

(53) ظاهرة الاستمرار تلاحظ أيضا في اعفاء البضاعة البيشانية من الرسوم إذا لم يتم بيعها أو إذا تبايعها النصارى فيما بينهم داخل سفنهم، (قارن رسالة المنصور رقم 35 (م ج) مع الرسالة الأولى في مجموعة أماري).

ج ــ وبالنسبة لمجموعة الرسائل التي يدور موضوعها حول الاعتداء البيشاني على مركب للمسلمين بخليج تونس، يتضح أن المسؤولية في الأحداث لم تعد تنسب للدولة التي ينتمي إليها المعتدون، وإنما هي مسؤولية محدودة تتطلب عقاب المعتدين، فلا يؤثّر هذا في العلاقات القائمة، ولذلك فالرسائل تحث البيشانيين على القدوم للمتاجرة مع أهل افريقية مع تأمينهم وفي نفس الوقت تحث دولتهم على احترام المواثيق ومعاقبة الجناة. وتفيد هذه الرسائل في ذكر أسلوب من أساليب تعويض المتضررين من عملية الاعتداء، وذلك مثلا ببيع مادة القمح التي يمتلكها تجار بيشة بحضورهم وتقديم قيمتها للمتضررين ريثما يتلقى هؤلاء البيشانيون من بلدهم تعويضا يأخذونه من المعتدين بواسطة حكومتهم. وتفيد هذه الرسائل أيضا في ذكر بعض مسيّري مرسى تونس : فنجد الوالي هناك وناظر الديوان والعدول والتراجمة والكتاب[54].

د ــ إن الرسالة رقم 52 (م ج) من والي تونس إلى حكومة بيشة بشأن الامتناع عن التعامل مع الثائر بالمهدية تفيد بأن التجار الأجانب (ومنهم البيشانيون) لم يكونوا يهتمون بالجانب السياسي أي أنهم لا يميّزون بين من يسيطر على المدن الساحلية التي يتاجرون معها، ومن جهة أخرى تؤكد هذه الرسالة الفترة التي ثار فيها ابن عبد الكريم بالمهدية والتي استمرت إلى ما بعد تاريخ الرسالة أي رجب 598، كما تؤكد حصار قطع من الأسطول الموحدي للمهدية، بينما ذكر التجاني قطعتين موحديتين فقط حاصرتا المهدية دعْما لابن غانية (ص 345)[55]، وتفيد أيضا بأن حاكمين في منطقتين من سردينيا لهما اختلاف في سياستهما نحو الموحدين، وتلمّح الرسالة إلى تبعيتهما لبيشة، ولذا قد تكون هذه التبعية شكلية وخاصة في إطار العلاقات التجارية.

هـ ــ وهناك مجموعة من الرسائل التجارية بين كبار تجار تونس أو المسؤولين التجاريين وبين بعض كبار تجار بيشة[56] يمكن أن تفيد في بعض الجوانب مثل أساليب المعاملة بين تجار البلدين (مبدأ الثقة في المبادلات، وبعض مواد التبادل)، وذكر أسماء بعض التجار من البلدين.

5 ــ خصوصيات رسالتي صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحدي[57] (38 و39 م ج) :

وردت الرسالة رقم 38 ضمن الجزء السادس من صبح الأعشى، ورقم 39 ضمن الجزء الثاني من كتاب الروضتين.

---

(54) قد يكون التراجمة «دلاّلين» في «الحلقات» التجارية، انظر الرسالة رقم 25 في مجموعة أماري.

(55) انظر أيضا الصفحة 78 في الدراسة التاريخية لهذا الفصل.

(56) وهي الرسائل من رقم 14 إلى رقم 21 وكذلك رقم 25 في مجموعة أماري، ولم يتكرر نشر هذه الرسائل في المجموعة الجديدة لكونها لا تتخذ صبغة رسمية.

(57) لم أهتم هنا بمسألة الكاتب لأن الرسالتين تخرجان عن نطاق النماذج الموحدية، بل ان إقحام هاتين الرسالتين ضمن المجموعة يعتبر استثنائيا، ولذا لا وجود لترجمة القاضي الفاضل ضمن تراجم الكتّاب في مقدمة البحث بالقسم الأول.

أ ـــ هل هما رسالتان أم رسالة واحدة ؟

ـــ هناك مصادر لا تذكر أكثر من رسالة كتبت عن صلاح الدين إلى المنصور الموحدي : فالمصادر المغربية تتحدث عن سفارة أيوبية إلى البلاط الموحدي[58]، كما أن «كتاب الروضتين» يلمّح إلى ذلك في بعض العبارات مثل : «فصل في نسخة الكتاب إلى ملك المغرب»، ومثل قول صاحبه : «وقعتُ على كتاب فاضلي يشعر بأن الرسالة المغربية لم تكن برأي الفاضل...»[59] فلو كانت أكثر من واحدة لميّز بينها، وهو لا يسرد إلا نص رسالة واحدة، ومن الإشارات التي يمكن أن توحي بأحادية الرسالة ما ورد في نص رسالة الروضتين مثل : «... سلام مودّة ما وفد الغربَ قبلها مثلُها»، وفي نفس الرسالة عبارة : «ولم تتأخر المكاتبة إلا ليتمم الله ما بدأ من فضله» (من الفتوح)[60].

ـــ لكن هناك أيضا ما يفيدنا **بوجود مراسلتين مع المنصور** : فصاحب صبح الأعشى أرّخ الرسالة التي أوردها بسنة 585[61]، بينما تحمل رسالة الروضتين في نصها تاريخ 28 شعبان 586. وفي هذه الرسالة إشارة إلى استنجاد سابق كما في العبارة : «ولما استُبطِئت [المعونة] ظُنّ أنها [الدولة الموحدية] توقفت على الاستدعاء، فصرخنا به في هذه التحية...» وتتضمن رسالة الروضتين أيضا العبارة «هذه التحية الطيبة الكريمة الصيبة الواجبة الردّ..» فإذا كان هناك ردّ فلابد أن هناك رسالة تطلّبت هذا الرد. ومن حيث المحتوى نجد رسالة صبح الأعشى تتوقف أحداثها قبل الأحداث التي تنتهي عندها رسالة الروضتين : فالأولى تكتفي بذكر وصول الكفار إلى جهات القسطنطينية بقصد المسير نحو الشام، بينما الثانية توضح أن هؤلاء هم الألمان بقيادة ملكهم، وأنه وصل إلى أنطاكية فغرق في نهرها، وحاول ابنه ـــ وريثه في الملك ـــ تقديم الدعم لنصارى عكّا المحاصرين لها[62].

فهل تكون رسالة صبح الأعشى مجرد تسويد عوّضته الرسالة الواردة في الروضتين ؟ إن المقارنة بين مضامين الرسالتين لا تمكن من ترجيح هذا الافتراض.

---

(58) البيان (183-184)، العبرة 513/6-514، الاستقصا 181/2-183.

(59) الروضتين ص 171 و174 على التوالي (الجزء الثاني).

(60) بينما رسالة صبح الأعشى ذكر أنها وجهت سنة 585 أي بسنة قبل رسالة الروضتين.

(61) نفس التاريخ يذكره ابن خلدون 514/6، وكان صلاح الدين يقاتل الفرنج على عكا منذ شعبان 585.

(62) يذكر صاحب الروضتين أن عدد هؤلاء حسبما هو شائع حوالي مئتي ألف لم يبق منهم بعد دخولهم الشام إلا ما دون الخمسة آلاف (ص 177)، بينما يتحدث ابن الأثير عن عددهم عند بداية دخولهم الشام بنيف وأربعين ألف لم يبق منهم الوباء والموت إلا نحو ألف رجل غرقوا بعد إقلاعهم عن عكا (الكامل 207/9، انظر أيضا المقريزي في الخطط 234/2).

ب ـــ مضامين الرسالتين :

ـــ تضمنت رسالة صبح الأعشى الإشارة إلى قيام الدولة الأيوبية بمصر وتطهيرها من الشيعة، والقيام بالفتوح وعلى رأسها تحرير بيت المقدس من الصليبيين[63]، وهذا ما تضمّنته رسالة القاضي الفاضل إلى الأمير ابن منقذ ليذكر ذلك إلى ملك المغرب[64]، وتتفق الرسالتان ضمنيا على انتقال القوات الفرنجية إلى حصار عكا برا وبحرا وحصار صلاح الدين لها من جهة البر لمنعها من اقتحام المدينة دون أثر مهم بسبب الامدادات البحرية المستمرة لفائدة هؤلاء الفرنج رغم تمكّن بعض القطع المصرية من إيصال المؤونة في بعض الأحيان إلى سكان المدينة[65]. وهذه أيضا من الأشياء التي طلب القاضي الفاضل ـــ بأمر صلاح الدين ـــ شرحها لملك المغرب.

ـــ تذكر الرسالة الأولى (صبح) ثغرا واحدا بيد الإفرنج وهو مدينة صور ، ويبدو أن المقصود أهمّ الثغور الباقية التي تذكرها رسالة الروضتين وهي طرابلس وصور وأنطاكية، وقد انطلق الفرنج المحاصرون لعكا من صور برا وبحرا.

ـــ تحدّد الرسالة الأولى المطلوب من الموحدين وهو إمداد بلاد الشام بالقطع البحرية لمواجهة الأساطيل الصليبية، وكذلك اعتراض أسطول صقيلية (الذي كان يلعب دورا مهما في نقل الصليبيين إلى الشرق)، أما رسالة الروضتين فهي تعمّم طلب الإمدادات البحرية، بل إن التوجيهات المقدّمة للسفير ابن منقذ هي عدم حصر طلب المعونة في الأساطيل «فالمعونة ما طريقها واحدة، ولا سبيلها مسدودة ولا أنواعها محصورة، قد تكون تارة بالرجال وتارة بالمال» هذا إذا تعذرت الإعانة بالأسطول[66].

ـــ تعرّف رسالة الروضتين بالسفير وكذلك بالهدية الموجهة إلى المنصور، بينما تغفل ذلك رسالة صبح الأعشى.

---

(63) كان ذلك سنة 583 بعد هزيمة الفرنج عند حصن حطين هزيمة شنعاء (الكامل 176/9 وما بعدها، العبر 649/5-694).

(64) الروضتين 170/2.

(65) كانت مدينة عكا قد سقطت من يد الفرنج (سنة 583) ضمن المواقع المحررة (ابن الأثير 179/9) انظر تفاصيل حصار النصارى لعكا وما صاحبه من مناوشات بينهم وبين جيش صلاح الدين في الكامل 186/9 وما بعدها.

(66) الروضتين 171/2، وفي هذا تلميح إلى المعاناة من الضعف المادي الذي كانت تعانيه الدولة الأيوبية آنذاك، والذي كان أحياناً سببا في فشل الخطط العسكرية لصلاح الدين، أنظر ابن الأثير وتلميحاته لذلك في 204/9 في فك حصار صور وخلال حصار عكا، وفي الصفحة 209 حول تقديم المؤونة من بيروت وصيدا لنصارى عكا، ويعترف صاحب الروضتين بهذا الضعف المادي لقلة المداخيل وركود التجارة في مقابل النفقات الكثيرة (ص 176 و177).

ج ــ أسلوب المخاطبة :

تكثر في رسالة صبح الأعشى تعابير التبجيل للخليفة الموحدي فتصفه تارة باسم (سيدنا) وأحيانا بلقب أمير المومنين، وأمير المسلمين، وتصف المرسِل أحيانا بالخديم[67]، وهناك من يطعن في هذا معللا أن الرسالة المحمولة إلى المغرب لم تكن تحمل طابع صلاح الدين[68]. أما رسالة صاحب الروضتين فهي تحمل تعابير حذِرة تراعي مكانة الطرفين باعتدال، فرغم أنها تجرّد صلاح الدين من الألقاب الفخمة وتصفه «بالفقير إلى رحمة ربه يوسف بن أيوب»، فإنها لم تعترف للمنصور الموحدي بلقب الخلافة وإن استعملت بعض الصيغ مثل «معلي الموحدين على الملحدين» و«سلطان الإسلام»، فلهذا قيل إن المنصور رفض تقديم الدعم للأيوبيين !

د ــ الأهمية التاريخية للرسالتين :

ــ يفهم من مسألة الألقاب في الرسالتين وجود عداوة كامنة بين الطرفين أو على الأقل رفض الأيوبيين لسياسة الدولة الموحدية في ادعائها بأحقية خلافتها على جميع المسلمين، فالأيوبيون تابعون شكليا للخلافة العباسية ويمارسون في الواقع استقلالا عنها.

ــ تفيد الرسالتان في أن تحرير بيت المقدس كان له دور مهم في تدفّق الإمدادات الصليبية نحو الشام برا عبر البلاد البيزنطية وكذلك بحرا[69]، وهناك إشارة إلى الدور الذي كان يلعبه الأسطول الصقيلي في نقل هذه الإمدادات.

ــ تفيد الرسالتان في الاعتراف بضعف البحرية الأيوبية سواء بالنسبة للبحريات الصليبية أو الموحدية، بحيث تشيران إلى كثرة أساطيل النصارى وتلمّحان إلى قوة أساطيل الموحدين : «فإن عددها واف وشطرها كافٍ... ويمكنه (أي المنصور) أن يمد الشام منه بعدٍّ كثيف... ويمكنه أن يكفّ شطراً لأسطول طاغية صقيلية...»[70] «وكان المتوقع... أن يمدّ غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما مدّ به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواري كالأعلام»[71].

---

(67) هذا إن لم تكن الرسالة تعبر عن كاتبها أولا خاصة وأنه كتبها بمصر بينما صلاح ا لدين يحاصر عكا (راجع الهامش رقم 68).

(68) يناقش صاحب الروضتين هذا الموضوع في الصفحات (174–177).

(69) كانت هذه هي الحملة الصليبية الثالثة سنة 1189/585 التي قادها ملوك ألمانيا وانكلترا وفرنسا، وضغط هذه الحملة هو الذي فرض على الأيوبيين طلب المعونة من المغرب.

(70) رسالة صبح الأعشى.

(71) رسالة الروضتين، انظر العلاقات بين الموحدين والأيوبيين في أواخر هذا الفصل (80–84).

6 ــ رسالتان عن الشيخ عبد الواحد الحفصي حول انتصاره على ابن غانية (59 و61 م ج):

توجد الرسالتان معا في كتاب «الإعتاب» لابن الأبار أوردهما كنموذجين لفن الكتابة عند ابن نخيل أثناء الترجمة له(72).

الرسالة الأولى (59) : كتبها عن الشيخ عبد الواحد والي افريقية حول معركة شبرو بنواحي تبسّة التي انتصر فيها على يحيى ابن غانية وحلفائه من العرب وبعض البربر، وهي رسالة غير مؤرخة، وقد اكتفى ابن الأبار باقتباس بعض الفصول منها دون ذكر نصها كاملا، وهذا البتر للرسالة أغفل ذكر التاريخ والجهة المرسَلة إليها، وربما يعلل هذا تعاطف ابن الأبار مع الحفصيين خاصة إذا كان صدر الرسالة يشير إلى الخليفة الموحدي وتمجيده والتبعية له كما هي عادة الرسائل الموحدية. وبالنسبة لتاريخها ذكر ابن الأبار أنه منتصف صفر سنة 604(73) وهي نفس السنة في مصادر أخرى مع اختلاف في الشهر أو إغفاله(74).

والرسالة ــ أو على الأقل ما بقي منها ــ لا تعطي توضيحا عن ظروف المعركة، وإنما تتحدث عن النتيجة وهي هزيمة ابن غانية وفراره جريحا، ويعطينا صاحب الروض المعطار (في مادة شبرو) التوضيح الآتي : فبعد عودة الناصر إلى المغرب من افريقية كاتب الميورقيّ القبائل واستنفر الأعراب ووعدهم، فاجتمعت له جموع كثيرة(75)، بينما كاتبهم صاحب افريقية (الحفصي) ولم يصله منهم إلا القليل، فلما التقى الجمعان هجم ابن غانية على قلب معسكر الموحدين، ثم طعنه رجل من «عبيد المخزن» بالرمح في فخذه، وحملت ميمنته على ميسرة الموحدين... وكاد الخلل يظهر في صفوفهم، فلما رجع يحيى مطعونا حملت ميسرة الموحدين على ميمنته فهزموها، وحمل الشيخ (الحفصي) ــ وكان في القلب ــ على قلب جيش ابن غانية وتمّت الهزيمة عليه وفرّ جريحا، وفقد في المعركة نحو خمسمائة من أنصاره ونحو مائتي فرس ونحو ألفي جمل بحمولتها.

هذه الهزيمة ــ إضافة إلى فقدان ابن غانية لجزيرة ميورقة ومداخيلها المالية ــ جعلته يبحث عن موارد مالية جديدة بالتحرك عبر مدن الواحات إلى أن يصل في نهبه إلى سجلماسة سنة 605، فكان هدفه جمع كميات هامة من الأموال لتساعده على استمالة أعداد كبيرة من العرب ومن بقايا الغز ليخوض بهم معركة أخرى مع الشيخ الحفصي، هذه المعركة هي موضوع الرسالة الثانية رقم 61.

---

(72) انظر عنه الترجمة رقم 23 في مقدمة البحث.

(73) مخطوط خ ع يجعل تاريخها سنة 606 وهذا لا تتفق عليه النسخ الأخرى (انظر الهامش 74 بعده).

(74) يكتفي بذكر سنة 604 ابن خلدون (548/6) والزركشي (ص 19)، ويحدد صاحب الروض المعطار شهر ذي القعدة 604 (مادة شبرو) انظر أيضا برانشفيك في «تاريخ إفريقية في العهد الحفصي» ج 1/ 46 (بيروت 1988).

(75) يذكر الزركشي أنهم عرب الدواودة، بينما كان مع الشيخ الحفصي بنو عوف من سليم (ص 19)، انظر أيضا العبر 403/6.

الرسالة رقم 61 : كتبها ابن نخيل أيضا عن الشيخ عبد الواحد الحفصي بعد انتصاره على ابن غانية في معركة وادي أبي موسى، أورد ابن الأبار بعض فصولها فأغفل أيضا تاريخها وإن كان ذكر في تقديم الرسالة أنه سنة 606 أي نفس التاريخ الوارد في مصادر أخرى(76)، كما أن الجهة الموجّهة إليها غير مذكورة، وإن كان من غير المستبعد هو الخليفة الناصر بمراكش، فلجأ ابن الأبار إلى حذف صدرها الذي يظهر التبعية لهذا الخليفة، فصاحب البيان يقول : «وصل البشير إلى الحضرة المراكشية بهذه البشارة، وقرئت بجامعها الكتب السارّة، وجلس الناصر للتهنئات... (ص 232). وتذكر الرسالة مرور ابن غانية بأرض الزاب قبل وصوله إلى قفصة، مما يرجّح أن ذلك كان أثناء عودته من حملته إلى سجلماسة خلال سنة 605، وربما كان في قفصة ينتظر بعض حلفائه من ناحية طرابلس ليهاجم بهم عمق بلاد إفريقية(77)، ولما تأخر هؤلاء في الوصول، وتحرّك الجيش الموحدي نحوه غيّر اتجاهه نحو الأراضي الصحراوية فالتقى معه الموحدون في وادي أبي موسى عند جبل نفوسة، وكانت معركة شديدة : فالرسالة تلمّح إلى كثرة الأعداء، ويذكر ابن عذاري ضغط عرب ابن غانية على ميسرة الموحدين ــ وكان بها الأغزاز وبعض الأعراب ــ فانهزموا، بينما تقرر مصير المعركة بثبات الشيخ عبد الواحد ومن معه في «قلب الساقة»، وفرّ ابن غانية. وكان معظم من هلك في المعركة من بني رياح(78)، ويصف ابن عذاري أهمية هذه المعركة بقوله : «وأتت هذه الوقعة على أشتات المفسدين، ولم تلمح لهم بعد بارقة ولا تلوح إلى يوم الدين» (ص 232).

ويمكن أن تبرز **أهمية الرسالة** في الجوانب العسكرية بالخصوص كما يلي :

- أسلوب القتال عند العرب بإحضار أموالهم وعيالهم لتشتد حماستهم في القتال، ومن خدعهم أن يجعلوا النساء في هوادجهن وخلفهن الإبل التي يختفي وراءها النبّالون لاستهداف من يقصدهن.
- استعمال بني غانية للمحاربين من الصنفين : الفرسان والرجّالة.
- تفضيل العرب لقتال صنفهم «وزعموا أنهم حديد العرب، ولا يفلح الحديد إلا بالحديد» (ص 159)، فحارب بنو رياح من صف ابن غانية عربَ عوف والشريد من أنصار الموحدين.

---

(76) البيان ص 231، العبر 6/403-404، ويجعل صاحب الروض المعطار المعركة في 24 ربيع الثاني سنة 605 (عوض 606) (مادة وادي أبي موسى).

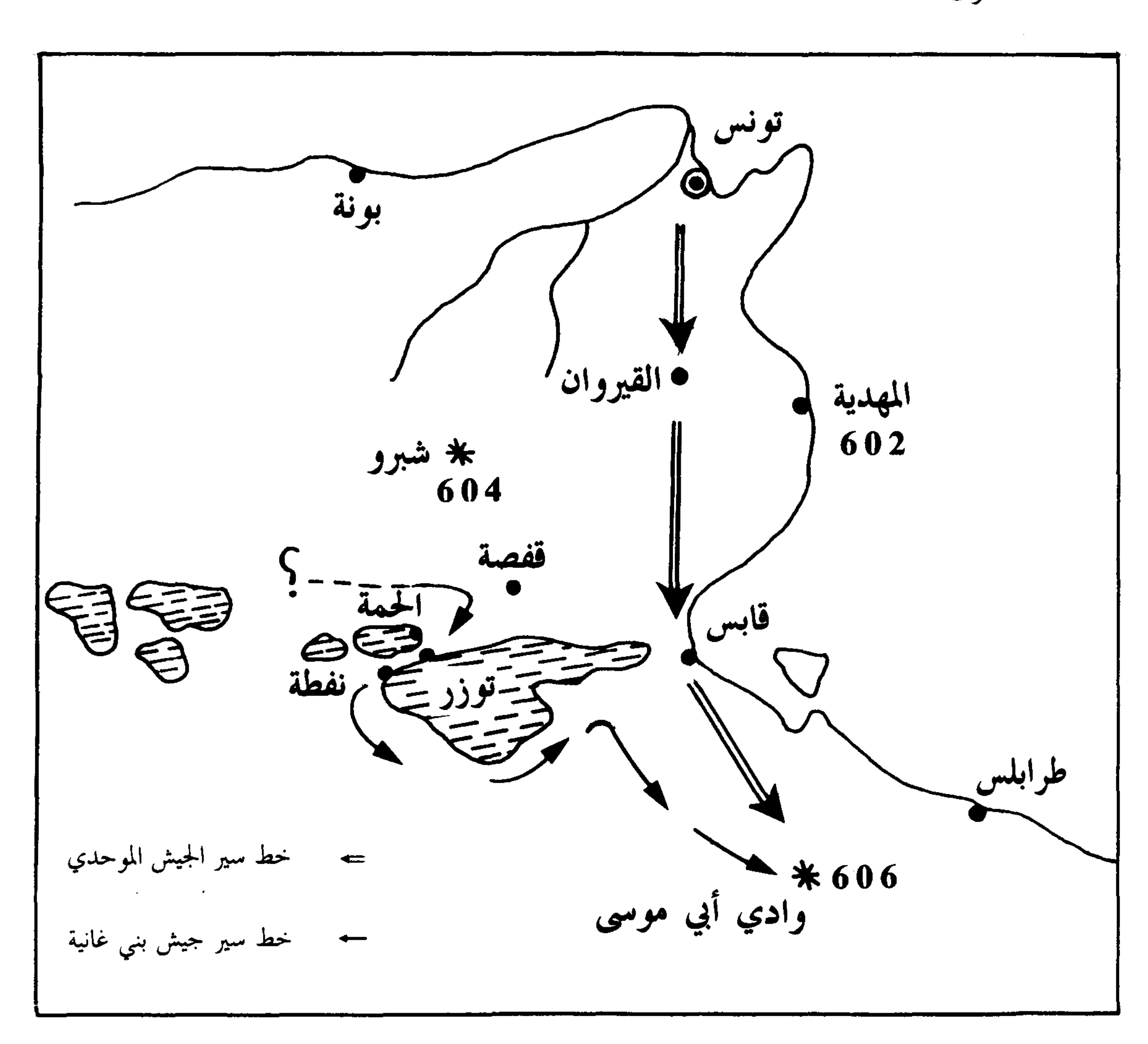
(77) العبر 6/ 403-404، الروض المعطار (نفس المادة).

(78) يذكر صاحب الروض المعطار القبائل التي التفت حول ابن غانية، ويذكر اشتداد المعركة : الميمنة مع الميسرة والميسرة مع الميمنة والقلب مع القلب، ويذكر بعض الأعيان من القتلى في صف ابن غانية كما يذكر فراره مع بني رياح وغيرهم (نفس المادة ص 604).

ـ اتّباع أسلوب المماطلة من طرف العدو قبل الاصطدام في المعركة لكي تنفذ مؤونة الجيش الموحدي في أرض صحراوية.

ـ ترسم الرسالة خريطة لتحركات جيش العدو وتحركات جيش الموحدين قبل المعركة.

ـ تؤكد الرسالة نجاة ابن غانية فرارا بنفسه وفي قلة من أنصاره، وتتفق في هذا مع مصادر أخرى.



رسم لتحرك الجيشين الموحدي والغاني قبيل الاصطدام في معركة وادي أبي موسى

الموضوع الثاني :

دراسة تاريخية لرسائل الفصل الثاني

ينطلق الموضوع كما هي العادة من الرسائل التي تهمّ هذا الفصل مستفيدا من مصادر أخرى، ويشمل على العموم وضعية المغرب الأوسط وافريقية منذ وصول النفوذ الموحدي إليهما من أواسط القرن السادس إلى أوائل القرن السابع حيث ظهرت نواة الدولة الحفصية، ويشمل هذا الموضوع أيضا تأثير هذه الوضعية على العلاقات بين الموحدين وكل من الأيوبيين والإيطاليين.

أ ــ المغرب الأوسط وافريقية بين الموحدين والقوى المنافسة لهم :

يمكن تقسيم فترة تبعية المنطقة للموحدين إلى المراحل الآتية : المرحلة الأولى هي التي تمّت حوالي سنة 540 في القسم الغربي من المغرب الأوسط أي المنطقة الموروثة عن العصر المرابطي، ثم المرحلة الثانية التي تواجه فيها **الموحدون مع الدولة الحمادية** وبعض الأسر الحاكمة في بعض مدن افريقية، ومع عرب المنطقة زيادة على النرمانديين في الساحل، وقد امتدّت هذه المرحلة على العموم من سنة 547 إلى حوالي 568 عندما بدأ عنصر الغزّ يدخل افريقية، وهنا تبدأ المرحلة الثالثة **بظهور العنصر الأجنبي** ومعه بنو غانية ــ القادمون من جزر شرق الأندلس ــ مدعّمين بعناصر بربرية وعربية، هذه المرحلة تمتد إلى عهد حملة المنصور إلى إفريقية سنة 583 حيث أصبحت الدعوة للعباسيين تنافس الدعوة للموحدين فتقلصت سلطة هؤلاء عن شرقي إفريقية الملتف حول قراقوش زعيم الغز وعن «الجريد» الذي سبق أن التفّ حول أسرة بني الرند أمراء قفصة منذ أواسط القرن الخامس ثم خضع لابن غانية الميورقي المرابطي. وبعد حملة المنصور الافريقية (سنة 583) وعودته إلى المغرب الأقصى عمل ابن غانية على إقصاء كل منافس في المنطقة حتى أصبحت البيعة له من طرابلس إلى بونة بما فيها مدينة تونس سنة 600، مما فرض تحرك الخليفة الناصر إلى إفريقية لإبعاد بني غانية عنها، وكان من النتائج البعيدة لهذه الوضعية قيام الدولة الحفصية بالمنطقة :

1 ــ إن السلطة الموحدية كانت تواجه في شرق المغرب الأوسط وإفريقية تعدد العناصر المعارضة أو المنافسة، فهناك **القبائل العربية** التي كانت تمثل العنصر المتغلب منذ أواسط القرن الخامس الهجري، فبعضهم مثلا كانوا يقتسمون مع بني حماد بالمغرب الأوسط الجبايات مناصفة[79]، ولذا حاولوا منع الجيش الموحدي من الاستقرار أو التوسع بالمنطقة بعد القضاء

(79) المعجب (224–225)، ويشير ابن الأثير إلى تخوف عرب المنطقة من امتداد النفوذ الموحدي، ويذكر القبائل العربية التي كانت مجالاتها بين طرابلس والمغر الأوسط وهي : بنو هلال ورياح وزغب وغيرهم، الكامل 41/9، راجع أيضا العبر 491/6.

على مملكة بني حماد[80] فاصطدموا مع جيش عبد المومن في سطيف سنة 548، ودارت الهزيمة عليهم[81]، فقبل بعضهم الدخول في خدمة الدولة الموحدية، وسيتعزز انتصار عبد المومن في سطيف بانتصار آخر على عرب افريقية خلال حملته لفتح المهدية[82].

وسيحاول عبد المومن ثم أبناؤه من بعده تكرار التجربة التي سبقهم إليها بنو زيري وبنو حماد وهي استعمال هؤلاء العرب جندا لهم[83]، واستدراج عدد منهم نحو المغرب الأقصى والأندلس، وكان المبرر عادة هو «الجهاد»، غير أن هناك هدفا آخر وهو التخفيف من ضغط هذه القبائل العربية على ولاية بعيدة كافريقية[84]، والأهم من هذا أن عبد المومن كان يشعر بضعفه أمام المصامدة وأشياخهم، بل دبّر بعضهم في أكثر من مرة الإطاحة بحكمه أو اغتياله[85]، فنجح في استمالة العناصر العربية لتقوية سلطته ولدعمه في تحويل الخلافة إلى ملك وراثي في ذريته، وفي تقسيم الولايات بين أبنائه[86]. وفي عهد يوسف كانت هناك عمليات لنقل عدد أكبر من عرب رياح وغيرهم من الهلاليين من افريقية لإعادة الهدوء إليها ولمواجهة الضغط المسيحي على الأندلس[87]، واستمرت العملية في عهد المنصور لتشمل إلى جانب الهلاليين عناصر من سليم اتجهت إلى المغرب الأقصى سنة 588[88].

---

(80) الرسالتان 7 و8 (م ر م)، البيذق 73 وما بعدها، الكامل 9/30–31، البيان 32 وما بعدها في (خ ح 3/336)، وكان للاثبج الدور الأساسي في مواجهة عبد المومن لتعاونهم مع الصنهاجيين الذين جعلوا الرئاسة لهم، العبر 6/34 وما بعدها و491، خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني، ط تونس 1966، (قسم شعراء المغرب فيه رسالة للأمير الحمادي يستنجد بعرب هلال بعد فراره من بجاية، ج 1/180).

(81) الرسالة رقم 9 (م ر م) تاريخها أول ربيع الآخر سنة 548 يصحّح الخطأ الذي وقع فيه كل من البيذق (ص 74) وابن خلدون (6/491) الذين جعلا سنة 546 هي سنة سطيف.

(82) الرسالة رقم 9 (م ج) وإشارة في الرسالة رقم 19 (م ر م)، البيان 39 ط. تطوان، وقبل حصار الموحدين للمهدية كانت لهم محاولتان فاشلتان سنة 552 بحرا و553 برّا، انظر الكامل 9/65، البيان 1/316، ط. بيروت، المعجب 228، وتلميح في الرسالة رقم (1) في مجموعة أماري (المحاولتان المذكورتان كانتا لفتح مدينة تونس).

(83) المعجب 225، العروي في «تاريخ المغرب» (184–185) ط. بيروت 1977.

(84) مما أوصى به عبد المومن بعض أولاده هو إخلاء إفريقية من العرب وجلبهم إلى المغرب والأندلس، العبر 6/580.

(85) البيذق (76–77)، المعجب 233، القرطاس 149 و199، البيان 28، انظر أيضا في الفصل الأول (ص 36–37).

(86) الرسالتان 13 و14 (م ر م)، ابن الأثير 9/50–51، ونفس صفحتي، الفصل الأول.

(87) الرسالة 26 (م ر م)، وربما يدخل في هذا الإطار أيضا موضوع الرسالة 25 (م ج).

(88) البيان 188، ويذكر ابن خلدون أسماء بعض القبائل التي وطنها المنصور بالمغرب (6/45).

ورغم هذا كله لم ينقطع عيث العرب بافريقية سواء من بعض الهلاليين المترددين بين الطاعة والتمرد[89]، أو من بني سليم الذين كانوا حول طرابلس وما شرقها غير مستقرين على الطاعة غالبا[90]، فكان الثائرون بالمنطقة يجدون الدعم من هؤلاء العرب سواء ابن الرند الثائر بقفصة أو قراقوش الغزّي وأتباعه، أو بنو غانية، أي سواء كانوا من الثوار المحليين أو من الأجانب :

2 ــ فمن الأسر المحلية التي كان لها نفوذ قبل الموحدين نجد **أسرة بني الرند بقفصة،** إذ كان جدهم عبد الله بن محمد بن الرند عاملا لبني زيري الصنهاجيين بقفصة وما حولها، فلما عاث العرب بالمنطقة منذ أواسط القرن الخامس استبد بقفصة وبايعه أهلها وأهل الجريد «وصالح العرب على الإتاوة»[91] وكذلك فعل ابنه المعتز «ولم يزالوا بخير إلى أن نازلهم عبد المومن»[91] !

كان خضوع قفصة للموحدين أثناء حصار عبد المومن للمهدية أواخر سنة 554[92]، حيث كان من معسكره يوجه البعثات العسكرية لفتح مدن افريقية، فوصله وفد قفصة لتقديم الطاعة، ذلك أن أهلها «لما رأوا تمكّن عبد المومن أجمعوا على المبادرة إلى طاعته، فتوجّه إليه صاحبها يحيى بن تميم بن المعز ومعه جماعة من أعيانها»[93]. ويتضح من هذا أن عبد المومن لم يحضر فتح قفصة، ولا وجود لنص صريح بحصاره لها وفتحها على يديه عكس ما ذهب إليه بروفنصال عندما ظن أن الرسالة الصادرة عن الخليفة يوسف من قفصة سنة 576 (رقم 31 م ج) هي رسالة صادرة عن الخليفة عبد المومن[94]، وحتى عبارة ابن خلدون التي اعتمدها بروفنصال لتأكيد استنتاجه لا تعني فرضا حضور عبد المومن في «منازلة» قفصة[95].

---

(89) يذكر ابن خلدون أن العرب عندما اقتسموا إفريقية للمرة الثانية أيام الصنهاجيين كان لهلال من قابس إلى الغرب (العبر 34/6) والراجح أن هذا التقسيم ظل قائما خلال القرن السادس. ومن العرب المترددين بين الطاعة والتمرد قبيلة الدواودة الرياحية مع شيخها مسعود البلط حيث خرج عن طاعة الموحدين إلى التحالف مع قراقوش ثم عاد إلى طاعتهم بعد فتح قفصة سنة 576 (الكامل 576/9)، والرسالة 26 (م ر م).

(90) انظر الرسالة 30 (م ر م) عن سليم، و33 (م ر م) عن طاعة عوف والشريد من سليم، وفي المجموعة الجديدة (59 و61) عن حلفاء الميورقي من العرب، وانظر في العبر علاقة شيخ رياح مع الثائر الركراكي بالمهدية ثم مع ابن غانية (517/6).

(91) العبر 338/6–340 (فصل عن بني الرند).

(92) انظر الصفحتين 58–59 والهامش 50 في هذا الفصل.

(93) الكامل 63/9–64 (ضمن أحداث 554)، النويري في «نهاية الأرب» ص 432–433.

(94) انظر الصفحتين 58–59 والهامش 50 في هذا الفصل.

(95) الرسالة 19 (م ر م) من ظاهر المهدية ألحق بها عبد المومن في آخرها خبر وصول فتح قفصة، كما أن ابن خلدون يعمم المسألة هنا حيث لا يهتم بالتفاصيل.

بعد خضوع هذه المدينة عيّن عليها عبد المومن عامله نعمان بن عبد الحق الهنتاتي، ولما عزله عيّن مكانه ميمون الكنفيسي ثم خلفه عليها عمران بن موسى الصنهاجي الذي قيل إنه «أساء إلى الرعية فبعثوا عن علي بن عبد العزيز بن المعتز من بجاية... وثاروا بعمران الصنهاجي عامل الموحدين فقتلوه وقدّموا عليّاً بن عبد العزيز... وأغزاه يوسف بن عبد المومن سنة **563** أخاه السيد أبا زكرياء[96]، فأعاد السلطة الموحدية إلى قفصة. وربما كان هذا الموقف من أهلها هو أحد العوامل الأساسية لإثبات قوات موحدية دائمة في افريقية لمنع التمرد وغارات الأعراب الذين كان الخليفة يوسف يحاول استنفارهم معه إلى الأندلس[97].

ومنذ سنة 568 خرج جماعة من الأغزاز (التركمان) نحو إفريقية بزعامة قراقوش ــ مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين ــ فاستولى على طرابلس وقابس بدعم عرب منطقتها محوّلا الدعوة للعباسيين والأيوبيين[98]، مما شجّع أحد أعقاب بني الرند ببجاية وهو **المعروف بابن الرند** على الثورة في قفصة على الموحدين سنة 572 داعيا للعباسيين، وتلقّب بالناصر لدين النبي[99]. ولم تساعد الظروف الخليفة يوسف على «الحركة» نحو افريقية إلا سنة 576 حيث أشرف بنفسه على حصار قفصة وضربها «بالآلات الحربية» المختلفة نظرا لحصانتها، وصنعت بعض هذه الآلات من خشب أوصله النصارى إلى إفريقية، فتمكّن الخليفة من فتحها في رجب 576، بعد أن استسلم صاحبها طالبا العفو[100]، فنفاه إلى مراكش ثم ولاه «أعمال» سلا (أي أشغالها المالية) إلى وفاته بها[101]. هذه الثورة وجدت الدعم من الأغزاز بزعامة منافس آخر لقراقوش كما يذكر ذلك ابن الأثير[102]، وتشير الرسالتان 30 و31 (م ج) أيضا لهذا الدعم. كما وجدت الثورة تأييدا من عرب المنطقة (المنافسين لسليم أنصار قراقوش) وهم العرب

---

(96) العبر 339/6، انظر خصوصيات الرسالة 25 في الصفحة (54–56).

(97) راجع الرسالة 25 (م ج)، وخصوصياتها (ص 54–56).

(98) يجعل التجاني فتح إفريقية على يد قراقوش سنة 569 ص (60) ولعله يقصد طرابلس وقابس، راجع الرسالتين 30 و31 (م ج)، والهامش 99 بعد، وقارن مع برانشفيك في «تاريخ إفريقية...» ج 36/1 (معرّب) وألفرد بيل في Les Banu Ghanya هامش ص 62.

(99) التجاني 111 وما بعدها، العبر 394/6–395 (نقلا عن التجاني)، ابن الأثير 151/9–152 (ضمن أحداث سنة 576)، المقريزي في السلوك (أحداث 573، 574 و577)، وذكر اللقب صاحب المعجب (252).

(100) الرسالتان 30 و31 تصححان تاريخ الفتح، إذ يجعله صاحب البيان مثلا في رمضان (ص 114).

(101) انظر عنه الرسالتين 30 و31 (م ج) المذكورتين، وابن الأثير في أحداث سنتي 568 و576، البيذق 86، المعجب 252، البيان (113–115)، الاستبصار (150–151) العبر 502/6، الروض المعطار (477–479)، الزركشي 14 (ط تونس)، القرطاس 212 (وهو يذكر مقتل ابن الرند).

(102) الكامل (أحداث 576).

الهلاليون[103]، فالرسالة رقم 30 (م ج) حول فتح قفصة تشير إلى طاعة العرب وتوبتهم قبل حصار الخليفة يوسف للمدينة[104]، وتنص الرسالة رقم 26 (م رم) المؤرخة بشوال 576 (أي بعد فتح قفصة) على اجتماع جميع أشياخ عرب رياح مع الخليفة وقبولهم الحركة إلى المغرب الأقصى، بينما ظلت سليم بمنطقة طرابلس في موقف الحذر.

غير أن قفصة ستثور مرة أخرى مع بلاد الجريد عندما يصلها بنو غانية سنة 581، وسيجدون من يدعمهم من العرب والغز إلى أن يفتحها المنصور بعد انتصاره على هؤلاء في معركة الحمّة قرب قابس[105] وتشديد الخناق على قفصة. وسيستمر دور هذين العنصرين في دعم بني غانية ضد الموحدين لفترة تمتد على مدى نصف قرن تقريبا حيث سيكون هذا الوضع من الأسباب الرئيسية لقيام الدولة الحفصية. غير أن هذا الدور للعنصر الأجنبي لا يغفل دور العنصر المحلي في التحرك السياسي : فثورة ابن المعز (ابن الرند) كان يدعمها أيضا قريبه ببجاية علي بن المنتصر الذي اكتشفت مراسلاته مع العرب لتحريضهم على دعم الثورة، فعاقبه الخليفة يوسف عند وصوله إلى بجاية بمصادرة أملاكه[106]، ومثل هذا الموقف العدائي نحو الموحدين ظهر أيضا عند بعض الأسر الكبرى ذات النفوذ ببجاية كبني حمدون وبني القائد، وهم من أعيان الدولة الحمادية سابقا، فهناك من يذكر أنهم هم الذين استدعوا بني غانية من ميورقة ومهّدوا لهم السبيل لاحتلال بجاية[107].

ويذكر ابن الأثير أن ابن غانية جمع بقايا الحماديين وأضافهم إلى من معه من الملثمين الذين اجتاز بهم[108]، ويقول ابن عذاري (146) : «وكان في البلد من أرباب الأمر ما لو شاء الله لمنعوهم من الاستيلاء...» وعن احتلال بني غانية لمدينة توزر بالجريد سنة 582 يذكر التجاني أنه «لولا المخامرة من أهلها لما دخلوها» (ص 162). كما أن أهل قفصة دخلوا في طاعة بني غانية طوعا حسب صاحبي الاستبصار والمعجب[109].

---

(103) انظر الهامش 89.

(104) يجعلهم صاحبا البيان والعبر عرب رياح، والرياحيون من قبائل هلال (ص 114 و502/6).

(105) الرسالة 30 (م ر م).

(106) البيذق 86، البيان 114، العبر 502/6.

(107) (المعجب 270)، ويضيف الدكتور أبو ضيف أسرة أخرى متواطئة مع بني غانية هي أسرة بني الحكيم (أثر القبائل العربية... ص 76)، انظر أيضا البيان 146 وما بعدها والعبر 505/6 وما بعدها.

(108) الكامل (أحداث سنة 580)، وعن بني حماد انظر الرسالة 7 (م ر م) ودراستها في هسبريس 1941 وانظر أيضا A. Bel : Les banou Ghânya (p. 42).

(109) في الاستبصار : «أدخلوه البلد وملكوه عليهم» (150-151)، وفي المعجب «انتقضت عليهم (الموحدين) مدينة قفصة ونزع أهلها أيديهم من طاعتهم ودعوا للميورقيين» (274)، وقد اقتنع بتواطؤ أهل بجاية مع الميرقيين كل من برانشفيك في «تاريخ افريقية» ج 37/1 و A. Bel ص 73.

هل كان لفقهاء المذهب المالكي دور في الأحداث ؟ يمكن أن نفهم من بعض التراجم الواردة عند الغبريني ـــ وإحداها واردة في المعجب ـــ أن هناك بعض الفقهاء الذين كانوا يتعاطفون مع ابن غانية[110]، وهناك من يرى في صمود حركة بني غانية ـــ والموحدون في أوج قوتهم ـــ أنها كانت تجد الدعم من قبل الرأي العام في المدن المتأثرة بعلماء المذهب المالكي ضد مذهب الموحدين[111]. والملاحظ أن المذهب السني (وهو أيضا مذهب الموحدين في ميدان التشريع) كان في مرحلة انتعاش بحيث زالت الدولة الفاطمية من مصر وما حولها، وتحوّلت الدعوة إلى الخلافة العباسية التي أخذت تمتد غربا إلى إفريقية مع قراقوش وبني غانية، وستدخل إلى الأندلس مؤقتا وشكليا إبّان ضعف الدولة الموحدية.

لكن هل كان الرأي العام في مختلف مدن افريقية وقراها وبالمغرب الأوسط مؤيدا لحركة بني غانية وحلفائهم ؟ إن المصادر الموحدية لا تميّز بين أتباع بني غانية، إذ تسميهم سوقة وفسّاقا أو أوباشا وغوغاء[112]، وقد يكون من الأصح التمييز بين موقف العامة والأعيان، فهؤلاء كان لبعضهم طموح سياسي خصوصا أعيان المدن[113] (كما لاحظنا ذلك بالنسبة لأعيان بجاية وقفصة)، كذلك موقف بعض الفقهاء المالكيين بدافع الغيرة المذهبية فما يبدو ضد مذهب الموحدين[114]، ثم هناك العامة في المدن والتي لا ترى فائدة في استبدال السلطة

---

(110) «عنوان الدراية»... ترجمة أبي علي المسيلي رقم 2 وترجمة عبد الحق الازدي الاشبيلي (رقم 3) (والمعجب ص 271-272)، وترجمة أبي الطاهر الشريف الحسني، ويبدو أن الغبريني كان يكتب بحذر فلا يظهر المعارضين للموحدين بشكل واضح فهو يكتب في ظل الدولة الحفصية الموحدية أصلا. وإذا كانت معارضة هؤلاء مذهبية على الأقل ظاهريا فإن هذا لا ينفي العلاقات التجارية بين بجاية وميورقة (الترجمة 4 عند الغبريني) التي لا يستبعد أن يستفيد منها أيضا بعض الفقهاء.

(111) عبد الله العروي «تاريخ المغرب» (190-191)، برانشفيك يقسم المعارضة ضد الموحدين إلى ثلاثة : فقهاء المراكز الحضرية، النرمانديون، العرب الرحل ,La Berbérie... 1/4أو افريقية الحفصية 32/1.

(112) «داخل أوباشا ممن كان ببجاية فيسّروا له...» ص 171 من الرسالة 29 (م ر م)، انظر أيضا البيان 146 و147 و149 ويبدو أن مثل هذه الروايات نقلها ابن عذاري عن مؤرخين موحدين خاصة ابن صاحب الصلاة.

(113) يذكر ماص لاطري أن اتفاقية الموحدين مع جنوة سنة 556 حددت الرسوم على بضاعة تُجّارها بـ 10 % في بجاية وبـ 8 % فقط في المراسي الأخرى (Relations p. 89)، هذا النظام لصالح المراسي الأخرى على حساب بجاية هل استمر بعد عهد عبد المومن وهل له أثر في غضب أرباب التجارة ببجاية فاستدعوا بني غانية ؟ راجع الهامش 110 أيضا.

(114) كان المذهب المالكي لايزال قويا خاصة في طرفي الدولة الموحدية (الأندلس وافريقية)، ولكن الغيرة المذهبية لا تنفي وجود بعض الطموحين الذين ادعوا الهداية وجمعوا الأتباع حولهم مثل الثائر الأشل بالزاب سنة 589 (البيان 189-191)، وقبله بالمغرب الأقصى الثائر الجزيري وقبلهما وبعدهما آخرون.

الموحدية بسلطة قد تكون أقسى منها وخاصة باعتماد هذه على عناصر أجنبية كالغز وقبائل العرب البدوية التي جرّب السكان عيثها، فابن عذاري يذكر مساهمة العامة ودعمهم للجيش الموحدي ضد بني غانية وأنصارهم في مدن المغرب الأوسط أثناء الحملة الموحدية لاسترداد المنطقة (150-151)، كما أن التجاني ذكر صمود أهل توزر ضد بني غانية[115] رغم وجود بعض المؤيدين لهم، وكان تغريمهم فادحا لكل مدينة فتحوها عنوة[116].

والواقع أنا نجد نوعين من الروايات : نوعا يتّهم سكان المدن (قفصة وبجاية وغيرهما) بالتواطؤ ضد الموحدين سواء لصالح بني الرند أو بني غانية كما ذهب إلى ذلك صاحبا المعجب والاستبصار[117]، ونجد نوعا آخر من المصادر يتضح منها أن بعض هذه المدن كقفصة وتوزر لم تستسلم لبني غانية بسهولة : فابن خلدون يذكر تعاون ابن غانية وقراقوش لفتح مدن الجريد عنوة خلال سنتي 581 و582[118]، ويقول التجاني عن فتح توزر على يد بني غانية أنهم «سالموا من باطنهم على فتحها واستصفوا أموال الآخرين، فمن وجد مَن يفديه نجا، ومن لم يَجد أُلقِي به في بئر سمي بئر الشهداء»[119]، وهؤلاء الذين لم يجدوا من يفديهم يشكلون العامة بطبيعة الحال.

إنه من الصعب القول بأن السلطة الموحدية غيّرت بلاد المغرب الأوسط وافريقية من وضع فاسد إلى وضع حسن وإنما الأمر نسبي : فمن الإجراءات التي تهم أغلبية أفراد المجتمع إلغاء المكوس والقبالات التي كانت قبل عهدهم، زيادة على فرض الأمن النسبي (بعدما طال عيث القبائل العربية بالمنطقة) لتنتعش الحياة الاقتصادية، وهذا ليس من شأنه أن يكسب الموحدين عداوة سكان المنطقة أو على الأقل أغلبيتهم.

3 ــ لقد كان للعنصر الأجنبي عن المنطقة دور مهم في انعدام الاستقرار بها، وهو عنصر الأتراك أو الأكراد (الغزّ) وبنو غانية إضافة إلى القبائل العربية التي دخلت المنطقة قبل مدة قرن : فبالنسبة **للأكراد**[120] أو الترك أو التركمان أو الغز حسب اختلاف التسميات المطلقة

---

(115) انظر الهامش 118 بعد.

(116) تغريم أهل قابس ستين ألف دينار سنة 591 (العبر 6/399-400)، وكان تغريم أهل تونس سنة 600 مائة ألف دينار (الروض المعطار، مادة تونس).

(117) راجع الهامش 109 قبل.

(118) عن قفصة يقول «ظاهره قراقوش وافتتحها عنوة ثم رحل إلى توزر وقراقوش في مظاهرته فافتتحها أيضا» العبر 6/396.

(119) رحلة التجاني 162، وفي الروض المعطار أيضا : «وكان (علي بن غانية) انتقم من أهلها سنة 582 وحصرها مدة وضيق عليها» (144).

(120) وردت هذه الصفة في الرسالة 31 (م ج)، وفي رأي (هوبكنز) أن الأكراد لم يكونوا دخلوا المنطقة بعد، وأن الغزّ هم أتراك وليسوا أكرادا، «النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى» تعريب أمين الطيبي، تونس 1980 (ص 149-155).

على هؤلاء المماليك من خدّام الدولة الأيوبية الناشئة بمصر[121]، فقد خرج جماعة منهم من مصر سنة 568 القائد قراقوش كما رأينا، واستولى على عدد من الواحات في طريقه نحو افريقية، واستمال إليه العرب المنتشرين في المنطقة من سليم، وكذلك شيخ الدواودة من عرب رياح مسعود بن زمام البلط الخارج عن سلطة الموحدين، فتمكّن قراقوش من السيطرة على طرابلس ثم قابس، وربما استولى على بلاد الجريد وطمع في افريقية كلها[122]. ويذكر المقريزي أن زعيما آخر من زعماء الغز اسمه «إبراهيم سلاح دار» لحق بقراقوش سنة 573 ففتحا مدينة الروحان (كذا) وأغرماها أربعة عشر ألف دينار ثم غدامس وأغرماها اثني عشر ألف دينار، وملك إبراهيم جبال نفوسة إلى بلاد السودان ! «ووجه رسالة بفتح هوارة وزواوة ولواتة وجبل نفوسة وغدامس...» وأنه خُطب على منابرها للسلطان (صلاح الدين) وضربت السكة باسمه[123] ! وربما ظهر تنافس بين قراقوش وإبراهيم بن قراتكين سلاح دار المذكور حيث استعان هذا بمن معه من المماليك وبعض عرب افريقية الهلاليين وشجعوه على الاستقلال كما فعل قراقوش «وساروا معه إلى قفصة فاستولى على جميع منازلها، وأرسل إلى بني الرند رؤساء قفصة فمكّنوه من البلد لانحرافهم عن بني عبد المومن وحبهم في الخطبة العباسية التي ألفوها، فدخلها إبراهيم وخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصلاح الدين»[124]. ثم أصبح علي ابن الرند سيد قفصة بدعم هؤلاء المماليك الغز والعرب الهلاليين وأهل المدينة[125]. أي أن قسما مهما من افريقية أصبح خارجا عن نفوذ الموحدين، مما استلزم تحرك الخليفة يوسف إليها واستعادة النفوذ على مدنها خاصة قفصة سنة 576[126]. ولم يمكث طويلا بافريقية ربما لقلة المؤن[127]، ولكنه استطاع استدراج بعض الغز والعرب لاستعمالهم كجند نظامي ضمن بقية

---

(121) في سنة 567 ألغى صلاح الدين الأيوبي الدعوة للفاطميين وحوّلها للعباسيين، كتاب الروضتين 193/1 و216، و«منتخبات التاريخ» من تأليف تاج الدين شاهنشاه بن أيوب وهو ملحق بكتاب «النوادر السلطانية» لابن شداد المنشور تحت عنوان «سيرة صلاح الدين» ص 266.

(122) الكامل (سنة 568)، التجاني 111، الروضتين 215/1، سيرة صلاح الدين 266، العبر 5/(629-630) و666 و6/(393-395).

(123) السلوك للمقريزي، أحداث سنوات 573 و574 و577. راجع الهامش 98.

(124) رحلة التجاني 111 وما بعدها، ونقل عنه صاحب العبر 6/(394-395).

(125) الكامل (سنة 576) والرسالتان 30 و31 (م ج).

(126) إذا صح التاريخ المذكور في الترجمة الإيطالية للرسالة 32 (م ج) فإن طرابلس قد تكون خضعت مؤقتا للخليفة يوسف، غير أن سيدها الحقيقي كان هو قراقوش منذ سنة 568 فيما يبدو.

(127) الكامل 152/9، وما يؤكد قلة المؤن ما ورد في الرسالة 32 من نقل القمح الصقيلي إلى طرابلس؛ قد يكون نقص المؤن ناتجا عن «انحباس المطر» (كما في الرسالة 30) وقد يكون أيضا ناتجا عن عدم الاستقرار الذي عرفته المنطقة في هذه الفترة، انظر البيان (144) عن حركة يوسف.

الأجناد الموحدين وخصّص لهم راتبا شهريا مع الاقطاعات لزعمائهم[128]. ويذكر المراكشي أن أول دخول للغز إلى بلاد المغرب كان في عهد الخليفة يوسف ثم كثروا في عهد المنصور[129]، لكن هذا لم يشمل إلا جزءا من أولئك المماليك، أما الباقون في افريقية وعلى رأسهم قراقوش بالخصوص فإنهم سيتحالفون مع بني غانية عند دخولهم افريقية سنة 581، فيكون للمماليك من قابس إلى الشرق ولبني غانية ما غربها[130]. وبعد نهاية حملة المنصور إلى إفريقية سنة 583 وخصوصا بعد موت صلاح الدين الأيوبي سنة 589[131] اتّبع يحيى بن غانية خطة جديدة وهي إقصاء حلفائه الغز من المنطقة والاستئثار بها، ودشّن ذلك باحتلال قابس عاصمة قراقوش سنة 591، وربما كانت هذه الظروف هي التي ساعدت المنصور على استمالة عدد أكبر من المماليك لتجنيدهم ضمن قواته.

4 — **بنو غانية (الميارقة أو الموارقة)** : هم بقية العنصر المرابطي الذي انتقل من غرناطة إلى جزر شرقي الأندلس وخاصة ميورقة، فلما قضى الموحدون على إمارة ابن مردنيش بالشرق الأندلسي حاول بنو غانية أحيانا إبعاد الموحدين عنهم بتقديم الهدايا لهم، وربما كانت قيمة هذه الهدايا مما نبّه الموحدين إلى أهمية السيطرة على الجزر[132]، إضافة إلى كونها تحت التبعية الاسمية للعباسيين. ونظرا لضعف الاستقرار في إفريقية[133] وضعف معنوية الموحدين بعد الفشل في حصار شنترين، وأمام الانشغال بتنصيب الأمير يعقوب خليفة بعد أبيه، قرّر بنو غانية نقل المواجهة مع الموحدين إلى المغرب الأوسط وافريقية معتمدين على عصبيتهم الصنهاجية بهما[134]، ومستميلين ذوي النفوذ من أهل المدن والعناصر الأجنبية كالمماليك الغز والعرب

---

(128) كان الموحدون يأخذون الجامكية ثلاث مرات في السنة والغز مرة في الشهر مع الاقطاعات لزعمائهم (المعجب 289).

(129) في الصفحة 256 من المعجب يذكر دخول الغز إلى المغرب سنة 574، وفي الصفحات 289 إلى 291 يجعل دخولهم المغرب سنة 582 أو 583، ولعله كان يقصد دخولهم إلى إفريقية سنة 574 ثم بعد ذلك دخولهم في جيش يوسف ثم المنصور، انظر الرسالتين 31 و33 (م ر م) والبيان 164.

(130) إبان حملة المنصور سنة 583 كانت قابس خالصة لقراقوش دون ابن غانية، العبر 397/6.

(131) العبر 517/5 وما بعدها، الروضتين 2/211–212 (عن موت صلاح الدين وما نتج عنه من نزاع على السلطة).

(132) انظر المعجب 269.

(133) يرجع البعض وجود خطة عباسية لاحياء الدولة المرابطية قبل وصول بني غانية إلى افريقية، انظر مصطفى جواد في مقاله «المنصور الموحدي والناصر العباسي، صراح خفي» بدعوة الحق، عدد أبريل 1969، ص 57.

(134) إلى جانب صنهاجة إفريقية والمغرب الأوسط لحق بابن غانية «فلّ قومه من لمتونة ومسوفة من أطراف البقاع»، العبر 395/6.

البدو[135]، وسيتّبعون أسلوب الكر والفر أي التحرك في المنطقة عندما ينشغل الموحدون بمشاكل الأندلس، ثم التوغل في الصحراء عند تحرك الحملات الموحدية الكبرى نحوهم أو عندما يفشلون في مواجهتها، وسيصبح خطرهم أقوى في التسعينيات ثم سيواجههم الحفصيون إلى القضاء النهائي عليهم في أوائل عهد إمارتهم[136]، وهكذا يمكن تقسيم وجود بني غانية بافريقية إلى ثلاث مراحل :

• مرحلة أولى امتدت من انتقالهم من ميورقة إلى بجاية[137] حتى حوالي سنة 586، وقد تميّزت **بالتحالف بين زعماء المماليك وبني غانية** : فقبل حملة المنصور على افريقية كان علي بن غانية في منطقة الجريد متحالفا مع قراقوش صاحب قابس وما شرقها مقيمين معا الدعوة العباسية بمنطقتيهما، فقد أعان ابن غانية قراقوش مثلا على فتح قابس، وأعان قراقوش ابن غانية على فتح الجريد[138]، وتشهد الرسالة رقم 30 (م ر م) على هذا التحالف الغزي الميورقي المدعّم بالعرب، وقد انتصر هذا الحلف على الموحدين في معركة عمرة بأحواز قفصة قبل أن ينتصر المنصور عليهم في معركة الحمة قرب قابس «فكانا (الحليفان) يجتمعان في أكثر حروبهما»[139]. لكن بعد نجاح حملة المنصور وخاصة باسترداده قفصة وقابس وبلاد الجريد «أظهر قراقوش الإنابة وهاجر إلى الموحدين وذلك سنة 586»[140] وكان والي تونس الذي لجأ إليه قراقوش هو السيد أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حفص بن عبد المومن، وهكذا أصبحت إمارة قراقوش بما فيها عرب منطقته تحت السيادة الموحدية مؤقتا، كما سقطت منطقة الجريد بيد الموحدين بعد توغّل ابن غانية في الصحراء[141].

---

(135) استمال ابن غانية كافة سليم ومن في مجالاتهم إلى برقة، وكل من كان منحرفا عن الموحدين من هلال مثل جشم ورياح والاثبج ماعدا زغبة فكانت مع الموحدين، العبر 393/6-395، الكامل (أحداث سنة 581).

(136) الرسالة 37 (م ر م)، الرسالتان 59 و61 (م ج)، العبر 6/(519-520) و(596-597).

(137) اختلف في تاريخ استيلائهم على بجاية، فهناك من يجعل ذلك في شعبان 580 (الكامل 166/9، المعجب 266-267، وفيات الأعيان 18/7-19، الفردبل 42 «بنو غانية») ويجعل البعض ذلك في مطلع سنة 581 مثل صاحب البيان (144)، انظر أيضا حول احتلال بجاية الكامل 171/9-172، الزركشي 16 ط. تونس، العبر 505/6 وما بعدها، القرطاس 218-219.

(138) العبر 396/6.

(139) التجاني 103، العبر 395/6.

(140) التجاني 103، تذكر الرسالة رقم 31 (م ر م) رغبة القائدين الغزيين قراقوش وأبي زيان في تقديم الطاعة للموحدين بعد فتحهم الجريد وحصارهم قفصة (وأبو زيان هذا كان استبد بطرابلس عن قراقوش)، فهل هذه الطاعة متزامنة فقط مع استنجاد صلاح الدين الأيوبي بالمنصور أي بتخطيط مع صلاح الدين ؟ يذكر التجاني هجرته إلى الموحدين مخادعا (بعدما ثارت عليه طرابلس) ص 103 و243.

(141) انظر حركة المنصور في البيان (157-170)، وتذكر الرسالة 33 (م ر م) طاعة عوف والشريد =

• غير أن قرقوش تراجع عن هذه الطاعة واستولى على مدينتي قابس وطرابلس من يد الموحدين وهنا تبدأ المرحلة الثانية لوجود بني غانية والقوى الأساسية بالمنطقة، ذلك أن قراقوش أصبح ينافس بني غانية في الجريد في وقت ساءت علاقته بالعرب حلفائه القدماء (حسب التجاني 156)، وربما أيضا أهل المدن مثل طرابلس (التجاني 243) فكانت سياسة الزعيم الغاني الجديد يحيى[142] بن غانية ترمي إلى **الاستئثار بالمنطقة كلها على حساب قراقوش** (والموحدين أيضا) «فوقع بينه وبين الميورقي تغيّر... فهُزم قراقوش عند طرابلس ودخلها الميورقي وعاد لفتح قابس[143]، «وكان قراقوش تخلّى عنها وأرسل الموحدون إليها قوة دخلتها، غير أن ابن غانية استطاع احتلالها بعد حصارها وضربها بالمنجنيق سنة 591[144]. وظلت بيده إلى عهد حركة الناصر إليها سنة 602[143]. وهكذا أمكن لابن غانية إزاحة منافسه الغزي واستعادة الجريد إلى نفوذه، ثم اتسعت إمارته لتمتد من طرابلس وما شرقها إلى مدينة بونة خصوصا بعد استيلائه على المهدية سنة 598 من يد ابن عبد الكريم الركراكي المتمرد بها على والي الموحدين بتونس سنة 595، والذي نافس ابن غانية واتخذ اللقب الملوكي[145]. وحاولت حكومة تونس الموحدية فرض حصار تجاري على المهدية دون نتيجة[146]، بل استطاع ابن غانية أن «يخدع» والي تونس باظهار تحالفه معه أو تبعيته له فدعّمه بحريا لأخذ المهدية، وبعد استيلاء ابن غانية عليها طمع في تونس نفسها فاحتلها في سابع ربيع الثاني سنة 600 بعد حصار دام أكثر من أربعة أشهر[147]. أي أن افريقية حوالي هذه السنة سقطت

= من سليم للمنصور وهو بالمهدية، ولعل أحداث افريقية في هذه الفترة أضعفت التجارة معها (انظر الرسالة 36 م ج إلى بيشة).

(142) تولى أمر بني غانية بعد موت أخيه علي آخر سنة 584 (الاستبصار 131)، انظر رواية أخرى عند ابن خلكان 7/18-19.

(143) التجاني 103.

(144) التجاني أيضا 105 وما بعدها.

(145) هو المتوكل على الله حسب التجاني (ص 352)، وهو يذكر حصاره لمدينة تونس، ويذكر ابن الأثير سبب تمرد ابن عبد الكريم بأنه شخصي راجع لسوء العلاقة مع عامل المهدية (الكامل 245/0-246)، انظر البيان 214، والنويري 444 (ويشير إلى طاعة ابن عبد الكريم وتسليم المدينة لمبعوث من الناصر !)، انظر أيضا الرسالة 53 (م ج) ويتضح منها أنه لازال ثائرا بالمهدية في رجب 598 (تاريخ الرسالة).

(146) الرسالة المذكورة 53.

(147) التجاني (ول المهدية)، العبر 402/6، والملاحظ أن ميورقة سقطت بيد الموحدين في ذي الحجة سنة 599 أي نفس الشهر الذي بدا فيه ابن غانية حصار تونس، واغرم ابن غانية أهل تونس مئة ألف دينار حسب الروض المعطار (مادة تونس) 113-114، وفي القرطاس تاريخ آخر لفتح ميورقة (232).

كلها تقريبا من يد الموحدين نحو التبعية الاسمية للعباسيين[148]، حتى أن هناك من أشار على الخليفة الناصر بمسالمة ابن غانية[149].

• الفترة الثالثة والأخيرة لوضعية افريقية بين بني غانية والموحدين تنطلق من حملة الناصر (ما بين 601 و603) لاسترجاع المنطقة، بحيث تتبّع الموحدون ــ بزعامة الشيخ عبد الواحد الهنتاتي ــ الميارقة في مشارف الصحراء، وفرضوا عليهم هزيمة في جبل نفوسة (بتاجرا في نواحي قابس) وذلك في 12 ربيع الأول سنة 602[150]، بينما كان الناصر يشدّد الخناق برا وبحرا على المهدية واستعمل مختلف الأسلحة كالأبراج والمجانيق «وسهام الحريق»[151]، إلى أن استسلم عامل ابن غانية بها وابن عمه علي بن الغازي في 27 جمادى الأولى سنة 602، ووجّه الناصر إلى أنحاء دولته رسائل الفتح مؤرخة بـ 22 جمادى الآخرة سنة 602 من منزل أبي نصر بعد انتقاله من المهدية[152]. وعندما استقر بتونس «سرّح أخاه أبا إسحاق بن المنصور لتتبّع المفسدين إلى ما وراء طرابلس ومشارف أرض سرت وبرقة وانتهى إلى سويقة بني مذكور»[153].

هذه الحملة إلى افريقية حققت بداية النهاية لإمارة بني غانية، ولكنها كلفت أموالا باهضة[154]، كما ساهمت في ظهور الإمارة الحفصية : ذلك أن الناصر قبيل عودته من تونس في رمضان سنة 603 عقد للشيخ أبي محمد عبد الواحد الهنتاتي الولاية المطلقة على افريقية، بحيث أصبح واليا مفوّضا وبقوات عسكرية مهمة اختارها بنفسه للاستمرار في تكسير تحركات ابن غانية[155]. ومن أهم المعارك التي خاضها معه بعد معركة تاجرا المذكورة معركة شبرو بنواحي تبسة سنة 604 حيث انهزم فيها يحيى ابن غانية مع أتباعه من العرب وبعض البربر،

---

(148) بحيث لم يبق بيد الموحدين غير بجاية وقسنطينة (المعجب 317، البيان 218).

(149) العبر 518/6، الاستقصا 215/2.

(150) الرسالة 37 (م ر م)، التجاني 357–358، العبر 519/6 و581، البيان 219 وما بعدها، الزركشي 17 ط. تونس.

(151) الرسالة 57 (م ر م) وهي لا تظهر ما عاناه الموحدون من الحصار، على عكس ما أشار إليه ولو باختصار صاحب البيان (220–221) و(223–224)، انظر أيضا التجاني (357–358) والمعجب (317–318).

(152) التجاني 360.

(153) العبر 512/6–520، الزركشي 18 ط. تونس.

(154) قدّرها المراكشي بـ 120 حمل من الذهب (المعجب 318).

(155) في «الإحاطة» أن الناصر «بسط يده في الأموال وجعل إليه النظر في جميع الأمور» سنة 603 (312/1) فمن الشروط التي اشترطها لقبول هذه الولاية حرية تصرفه في تعيين أو عزل العمال. انظر الشروط عند التجاني 360، وابن خلدون 583/6، والبيان 272، الزركشي 18، ط. تونس.

وفرّ جريحا إلى الصحراء، ثم معركة أخرى حاسمة في «وادي أبي موسى» عند جبل نفوسة سنة 606[156] بعدما جمع جموعا من العرب من بلاد الزاب إلى طرابلس وخاصة من بني رياح ومن البربر وبقايا العجم (الغز)[157]، فكانت معركة حاسمة ضعف بعدها يحيى ابن غانية عن الطمع في المعمور من أرض افريقية[158]. وستستمر تحركاته اليائسة من أجل نهب الواحات من إفريقية إلى سجلماسة حتى موته سنة 631 أو 632[159]، وهي بالتقريب الفترة التي سيعلن فيها الحفصيون انفصالهم عن حكومة مراكش.

أي أن النتيجة بالنسبة لهذه الولاية البعيدة هي الانفصال مهما كانت الأسرة الحاكمة بها (أي بنو غانية أو بنو حفص). وإذا كان خطر الميارقة قد زال فإن عيث القبائل العربية لن يزول وستظل صاحبة النفوذ في البوادي خصوصا في فترة ضعف وانقسام الحفصيين.

ب ــ تأثير وضعية افريقية على العلاقات مع الأيوبيين :

1 ــ العلاقات مع الأيوبيين :

في سنة 567 وضع صلاح الدين الأيوبي نهاية للدولة الفاطمية بمصر بتحويله الدعوة للعباسيين[160]. وإلى جانب ما كان يقوم به من مواجهة للصليبيين في السواحل المصرية[161]، أخذ يضم إليه الشام الداخلي بعد موت سيده نور الدين محمود زنكي، وذلك

---

(156) الرسالة 59 (م ج) عن شبرو والرسالة 61 (م ج) عن وادي أبي موسى، انظر عن الرسالتين خصوصياتهما (65–67)، وانظر عن المعركتين أيضا البيان 231–232، العبر 403/6، و404 و(605–607)، المركشي 18–19 ط. تونس.

(157) أهم أنصاره من البربر كانوا من مغراوة الزناتية، ومن العرب الدواودة الرياحيين، ودباب وغيرهم من بني سليم (راجع الهامشين 5 و20 على الرسالة 61)، وهذا بالنسبة لمعركتي تبسة ووادي أبي موسى بالخصوص، زيادة على عصبيته الصنهاجية.
انظر أيضا G. Marçais : Les Arabes en berberie du 11e au 14e s. p. 216. Paris 1913

(158) عن نتاظج المعركة انظر الهامش 30 على الرسالة 61 (م ج) أو العبر 47/6 و404 و586 والروض المعطار 604.
وعمل الشيخ بعد المعركة الأخيرة على استمالة شيوخ العرب وإقرارهم بالعاصمة أو قريبا منها (العبر 405/6) ولن يظهر ابن غانية بإفريقية إلا بعد وفاة الشيخ عبد الواحد سنة 618 ذلك أنه زاحم قراقوش في فزان بعد أن كُلف عامل طرابلس بأمر ابن غانية، التجاني 110، البيان 230، أثر القبائل العربية 83، الفردبل : بنو غانية 205.

(159) البيان 234–235، العبر 6/(589–590) و592 و596، وفيات ابن خلكان 18/7–19.

(160) راجع الهامش 121.

(161) الروضتين ج 1 (234–235)، مثلا ما وقع في نهاية 569 وأول 570، السلوك (حوادث سنة 569).

ابتداءا من سنة 570، وقبلها بقليل كان قد وجه بعض الحملات إلى بلاد النوبة[162]، وفتح بلاد اليمن[163]، وفي هذه الفترة توجّه قراقوش مملوك تقي الدين بن أخي صلاح الدين إلى غرب مصر فاستولى على برقة وطرابلس وغيرهما[163]، الشيء الذي سيؤدي إلى توتر العلاقات بين الأيوبيين والدولة الموحدية. فما هو الهدف من وراء هذا التحرك غربا، وبعبارة أخرى هل هذا العمل يعبّر عن رغبة صلاح الدين وبأمر منه، أم أنه اكتفى بأن تكون نتيجة هذا التحرك لصالحه دون أن يأمر بذلك ؟

نفهم من بعض الروايات أن هذا العمل يدخل في إطار محاولة لإيجاد مناطق نفوذ يمكن لصلاح الدين اللجوء إليها والاعتماد عليها بسبب المنافسة بينه وبين نور الدين صاحب دمشق والذي سبق لصلاح الدين أن فتح مصر باسمه، وكان يدعو له في الخطبة بعد الخليفة العباسي، وأدت المنافسة بينهما إلى محاولة عزل صلاح الدين[164]، وفي المناطق التي فتحها قراقوش خطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين بعده (وهو سيد قراقوش)[165]، غير أن هذه المنافسة انتهت بموت نور الدين سنة 569، فبدأ صلاح الدين يضم إليه الشام الخارج عن نفوذ الصليبيين.

لكن هناك روايات تظهر قراقوش منذ بداية تحركه غربا على أنه صاحب مصلحة شخصية يحاول أن ينشيء لنفسه كيانا خاصا وهذا ما يميل إليه أيضا سعد زغلول[166]، ومع ذلك يمكن تقسيم تطور موقف كل من صلاح الدين وقراقوش إلى مرحلتين :

مرحلة أولى يعتبر فيها عمل قراقوش فيما يبدو بأمر صلاح الدين إلى أن تثبت له الأمور، فهذه إحدى رسائل صلاح الدين من إنشاء القاضي الفاضل إلى الخليفة العباسي سنة 570 أوردها صاحب الروضتين ومن بين ما جاء فيها «.. ونحن بحمد الله قد تملّكنا مما يجاورنا (من ملك بني عبد المومن) بلادا تزيد مسافتها على شهر، وسيّرنا إليها عسكرا بعد عسكر،

---

(162) السلوك (حوادث 569)، الروضتين 215/1 و216، الكامل (سنة 570) العبر 5/(634-635).

(163) الكامل (سنة 568)، العبر 630/5 و6/(291-292)، الروضتين 215/1، انظر أيضا الصفحتين 70 و71.

(164) السلوك ج 1 ق 1 ص 55 (أحداث 569).

(165) التجاني يذكر الوحشة بين الطرفين واحتياط صلاح الدين لنفسه وتردده بين اختيار اليمن والمغرب (111)، انظر أيضا السلوك (سنة 569) والعبر 627/5-628.

(166) في الكامل (سنة 568) : «وحدثته نفسه بالاستيلاء على جميع افريقية» وفي الروضتين ورد أنه أخذ الثلث من واحات منطقة برقة مقابل حمايتها من العرب (260/1 ضمن سنة 571)، انظر أيضا السلوك (سنوات 571 و572 و573)، والعبر 629/5-630، وسعد زغلول في مقاله «العلاقة بين صلاح ا لدين والمنصور الموحدي» ابتداء من الصفحة 94 بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية سنة 1953.

فرجع بنصر بعد نصر، ومن البلاد المشاهير والأقاليم الجماهير، برقة، قفصة، قسطيلية، توزر، كل هذا تقام فيه الخطبة لمولانا المستضيىء بأمر الله أمير المومنين... وينفذ فيها الأحكام بعلمها وعلامتها...»[167]. غير أن استقرار الحكم لصلاح الدين أخذ يثير منافسة من طرف أخيه تقي الدين (سيد قراقوش) فأخبر تقي الدين بأهمية الاستيلاء على برقة، فأرسل إليها مملوكه قراقوش الذي «وجد من حدّثه عن بلاد الجريد... وضعف أهلها..»[168].

وعرفت الثمانينات دخول عنصر جديد إلى افريقية هم بنو غانية حيث تمكن علي بن إسحاق بن غانية من الحصول من خليفة بغداد على الشرعية التي تجعله يحمل لقب أمير المسلمين، وأمر صلاح الدين بالتعاون معه بواسطة قراقوش وأتباعه، فالتف حول ابن غانية عرب سليم وكثير من بني رياح والترك (الأغزاز) «وكل مفسد في المنطقة» واتسع نفوذه حتى لم يبق خارجا عنه غير المهدية وتونس[169]، وهذا ما سبّب حركة المنصور إلى إفريقية سنة 583. في هذه الفترة تطلع تقي الدين إلى اللحاق بمماليكه بإفريقية للاستقلال بها دون أن ينجح في ذلك[170]. أما التحالف بين قراقوش وابن غانية فقد انتهى بعد حملة المنصور المذكورة، حيث التحق قراقوش مؤقتا بالموحدين[171]، وعندما تراجع عن هذا الموقف لم يستطع الصمود في وجه قوة وأطماع يحيى بن غانية، حيث تمكّن من إقصائه عن المنطقة واكتساب بعض أتباعه لدمجهم ضمن جنده، وكان قسم مهم منهم قد التحق بالخدمة في الجيش الموحدي... فهل في هذا الوقت لم يعد صلاح الدين راضيا عن سياسة قراقوش لكونه شعر بما بينه وبين ابن أخيه ومنافسه من تعامل خاص، أو شعر بأنه يسعى لتكوين منطقة نفوذ خاصة به، أم لأن صلاح الدين أصبح همّه هو تحرير ما بقي من المدن بيد الصليبيين ولا يريد إبقاء التوتر مع الموحدين، أم لاجتماع هذه العوامل وتداخلها مع بعضها ؟ إننا نجد صلاح الدين بعد فتح بيت المقدس سنة 583 يوجه رسالة إلى المنصور الموحدي يطلب دعمه لمواجهة

---

(167) كتاب الروضتين 242/1، وقد أورد صاحب صبح الأعشى (13/81-90) رسالة صلاح الدين كاملة يطلب فيها تقليده (من الخليفة العباسي) على ما بيده وما سيفتحه، وقد أورد ناشر كتاب ابن واصل «مفرج الكروب» نص الرسالة المذكورة ضمن ملاحق الجزء الثالث، وذكر مضمونها أيضا صاحب «السلوك»، (سنة 570)، وفي خطط المقريزي أن صلاح الدين ندب قرقوش لفتح بلاد المغرب ج 233/2، انظر أيضا التجاني (114) عن علامة قرقوش، والعبر (5/629-630) حول إقامته دعوة مواليه. اما مدة خلافة المستضيىء العباسي فهي بين 566 و575.

(168) الروضتين 260/1، راجع أيضا الصفحات (74-76) والهامش 123 عليها بهذا الفصل.

(169) الكامل (سنة 581) انظر النويري 435.

(170) الكامل (أحداث 581 و582)، السلوك (أحداث 580 و582 وفي هذه السنة أرسل تقي الدين مملوكه زين الدين بوري مقدمة ليلحق به إلى المغرب (ص 91-92).

(171) تظهر الرسالة 31 (م ر م) رغبة قراقوش وأبي زيان زعيمي الغز في الطاعة للمنصور (أي سنة 583) راجع الهامش 140.

التحركات المسيحية التي أثارها هذا الفتح، وقد وردت الرسالة في صبح الأعشى، ولما لم يحصل على المرغوب (فيما يبدو) وجّه إليه رسالة أخرى مؤرخة بشهر شعبان سنة 586 يحملها الأمير ابن منقذ[172]، ومن التعليمات التي أوصاه بها ليبلغها إلى المنصور إن سأله بشأن أعمال المملوكين قراقوش ويوزبا[173]، أن يخبره أنهما ليسا من الأولياء «وإنما كسدت سوقهما، وتبعتهما ألفاف أمثالهما... ولا كان هذان ممن إذا غاب أُحضِر، ولا ممن إذا فُقِد افتُقِد... ومعاذَ الله أن نأمر مفسدا بأن يفسد في الأرض»[174]. فإما أن صلاح الدين مُحق في قوله، وإما أنه يمارس سياسة مزدوجة : فحين يخاطب العباسيين يتحدث عن اتساع الرقعة التي تدعو لهم فتشمل افريقية، وحين يخاطب الموحدين يعتذر عن أعمال أتباعه مدّعيا أنهم أصبحوا خارجين عن سلطته، ولكن ما يثير الانتباه هو دخول قراقوش في الطاعة للموحدين سنة 586 وهي نفس السنة التي وصل فيها ابن منقذ سفيرا عن صلاح الدين إلى المنصور، ولا يتضح ما إذا كان الدافع لتحول قراقوش شخصيا أم أنه مرتبط بالهدف من السفارة الأيوبية خصوصا وأنه انحرف بعد ذلك عن الموحدين.

ويبدو أن هناك عاملا آخر من عوامل التوتر في العلاقات الأيوبية الموحدية مصدره هذه المرة الطرف الموحدي، وبالضبط الدعاية الموحدية بمصر، فالموحدون باتخاذهم لقب الخلافة كانوا يعتبرون أنفسهم أحق بتسيير العالم الإسلامي خصوصا وأن الخلافة العباسية كانت في مرحلة انهيار[175]، وربما كان الأيوبيون يحسون بالخطر الموحدي أكثر من غيرهم، وهذا تلميح في رسالة صلاح الدين إلى المستضيىء العباسي : «..إن بني عبد المومن قد اشتهر أن أمرهم قد أمِر، وملكهم قد عمر، وجيوشهم لا تطاق، وأوامرهم لا تشاق...»[176] والأهم من هذا ما ذكره المراكشي عما كان يصرّح به المنصور من نية الرحلة إلى المشرق وتنديده بالمناكر والبدع في البلاد المصرية وأن تطهيرها يكون على يد الموحدين..[177] ويذكر ابن جبير في رحلته أن أهل مصر والحجاز لهم اعتقاد بقرب وصول الموحدين إلى بلادهم، وهو يصف أيضا المناكر والبدع بالشرق ويدّعي أن لا إسلام إلا ببلاد الموحدين...[178].

(172) الرسالة الأولى في صبح الأعشى 526/6–530 وهي رقم 38 (م ج)، والرسالة الثانية رقمها 39 (م ج) انظر خصوصياتهما بهذا الفصل ص (61–64).

(173) اسمه في الروضتين «يوزبا» (171/2)، وفي الكامل «يوزابة» (171/9)، وفي الاستبصار «أبوزبا الفارسي» (111)، وفي الرسالة 20 (م ر م) «أبو زيان».

(174) الروضتين 170/2–171.

(175) في كثير من الرسائل الموحدية نجد التمني للاستيلاء على «ما زوي لنبينا... مما بين المشرق والمغرب» انظر مثلا الرسالة 30 (م ج)، والصفحتين (235 — 236) والهامش 194 لاحقا.

(176) صبح الأعشى 86/13 والروضتين 242/1.

(177) المعجب 284.

(178) رحلة ابن جبير 63 و69–70 ط. بيروت، القاهرة (دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري).

وهكذا فإن المنصور لم يستجب ــ فيما يبدو ــ لطلب صلاح الدين حول الدعم البحري ضد الصليبيين، وقد يرجع هذا إلى مشاكل إفريقية الموحدية وتورط الأيوبيين فيها، وربما يرجع بالأساس أيضا إلى حاجة الموحدين لقطع الأسطول لمواجهة الضغوط المستمرة من طرف نصارى الجزيرة الإيبيرية والصليبيين المدعّمين لهم، بحيث لا يبدو أن الأسطول الموحدي كان قادرا على العمل في جبهتين في وقت واحد أي الجبهة الايبيرية وسواحل الشام، وعرقلة تحرك الأساطيل الصليبية في وسط البحر المتوسط وخاصة أسطول صقيلية الذي وصف بالقوة والكثرة في أكثر من مناسبة[179]، مما يتطلب دراسة خاصة عن البحرية الموحدية ومقارنتها بالبحرية المسيحية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويمكن إعطاء بعض الملاحظات في هذا الموضوع بصورة بسيطة :

2 ــ بعض الملاحظات حول البحرية المغربية والبحرية المسيحية في غرب البحر المتوسط في القرن السادس (هـ) :

استنادا إلى السجلات البحرية التاريخية في المتاحف بأوربا عن القرن الثاني عشر (6هـ) يظهر تفوّق المغاربة على غيرهم في بناء دور الصناعة وسائر أنواع المراكب المقاتلة[180]. هذه القوة البحرية جعلت الموحدين يساهمون في حماية التجارة بالبحر المتوسط من القرصنة بين الأطراف المتعاهدة[181]. ويتحدث ابن خلدون عن أهمية البحرية الموحدية في عهد الخليفتين يوسف والمنصور بأنها بلغت درجة لم تصلها من قبل ولا بعد[182]. ومع هذه العموميات عن أهمية البحرية الموحدية نحاول وضع بعض المقارنات بين هذه القوة البحرية الموحدية بالخصوص والبحرية المسيحية بحوض البحر المتوسط الغربي :

ففي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (5هـ)، بينما كان **الفاطميون** يملكون أقل من مئة قطعة بحرية (75 شيني و10 مسطحات و10 حمالات) كان أسطول **البندقية** (سنة 1084م) يتكون من سبعين سفينة (منها تسعة أبراج) ــ أو على الأقل ــ هي القطع التي واجهت بها جمهورية البندقية مملكة النورمانديين **بصقيلية** وجنوب إيطاليا وانتصرت بها على أسطولهم

---

(179) هناك مثلا مناسبة الحملة الصقيلية على الاسكندرية في آخر 569، الروضتين 1/234-235 ثم 259، ابن شداد في النوادر ص 38، العبر 5/633، ابن جبير 233 (الطبعة المذكورة).

(180) أحمد الغربي في مقاله «الموحدون سادة البحر» دعوة الحق يناير 1972، انظر عبد العزيز بنعبد الله في مقاله «البحرية المغربية..» مجلة تطوان سنة 1960، وجوليان في «تاريخ افريقيا الشمالية» 2/162 (معرب).

(181) بنعبد الله 63 (المقال السابق)، راجع الرسالة 35 (م ج) وماص لاطري Mas - Latri : Relations et commerce 70, 89

(182) العبر 1/450-454 (أي المقدمة).

المكوّن من مئة وعشرين سفينة، وهذا قبل أن تصبح صقيلية قوة بحرية هامة[183]. وعندما اجتمعت قطع الأسطول من **بيزة وجنوة ومملكة البابا** لتهاجم المهدية بإفريقية سنة 1087م (حوالي 479هـ) بلغ مجموع القطع أربعمئة قطعة، واستطاعت أن تفرض على الأمير الزيري عدم التعرض للسفن الإيطالية بالمياه الافريقية[184]، أي أن هناك ظهوراً لإيطاليا الغربية في الميدان البحري بحيث استطاعت أن تحدّ من الاحتكار التجاري البندقي، وتجعل التيار التجاري يتحرّك بين شرق البحر المتوسط وغربه بواسطة سفن إيطالية غربية على الخصوص، كما قلّصت نشاط القرصنة في المنطقة[185]. وهكذا ومنذ حوالي 1100م أصبح الغرب اللاتيني يملك السيادة على معظم جهات البحر المتوسط فيما بين شواطىء الأندلس والشام، وأصبحت مدن إيطاليا وصقيلية هي الواسطة بين تجارة الشرق والغرب، وانتعشت بذلك أوربا الغربية[186].

وفي أواسط القرن السادس الهجري (12م) ورث **الموحدون** عن المرابطين حوالي مئة قطعة بحرية، أضيف إليها في أواخر عهد عبد المومن زهاء مئتي قطعة حسب صاحب المن بالإمامة[187]، وورث ابنه يوسف هذا الأسطول وزاد في تقويته مما جعل ابن خلدون يعتبر عهد يوسف والمنصور عهد القمة بالنسبة للأسطول المغربي، فهل هذا صحيح بالنسبة لهذا الأسطول بالمقارنة مع نفسه عبر التاريخ أم بالمقارنة آنذاك مع الأساطيل المسيحية بالحوض الغربي للبحر المتوسط ؟ الظاهر أنه يميل إلى تأييد النقطتين معا[188]، لكن إذا كان هذا مقبولا بالنسبة للنقطة الأولى إلى عهد ابن خلدون، فإنه يحمل بعض الشكوك بالنسبة للنقطة الثانية في حالة التعميم :

فمرسى مدينة **بيزة** وحدها أصبح في إمكانها (قبل سقوط المرابطين) تسليح ما بين مئة سفينة ومائة وخمسين سفينة[189]، بينما لم يترك المرابطون للموحدين إلا حوالي مئة سفينة[190]، وفي سنة 516 جمعت مملكة **صقيلية** وحدها ثلاثمئة قطعة بحرية تحمل 1000

---

(183) أرشيبالد لويس : «القوى البحرية والتجارية بالبحر المتوسط» ص 371، ترجمة أحمد عيسى ط. القاهرة 1960.

(184) نفس المرجع والصفحة، وتكرر الهجوم سنة 517 بـ 300 مركب و30000 راكب و1000 فرس، البيان 67/4-68، ط. بيروت، رحلة التجاني ص 14 (الأحاسي).

(185) تاريخ الحضارات العام، م 311/4 (الطبعة العربية).

(186) المرجع السابق، وارشيبالد لويس ص 393.

(187) المن ص 214 (بيروت). يجعل ابن أبي زرع عددها 400 قطعة (القرطاس 201). ويمكن ترجيح رواية صاحب المن المعاصر للفترة. ولعل هذا النقص البحري هو الذي جعل منشىء الرسالة رقم 10 (م ج) يعترف (تلميحا) بتفوق النصارى في البحر، راجع خصوصياتها ص (50-54).

(188) العبر 1/(450-454).

(189) ماص لاطري «العلاقات ص 68..... Relations.

(190) ابن خلدون، المصدر والصفحات.

فارس و1000 فرس لغزو افريقية[191]، كما أن هذه المملكة واجهت الموحدين بمئة وخمسين شيني غير الطرائد في بحر المهدية، بينما لم يكن مع **عبد المومن** آنذاك غير سبعين قطعة ما بين شيني وطريدة وشلندي[192] وهذا يشكل ـــ على الأقل ـــ معظم قطع الأسطول، لأن المفروض أن يكون الأسطول كله أو معظمه مع الخليفة مادام الأمر يتعلق بفتح مدينة حصينة في شبه جزيرة كالمهدية[193]، وربما كان هذا من دوافع عبد المومن لتقوية الأسطول.

نعم تزايدت أهمية الأسطول الموحدي فيما بعد، حتى أن **الناصر** استطاع فتح ميورقة في آخر سنة 599 بواسطة أسطول من ثلاثمئة جفن، منها 70 غراب و30 طريدة و50 مركب كبار، وقوارب متنوعة[194]، لكن قريبا من هذه الفترة كان أسطول صقيلية وحلفائها من المدن الإيطالية في هجوم على الساحل المصري عند الاسكندرية في نهاية سنة 569 ومطلع 570 تبلغ قطعه ستمئة (600) ما بين شيني وطرادة وبسطة وغير ذلك، تحمل خمسين ألف مقاتل، والنصيب الأوفر من قطع هذا الأسطول كان **لصقيلية** التي اجتهد ملكها وليام الثاني في تهييئه طيلة خمس سنوات[195]، فأشرك معه **البنادقة والبياشنة والجنويين** حتى اجتمع له ما لم يجتمع لجده روجار الثاني، وكان يقود الحملة ابن عم الملك[196]. أي أن مجموع قطع أسطول الدويلات الإيطالية كان يعادل أو يفوق الأسطول الموحدي[197]. وربما كان هذا

---

(191) الكامل 312/8.

(192) الكامل 63/9-64، النويري 421-422 و424، العبادي في «البحرية الإسلامية» ص 252 والهامش بها.

(193) انظر الجغرافيين عن وصف المهدية، وعن توضيح أسماء بعض القطع البحرية انظر تأليف الأستاذ محمد المنوني «ورقات عن الحضارة المغربية» ص (78-79)، وأبو ضيف في هوامش الصفحة 422 من «نهاية الارب» (من تحقيقه).

(194) الروض المعطار (مادة ميورقة).

(195) ذكر ابن جبير سنة 580 (وهو مارّ بصقيلية) أن ملكها جمع خلال هذه السنة 300 قطعة ما بين طرائد ومراكب و100 سفينة للطعام، ولعله سيتجه بها إلى القسطنطينية (233-235).

(196) ابن الأثير (سنة 570)، النوادر السلطانية ص 38، الروضتين 1/(234-235) و259، المقريزي في السلوك 1/ ق 1 ص 55-56 (ط 1934).

وتفصيل هذا الأسطول كما يلي : 200 شيني يحمل الواحد منها 150 رجلا.

(حسب هذه المصادر) 36 طريدة تحمل 1500 من الخيل مع الفرسان.

6 سفن حاملة لآلات الحرب.

40 مركبا حاملة للأزواد والرجال.

فيكون المجموع 50000 راجل و1500 فارس.

(197) الاعتبار هنا للكم أي عدد القطع وقدرتها على حمل أكبر عدد من المقاتلين والخيل. وبالنسبة لأهمية أسطول صقيلية يقول صاحب الروضتين : «أمر ذلك الأسطول كان قد اشتهر وروع به ابن عبد =

الوضع مما يجعل النصارى يتجرأون أحيانا على قرصنة المراكب التجارية الموحدية في المياه الإقليمية خارقين بنود المعاهدات كما حدث ذلك في خليج تونس سنة 596[198]، هذا زيادة على توسع نفوذ بعض المدن التجارية في الجزر المتوسطية[199]. ويلاحظ أرشيبالد لويس صحوة الغرب الإسلامي خلال العهدين المرابطي والموحدي وتجديد قوة الأسطول، ولكنه يستدرك أن هذه القوة لم تزحزح المدن الإيطالية والغرب اللاتيني عن السيطرة على البحر المتوسط، وأن الذي أصبح ينافس المدن الإيطالية ليس هم المسلمون بل المراكز الجديدة مثل برشلونة ومونبليي ومرسيليا منذ مطلع القرن الثاني عشر، ولكن ظلت المدن الإيطالية ذات الحظ الأوفر في البحر المتوسط إلى القرن السادس عشر[200].

إذا كان هناك تكافؤ ـــ على الأكثر ـــ في القوة البحرية الموحدية مع البحرية الإيطالية مجموعة (لاكدويلات) فما هو الوضع بالنسبة لمملكة أرغون ؟ هذه المملكة الناشئة من اتحاد أرغون وكطلونيا في النصف الأول من القرن السادس الهجري يبدو أنها لم تكن تملك قوة بحرية هامة رغم نموّها تدريجيا، فقد أخذت تدخل الميدان البحري فقط في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي[201]، أي بعد انتهاء الدولة الأموية بالأندلس وضعف الأسطول الإسلامي بها، بحيث أن هناك بعض الإشارات التي نفهم منها أن الأسطول الأرغوني لم يصل بعد خلال القرن الثاني عشر (6هـ) إلى مستوى مهم :

ـــ فحِلْف الإمارات الاسبانية لم يستطع السيطرة على ألمرية سنة 542 (أكتوبر 1147) إلا بالإمدادات البحرية الإيطالية، أي بحملة صليبية[202]، ثم سقطت في يد الموحدين بعد الحصار سنة 552 (1157) حينما لم تصلها إمدادات بحرية من خارج ايبيريا.

ـــ ان بني غانية بالبليار كانوا يقومون باستمرار بعمليات قرصنة في مياه وسواحل مملكة أرغون

= المومن في البلاد المغربية، وهدد به في الجزائر الرومية صاحب قسطنطينية» (234/1)، فإذا صح هذا فما هو موقف القائلين بأن الأسطول الموحدي كان «أسطورة البحار»؟ (انظر بحث الأستاذ عبد الهادي التازي حول الأسطول المغربي في «البحث العلمي» ع/ 33).

(198) انظر الرسائل 46 و47 و48 و50 و51 و52 (م ج)، يبدو أن الضعف الموحدي كان فصليا وجغرافيا حيث تتجمع معظم قطع الأسطول على السواحل الأندلسية الشرقية ومنطقة البوغاز ولا تتحرك في أعمال الدورية أو عند الحاجة ـــ عادة ـــ إلا في فصل هدوء البحر، بحيث كثيرا ما يجد الإيطاليون شبه فراغ للبحرية الموحدية بإفريقية (انظر مثلا الرسالتين 46 و50 م ج).

(199) الرسالة (الاتفاقية) رقم 35 (م ج) فيها اعتراف بسيادة بيشة (بيزة) على عدد من الجزر أهمها كرسيكة وسردينية.

(200) القوى البحرية، ص 399.

(201) وذلك بإحداث قانون بحري سنة 1074.

(202) عنان «عصر المرابطين والموحدين»، 1/(346-347) و508.

(203) الرسالة 16 (م ر م)، العبر 492/6، عنان 346/1-347.

وما جاورها وتعود بغنائم مهمة[204].

ـــ وهذا لم يمنع من دعم الأركونيين لبني غانية عندما أصبح يهددهم أسطول المنصور أو الناصر، ففي سنة 583 راسل بنو غانية ملك برشلونة ليدعمهم ضد أسطول المنصور، فأجابهم إلى ذلك، وتراجع الأسطول الموحدي عن ميورقة[205]. وليس من المستبعد أيضا دعم أرغون لهم ضد الناصر في آخر سنة 599 دون نتيجة، بحيث أمكن للموحدين فتح الجزر من يد بني غانية[206]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المصالح البحرية لأرغون من وراء دعمها لبني غانية ودفعها للزحف الموحدي، ولكن أرغون لم تستطع رد الأسطول الموحدي آنذاك بينما سيعرف أسطولها تطورا مهما في الفترة اللاحقة.

ولا ننسى أن هناك أسطولا آخر ناشئا في الغرب هو الأسطول البرتغالي. أما قشتالة فلم تدخل بعد في الميدان البحري.

وهكذا يبدو أن الأسطول الموحدي الحربي قد يمثل قوة بحرية كبرى، ولكن بالمقارنة مع كل دولة غربية بالبحر المتوسط على حدة ـــ ربما باستثناء صقيلية ـــ وذلك بالخصوص في عهد يوسف والمنصور والناصر، أما في عهد عبد المومن فلازال الأسطول محدود القوة فيما يبدو. ومرة أخرى هل يصح الحديث عن تفوق الأسطول الموحدي مقارنا بالأساطيل المسيحية بغرب البحر المتوسط، أم فقط تصح مقارنته بالأساطيل المغربية عبر الفترات التاريخية ؟ وهل كانت عبارة الرسالة العاشرة (م ج) ذات مدلول حقيقي حينما عبرت عن أهمية البحر عند النصارى واتخاذهم له «جملا ذلولا يضربون عبابه عرضا وطولا»، وذلك في أواخر عهد عبد المومن وربما أيضا في مطلع عهد يوسف ؟ يبدو أن الدولة الموحدية ـــ على عكس الدويلات الإيطالية البحرية ـــ لم تكن تشعر بضرورة تكوين قوة بحرية ضخمة، فهي تعتمد على البر ولا تحتاج إلى الأسطول إلا في حالات محددة.

3 ـــ تأثير وضعية افريقية والمغرب الأوسط على العلاقات مع الإيطاليين :

لقد أثرت الوضعية في إفريقية والمغرب الأوسط على علاقات الموحدين مع قوتين أساسيتين في إيطاليا هما مملكة صقيلية النرماندية وجمهورية بيزة (بيشة)[207]، زيادة على استمرار الدور التجاري لجنوة :

---

(204) المعجب 269.

(205) العبر 516/6، العبادي وسالم في «تاريخ البحرية الإسلامية» 252، ميراندا في Historia politica T2/396، ويذكر ألفرد بيل تدعيم صقيلية لابن غانية ضد المنصور (Les Banou Ghanya : 71) قارنه مع البيان 156 و(215–216).

(206) في الرسالة الخليفية رقم 37 (م ج) «أن الفتح فيهم (بني غانية) فتح في النصرانية وظهور على ممالكها الساحلية، ولأخذ ميورقة على صاحب أرغون وبرشلونة أشد من رشق النبل».

(207) لاحظ علاقتها التجارية مع تونس أيام بني خراسان في الرسالة الأولى من مجموعة أماري.

فبالنسبة **لمملكة صقيلية** ظهر التوتر في العلاقات بينها وبين الموحدين منذ زحفهم نحو افريقية، وربما منذ فتحهم لبجاية، فالنرمانديون كانوا يحتلون بعض سواحل افريقية وخاصة المهدية[208]، فحاول ملك صقيلية أن يعرقل زحف الموحدين بعرض مساعدته على عرب افريقية حتى يشكلوا حاجزا بريا قويا في وجه الموحدين[209]. غير أن عبد المومن انتصر عليهم في سطيف، وتمكن فيما بعد من اقتحام افريقية وتحرير المهدية وما حولها من الوجود النورماندي خلال حملته سنتي 554 و555. ويتحدث المقريزي عن لجوء الوصي على عرش صقيلية إلى الموحدين مما يدل على استمرار التوتر بين الدولتين[210]. وعندما تأكدت قوة الموحدين بإفريقية بعد إعادة فتح قفصة سنة 576 عقدت صقلية اتفاقاً بواسطة سفير عنها مع الخليفة يوسف مدّته عشر سنوات[212]، وربما شمل الاتفاق أيضا تنظيم التجارة بين البلدين بالسماح للصقليين ببناء متاجرهم بزويلة والمهدية[212]. وهذه الهدنة كانت تخدم مصلحة الطرفين : فبالنسبة للموحدين يتجنبون كل ما يخلق مشاكل لهم في ولاية بعيدة تضاف إلى مشاكلهم بالأندلس خاصة، زيادة على إنعاش الحركة التجارية التي تفيد سكان إفريقية بالخصوص في مادة قمح صقيلية[213]، ومن دوافع اتجاه صقيلية نحو الهدنة ــ زيادة على أهمية المواد التجارية الإفريقية ــ انشغال ملكها بالمشاكل الداخلية ليس فقط بين المسلمين والفرنج ولكن أيضا بين الأهالي الأصليين والنرمانديين الوافدين، كما كان هناك نزاع حاد بين صقيلية والدولة البيزنطية حسبما يذكره ابن جبير الذي كان بصقيلية سنة 580[214]، ولعل هذه الاتفاقية هي التي شجعت سكان الجزيرة من المسلمين على تحويل الدعوة من العباسيين إلى الموحدين، وهذا ما لم يرض حكومة صقيلية[215]. ومن المحتمل أن تكون الحرب الأهلية التي قامت بين

---

(208) انظر المدن التي سقطت بيد النرمانديين في البيان 312/4 وما بعدها (ط. بيروت).

(209) الكامل 41/2 (سنة 548).

(210) السلوك (سنة 569).

(211) الكامل (سنة 576)، البيان 114-115، وقال صاحب المعجب «وأرسل (ملك صقيلية) إليه الإتاوة بعد أن خافه خوفا شديدا فقبل منه ما وجه به إليه وهادنه على أن يحمل إليه في كل سنة مالا اتفقا عليه» (252)، وفسّر عز الدين موسى الاتفاق بأنه تحالف ! (275). انظر الهامش بعده.

(212) ماص لاطري : Relations... 96، ويجعل تاريخ الاتفاق في غشت 1181 (وهو يوافق ربيع الأول أو ربيع الثاني 577هـ، TC)، هذه الهدنة كانت لاتزال قائمة في أواخر سنة 580 (ربيع 1185) كما يذكر ذلك ابن جبير الموجود بصقيلية آنذاك (ص 233 و237).

(213) الإشارة إليه في الرسالة 32 (م ج)، ولعل المشار إليه أيضا في الرسالة 46 (م ج) مجلوب من صقيلية وتعترف الرسالتان 30 و31 (م ج) بقلة المطر في هذه الفترة، وكذلك ابن الأثير يلاحظ قلة المؤن خلال حملة يوسف (الكامل 9/ سنة 576).

(214) ابن جبير 233-235.

(215) ابن جبير 230 و236.

المسلمين والفرنج بالجزيرة وتدخلت فيها السلطة لصالح هؤلاء قد أثّرت على العلاقات بين الدولتين الصقيلية والموحدية.

وبالنسبة **لبيشة** (**بيزة**) فقد كانت لها علاقات تجارية مع افريقية وخاصة مدينة تونس قبل وصول الموحدين إليها حسبما يتضح من الرسالة الأولى في مجموعة أماري[216]، ومن المواد التي كانوا يحملونها منها **الشّب** (حسب نفس الرسالة)، **والأصواف** وخاصة **الجلود** كما تشير إلى ذلك الرسائل 14 و15 و17 و18 و19 و20 في مجموعة أماري، وكذلك مادة **النحاس** (حسب الرسالتين 15 و18 من نفس المجموعة)[217]. ومن المواد التي كان يحملها البيشانيون إلى مراسي إفريقية[218] مادة **القمح** وخاصة الصقيلي لكثرته بالجزيرة ولحاجة بلاد افريقية له للظروف المناخية السيئة أحيانا ولعدم الاستقرار والأمن في كثير من الأحيان. والرسائل التي تشير لمادة القمح في البضاعة البيشانية هما الرسالتان 32 و46 (م ج)[219]، فبالنسبة للرسالة رقم (32) هي عبارة عن شكاية من حكومة بيشة إلى الخليفة يوسف بشأن مركب بيشاني حامل للقمح من صقيلية متّجه إلى طرابلس تعرض للنهب بأمر من «مقدّم» هذه المدينة وأُسِر ركابه[220]، وتذكر الرسالة بضرورة تطبيق الاتفاق حول السلم والتجارة بين الدولتين مع عدم مطالبة البيشانيين بغير «العشر المعتاد»، ويتضح من هذا أن هناك اتفاقا سابقاً على هذه الحادثة الواقعة في أواخر سنة 576 على الأرجح (مادام النص اللاتيني للرسالة يحمل تاريخ 23 أبريل 1181 أي 6 من ذي الحجة 576)، فإذا صح هذا التاريخ فإن الحادثة تكون قد وقعت بعد فتح الخليفة يوسف لقفصة في رمضان 576 وتطهيره للجهات الأخرى من افريقية قبل عودته إلى المغرب[220]، ولا تحدثنا المصادر عن توجيه حملة إلى طرابلس، ولعل حاكمها كان هو قراقوش أو نائب عنه، فلما نجح الموحدون في فتح قفصة قد يكون اضطر إلى الفرار من طرابلس خوفا من وصول القوات الموحدية إليها، وهذه الحالة لا تجعل مثل هذا الحاكم في منأى عن النهب خاصة بالنسبة لمادة غذائية كالقمح يتزود بها مع جماعته وهو يتوغل في الصحراء، أو قد يكون النهب حدث في المرحلة الانتقالية قبل وصول الوالي الموحدي إلى طرابلس. واشتكى أيضا حكام بيشة إلى الخليفة يوسف من «خرق» آخر للاتفاق بين

---

(216) وهي عن ابن خراسان أمير تونس إلى حكومة بيشة، مؤرخة بآخر جمادى الأولى 552.

(217) هذه الرسائل بعثها بعض كبار تجار تونس إلي أمثالهم في بيشة، بحيث أن الرسائل من رقم 14 إلى 20 لم يتكرر نشرها ضمن (م ج).

(218) ورد في الرسالة 31 (م ج) ذكر جلب النصارى «للعود» حيث صنعت منه بعض «الأبراج» لحصار قفصة سنة 576، ولم تحدد الرسالة من هم النصارى الذين جلبوه إلى إفريقية.

(219) وهما الرسالتان 2 و6 في مجموعة أماري.

(220) تاريخ فتح قفصة مأخوذ من الرسالتين 30 و31 (م ج)، وتاريخ الوصول إلى فاس وهو صفر 577 وارد في البيان (خ ح/ 3/336) (اما ط، تطوان فخاطئة إذ فيها : صفر 576، وكذلك في ط. 1985).

الطرفين في بجاية برسالة مؤرخة بشهر يونيو 1182 (أي صفر 578)، وتحمل التذكير مرة أخرى باحترام المواثيق[221] وعدم مطالبة تجار بيشة بغير «العشر المعتاد» أخْذَه منهم وتحمل هذه الرسالة رقم 33 (م ج)[222].

وفي عهد الخليفة المنصور نظمت المبادلات مع بيشة باتفاقية طويلة الأمد تمتد إلى خمس وعشرين سنة بشأن السلام والتجارة بين الطرفين[223]، وكان المنصور إذاك (583-584) بإفريقية يحاول تطهير المنطقة من بني غانية وحلفائهم من العرب والغز. هذه الاتفاقية تعطي للبيشانيين حق المتاجرة في أربع مراسي بالمغرب دون الأندلس وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس مقابل أداء العشر على سلعهم، ولا ينزلون بمرسى ألمرية إلا لإصلاح سفنهم أو التزود بالحاجيات لمتابعة سفرهم[224]. وسيتجدد هذا الاتفاق أو يعقد اتفاق جديد في أيام الناصر سنة 607[225].

ويبدو أن النشاط التجاري للبيشانيين لم يكن منتظما إما بسبب الأحوال الداخلية بإفريقية أو بسبب عدم ارتباطهم باحترام الاتفاقات المبرمة، بحيث نجدُ في الثمانينيات رسالة موجهة من السيد أبي زيد بن الخليفة يوسف إلى حكومة بيشة يؤكد على حماية تجارها وتأمينهم ويحرضهم على القدوم إلى افريقية[226]. كما تتكرر المراسلات سنتي 596 و597 من طرف والي تونس السيد أبي زيد بن عبد المومن أو كبار المسؤولين عن مرساها إلى حكومة بيشة لتحريض تجارها أيضا على الوفود إلى افريقية وتأكيد التأمين لهم رغم ما وقع من اعتداء من بعض

---

(221) تسمي الرسالة هذا الاتفاق «بالرسم المكتوب»، فهل الاتفاقات بين الموحدين وبيشة كانت شفوية في البداية ؟ انظر رأي ماص لاطري في Relations... p. 76 (وهو يعتمد في تاريخ الرسالة على الترجمة اللاتينية لها أي 1181 بينما في النص العربي 1182، انظر الهامش 24 على الرسالة 33 (م ج).

(222) يرجع عز الدين موسى أن سبب هذه المضايقة من طرف الموحدين لتجار بيشة راجع إلى عدم إقلاع هؤلاء عن القرصنة وأن هذا الأسلوب جعل المنصور يقسو في شروطه التجارية في اتفاق 582 مع البيشانيين (النشاط التجاري 276).

(223) هي الرسالة رقم 35 (م ج).

(224) تشير الرسالة إلى الجهات التابعة لحكومة بيشة، وتركز على منع القرصنة بين الطرفين اما قيمة الرسوم التجارية فهي استمرار لعهد بني خراسان، قارن الرسالة مع الرسالة الأولى في مجموع أماري.

(225) تشير إلى ذلك الرسالة 62 (م ج)، وغير واضح ما إذا كان لمعاهدة 607 نفس شروط معاهدة 582 أم أنها مغايرة، والمرجّح أنها اتفاقية جديدة : فالحاكم في بيشة لم يكن هو نفسه خلال المدة الفاصلة بين الاتفاقيتين (قارن بين أسماء الحكام المذكورين في عدد من الرسائل بين المدتين)، كما أن العبارة في الرسالة 62 : «ما عقدتموه من التمسك بعهد الأمر الأعظم» قد تفيد أنه اتفاق جديد مع ظروف جديدة تطلبت تغيير الشروط السابقة. ونفس الرأي عند ماص لاطري (Traités. 65).

(226) الرسالة 36 (م ج).

سفنهم على بعض مراكب المسلمين بخليج تونس في شوال سنة 596، مع الإلحاح على ضرورة احترام العهود بين الطرفين[227]، بل هناك مراسلات حرة من تجار تونس إلى أمثالهم في بيشة تتضمن مواضيع تجارية مع تحريض البيشانيين على التردد إلى إفريقية[228].

أما بالنسبة **لجنوة**، فهي من أقدم المدن الإيطالية في التعامل مع الموحدين، إذ نظمت العلاقات بين الطرفين باتفاقية سنة 548 (1153–1154)، وتجددت بعد فتح المهدية (1160–1161/ 556–557)، فأصبح للجنويين حق المتاجرة مع سواحل الدولة الموحدية مع امتياز خاص وهو أداء ضريبة 8 % على سلعهم ماعدا في بجاية فهي 10 %[229]، وانتظمت التجارة مع موانىء مهمة مثل طرابلس وتونس وبجاية وسبتة[230]. وكانت المهدية أيضا تستقبل سفن الجنويين، فقد أشار صاحب الروضتين خلال أحداث سنة 586 إلى وصول مراكب بالبضاعة الجنوية إليها «فباعت بها وتزودت منها وقصدت الشام خيب الله قصدها !»[231].

ويبدو أن الخبرة التجارية الطويلة الأمد علّمت الجنويين كيف يحترمون الاتفاقات مع الغير، ومعاقبة حكامهم لكل من يخرق هذه الاتفاقات، وهذا ما تعترف به رسالتان موحديتان إلى بيشة لحض حكومتها على أن تحذو حذو جنوة في معاقبة من لا يحترمون العهود[232].

إن التجار الإيطاليين (وخاصة البيشانيين) لم يهتموا كثيرا بالإطار السياسي أي أنهم يتعاملون مع المسيطر على المنطقة الساحلية حيث تقع المدن التجارية التي تهمهم، فمعاهدة المنصور مع بيشة سنة 582 تمت قبل أن يركز المنصور نفوذه بالمنطقة، بل وقبل إعادته فتح قفصة

---

(227) الرسائل 46، 47، 48، 50، 52، 53 (م ج).

(228) وهي الرسائل من رقم 14 إلى 20 في مجموعة أماري المذكورة سابقا.

(229) هل هذا الأسلوب ناتج عن كون الجنويين كانوا يركزون على التجارة مع بجاية وأن الدولة الموحدية تسعى لموازنتها مع المراسي الأخرى ؟ يذكر عز الدين موسى أن الجنويين أخذوا يهتمون بمراسي المغرب الأقصى إلى سلا وخاصة سبتة «النشاط الاقتصادي» 291. (الموافقة الهجرية من T.C).

(230) خلال المدة بين الاتفاقيتين تقريبا تأسست بجنوة 30 مؤسسة لتنظيم التجارة مع بجاية و15 مؤسسة مع تونس وسبتة وثلاث مؤسسات مع طرابلس انظر (ماسكاريلو) في «Quelques aspects des activités Italiennes dans le Maghreb médiéval» بمجلة «تاريخ وحضارة المغرب» من منشورات كلية الآداب بالجزائر عدد 5، يوليو 1968، ص 65–66.
انظر أيضا ماص لاطري في : Relations... (88-89) وبنعبد الله في مقاله عن البحرية المغربية بمجلة تطوان ع 3–4 (1958–1959) ص 59 وما بعدها.

(231) الروضتين 177/1، هناك امتعاض من التجارة والأمان للنصارى بإفريقية لا مبرر له، فالموحدون يعطون أهمية للمصلحة التجارية مثلما كان الأيوبيون (الذين يتعصب لهم صاحب الروضتين) يتاجرون مع أعدائهم باعتراف المؤلف (ص 241–242) سنة 570، انظر أيضا ابن جبير عن الشام (201).

(232) الرسالتان 46 و47 (م ج)، وهما عند أماري في ص 133–134.

والجريد من يد بني غانية. وعندما تمرد ابن عبد الكريم الكومي بالمهدية على والي تونس ترددت السفن التجارية البيشانية إلى المهدية حسبما يفهم من التهديد الذي وجهه والي تونس إلى بيشة من مغبة التعامل مع هذا الثائر، وكان هذا التحذير موجّها أيضا بواسطة حكومة بيشة إلى أحد حكام سردينيا التابع لها بشكل ما[234]. وعندما أصبحت إفريقية سنة 600 بيد ابن غانية تبادل المراسلات مع بيشة واليه على المهدية علي ابن الغازي[235]، وبعودة النفوذ الموحدي إلى إفريقية تستمر العلاقات مع الإيطاليين وتنظم بصفة أكثر في العهد الحفصي، وسنعود إلى ذكر هذه النقطة في الفصل الرابع[236].

---

(233) تعمدت إغفال تجارة البندقية مع إفريقية وبلاد الموحدين نظرا لانعدام أية رسالة ضمن المجموعة الجديدة يمكن أن تكون مبررا لاقحام هذا الموضوع هنا.

(234) الرسالة 53 (م ج).

(235) يتضح هذا من الرسالة الواردة عند أماري تحت رقم 24 مؤرخة بـ 15 رمضان سنة 600.

(236) راجع الصفحة 209 من الفصل الرابع والهامش عليها رقم 352.

الفصل الثالث

ظروف استقرار الوجود الموحدي بالأندلس

ينطلق هذا الفصل أساسا من الرسائل الآتية :

ـ رسالة الشيخ أبي حفص حول فتح مالقة .... رقم 7 (م ج).
ـ رسالة حول انهزام ابن مردنيش وانحصاره بمرسية (حجة 560) رقم 12 (م ج).
ـ رسالة حول إبعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة (حجة 562) .... رقم 16 (م ج).
ـ رسالة جوابية حول توجيه العساكر إلى الأندلس (منتصف جمادى 2، 563) .... رقم 19 (م ج).
ـ رسالة حول توجيه السيد أبي اسحاق مع قوات موحدية وعربية (22 جمادى 2، 563) .... رقم 21 (م ج).
ـ رسالتان حول انتصار على قوات كراندة (رمضان 563) ... رقم 22و23 (م ج).
ـ رسالة حول توجيه طليعة عسكرية إلى الأندلس... (ربيع الآخر 564) .... رقم 24 (م ج).
ـ رسالة حول طاعة ابن همشك للموحدين (رمضان 564) ... رقم 26 (م ج).
ـ رسالتان حول معركة «فحص هلال» (شعبان 568) .... رقم 27و28 (م ج).
ـ رسالة حول الهدنة مع بعض الممالك الاسبانية [569] ...... رقم 29 (م ج).
ـ رسالة حول الحركة إلى وادي تاجه الغربي (سنة 580) .... رقم 34 (م ج).
ـ رسالة جوابية من أمير مرسية إلى ملك قشتالة (قعدة 584) رقم 37 (م ج).
ـ رسالة حول الانتصار في معركة الأرك .... رقم 42 (م ج).
ـ رسالة إلى الناصر حول مقتل «الشقي» وهزيمة «أهل اللثام» .. رقم 54 (م ج).

الموضوع الأول :

خصوصيات بعض رسائل الفصل الثالث

1 ــ رسالة حول فتح مالقة (رقم 7 م ج) :

هذه الرسالة مؤرخة بـ 17 ربيع الأول سنة 548، وردت في مخطوط «فقهاء مالقا وأدبائها» على الصفحتين 173–174، وجهها الشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي إلى أهل مالقة بعد ثورتهم على أميرها ابن حسون واستدعائهم للقوات الموحدية القريبة منهم[1]. **والشيخ أبو حفص** هو أحد أعضاء «الجماعة» أصحاب المهدي، وقبيلته من أعظم القبائل الموحدية المصمودية بالأطلس الكبير. وكان أبو حفص اليد اليمنى للخليفة عبد المومن، ونكتفي ببعض الإشارات إليه بواسطة المصادر : فعن دوره أيام المهدي نرى مثلا البيذق في كتاب «أخبار المهدي» ص 31 و37 وغيره من المصادر، وعن دوره في إخضاع القبائل الثائرة بعد فتح مراكش والتي التف بعضها حول الماسي نرى البيان المغرب (الموحدي) ص 27 والبيذق في «أخبار المهدي» ص 67، ونرى أيضا الفصل الأول من هذا البحث. وبالنسبة لدوره في إخماد ثورات الجنوب الغربي للمغرب الأقصى حولي سنة 550 نجده أيضا عند البيذق ص 77 وفي الفصل الأول من البحث. أما أعماله في فتح الجنوب الشرقي للأندلس فنرى عنها «فقهاء مالقا، ص 173–174، والقرطاس 193، والمن 138، وعن علاقته بمسألة وراثة الحكم في سلالة عبد المومن بتعيين هذا لابنه محمد وليا للعهد هناك إشارات عند ابن الأثير (ج 9/ سنة 551)، والبيذق (81–82). وأبرز أعماله العسكرية في سنواته الأخيرة هي تلك التي سبقت حركة الخليفة يوسف الأولى إلى الأندلس وخاصة لإنهاء وجود إمارة ابن مردنيش (المن 379)، ثم تزعُّمه الحملة التي تعقبت فرسان «آبلة» إلى فحص هلال قرب قلعة رباح حيث دارت المعركة التي قتل فيها زعيم هذه المجموعة كما سيأتي في الفقرة الثانية. وانتهت حياة أبي حفص بالطاعون سنة 571 وظل لأبنائه دور ممتاز في الدولة، وسيرثون ولاية إفريقية وينشئون بها الدولة الحفصية التي طال عمرها أكثر من عمر الدولة الموحدية.

والشخص الثاني الذي تضعه الرسالة أمامنا هو **الأمير أبو الحكم الحسين ابن الحسين الكلبي** والمعروف **بابن حسون**، وهو من أسرة قضائية بمالقة منذ ما قبل العهد المرابطي[2]،

(1) كاتب الرسالة مجهول وقد يكون هو الشيخ أبو حفص نفسه، فالرسالة قصيرة وتنقصها التكاليف البلاغية على عكس رسالة ابن عطية عنه حول الانتصار على الماسي (رقم 5 م ج)، كما أن صاحب «فقهاء مالقة» ألحق الرسالة بترجمة الشيخ أبي حفص ربما على أساس أنها من إنشائه.

(2) من أقدم الأسماء : حسين بن عيسى بن حسين الكلبي قاضي مالقة ويكنى أبا علي ويعرف بابن حسون، كان فقيه مالقة وكبيرها وأصله من جراوة وتوفي صدر سنة 453 (ابن بشكوال: الصلة 1/ع 323). انظر أسماء أخرى لبني حسون في تكملة ابن الأبار 1/ ص 222 (تح. الهراس) وفقهاء مالقة ص 7، 151–153، 158–159.

وبعد الثورة عليه ومقتله سنة 548 لم تسقط مكانة أسرته في ظل الحكم الموحدي، فمثلا سيأخذ القائد أبو عامر محمد (ابن أخيه علي) الولاية على مالقة في عهد الخليفة الناصر سنين طويلة[3] وهو أسلوب ليس غريبا عند الموحدين في استمالة الأسر المشهورة كما حدث مع ابن الرند من زعماء قفصة، وكما سيحدث مع بني مردنيش[4].

أما عن تاريخ الرسالة فإننا نجد في التقديم الذي وضعه لها صاحب (فقهاء مالقا) أن فتح المدينة كان في عهد الخليفة أبي يعقوب، مع أن الرسالة تحمل تاريخ سنة 548، ولاشك أنه أخطأ (هو أو النساخ) في اسم الخليفة، فهو عبد المومن لأن هناك عدة دلائل تبرهن على أن مالقة كانت مفتوحة في السنوات الأخيرة لحكمه، فالإشارات نجدها في الرسالة رقم 14 (م ر م) المؤرخة بسنة 551، وفي المن ص 147 والمعجب ص 213 والبيان المغرب ص 51، هذا زيادة على التاريخ الذي تحمله الرسالة المدروسة، وكذلك ما ذكره صاحب فقهاء مالقا (ص 166–167) عن قتل ابن حسون سنة 548، وحدد صاحب الذيل ذلك في شهر ربيع الأول (س 238/6)، وهكذا يمكن أن نطمئن إلى صحة التاريخ الوارد في آخر الرسالة.

تظهر **أهمية الرسالة** فيما يلي :

- تبرز دور أحد أشهر شيوخ الموحدين الأوائل خلال سنة 548، في الوقت الذي كان جيش عبد المومن يخوض المعارك مع بني حماد والعرب في المغرب الأوسط، بينما لا تبين أغلبية المصادر التاريخية دور أبي حفص في هذه الفترة[5].
- تصحح الرسالة الخطأ الذي وقع فيه محمد عنان بتقديمه تاريخ الثورة بمالقة إلى سنة 547[6]، وتملأ جزءا من الفراغ الذي تركته جل المصادر التاريخية حول موضوع فتح مالقا، بينما تؤكد المعلومات التي وردت عن هذا الفتح في «أعمال الأعلام» (القسم الأندلسي ص 254–255، بروفنصال)[7].

---

(3) وهو المتوفى سنة 614 بعد أن تولى على مالقة نحوا من عشرين سنة (فقهاء مالقة 31) انظر اسماء اخرى لبني حسون في تكملة ان الابار 1/ ص 222 (ت. الهراس)، وفقهاء مالقة ص 7، (151 — 153)، (158 — 159).

(4) ومن المصادر التي تتحدث عن ابن حسون : اعمال الاعلام (خ ع)، 1552/د، الورقتان 209 و210، الذيل س 238/6 وس 165/8، الروض المعطار 518 (مادة مالقة) خ ع، 1705/د، انظر أيضا التفاصيل في الموضوع الثاني من هذا الفصل.

(5) نستثني من المصادر المطلع عليها بالخصوص كتاب الكامل 9/ ص 30.

(6) وهو يجعل دخول الموحدين إليها بعد سنة من الثورة، عصر المرابطين والموحدين 318/1–320 والإحاطة في هامش ج 444/2.

(7) أو مخطوط خ ع/ 1552، د.

ـــ تؤكد الرسالة أن انضمام مالقا إلى الموحدين تمّ صلحا، بعد الثورة على أميرها وقد كان جيشهم قريبا من المدينة وهذا ما يجعلنا نتساءل : هل كان للموحدين دور ما في ثورة المدينة على ابن حسون ومرتزقته ؟

2 ـــ رسالتان حول معركة «فحص هلال» (رقم 27 و28 م ج) :

تحمل الرسالتان معا تاريخ 24 شعبان سنة 568، الأولى من إنشاء أبي الحكم بن عبد العزيز (ابن المرخي) وردت في زوائد مخطوط العطاء الجزيل على الصفحات (1–3) والثانية من إنشاء أبي الحسن بن زيد (الاشبيلي)[8] وردت في الزوائد المذكورة على الصفحات (19–21)، والرسالتان معا كتبتا عن الخليفة يوسف بإشبيلية إلى مراكش[9]، فلم هذه الازدواجية في كتابة الرسائل، وهل الأمر هو مجرد اختلاف الرواة في نسبة إحدى الرسائل لغير كاتبها ؟ هذا مستبعد بالنسبة لهاتين الرسالتين إذ هما تتفقان في الجوهر وفي ترتيب المعلومات، ولكنهما تختلفان في العبارات، بل إن التقديم الذي يضعه أبو الحكم ابن عبد العزيز في رسالته يتكرر في رسالة أخرى تتعلق بفتح قفصة[10]، فنجد عبارة «أما بعد فإنا نحمد إليكم الله...» ولا يذكر التصلية إلا بعد الحمدلة الثانية : «والحمد لله... والصلاة...» أما في تقديم رسالة أبي الحسن بن زيد فنجد العبارة «أما بعد فإنا نحمد إليكم الله... ونصلي.. والحمد لله.. وصلى الله...». فمن المحتمل أن يكون الهدف من هذه الازدواجية هو الحرص على وصول إحدى الرسالتين إن تعرضت الأخرى لأخطار الطريق (وهذه الحالة ستتكرر في موضوع فتح قفصة سنة 576)، وهناك احتمال آخر أكثر قبولا وهو أن كاتب الخليفة أبا الحسن بن عياش توفي في أول جمادى الآخرة من سنة 568[11] فكان الخليفة في مرحلة البحث عن كاتب آخر، وقبل أن يستقر رأيه على أبي الحسن علي بن زيد النجار الاشبيلي كلفه مع أبي الحكم ابن المرخي بكتابة رسالة النصر كل بأسلوبه.

تتميز رسالة أبي الحكم (27 م ج) ببعض التوضيح فيما يتعلق بالجماعة التي قامت بالغارة، فهم من «آبلة وإلْبه وطلبيره والإفريريين وغيرهم»، وفيما يتعلق بتحركات هذه الجماعة جنوبي الوادي الكبير فهي تحددها شرقي اشبيلية ثم الابتعاد إلى قبلي قرطبة وتذكر كلمة «الكتبانية» (.. كاف تاء باء ألف نون ياء..) حيث يفهم أنها في منطقة استجة ثم انصرافهم إلى قبلي قرطبة في «كنبانيتها» (كاف نون باء ألف نون ياء تاء..)، أما رسالة أبي الحسن بن زيد (28 م ج) فتقتصر على ذكر نهب جهة استجة ثم الانصراف إلى قبلي قرطبة مرورا بالموضع المعروف

(8) انظر ترجمتهما على التوالي رقم 11 و10 في مقدمة البحث.

(9) هناك رسالة ثالثة في نفس الموضوع هي رقم 22 (م ر م) نسب انشاؤها إلى أبي القاسم القالمي.

(10) الرسالة رقم 27 (م ج).

(11) راجع ترجمة ابن عياش (رقم 3) في مقدمة البحث.

بـ«الكنباتية»[12] (... كاف نون باء ألف تاء...). كما أن رسالة أبي الحكم توضح الفرقة الموحدية المتعقبة لهم من حيث عناصرها وهم «الموحدون والعرب»، وقادتها «إخواننا وأشياخ الموحدين والحفاظ»، بينما تقتصر رسالة أبي الحسن على ذكر «العساكر مع الطلبة وأشياخ الموحدين». وتتميز أيضا رسالة أبي الحكم بانفرادها بالإشارة إلى نوايا الخليفة في مسالمة من رغب من النصارى في ذلك للتفرغ إلى غيرهم، ويبدو أنه تكهن في محله نظرا للنزاعات بين الإمارات الاسبانية وهذا ما سيتضح في رسالة تالية.

إن رسالة أبي الحسن (28 م ج) هي نفس الرسالة الواردة في مجموع بروفنصال (رقم 22) والتي رتبها ضمن الرسائل الصادرة عن الخليفة عبد المومن قبل أن يتراجع عن خطإه أثناء دراسته للرسائل ويربطها بأحداث سنة 568، وسبب خطإه في البداية هو البتر الذي أصاب صدر الرسالة الذي يوضح ـــ في الأصل ـــ أنها صادرة عن «أمير المومنين بن أمير المومنين»، كما تنقص في رسالة بروفنصال المؤخّرة التي تتضمن تاريخ إنشائها على عكس رسالة العطاء[13]، ثم إن إنشاء رسالة بروفنصال منسوب إلى الكاتب أبي القاسم القالمي رغم أنها مع رسالة أبي الحسن تتشابهان بنفس الكلمات إلا في بعضها، فالأولى حذفت منها بعض الكلمات والجمل وتحمل بعض الأخطاء التي تبرهن على تكرر نسخها، بينما الثانية أكثر دقة وصحة في شكل الحروف كباقي رسائل مخطوط العطاء، مما يرجّح قدمه وقربه من المخطوط الأصلي إن لم يكن هو الأصل نفسه، ولذا فليس من المستبعد أن تكون نسبة الرسالة إلى القالمي خطأ مثلما وقع الخطأ في نسبتها إلى عهد الخليفة عبد المومن في مجموع بروفنصال.

وتظهر **أهمية الرسالتين** فيما يلي :

- تلمح الرسالتان إلى أهمية مكانة الشيخ أبي حفص في القيادة العسكرية رغم وجود بعض السادة في هذه الحملة.
- أن الأحداث المشار إليها في الرسالتين تتكامل مع ما يذكره صاحب المن بالإمامة على الخصوص وكذلك صاحب البيان، أما ابن خلدون[14] فقد أشار في جملتين لهذا الحدث مع خطإه في جعل الحملة الموحدة تحت رئاسة الخليفة يوسف بنفسه، ومن جهة أخرى فإن إحدى الرسالتين تصحح وتكمل ما ورد من خطأ أو نقص في الرسالة نفسها الواردة ضمن (م ر م) فيتأكد بذلك تاريخها والخليفة الصادرة عنه، أما المصادر النصرانية فلا

---

(12) يسميها ابن جبير «قنبانية قرطبة» (ص 231)، انظر أيضا :

Maurice Lombard : L'Islam dans sa première grandeur (VIII - XI^{e} s) p. 161, Flammarion 1971

ويبدو أن الاسم الوارد في رسالة أبي الحسن غير صحيح على عكس ما في رسالة أبي الحكم.

(13) راجع الرسالة رقم 28 م ج (وهي مقارنة مع رقم 22 م ر م).

(14) المن ص 518 وما بعدها والبيان (98-99) والعبر 6/500-501).

تتحدث بشيء عن هذه المعركة[15].

— تتحدث الرسالتان عن العمل العسكري الغير النظامي الذي قامت (أو كانت تقوم) به مدينة آبله ومدن أخرى أو حصون في إطار الجمعيات العسكرية الدينية كما يدل على ذلك اسم الفريريين (أو الافريريين) مما يجعل اعتداءها ضد المسلمين مستمرا رغم الاضطرابات الداخلية في الممالك الاسبانية أو في حالات الهدنة مع المسلمين، فهل يمكن القول أن من أهم عوامل إنشاء مثل هذه الجمعيات تغطية المشاكل الداخلية لهذه الممالك، وبعبارة أخرى لا ترتبط هذه الجمعيات بالسياسة الرسمية بقدر ما ترتبط بالكنيسة وحركة الفروسية ؟

3 — رسالة الخليفة يوسف بشأن الهدنة مع النصارى (رقم 29 م ج) :

إن هذه الرسالة تطرح مشكلة تأريخها حيث لا يذكر في نهايتها، ولذا نحن في حاجة للبحث عن التاريخ المناسب لها : فكاتب هذه الرسالة هو أبو الحسن علي بن زيد النجار الإشبيلي الذي سبق أن كتب عن الخليفة يوسف الرسالة رقم 28 (م ج) المؤرخة بـ24 شعبان سنة 568، ثم كتب عنه هذه الرسالة (المدروسة) من إشبيلية إلى «طلبة» مراكش[16]، أي أنه أصبح كاتبا للخليفة منذ سنة 568 إلى وفاته سنة 571 أو 572[17]، بمعنى أن تاريخ الرسالة يبقى محصورا بين سنة 568 وسنة 571 التي هي سنة عودة الخليفة يوسف من الأندلس إلى المغرب[18].

ونفهم من الرسالتين السابقتين عن معركة فحص هلال (27 و28 م ج) ومن المن (525-526) ومن البيان (100 وما بعدها) أن الجو كان متوترا بين الموحدين **والقشتاليين** خصوصا سنة 567 حيث فشل الموحدون في حصار وبذة، وكان التوتر أيضا بين الموحدين والبرتغاليين حيث كان هؤلاء يهددون بطليوس ويضربون حصون الغرب، بل احتلوا **مؤقتا** باجة قاعدة الغرب في محرم سنة 568 مما فرض على الخليفة توجيه حملة لدعم بطليوس والإغارة أيضا على جنوب قشتالة. أما **ملك ليون** فكان على سلم مع الموحدين منذ سنة 563[19]

---

(15) وذلك حسب اشباخ في تاريخ المرابطين والموحدين ص 320.

(16) وقع الخطأ في ترتيب أوراق المخطوط أثناء ترميمه، أما تصحيح هذا الترتيب فهو كما يلي : يوجد أول الرسالة على الصفحة 21 من زوائد المخطوط ويقع الباقي على الصفحتين 10 و11 كما هو في قسم الرسائل، انظر الهامش رقم (4) على الرسالة 29 (م ج).

(17) راجع الترجمة رقم 10 في مقدمة البحث.

(18) يوجد في الرسالة أيضا تلميح يجعل تاريخها محصورا في فترة حركة الخليفة الأولى إلى الأندلس (566-571) وذلك بالإشارة إلى «توحيد» الجزيرة على «كلمة السواء» ولاشك أن المقصود هو إنهاء مشكل ابن مردنيش بشرق الأندلس سنة 567.

(19) المن (370-371) والبيان 78.

ثم جدده سنة 566[20]، وتؤكد الرسالة المدروسة استمراره على السلم.

وعندما يتحدث صاحب المن عن بعوث النصارى الراغبين في «السلم» يذكر وفد صاحب طليطلة ثم وفد صاحب قلمرية (البرتغال)، بمعنى أن ملك ليون لازال لم ينقض الهدنة على الأقل إن لم يجددها، ويذكر ابن صاحب الصلاة أيضا أن الوفود وصلت إلى اشبيلية في ذي الحجة سنة 568 وبقيت شهرين إلى أن تمت الهدنة على «شروط معينة» وإلى «وقت محدود» وهذا ما تؤكده الرسالة، ولهذا يمكن اعتبار تاريخها هو سنة 569 خاصة في أولها إذا كانت هذه الهدنة هي التي ذكرها ابن صاحب الصلاة (ص 526) وهذا هو الراجح، ولا يمكن أن يصل تاريخ الرسالة إلى أواخر سنة 569 لأن ملك ليون نقض الصلح في هذه الفترة[21] وهو الذي كانت «بُلَّت به يداه» ومكنه من النجاة من ضربات الموحدين سنة 568 «ورأى أنه استصرف به رداه»[22]، إذن فليس من المستبعد أن يكون توقيع الهدنة في شهر محرم أو صفر 569 وليس شهر ذي الحجة 568 كما ذكر ذلك عنان (ج 90/2).

وهكذا تظهر **أهمية هذه الرسالة** على الخصوص فيما يلي :

- تشير إلى حاجة الطرفين الموحدي والاسباني إلى الهدنة رغم أنها تصرح بأن المبادرة كانت من الطرف الأخير.
- لم تكن شروط الهدنة كلها متساوية بين كل من الموحدين والقشتاليين والموحدين والبرتغاليين... بينما ظلت أركون في حالة العداء مع الموحدين.
- تسدّ هذه الرسالة النقص في معلومات المصادر حول هذه الهدنة بل إنها تصحح الخطأ الذي وقع فيه صاحب المن ومن اعتمد عليه في جعل قشتالة أول من أرسل وفد المفاوضة[23]، مع أن الرسالة تجعل وصول وفد البرتغال قبل الوفد القشتالي.

4 ــ رسالة عن «السيد» محمد إلى أهل مرسية (34 م ج) :

وردت هذه الرسالة في زوائد العطاء الجزيل على الصفحات 31 إلى 33 وهي مؤرخة بـ 21 [ربيع] الآخر سنة 580، هذه الرسالة تطرح مسألة تأريخها وعلاقته بتاريخ وفاة الخليفة يوسف وهو تاريخ مختلف فيه ربما لأنه لم يعلن في وقته. فالملاحظ في الرسالة الدعاء للخليفة الثاني «أمير المومنين بن أمير المومنين»، فيفهم منه أن الخليفة يوسف لازال حيا في هذا التاريخ أي في ربيع الآخر أو جمادى الآخر سنة 580 ــ مادامت كلمة (ربيع) أو (جمادى) غير واضحة في نهاية الرسالة في المخطوط ــ وهذا يظهر عاديا إذا صح التاريخ الذي يضعه المراكشي

---

(20) المن 401.

(21) البيان 104.

(22) انظر نص الرسالة المدروسة، وأيضا البيان 104.

(23) المن 526، عنان 2/89-90.

لوفاة الخليفة يوسف وهو 7 رجب 580[24]. غير أن الرسالة رقم 27 (م ر م) المؤرخة يوم سابع جمادى الأولى سنة 580 تتحدث عن أخذ البيعة ليعقوب باشبيلية[25] فهي تسقط من الاعتبار التاريخ الذي قدّمه صاحب المعجب لوفاة الخليفة يوسف كما تسقط إمكانية تأريخ الرسالة المدروسة بجماى الثانية[26]، وهكذا يكون تاريخ الرسالة الصحيح هو 21 ربيع الآخر 580.

فهل في هذا التاريخ لازال الخليفة يوسف حيا كما يبدو من الرسالة ؟ إن أغلبية المصادر تجعل وفاته في شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني[27]، وإذا تتبعنا حركته من إشبيلية إلى شنترين نجدها استغرقت حوالي عشرين يوما : كان الخروج من إشبيلية في 26 صفر وكان وصول مقدمة الجيش إلى شنترين في يوم 16 ربيع الأول[28] واستمر حصارها حوالي عشرين يوما[29]، ويلمح ابن عذاري لطول مدته بقوله «وطال لغير طائل الثواء»[30]. وتلته بعض العمليات شمالي شنترين في أواسط شهر يوليوز أي النصف الأول من شهر ربيع الثاني قبل أن يأمر الخليفة بالرحيل إلى إشبيلية عن طريق يابرة، وتوفي قبل الوصول إليها (يابرة). ويمكن أن نطمئن إلى تاريخ الوفاة وهو يوم السبت 18 ربيع الثاني سنة 580 كما في كتاب القرطاس وأيضا البيان الذي اعتمد صاحبه في الغالب على رواية ابن صاحب الصلاة المرافق للحملة،

---

(24) المعجب (260–261) ويوافقه المقريزي في السلوك ضمن أحداث سنة 580 والنويري ص 434 (ويبدو أنهما نقلا عن المراكشي).

(25) وكذلك البيان 141 والقرطاس 216.

(26) في يوم 7 جمادى الثانية كان وداع أهل الأندلس وولاتها ليعقوب في عودته إلى المغرب وكان عبور المجاز في نفس اليوم، البيان 142.

(27) تعتبر أغلبية المصادر وقوع الوفاة في أحد الشهرين، فمن المصادر التي تذكر ربيع الأول : الكامل (580)، الروض المعطار (مادة شنترين)، وفيات الأعيان 7/130–138، الذيل س 1/ ص 221. ومن المصادر التي تذكر الوفاة في ربيع الثاني : مفاخر البربر خ ع، 2/ ص 26، البيان ص 138، القرطاس 215، أعمال الاعلام الورقة 212ب، رقم 1552د، خ ع، الاستقصا 156/2.

(28) في يوم 16 وصلت طليعة الجيش الموحدي إلى شنترين ثم وصلها جيش الخليفة، البيان 133.

(29) ذكر صاحب الروض المعطار مدة الحصار 20 يوما (شنترين)، ويجعل ابن الأثير الحصار شهرا (ج 9/ سنة 550).

(30) البيان 136.

(31) البيان (136–137) ويلاحظ ابن عذاري حصار حصن طرش وتوجيه سرايا في المنطقة لجمع الأقوات، وتجعل بعض الروايات الاسبانية هذه العمليات في أواسط شهر يوليوز 1184 وهي توافق النصف الأول من شهر ربيع الثاني (T.C) والرواية أوردها دوزي (Dozy) في كتابه ...Recheches 2/476.

(32) القرطاس 215، البيان المغرب 138 و139 وميراندا في الموسوعة الإسلامية (بالفرنسية) مادة (أبو يعقوب يوسف 166/1)، ط 1975، مفاخر البربر 26/2 (خ ع).

وهو التاريخ الذي أخذ به ويسي ميراندا أيضا ويوافق يوم 29 يوليوز 1184، ولم يعلن آنذاك عن وفاته. وكان الوصول إلى اشبيلية بثلاثة أيام قبل نهاية ربيع الثاني أي بعد حوالي عشرة أيام من موت الخليفة. ولما تلاحقت القوات واطمأن الأمير يعقوب بن يوسف على خلافته للمنصب أعلن للعامة عن وفاة والده، وتلقى البيعة العامة يوم 1 و2 جمادى الأولى بعد أن كان تلقى البيعة الخاصة والسرية إثر وفاة والده مباشرة[33].

وإذا كانت الوفاة يوم 18 ربيع الثاني وتاريخ الرسالة هو يوم 21 ربيع الثاني فهل الأمير محمد لم يكن يعلم بوفاة والده ؟ يذكر ابن عذاري أن الوفاة علم بها السادة وشيوخ الموحدين، واتفقوا على الأمير يعقوب كخليفة، ولكن كتموا موت يوسف[34] ربما لقربهم آنذاك من بلاد العدو، ولذا يبدو أن الرسالة تمويهية ـــ في تلميحها لبقاء يوسف حيا ـــ مادام الإعلان الرسمي عن وفاته لم يتم.

وهناك ملاحظة أخرى وهي اختلاف المصادر حول ولاية العهد ليعقوب في حياة أبيه، فالمراكشي مثلا يثبت ذلك وابن الأثير ينفيه[35]، والرسالة التي تحت الدرس ليس فيها دعاء لولي العهد[36] إلا إذا سبق إحداثها شفويا ولم تكن تمّت بعد على المستوى الرسمي.

وهكذا تظهر **أهمية هذه الرسالة** فيما يلي :

ـــ تؤكد التمويه بإخفاء موت الخليفة يوسف قرب يابرة في أرض تحت حكم العدو.

ـــ يتبين من الرسالة أن يعقوب لم يكن ـــ رسميا على الأقل ـــ وليا للعهد مادام اسمه لم يذكر فيها بعد اسم أبيه، وهذا من شأنه أن يقطع الخلاف في الروايات.

ـــ تتكامل الرسالة في معلوماتها مع المعلومات التي أوردها ابن عذاري عن الحملة إلى شنترين والتي أخذها على الأرجح من كتاب المن لابن صاحب الصلاة المرافق للحملة[37].

5 ـــ رسالة جوابية حول معركة «الأركو» (رقم 42 م ج) :

هذه الرسالة كتبها أبو الحسن القلني[38] عن أهل مراكش وقد أوردها صاحب العطاء الجزيل ضمن الزوائد الملحقة به على الصفحات 12 و13 ثم 30 و31، وهناك نقطتان حول هذه الرسالة هما الطرف المكتوب إليه وتاريخ الرسالة : فهي جوابية من «طلبة» مراكش إلى

(33) البيان 141–142.

(34) البيان 141.

(35) المراكشي في المعجب ص 261 و265، ابن الأثير 9/ (سنة 580).

(36) على عكس رسالة القاضي أبي موسى (10 م ج) وعلى عكس رسالة ابن وضاح عن طلبة اشبيلية (44 م ج) ففيهما معا الدعاء لولي العهد.

(37) عن الحركة إلى شنترين انظر الموضوع الثاني بهذا الفصل ص (116–130).

(38) انظر في مقدمة البحث الترجمة رقم 13.

الخليفة الثالث المعبر عنه «بالمنصور الناصر لدين الله أمير المومنين بن ... أمير المومنين بن ... أمير المومنين[39] ونقش خاتمه «أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين»[40] **فهو إذن** يعقوب المنصور حفيد عبد المومن (580-595). ونجد في الرسالة الدعاء للمهدي ثم «للخليفتين» أي عبد المومن ويوسف ثم «للمنصور» و«نجله.. أبي عبد الله» وهو محمد ولي عهده منذ أواخر سنة 587[41]. وتساعدنا حادثة تولية العهد على وضع تأريخ للرسالة فيما بين سنتي 587 و595، فالمنصور ــ وهو خليفة ــ جاز إلى الأندلس مرتين : الأولى من سنة 586 إلى 587[42] وانشغل أثناء وجوده بالأندلس بالحرب مع البرتغال بينما كانت قشتالة في هدنة معه آنذاك[43]، وكان الجواز الثاني بين سنتي 591 و594[44] بعد الاعتداءات المتكررة من القشتاليين على أراضي المسلمين، وعبارة الأذفونش طاغية النصارى في الرسالة تشير إلى ملك قشتالة الفونسو الثامن[45]، وتتحدث بعض الروايات عن نهاية الصلح مع قشتالة سنة 590 فكثرت اعتداءاتها على المسلمين[46]، فالأمر إذن يتعلق بقشتالة لا بغيرها، وبما أن الرسالة تتحدث عن الانتصار الذي تبعه افتكاك أسرى «الأركو» وعن أهمية النصر وذيوعه في الآفاق وما ترتب عنه من تحرير عدد من المعاقل كان العدو قد سيطر عليها... فإن هذه الصفات تنطبق على المعركة المعروفة بالأرك[47] التي أعادت نوعا من التوازن العسكري بشبه الجزيرة الايبيرية ولو مؤقتا.

تظهر **أهمية الرسالة** فيما يلي :

ــ تأكيد الرسالة على أن الأمير محمد ابن المنصور كان وليا للعهد بصفة رسمية آنذاك كما تذكر المصادر التاريخية.

---

(39) انظر صدر الرسالة المدروسة (42).

(40) البيان 141.

(41) انظر خصوصيات الرسالتين 40 و41 في الصفحات 17-19.

(42) البيان 177-185، والرسالة 34 (م ر م).

(43) الرسالة 34 (م ر م).

(44) البيان 192-204.

(45) اما ملك البرتغال في الرواية العربية والرسائل الرسمية فيسمى عادة ابن الرنك أو ابن الريق، وهو في هذه الفترة سانشو الأول (581/1185هـ - 607/1211-608هـ)، اشباخ 293، عنان ج 2 (609-610)، T.C.

(46) المعجب 282، البيان 191-192.

(47) الأرك أو الأركو نسبة إلى الحصن القريب من ساحة المعركة، ويسميها صاحب الذيل **«معركة الأركة»** (س 6 ص 24-25)، ويقول الناصري «حصن الأرك ويقال له الأركو بزيادة الواو في آخره» (الاستقصا 189/2)، وسماه كذلك الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي في كتاب الفتوحات المكية عند قوله «فتح الله قلعة رباح والاركو وكركرا !» (الاستقصا 193/2-194).

ـ تنوع غنائم الموحدين ومنها أعلام ملك قشتالة.

ـ اشتراك الهيئات الدينية والجمعيات العسكرية في المعركة إلى جانب الجيش النظامي القشتالي.

ـ يتضح من الرسالة أن المعركة كانت ـ بصفة رسمية ـ بين الموحدين والقشتاليين دون اشتراك الممالك الاسبانية الأخرى بجيوش نظامية.

6 ـ رسالة جوابية[48] إلى الناصر حول هزيمة «أهل اللثام» (رقم 54 م ج) :

إن هذه الرسالة تطرح مشاكل عدم ترتيب أجزائها وكثرة البتر بها، وبالتالي عدم وضوح مضمونها ثم عدم التصريح بمرسلها وتاريخها :

فصدر الرسالة يوجد على الصفحة 25 من زوائد المخطوط وهي مصابة بالبتر في بعض الكلمات بل وبعض الأسطر في أسفلها، ولما كان الجزء الموجود على هذه الصفحة لا يمثل إلا صدر الرسالة، وأن الصفحة 26 بعدها تبدأ في أولها رسالة جديدة، فمعنى هذا أن هناك خلط في ترتيب أوراق المخطوط أثناء عملية ترميمه، وتبيّن أن الرسالة المبتورة من أولها والموجودة على الصفحة 28 (من الزوائد)[49] هي التي تتممها على الأرجح، غير أن هذا الجزء هو نفسه مصاب بالبتر في أسفل الصفحة، بل إن الصفحة 29 بعدها بيضاء في المخطوط. على كل فإن المقارنة بين جزأي الرسالة تجعلنا نرجح أنهما من رسالة واحدة أجاب بها والي اشبيلية على رسالة وصلته من الخليفة الناصر مبشرة بفتح من الفتوح.

فما هو هذا الفتح ؟ جاء في الرسالة على الصفحة 25 الدعاء للمهدي ووصفه بأنه «الصادق العزم، الموصل للحزم في تطهير البلاد وإراحة العباد من رجس **أهل اللثام**، وتنزيه الشريعة عن تحكم الطغاة اللثام...» والعادة أن مقدمة الرسالة الموحدية تحمل تلميحا لمضمونها. وجاء في الصفحة 28 «وقد ورد على عبد نعمتها (الحضرة)... كتابها المعظم الكريم... في أوفق ساعة من الجمعة وأفضل حين، مضمّنا ما صنع الله لأمرها العزيز في **قتل الشقي** [... وقـ]ـتل أتباعه من الصنع الجميل... فهز الأرض بهذا النبأ السارّ طربا، وأنطق بالإقرار بعزة هذا الأمر عجما من الأمم [وعربا، وأرعب] **النصرانية** رعبا ورهبا...». فإذا افترضنا أن هذا النصر كان على الميورقي بإفريقية فإن هذا لم يقتل وإنما تراجع داخل الصحراء[51]، وإذا افترضنا أنه ابن الفرس الذي ادعى أنه القحطاني فإن ثورته لم تطل ولا علاقة لها بكون القضاء عليها يرعب النصرانية[52]، وأخطر ثورة بدأت في عهد الناصر بالمغرب الأقصى هي ثورة

(48) انظر الترجمة رقم 19 في مقدمة البحث.

(49) وهذه لا علاقة بها بالرسالة الموجودة على الصفحة 27 من الزوائد.

(50) ما بين معقفين غير واضح في المخطوط، فقد تقرأ الكلمة الثانية : وأرهب.

(51) راجع خصوصيات الرسالتين 59 و61 م ج على الصفحتين 65–67 والدراسة التاريخية ص 78–80 في الفصل الثاني.

(52) راجع في الفصل الرابع الصفحة 163 وما بعدها.

الجزولي بالجنوب، لكن لم يقض عليها إلا في أوائل عهد المستنصر[52]. يبقى أمامنا ترجيح كون «الشقي» المذكور هو ابن غانية صاحب ميورقة، حيث استطاع الأسطول الموحدي في نهاية ذي الحجة 599 أو مطلع شهر محرم سنة 600 افتتاح الجزيرة بعد حصار لمدة أسبوع[53]، ومما يدعم هذا الترجيح وجود نوع من الارتباط ــ ولو أنه محدود ــ ما بين بعض الإشارات في الرسالة الجوابية والرسالة الإخبارية التي هي رسالة الناصر بفتح ميورقة[53] حيث جاء في هذه «أن الله استأصل شر الأنام، ورعاء الإبل... **أهل اللثام**، طهر منهم المغربين و لم يبق منهم إلا من كان بجزيرة ميورقة... ثم أجلى ذلك الموطن عن **قتل الشقي** وأتباعه...[54] ثم إن الفتح فيهم **فتح في النصرانية** وظهور على ممالكها الساحلية...»[55] وهكذا تجتمع في الرسالتين الإخبارية والجوابية الإشارة إلى أهل اللثام ومقتل الشقي[56] وتأثير ذلك على النصارى.

إذا صح هذا يكون تاريخ الرسالة الجوابية هو أوائل سنة 600، ويكون مرسلها هو الوالي أبو عبد الله بن أبي يحيى أو خلفه السيد أو إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف الذي عين على ولاية اشبيلية في ربيع الأول سنة 600، واستمر في هذه الولاية إلى سنة 601[57].

تظهر **أهمية الرسالة** في كونها تربط بين الانتصار على «الشقي» وعلاقة هذا الانتصار بموقف النصارى، فإذا كان «الشقي» هو حاكم ميورقة فإن النصارى المعنيين هم الأرغونيون، وستثبت الأحداث ردّ فعلهم على هذا التقدم الموحدي في شرقي الأندلس، مما يؤكد صدق الرسالة في تلميحها لأهمية المنطقة بالنسبة للأرغونيين[58].

---

(53) انظر الرسالة 36 (م ر م) حول الاعلام بفتح ميورقة.

(54) نفس الرسالة (م ر م) ص 243-244.

(55) نفس الرسالة (م ر م) ص 247.

(56) تتفق مصادر أخرى على مقتل صاحب ميورقة عند فتحها، مثلا الروض المعطار (مادة ميورقة).

(57) انظر البيان ص 218-219.

(58) انظر هذا الموضوع في مطلع الفصل الرابع ص 178.

الموضوع الثاني :

دراسة تاريخية
لرسائل الفصل الثالث

أ ـ الوجود الموحدي في الساحل الجنوبي للأندلس (فتح مالقة) :

أخذ النفوذ الموحدي يتسرب إلى بلاد الأندلس من جنوبها الغربي منذ سنة 539[59]، ودخلت مدينة قادس في الدعوة الموحدية أول عام 540 وكانت آنذاك مقر الأسطول المرابطي الذي يتزعمه القائد ابن ميمون، ودخلت اشبيلية في هذه الدعوة قبيل فتح مراكش، وتوقف نفوذ الموحدين عند مدينة قرطبة فيما بين سنتي 542 و544[60]، وذلك لأسباب منها الثورات الحاصلة في المغرب ضدهم[61]، وضغوط قشتالة على سهول الوادي الكبير ومنها محاولتها احتلال قرطبة[62]، وأيضا استيلاء النصارى على مدينة ألمرية، ووجود بقايا من المرابطين في الجنوب الشرقي للأندلس وكذلك بعض الزعامات المحلية التي تلقى دعما مباشرا أو غير مباشر من طرف قشتالة وأرغون مثل ابن مردنيش أمير شرق الأندلس وابن حسون أمير مالقة.

هذا الوجود **لابن حسون** مدعما بمرتزقته مع وجود ألمرية في يد النصارى كان مما دفع الموحدين إلى القيام بتحركات برية وبحرية في منطقة الجنوب الشرقي للأندلس : فقد قاد أبو محمد عبد الله بن سليمان صاحب أسطول سبتة حملة بحرية فشلت في فتح ألمرية، وفي الطريق نحوها حاول هذا الأسطول فتح مدينتي مالقة والمنكب دون جدوى[63]، وهذا ما نستنتجه من الرسالة الجوابية للخليفة عبد المومن إلى «طلبة سبتة»[64]. إن هذه الرسالة ليست مؤرخة

---

(59) يذكر ابن عذاري أن مارتلة كانت أول مدينة تبايع للموحدين في 17 ربيع الأول 539 ثم تبعتها طلياطة ثم بقية الغرب، البيان 105/4 و107.

(60) البيان (قسم الموحدين) ص 33 وما بعدها (ط. 1985).

(61) راجع الدراسة التاريخية للفصل الأول ص 27-41.

(62) البيان (قسم الموحدين) 40-41 (ط. 1985).

(63) تقع المنكب إلى الشرق من مدينة مالقة على بعد ثلاث مراحل (المعجب 371)، ويبدو أن المنكب كانت آنذاك تحت حكم أبي الحسن علي أخي الأمير ابن حسون صاحب مالقة (فقهاء مالقة ص 166-167 في ترجمة أبي الحسن علي المذكور).

(64) الرسالة 5 (م ر م).

ولكن بروفنصال[65] يضع تاريخها بين سنتي 543 و546 استنادا إلى ما يعرفه عن أبي محمد عبد الله بن سليمان، فحسب البيذق[66] عيّنه الخليفة على سبتة بعد دخول القاضي عياض وأهل المدينة في طاعة الموحدين سنة 543، ثم دفع إليه في السنة التالية «جريدة لأهل غمارة» لتأديبهم ضمن ما سماه البيذق «بالاعتراف»، ثم وجه إليه سنة 546 ـــ عندما كان الخليفة في حملته ضد بني حماد والعرب ـــ الأمر بالقبض على يصلاسن (أو يصلاتن) قريب المهدي ثم جاءه الأمر بقتله...، ولكن أخبار عبد الله بن سليمان لم تنقطع بعد، فمثلا توجد في البيان المغرب[67] ضمن أحداث سنة 550 الإشارة إلى السيد أبي عثمان والي سبتة وعبد الله بن سليمان صاحب أسطولها[68]، بل استمرت أخباره كقائد لأسطول سبتة إلى سنة 552[69]. وهكذا يمكن أن نضع المحاولة المذكورة في رسالة بروفنصال بين تاريخي 543 و548 الأول تاريخ تعيين ابن سليمان على أسطول سبتة والثاني تاريخ فتح مالقة.

يذكر صاحب «فقهاء مالقة وأدباؤها» عند ترجمته للشيخ أبي حفص الهنتاتي أن الخليفة وجهه إلى مالقة «حين كان ابن حسون بها[70] فأقام عليها أياما ثم أقلع عنها بخطاب ابن حسون ملك طليطلة»[71]. ويمكن أن نتساءل : هل هذا الحصار المشار إليه كان محاولة ثانية بعد المحاولة البحرية المذكورة من قبل، أم كان هناك في آن واحد حصار بري بقيادة الشيخ أبي حفص وبحري بقيادة ابن سليمان ؟ إن رسالة الخليفة التي تتحدث عن الهجوم البحري المذكور[72] لا تشير إلى أي عمل بري آنذاك، ويتضح من القرطاس والكامل أن الخليفة عبد المومن بعث سنة 546 الشيخ أبا حفص إلى الأندلس وبعث معه السيد أبا سعيد عثمان بعشرين ألف فارس «برسم غزو الروم واستنقاذ ألمرية منهم»[73] ففشلت المحاولة آنذاك بسبب الغلاء

(65) انظر دراسته للرسالة الخامسة المذكورة ضمن تحليله لرسائل مجموعه في مجلة هسبريس 1941.

(66) أخبار المهدي (68-75).

(67) البيان 32/3 (تطوان).

(68) اشتركا معا في الأعمال العسكرية بجنوب شرق الأندلس كفتح غرناطة وحصار المرية سنة 550 ثم فتحها سنة 551، (البيان ص 33).

(69) البيان 316/1 (بيروت).

(70) من المصادر التي ترجمت لابن حسون صاحب مالقة : أعمال الأعلام ص 254-255 (ق 2) المنشور تحت عنوان «تاريخ اسبانيا الإسلامية» بعناية الأستاذ بروفنصال، فقهاء مالقة (166-167)، الذيل س 6/ ص 238، الروض المعطار 518 (مادة مالقة) الذيل س 8/ ص 165 (خ ع).

(71) ترجم المؤلف لأبي حفص لكونه أحد الداخلين إلى مالقة (ص 173-174).

(72) الرسالة رقم 5 (م ر م).

(73) روض القرطاس 193، انظر أيضا الكامل 30/9 (سنة 546) يذكر فشل الموحدين في حصار مرسية لقدوم قوات برشلونة لنجدة ابن مردنيش، وفشل حصارهم لمدينة المرية بعد شهور لاشتداد الغلاء في معسكرهم فعادوا إلى اشبيلية وفي هذه السنة جرت محاولة لفتح غرناطة من طرفهم.

في المعسكر حسب ابن الأثير. وكان من الزعماء المحليين المستقلين ببعض جهات المنطقة ابن ملحان بوادي آش وبسطة حيث كان من الثائرين على المرابطين بوادي آش ثم توسع شرقا واستولى على بسطة، أي أنه كوّن إمارة شرق منطقتي غرناطة ومالقة، غير أن جاره القوي ابن مردنيش زحف على إمارته واستولى عليها سنة 546 فلما «خرج إليه أبو حفص وحّد له»[74]. نستنتج مما سبق أن الشيخ أبا حفص كان موجودا بالأندلس منذ سنة 546 وربما لم يعد منها قبل أواخر عام 548، أي أنه في الفترة التي كان عبد المومن منشغلا ببني حماد والعرب بالمغرب الأوسط[76] كان الشيخ أبو حفص يقوم بمهمة إخضاع الجنوب الشرقي للأندلس، وربما كانت أعماله هناك هي التي أوصلت الدعوة الموحدية إلى أهل بلنسية ولورقة مما اضطر ابن مردنيش إلى عقابهم ثم استنكار الخليفة عبد المومن لهذا العمل في رسالة إلى ابن مردنيش يدعوه إلى الطاعة مرهّبا ورغّبا[77].

ولما كانت **مالقة** مدينة تجارية تقصدها المراكب والتجار «حتى تضاعفت عماراتها وأصبح ما حولها من البلدان كالبادية لها»[78]، ألا تكون سياسة «الحصار» التجاري ضدها خاصة فيما بينها وبين سبتة[79]، ثم تسرّب النفوذ الموحدي شمالها وشرقها ــ وهو مما يعزز هذا الحصار ــ قد أضر بها وقلّل مداخيلها فأحس أهلها بالضيق من جهة، وازدياد إلحاح ابن حسون في جمع المال لإرضاء مرتزقته من النصارى[80] من جهة أخرى فتكون النتيجة هي الثورة عليه ؟ إن **ابن حسون** يمثل إحدى الزعامات الدينية السياسية المحلية التي ظهرت في إطار الحركات الانفصالية في نهاية عهد المرابطين، وأسرته مشهورة في ميدان القضاء طيلة العهد المرابطي على الأقل، وقد تولى هو أيضا قضاء مالقة سنة 538، واسمه أبو الحكم الحسين ابن الحسين ــ أو الحسن ــ الكلبي وعرف بابن حسون، وخلال تولّيه القضاء دعا لنفسه

---

(74) البيذق ص 88، انظر أيضا الكامل نفس الجزء والسنة، وأعمال الاعلام خ ع/ 1552، د الورقتان 211ب و212أ، عنان 320/1 (نقلا عن ابن الخطيب)، المقصود في عبارة البيذق هو ابن ملحان.

(75) يتحدث البيذق (77) عن خروج أبي حفص إلى تهدئة قبائل الجنوب الغربي للمغرب الأقصى التي ثارت بعد عام 548، فيكون قد عاد إلى المغرب في أواخر سنة 48 أو أوائل 549.

(76) الرسالة رقم 9 (م رم)، وهنا نطرح السؤال الآتي : هل كان توجيه أبي حفص إلى الأندلس ناتجا عن تخوف عبد المومن من بقائه بعده بالمغرب الأقصى أكثر من حاجته إلى تدخله في جنوب شرق الأندلس ؟ أم لأنه كان يرى ضرورة الاهتمام بالمغرب الأوسط والأندلس في آن واحد ؟

(77) الرسالة رقم 10 (م ر م) بتاريخ جمادى الثانية 548.

(78) معجم البلدان للحموي 43/5.

(79) هذا الإجراء شدد عليه عبد المومن في الرسالة الخامسة (م ر م).

(80) هؤلاء النصارى استعملهم بسبب الضغط عليه من طرف المرابطين الذين كانوا حول إمارته، أعمال الاعلام، المخطوط المذكور الورقة 209.

سنة 539[81] حيث ثار على أبي علي منصور بن محمد بن الحاج داوود اللمتوني[82] «وحصر اللمتونيين بالقصبة إلى أن أنزلهم منها بعد ستة أشهر وتملك القصبة وانتقل إليها وتسمى بالأمير، وأقام سالكا طريقة القضاء مع الإمارة، وقلد أخاه أبا الحسن (علي)[83] جيشه وولاه بلد قرطبة وما إليها... وواصل من حوله من المرابطين الغارة عليه حتى ألجاه ذلك لاستدعاء جيوش الروم ولزمه المال فأضاق الرعية بما كرهوه لأجله، وشرعوا في التدبير عليه فداخلوا رجلا شهما من خدّامه.. يدعى اللوشي وثاروا عليه، وتغلب المذكور على الأبواب وملك القصبة، وسدّ ابن حسون على نفسه القصر... فلما أيقن الهلكة ــ وقد قتل أهل البلد أخاه[84] عند الهيج والثورة... ــ قتل نفسه... وذلك يوم السبت 11 من ربيع الأول عام 548[85] وصلبت جثته وحمل رأسه إلى مراكش واستولى الموحدون على مالقة بعده»[86]. حدث هذا في الوقت الذي كان الشيخ أبو حفص الهنتاتي بمحلته في «فج قامرة»[87]، فخاطبه أهل مالقة يطلبون الأمان والدخول في الطاعة، فوجه إليهم رسالته بالأمان ثم وصل بعدها إلى مالقة وأقام بها أياما ثم انتقل عنها[88].

ومن النتائج المترتبة عن فتح مالقة مع بعض المدن الساحلية شرقها كالمنكب :

ــ أن المرابطين بغرناطة أصبحوا يشعرون بتضييق الموحدين عليهم من الشمال والجنوب مما سيجعلهم يستسلمون طوعا سنة 550 أي أثناء الحصار الموحدي لألمرية[89].

ــ وأن فتح مالقة من شأنه أن يهدد ابن مردنيش الذي كان نفوذه وصل إلى وادي آش، بل أصبحت الدعوة الموحدية تهدد بالظهور في بلنسية ولورقة ضمن مناطق نفوذه كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

---

(81) وذلك حسب إحسان عباس في تعليقه على كلمة (مالقة) في الروض المعطار ص 517.

(82) الذيل س 8 ص 165 (خ ع).

(83) الإضافة من (فقهاء مالقة) ص 166-167.

(84) كان أخوه أبو الحسن قدم من المنكب فيما يبدو لدعمه، فقتل في الجامع بمالقة (سنة 548) نفس المصدر والصفحتين في الهامش السابق.

(85) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (الأندلس)، وهو ينقل عن ابن خميس في تاريخه كما يعترف بذلك، وهو نفس المصدر الذي ينقل عنه أو يتممه ابن أخته ابن عسكر في «فقهاء مالقة».

(86) أعمال الاعلام (الأندلسي) ص 254-255 من المطبوع أو الورقتان 209 و210 من المخطوط (خ ع) انظر الذيل س 8 ص 165 (خ ع)، والتكملة ع 737 ط. القاهرة، وفقهاء مالقة 166-167 (خ ح).

(87) انظر الهامش 8 على الرسالة السابعة (م ج).

(88) فقهاء مالقة ص 174، ويجعل عنان تقدم الموحدين إليها من انتقيرة وكذلك من الفرنتيرة، وتقع انتقيرة شمال مالقة بحوالي 60 كلم : عصر المرابطين والموحدين 336/1.

(89) البيان 32/3.

ـ كما أن هذا الفتح يؤمّن التحرك البحري الموحدي من أجل حصار ألمرية من البحر[90] زيادة على الحصار البري ومنع الإمدادات إليها ثم فتحها بعد الحصار (550-551) وإخراج النصارى منها، بحيث يبقى المشكل الأساسي في الشرق الأندلسي هو ابن مردنيش الذي يمكن الاستعداد لمواجهته منذ الآن مع من كانوا يدعمونه[91].

ب ـ ضم إمارة شرق الأندلس والاصطدام مع النصارى :

منذ انهى عبد المومن مسألة المهدية سنة 555 أخذ يهيىء لحملة هامة إلى الأندلس للقضاء على انفصال ابن مردنيش وضغوطه المستمرة، وعلى ضغوط النصارى على الوسط الأندلسي التي بلغت أوجها خلال الحملة الموحدية إلى إفريقية، حيث تعرضت قرطبة واشبيلية للحصار من طرف جيوش ابن مردنيش وصهره ابن همشك في أواخر سنة 554 ومطلع 555، فأرسل الأمير يوسف من إشبيلية إلى أبيه مستغيثا[92]، فأجابه بالعزم على الجواز إلى الأندلس بعرب إفريقية[93]. وقد كانت فكرة الاعتماد على العرب في معارك الأندلس قبل الحملة إلى إفريقية على الأقل منذ سنة 552 حين انهزم السيد يوسف والي اشبيلية أمام النصارى في نواحيها «فنظر عبد المومن في جلب العرب إلى الأندلس»[94]، أي أنه مرت أكثر من عشر سنوات على دخول النفوذ الموحدي إلى الأندلس دون أن يستقر أو يتسع كثيرا. ولذا فإن الخطة التي فكر فيها عبد المومن هي القيام بحملة ضخمة إليها بعد تهييء الظروف المناسبة، وهي صنفان برية وبحرية : فالبرية هي حشد العرب من إفريقية إلى جانب القوات الموحدية[95]، والبحرية تشمل تقوية الأسطول بإنشاء قطع جديدة ووفيرة في عدد من المراسي، وإنشاء مدينة جبل طارق كقاعدة للإنزال والتموين العسكريين[96]، إلا أن وفاته أجلّت إنجاز مشروعه.

واجه الخليفة الجديد يوسف (558-580) بعض المشاكل التي أخرت جوازه إلى الأندلس وخاصة **المشاكل الداخلية**، فمنها ما كان متعلقا **بمعارضة** بعض الإخوة لتوليه الخلافة[97] ،

---

(90) كانت حكومة مالقة سابقا أيام ابن حسون هي التي أطلعت المرية على تحرك الأسطول الموحدي نحوها (الرسالة 5 م ر م).

(91) انظر الرسالة 16 (م ر م) عن سقوط المرية ومدن أخرى بيد الموحدين بعد فشل ابن مردنيش وحلفائه القشتاليين.

(92) المن 115 وما بعدها، البيان (40-42).

(93) الرسالة رقم 9 (م ج)، انظر في الرسالة 21 (م ر م) والبيان 43 والمن 144 الإشارة إلى ارتحال أعداد كبيرة من العرب مع عبد المومن إلى المغرب الأقصى، وفي المنّ (172-173) الإشارة إلى إدماجهم في عسكره لجهاد النصارى.

(94) البيان 37.

(95) الرسالة رقم 9 (م ج) ورقم 19 (م ر م) والمن 144.

(96) الرسالة 19 (م ر م)، المن (137-144) و(214-215)، البيان 42، القرطاس 201.

(97) البيان (59-60)، القرطاس (208-209).

أو على الأقل تحفظهم منها (ترددهم) حتى أنه ظل يلقب بالأمير لمدة خمس سنوات[98]، ومنها ما كان متعلقا **بالثورات** ضد الحكم كثورة **غمارة** وحُلفائها بزعامة مرزدغ سنة **559**[99]، ثم بزعامة سبع بن منخفاد التي لم يقض عليها إلا بحملات قاد آخرها وأهمها الأمير يوسف بنفسه سنة 562[100]، فالثورة بهذه المنطقة كانت تهدد الربط بين المغرب والأندلس زيادة على إمكانية انتشارها بين الصنهاجيين، فهناك إشارات إلى ثورتين أخريين سنة **563** ذكرهما صاحب المن (في الصفحة 360) هكذا : «القضاء على تشغيب أهل جبل تاسررت»[101]، وفي الصفحة 363 «فتح بوقعة كانت على المرتدين بالمغرب»، ويذكر أن الفتن لم تهدأ بالمغرب إلا في أول سنة 564 (ص 375)[102]، ثم هناك **الوباء** الذي ضرب مراكش سنة **564** والذي أصاب كثيرا من الناس وبعض السادة أيضا[103].

وبالنسبة **لوضعية الأندلس** في بدء دولة يوسف فإنها تتلخص فيما يلي :

- النزاع بين ملك ليون والوصي على عرش قشتالة نونيو دي لارا[104]، وكذلك النزاع بين ليون والبرتغال حول مناطق توسعهما (بصفتهما دولتان حديثتا النشأة)، وذلك في جليقية وفي الجنوب على حساب الأراضي الإسلامية[105] فحصل ملك ليون على تحالف مع الموحدين ضد العدوين المشتركين قشتالة والبرتغال. هذا النزاع لم يستطع الموحدون استغلاله نظرا للمشاكل الداخلية المذكورة ولعناصر التهديد الأخرى[106].

---

(98) الرسائل 12، 14، 15، 16 (م ج) يلقب فيها يوسف بالأمير، أما التي بعدها فيلقب فيها بأمير المومنين.

(99) الرسالتان 14، 15 (م ج)، البيذق 86، القرطاس (209–210).

(100) الرسالتان 14، 15 (م ج)، البيان (69–71)، القرطاس (20–210)، البيذق 86، المعجب 251 (ذكر تاريخا مغايرا لثورة غمارة)، ويحدد الإدريسي غمارة فيما بين حصن تطاون ومدينة بادس (نزهة المشتاق 531–533، ط. القاهرة)، راجع الهامش 15 على الرسالة 14 (م ج).

(101) ذكر صاحب التشوف (ضمن ترجمة أبي العباس السبتي) أنّ أهل داي طرأ عليهم طارىء الجلاء عن بلدهم عام 559 (ص 465–466، ت أحمد التوفيق)، فهل هذا ناتج عن عقوبة من الموحدين لثورة ببلدهم ؟ أما جبل تاسررت المذكور فقد يكون بأرض صنهاجة شمال ممر تازة.

(102) البيذق 85، وفي الرسالة 24 (م ر م) الإشارة إلى حركة ضد المرتدين من صنهاجة، ويعلّل الخليفة في رسالته تأخر الجواز بالفتن.

(103) المن ص 395.

(104) كان هناك منازع آخر لنونيو هو فرناندو «صاحب ترجاله» القشتالي، البيان (78)، المن (368–372)، اشباخ ص 276، عنان 508/1 (عن موت السليطن) و516 وما بعدها عن صراع ليون وقشتالة، راجع أيضا الفقرة (ج) الآتية (ص 119–123).

(105) كانت هناك عمليات غير رسمية لمهاجمة الأراضي الإسلامية منطلقة من جنوب قشتالة أو ليون مثل جماعة الكونت خمينو (أبو بردع) الذي طال عيثه بالأراضي الأندلسية (المنّ 518).

(106) اشباخ 278–280.

ـ فهناك البرتغاليون أو على الأقل جماعة مسلحة كانت تعمل لحساب ملك البرتغال وعلى رأسها القائد جيرالدو الجليقي (جراندة) الذي كان يهدد حصون ومدن الغرب وخاصة ما بين نهري تاجه ويانه، بل وصل إلى مدينة بطليوس سنة 564، فتدخّل ملك ليون آنذاك لمنعها من السقوط بيد أعدائه البرتغاليين وذلك قبل وصول قوات الموحدين إليها[107]. وكانت غارات جيرالدو تصل أحيانا إلى جنوب الأندلس ومنه إقليم غرناطة كما حدث سنة 563[108].

وهناك مشكل أمير شرق الأندلس **ابن مردنيش** الذي كان يمنع تسرّب النفوذ الموحدي إلى الشرق، بل يهدد هذا النفوذ بإقليمي قرطبة وغرناطة. غير أن الحملات الموحدية المتكررة أخذت تضعفه منذ هزيمته في موقعة «الجلاّب» خارج مرسية في آخر سنة 560، وبدأت منطقة نفوذه تتقلّص تدريجيا[109] وخاصة مع تزايد الإمدادات من مراكش كتلك التي وصل بها والي قرطبة الجديد السيد أبو إسحاق أخو الخليفة إلى مقر ولايته في أواسط سنة 563[110]، ثم الإمدادات التي قادها الشيخ أبو حفص الهنتاتي في أواسط 564 لمواجهة ابن مردنيش والضغط البرتغالي على مدن المغرب[111]. هذه الضغوط المستمرة من الموحدين على إمارة ابن مردنيش، وتزايد اعتماده على المرتزقة القشتاليين والأرغونيين، وبالتالي ازدياد ضغطه على الرعية...[112] شجّع أتباعه على التخلي عنه تدريجيا ومنهم صهره وحليفه القديم ابن همشك صاحب منطقة جيان الذي دخل في طاعة الموحدين[113]، غير أن مجاورة منطقته لابن مردنيش جعلتها أكثر عرضة لضرباته، فاستنجد بالموحدين، فكانت حركة السيد أبي حفص أخي الخليفة ووزيره بإمدادات جديدة لمواجهة أحوال الشرق والغرب في انتظار تمكّن الخليفة من العبور بنفسه إلى الأندلس[114].

---

(107) المن (375-376) و380 وما بعدها، البيان (78-81)، اشباخ (279-283).

(108) انظر الرسالتين 22، 23 (م ج).

(109) انظر الرسالتين 12، 16 (م ج) والمن 269 وما بعدها.

(110) انظر الرسالة 21 م ج والمن 354، والعبر 499/6، وكذلك الرسالة 19 م ج.

(111) الرسالة 24، والمن 375، والبيان 79 وما بعدها.

(112) عدد الفرسان النصارى المشاركين في معركة الجلاب مثلا 8000 أغلبهم من ارغون (المن 280 والبيان 64)، وحاول كل من عبد المومن ويوسف استمالة ابن مردنيش دون نتيجة (الرسالتان 10 و25 م ر م)، ويذكر اشباخ أنه أعلن تبعيته إلى ملك قشتالة سنة 1167 (562-563) ص 287.

(113) انظر الرسالة 26 (م ج)، انظر عن ابن مردنيش أيضا المعجب (248-249)، القرطاس 210، 211 و266 وعنان 33/2-57، الإحاطة 310/1، 2/ 123-125)، ثارت على ابن مردنيش لورقة (العبر 6/ 499-500، المن 409-408) كما ثار عليه ابن عمه بالمرية سنة 565 (العبر 500/6) وأخوه ببلنسية وصهره بجزيرة شقر، وقام عليه صاحبا شبرب وشاطبة (البيذق 88-89).

(114) المن 399 وما بعدها، والبيان 85 وما بعدها.

وهكذا بعد أن استقرت الأوضاع بالمغرب وإفريقية[115]، وأتمّ الخليفة استعداداته باستقباله على الخصوص لأعداد هامة من فرسان العرب من إفريقية، يقودهم السيد أبو زكرياء بن عبد المومن[116]، وكانت تجربة استعمالهم في معارك الأندلس قد أعطت نجاحا هاما سواء في مواجهة ابن مردنيش أو في التخفيف من الضغط البرتغالي على بطليوس...[117] بعد هذا تمّت حركة الخليفة إلى الأندلس، وستدوم من سنة 566 إلى 571، والخطة دائما هي «محاربة الأعداء مجسّمين أو روم»[118].

ما هي أهم نتائج الحركة ؟

— النتيجة الحاسمة هي إنهاء مشكل ابن مردنيش وانضمام الشرق إلى الدولة الموحدية سنة 567، فاجتمعت الجزيرة الأندلسية «على كلمة السواء، واستقامت الأمور بها بعد اعوجاجها»[119].

— القيام بحصار مدينة وبدة في منطقة وادي الحجارة ربما من أجل إفساد خطة التحالف القشتالي الأركوني المدعّم سابقا لابن مردنيش، فالمدينة تقع غرب إمارته سابقا وجنوبي غربي أرغون وجنوب شرقي قشتالة، هذا الحصار انتهى بالفشل[120].

— دعم المراكز الموحدية في الثغور الشمالية الغربية للتخفيف من ضغط البرتغاليين عليها.

ما هو الرد النصراني ؟

كانت للقوات الرسمية عدة انشغالات داخلية وخارجية فمملكة البرتغال لها جبهة طويلة مع مملكة ليون وكان النزاع بينهما حول مناطق متعددة فهما دولتان حديثتان لكل منهما طموحات للتوسع على حساب الأخرى وعلى حساب الأراضي الإسلامية جنوبهما كما سبق الذكر، فكانت العلاقات فيما بينهما عدائية عموما. كما أن ملك ليون فرناندو الثاني[121] (الببوج) كان يطمع في وضع يده على قشتالة التي كان ملكها ابن أخيه صغيرا وهو الفونسو

---

(115) المن 375.

(116) انظر الرسالة رقم 25 م ج، والفصل الثاني من هذا البحث ص (55-56) و(68-70) المن 417-419، والبيان 90.

(117) المن (269-270)، والرسالة 12 م ج.

(118) الرسالة 24 م ج، والمقصود بالمجسمين : الخارجون عن السلطة الموحدية، أي ابن مردنيش هنا.

(119) الرسالة رقم 29 م ج، انظر أيضا المن (402-408)، والبيان 85 وما بعدها.

(120) من عوامل هذا الفشل الغلاء في المعسكر الموحدي (المن 501، الكامل 120/9) والاشاعة باستعداد ملك قشتالة وتحركه لانقاذ المدينة (المن 502، ميراندا في الموسوعة الإسلامية (بالفرنسية) م 165/1، ط. 1975).

(121) فترة حكمه (1157-1188/ 552-583).

النبيل[122]، وكان النزاع قد حدث بين أسرتين كبيرتين للوصاية عليه، وهما أسرة (دي كاسترو) وأسرة دي لارا، وأدى فوز هذه الأخيرة بتلك المهمة إلى إفشال مسعى ملك ليون وقيام الحرب بين الدولتين بل الحرب الأهلية داخل قشتالة نفسها ولجأت المعارضة من آل كاسترو وأنصارهم إلى التحالف مع ليون ومع الموحدين خلال الستينيات[123]، هذا زيادة على النزاع بين قشتالة ونبارا حول الأراضي الحدودية بالخصوص. ويبدو أن هذا النوع من «الفراغ» العسكري على المستوى الرسمي لمواجهة الموحدين بحزم هو الذي ساعد على ظهور أو تطور جماعات دينية عسكرية تعمل بعيدا عن التقلبات السياسية[124]، أو الارتباطات بالمعاهدات الرسمية، بعضها تبنّتها الدولة كما حدث في البرتغال ومن ذلك جماعة القائد جيرالدو، ومن هذه الجماعات أيضا في قشتالة فرسان قلعة رباح، وكذلك الجماعة التي تزعمها الكونت خمينو «صاحب آبلة» الذي تكرر خروجه لبلاد المسلمين والإضرار بها، فقد سبقت له «فتكات ببلاد المسلمين... في فتوته وكهولته وشيخوخته...»[125] فبعد فشل الموحدين في حصار وبذة توجهت بعض وحداتهم للغارة على أطراف قشتالة[126] «حتى أقلق ذلك النصارى بآبلة... فاجتمع منها جمع ذميم خرجوا مع زعيمهم... شان مينوس.. إلى جهة اشبيلية وقرطبة»[127]، مستغلين تسريح أغلبية الجيوش الموحدية أثناء عودتها من حصار وبذة، ولم يبق من القوات المجتمعة فيما يبدو غير القوات النظامية التي تمثل حاميات المدن وحرس الخليفة[128]، وكان تسريح الجيوش في هذه الفترة بسبب نقص المؤونة وربما أيضا بسبب اقتناع الخليفة بسوء تنظيم هذه الجيوش وضعف العزيمة القتالية كما يفهم ذلك من عبارة صاحب المنّ «فسدت النيات في الجهاد» (497)، ولتأخذ فترة من الراحة استعدادا لغزوة منظمة كما يفهم ذلك من الرسالة (29 م ج)، وأعقب هذا التسريح إقرار مجموعة عربية وأخرى بربرية

---

(122) مدة حكمه (1166–1212/ 560–610).

(123) المن 368–372، البيان 78، اشباخ 279–282، عنان 593/1 وما بعدها والهامش 37 من هذا الموضوع.

(124) اشباخ 266.

(125) المن 518، البيان 98.

(126) المن 516–517، القرطاس 211–212، هذه الغارات كانت بعد تسريح أغلبية الجيوش في صفر 568 ربما من أجل رفع المعنوية المنهارة نتيجة الفشل في حصار وبذة، وسيأتي النصر على الجماعة النصرانية في فحص هلال ويعطى تضخيما لتعويض الفشل المذكور.

(127) انظر الرسالتين 27، 28 (م ج) والرسالة 22 (م ر م) والمن 518–525، البيان 98–99، القرطاس 211–212، والعبارة مأخوذة من المن 517.

(128) في هذه الفترة احتل جرالدو باجة وسلمها لملك البرتغال في محرم 568 فهدم أسوارها وأسر أهلها وتركها (البيان 102).

في المنطقة الشرقية[129]. وهذا الوضع شجّع «صاحب آبلة» بمجموعته[130] على شنّ غارة سريعة في شعبان 568 على جنوبي الوادي الكبير ما بين استجة وقرطبة واستولى على خمسين ألف رأس من الغنم ومائتين من البقر وأزيد من مائة وخمسين أسيرا[131]، ثم عبر الوادي الكبير عائدا على طريق قلعة رباح، فوجّه الخليفة نحوه يوم الخميس 13 شعبان فرقة خفيفة يرأسها أخوه السيد أبو زكرياء يحيى مع أخيه أبي إبراهيم إسماعيل[132] وبعض كبار أشياخ الموحدين والعرب على أن يتعاون معهم الشيخ أبو حفص الهنتاتي بحامية قرطبة، بل وربما أسندت إليه الرئاسة[133]. فأدرك الموحدون الجماعة النصرانية بناحية قلعة رباح «بفحص هلال» أو فحص كركوي[134] حسب ما ذكره صاحب المن بعد أن تركوا في حصن بطروج — على الطريق بين قرطبة وقلعة رباح — الثقلة والضعاف[135]، وكان الأدلاء يتحركون قبلهم للتجسس على أخبار العدو. وحاول النصارى الاعتصام بجبل هناك، إلا أن الموحدين اقتحموه عليهم وتقاتلوا معهم (يوم 19 شعبان)، وقطع رأس زعيمهم «أبي بردع» أو «الأحدب»، وهزم النصارى، وكان السيد أبو سعيد صاحب غرناطة قد تحرك ليلحق بالفرقة الموحدية، إلا أن انتصارها تم قبل وصوله[136].

نتائج المعركة :

— هزيمة النصارى ومقتل عدد منهم، يبالغ صاحب القرطاس فيجعلهم 36 ألف[137].

— إنقاذ أسرى المسلمين وإعادة الأسلاب إلى أصحابها، هذا زيادة على ما غنم من النصارى المنهزمين.

---

(129) البيذق 89.

(130) إلى جانب أهل آبلة كان يوجد في هذه المجموعة أهل إلبة وطلبيرة والافريريون وغيرهم (الرسالتان 27، 28 م ج)، والملاحظ أن آبلة واقعة ضمن مملكة ليون المهادنة للموحدين (المن 308)، وسمي ملكها «صاحب مدينة السبطاط وآبلة وليون وسمورة» (المن 380).

(131) المن 519، البيان 98 (وفيه ألفا رأس من البقر).

(132) هما السيدان الأخوان أبو زكرياء وأبو سعيد حسب البيان (98)، أما الرسالتان 27 و28 (م ج) فلا تحددان اسمي الأخوين.

(133) المن 520 و522 والرسالتان 27، 28 (م ج).

(134) يذكر ابن حوقل أن كركويه تبعد عن قلعة رباح بمرحلة (صورة الأرض).

(135) المن 520، الروض المعطار 93.

(136) المن 522، انظر وصف هذه العملية عند ميراندا (في 269-1/268... Historia Politica وفي الموسوعة الإسلامية (Ensyclopedie 1/165)، ويبدو أنه يأخذ معلوماته عن المن، ويذكر المؤرخ الألماني اشباخ أن الروايات الاسبانية لا تتحدّث عن هذه المعركة (69-70).

(137) وهو يذكر أن هذا هو عدد جيش أبي بردعة فلم يفلت منهم أحد (212)، وقد اعتمد عليه اشباخ، انظر أيضا المن 521-522، ووصف المعركة في الرسالتين 27-28 (م ج).

ـــ وصول خبر المعركة سريعا إلى إشبيلية حيث يوجد الخليفة، وذلك في اليوم الثالث للمعركة أي 21 شعبان، وكان المكلف بالتبليغ هو ابن الوزير ابن جامع.

ـــ نصارى آبلة ـــ حسب المن ـــ لم يجدوا فيما بعد «رأسا يخرجون معه إلى بلاد المسلمين»[138] !

ـــ دعم مدينة بطليوس وإعادة تعمير باجة بعدما خربها البرتغاليون[139]، والقيام بالغارة على ناحية طلبيرة (غنائم أكثر من 30 ألف رأس من الغنم والبقر) ثم غزو نواحي طليطلة حتى اضطر النصارى لطلب الصلح[140]، فهل كان القصد من هذه العمليات أساسا الضغط على النصارى ليعقد معهم الخليفة الصلح من موقع القوة ؟

ج ـــ توقيع هدنة بين الخليفة يوسف وبعض الممالك الاسبانية :

أثناء وجود الخليفة بإشبيلية تم توقيع هدنة بينه وبين بعض الممالك الاسبانية في آخر سنة 568 أو مطلع سنة 569 وذلك قبل عودته إلى المغرب[141]، **لكن ما هي الدوافع لعقد مثل هذه الهدنة ؟**

• **من جانب الموحدين** : يبدو أن الانتصار على جماعة «صاحب آبلة» والقيام بغارات على منطقتي طلبيرة وطليطلة وغيرهما أخذت تعيد تدريجيا إلى الجيش معنويته التي انهارت بالفشل في حصار وبذة، وتجمع له المؤونة الضرورية استعدادا ـــ أو تظاهرا بالاستعداد ـــ لغزوة كبرى ضد أراضي قشتالة أو البرتغال، مما أثار قلقهما[142]، فجاءت اقتراحات الهدنة من ملكيهما، فقبلها الخليفة. بينما كان ملك ليون فرناندو الثاني (فراندة بن السليطن) على صلح مع الموحدين منذ 563، فلماذا قبل الخليفة الهدنة ؟ إن التبرير الذي قدمته رسالة الخليفة هو حاجة الثغور إلى التعمير وعودة النشاط الفلاحي والتجاري إليها حتى تستطيع مستقبلا أن تتحمل عبء القوات العسكرية الضخمة لمهاجمة أرض العدو[143]، واعتبر الخليفة هذا

---

(138) وهناك رواية مخالفة تذكر اشتراك سانشو زعيم آبلة سنة 572 في فتح كوينكة لصالح قشتالة (عنان 96/2) فهل هو سانشو آخر ؟

(139) راجع الهامش 128.

(140) يذكر صاحب القرطاس (212) غزوة الخليفة لكركونة بشرق الأندلس سنة 569، واعتمد عليه اشباخ حيث يذكر أن الروايات النصرانية أغفلت ذكر غزوة كركونة كإغفالها للمعركة مع أبي برذعة (320).

(141) هذه العودة يجعلها صاحب المعجب سنة 569 وهذا غير مرجح خاصة وأن صاحب المن المعاصر للأحداث يجعلها سنة 571 أي قبل ميلاد صاحب المعجب.

(142) كما تلمح إلى ذلك الرسالة 29 (م ج) (ص 10 من الزوائد).

(143) الرسالة نفسها (ص 10-11 من الزوائد)، ويذكر ذلك صاحب المن هكذا «لماكان في نفس الأمير من اسكان البلاد القفرة في هذه الجزيرة وما كان من غدر كراندا...»، ص 526. =

«الصلح» فتحا على غرار صلح الحديبية[144].

ولكن يبدو أن هناك أيضا عاملا آخر أكثر أهمية كان وراء توقيع الخليفة للهدنة وهو الوضع في إفريقية : فالقائد الغزي قرقوش مملوك ابن أخي صلاح الدين الأيوبي استولى سنة 568 بجماعته على مدينة طرابلس الموحدية بتعاون مع عرب رياح الخارجين عن السلطة الموحدية بنوا حي جبل نفوسة بإقليم طرابلس، ثم امتد نفوذه إلى باقي إفريقية ماعدا المهدية وتونس، بل إن العدوى أخذت تتسرب إلى قفصة للثورة على الموحدين[145] وسيتحرك الخليفة إلى إفريقية بعد التخلص من بعض المشاكل الأخرى مثل عواقب الطاعون بمراكش ثم تمرد صنهاجة القبلة سنة 572[146]. ومع ذلك يبدو أن اتجاه العمران والسلم كان يغلب على سياسة الخليفة يوسف، ففترة وجوده بإشبيلية كانت فترة تعمير، بينما لم يكن موفقا كثيرا في العمليات العسكرية ـــ باستثناء مشكل ابن مردنيش ـــ، ولعل فشله في وبذة سببه قلة معرفته بالأمور الحربية وعجزه عن ضبط قيادة العناصر التي يتكون منها جيشه، فهو لم يستفد من وضعية الممالك الإسبانية المتنازعة فيما بينها على الأقل لاستعادة بعض الحصون والمدن المهمة في غربي الأندلس كقصر أبي دانس، وسيصحبه الفشل مرة أخرى في حصاره لشنترين كما نرى.

• **ومن جانب الممالك الاسبانية** : هناك ثلاثة ملوك تذكرهم رسالة الخليفة حول موضوع الهدنة (29 م ج) : ملك ليون وملك قشتالة وملك البرتغال :

ملك ليون هو الذي تسميه الرسالة «فرانده بن السليطن»، والسليطن هو الفونسو ريمونديس ملك قشتالة وليون الذي تولى الحكم صغيرا فلقبته الروايات العربية بالسليطن، وتوّج قيصراً سنة 1135 (529–530)، وقد اشتد ضغطه على بلاد الأندلس خاصة في نهاية العهد المرابطي، وتمكن من الاستيلاء على المرية سنة 542 بواسطة حملة «صليبية» برية وبحرية»[147]، وظلت بيده عشر سنوات ثم فشل في مقاومة الضغط الموحدي عليها ومات في نفس السنة التي دخلها الموحدون 1157 (552)[148]. وكان له ولدان أحدهما فرناندو الثاني الذي خلفه على عرش ليون (552/1157–583/1188) وهو الذي تسميه الرواية العربية الببوج أو صاحب السبطاط (نسبة إلى عاصمته) وهو المقصود من رسالة الخليفة

= وقد شاهد الخليفة فشل عملية وبذة بسبب نقص التموين خاصّة، وأن الغلاء في معسكره كان سبب تسريح الجيوش (الكامل 9/ سنة 568).

(144) الرسالة 29 (م ج).

(145) راجع في الفصل الثاني الصفحة 71 وما بعدها.

(146) انظر ميراندا في الموسوعة الإسلامية 166/1.

(147) اشتركت في الحملة قوات برية من داخل اسبانيا وأساطيل من برشلونة وبيزة وجنوة.. اشباخ (224–225) وعنان 508/1.

(148) انظر الرسالة رقم 16 (م ر م).

المذكورة، والابن الثاني هو سانشو الثالث (1157-1159)، ولم يعش في الملك غير سنة واحدة حافظ خلالها على سيادة قشتالة على ليون ثم خلفه ابنه الصبي الفونسو الثاني «النبيل» (وهو المنهزم في الأرك المنتصر في العقاب)، فعرفت قشتالة في فترة الوصاية عليه فتنة داخلية بين أنصار عائلة كاسترو ــ الذين يؤيدهم ملك ليون عم الملك الطفل الطامع في الوصاية على ابن أخيه ليجمع بين حكم قشتالة وليون ــ وبين أنصار عائلة لارا الوصية على الملك الصبي والتي تعاكس أطماع ملك ليون. غير أن تغلب هؤلاء برئاسة الكونت نونيودي لارا بتتويج الفونسو الطفل ملكا على قشتالة سنة 1166 (560-561)، وتقاربهم مع ملك أركون ــ الذي سينبثق عنه إنشاء حلف ضد نفارا وليون ــ إلى جانب عداء البرتغال لمملكة ليون، يبدو أنها كانت دوافع لفرناندو الثاني (ملك ليون) لعقد حلف مع الموحدين سنة 563[149]، وبمقتضاه تدخل لطرد البرتغاليين من بطليوس في السنة التالية[150] وتجدد الصلح بين الطرفين سنة 566 بطلب من الموحدين حين قدموا من إشبيلية لإنقاذ بطليوس من حصار جرانده الجليقي، وقدم إليها ملك ليون لإنقاذها من السقوط بيد البرتغاليين[151]، إذ كان يخشى توسعهم في الأراضي الإسلامية جنوب مملكته، بحيث أنه كان يعتبرها منطقة توسع ليون مستقبلا. وربما كان دافع الموحدين لتجديد الصلح مع ليون في هذه الظروف هو خوضهم المرحلة النهائية للحرب مع ابن مردنيش، وسيستمر هذا الصلح إلى آخر سنة 569، فيكون سببا في عدم الاعتداء على أرض ليون عند شن الغارات الموحدية على جنوب قشتالة في آخر سنة 568، لكن ملك ليون سينقض هذا الصلح في آخر السنة التالية.

وبالنسبة لقشتالة : أصبحت تحس بالخطر الموحدي بسبب طول إستقرار الخليفة يوسف بالأندلس رغم تخلصه من ابن مردنيش، وقد تجلى هذا الخطر أيضا في التحالف مع أعداء قشتالة وفي تنظيم الموحدين لغارات على نواحي طلبيرة وطليطلة بواسطة فرق محدودة بينما كانت باقي القوات في استراحة ويمكن استنفارها، هذا بالإضافة إلى انشغال قشتالة بالحرب مع نفارا بسبب النزاع على أقاليم حدودية : فقد كانت قشتالة وأركون عقدتا حلفا بينهما سنة 1170 (564-565) شجع قشتالة على خوض حرب مع نفارا سنة 1173 (568-569) يبدو أنها لم تنته بنتائج حاسمة، مما سيجعل الحلف يدخل في حرب أخرى مع نفارا (571-70/1175)، أي أن قشتالة في هذه الفترة كانت محاطة بأعداء جنوبا وغربا وفي حالة حرب مع نفارا زيادة على عدم الاستقرار الداخلي، فهذه كانت عوامل تدفعها إلى طلب

---

(149) المن 368-370، البيان 78، وقد سبقه «للتفاوض» مع الموحدين زعيم قشتالي آخر صهر لملك قشتالة ولكنه من المعارضين وهو «صاحب ترجاله»، (المصدران ونفس الصفحات)، وبمقتضى الصلح توجهت فرقة موحدية مع جيش ليون عاثت في أرض قشتالة سنة 563.

(150) انظر اشباخ 279، وقارنه مع البيان (85) عن العلاقة بين ليون والموحدين والبرتغاليين، وكذلك المن (400-402) الذي كان صاحبه قريبا من الأحداث.

(151) البيان 85 والمن (400-402).

الهدنة مع الموحدين، وسيتجلى عدم صدقها في الالتزام بهذه الهدنة وإنما هي كسب للوقت[152].

أما البرتغال فقد ظلت تهدد الثغور المجاورة لها سواء بواسطة جماعة جيرالدو أو قوات الفونسو هنركيز ملك البلاد المعروف بابن الرنق أو ابن الرنك أو ابن الريق وهو المؤسس لدولة البرتغال التي انطلقت من ساحل الوسط الغربي لشبه جزيرة ايبيريا حول مدينة قلمرية ولذلك سمي ملكها في المصادر العربية أيضا «بصاحب قلمرية»[153]، وسمي في الرسالة رقم 29 (م ج) «ملك برتقال»، وقد عمل على توسيع مملكته شمالا وجنوبا فاحتل إشبونة وشنترين سنة 542 وقصر أبي دانس سنة 555، واستولى القائد جيرالدو لصالحه[154] على عدد من الحصون بناحية بطليوس مثل يابرة (561) وناحيتها الشمالية مثل ترجاله (560) وقاصرش ومنتانجش (561) ثم جلمانية الحصن القريب من بطليوس مما ساعده على تشديد الحصار عليها سنة 564. وفي محرم 568 وبينما كان معسكر الخليفة متعبا في مرسية بعد عملية وبذة ثم بدأ في تسريحه، تحرك جيش ملك البرتغال واحتل باجة قاعدة إقليم الغرب وهدم أسوارها وأسر كثيرا من أهلها ثم تركها لعجزه عن الدفاع عنها[155]. وتنص الرسالة المذكورة (29 م ج) على إسراع ملك البرتغال لطلب الصلح قبل ملك طليطلة[156]، فهل حدث هذا لأنه أصبح يشعر بأن الضربة المقبلة والعنيفة من طرف الموحدين ستكون موجهة إليه قبل غيره خاصة وأن ما فعله بباجة ليس ببعيد ؟ وهل كان هناك أيضا ضغط عسكري على شمال البرتغال بواسطة قوات ليون بسبب النزاع بينهما حول جليقية ؟

إن رسالة الخليفة المذكورة حول هذا «الصلح» لا تخلو من الإشارة إلى بعض العوامل التي دفعت الممالك الإسبانية إلى طلبه : وهي الضغط العسكري الموحدي، والنزاعات بين هذه الممالك[157]. وهكذا عقد الموحدون الهدنة من موقع القوة وبشروط خاصة : «وعُقِد لكل جهة منهم العهدُ إلى مُدَدٍ مختلفة قَدرَ ما يَنجَبِرُ فيها ما يليه من الثغور... ولم يَبق من روم

---

(152) تشير رسالة الخليفة عن معركة فحص هلال (27 م ج) في الصفحة الثالثة من الزوائد إلى ميل النصارى إلى الهدنة، ولاشك أنه استنتاج من جو النزاعات بين الممالك الاسبانية، ولربما كانت عمليات الموحدين جنوب قشتالة سنة 568 هي سياسة من أجل إخراج قشتالة من التردد إلى عقد هدنة كان الموحدون في حاجة إليها ويرغبون فيها.

(153) المن 526.

(154) يصفه ابن عذاري ضمن أحداث 569 (ص 103) بأنه «كان قائد ابن الرنك وصاحب جيوشه».

(155) لأن غاراته المهمة كانت بإعانة القوات الصليبية المارة بشواطىء البرتغال.

(156) رغم أن صاحب المن (526)، يتحدث عن وصول وفد طليطلة قبل وفد البرتغال إلى اشبيلية في ذي الحجة سنة 568، فإن الرسالة 29 (م ج) تنص على العكس مما يفرض تصحيح هذه المعلومة بكتاب المن.

(157) نفس الرسالة ص 10 من الزوائد.

الجزيرة إلا شرذمةٌ بإزاء بلنسية»[158] لم تشترك في عقد الهدنة مع الموحدين، والمقصود هي مملكة أركون التي يذكر صاحب القرطاس أن الخليفة قاد إليها (569) حملة غزا خلالها «مدينة كركونة من بلاد شرق الأندلس فأوغل في تلك الناحية يقتل ويسبي ويخرب البلاد بالحرق والهدم... ثم قفل إلى إشبيلية»[159].

ما هو مفعول هذه الهدنة ؟

إن الأحداث التي تلت توقيع الهدنة برهنت على أنها هدنة هشّة : فقد عمل الخليفة بعد تحرير مدينة باجة على تحصينها وتعميرها مع الحصون الأخرى لتصمد في وجه البرتغاليين[160]، كما أن القائد جيرالدو الذي تظاهر بالخدمة لصالح الموحدين بالمغرب انكشف غدره واتصاله السري مع ملك البرتغال فقتل مع جماعته[161]. أما ملك ليون الذي كان على صلح قديم مع الموحدين فقد نقضه في آخر سنة 569 مما جعل الخليفة يوجه إليه من إشبيلية حملة يترأسها أخوه السيد أبو حفص فيحاصره في عاصمته السبطاط[162]. كما أن ملك قشتالة من جهته سيقوم باحتلال كوينكة سنة 572... ويذكر ابن عذاري عودة الخليفة مسرعا إلى المغرب سنة 571 وبدون تعليل لهذه السرعة حتى أنه لم ينتظر التوديع الرسمي وربما كان ذلك بسبب ظهور مرض الطاعون الذي أودى في هذه السنة بحياة كثير من العامة بمراكش وبحياة عدد من الخاصة ومنهم بعض إخوة الخليفة وأشياخ الموحدين كالشيخ أبي حفص الهنتاتي وغيره، كما أصيب الخليفة أيضا بالمرض[163]، وربما هناك عامل آخر عجل بعودة الخليفة وهو تمرد صنهاجة القبلة[164]، وقد استمر إلى أن أخمده جيشه سنة 572، هذا زيادة على توارد الأخبار بسوء حالة إفريقية بتقدم قراقوش فيها وعيث العرب وتمرد مدينة قفصة[165]. في هذه الفترة تواصلت الأنباء بنقض النصارى للهدنة واعتداءاتهم التي كانت تصل إلى إشبيلية.

---

(158) نفس الرسالة، وانظر أيضا رأي ميراندا في الهامش 172 بعد.

(159) القرطاس ص 212، وراجع الهامش 140 قبل، وإذا صح هذا التاريخ الذي قدمه ابن أبي زرع تكون هذه الحملة تنفيذا لتهديد الخليفة للأركونيين كما جاء في رسالته المذكورة «لم يبق من روم الجزيرة إلا شرذمة بإزاء بلنسية الخطب فيها بحول الله يسير.. والفتح فيها قريب..».

(160) البيان ص 105 وما بعدها.

(161) البيذق في أخبار المهدي 89، البيان 103.

(162) البيان 103-104، وسينتظر ملك ليون فرصة عودة الخليفة إلى المغرب فيوجه غارة إلى جنوب الأندلس سنة 572 (البيان 111)،

(163) البيان 109-110، القرطاس 267، ويبدو أن الوباء عم جهات أخرى من الدولة، (ميراندا، في الموسوعة الإسلامية 166/1، صاحب التشوف (232) يتحدث عن المجاعة بفاس سنة 571 وأيضا بمراكش.

(164) البيان 109-110.

(165) البيان 113، انظر في الفصل الثاني الصفحة 71 وما بعدها.

لم حدث هذا ؟ يبدو أن هناك عاملين أساسيين :

العامل الأول : يتمثل في مرض الطاعون وعواقبه وانشغالات الجيش الموحدي بالمغرب ثم تحركه إلى إفريقية سنة 575-576 كما ذكرنا.

العامل الثاني : يتمثل في توصل الأطراف الإسبانية إلى نوع من التسوية في العلاقات فيما بينها ولو بصورة مؤقتة، وهكذا في سنة 1177 (572) حاصرت قوات ملك قشتالة مدينة (كوينكة) الموحدية وهي من الثغور الشمالية الشرقية، ودعمتها جيوش أركون فسقطت بيد القشتاليين[166] ولم تستطع قوات الموحدين غير القيام ببعض أعمال الغارة على جنوب قشتالة[167]، وربما توجهت فرقة موحدية لدعم صمود المدينة في وجه الحصار فاعترضتها قوات أركون[168]، غير أن هذا التقدم لقشتالة نحو الشرق في اتجاه بلنسية أخذ يصطدم مع أطماع أركون التوسعية فتوصلت الدولتان إلى اتفاق (كاسولا) سنة 1179 (574-75) الذي يحدد مناطق التوسع في المستقبل لكل منهما على حساب أراضي المسلمين[169]، وفي العام التالي اتفقت أيضا ليون مع قشتالة على تحديد الحدود والتحالف من أجل «الاسترداد» وعدم عقد أي صلح منفرد مع المسلمين[170]. كما تفاهمت ليون مع البرتغال بواسطة مشروع مصاهرة بين الملكين من أجل تصفية نزاعهما الحدودي، ولعلهما توصلا إلى نوع من التفاهم حول منطقة «الاسترداد» لكل منهما[171] كما فعلت قشتالة وأركون. وهكذا انضمت البرتغال إلى الأطراف الأخرى في نقض الهدنة سنة 573 ووجهت حملة برية وبحرية إلى ناحية إشبيلية[172]، كما استولت على مدينة باجة من جديد، وسيشتد الضغط القشتالي والبرتغالي أثناء انشغال الخليفة بأمر إفريقية، ثم يصبح التهديد أقوى خلال سنتي 577 و578 في نواحي إشبيلية نفسها[173]، مما سيفرض على الخليفة يوسف القيام بالجواز الثاني إلى الأندلس وحصار شنترين البرتغالية سنة 580.

---

(166) اشباخ ص 290، وعنان 96/2 (اعتمادا على رواية ماريانا).

(167) البيان 110-111، ويعلل صاحبه سقوط كوينكة بعجز الناس في المغرب عن الاستنفار بسبب انتشار الطاعون مما دفع صاحب طليطلة إلى «نقض العهد ورفض السلم والعقد».

(168) اشباخ 321، عنان 96/2.

(169) تنص المعاهدة على حق توسع أركون في شاطبة وبلنسية ومرسية وما إليها، وعلى حق توسع قشتالة في غرب هذه المنطقة وتدخل ضمنها غرناطة : اشباخ 291، عنان 586/2.

(170) اشباخ 285 و291، عنان 594/2 (وذلك سنة 1180 وبتوسط أركون بين قشتالة وليون).

(171) بحيث أن العمليات البرتغالية ستتكرر على غربي نهريانه مبتعدة عن حصون شمال بطليوس في الغالب.

(172) يرى ميراندا أن أجل الهدنة بين الموحدين والبرتغاليين هو 5 سنوات (الموسوعة 166/1) فمعنى هذا أنها تنتهي في آخر 73 أو بداية 74 غير أن البرتغاليين سيقومون بالحملة على باجة قبل نهاية الهدنة كما يفعل القشتاليون بالنسبة لقوينقة (البيان 107).

(173) تفاصيل المعركة في البيان (110-113) و(116-120) و(122-124) ثم ص 127.

د ـــ فشل حصار الخليفة يوسف لمدينة شنترين (سنة 580) :

سبقت الحملة استعدادات في الأندلس والمغرب، ففي الأندلس عيّن ولاة جدد على المدن الكبرى من أبناء الخليفة يوسف منهم السيد أبو عبد الله محمد الوالي على مرسية[174]، وأعطيت الأوامر بتهييء قطع الأسطول، وفي المغرب تم استجلاب أعداد هامة من عرب افريقية مع عنصر الغز منذ فتح قفصة سنة 576، وحشد المقاتلون من مختلف القبائل المغربية[175]، وسينضم إليهم أهل الأندلس، **وعاقب الخليفة عددا من عمال ولاية فاس على** إهمالهم لما يهم الاستعدادات[176].

كان تحرك الخليفة من مراكش في أواخر شوال 579، وفي سلا أعلن عن تحديد الاتجاه إلى الأندلس، فاجتاز إليها بجيشه في شهري محرم وصفر 580 (ربيع 1184)، وفي اشبيلية حدد الوجهة إلى شنترين برا وبحرا. فخرج إليها في 26 صفر، وكانت بعض القوات تلتحق بجيش الخليفة في الطريق، ومنها قوات شرق الأندلس برئاسة والي مرسية السيد أبي عبد الله محمد الذي التحق بجيش الخليفة عند نهر تاجه، وإن كان صاحب البيان يذكر أنه في حصن العرجة (بين اشبيلية وبطليوس) «تكاملت العساكر من كل أفق»[177]، وعند وصول الخليفة إلى بطليوس قدم أمامه طليعة نحو شنترين التي ابتدأ حصارها يوم الأربعاء 16 ربيع الأول 580 (27 يونيو 1184) ودام الحصار ما لا يقل عن عشرين يوما على الأرجح[178]، وخلال حصار شنترين أو أثناء الانسحاب عنها توفي الخليفة متأثرا فيما يبدو بجراح نالته في إحدى المعارك خارج المدينة، ومن المرجح أن يكون تاريخ الوفاة هو يوم 18 ربيع الثاني 580[179]. وهكذا انتهت حملة الخليفة بالفشل بل أودت بحياته، وهذا ما يدفع إلى طرح بعض الملاحظات حول الحملة :

ـــ **ما هي أهداف الحملة** ؟ لقد تكونت دولة البرتغال على حساب قسم مهم من الأراضي والمدن الإسلامية منها قلمرية وشنترين وإشبونة، زيادة على تهديدها المستمر لمدن أخرى كبطليوس وباجة وأراضي الغرب المجاورة لمملكة البرتغال عموما، فاشتد ضغطها في السبعينيات

---

(174) البيان 129، الرسالة 34 م ج.

(175) عن أصناف القبائل والعناصر المشاركة في الحملة انظر القرطاس 213، والبيان 131–132 والعبر 405/6، الروض المعطار (مادة شنترين).

(176) البيان 131.

(177) نفس المصدر ص 133، قارن مع الرسالة 34 م ج ص 32 من الزوائد.

(178) مدة الحصار شهر حسب ابن الأثير (580/9)، وكذلك ابن خلكان 492/2 ونفح الطيب 379/4 أوانها عشرون يوما حسب الروض المعطار (شنترين)، أما البيان في بعض نسخ خ ح (مثل رقم 334 و2150) فيجعل نهاية الحصار في يوم 21 ربيع الثاني أي دام الحصار حوالي 33 يوم.

(179) راجع خصوصيات الرسالة 34 في ص 103–105 من هذا الفصل.

ليصل إلى نواحي إشبيلية[180]، بل تقاربت الممالك الإسبانية في هذه الفترة مع بعضها فعقدت **قشتالة وليون** صلحا بينهما في شهر مايو 1183 (محرم ـــ صفر 579) واتفقتا على عدم عقد أي صلح أو هدنة مع المسلمين[181]، وربما أصبح الجو بين **ليون والبرتغال** يعرف نوعا من الميل إلى التهادن[182]، فاشتدت ضغوط النصارى على المسلمين، ولعل هذا ما جعل البعض يميل إلى أن هدف الحملة الموحدية هو ضرب البرتغال ابتداء من شنترين واشبونة إلى قلمرية وشمالها ثم الزحف منها على أراضي ليون وقشتالة[183]. وتركز المصادر العربية على شدة إذاية البرتغاليين للأراضي الإسلامية كتبرير لتوجيه الحملة نحو مملكتهم[184]، وكلف الأسطول الموحدي بحمل أدوات الحصار وربما كان الغرض منه فرض الحصار على مدينة إشبونة، وهو حصار يحتاج إلى فرقة برية أيضا قد تكون هي الفرقة التي سيعطيها الخليفة الأوامر ـــ خارج شنترين ـــ لتتوجه إلى إشبونة فتخالف هذه الأوامر خطأ أو عمدا بالاتجاه شرقا وتعبر نهر تاجة[185]. وتلاحظ الرواية النصرانية حصار ملك ليون لمدينة قاصرش خلال جواز الخليفة، وعندما وصلت الحملة الموحدية في زحفها إلى بطليوس تراجع ملك ليون إلى عاصمته[186]، فهل كان هدف الخليفة إنقاذ مدينة قاصرش من الحصار قبل توجهه إلى شنترين[187] ؟ يبدو أن تحرك جيش شرق الأندلس برئاسة الأمير محمد والي مرسية وقع من هذه المدينة في اتجاه مدينة قاصرش قبل أن يلتحق بالجيش الرئيسي عند نهر تاجه[188]، فرفع ملك ليون الحصار عن المدينة قبل وصول قوات شرق الأندلس، واستمر سير القوات الموحدية بأجمعها عندئذ نحو شنترين[189].

---

(180) الروض المعطار (شنترين)، البيان 135. انظر الصفحة 114 والهامش 173 قبل.

(181) عقد هذا الاتفاق في فريسنو لافنديرا Fresno - Lavandera (ميراند في الموسوعة 166/1 و Historia Politica, I/304)، هذا الحلف يؤكد اتفاقية توردي سلاس لسنة 1180 (575-576) (اشباخ 291). وهذا الاتفاق لسنة 1180 حدد الحدود النهائية بين الدولتين واتفقتا على عدم عقد أي هدنة مع المسلمين : عنان 594/2.

(182) عنان 594/2 (يتحدث عن تصفية الخصومة بين ليون والبرتغال بمشروع مصاهرة).

(183) انظر اشباخ 322، كما أن رسالة الأمير محمد (34 م ج) تذكر اجتياز نهر تاجه وتلقب البرتغاليين «بأعداء الله» الذين يسدد إليهم الموحدون ضرباتهم وإلى «أعوانهم» ولعل المقصود بالأعوان مملكة ليون (نفس الرسالة ص 32 من الزوائد).

(184) انظر الهامش 180 سابقا.

(185) القرطاس 214، اشباخ 323-324.

(186) عنان 125/2.

(187) عنان 118/2-119، ميراندا في Historia politica... I/304.

(188) يبدو أن هذا هو سبب عدم اجتماع جيش شرق الأندلس بجيش الخليفة في حصن العرجة أو بطليوس وإنما كلف بالتحرك مباشرة جنوب قشتالة وليون نحو قاصرش قبل أن يلتقي الجيشان عند نهر تاجه.

(189) الرسالة 34 م ج (ص 32 من الزوائد)، وربما كان تحرك هذه الفرقة المشرقية يزيد في توضيح=

ـ لماذا فك الموحدون الحصار عن شنترين ؟ نتفحص بعض جوانب القوة والضعف لدى الموحدين وأعدائهم :

• يقدر صاحب الروض المعطار الجيوش الموحدية بمئة ألف فارس زيادة على قطع الأسطول وبحارته(190)، وتتحدث المصادر العربية عموما عن الاستعدادات الواسعة للحملة الموحدية وقوتها(191) وتقول الرواية النصرانية أن جيش يوسف كان أعظم جيش إسلامي دخل إسبانيا إلى ذلك الوقت(192). ومن ناحية أخرى لم يعان المعسكر من نقص في التموين على عكس ما حدث في حصار وبذة، بل كانت الأسعار رخيصة كما يذكر ذلك ابن صاحب الصلاة الذي كان حاضرا في الحملة(193). تبقى مسألة مهمة وهي مسألة التنظيم ومدى تطبيق الأوامر الخليفية، وهذا يلاحظ أنه ضعيف، وقد يكون راجعا إلى استبداد الخليفة برأيه وإهمال آراء القادة الآخرين كما حدث في عملية نقل المعسكر خارج شنترين إلى موضع فرضه برأيه «فتعجب الناس... وتعطلت في النفوس الآمال، وظهر الخلل في جميع الأحوال»(194)، وقد يكون نتيجة تصرفات الخليفة مع عدد من كبار موظفيه خلال هذه «الحركة» كما وقع لعدد من عمال الجباية في فاس وولايتها(195). ولذلك عندما أمر السيد أبو إسحاق(196) والي اشبيلية بالحركة من شنترين إلى إشبونة جنوبا فعبر النهر شرقا بالقوات الأندلسية هل كان هذا مجرد سوء فهم للأوامر أو عصيان لها(197) ؟

= كلام اشباخ عن إشغال الخليفة لقوات النصارى بضربهم من الجنوب والغرب في آن واحد (ص 322).

(190) الروض (شنترين 113-114).

(191) انظر الهامش 175.

(192) اشباخ 323.

(193) البيان 133، عنان 130/2، لكن عندما سينهزم الموحدون سيفقدون المؤونة إلى أن يبتعدوا عن شنترين فيوجهوا بعوثا لجمع الأقوات (البيان 137، الرسالة 34 في ص 32 من الزوائد).

(194) البيان 135، انظر أيضا عنان 130/2 واشباخ 326، وكان استبداده بالرأي نحو الشيوخ والقادة يقابله تقريب العلماء ومشاورتهم أي أنه رجل أدب أكثر منه رجل حرب، انظر الكامل 9/ سنة 580، وميراندا في الموسوعة نفس المقال السابق.

(195) البيان 131، كما أن القائد الشهير ابن وانودين الذي واجه النصارى في معارك ناجحة كان منفيا مع واحد من سلالة ابن جامع أحد أصحاب المهدي إلى أن تم العفو عن هذا قبيل حصار شنترين (البيان 133).

(196) كان مصابا بتوعك في رجله فيتصرف في الأوامر على سرير (البيان 135).

(197) القرطاس 214، وأيضا ما حدث لخطيب الخليفة من دخوله في معسكر النصارى هل هو خطأ، أم احتجاج وعصيان ؟ انظر المعجب 258-260 والبيان 135، ولاحظ تسامح المنصور عند بيعته مع من صدرت عنهم تصرفات غير مقبولة حيث «أضرب عن تعريف من اتهم في صفائه وشك في وفائه» (البيان ص 141).

• مهما كانت ظروف المعسكر الموحدي فإن موقف القوى النصرانية كان فعالا : فمدينة شنترين كانت قد استعدت للحصار منذ شهور[198]، هذا زيادة على مناعتها[199]. وبعد طول مدة الحصار بدون نتيجة أخذت الإمدادات النصرانية تتجه نحو المدينة، فوصلت قوة على رأسها ولي العهد البرتغالي ثم قوة أخرى يرأسها أسقف مدينة سانت ياكو[200]، بل قيل إن ملك ليون الذي كان يرقب الأحداث من عاصمته تواردت الأنباء عن اقترابه من شنترين[201]. وعندما كانت الفرق الموحدية تخرج للغارة على النواحي لجلب المؤن[202] أو للاشتكشاف، كانت تصطدم بالكمائن التي تكبدها الخسائر، كما حدث ذلك في الأيام الأخيرة للحصار لفرقة من شرق الأندلس «خرجوا للإغارة على بسائط النصارى فخرجوا عليهم وهزموهم بعد حروب شديدة، ووصلوا للمحلة مهزومين... وبات الناس في المحلة على حذر[203]... فلما استراءت من جهاتها الأنباء ! وطال لغير طائل الثواء، عزم أمير المومنين على الرحيل ليلا فاضطرب إقلاع الناس اضطرابا شنيعا»، وهذا رغم أن «ثقات الخليفة... أوعزوا بترتيب التحرك» وان ينتظر الناس حتى تعبر قوافل المؤونة[204]. والذي حدث هو عبور أغلب الجيش ليلاً إلى شرقي النهر، فلما أصبح الصباح وجد الخليفة نفسه في قلة، فتعرض للهجوم من البرتغاليين المندفعين من داخل شنترين، وعندما تراجعت القوات الموحدية لنجدته كان قد تلقى طعنات ستودي بحياته بعد أيام قليلة.

الحالة يوم الاقلاع عن شنترين : عندما علم نصارى شنترين باجتياز أغلب الجيش الموحدي إلى شرقي نهر تاجه وبقاء الخليفة في «ساقته» المكونة من حرسه ومن قوافل المؤونة زيادة على جيش شرق الأندلس[205] ــ الذي كان يتحرك خلف المحلة وقبل ساقة

(198) المعجب 257، ميراندا في الموسوعة 166/1.

(199) الروض (شنترين)، الإدريسي 550 (ط. القاهرة)، البيان 135، ميراندا 250 وما بعدها في (Historia politica).

(200) أشباخ 324، دوزي في «أبحاث...» 471/2... Recherches (وهو يلاحظ أن من عوامل فشل الحملة الموحدية شدة المقاومة البرتغالية التي حرمت الموحدين من الاستيلاء على أي موقع عسكري 479.

(201) ميراندا في الموسوعة ص 166، وعنان 125/2، ويذكر رواية أخرى في الصفحة 476.

(202) الرسالة 34 م ج تتحدث عن تحركات الموحدين نحو معاقل الأعداء «فيتملكون أقواتهم تغلبا عليهم وقسرا» ص 32 من الزوائد.

(203) البيان 135.

(204) البيان 136 (حسب رواية أبي الحجاج يوسف بن عمر)، ومن الصعب القبول برواية صاحب المعجب في تعليل فك الحصار بقرب فصل الشتاء والخوف من فيضان النهر (ص 258)، لأن الحصار كان في نهاية الربيع وبداية الصيف، راجع خصوصيات الرسالة 34 ص 103-105.

(205) تخاطب الرسالة 34 أهل مرسية هكذا : «... اخوانكم أهل الشرق وسرية من الغرب كانوا في ساقة الموحدين» ص 33 من الزوائد.

الخليفة ـ[206] هاجم هؤلاء النصارى الساقة، وكان من قتل في هذا الهجوم جملة من أعيان الموحدين ورؤساء الأندلسيين وبعض بني مردنيش[207]، هذه العملية وقعت قبل أن يتدارك الموقف أغلبية الجيش ويشتبك مع النصارى في معركة عنيفة قتل فيها منهم نحو عشرة آلاف (حسب القرطاس 214)، وتذكر رسالة الأمير محمد عددا أقل بالنسبة لأعيان النصارى المقتولين، وأما من «لفيفهم... فالعدد الجم والجمهور الأعم» (34 م ج)، بينما سكت صاحب البيان (137) عن ذكر عدد القتلى واكتفى بالقول بأنه «أخِذ بثأر الشهداء»، أما الرواية النصرانية فتجعل قتلى المسلمين حوالي ثلاثين ألفا[208]، وبالنسبة للأسطول الموحدي فقد تراجع عن اشبونة عند سماع جنده بالتراجع عن شنترين.

ماذا بعد الانسحاب عن شنترين ؟ تصف الرسالة رقم 34 (م ج) إلى أهل شرقي الأندلس الغارات الموحدية في أراضي البرتغال ربما أثناء حصار جيش الخليفة لشنترين وخلال الانسحاب عنها كما يلي : «... ولم يزل أعداء الله يأرزون إلى المعاقل والقنن... والموحدون أعزهم الله... عين الله ترعاهم... وتحفظهم حتى احتلوا في قفولهم بالعدوة القصوى من وادي تاجه»[209]، غير أن هذا الوصف في البيان المغرب أكثر تحديدا لما حدث بعد الانسحاب عن شنترين : فأمير المومنين نزل بعد ذلك «بعدوة الوادي... وأمر بتفرق الجموع ورجوع كل واحد منهم إلى قبيلته من العموم، واستقبل موسطة البلاد، وأباح فيها مبالغة الفساد، وأمر بتخريب ما وجد من المباني... واستئصال الأشجار وانتهاب الزروع وتحريق كل ما يمكن تغييره وإزالة عينه بالنار. وتمادى المشي على هذا النحو إلى حصن طرش[210]، فأقام بدرّة جبله وأمر بشن الغارات عليه وتقسيم السرايا على الجنبات إلى جلب الأقوات»[211]. وكان السيد أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المومن على رأس معظم هذه السرايا فعادت بالغنائم والخليفة ملتزم الفراش... «وتمادى القفول وضعفه يتزيد والأطباء حاضرون... ملازمون له حتى جازوا وادي تاجة»[212] وتوفي بعد العبور بأميال وذلك يوم السبت 18 ربيع الآخر سنة 580 قبل

---

(206) القرطاس 214.

(207) البيان 137، انظر أيضا القرطاس 214 والمعجب 259.

(208) أشباخ 325.

(209) الصفحتان 32-33 من زوائد العطاء هذا الوصف يبدو أنه عام خاصة وأن الكلمات المأروضة كثيرة فلا تساعد على التحديد، وربما لم يلجأ الكاتب نفسه إلى التحديد.

(210) حصن طرش من حصون وسط البرتغال على الضفة اليمنى لنهر تاجه، وحصار طرش تتحدث عنه أيضا رواية نصرانية أوردها دوزي في «أبحاث..» 2/476-477... Recherches وينتقد الرواية التي تذكر تحرك الموحدين في هذه الفترة نحو الساحل غرب طرش.

(211) البيان 137-138.

(212) نفس المصدر والصفحة، ونفهم من البيان أن الموحدين بعد المعركة ربما لم يعبروا النهر شرقا عند شنترين بل اتجهوا شمالا إلى منطقة حصن طرش ومنها عبروا نهر تاجه، غير أن اشباخ (325) =

الوصول إلى يابرة في اتجاه اشبيلية. ولا يبدو أن الموحدين حاصروا يابرة فقد كان من الضروري العودة على عجل إلى اشبيلية لإعلان الخليفة الجديد أو جمع البيعة له حيث وصلت طلائع المحلة إلى اشبيلية في الأسبوع الأخير من شهر ربيع الآخر وتمت البيعة في مطلع شهر جمادى الأولى للأمير يعقوب بن يوسف الملقب بعد بالمنصور[213].

هـ ـــ انتصار الموحدين في الأرك وإقرار التوازن العسكري مع الاسبان :

عرفت الممالك الاسبانية في الثمانينيات عدم الاستقرار في سياستها الخارجية **فالبرتغال** شهدت موت مؤسس الدولة الفونسو هنريكيز فتولى بعده ابنه سانشو الأول 1185 (580–581) ـــ 1211 (607–608) الذي عمل على تقوية الثغور المواجهة للمسلمين بل استعان بإحدى الحملات الصليبية المتجهة إلى المشرق لاحتلال بعض المدن في غرب الأندلس ومنها شلب (1189/585) إلى أن استعادها المنصور سنة 587[214].

وأما **ليون** فشهدت بدورها وفاة ملكها فرناندو الثاني فخلفه ابنه الفونسو التاسع في يناير 1188 (قعدة 583) فحاول إخماد الخصومة القديمة مع جيرانه البرتغاليين والقشتاليين بحيث التقى مع ابن عمه ملك قشتالة في مدينة كاريون 1188 (583–584)[215] ثم اشتركا في السنة التالية في الزحف على الأراضي الإسلامية[216]، إلا أن الخلاف قام بينهما حول الأراضي المفتوحة مما يلي جنوب مملكة ليون[217].

ولما غزا **القشتاليون** أرض ليون لجأ ملكها إلى عقد تحالف مع ملك البرتغال أرادا تدعيمه سنة 1189 (584–585)[218] بمصاهرة بينهما مغضوب عليها من طرف البابا أدت إلى إصدار قرار الحرمان البابوي ضدهما (1193) مما أثار لهما مشاكل داخلية[219].

= يذكر أن الرواية النصرانية تتحدث عن عبور الموحدين عند شنترين إلى شرق النهر بواسطة قنطرة كانوا يحرسونها، فهل انقسم المعسكر إلى فرقتين فرقة تحركت بالخليفة من شنترين في اتجاه يابرة مباشرة وتحركت أخرى شمالا للعيث وجمع المؤونة وربما لإشغال العدو بمنطقة طرش قبل أن تتجه نحو يابرة فاشبيلية ؟

(213) البيان 141، انظر خصوصيات الرسالة 34 في الصفحتين ص (103–105).

(214) البيان 175، المعجب 280، الكامل 9/ سنة 586، عنان 2/170–178 ثم 186–188 ثم 610، اشباخ 329–331.

(215) أشباخ 293، عنان 2/594.

(216) البيان 175–176، عنان 2/174، اشباخ (293–294).

(217) أشباخ 294.

(218) أشباخ (293–294).

(219) أشباخ 294–295، وقرار الحرمان البابوي يحرم كل الطقوس الدينية مما يغضب الرعية، كما أنه لا يتناسب مع مصالح رجال الكنيسة.

وبالنسبة **لأركون ونبارا** فقد عرفتا تقاربا ضد قشتالة سنة 1190 (585-586)، وفي السنة التالية اشتركت معهما في الحلف كل من ليون والبرتغال، إلا أن انشغال أركون ونبارا مع جيرانهما الفرنسيين وانشغال ليون والبرتغال بمخلفات قرار الحرمان البابوي بسبب المصاهرة المذكورة كانا من العوامل التي جعلت الحلف بين هذه الأطراف لا يطول، ولعل هذا ما دفع ليون إلى التقارب من جديد مع الموحدين[220].

وهكذا فإن قشتالة قد تصبح وحدها في مواجهة مع الموحدين إذا توفرت الظروف لتحرك الخليفة إلى الأندلس خاصة وأنها قامت باستفزازات ضد المسلمين مستغلة الحالة التي كانت تعرفها منطقة إفريقية : ذلك أنه زيادة على عيث العرب ومشكل الغز العاملين في المنطقة لصالح السلطة الأيوبية والعباسية تحرك بنو غانية من جزر البليار إلى المغرب الأوسط وإفريقية مبتدئين بدخول بجاية في صفر سنة 581، وأدى تزايد خطرهم إلى تحرك الخليفة المنصور نحو المنطقة ومطاردتهم مع حلفائهم من الغز والعرب، ثم عاد إلى المغرب الأقصى سنة 584 بعد أن استقرت الأمور مؤقتا بإفريقية[221]. غير أن أحداثها فتحت المجال لبعض القرابة من إخوة المنصور وأعمامه لمحاولة التمرد عليه وهم عمّاه أبو إسحاق، وأبو الربيع صاحب تادلة وكذلك أخوه أبو حفص عمر الرشيد والي مرسية[222] : فأبو إسحاق مات أو قتل عند مرور الخليفة بتلمسان عائدا من حملة افريقية[223]، وأبو الربيع وُجّهت إليه حملة عسكرية فرضت عليه الاستسلام، وسيقتل مع أبي حفص، وأبو حفص هذا تولى على مرسية خلفا لأخيه محمد بن يوسف الذي أصبح وزيرا لأخيهما الخليفة يعقوب، فبسط أبو حفص يده على أموال «العمال» والتجار بشرق الأندلس وأموال الولاية، وذكر أنه حالف الفونسو ملك قشتالة وثبت عليه ذلك «بأكيد المخاطبات والمكاتبات»، ثم استدعِيَ من طرف المنصور وقتل بقصبة رباط الفتح مع عمه أبي الربيع سنة 584[224]. ولقد كان ممكنا التشكك في التهمة الموجهة إلى السيد أبي حفص بالتحالف مع ملك قشتالة، وإن كان من غير المستبعد أن يحاول هذا استغلال عدم رضى بعض قرابة المنصور على خلافته ليعيد التجربة السابقة بين جده الفونسو ريمونديس

---

(220) أشباخ 296 و332، عنان 595/2 و610، الرسالة 34 (م ر م) وتتحدث عن هدنة بين ليون والموحدين قبل تجديدها سنة 586 (ص 222-223).

(221) انظر الرسائل من رقم 29 إلى 33 (م ر م)، والفصل الثاني حول إفريقية.

(222) يذكر صاحب القرطاس أخا ثانيا للخليفة اسمه زكرياء (218)، قد يكون هو أبا يحيى الذي يذكره صاحب المعجب (280-281)، ويبدو أن مقتل الرشيد حدث بعد شهر صفر 584 حيث كان لايزال في أواسط هذا الشهر بمرسية (التكملة 1617 كوديرا).

(223) نكبه المنصور بتلمسان سنة 584 «لشيء بلغه عنه وأحفظه» العبر 510/6، «وكان يطعن في آراء المنصور في تلك الحركة ويضعفها..» (البيان 171).

(224) البيان 170-173، العبر 510/6، القرطاس 218 والمعجب 276-278 (مع خلاف في التاريخ بهما)، عنان 166/2-167.

وابن مردنيش، إلا أن ما يرجح حدوث هذه المحاولة هو أنها تكررت أيضا مع الوالي الجديد لمرسية السيد أبي زيد عبد الرحمان أخي الخليفة بعد انتهاء ولاية أخيهما الرشيد كما يتضح ذلك من رسالته الجوابية على ملك قشتالة والتي يندد فيها بمثل هذه السياسة القشتالية لتفريق صفوف الموحدين[225].

هذا الفشل السياسي لقشتالة مع أمير مرسية يقابله النجاح مع ليون حيث تم التقارب بين الملكين مما جعل القشتاليين ينظمون حملة عسكرية وصلت في صيف سنة 585 إلى ناحية إشبيلية واستولت على حصن مهم بنواحيها (المنار)، وعجز والي اشبيلية عن الوقوف في وجه هذه الحملة[226]، والظاهر أن الحاميات الإسلامية آنذاك بالأندلس كان ينقصها التنظيم أو الانضباط[227]. وفي هذا الوقت تحرك البرتغاليون للاستيلاء على شلب وغيرها كما سبق ذكره «فعادت الأندلس في تهارش واختلاط، والناس في مثل سَمّ الخياط»[228]. هذه الظروف تطلبت جواز الخليفة المنصور إلى الأندلس فتحرك من رباط الفتح في أوائل 586 فتجددت الهدنة بين الموحدين وليون، كما حصلت قشتالة على المهادنة[229]، فتوجهت القوات الموحدية برا وبحرا نحو البرتغال. ورغم توزيع القوات لاشغال البرتغاليين في أكثر من موقع، فإن الموحدين اضطروا للتراجع إلى إشبيلية بسبب نقص المؤونة[230]، ثم في السنة التالية (587) تجددت الحملة بقيادة المنصور وتحرك الأسطول على الشواطىء البرتغالية فأمكن تحرير مدينتي قصر أبي دانس وشلب ومجموعة من الحصون[231]. ويبدو أن البرتغاليين اضطروا لتوقيع هدنة — كما فعلت قشتالة وليون — مدتها خمس سنوات[232]، وعاد المنصور إلى المغرب في نفس العام حيث مرض مرضا طويلا، فعقد ولاية العهد لابنه محمد[233]. ويبدو أن

(225) هذه الرسالة هي رقم 37 (م ج) وهي مؤرخة بشهر ذي القعدة 584.

(226) الوالي هو السيد أبو حفص يعقوب بن أبي حفص بن عبد المومن، انظر الصفحة 130 والهامش بها رقم 216.

(227) البيان 175–176، عنان 174/2.

(228) البيان 176.

(229) الرسالة 34 (م ر م) ص 221–223، وميراندا في الموسوعة (مادة يوسف).

(230) توجهت قوة لحصار شلب وأخرى لحصار شنترين ثم حاصرت طمار و لم تفتح غير حصن طرش لأن البرتغاليين استعدوا لطول الحصار، والرسالة 34 (م ر م) والبيان 179–180، القرطاس 218 عنان 177/2، ميراندا (في مادة يوسف) يذكر نقص المؤونة وانتشار الوباء في الجيش الموحدي.

(231) البيان 184–185، العبر 511/6، القرطاس 219 (يجعل الحملة برئاسة والي قرطبة)، راجع أيضا المعجب 280، عنان 186/2–188.

(232) الكامل (سنة 586)، النويري 437 عن مدة الهدنة وص 439 عن تاريخ بدايتها أي سنة 586 وفيات الأعيان 7/ ص 4 (ترجمة المنصور يعقوب)، والبيان 186.

(233) انظر الرسائل 40 و41، و44 (م ج)، البيان 186، والعبر 511/6، عنان 189/2–191.

انقسامات الممالك الاسبانية في هذه الفترة جعلت المنصور يفاوض مبعوثيها من مركز القوة : قال ابن عذاري (ضمن أحداث سنة 588) : «وصل أرسال ملوك الروم في تجديد الهدنة فاشتطوا في شروطهم» فصرفهم المنصور دون قضاء أمرهم (ص 189). وقبل أن ينتهي أجل الهدنة مع قشتالة سنة 590 كان أسقف طليطلة يوجه الجماعات العسكرية الدينية في حملات ضد الأراضي الإسلامية وكانت قلعة رباح من أهم مراكز انطلاقها، ثم أخذت جيوش الفونسو الثامن بدورها ــ خاصة بعد نهاية أجل الهدنة ــ تعيث في البلاد إلى نواحي اشبيلية[234]. والملاحظ أن الإسبان عرفوا نقطة ضعف الموحدين، فكلما تأزم الوضع بإفريقية شنوا الغارات على المسلمين، وعند جواز الخليفة إلى الأندلس يميلون إلى الهدنة معه أو يشعرون برغبته فيها فتتجدد الهدنة، فإذا عاد إلى مواجهة مشكل إفريقية عادوا إلى الضغط على الأراضي الإسلامية من جديد، ولم يكن يضعفهم إلا نزاعاتهم الداخلية أو حول الحدود فيما بينهم، وتنافسهم حول الأراضي «المفتوحة» أو المخطط «لفتحها» على حساب الدولة الإسلامية. ومع أنه لم يكن من مصلحة قشتالة أن تستفز الموحدين في فترة عداء جيرانها لها أو عدم إمكانية اعتمادها على دعمهم، فإن مشاكلها الداخلية فيما يبدو كانت من أهم العوامل التي تدفعها لفتح جبهة الصراع مع الموحدين، ومن عواقب هذا النزاع الداخلي لجوء عناصر من أسرة كاسترو وعدد من أنصارها إلى الموحدين والاشتراك معهم في معركة الأرك ضد مملكتهم[235]، وهذا لا يعني جهل القشتاليين بتدهور الوضعية الموحدية بإفريقية في هذه الآونة[236].

فما هي الظروف المغربية في هذه الآونة ؟

يذكر المقريزي ضمن أحداث سنة 590 أنه في رمضان من هذه السنة[237] «كثر حمل الغلة من البحيرة (بمصر) إلى بلاد المغرب لشدة الغلاء بها»[238] مما يرجح أن السنة الماضية 589 كانت أيضا سنة جفاف استهلكت الاحتياطي من المؤونة، وإذا لم يكن الجفاف عاما بالمغرب فهو على الأقل بإفريقية. ويذكر المقريزي أيضا غلاء الأسعار بمصر سنة 591 وكثرة الموتان سنة 92 ويقول عن هذه السنة أنه ورد عربان الغرب (المغرب) الذين نزلوا إلى البحيرة

---

(234) وذلك سنة 590 حسب المعجب (282)، انظر البيان 191-192، وأشباخ 331-332.

(235) البيان 195، واشباخ 337، وميراندا في الموسوعة م 1/ 627 وما بعدها (مادة الأرك)، وأيضا في مقاله «معركة الأرك» بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1954 خاصة الصفحتين 28 و59 (بالاسبانية).

(236) راجع الفصل الثاني حول افريقية.

(237) يوافق هذا التاريخ ما بين 20 غشت و18 سبتمبر بحيث يكون قد انتهى الموسم الفلاحي الجاف لسنة 1193-1194.

(238) السلوك ج 1 ق 1 ص 119.

لشراء القمح وكانت بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات في السنة الخالية [591] وانقطعت عنها الأمطار في السنة الحاضرة [592][239]. وفي البيان المغرب تلميح لهذه الوضعية بإفريقية على الأقل ــ إن لم تكن في المغرب كذلك ــ عندما خيّر المنصور عساكر الحملة بين التوجه إلى إفريقية أو إلى الأندلس ففضلت هذه، «وقَوِيَ حرص الناس على الغزو لقرب الأندلس وتأتّي المؤن بها والأقوات»[240]، وهناك نتساءل هل كانت سنوات 590 و91 و92 سنوات جفاف بحوض البحر المتوسط عموما بما فيه ايبيريا وأنها وراء عدد من التحركات العسكرية كتحرك القشتاليين نحو سهل الأندلس وتحرك بني غانية من صحراء إفريقية نحو وسطها وشمالها، وتحرك المنصور أيضا إلى الأندلس ؟ وهل كان المنصور فعلا ينوي الحركة إلى إفريقية فلما بلغه في أوائل صيف سنة 591[241] استمرار الجفاف فضّل تغيير الاتجاه رغم خطورة أعمال بني غانية بالمنطقة[242] ؟ وهل رفض المنصور لطلب قشتالة من أجل تجديد الهدنة[243] كان من ورائه تحقيق هدفين معا : استغلال عزلة قشتالة لفرض هزيمة عليها ثم صلح من موقع القوة، وأيضا الخروج بعدد كبير من أهل المغرب إلى الأندلس للتخفيف من الاستهلاك بالمغرب مع فرض وجود نقص في المواد الفلاحية وهو نقص تعوّضه ــ لصالح العساكر ــ الغارات المتكررة على الأراضي النصرانية طيلة سنوات 91 و92 و593 أي إلى حين تحسن الوضع الفلاحي بالمغرب ؟ وبمعنى آخر هل هذه الحملات المتكررة ضد قشتالة طيلة هذه السنوات كان من ورائها عامل تحصيل المؤونة إلى جانب تأديب قشتالة ؟.

هكذا، ورغم سوء أحوال إفريقية، وقع توجيه الجيوش نحو الأندلس مادامت الهدنة مع قشتالة قد انتهت، وتزايد ضغطها على الأراضي الإسلامية سواء بواسطة القوات الرسمية أو بواسطة فرسان الجمعيات الدينية العسكرية. وعبر يعقوب البوغاز في 20 جمادى الثانية سنة 591 بقوات «يضيق عنها الفضاء» حسب تعبير ابن الأثير[244]، ولم يطل مقامه باشبيلية إلا

---

(239) نفس المصدر ص 131.

(240) البيان 192، ويذكر صاحب التشوف حدوث المجاعة بالمغرب خلال سنة 591 ص 293 (ت أدولف فور) ومن غير المستبعد أن تكون هذه المجاعة امتدادا لسنة أو لسنوات جفاف استهلكت الاحتياطي.

(241) وصله الخبر عن أحوالها وهو بمكناسة على الأرجح في جمادى الأولى أو مطلع جمادى الثانية التي جاز في آخرها إلى الأندلس، والشهران يوافقان أبريل ومايو (T.C).

(242) انظر في الفصل الثاني الصفحة 76 وما بعدها.

(243) البيان المغرب 191–192، و«رفع الحجب المستورة» ص 57 ضمن مقال ميراندا المذكور «معركة الأرك».

(244) الكامل (سنة 591)، والروايات العربية تتحدث أيضا عن ملك قشتالة بأنه حشد قوات ضخمة (انظر الهامش 245 بعد)، وتورد بعض المصادر خطأ نسبة رسالة عن ملك قشتالة إلى المنصور =

ريثما استعرض الأجناد ووزع عليهم الأموال ثم التقى مع جيش ملك قشتالة قرب قلعة رباح وحصن الأرك في الطريق بين قرطبة وطليطلة وعلى الضفة اليسرى من وادي بانه.

ويمكن تلخيص الظروف عند معركة الأرك كما يلي :

ـ تتحدث بعض الروايات عن ضخامة الجيش الموحدي من النظاميين والمتطوعين ولا تتفق على رقم محدد للجيش الموحدي ولا للجيش القشتالي[245].

ـ تأخير محاسبة عمال الأندلس على أعمالهم المالية إلى ما بعد المعركة تجنبا لسلبياتها[246].

ـ الخطة الحربية التي اتبعها المنصور اقتضت استشارة قادة الحرب وخاصة من أهل البلاد واستغلال حماس الأندلسيين باختيار قادتهم منهم، كما قسم الجيش إلى قسم يحارب العدو حتى تضعف قواه، وقسم ثاني هو ساقة الخليفة وتختفي عن الأنظار، ثم تتدخل في الوقت المناسب لتقرير مصير المعركة التي أمكن فعلا كسبها.

ـ حالة العداء بين قشتالة وكل من ليون ونفارا جعلها لا تتلقى دعما منهما في المعركة[247] على الأقل على المستوى الرسمي[248].

كانت المعركة صباح يوم الأربعاء 9 شعبان 591/ 18 يوليوز 1195.

ما هي نتائج المعركة ؟

ـ النتائج المباشرة تظهر في جانبين :

• جانب **الخسائر** البشرية والمادية للقشتاليين : فهناك روايات مبالغة كرواية المقري وابن الأثير، وروايات معتدلة تقدر قتلى العدو بحوالي 30000[249]، كما تتحدث الروايات عن

= كانت وراء تحركه لخوض معركة الأرك (القرطاس 220-221، النويري 438) وهي الرسالة التي تلقاها يوسف بن تاشفين عن ملك قشتالة.

(245) القرطاس 227، ويذكر صاحب المعجب أن الأدفونش جمع جموعا لم يجتمع له مثلها قط (282) ويجعل صاحب الذيل على الروضتين عدد النصارى 240 ألف وجيش المسلمين 200 ألف نصفهم من المتطوعين (ص 7-8) وفي بغية الملتمس يبلغ جيش النصارى 25 ألف فارس و100 ألف راجل (ص 45) وبالنسبة للقوات الموحدين يرفعها صاحب الذخيرة إلى 600 ألف (46).

(246) البيان 200-201.

(247) ميراندا في الموسوعة (مادة الأرك) ص 625 م 1، ويبدو أن المشاكل بين الممالك الاسبانية هي التي هيأت الظروف المناسبة لتحرك المنصور والانفراد بقشتالة وليس الأمر وليد نجاحه في سياسة الانفراد بها كما يرى العبادي وسالم في «تاريخ البحرية الإسلامية» ص 276.

(248) كان هناك دعم من طرف المتطوعين والجمعيات الدينية، انظر في الرسالة 42 (م ج) الإشارة إلى وجود الرهبان والبطارقة والافريريين في المعركة.

(249) المقري في النفح 443/1، وابن الأثير والنويري يجعلون العدد 146 ألف (الكامل 9/ سنة 591 ونهاية الأرب 439)، وبغية الملتمس (45) يجعل قتلى النصارى أزيد من 25 ألف فارس و100 =

كثرة الغنائم من الدروع والدواب والأثاث... حتى أن كثرة الغنائم لم تمكن المنصور آنذاك من دخول بلاد الفرنج فعاد إلى اشبيلية[250]. كما أن خسائر المسلمين كانت مرتفعة في الصدمة الأولى على يد الفرسان النصارى المدرّعين، وكان من بين الشهداء القائد العام للفرقة المتقدمة الوزير أبو يحيى بن الشيخ أبي حفص[251]، وتلمح الرسالة 42 (م ج) إلى ما خلفته هذه الصدمة قبل التحاق ساقة الخليفة بالمعركة.

• تحرير المنصور للحصنين القريبين من ساحة المعركة وهما قلعة رباح، وحصن الأرك الذي كان فيه عدد من الأسرى المسلمين فأمكن افتكاكهم بما يقابلهم من أسرى النصارى[252]، ومثل هذه المعاقل «كان الكفرة شدوا عليها يد الضنانة وصرفوا إليها همة العناية والصيانة»[253].

ــ نتائج من مستوى آخر :

• ازدياد شهرة المنصور بهذه المعركة على المستوى الإسلامي منافسا لانتصار صلاح الدين في حطّين على الصليبيين[254] ولانتصار يوسف بن تاشفين في الزلاقة[255]، فهو «الفتح الذي أغرب، وشرّق وغرّب، وأعرق وأشأم، وأنجد في معمور الأرض وأتهم... وأنه لم يُسمَع فيما سلف بشبهِهِ ولا تَقدَّمَه مثلٌ يقاس عليه[256]». وهذه المعركة ساعدت على وجود هيبة نحو الجيش الموحدي مما سيدعو الاسبان إلى استدعاء قوات من خارج البلاد لمواجهته في معركة العقاب التي ستنال من هذه الهيبة.

• قيام المنصور في السنة التالية منذ رجب 592 بحملة ضد قشتالة حيث فتح عددا من حصون الثغر الشمالي جنوب نهر تاجه مثل (منتانجش) أو (منت انتش)[257]، وترجاله

= ألف راجل، أما ابن عذاري (195) والروض المعطار (مادة الأرك) فعندهما العدد 30 ألف وكذلك «رفع الحجب المستورة» ضمن مقال ميراندا عن الأرك بالمجلة المذكورة بالهامش 235.

(250) وفيات الأعيان 7/3–18 (مادة يعقوب)، البيان 196.

(251) لقب بالشهيد ولقب أبناؤه بأبناء الشهيد.

(252) هذا التبادل في الأسرى كان بتدخل حليف الموحدين بيدرو فرنانديس القشتالي : البيان 195، الروض المعطار 27 (الأرك)، أشباخ 338، رفع الحجب المستورة (مقال ميراندا في المجلة المذكورة وفي الموسوعة (مادة الأرك)، ووضع المنصور في حصن الأرك حامية بقيادة يوسف بن قادس (الروض المعطار).

(253) الرسالة 42 م ج.

(254) تم تحرير حطين في 14 ربيع الآخر 583 (السلوك ج 1 ق 1 ص 98).

(255) البيان 196، يقارن صاحبه بين الزلاقة والأرك، ويعتبر أن هذه أنست كل نصر بالأندلس.

(256) الرسالة 42 (م ج).

(257) في وصف مناعة هذا الحصن بالرسالة 35 (م ر م) ص 231 بتر يكمله مقطع ورد في «إعتاب الكتّاب» (231–232 ط. دمشق) هكذا «ولم يرض بالجبال أكفاء ولا بالبسيطة منتسبا، (ينظر =

«قاعدة الثغر الشمالي التي تعودت أن تكون آمنة» وكذلك «شانتا كروش»، وشحنت هذه الحصون بالرجال والخيل، وتم تدمير معاقل أخرى. وبعد اجتياز تاجه إلى شماليه استولى الموحدون على مدينة (ابلتانسية)[258]، التي كانت مسكونة بالمحاربين الشجعان من أهل الشمال الإسباني، وبفتحها فتح الطريق نحو حصار طلبيرة أكبر قواعد طليطلة غربا دون التمكن من فتحها، ثم اتجه الموحدون إلى طليطلة وحاصروها من الشمال بضعة أيام. وخلال هذه التحركات كانوا ينتسفون الزروع، وأثناء العودة خربوا بعض الحصون قرب طليطلة كانت تحرسها الجماعات العسكرية الدينية[259]. ويبدو أن هذا التحرك جنوب ليون وقشتالة أقنع ملك ليون بربط تحالفه مع الموحدين ضد قشتالة إن لم يكن حدث قبل الأرك، فأشرك معه قوات موحدية وغزا أرضها وذلك قبل عودة الحملة الموحدية من طليطلة[260]، كما دخلت نبارّا في الحلف مع ليون وهاجمت قشتالة من الشمال[261]. ولم تستطع أركون دعم قشتالة لموت ملكها الفونسو الثاني خلال هذه المدة[262]. هذه الحملة الموحدية دفعت الحدود الإسلامية إلى نهر تاجه بالنسبة **للمنطقة غرب طليطلة حتى الحدود البرتغالية**، واشتغل المنصور بعد عودته إلى اشبيلية بمحاسبة المسؤولين الماليين وعين مشرفا عاما للدولة في الميدان المالي هو وزيره أبو زيد ابن يُوجّان[263] زيادة على مهمته الإدارية.

خلال ربيع سنة 593 استنفر الخليفة العساكر وخرج بها من اشبيلية إلى قرطبة «وكانت هذه السنة سنة خصب فمشى الناس في أطيب عيش حتى كان الوصول إلى قرطبة فدخلها المنصور للاستيطان، وقسم الجيوش لانتجاع الخصب حيث كان، ريثما يقرب أوان التحطم

= إلى ما يجاوره نظر الجارح المحلق في السماء، أو الشهاب الراجم في جند من الظلماء، فتحه الله وحده، قبل الخلوص إليه من البروج...».

(258) تفاصيل الحملة توجد في الرسالة 35 م ر م (228–241)، وقد كتب بروفنصال في ترجمة الرسالة بهيسبريس 1941 المواقع الآتية : شانتاقروش (Santa cruz) وابلتانسية (Plasencia)، انظر أيضا الحملة في البيان (198–199)، المعجب 283، العبر 513/6.

(259) مثل حصن دار الغارة وبطربونة Piedra buena، الرسالة 35 (م ر م) وترجمتها في هيسبريس ص 67 سنة 1941، ميراندا في الموسوعة م 1 ص 170 (مادة أبو يوسف يعقوب)، القرطاس 229 (مع بعض الخلط).

(260) الرسالة 35 (م ر م)، عنان 587/2 و603، أشباخ 338–339، و344 وهو يتحدث عن حملة واحدة يبدو أنه نقل ذكرها عن صاحب القرطاس (229)، ميراندا في الموسوعة (مادة الأرك).

(261) الرسالة 35 (م ر م)، أشباخ 338 وما بعدها.

(262) مات الفونسو الثاني في أبريل 1196 (جمادى الثانية 592) فخلفه ابنه الطفل تحت وصاية أمه (أشباخ 338، عنان 603/2).

(263) البيان 200–201.

وتمكين وجود الأقوات في بلاد الروم»[264]. فلما اقترب المنصور من بلاد قشتالة عرض عليه ملكها المهادنة فرفضها المنصور ربما لأن الطلب جاء متأخرا[265]. وفي هذا الوقت انعقد التحالف بين قشتالة وأركون ضد الموحدين وحلفائهم من ليون ونفارا فوصلت جيوش أركون إلى «مجريط» شمال طليطلة وربما تراجعت نحو وادي الحجارة حيث توغلت أيضا قوات المنصور وجمعت الأقوات من المنطقة قبل رجوعها في اتجاه قرطبة ثم اشبيلية[266]. ولم يعد المنصور إلى المغرب إلا بعد توقيع الهدنة مع القشتاليين.

لماذا قبل المنصور الهدنة ؟

هناك عوامل داخلية في إمبراطوريته وأخرى إسبانية :

ــ **على المستوى الداخلي** : زادت تهديدات بني غانية وحلفائهم بإفريقية حتى أصبحوا يهددون بجاية عاصمة المغرب الأوسط بحيث وصل إلى المنصور خبر ابن غانية وعيثه، ثم تقدمه إلى بجاية وحصارها «وأظهر أنه إذا استولى على بجاية سار إلى المغرب»[267] فاضطر المنصور لمصالحة ملوك النصارى، كان ذلك في سنة 594 (1197-1198)[268]، وكانت الهدنة «على حكم شريعة الإسلام»[269] أي توقيع الهدنة من موقع القوة.

ــ **وعلى المستوى الاسباني** : طلب ملك قشتالة الهدنة لمعالجة آثار هزيمة الأرك وحملات الموحدين بعدها، ولمواجهة الجارين العدوين نبارّا وليون، فكان رد قشتالة على هجومات ليون هو توجيه قوات مشتركة قشتالية أركونية إلى أبواب عاصمتها[270] مما سيدفع نبارا إلى توطيد الحلف مع الموحدين[271]، بينما تميل ليون إلى مهادنة قشتالة تارة وإلى محالفة الموحدين

---

(264) البيان 202، وهذا قد يؤيد الافتراض السابق بوجود جفاف سابق في إيبيريا أيضا، فلما كانت هذه السنة 593 سنة خصب فإن المنصور سينهي حملاته ويعود بعدها إلى المغرب الذي قد يكون شمله الخصب أيضا بعد الموافقة على هدنة كان يرفضها من قبل.

(265) البيان 202-203.

(266) أشباخ 339، ويتحدث عن انسحاب الموحدين بسبب نقص المؤن والأمراض في معسكرهم.

(267) ابن الأثير 233/9.

(268) نفس المصدر، والنويري 440، والبيان 204، وفيات الأعيان (مادة يعقوب) (ويذكر الصلح مع جميع ملوك النصارى)، ويجعل صاحب المعجب مدة الهدنة 10 سنين (ص 283).

(269) البيان 204.

(270) كما تعاونت قشتالة والبرتغال بالضغط على جليقية من أرض ليون، فاضطر ملكها إلى التصالح مع ملك قشتالة بمصاهرة رفضها البابا، أشباخ 345-346، وعنان 587/2-588.

(271) انظر مقال نيفل باربر «سفارة جون ملك انجلترا إلى محمد الناصر.. «بمجلة تطوان سنة 1965 فهناك على الأقل تحالف منذ 1201 (598-599)، انظر أيضا أشباخ (347-358) وعنان 588/2 والرسالة (68 م ج).

أو التقرب إليهم تارة أخرى، وسيستمر هذا التردد إلى سنة 1207 (603-604)[272] وربما إلى ما قبيل موقعة العقاب بقليل[273].

خلال الفترة فيما بين 599 و603 قام الموحدون بعملين هامين : إتمام السيطرة على جزر البليار، ووضع خطة جديدة لإبعاد بني غانية عن إفريقية، فقد استطاع الموحدون إتمام السيطرة على «الجزائر الشرقية» بفتح جزيرة ميورقة، ومن أهم الدوافع لذلك : استفحال ضرر بني غانية في التسعينيات[274] باحتلالهم كثيرا من أجزاء إفريقية، بل شمل نفوذهم سنة 600 مدينة تونس عاصمة الولاية، فرأى الناصر ضرورة اقتلاعهم من جذورهم وهي الجزائر الشرقية (البليار)، بحيث وجه قبيل حملته إلى إفريقية أسطولا برئاسة عمه أبي العلى إدريس بن الخليفة يوسف ومعه من أشياخ الموحدين أبو سعيد عثمان بن الشيخ أبي حفص، فتمكن الأسطول الموحدي من فتح جزيرة ميورقة في نهاية ذي الحجة سنة 599[275]. وكانت جزيرتا منورقة ويابسة قد فتحتا قبل ذلك[276]. كما أن الحركة إلى إفريقية ساعدت على مطاردة بني غانية إلى الصحراء وتعيين والي مفوض بالمنطقة، وتحت تصرفه قوات عسكرية مهمة لمنع عودة بني غانية إليها[277]. وهذا الحل سيضع حدّاً لهؤلاء بإفريقية، وإن كان سيعمل بشكل تدريجي على انفصالها على يد الأسرة الحفصية بعد حوالي ربع قرن. أما فتح جزر البليار فيمثل أقصى توسع موحدي بالأندلس اعتبرته أركون على حسابها ولو بطريقة غير مباشرة : ذلك أن فتح هذه الجزر من يد بني غانية هو «فتح في النصرانية وظهور على ممالكها الساحلية، ولأخذ ميورقة على صاحب أرغون وبرشلونة أشد من رشق النبل...»[278] فهذا ما سيؤدي إلى الاصطدام بين الطرفين كما سيحدث سنة 607[279].

---

(272) أشباخ 344 وما بعدها و(353-354)، عنان 2/587-588 و595 وأيضا (337-340) و(353-354).

(273) كما يمكن أن يفهم من قول ابن خلدون «وكان ابن أدفونش قد باطن ابن عمه الببوج صاحب ليون في أن يوالي للناصر ويجري الهزيمة على المسلمين ففعل ذلك» (6/522).

(274) يرى عنان أن اهتمام الناصر بهذه الجزر ليس سوى نتيجة مباشرة للصراع مع بني غانية بإفريقية (2/283) بينما يلمح صاحب المعجب إلى أهمية هذه الجزر اقتصاديا (269)، ويبدو أن تضاف إلى هذا الأهمية الاستراتيجية لهذه الجزر بالنسبة للموحدين تجاه أركون من جهة وللقضاء على الدعوة العباسية بها من جهة ثانية.

(275) الرسالة 36 (م ر م)، المعجب 314-315، الروض المعطار 567-568 (مادة ميورقة)، وإشارة في الذيل س/8 (195-196) خ ع ضمن ترجمة الصالح أبي الحسين ابن الصائغ، انظر الرسالة 54 م ج وكذلك خصوصياتها في هذا الفصل ص 107-108.

(276) عنان 2/157-158، البيان 169-170 (يذكر فتح يابسة سنة 583) المعجب 317.

(277) انظر الصفحتين 79، 80 في الفصل الثاني.

(278) الرسالة 36 م ر م (ص 247).

(279) البيان 234-235.

إن هذا الامتداد الموحدي واستمرار الانقسامات بين الممالك الاسبانية، وإظهار الموحدين الاستعداد للغزو بالأندلس[281] هي عوامل جعلت قشتالة تسارع إلى طلب تجديد الهدنة سنة 600 (1204)[282]، وهذه الظروف هي التي أتاحت للناصر القيام بحركته إلى إفريقية بين سنتي 600 و603، وهكذا فإن الفترة بين معركتي الأرك 591 والعقاب 609 تسمح بملاحظة نقطتين :

* اقتناع الموحدين بحل من نوع خاص لمشكل إفريقية حتى يمكن للجيش الموحدي التفرغ للوضع في باقي الامبراطورية وخاصة الأندلس، وحتى يمكن تدارك الخلل المتعاقب في الوضع بين إفريقية والأندلس[283] وهي نقطة الضعف التي أدركها بنو غانية والاسبان : فكان بنو غانية بافريقية ينشطون مع انشغال الجيوش بالأندلس، ويقوى الضغط الاسباني مع انشغالها بافريقية فجاء هذا الحل تجنبا لهذا الخلل.

* استفادة الموحدين من انخفاض معنوية القشتاليين من جراء هزيمتهم في الأرك ومن النزاعات المستمرة بين الممالك الاسبانية، وبعبارة أخرى حقق الموحدون تفوقا عسكريا أو ربما على الأصح توازنا عسكريا مع هذه الممالك، مع العلم أن هذه الفترة هي التي تمثل أوجه قوة الموحدين[284].

وإذا كانت وضعية إفريقية ستتحسن تدريجيا ونسبيا ليعقبها الانفصال عن مركز الدولة الموحدية فإلى أي مدى سيستمر استغلال الموحدين للنزاعات الاسبانية ؟ هذا ما سنراه خلال الفصل الرابع.

---

(280) أشباخ 553.

(281) البيان 218.

(282) البيان 218، ميراندا في التاريخ السياسي 401/2، (وهذه الهدنة مكنت الناصر من الحركة إلى افريقية مثلما أتاحت لقشتالة مواجهة ليون في الحرب المتجددة بينهما) انظر أشباخ ص 353.

(283) كان التعبير صريحا عن عياء الجيوش الموحدية سنة 594 عندما طلب المنصور ــ بعد عودته من الحركة الأندلسية ــ التحرك إلى إفريقية، فرغب إليه أشباخ الموحدين في الاستراحة خلال هذه السنة، ثم نجد معظم الأشياخ يشيرون على الناصر بمسالمة ابن غانية عند عزمه على الحركة إلى إفريقية (العبر 518/6).

(284) يرى لوتورنو أن عجز الموحدين عن حماية حدودهم الطويلة باسبانيا عموما وأن اكتفاءهم بموقف الدفاع هناك كان أهم نقطة ضعف في سياستهم (حركة الموحدين... ص 117).

الفصل الرابع

التراجع الموحدي عن الأندلس
والانقسام السياسي بالمغرب

تنطلق دراسة هذا الفصل من الرسائل الآتية (من م ج) :

ــ رسالة إلى الخليفة الناصر حول تأديب بعض القبائل العربية بالمغرب الأقصى رقمها 55

ــ رسالة حول انتهاك قشتالة حالة الهدنة مع الموحدين (للعطاء) .... رقمها 63

ــ رسالة جوابية من اشبيلية حول قرب انتهاء الهدنة [مع قشتالة]، (المخطوط الخاص) رقمها 64

ــ رسائل من والي اشبيلية إلى الخليفة أو وزيره ابن جامع (المخطوط الخاص)، الرقم من 70 إلى 104 ماعدا 77 و85 و97.

ــ بعض رسائل «العطاء الجزيل» أرقام 77 و90 و91 و92 و93 و96 و97

ــ رسائل في البيان المغرب من عهد الناصر إلى المرتضى : 67 و68 و85 و105 و106 و109 و110 و113 ومن 117 إلى 130.

ــ رسائل في صبح الأعشى :

رسالة استعطافية إلى الناصر .... رقمها 69

رسالة إلى المستنصر حول أرغوني يطلب اللجوء السياسي ...... رقمها 107

رسالة جوابية حول تصرف عامل ثغر شقورة .... رقمها 111

رسالة عن المستنصر إلى بعض عماله مستنكرا عليه خرق الهدنة رقمها 83

ــ رسائل من إنشاء ابن عميرة: رسالة عن السيد أبي زيد حول نبيل أركوني (نفس الرسالة 107)

رسالة حول بيعة الخليفة عبد الواحد (المخلوع) .... رقم 108

رسالة حول فتح حصن بشج .... رقم 115

رسالة حول اضطراب أمور الشرق الأندلسي .... رقم 116

رسالة (ظهير) توقير عن الخليفة الرشيد .... رقم 122

رسالة (ظهير) عنه بتوطين أهل شرق الأندلس برباط الفتح رقم 123

ــ رسائل (تقاديم) جمعها المسمى يحيى (مخطوط الخزانة الحسنية رقم 4752)، عددها 77 رسالة تقديمية وضعت ملحقا لرسائل المجموعة الجديدة.

الموضوع الأول :

خصوصيات بعض رسائل الفصل الرابع

1 ــ رسالة إلى الناصر حول اعادة توطين بعض القبائل العربية (رقم 55) :

وردت هذه الرسالة في مخطوط العطاء الجزيل ضمن الزوائد الملحقة بآخره وهي غير مؤرخة، كما أنها وردت مقسمة إلى جزئين بسبب سوء ترتيب أوراق المخطوط : فوقع جزءها الأول على الصفحتين 26 و27 وجزءها الأخير على الصفحات 22 و23 و24[1].

وبالنسبة لتاريخ الرسالة فإنه محذوف ربما من طرف الكاتب الأصلي أو ممن تصرف في نقل الرسالة، ولم نجد غير إشارة سريعة في البيان المغرب لترجيح وضع تأريخ تقريبي لها وهو سنة 600، فهذه الإشارة وردت ضمن أحداث هذه السنة هكذا : «وفي هذه السنة كانت سطوة الناصر بعرب المغرب واستأصلهم وقتلهم وغرّب بعض أشياخهم إلى الأندلس[2].

وبالنسبة **لأهمية الرسالة** فإنها تظهر في جانبين :

ــ **الجانب الأول** هو أن المصادر الموحدية وعلى رأسها البيان المغرب لا توضح استقرار العرب بالمغرب وخاصة بتادلى في عهدي المنصور والناصر، وعندما يتحدث ابن خلدون عن توطين المنصور للعرب بالمغرب الأقصى لا يذكر بلاد تادلى بل يميل إلى التعميم بذكر توطين عرب رياح في الشمال الغربي للمغرب الأقصى وتوطين عرب جشم ببلاد تامسنا التي يعرّفها بأنها «البسيط الأفيح بين سلا ومراكش»[3]، بينما توضح هذه الرسالة بأنه كان هناك استقرار على الأقل منذ أيام الناصر لبعض قبائل العرب الجشميين مثل سفيان والخلط وبني جابر بتادلى[4].

ــ **الجانب الثاني** هو أن المصادر المعروفة ــ والتي أمكن الاطلاع عليها ــ لا تذكر (قبل العقاب) فتنة للقبائل العربية بالمغرب الأقصى أو اصطداما بينها وبين الجيش الموحدي ماعدا في إشارتين عامتين : الأولى، وردت عند ابن خلدون عندما ذكر بأن زعيم رياح مسعود /

---

(1) راجع الهامش (1) على الرسالة 55 م ج.

(2) البيان 218 ط. تطوان، وورد في التشوف ضمن ترجمة أحد صلحاء دمنات المتوفّى سنة 602 أن العرب كانوا يعيثون يمينا وشمالا في الفحص (ص 391)، ولعله يقصد الفحص بين جبل دمنات وتامسنا حيث يستقر الجشميون، قارن مع الوزّان في «وصف إفريقيا» 42/1.

(3) العبر 58/6.

(4) زوائد العطاء (23–24).

بن سلطان عاد بجماعة من قبيلته من المغرب الأقصى إلى إفريقية في التسعينيات[5]، والإشارة الثانية هي التي وردت عند ابن عذاري عن سطوة الناصر بعرب المغرب[2]. **فهذه الرسالة إذن تشير إلى فتن العرب باكرا وهو ما كان المنصور يتكهن بحدوثه**[6].

وهكذا فإن الرسالة تؤكد قدم سكنى العرب بتادلى وتامسنا على الأقل منذ عهد الناصر، كما تؤكد سوء العلاقة بينهم وبين السلطة الموحدية مبكرا أو إحداثهم للشغب في منطقة استقرارهم. فهل يصح الافتراض بأن استيطانهم العرب بتادلى أقدم من استيطانهم بتامسنا ؟

2 ــ رسالة عن السيد أبي زيد عبد الرحمان والي جيان إلى ملك قشتالة (رقم 63) :

هذه الرسالة من إنشاء أبي القاسم البلوي أوردها في كتابه العطاء الجزيل (ص 53–54)، وهي رسالة تفرض علينا محاولة تحديد تاريخها ولو بالتقريب.

فالبلوي كتب عن أبي زيد والي جيان وهو ابن الخليفة عبد المومن حسب ابن عبد الملك[7]، كما أن أبا زيد تولى على جيان منذ سنة 607 حيث نقل إليها بعد نهاية ولايته على سجلماسة[8] ويذكر المراكشي أن قشتالة نقضت الهدنة مع الموحدين سنة 607[9]. من هنا يترجح أن يكون تاريخ هذه الرسالة هو سنة 607، وفي آخرها جاز الناصر بعساكره إلى الأندلس[10].

تظهر **أهمية هذه الرسالة** في نقطتين :

ــ الأولى أنها تصرّح بوجود هدنة كانت مبرمة بين الطرفين الموحدي والقشتالي بشكل رسمي وهذا ما يدعم قول المراكشي، بينما لا يتضح ذلك من مصادر أخرى، فابن عذاري[11] مثلا يتحدث عن قدوم المبعوث القشتالي إلى المغرب سنة 600 لعقد الهدنة أو تجديدها بدون أن يذكر مدتها.

ــ الثانية يتضح منها وجود تحالف قشتالي أرغوني بشكل عملي شجع قشتالة على خرق الهدنة، وهي التي كانت منذ هزيمة الأرك سبّاقة لطلب عقدها.

---

(5) العبر 79/6.

(6) زيادة على ما ذكره صاحبا البيان والعبر يمكن ملاحظة ما كتبه Marçais في Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe S. p. 327 وكذلك هنري طيراس H. Terrasse في Histoire du Maroc des Origines à l'Etablissement du Protectorat Français V.I/ 346-347, 360-361 (1949-1950).

(7) الذيل، السفر الأول، القسم الثاني، ص 455.

(8) البيان 234، العبر 521/6.

(9) المعجب 318، ط. القاهرة 1949.

(10) البيان 237.

(11) البيان 218.

أي أن العلاقات بين القوى السياسية الاسبانية أخذت تتطور في اتجاه لا يخدم مصلحة الموحدين باسبانيا والتي كانت قائمة على نوع من التوازن السياسي والعسكري بين الطرفين.

3 ــ رسائل المخطوط الخاص :

يبلغ عددها ثلاثا وثلاثين رسالة ما بين مبتورة وكاملة، والصفة المشتركة فيما بينها هي أنها رسائل موجهة من بعض ولاة الأندلس وبالأخص ولاة إشبيلية إلى الخليفة الناصر أحيانا وإلى المستنصر ووزيره غالبا. وأغلب الرسائل مبتورة البداية، كما أنها غير مؤرخة إلا اثنتين منها، وجلّها يقع بعد تاريخ معركة «العقاب» فيما بين أوائل سنة 611 وأواسط سنة 612 على الأرجح، أي في عهد الولاية الأخيرة باشبيلية للسيد إبراهيم بن الخليفة يوسف بن عبد المومن. هذه الرسائل هي من إنشاء الفقيه الكاتب أبي العباس ابن جعفر إلا اثنتين منها : الأولى من إنشاء القاضي أبي القاسم بن عذرة، والثانية من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن وضّاح موجهة إلى الخليفة المنصور[12].

• بالنسبة لرسالة القاضي **أبي القاسم بن عذرة** عن «طلبة» الجزيرة الخضراء إلى السيد أبي عمران بن أبي موسى بن الخليفة عبد المومن (رقمها 58 م ج) لا يتضح ما إذا كانت من الرسائل الإخوانية أو الرسمية، فهي تتحدث كثيرا عن مجالس السيد أبي عمران، ولا يستبعد أن تكون مجالس رسمية، فربما كان أبو عمران هذا واليا على الجزيرة نيابة عن أبيه أبي موسى الذي كان في نفس هذه الفترة واليا على اشبيلية منذ سنة 601[13]، وتتحدث الرسالة عن غيابه عن المدينة وطول الاشتياق إليه، فهل كان مرافقا للناصر خلال حملته إلى إفريقية آنذاك ؟

• هناك رسالة للكاتب **أبي العباس بن جعفر** في الصفحتين (342 و343) من المخطوط (رقمها 60 م ج) لا تحمل تاريخا ولا اسما للوالي المكتوبة عنه ولا اسم الخليفة الموجهة إليه، بل لا يفهم من وجهتها نحو الخليفة غير أسلوبها، ويتضح منها أنها جوابية على رسالة خليفية سابقة. هذه الرسالة الجوابية تلمّح إلى ما ورد في رسالة الخليفة ــ المفقودة ــ «من تردد الموحدين» على «الغرب الأوسط... لتأنيس رعاياه، والفحص عن شؤونه وقضاياه»، ثم ما تم بعد ذلك من «تيسير أسباب رحلة الموحدين... إلى أوطانهم... والحمد لله.... على ما عرّف الحضرة الامامية في هذه الحركة السعيدة من التيسير والتسهيل.... والظفر الذي صاحبَها...».

فالإشارة هنا لا تنص صراحة على تحرك الخليفة بنفسه إلى المغرب الأوسط فنفهم أنها هي نفس الحركة إلى إفريقية فيما بين 601 و603، ولكنها تذكر «تردد الموحدين»، ثم رحلتهم إلى أوطانهم بعد تأنيس الرعايا مما يجعلنا نفهم أن هذه الحركة تتمثل في الحملة التي قادها

(12) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول، وهي تحمل رقم 44 من المجموعة الجديدة.
(13) البيان 219.

ابن يَوُجّان الهنتاتي إلى تلمسان ونواحيها سنة 605 لإبعاد خطر بني غانية ومساعديهم من زناتة بالمنطقة بعدما تغلبوا على جيش الوالي السابق وقتلوه، فحملة ابن يوجان هي التي تمكنت من إبعاد ذلك الخطر[14].

وهناك ملاحظة أخرى في هذه الرسالة وهي أن كاتبها على غير عادته أغفل الحديث عن العلاقة مع النصارى مما يرجح أن الأمور كانت عادية ربما بسبب هدنة تجددت في أمد غير بعيد من التاريخ المحتمل لهذه الرسالة وهو سنة 605 وربما أواخرها.

في هذه الفترة كان والي اشبيلية هو السيد أبو إسحاق إبراهيم بن المنصور خلال الفترة (605–607)، فهو موجّه الرسالة على الأرجح.

• **وهناك رسالة أخرى للكاتب أبي العباس بن جعفر** على الصفحات (330–332) من المخطوط (رقمها في المجموعة 64) كتبها عن والي اشبيلية — واسمه غير مذكور — إلى الخليفة الناصر (حسب الدعاء له). والإشكال الأساسي فيها هو عدم تأريخها، لذا سنحاول وضع تاريخ تقريبي لها وتحديد اسم الوالي المكتوبة عنه، والاعتماد الأساسي في هذا هو بعض التلميحات التي تتضمنها الرسالة : فهي جوابية على رسالة خليفية، وتتضمن ثلاث نقط :

* انشغال الناس بضم زرعهم، وهذا مرتبط باستمرار حالة الهدنة مع النصارى، غير أن هذه الهدنة لم يبق في أجلها غير نحو شهرين[15].
* طلب الوالي للاذن بالقدوم على الخليفة للقائه.
* الإشارة لما ورد في رسالة الخليفة وهو الخبر المبشر «بمشارفة الحضرة الامامية ثنايا البلاد» وذلك بعدما صنع الله «للحضرة الامامية في هذه الحركة السنية من الصنع الجميل.... والتمكين والتكريم والتيسير والتسهيل».

نجد أنفسنا هنا أمام افتراضين :

الأول هو اعتبار الحركة المذكورة هي حركة الناصر إلى افريقية بين 601 وأواخر 603 أو أوائل 604، وأن «مشارفة» الخليفة للبلاد يكون معناه دنوه من المغرب الأقصى، وأن الوالي يطلب منه الإذن للقائه هناك، بينما الوضع بالأندلس عادي ولكنه يتطلب النظر في مسألة نهاية أجل الهدنة. أما اسم الوالي إذا صح هذا الافتراض فهو السيد أبو موسى بن الخليفة عبد المومن المعيّن منذ 601[16] ويكون تاريخ الرسالة هو أواخر سنة 603 على الأرجح،

---

(14) راجع في هذا الفصل (الدراسة التاريخية) ص 174، والبيان (228–230).

(15) يتحدث صاحب المعجب عن هدنة بين الموحدين وقشتالة سنة 593 أو 594 ولمدة 10 سنوات أي أنها تنتهي سنة 603 أو 604 (ص 283)، ويحدد ابن عذاري عقد السلم سنة 594 (ص 204)، وربما هذه الهدنة هي التي تجددت مع الناصر سنة 600 (البيان 218).

(16) البيان 219.

وإذا صح أيضا هذا الافتراض تكون أهمية الرسالة راجعة إلى كونها المصدر الوحيد (لحدّ الآن حسب علمنا) الذي يشير إلى تجدد الهدنة خلال الفترة بين 600 و607.

الافتراض الثاني هو اعتبار الحركة المذكورة هي حركة الناصر إلى الأندلس والتي ابتدأها من مراكش في شعبان 607 وخرج من رباط الفتح في 18 شوال، وكان الجواز إلى الأندلس خلال شهر ذي القعدة واستمر إلى فاتح ذي الحجة[17] فيكون عندئذ المقصود من «مشارفة الحضرة الإمامية ثنايا البلاد» هو دنوه من الأندلس أو إشبيلية (التي صدرت منها الرسالة والذي يرجّح أيضا أنها الأندلس هو التلميح لما يمكن أن تؤثر به هذه الحركة على الأعداء النصارى «فيدعو لها الكافرون حيث كانوا ثبورا». ومع اقتراب الخليفة طلب الوالي الإذن بملاقاته[18] فأذن له[19]، وفي هذه الحالة تصطدم مع التناقض الآتي : من المصادر ما تذكر أن الناصر جاز إلى الأندلس بسبب اعتداءات الأركونيين وانتهاك القشتاليين للهدنة، بينما تذكر الرسالة «أن الروم مغتبطون بسلمهم» وربما هذا ما شجع الناس على جمع محاصيلهم في أمان؛ فهل حدث اعتداء النصارى قبل تحرك الخليفة فلما سمعوا بحركته تراجعوا وأخذوا يهيئون أنفسهم لمواجهة الحملة الموحدية ؟ هذا الافتراض الأخير يجعل والي اشبيلية هو السيد أبا إسحاق إبراهيم ابن الخليفة يوسف وتاريخ الرسالة هو أواخر 607، لكن في هذه الحالة لماذا الإشارة إلى قرب نهاية الهدنة إذا كانت قد اخترقت، فهل يرجع ذلك لكون الموحدين لازالوا ملتزمين بها ؟

إذا صحّ الافتراض الثاني فإن أهمية الرسالة تكمن في تأكيدها لما ورد في المصادر من نهاية أو إنهاء الهدنة سنة 607.

• **أما بالنسبة لرسائل المخطوط الخاص عن عهد المستنصر** فإنها تخص الفترة الغامضة في المصادر حول الأندلس بعد معركة العقاب، ويمكن تلخيص **أهمية هذه الرسائل في النقط** الآتية :

— نظرا لكون معظمها جوابية فإنها تلخص أهم نقط الرسائل الواردة من مركز الخلافة والتي هي حاليا مفقودة، ومن ذلك : الخبر عن مقتل الثائر الجزولي بجنوب المغرب.

— تصف حالة الأندلس الداخلية من ناحية الأمن ومن ناحية المطر والخيرات، أو نقص القوت، وأهم ما يشير إليه بعضها ما كان يقوم به العرب وكومية من العيث بالأندلس.

— تشير هذه الرسائل أيضا إلى الحالة العامة لدى النصارى خاصة القشتاليين والعلاقة بينهم وبين المسلمين كالإشارة إلى ذكر الفتن داخل بلاد النصارى، وذكر موضوع المفاوضات بين المسلمين والنصارى والحث من طرف الخلافة على الحفاظ على الهدنة معهم.

---

(17) البيان (236–237) والقرطاس ص 234 (ويجعل ذلك من فاتح شوال إلى آخر ذي القعدة.

(18) يذكر صاحب القرطاس أن الناصر جاز إلى طريف وبها استقبله كافة قواد الأندلس وفقهاؤها وصلحاؤها (234).

(19) انظر الرسالتين 65 و66 (م ج).

وهكذا تسد هذه الرسائل جزءا من الفراغ الذي تركته المصادر المغربية بالخصوص[20] والتي تحولت منذ معركة العقاب إلى الحديث عن انعكاساتها على الوضع الداخلي بالشمال الإفريقي ولن تعود للحديث عن الأندلس تقريبا إلا في السنوات العشرينية.

4 ــ رسائل البيان المغرب :

مصدرها نسخ الخزانة الحسنية مقارنة مع نسخة الخزانة العامة (ق 200) أحيانا، وطبعة تطوان، وتتميز هذه الرسائل على العموم بقصرها حيث اقتبس ابن عذاري من كل منها فصلا أو بعض الفصول وحذف منها الصدر في الغالب. كما أنها تخلو أحيانا من التاريخ، ولكن منهجية المؤلف في اتباع أسلوب الحوليات تسهل تقدير تاريخ الرسائل الموضوعة ضمن أحداث كل سنة. كما أن نسخ الخزانة الحسنية تسد البتر الموجود في طبعة تطوان من خلال سنة 541 إلى خلال سنة 548 وما بقي من الأحداث في عهد الواثق آخر الخلفاء الموحدين. ونجد في رسائل البيان ما يتعلق بالعلاقات مع الاسبان مثل الرسالة رقم 67 حول فتح حصن شلبطرة والرسالة 68 حول الهزيمة في العقاب والرسالة رقم 85 حول تجديد الهدنة مع قشتالة، ومنها ما يتعلق بالظروف الداخلية والصراعات داخل الأسرة الحاكمة.

5 ــ رسائل العطاء الجزيل :

إن رسائله التي ترتبط بهذا الفصل هي كما يلي :

• الرسالة رقم 77 **من إبراهيم بن الخليفة يوسف والي إشبيلية إلى «القمط نونه»** الوصي على عرش قشتالة يخبره بوصول الوفد القشتالي إلى اشبيلية في محاولة عقد الهدنة. وردت هذه الرسالة في العطاء (ص 18) وهي غير مؤرخة، ويرجّح أن يكون تاريخها ما بين أواسط سنة 611 وأواسط 612، ففي أواسط 611 (خريف 1214) مات الفونسو القشتالي وأصبح الملك الطفل هنري تحت الوصاية[21] ودخلت البلاد في حرب أهلية أو كانت على أبوابها، ومن مصلحتها البحث عن الهدنة مع الموحدين، وفي أواسط 612 كان والي اشبيلية لايزال هو إبراهيم بن الخليفة يوسف الذي كتبت عنه هذه الرسالة وسيموت في أواسط شعبان من نفس السنة[22]. فأهمية هاته الرسالة أنها تؤكد أن الطرف المبادر لطلب الهدنة هو قشتالة، وهذه الرسالة تتكامل مع بعض رسائل المخطوط الخاص (ص 315–318) وهي تحت رقم 78، و(ص 349–352) ورقمها 79 و(ص 352–353) ورقمها 80 في قسم الرسائل.

• الرسالة رقم 97 **عن الخليفة المستنصر إلى والي اشبيلية المذكور** سابقا يبشر بمقتل الثائر

(20) لم نتمكن بعد من تفحص المصادر الإسبانية بالنسبة لهذه الفترة.

(21) في سنة 1215 أصبح البارو نونيزدي لارا وصيا رسميا على الملك الطفل هنري إلى جانب برنجاريا أخت الملك (اشباخ 387–388).

(22) العطاء ص 79 (لم تنشر هذه الرسالة ضمن المجموعة الجديدة).

بلاد جزولة، وردت في زوائد العطاء (ص 11-12) وهي مؤرخة بـ21 ربيع الآخر سنة 612 ويتخللها بعض البتر، وتعتبر من أقصر الرسائل الموحدية في هذا المخطوط على غير عادتها[23]. وهذه الرسالة تتكامل مع رسائل المخطوط الخاص : رقم 98 (ص 325-327) ورقم 99 (343-345) ورقم 100 (359-362) ورقم 101 (362)، وجميعها تبرز خطورة هذه الثورة ومدى الفرحة الكبرى بالقضاء عليها، وهو نفس ما يشير إليه صاحب المعجب (328-329).

• يتضمن أيضا مخطوط العطاء رسالتين تتعلق الأولى بنعي والي إشبيلية المذكور إبراهيم ابن الخليفة يوسف إلى وزير الخليفة المستنصر وهي مؤرخة بـ 16 شعبان 612[23]، وتتعلق الثانية بتعيين وال جديد خلفا له وهو أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة المنصور، وهي صادرة عن المستنصر ومؤرخة بـ 21 رمضان 612 (رقمها في قسم الرسائل 105). إن هاتين الرسالتين تؤكدان ما ذكره صاحب المعجب من موت إبراهيم بن يوسف في شهور سنة 612 (ص 330)، وتصححان خطأ صاحب البيان المغرب (243) الذي يجعل بدء ولاية إبراهيم ابن المنصور على اشبيلية سنة 611.

• **رسائل عن عيث القبائل العسكرية بالأندلس،** وهي أربع رسائل في «العطاء» كلها تسمي الجماعات العائثة باسم «فلانة» : الأولى من والي إشبيلية إلى الوزير ابن جامع رقمها 90 (ص 167-169 في العطاء) وهي غير مؤرخة، والثانية من الوالي إلى القائد أبي القاسم بن مثنى رقمها 91 (ص 169) والثالثة مؤرخة بـ 20 محرم 612 وهي موجهة فيما يبدو إلى الوزير المذكور ورقمها 92 (ص 169-170)، والرابعة غير مؤرخة رقمها 93 (ص 170-171 من العطاء أيضا)، وتتكامل معها رسائل في المخطوط الخاص وهي رقم 79 (349-352) ورقم 94 (322-325) ورقم 95 (347-348 من صفحات المخطوط الخاص)، ثم تأتي بعد ذلك رسالة العطاء حول استدعاء الخليفة لجند كومية ورقمها 96 (ص 7 من المخطوط)، وهي مؤرخة بـ 13 شعبان سنة 616 ! ويبدو أن هناك خطأ في هذه السنة فالمؤلف البلوي يصرح بأنه بدأ تأليفه في شعبان 610 وانتهى منه في شعبان 613، وأن معظم ما كتبه كان خلال السنة والنصف (611-612) التي كتب فيها عن والي اشبيلية السيد إبراهيم بن الخليفة يوسف[24]، وبما أن ترتيب الرسالة بالمخطوط في الفصل الخامس عشر من الفصول العشرين يجعلها أقرب إلى النهاية وليس إلى البداية[25] **فإن الرسالة لا يبعد أن يكون تاريخها** هو شعبان 611 أو شعبان 612 وهذا أقرب إلى الصواب مادام التشكي

(23) هل كان هذا أيضا من نتائج هزيمة العقاب التي حطمت كبرياء الموحدين ؟ فرسائل ما بعد «العقاب» (أو ما بقي منها على الأقل) أقصر من رسائل الفترة السابقة.

(24) العطاء (171-172).

(25) إن البتر في المخطوط يشمل الفصول من الأول إلى خلال الفصل الخامس عشر.

مستمرا من عيث «فلانة» إلى مطلع هذه السنة[26].

هذه الرسائل تبرز الدور السلبي الذي أصبح للقوات العسكرية بالأندلس بعد هزيمة العقاب حيث تؤكد الخلل في الجهاز العسكري والعجز عن ضبطه وهذا مرتبط أيضا بتأثيرات الهزيمة على الوضع الداخلي بالمغرب، وإن إهمال المصادر العربية لمخلفات الهزيمة بالأندلس يعطي أهمية خاصة لمثل هذه الرسائل[27].

6 ـــ رسائل ابن عميرة :

إن شهرة ابن عميرة كأديب ساعدت على استعمال بعض رسائله كنماذج للكتابة الأدبية ومنها المراسلات الرسمية، وبالنسبة لهذه المراسلات التي تهم الدولة الموحدية نجدها موزعة كما يلي :

• رسالة كتبها عن **السيد أبي زيد صاحب بلنسية إلى الخليفة المستنصر حول لاجىء أرغوني** (رقمها 107)، هذه الرسالة نقلها القلقشندي في صبح الأعشى ج 6/ (534-535) مع خلط في التقديم ـــ حسب المطبوع ـــ كما أن مخطوطا لرسائل ابن عميرة بالخزانة العامة بالرباط (ك 233) يحتفظ بهذه الرسالة التي أمكن بها تصحيح ومقارنة رسالة صبح الأعشى خاصة بالنسبة لاسم اللاجىء، غير أن الرسالة في المصدرين خالية من التأريخ[28].

وأهمية هذه الرسالة أنها توضح خطأ ما ذهب إليه ابن خلدون من اعتباره كوْن ولاية أبي زيد بدأت بعد موت المستنصر[29]، كما تظهر هذه الرسالة عدم الاستقرار الداخلي في أرغون وكان هذا بسبب التنافس على العرش منذ وفاة بيدرو الثاني في أعقاب معركة العقاب فتكرر عرض «الخدمة» من هذا النبيل الأرغوني أكثر من مرة على سلطة بلنسية الموحدية[30].

• رسالة كتبها أيضا ابن عميرة عن السيد أبي زيد توجد ضمن مخطوط (مجموع) يضم

---

(26) الرسالة رقم (92)، انظر أيضا في الدراسة التاريخية بهذا الفصل (ص 190-194).
ومما ساعد على تحديد تأريخ هذه الرسائل نسبيا المقارنة بين الرسالة المؤرخة بعشرين محرم 612 (21 مايو 1215) وبقية الرسائل الأخرى التي كتبها البلوي عن نفس الوالي إلى وفاة هذا في منتصف شعبان 612.

(27) انظر أيضا الدراسة التاريخية في نفس الفصل والصفحات المذكورة.

(28) رجح الأستاذ بن شريفة في دراسته عن ابن عميرة أن تاريخ هذه الرسالة قد يكون سنة 618 (ص 90)، غير أن برسلو طوريس Barcilo Torres يرجح نفي «بلاسكو دي ألاكون» إلى أرض المسلمين في خريف 1223 (أي الأشهر الأخيرة من سنة 620) معتمدا في ذلك على أنه منذ هذا التاريخ لا يذكر وجوده بأرغون، (مقال عن السيد أبي زيد بمجلة «أوراق» العدد الثالث سنة 1983 ص 103، نشر المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، المقال بالاسبانية).

(29) العبر 360/4.

(30) انظر أيضا الصفحة 195 من هذا الفصل.

السفر الأول من رسائل ابن عميرة (رقمها 108)[31] والرسالة موجهة من بلنسية إلى الخليفة عبد الواحد (المخلوع)، وهي غير مؤرخة، ولكن موضوعها قد يساعدنا على تقدير تاريخها نسبيا، فهي تعبر عن بيعة أهل بلنسية لهذا الخليفة ونحن نعلم أنه بويع في يوم 13 من ذي الحجة 620[32] ونازعه في أمر الخلافة عبد الله بن المنصور (العادل) والي مرسية في 13 صفر 621، ولعل تاريخ هذه الرسالة لا يخرج عن حدود هذه الفترة أي من أواسط ذي الحجة إلى أواسط صفر (مدة شهرين).

وتظهر **أهمية هذه الرسالة** في كونها الوحيدة ــ من الرسائل الرسمية المعروفة إلى الآن ــ عن عهد الخليفة عبد الواحد المخلوع[33]، كما قد تلمح إلى خلاف في البداية حول من يخلف المستنصر وذلك في عبارة : «فانقلب حاسر الرجاء دارعا ومتطاول الأمل بارعا، وعاد الناس بشرى....»[34] وتصرح بإحدى وسائل الاعتراف بالخليفة وهي خطبة الجمعة كما هي العادة في العالم الإسلامي.

• وبالنسبة للرسالة رقم 115 الصادرة عن السيد أبي زيد من إنشاء ابن عميرة حول فتح حصن «بشج» فإنها تطرح مسألة عدم تأريخها، فهي كما يتضح من عباراتها موجهة إلى المأمون أيام خلافته التي ابتدأت باشبيلية في شوال 624 وقد بقي بها حوالي سنتين، وفي أوائل هذه المدة تم فتح هذا الحصن الواقع على الثغور بين ولاية بلنسية ومملكة أرغون[35].

• وتضمن السفر الأول من رسائل ابن عميرة أيضا رسالة كتبها عن السيد أبي زيد ببلنسية إلى الخليفة المأمون كما يتضح من التقديم للرسالة في المخطوط[36]، وكما يتضح أيضا من عبارة داخل الرسالة وهي «الخلافة العلية المأمونية». إن الرسالة تلمح إلى الاضطراب في شرق الأندلس وخاصة حول قضية مرسية التي يبدو أن ابن هود كان استولى عليها وأخذ يحاول مد نفوذه إلى الجهات المجاورة مثل لورقة وميورقة، وكانت ثورته بمرسية في أول رمضان سنة 625، وتلمّح الرسالة أيضا إلى فشل الحصار الموحدي لمرسية وهو الحصار الذي قام به المأمون بنفسه في ما يبدو، وتتضمن الرسالة إظهارا لاستمرار أبي زيد على الولاء رغم

---

(31) وهذا السفر هو من مصورات الخزانة العامة (ضمن مخطوطات جائزة الحسن الثاني لسنة 1981) تحت رقم 4502/د، الورقتان 3 و4.

(32) البيان 247 والقرطاس 243.

(33) هناك رسالة خاصة وجهها ابن سعيد (والد صاحب «المغرب في حلى المغرب») عن نفسه من إشبيلية إلى عبد الواحد وهو بمراكش يهنئه بتوليه منصب الخلافة وقد سبق أن كان كاتبا له. (نفح الطيب 362/2-364، ومخطوط خ ع/ك 233 (ص 114-116).

(34) انظر في الدراسة العامة بهذا الفصل ص 160، وراجع المعجب ص 329-330.

(35) انظر بقية التفاصيل في الدراسة العامة بهذا الفصل ص (194-195).

(36) مخطوط (مصور) خ ع الورقة 41-42، ورقم هذه الرسالة 116 (م ج).

التهم الموجهة إليه، وهو في نفس الوقت يطلب الدعم لمواجهة أعدائه وخاصة ابن هود في جنوب ولايته. هذه الرسالة غير مؤرخة ولكن يمكن حصر تاريخها بين ثورة ابن هود في أول رمضان سنة 625 وتاريخ ثورة ابن مردنيش ببلنسية على السيد أبي زيد في 25 صفر سنة 626. **فأهمية الرسالة** تظهر في كون أبي زيد الذي قيل عنه أنه كان حليفا للنصارى منذ أيام العادل نجده مرتبطا بالمامون ولو شكليا، وربما لم يتحول عن الولاء له إلا بعد ثورة ابن مردنيش ببلنسية وتزايد نفوذ ابن هود بانتقال المامون إلى المغرب وانشغاله بمشاكله[37].

• أمّا بالنسبة لرسائل **ابن عميرة في عهد الخليفة الرشيد،** فنجد ظهيرا كتبه عن هذا الخليفة بالتوقير للمسمى الشيخ أبي بكر بن أبي الحسن بن غالب، ورد في مخطوط «زواهر الفكر»[38] والظهير مؤرخ بجمادى الآخر سنة 637.

كما نجد ظهيرا آخر كتبه ابن عميرة عن نفس الخليفة يسمح لأهل شرق الأندلس بالاستقرار برباط الفتح وهو مؤرخ بـ 21 شعبان 637 في زواهر الفكر المذكور (الورقتان 115-116)، بينما هو محذوف التاريخ في مخطوط رسائل ابن عميرة : ك 232 (ص 118-120)، ووجود هذا الظهير في كل من السفر الأول لهذا المخطوط وفي «زواهر الفكر» يساعد على المقارنة بين نصّيه[39]. وترجع **أهمية هذا الظهير** إلى كونه يشير إلى ظروف أول استقرار أندلسي برباط الفتح.

كما كتب ابن عميرة عن أهل سلا ــ ربما أيام قضائه بها وبرباط الفتح ــ رسالة جوابية على رسالة الخليفة الرشيد المبشّرة بوصول بيعة أهل تلمسان. **وأهميتها** تظهر في عنصرين : الأول في تأكيد عودة تلمسان إلى السيادة الموحدية ولو اسميا، وهذا ما تذكره بعض المصادر بإشارتها إلى تبادل الهدايا بين يغمراسن والرشيد في وقت ازداد فيه على الأول خطر الحفصيين، والعنصر الثاني يظهر في التلميح إلى أهمية تلمسان التجارية : «... وفاخرُ متاعها لا يضاهيه المتاع...». والرسالة غير مؤرخة، ويرجح أن يقع تاريخها ما بين 638 و640، فابن عميرة كان في سنة 637 كاتبا للرشيد ثم نقل إلى قضاء هيلانة، ثم قضاء سلا ربما سنة 638، وبما أن الرشيد توفي سنة 640، فتاريخ هذه الرسالة في الغالب لا يتقدم عن سنة 638 ولا يتأخر طبعا عن سنة 640[40].

---

(37) انظر أيضا الدراسة التاريخية ص (194-195).

(38) مخطوط «زواهر الفكر وجواهر الفقر» بالأسكوريال تحت رقم 520 (ضمن الفهارس العربية)، وهو مصور بالخزانة العامة على شريط، ويقع نص هذا الظهير على الورقة 16، ورقمه في قسم الرسائل 122 (م ج).

(39) يوجد الظهير في قسم الرسائل تحت رقم 123 (م ج).

(40) انظر الدراسة التاريخية بهذا الفصل ص (207-209).

7 ـ رسالة الخليفة الموحدي إلى شيخ بني أمغار (رقم 114 م ج) :

وردت هذه الرسالة ضمن كتاب «بهجة الناظرين...» لمحمد بن عبد العظيم الأزموري في ثلاث نسخ بالخزانة العامة بالرباط ثم نسخة بالخزانة الحسنية، ويتضح منها التناقض بين أمرين : بين نسبة الرسالة للناصر وبين تاريخ الرسالة وهو سنة 625، فهناك ما يبعد صحة النسبة للناصر :

ـ فهذا توفي سنة 610 بإجماع المصادر التاريخية.

ـ والناصر لم تكن له غير حركة واحدة إلى الأندلس انتصر خلالها في شلبطرة ثم عاد إلى المغرب بعد الهزيمة في «العقاب»، بينما تتحدث الرسالة عن الانتصار وقرب العودة إلى المغرب، فالواقع أن الناصر عاد بعد الهزيمة وليس بعد النصر.

ـ فلم تكن هناك غزوة أخرى من الناصر للنصارى أعقبها صلح بين الطرفين على عكس ما في الرسالة.

ـ ان شيخ بني أمغار زمن الناصر هو أبو يعقوب يوسف المتوفى سنة 614[41]، وقد خلفه في المشيخة على بني أمغار ورباط طيط أخوه أبو عبد الخالق بن أبي عبد الله المذكور في الرسالة.

بينما هناك من الإشارات ما يقرّب صحة التاريخ الوارد في الرسالة أي نسبتها إلى المامون بن المنصور :

ـ ففي الرسالة تلميح إلى أخذ الحكم وليس وراثته، فالخليفة ينتقد عهد سلفه : «ولم نتكلّف حمْل هذه الأمانة... حتى وجدنا تلك الأساس منهدّة...» وهذا لا ينطبق على نهاية عهد المنصور وبداية عهد الناصر، بينما يمكن أن ينطبق على عهد العادل والمأمون.

ـ في الرسالة عبارة «كان العدو قد كلب بالفتنة...» وهذه متناسقة مع ما نعرفه عن تسلط القشتاليين وحليفهم البياسي على أرض الأندلس. وبعد محاولات المأمون أمكن القضاء على البياسي والصمود ولو نسبيا في وجه القشتاليين «فانقبض تبسط (العدو)... فأمنت السبل...».

ـ تشير الرسالة إلى صلح بين الخليفة و«العدو»، ويمكن أن ينطبق هذا على الهدنة التي تمت بين المأمون والقشتاليين[42].

(41) حسب التشوف (ص 445)، ولا يعقل أن يجتمع أبو عبد الخالق في المشيخة أو المكانة الروحية مع أخيه أبي يعقوب يوسف الذي حضر جنازته عند وفاته سنة 614 نحو من 15000 شخص (المصدر).

(42) يجعل اشباخ تاريخ هذه الهدنة سنة 1227 أواخر سنة 626 (تاريخ المرابطين والموحدين 494)، وليس مستبعدا أن تكون الهدنة التي أشارت إليها الرسالة هدنة أولى وقعت سنة 625 ثم وقع تجديدها بعد ظهور مشكل ابن هود ورغبة المامون في الجواز إلى المغرب.

ــ توجد في الرسالة الإشارة إلى نية العودة إلى المغرب، لكن إذا حدث طارىء كثورة ابن هود التي وقعت في رمضان 625[43]، يمكن أن يتأخر تاريخ العودة فلم تحدث إلا أواخر سنة 626، وربما كان المأمون ينتظر أيضا توصله بالمرتزقة من القشتاليين بالخصوص، وينتظر أيضا تزايد أنصاره بالمغرب الأقصى على حساب منافسه المعتصم ابن الناصر. ويبدو أن بني أمغار كانوا من الذين يعملون لصالح الدعاية للمأمون خاصة إذا اعتبرنا حديث صاحب «البهجة» (ص 36-37)[44] عندما يتحدث عن صراع بين السادة على الخلافة «فأيد الشيخ أبو عبد الخالق الخليفة الناصر (كذا، والصواب : المامون) باشبيلية وشجعه على المجيىء إلى مراكش، فلما جاز تمكن من دخول مراكش والاستيلاء على المغرب دون تعب». ونحن نعلم أن الناصر كان ولي العهد للمنصور رسميا[45]، ولا تتحدث المصادر عن وجوده بالأندلس عند وفاة أبيه ولا عن أية صعوبة لوصوله إلى منصب الخلافة. أما مقتل العادل فقد أدى فعلا إلى وجود متنافسين على العرش هما المأمون بن المنصور باشبيلية ويحيى المعتصم بن الناصر بمراكش، وكان المأمون يراسل أهل المغرب ليكثر من أنصاره.

وهكذا نجد خلطا في الأسماء داخل الرسالة وخارجها ضمن كتاب «البهجة»[46]، وتجعلنا المقارنات السابقة نرجّح صحة تاريخ الرسالة واعتبارها صادرة عن المأمون بن المنصور وليس عن الناصر بن المنصور، أي أن الخلط وقع بين اثنين من أبناء المنصور.

وأهم ما يمكن أن تظهره الرسالة ــ ولو تلميحا ــ هو وجود دعم مشترك بين السلطة وشيوخ بني أمغار، وقد كانت لهم رابطة في طيط بنواحي أزمور[47]، ونلاحظ هذه العلاقة أيضا بين أحد مشايخهم والأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين[48].

---

(43) بينما الرسالة مؤرخة بشعبان 625.

(44) من النسخة ج/ 896 بالخزانة العامة.

(45) انظر البيان 211، والرسالتين 40 و41 (في قسم الرسائل) وخصوصياتهما في الفصل الأول من البحث (بالقسم الأول).

(46) ففي نسخة ج/377 (خ ع) يذكر في تقديم الرسالة اسم «يوسف بن أمير المومنين عبد المومن»، وفي نصها «من أمير المومنين بن أمير المومنين أيده الله بنصره» أي الخليفة يوسف بن عبد المومن.

(47) هل هذا التدخل في الشؤون السياسية هو الذي أدى إلى إبعاد أحد أقطاب هذه الأسرة خارج منطقته حيث استقر به المطاف أخيرا بفاس ؟ (أسرة المليلي، بيوتات فاس 47-48)، البحث العلمي 1964-1965) والملاحظ أن د. الشيخلي في مقاله عن بني امغار الصنهاجيين لم يميز بينهم وبين بني أمغار عائلة المهدي بن تومرت، البحث العلمي 33/ ص 178 (سنة 1982).

(48) انظر رسالة في «بهجة الناظرين» عن هذا الأمير إلى شيخ بني أمغار أبي عبد الله محمد ص 30-31 من نسخة خ ح رقم 1358، وانظر أيضا الصفحة 34 بنفس النسخة عن علاقة الشيخ مع المنصور.

8 ـــ رسائل مخطوط يحيى (الملحق الأول) :

أ ـــ الخصائص العامة : يتضمن ما بقي من المخطوط رسائل تعيينات للولاة والعمال وكذلك للقضاة، عددها الكلي 75 رسالة منها 47 من الصنف الأول و28 من الصنف الثاني :

1 ـــ رسائل تقديم الولاة والعمال والقادة والشيوخ :

* **من حيث حجمها** : هي رسائل من النوع المتوسط في معظمها بالمقارنة مع بقية رسائل العهد الموحدي (على الأقل ما بقي من هذه التقاديم)، ويبتدىء المخطوط برسالة مبتورة، ويتضح من خلال ملاحظات جامع الرسائل في الصفحتين 7 و61 من المخطوط أن هناك رسائل أخرى مفقودة في أول المخطوط وفي آخره. كما أن البتر أصاب أغلبية الرسائل وخاصة فيما يتعلق ببداياتها (صدورها). هذا النوع من تقاديم الولاة يمتد إلى الصفحة 60 من المخطوط.

* **بالنسبة للجوانب المهملة** : فإن البتر في صدور الرسائل حرمنا من معرفة الجهة التي صدرت عنها التولية، كما أن البتر في نهايات جلّ الرسائل ضيّع علينا معرفة تاريخ التعيينات (هذا إن كانت جميعها في الأصل مؤرخة). أما الشخص المولّى والجهة المولّى عليها فيُذكران في كل رسالة تقريبا باسم (فلان) أو (أبي فلان) والجهة «فلانة»[49]. وأمام هذا الوضع من الصعب علينا إعادة ترتيب الرسائل بشكل مخالف لما في المخطوط، غير أنه يمكن تحديد الإطار الزمني العام لها حيث تمتد على الأرجح من عهد ولاية أبي العلَى (المامون) بالأندلس نائبا عن الخليفة العادل إلى خلال عهد المرتضى.

* **ما تتضمنه الرسائل :**

ـــ الإشادة بالمولّى على البلد أو القبيلة، والإشارة أحيانا إلى أنه مجرّب في عمله، ومعروف في «حزب التوحيد»، وفي نصحه لخدمة الدولة.

ـــ التوصية له بتقوى الله والعمل بطاعته، والحرص على حماية البلد وأهله من «المفسدين» ومحق «أهل الشر والفساد»، وأحيانا حث الناس على «إقامة وظائف الدّين».

ـــ النظر في المصالح والأشغال أو «الأشغال المصلحية والأعمال المخزنية» أو ضبط الجباية أو استيفاء «الواجبات المخزنية» أو «حقوق المخزن»، وبعضهم كُلّفوا باستيفاء واجبات «المخزن» وواجبات «المختص»[50]، بحيث يبرز هنا نوع من الجباية ذكره غير معتاد.

ـــ الأمر برفع «المظالم والمستحدثات» أو «إزالة المحدثات والمظالم» أو «إزالة المحدثات الجورية»،

---

(49) انظر الجوانب الفنية في الرسائل ضمن مقدمة الجزء الأول من «رسائل موحدية».

(50) وذلك في تقديم عن الخليفة المعتضد (ص 55 من المخطوط) يشير إلى مجابي المخزن والمختص وتقديم عن المرتضى ـــ فيما يبدو ـــ يذكر «أشغالكم المخزنية وأعمال مجابيكم المختصية» (ص 57-58 من المخطوط). انظر ص (243-244) والهامش رقم 143.

ومثل هذه العبارات وردت في تقاديم يرجح أنها عن المرتضى[51].

ـ يسمى المولّى أحيانا **واليا**، ويبدو أنه صاحب الإشراف العام على الولاية، وأحيانا **عاملا**، وتذكر الرسائل أن من مهامه حماية المنطقة وتأمينها من جهة، ومن جهة أخرى مراقبة «الأعمال المخزنية» أي ما يهم مخازن الدولة. ويسمى المولّى أحيانا **ناظرا في المجبى**، ويشار إلى أن مهامه جبائية وأحيانا حماية البلاد أيضا. وقد يسمى المولّى أحيانا **قائد عسكر**، ومهمته الأساسية أمنية وأيضا جبائية، وهناك رسالة تقديمية **لقائد على الأسطول وأشغال البحر**[52]، كما يسمى أحيانا **شيخ قبيلة**، وهنا لا تذكر مسألة المجابي ربما لأن هذه التعيينات تتعلق بالقبائل العسكرية المعفاة من الضرائب.

وهكذا نلاحظ في هذه الرسائل التركيز على المهام المالية والأمنية للمقدمين على الجهات، أما اختلاف التسميات فربما يعود إلى اختلاف أهمية المنطقة المولى عليها من جهة وأهمية الشخص المولى من جهة أخرى[53].

* **تاريخ رسائل الولاة** : لم تتضح بعد منهجية مضبوطة لتنظيم هذه الرسائل[54]، ولكننا نفترض توزيعها كالآتي :

ـ التقاديم الثلاثة الأولى في المخطوط (من الصفحة 2 إلى الصفحة 6) صادرة عن الخليفة الرشيد، لا تتأخر عن عهده مادامت هذه الرسائل قد جمعها (يحيى) من المصدر الذي يسميه «المجموع»، فرسائل تولية القضاة التي أخذت من هذا «المجموع» لا تتجاوز عهد الرشيد إلى من بعده (الرسالتان ص 75-77 من المخطوط)[55].

ـ التقاديم الثلاثة اللاحقة (من الصفحة 7 إلى ص 17 من المخطوط)[56] : أولاها عن المأمون عندما كان واليا بقرطبة أي في عهد الخليفة العادل (621-624)، وثانيتها عن ابن هود (والدعوة فيها للعباسيين)، والأخيرة صادرة عن الخليفة المرتضى إلى سبتة وهي مؤرخة بسنة 648. ويبدو أن هذه الرسائل الثلاثة خاصة بالولاة أي أكابر الموظفين في الولايات فرتبت زمنيا مع بعضها كما في المخطوط.

---

(51) هذه الصفة قد تتفق مع إشادات بعض المصادر بسلوك المرتضى (البيان 452-452 والرسالة 127 م ج) وقد تكون صادرة في بدايات تولي المنصب الخلافي من طرفه أو ممن قبله كالمامون والرشيد والسعيد.

(52) سنعود لهذا في الصفحات اللاحقة.

(53) هناك تمييز في مراتب الأشخاص المولَّين كما يلاحظ ذلك من اختلاف عبارات التقدير لبعضهم.

(54) ذلك أن جامع الرسائل يذكر أنه أخذ بعضها من «المجموع» أو «المبيضات» وبعضها من غير المبيضات.

(55) وهما التقديمان 57، 58 في الملحق الأول.

(56) هي التقاديم 4، 5، 6 في الملحق الأول.

ـــ فيما بين الصفحتين 17 و49 من المخطوط[57] توجد تقاديم للعمال ولناظر في المجبى وقواد العساكر (وتقديم عن ابن هود مؤرخ بسنة 635)، هذه الرسائل وعددها 28 (دون اعتبار رسالة ابن هود) ربما معظمها صادر عن المأمون وعن الرشيد بالخصوص.

ـــ فيما بين الصفحتين 49 و51 من المخطوط هناك رسالتان لإقرار واليين في مهمتيهما[58].

ـــ ثم أربع تقاديم خاصة بشيوخ القبائل معظمها فيما يبدو عن المرتضى[59]، توجد هذه التقاديم على الصفحات من 51 إلى 55 من المخطوط[60].

ـــ ثم رسالة عن المعتضد في تعيين ناظر المجبى (الصفحة 55 من المخطوط في التقديم رقم 42).

ـــ أما بقية التقاديم الستة (ص 55—60 من المخطوط)[61] فواحدة منها صادرة عن المعتضد، وأربعة صادرة عن المرتضى صراحة وواحدة ترجيحا، والمقدّمون في هذه التقاديم «عمال» ومقدمون على «أشغال المخزن».

* **أهمية تقاديم الولاة والعمال** : تظهر بعض هذه الأهمية من خلال تصنيف المقدّمين حسب مهامهم وهو تصنيف تقريبي وغير نهائي :

الصنف الأول : ولاة أو عمال يشار تصريحا أو تلميحا إلى **تفردّهم** بمهامهم، أو لا يشار إلى إشراك أي أحد معهم فيها فيجمعون بين «الأعمال المصلحية» وخاصة ما يتعلق منها بالأمن، وبين «الأشغال المخزنية» وخاصة ما يتعلق منها بالمجابي.

وهكذا فإن الرسائل التي **لا تشير إلى أي اشتراك في المهام** نجدها كالآتي :

ـــ رسالة تقديم لوال هو الشيخ «أبو فلان أدام الله كرامته»، ومهمته النظر في المصالح والأشغال (ص 7—8 المخطوط أي التقديم رقم 4).

ـــ رسالة تقديم العامل «فلان، وصل الله أثرته وكرامته... الشهير في الموحدين بيتا ومنصبا بين أشياخ الموحدين..» ومهمته النظر في الأشغال المصلحية والأعمال المخزنية (ص 17—18 من المخطوط، التقديم رقم 7)[62].

ـــ رسالة تقديم «فلان» لتولي الأمور المصلحية والأشغال المخزنية (أي المصالح كلها وتأمين البلاد) ورفع المستحدثات (ص 18—19 من المخطوط = ت 8).

---

(57) هي التقاديم من 7 إلى 35.

(58) لعلها عن المعتضد أو المرتضى وهما التقديمان 36، 37 من الملحق الأول.

(59) هذا استنادا إلى المقارنة بين تلميحاتها وما ورد في البيان عن عهد المرتضى.

(60) التقاديم من رقم 38 إلى 41 في الملحق الأول.

(61) التقاديم من رقم 43 إلى 48 في الملحق الأول.

(62) سنرمز للتقاديم الموجودة على صفحات المخطوط أيضا بالرمز (ت) مع رقم التقديم.

ـ تقديم «فلان... الجليل في الموحدين مقداره» لجميع الأشغال المصلحية وكافة الأعمال المخزنية وإزالة المحدثات (ص 19-20 من المخطوط = ت 9).

ـ تقديم «فلان» للنظر في الأشغال المصلحية والأعمال المخزنية ورفع المستحدثات من الأسواق والأبواب (ص 21-22 من المخطوط = ت 10).

ـ تقديم «فلان» عاملا ينظر «في الأعمال كلها» (ص 26-27 من المخطوط = ت 14).

ـ تقديم «فلان وصل الله عزته» على البلاد كلها، ومهمته إقامة شغل البلاد ومصالحها وتأمينها (ص 38 من المخطوط = ت 23).

ـ تقديم «أبي فلان» للنظر في الأمور المصلحية وضبط الأشغال المخزنية (أي التأمين واقتضاء المجابي)، (ص 39-40 = ت 25).

ـ تقديم «فلان» للنظر في الأعمال وضبط الأشغال (المخزنية)، (ص 40-41 = ت 26).

ـ تقديم «فلان وصل الله مبرّته..... له سلف في حزب التوحيد»، مهمته تولي الأشغال كلها والنظر في المصالح أكثرها وأقلها (ص 43-44 من المخطوط أيضا = ت 29).

ـ إعادة تقديم «أبي فلان» لينظر في الأمور المصلحية والمخزنية (ص 51 من المخطوط = ت 27)[63].

أما الرسائل التي **تنص على التفرد بالأشغال** المصلحية والمخزنية أو إلى «التقديم **المطلق**» أو «**التام**».... على هذين النوعين من المهام فهي موجودة بالمخطوط كالآتي :

ـ رسالة تقديم فيها التفويض للمقدّم بالنظر في أشغال البلد.... واختيار الحافظ والقاضي والعامل (ص 2-3 من المخطوط = ت 1).

ـ تقديم عن المرتضى للعزفي «أدام الله كرامته و.....» على سبتة مفوضا إليه سائر شؤون بلده (ص 11-17 = ت 6).

ـ تقديم «لفلان» تقديما مطلقا في الأشغال المصلحية والأعمال المخزنية وضبط الثغر وحماية النواحي وإزالة المحدثات الجورية (ص 22-23 = ت 11).

ـ تقديم «لفلان» تقديما تاما للأشغال المصلحية والأعمال المخزنية وضبط الثغر..... ورفع المظالم (بعد عودة البلد إلى طاعة الموحدين) (ص 23-25 = ت 12).

ـ تقديم العامل «فلان وصل الله كرامته» على الأمور المصلحية والأعمال المخزنية والتولي للشغلين معا ورفع المحدثات والمظالم (ص 29 = ت 16).

(63) يشار أيضا في الرسالة التقديمية عن ابن هود (ص 9-11 = ت 5) إلى تقديم وال يستبد بنظره عن المشارك والمنازع.

ـــ تقديم «فلان وصل الله إعانته وإنجاده» واليا على البلاد القبلية للأشغال والمجابي و«المصالح بالكلية» أو «المصالح على الاطلاق» (37–38 = ت 22).

ـــ تقديم «أبي فلان أدام الله كرامته» على المصالح والأعمال وإفراده في الأشغال.... وإزالة المحدثات ورفع المظالم (ص 42–43 = ت 28).

ـــ تقديم الوالي «الشيخ أبي عبد الله أنجده الله» ولسبقه لإعلان البيعة في البلد المقدم عليه، ينفرد بتولي الأشغال (49–51 من المخطوط = ت 36).

والملاحظ أن نصف المقدمين في رسائل هذا الصنف هم من شيوخ الموحدين إما تصريحا أو بالدعاء المناسب بعد ذكر اسم كل منهم بعبارة مناسبة مثل «أدام الله كرامته» أو «وصل الله أثرته» أو «هو الجليل في الموحدين قدره».....

الصنف الثاني : ولاة أو عمال مشرّكون مع غيرهم في المهام «المخزنية» (المالية)، فبالإضافة إلى الموظف المعين للجباية يكلّف الوالي أو العامل ـــ وهو هنا عادة من أشياخ الموحدين ـــ باشتراكه مع ناظر الجباية على أساس مراقبة الأول للثاني في ما يبدو[64] ومن المرجح أن هذا النظام كان مخصصا لبعض المدن المهمة تجاريا خاصة في الجنوب، وهناك فعلا رسالة تقديم لعامل بسجلماسة له النظر في «أشغال المجبى.... مع من يتعين لها»، وهذا زيادة على مهامه الأمنية (ص 30–31 من المخطوط = ت 17)[65]، ورسالة أخرى تتحدث عن ضرورة إصلاح سور البلد المحيط بنخله تحت إشراف المقدمين على البلد (34–36 = ت 20)، وهناك رسائل من هذا النوع على الصفحات 28 و(31–32) و(32–34) من صفحات المخطوط : (ت 15 و18 و19)[66].

الصنف الثالث : تقاديم **لقواد على العساكر أو الأسطول** وهم من نوعين : نوع يحمّل المسؤولية كاملة من حيث **المصالح والأمن** ومن حيث **المَجابي** كتقاديم الصنف الأول، ومن ذلك تقديمان :

ـــ «تقديم قائد على الأسطول وأشغال البحر»، والمقدم هنا «فلان.... خالصة الموحدين»، له الإشراف على مهام البحر وعلى الديوان والسكة والمواريث والزكاة (ص 4–5 من المخطوط = ت 2).

---

(64) في إشارة لصاحب التشوف (664، ت فور) يتضح أن عامل الجباية بتادلى كان يخبر الوالي بما يجبيه، وهذا ضمن ترجمة المتوفّى سنة 615.

(65) أشار ابن الزيات إلى تدخل عامل تلمسان في تخفيض قيمة كراء إحدى المحلات التجارية بسوق العطارين لصالح المكتري (التشوف ص 473–474).

(66) هذه الرسائل الثلاث الأخيرة يمجّد فيها المقدمون بالدعاء لهم بعد أسمائهم ويذكر عملهم على أنه كفّ المفسدين واقتضاء حقوق المخزن، أما المشرّكون معهم في أشغال المخزن فلا يوجد أثر لتمجيدهم مما يبيّن الفرق بين الطرفين.

ـــ «تقديم قائد عسكر» وهو «فلان» المعروف في حزب التوحيد، مهمته الأشغال كلها والمجابي مع تأمين البلاد (36–37 من المخطوط = ت 21).

وهناك نوع من القادة يكلّفون **بالجانب الأمني** أو ما يعبر عنه بالنظر في المصالح أو إقامتها أو ردع أهل الفساد كما في التقاديم الآتية :

ـــ تقديم الوالي «فلان» للمصالح الأمنية (ص 5–7 = ت 3).

ـــ تقديم أحد الطلبة وهو «فلان... القريب القرابة....» تمهيد الأرجاء وتمكين المدنة (ص 25–26 من المخطوط = ت 13).

ـــ تقديم «أبي فلان... المعروف في حزب التوحيد» ليتولى النظر في المصالح على المدينة «المشتملة على الأجداث الطاهرة» (ص 38–39 = ت 24)[67].

ـــ تقديم «أبي فلان» لتأمين مرتفعات الطرق المسلوكة في منطقة ولايته (41–42 = ت 27).

ـــ تقديم «فلان» لتولي المصالح وردع المفسدين (ص 46 = ت 31).

ـــ تقديم «فلان» للنظر في المصالح (47 = ت 32).

ـــ تقديم «فلان... الخديم لهذا الأمر» (الموحدي) للسعي في التهدين (ص 47–48 = ت 33).

ـــ تقديم «فلان» لمحو آثار المفسدين (ص 48 = ت 34).

ـــ تقديم «فلان» للنظر في المصالح والذب عن المسارح والانشغال بالدقيق والجليل من الأعمال (ص 48–49 = ت 35).

ـــ تقديم عن المرتضى «لفلان» للنظر في المصالح والحماية وإخفاء المنكر (57 = ت 44).

ـــ تقديم عن المرتضى «لفلان» للنظر في المصالح والاشتداد على المفسدين (ص 59 = ت 47).

ويبدو أن ظروف عدم الاستقرار في المناطق المولى عليها كانت تفرض عدم ذكر الجبايات في التقاديم أو عدم فرضها، أو على الأقل تفرض عدم التصريح بها وتبقى ضمنية لأن هذه التقاديم جمهورية (أي تقرأ على الجمهور)[68].

الصنف الرابع : تقاديم لشيوخ القبائل، وتهتم بتحريض القبيلة المقدّم عليها وبقية بطونها أو جيرانها ـــ وكلها عربية فيما يبدو ـــ للتعاون مع الجيش الموحدي. ومثل هذه التقاديم **مطلقة** ولا تذكر فيها نهائيا مسألة الجبايات، ولذا نفهم بأن هذه القبائل هي قبائل عسكرية

(67) يبدو أن المقصود هي مدينة تينملل.

(68) ان التقديم عن ابن هود (أو ابن الأحمر) على الصفحتين (44–46 = ت 30) يهتم هو أيضا بالمصالح والأمن.

معفاة من الجباية مقابل خدماتها العسكرية خاصة وأن مواطنها كانت بتامسنا وتادلا حيث يسهل عليها التحول إلى التحالف مع العدو المريني، فكان الهدف هو استمالتها والاستعانة بها. هذه التقاديم توجد على الصفحات (51-52) و(52-53) و(53-54) و(54-55) من صفحات المخطوط : (ت 38 و39 و40 و41 على التوالي).

الصنف الخامس : **تقاديم لنظار الجباية وأشغال المخزن**، وهنا قد يعطي التقديم نوعا من التوضيح لاختصاصات هؤلاء الموظفين مثل «مجابي المخزن» و«مجابي المختص»[69]، وهذه التقاديم هي كما يلي :

ــ تقديم عن المعتضد لناظر في المجبى ينظر في مجابي المخزن والمختص (ص 55 من المخطوط = ت 42).

ــ تقديم عن المرتضى (سنة 657) لعامل مدعو إلى إمضاء معظم وقته في شغل المخزن «وهو أبو فلان من حزب التوحيد»، (ص 55-56 = ت 43).

ــ تقديم على أشغال المخزن يتولى صاحبه الأشغال المصلحية والمجابي المختصية (ص 57-58 = ت 46).

ــ تقديم عن المرتضى على الأعمال المخزنية و«المصلحية»، (ص 60 = ت 48).

وهكذا فإن **أهمية هذه الرسائل** التقديمية تكمن في اتفاقها تقريبا على التلميح إلى ضعف السلطة المركزية حينما تتحدث عن كثرة المفسدين وقطاع الطرق وعودة بعض الجهات إلى النفوذ الموحدي بعد تمردها.... والتفويض لبعض الولاة في الولايات البعيدة نسبيا تفويضا تاما أو شبه تام، والإشارة إلى نوعين من المجابي : «المجابي المخزنية» و«المجابي المختصية»، وإلى وجود أكثر من موظف سامي للاشراف على الجبايات والميدان المالي عامة، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى دراسة خاصة ومفصلة.

2 ــ رسائل تقاديم القضاة :

• بالنسبة لحجم الرسائل :

تبتدىء هذه التقاديم من الصفحة 61 من المخطوط إلى الصفحة 94 منه بحيث يبقى المخطوط مبتور الآخر[70]، كما أن هذه التقاديم من الحجم الصغير والمتوسط، والملاحظ عنها البتر في أولها وحذف مؤخرتها في الغالب، بينما الرسائل الكاملة تحمل تاريخ إنشائها في الأصل على الأرجح وفي معظمها.

---

(69) انظر عن مصطلح «المختص» الجانب الاقتصادي في الفصل الأخير ص 243-244 والهامش 143.

(70) لاحظ تعليق جامع الرسائل على الصفحتين 7 و21 من المخطوط (ص 416 و479 في قسم الرسائل).

• **الجوانب المغفلة في التقاديم :**

تشبه ما لاحظناه في تقاديم الولاة من إهمال ذكر الجهة التي صدر عنها التعيين نتيجة البتر في صدورها على ما يبدو كما تغفل اسم الشخص المعيّن وموضع التعيين، وتعبّر عن المعيّن بفلان أو أبي فلان وعن الموضع بفلانة أو أهل فلانة....

• **تحديد زمنها :**

تمتد فترتها من عهد المامون أيام خلافته إلى خلال عهد المرتضى : فهناك ثلاث رسائل صادرة عن المأمون صراحة واثنتان ترجيحا، وهذه الرسائل الخمسة هي الموجودة على الصفحات من 61 إلى 67 من المخطوط[71]، تليها ثلاث رسائل عن ابن هود الخاضع للسيادة العباسية اسميا من الصفحة 67 إلى 75 من المخطوط[72]، ثم رسالتان عن الخليفة الرشيد صراحة من الصفحة 75 إلى 77 من المخطوط، وليس من المستبعد أن تكون الرسائل اللاحقة بها إلى الصفحة 80 صادرة عنه أيضا[73]، يليها رسالة عن المعتضد صراحة (ص 81 = ت 65)، ولعل الرسائل التي تلي رسالة المعتضد إلى الصفحة 90[74] صادرة عنه أيضا أو عن المرتضى أو يتقاسمانها وتبقى الرسائل الثلاثة الأخيرة وهي عن المرتضى على الصفحات من 90 إلى 94 من المخطوط[75].

• **مضمّن الرسائل :**

ـــ التوضيح أو التلميح لدوافع تعيين القاضي وإظهار مكانته، والإشارة أحيانا إلى تكرر تجربته.

ـــ تحديد مهمته في مثل العبارة : «للقضاء في شرعي نوازلكم، والنظر في الدّيني من مسائلكم».

ـــ الإشارة إلى أهم الوصايا المقدمة له وتتلخص في :

* اتباع أصول الشرع الثلاثة وهي الكتاب والسنة والإجماع.
* حسن اختيار النواب والمسددين، واختيار الشهود أو العدول.
* التدقيق في الأحكام وعدم الاعتماد على الظن.
* الفصل في القضايا بالمساواة بين الناس في الحق مهما اختلفت مراتبهم الاجتماعية والمادية.

ـــ الختم بالتوصية لسكان البلد بتقديم النصح له ومساعدته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحيانا لرفع «المستحدثات».

---

(71) أي التقاديم من رقم 49 إلى 53.

(72) التقاديم من رقم 54 لى 56 (مع ترجيح صدور هذا التقديم الأخير عن ابن هود).

(73) التقاديم من رقم 57 إلى 64.

(74) التقاديم من رقم 66 إلى 73.

(75) التقاديم من رقم 74 و75 و76، أما التقديم الأخير (77) فهو مبتور في آخر ما بقي من المخطوط.

• **أهمية رسائل تولية القضاة :**

ـــ تبين هذه الرسائل أن تعيين القضاة كان من مهام الخلفاء وحدهم ــ على الأقل بالنسبة للرسائل المعلومة المصدر ــ وذلك حرصا على تطبيق الشريعة، وهؤلاء القضاة هم قضاة المدن الكبرى وهم بدورهم يختارون النواب عنهم والمسددين في الجهات، ومع ذلك هناك حالات نادرة مثل حالة المأمون خلال ولايته حيث فوض إليه أخوه الخليفة العادل أمر الأندلس فأصبح له حق تعيين القضاة بها، ونفس الحالة بالنسبة لاشبيلية زمن الرشيد وسبتة في عهد المرتضى.

ـــ تؤكد هذه الرسائل على تجنب استعمال العقل في الأمور الشرعية، وفي هذا تطبيق لرأي المهدي الذي يعتبر أن العقل ليس له في الشرع مجال[76]، ولذا تنص الرسائل دائما على ضرورة تطبيق الكتاب والسنة والاجماع أي اتباع السلف الصالح فيما لا نص فيه.

ـــ عدم التمييز بين الناس اعتبارا للثروة أو للمرتبة الاجتماعية، وهذا من الناحية النظرية. ولا ندري مدى تطبيق ذلك عمليا خاصة وأن الدولة في مرحلة الضعف حيث يصعب التوافق بين الأوامر الخليفية وتطبيقها.

ب ـــ خصائص بعض تقاديم الولاة والقواد :

• **الرسالة الأولى على الصفحتين** (2–3 : ت 1) مبتورة البداية بسبب نقص أوراق من أول المخطوط، وهي رسالة مجهولة المصدر والمنتهى والتاريخ. والإشارات الواردة فيها :

ـــ الإخبار بوصول وفد للبيعة نيابة عن البلد الموجَّهة إليه هذه الرسالة التقديمية، وبأن هذا الوفد أدى المهمة وأخذ في الإياب إلى بلده.

ـــ إقرار المخاطب في الرسالة في منصبه نظرا لدوره في توجيه هذه البيعة والتفويض له بالنظر في «أشغال البلد وما يرجع إليه وما يمكن أن يرجع إليه» فيما بعد، ومن حقه اختيار «الحافظ[77] والقاضي والعامل».

ـــ الإشارة إلى الاهتمام الخاص «بتلكم الجزيرة[78] التي الاسلام بها غريب»، وتسكين الأمور والجنوح إلى السلم إذا جنح إليه العدو «الكافر»، وأن من مصلحة الإسلام «الانتظام في الجماعة».

ـــ الأمر إلى المخاطب للقيام بالمحاولات من أجل استعادة الجهات الأخرى لتجديد الطاعة للموحدين، والأمر إليه أيضا بالإخبار عن كل جديد : «طالِعوا بالمتزيِّدات».

---

(76) أعز ما يطلب 157 (ط. الجزائر 1985).

(77) انظر في الفصل الأخير ضمن الجانب الإداري ما يتعلق «بالحافظ» ص 227.

(78) استعملت هذه الكلمة في مختلف الرسائل للدلالة على الأندلس.

من هذه الإشارات نرجّح أن تكون هذه الرسالة صادرة عن الخليفة الرشيد إلى اشبيلية التي سبق أن خضعت لابن الأحمر ثم لابن هود، ثم قدّم أهل اشبيلية عليهم السيد أبا عبد الله ابن السيد أبي عمران (بتدبير أبي عمر بن الجد)، وكانوا قد مهّدوا لهذا الأمر بالقبض على ابن وقاريط[79] الثائر على الخليفة الرشيد سنة 634، فوجّهت اشبيلية بيعتها إلى مراكش في شوال من السنة التالية، فأقرّ الخليفة ولاية السيد أبي عبد الله بهذا التقديم فيما يبدو[80]، فإذا صح هذا الافتراض يكون إذن تاريخ الرسالة هو سنة 635 أو 636.

• **الرسالة الثانية** (على الصفحتين 4 و5 من المخطوط : ت 2) وهي عبارة عن **تقديم «لقائد على الأسطول وأشغال البحر»** وهي مجهولة المصدر والمنتهى والتاريخ، وتشير إلى النقط الآتية :

- الإشادة بالشخص المعين بأنه «خالصة الموحدين ونصيحهم».
- أهمية البلدة وظروفها حيث تعتمد في أقواتها على البحر، وأنها مفتاح لما بعدها من الأقطار.
- إسناد المهام الأمنية والاقتصادية للمقدم (فلان !)، وله أن يشرف على «الديوان والسكة والمواريث والزكاة.... وكل ما يرفع من الديوان وما أضيف إليه يتصرف في مصالح الأسطول وأرزاق غزاته وعدده»، وذلك سعيا لتقوية الأسطول وحماية المدينة.
- فهناك الأمر بحراسة المرسى وبحرها، مما يفهم منه أن المدينة كانت معرضة للخطر من طرف عدوّ ما، فتقوية الأسطول تمكّنه من زجر «العداة المتقاحمات في اللجج»، والقصد من هذا التعيين أن تندفع «مضرّة العدو وإذايته».

هذه الإشارات تنطبق على مدينة سبتة وتعرّضها لهجوم الجنويين سنة 633 فاضطرت للعودة إلى التبعية للموحدين كما حدث لاشبيلية، سنة 636 بعد أن خضعت فعلا للموحدين[81]، وكان والي سبتة من قبل الرشيد آنذاك هو أبو علي بن خلاص الأندلسي[82] الذي كان ينال التقدير[83].

---

(79) هو من قبيلة هسكورة وزعيمها (البيان 288).

(80) يذكر صاحب البيان أن الأمور الحقيقية هي بيد ابن الجد و لم يكن الوالي يستبد عليه (337–339).

(81) يذكر صاحب البيان روايتين : إحداهما تؤرخ الهجوم على سبتة سنة 633 والأخرى بسنة 636 (البيان 346–347).

(82) انظر البيان 359، والذّخيرة السنية 61.

(83) انظر الرسالة رقم 123 عن الخليفة الرشيد حول توطين أهل شرق الأندلس برباط الفتح، انظر بهذا الفصل ص 206 والهامش بها رقم 330.

• **رسالة المرتضى إلى أهل سبتة حول تقديم العزفي عليها[84] :**

وردت هذه الرسالة بمخطوط «يحيى» على الصفحات من 11 إلى 17، وهي مؤرخة بـ 14 رجب سنة 648، وهي تعتبر جوابية من الخليفة المرتضى على رسالة واردة عليه من أهل سبتة مفقودة حاليا، ولكن رسالة المرتضى تحمل بعض الإشارات التي وردت في رسالتهم، أهمها :

— أنها تشير إلى توصّل الخليفة بكتابين (رسالتين) من أهل سبتة يعرضون عليه فيها دخولهم في الجماعة أي البيعة له.

— أنها تشير إلى انتقاد أهل سبتة للعامل الذي وجهه المرتضى إليهم، كما تشير إلى أنهم هم الذين كانوا ألحّوا عليه لتوجيه عامل إليهم حسبما نقله «خطيبان» من سبتة[85].

— رغبة أهل سبتة في أن ينفرد مرغوبهم «فلان» أي العزفي بالنظر في «المصالح والمجابي والتولّي للحماية».

— ذكر وصول مبعوثين من اشبيلية[86] «الافريريِّين» مدعيين أنهما خوطبا بذلك من «الحضرة». فكان جواب الخليفة على هذه الرسالة كما يلي :

* إبداء الموافقة على عزل العامل، «من استعملناه هنا لكم»، والاعتذار عن كونه علم فيه الصلاح، ولا عِلم له بالباطن، ولذا «فمن كرهته الرعية لا نستعمله بحال عليها»، وأن رغبة الخليفة كانت منذ البداية هي إسناد الأمور للعزفي لولا امتناعه من ذلك. أما ما نقله أتباع الوالي المعزول من أقوال ! فهي غير مصدّقة لتوفر الثقة في شخص العزفي.

* التفويض للعزفي للنظر في جميع أمور المدينة من النواحي الأمنية والمالية والإدارية دون مراجعة الخليفة في ذلك، وأن هذا **التفويض ميزة خاصة لم يحصل عليها غيره من قبل.**

* تقارن رسالة المرتضى بين الوضع السابق في المدينة قبل ثورة العزفي وبين وضعيتها الجديدة في ظل التبعية للموحدين، إذ تشير إلى ما كان بها سابقا من المظالم والمستحدثات، فأمر المرتضى بإلغاء هذه المحدثات والرسوم الجائرة والعناية بعامّة الناس (الدّهماء).

* يذكر جواب المرتضى أيضا المبعوثين القشتاليين ويحذّر من كذب الكفار وزورهم ويفنّد ادّعاءهم.

---

(84) هو أبو القاسم العزفي من أشهر أعيان المدينة، انظر عن ثورته بسبتة والتحول إلى الموحدين بهذا الفصل (214-216)، والتقديم المذكور هو رقم 6 في الملحق الأول.

(85) لعلهما المبعوثان الحاملان للبيعة المشار إليهما في رسالة عن العزفي (من إنشاء القبتوري) إلى السيد أبي إسحاق أخي الخليفة المرتضى و«مقدمه على وزرائه» حسب تعبير ابن عذاري (391)، وهذه الرسالة توجد ضمن «رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي» ص 109-111، نشر محمد الهيلة، والإشارة المذكورة هي بالصفحة 111 منه.

(86) كانت اشبيلية في هذا الوقت مقرّ ملك قشتالة.

ترجع أهمية رسالة العزفي إلى ما يلي :

ـ تتكامل مع إحدى رسائل القبتوري عن العزفي إلى الخليفة المرتضى خاصة حول ضعف أهمية تجارة سبتة آنذاك[87].

ـ تبيّن الوضعية شبه الاستقلالية لسبتة في إطار اعتراف اسمي بالخلافة الموحدية على عهد المرتضى.

ـ تلمّح إلى اهتمام النصارى القشتاليين بمدينة سبتة[88].

• **ملاحظات عن رسالتين حول تقديم شيخين على قبيلتيهما :**

الرسالة الأولى على الصفحتين 54 و55 والثانية على الصفحتين 52 و53 من المخطوط[89] وهما معا مبتورتان أولا وآخرا ومجهولتا المصدر والتاريخ، وتغفلان اسمي الشيخين المقدمين : فالرسالة الأولى صادرة فيما يبدو عن الخليفة المرتضى ويقدم فيها «فلانا» مكان أبيه على إخوانه عرب سفيان، ويجعل تحت نظره مدينة «أنفى» كما كانت من قبل تحت نظر أبيه، ويطلق يده في هذا التقديم كما أطلق يد أبيه من قبل. والرسالة الثانية تشير إلى أن الخليفة ـ على ما يبدو ـ بعد موت الشيخ «أبي فلان» أبقى ولده على العرب فساءت أفعاله، فقدّم مكانه عمّه «فلانا» ليضبط أمور «العرب».

إذا حاولنا أن نقارن هذه التلميحات في الرسالتين مع ما جاء في العبر 6/58-68 و78 و(537-546) وكذلك في البيان المغرب (431-433) أمكن افتراض أن القبيلتين هنا هي قبيلة واحدة أي سفيان المستقرة بأرض تامسنا كلا أو جزءا، أما **بنو جابر** فكانوا بأرض تادلى[90] وزعيمهم هو يعقوب بن محمد بن قيطون الذي ولاه الرشيد أو أقره عليهم ثم اعتقله المرتضى سنة 652 بواسطة جيش موحدي بقيادة أبي الحسن بن يعلو وقوات من السفيانيين بزعامة شيخهم يعقوب بن جرمون[91]، ثم استبد برئاسة بني جابر اسماعيل بن يعقوب بن قيطون الذي مال إلى المرينيين منذ معركة «أم الرجلين» سنة 660، أما **الخلط** فكانوا متردّدين بين الموحدين والمرينيين أو لا يساهمون في المعارك إلا قصد النهب كما حدث لمحلة السعيد بنواحي تلمسان على يدهم، فجعل المرتضى على رئاسة العرب أي سفيان وجابر والخلط يعقوب بن كانون السفياني، وعندما قتل المرتضى عددا من أشياخ الخلط انتقاما من

---

(87) وهي الرسالة السابقة من «رسائل ديوانية» المذكورة.

(88) راجع الدراسة التاريخية بهذا الفصل ص (214-216)، (ربما كان ذلك في إطار صليبي أو بهدف الحصول على امتيازات تجارية بالمدينة).

(89) أي التقديمان 41 و39، وهما غير مرتبين زمنيا في المخطوط فوجب تقديم رقم 41 على رقم 39.

(90) انظر الرسالة رقم 55 (م ج) في قسم الرسائل.

(91) ربما كانت حملتهما هي موضوع الرسالة التقديمية لشيخ قبيلة بمخطوط يحيى ص 51-52 (ت 36).

فعلهم مع السعيد عين عليهم سنة 653 واحدا منهم هو علي بن أبي علي، وفي معركة أم الرجلين انحازوا إلى المرينيين.

أما قبيلة **سفيان** فهي الأقرب نسبيا للموحدين منذ عهد السعيد وخاصة في عهد المرتضى. وهكذا يمكن أن يكون الشيخ (أبو فلان) المقدّم في الرسالة الأولى[92] هو يعقوب بن جرمون السفياني الذي خلف أخاه كانون على رأس سفيان ـــ هذا الذي قتله الخلط خلال معركة السعيد مع يغمراسن بنواحي تلمسان سنة 646 ـــ فعين المرتضى عليهم يعقوب هذا، ولما قتل من طرف أبناء أخيه كانون قدّم المرتضى مكانه ولده عبد الرحمان بن يعقوب (الملمّح إليه في الرسالة الثانية)[93]، فلما ساءت أعماله بالاستغراق في ملذاته والاعتداء على قافلة تجارية عند وادي تانسيفت (حسب البيان 432) أو عجز عن القيام بمهامه (حسب العبر 61/6) ولحق ببني مرين، عندئذ قدّم المرتضى مكانه عمه أبا زمام عبيد الله بن جرمون[94]، وهذا التقديم على عرب سفيان مع أنفى ـــ إن صحّ الافتراض ـــ يكون قد حدث خلال أو قبل سنة 658 أي قبل توسّع المرينيين في تامسنا واحتلالهم أنفى بعد سلا[95].

تظهر أهمية الرسالتين وخاصة الأولى في أن عرب سفيان كانوا تحت طاعة الخلافة الموحدية في أواخر عهدها وبشكل عام، كما تؤكد وجود عرب سفيان كلا أو جزءا بإقليم تامسْنا في هذه المدة، وقد رأينا سابقا تهجير الناصر لهم أو لبعضهم إلى تادلى، غير أن ظروف ضعف الدولة قد تكون مكّنتهم من الاستقرار بتامسنا. كما قد يفهم من الرسالة الأولى أيضا أن مصالح أنفى الأمنية والجبائية هي بيد القبيلة التي تحيط بها وهي سفيان كقبيلة عسكرية، فهل هذا يعني أن أنفى في هذا العهد لم تكن مدينة مهمة[96]، فالمدن المهمة كان لها ولاتها أو عمالها المستقرون بها المهتمون بأمنها وجبايتها. والمرجّح أن أنفى تضرر مركزها الاقتصادي بسبب عدم الاستقرار فيما حولها.

* * * *

(92) أي التقديم 41.

(93) أي التقديم 39.

(94) البيان 432.

(95) الذخيرة السنية (93–94) والقرطاس (301).

(96) كان لها قاضيها مثلما كان لمدن صغيرة مثل أغمات وغيرها، انظر الذيل (قسم الغرباء) ص 69 (خ ع) ومفاخر البربر ص 95 (خ ع)، المجموع رقم ك 1275، يذكر الأول أحد قضاة أنفى زمن المرتضى وهو أبو عبد الله الفازازي، ويذكر الثاني قاضيا آخر هو أبو موسى عمران بن موسى الهواري المتوفى سنة 648.

زعماء قبيلة سفيان من عهد الرشيد إلى عهد المرتضى

(1) جرمون بن سفيان (عهد الرشيد)

- (2) يعقوب
  - (3) عبد الرحمن
- (4) أبو زمام عبيد اللّه
- كانون
  - (5) مسعود

الموضوع الثاني :

دراسة تاريخية لرسائل الفصل الرابع

أولا : ظروف لغير صالح الموحدين وهم على أبواب معركة العقاب (معركة اختلال التوازن) :

أ ـــ السلطة والقبائل العربية بالمغرب الأقصى :

سبقت الإشارة إلى العلاقة بين الطرفين في إفريقية التي كانت موطنا لعدة قبائل عربية عاكست أغلبيتها الوجود الموحدي بالمنطقة، غير أن الهزائم التي كانت تلقاها على يد الجيش الموحدي، والإغراءات التي كان يقدمها إليها الحكام الموحدون سهّلت نقل مجموعات متوالية من هذا العنصر العربي إلى المغرب الأقصى والأندلس. وأول ذكر لوصول بعض عرب إفريقية في عهد الموحدين إلى المغرب الأقصى يأتي بعد انتصار جيش عبد المومن عليهم في سطيف سنة 548 حيث يذكر ابن الأثير استعمال شيوخهم من طرف عبد المومن لفرض ابنه وليا للعهد سنة 551[97]. وبعد فتحه للمهدية وافريقية وهزيمة العرب عند القرن قرب القيروان عام 555، انخرط بنو محمد من بني رياح في الدعوة الموحدية ومعهم قسم من عرب جشم، وعزموا على النزول إلى المغرب لخدمة الدولة[98] ولما تحرك عبد المومن من افريقية نحو المغرب استاق معه عددا مهما من العرب[99]، ويذكر ابن أبي زرع أنه عند الوصول إلى وهران وتوديع بعض العرب لعبد المومن «نقل منهم إلى المغرب ألفا من كل قبيلة بعيّالاتهم وأبنائهم وهم عرب جشم»[100]. وسيظهر ذكر العرب في معارك الأندلس وبالخصوص منذ معركة الجلاّب خارج مرسية مع ابن مردنيش سنة 560[101]، بحيث أخذت تتزايد أعدادهم منذ عهد الخليفة يوسف، ويفصّل صاحب المن الحديث عن استدعائهم من افريقية واستقبالهم خارج مراكش وإدخالهم في «الخدمة» وجوازهم مع الخليفة إلى الأندلس سنة 566[102]. وعندما تحرك هذا الخليفة إلى إفريقية وأعاد فتح قفصة سنة 576 أعلن عرب رياح عن تقديم الطاعة له حيث «عزم الأشياخ من قبيل ريّاح على التوجه إلى الأندلس بعيّالهم وأموالهم لغزو العدو، فتحركوا بجموع ضخمة بعضها بالصحاري وبعضها بالسواحل «في اتجاه المغرب»،

---

(97) الكامل (سنة 546) ثم (551) راجع أيضا الفصل الأول ص (37–38).

(98) الرسالة رقم 21 من «مجموع رسائل موحدية» (م ر م).

(99) المن (ص 144) ويجعل هؤلاء العرب من بني رياح وجشم وبني عدي، انظر أيضا البيان (43).

(100) القرطاس (199)، ويذكر البيذق توزيع عبد المومن للعرب على البلاد (المغرب) ص 80 كما يذكر صاحب المعجب اقرار عبد المومن للعرب بالأندلس في نواحي قرطبة وشريش (226).

(101) انظر الرسالة رقم 12 من المجموعة الجديدة (م ج) في قسم الرسائل.

(102) المن 411 وما بعدها، والبيان 76.

وكان على رأس رياح زعيمها أبو سرحان مسعود[103]، وأقر الخليفة يوسف العناصر العربية ببعض جهات الأندلس[104]. وتزايدت أعداد العرب القادمين إلى المغرب الأقصى في عهد المنصور خاصة بعد انتصاره عليهم وعلى حليفهم ابن غانية ومن معه من الغز بنواحي قابس سنة 583، فعاد العرب إلى الطاعة للمنصور ونفاهم إلى المغرب الاقصى وهم جشم وريّاح من الهلاليين.

غير أن توطين المنصور لهؤلاء العرب بالمغرب تذكره المصادر بنوع من التعميم : فابن أبي زرع يذكر أن هذا الخليفة ندم في آخر حياته على إدخال العرب إلى المغرب لأنه يعلم أنهم أصل الفساد[105]، وفي البيان المغرب ورد أن المنصور أوصى بالإحسان إلى العرب وبإشغالهم بالحركات بشكل مستمر[106]، أما ابن خلدون فيشير إلى أن المنصور «أنزل جشم ببلاد تامسنا ورياحا ببلاد الهبط وأزغار مما يلي سواحل طنجة إلى سلا»[107] ونزل مع الجشميين العاصم ومقدّم من الاثبج وغيرهم ولكن غلب على الجميع اسم الجشميين[108]. واشتهر من جشم بالمغرب الأقصى الخلط وسفيان وجابر[109]، «فأما مقدّم والعاصم فكانوا مع إخوانهم ببسيط تامسنا، وكان للموحدين عليهم عسكرة وجباية.... وأما بنو جابر ابن جشم فكانت لهم شوكة أيضا....»[110] و«كانت سفيان أحياء حلولا بأطراف تامسنا مما يلي أسفي... وأما الخلط فقد كانوا ببسيط تامسنا أولي عدد وقوة»[111]، ويحاول ابن خلدون أن يعرّفنا بإقليم تامسنا بأنه «البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار»[112].

فهذه المصادر تميل إلى التعميم حول استقرار العرب بالمغرب الأقصى قبل اندلاع الفتنة بين الأمراء الموحدين وانقسام العرب بين تأييد هذا أو ذاك، أو تأييد الحركة المرينية. كما أن هذه المصادر لا تذكر تادلا كإقليم عرف استقرار العرب في العهد الموحدي الأول، غير أن رسالة في العطاء الجزيل[113] يمكن أن نفهم منها أن المنصور أو الناصر أنزل الجشميين بتادلى

---

(103) الرسالة رقم 26 في (م ر م)، انظر أيضا القرطاس 212.

(104) لاحظ ما ذكره صاحب المعجب والبيذق حسب الإحالة في الهامش 100 قبله.

(105) القرطاس 230.

(106) البيان (208).

(107) العبر 6/(45-46) و(58-59) وأيضا الاستقصا 169/2.

(108) العبر 6/58-68.

(109) العبر 6/59.

(110) الاستقصا 171/2.

(111) العبر 6/(62-63)، الاس ـا 174/2.

(112) العبر 6/58.

(113) الرسالة رقم 55 (م ج) قسم الرسائل.

مثل قبيلة الكريز من سفيان وعوف من الخلط وبني جابر، ثم نقلتهم السلطة إلى أرض تامسنا أو انتقلوا إليها دون إذن منها، خاصة وأن امكانيات تامسنا الاقتصادية أهم من إمكانيات تادلى وبالأخص إذا كانت السلطة قد حرمتهم — كما يبدو من الرسالة — من «الإحسان» الذي كان المنصور أوصى به لهم(114). والمعروف أن أرض تامسنا هي الطريق الرئيسي لتحركات الخلفاء الموحدين من مراكش نحو الشمال أو الشرق عبر رباط الفتح، فعملت القوات الموحدية على إرغام قبيلتي الكريز السفيانية وعوف الخلطية (وربما غيرهما أيضا) على الرجوع إلى موطنهما السابق بتادلى(115). فكان من مطالب شيوخ جشم والهلاليين بالمنطقة «أن يمنّ عليهم بما اعتادوه من إحسان الحضرة الإمامية القدسية وعميم إنعامها ومعهود إفضالها حسبما ألفوه من بركتها.... لتتم النعمة على جميعهم... ووالوا الرغبة للعبيد [قادة الحملة] في مطالعة الحضرة العلية الامامية بما أمّلوه في ذلك... واستمطار صيّب إحسانها لظمإهم واستلطاف رأفة حنانها لضعفهم...»(116) ولعل في هذا ما يشير إلى حذف العطاءات عن عرب المنطقة ففضلوا الانتقال إلى تامسنا قبل الآن وهذا ما قد يتفق مع ما ذكر عن شح الخليفة الناصر وبالتالي قلّة حماس أجناده(117).

ويمكن طرح الملاحظتين الآتيتين :

— إن عملية التهجير المذكورة تمت على الأرجح سنة 600 قبيل حركة الناصر إلى إفريقية، فهل كانت من أجل تصفية طريق هذه الحركة لعدم الاطمئنان إلى هؤلاء العرب خاصة وأن الحركة إلى إفريقية موجّهة ضد إخوانهم العرب هناك حلفاء ابن غانية ؟(118) وهل هذه العملية التأديبية ساهمت في تأخير تحرك الناصر إلى إفريقية حتى ساءت أحوالها ؟

— إذا حاولنا التوفيق بين ابن خلدون الذين يشير إلى إقرار المنصور للعرب الجشميين بتامسنا وبين الرسالة التي تشير إلى استيطان سابق لهؤلاء بتادلى ربما أمكن القول أن المنصور أقر بعضهم بتامسنا وبعضهم بتادلى في إطار الموازنة بينهم كجيش للدولة وبين القوى البربرية بالمنطقة والتي كانت تظهر عدم رضاها عن الحكم الموحدي من حين لآخر. غير أن بعض الموطّنين بتادلى انتقلوا إلى تامسنا وأحدثوا بها الشغب قبل ترحيلهم عنها. وأعمال الشغب «العربية» قد يمكن تفسيرها بأنها مرحلة مفروضة للانتقال من حياة النجعة إلى حياة

---

(114) البيان 208.

(115) «ولما وصلوا إلى بلاد تادلى نزلوا منها بمواضعهم قديما»، الرسالة 55 (م ج).

(116) نفس الرسالة.

(117) المعجب 322 والروض المعطار (مادة العقاب) ص 416.

(118) فالمفهوم من الرسالة أن عرب تامسنا قاموا بالشغب، والواضح من البيان المغرب أن الناصر غرب قادة عرب المغرب إلى الأندلس (218).

الاستقرار[119]، إلا أنها كانت مرحلة طويلة ومضطربة كما هو واضح على الأقل في العهد الأخير للدولة الموحدية[120].

وهكذا فإن العرب أخذوا يساهمون في عدم الاستقرار بالمغرب، ولكنهم ليسوا وحدهم، فالثورات ستتعدد منذ أيام الناصر بعد الهدوء النسبي على عهد سابقيه :

ب ــ الثورات بالمغرب الأقصى في عهد الناصر :

لم يخل عهد أي خليفة من الاضطرابات سواء من طرف بعض الزعامات البربرية[121] أو من منافسين من الأسرة الحاكمة[122]. هذه الثورات كانت تتخذ شعارات دينية إصلاحية أحيانا كثورة **علي الجزيري** العالم الأندلسي في عهد المنصور منكرا على الموحدين مظاهر الأبهة والانحراف عن تعاليم المهدي، وقد تنقل بين مراكش وفاس والأندلس «وقتل بسبب هذا اللعين خلق كثير من الناس، ووقع عليه البحث في كل مكان»[123] حتى قبض عليه بمنطقة مرسية، وكان المنصور إذّاك بالأندلس. ثم ثورة **أبي قصبة الجزولي** ببلاد السوس سنة 597–599 «فاشتد خوف الموحدين منه» وهزم لهم عساكر عدّة، حتى تحرّك الناصر بنفسه إلى ركراكة ومنها وجه عسكرا ضخما من الموحدين والغز ومن أصناف الجند فسقط الثائر في المعركة رغم صموده[124]. ولم يمض غير وقت قصير حتى ظهرت ثورة العالم الأندلسي عبد الرحيم **ابن الفرس** والمعروف بالمهر وذلك حوالي سنة 600، فاتخذ لقب الهداية وادّعى أنه القحطاني الذي يعيد العدل إلى الأرض، ودعا لنفسه، فأجابه إلى ذلك الخلق الكثير والجم الغفير ودعوه باسم الخليفة وشملت دعوته جزولة ولمطة إلى درعة، ثم أحاطت به جيوش الناصر وقضت على ثورته[125].

---

(119) لاحظ مثلا عودة زعيم رياح من الهبط إلى إفريقية بجماعته (العبر 45/6) وانظر في هذا المصدر أيضا ص 58 حول التحول من النجعة إلى الحلول.

(120) يختلف موقف كل من لوتورنو وطيراس نحو العرب، فهذا يحمّلهم المسؤولية في ضعف الموحدين وذاك ينفي عنهم هذه التهمة : لوتورنو : حركة الموحدين ص 118–119.

(121) مثل ثورة مرزدع الغماري ثم سبع بن منخفاد الغماري أيضا في بداية عهد الخليفة يوسف، وبعض ثورات صنهاجة في عهده.

(122) انظر الدراسة التاريخية في الفصل الثالث ص 131 عن المنصور.

(123) البيان (181–182) و128 وانظر المغرب لابن سعيد 1/(323–324) والمقري في نفح الطيب ج 464/2–465 وج 65/4–66.

(124) المعجب (315–317) والبيان 215 والعبر 515/6.

(125) المغرب لابن سعيد 111/2 والعبر 6/(522–523) وصلة الصلة ق 3 ص 228 (تحقيق الهراس)، الاعلام بمن حلّ، للمراكشي ج 8/(152–155) والتكملة 597/2 ط. مدريد، والإحاطة 473/3، والبيان ص 344، ويذكر صاحب الاستقصا ثائرا آخر يسميه علّودان الغماري في أوائل عهد الناصر 214/2.

هذان الثائران يجعلهما محمد عنان شخصا واحدا هو عبد الرحيم ابن الفرس ويعرف بالمهر وبأبي قصبة، خاصة وأن صاحب المعجب أغفل ذكر الثائر ابن الفرس[126]. إلا أن المقارنة بين مصادر أخرى تظهر أنهما شخصان : أبو قصبة اسمه عبد الرحمان[127] من جزولة، وابن الفرس اسمه عبد الرحيم ومن أهل قرطبة، الأول **مولع بالسحر** ويجعله ابن الأبار في «المقتضب» خارجيا[128]، والثاني **عالم فقيه ادّعى أنه القحطاني**، وينقل ابن عذاري عن صاحب الذيل والتكملة أن رأس أبي قصبة المعلّقة على أحد أبواب مراكش هي التي دفعت ابن الفرس إلى التشبه به في طلب الحكم، فثار بالسوس إلى أن قتل وعلّق رأسه بجانب رأس أبي قصبة[129].

وكانت حركة الناصر إلى إفريقية عاملا مشجعا على قيام ثورة أخرى يتزعمها شخص يدّعي أنه **عبيدي** من أبناء العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر. وكان دخوله المغرب في أيام المنصور وحبسه الناصر ثم أطلقه قبيل حركته إلى إفريقية، فخرج إلى بلاد صنهاجة «فالتفّت عليه جماعة وانتشر له فيهم تعظيم» ثم قصد سجلماسة وهزم جيوش واليها السيد أبي الربيع سليمان ابن أبي حفص عمر ابن عبد المومن، وظل ينتقل بين القبائل «وفي ذلك كله لا يستقيم له أمر ولا تثبت عليه جماعة !» إلى أن قبض عليه بظاهر مدينة فاس في أوائل عهد المستنصر فقتله واليها السيد أبو إبراهيم إسحاق ابن الخليفة يوسف[130]، وكان قد بذل الأموال لشيعته فساقوه إليه[131].

إن هذه الثورة الطويلة الأمد والتي امتدت بين القبائل الصنهاجية من جنوب بلاد المصامدة وشرقها في عهد الناصر إلى أحواز فاس في عهد المستنصر كانت خطيرة على الدولة الموحدية، فإلى جانب ضغط هذه الثورة على سجلماسة من الغرب كان هناك تهديد لها من الشرق على يد قوات ابن غانية اللاجىء إلى الغرب بعد هزيمته في شبرو أمام الأمير الحفصي سنة

---

(126) عصير المرابطين والموحدين 2/(255-256).

(127) هل هو نفسه المسمى عبد الرحمن بن الحدارة قريب ابن غانية (ابن عمه) حسب ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب»... ج 43/5-44 (ضمن ترجمة الخليفة الناصر).

(128) المقتضب من تحفة القادم : ص 97.

(129) انظر الهامشين 124 و125 السابقين وخاصة البيان 344 وصلة الصلة (ترجمة عبد الرحيم بن الفرس) ق 3 ص 228 (تحقيق الهراس).

(130) ولاه المستنصر على فاس سنة 611 بعد أن كان واليا لغرناطة (البيان 243). وهنا يقع الخلاف مع صاحب المعجب (327) في تاريخ وفاة الثائر الذي يجعله بعد أربعة أشهر من خلافة المستنصر أي خلال سنة 610.

(131) المعجب (327-328) والعبر 524/6 والقرطاس 272 والبيان 243. هذا الثائر يجعله صاحب القرطاس ولدا لثائر سابق سنة 600 بجبال ورغة، وربما كانت روايتا صاحب الذخيرة (38) والجزنائي في «زهرة الآس» (43) منقولتين عنه بينما لا يوجد ذكر لثورة العبيدي سنة 600 في المصادر الأكثر دقة مثل المعجب الذي كان صاحبه معاصرا للأحداث وقريبا منها وكذلك ابن عذاري.

604[132]، وستزداد خطورة الثورة بعد هزيمة الجيش الموحدي في العقاب، وسنعود لهذا الموضوع.

وهنا نتساءل كيف انتقل الناصر إلى الغزو بالأندلس وهو لم يطمئن بعد على الوضع بالجنوب، هل كانت هذه الثورة تظهر تارة وتختفي تارة أخرى فلم يُعر لها اهتمامه ؟ أم أنه كان يشعر بالعجز نحوها وبالتالي نحو العصبية الصنهاجية التي تبنتها أو تعاطفت معها فأخذ يبحث عن مكسب خارجي يغطّي الوضع الداخلي رغم نصيحة الشيخ عبد الواحد الحفصي بعدم ملاءمة الظروف لمثل هذا الغزو[133] ؟

ج ـ ظروف الطرفين الموحدي والاسباني ومعركة العقاب :

يمكن تصنيف الظروف السابقة للمعركة إلى ظروف داخلية (موحدية) وأخرى خارجية (اسبانية).

ـ بالنسبة للظروف الداخلية :

مع مطلع القرن السابع الهجري أصبح الناصر مطمئنا نسبيا إلى الوضع بإفريقية بجعلها ولاية ذات نوع من التسيير الذاتي من أجل مقاومة خطر بني غانية، غير أن خطرهم لم يزُل نهائيا، بل أصبح أحيانا يهدد تلمسان وسجلماسة[132]. كما أن الحالة داخل المغرب الأقصى لم تكن تدعو إلى الارتياح، فقد لاحظنا لجوء الناصر إلى تأديب بعض **القبائل العربية** بإقليم تامسنا، كما أن عددا من القبائل في الجنوب كانت تلتفّ حول الثائرين، وكان العبيدي **ثائر جزولة** يتحرك في الجنوب قبل انطلاقه نحو الشمال[133].

وبالنسبة لكبار رجال الدولة **من الأشياخ** نلاحظ أن الناصر كان يحاول إضعاف دورهم الذي تصاعد في عهد أبيه، وربما كان تعيين الشيخ عبد الواحد الحفصي واليا على إفريقية رغم ثقل شروطه[134] يدخل في إطار إبعاده عن دور الوصاية عليه[135]. كما أن وزير أبيه ابن يوجان[136] الهنتاتي أرسله ثانية واليا على تلمسان لمواجهة زحف قوات ابن غانية وفي

---

(132) العبر 6/493-404، 592 ومن نقل عنه :

Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrional 11/132. Miranda : Historia Politica, 11/411. A. Bel : Les Banou Ghanya 146. G. Marçais : Les Arabes en Berberie, 216-217.

(133) راجع الصفحتين 173-174.

(134) الزركشي : تاريخ الدولتين، ص 18، ط. تونس، البيان 272، التجاني 360.

(135) انظر في البيان وصية المنصور لابنه بعبد الواحد وأخيه أبي زكرياء ابني الشيخ أبي حفص بألا يصدر أمر دون مشورتهما (208).

(136) ابن يوجّان (بفتح الياء وضم الواو وتشديد الجيم)، هكذا ضبطها صاحب الذيل س 8/ ص 71، مصور الخزانة العامة (قسم الغرباء).

نفس الوقت لابعاده عن البلاط[137]. وتطورت العلاقات بين الناصر وموظفيه الكبار في الاتجاه السلبي منذ عودته من حملته الافريقية سنة 604 حيث عاقب عاملي فاس ومكناسة وصادر أموالهما، كما شملت العملية أشخاصا آخرين بالمغرب والأندلس لاكتشاف سوء تصرّفهم المالي بعد أن حاسبهم وتفقد سجلاّتهم[138]، وأمام ضغط الوزير ابن يوجان أطلق سراحهم[139]. ثم أحدث تعيينات جديدة في الجهازين الإداري والمالي ونقل الوزارة إلى ابن جامع حفيد أحد أصحاب المهدي. ورغم كل هذا فإن الخليفة عندما تحرك في اتجاه الأندلس سنة 607 وجد مخازن الدولة فارغة في البلاد «الغربية» التي هي في العادة منطقة تموين تحركات الجيوش، فأصيب المعسكر بالغلاء والمجاعة، مما دفع الناصر إلى معاقبة عاملي فاس وسبتة وأعوانهما المسؤولين عن منطقة الشمال الغربي للمغرب الأقصى، وكلّف بذلك الشيخ أبا محمد بن أبي علي ابن مثنى «صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه الأشغال العملية»[140]، الذي لم يكن مع الوزير ابن جامع يحضيان بالرضى من بقية أشياخ الموحدين بسبب استبدادهما على الناصر، حيث كان لا يقطع أمرا دون مشورتهما، وكان الوزير يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرف منهم حتى ابتعد عن الناصر أكثر الأشياخ[141]. هذه العلاقة المتوترة بين الناصر وكبار موظفيه وأعوانهم والأشياخ سيكون لها دور سلبي في معركة العقاب[142].

ومن الجوانب السلبية المؤثرة على مصير المعركة أيضا توتر العلاقة بين الناصر ووزيره من جهة وقواد الأندلس من جهة أخرى، فهؤلاء لم تعد لهم تلك المكانة الاستشارية التي مارسها المنصور معهم قبيل معركة الأرك، بل إن ضياع قلعة رياح لصالح النصارى بعد طول حصارهم لها وصمودها جعلت الناصر بمشورة وزيره يقتل قائد القلعة الأندلسي دون أن يسمح له

---

(137) في البيان (208) التوصية من المنصور أيضا لابنه بأبي زيد عبد الرحمان بن يوجان، ويصفه صاحب الروض المعطار (في مادة جنجالة) أنه «إذا احتوى على أمر ضم أطرافه ولم يترك لأحد منه شيئا، ولذلك رماه أهل الدول عن قوس واحدة»، وكان الناصر قد أبعده من الوزارة باكرا (سنة 596) حيث كلفه بالحملة إلى افريقية ثم ولاه تلمسان ثم فاس ثم ولاية تلمسان ثانية (البيان 214 و229، والمعجب 308 عن قصر مدته في الوزارة).

(138) البيان (226–228).

(139) البيان 230 وذلك قبيل ذهابه إلى تلمسان.

(140) البيان (236–237)، وشاع مقتل العاملين المعتقلين بفاس قبيل معركة العقاب وهما من أشياخ الموحدين (ص 240).

(141) القرطاس (236–237).

(142) البيان (240–241) : «وكان الظهور أولا للمسلمين على أن الموحدين لم يجدّوا في تلك الغزوة لأجل نكبة الناصر لأشياخهم... على يد ابن مثنّى... وذكروا أن بعض الناس كان يقول : مدّها، قل لابن مثنى يردها...».

بالدفاع عن نفسه «ففسدت نيات قواد الأندلس»[143]. ثم إن طول المدة الزمنية الفاصلة بين جواز الجيوش إلى الأندلس في نهاية سنة 607 وبين معركة العقاب في صفر 609 ساعدت على إضعاف الروح المعنوية التي دخلت بها إلى الأندلس. وهناك من يلقى اللوم على الناصر لانشغاله في حصار شلبطرة الذي طال حتى قلّت المؤن في المعسكر[144]، غير أن قلة المؤن لا يبدو أنها مرتبطة فقط بالمعسكر عند شلبطرة وإنما هي عامّة، قد يكون سببها سوء تصرف العمال كما جرى بالمغرب إن لم يكن لأسباب مناخية أيضا[145]. وبالنسبة لحصار شلبطرة فإنه ابتدأ في شهر صفر سنة 608[146]، وكان القتال حوله شديدا لمناعة الحصن[147] حتى تمكن الناصر من الاستيلاء عليه، ثم انصرف منه في صدر ربيع الآخر من نفس السنة أي بعد 51 يوما من الحصار[148]. وكتب الناصر كتبه بالفتح مؤرخة بـ 12 ربيع الآخر[149] من منزل الموحدين بأندوجر ومنها الرسالة التي وجهها إلى الأمير الحفصي بإفريقية كما ورد فصل منها في كل من الروض المعطار والبيان المغرب[150]. ويتضح من هنا أنه لا تترجح رواية القرطاس ومن اعتمد عليه في اعتبار مدة الحصار ثمانية أشهر. ويذكر صاحب القرطاس أيضا سقوط قلعة رياح في يد القشتاليين وما ترتب عنها من قتل الناصر لزعيم القلعة ابن قادس وتوتر العلاقة بينه وبين قواد الأندلس[151].

وهكذا فإن بقية سنة 608 كانت فترة استعداد من الطرفين الإسلامي والنصراني لخوض المعركة الفاصلة ولكن بمعنوية ضعيفة لدى المسلمين، فما هي ظروف الطرف النصراني ؟

---

(143) القرطاس (237–238)، فهل لمثل هذه الظروف عارض الأمير الحفصي اختيار الناصر لوقت الغزوة ؟ (انظر الهامش 133).

(144) يتحدث صاحب القرطاس عن طول مدة حصار شلبطرة قبل سقوطها بيد الناصر فيجعلها ثمانية أشهر، فكلّت العزائم وفسدت النيات وغلت الأسعار بالمحلة (ص 237) وقد اعتبر الناصر حصار شلبطرة اختبارا لمدى قوة أو ضعف قشتالة كما تشير إلى ذلك الرسالة رقم 67 (م ج).

(145) هناك إشارة في الذيل (غرباء) ص 192–194) (خ ع) تتحدث عن غلاء السعر بغرناطة في ترجمة أحد الصلحاء المتوفى بها في 5 شوال 608 «وعند وفاته كان وقت شدة في السعر» وهذا التاريخ يقع بعد أشهر من فتح شلبطرة حيث كان الناصر يستعد في اشبيلية لمعركة العقاب.

(146) القرطاس 236، وفي نفس الوقت تم فتح حصن اللج : الروض المعطار (مادة العقاب) انظر الهامش 160 بعد.

(147) الرسالة رقم 67 (م ج)، انظر أيضا القرطاس 236.

(148) الروض المعطار (مادة شلبطرة).

(149) البيان ص 238 في تقديمه للرسالة 67.

(150) الروض المعطار (شلبطرة) والبيان (238–240) أي الرسالة 67 (م ج).

(151) القرطاس (237–238)، واشباخ 357.

— **بالنسبة لظروف الطرف الإسباني** :

هناك حدثان هامّان كان لهما دور فعال في استعدادات النصارى ضد الموحدين : الأول، هزيمة قشتالة في معركة الأرك التي جعلت ملكها الفونصو الثامن يبذل جهده للانتقام من الهزيمة بمحاولة توحيد جهود الممالك الاسبانية والاستنجاد بالمعونات من خارج الجزيرة، والثاني، سقوط الجزائر الشرقية (البليار) بيد الموحدين والذي أصبح يهدد بشكل مباشر السواحل الأرغونية وخطوط التجارة معها[152]، وظهر هذا التهديد فعلا عندما ضرب الأسطول الموحدي سواحل مملكة **أرغون** سنة 607 مما دفع هذه إلى شن غارات انتقامية على ولاية بلنسية أدت إلى سيطرتها على عدة حصون[153]، وأخذت غاراتها تصل أحيانا إلى أطراف ولاية جيّان[154]، وسيشترك ملكها مع جنده بحماس في معركة العقاب إلى جانب قشتالة.

أما **قشتالة** فإنها جددت عقد الهدنة بينها وبين الناصر سنة 600[155]، ولكنها أخذت تعمل على تجميع القوى النصرانية بشبه الجزيرة للانتقام من الموحدين. وظهرت نتائج هذه السياسة في عقد معاهدات ثنائية سلمية : بين قشتالة ونبارا سنة 1207 (603–604) في وادي الحجارة وذلك لمدة خمس سنوات، ومعاهدة بين أرغون ونبارا سنة 1209 (605–606)، كما حدث توقيع معاهدة سلم بين قشتالة وليون تحت ضغط الكنيسة وذلك سنة 1207، وتأكد التحالف القديم بين قشتالة وأركون بلقاء ملكيْها في كوينكة سنة 1210 (606–607)[156]. وهذا الجو بين الممالك الاسبانية شجع قشتالة على عدم تجديد الهدنة مع الموحدين بل نقضتها سنة 607[157] قبل تمامها كما يتضح من رسالة السيد أبي زيد عبد الرحمان والي جيان إلى ملك قشتالة[158] على الأقل في السنة الأخيرة من الهدنة أي سنة 607

(152) هذا على المستوى المحلي، يضاف إليه التراجع الصليبي عن سواحل الشام ودور الكنيسة في الضغط على حساب مسلمي الأندلس.

(153) البيان 234 ولكن لا يتضح منه البادىء بالاعتداء، وفهم كل من عنان (284/2) وميراندا (414/2) ان الموحدين هم البادئون بالاعتداء، غير أن رسالة والي جيّان إلى ملك قشتالة قد تطرح الاحتمال المعاكس (الرسالة رقم 63 م ج). خاصة وان اسبانيا أخذت تتجمع ضد الموحدين.

(154) الرسالة 63 (م ج).

(155) يشير صاحب البيان (218) إلى قدوم الوزير القشتالي لعقد الهدنة، وهو وإن لم يذكر ما إذا كانت قد عقدت أم لا، فالذي يتضح أنها تمّت فعلا مادام الناصر يستعد للحركة إلى إفريقية، كما أن رسالة والي جيان (63) إلى ملك قشتالة الذي تبتدىء ولايته لها سنة 607 يذكر خرق الهدنة من طرف قشتالة.

(156) اشباخ 353، 356، 358، عنان 288/2، 590، 595، 608.

(157) المعجب 318.

(158) الرسالة 63 (م ج) وخصوصيات هذه الرسالة 145–146، وعنان 288/2.

التي تولى فيها لمذكور ولاية جيان[159] حيث تركزت عمليات الهجوم على هذه الولاية بما فيها منطقة بياسة وأندوجر وغيرهما. كانت أهم هذه العمليات تجعل منطلقها حصن شلبطرة[160] القريب من قلعة رباح الموحدية، وربما كان هذا من أهم العوامل التي وجّهت جيش الناصر نحو شلبطرة لفتحها. غير أن الفونسو القشتالي لم يعتمد فقط على القوى الاسبانية وإنما طلب من البابا أن يذيع بأوربا المسيحية النداء من أجل حملة صليبية ضد مسلمي اسبانيا، فوصلته جموع النصرانية من داخل الجزيرة وخارجها[161].

كان جواز الناصر إلى الأندلس في ذي الحجة سنة 607، وبعد استراحة باشبيلية تحرك إلى محاصرة حصن شلبطرة أوائل 608، وبعد فتحه عاد إلى اشبيلية، فكانت بقية هذه السنة (1211) مهلة واستعدادا من الطرفين الإسلامي والمسيحي لخوض المعركة الكبرى، فبلغ الجيش الإسلامي حسب ابن أبي زرع أكثر من نصف مليون بينما جعلهم البعض حوالي مئتي ألف مقاتل[162]. كما أخذت الحشود العسكرية الصليبية من داخل الجزيرة وخارجها تتدفق نحو طليطلة يتزعمها القادة العسكريون ويرافقها رجال الدين، وبلغ عدد الوافدين على طليطلة في أول يونيو 1212 (آخر ذي الحجة 608) أكثر من مئة ألف محارب[163]، وسيلتحق ملك نبارا بنفسه في آخر لحظة بالمعركة، كما حضر أخو ملك ليون رغم عدم صفاء الجو بين الطرفين[164]، بمعنى أنه كان هناك ضغط للبابا ورجال الدين على كل من نبارا وليون للمساهمة في المعركة، وهذا ما تشير إليه رسالتا الناصر عن شلبطرة والعقاب، ففي الأولى «*وافاهم رسول إلههم... يأمر باتفاقهم وخلع بعضهم ما بقي من شروط الموحدين في أعناقهم*»[165]، وفي الرسالة الثانية : «وكان صاحب نبرّة متعلقا من الموحدين بذمام، ومنقادا إليهم أبدا في أسمح زمام، فسخط عليه صاحب رومة إن لم يكن لقومه معسكرا ولسواد أهل ملته مكثرا، فلحق بتلك الجموع مهرجا، وتوسّط بحرهم المزيد ملججا»[166]. فكان لخيالته

---

(159) البيان 234، وكان قبل ذلك واليا على سجلماسة، وتتحدث الرسالة (67) عن خرق النصارى للهدنة.

(160) كان المنصور حاول فتحه فاستعصى عليه وتخلى عنه، المعجب 319، الرسالة (67).

(161) الرسالة (68)، اشباخ 358.

(162) القرطاس 240، 3/1082 ....Ensyclopedie.

(163) اشباخ 358–360.

(164) اشباخ 359.

(165) الرسالة (67)، وربما يكون المقصود من «بعضهم» ملك ليون (العبر 362/4، 422/6)، الذيل ص 12 (غرباء).

(166) الرسالة (68)، ويتحدث صاحب القرطاس (234) عن اتصال ملك نبارا بالناصر في اشبيلية وعقد صلح دائم بينهما، بينما يرى ابن خلدون (362/4، 422/6) وصاحب الذيل (12 غرباء) أن الذي اتصل بالناصر هو صاحب ليون خداعا منه للمسلمين، كما أن Nevil Barbour لا يرجّح =

الجبليين رغم قلة عددهم دور مهم في المعركة، حيث عوضت النصارى العائدين إلى خارج ايبيريا بعد توتر علاقتهم مع ملك قشتالة عند فتحه لقلعة رياح وتأمين من بها من الموحدين[167].

وكان لقاء القوات النصرانية والإسلامية بالموضع المعروف بالمرشة[168] الذي غلب عليه اسم العقاب أو العقبات في المصادر العربية واسم **Las navas de Tolosa** في الروايات الإسبانية وذلك يوم الاثنين منتصف صفر 609 (16 يوليوز 1212)[169]. وكان سير المعركة في البداية يعطي الأمل للمسلمين في النصر بينما عبّر الفونسو القشتالي عن فقدان هذا الأمل[170]. غير أن الجناح الأيمن (حيث فرقة الأندلسيين) تراجع، مما جعل القلب (حيث خيمة الخليفة) يتعرض لضربات المسيحيين العنيفة[171]. وانهزم المسلمون وفقد في المعركة الكثير ومنهم أحد أبناء الناصر[172]، وربما كان قتلى المسلمين أثناء الفرار أكثر من قتلاهم في المعركة[173]. وعندما استقر الناصر باشبيلية حاول أن يهدىء الرعية برسالة من إنشاء ابن عياش معتذرا عن الهزيمة ومعبّرا عن الرغبة في الانتقام إذا توفرت العزائم[174].

ويمكن تلخيص أهم عوامل فشل الجيش الموحدي فيما يلي :

— توفر الجانب النصراني على حشود ضخمة وعلى الامكانيات المادية والحماس الديني الذي كان يخلقه فيها رجال الدين المرافقون لها، وتحالفها ضد المسلمين.

— ضعف الروح المعنوية لدى الجانب الإسلامي (الموحدي)، ونقص الانسجام بين عناصره : «فسدت نيات قواد الأندلس... فلما انتشب القتال بين الفريقين فرّ قواد الأندلس وحشودها...»[175].

= قدوم ملك نبارا إلى اشبيلية في هذه الفترة (مجلة تطوان 1965 مقال «سفارة جون ملك انجلترا إلى الناصر»).

(167) المعجب 321، اشباخ 361-362.

(168) هكذا تسميه الرسالة (68).

(169) المعجب 322، الروض المعطار (العقاب)، القرطاس 240، أما صاحب البيان فقد جعل المعركة يوم 8 صفر.

(170) اشباخ 367، وعبّر ابن عذاري عمّا يشبه ذلك بقوله «كان الظهور أولا للمسلمين» (240).

(171) القرطاس 239. راجع الهامش 142 سابقا.

(172) هو الابن الأكبر حسن اشباخ (369)، فهل هو يحيى الذي يجعل صاحب المعجب وفاته سنة 608 (ص 308)؟ انظر الهامش 312 على الصفحة 203 لاحقا.

(173) اشباخ 370.

(174) البيان (241-242).

(175) القرطاس (238-239)، انظر أيضا الروض المعطار ص 416 (مادة العقاب).

ويتحدث صاحب البيان المغرب عن ضعف عزائم الموحدين بسبب ما فعله الناصر بأشياخهم مثل عاملي فاس وسبتة وأعوانهما[176]، وتلمح رسالة الناصر عن الهزيمة إلى كثرة النصارى وإلى نقص العزائم عند المسلمين.... أما صاحبا المعجب والروض المعطار فيعللان ضعف العزائم بتأخير العطاءات للأجناد، قال صاحب المعجب «وأكبر أسباب هذه الهزيمة اختلاف قلوب الموحدين وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف (المنصور) يأخذون العطاء في كل أربعة أشهر لا يخل ذلك من أمرهم، فأبطأ في مدة أبي عبد الله هذا (الناصر) عنهم العطاء وخصوصا في هذه السفرة[177] فنسبوا ذلك إلى الوزراء وخرجوا وهم كارهون، فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلّوا سيفا ولا شرعوا رمحا.... بل انهزموا لأول حملة الافرنج عليهم قاصدين لذلك»[178]، وتحدث صاحب الروض المعطار عن خروج الناصر للمعركة في «حشود لا غرض لهم في الغزو وقد أمسكت أرزاقهم وقُتّر عليهم مع ما كان من قتله لابن قادس»[179].

وهكذا يكون العامل الأساسي في الهزيمة من الجانب الموحدي يتمثل في أن الناصر أحاط نفسه بأعوان غير أكفاء أو أنانيين[180] ففقد الاستفادة من ذوي الخبرات، وضاعت مخازن الدولة طعاما ومالا لصالح عمال استغلوا نظام الجباية القاسي لصالحهم على حساب الفلاح وعلى حساب الدولة[181]، فاختل نظام الرواتب للجيش أي فقد التشجيع المالي زيادة على المعنوي، فالمعركة إذن تمت في ظروف غير مواتية فكانت خسائر المسلمين ــ رغم سكوت رسالة الناصر ــ فادحة باتفاق الروايات الإسلامية والنصرانية وإن اختلفت في الأرقام ما بين المبالغة والاعتدال[182].

ثانيا : عواقب معركة العقاب :

أ ــ العواقب على المدى القريب :

تهتم هذه الفترة بالاستقرار النسبي في العلاقات بين الطرفين الموحدي والاسباني الناتج عن ظروف كل منهما خلال عهد المستنصر بالخصوص.

(176) البيان (240–241).

(177) راجع الصفحات (140–142).

(178) المعجب 322.

(179) الروض المعطار 416.

(180) مادة (العقاب) في Ensyclopedie.... 3/1081–1082.

(181) انظر الفقرة الأخيرة من هذا الفصل ص 217 وما بعدها.

(182) المعجب 321 «قتل خلق كثير»، الحلل الموشية (161) «المعركة التي فني فيها أهل المغرب والأندلس»، القرطاس (241) يجعل الناجين من المعركة بنسبة واحد من الألف من مجموع المقاتلين المسلمين الذين يزيدون عن نصف مليون حسب روايته، أما الرواية النصرانية فتقدر عدد القتلى المسلمين في المعركة وأثناء الفرار بما بين مئة ألف ومئتي ألف (أشباخ 370).

1 ـــ بالنسبة للطرف الاسباني :

يتفق المؤرخون المسلمون على أن كارثة العقاب أدت إلى انهيار الأندلس وضياعها تدريجيا من يد المسلمين، كان هذا على المدى البعيد، أما على المدى القريب نسبيا من المعركة، فإن ما تميزت به الوضعية خلال العشر سنوات اللاحقة بها هو الاستقرار النسبي في العلاقات بين الطرفين الإسلامي والمسيحي الرسمي على الخصوص، حتى أن قشتالة المنتصرة في المعركة عقدت الهدنة مع الموحدين بدلا من أن تستغل الوضع وتشن حرب استرداد كاسحة، فلماذا ؟

خلال سنتي 610 و611 (1212 و1213) جرت أهم العمليات النصرانية في الأراضي الإسلامية بحيث سيطرت القوات القشتالية بعد «العقاب» على عدد من الحصون القريبة من المنطقة واتجهت جنوبا فاستولت على مدينتي أبذة وبياسة بولاية جيّان ثم اضطرت للانسحاب عنهما[183] وحدثت بعد ذلك غارات على منطقة اشبيلية لم تكن لها نتائج فعّالة، بل إن فرقة من جيش ليون تعرّضت للهزيمة خارج اشبيلية أمام حاميتها سنة 610[184]، ولم تستطع ليون غير الاستيلاء على حصن القنطرة بوادي تاجه[185]، وحتى البرتغال لم تستول على مدينة قصر أبي دانس (1217/614) إلا بدعم حملة صليبية كانت متجهة إلى فلسطين[186].

هناك مجموعة من العوامل كانت تعرقل الاستمرار بشكل فعّال في حرب «الاسترداد» :

ـــ صمود الحاميات الاسلامية وسكان المدن رغم ضعف دعم السلطة المركزية أو سلطة اشبيلية[187].

ـــ نقص التموين للقوات النصرانية مما يجعلها لا تستطيع مطاولة الحصار، هذا إلى جانب انتشار الوباء الذي ساعد عليه كثرة قتلى معركة العقاب[188].

ونقص التموين مرتبط أيضا بانخفاض المنتوج الزراعي بسبب الانشغال بالمعركة والاستعدادات لها فكانت سنة 610 (1213-1214) على الخصوص سنة نقص المؤونة : ففي إحدى رسائل المخطوط الخاص الموجهة من والي اشبيلية إبراهيم بن الخليفة يوسف إلى الخليفة المستنصر مؤرخة بعشرين صفر 611 (فاتح يوليوز 1214). توجد الإشارة الآتية : «فقد كانت أصابت الناس شدة ظاهرة في العام بما كان من غلاء السعر وعدم الطعام، إلى

---

(183) المعجب 322، الروض المعطار ص 6 (مادة أبذة) وص 202 (حصن الكرس)، القرطاس 272، عنان 2/(323-324)، اشباخ 371-372.

(184) الروض (مرج الحمار)، العبر 522/6 Miranda = Historia politica (2/430-431).

(185) وكان ذلك بدعم من قشتالة، اشباخ 386، وميراندا Historia 2/431.

(186) الروض (قصر أبي دانس) ص 475، القرطاس (242-243) 273، عنان (2/338-339)، اشباخ (450-451) ميراندا 442/2 وما بعدها.

(187) مثلا أهل مدينة ابدة رفضوا اخلاءها حتى دخلها النصارى بالسيف، الروض المعطار (ص 6).

(188) صاحب القرطاس (270) يتحدث عن الوباء بالأندلس والمغرب سنة 610 (1213-1214).

أن تدارك الله المسلمين... فالرخاء هنا الآن والحمد لله كائن موجود... والناس بالهدنة والعافية مستبشرون... ويشتغلون بضم زروعهم آمنين»[189]. فالمفهوم أن سنة الشدة هي سنة 610، وهذا في المناطق الإسلامية على الأقل[190]، بحيث لم يكن يشجع الجيوش النصرانية الغازية على التحركات مادامت المؤن ضعيفة في هذه المناطق، ويبدو أنه كان هناك نقص في الأمطار خلال سنة 610، ثم أخذت الحالة تتحسن خلالْ سنتي 611 (1213-1214) و612 (1214-1215)، فكثير من رسائل المخطوط الخاص تتحدث عن توالي الأمطار، واشتغال الناس بالحرث وانتظار موسم حصاد جيد ورخاء وما شابه هذا، ومن المرجح أن معظم رسائل هذا المخطوط كتبت خلال سنتي 611 و612[191].

وهكذا أصبح في الإمكان إعادة تنظيم الغارات النصرانية منذ 611 مادامت المنطقة الإسلامية على الأقل أخذت تشهد انتعاشا زراعيا يستقطب إليه أنظار الأعداء، إلا أن هذا الأمر كان مرتبطا أيضا وعلى الخصوص بالحالة الداخلية في الممالك الاسبانية وبالعلاقات فيما بينها : فهذه العلاقات حتى في الفترة القريبة جدا من معركة العقاب لم تكن علاقات نقية بين قشتالة وليون من جهة ثم بين ليون والبرتغال من جهة ثانية، فقد استولت ليون على عدد من الحصون القشتالية في الحدود حول نهر دويرو، وحاول ملك **قشتالة** أن يعطي اهتماما أكبر لتنسيق الغارات مع ليون على الأراضي الإسلامية، وقبل أن يتوصل مع ملكها (ليون) إلى تحقيق تحالف بهذا الشأن عاجلته منيته في 6 أكتوبر 1214[192] (آخر جمادى الأولى 611)، وستدخل قشتالة مرحلة الوصاية على العرش. كما أن **البرتغال** من جهتها كانت لها انشغالات داخلية خاصة بين الملك ورجال الدين، وكان **ملك ليون** يتدخل أحيانا في البرتغال وبأسلوب عسكري[193]. وبالنسبة **لأرغون** فإن ملكها بيدرو الثاني بمجرد دعوته من «العقاب» انشغل بمشاكل ما وراء البرنيس، ثم كان مقتله في إحدى المعارك هناك في أواسط

---

(189) الرسالة رقم 70 (م ج) وهي على صفحات المخطوط من 334 إلى 337، لاحظ فيها الربط بين الأمن الداخلي والانشغال بالعمل الزراعي.

(190) توجد في التشوف إشارة إلى المجاعة الشديدة ببجاية (ضمن ترجمة المتوفى بها خلال هذه المجاعة سنة 611) ص 148 (فور)، أي أن هناك ظروفا مناخية غير مناسبة أيضا في الشمال الإفريقي على الأقل منذ سنة 610، ويحتمل أن تكون هذه الحالة هي نفسها في ايبيريا بل يتحدث اشباخ (386) عن جمود حرب الاسترداد في هذه الفترة معللا ذلك بالقحط الذي أصاب اسبانيا حتى أن الروايات لا تتحدث عن أخبار الحرب في أوائل سنة 1214 (أواخر 610).

(191) الرسائل التي وردت فيها الإشارات للمطر (تصريحا أو تلميحا) هي أرقام : 70، 71، 72، 73، 74، 78، 81، 82، 88، 103، 104.

(192) اشباخ (385-386)، Miranda, Historia politica 2/231، راجع أيضا الرسالة رقم (71).

(193) اشباخ 385، 449، عنان 611/2.

دجنبر 1213[194] (آخر رجب سنة 610)، ودخلت أرغون مرحلة الوصاية على الملك الطفل كما في قشتالة.

وهكذا فإن هاتين الدولتين (أرغون وقشتالة) اللتين يمثل تحالفهما تهديدا قويا للمسلمين دخلتا في فترة الأوصياء والفتن الداخلية : ففي أرغون أصبح هناك نزاع بين أنصار الملك الطفل خايمي وأنصار عميه المطالبين بالعرش، ولم تهدأ الأحوال إلا حوالي سنة 1227 (624-625)، بحيث أمكن توجيه الأنظار نحو الأراضي والجزر الإسلامية المجاورة[195]. أي أن فترة حكم المستنصر كانت فترة هدوء بشكل عام على المستوى الرسمي مع الأرغونيين، وربما كان هذا من العوامل التي جعلته يقدم تسهيلات لبعض رعايا أرغون مثل رهبان دير بوبلات Poblet للرعي بأراضي المسلمين[196].

أما في قشتالة فإن الفونسو الثامن مات[197] وترك ابنه الطفل هنري الذي كان في حاجة لوصي عليه، فتكفلت به أخته برنجيلا Berenguela وتلقبت بالملكة، إلا أنها أصبحت في مواجهة منافسة أسرة آل لارا القوية (بزعامة الكونت نونيزدي لارا)، ورغم أن برينجيلا تنازلت له عن حق تربية الملك فإن تزايد أطماع أسرة لارا أدت إلى اندلاع حرب أهلية بين أنصار هذه الأسرة وأنصار «الملكة» وخاصة بعد موت هنري وانتقال العرش إلى ابنها فرناندو (الثالث فيما بعد) من زوجها ــ سابقا ــ الفونسو التاسع ملك ليون، وقد تدخل هذا في شؤون قشتالة بصفته والد ملكها الطفل، وبالتالي طمع في حكمها أيضا. ولم تتراجع الحرب الأهلية نسبيا إلا عند حصول الوئام بين الملك الأب والملك الطفل وموت زعيم آل لارا سنة 1218 (614-615)، فأصبحت منذئذ ثورات أنصار هذه الأسرة متقطعة[198]. وسيجدد فرناندو الثالث القشتالي حرب الاسترداد الناجحة منذ أواسط العشرينيات خاصة بعد وفاة أبيه الفونسو التاسع ملك ليون سنة 1230 (627) واتحاد ليون مع قشتالة في عهده، وسيقع السباق بين مختلف الأطراف الاسبانية للتوسع، فتأخذ أرغون الجزر الشرقية وشرق الأندلس، وتستولي البرتغال على إقليم الغرب بأكمله، وتتحرك قشتالة للزحف على أراضي الوادي الكبير ومدنه.

إن فترة الوصاية كانت فترة ركود لحرب «الاسترداد» بل لاحظنا من العوامل ما جعل

---

(194) اشباخ (379-383)، عنان 603/2-605.

(195) اشباخ (414-417)، عنان 605/2-606.

(196) هذا الظهير رقمه 105 مكرر (م ج) انظر رأيا آخر يراه Torres في مقالة عن السيد أبي زيد (El Sayyd Abu Zayd....) في مجلة «أوراق» ع/ 3 ص 103، مدريد.

(197) مات قبله ولي عهده في 14 أكتوبر 1211 (4 جمادى الأولى 608)، Historia politica 2/421.

(198) أشباخ 387-394، عنان 2/(333-334) و(592-593).

قشتالة تبحث عن عقد الهدنة مع الموحدين[199] وهذا ما تم سنة 612[200] : فأمام مشاكل قشتالة أرسل الوصيُّ على الملك زعيم آل لارا الكونت «أربل بن نونة» وفدا للمفاوضة يرأسه الوزيران أبو الحجاج بن مزاح وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحجاج بن الفخار، ومع الوفد رسالة إلى والي اشبيلية للاعتناء بأعضائه[201]. وبعد الاتفاق على الخطوط العامة للهدنة بين الوفد والخليفة بالمغرب كلف الخليفة والي إشبيلية السيد إبراهيم بن الخليفة يوسف باختيار وفد للمفاوضة برئاسة مساعده الشيخ أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان «الخبير بذلك»[202]. ويكون ضمن الوفد الموحدي السيد أبو الربيع صاحب جيان والشيخ أبو العباس بن أبي حفص صاحب قرطبة[203]. ويبدو أن هذه المفاوضات تمت نهائيا في إشبيلية سنة 612 وغادرها الوفد القشتالي عائدا إلى بلاده، وقد كتب بهذه المناسبة والي اشبيلية السيد إبراهيم رسالة إلى مقر الخلافة مخبرا بوصول الوفد القشتالي من لدن الخلافة إلى اشبيلية ثم «أخذ الأرسال المذكورون في الانفصال من هنا-(إشبيلية) إلى صاحبهم على الوجه الذي اقتضاه النظر الكريم» (نظر الخليفة)[204]، واعتبرت هذه الهدنة مكسباً هامّاً لصالح الخلافة، فكان لابد من التنبيه للمحافظة عليها من قبل الطرف الموحدي ومن ذلك ما أشارت إليه الرسالة الجوابية من إشبيلية والتي تخبر «بوصول الكتاب الخليفي المتضمن للأوامر برعي السلم مع صاحب قشتالة... حتى تقوم عليه.... الحجة»[205]. وكان القشتاليون من جهتهم لا يتعرضون — على الأقل بالنسبة للقوات الرسمية — لنقض الهدنة[206]، إذ تتكرر الإشارة إلى ذلك في عدد من الرسائل الموجهة من والي إشبيلية إلى مقر الخلافة[207]. وكما سبق الذكر

---

(199) سنرى الظروف الداخلية بالنسبة للموحدين أيضا فيما بعد.

(200) البيان 244، العبر 524/6، ويسمى ديفورك اتفاقية 612 «باتفاقية سلا» لسنة 1215 : Relations du Maroc et de la castille في مجلة «تاريخ وحضارة المغرب» كلية الآداب بالجزائر عدد 1968/5، ص 39-40.

(201) انظر الرسالة رقم 77 (م ج) وهي تؤكد خطأ ما ورد في البيان (244) عندما ذكر الصلح مع ملك قشتالة، فالأصح ملكتها التي كانت تملك قانونيا حق إعلان الحرب والسلم والمعاهدات، وينفذ الوصي ذلك بإذنها، (اشباخ 388).

(202) الرسالة 78 (م ج)، ويتضح من الرسالة رقم 79 (م ج) أن هذا الشيخ كان صاحب الأعمال (المالية)، وقد أمِر الوالي بأخذ رأيه ونصائحه ربما لخبرته، وربما أيضا لسياسة ابن جامع الوزير لمراقبة السادة في الولايات كصورة مصغرة لمراقبته هو للخليفة في إطار الصراع بين نفوذ السادة والأشياخ.

(203) الرسالة (95)، البيان 244.

(204) الرسالة (80).

(205) الرسالة (81).

(206) يذكر ديفورك أنه لم تكن هناك هجومات قشتالية وإنما مناورات طفيفة (المقال السابق ص 40).

(207) الرسائل : 82، 103، 104.

كانت الحرب الأهلية والنزاعات بين الممالك الاسبانية تمنع من خرق هذه الهدنة مع الموحدين، وتتكرر في عدد من الرسائل الإشارات إلى ذلك مثل : تفرّق شمل الكفار...»، «الفتنة بين الكفرة مضطرمة...»، «جعل الله بأسهم بينهم....»[208]. فالطرفان معا الموحدي والقشتالي كانا حريصين على استمرار الهدنة، وربما كان الموحدون يشعرون بأنهم أحوج إليها لاضطراب أمورهم بالمغرب ونقص الاستقرار أيضا في الأندلس[209]. فعندما قام أحد المسؤولين بالاعتداء على مجموعة من النصارى وجّه الخليفة المستنصر استنكارا لهذا الحادث : «لا تتعرضوا من الشر لما تعجز عنه طاقتكم»[210]. وقد تكون هذه الحادثة هي نفسها التي تتحدث عنها رسالة والي اشبيلية مخبرة بقتل المعتدي على النصارى وإطلاق سراح الأسرى «حذراً من نكث العهد... وخوفا أن ينجم ناجم فتنة أو نفاق، أو يستوي ضرر الكفرة على ساق»[211].

وكانت هناك محاولة لعقد هدنة مماثلة بين الموحدين ومملكة البرتغال، فلما توصلت هذه إلى التصالح مع ليون ــ التي سبق لها أن تدخلت في شؤون البرتغال ــ تراجعت هذه عن مشروع الهدنة مع الموحدين وجعلتها مرتبطة بموقف ليون، أي تنسيق سياسة الدولتين تجاه الموحدين[212]. إلا أن ذلك التصالح لم يكن له خطر على هؤلاء لأن ليون ستنشغل بأحداث قشتالة كما سبق الذكر، ولن تجد البرتغال من يدعمها غير إحدى الحملات الصليبية للسيطرة على قصر أبي دانس أهم مركز موحدي كان يعرقل التوسع البرتغالي جنوبا في إقليم الغرب[213].

ولما كانت قشتالة لم تستقر أوضاعها نهائيا سنة 618 (1221) فقد فضلت تجديد عقد الهدنة مع الموحدين كما يشير إلى ذلك صاحب البيان المغرب ورسالة وزير المستنصر الواردة به[214]، ويبدو أن المشاكل السياسية لدى الطرفين ليست وحدها وراء تجديد الهدنة، فهناك إشارات إلى ظروف القحط والمجاعة باسبانيا والمغرب[215]. ومع اندلاع الصراع المسلح

(208) الرسائل : 74، 75، 76، 94، 98.

(209) لاحظ ذلك فيما بعد عن عيث بعض القبائل العسكرية بالأندلس وبدء وزحف بني مرين على «البلاد الغربية» بالمغرب الأقصى.

(210) الرسالة رقم (83).

(211) الرسالة رقم (84).

(212) الرسالة رقم (84)، وتلميح في الرسالة (79)، ويرى ديفورك أن ليون هي التي أصبحت الآن لها سياسة ذات أهداف أندلسية توسعية (المقال السابق).

(213) عنان 338/2–340، انظر أيضا القرطاس (242–243) و273، الذخيرة السنية ص 50، الروض المعطار، ص 475 (قصر أبي دانس).

(214) الرسالة (85) والبيان 246، ميراندا في : Historia politica....... 2/445.

(215) البيان (245–246)، الذخيرة السنية 54، وتوجد في التكملة إشارة إلى سوء أحوال إشبيلية (ص 606، ط. القاهرة)، وفي ترجمة بالذيل للمتوفى سنة 618 يذكر أن وفاته كانت وقت غلاء السعر باشبيلية (ص 194، قسم الغرباء خ ع).

حول السلطة بالمغرب والأندلس خلال العشرينيات كانت الأمور تسير نحو استقرار أكثر لصالح الممالك الاسبانية مما سيسهل عليها عمليات اقتسام معظم الأراضي الإسلامية بالأندلس، وهذه من أهم عواقب هزيمة معركة العقاب.

2 ـــ العواقب على المدى القريب بالنسبة للموحدين :

إن ما وقع في اسبانيا من موت ملكي قشتالة وأرغون بعد حوالي سنتين من معركة العقاب وتولي الأوصياء شؤون البلدين، حدث مثله بالمغرب حيث توفي الناصر بعد سنة ونصف من المعركة أي في شعبان 610[216]، وتولى العرش الموحدي ابنه المستنصر قبل أن يبلغ سن الرشد[217]، فأصبح بدوره تحت وصاية وزيره ابن جامع. وعادة ما يصاحب هذه الوضعية عدم الاستقرار في الداخل، وهذا ما كان يدفع إلى الترحيب أو الترغيب في أية بادرة للهدنة مع النصارى خاصة القشتاليين كما رأينا. ويتجلى عدم الاستقرار في عدد من الجوانب رغم ادعاء بعض المصادر أو تعميمها عند وصف عهد المستنصر بأنه عهْدُ دعة وهدوء[216]، فهناك مشكلة الجند الموحدي بالأندلس وثورة كزولة بجنوب المغرب الأقصى وعلى الخصوص فتن المرينيين بشماله :

ـــ **فالمرينيون** : عنصر زناتي، وزناتة كانت مواطنها الأصلية تمتد ما بين بلاد الزاب بإفريقية وحوض نهر ملوية، أي منطقة السهوب الرعوية الواسعة ومنطقة تربية الخيول الأساسية. وقد شارك الفرسان الزناتيون ومنهم المرينيون في معركة الأرك. غير أن القبائل الزناتية منذ أواسط عهد الناصر أصبحت تمثل مصدر قلق للموحدين خاصة عندما ناصرت ابن غانية في تحركه بمنطقة تلمسان سنة 605[219]. وقد استغلت انهيار القدرة العسكرية الموحدية بعد العقاب لتتسرب تدريجيا عبر ممر تازة إلى «البلاد الغربية»[220]، خاصة بعدما فشل والي فاس السيد أبي إبراهيم ابن الخليفة يوسف في وقف زحفها[221]. وتضررت من عيثها المناطق الزراعية

---

(216) كانت وفاة الملوك الثلاثة في التواريخ الآتية : ملك المغرب في 10 شعبان 610 (25 دجنبر 1213 انظر كيفية موته في المعجب 323 والقرطاس 241 والبيان 243)، ملك أرغون 13 دجنبر 1213 (آخر رجب 610)، وملك قشتالة في 6 أكتوبر 1214 (آخر جمادى الأولى 611، انظر عنهما في هذا الفصل ص (183-186) سابقاً.

(217) عمره آنذاك ستة عشر سنة حيث كان قد ولد في شوال 594، (المعجب 323) بينما يجعل صاحب البيان عمره عشر سنوات فقط (ص 243).

(218) البيان 243، والحلل الموشية 162، القرطاس 242.

(219) البيان 229، العبر 6/403-404.

(220) لعل العامل الأساسي لدخولهم إلى المغرب الأقصى عامل مناخي (البحث عن المؤونة)، حيث يظهر أن قساوة الظروف المناخية بالشمال الإفريقي كانت على الأقل بين سنتي 610 و612، انظر الهامش 190 السابق.

(221) البيان 244، القرطاس 272 و286، الذخيرة السنية 49، العبر 6/524 و7/348.

الغربية، إذ يبدو أن لها دورا مهما فيما عرفته البلاد من القحط والمجاعات التي يذكر حدوثها منذ سنة 614 إلى ما بعد 617 حيث ستدخل في صراع مستمر مع القبائل العربية التي كان الموحدون أقروها بالمنطقة لحفظ الأمن وجمع الجبايات، فحاولت القبائل المرينية أن تلعب نفس الدور لكن لصالحها[222]، أي أنها وجدت فراغا عسكريا كان من نتائج معركة العقاب فاستفادت منه لتركيز نفوذها. أما شدة المجاعة سنة 617 فيبدو أنها كانت وراء رسالة الخليفة المستنصر إلى الأمة لتسكين النفوس، حيث يأمر فيها بالمعروف وإقامة الدين وينهي عن المنكر[223].

ــ **ثورة كزولة** : إذا كانت البلاد الشمالية من المغرب الأقصى عرفت الاضطرابات الناتجة عن الصراع بين أنصار السلطة الموحدية من العرب، وبين القبائل المرينية، فإن الجنوب كان يعرف عدم الاستقرار منذ أيام الناصر واشتد الأمر في نهاية عهده وأول عهد المستنصر حيث انتقل الثائر العبيدي من الجنوب إلى أحواز فاس إلى أن قبض عليه وقتل في أوائل عهد المستنصر آخر سنة 610 أو أول سنة 611[224]، هذا التاريخ يحدده المراكشي الذي كان لايزال بالمغرب على الأقل إلى مطلع سنة 611[225]، ولكن هذه الثورة التي انطلقت من جزولة لم تنته بمقتل هذا العبيدي، وإنما استمرت أو تجددت بقيادة ثائر آخر بجزولة ادعى أيضا أنه عبيدي وتسمى بالفاطمي، وليس مستبعدا أن يكون أحد أنصار الثائر السابق أو من أقاربه[226]. ولم تتوقف هذه الثورة إلا بمقتل زعيمها سنة 612[227]، وعندئذ تنفست الدولة الصعداء بسبب طول وخطورة هذه الثورة وإذا كان المراكشي لم يوضح كيفية مقتله لوجوده آنذاك بالأندلس، فإنه أشار إلى الابتهاج العظيم الذي أظهره الجهاز الموحدي بالأندلس بعد مقتله[228].

إن ثورة كزولة هذه ونهاية زعيمها تؤكّدها رسالة المستنصر من مراكش إلى والي إشبيلية وهي مؤرخة بـ21 ربيع الآخر سنة 612[229]، ويبدو أن ابن عذاري اقتبس منها هو أو

---

(222) البيان 244 و247، القرطاس 273 و(286–289) الذخيرة 53، العبر 7/349–350.

(223) الرسالة رقم 106 (م ج).

(224) انظر الهامش 131 سابقا، والمعجب 327 والقرطاس 272 والعبر 6/524–525 وعنان 2(332–333) وهو يغفل ثورة الفاطمي ثائر جزولة المذكور بعد.

(225) المعجب 328.

(226) يشير صاحب القرطاس إلى ثائرين عبيديين أحدهما قتل سنة 600 والثاني وهو ابنه وقد قتل سنة 610.

(227) البيان 243، المعجب 328–329.

(228) المعجب 329.

(229) رسالة زوائد العطاء، رقمها 97 (م ج)، ووالي إشبيلية هو السيد أبو إسحاق بن الخليفة يوسف المتوفى بها في شعبان 612 حسب العطاء (ص 69–70) من المخطوط.

المصدر الذي نقل عنه في إيراده لخبر نهاية الثورة[230]، كما أن الرسالة في المخطوط الخاص رقم 100 (م ج) ــ وهي جوابية صادرة عن والي إشبيلية إلى وزير المستنصر ــ تصف الاحتفال على أثر وصول الخبر بمقتل الثائر «الناجم بجزولة»، وربما هو نفسه الذي تتحدث عنه رسالة المخطوط نفسه وهي الرسالة رقم 99 (م ج) عندما تشير إلى قبض القبائل على «الشقي» وهي نفس الطريقة التي أشارت إليها رسالة العطاء المذكورة لانهاء هذه الثورة[229]، كما تشير إلى عموم البشرى في مواسط البلاد وأطرافها، «والله يلحق بهذا الشقي أمثاله من الضُّلاّل كما ألحقه بمن تَقدّمه من أهل المُحال والضّلال». وتتحدث رسالة أخرى جوابية صادرة عن والي إشبيلية أيضا وبالمخطوط الخاص وتحمل رقم 98 (في م ج) مشيرة إلى أنه على إثر وصول خبر مقتل «الشقي الذي نجم بالقِبلة... اهتزت أرض الأندلس طربا بهذه البشارة العظيمة اهتزازا... وشمل السرور الأمة قاطبة وعمّهم... وإنه لفتح من الفتوح التي يأتي بها أسعد الأزمان...».

إن هذه الثورة التي قويت بعد هزيمة العقاب وموت الناصر كانت خطيرة فيما يبدو، فقد لاحظنا انطلاقها من بلاد كزولة جنوبا، وتحركها نحو منطقة سجلماسة قبل أن تصل إلى ناحية فاس، أي أنها كانت تتحرك في إطار العصبية الصنهاجية أو على الأقل العصبيات المعادية للمصامدة[231]. بل إن العصبية الصنهاجية ستتحرك مرة أخرى مع ثائر آخر «أثار آثاراً قبيحة واستفسد خلقا كثيرا» إلى أن تمكن من قتله سنة 618 والي سجلماسة السيد أبو محمد عبد العزيز بن الخليفة يوسف[232] وأمام استمرار أو تجدد الثورات بالجنوب والذي تحتل جزولة جزءا أكبر منه نطرح التساؤلات الآتية :

* لماذا ادّعى بعض زعمائها أنهم عبيديون فاطميون، هل هو مجرد اتخاذ لقب جديد بعد أن استهلك ثوار سابقون مختلف الألقاب[233]، أم أن ذلك تعبير عن استمرار أفكار شيعية قديمة في المنطقة الجنوبية[234]، وبعبارة أخرى هل كان هناك ميل شيعي بالمنطقة لظهور آل البيت على مسرح السلطة استغله زعيم الثورة ؟

---

(230) قارن الرسالة مع البيان 243 حيث العبارة الآتية : «والموحدون في كل ذلك يعلمون أن مآله ومآل أمثاله من كل من ادّعى دعواه ونحا في الباطل البحث منحاه».

(231) يبدو أن أرض كزولة كانت تمتد على طول السفوح الجنوبية للأطلس الصغير تجاورها في الغرب لمطة وتمتد شرق درعة إلى مشارف أرض سجلماسة وتتألف من عدة بطون، انظر بسط الأرض 58، العبر 282/6، 420، 425، R. Montagne = Les Berbères et le Makhzen (28-29).

(232) المعجب 326–329، وهو ينفرد بذكر هذه الثورة الأخيرة ولا يفصلها لغيابه في المشرق.

(233) كان الماسي يلقب بالهادي، ووصف الجزيري بأنه خارجي من الأزارقة، واتخذ ابن الفرس لقب القحطاني، زيادة على لقب المهدي عند ابن تومرت قبلهم.

(234) يذكر الإدريسي في حديثه عن بلاد السوس أن أهلها فرقتان : فرقة مالكية وأخرى جعفرية شيعية ص 39 (الجزائر 1957)، وربما هذه البقايا هي التي شجعت المهدي على اتخاذ هذا اللقب.

* لقد ثارت كزولة بزعامة أبي قصبة ثم القحطاني في وسط سيطر فيه بنو غانية على كل افريقية تقريبا، ثم انطلقت ثورة العبيدي من جزولة في غياب الناصر بإفريقية، وهدد سجلماسة من الغرب بينما وصلها ابن غانية من الشرق، فهل كانت هناك علاقة بين تحركات كزولة وصنهاجة المغرب الأقصى من جهة وبني غانية المرابطين الصنهاجيين من جهة ثانية لمحاولة تطويق الموحدين من الجنوب عسكريا وتجاريا..[235] أم أن تحرك ابن غانية غربا ناتج فقط عن اتباع أسلوب الكرّ والفر نحو القوة الموحدية خاصة بإفريقية فيجمع الأموال اللازمة للكرّ من مدن المنافذ التجارية الصحراوية من إقليم طرابلس إلى سجلماسة ليداوم حرب الاستنزاف[236]، وأن ثورة كزولة وراءها دوافع محلية كسلبيات الحكم الموحدي بضغطه على العصبيات غير المصمودية ؟ يبدو أن قساوة الحكم وفساده من جهة والعداء التقليدي بين كزولة والموحدين منذ ظهور دعوتهم من جهة أخرى جعل أولائك يتبعون كل ثائر حتى ولو كان من غير عصبيتهم.

* نتساءل أخيرا هل هناك علاقة بين حركة قبائل كزولة وصنهاجة جنوبا وبين حركة بني مرين شمالا ؟ لا يبدو ذلك، وإنما كل من الطرفين حاول أن يستغل ضعف السلطة المركزية والفراغ العسكري لتأكيد استقلاله بمنطقته، فالمرينيون عصبية زناتية ولها مشيختها وأميرها ولم يظهر لها اتجاه سياسي إلا تدريجيا بينما كانت كزولة وراء دعاية سياسية معينة (حتى قبل هذه الفترة) وادّعى ثائرها في هذه المرة أنه فاطمي أي شيعي.

ــ **مشكلة السلطة وفوضى الجند الموحدي بالأندلس** : رأينا أن عبد المومن استطاع أن يفرض نفسه على المصامدة كما تجلى ذلك في توريث الحكم في سلالته، وتوزيع الولايات على أبنائه، وجعل أشياخ المصامدة مساعدين لهم، واعتمد في إنجاح هذه السياسة على قبيلته كومية وقبائل العرب التي مهد الطريق لدخولها إلى المغرب[237]. غير أن المنصور أخذ يميل إلى أشياخ المصامدة ويبعد السادة (القرابة) من الشؤون السياسية بسبب المؤامرات التي تكررت من هؤلاء أكثر من مرة[238]، وفي أيام مرضه الذي توفي منه ترك كبار الأشياخ من المصامدة أوصياء وسندا لابنه الناصر كالوزير أبي زيد ابن يوجان الهنتاتي والشيخ عبد الواحد الحفصي، غير أن الناصر حاول أن يخفف من ثقل هؤلاء بتعيين الحفصي واليا على إفريقية وتعيين ابن يوجان على تلمسان واشتد على العمال من الأشياخ كعاملي فاس وسبتة[239]. إلا أن نفوذ

---

(235) لاحظ القرابة التي يذكرها الذهبي في «شذرات الذهب» بين ثائر السوس المسمى عبد الرحمن ابن الحدّارة في أيام الناصر، وبين توسع ابن عمه (كذا) ابن غانية بإفريقية (المجلد 5/43-44، ضمن ترجمة الناصر).

(236) سيهاجم مرة أخرى سجلماسة سنة 624، العبر 592/6.

(237) راجع الفصل الأول ص (36-38).

(238) المعجب 265 و(276-278) و(280-281).

(239) راجع الصفحة 176 من هذه الدراسة التاريخية.

الأشياخ أخذ يَقوَى بعد هزيمة العقاب حتى قيل أنهم وراء موت الناصر خوفا من انتقامه منهم[240]، وإذا صحّ هذا يكون أول خليفة موحدي قتل على يد حاشيته، وهذا من مؤشرات بداية انهيار السلطة المركزية.

تزايد نفوذ الأشياخ مع خلافة المستنصر الطفل الذي خضع لوصاية الوزير ابن جامع حفيد أحد أصحاب المهدي، وسينكشف الصراع بين السادة والأشياخ بعد موت المستنصر ويبلغ أوجه أيام المأمون : ففي عهد المستنصر «أقام أشياخ الموحدين دولته مع أشياخ من أعمامه»[241]، «وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بأمره»[242]، ويذكر المراكشي أن الناصر كان في أواخر أيامه منحرفا عن ابنه يوسف (المستنصر) لما كان يسمع عنه من سوء أخباره[243]، فهل كان لابن جامع الدور الأساسي في إيصاله إلى الخلافة ؟[244] يذكر البعض أنه استغل صغره وشجعه على حياة اللهو فاستبد بالأمور وظل يخفي عنه شؤون الدولة، بل هناك من يحمّله المسؤولية فيما كان يحدث من النهب وقطع الطرق في المسالك الرئيسية بالمغرب الأقصى[245]، وبعد إعفائه من الوزارة سنة 615 أعيد إليها[246] ثم عزل بعد سنتين وتوفي قبل وفاة المستنصر التي حدثت بتدبير أشياخ المصامدة[247].

فكيف كان انعكاس ضعف السلطة المركزية على بعض الأقاليم البعيدة كالأندلس وخاصة من ناحية الأمن ؟ بالنسبة للأندلس تهمل المصادر العربية المعروفة الحديث عنها بعد العقاب تقريبا إلى العشرينيات، غير أن مخطوط «العطاء» والمخطوط الخاص يتوفران على بعض الرسائل التي تشير إلى هذا الموضوع : ففي الوقت الذي اطمأن فيه الأندلسيون من هجمات القشتاليين بعد موت ملكهم في أواسط 611 بدأت المحاولات لعقد الهدنة بين الطرفين، وفي الوقت الذي كان الناس ينتظرون بأمل كبير موسما زراعيا جيدا بدأت بعض الجماعات العسكرية

---

(240) المعجب 323، البيان 243، القرطاس 241.

(241) القرطاس 342.

(242) العبر 523/6.

(243) المعجب 325–326، هل كان يوسف وليا للعهد أثناء حركة أبيه إلى افريقية ؟ فأحد الشعراء مدح الناصر على انتصاراته وذكر معه ابنه يوسف (البيان 232) وهل فكر الناصر في نقل هذه الولاية ليحيى ابنه لو طالت عمره ؟ يذكر ابن أبي زرع أن الناصر بعد عودته من العقاب أخذ البيعة لولده يوسف (ص 241) !.

(244) يذكر صاحب المعجب بعض السادة والأشياخ الذين شاركوا في بيعته من البداية (326).

(245) الذيل (قسم الغرباء) خ ع ضمن ترجمة علي ابن القطان (ص 176 من طبعة 1984).

(246) العبر 524/6.

(247) ذكر صاحب الذيل ضمن ترجمة ابن القطان أن عماله ورجال دولته خافوا منه أن يقبض عليهم ويستصفى أموالهم فدسّوا له من سمه (الذيل س 8 ص 179 ط. 1984).

انتهاك الدور والمزارع وإتلافها، فرسالة «العطاء» الموجهة من إبراهيم(248) والي إشبيلية إلى الوزير ابن جامع (وهي رقم 90 في (م ج)) تتحدث عن «فلانة ــ أصلحهم الله ــ فإنهم عاثوا في هذه الجهات،... وتلمّظوا للزرع تلمّظ المستعدّين لانتهابه...»(249). كما تشير إلى حادثة بينهم وبين أحد الهرغيين حيث قتلوه، ويعترف الوالي بضعف السلطة بقوله «وما لأحد هنا طاقة بكف فلانة... ولا اقتدار». وفي رسالة أخرى من نفس الوالي إلى القائد ابن مثنى (رقمها 91 م ج) «إن أهم ما يجب تبليغه... ما اشتد بالرعية في هذه الجهات من بأس فلانة ــ أصلحهم الله ــ... قد عاثوا في هذه الجهات... وتفاقم أمرهم كل التفاقم... وقد كان مجلّكم (الوالي) طالع قبل هذا بأفعال القوم...»، وفي رسالة أخرى في نفس المصدر (رقمها 92 في م ج) مؤرخة بـ 20 محرم 612 عن نفس الوالي أيضا إلى الوزير ابن جامع فيما يبدو يتحدث عن أهل «فلانة» أنفسهم وعيثهم حتى أن بعض السكان فرُّوا من عملهم ومساكنهم وبقي البعض الآخر ينتظرون جني ثمارهم وزروعهم إن سلمت لهم من يد هؤلاء العائثين، «وأنتم إن شاء الله تسعون في حسم هذه العلة سعيا جميلا». أما الرسالة رقم 93 (م ج) فهي تقارن بين عيث «فلانة» وعيث «ابن الرنق» (ملك البرتغال) بجهات إشبيلية من قبل، وتجعل عيث النصارى أقل وأهون، وينذر الوالي صاحب هذه الرسالة بإمكانية اندلاع الفتنة بين السكان وهؤلاء «فيؤول ذلك إلى ما يكرهون والعياذ بالله من ذلك».

ما هو الهدف من هذا العيث والتعدي على الناس وسلبهم أرزاقهم والاعتداء على محارمهم ؟ قد يكون ذلك ما أشار إليه والي إشبيلية في رسالة له بقوله : «ويظهر من القوم... ما قد أعلنوا به وصرّحوا من أنهم إنما يقصدون المبالغة في الضرر ليسمع خبرهم فيُجازوا البحر ويسرَّحوا» (الرسالة 90)، وقد يكون ذلك أيضا لانقطاع العطاء عنهم(250) في الوقت الذي منع عليهم المواجهة مع النصارى نظرا لظروف اجراءات الهدنة أو التمهيد لها فلم يبق أمامهم غير عمليات نهب الأهالي عوض الغنائم.

إن هذه الرسائل ــ المشار إليها سابقا ــ من المرجح أنها كتبت فيما بين أواسط 611 وأواسط سنة 612(251)، وأما المقصود من «فلانة» فهي الجماعات العسكرية التي بقيت بالأندلس على الأرجح منذ هزيمة العقاب، ولم يؤذن لها بالعودة إلى المغرب. ويبدو أنها عناصر من قبائل كومية(252) والعرب حسبما نستنتجه من رسائل أخرى وردت في المخطوط

---

(248) هو في الغالب إبراهيم بن الخليفة يوسف، وكان واليا على إشبيلية من بداية سنة 611 إلى وفاته بها في منتصف شهر شعبان سنة 612 (العطاء ص 79)، والرسالة رقم (84).

(249) ومما ألزموه الرعية «تكاليف يلزمونهم منها ما يضعفون عن حمله»، الرسالة (90).

(250) ورد في الذيل (الغرباء) أن الوزير ابن جامع سرّح الرجالة من الجند وأرجل الفرسان (ص 177 من طبعة 1984 ضمن ترجمة ابن القطان).

(251) راجع حول خصوصيات الرسائل المتعلقة بهذا الفصل الصفحتين 150-151.

(252) من المرجح أن عبارة «أصلحهم الله» تشير إلى كومية باعتبارهاعصبية الخليفة وقرابته.

الخاص[253] : الأولى هي الرسالة رقم 79 (م ج) وهي جواب والي إشبيلية إبراهيم ابن الخليفة يوسف على رسالة الوزير أبي سعيد ابن جامع يذكر فيها الوالي توصّله برسالة الخليفة التي يأمر فيها «بمخاطبة كومية بكتاب عزيز يقرأ عليهم»، ولعل الرسالة الجوابية الثانية رقم 94 (م ج) والصادرة عن الوالي نفسه إلى الخليفة المستنصر تعطي بعض التوضيح لمضمن الرسالة الأولى، فالوالي يجيب بأنه توصل بالرسالة الخليفية التي تتضمن تحذيرا لكومية ـــ مزوارهم وجماعتهم ـــ من عاقبة الاعتداء، فأبلغهم الوالي هذا التحذير، كما تتضمن تقديم شيخ جديد على «بني رياح وقرّة مناف» والتنبيه له على اتباع «الطريقة الحميدة». أما الرسالة الثالثة وهي رقم 95 (م ج) فإنها تشير إلى وصول كتاب الخليفة إلى الوالي يأمره بنقل العرب إلى الأماكن الخالية القصية، فبادر الوالي إلى امتثال الأوامر[254] ثم جاء الاذن أخيرا من الخليفة بترحيل كومية إلى المغرب[255]، لكن بعد «أن يتغافروا مع أهل البلاد»، فلا يجتازون المجاز إلا وهم «برآء من المآثم، أيديهم مقبوضة، وأعراضهم نقية...» ثم بعد ذلك يرتحل العرب أيضا عن الأندلس[256].

هنا نتساءل لماذا تأخر السماح بالجواز لهذه القبائل إلى المغرب رغم الحاجة إليها لمواجهة بعض الأحداث الداخلية كثورة كزولة ؟ هناك احتمالات قد تكون منفردة أو متكاملة :

ـــ قد تكون الظروف الداخلية بالمغرب بعد هزيمة العقاب وموت الناصر شغلت السلطة عن أمور الأندلس ومن بقي بها من جيوشه الناصر بعد الهزيمة.

ـــ وقد يكون السبب هو عدم الاستقرار في العلاقات مع قشتالة بالخصوص مما يجعل الأندلس

---

(253) هي رسائل من إنشاء أبي العباس ابن جعفر عن والي اشبيلية إبراهيم الخليفة يوسف وهي جوابية على رسائل وردت باسم الخليفة أو الوزير وهي مفقودة لحد الآن ـــ حسب علمنا ـــ غير أن الرسائل الجوابية تتضمن إشارات لما ورد في تلك الرسائل.

(254) هناك رسائل أخرى يتحدث فيها الوالي عن تنفيذه للأوامر المطاعة ! وهي ذات الأرقام 86، 87، 88، 89 (م ج) بحيث قد تكون لها علاقة بهذه العناصر العسكرية (خاصة الرسالتان 88 و89) أو بموضوع المحافظة على الهدنة مع قشتالة أو هما معا.

(255) الرسالة رقم 96 وهي مؤرخة في الأصل بـ 13 شعبان سنة 616، ويبدو أن الأصوب هي سنة 612، راجع خصائص هذه الرسالة في ص 150.

(256) يذكر المراكشي أن أول استقرار للعرب بالأندلس الموحدية كان في عهد عبد المومن (ص 226) كما وزع هؤلاء العرب مع كومية في منطقة الجنوب الشرقي (البيذق 89)، وبلغ عدد العرب في نواحي قرطبة وإشبيلية ـــ وقت تأليف المعجب ـــ خمسة آلاف فارس غير الرجالة (226) ويبدو أن عناصر كومية والعرب المذكورة في هذه الرسائل هي من جملة القبائل التي دخلت الأندلس مع الناصر ولم يتم تسريحها أو تجويزها آنذاك، والملاحظ أن المراكشي كان لايزال بالأندلس إلى سنة 614 ولم يذكر شيئا من هذه الاضطرابات ربما للاختصار أو لاخفاء مساوىء الولة الموحدية التي ارتبط بصداقة بعض أمرائها.

مهددة قبل توقيع الهدنة معها 612 وعندئذ لم تعد البلاد في حاجة إلى هذه القوات وتكتفي بالحاميات الرسمية.

ــ وهناك احتمال أقوى وهو ربط هذه المسألة بالسياسة الداخلية : فالمستنصر أصبح تحت وصاية الوزير ابن جامع الذي ربما كان هو وأنصاره من الأشياخ يمانعون في استقدام كومية والعرب من الأندلس باعتبارهم الجماعة التي يمكن أن تدعم الخليفة القاصر وهيئة السادة في وجه الأشياخ وابن جامع ريثما يتمكن من تجنيد مرتزقة من النصارى(257) لتعويض القوات القبلية ــ نسبيا ــ التي أظهرت فشلها وقلة إخلاصها في العقاب.

ــ ونتساءل أيضا ما مدى مسؤولية ابن جامع في الأحداث ؟ كان لابن جامع منافسون من داخل هيئة السادة ومن بعض الأشياخ أيضا منذ إبعاد الهنتاتيين عبد الواحد الحفصي وابن يوجان وخاصة منذ أن تولى أمر الوصاية على المستنصر، ولذا من الصعب قبول مختلف المساوىء التي نسبت إليه وتحميله كل المسؤولية في الأحداث فهي ليست من صنع رجل واحد وإنما تراكمت الظروف السلبية على المغرب منذ ما قبل عهد المستنصر لعوامل داخلية وأخرى خارجية.

ويمكن القول أن السمة الأساسية التي اتسم بها العهد الموحدي منذ هذه الفترة هي ضعف السلطة مركزيا وإقليميا، ومن حسن حظ الموحدين في عهد المستنصر انشغال النصارى بمشاكلهم إلى السنوات العشرينية.

ب ــ عواقب هزيمة العقاب على المدى البعيد نسبيا :

تعالج هذه الفقرة بداية الضغط المسيحي الذي سينتهي بخروج الموحدين من الأندلس وما رافقه من اضطراب داخلي بالمغرب، وهذا لا يعني أنه لو لم تكن هزيمة العقاب لما حدث هذا التطور وإنما كانت هذه الهزيمة عاملا على تفجير تناقضات الدولة الموحدية القائمة على أسلوب القوة داخليا، وعلى استغلال ظروف انقسام أعدائها الأسبان.

1 ــ الضغط المسيحي والتراجع الموحدي عن الأندلس :

في العشرينيات من القرن السابع الهجري أخذت موازين القوى تتغير لغير صالح الموحدين سواء بالمغرب أو الأندلس، حيث ظهر الانشقاق داخل الدولة الموحدية بالمغرب وأخذت آثاره تنعكس على الأندلس، كما أخذت تنعكس عليها آثار الاتجاه في قشتالة وليون نحو الوحدة بينهما،

---

(257) يتساءل ديفورك هل هذا الاستعمال للمرتزقة نصت عليه اتفاقية الهدنة مع قشتالة بسلا سنة 612، أم أن الهدنة هي التي سهلت بطبيعتها جلب أعداد منهم لاستخدامهم في مواجهة المرينيين، تماما كما فعل المرابطون لمواجهة الموحدين، ص 41 من مقاله : **Les Relations du Maroc et de la Castille** (مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، ع 5/ 1968).

وتنشيط حرب الاسترداد، وفي أركون نحو تصفية النزاعات الداخلية على حساب التوسع في الشرق الأندلسي، وأيضا آثار الاتجاه في البرتغال لاكتساح منطقة الغرب الأندلسية.

فخلال السنوات الأولى من العشرينيات كان الجو السياسي لايزال غير مستقر نهائيا في قشتالة، وخاصة في أركون، لكن الموحدين لم يستطيعوا استغلال هذه الوضعية بسبب ظروفهم الداخلية : فقد وصل إلى بلنسية أحد خصوم الملك الأرغوني خايمي الأول بعد أن كان من المقربين إليه، هذا الخصم هو بلاسكو دي آلاكون Blasco de Alagón قدِم إليها قبل وصول السيد أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بصفته واليا عليها، عندئذ كتب هذا الوالي إلى الخليفة المستنصر رسالة ــ ربما سنة 620 ــ في شأن هذا النبيل الأرغوني، وتسميه الرسالة «أفلاسكة أرطال»، وقد جاء يطلب اللجوء إلى الموحدين[258]، ويصرّح بأنه مستعد لشن الغارات بأنصاره على حدود مملكة أرغون[259] «فكثير من زعماء أرغون ورجالها أقاربه وفرسانه، وكل في حبله حاطب، ولإمكانه متى أنجده خاطب»[260]، وكان لجوءه إلى الموحدين في هذه المرة هو الثاني من نوعه، وربما استمر من سنة 1223 (620) إلى 1226 (623هـ) ثم عاد إلى أرغون وعفا عنه الملك[261].

إن **وضعية أرغون** هذه لم يستفد منها الموحدون بسبب انشغالهم بمشكل الخلافة بعد موت المستنصر وربما أيضا لطموحات **السيد أبي زيد** الاستقلالية، فهناك من يذكر تبعيته أو تحالفه مع القشتاليين منذ بداية 1225 (622)[262]، أي أن أعماله العسكرية أيام الخليفة العادل تكاد تقتصر فيما يبدو على حصن «بيران» بواسطة ابنه أبي يحيى أبي بكر سنة 622[263]، واستطاع في بداية عهد الخليفة المامون أن يسترجع بعض الحصون التي كانت سقطت بيد أرغون قبل معركة العقاب مثل حصن «بشج»[264] Bexis أو Bejis الذي كان تحت إشراف

---

(258) انظر الرسالة رقم 107 (م ج) وخصائصها في ص 151-152 من هذا الفصل.

(259) تسميه الرواية الاسبانية الدون أرطال دي ألاكون Don Artal de Alagón وأيضا بلاسكو دي ألاكون Blasco de Alagón وكان استفاد من بعض الحصون التي استولى عليها بيدروا الثاني. انظر المقال المذكور من قبل بمجلة أوراق عدد 3 ص 102-103 (El Sayyd Abuzayd).

(260) الرسالة 107 (م ج).

(261) المقال المذكور بمجلة أوراق 103، عنان : عصر المرابطين والموحدين 397/2، وقد استنتج الأستاذ ابن شريفة من هذه الرسالة أن هذا النبيل كان وصيا على الملك خايمي، (أبو المطرف بن عميرة، ص 90-91).

(262) مقال أوراق ص 103، وديفورك : ص 42 في مقاله المذكور .....Les Relations، ميراندا : ج 2/ 455 و461 في ...HisToriaانظر أيضا البيان 248، القرطاس 246.

(263) الروض المعطار (بيران) ص 121.

(264) يظهر أن هذا الحصن يقع قرب شارقة حيث المسافة بينها وبين بلنسية حوالي مرحلتين، قارن مع رأي ابن شريفة، (أبو المطرف... هامش ص 92).

«الدون جيل كارسيس»[265]، بحيث تحركت قوات السيد أبي زيد بعد تقديم ولده عبد الله لحصار الحصن وقطع الإمدادات عنه، وكانت الطريق إليه عبر حصن شَبُرب ثم شارقة، وتم فتح بشج، وأخذه بالأمان بعد القتال من يد حاميته المؤلفة من حوالي مئة مقاتل، وحصّنه السيد أبو زيد بحامية من المسلمين[266]. ومن المرجح أن يكون فتح أبي زيد لحصن بشج قد تم قبل انهزامه أمام ابن هود الثائر بمرسية سنة 625 ربما لأن أبا زيد كان يعلم حزم الخليفة المامون بإشبيلية وامكانية التوصل منه بالإمدادات، وكان أبو زيد من مدعّمي إدريس (المامون) على إعلان خلافته أو على الأقل من الأوائل الذين دخلوا في بيعته[267]. أما بعد ثورة ابن هود بمرسية فإن موقف والي بلنسية أصبح حرجا بين العدو الأرغوني شمالا وثائر مرسية جنوبا خاصة بعدما انهزم أمامه، ثم فشل المأمون نفسه في حصار مرسية. فأصبح السيد أبو زيد يشتكي من قلة المال لتجنيد الرجال من أجل حرب ابن هود حتى شاع بين أجناده أن المامون أصبح يشك في إخلاصه ولذا لم يقدّم إليه أي دعم، هذا ما صرّح به أبو زيد نفسه في رسالة إلى الخليفة المامون[268]. وربما كان هذا الموقف الحرج مع انعدام الدعم دافعا إلى محاولة عقد هدنة مؤقتة بين أبي زيد وأحد جاريه، إما ابن هود، وهذا مستبعد حيث سيقوم هذا بحصار بلنسية[269]، وإما مع الأرغونيين، خاصة وأن الأحداث اللاحقة تبين أنه كان أميل إليهم من غيرهم. وهذه الهدنة من الممكن أن تزيد في الشكوك حول إخلاصه للمامون، وهي الشكوك التي حاول أن يبددها برسالته إليه[270] في الفترة ما بين أواخر 625 وأوائل 626 على الأرجح[271]، أي قبل أن يثور عليه قائد جيشه أبو جميل زيان ابن مردنيش في صفر 626. وبما أنه كان يعرف مكانة وقوة أسرة بني مردنيش بالمنطقة وأنه يئس من دعم المامون الذي

(265) الرسالة رقم 107 عن السيد أبي زيد إلى الخليفة المأمون، انظر أيضا مقال مجلة «أوراق» ص 103.

(266) الرسالة 107. تجعل الرواية الاسبانية سقوط هذا الحصن بيد المسلمين ضمن أحداث سنة 1228 (625)، وربما سقط أيضا في نفس السنة من يدهم إلى يد «جيل كارسيس»، انظر «أوراق» ص 105 و108، وعنان 2/396-397.

(267) انظر الرسالة رقم 116 عن أبي زيد إلى المأمون، وهناك من يعتبره محرّضا للمأمون على إعلان الخلافة، الإحاطة 1/411، البيان 254.

(268) نفس الرسالة رقم 116، انظر أيضا في نفح الطيب 4/456 «لما ثار العادل بمرسية تَمنَّعَ (أبو زيد) واعتز وأظهر طاعة في باطنها معصية، ودام على ذلك مع أبي العلاء المامون».

(269) انظر العبر 4/362، وعنان 2/395.

(270) الرسالة رقم 116.

(271) كانت ثورة ابن هود في أول رمضان 625 ثم هزيمة أبي زيد أمامه ثم حصار المامون لمرسية وعودته إلى إشبيلية أوائل 626 (حسب الروض المعطار ص 120)، هذا من جهة ومن جهة أخرى حدثت ثورة ابن مردنيش ببلنسية في 26 صفر 626، وهكذا يقع تاريخ هذه الرسالة بين أواخر سنة 625 وأوائل 626 والأرجح أوائل 626.

أخذ يستعد للجواز إلى المغرب ــ والذي تم في النصف الثاني من سنة 626 ــ[272] فقد أدرك أن الأمر أفلت من يده. فالتجأ إلى ملك أرغون وعقد معه اتفاقية في أبريل 1229 (جمادى الأولى 626) تعطي ــ حسب الرواية الاسبانية ــ للملك خايمي الأول عددا من الحصون التي هي بيد أبي زيد وتعطيه نصيبا مما يمكن أن يستعيده من إمارة بلنسية بواسطة دعم القوات الأرغونية. وعندما تبيّن له عجزه تنازل عن حقوقه الأرضية للملك خايمي، كما دخل في الدين المسيحي باتفاق الروايات الإسلامية والمسيحية، وأصبح من كبار نبلاء مملكة أرغون خاصة بعد سقوط بلنسية بيدها سنة 636[273]. وكان فتح الأرغونيين للجزر الشرقية وإمارة بلنسية يمهد لهم الطريق لمنافسة القشتاليين حول منطقة مرسية، هذه «الفتوح» كانت وراء تسمية الملك خايمي الأول باسم الفاتح مثلما سيلقب فرناندو القشتالي بسبب «فتوحاته» باسم «المقدّس».

فالقشتاليون من جهتهم كانوا يقتطعون الحصون والمناطق تدريجيا على حساب الأندلس الوسطى وخاصة فيما بين جيان وقرطبة وإلى الشمال منهما، واستغل فرناندو الثالث النزاع الداخلي الموحدي حول السلطة فشن الغارات على منطقة اشبيلية والخليفة العادل لازال بها، فلم يستطع رد هذه الهجمات بل تلقى أهل إشبيلية هزيمة نكراء قرب طلياطة في جمادى الأولى 621، وفي رجب تلقى أهل مرسية هزيمة أخرى في موقعة عفص[274]، وعندما اجتاز العادل إلى المغرب عيّن أخاه أبا العلاء إدريس (المامون) واليا على إشبيلية، وعبد الله (البياسي) ــ أخا السيد أبي زيد صاحب بلنسية ــ واليا على قرطبة، وقد كانا معا من المؤيدين الأوائل لثورة العادل[275] ولم يلبث والي قرطبة أن لجأ إلى بياسة معلنا تمرده على العادل متخذا لقب الظافر[276]، وسيجد فيه القشتاليون حليفا يدعم طموحاتهم للزحف نحو منطقتي جيّان وقرطبة.

اتخذ **الثائر البياسي** مدينة بياسة الحصينة مقرا له فنسب إليها، وعزم على تحقيق أهدافه التوسعية بالاستعانة بالقشتاليين، فعقد اتفاقا مع الملك فرناندو في صيف 1225 (623) معلنا

---

(272) ان التقديم رقم 53 في الملحق الأول يثبت أن المامون لازال باشبيلية في صفر 626، ويذهب صاحب القرطاس (251) إلى أن المامون توصل بالجند النصراني في رمضان 626 ثم جاز البحر إلى المغرب في ذي القعدة من السنة.

(273) انظر عنان 397/2-398، و«أوراق» ص 105-106، ويجعل صاحب المقال بها تاريخ وفاة أبي زيد بين 1265 و1270 (663-669هـ)، انظر البيان 270، الذخيرة السنية 96.

(274) الروض المعطار (مادتا طلياطة وعفص)، ميراندا (HisToria) 461/2

(275) البيان 248-249، الروض (طلياطة) وهو يجعل جواز العادل إلى المغرب في ذي القعدة 621.

(276) البيان 250، العبر 527/6، الروض المعطار (مواد : قيجاطة، لوشة، بيغو)، مقال «أوراق» ص 103، وبالمقارنة يبدو أن تاريخ الثورة كان في ذي الحجة 622 (دجنبر 1225) أو محرّم 623 (يناير 1226).

التبعية له رسميا[277]، وتعهّد له بأن يسلمه بعض الحصون التي يطلبها مثل مرتش وأندوجر ومدينة جيان، وكضمان لتنفيذ وعوده دفع إليه ابنه رهينة وأنزل الجند القشتالي في قلعة بياسة. ونتيجة لهذا التحالف تحرك فرناندو الثالث في حملة أوصلته إلى غرناطة واستسلمت له مرتش وأندوجر[278]، بينما قاومت حصار الحليفين مدينة جيان التي كانت تدافع عنها حامية موحدية وفرقة من المرتزقة القشتاليين بقيادة «البار بيريث دي كاسترو» Alvar Perez de Castro، وامتنعت أيضا مدينة غرناطة على الحليفين[279]. وأمام نجاح هذا التحالف في عدد من المواقع، وفشل بعض الحملات الموحدية على البياسي تجرّأ ــ بعد أن استولى على قرطبة ــ على الزحف نحو اشبيلية لدرجة أنه سيطر على حصون الشرف في نواحيها، وانهزم أمامه جيش أبي العلاء صاحب إشبيلية في معركة القصر قرب طلياطة[280]. لكنه عندما حاول مرة أخرى الاستلاء على إشبيلية وجد أبا العلاء مستعدا للقائه فكانت الهزيمة على البياسي في 25 صفر 623 (25 فبراير 1226)[281]. وعلى اثرها وجه أبو العلاء إلى الخليفة العادل رسالة النصر التي أورد ابن عذاري فصلا منها على الصفحتين (250-251) ومؤرخة بربيع الأول 623[282]. كانت هذه الهزيمة إيذانا بنهاية ثورة البياسي حيث تساقطت حصون الشرف من جديد بيد والي إشبيلية وثار أهل قرطبة على البياسي وقتلوه[283]. غير أن القشتاليين كانوا قد تمكنوا من حصون مهمة تسهّل لهم الطريق نحو قرطبة وإشبيلية، ومن أهم هذه المواقع بياسة نفسها مقر حليفهم[284]. وربما كانت اندوجر قبل ذلك قد سقطت بأيديهم وهنا نجد عند ابن عذاري وابن الخطيب رسالة عتاب وجهها المامون إلى حامية أندوجر يزجرهم على تخاذلهم أمام عدوهم دون أن يحدد هذا العدو[285]، والرسالة غير مؤرخة، غير أن ابن عذاري

---

(277) عنان 2/358-359، مجلة «أوراق» 3/103، العبر 6/524، ميراندا في : His. politica 2/461 وهو يشير إلى استعانته «بالطاغية»، والمقصود هنا ملك قشتالة، غير أن ديفورك فهم أنه الفونسو التاسع ملك ليون، انظر مقاله المذكور سابقا بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، ص 42.

(278) عنان 2/359-360، وميراندا نفس المرجع والصفحة (ويجعل تاريخ استسلام مرتش واندوجر سنة 622/1225).

(279) ميراندا 2/456، عنان 2/358-359 وكان والي جيان آنذاك هو الشيخ عمر ابن عيسى ابن أبي حفص ابن يحيى، انظر خريطة لتحركات فرناندو الثالث عند ميراندا مقابل الصفحة His. politica 2/457.

(280) الروض المعطار (مادة طلياطة)، قارن مع الإحاطة 3/275.

(281) البيان 250، عنان 2/360، فهذا التاريخ عند ابن عذاري يتوافق مع الرواية الاسبانية.

(282) هي الرسالة رقم 110 في قسم الرسائل (م ج).

(283) البيان 251-252.

(284) سقطت في يوم عرفة من ذي الحجة سنة 623 حسب الروض المعطار (مادة بياسة) ص 121.

(285) انظر الهامش 278 قبل، وليس من المستبعد أيضا أن يكون العتاب بسبب تقاعس حامية أندوجر =

يدمجها ضمن أحداث سنة 626، بينما ابن الخطيب يسجلها بعد حديثه عن تخلي المأمون عن رسوم المهدي أي سنة 627[286]، مما يجعلنا نتساءل : هل كان هذا الحصن إلى هذا الوقت بيد الموحدين فيكون معناه أن المأمون استرجعه بعد نهاية ثورة البياسي ثم تكررت الضغوط القشتالية عليه فأظهرت حاميته العجز عن الدفاع مما جعل المأمون يوجه إليها عتابه ؟ ولكن من المحتمل أن يكون هذا العتاب موجها أثناء تعاون القشتاليين والبياسي للسيطرة على أندوجر سنة 622 (أو ربما حصن آخر مجاور) والمأمون لازال واليا لأخيه العادل على إشبيلية ويكون هذا الحصن (أو ذاك) قد سقط بيد القشتاليين نهائيا ومنذئذ، حيث كان البياسي تعهد بتسليمه لهم بمجرد فتحه.

إن الاتجاه الاستقلالي لكل من السيد أبي زيد ببلنسية وأخيه ببياسة زمن العادل أثار الشكوك ــ فيما يبدو ــ حول اخلاص عامل **ثغر شقورة** الواقع بين منطقتي نفوذ الثائرين. فوقع التحري في الأمر بطريقة ما من طرف الخليفة، وأعطى الأمر لصاحب إشبيلية وقرطبة ــ فيما يبدو ــ وهو أبو العلاء (المامون) ليتفحص أمر هذا العامل، فأجاب هذا على كتاب الخليفة برسالة يكذب فيها ما أشيع عن عامل الثغر وهي مؤرخة بجمادى الأولى سنة 624[287] وسواء كان ما أشيع عن هذا العامل صحيحا وتستّر عليه المأمور بالتفحص أو كان غير صحيح، فإن أبا العلاء نفسه كان يستعد للثورة على أخيه العادل[288]، وبويع بالخلافة في إشبيلية في شوال من نفس السنة أي 624، وعقد هدنة مع القشتاليين أواخر هذه السنة (1227) مقابل مبلغ مالي ــ حسب الرواية النصرانية ــ ليواجه معارضيه من الأشياخ بمراكش أو الناكثين لبيعته إلى بيعة يحيى المعتصم بن الناصر[289].

= عن دعم صمود أحد الحصون المجاورة مادامت الرسالة العتابية تحمل عبارة «ذلك الموضع عصمه الله»، بحيث قد تكون أندوجر لم تسقط بعد من يد الموحدين.

(286) البيان المغرب 266–267، والإحاطة 1/114–115.

(287) هي الرسالة رقم 111 (م ج) وتحمل تاريخا خاطئا وهو 524 بدل 624 ولا تذكر الجهة الصادرة عنها إلا بعبارة «بعض أهل الدولة» كما أن كاتبها ذكر باسم «أبو الميمون»!، ومن المحتمل أن يكون كتبها عن السيد أبي العلاء ادريس (المامون) والي اشبيلية وقرطبة الذي منحه الخليفة العادل نوعا من التفويض في أمور الاندلس، وفي الرسالة تلميح إلى بعد ثغر شقورة عن مركز الولاية. اما موضوع التهمة بالنسبة لعامل شقورة فهو غير واضح، ولكن من المحتمل أن يدخل في إطار محاولات التمرد والاستناد إلى طلب دعم الاسبان وخاصة قشتالة التي كانت تتحرك تدريجيا نحو مرسية ويفصلها عنها ولاية شقورة.

(288) إذا صح أن الرسالة صادرة عن المامون يمكن أن نطرح التساؤل الآتي : هل كان المأمون يتستر على عامل ثغر شقورة لما في نفسه هو أيضا من الطموح للخلافة (البيان 254) ؟ أم أن العادل أراد فقط أن يختبر مدى إخلاص المامون نفسه في مثل مهمة المراقبة التي كلف بها في الأندلس عامة (لاحظ مثلا الفرق بين تاريخ الرسالة المرجع وهو جمادى الأولى 624 وتاريخ ثورة المامون في بداية شوال من نفس السنة)؟ أم أن الأمر يتعلق بوشاية ضد عامل شقورة ؟

«ولما بويع أبو العلاء المامون بإشبيلية طاعت له بعض بلاد الأندلس وبايعه بها السيد أبو زيد صاحب بلنسية وكتبوا ببيعتهم إليهم»[290]، غير أن انقسام الموحدين بالمغرب بين البيعة للمامون والبيعة للمعتصم أخذت سلبياته تنعكس على الأندلس فقد ثار **ابن هود** بمرسية في رمضان سنة 625 داعيا للعباسيين ليكتسب الشرعية لثورته، وفشل المامون في القضاء عليه[291]. فلما أخذ أنصاره بالمغرب يتزايدون ترك الأندلس وأخذ ابن هود يوسع نفوذه فيها، كما استغل النصارى هذه الفرصة محاولين قطع الطريق على ابن هود حتى لا يجمع شمل الأندلس تحت نفوذه فاحتل ملك ليون ماردة وبطليوس سنة 627 (ربيع 1230) بعد هزيمة ابن هود أمامه[292]، وتحرك فرناندو الثالث القشتالي مستغلا انشغال ابن هود مع ليون فخرب نواحي غرناطة، لكنه فشل في حصار جيان[293]، ووصلت تحركات ابن هود إلى نواحي شريش في الجنوب، وازداد نفوذه بوصول الدعم المعنوي من الخليفة العباسي[294]، غير أنه اضطر لعقد الهدنة مع القشتاليين لمواجهة منافس جديد في منطقة جيان هو ابن الأحمر[295]، زيادة على المنافس القديم ابن مردنيش ببلنسية، كما أن إشبيلية سقطت من يد الموحدين منذ غادرها المأمون[296]، وعندما يشتد التنافس حولها وتسقط قرطبة بيد القشتاليين ستعلن إشبيلية مرة أخرى تبعيتها الاسمية للخليفة الموحدي الرشيد فيما بين 635 و640[297]، ريثما تقع بدورها تحت الاحتلال القشتالي بعد بضع سنوات وتصبح عاصمة لقشتالة.

---

(289) عنان 363/2 (اعتمادا على رواية اسبانية)، البيان 254، القرطاس 250، ميراندا في التاريخ السياسي 467/2، أشباخ 404 (وهو يعتبر الهدنة المذكورة تحالفا بين القشتاليين والمامون الثائر على أخيه العادل).

(290) البيان 255، وكانت بيعة اشبيلية في 2 شوال 624 (مفاخر البربر ص 118 من المجموع، خ ع/ك 1275).

(291) البيان 255–258، انظر بعض التلميحات في الرسالة 116 (م ج).

(292) البيان 270، والعبر 363/4، والقرطاس 275، (يجعل ذلك سنة 628)، وعنان 399/2–400.

(293) عنان 401/2.

(294) عن خضوع بعض مدن الأندلس الكبرى له انظر الإحاطة 201/1–131 مع بعض المخالفة في السنوات.

(295) البيان 279، القرطاس 275.

(296) بل أصبحت الجزيرة الخضراء وهي أقرب نقطة إلى المغرب خارجة عن هذه السيادة إلى سنة 635 كما يفهم من رسالة تقديم بمخطوط يحيى (التقديم رقم 30) المؤرخة بعقب رمضان 635، وتحمل الدعاء للعباسيين فلعلها صادرة عن ابن هود. وعن إشبيلية وثورتها على والي المامون ابنه أبي الحسن انظر البيان 270، 288.

(297) عادت إشبيلية إلى طاعة الموحدين سنة 635 حسب البيان (337–338) والقرطاس (255) ويؤخرها ابن خلدون إلى سنة 637 (364/4)، والملاحظ أن شريش التي هي من أعمال اشبيلية =

وهكذا أخذت تتساقط أهم قواعد الأندلس الشرقية بيد الأرغونيين[298]، والغربية بيد البرتغاليين، وسيكون المستفيد الأساسي هو دولة قشتالة وليون المتحدة التي امتدت توسعاتها من مرسية شرقا إلى وادي يانه غربا ولم ينج من نفوذها غير أقصى الجنوب المرتفع الذي تكونت فيه مملكة غرناطة تحت أسرة بني الأحمر. ويمكن أن يعزى التراجع الموحدي عن الأندلس إلى عزم الكنيسة وملوك إسبانيا على تنشيط حركة «الاسترداد» خاصة مع فشل الحروب الصليبية في الشرق آنذاك، وفي نفس الوقت انشغال الدولة الموحدية بمشاكلها في العدوة الإفريقية بل في المغرب الأقصى نفسه، أي أن هناك اتجاهين متعاكسين : اتجاه نحو توحيد الجهود النصرانية باسبانيا، واتجاه نحو تفكك الجبهة الإسلامية في الغرب الإسلامي عامة.

2 ــ تصدع الجبهة الداخلية الموحدية (620-633) :

تصف بعض المصادر بداية العشرينيات بأنها تمثل بداية «الفتنة»[299]، وقد مهدت لها ظروف ما بعد العقاب، والتنافس الذي كان خفيا قبل ذلك بين السادة والأشياخ والذي أخذ يرجح لصالح هؤلاء أيام المستنصر ثم انكشف التنافس بموته[300]، خاصة وأنه لم يترك وريثا للحكم، فانفتح الباب أمام الاختيار، ويبدو أنه كان هناك ثلاث شخصيات مرشحة لمنصب الخلافة وقع الانقسام حولها : فهناك أبو محمد عبد العزيز بن الخليفة يوسف الذي يذكر صاحب المعجب أن عامة الموحدين ــ فيما وصله وهو في مصر ــ أجمعوا على تقديمه للخلافة بعد المستنصر، وقد سبق له أن تولى على سجلماسة وقبض على الثائر الصنهاجي سنة 618 ثم نقل إلى ولاية إشبيلية، ويصفه بحسن السيرة وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنه سيملأ الأرض عدلا «إذا ساعده الدهر وقيّض الله له أعوانا صالحين»[301]، «غير أن الاختيار

= قدم عليها الرشيد قاضيا بتاريخ فاتح ذي القعدة 636 مما يرجح التاريخ الذي أورده كل من صاحبي البيان والقرطاس لعودة تبعية إشبيلية للموحدين (الرسالة هي التقديم رقم 57 في الملحق الأول).

(298) هذه التوسعات في الشرق الأندلسي والبليار زادت من أهمية الأرغونيين في البحر المتوسط تجاريا وحربيا، بينما ستظل قشتالة قارية بالدرجة الأولى.

(299) التكملة (خ ح) رقم 1411 ص 209 أو الترجمة (1616 في المطبوع) لأبي عبد الله الفازازي المتوفى بقرطبة «أول منبعث الفتنة في سنة 621»، نفس التعبير في الذيل (غرباء) لنفس الترجمة رقم 149 في طبعة 1984، في المعجب (ص 329) «اضطرب الأمر واشرأب الناس للخلاف»، الحلة السيراء 293/2-294.

(300) ذكر الزركشي استنادا إلى صاحب العبر أن المستنصر مات مسموما (ص 20 ط. تونس 1960) هذا ما يؤكده صاحب الذيل (ط. 1984 ص 179) وذلك بتدبير من أعيان دولته وخاصة المسؤولين الماليين، ولعل هذا ما ترجحه محاولة الخليفة عبد الواحد محاسبة المشرف المالي (العبر 525/6).

(301) المعجب (329 وما بعدها) وقد ظن فعلا أنه تولى الخلافة بعد المستنصر، انظر أيضا تاريخ وصوله إلى إشبيلية في الذيل، غرباء، ص 63 (المخطوط) وفي العبر عن استمرار ولايته بها خلال عهد المخلوع (526/6)، وعادة ما يصبح الوالي على إشبيلية أقرب إلى منصب الخلافة لأهمية هذه الولاية.

لم يقع عليه. وكان المرشح الثاني هو أبو محمد عبد الله ابن المنصور (العادل فيما بعد) والي مرسية، وقد وجد معارضة في طريق الوصول إلى الخلافة، ومن المعارضين من ضمن أهل الحل والعقد أبو الحسن علي ابن القطان الكتامي، ربما لأن هذا السيد كان يوصف بالميل إلى «البطالة وإيثار الشهوات» فكان سببا لغضب العادل عليه فيما بعد[302]، أو ربما لأن الأشياخ كانوا يتخوفون من حزمه فتضيع السلطة من أيديهم، فاختاروا أبا محمد عبد الواحد ابن الخليفة يوسف في أواسط ذي الحجة سنة 620[303]، فهو زيادة على كونه مذكورا بين بني عبد المومن بالخير والصلاح[304]، فإنه كان كبير السن مما قد يتيح للأشياخ التحكم في أموره والاستعداد لما يمكن أن يحدث بعد وفاته. هذا الاختيار كان ممن قبله والي بلنسية السيد أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن أبي حفص بن عبد المومن حسب رسالة البيعة التي كتبها عنه كاتبه أبو المطرف ابن عميرة آنذاك[305]، ولكن يبدو أنه كان قبولا شكليا مادام عجز الخليفة يناسب طموحه الاستقلالي. وعندما ثار والي مرسية عبد الله بن المنصور (العادل) بعد شهرين فقط من بيعة عبد الواحد ودعّمه إخوته بمدن الأندلس الكبرى ظل أبو زيد يظهر الخضوع لعبد الواحد[306]، وحتى ذا تراجع إلى طاعة العادل بعد مقتل المخلوع فإنما كان ذلك شكليا بحيث عقد اتفاقا مع ملك قشتالة لتدعيم استقلاله[307]. كما أعلن أخوه الاستقلال عن العادل وهو عبد الله البياسي صاحب قرطبة محالفا أو تابعا لملك قشتالة[308]. واستقر العادل بمراكش بعد أن ترك لأخيه إدريس صاحب إشبيلية نوعا من الإشراف والتفويض على شؤون الأندلس كما يظهر ذلك من تعيينه لبعض الولاة[309] (وهي المهمة التي كانت من قبل خاصة بالخلفاء)، وكلفه أيضا بمواجهة ثورة البياسي، فعانى منها الكثير قبل أن ينتصر عليه وينال ولاية قرطبة مضافة إلى ولاية إشبيلية[310]. وهذه الأهمية المتزايدة لإدريس بالأندلس كانت تشجع أطماعه في الثورة على أخيه العادل وإعلان الخلافة لنفسه[310] بالتآمر على ما يبدو مع بعض أشياخ

---

(302) الذيل نفس المخطوط ص 13، فابن القطان كان مقربا لدى المنصور والناصر والمخلوع.

(303) البيان 247، الذيل نفس الترجمة السابقة، انظر الرسالة رقم 108 حول توجيه أبي زيد ببلنسية ببيعته إليه.

(304) الذيل غرباء نفس الترجمة في الهامش 143، ولكن المخلوع وصف أيضا بعدم مداراته لأعيان دولته (شذرات الذهب 94/5).

(306) الرسالة رقم 109 (م ج).

(306) البيان 248.

(307) راجع ص (195-197) والهامش 262.

(308) انظر الصفحتين (197-198) من هذا الفصل.

(309) التقديم رقم 4 في الملحق الأول أو ص 7 وما بعدها في مخطوط يحيى، وذكر صاحب الذيل في ترجمة ابن القطان أن العادل جعل جميع الأندلس تحت أخيه إدريس ص 191 ط 1984.

(310) انظر الصفحتين 199-200 من هذا الموضوع.

الموحدين بمراكش على خلع العادل قبل أن يتراجعوا عن بيعة إدريس إلى مبايعة صغير من بقية أبناء الناصر هو أبو زكرياء يحيى المعتصم[311]. وتؤكد إحدى رسائل المعتصم إلى الأمة أنه فعلا من أبناء الناصر[312] متفقة في ذلك مع المصادر التاريخية المعروفة، فالذي يبدو أن يحيى هذا هو ثاني اثنين من أبناء الناصر لهما نفس الاسم : أحدهما توفي باشبيلية سنة 608 كما يذكر صاحب المعجب (ص 308)، أما الثاني فقد كان عمره عند بيعته سنة 624 ستة عشر عاما[313] فيكون قد ولد سنة 608 أو 609 أي بعد موت أخيه فسمي باسمه فيما يظهر. ويبدو أن المبرر لدى الأشياخ للتراجع عن بيعة إدريس المامون إلى يحيى المعتصم هو الخوف من حزم المامون واستبداده بالسلطة[314]، بينما كان يحيى ضعيفا لصغره، وبواسطته يمكن تغطية الحكم الحقيقي للأشياخ.

وهكذا أخذ كل من المامون بإشبيلية والمعتصم بمراكش يحاول استمالة الأنصار إليه، ويبدو أن كفة المامون أخذت ترجح خاصة بانضمام عرب الخلط وبربر هسكورة إلى جانبه، ولا يستبعد أن يكون قد استمال الشيوخ الدينيين أيضا[315]، ولعل هذا ما دفع المعتصم إلى توجيه رسالة إلى الأمة يؤكد فيها مشروعية سلطته ويدعو المامون إلى الدخول في طاعته، وعندما فشل المامون في سياسته بالأندلس وتزايد حظه نسبيا بالمغرب عقد هدنة مع القشتاليين ووصله عدد من المرتزقة النصارى فجاز بهم إلى المغرب[316]. ونظرا لضعف العصبية المصمودية

---

(311) بويع المامون بإشبيلية في 2 شوال 624، البيان 252 مفاخر البربر ص 118 (المجموع).

(312) البيان (252–253) و(254–255)، ويذكر صاحب المعجب (308) أنه لا يعرف من أولاد الناصر غير ثلاثة هم يوسف الخليفة بعده واسحاق (مات بالأندلس سنة 612 حسب الصفحة 76 في العطاء) ويحيى الذي مات بإشبيلية سنة 608، راجع الهامش 172 في الفقرة ص 143، فربما كان مرشحا للخلافة عوض يوسف. لكن تبين أن للناصر ابنا اسمه يحيى يبدو أنه ولد سنة 608 أو 609 سمي باسم أخيه المتوفى وهو الذي أصبح يلقب بالمعتصم، انظر القرطاس 248.

(313) انظر الرسالة رقم 117 (م ج).

(314) الحلل الموشية 163.

(315) كان ممن اعتمد عليهم المامون : أبو القاسم بن قنترال حيث وجهه إلى قبائل المغرب فتكلم مع ولاته وجلة شيوخه فكتبوا إليه ببيعتهم، (الذيل السفر 1 ق 1 ص 282)، ويبدو أنه كاتب أيضا بعض المشايخ الطرقيين كشيخ بني أمغار بناحية أزمور كما يظهر من «بهجة الناظرين» للزموري (مخطوط خ ع 1343 ص 36–37) مع الخطإ فيما يبدو في اسم الخليفة فجعل الصراع بين ولدي المنصور بعد موته عوضا عن الصراع بين ابن المنصور وابن الناصر، انظر الرسالة 114 (م ج) وخصوصياتها في (ص 154–155)، انظر البيان 260، والزركشي 22، ط. تونس 1966، القرطاس 248.

(316) أنظر الصفحتين (199–200) من هذا الفصل، وكان تاريخ الجواز في أواخر 626 حسبما يفهم من التقديم رقم 53 في الملحق وهذا ما يتفق مع روايتي الإحاطة 411/1 والقرطاس 251 مما يبرهن على خطأ التاريخ الذي حدده صاحب البيان وهو سنة 625 (ص 264).

وانقسامها فقد أصبحت القوة العسكرية الأساسية التي يمكنها أن تحسم الموقف هي قوة المرتزقة ومن يدعمها من قبائل العرب والهساكرة (غير مصامدة ؟)، فتمكن المامون من إحراز النصر على منافسه ودخول مراكش[317].

هكذا إذاً استمر مسلسل التلاعب بالخلفاء تعيينا وخلْعاً وقتلا وهو المسلسل الذي سيحاول المامون وضع حد له، وهذا ما كان يتطلب تحطيم طبقة الأشياخ ماديا ومعنويا : فمن الناحية المادية حاكمهم على تكرر نكثهم للعهود وآخرها عهدُهم له، فقتل عددا من كبرائهم، ومن الناحية المعنوية حاول أن يحطم الأساس الذي كان مصدر قوتهم وهو مذهب المهدي بن تومرت، وإن كان بهذا العمل سيهدم شرعية حكمه أيضا، وسيتخذ هذا الإجراء مبررا لاتساع الحركات الانفصالية. فبعد أن كان قد وجه إلى الأمة رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[318] ــ وهي عادة من الرسائل التي يوجهها الخلفاء الموحدون بعد كل أزمة داخلية أو بداية حكم كل خليفة ــ[319] وجه رسالة أخرى ينكر فيها عصمة ابن تومرت ويأمر بإلغاء رسومه خاصة ذكره في الخطبة والسكة[320]. هذا الموقف سيستمر عليه ابنه عبد الواحد الرشيد الذي تولى الخلافة سنة 630، فرسالة البيعة التي وجهتها بعض القبائل إليه تخلو من ذكر اسم المهدي[321]، أي أن القطيعة استمرت بينه وبين أشياخ الموحدين خاصة من هنتاتة وأهل تينملل حيث ظلوا يدعمون حركة المعتصم في جبال المصامدة وما جنوبها إلى درعة وسجلماسة ثم تخلوا عنه حيث قتل سنة 633، بحيث انتهت هذه القطيعة بتراجع

---

(317) البيان (270) حيث يجعل المعركة في ربيع الأول 627 وإن كان تحدث عنها سابقا خلال أحداث سنة 626 في الصفحتين 264–265، انظر أيضا مفاخر البربر (المجموع ص 118).

(318) يجعلها صاحب القرطاس في سنة 628 وبدون تفصيل (253)، غير أن ابن الخطيب يقول : «وخاطب لأول أمره، وأخذ الناس ببيعته مَن بأقطار الأندلس صادعا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحضّ على الصلوات وإيتاء الزكاة» الإحاطة 412/1، انظر الرسالة بالمجموعة الجديدة رقم 118.

(319) مثلا رسالة عبد المومن رقم 6 (م ج)، ورسالته في مجموع رسائل الموحدية رقم 23، ورسالة الخليفة يوسف رقم 13 (م ج)، ورسالة المنصور رقم 28 (م ر م) ورسالة المستنصر رقم 106 (م ج)، راجع في الفقرة الأخيرة من الفصل الأول ص (41–43).

(320) انظر هذه الرسالة في قسم الرسائل تحت رقم 119 (م ج)، ويشير ابن أبي زرع إلى تغيير المامون لشكل الدرهم من المربع إلى الدائري (251) بينما يرى **Alfred Bel** استنادا إلى الدراهم التي درسها أنها لا تختلف فيها دراهم عهد المامون والرشيد عن بقية الدراهم من حيث الشكل والوزن والصفاء إلا في عبارة (المهدي إمامنا) التي تحولت إلى (القرآن إمامنا)، المقال بالمجلد 16 بمجلة هسبريس لسنة 1933 بعنوان : **Contribution à l'Etude des Dirhams de l'époque Almohade, p. (44-47), (64-65)**

انظر بـ«المناهل» ع/ 30 مقالا حول اكتشاف لدنانير مؤمنية بإقليم الرشيدية.

(321) الرسالة رقم 121 (م ج)، والعبر 530/6.

الرشيد عن سياسة أبيه والعودة إلى الاعتراف بعصمة المهدي وإحياء «رسومه»[322] فهل هذا التراجع سيعيد للدولة هيبتها السابقة ؟ لقد فات الأوان وساهم كل من السادة والأشياخ في تخريب الهيكل الذي اشتركوا في بنائه منذ حوالي قرن قبل ذلك[323]، فالاعتماد المستمر على المرتزقة وعلى بعض العرب يؤكد وحده استمرار تفكك العصبية المصمودية، بينما كثرت القوات السياسية المنافسة للموحدين داخل المغرب الأقصى وخارجه، وأخذت الدولة تدخل مرحلة الاحتضار كما يتضح من الفقرة اللاحقة وتعتبر هذه الوضعية أيضا من عواقب هزيمة العقاب.

ج ـــ الدولة الموحدية في مرحلة الاحتضار :

1 ـــ في الأندلس : الزحف الاسباني وتجاوزه لتهديد السواحل المغربية :

إن تقلص ظل الدولة الموحدية انطلق من الأندلس كانعكاس للصراع الداخلي بين السادة الموحدين حول الخلافة ودعم الأشياخ لهذا أو ذاك، والمحاولات الاستقلالية بالأندلس على يدهم أولا ثم على يد زعامات أندلسية، فاستفاد القشتاليون من هذه الوضعية للزحف على حوض الوادي الكبير جنوبا بحواضره ومنهاجيّان وقرطبة، كما استفاد الأرغونيون للتوسع في الجزائر الشرقية (البليار) وإقليم بلنسية. وكان لسقوط حواضر كبرى كقرطبة سنة 633[324] ثم بلنسية سنة 636[325] من جهة، وعجز الحفصيين كقوة جديدة بإفريقية عن رد النصارى عن الشرق الأندلسي من جهة ثانية[326]، ورد الاعتبار النسبي لمركز الخلافة الموحدية على يد الخليفة الرشيد من جهة ثالثة، دورٌ في محاولة جديدة لارتباط جنوب الأندلس ولو شكليا بالخلافة الموحدية، فبايعت إشبيلية للرشيد سنة 635[327]، كما أن ابن نصر صاحب غرناطة

---

(322) البيان 293 وما بعدها، العبر 533/6، انظر أيضا مقال «الفرد بل» المذكور في نفس الصفحات.

(323) عبّر صاحب القرطاس عن هذا بقوله «وكانت أيامه كلها شقية في منازعة يحيى، افترق الموحدون فيها فرقتين فصارت الدولة دولتين، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه لأنه وضع السيف فيهم حتى أفناهم (ص 253).

(324) البيان 323، القرطاس 276، وبالنسبة لجيان سيسلمها ابن الأحمر إلى قشتالة مع حصونها سنة 643 مقابل سلم لمدة عشرين سنة بينهما، البيان 367.

(325) البيان 344، العبر 600/6-607.

(326) بدأ حصار الأرغونيين لبلنسية في رمضان 635 واستسلمت في 17 صفر 636، البيان 345 والعبر 600/6-607، الحلة السيراء 190، عنان 437/2-464.

(327) البيان 337، القرطاس 255، وليس مستبعدا أن تكون الرسالة التقديمية الأولى (بالملحق الأول) جوابا عن الرشيد لأهل اشبيلية على بيعتهم، ومنح نوع من التفويض في ولايتها لمن كان له دور في هذه البيعة.

ومؤسس دولة بني الأحمر أعلن بيعته للرشيد في السنة اللاحقة[328]. فهذا الخليفة كان قد نجح في إحداث نوع من التوازن بين القوى الداخلية بالمغرب الأقصى وبشكل مؤقت، إلاّ أن هذا التوازن أخذ ينهار منذ أواخر حكمه، فانفصلت الأندلس نهائيا عن الموحدين لتواجه مصيرها، غير أن سقوطها النهائي بيد الاسبان سيتأخر لأكثر من قرنين بسبب تطوع «الغزاة» المغاربة للدفاع عنها زمن المرينيين، وعلى الخصوص بسبب النزاعات داخل الممالك الاسبانية وفيما بينها.

وكان سقوط الحواضر الأندلسية دافعا لهجرة عدد من السكان نحو المناطق التي كانت لاتزال تحت السلطة الإسلامية أو الهجرة إلى حواضر الشمال الإفريقي حيث كانوا يجدون ترحيبا من حكوماته، ومن ذلك، الظهير الذي منحه الخليفة الرشيد لأهل شرق الأندلس تسهيلا لاستقرارهم برباط الفتح مؤرخ بسنة 637، وهو يعطيهم حق تملك وتوارث الأرض الزراعية والعقارات دون تكليفهم بغير الضرائب الشرعية : «كل ما يعمرون من الضياع، ويقتنون من الأصول والرباع، فله حكم التسويغ على الإطلاق والدوام... ولا يطلبون بغير حقوق الشرع...»[329] وكان الذي سعى عند الرشيد في منح هذا الظهير ــ حسب ما جاء في نصه ــ أحد الأقطاب الأندلسيين وهو ابن خلاص[330]، وربما أيضا كاتب الرشيد في هذه الفترة أبو المطرف ابن عميرة وهما معاً من أهل شرق الأندلس[331].

كانت الأندلس هي الواجهة الأمامية التي تحمي المغرب من القوى المسيحية، إذا أضيف إليها قوة الأسطول المغربي والوحدة السياسية، ومع تعرض هذه العناصر للتفكك أخذ التراب المغربي يتعرض من حين لآخر لبعض ضربات المسيحيين، حيث تعرضت سبتة لهجوم نصراني عليها في الثلاثينيات[332]، كما تعرضت سلا لهجوم من طرف القشتاليين سنة 658 مستغلين

---

(328) البيان 343، الذخيرة السنية 56، ولعله تلقى امدادات من الرشيد حسب ابن الخطيب في «اللمحة البدرية» ص 43 ط. بيروت.

(329) انظر هذا الظهير تحت رقم 123 (م ج) وراجع خصائصه في مقدمة هذا الفصل ص 153، ويلمح الظهير إلى أهمية موقع رباط الفتح في النشاط الفلاحي والتجاري المحلي، والتجارة البحرية والصيد فهي «مناخ للتاجر والفلاح، وملتقى للحادي والملاح، والمرافق من بره وبحره موجودة في فصول السنة».

(330) يسميه الظهير «ذو الوزارتين الشيخ الأجل الأثير الأكرم الأعز الأفضل أبو علي ابن الشيخ الأكرم أبي جعفر ابن خلاص أدام الله تعالى أثرته وكرامته».

(331) انظر ترجمته ضمن مقدمة الجزء الأول من «رسائل موحدية».

(332) البيان المغرب (346-347) جاء فيه : «كان ذلك عام 633 وقيل 636» وهو يذكر الحدث ضمن أحداث سنة 636، القرطاس 276، العبر 601/6، عنان 2/(506-507) اعتمادا على المصادر العربية.

انشغال الموحدين بالمشاكل الداخلية وخاصة مع المرينيين[333] الذين أخذوا يبرزون على المسرح السياسي ليخلفوا الموحدين في حكم المغرب الأقصى، و لم يتمكن هؤلاء المرينيون أيضا من إيقاف الزحف المسيحي إلا بشكل محدود ومؤقت نسبيا، مما يبين أن القرن السابع الهجري كان بداية مرحلة تتميز بانقلاب في موازين القوى لغير صالح مسلمي الغرب.

2 ــ في الشمال الإفريقي : ظهور قوى سياسية جديدة منافسة للموحدين :

كان النصف الأول م القرن السابع الهجري يمثل عهد تشكيل ثلاث ممالك مغربية على أرض «الامبراطورية» الموحدية ــ من غير الأندلس ــ، وذلك بغض النظر عن السلالات الحاكمة وتغيرات الحدود السياسية تغيرا كبيرا : فعلى أنقاض الدولة الموحدية ظهرت إمارة تلمسان الزناتية، وظهرت بإفريقية إمارة الحفصيين المصامدة، وفي المغرب الأقصى نافست الموحدين قوة قبلية جديدة تتمثل في بني مرين الذين سيرثون الدولة الموحدية بهذه المنطقة.

*** إمارة تلمسان :**

كان منشأها سنة 633 على يد أسرة بني عبد الواد الزناتية وخاصة أبي يحيى يغمراسن بن زيان[334] الذي اتخذ المظاهر الملوكية[335]. ويبدو أن ظروف ظهور هذه الإمارة ترجع إلى عاملين أساسيين :

العامل الاقتصادي ويتمثل في الاستفادة المتزايدة لتلمسان وموانئها من الحركة بين سجلماسة والبحر المتوسط خاصة عندما اضطربت أمور المغرب الأقصى وأخذت تضطرب معها تجارة مدينة سبتة[336]، وتتضمن إحدى الرسائل الموحدية الاعتراف بأهمية تلمسان في هذه العبارة : «وهي البلدة العتيقة بل الروضة الأنيقة، جمعت محاسن المدائن منها في مدينة، واشتملت على أكمل عدة ليومي حرب وزينة، حَشْوُها السلاح والكراع، وفاخر متاعها لا يضاهيه متاع»[337]. وهذه الحالة تتأتى بالرواج التجاري خاصة وأن تلمسان استفادت من خراب المدن الأخرى التي كانت تنافسها وذلك على يد بني غانية كتاهرت[338].

العامل السياسي ويتمثل في ضعف الدولة الموحدية وخاصة بعد انفصال إفريقية عنها وسيطرة بني مرين على شمال المغرب الأقصى، بحيث أصبح هدف الحفصيين هو الوصول

---

(333) انظر فيما بعد الصفحة 218 وما بعدها.

(334) بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد ج 1/104-111، نشر «ألفرد بل» 1903.

(335) تتجلى في العساكر من الروم والغز، والوزراء والكتاب، ولبس شارة الملك، والقعود على الكرسي، العبر 164/7.

(336) انظر الصفحة 212 وما بعدها في هذا الفصل.

(337) الرسالة رقم 124 (م ج).

(338) العبر 161/7، انظر عن دور تلمسان في المبادلات الخارجية ما كتبه ديفورك في L'Espagne Catalane.... p. (145-156).

إليه مرورا بتلمسان[339]، مما جعل هؤلاء يستميلون بني مرين ضد حكومة مراكش ويستميلون بعض قبائل المغرب الأوسط ضد بني عبد الواد. وهذه الوضعية ستفرض على هؤلاء الارتباط بالموحدين والتعاون معهم ضد العدو المشترك رغم بعض حالات التدهور في العلاقات بين الطرفين. ويذكر ابن خلدون العلاقة بين يغمراسن والرشيد الموحدي في مثل هذه العبارة «وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المومن أقام دعوتهم بعمله متحيّزا إليهم، سلما لوليّهم، وحربا على عدوهم، وكان الرشيد منهم قد ضاعف له البر والخلوص، وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة، وعاوده الاتحاف بأنواع الألطاف والهدايا عام 637 تقمّنا لمسراته، وميلا إليه عن جانب أقتاله بني مرين»[340]. وكان يغمراسن في بداية حكمه اتخذ المراسيم الملوكية كما فعل الحفصيون ولم يترك للموحدين غير الدعاء على المنابر[341]، بل ربما انقطعت هذه الدعوة في أوائل عهد يغمراسن[342] أي قبل أن تظهر طموح الحفصيين في التوسع نحو المغربين الأوسط والأقصى[343]، فأدى هذا الخطر من جهة، واستيلاف الرشيد ليغمراسن من جهة أخرى إلى دخول هذا في البيعة ولو شكليا، ولعل هذا ما يفهم من رسالة أهل سلا إلى الرشيد[344] : «وقد كانت (تلمسان) قديما نأت بجانب، وأومأت من الانقياد بوعد غير كاذب، وأولياء الله بكظمها آخذون، وللهوينا في أمرها منابذون... وها هي الآن قد لبّت قبل النداء، واستحبّت فضيلة الابتداء...» وقد يكون هذا «الانقياد» حدث فيما بين 637 و640، فيحيى ابن خلدون يذكر وصول هدية الرشيد إلى تلمسان سنة 639[345]، وقد تكون بيعة تلمسان كجواب على ذلك ربما في نفس السنة، ذلك أن ابن عميرة الذي التحق بمراكش سنة 637 كتب عن الرشيد مدة يسيرة ثم ولي قضاء هيلانة فترة قصيرة،

---

(339) وذلك «لما يرومه (أبو زكرياء) من امتطاء ملك الموحدين بمراكش وانتظامه في أمره وسلما لارتقاء ما يسمو إليه من ملكه...» (العبر 608/6).

(340) العبر 164/7 و607/6، انظر أيضا بغية الرواد، ج 1/ ص 172 حيث جعل تاريخ وصول هدية الرشيد سنة 639، مع ملاحظة امكانية الخلط بين كلمتي سبع وتسع لدى النساخ.

(341) العبر 163/7.

(342) صاحب بغية الرواد يذكر أن الدعوة للموحدن انقطعت بتولي يغمراسن حكم تلمسان (1/ ص 108).

(343) يؤرخ الزركشي بداية فتوح الحفصيين بالمغرب الأوسط سنة 636 حيث فتحوا بجاية والجزائر وبعض بلاد مغراوة (ص 28 ط. تونس 1966).

(344) انظر الرسالة 124 (م ج)، ففيها ما يرجح انقطاع الدعوة الموحدية بتلمسان في بداية حكم يغمراسن إلى أن أحس بالخطر الحفصي فبادر إلى التحالف وإظهار التبعية للرشيد فالهدية من هذا إلى يغمراسن تعني معاملة خاصة هدفها التحالف ضد المرينيين والحفصيين أكثر من مجرد التبعية.

(345) بغية الرواد 205/1 (ط. 1980)، انظر أيضا الأستاذ ابن شريفة في «أبو المطرف بن عميرة» ص 129/ هـ 1.

ثم تولى قضاء سلا والمهدية (رباط الفتح)[346]، وفي هذه الفترة وهو بسلا وصل إلى أهلها «كتاب» الخليفة الرشيد يبشّر بتوصّله ببيعة أهل تلمسان «عفوا بلا تعب وابتداءا بلا طلب»، فأجاب أهل سلا وعلى رأسهم ممثلو السلطة الموحدية بها برسالة تهنئة للرشيد عن هذه البيعة[347]. هذه التبعية أو التحالف فرضتها ظروف المصلحة المشتركة بين الموحدين ضد أعدائهم المرينيين بالمغرب والحفصيين بإفريقية، وبين بني عبد الواد الذين يسعون بذلك إلى فك الطوق عنهم والمتمثل في تهديد الحفصيين مع بعض حلفائهم من زناتة نفسها شرقا والمرينيين أنصارهم غربا، فهي تبعية شكلية هدفها الحفاظ على توازن القوى، وسيتعرض هذا التوازن للتحطيم من حين لآخر : فأبو زكرياء الحفصي قاد حملة أوصلته إلى تلمسان في أوائل سنة 640 حيث استولى عليها ثم أقر يغمراسن بها بعد أن أعلن خضوعه أو تحالفه معه[348]، وفي نفس الوقت تزايد تدهور وضع الموحدين بالمغرب الأقصى مع اشتداد حملات المرينيين على جهات مكناسة وبلاد الهبط[349]. واستمر هذا الوضع بعد موت الرشيد 640 بحيث أصبح النفوذ الحفصي يهدد الموحدين داخل المغرب الأقصى.

الإمارة الحفصية :

تنتسب إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي أحد أصحاب المهدي، وكان الخليفة الناصر أسند إلى ابنه عبد الواحد ولاية إفريقية مع نوع من التفويض في أمرها[350]، ووجدت هذه الولاية الظروف التي شجعتها على السير نحو الاستقلال عن مراكش : فهناك البعد الجغرافي لهذه الولاية، ودور الأسرة الحفصية في جهاز الدولة الموحدية منذ عهد المهدي، وهناك أيضا أهمية التجارة البحرية لهذه الولاية خلال القرن السادس، هذه الأهمية تزايدت خلال القرن السابع[351] مما أدى إلى تجديد أو تنظيم هذه التجارة بواسطة عقد معاهدات بين الأمير الحفصي أبي زكرياء وعدد متزايد من مدن البحر المتوسط وأهمها تلك التي انعقدت فيما بين سنتي 627 و633 وتميزت بعضها بالآماد الطويلة[352]. وعلى عكس وضعية إفريقية

---

(346) انظر التعريف بابن عميرة في مقدمة الجزء الأول من «رسائل موحدية».

(347) الرسالة رقم (124).

(348) العبر 6/608–610، 538، الزركشي 29 (ط. 1966)، بغية الرواد 2/112–113، انظر رواية أخرى في البيان 360.

(349) البيان 350–356، الذخيرة السنية 60.

(350) انظر في الفصل الثاني، ص (79–80).

(351) نلاحظ مثلا الرسائل المتبادلة بين بيزا (بيشة) والسلطة الموحدية والتي جمعها أماري في «Diplomi...».

(352) المعاهدة بين إفريقية والبندقية في نوفمبر 1231 (محرم 629) مدتها 40 سنة.
المعاهدة بين إفريقية وبيزا في آخر غشت 1234 (حجة 631) مدتها 30 سنة. =

كان المغرب الأقصى يعاني من المشاكل المترتبة عن الصراع حول الخلافة منذ موت المستنصر الموحدي وخاصة الصراع المسلح بين المأمون والمعتصم، وما رافقه من تقتيل المأمون لعدد من الأشياخ المصامدة منهم عناصر من هنتاتة. فاتخذ أبو زكرياء الحفصي من تراجع المأمون عن مبادىء المهدي مبررا لخلع طاعته وإعلان الانفصال سنة 627 وتأكد هذا الاستقلال سنة 633 عند تجديد البيعة له[353].

في هذه الفترة كانت الظروف تعمل لصالح أبي زكرياء : فقد انتهى خطر بني غانية بموت زعيمهم هذه السنة بعد مدة طويلة من حرب الاستنزاف وتهديد التجارة الصحراوية، وبالتالي أمكنه أن يستفيد من النشاط التجاري وخاصة الوساطة في تجارة الذهب بين بلاد السودان والمدن التجارية المتوسطية، وهكذا وصف ابن القنفد أيام أبي زكرياء مؤسس الإمارة الحفصية (626–647) بأنها خير أيام وأكثرها سعادة، اكتسب الناس الأموال وأكثروا الغراسات «وجمع بعدله وسياسته أموالا لا تحصر إلا بالبيت، والبيت عبارة عن ألف ألف، وذلك مائة ألف عشر مرات، ذكر بعضهم أنه ترك سبعة عشر بيتا»، ويلخص الزركشي عهده بهذه العبارة «صلحت به البلاد ورخصت الأسعار **وأمنت الطرق**، وجمع من الأموال والسلاح ما لم يجمعه أحد»[354]. هذه الوضعية الأمنية والمادية والعسكرية جعلته يسعى لمحاولة وراثة الدولة الموحدية بالاستيلاء على المغربين الأوسط والأقصى في الوقت الذي تلقى بيعة شرق الأندلس، وهكذا شمل نفوذه المغرب الأوسط بعد أن احتل تلمسان وفرض على يغمراسن الخضوع له، وتسرب نفوذه إلى المغرب الأقصى بعد موت الرشيد[354]، حيث وجّهت سجلماسة[355] مؤقتا وسبتة وطنجة بيعتها للحفصيين، وكذلك المناطق التي كان يشملها نفوذ حلفائهم المرينيين كقصر عبد الكريم وعلى الخصوص مدينة مكناسة التي وجّهت بيعتها من إنشاء قاضيها أبي المطرف ابن عميرة مؤرخة بربيع الأول سنة 643[356]. ولا يتضح ما إذا كانت مكناسة هي الراغبة في هذه البيعة كما يدّعي ابن عميرة في رسالته : «ومكناسة هي التي ولجت هذا الباب» وأن الاتفاق حصل من «العلماء والصلحاء والأشياخ والأعيان

= المعاهدة بين إفريقية وجنوة في 10 يونيو 1236 (شوال 633) مدتها 10 سنوات، ومع مرسيليا سنة 1233 (630)، وحدثت محاولات بين أبي زكرياء وملك صقلية أما أرغون فكان مشكل توسعها في شرق الأندلس يعرقل تنظيم علاقاتها مع إفريقية، أنظر برانشفيك في **La Berberie... I/27-29, 37**، وماص لاطري في **Relations (151-153)** و**Traités... (116-118)**، وماسكاريلو ص 67 في «مجلة تاريخ وحضارة المغرب».

(353) العبر 594/6، الزركشي ص 24.

(354) الزركشي : تاريخ الدولتين 25، ابن القنفد : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية 109.

(355) يميل ابن عذاري إلى أن تمرد والي سجلماسة راجع لسبب شخصي (ص 359–360).

(356) نص رسالة البيعة إلى الحفصيين في البيان المغرب (373–378) وفي رسائل بن عميرة خ ع، ك 233 (ص 96–98) وتوجد الإشارة إلى ذلك أيضا في العبر 540/6 و(614–619).

النصحاء ووجوه القبائل والعساكر وكافة طبقات الناس في البادي والحاضر»، أم أن ذلك راجع لضغط قبائل بني مرين حولها من جهة ورغبة قاضيها ابن عميرة من جهة ثانية ؟[357] هذا التحرك الحفصي في اتجاه مراكش فرض على الخليفة السعيد (المعتضد) القيام برد فعل والسيطرة على سجلماسة من جديد[358]، ثم الاتجاه نحو مكناسة وتلمسان أملاً في الوصول إلى إفريقية للقضاء على الحفصيين[359]، ولكنه سيفشل في هذه المغامرة عند تلمسان خاصة وأن معسكره كان يضم ــ إلى جانب حصة من المرينيين ــ قبائل من العرب متنافرة فيما بينها وربما حاقدة على الخليفة السعيد، وسيؤدي بمقتله هناك سنة 646 ثمن هذه المغامرة التي لم يجرؤ أخوه الرشيد من قبل على اقتحامها رغم ظروفه الأفضل[360]، مما سيشجع المرينيين على الانتقال من إطار حركة قبلية إلى سلطة سياسية تتخذ من فاس عاصمة لها وتدخل في صراع عنيف مع الخليفة الجديد المرتضى. والجدير بالذكر أن مكناسة اضطرت لمراجعة بيعتها إلى الخليفة السعيد الموحدي بعد أن فتح سجلماسة وتحرك نحوها، بينما تراجعت أمامه قوات المرينيين وهادنته مؤقتا. وكان تجديد بيعة أهل مكناسة للسعيد من إنشاء أديبها وكاتبها ابن عبدون[361] وهي مؤرخة بـ19 ذي الحجة سنة 643[362]، متعللين بأن ما حدث لا يعبّر إلا عن رأي القاضي ابن عميرة[363]، وراغبين في العفو. وبعد عفو السعيد عنهم تحرّك نحو تلمسان كما سبق الذكر.

وهكذا تبيّن أن الحفصيين ساروا نحو دعم استقلالهم النهائي بعد أن تشكل حاجز بتلمسان لم يستطع الموحدون اختراقه، بينما اكتسب المرينيون الشرعية من الحفصيين ليتحولوا من الإطار

---

(357) يقول ابن عذاري «كان أهل الغرب مرتقبين لوصول الأمير أبي زكرياء من تونس وبايعه أهل سبتة وطنجة فاقتضى نظر قاضي مكناسة ابن عميرة أن يكتب إليه البيعة» (373)، مع العلم أن الشرق الأندلسي الذي ينتمي إليه أصبح تابعا للحفصيين، ومما كتبه ابن عميرة إلى ابن خلاص الذي كان دخل بدوره في البيعة الحفصية ــ مخبرا ببيعة مكناسة قائلا : «كتبته...من مكناسة بعد أن حل الوثاق ونفس الخناق... وانصرفت اليد العادية من هذه الجهة... ودخلوا (المرينيون) البلد دخولا هادئا بحمد الله ساكنا، والشيخ أبو فلان ! ... هو رجل البلد بكل اعتبار...» رسائل ابن عميرة ك 233 ص (43-45) وك 233 ص 133 وما بعدها.

(358) العبر 6/617-618.

(359) البيان 358 وما بعدها، العبر 6/641، الذخيرة السنية 71-72، القرطاس 256-257 و(292-293) ومصادر أخرى.

(360) كان الرشيد أذن لوالي الغرب بمراسلة عرب إفريقية، وليس مستبعدا أن يكون الهدف هو إثارتهم ضد سلطة الحفصيين كما يفعل الحفصيون مع المرينيين، وهذا رغم أن البيان يتحدث عن هدف استجلاب عرب إفريقية (البيان 350).

(361) انظر الترجمة رقم 30 في مقدمة البحث.

(362) انظر الرسالة رقم 120 (م ج).

(363) البيان 378.

القبلي الصرف إلى إطار نظام سياسي يزاحم الموحدين الذين ازداد معسكرهم انشقاقا واتجاها نحو الاضمحلال النهائي.

الانقسام السياسي وعدم الاستقرار بالمغرب الأقصى وعواقبه :

ان الصراع بين المامون والمعتصم استمر إلى أوائل عهد الرشيد حيث قتل المعتصم سنة 633، ومن بين مخلفات هذا الصراع الحركات الانفصالية في جهات مختلفة من أرض الدولة الموحدية في الأندلس وإفريقية وحول تلمسان بل وفي المغرب الأقصى حيث بادرت سبتة إلى إعلان استقلالها عن المامون بزعامة أخيه عمران أبي موسى وذلك سنة 629[364]. وفي نفس الوقت ساهمت بعض قبائل الأطلس المتوسط في التضييق على مدينة مكناسة، فاضطر المامون — بعد أن تراجع المعتصم جنوبا — إلى الخروج من مراكش لانقاذ مكناسة، وكان قد وصله استنجاد أهلها برسالة من إنشاء كاتبها الأديب ابن عبدون يشتكون من حصار وعيث قبائل فازاز وزرهون، خاصة وأن قطر مكناسة هو «قفل الغرب والبلاد معتمدة عليه اعتماد الحسام على الضرب، فإغاثته واجبة» فأهلها أوشكوا أن يكونوا «في حكم الفوات وعِدد الأموات»[365]، فتحرك المامون نحو مكناسة فتراجعت عنها القبائل المحاصرة لها[366]، ثم تحرك منها إلى سبتة وحاصرها برّاً دون نتيجة نظرا لكون عيش أهلها أكثره «إنما هو من البحر، فكانوا في نعمة شاملة، لم يَرِدوا موارد الحرب... ولاهاهم تضييق المأمون ولا حصاره»[367]، بل إن معسكر المامون هو الذي عانى من المجاعة الشديدة[368]. وخلال ذلك سمع المامون بدخول يحيى المعتصم بأنصاره مدينة مراكش وتخريبهم لكنيسة النصارى ونهبهم للمدينة مع قتل عدد من النصارى واليهود[369]. فعزم مرتزقته على الانتقام، وتحرك بعد ثلاثة أشهر من حصار سبتة نحو مراكش، غير أنه مات عند وادي أم الربيع في آخر ذي الحجة 629، واختير ابنه الذي لقّب بالرشيد خلفاً له وكتم موت أبيه إلى أن كسب النصر على المعتصِم ودخل مراكش في مطلع سنة 630، فتلقى البيعة رسميا ووصلته بيعات القبائل ومنها بيعة أورد ابن عذاري فصولا منها مؤرخة بمحرم 630، ونص هذه البيعة يغفل تماما ذكر اسم المهدي مما يؤكد أن الرشيد لازال على سياسة أبيه آنذاك نحو التنكر للمذهب

---

(364) البيان 276، القرطاس 253، العبر 531/6.

(365) الرسالة 120 المذكورة.

(366) البيان (280–281) والعبر 531/6.

(367) البيان 281 العبر 531/6.

(368) الروض المعطار ص 605 (وادي أم الربيع).

(369) انظر القرطاس 253، البيان 281، ديفورك في Les Relations (مجلة تاريخ وحضارة المغرب ع/5، سنة 1968 ص 53 وهوامشها)، ومقال P. Ceneval في هسبريس 1927، ص 75.

التومرتي(370). ولم ينجح الرشيد في احداث نوع من التوازن بين القوى القبلية إلا بعد عودته إلى المذهب التومرتي فأرضى بذلك المصامدة، كما حاول الموازنة بين قبائل عرب الخلط وسفيان بالتخفيف من ضغط الخلط الذين اتسع نفوذهم منذ عهد أبيه حين كانوا حلفاء له(371). وهذه الوضعية المتحسنة جنوبا سهّلت على الرشيد التحرك في بلاد الغرب مرتين أو أكثر فمال المرينيون إلى مهادنته. ووصلته البيعات من الأندلس ومن سبتة، خاصة وأن هذه تضررت من تحوّل نسبة مهمة من الرواج التجاري لصالح مدن ساحل إفريقية والمغرب الأوسط لتحسّن أوضاع المنطقتين الأمنية(372)، على عكس ما كان يجري في المغرب الأقصى لسنوات قبل أن يستقر الوضع نسبيا للرشيد. بل ان سبتة تعرّضت سنة 633 لهجوم النصارى الجنويين عليها — حسب المصادر العربية — ربما في إطار المنافسة التجارية بينهم وبين الأرغونيين الذين ظهروا كمنافس جديد لجنوة في غرب البحر المتوسط رغم بساطة دورهم النسبي(373). وربما كان هذا أحد العوامل الأساسية — إلى جانب الزحف الاسباني على الأندلس — التي جعلت سبتة تشعر بضرورة عدم قطع صلتها مع الداخل، وهذا ما يفرض عليها المساهمة في الوحدة السياسية بالمغرب، وترى في هذا الوقت أيضا بلاد الأندلس الجنوبية تعلن تبعيتها للخليفة الرشيد(374). فعهد هذا الخليفة عرف محاولة لانعاش الدولة الموحدية لكن بعد فوات الأوان، إذ ضعفت العصبية المصمودية وانقسمت أهواؤها بين الميل لحكومة بني عبد المومن بمراكش، والدولة الحفصية الهنتاتية المصمودية بإفريقية. كما أن الصراع بين العصبية العربية السفيانية والخلطية لم يمكن من استمرار الاستقرار، وستنفجر الأوضاع مع

---

(370) انظر نص البيعة في الرسالة رقم 121 (م ج) وانظر رأي صاحب القرطاس حول البيعة للرشيد ص 254.

(371) انظر التفاصيل عن صراع الرشيد مع المعتصم وهسكورة والخلط وما عانته مراكش من الحصار والنهب والمجاعات في البيان (288–327) ثم (339–342) وفي العبر 532/6 وما بعدها، والقرطاس 255 وعنان 498/2–510.

(372) حول وضعية الحفصيين انظر برانشفيك في الجزء 1 ص 27–29 من كتابه ....La berberie.

(373) يرى ديفورك أن مدينة سبتة أصبحت مركزاً هاماً لتجار كطلانيا ومنبوليي في هذه الفترة ويفترض أن يكون الهجوم في سبتة سنة 633 من طرف الكطلان الذين كانوا يتوسعون آنذاك في البليار، وأنهم هم الذين أحرقوا سفن الجنويين بمياه سبتة فاستنجدت هذه بالجنويين فتراجعت أمامهم سفن الكطلان الأرغونيين (L'Espagne Catalane... p. 161)، وصاحب القرطاس يذكر في سنة 632 هجوم أرغون على يابسة وهجوم الجنويين على سبتة (232)، وابن عذاري يجعل الهجوم على سبتة سنة 633، أو 636 (346–347). إذن ألا يصح أن يكون هناك هجومان أولهما للجنويين كما في المصادر العربية والثاني للأرغونيين خصوصا وأنهم هجموا خلال 636 على ميورقة ومنورقة في إطار توسعهم في الشرق الأندلسي ؟ راجع أيضا الهامش 332.

(374) انظر بهذا الفصل ص (205–206).

عهد الخليفة السعيد حيث تتعدد الثورات ضده[375]، ومنها ثورة سبتة بزعامة ابن خلاص، وستظل مستقلة فيما بين 640 و647 تحت تبعية شكلية للحفصيين ربما لكونها فقط في مواجهة النصارى فلم تجد قوة بالمغرب أكثر من قوة أبي زكرياء الحفصي، وستنفصل عن إفريقية بعد موته وذلك عند قيام ثورة العزفي.

قاد ثورة سبتة سنة 647 **أبو القاسم العزفي** بتنسيق مع الرنداحي قائد أسطول المدينة[376]، وتقرر الارتباط بالدولة الموحدية شكليا، فتوجّه وفدٌ إلى الخليفة المرتضى لتقديم البيعة كما تفيد ذلك رسالة العزفي إلى السيد أبي إسحاق أخي المرتضى ووزيره[377]. فبعث المرتضى إليها عامله ابن أشرقي تحت إشراف العزفي[378]، فبقي بضعة أشهر بسبتة، ثم كتب العزفي إلى المرتضى بعدم صلاحيته[379]. هذه الرسالة من العزفي غير معروفة حاليا، ولكن جواب المرتضى يدل على توصله بها[380]، هذا الجواب مؤرخ بـ 14 رجب 648 وفيه **الموافقة على عزل العامل ابن أشرقي** «فمن كرهته الرعية لا نستعمله بحال عليها»، وفيه أيضا **التفويض للعزفي** للنظر في جميع أمور المدينة دون حاجة إلى مراجعة الخليفة، وربما التفويض أيضا في العلاقات الخارجية لسبتة[381]، ويضيف جواب المرتضى أن هذا التفويض ميزة خاصة لم يحصل عليها غيره من قبل. وهذا يؤكد أن ارتباط سبتة بالموحدين هو شكلي فقط، ونلمس هذا أيضا في الأسلوب الذي خوطب به العزفي في هذه الرسالة الجوابية حيث نلاحظ الأدب معه ومع أعيان المدينة في عدم التصريح بعصمة المهدي فاكتفت بوصفه «بالإمام القائم بأمر

---

(375) انظر ظروف عهد السعيد في ص (210-211)

(376) صاحب العبر (542/6) يعتبر الثورة ثورة للعزفي، وفي ص (624-625) يتحدث عن ثورة العامة وان الذي تولى كبر ذلك الرنداحي بمداخلة أبي القاسم العزفي، واتفق الملا على ولاية العزفي وحولوا الدعوة إلى المرتضى.

(377) الرسالة السابعة من رسائل القبتوري التي نشرها محمد الهيلة ص 109-111 وأيضا دراسته لهذه الرسالة في الصفحة 48 من «رسائل ديوانية...» بل تلقى مركز الخلافة رسالتين كما ورد ذلك في رسالة القبتوري نفسها ص 110 وكما ورد في جواب المرتضى الآتي ذكره. هذه التبعية الشكلية يذكرها أيضا ابن عذاري (414)، بينما صاحب الذخيرة يتحدث فقط عن ثورة العزفي دون ذكر التبعية (ص 76).

(378) يفهم ذلك من البيان 414 وخاصة من الرسالة التقديمية عن المرتضى إلى العزفي (التقديم رقم 6 في الملحق الأول من قسم الرسائل).

(379) البيان 414.

(380) التقديم السادس المذكور، انظر خصائصه ضمن هذا الفصل (ص 166-167).

(381) كما يفهم ذلك من رسالة القبتوري الثامنة في «رسائل ديوانية» وهي من أبي القاسم العزفي إلى الخليفة المرتضى وليس إلى أبي اسحاق الموحدي، ومما جاء فيها «ولولا أن هذا المكان الآن قد تقلصت مواد مجابيه... لكان الارتباط لها (أي الهدنة) قد امضي...» ص 120.

الله تعالى»[382]. كما أن رسالة المرتضى تقارن بين وضعية سبتة قبل ثورة العزفي وبعدها حيث كانت المظالم والمستحدثات، **فأمر الخليفة بإلغاء هذه المستحدثات والرسوم الجائرة**[383]، والعناية بعامة الناس «الدهماء»، مما يجعلنا نفترض أن سبتة كانت تعاني من ضعف في النشاط التجاري الخارجي أدى بالحكومة السابقة إلى الضغط على سكانها ومن حولها من أجل جمع المجابي على التجارة المحلية والحرف والزراعة، فأصبحوا مستعدين للثورة. هذا الافتراض قد يجد ما يدعّمه في رسالة القبتوري عن العزفي إلى الخليفة المرتضى يشتكي فيها من ضعف المجابي بسبب «انقطاع أسفار النصارى له» (لثغر سبتة)، وأن أهم ما بقي من المجابي هي أعشار الزيت[384] أي الاعتماد على الفلاحة بعد أن كانت المدينة لا تُلقي بالاً للمداخيل الفلاحية بالمقارنة مع أهمية المداخيل التجارية.

وهكذا إذا حاولنا أن نبحث عن أسباب ثورة سبتة وانضمامها الشكلي للموحدين نجد عدة عوامل ربما تلتفّ جلها حول العامل التجاري، فرغم أن ابن عذاري ينسب الثورة إلى تعسف الوالي الحفصي بسبتة[385]، فإن هنالك عوامل أخرى أساسية، فقد مات الأمير الحفصي أبو زكرياء سنة 647 وقبل ذلك حدث سقوط اشبيلية بيد قشتالة دون أن ينفعها الحفصيون[386]، ويبدو أن سبتة أصبحت مهددة بالهجومات النصرانية خاصة القشتالية، إذ نجد العزفي يبني سورا جديدا للمدينة[387]، كما نجده يهادن — بإذن المرتضى — ملك قشتالة لمدة سنتين مقابل فدية كانت شاقة على سبتة، وعندما أرادت هذه تجديد الهدنة[388] اشتطت قشتالة في رفع قيمة الفدية حتى اضطر العزفي لطلب الدعم المالي من المرتضى مشتكياً من قلة المداخيل بثغر سبتة حيث «انقطعت أسباب مرافقه بانقطاع أسفار النصارى له»، فصار «مجبى هذا المكان... لغاية من الضعف قلّما على مثلها عهد». ويشير إلى الاعتماد الوحيد على مدخول الأعشار على الزيت الذي قلّ بدوره «فليس هذا العام عام غلة يستعان ويستظهر،

---

(382) قد يكون المرتضى في قرارة نفسه لا يومن بعصمة المهدي (ابن عذاري 452)، ولكن هذا لا يظهر على المستوى الرسمي، وإنما كان الدافع لعدم التصريح بالعصمة هو اعترافه بمكانة علماء سبتة واحترام الخلفاء السابقين لآرائهم، زيادة على بيعتها له عن طواعية.

(383) ربما هذه السياسة ليست خاصة بسبتة، لاحظ مثلا التقديمين رقم 74 و76 وتقاديم أخرى في الملحق الأول بقسم الرسائل.

(384) «رسائل ديوانية» ص 115-121.

(385) البيان 400، وهو ما عبرت عنه رسالة المرتضى المذكورة بشيوع المظالم والمستحدثات، انظر أيضا ديفورك في مقالة عن سبتة ص 108.

(386) الذخيرة 79، وأيضا ديفورك في المقال المذكور (108-109)، وانظر أيضا ص (205-206) من هذا الفصل.

(387) الذخيرة 80.

(388) ربما هو الموضوع الذي جاء من أجله «الإفريريان» إلى المغرب، التقديم رقم 6 في الملحق الأول.

بما يستفاد من أعشارها ويستثمر»[389]. ثم عندما انتعشت تجارة سبتة مع البرّ بفضل الأمن النسبي الذي فرضه المرينيون في المغرب الأقصى الشمالي إلى سلا وامتداد نفوذهم جنوب عاصمتهم فاس ليشمل بلاد فازاز وتادلا وأحيانا سجلماسة، عندئذ تحرك نشاط سبتة البحري مع جنوة[390]، وأيضا مع أرغون التي كانت تفضل الممارسة التجارية مع موانىء المغرب عوض المساهمة ضده في الحملات الصليبية[391] التي كانت قشتالة لا تزال متحمسة لها خصوصا وأنها تعاني من صمود مملكة بني الأحمر في وجهها.

وفي إطار التحرك الصليبي للكنيسة وتحرك قشتالة قامت هذه بالهجوم على مدينة سلا الموحدية في شوال 658 (سبتمبر 1260) واستمر احتلالها مدة نصف شهر إلى أن حرّرها المرينيون واستقروا بها. وستتعرض مدن أخرى كالعرائش لمثل هذا الهجوم[392]، وكان العزفي قد نبّه على استعدادات القشتاليين للهجوم على موانىء مغربية، و لم تفد تحذيراته لأهل السواحل لمواجهة الهجوم المتوقع. وعلى إثر حادثة سلا وجّه الخليفة المرتضى رسالة شكر إلى العزفي على تحذيره المذكور[393].

والواقع أن دولة المرتضى لم تكن أقل اضطرابا من عهد أسلافه سواء من طرف المرينيين شمالا أو التمردات جنوبا وتهديد الطرق في مختلف الجهات، ورسائل التقاديم عن المرتضى وعمن قبله لا تخلو تقريبا من الإشارة إلى تكليف عمال الجهات بمحق آثار الفساد والمفسدين أو ضرورة تمهيد الأرجاء[394].

إذا كانت الدولة الموحدية عرفت خلال القرن السادس مظاهر للقوة في الميادين السياسية

---

(389) رسائل ديوانية (115-121) و49، راجع أيضا الهامش رقم 384.

(390) ديفورك عن سبتة، المقال المذكور ص 110.

(391) إذا استثنينا بعض الحالات التي كانت أركون تقف فيها إلى جانب قشتالة كما حدث سنة 1264 عندما ثارت مرسية ضد القشتاليين فإن أركون كانت تميل إلى التعامل التجاري مع سبتة، بل عقدت معها عقد هدنة وسلام في 1969/2/4 (أواسط 667)، ديفورك في :
La Question de Ceuta... p. III, l'Espagne Catalane... p. 162-163

(392) القرطاس 403، الذخيرة 121، وكان العزفي سنة 663 هدم قصبة أصيلا حتى لا يتحصّن بها العدو (القرطاس 402)، وبالنسبة للهجوم على سلا ربما يعلّله عاملان أساسيان : انها أصبحت تستقبل الذهب السوداني، والثاني الدافع الصليبي حيث يدخل الهجوم في إطار محاولة لوضع قشتالة أقدامها بالمغرب قبل أن تضعها القوة الفتية الناشئة وهي قوة المرينيين على أرض الأندلس، خاصة وأن قشتالة كانت لاتزال في المواجهة مع المسلمين بمملكة غرناطة، راجع ديفورك في 25-24
La Question de Ceuta... p. III, l'Espagne Catalane..

(393) الرسالة رقم 127 (م ج)، انظر أيضا القرطاس 301 والذخيرة 63-84.

(394) راجع في الملحق الأول التقاديم ذوات الأرقام : 4، 7، 8، 10، 11، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 31، 32، 33، 34، 37، 43، 46، 47.

والعسكرية والاقتصادية... فإن هذه المظاهر أخذت تتغير مع أوائل القرن السابع وخاصة منذ معركة العقاب تبعا لعوامل متعلقة بالسياسة الموحدية نفسها ولعوامل خارجة عنها. وقد رأينا بعض الجوانب السياسية فيما سبق، وهناك جانب آخر مهم وهو السياسة المالية الموحدية وبالضبط **النظام الجبائي**، فهذا النظام كان يتميز بالفوارق من جهة بين منطقة المصامدة ذات الامتيازات عموما والتي لا تطالب بغير الحقوق الشرعية في الممتلكات والأموال(395) ــ وهذا النظام كان ساريا على عدد من القبائل الأخرى التي دخلت طوعا في الدعوة الموحدية ولكنه أخذ في التراجع حيث وضعت عليها التكاليف الجبائية ــ(396)، ومن جهة أخرى بين مناطق اعتبرت ممتلكاتها مفتوحة عنوة على يد الموحدين فكانوا يفرضون عليها تكاليف باهضة. هذه التكاليف كانت تدر مداخيل هامة على الدولة، ولكنها كثيرا ما تعرّض المسؤولين عنها للتنكيل والتعذيب بعد المحاسبة(397)، ومن ذلك ما حدث أيام الناصر بعد عودته من حركته الإفريقية وقبل جوازه إلى الأندلس، حيث أن عمال البلاد الغربية من فاس إلى سبتة ضيّعوا حصة «المخزن» لصالحهم، فكان هذا مما أضعف المعسكر الموحدي المتحرك إلى الأندلس وجعله يقاسي من المجاعة(398).

وتبعت هزيمة العقاب مجاعة وأوبئة **بالأندلس** والمغرب خاصة سنة 610(399)، وستتفاقم الأمور مع ضعف السلطة المركزية وظهور عوامل جديدة : فهزيمة العقاب كانت نقطة تحول من عهد قوة الموحدين إلى عهد ضعفهم، فإذا كانت الأندلس ظلت هادئة نسبيا أيام المستنصر ــ فيما يخص المهادنة مع النصارى ــ(400) فإنها في العشرينيات عرفت حركة انفصال وصراع بين القوى المحلية المتنافسة زيادة على الضغوط النصرانية، وهذا من شأنه الإضرار بالوضع الاقتصادي نتيجة انعدام الأمن من جهة، ومن جهة أخرى نتيجة الضغط الجبائي على السكان من أجل تجنيد الأتباع والمرتزقة النصارى ثم من أجل دفع الاتاوات للملوك الاسبان

(395) الرسالة التقديمية رقم (24) التي يرجح أنها رسالة تقديم لوال على تنملل، فهي على عكس التقاديم الأخرى التي تتحدث عن الجابي.

(396) مثلا قبائل زرهون (الروض الهتون ص 8–9)، ويذكر صاحب الذخيرة (118) أن الأمير المريني بعد أن فتح مراكش وطاعه المصامدة حذف عنهم التكاليف الجبائية، فهل شملت هذه التكاليف أيضا هذه القبائل في نهاية الدولة الموحدية ؟

(397) انظر ما ذكره صاحب الروض الهتون عن المناصفة والمثالثة في الإنتاج وما فعله بعض الاحتكاريين (القشاشين) ص 10، وانظر كذلك فعل هؤلاء القشاشين في ناحية مراكش في الذيل (غرباء خ ع) ضمن ترجمة أبي الحسن بن القطان ص 212، انظر الصفحات بهذا الفصل 176–177، 181 وأيضا عما فعله عبد المومن مع أهل تونس في الكامل (63/9) وفي رحلة التجاني (344).

(398) انظر الصفحات (174 وما بعدها).

(399) القرطاس 272، راجع ص 182–183 والهامش 190 عليها ثم الهامش 401 بعد.

(400) انظر في هذا الفصل ص 182 وما بعدها.

اتقاءا لخطرهم أو رغبة في دعمهم، مما يجعل من الصعب إلقاء المسؤولية كاملة على سلبيات المناخ وعلى ظهور المجاعات والأوبئة[401].

أما **المغرب الأقصى** فقد أخذ يعاني من الاضطراب جنوبا وشمالا حيث نشطت حركة الجزولي بالجنوب إلى سنة 612، وكانت سجلماسة مهددة تارة من طرفه وتارة من طرف تحركات بني غانية التي أصبحت تأخذ اتجاها طوليا من الشرق إلى الغرب لفرض عدم الاستقرار على ولاة إفريقية الحفصيين في حرب استنزافية، وربما كانت هذه الحركة تحاول أيضا وضع يدها على المدن التي تشكل منافذ على التجارة السودانية عبر الصحراء[402]، وكما حدث بالأندلس من ظهور الحركات الانفصالية، حدث بالمغرب : فانفصلت إفريقية وتلمسان، بل وقع الانقسام السياسي داخل المغرب الأقصى منذ العشرينيات[403]. وغير بعيد عن مراكش لم تكن الطرق آمنة من قطاعها منذ عهد المستنصر أمام تهاون حكومته، حتى أن هناك من يتهم ابن جامع وزير المستنصر بالتعامل مع قطاع الطرق[404]. كما يشار إلى أن عهد العادل (621-624) كان عهد شدة وغلاء توالى على مراكش سبعة أعوام أي منذ عهد المستنصر[405]، وستضطرب أمور المنطقة باندلاع الصراع بين المامون ثم الرشيد من جهة والمعتصم بن الناصر من جهة ثانية، وتعاني مراكش الويلات من تكرار الحصار والفاتحين لها، وما يرافق ذلك من شدة المجاعات[406]. وإلى شمالي المغرب أخذت تتسرب قبائل بني مرين وتفرض نفسها شيئا فشيئا على المدن والبوادي فتأخذ جبايتها بدعوى حمايتها، مما كان يجعلها تصطدم دائما بالقوات الموحدية أو بحلفاء الموحدين من العرب الذين سبق استقرارهم بالمنطقة وتمتّعهم بامتياز جباية الضرائب. وهكذا ومنذ الانتصار الأول للمرينيين على الموحدين سنة 613 (عام المشعلة) يحدّثنا ابن عذاري عن استمرار المجاعة بالمغرب وخاصة بالغرب فيما بين 614 و617، فإذا أضفنا إليها الملاحظة السابقة من صاحب الذيل عن كون المجاعة استمرت إلى عهد العادل، ثم استمرت بشكل متقطع أثناء صراع المعتصم مع كل من المأمون والرشيد نجد أن الحديث لا يتوقف تقريبا عن ذكر المجاعات والغلاء وخاصة بالغرب إلى نهاية

---

(401) بعض السنوات التي يشار إليها لحدوث المجاعة والقحط بالأندلس : سنة 610 و617 (البيان 245 والذخيرة 54) وسنة 624 (القرطاس 250) وسنة 635 (القرطاس 255).

(402) انظر الصفحة (173-175) وهذا العمل من شأنه إضعاف الحفصيين ماديا واغناء بني غانية فيستطيعون تجنيد عدد أكبر من قبائل العرب وزناتة وغيرهم.

(403) انظر الصفحة 207 وما بعدها، والبيان 349 و362 عن عهد الرشيد و364 عن عهد السعيد و417-419 عن عهد المرتضى.

(404) انظر الصفحة 191 والهامش 245 وأيضا ص 194.

(405) الذيل س 8/ ص 175، ط. 1984.

(406) البيان 315-325، والذيل س 8 ص 69 من المخطوط.

عهد الرشيد[407]، أما سكوت المصادر بعد هذه الفترة عن استمرار هذه المجاعات[408] فلا يستبعد أن يكون راجعاً إلى تعاطف مؤلفيها مع الدولة المرينية التي تأسست بالمنطقة الشمالية منذ سنة 646، فاعتُبرت كأنها حامية للطرق ومانعة للفوضى، أو أنه راجع فعلا إلى هذه الدولة التي تمكنت من فرض تفوقها العسكري على منافسيها من القبائل الأخرى المحلية، فساد الأمن بمنطقة طال فيها عهد الاضطراب. ويمكن القول أن حالات المجاعة والغلاء بالمغرب الأقصى كان لها نوع من الاستمرار طيلة الفترة ما بين هزيمة العقاب وانتقال الحركة المرينية القبلية إلى حركة سياسية سنة 646.

إن هذه الوضعية المضطربة في المغرب الأقصى طيلة هذه الفترة كان لها تأثير سلبي على النشاط الاقتصادي وخاصة التجارة، كما يتجلى هذا في تدهور نشاط تجارة ميناء سبتة، بينما كان له تأثير إيجابي على تجارة المغرب الأوسط وإفريقية حيث انحرفت أهم القوافل التجارية إلى موانىء هاتين المنطقتين مما شجع إمارتي الحفصيين وبني عبد الواد على تنظيم وتوسيع عقود المعاهدات مع عدد من مدن البحر المتوسط وخاصة الإيطالية[409]. وهكذا نجد سبتة وهي المركز التجاري المهم تتعرض في الثلاثينيات لمجاعة بشكل لم يسبق له مثيل، بحيث أن انقطاع الطرق البرية نحوها جعلها لا تتوصل بالمواد الغذائية ولا بغيرها من المواد[410] التي تستعملها في المبادلات مع التجار البحريين الأجانب خاصة الذهب، فلم يعد بهذه المدينة ما يجلب هؤلاء التجار نحوها، أضف إلى ذلك بعض العوامل السياسية الخاصة بها كاستقبالها اللاجئين الأندلسيين والتضييق عليها من طرف الأرغونيين أثناء توسعهم في شرق الأندلس والبليار، واستمرت هذه الوضعية في سبتة خلال الفترة الأولى من حكم العزفيين (647–677) بحيث لن يعود نشاطها المنظم إلا بعودة الوحدة السياسية للمغرب الأقصى تحت سيطرة المرينيين حوالي 672[411]، أو على الأقل منذ سيطرتهم على المنطقة التي يمّر بها الخط التجاري من سجلماسة إلى سبتة. وفي الوقت الذي كانت فيه المواصلات البرية في شمالي المغرب الأقصى مع سبتة مهددة باستمرار ربما كانت سلا تتوصل ببعض الكميات من المادة الذهبية من الجنوب، وليس من المستبعد أن تكون الحملة القشتالية عليها سنة 658 تستهدف الفائدة

---

(407) القرطاس (255 و277) يذكر الغلاء المفرط بالمغرب والأندلس سنة 635، والبيان (332) يذكر الغلاء بالمغرب سنة 633 و634، وكانت سنة 636 خصب وخيرات (ص 342) ثم أعقبها سنة 637 الغلاء المفرط والمجاعة بسبتة «وكانت أكثر بلاد المغرب غالية الأسعار» (347–348).

(408) بل يشار إلى الخيرات والرخاء، مثلا في الدخيرة السنية (94–95) والقرطاس (302)، وربما تحسنت الظروف المناخية أيضا حيث يعترف صاحب القرطاس بالرخاء أيام المرتضى (259).

(409) انظر الصفحات (207–209) عن تلمسان وص 197 وما بعدها وخاصة الهامش 352 عن المعاهدات مع إفريقية.

(410) يتحدث صاحب البيان عن انقطاع السبل إليها (347–348).

(411) انظر الهامش 391 عن علاقة أركون بسبتة والمرينيين.

التجارية من هذه المدينة رغم الطابع الصليبي الذي سيطر عليها وعلى الحملة الثانية ضد العرائش والمحاولة ضد سبتة نفسها من طرف القشتاليين أيضا[412]، بينما نلاحظ أن أرغون لم يكن من مصلحتها المغامرة العسكرية ضد سبتة أو موانئ مغربية أخرى، بل سترتبط باتفاقات تحالف مع المرينيين[413].

أما على المستوى الداخلي أيام المرتضى فقد تدهور نفوذه بزحف المرينيين إلى سلا ثم إلى تامسنا وتقدم نفوذهم من فاس وتازة عبر جبال فازاز إلى تادلا وأحيانا إلى سجلماسة، وفي نفس الوقت ظهرت ببلاد السوس ثورة ابن يدر، فأصبح الموحدون في مراكش محاصرين سياسيا وعسكريا واقتصاديا من كل جهة، مما أوقعهم في ضائقة مالية شديدة زادت في تدهور وضعيتهم ونقص إخلاص مرتزقتهم من النصارى، ويمكن أن نفهم هذه الضائقة المالية من تشدد أبي دبوس آخر الخلفاء الموحدين على المرتضى متهما إياه بكنز الأموال حتى انتهى الأمر بقتله[414]. ورغم تغلبه ـــ مؤقتا ـــ على ابن يدر فإنه لم يستطع أن يوقف الزحف المريني الذي تجاوز أم الربيع ووضع حدا نهائيا للدولة الموحدية في مطلع سنة 668.

إن الاتصال المتزايد للعالم المسيحي بالعالم الإسلامي منذ الحرب الصليبية الأولى ساهم في تطوير الحركة التجارية بين العالمين ومن ضمنها التجارة بين مدن المغرب ومدن إيطاليا وجنوب فرنسا وإسبانيا خاصة برشلونة، وكان العطش الأوربي للمادة الذهبية بالأساس عامل ربح مهم لتجار هذه المدن والوسطاء، وربما كان هذا هو العامل الذي يفسر محاولات السيطرة من طرف الثوار والانفصاليين على المنافذ الصحراوية كسجلماسة أو الموانئ لدعم مركزهم المادي ولإنجاز أهدافهم كما ظهر ذلك في استقلال إفريقية وتلمسان، وكذلك سبتة (فعليا). نعم كان من الممكن مواجهة هذه الحركات نسبيا لو استمرت وحدة وصمود الجبهة الداخلية

---

(412) انظر البيان ص 423 وما بعدها، والذخيرة السنية ص 101 والقرطاس 301 و(303-304)، انظر رأي ديفورك في مقاله عن سبتة La Question de Ceuta ص 111 حول دوافع الحملة القشتالية وأيضا ص 114 و115.

(413) ديفورك في ...L'Espagne catalane... p. 162, 164، والمقال عن سبتة ص 116 وما بعدها يتحدث عن تحالف بين المرينيين وبرشلونة ضد سبتة لفتحها، وهذا لا يتفق مع المصادر المغربية مثلا القرطاس 312 والذخيرة 137-138 عن خضوع سبتة للمرينيين سنة 672 بينما الاتفاقية مؤرخة بـ 18 نونبر 1274 أي جمادى الأولى 673.

(414) البيان المغرب (449-450) ضمن أحداث سنة 665 ويتضح ذلك من رسالة أبي دبوس ثم جواب المرتضى عليها، ويجب أن يكون تاريخهما ما بين دخول الواثق إلى مراكش في 22 محرم ومقتل المرتضى في 22 صفر حسب البيان (389)، (الرسالتان 128 و129) م ج ويصف ابن عذاري (455) بيت المال في بداية عهد الواثق بقوله : «ليس ببيت المال مال ولا طعام، فاستولى عليه الاحتياج الشديد والإعدام»، ورغم محاولة الواثق التخفيف من الضغط المالي على أهل مراكش فإنه لم يحصل على رضاهم، ولا حصل عليه قاضيه كما تلمّح رسالة التشكي التي وجهها إلى الواثق، وجواب الواثق عليه مدعما لمكانته، انظرهما بالبيان (قسم الموحدين) 466-468، ط 1985.

الموحدية كما حدث إلى عهد المستنصر، بينما نجح التفكك بعد ذلك، وهنا يمكن القول أن سياسة الناصر ــ على المدى البعيد ــ كانت عكسية النتائج، فاستعداداته لخوض معركة العقاب لإيقاف الزحف الصليبي أدت إلى هزيمة انهارت بعدها الأندلس في وجه هذا الزحف (مع الاعتراف بوجود عوامل خارجة عن إرادته)، وفي إفريقية بدلا من استمرار اضطرابات بني غانية ــ وبالتالي حفاظ المغرب الأقصى على مكانته التجارية مع السودان والبحر المتوسط ــ استقر الحفصيون بإفريقية وتمكنوا من القضاء على خطر بني غانية، فانفتح طريق التجارة الصحراوية نحوهم عند اضطراب أمور المغرب الأقصى وتهافَتَ التجار الأجانب على موانئهم وعلى موانىء المغرب الأوسط، هذه الظاهرة ستستمر إلى الاستقرار النهائي لبني مرين بالمغرب الأقصى فيحصل نوع من التوازن في القوى عموما بين البلدان الثلاثة ريثما تدخل عموما في مرحلة الانحطاط منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

وأخيرا يمكن القول أن الموحدين الذين كانوا يعتمدون على سياسة القوة عسكريا ومذهبيا لتغطية التناقضات الداخلية[415]، ويملكون عساكر متنوعة العناصر احتفظت بانسجامها في عهد الخلفاء العظام عامة، ويستغلون ظروف التنافس بين الممالك الاسبانية ليظهروا بمظهر القوة، جاءت معركة العقاب لتكشف تناقضاتهم الداخلية وضعف سياستهم الاسبانية[416] وتسقط هيبتهم في أعين النصارى، فيعود الانقسام السياسي إلى المغرب، وتفشل التجربة الوحدوية في الغرب الإسلامي التي استمرت حوالي نصف قرن. أي أن عوامل ضعف الدولة الموحدية ليست مرتبطة مباشرة بـ«العقاب» وإنما كانت بذورها كامنة قبلها[417].

(415) اعتمدت سياسة المصامدة في العلاقة مع بقية القبائل والمجموعات على أساس علاقة الغالب بالمغلوب.

(416) يجعل «لوتورنو» عامل الضعف الأساسي للموحدين هو عجزهم عن حماية حدودهم الاسبانية واكتفاؤهم بموقف الدفاع نحو النصارى (حركة الموحدين، ص 115–119).

(417) انظر رأي لوتورنو في المرجع المذكور (ص 115–125).

الفصل الخامس

جوانب حضارية في رسائل «المجموعة الجديدة»

سيقتصر هذا الفصل على تناول بعض المستفادات التي تخص جوانب حضارية متنوعة إدارية وعسكرية واقتصادية واجتماعية ودينية، وفي السياسة الخارجية أيضا.

1 ــ الجانب الإداري :

عرف العهد الموحدي تداخلا بين العملين الإداري والعسكري، ولذا من الصعب الفصل بينهما في هذه المحاولة، وان كنا سنعود مرة أخرى لبعض الجوانب العسكرية منفصلة عن الجوانب الإدارية، وهذا التداخل كان على المستويين المركزي والمحلي.

أ ــ الإدارة المركزية : كان الخلفاء الموحدون يمثلون أعلى سلطة في دولتهم ويحملون لقب «أمير المومنين»[1]، يساعدهم موظفون كبار في شكل أفراد كالوزراء والكتاب والقضاة، أو في شكل هيئات مثل هيئتي العشرة والخمسين أو ما عرف فيما بعد باسم الأشياخ[2].

وقد تحول **نظام الخلافة** مع عبد المومن إلى ملك وراثي في سلالته منذ تقديم ابنه الأكبر محمد **وليا للعهد**[3]، وكان المفروض على الرعية السمع والطاعة في المنشط والمكره... واعتماد النصيحة... ولا تتوفر الرسائل الحالية إلا على الشروط المفروضة على الرعية[4]. وأصبح ولي العهد يذكر في المراسلات الرسمية بعد اسم أبيه الخليفة كما تؤكد هذا الرسائل أرقام 10 و42 و44 (م ج).

وكان يساعد الخليفة **وزير** من كبار أشياخ الموحدين مثل أبي حفص عمر الهنتاتي ثم أبنائه، أو من بعض السادة مثل أبي حفص عمر وزير أخيه الخليفة يوسف... وفي عهد الخلفاء الأوائل كان هناك حدّ لسلطة الوزير، غير أن هذه السلطة اتسعت على حساب سلطة الخلفاء في فترة الضعف كما حدث من طرف الوزير ابن جامع خلال عهد المستنصر مثلا، حيث كان

---

(1) وهو مقتبس أصلا عن عمر بن الخطاب كما تذكر ذلك الرسالة رقم 18 (م ج).

(2) راجع المقتبس من كتاب الأنساب (30–35)، المعجب (337–339)، القرطاس (176–177)، العبر 470/6، نهاية الأرب (403)، الحلل الموشية 108.

(3) انظر الرسالتين 13 و14 (م ر م)، والفصل الأول ص (42–45) وكذلك الرسائل 40، 41، 121، 125 (م ج) حول بيعات أخرى بولاية العهد وبتولي الخلافة أو تجديد البيعة. ويشير صاحب المن إلى البيعة باليد : «إعطاء صفقة اليد» (346)، وكذلك الرسالة 13 (م ر م) عن بيعة الشيخ أبي حفص لولي العهد محمد.

(4) وان كان صاحب المعجب يشير إلى بعض الشروط على الخليفة أعلنت عند مبايعة المستنصر (ص 326).

وصيا على هذا الخليفة في سنوات حكمه الأولى كما يتضح من المراسلات بين اشبيلية ومراكش آنذاك[5].

ومن كبار الموظفين المساعدين للخليفة **الكتاب**، وينقل المقري عن ابن سعيد المغربي أن الكتابة كانت على نوعين أعلاهما منصب كاتب الرسائل، وأشرف أسمائه الكاتب، ويجب ألاّ يكون فيه نقص ظاهر[6]. ومن أشهر الكتاب الموحدين الذين وردت لهم نماذج ضمن رسائل هذه المجموعة الجديدة ومجموعة بروفنصال نجد أبا جعفر بن عطية الوزير والكاتب لدى عبد المومن، وأبا القاسم القالمي وابن المرخي وأبا الحسن بن عياش وغيرهم من كتاب الخليفة يوسف، وأشهر كتاب المنصور والناصر والمستنصر هو أبو عبد الله محمد بن عياش[7]. وهناك موظفون آخرون ذوو اختصاصات أخرى كقاضي الخلافة وقاضي الجماعة، وصاحب الأشغال المالية وغيرهما ممن سيذكرون في مجال تخصصهم.

وكان الخليفة يستعين **بهيأة الأشياخ** الموحدين المصامدة في استشارتها حول الأمور الهامة، ومن ذلك ما حدث بالنسبة لتنظيم ولاية العهد ـــ حسب التصريحات الرسمية ـــ[8] وفي مسألة إقرار الحرب أو السلم[9] والتحركات العسكرية الكبرى[10]. وقد استطاع الخلفاء الأوائل الموازنة بين نفوذ الأمراء السادة والأشياخ الموحدين، إلا أن نفوذ هؤلاء تزايد منذ عهد المستنصر وخاصة بعد موته حيث أصبحوا يولّون ويعزلون الخلفاء، مما سيدفع الخليفة المأمون إلى الانتقام منهم بالتقتيل وإلغاء سندهم الروحي المتمثل في «الرسوم» المهدوية[11].

ب ـــ الإدارة المحلية : كانت الإدارة في عواصم الولايات تشبه إلى حد كبير في عناصرها الإدارة المركزية، إذ كان على رأسها الوالي وهو غالبا أحد السادة من بني عبد المومن، ومساعدوه هم «الطلبة» والحفاظ والقضاة والأمناء ـــ حسب رسالة من عبد المومن إلى أهل سبتة[12]، ـــ وعلى الخصوص **الحافظ والقاضي والعامل**[13]، ومن المساعدين الأقربين للوالي

(5) الرسائل 71، 72، 79، 90، 92، 93، 100، 101، 102، 108.
(6) نفح الطيب 217/1.
(7) انظر تراجم هؤلاء الكتاب ضمن مقدمة الجزء الأول، ومن أشهر كتاب الفترة الأخيرة من العهد الموحدي أبو زكرياء يحيى بن يخلفتن الفازازي وأبو الحسن الرعيني وغيرهما.
(8) انظر الرسالتين 13 و14 (م ر م) والرسالتين 40 و41 (م ج).
(9) مثلا في توقيع الهدنة بين الخليفة يوسف من جهة وكل من قشتالة والبرتغال حسب الرسالة 29 (م ج).
(10) العبر 518/6، والاستقصا 215/2 حول الاستشارة بشأن حركة الناصر إلى المهدية.
(11) انظر الرسالة 119 م ج.
(12) الرسالة 14 (م ر م)، ونجد في المراسي ناظر الديوان كما في الرسالتين 46 و50 م ج.
(13) التقديم رقم 2 (ص 2 بمخطوط يحيى).

كاتبه الخاص، وإذا كان الحفاظ ــ مع الطلبة ــ يمثلون في الأصل الهيأة الدعائية، فإنهم أصبحوا منذ عهد عبد المومن يمثلون هيأة إدارية وعسكرية أيضا، واعتبر الولاة أنفسهم من الطلبة[14]، وكان من مساعدي الولاة في الجهات نواب إداريون وعسكريون من هيأة الحفاظ (صغار الطلبة).

فالحفاظ[15] هم في المدن الصغرى عادة، ويكون دورهم في حالات السلم ــ غالبا ــ هو دور صاحب الشرطة[16]، فمن مهامه «رفع المستحدثات ومحق الرسوم التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب، وما لا تجيزه السنة والكتاب»[17]، ومن ذلك الحدّ على الزنا وشرب الخمر، وحسب قول المقري فإن كثيرا من الأمور الشرعية راجع إليه، وأن هذه عادة تقرَّر عليها رضى القاضي، إذ كانت خطة القاضي أوقر وأنقى[18]، هذا إن كان يقصد الفترة الموحدية وليست التي بعدها. ومن بين الحفاظ أبو يحيى زكرياء بن سنان أحد أبناء أهل خمسين الذين تولى على حصن طبيرة وما حولها لمواجهة «كل مفاتن وغادر منافق»[19]، وكان على قرطبة في أوائل عهد الخليفة يوسف الشيخ «الحافظ» أبو عبد الله محمد بن أبي إبراهيم من أبناء أهل الجماعة[20].

أما الطلبة فكانوا أعلى من مكانة الحفاظ، بل إن الوالي كان يعد أحد كبار الطلبة، وعادة ما يخاطب الطلبة في المراسلات بدون تصنيفهم إلى طلبة كبار وطلبة صغار أي حفاظ، وتكون صيغة الرسائل الموجهة من مركز الخلافة إلى الولايات مثل «إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة...» أي أنهم يمثلون أعلى هيأة في الولاية، **فالجانب الإداري** لهذه الهيأة يتجلى مثلا في الرسالتين 40 و41 (م ج) حول تقديم البيعة بولاية العهد لمحمد (الناصر) ودور «طلبة» قرطبة في جمع هذه البيعة من أهل المدينة والبادية، ويظهر مثل هذا الدور الإداري في عدة رسائل أخرى. ونجد في الرسائل الإشارات التي يفهم منها أن الطلبة هم أيضا **قادة الجيش** : فقد تحرك «طلبة أغرناطة» لحصار المرية سنة 552[21]، وتصدى «الطلبة والموحدون» بقرطبة

(14) لاحظ ذلك في عدد من الرسائل الموجهة إلى الولاة حيث تجد فيها : «إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة...» فلا يذكر اسم الوالي مميزا عن الطلبة.

(15) راجع ما ذكره عنهم دوزي في Suplément au Dictionnaires Arabes.... I/304-305.

(16) يجعل القلقشندي الحافظ هو صاحب الشرطة عند الحفصيين (صبح 139/5).

(17) التقديم العاشر (الملحق الأول بقسم الرسائل).

(18) نفح 217/1، غير أن صاحب هذا المنصب (الشرطة) لم يكن له «التحكم على أهل المراتب السلطانية» ابن خلدون في المقدمة ص 446 (أو المجلد الأول).

(19) المن 396.

(20) راجع الرسائل 14 (مع الهامش 4)، 15، 16، 19، 23، 26 (م ج).

(21) الرسالة 16 (م ر م).

لقوات كراندة...[22] ويسمى قادة جيش الأسطول «بطلبة الأسطول» أو «قواد الأسطول»...[23] وإذا كانت المدينة تعتمد على النشاط البحري كسبتة فقد تسند إلى قائد الأسطول مختلف أنواع الجبايات والمصاريف[24]، أما القواد على القبائل فقد تسند إليهم المهام الأمنية (الإدارية) والجبائية[25].

وأما العمال فكان اختصاصهم الأساسي فيما يبدو هو الميدان المالي، ولكن كثيرا ما كانت تسند إليهم المهام الأمنية بسبب ما أصبحت تتطلبه الجبايات من استعمال أو إظهار القوة في فترة ضعف الدولة، وهذا ما يتضح من معظم التقاديم الواردة في مخطوط (يحيى)[26].

وكان **الأشياخ** في الولايات يمثلون الجهاز الاستشاري لهيأة «الطلبة» وعلى رأسهم الوالي، وهذه سنة وضعها عبد المومن عند تعيين أبنائه «الطلبة» على الولايات، حيث وجه مع كل منهم شيخا قصد المشورة[27].

وكان بجانب الولاة **كتاب** خاصون اشتهر من بينهم أبو القاسم البلوي صاحب «العطاء الجزيل» وأبو العباس بن جعفر الكاتبان عن والي اشبيلية زمن الناصر وأوائل عهد المستنصر[28]، ولكل منهما رسائل في المجموعة الجديدة[29]. وسنرى الموظفين الكبار في الميدانين المالي والقضائي فيما بعد، ونتحدث الآن عن أكبر مسؤول في الولاية وهو الوالي.

كان **الوالي** يعتبر أكبر موظف في المدن الكبرى بالمغرب والأندلس، كما كان الخلفاء يستخلفون عنهم بمراكش أثناء غيابهم نائبا[30] سماه البعض «الوالي» وسماه آخرون «العامل»[31]. وكان الخليفة يعين الوالي وكبار مساعديه وهم على الخصوص القاضي والحافظ

---

(22) الرسالة 22 (م ج)، انظر أيضا الرسالتين 27 و28 (م ج) حيث تجد «الطلبة وأشياخ الموحدين» و«اخواننا وأشياخ الموحدين والحفاظ» وقد وجهوا على رأس فرقة عسكرية لتتبع النصارى المعتدين، انظر أيضا التقديم رقم 13.

(23) الرسالتان 46 و50 والتقديم رقم 25.

(24) التقديم رقم 2.

(25) انظر مثلا التقديمين 21 و22.

(26) لاحظ على الأخص التقاديم المنصوص فيها على المقدم بأنه «عامل»، ففيها يذكر الجانب الجبائي مع الجانب الأمني (التقاديم رقم 7 و14 و15 و16).

(27) الحلل الموشية 151، البيان (قسم الموحدين) ص 50، ط 1985.

(28) انظر ترجمتيهما في مقدمة الجزء الأول (رقم 24 و26).

(29) معظم رسائل المخطوط الخاص هي من إنشاء أبي العباس بن جعفر.

(30) هناك حالة واردة في مخطوط يحيى كان المقدم فيها على إحدى المدن «برسم النيابة» بدون أن يتضح مدلول هذا المصطلح في هذا التقديم رقم (20).

(31) مناقب الشيخ أبي العباس السبتي ص 6 (خ ح رقم 8287)، والبيان (328 و332) والرسالة 11 (م ر م).

والعامل وربما أيضا ناظر المجبى[32]، وناظر الديوان (في المرسى)[33].

وكان الولاة والعمال عادة ما يختارون من ذوي التجربة في العمل والنصح للدولة كما تنص على ذلك أغلبية التقاديم، وهم من السادة (في الغالب ولاة) أو من شيوخ الموحدين (كعمال في الغالب). كما أن بعضهم تتجدد مهامه في عين المكان المتولى به سابقا. وإذا كان المقدم شيخا على قبيلته يمكن أن يساعد هذا على توارث المشيخة في أسرته[34].

وبالنسبة **لسلطة الولاة والعمال** فإنها كانت محدودة نسبيا في عهد قوة الدولة حيث نجد مثلا عبد المومن ثم ابنه يوسف يمنعان الولاة من تنفيذ أحكام الاعدام قبل استشارتهما[35]، وقد يتعرض العمال — من عهد عبد المومن إلى عهد الناصر — للنكبات بعد محاسبتهم[35]، على عكس ما سيحدث أيام الضعف حيث نجد أحيانا تصريح الخليفة بحماية الوالي أو العامل من شنيع الكلام فيه[36]. وكان نظام الاتصال بين العاصمة والولايات يتم بواسطة البريد الذي صحح نظامه الخليفة عبد المومن[37]، وأصبحت فيه للرسائل الخليفية علامة تميزها[38]. غير أن سلطات الموظفين الكبار ستتسع في فترة ضعف الدولة أو بالنسبة للولايات البعيدة أحيانا حتى في عهد قوة الدولة : فبعض ولاة افريقية في عهد الخليفتين المنصور والناصر مثلا كانت لهم مراسلات خاصة بينهم وبين بعض الدويلات الإيطالية التي لها مع المنطقة علاقات تجارة وسلم مثل بيشة (بيزا)[39]، وربما كان لهؤلاء الولاة علامة أو «طابع» خاص حتى تعطى لمراسلاتهم صبغة رسمية[40]. كما أن الشيخ عبد الواحد الحفصي اشترط على الناصر

---

(32) انظر رسائل التقاديم، وبالنسبة لناظر الجباية الرسالة التقديمية رقم 42 وربما أيضا التقديم 46.

(33) هناك رسالتان مكتوبتان عن ناظر الديوان بتونس إلى بيشة، وليس هناك ما يؤكد أنه عين من طرف الخليفة إلا على سبيل الترجيح والمقارنة مع تعيين العمال المسؤولين عن الشؤون المالية في جهات أخرى.

(34) التقديمان 38 و41، انظر خصوصيات التقاديم في الفصل الرابع ص 156-169.

(35) الرسالتان 6 و13 (م ج)، بينما عندما حاول المستنصر أن يحاسب عماله دبّروا عملية قتله، (الذيل س 8 ص 179 ط 1984).

(36) التقديم رقم (36) وكذلك التقديم رقم (6).

(37) فالمراسلات مستمرة بين الخليفة والجهات، مثلا الرسالة 25 م ج وغيرها من الرسائل وخاصة رسائل المخطوط الخاص، وربما كان من عادة المرسل إليهم تقبيل رسالة الخليفة بل «لثم البسملة والعلامة» حسب إشارة الرسالة 55 (م ج).

(38) الرسالة رقم 6 (م ج)، والعلامة هي (والحمد لله وحده).

(39) راجع رسائل حكومة تونس الموحدية إلى بيشة كما هي مبينة ضمن اللائحة الخاصة برسائل الفصل الثاني ص 59-60.

(40) الرسالة 36 (والهامش عليها 14) والرسالة 52 (والهامش 9) والرسالة 53 (والهامش 18) وتلميح في الرسالة 50 (بالإشارة إلى «رسمية» رسالة لا تحمل طابعا).

التفويض له ليقيل الولاية على إفريقية، فأصبح من حقه اختيار الكاتب والوزير والقاضي والعساكر[41]. وعندما ترك الخليفة العادل الأندلس نحو المغرب فوض أمورها لأخيه إدريس (المامون)، فأصبح من حق هذا اختيار الولاة على الجهات الأندلسية[42]. وبمقتضى الرسالة الأولى فيما بقي من مخطوط (يحيى) أصبح من حق الوالي المعيّن اختيار الحافظ والقاضي والعامل[43]، وسيفوّض الخليفة المرتضى للعزفي النظر في جميع أمور سبتة[44]. وهكذا نجد في عدد من تقاديم مخطوط يحيى ولاة أو عمالا مفوضا إليهم ليس في الولايات البعيدة فقط بل داخل المغرب الأقصى أيضا[45]، بحيث كلما تزايدت مشاكل الدولة تزايد نفوذ الولاة مما يشجعهم على الاستقلال بجهاتهم. ومما يلاحظ في العهد الموحدي الأخير أن العلاقات بين السلطة المركزية ومدينة سبتة تميزت بنوع من مراعاة دورها العلمي والاستراتيجي وخاصة بعدما عادت إلى الطاعة للموحدين على يد العزفي : ففي رسالة الخليفة المرتضى بقبول تعيينه واليا على المدينة احترس من الإشارة إلى عصمة المهدي على عكس ما نلاحظه في بقية الرسائل الموحدية[46].

وبالنسبة للمهام المنوطة بالولاة والعمال بصفتهم أعلى المسؤولين في الولايات يمكن تلخيصها حسب تقاديم يحيى على ثلاث مستويات كما يلي :

- ضبط الأمن في المنطقة بواسطة العساكر التي توجد مع الوالي أو العامل (أو القائد أو شيخ القبيلة) بمقر عمله أو تصحبه خلال تحركاته التأديبية أو في قيادة الأسطول وأشغال البحر.
- مراقبة الأشغال المالية خاصة بواسطة المساعدين المختصين مثل ناظر المجبى وغيره[47]، كما يراقبون مجالات صرف المداخيل المالية، فالمقدّم مثلا على إحدى المراسي ولعلها سبتة كان له الإشراف على أمور ديوان المرسى والسكة والمواريث والزكاة بحيث أن «كل ما يرتفع من الديوان وما أضيف إليه يتصرَّف في مصالح الأسطول وأرزاق غزاته وعدده[48]»، بحيث يتضح أن الدولة هي التي كانت تشرف على المداخيل بما فيها الشرعية من زكوات ومواريث.

---

(41) الزركشي 18 (ط. تونس)، البيان 272.

(42) التقديم رقم (4).

(43) التقديم رقم (1).

(44) التقديم رقم 6.

(45) انظر خصوصيات التقاديم في الفصل الرابع ص 156-169.

(46) التقديم رقم (6).

(47) التقاديم : 7، 17، 21، 22، 25، 28، 29، 42، 43، 46، 48.

(48) التقديم رقم (2).

ـ التوصية إلى المقدمين بمراعاة الارتباط بالقرآن والسنة والرفق والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنص بعض التقاديم على ضرورة رفع المحدثات وطمس آثار المنكرات ومحق الرسوم غير الشرعية من الأبواب والأسواق[49]، وتحدد رسالة عبد المومن (6 م ج) ضرورة تنظيم ومراقبة بيع الإماء تجنبا للمحرمات، وتنبّه رسائل أخرى إلى مراقبة شراب الرُّب أو منعه[50].

وكانت بلاد المغرب والأندلس تنقسم إلى ولايات يتولى أمرها بالخصوص السادة من بني عبد المومن، ويمكن الاقتصار على ذكر الولايات والولاة الذين أشارت إليهم رسائل المجموعة الجديدة :

* سجلماسة : السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن في عهد المنصور وربما أيضا أوائل عهد الناصر (الرسالة 45).
* سبتــــة : أبو القاسم العزفي في عهد المرتضى (التقديم رقم 6).
* تـونـــس : السيد أبو زيد بن عمر بن عبد المومن في عهد الخليفة المنصور (الرسالة 36)، ثم في عهد الناصر : السيد أبو زيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المومن (الرسائل 46، 47، 48، 50، 52، 53) ثم الشيخ عبد الواحد الحفصي (الرسائل 59 و61 و62).
* اشبيليـــة : السيد يوسف بن عبد المومن (الرسالة 9) في عهد أبيه. وفي عهد المستنصر : السيد أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف (الرسائل 73، 74، 75، 77، 78، 79، 80، 82، 88، 90، 94، 97، 98) ثم في عهد العادل : السيد أبو العلى إدريس (المامون) حسب الرسالة 110.
* قـرطبـــة : في عهد الخليفة يوسف : أخوه السيد أبو سعيد (الرسالة 13) وأخوه السيد أبو إسحاق إبراهيم (الرسالة 26). وفي عهد العادل : أبو العلى إدريس (المامون) حيث جمعت له ولايتها مع اشبيلية (التقديم رقم 4 والهامش عليه رقم 1).
* جـيـــان : في عهد الناصر : السيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المومن (الرسالة 63).
* مرسيــة : في عهد الخليفتين يوسف ثم المنصور : السيد محمد بن الخليفة يوسف (الرسالة 34) ثم أخوه السيد عبد الرحمان (الرسالة 37).
* بلنسيـــة : فيما بين أواخر عهد المستنصر وأوائل عهد المامون : السيد أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عبد المومن (الرسائل 107، 108، 115، 116).

---

(49) التقاديم : 6، 8، 9، 10، 11، 12، 16، 28، 46.

(50) الرسالة 28 (م ر م) والرسالة 6 (م ج).

* غرناطــة : أيام الخليفة يوسف الشيخ أبو عبد الله بن أبي إبراهيم (الرسائل 14، 15، 16، 19، 20، 22، 23، 25).

ومن الولايات الأخرى غير المنصوص عليها في الرسائل : فاس، سوس، تامسنا، سلا، بجاية، تلمسان، مالقة، ميورقة، وأحيانا شلب مع غرب الأندلس، وأحيانا بطليوس مع ثغورها.

ونختم بملاحظة حول مصير عدد من الموظفين الكبار، وهي أنهم مهما بلغت درجتهم السياسية أو العلمية، فإنهم لم يكونوا بمنجاة من النكبة من قبل الخليفة، والمثال واضح بالنسبة لابن رشد في عهد خليفة عالم أيضا (وهو المنصور)، فهل تراجعه فيما بعد يبين عدم اقتناعه بالحجج المقدمة، وبالتالي يكون ما عمله سابقا هو مجرد ترضية لبعض علماء قرطبة المنافسين لابن رشد، وعندئذ ألا يصح أن نقول بأن سلطة الخلافة الموحدية كانت تعاني هي أيضا من بعض ضغوط الفقهاء الأندلسيين وليس فقط سلطة المرابطين من قبل ؟

2 ــ الجانب العسكري :

كان للجانب العسكري دور مهم في سياسة الدولة الموحدية سواء لمواجهة المعارضة الداخلية وتطبيق سياستها الجبائية أو لمواجهة أعدائها الخارجيين الاسبانيين والأيوبيين (وحلفائهم). وكان المسؤول الأساسي عن أمن المنطقة هو الوالي، غير أن هناك من يختص ــ تحت سلطته ــ بالشؤون الحربية كالطلبة والحفاظ وقادة العساكر وقادة الأساطيل[51]. ويمكن الإشارة إلى الحياة العسكرية الموحدية اعتمادا على رسائل المجموعة الجديدة من خلال ثلاث جوانب أساسية :

أ ــ الناحية التنظيمية :

ــ كثيرا ما تتردد كلمة «**التمييز**» في الجيش الموحدي عند الإقدام على المعارك، بحيث يبدو أنها لا علاقة لها «بالميز» الذي قام به البشير من أصحاب المهدي، إذ «كان البشير يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب... فمات يومئذ من الناس (قتلا) خمس قبائل...»[52]، وإنما تعني إحصاء المقاتلين وانتماءاتهم في الجيش النظامي أو القبلي لمعرفة ما يحتاجونه من المال ووسائل القتال وتوزيعها عليهم. ومن الإشارات التي توضح هذا «التمييز» ما ذكره صاحب البيان المغرب (ص 122) عن قائد حملة عسكرية عندما (وصل حصنا فميز العسكر عليه فوجدهم عددا وافرا)، وإشارة أخرى في نفس المصدر عن تمييز الموحدين والعرب والقبائل للغزو (ص 128) ثم إشارة ثالثة (ص 132) حول تمييز العساكر والعدد باشبيلية وتقسيم الأسلحة والخيل على شيوخ العرب والموحدين والاجناد[53]، ويمكن التأكد

---

(51) راجع بعض ما يتعلق بهؤلاء في الجانب الإداري من هذا الفصل.

(52) البيدق 39.

(53) قارن ما ذكره دوزي في Suplément ... II/637.

من نفس المدلول من خلال رسائل المجموعة الجديدة : فقد ورد في الرسالة رقم 12 (م ج) أن الموحدين وهم يستعدون لمواجهة ابن مردنيش «تميّزوا شعوبا وقبائل»، وفي الرسالة رقم (96) حول تمييز كومية والتحذير من عدم اختلاط العرب بهم أو غيرهم خلال عبورهم من الأندلس إلى المغرب، وكذلك الرسالة رقم (115) عن تمييز السيد أبي زيد صاحب بلنسية لمن معه استعدادا لفتح حصن بشج[54].

ـ وتتكرر في الرسائل الإشارة أو التلميح إلى اتباع **النظام القبلي** في المعارك مثل : «وحملت كل قبيلة على من يليها...»[55] والإشارة في الرسالة رقم 12 إلى اصطدام بني رياح أولا مع الروم في الصدمة الأولى ثم قبائل الموحدين ثم الساقة.

ـ والإشارة أيضا إلى أن قائد الحملة يستقر في **الساقة** سواء كان مجرد قائد أو أميرا (سيدا) أو خليفة، بحيث تكون الساقة المركز الأساسي للقوات النظامية، ففي الرسالة رقم 12 (م ج) «ثبّت الله الساقة التي فها الأعلام كأنها الجبال الراسيات والأعلام»، وكان بها الموحدون من أهل تينملل وهنتاتة[56]، ويصرح الشيخ أبو حفص في رسالته حول الماسي بقوله «كنا نحن بخاصتنا في الساقة...»[57].

ـ ومن هنا يمكن أن نشير أيضا إلى تعدد **عناصر الجيش الموحدي**، فالمرتزقة من الروم (الاسبان) كانوا في جيش المرابطين كما تشير إلى ذلك الرسالة الثالثة عن فتح «السوس»، ويذكر صاحب البيان خروج الشيخ أبي حفص لقتال الماسي مع طائفة من **الروم** والرماة[58]، ولعل القسم الأساسي من الرماة أصبح فيما بعد مكوّنا من عنصر **الأغزاز**[59]. وترد أحيانا عبارة مثل : العساكر الموحدية والعربية والجندية (البيان 433)، ويبدو أن الجند النظامي لا يختص بلقب العسكر، ففي التقديم رقم 38 (ي 51–52) : «توجيه العسكر المبارك مع صحبة من تم اختيارهم من الموحدين»[60]، فتكون كلمة عسكر وعساكر عامة مثل : عساكر العرب من أهل افريقية (المن 432)، بحيث أنه عندما يشار إلى العساكر يكون عادة مدلولها

---

(54) انظر أيضا الرسائل 3 و28 و61 م ج وغيرها، وانظر في فهرس المصطلحات مواقع كلمة (التمييز).

(55) الرسالة رقم 5، وانظر أيضا الرسالتين 59 و61 مثلا.

(56) لاحظ أن الخليفة يوسف طعن خارج شنترين وهو في «ساقته» (ص 128–129).

(57) الرسالة رقم (5) م ج، قارن مع العبر 481/1–482، وانظر مواقع الكلمة (الساقة) في فهرس المصطلحات، وقارن مع دوزي في Suplément ... I/705-706.

(58) البيان ص 26، وكذلك في ص 33 حيث الإشارة إلى دخول السيد أبي سعيد عثمان بن عبد المومن، غرناطة سنة 550 بجمع من «الموحدين والجند المسترزقين».

(59) في شعر لابن مجبر بعد فتح قفصة سنة 583 :

وما أغنت قسي الغز عنها فليست تدفع القدر السهام

(البيان 164)، ويذكر صاحبه أن هؤلاء الغز الذين كانوا ببلاد الجريد صيرهم المنصور أجنادا له.

(60) ففي هذا التقديم تمييز «للعسكر المبارك» المبعوث مع منتخبين من «الموحدين».

هي **الجيوش القبلية** بما فيها المتطوعة، أما **الأجناد** فالظاهر أنهم الجند النظامي «الموحدي»[61] وكذلك **الجند الأندلسي** حيث ينص أحيانا على الأجناد الأندلسيين. وأهم العناصر «الموحدية» المجندة تنتمي إلى أهل تينملل وهرغة (12 م ج)، ويشار إلى مشاركة **العرب** من بني رياح في الأندلس لأول مرة سنة 560 (حسب نفس الرسالة)، ويتجدد ذكر العرب أيضا في الرسالتين 27 و28 م ج. وربما انضمت إليهم عناصر جديدة من افريقية في عهد الناصر حسب الرسالة رقم 67، وتشير رسائل أخرى إلى استمرار وجود العرب بالأندلس في عهد المستنصر أيضا كقوات عسكرية (الرسائل 94، 95، 96)[62]. وكان لكل جماعة من الجماعات العسكرية شيخهم، ويترأس جميع شيوخ القبيلة «**مزوار**» يمثل الوساطة بين مجموعة قبيلته والسلطة، وربما لا تكون سلطته أكثر من سلطة معنوية، وهذا ما تلمح إليه الرسائل رقم 55، 90، 92، 96. وعندما يصف القلقشندي النظام الحفصي ــ وهو موروث عن النظام الموحدي في كثير من مظاهره ــ يتحدث عن الاشياخ الموحدين وأنهم من أعيانهم ولا عدة لهم ولا جند... ولكل طائفة منهم رئيس يتولى النظر في أحوالهم يسمونه المزوار[63].

ــ ويشار في الجانب العسكري أيضا إلى «**الغزاة**» وهم حسب المقتبس من كتاب الأنساب «المنضافون إلى القبائل»[64]، غير أن هذه الكلمة تتكرر كثيرا في الرسائل، فيفهم منها أحيانا القوات البحرية بصفتها في حالة غزو ضد النصارى، أو يفهم منها أنها تعني الرماة عموما[65]، خاصة وأن السلاح البحري أساسه الرماية[66].

ــ ويرتبط النظام العسكري بنظام **رواتب** غير موحد على العموم وغير ثابت في قدر معين، وهذا النوع من المصاريف يجمع من مداخيل المراسي والجبايات فينفق منه على الأسطول وغزاته مثلا (التقديم رقم 2)، وأشكال الرواتب هي كالآتي :

البركات، وهي رواتب توزع طول السنة (تسمى بالجوامك في مصر حسب صاحب

---

(61) في عنوان بيعة قرطبة (الرسالة 40) وردت العبارة : «... الموحدين والعرب والأجناد» انظر أيضا دوزي في Suplément ... 1/224.

(62) حول عناصر الجيش الموحدي راجع هوبكنز في «النظم الإسلامية» 179-184.

(63) صبح الأعشى 137/5، راجع هوبكنز في «النظم الإسلامية» (171-175)، والمختار العبادي في «نفاضة الجراب»، ج/ 2 هامش الصفحة 150، ودوزي في Suplément ... I/613-614.

(64) المقتبس (57-58-59).

(65) حسب الحلل الموشية 109، ويعالج هوبكنز موضوع «الغزاة» في النظم الإسلامية (175-178).

(66) انظر الرسالة 10 (م ج) : «ترامو بالسهام أولا ثم...»، والتقديم (2)، وفي الرسالة 8 (م ر م) : «أمناء الموحدين وغزاتهم»، وورد في عنوان الدراية (ص 45) كون بلد بجاية بلد غزاة تقصدها مراكب ميورقة، كما تتحرك مراكبها غازية إلى جزر البحر.

المعجب) وتفرق ثلاث مرات في السنة في كل أربعة أشهر مرة، غير أن الغز كانوا يقبضونها شهريا[67] فهذا الاختلاف يكون حسب مكانة المقاتل : فارس أو راجل، شيخ للعرب أو شيخ للموحدين...[68] وفي خلال التحركات العسكرية توزع البركات في بدايتها، ثم توزع في مراحل الحركة «العلوف والمواساة والمرافق»[69] أو «التضييفات[70] والعلوفات» (البيان 236) أو «الأرزاق والضيافات والمواساة» (حسب المن 253).

والمواساة قد تكون مالية وغير محدودة المدة، فعبد المومن «كان يخرج للمواساة مرتين وثلاثا في الشهر الواحد بسبب حضور المال لديه»[71]، وورد في المن أن الخليفة يوسف كان «يصل الموحدين بالمواساة في كل شهر والبركات على ممر الدهر»[72]، وكان «فراندة» صاحب ترجاله حليف الموحدين ضد الحكام في قشتالة يأخذ المواساة مع جماعته في كل شهر[73]. أما القلقشندي في حديثه عن الحفصيين فيجعل المواساة عبارة عن غلة تفرق على الأشياخ والجند عند تحصيل الغلات في المخازن، ويقع توزيعها سنويا[74].

ويشار أحيانا إلى الإحسان والأعطيات والكرامات، وقد فسّر صاحب صبح الأعشى ـ حسب النظام الحفصي ـ أن **الإحسان**[75] هو مبلغ يفرق سنويا وليس له قدر مضبوط وإنما على قدر ما يراه السلطان وبحسب أقدار الناس، وفسّر **الأعطيات** بأنها مقادير متفاوتة بين الأجناد والقبائل والمزاوير، ويتميز فيها الجند الغرباء عن الموحدين[76]. وذكر صاحب البيان أن الخليفة يوسف أمر لجراندة (عندما اتصل به في اشبيلية لخدمته) بالإحسان والكرامات (ص 103).

---

(67) المعجب 289، أما في النظام الحفصي فإنها توزع أربع مرات في السنة في العيدين وربيع الأول ورجب (صبح 140/5).

(68) المن 292، انظر أيضا الإشارة إلى البركة في الرسالتين 19 و20 (م ج).

(69) المن 295 والبيان 113.

(70) عن التضييفات انظر الإشارة إليها في الرسالة 88 (م ج) والحلل السندسية في الأخبار التونسية 180/2.

(71) نظم الجمان 131.

(72) المن 233، والمواساة كانت أحيانا حتى لغير العسكريين فقد أمر الخليفة يوسف لابن صاحب الصلاة بظهير إسهام ومواساة معها أعانته على الزمان (المن 429).

(73) المن (369–370).

(74) صبح 141/5.

(75) انظر الإشارة إلى الاحسان في الرسالة 55 (م ج).

(76) صبح 141/5، فهل يقصد «البركات» أو الجوامك ؟

ب ــ وسائل القتال ونظامه :

ــ بالنسبة لأدوات القتال المستعملة في العصر الموحدي هي الأدوات المعروفة قبلهم من سيوف ونبال ورماح (الرسالتان 5 و10 م ج) وتروس (61 م ج)... وفي استعمال أدوات الحصار تشير بعض الرسائل إلى استعمال سهام الحريق والمنجنيقات[77] والأبراج التي كانت تبنى من «العود» إلى أن تصل أو تفوق في علوها مستوى الأسوار، ومن هذه الأبراج ما سمي بالبرج المبارك[78]، فالأبراج والدبابات كانت تشحن بالرماة والآلات ثم تحرك نحو الحصن، ويصف صاحب الروض المعطار استعمال بعض هذه الآلات في حصار قفصة على يد الخليفة يوسف قائلا : «نصب عليها آلة الحرب وعمل للعجل الحاملة للآلات قلوعا ضربتها الريح فمشّتها، فرعب أهل قفصة واستأمنوه..» (ص 479) واستعمال الدبابات والأبراج هو الذي سهل الوصول إلى الأسوار بعد ردم الخنادق المحيطة بها، ويحدّد الخليفة يوسف على لسان كاتبه الهدف من استعمال هذه الآلات في الاحتياط على الجيش من الضربات التي يتلقاها من سهام العدو المحاصر، إلى جانب إظهار القوة وإرهاب العدو.

أما وسائل النقل العسكري والقتال في البحر فهي تحمل عموما اسم القطائع[79]، ويذكر أحيانا نوعها **كالغربان** (جمع غراب)[80]، ونوع الشياطي (53 م ج) والطرائد...[81] ويسمى المسؤول عن القطعة البحرية بالمقدم أو الرايس[82]، وأيضا ــ في الجمع ــ طلبة الأسطول أو قادته[83]. وكان لدار الصناعة الحربية وما فيها من أسلحة ناظر يقوم بمسؤولياتها[84].

ــ وتتحدث الرسائل عن بعض أساليب الموحدين أثناء القتال : فمن ذلك أن الجيش القبلي والمتطوعة تدفع للقتال في المقدمة، ويترك القلب أو الساقة ليتدخل في الأخير أحيانا لحسم المعركة. ومن الأساليب التي استعملها العرب سواء ضمن جيش الموحدين أو جيش ابن غانية

---

(77) انظر الرسالة 57 (م ج) والهامش عليها رقم 13.

(78) الرسالتان 30 و31 (م ج)، ويسمي ابن عذاري هذا البرج بـ«الديدبان» وهي المرقبة العليا التي وضعت للخليفة يوسف أثناء حصار قفصة (ص 168) وعمل مثلها للناصر في حصاره للمهدية (البيان ص 220).

(79) انظر الرسائل 10، 46، 50، 53 (م ج) والرسالة (5 م ر م).

(80) الرسائل 10، 36، 38 (م ج). انظر أيضا دوزي Dozy : Suplément... 2/204-205.

(81) الرسالة 38 (م ج) وانظر تعريفا بأنواع هذه القطع البحرية عند الأستاذ المنوني في «ورقات عن الحضارة المغربية» (ص 78–79) وأيضا عند الأستاذ أبو ضيف في الهوامش 73 و74 و75 على الصفحة 422 بكتاب النويري، وورد نوع آخر من السفن اسمه العشاري في الرسالة 31 (م ج).

(82) الرسالتان 10 و67.

(83) الرسالتان 46 و50 والتقديم (2).

(84) يذكر ابن الخطيب ناظرا بمراكش (الإحاطة 1/571–572).

استصحاب حريمهم معهم ليكون لهم في ذلك أنفة للدفاع عن الحريم[85]، وخلال تحركات الجيش في أرض العدو يقع جمع المؤونة من تلك الأراضي التي يمر بها الجيش أو يقع انتسافها وحرقها حتى لا يستفيد منها العدو[86]، وفي حالة الحصار تقطع الطريق على الامدادات القادمة إلى البلد المحاصر[87]. ويقع أحيانا قتل الأسرى، ولكن أحيانا أخرى يعطي للمحاصرين حق توجيه بعثة عنهم لاستشارة ملكهم حول التسليم أو الصمود[88]. وعند استسلام المدينة أو الحصن للموحدين يتم رفع رايتهم على هذا المركز[89] كما لا يقع التأمين لهذه المدينة أو الحصن ــ ان حدث ذلك ــ الا في الأنفس، ولا حديث عن تأمين الممتلكات[90]، كما يقع أيضا استباحة حريم العدو[91].

وفي الرسائل التي تتحدث عن الظروف الحربية ادعاءان أساسيان : الأول، أن انتصار الموحدين أمر مضمون ومؤكد مادام هؤلاء هم أهل الدين الحق والباقون هم على ضلال، الثاني : إخفاء خسائر الموحدين نهائيا[92].

جـ ــ بعض الفتن وكيفية علاجها :

وجدت الدولة الموحدية منذ نشأتها حركة معارضة سواء في الشمال أو الجنوب، ومنها ما كانت داخل جبال المصامدة أو بجوارها كثورة ابن توندوت[93] الذي يوصف مع أصحابه من هسكورة بقطاع الطرق، ونُعت هو وغيره من الثوار بالانحراف عن الإسلام واتباع

---

(85) الرسالة 61 (م ج).

(86) الرسالتان 12 و67 (م ج).

(87) حول حصار المهدية أيام تمرد الركراكي بها انظر الرسالة 53 (م ج)، وحول حصار بعض المواقع البرية انظر الرسائل 30 و31 و67 و115 (م ج).

(88) وقعت هذه الحالة أثناء حصار الناصر لحصن شلبطرة (الرسالة 67 م ج)، وربما كان هذا ناتجا عن كون الموحدين لا يريدون تعميق الهوة بينهم وبين القشتاليين حتى يسهل الوصول إلى توقيع هدنة بين الطرفين أو على الأقل من أجل تجنب كارثة على المسلمين من طرف الاسبان أثناء وجود الجيش الموحدي مع الخليفة خارج الأندلس.

(89) مثلا كما في الرسالة 14 (م ج) بعد الانتصار على غمارة.

(90) انظر مثلا الرسالتين 30، 31 (م ج)، وأيضا رقم (30) م ر م بالنسبة لقابس، وهناك أمثلة أخرى مثل تونس سنة 554 وقفصة سنة 583 وذلك بمعاملة الممتلكات فيهما بالمناصفة، (الكامل 63/9، التجاني 138، العبر 397/6) وهذه حالات الفتح عنوة.

(91) الرسالة 55 (م ج) وتلميح في الرسالة 61 (م ج).

(92) الرسائل 10، 12، 14، 30، 31، 34، 42، 59، 61، 68 (م ج).

(93) انظر في الفصل الأول الصفحات من 36 إلى 41.

الباطل وبالخروج عن الجماعة[94]. وعندما يقتل زعماء الثورة من طرف الموحدين كانوا يصلبون أو تعلق رؤوسهم على الأسوار عند مداخل المدينة كمراكش وفاس.

وخلال مرحلة توسع الدولة كانت تلجأ إلى دعم هذا التوسع باقرار الحاميات منعا للاضطرابات، وهذا الأسلوب اتبع في افريقية[95]، كما اتبع في الأندلس حيث شمل هناك زيادة على الحاميات النظامية اقرار بعض القبائل وخاصة في جنوب وشرق الأندلس وهي قبائل عربية وبربرية[96].

وعندما أحدثت بعض القبائل العربية الشغب بمنطقة تامسنا كان تأديبها **بتهجيرها** أو إعادة توطينها بمنطقة تادلة[97]، ونفس العملية اتبعت مع قبائل عرب افريقية بتهجير مجموعات منها إلى المغرب والأندلس للتخفيف من عيثها بإقليم بعيد كإفريقية ولاشغالها في الأندلس بالحرب.

غير أن القبائل العسكرية ــ زيادة على ما أحدثته من شغب بالمغرب الأقصى أيام الناصر ــ فقد أحدثت شغبا آخر بالأندلس بعد هزيمة العقاب سواء من طرف العناصر العربية أو الكومية، وتصف مجموعة من الرسائل ما كان يعانيه السكان من هذه العناصر وتحدياتها للسلطة المحلية[98].

وإذا تناولنا الفترة الأخيرة منذ وفاة المستنصر إلى قرب نهاية الدولة الموحدية نجد الرسائل الخاصة بتقاديم الولاة والعمال لا تكاد تخلو من الحديث عن الاضطرابات وضرورة إقرار الأمن بالمنطقة بواسطة أجناد وعساكر تحت قيادة قادة مجربين[99]، ومع ذلك ظل التمزق يشمل المغرب الأقصى نفسه وهو ما بقي للموحدين بعد انفصال بقية الجهات.

3 ــ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية :

إن الرسائل المدروسة لا تعطينا تفصيلا فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وإن كانتْ تقدم إشارات خفيفة لها، وأهم ما فيها يخص الجانب التجاري بين إفريقية وبيشة (بيزة).

ففي **ميدان الفلاحة**، يشار أحيانا إلى حالات جفاف تصيب بعض الجهات ثم تتحسن الأحوال بنزول المطر، مثلما حدث في إفريقية سنتي 563 و564 ثم سنة 576[100]، وما

(94) انظر مثلا الرسائل 14، 15، 16 (م ج)، ويوصف بنو مردنيش قبل استسلامهم (بالمجسمين) (16 م ج) وانظر أيضا الرسالة 30 (م ج).

(95) الرسالة 25 (م ج) وخصوصياتها في الفصل الثاني (54–56).

(96) البيدق 89.

(97) الرسالة 55 (م ج) انظر خصوصياتها في الفصل الرابع (144–146).

(98) انظر الرسائل 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96 والفصل الرابع (150–151) و(190–194).

(99) انظر خصوصيات تقاديم يحيى في الفصل الرابع (156–169).

(100) الرسالتان 25، 31 (م ج).

حدث أيضا بالأندلس سنتي 610 و611[101]. ومن المناطق التي يشتد فيها الجفاف فيصعب فيها تحرك الجيوش : المنطقة ما بين القيروان وقفصة وخاصة في الفترة التي يتحرك فيها جيش الخليفة يوسف لفتح قفصة سنة 576[102]. وتفيد الرسالة (14 م ج) في أهمية غنائم الجيش الموحدي في جبل الكواكب بعد القضاء على ثورة غمارة بزعامة سبع بن منخفاد، وهذه الغنائم منها البقر والغنم، والأعداد المذكورة في الرسالة يتضح منها أن تربية هذه الماشية مهمة بهذه المنطقة الجبلية. وتصف الرسالة رقم 30 (م ج) بعض أنواع منتجات واحة قفصة وهي «النخيل والاعناب والزيتون والرمان وفواكه ذات ألوان». ونستفيد من الرسالة رقم 55 (م ج) اهتمام قبائل العرب الرحل بتامسنا وتادلى بتربية الماشية غنما وإبلا وخيلا (الثاغية والراغية والصاهل والشاء)، فهذه الأصناف هي التي يهتم بها هؤلاء العرب والرحل عموما، كما أن بعض رسائل التشكي من عيث العناصر العسكرية بالأندلس بعد هزيمة العقاب تلمح إلى أهمية مادتين زراعيتين بسهل الوادي الكبير بالأندلس هما الحبوب «الزرع» والعنب «العصير»، أما الفاكهة فترد معممة بذكر «الثمرات» دون تمييز[103].

ولا تتحدث الرسائل عن نظام **الري** بالأندلس إلا تلميحا في إحداها باستعمال بعض الوسائل كالسانية (90 م ج)، وتحدثنا الرسالة رقم 30 (م ج) عن نوعين من اشكال السقي بقفصة : نوع بواسطة مياه العيون النابعة من داخل المدينة وخارجها فتسقي ما كان في مستوى مجاريها، ونوع ثاني يتمثل في الآبار التي يستخرج منها الماء لسقي ما كان مرتفعا عن مجاري العيون : «... تتفجر عيون مستبحرة تخرج من داخل البلدة فتسقي كل جنة بقسط مقسوم وشِرْب معلوم، وأنبط خلال سوادها مياه تسقي ما ارتفع عن مجاري العيون، وتعم بالرِّيِّ ما ارتفع من الظهور على البطون، وامتد ذلك أميالا يجري سوادها على هذا الوزن الموزون»[104].

وتتعرض الأرض ـــ كما تتعرض الأملاك المنقولة ـــ إلى عواقب الهزائم، فكثيرا ما تتحدث الرسائل عن تأمين السكان المحاصَرين في أنفسهم وأولادهم، ولا تذكر أموالهم ورباعهم، مما يرجح أنهم يعاملون معاملة المغلوبين، فتغنم أموالهم ويشاركون في أملاكهم كما حدث بقفصة سنة 583، وكما حدث قبل ذلك بمكناسة عند فتحها على يد الموحدين...[105].

---

(101) انظر الرسائل من 70 إلى 76 (م ج) مع المقدمة لها.

(102) الرسالتان 30 و31 (م ج).

(103) الرسائل من 90 إلى 96 مع المقدمة لها، والهامش 10 على الرسالة 90 (م ج).

(104) تتحدث المصادر الجغرافية بتفصيل عن نظام الري وتقسيم المياه حسب الساعات وأجزائها (الروض المعطار 477-479، الحموي في المعجم 4/382-383، الاستبصار 153-154، صبح 107/5).

(105) انظر الرسالتين 30 و31 عن حصار قفصة سنة 576، ويذكر التجاني (138) أن المنصور بعد فتحه قفصة سنة 583 «أمّن أهلها في أنفسهم وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم المساقاة» أي =

وفيما يتعلق **بالصنائع والحرف** لا تذكرها الرسائل مما يجعل من غير الممكن إدراجها في هذا الموضوع، على عكس **التجارة** التي تتوفر الإشارات إليها نسبيا : ففي ما يتعلق بالتجارة الداخلية لا تلقي الرسائل توضيحا عليها ماعدا ما أشارت إليه الرسالة السادسة من صدور الأمر عن عبد المومن بتنظيم بيع الإماء حفاظا على الأنساب من الاختلاط، وذلك بواسطة أمناء يختارهم نظار الأسواق، وما أشارت إليه من منع الجبايات الغير الشرعية، أو ما تذكره رسائل التقاديم أحيانا من «رسوم» الأسواق.

وفيما يتعلق **بالتجارة الخارجية** فإنها من جهة الجنوب كانت تمتد نحو بلاد السودان وبواسطة المغاربة أنفسهم، كما وجد بعض السودانيين بجنوب المغرب أيضا، ولا نجد غير رسالة وحيدة تشير لهذا التحرك التجاري بين شمال وجنوب الصحراء[106]. وأهم ما بأيدينا عن التجارة الخارجية هي مجموعة الرسائل التي نشرها في القرن الماضي ميشيل أماري ضمن مجموع رسائل أخرى متبادلة بين العالم الإسلامي وحكومة بيشة (بيزة)، ويتضح منها أن النشاط التجاري البحري كان بيد الإيطاليين خاصة في وسط البحر المتوسط ومنهم البيشانيون والجنويون. ومن السلع التي كان يحملها البيشانيون إلى إفريقية **القمح** الصقلي وخاصة في عهدي عبد المومن ويوسف عندما كانت العلاقات لاتزال متوترة بين الموحدين ومملكة صقلية النورمندية[107]. ومن جملة ما كانوا يحملونه من إفريقية **الجلود والأصواف**، وتذكر بعض الرسائل أحيانا قيمتها بالدنانير[108]. وكان تنظيم هذه التجارة يخضع من جهة لمبدإ الثقة بين تجار الطرفين مع دفع تسبيق عن السلعة أحيانا، (وتكتب العقود بين البائع والمشتري في حالة الدين)[109] ويخضع من جهة أخرى إلى تدخل الدولة بوضع نظام للتبادل أي بواسطة اتفاقيات ربما كانت في الأصل شفوية ثم تطورت لتصبح كتابية كما تلمح إلى ذلك الرسالة رقم 33[110]. وأهم اتفاق تجاري بين الموحدين والبيشانيين هو الذي تم في بداية عهد المنصور، فهو من حيث المدة يمتد على مدى 25 سنة، ومن حيث المضمون يؤكد على تحديد أربع مراسي يحق للبيشانيين المتاجرة فيها (تونس، بجاية، وهران، سبتة)، والتأكيد على تحديد

= مقاسمة الإنتاج، وعن مكناسة انظر الروض الهتون ص 10... راجع أيضا الهامش 90 على الصفحة 237.

(106) هي الرسالة (مقطع) رقم 45 (م ج).

(107) الإشارة إلى القمح واردة في الرسالتين 32 و46 (م ج).

(108) انظر الرسائل 14، 15، 17، 18، 19، 20 في مجموع أماري (Diplomi)، وتتحدث الرسالة رقم (1) في مجموعه عن استيراد البيشانيين للشب من إفريقية أيضا.

(109) انظر الرسالة 112 (م ج) وأيضا الرسائل 14، 15، 17، 18، 19، 20 من مجموع أماري.

(110) الرسالة 33 (م ج)، حيث يذكر البيشانيون بأن ما بينهم وبين الموحدين «عهد ملتزم مؤكد ورسم مكتوب مبرم محدد».

الضريبة بـ10 % على السلع البيشانية المبيعة في هذه المراسي[111]، وينص الاتفاق على عدم تعدي أحد الطرفين على الآخر، كما يثبت المسؤولية الشخصية في الجرائم[112]، وهذا ما يتضح من بعض الرسائل التي تتحدث عن اعتداء سفن بيشانية على أخرى إسلامية[113]، فالاتفاق يدل على تزايد أهمية التجارة المنظمة على حساب القرصنة. وبالنسبة لعمليات البيع كانت تتم في «حلقات الدّلالة» حيث يقوم المسلمون بهذه العملية في أسواق مراسيهم[114]، وكان يسهر على مراقبة وتسيير مهمة تجارة الأجانب بالمراسي ناظر الديوان ومساعدوه من الكتاب والعدول والتراجمة[115].

ولم يكن تدخل الدولة مقتصرا على تنظيم التجارة الخارجية وإنما أيضا فيما يتعلق بالتجارة الداخلية ومن ذلك مراقبة العملة[116]. وكانت تهتم **بالجبايات** بأنواعها : **فهناك** الزكاة والمواريث[117]، وكذلك مجبى دواوين المراسي[118]، أما «القبالات» التي أزالها الموحدون في بداية عهدهم[119] فلا يستبعد أنها تجددت فيما بعد وخاصة في أواخر عهد الدولة[120]، كما أن رسوم الأسواق (المكوس) التي حذفت أيضا في البداية تجددت في العهد الثاني من الدولة حيث تتكرر في التقاديم الإشارات إلى أن من مهام العمال والولاة «محو الرسوم الجائرة» من الأسواق[121]. ومما تركز عليه رسائل التقاديم أيضا أن من مهام المقدّمين جمع المجابي المخزنية

(111) انظر الرسالتين 32 و33 (م ج)، وهي نفس الضريبة في عهد بني خراسان حكام تونس (الرسالة الأولى عند اماري).

(112) شروط الاتفاقية في الرسالة 35 (م ج)، وانظر أيضا الرسائل 46، 47، 48، 50، 52، 53 (م ج).

(113) ان الاعتداء الحاصل في خليج تونس لم يؤثر على العلاقات بين الطرفين، بل هناك تكرار التأكيد على تأمين التجار البيشانيين، انظر أيضا الفصل الثاني ص (90–92).

(114) يبدو أن الدلال للبضاعة البيشانية يحتاج لموافقة رسمية ومكتوبة من حكومة بيشة (Diplomi 75-77).

(115) الرسالتان 50 و51 (م ج).

(116) العطاء الجزيل ص 139.

(117) التقديم رقم 2، الرسالة 28 (م ج).

(118) التقديم رقم (2).

(119) الرسالة رقم 6 (م ج)، ورقم 7 (م ر م)، وانظر الإدريسي في مادة (مراكش) ص 235–236، ط. القاهرة.

(120) يذكر صاحب المن أن الخليفة يوسف عندما بَنَى قنطرة بين اشبيلية والشّرف جعل المرور عليها بدون قبالة (ص 464) فهل معنى هذا أن القبالات كانت موجودة في حالات أخرى آنذاك أم أنه فقط يقارن بين عهد الموحدين وسابقيهم ؟.

(121) ورد هذا في تقاديم للولاة والعمال، كما ورد أيضا في بعض تقاديم القضاة.

(بدون تفصيل أو توضيح)[122]، ومعها أحيانا «المجابي المختصية»[123]. ولا تذكر الرسائل الهدف من الجبايات غير أن بعضها تربط بينها وبين مصالح المسلمين فيجب التشدد في قبضها[124]. كما أن تقديرات هذه الجباية غير مذكورة وربما كانت تعتمد أحيانا على أساس شهادة من أعضاء الحرفة أو أمينها[125]، ويشار أحيانا إلى ضرورة ضبط المجابي «على القوانين المعهودة» دون توضيح هذه القوانين[126]، ويبدو أنها تعني بالخصوص قيمتها ووقت جبايتها[127]. وفي بعض الحالات كان الجباة لا يحسنون التصرف في عملهم ربما لسلوك خاص بهم أو لسبب تعنت البعض في أدائها، فهناك رسالة عن عبد المومن (رقم 6 م ج) يستنكر فيها على الجباة استعمال السياط لجمع المال ويلح على الاشراف المباشر والعملي من طرف الولاة والعمال دون ترك الأمر للوسطاء، وهناك أيضا رسالة يشتكي صاحبها من سوء تصرف أحد العمال باستعمال السياط أيضا في جمع الجباية[128]. غير أن هؤلاء المسؤولين عن الجبايات والنفقات لم يكونوا في مأمن من النكبات في حالات تضييع مخازن الدولة خاصة في عهد قوة السلطة المركزية[129].

ويبدو أن هناك تمييزا فيما يتعلق بأداء الجبايات :

ــ فهناك رسالة تقديم على تينملل فيما يبدو تعتبر الرسالة الوحيدة ضمن رسائل التقاديم التي لم تتحدث عن الجبايات، مما يجعلنا نفهم أن هذه المدينة ــ وربما أيضا جهات أخرى من بلاد المصامدة ــ لم تكن تدفع الجبايات مادامت هي عصبية الدولة[130]، بل إن الولاة من السادة (وربما من الأشياخ) كان ينعم عليهم بامتيازات خاصة (أسهم وتضييفات)[131].

ــ وهناك مجموعة تقاديم على قبائل عربية لا تتحدث أيضا عن الجبايات، مما يدل على أن

(122) كلمة «المخزن» الواردة في رسائل (م ج) لا يتضح أنها تعني مصطلح الحكومة، انظر مواقع الكلمة في فهرس المصطلحات.

(123) انظر الهامش 143 بعد.

(124) التقاديم رقم 9 و14 و43.

(125) العطاء الجزيل ص 137 (الشكاية الخامسة في الملحق الثاني في قسم الرسائل).

(126) الرسالتان التقديميتان 25 و26 (الملحق الأول).

(127) بالنسبة للجبايات الزراعية يقع أحيانا اقتسام المنتوج بين الدولة والفلاحين على أساس عدم خضوعهم صلحا (انظر الهامش 105 بهذه الفقرة ص 239.

(128) العطاء ص 135-136 (الشكاية الأولى) في الملحق الثاني.

(129) الأمثلة في المصادر التاريخية متنوعة، وهناك إشارة في رسالة شكاية بالعطاء ص 138.

(130) التقديم رقم 24، والمقصود هنا الضرائب من غير الزكوات والأعشار.

(131) الرسالتان 79، 88، انظر ما أورده دوزي عن التضييف 2/17.... Suplêments.

هذه القبائل غير مطلوبة بأدائها ربما على أساس أنها تؤدي الخدمة العسكرية فتتكفل هي نفسها أحيانا بجباية القبائل الأخرى لصالح الدولة[132].

ـ أما بقية تقاديم الولاة والعمال، فلا تخلو من الإشارة إلى أن مهامهم هي ضبط الأمن وجمع الحقوق المخزنية أو المجابي، فهذه إذن حالة عامة بالنسبة لبقية القبائل غير المذكورة[133].

وتختلف أهمية المسؤولين عن الجباية والنفقات ربما بحسب مراتبهم الاجتماعية ضمن شيوخ الموحدين، فهناك من تذكر التقاديم انفرادهم بمهامهم والتفويض إليهم، بينما يُشرَّك آخرون في مهامهم مع غيرهم من المسؤولين الكبار[134]، وأكبر مسؤول مالي في الدولة هو الذي يعبر عنه ــ فيما يبدو ــ **بصاحب الأشغال**[135]، ويشترط فيه أن يكون «موحديا» أي من الأشياخ، حيث يشتغل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر العمال والولاة فيها[136]، وعادة ما يسمى ولاة الجباية **عمالا**[137]، وقد يكون العامل هو نفسه **«مشرفا»**[138] في بعض الحالات أو في بعض المدن[139]، وقد يكون العامل هو غير المشرف كما كان الأمر بمكناسة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المومن حيث يذكر صاحب البيان سطوته (سنة 579) بكل من المشرف عليها وعاملها وصاحب المدينة بها[140]، فهل المشرف هو من صنف العمال المفوضين كما ورد ذلك في عدد من التقاديم ؟[141].

أما مرتبة العامل فهي أعلى من مرتبة **ناظر الجباية**، بل هناك تقاديم تنص صراحة على

(132) التقاديم 38، 39، 40، 41.

(133) راجع أيضا خصوصيات التقاديم في الفصل الرابع (156–164).

(134) راجع الفصل المذكور قبل.

(135) الزركشي 29 (ط. تونس).

(136) العبر 434/1.

(137) الزركشي 37 (ط. تونس)، رسائل ابن عميرة، ص 50 (خ ع/د – 4502).

(138) يعتبر عز الدين موسى أن المشرف هو المسؤول في المراسي عن المعاملات التجارية (النشاط الاقتصادي 278) ونفس الرأي عند برانشفيك La Berbérie Oriontale 2/67 وبالنسبة للموحدين لا يبدو أن المشرف يرتبط عمله فقط بالمراسي، راجع الهامشين 139، 141، والرسالة 33 (م ج).

(139) بوصف عامل مالقة ــ أيام ولاية السيد أبي العلى (المامون) ــ بأنه كان مشرفا عليها، (المغرب 429/1 و(694–695))، وفي آخر ترجمة بالتشوف (ع 277، ن فور) يذكر أن مقر عامل تلمسان هي دار الإشراف، وأن هذا العامل يتدخل في المعاملات بين الناس في مثل موضوع الكراء ويقيد ثمنه في زمام بدار الإشراف.

(140) البيان 131.

(141) انظر هوبكنز حول مسؤولي الجباية : (صاحب الاشغال والمشرف والعامل) في الصفحة 104 وما بعدها.

المشاركة أو الإشراف المباشر للعامل على ناظر الجباية[142]. وهناك من قدمهم الخليفة المعتضد للنظر في أمر المجبى فكلّفوا بنوعين منه : مجابي المخزن ومجابي المختص[143] أما في المرسى فيكون المسؤول المالي هو ناظر الديوان كما في الرسالتين رقم 46 و50 (م ج). ويبدو أن كل عمل من الأعمال الجبائية يقوم به العامل يكون من واجبه إخبار الوالي به إذ أنه تحت مراقبته إداريا على الأقل[144].

الإشارات الاجتماعية في الرسائل : من الإشارات الاجتماعية ما لها علاقة بالجوانب الاقتصادية ومنها ما هي متعددة العلاقات.

فمن الصنف الأول نجد بعض التقاديم التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة المظالم، ومحو الرسوم الجورية من الأسواق لما فيها من منافاة للشرع[145]، ويكون أحيانا المبرر للتشدد في ضبط المجابي هو ما تعود به من الخير على «المسلمين»[146].

والصنف الثاني متعدد الجوانب مثل :

- محاربة الخمور بواسطة أمناء للكشف عن المواضع المشبوهة، والتمييز بين الرّبّ الحلال والرُّب الحرام[147]، بل كان على رجال السلطة الكشف عن اللصوصية وباقي المنكرات من ملاهي ونساء مفسدات[148].

---

(142) التقاديم 17، 18، 19، 20.

(143) التقديمتان 42 و46، ويبدو أن جباية المختص كانت بالمدن وما حولها حسبما يفهم من المغرب ج 2/ ص 117، والإحاطة 3/213–215، والقرطاس (255)، وبرانشفيك 2/68–69 (ويحدد أنها ضريبة المباني وسوق العاصمة) La Berberie، انظر أيضا العبر 6/156، والزركشي 37 ط تونس (مختص الحضرة). ويرى عز الدين موسى ان المختص أو المستخلص «هو الأراضي الزراعية والعقارات التي تخص بيت المال» (النشاط، 139–140)، غير أن التقديمين 42 و46 يميزان بين مجابي المخزن والمختص، فهل هذه ضريبة المباني وليست مكوس الأسواق (كما جمع بينهما برانشفيك) ؟ فالتقديم رقم 46 نفسه يحمل الأمر بإزالة المحدثات والمنكرات، وتُعتبر المكوس من المحدثات. وهل يمكن أن تكون جبايات المختص هي الجبايات التي تؤخذ من مستغلي أراضي الدولة ؟

(144) قام أحد عمال الجباية بتادلى بجباية إحدى القبائل ثم أخبر العامل بانجاز مهمته، (التشوف 466 ت. فور).

(145) التقاديم أرقام : 8، 9، 10، 11، 12، 16، 28، 46، 68، 71، 74، 76.

(146) التقديمان رقما : 14 و43.

(147) الرسالة رقم 6 (م ج)، وسيمنع نهائيا في عهد المنصور (28 م ر م) وفي رسالة شكاية إلى قاض تذكر تعاطي عامل للخمر في يوم الجمعة (العطاء 138–139) وهذا في عهد عز الدولة، بحيث لم يتحفظ كبار المسؤولين من الوقوع في المحرمات.

(148) الرسالة 23 (م ر م).

ـــ محاربة الفساد الإداري مثل تسلط «الرقاصين» (وهم حاملو البريد الرسمي) على رقاب الناس (6 م ج)، والإشارة إلى الارتشاء ربما في ولاية إفريقية على عهد الخليفة يوسف.

ـــ ومع بداية ضعف الدولة اشتد عيث القبائل العسكرية وتسلطها على رقاب الناس كما حدث بالأندلس بعد هزيمة العقاب، وربما لم يكن من حق هؤلاء الدفاع عن أنفسهم فهم «يخافون أن تحملهم الغيرة على حرمهم وبناتهم ونفوسهم وأموالهم على أن يدافعوا عن أنفسهم بأيديهم فيؤول ذلك إلى ما يكرهون»[150].

ـــ ويبدو أن أحكام القتل كانت كثيرة مما جعل عبد المومن ثم يوسف يمنعان الولاة من تنفيذ مثل هذا الحكم قبل استشارتهما[151]، ولعل هذا ما يبين أن الجرائم كانت هي أيضا متعددة خاصة في الولايات البعيدة عن مركز الدولة.

ـــ هناك بعض العادات التي تلمح إليها الرسائل مثل عادة التفاؤل والتشاؤم، والإشارة إلى عادة استعمال التمائم وتزيّن النساء بالحناء في بطون الأكف وظهور السواعد[152].

ـــ وبالنسبة لبعض الإشارات حول الاستقرار البشري نجد في الرسالة الثالثة (م ج) إشارة إلى وجود قبيلتي هنكيسة وجزولة حول بلاد السوس، وأن من قبائل السوس تاجدانت ورقالة ! وكذلك استقرار عرب بني جابر بتادلة ومعهم مجموعات سفيان والخلط التي يبدو أنها استوطنت أيضا تامسنا (55 م ج). وهناك إشارة أيضا إلى أن من قبائل غمارة قبيلتي بني نال وبني بال (14 م ج). وبالنسبة لافريقية تشير الرسالة رقم 61 (م ج) إلى أهمية منطقة القيروان بالنسبة لتجمعات الأعراب وخاصة في حالات الجفاف، إلى غير ذلك من الإشارات.

4 ـــ الجانبان المذهبي والقضائي :

أ ـــ الجانب المذهبي :

نظرا لاعتماد الدولة منذ تأسيسها على إطار مذهبي معين، فإننا نجد في أكثرية الرسائل[153] التصريح **بعصمة المهدي**[153] وتسمية خلفائه **بالخلفاء الراشدين**، كما نجد في هذه الرسائل العبارات التي ترتبط بهذا المذهب للتعبير عن الموحدين أو عن السلطة ومذهبها مثل : حزب التوحيد، حزب الموحدين، طائفة التوحيد، طائفة الحق، الدعوة التوحيدية، هذا

---

(149) الرسالة (1) في الملحق الثاني.

(150) الرسالة 67 (م ج).

(151) الرسالتان 6، 13 (م ج).

(152) الرسالتان 11 و55 (م ج).

(153) وبعض هذه الرسائل ناقصة الصدر الذي يقع فيه عادة تمجيد المهدي والسلطة الموحدية.

الأمر العزيز، هذا الأمر الكريم، الأمر العالي... وتسمي الرسائل الهيأة الإدارية والعسكرية العليا في الولايات بالطلبة، وتقدم ذكرهم على غيرهم من الأشياخ والموحدين والأعيان.

وتركز الرسائل أيضا على **الدعاية** باعتبارها سلاحا فعالا لتغطية السلبيات ورفع معنوية قوات الموحدين، فتدّعي أن انتصاراتهم في المعارك هي أمر طبيعي وأن القدر يتصرف لمصلحتهم لأنهم يدافعون عن الدين الحق[154]، ومن هنا أمكنهم أن ينعتوا أعداءهم من الثوار عليهم بالكفار والمجسّمين[155] والشياطين والمنافقين ويدّعون أن من كذّب بالدعوة الموحدية «فقد ردّ ما نطق به الوحي وكذّب بما جاء به الرسل»[156] باعتبار أن المهدي بشّر به الرسول ﷺ، أو «أن من شك في هذا الأمر العزيز فقد شك في وحدانية الجليل»[157]. وكانت الدعاية تتم أيضا بواسطة حمل الناس على تعلم ما كتبه المهدي وإن كان هذا يختلف حسب مستوى أهل العلم ومستوى العامة. ومن الوسائل الدعائية في المراسلات أن المنطقة التي يقدم عليها وال أو عامل يخاطب أهلها على أن منطقتهم تنال اهتماما خاصا من السلطة الخليفية، وأن من واجب السلطة المحلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وقد تجاوزت الدعاية الموحدية المجال الداخلي إلى جهات أخرى من العالم الإسلامي[158].

ويمكن التمييز في المذهب الموحدي بين الجانبين العقيدي والتشريعي، فإذا كان الأول تأويليا فإن الجانب الثاني يبدو أنه ظل سلفيا، فابن تومرت نفسه يرى ألاّ مجال للعقل في أمور الشرع[159]. وإلى أوائل عهد المنصور كان المذهب المالكي هو الشائع[160]، غير أنه لم يلبث أن تخلى عن هذا المذهب إلى المذهب الظاهري (الحزمي) فارتفع شأن الظاهريين[161]، ويبدو أن خلفاءه استمروا على هذا النهج حتى أننا نجد الخليفة المرتضى يقول في إحدى رسائله التقديمية «ما تعبّدنا ربنا إلا بالظاهر»[162]. وتتضح الجوانب التشريعية في الوصايا التي

---

(154) على سبيل المثال مطلع ما بقي من الرسالة 59 (م ج) وكذلك الرسالة 100، وغيرهما كثير.

(155) انظر الرسالة 12 (م ج) عن بني مردنيش، ومثل هذا التعبير مقتبس عن المهدي انظر الرسالة رقم 2 (م ج) والرسالة الأولى الواردة في «أخبار المهدي..» (بروفنصال).

(156) الرسالة رقم 25 (م ج).

(157) الرسالة رقم 100 (م ج).

(158) انظر الفقرة رقم (5) الآتية في هذا الفصل.

(159) أعز ما يطلب ص 157 (ط. الجزائر 1985).

(160) قاضي فاس مثلا المعين في ذي الحجة 579 قاضي مالكي (التكملة 2/ ص 921 ط. القاهرة) انظر أيضا رأي الأستاذ الجراري في المناهل ع 1 ص (84-121).

(161) الكامل 9/ سنة 595.

(162) التقديم رقم (6).

يوجهها الخلفاء إلى الولاة وخاصة القضاة عند تقديمهم على الجهات[163].

ب ـ الجانب القضائي :

في هذا الجانب لا تعطينا الرسائل إلا معلومات نادرة ومتكررة تتمثل بالخصوص في مهمات القاضي مما يجعلنا نستعين بمصادر أخرى في بعض الإيضاحات :

* **بالنسبة لأصناف القضاة** : فأعلى مراتب القضاء هو منصب قاضي الجماعة أو قاضي الخلافة أو قاضي القضاة، **فقاضي الخلافة** هو ما كان يسمى بالشرق بقاضي القضاة حسب النباهي[164]، غير أن ابن سعيد (حسب المقري) يعتبر أن قاضي القضاة في المشرق هو نفسه قاضي الجماعة بالمغرب[165] (وان كان هناك من سمي بقاضي القضاة في شرق الأندلس أيام حكم ابن مردنيش)[166]. ويرجح النباهي أن المراد بالجماعة جماعة القضاة[167]. وفي العادة أن قاضي الجماعة يكون في المدن الكبرى خاصة مراكش وقرطبة...[168] ونجد أيضا «**قاضي المحلة**» أثناء حركة الخليفة يوسف يسمى قاضي الجماعة، فخلال حركته إلى غمارة استقضى أبا بكر بن زهر في محلته فكان يدعى حينئذ قاضي الجماعة[169]. وكان القاضي أبو موسى بن عمران يحمل لقب **قاضي المحلة والجماعة** خلال حركة يوسف الأولى إلى الأندلس، وربما أيضا لقب قاضي الخلافة[170]. وبهذه الصفة الأخيرة يصفه البلوي في العطاء الجزيل عندما أورد رسالة من إنشائه هي الرسالة رقم (10 م ج)[171]. وأثناء هذه الحركة إلى الأندلس كان لمراكش قاضي جماعتها وهو حجاج ابن يوسف[172] مما يرجح أن **قاضي الخلافة** ليس

(163) انظر هذه التقاديم من رقم 49 إلى نهايتها، وكان المطلوب أحيانا من المقدّمين حتى من غير القضاة الارتباط بالقرآن والسنة (مثلا الرسالة رقم 13 م ج).

(164) المرقبة العليا، ص 21.

(165) نفح 217/1، وهو ما ذهب إليه القلقشندي عند المقارنة بين المغرب ومصر (صبح 140/5)، والملاحظ أن ابن سعيد من رجال القرن 7هـ والنباهي من أهل القرن 8هـ.

(166) التكملة ج 64/1 (ترجمة ابن الحلال) ط. القاهرة.

(167) المرقبة (نفس الصفحة).

(168) من قضاة الجماعة بمراكش نجد في التكملة ج 1، ط. القاهرة أصحاب التراجم : 234 و292 و745، وفي ج 2 الترجمتين 1722 و1917، وط. كديرا ج 2 الترجمتين 1812 و1908، وفي الذيل (غرباء) في ص 4 و46 و112 و118 و167 (خ ع). ومن قضاة الجماعة بقرطبة *ابن رشد الحفيد : التكملة 2/ ع 149، ط. القاهرة، والمغرب لابن سعيد 162/1.*

(169) الذيل س 6 (398-401).

(170) المن ص 441 و495 و504، و(512-513) و(523-524).

(171) ترجمته في مقدمة البحث.

(172) البيان 99، ويسميه أيضا صاحب التشوف بقاضي القضاة (186)، ت. فور.

هو بالضرورة قاضي الجماعة[173]، ولم يكن قاضي الجماعة هو نفسه بالضرورة قاضي المظالم وانما قد تسند إليه هذه المهمة أيضا[174] أو إلى قاضي الخلافة.

وكان تعيين قاضي الجماعة يتم مباشرة من طرف الخليفة كما نفهم من تقاديم مخطوط (يحيى)، بينما يذهب النباهي إلى أن تعيين قاضي الجماعة يتم مباشرة من طرف قاضي الحضرة (أي قاضي الخلافة)[175]، غير أن الخليفة قد يسمح لبعض الولاة بتقديم عمال وقضاة على جهات تابعة لولايتهم كما حدث ذلك في فترة ضعف السلطة المركزية وانشغال الخليفة بمشاكل قرب عاصمته[176].

* وقاضي الجماعة هو المسؤول عن تعيين ومراقبة بقية القضاة والمسددين والعدول، فبعض التقاديم تشير إلى أن من حق القاضي اختيار من ينوب عنه أو من يستكتبه[177] ومن حقه أيضا أن يختار المسددين في النواحي[178]، **فالمسدد** هو قاض في مدينة صغيرة، حيث لا يسمى باسم القاضي إلا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليلة[179]، فالمسدد لا يصدر أحكامه إلا في القضايا الصغيرة[180].

ويستعين القضاة **بالعدول** أو الشهود، وهؤلاء «لهم في سائر الأمصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها فيتعاهدهم أصحاب المعاملات للإشهاد وتقييده بالكتاب»[181]، ويتم تعيين ومراقبة العدول من طرف القاضي كما يتضح من رسائل تقاديم القضاة[182].

ومن المناصب القضائية التابعة للقاضي : قضاء المناكح والنساء، وقضاء المواريث، والنظر في الأحباس، وأيضا الحسبة. **فالمحتسب** أو صاحب السوق يراقب مع أعوانه ما يجري في الأسواق من غش ونقص في المكاييل والموازين[183]، فمهامه تختص بالمعايش بتفاصيلها :

---

(173) يذكر المراكشي أبا عمران موسى بن عمران كأحد قضاة الناصر (315) ثم يذكر في موضع آخر أنه «قاضي الجماعة في الوقت الحاضر» أي عهد المستنصر ص (246 من المعجب).

(174) التكملة 1/ ع 292 (ط. القاهرة).

(175) المرقبة ص 21.

(176) التقديم رقم (1) حيث يفوض الخليفة للمقدم حق تعيين العامل والقاضي والحافظ.

(177) التقاديم 53، 57، 58، 65.

(178) التقاديم 49، 51، 52، 54، 56، 71، 74.

(179) نفح 217/1 (نقلا عن ابن سعيد).

(180) مقال «سبع وثائق جديدة» بصحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، م 2، عدد 1-2، (ص 75-77) سنة 1954.

(181) العبر (المقدمة) 397/1-399.

(182) التقاديم : 29، 50 إلى 62، 64، 65، 67، 68، 69، 71 إلى 76.

(183) المرقبة العليا ص 5.

المحرمات، التسعير، النظافة، الحفاظ على الآداب العامة...[184] ولذا قد تضاف إليه شرطة المدينة[185]. فالمحتسب يعتبر من أعوان القاضي وهو الذي يعيّنه ويطلع صاحب البلد على ذلك، وهو لسان القاضي... يضرب له أجره من بيت المال، وهو الذي يحميه ويمضي أحكامه... وهو الذي يكفي القاضي الامتهان مع عامة الناس[186]. هذا بالنسبة لأسواق المدن أما أسواق البادية فلا يبدو أن لها محتسبا وإنما يتصرف القائد حسب العرف مستعينا بأمناء الحرف وشيوخ الفلاحين[187].

* **بالنسبة للمهام المطلوبة من القاضي عامة** : يحدد النباهي عشرة مهام منوطة بالقاضي مباشرة أو بواسطة مساعديه، منها : قطع التشاجر بين المتنازعين واستيفاء الحق لطالبه، وتفقد الشهود والأمناء واختيارهم، والتسوية بين القوي والضعيف...[188] وتركز رسائل مخطوط (يحيى) لتعيين القضاة على المهام الآتية موزعة في التقاديم على شكل وصايا لهم[189] :

- اتباع كتاب الله وسنة الرسول وأقوال الأئمة و اجماع الأمة.
- حسن اختيار المسددين المستعملين في الجهات، والنواب، والشهود أو العدول.
- المساواة في الحق بين القوي والضعيف والمشروف والشريف.
- تفحص السجلات والعقود.
- عدم الاعتماد على الظن وعدم الاستعجال في الأحكام.
- إلزام الناس ـــ أحيانا ـــ بإقامة الصلوات الجماعية.
- الحفاظ على المصالح العامة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[190]، وأحيانا الأمر بإزالة المحدثات، ومحق المنكرات، وطمس آثار ذلك كله حيث كان في الأسواق وسواها، أو رفع المحدثات والردع لمخترعيها، أو إزالة المحدثات والمظالم...[191].

وهكذا فإن هذه الرسائل على الرغم من أنها لا توضح أصناف القضاء ومهمة كل صنف، فإنها تعطينا ما كان مطلوبا عمله من القاضي، وان كنا غير مطمئنين إلى أن هذه الوصايا كانت تنفذ في الفترة الأخيرة من الدولة الموحدية، وربما ظلت كثير منها نظرية، فتكرار هذه

---

(184) مجلة المعهد المصري، المجلد 2، سنة 1973، ع/ 1-2 ص 120.

(185) مثل المترجمين في صلة الصلة ص 9 (ن بروفنصال)، والمرقبة العليا ص 129، والإحاطة 158/3.

(186) «ثلاث رسائل في الحسبة» ص 11-16 (ن بروفنصال).

(187) علال الفاسي في مجلة البينة ع/ 19621 ص 74 وما بعدها.

(188) المرقبة ص 5-6.

(189) انظر في الملحق الأول " تاديم من 49 إلى نهايتها.

(190) التقديم رقم (54).

(191) التقديم رقم 92، ومثل هذه ابو سية كانت تقدم أيضا لبعض الولاة والعمال، راجع خصوصيات التقاديم في الفصل الرابع ص 156 وما بعدها.

الوصايا قد يكون لأحد سببين أو لكليهما وهما ادّعاء الموحدين بالتمسك بالعدالة، أو الانحرافات الكثيرة التي لم يستطع القضاء معالجتها، فالفترات الأخيرة من الدول تسوء فيها الأحوال العامة وخاصة الضغط المادي وانعدام العدالة... فتكون هذه الأوضاع من المبررات لقيام كيان سياسي جديد.

5 ـــ العلاقات الخارجية :

فيما يهم هذه العلاقات سبق الحديث عنها مفصلا ضمن الفصول الثاني والثالث والرابع، ويمكن إعطاء صورة عامة تقريبية عن هذه العلاقات.

أ ـــ مع الأيوبيين والعباسيين :

منذ إعلان الموحدين نظام الخلافة وهم يعتبرون أنفسهم أحق بالاشراف على العالم الإسلامي فدخلوا في منافسة مع الخلافة العباسية المتداعية في الشرق ومعاداة السلطات التي تعلن التبعية لها كالسلطة الأيوبية في مصر، ويبدو أنه كانت بمصر شبكة دعائية لصالح الموحدين منذ مرور المهدي بها عائدا من الشرق[192]، ويؤكد ابن جبير وجود هذه الشبكة بإشارته إلى انتظار الناس في مصر لقدوم الموحدين إليها، ويشير لمثل هذا عن بلاد الحجاز كضرورة لتطهيرهما من المفاسد[193]. ونجد في عدد من الرسائل إشارات إلى نوايا الموحدين التوسعية ـــ ولو نظريا ـــ مثل الدعاء للخليفة الحاكم بأن يعم ملكه «ما زوي لنبينا مما بين المشرق والمغرب»[194]، وكانوا حتى في أيام ضعفهم لازالوا متشبثين بمبدأ شرعية سيادتهم على جميع المسلمين والادعاء بأن الله كلفهم بالقيام بحقه في جميع بلاد الإسلام[195]، وهذا يتفق مع مذهبهم الذي يعتبر من لم يعتنقه كافرا أو منافقا أو فاسقا...

وهكذا فإن وصول الموحدين في توسعهم إلى إفريقية يعتبر كافيا لقيام الخلافة العباسية أو على الأقل السلطة الأيوبية نيابة عنها بإثارة المشاكل أمامهم في إفريقية بتوجيه المماليك الغزّ إليها ومناصرة حركة بني غانية واصباغ الشرعية عليها[196]، ولن تهدأ هذه الأحوال إلا بضعف الطرفين الأيوبي والموحدي. ورغم هذه الظروف فإن الحركة التجارية لم تتوقف بين المغرب والمشرق كما يتضح ذلك من أوصاف الجغرافيين كصاحب الاستبصار وابن سعيد

---

(192) انظر المقتبس من كتاب الأنساب (28–30).

(193) الرحلة ص 53 و(69–70)، وينسب صاحب المعجب إلى المنصور قوله عن المناكر والبدع بمصر : «نحن إن شاء الله مطهّروها» (284).

(194) انظر الرسائل رقم : 4، 30، 35، 55، 78، 82 (م ج).

(195) الرسالة 42، والتقديم رقم (12).

(196) راجع الفصل الثاني حول الصراع المسلح بافريقية بين أنصار الأيوبين والعباسيين من جهة وبين الموحدين من جهة أخرى.

والحميري[197]، ولا تقتصر هذه الحركة على التنقل البري وإنما بواسطة البحر أيضا حيث يمتزج العمل التجاري غالبا مع أداء فريضة الحج[198].

ب ـــ مع بلاد السودان :

من الصعب الحديث في هذا الموضوع استنادا إلى الرسائل فلم نجد حتى الآن بين أيدينا غير مقطع من رسالة وحيدة عن والي سجلماسة إلى ملك غانة يعتب عليه تعويقه لعمل التجار المغاربة ببلاده، ويذكر أن الموحدين لا يعاملون بالمثل التجار الغانيين بالمغرب[199]، وهنا نتساءل : هل كان عمل مملكة غانة يهدف إلى التقليل من نشاطات المغاربة لصالح رعاياها وبالتالي منع احتكار المغاربة لمعظم النشاط التجاري بين شمال وجنوب الصحراء، أم إلى السيطرة الغانية على بعض الطرق في اتجاه المغرب مثلما ستفعل مملكة كانم (حول بحيرة تشاد) في دفع نفوذها نحو منطقة فزّان للسيطرة على الطريق التجاري بين هذه المنطقة وبلاد كانم ؟[200].

جـ ـــ مع الاسبان :

لا تتحدث الرسائل التي بين أيدينا عن العلاقات التجارية بين مملكة الموحدين والممالك الاسبانية وإنما عن العلاقات السياسية وخاصة الحربية[201]، ويمكن الرجوع إلى تفاصيل هذه العلاقات في الفصلين الثالث والرابع، بحيث تواجه الاسبان مع الموحدين بعدة وسائل :

- التساهل القشتالي الأركوني في توجيه المرتزقة لدعم ابن مردنيش ضد الموحدين.
- محاولات القشتاليين لاستمالة بعض الأمراء الموحدين للتمرد على سلطة الخلافة[202].
- الحملات التي كانت تقوم بها الجمعيات العسكرية والدينية، فتصل إلى جنوب الأندلس حتى في بعض حالات الهدنة الرسمية بين الطرفين الموحدي والاسباني[203].
- الحملات النظامية لجيوش ممالك أركون وقشتالة وليون والبرتغال بشكل متفرق في حالات نزاع هذه الممالك فيما بينها، وهو ما كان سائدا في الغالب مما يجعل الموحدين يردون عليها بالقوة العسكرية، وقد يتوصلون إلى عقد هدنة من موقع القوة كما حدث سنة

---

(197) اشاراتهم غير مباشرة حيث لا يذكرون توقف الحركة بين المشرق والمغرب.

(198) الرسالتان 46 و51 (م ج).

(199) الرسالة رقم 45 (م ج) وهوامشها.

(200) يشير إلى هذا ابن سعيد المغربي في «بسط الأرض» ص 61.

(201) هذه الإشارات موزعة في الرسائل التي أرقامها 27، 28، 29، 34، 37، 42، 63، 67، 68، 77 إلى 85، 107، 5 ¹، 126.

(202) انظر الرسالة رقم 37 (م ج) والصفحة 131 من الفصل الثالث.

(203) وهو ما كان يقوم به مثلا «ـ ـ ـ» لصالح ملك البرتغال، وما قام به فرسان آبلة. الرسالتان 27 و28 (م ج).

569[204]، أو يضربون أكبر قوة وهي قشتالة كما حدث في الأرك[205]، وهي المعركة التي أعادت التوازن العسكري بالمنطقة الأندلسية الاسبانية بعد ضغوط متعددة على سهول الوادي الكبير. وعندما تكتلت القوات الاسبانية بدعم الكنيسة البابوية ألحقت هزيمة فادحة بالموحدين في «العقاب»[206] ساهمت في دفع دولتهم نحو الانقسام والانهيار مما جعل القشتاليين يتجرأون على بلاد المغرب ويصلون إلى سلا ويحتلونها لمدة نصف شهر[207].

وربما أمكن القول أن الموحدين أمام ازدواجية مشاكلهم بافريقية والأندلس كانوا يسعون إلى الهدنة كخط رسمي في سياستهم مع الاسبان وإن كانوا يدّعون أن الطرف الآخر هو الذي يلح عليها، وربما كان هذا مبررا لاطلاق المنصور أسرى الأرك بعد الانتصار في المعركة والاستيلاء على هذا الحصن، وأيضا ما حدث بعد فتح الناصر لحصن شلبطرة...[208] أي تجنب تعميق الهوة بين الطرفين وبالتالي سهولة التوصل إلى ربط الهدنة. وعندما قام أحد المسؤولين بإثارة المشاكل على الثغور الشمالية الغربية بنواحي بطليوس في فترة الهدنة أيام المستنصر كان جزاؤه القتل بأمر من الخليفة[209].

ويبدو أن منطقة الوادي الكبير لم يؤخر سقوطها بيد الاسبان القشتاليين بالخصوص غير الفتنة الداخلية بعد موت الفونسو الثامن المنتصر في العقاب، والنزاعات بين الممالك الاسبانية من جديد، وريثما تخف هذه المشاكل وتتحد قشتالة وليون ستبدأ الزحف على هذه المنطقة، وتزحف أركون والبرتغال على الجهات القريبة منهما والمخطط للاستيلاء عليها من قبل.

د ـــ مع الايطاليين :

بالنسبة للعلاقة معهم يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني من البحث[210]، غير أن هناك بعض الملاحظات العامة على هذه العلاقات :

- ان موقع افريقية وسط البحر المتوسط وقربها من الدويلات الايطالية التجارية في هذه الفترة فرض على الموحدين أن ينظّموا علاقاتهم مع هذه الكيانات وخاصة جنوة وبيزة (رغم وجود بعض العلاقات معها قبل الموحدين).
- كما أن وجود المرتزقة النصارى بالمغرب واستقرار التجار النصارى بفنادقهم في أهم المدن

---

(204) انظر الرسالة 29 (م ج) والفصل الثالث ص 119 وما بعدها.

(205) انظر أيضا الرسالة 42 (م ج) والفصل الثالث ص 130 وما بعدها.

(206) الرسالة 68 (م ج)، انظر عواقبها في الفصل الرابع ص 181 وما بعدها.

(207) انظر الرسالة 126 (م ج).

(208) انظر الرسالة رقم 67 (م ج) والهوامش عليها.

(209) الرسالتان 83 و84 (م ج).

(210) حول البحرية والعلاقات المغربية الايطالية (84-88).

الساحلية المغربية فرض وجود علاقات أو على الأقل اتصالات بين البابوية من جهة والمغرب من جهة أخرى، كما هو الشأن مثلا في عهد الخليفة المرتضى[211].

— ان المصلحة التجارية للكيانات السياسية الايطالية كانت تجعلها فيما يبدو لا تهتم بالعلاقات الخاصة العدائية بين الأطراف التي تتاجر معها، والمثال على ذلك : العلاقات التجارية بين الايطاليين وكل من بني غانية بالبليار أولا ثم بافريقية ثانيا[212]، والثائر بالمهدية ابن عبد الكريم[213] في الوقت الذي تتاجر فيه مع الموحدين.

— كما أن الأهمية التجارية لافريقية بالنسبة للموحدين فرضت تنظيم علاقات تطورت إلى مستوى أكبر تنظيما ولآماد طويلة أحيانا، فنجد تحديد الضرائب الجمركية، وتحديد مراسي التبادل، وبكل منها ديوان خاص لضبط التجارة الخارجية، كما أن الأحداث التي تقع بين رعايا الطرفين لم تعد تؤثر في فعالية الاتفاقات، ذلك أن المسؤولية في الحوادث أصبحت تعتبر شخصية[214]. وستستمر العلاقات بشكل أكثر تنظيما بين الحفصيين والإيطاليين بالنسبة لإفريقية، وستظل سبتة بالنسبة للمغرب الأقصى المركز الأهم في المبادلات البحرية...

وعادة ما يؤدي تطور المبادلات المنظمة إلى تراجع القرصنة البحرية مما يزيد في الرواج التجاري، وان كان المستفيد الأول منه هو الطرف الأوربي الذي أخذ يمتلك مؤسسات تستثمر الفوائد التجارية في المجالات الأخرى مدنيا وعسكريا مما سيساهم في ظهور عدم التوازن بين القوى المغربية والأوربية.

---

(211) الرسالة 126 (م ج) والتمهيد لها. والتقديم رقم (6) يشير إلى وجود النصارى بسبتة.

(212) الرسالتان رقم 4 و24 في مجموعة أماري (Diplomi).

(213) الرسالة رقم 53 (م ج).

(214) انظر اتفاقية المنصور مع بيشة (الرسالة رقم 35 م ج)، وعددا من رسائل أماري التي تحث تجارها على التردد إلى إفريقية رغم حادثة الاعتداء على بعض السفن الإسلامية بمياه تونس.

خاتمة عامة :

إن المتتبع لفصول البحث قد يشعر بتغطية رسائل «المجموعة الجديدة» لفترة الحكم الموحدي وخاصة النصف الثاني منه ــ ولو بشكل غير كثيف ــ بحيث تتكامل مع مجموعة رسائل بروفنصال التي تغطي النصف الأول من العهد الموحدي. غير أن عدم كثافة الرسائل حول موضوع معين في الغالب ــ باستثناء رسائل المخطوط الخاص ورسائل التقاديم ــ وميلها إلى التعميم لم يساعدا على الخروج بنتائج حاسمة. وهي أحيانا تصحح أو تدعم ما هو معروف في المصادر، وهذا مهم خاصة وأنها تتخذ صبغة رسمية ولو أنها ليست نسخا أصلية، وأحيانا أخرى تدعو ضرورة توضيحها إلى الاستعانة بغيرها من المصادر بما فيها رسائل بروفنصال.

ولما كانت بعض رسائل المجموعة الجديدة تتوفر على خصوصيات خاصة بها من حيث مشكل تأريخها أو بعض مضامينها أو مدى أهميتها... فقد تطلّب هذا إحداث موضوع أول في كل فصل من الفصول الأربعة الأولى لابراز هذه الخصوصيات، وهذا لا يعني أن جميع الرسائل وضعت لها هذه الخصوصيات، ثم موضوع ثان يعني دراسة تاريخية غير مفصلة أو شاملة لتاريخ الموحدين، ولكنها تعتمد على تحليل مضامين وإشارات رسائل هذه المجموعة دون ترك المسافات بين رسالة وأخرى فارغة، بل ملئت ببعض المعلومات المحدودة التي تجعل خيط الأحداث متصلا من بداية الدولة الموحدية إلى نهايتها، ولذا قد يشعر القارىء بالتزام التسلسل الزمني دون إثارة بعض القضايا التي لم تشر إليها الرسائل أو التي تحتاج إلى بحوث أخرى قد تبعدنا عن إطار البحث الحالي الذي يهتم بوضع مجموعة جديدة من الرسائل بيد الباحثين مع إعطاء توضيحات أولية عنها، بحيث يمكن دراستها من جديد وبشكل معمّق وفي إطار تخصصات مختلفة وبحوث متكاملة قد تساعد فقرات الفصل الخامس على إثارتها.

ومع هذا فقد تخللت البحث مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات أو التساؤلات لابأس من التذكير ببعضها في هذه الخاتمة، ويمكن تصنيفها إلى صنفين : صنف متعلق بالأحداث، وآخر بالجانب الحضاري :

1 ــ فبالنسبة للصنف الأول، فإن من الإشكالات المطروحة **دوافع ثورة قبائل الجنوب** خاصة في بداية عهد الموحدين ومن ضمنها هسكورة، هل هي دوافع خاصة بهذه القبائل (عصبيا، سياسيا، اقتصاديا...) أم أنها ترجع إلى الطرف الموحدي (بسبب المذهب، العنف، الطبقية...) أم تعود إلى الجانبين معا، وهل هناك عامل معين يمكن أن يحتل مكان الصدارة على مختلف العوامل ؟[1] أي أن الدولة الموحدية واجهت مصاعب منذ بدايتها ــ وحتى أثناء

(1) انظر الفصل الأول خاصة الصفحة 33 وما بعدها.

فترة الدعوة ــ كان مصدرها أحيانا الكتلة المصمودية نفسها، خاصة وأن الخلافة استقرت في يد عبد المومن وسلالته من غير عصبية المصامدة.

ــ وكانت الفترات الانتقالية بين عهد خليفة وآخر تشكل مناسبة لقيام ثورات من طرف بعض القبائل كثورة غمارة وحلفائها في بداية عهد الخليفة يوسف، وثورات الجنوب الغربي للمغرب الأقصى في عهد الناصر وبداية عهد المستنصر...[2] أو قيام معارضة من طرف عائلة الخليفة أو بعض الأشياخ الموحدين كما حدث في بداية حكم الخليفة يوسف أيضا وفي بداية عهد المنصور، وبعد وفاة المستنصر... مما قد يبين عدم تنظيم وراثة الخلافة على أساس سليم[3].

ــ وقد استعمل الموحدون سلاحا آخر ــ إلى جانب السيف ــ وهو **الدعاية** سواء فيما يتعلق بتثبيت مبادىء المهدي في الأذهان أو باظهار الحرص على تطبيق أصول الشريعة (القرآن والسنة) ومنها سياسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما دعت الضرورة إلى ذلك، مثلا عند تولّي خليفة جديد السلطة، أو المرور بأزمة سياسية أو اقتصادية اجتماعية (مجاعات...)[4].

ــ ونظرا لغرابة الأسرة المومنية الحاكمة عن الكتلة المصمودية وشعورها بعدم ارتياح بعض مجموعاتها لهذا الوضع فقد استقدمت جماعات من **كومية** عصبية عبد المومن لتعزيز نفوذ أسرته، كما استقدمت جماعات من **القبائل العربية** من افريقية بهدف خلق توازن عسكري في المغرب الأقصى بين هذه المجموعات والقبائل البربرية بما فيها المصمودية، زيادة على استخدامها في القتال بالأندلس وتخفيف ضغطها على إقليم بعيد عن العاصمة كافريقية، بحيث لم تعد التشكيلة العسكرية الموحدية مصمودية ــ كما كانت في الأصل ــ سواء بالمغرب أو الأندلس، وستحافظ هذه التشكيلة على الانضباط إلى حدّ ما مادامت القيادة سليمة ومهيبة، غير أن مشاكل إقرار العرب بالمغرب الأقصى ستظهر منذ عهد الناصر وبالأندلس ــ ومعهم كومية ــ بعد هزيمة العقاب[5].

ــ *ان امتداد نفوذ الموحدين إلى المغرب الأوسط وافريقية جعلهم في مواجهة مع العصبية* الصنهاجية بالمنطقة وبعض الزعامات المحلية وعلى الخصوص أصحاب السيادة الحقيقية سابقا في بوادي المنطقة وهم قبائل العرب، فلم يستقروا على الطاعة للموحدين وإنما كان بعضهم يظهرها عند تحرك الحملة الموحدية نحوهم، وقد يتراجعون عنها بعودة هذه الحملة إلى المغرب،

(2) انظر في الفصل الرابع ص (173–175).

(3) راجع في الفصل الأول ص (44–45).

(4) انظر في الفصل الأول ص (41–43).

(5) انظر الرسالة رقم 55 م ج، وخصوصياتها ص (144–146)، والدراسة التاريخية في الفصل الرابع ص (170–173) و(190–194).

فكانوا عنصرا مدعّما للزعامات السياسية مثل بني الرند بقفصة والغز ـــ خاصة فيما بين الجريد وطرابلس ـــ ثم بني غانية. وعندما اضطر الموحدون لعلاج مشكلة إفريقية بتعيين وال مفوّض في مطلع القرن السابع مهّدوا بذلك عن غير قصد لانفصال المنطقة عن مركز الخلافة الموحدية بظهور الدولة الحفصية (المصمودية القيادة)(6).

ـــ كان من نتائج امتداد النفوذ الموحدي إلى إفريقية تطوّر في العلاقات مع الأيوبيين والعباسيين من جهة، والكيانات السياسية الإيطالية من جهة أخرى : فالعلاقات مع الأيوبيين تميّزت بالتوتّر عموما نظرا لدعمهم أو دعم مماليكهم (الغز) بشرق افريقية لحركات الثوار بالمنطقة، وبالنسبة للإيطاليين تميّزت علاقاتهم مع الموحدين بالسلم والتجارة، غير أن الإيطاليين لم يكونوا يهتمون فيما يبدو بالتقلّبات السياسية بإفريقية وإنما يهمهم من يبسط نفوذه على مدن الساحل التي يتعاملون معها، فهم يتاجرون في نفس الوقت مع الموحدين ببجاية وبني خراسان بتونس (منتصف القرن السادس)، وأيضا مع الموحدين بتونس والثائر الركراكي بالمهدية ثم بني غانية سادة إفريقية حوالي سنة 600هـ(7).

ـــ ويمكن أن نتساءل عن مدى **أهمية البحرية التجارية الموحدية** ومساهمتها في حركة التجارة سواء الداخلية أي بين موانىء الدولة، أو في التجارة الخارجية بنقل البضاعة المغربية إلى موانىء المدن الإيطالية والمتوسطية عامة. وإذا كانت بعض الرسائل تشير إلى حمل الركاب المسلمين (حجاج مثلا) على سفن إسلامية (مغربية أندلسية) فإنها لا تحدثنا عن دورها في نقل البضائع، في حين أن عددا من رسائل أماري تشير إلى تحريض السلطة الموحدية للبيشانيين للقدوم إلى موانىء إفريقية، كما تشير إلى جلبها لبعض ما تحتاجه المنطقة كالقمح، وحملها منها المواد الإفريقية(8).

ـــ ويبدو أن البحر كان «جملا ذلولا» لأوربيي البحر المتوسط كما تذكر ذلك الرسالة العاشرة في المجموعة الجديدة، فهي تلمّح إلى نقص اهتمام المغاربة بالبحر، ويمكن أن نطرح هنا أيضا تساؤلا عما إذا **كان الأسطول الحربي الموحدي** يتجاوز ـــ حقيقة ـــ أهمية بقية الأساطيل المسيحية بالبحر المتوسط الغربي ؟(9) إن الإجابة على هذا التساؤل تقتضي نوعا من التخصص في الميدان أو على الأقل توفرا على الوثائق الكافية.

ـــ إذا كانت نقطة ضعف الموحدين تجلّت في وضعية إفريقية سياسيا وعسكريا فإنهم ركّزوا على المغرب الأقصى، وكذلك على **الأندلس** التي كانت ظروفها أنسب لهم من الحملات إلى إفريقية سواء من حيث القرب وتوفّر المؤن عادة أو من حيث ممارسة مبدأ «الجهاد» ضد

---

(6) انظر في الفصل الثاني ص (68–80)، وفي الفصل الرابع (ص (209–212).

(7) راجع الرسالة الأولى في مجموعة رسائل اماري، والرسالة 53 (م ج) والفصل الثاني ص (91–93).

(8) بعض هذه الرسائل في مجموعة أماري لم نُعِدْ نشرها وهي من رقم 14 إلى رقم 20 في مجموعته.

(9) راجع الرسالة رقم 10 (م ج) بالقسم الأول، والصفحات (84–88) في القسم الثاني.

النصارى وضد «المجسّمين» أي بني مردنيش على الخصوص الذين قاوموا طويلا الزحف الموحدي نحو شرق الأندلس، وكثيرا ما هددوا قرطبة وغرناطة واشبيلية[10]. كما أن جزر البليار التي كان بها بنو غانية لم تخضع للموحدين نهائيا إلا حوالي سنة 600 لتضيع منهم مع معظم الأندلس بعد حوالي ثلث قرن فقط. وإذا تتبعنا العلاقات بين الطرفين الموحدي والاسباني ظهر لنا فيما يبدو أن كلاّ منهما لم يكن يمانع في توقيع هدنة مع الطرف الآخر إلا إذا كان هذا الطرف أو ذاك منشغلا بفتن أو أحداث داخلية أو على أطراف الحدود، فبينما استغل الخليفتان يوسف ثم المنصور الحرب الأهلية بقشتالة والنزاع مع جيرانها لكسب حلفاء من هؤلاء أو تحصيل بعض الغنائم ثم توقيع هدنة من موقع القوة، كان الاسبان أيضا يستغلون انشغال الموحدين بفتن إفريقية على الخصوص التي كانت أخبارها على الأرجح تنتقل إليهم بواسطة التجار الإيطاليين وربما الميورقيين أيضا، فتنهك العساكر بين الحركة إلى إفريقية والحركة إلى الأندلس. وهنا يمكن أن نتساءل هل كانت جوازات الموحدين إلى الأندلس «جهادية» محضة أي لردّ اعتداءات النصارى أم كانت هناك دوافع أخرى أيضا[11]، وهل كانت انتصاراتهم هناك ــ وخاصة انتصار الأرك ــ تحقق لهم تفوقا عسكريا أم مجرد إعادة توازن القوى بين الطرفين، خاصة وأن معركة الأرك تَواجهَ فيها الموحدون مع قشتالة وحدها ــ كقوة نظامية ــ إذ كانت على عداء مع جيرانها، وهذا الوضع اختل بمعركة العقاب ؟ أي هل كانت قوة الموحدين بالأندلس أساسها ضعف خصومهم الإسبان ونزاعاتهم فيما بينهم فلا تلبث أن تصبح عكسية بعد توقف فتنهم الداخلية وقيام التحالف بين ممالكهم ؟ إن ما تؤكده الرسائل ــ بعد العقاب ــ هو حرص الموحدين على الهدنة مع النصارى والحفاظ على استمرارها[12]، فكأن الهدنة كانت ــ أو على الأقل أصبحت ــ هي الخط الرسمي للموحدين، بينما سوف لن يهتم بها الاسبان بمجرد خفة مشاكلهم في أواخر العشرينيات من القرن السابع وهي الفترة التي توازي تراجع الموحدين عن الأندلس ودخولهم في مسلسل الضعف داخل المغرب.

ــ ان بعض رسائل المجموعة الجديدة[13] تتوفر على إشارات حول **الهدنة** بين الموحدين (في عهد الناصر) وقشتالة، وإشارات عن الفتنة الداخلية بها والتي كانت ولاشك وراء بحثها عن الهدنة مع الموحدين، كما تتضمن المجموعة[14] ما كانت تعانيه الأندلس من عيث العناصر العسكرية العربية والكومية وضعف موقف السلطة إزاءها، زيادة على إشاراتها لمصير ثورة

---

(10) انظر في الفصل الثالث ص (109–110).

(11) راجع في الفصل الثالث ص (133–134).

(12) انظر الرسائل من رقم 77 إلى 85 (م ج)، وظروف الطرفين الاسباني والموحدي بعد العقاب ص (182 وما بعدها) في الفصل الرابع.

(13) هي نفس الرسائل من 77 إلى 85 (م ج).

(14) نفس المجموعة (90–96 م ج).

كزولة بالمغرب الجنوبي[15] مما يبيّن أن الطرفين الموحدي والقشتالي كانا في حاجة إلى الهدنة فيما بينهما[16]، ومثل هذه المعلومات محدودة وضعيفة في المصادر المغربية ــ خاصة ــ والتي انشغلت بأحوال المغرب الداخلية وعواقب هزيمة العقاب عليها.

ــ ومنذ موت المستنصر تفجرت **الأوضاع الداخلية** والصراعات بين هيئتي السادة والأشياخ، بل بين عناصر كل هيئة، وفشل المخلوع والعادل في مواجهة هذه الوضعية، وعندما حاول المأمون علاجها اعتمادا على عناصر عسكرية إسبانية وعلى تحطيم الأساس المذهبي لطبقة الأشياخ، كان يعمل ــ بدون قصد ــ على تحطيم الامبراطورية التي قامت على هذا الأساس المذهبي وتلك العصبية التي ينتمي إليها أولئك الأشياخ، وأخذت الحركات الانفصالية تظهر في الأندلس وافريقية والمغرب الأوسط كما ظهرت المزاحمة المرينية للموحدين بشمالي المغرب الأقصى[17]، وتقوقع الموحدون في مراكش وما حولها في أغلب الحالات رغم المحاولات التي قام بها الخلفاء الرشيد والسعيد ثم المرتضى. وحتى عندما أعلنت سبتة عودتها عن طواعية ــ ولأسباب اقتصادية فيما يبدو ــ[18] إلى التبعية الرسمية للموحدين لم يتجرّأ المرتضى على فرض مذهبه الرسمي عليها[19]، أي أن الدولة كانت في مرحلة احتضار بطيىء منذ هزيمتها في «العقاب» تقريبا، حيث بدأت القبائل المرينية تتسرب إلى إمالي المغرب، ولم تتمكن من القضاء على هذه الدولة إلا بعد حوالي نصف قرن، وهنا نتساءل، لماذا استغرقت مدة الاحتضار كل هذه الفترة، هل الأمر راجع إلى الموحدين ومن كان يدعمهم، أم يرجع ذلك إلى المرينيين ؟ يبدو أن الأمر يتعلق بهؤلاء الذين لم تكن لهم في البداية أهداف سياسية[20] وإنما دخلوا المغرب الأقصى كحركة قبلية تبحث عن الربح المادي، ولم يتحولوا إلى حركة سياسية إلا في نهاية عهد السعيد، وان كان الحفصيون حاولوا أن يوجهوهم قبيل ذلك نحو هذا الاتجاه.

ــ ولعل الاضطراب الذي أصبح المغرب يعرفه خلال النصف الأول من القرن السابع كان أحد العوامل المهمة المساعدة على تحول المسالك التجارية شرقا لفائدة المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان ولفائدة إفريقية، مما يساعد على ظهور كيانين سياسيين مستقلين بهما عن الموحدين[21]، بينما كثر الحديث في هذه الفترة عن **الغلاء والمجاعات بالمغرب الأقصى**

(15) الرسالة من رقم 97 إلى 100 (م ج) والفصل الرابع (188–190)، انظر بنفس الفصل بعض التساؤلات عن هذه الثورة.

(16) راجع الهامش 13 قبله.

(17) الفصل الرابع ص 205 وما بعدها.

(18) الفصل الرابع ص (214–216).

(19) يتجلى ذلك في رسالته التي لم يذكر فيها ابن تومرت بصفة «المهدي» ولا بصفة «المعصوم» على غير عادة الرسائل الموحدية، انظر التقديم السادس في الملحق الأول.

(20) هذا زيادة على الاختلافات داخل العصبية المرينية.

(21) الفصل الرابع (207–212).

والأندلس وحتى سبتة أحيانا[22]. وإذا كنا نعلم من خلال المصادر المعروفة عن الفترة الموحدية الوضعية المضطربة داخل المغرب الأقصى فإن رسائل تقاديم الولاة والعمال والقادة ونظّار الجباية (الملحق الأول) تؤكد هذه الوضعية بإشاراتها إلى وجود الفساد والمفسدين وأن من مهامّ هؤلاء المقدّمين ردع أهل الشر والفساد[23].

ـــ بالنسبة للصنف الثاني في هذه الخاتمة والمتعلق بالجوانب الحضارية نجد أن مخطوط الخزانة الحسنية المتعلق بالتقاديم[24]، يتوفر على أهم مواد هذه الجوانب كما هي موضحة في الفصل الخامس، ونحاول تركيزها في النقط الآتية :

ـــ من الناحية **الإدارية**، تمثّل سلطة الخليفة السلطة العليا في البلاد، ويستمد منه الولاة في الأقاليم بعض هذه السلطة التي قد تكون محدودة[25]، وقد تحمل طابع التفويض في بعض الحالات[26]، ونلاحظ أحيانا نوعا من الازدواجية في السلطة أو الوصاية على الخليفة قد تظهر في ازدواجية المراسلات الرسمية عن الخليفة ووزيره أو إليهما معا[27]. وتصف رسائل التقاديم المقدّمين فتحدد أحيانا طبقتهم الاجتماعية (أشياخ) وخبرتهم الإدارية (مجرّبين)، وتحدد أحيانا ما إذا كانت سلطتهم مفوّضة أو مشرّكين مع غيرهم وتابعين لمراقبتهم... وتذكر المهام المطلوبة منهم خاصة من الناحية الأمنية (محاربة المفسدين) والمالية (جمع الجبايات) وأحيانا برفع المحدثات والرسوم غير الشرعية من الأبواب، ومن المجابي ما يشمل «المجابي المخزنية» و«المجابي المختصية» منها ما يشمل تنظيم مداخيل المراسي والمواريث والزكاة والإشراف على «السكة».

ولا تتوفر الرسائل على أيّ تحقير لوال معزول، ربما لما في ذلك من اضعاف للرأي عند اختياره أو لمكانته الاجتماعية بين طبقة الأشياخ، وظهر أن هناك إمكانية وراثة المنصب وخاصة في الميدان القضائي. ومن ألقاب الموظفين الكبار الواردة في الرسائل : الوالي والقائد (والنائب)، وقائد الأسطول أو المقدم والرايس، والطالب وطلبة الأسطول، والحافظ والناظر في المجبى والناظر في الديوان وصاحب أشغال المخزن، والقاضي (ومن يستنيبه) والمسدد... وقد حاولت جهد الإمكان إعطاء بعض التوضيحات حول هؤلاء الموظفين[28].

---

(22) نفس الفصل ص 205 وما بعدها.

(23) هذه الرسائل هي بالملحق الأول بقسم الرسائل، انظر خصوصياتها بالفصل الرابع (156 وما بعدها).

(24) الملحق الأول للرسائل.

(25) انظر الرسالة رقم 6 (م ج).

(26) مثلا في المراسلات بين ولاة إفريقية والأندلس مع ملوك وحكام النصارى المجاورين لهم، وكذلك حالة سبتة في تبعيتها للمرتضى.

(27) مثلا حالة الوزير عمر مع أخيه الخليفة يوسف بن عبد المومن (انظر الرسالتين 14 و15 في قسم الرسائل وخصوصياتهما في الفصل الأول (15-16)، ومثل وصاية الوزير ابن جامع على المستنصر (ص 190-194) من الفصل الرابع).

(28) راجع الجانب الإداري في الفصل الخامس (225-232).

ـــ وبالنسبة **للجانب العسكري** هناك ما يتعلق بالجانب التنظيمي وبوسائل القتال : فمن الناحية التنظيمية، تتردد في الرسائل مصطلحات مثل «التمييز» الذي فسرناه على أنه يعني احصاء المقاتلين وانتماءاتهم القبلية والعرقية وحاجاتهم القتالية... ومصطلح «الساقة» الذي يعني القسم الرئيسي من الجيش والذي يتوسطه الخليفة أو الأمير أو القائد، ومصطلحات أخرى كالغزاة والمزوار[29]، والملاحظ أن عناصر الجيش كانت متنوعة، وتتكون من النظاميين والمستنفرين والمتطوعين... ويختلف نظام الرواتب حسب الحالات المادية للدولة وحسب أوقات الحركات أو التسريح وحسب الانتماءات العرقية أو الوظيفية (فرسان، رجالة)[30]، أما وسائل القتال فترد أحيانا عن قصد وأحيانا بشكل غير مباشر، فتذكر السيوف والنبال والدروع والبيضات والمجانيق و«سهام الحريق» و«الأبراج» في حالات الحصار... ونادرا ما يقع تصنيف أنواع القطع البحرية المقاتلة فهي عادة تذكر تحت اسم القطع أو المراكب أو الغربان. وتختلف معاملة الدولة للثائرين حسب درجة الثورة وحسب مكانة الثائر الاجتماعية والمنطقة الجغرافية لثورته[31].

ـــ وكان الجهازان الإداري والعسكري يتعززان بالاتجاه **المذهبي**، فقد أقامت الدولة منذ البداية دعايتها على فكرة جهاد «المجسمين» والكفرة، واعتبرت الثائرين عليها مجسمين أو منافقين أو خارجين عن الجماعة... وتركز الرسائل على ترسيخ الفكر المهدوي بالتعليم وحتى في المراسلات حيث يتكرر ذكر «المهدي المعلوم» و«الامام المعصوم»، وأن خلفاءه «خلفاء راشدون» متبعون لما خطّه لهم من إعلاء كلمة «التوحيد»... غير أن الجانب المذهبي لا يمس أمور **الشرع** حيث يؤمر دائما بتطبيق كتاب الله وسنة رسوله ثم ما أجمعت عليه الأمة من العلماء، وهذه وصايا كانت تقدّم لكل قاض تمّ تقديمه على مدينة أو جهة من الجهات، وحتى بالنسبة لبعض الولاة فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[32]، ومما كان يوصى به القضاة أيضا الإلحاح على المساواة في الأحكام دون مراعاة للمرتبة المادية أو الاجتماعية، والحفاظ على المصالح العامة كالنهي عن المنكر ورفع المحدثات... مما قد يجعلنا نفهم أنه في العهد الأخير للدولة الموحدية ربما انحرف بعض القضاة عن مبدأ العدل والمساواة، وأن النظام الموحدي وقع في تناقضاته بالعودة إلى فرض المكوس التي كان ينتقد المرابطين بشأنها[33].

ـــ ومن الناحية **الاقتصادية** نجد على الخصوص أن مجموعة رسائل أماري تركز على

---

(29) انظر الفصل الخامس، الجانب العسكري ص (232-234).

(30) انظر عن موضوع الرواتب الفصل الخامس ص (234-235).

(31) لاحظ الفرق بين سحق الماسي والغماري والجزولي والاعتناء ببني الرند وبني مردنيش واطلاق سراح أسرى حصن الأرك وأسرى حصن شلبطرة.

(32) انظر المهام المطلوبة من القاضي في الفصل الخامس ص (247-249).

(33) راجع في الفصل الخامس عن الجانب المذهبي والقضائي ص (245-249). بالنسبة لهذه الوصايا من المحتمل أنها عادية في مختلف الفترات أيضا ويعتبرها الخلفاء أساسية في ظهائر تعيينهم للقضاة.

موضوع العلاقات التجارية بين الموحدين وبيزة «بيشة»، وأهم ما يستخلص منها أن هناك تطورا نحو تنظيم التبادل التجاري على حساب القرصنة، رغم أن هذه لم تتوقف نهائيا حتى في حالة وجود اتفاق بين الطرفين، ويظهر تطور العقلية التجارية نسبيا في عدم تأثر الاتفاقات ببعض الحوادث التي لا يعتبر مسؤولا عنها غير مرتكبيها بشكل عام. أما رسائل الملحق الأول (مخطوط يحيى !) فإن ما فيها من جانب اقتصادي هو إشاراتها إلى أن من مهام عدد كبير من المقدّمين ضبط المجابي المخزنية وعلى «نظامها المعهود»!، وأحيانا الأمر بمحو الرسوم من الأسواق... ويشار أحيانا إلى أن هذه المجابي هي لمصلحة عموم المسلمين...

ــ وبالنسبة **للسياسة الخارجية** الموحدية فلها شقان، نحو العالم الإسلامي ونحو المسيحيين : فالموحدون كانوا يرون أنفسهم أحق بالإشراف على العالم الإسلامي ماداموا يعتبرون أنفسهم الموحدين الحقيقيين وأن بإمكانهم تطهيره من المفاسد، وهذه الفكرة ظلت مرافقة لهم رمزيا حتى في فترة ضعفهم وانقسام أجزاء دولتهم، وربما كان هذا الاتجاه أحد العوامل الأساسية في التوتر مع الأيوبيين. وبالنسبة للعلاقات مع الممالك الاسبانية بالخصوص يبدو أن الاتجاه العام للموحدين ــ منذ انهاء مشكل ابن مردنيش بالشرق الأندلسي ــ هو الميل إلى الهدنة إلا إذا اضطروا إلى الحرب، مما يجعلنا نتساءل إلى أي مدى كانت قوة الموحدين قوة حقيقية ؟ هل هذه القوة كانت لها ركائز سليمة داخليا، أم أنهم اعتمدوا على تناقضات وانقسامات الطرف الآخر فيكونون أقوياء مادام الآخرون ضعافا ومنقسمين فإذا تخلصوا من مشاكلهم الداخلية أو تحالفوا فيما بينهم انكشف ضعف الموحدين ؟ وهل كانت مشاكل الأندلس (أي تكرر الصطدام مع النصارى) عاملا أساسيا في اضعاف الدولة الموحدية، خاصة إذا صح اعتبار هزيمة العقاب منطلقا لهذا الضعف ؟ يبدو أنه من الصعب الفصل في أسباب الانهيار بين العوامل الداخلية والخارجية وان كانت الهزيمة زعزعت داخليا الثقة في هيبة الدولة كقوة «مجاهدة» وأسقطت قناع هيبة النصارى لقوة الموحدين[34].

وأخيرا فإنني لا أعتبر نفسي استخرجت كل ما يمكن استخراجه من رسائل المجموعة الجديدة، وانما قد أكون أعطيت توضيحا عنها وتمهيدا للباحثين على اختلاف تخصصاتهم لدراستها دراسة معمقة تفيد في كتابة التاريخ الموحدي خاصة إذا أمكن العثور على مجموعة أخرى من الرسائل التي تسد ثغرات هذه المجموعة أو تزيد معلوماتها توضيحا، ولعلّي بهذا أكون قد ساهمت بحصة متواضعة في بناء البحث التاريخي ببلادنا.

---

(34) ان ما سبق من تساؤلات عن مدى قوة الموحدين برا وبحرا لا يفسّر على أنه تحامل عليهم ولكنه محاولة تدخل في إطار البحث التاريخي. وما ذكر لا يهم الجوانب الحضارية العامة. وإنما القوة السياسية والعسكرية، فإذا كانت دولة الموحدين قائمة على أسس سليمة كيف يمكن أن نفهم انهارها بسرعة ؟

مصادر ومراجع البحث[1]

المصـادر[2] :

* القرآن الكريم :

ـــ المصحف المطبوع بالقاهرة سنة 1964 (مراجع من طرف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر).

ـــ والمصحف المطبوع بدار المعرفة، بالدارالبيضاء.

* ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي) ت 658[3] :

ـــ إعتاب الكتّاب، ط دمشق، ومخطوط خ ع.

ـــ التكملة لكتاب الصلة، ط مدريد (كوديرا)، وط القاهرة، وخ ح رقم 1411.

ـــ الحلة السيراء، جزآن، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1963.

ـــ المقتضب من كتاب تحفة القادم، (اقتضبه البلفيقي)، نشر إبراهيم الأبياري 1957، ثم 1983 (ط.بيروت) وكان قد نشر فيما قبل بمجلة المشرق لسنة 1941.

* ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين) ت 630 :

ـــ الكامل في التاريخ، ط دار الكتاب العربي (الجزآن 8 و9).

* ابن الأحمر (اسماعيل) ق 8 : بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور ـــ الرباط 1972.

* الادريسي (محمد بن عبد الله الحسني السبتي) ت 564 :

ـــ وصف افريقيا الشمالية والصحراوية (من نزهة المشتاق) ن، هنري بيريس الجزائر 1957.

ـــ النشر الايطاليتان لنزهة المشتاق : الثالثة والخامسة.

ـــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـــ جزآن ـــ طبعة القاهرة 1994.

* الأزموري (محمد بن عبد العظيم) ح 900 :

ـــ بهجة الناظرين وأنس الحاضرين خ ع/ د. 1343، خ ح/ 1358.

---

(1) وردت بعض المصادر والمراجع في الهوامش بشكل محدود، فلم يرد ذكرها في هذه اللائحة.

(2) رتبت المصادر حسب الأبجدية المغربية للمؤلفين، وحسب الترتيب الأبجدي للمصادر المجهولة المؤلفين.

(3) سنوات الوفيات أخذت في معظمها عن الأستاذ المنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ج/ 1. 1983 (وهي بالتاريخ الهجري).

* البكري أبو عبيد عبد الله (487) :
ـــ كتاب المغرب في ذكر افريقية والمغرب، طبعتا 1857 و1965.
* البلوي (أبو القاسم أحمد بن محمد القضاعي) ت 657 :
ـــ العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، خ ح/ 6148/ (مخطوط).
* البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) :
ـــ أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ط الرباط 1971.
* التجاني (أبو عبد الله محمد التونسي) حي سنة 717 :
ـــ رحلة التجاني، تونس 1958 (ن حسن حسني عبد الوهاب).
* ابن تومرت (محمد المهدي) ت 524 :
ـــ أعز ما يطلب، خ ع/ ق 1214 (بالنسبة للرسالتين 2 و4 م ج).
* ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني) ت 614 :
ـــ رحلة ابن جبير (أو «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار»)، دار الكتاب اللبناني ـــ دار الكتاب المصري.
* الحموي (شهاب الدين ياقوت الحموي) ت 626 :
ـــ معجم البلدان.
* الحميري (محمد بن عبد الله... ابن عبد المنعم) ت 726 :
ـــ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (1975).
* ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي) ت 776 :
ـــ الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عنان، ط القاهرة.
ـــ أعمال الأعلام... (القسم الأندلسي) خ ع/ 1552 د، المنشور بعناية بروفنصال تحت عنوان «تاريخ اسبانيا الاسلامية».
* ابن خلدون (عبد الرحمن أبو زيد) ت 808.
ـــ كتاب العبر... ن دار الكتاب اللبناني 1967 ـــ 1968 (أعيد طبعه سنة 1983).
* ابن خلدون (يحيى بن محمد الحضرمي، أخو المذكور قبله) ت 780 :
ـــ بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، جزآن، ن ألفرد بيل، الجزائر 1903 و1910. والجزء الأول، ت، عبد الحميد حاجيات ـــ الجزائر 1980.
* ابن خلكان (أحمد بن محمد : أبو العباس) ت 681.
ـــ وفيان الأعيان... تحقيق ا، عباس ـــ دار صادر، بيروت (1969 ـــ 1972).
* ابن دحية (أبو الخطاب عمر الكلبي السبتي) ت 633 :
ـــ المطرب من أشعار أهل المغرب، ط، القاهرة 1954.
* الرعيني (أبو الحسن علي) ت 666 :
ـــ برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق ابراهيم شبوح، دمشق 1962.

* ابن الزبير (أحمد بن ابراهيم الجياني) ت 708 :
ــ صلة الصلة، ن ليفي بروفنصال ــ الرباط 1938، وقطعة خاصة مرقونة (في ملك الأستاذ المنوني) عن نسخة دار الكتب المصرية (المجموعة التيمورية).
ــ صلة الصلة (ق 3، 4، 5)، ت عبد السلام الهراس وسعيد أعراب (المحمدية 1993 ــ 1995)
ــ الزركشي (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) حي سنة 894 :
ــ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط حجرية وط تونس 1966 (تحقيق ماضور).
* ابن ابي زرع الفاسي، القرن الثامن :
ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط دار المنصور، الرباط 1973.
* ابن الزيات (يوسف بن يحي التادلي) ت 627 : التشوف إلى رجال التصوف ــ الرباط 1958 (ت أدولف فور) وط الرباط 1984 (ت أحمد التوفيق).
* الكتبي (ابن شاكر) ت 764 :
ــ فوات الوفيات، القاهرة 1951 (تحقيق محمد عبد الحميد).
* مجهول :
ــ الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، القاهرة 1958. (عاش مؤلفاه في القرن السادس)
ــ الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق زكار وغيره، ط البيضاء 1979. (عاش مؤلفه في القرن الثامن).
ــ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية، ن بروفنصال، الرباط 1941.
ــ [مخطوط ضمن مجموع به رسائل موحدية] (مخطوط الأستاذ محمد المنوني).
ــ مفاخر البربر، مخطوط خ ع/ك، 1275 (مجموع) ود، 1020 (ثلاثة أجزاء).
ــ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ط دار المنصور، الرباط 1971. (القرن السادس).
* ابن المرابط (محمد بن علي المرادي) ت : 663 :
ــ زواهر الفكر وجواهر الفقر، شريط خ ع/1114، (عن مخطوط الاسكوريال رقم 520 غزيري).
* المراكشي (ابن عبد الملك الأنصاري) ت 703 :
ــ الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة :
س 1 تحقيق بن شريفة، س 4 و5 و6 تحقيق إحسان عباس، وس 8 تحقيق بن شريفة وس 8 مخطوط خ ع/د، 3784 والمصور عنه بها د، 1705 (خاص بالغرباء).
* المراكشي (عبد الواحد التميمي) ت 625 :

ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949.

* المقري (أبو العباس أحمد) ت 1041هـ :

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

* المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد) ت 845 :

ـ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ق 1 (تحقيق محمد زيادة)، القاهرة 1934.

* ابن مريم (محمد بن محمد المديوني التلمساني) حي 1014 :

ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق ابن شنب، الجزائر 1908.

* النباهي (أبو الحسن علي الجذامي) حي سنة 793 :

ـ المرقبة العليا في القضاء والفتيا، نشره بروفنصال تحت عنوان «تاريخ قضاة الأندلس» 1948.

* النويري (أحمد بن عبد الوهاب التيمي) ت 732 :

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر 22 تحقيق، مصطفى أبو ضيف تحت عنوان «تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط»، الدار البيضاء 1985.

* ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي) ت 594 :

ـ تاريخ المن بالإمامة... تحقيق الأستاذ عبد الهادي التازي، بيروت 1965. (أعيد طبعه).

ـ مخطوط أوكسفورد (نسخة مصورة عنه بالخزانة العامة تحت رقم 2649 د).

* الضبي أحمد بن عميرة) ت 599 :

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس.

* ابن عذاري (أبو العباس المراكشي) حي سنة 712 :

ـ البيان المغرب (المرابطي)، منشور على أساس أنه الجزء الرابع، ط بيروت.

ـ البيان المغرب (الموحدي) الجزء الثالث، ط تطوان 1960 ـ 1963 (وهي المعتمدة أساسا، أعيد طبعها سنة 1985 على يد جماعة من الأساتذة) ونسخ الخزانة الحسنية 336 و777 و6158 و334 و2150 و5212 ونسخة خ ع/ ق، 200.

* ابن العماد (عبد الحي الحنبلي) ت 1089 :

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط القاهرة 1351هـ.

* ابن عميرة (أبو المطرف أحمد المخزومي الشقري) ت 658 :

ـ رسائل ابن عميرة، قطعة من السفر الأول خ ع/د، 4502 (مخطوط مصور)، قطعتان من السفر الثاني خ ع/ك 232 وك 233 (مخطوطان).

* ابن عسكر (محمد بن علي بن خضر الغساني) ت 636 :

ـ فقها مالقة وأدباؤها، خ ح/11055 (كان ابن عسكر أحد مؤلفي الكتاب).

* ابن غازي (محمد بن أحمد العثماني) ت 919 :
ــ الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، مطبعة الأمنية بالرباط 1952.
* الغبريني (أبو العباس أحمد البجائي، ت 714 :
ــ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الجزائر 1970.
ابن القاضي (أحمد المكناسي) ت 1029هـ :
ــ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط 1974 (دار المنصور).
* القبتوري (خلف الغافقي) ت 704 :
ــ «رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي» تحقيق محمد الهيلة، الرباط 1979.
* ابن القطان (حسن بن علي الكتامي)، القرن السابع :
ــ نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود مكي، تطوان 1964. (أعيد طبعه في دار الغرب الاسلامي سنة 1990).
* القلقشندي (أحمد بن علي الفزاري) ت 821.
ــ صبح الأعشى... الجزآن الخامس والسادس، المطبعة الأميرية بالقاهرة، اعيد طبع الكتاب في بيروت سنة 1987)
* ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) ت 673 :
ــ كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، بيروت 1970 (أعيد طبعه تحت عنوان : كتاب الجغرافيا، ت اسماعيل العربي، ط بيروت 1970.
ــ رايات المبرّزين وغايات المميّزين، ن كارسيا كوميث، مدريد 1942 (أعيد طبعه بالقاهرة سنة 1973).
ــ عنوان المرقصات والمطربات (ط حجرية 1286هـ).
ــ الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة، (ت الأبياري) ط دار المعارف.
ــ المغرب في حلي المغرب. (ت، شوقي ضيف) ط. دار المعارف 1978 ــ 1980.
* السلفي (أبو طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني) ت 576 :
ــ أخبار وتراجم أندلسية (من «معجم السفر»)، ن إحسان عباس، بيروت 1963.
* السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ت 911 :
ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط القاهرة 1964 ــ 1965.
ــ أبو شامة الدمشقي (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي) ت 665 :
ــ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط القاهرة 1287هـ.
ــ الذيل على الروضتين أو «تراجم رجال القرنين 6 و7». (ت، احسان عباس).
* ابن شدّاد (بهاء الدين) ت 632 :
ــ النوادر السلطانية (منشور تحت عنوان «سيرة صلاح الدين الأيوبي» مع ذيل عليه).

* ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت 697 :
ـــ مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، ن جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية 1953 ـــ 1957.
* الوزّان (حسن) ق 10 هـ :
ـــ وصف افريقيا، ج 1، ط الرباط 1980.
* يحيى (؟) :
ـــ مخطوط به رسائل موحدية، بالخزانة الحسنية رقم 4752 (رسائل الملحق الأول).

المعاجم :

* البستاني : قطر المحيط.
* ابن منظور : لسان العرب.
* معلوف (لويس) : المنجد في اللغة.

المراجع العربية والمعرّبة :

* ابن عبد الله (عبد العزيز) :
ـــ البحرية المغربية والقرصنة (مقال بمجلة «تطوان»؛ سنة 1958 ـــ 1959).
* ابن شريفة (محمد) :
ـــ أبو المطرّف ابن عميرة (الرباط، 1966).
* جواد (مصطفى) :
ـــ المنصور الموحدي والناصر العباسي، صراع خفيّ (دعوة الحق، أبريل 1969).
* حمّوش (عبد الحق) :
ـــ القوة البحرية في الغرب الإسلامي بعد الفتح إلى قيام دولة الموحدين (دعوة الحق، ماي 1969).
* المنوني (محمد) :
ـــ المصادر العربية لتاريخ المغرب (الجزء الأول، البيضاء 1983).
* مصطفى أبو ضيف أحمد :
ـــ أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (البيضاء 1982).
* العباس بن إبراهيم (المراكشي) :
ـــ الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام.
* العروي (عبد الله) :
ـــ تاريخ المغرب (ترجمة قرقوط، بيروت 1977). أعاد المؤلف كتابته تحت عنوان : مجمل تاريخ المغرب.

* عز الدين أحمد موسى :
ـ النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري (بيروت 1983).
* عنان (محمد عبد الله) :
ـ عصر المرابطين والموحدين (القاهرة 1965).
* الغربي (أحمد) :
ـ الموحدون سادة البحر (مجلة دعوة الحق، يناير 1972).
* الفاسي (محمد) :
ـ أبو جعفر ابن عطية (مقال بمجلة «الباحث»، السنة الأولى، المجلد الأول، سنة 1972 وزارة الثقافة «المغربية»).
* سعد زغلول عبد الحميد :
ـ العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدي (مقال بمجلة كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية، سنة 1953).
* أرشيبالد (لويس) :
ـ القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، ط القاهرة 1960.
* أشباخ (جوزيف) :
ـ تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تعريب : محمد عنان. (أعيد نسخه سنة 1996).
* برانشفيك (دوبير) : تاريخ افريقية في العهد الحفصي، جزآن، تعريب حمادي الساحلي، بيروت 1988.
* جوليان (ش.أ) : تاريخ افريقيا الشمالية، ج 2، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ط، تونس 1978.
* لوتورنو (روجي) :
ـ حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1982.
* هوبكنز (ج، ف، ب) :
ـ النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1980.

مراجع أجنبية :

* AMARI (Michele) : Diplomi Arabi dell'Archivio Fiorentino, T. 1. 1863.

* BEL (Alfred) :

— Les Banou Ghânya 1903 (Paris).

— Contribution à l'étude des Dirhems de L'époque Almohade, Hespéris 1933 T. 16. F1-2.

* BRUNSCHBIG (R) :

— La berberie Orientale sous les Hafsides... (Paris 1940).

— Cahiers de Tunisie : (Faculté des Lettres) 1970 T : XVII, N 69 – 70, 1 – 2 tri

* CATTENOZ (H — G) :

— Tables de concordance des éres chrétienne et Hegirienne, éd 1961.

* Cênival (Pierre de)

— L'église Chrétinne de Marrakech au 13éme siècle. Hespéris 1927 1er tir.

* Dozy :

— Recherches sur l'histoire et la littérature dans l'Espagne musulmane pendant le moyen âge. T 2. 1965.

— Supléments aux dictionnaires arabes, éd 1968.

* DUFOURCQ (Ch.E) :

— L'Espagne Catalane et le Maghrib Au 13éme et 14éme siècle. Paris 1966.

— La question de Ceuta au 13 éme S. (Hespéris 1955 - 1 - 2 Tri.).

— les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13 éme siècle.

(بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب بالجزائر ع/ 5، يوليوز 1968).

* HUICI MIRANDA (A)

— Al - ARK, Ensyclopédie de L'Islam, Tome 1 Ed. 1975.

— La campana de Alarcos.

(مقال بمجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد 1954).

— Historia politica del Ampério Almohade. Tetuan, 1956-1959.

* Le Tourneau (R) :

— La révolte des fréres d'Ibn Toumart de 1153 à 1956.

— Mélanges d'histoire et d'Archéologie de l'occident musulman, T 2. (G. MARÇAIS).

* PROVENÇAL Levi (E) :

— «Trente-sept lettres Almohades officielles» Hespéris T.29.1941 (Unique).

(دراسة لـ «مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المومنية»).

* MASCARELLO :

— Quelques aspects des activités Italiennes dans le Maghreb médieval.

(بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب بالجزائر ع/5، يوليوز 1968).

* MAS—LATRI (DE) :

— Relations et commerce de l'Afrique septentrion? du Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge. Paris 1886.

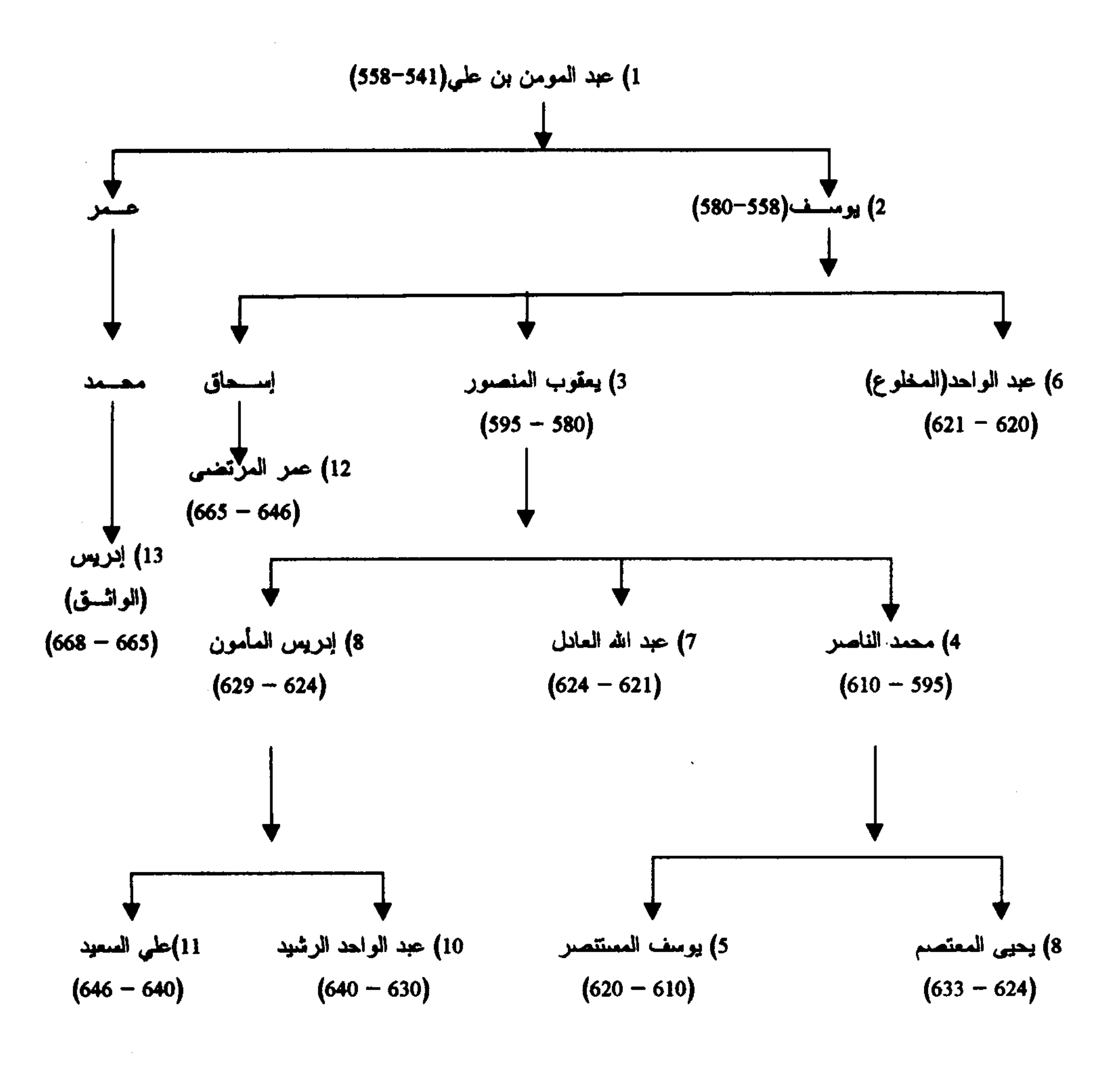
— Traités de paix et de commerce et documents div?es concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrional au moyen âge, Paris 1866.

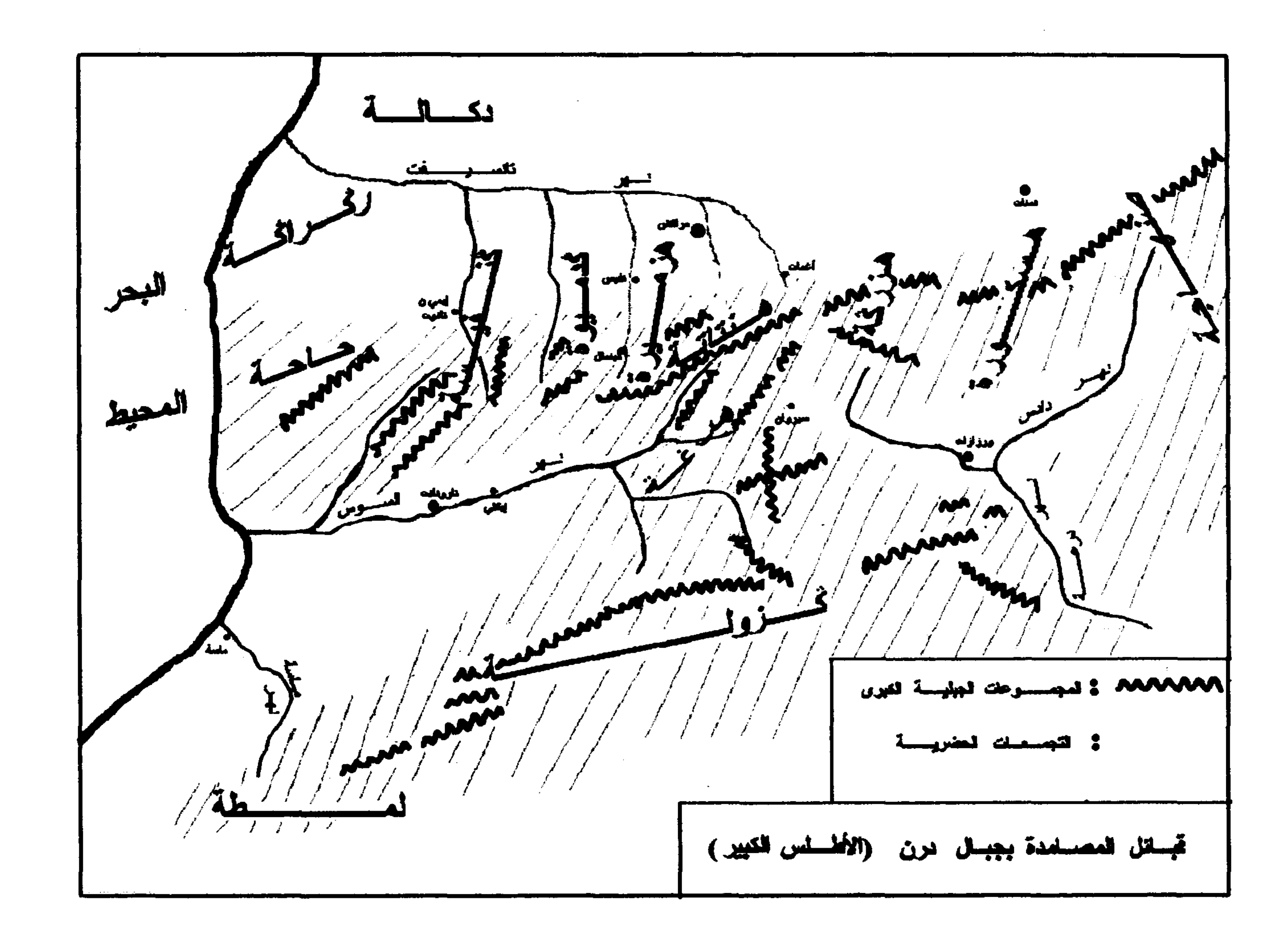
* MERAD ALI :
— Abd Al-Mu'min à la conquête de l'Afrique du nord... (Annales de l'institut des études orientales. Alger 1959).

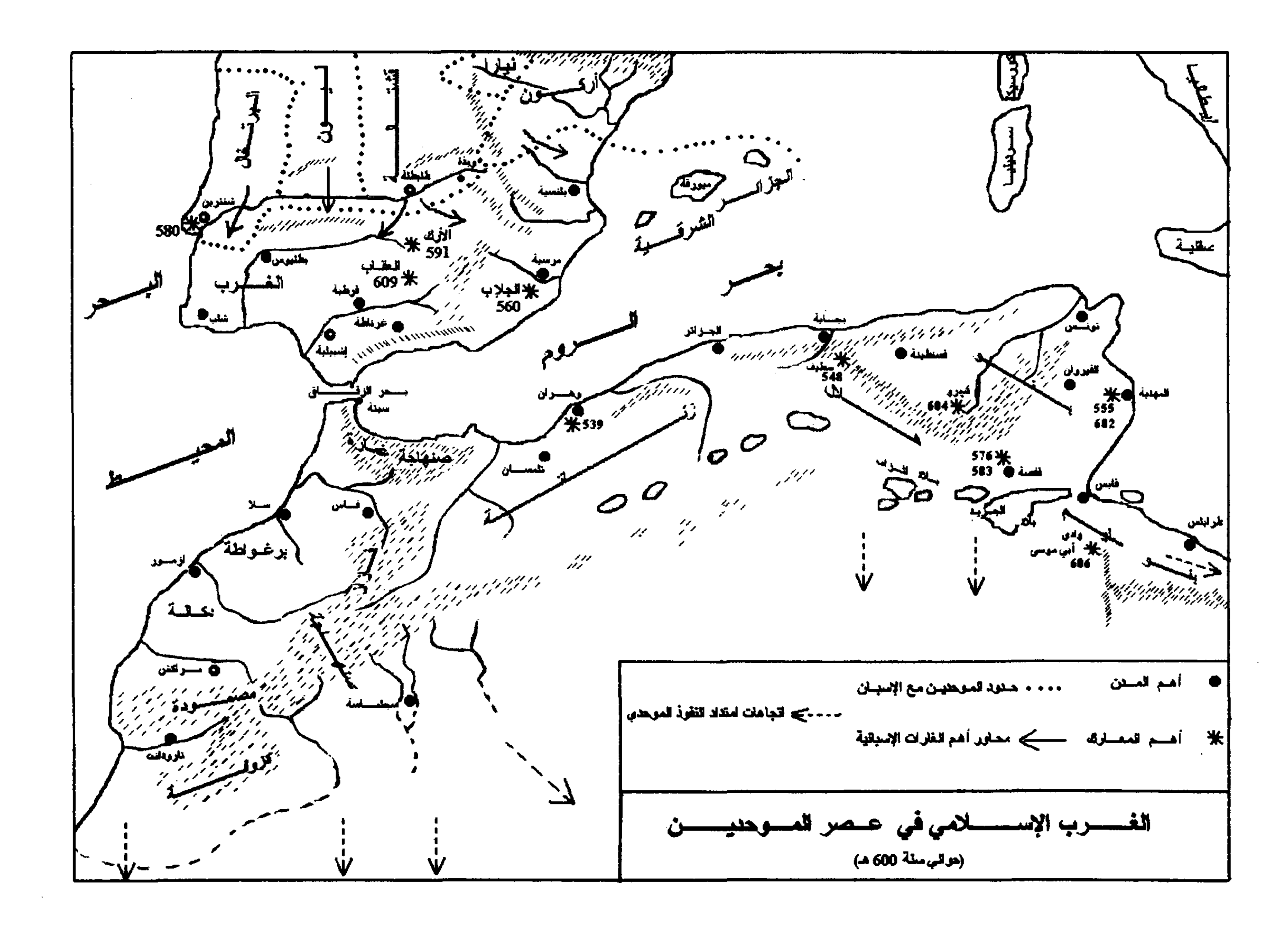
* MONTAGNE (R) :
— Les berbères et le Makhzen dans le sud marocain - Paris 1930.

* TORRES : (Barcelo) :
— El Sayyd Abu Zayd, principe musulman, senor cristiano.
(مقال بمجلة «أوراق» ع 1980/3 ـ المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد).

جدول للخلفاء الموحدين




قبائل المصامدة بجبال درن (الأطلس الكبير)
المجموعات الجبلية الكبرى :
التجمعات الحضرية :
دكالة
البحر
المحيط
حاحة
جزولة
لمطة
تانسيفت
نهر
السوس



الغرب الإسلامي في عصر الموحدين
(حوالي سنة 600 هـ)
أهم المدن
حدود الموحدين مع الإسبان
أهم المعارك
محاور أهم الغارات الإسبانية
اتجاهات امتداد النفوذ الموحدي
البحر المحيط
بحر الروم
الجزائر الشرقية
ميورقة
سردينيا
صقلية
الغرب
برغواطة
مصمودة
صنهاجة
شنترين
580
الأرك
591
العقاب
609
الجلاب
560
طليطلة
بلنسية
مرسية
قرطبة
غرناطة
إشبيلية
بطليوس
شلب
بحر الزقاق
سبتة
فاس
سلا
أزمور
مراكش
تارودانت
سجلماسة
تلمسان
وهران
539
الجزائر
بجاية
سطيف
548
قسنطينة
تونس
القيروان
المهدية
555
682
قفصة
576
583
قابس
طرابلس
وادي
أبي موسى
686
684

تصحيح بعض أخطاء الجزء الأول
من كتاب «رسائل موحدية»

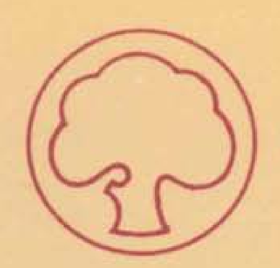
الصفحة	السطر أو الهامش	الخطـــأ	الصــــواب
3	س 17	بتر بعد «والوثائق التراثية»...	لم يعرف طريقه إلى النّشر لأسباب تجارية صرفة، وبقي مجهولا لدى العموم وخاصة في خارج بلادنا. إن اعتماد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة نشر النصوص والوثائق بإمكانها....
14	س 12	تضاف إليها 73 رسالة......	تضاف إليها 77 رسالة
33	س 12	وأحد الشعراء.............	واحِد الشعراء
33	س 15	مراميه.........................	مرامه
49	س 3	إلى زوجها، والمناكر والفساد في الأرض[41]	إلى زوجها[41]... والمناكر والفساد في الأرض
49	هـ 41	يعوّض بما يلي...............	تعرّضت الرسالة لبتر كمّل بعضه صاحب «نظم الجمان» 67-68 (ط، دار الغرب الإسلامي).
56	هـ 3	انظر ترجمته في أول.........	انظر ترجمته في المقدمة
61	أعلى الصفحة	(بتر عنوان الرسالة).........	الرسالة السادسة : رسالة عبد المومن الحامعة لأنواع من الأوامر[1]
73	س 6	ورحمة الله تعالى وبركاته.....	ورحمة الله وبركاته
73	س 10	المحلة بفج قامرة............	المحلة المباركة بفج قامرة
73	س 11	حفظكم الله................	حفظهم الله
73	س 17	ومن ناواه قسم.............	ومن ناوأه قُصم
74	س 4	نويناه إليكم................	نويناه لكم
74	س 6	المشكور والمرضي..........	المشكور المرضيّ

فهرس المواضيع

الفصل الرابع
التراجع الموحدي عن الأندلس والانقسام السياسي بالمغرب

الفصل الخامس
جوانب حضارية في رسائل «المجموعة الجديدة»

مطبعة النجاح الجديدة
الـدّار البيضاء
الإيداع القانوني رقم 1995/1249



Université Ibn Tofail
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Kénitra

Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kénitra
Série : Textes et documents
N° 2

NOUVELLES LETTRES ALMOHADES

Edition annotée et commentée par

Ahmed AZZAOUI

Tome II